

سُورَةُ الْفَاتِحَةِ

الفاتحة أول كل شيء، فسميت هذه السورة «فاتحة الكتاب» لكونه افتتح بها، إذ هي أول ما يكتبه الكاتب من المصحف، وأول ما يتلوه التالي من الكتاب العزيز، وإن لم تكن أول ما نزل من القرآن. قيل: هي مكية، وقيل: مدنية. تسمى فاتحة الكتاب، وتسمى أم الكتاب، وصح تسميتها بالسبع المثاني، وسورة الحمد، وسورة الصلاة، والواقية. وقد ورد في فضل هذه السورة أحاديث، منها ما أخرجه البخاري وأحمد من حديث أبي سعيد ابن المعلّى «أن رسول الله ﷺ قال له: لأعلمنك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد. قال: فأخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج من المسجد قلت: يا رسول الله إنك قلت لأعلمنك أعظم سورة في القرآن؟ قال: نعم (الحمد لله رب العالمين) هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته». وأخرج مسلم في صحيحه، والنسائي في سننه، من حديث ابن عباس «قال: بينا رسول الله ﷺ وعنده جبريل، إذ سمع نقيضاً فوقه، فرفع جبريل بصره إلى السماء، فقال: هذا باب قد فتح من السماء ما فتح قط، قال: فنزل منه ملك، فأق النبي ﷺ فقال: أبشر بنورين قد أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ حرفاً منها إلا أوتيته». «

١ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ اختلف أهل

العلم في البسملة، فقيل: هي آية مستقلة في أول كل سورة كتبت في أولها، وقيل: هي بعض آية من أول كل سورة، أو هي كذلك في الفاتحة فقط دون غيرها، وقيل: إنها ليست بآية في الجميع، وإنما كتبت للفصل. وقد اتفقوا على أنها بعض آية في سورة النمل. (الله) علم لم يطلق على غيره تعالى، وأصله الإله. وكان قبل الحذف يقع على كل معبود بحق أو باطل، ثم غلب على المعبود بحق. والرحمن والرحيم اسمان مشتقان من الرحمة، والرحمن أشد مبالغة من الرحيم. والرحمن صفة لم يستعمل لغير الله عز وجل.

٢ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الحمد: هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري، والحمد يكون من اللسان فقط، أما الشكر فيكون باللسان والقلب والأعضاء، ولا يكون الشكر إلا مقابل نعمة. أما الحمد فيكون لكامل المحمود ولو في غير مقابلة نعمة. والله تعالى له الحمد والشكر ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الرب: اسم من أسماء الله تعالى ولا يقال في غيره إلا مضافاً، كقولك: هذا الرجل رب المنزل. والرب المالك، والرب السيد، والرب المصلح والمدير، والرب المعبود. (العالمون) جمع العالم، وهو كل موجود سوى الله تعالى، وقيل: العالم عبارة عما يعقل، وهو أربعة أمم: الإنس والجن والملائكة والشیاطين، ولا يقال للبهائم عالم.

٣ «الرحمن الرحيم» قد تقدم تفسيرهما. ولما كان في اتصافه برب العالمين ترهيب قرنه بالرحمن الرحيم، لما تضمن من الترغيب، ليجمع في صفاته بين الرهبة منه والرغبة إليه، فيكون أعون على طاعته.

٤ «مالك يوم الدين» قرىء ملك ومالك، فقليل: إن (ملك) أعم وأبلغ من (مالك) لأن أمر الملك نافذ على المالك في ملكه حتى لا يتصرف إلا عن تدبير الملك. وقيل: مالك أبلغ، لأنه يكون مالكا للناس وغيرهم. والحق أن الفرق بين الوصفين بالنسبة إلى الرب سبحانه أن الملك صفة لذاته، والمالك صفة لفعله. ويوم الدين يوم الجزاء من الرب سبحانه لعباده وعن قتادة قال: يوم الدين يوم يدين الله العباد بأعمالهم.

٥ «إياك نعبد وإياك نستعين» نخصك بالعبادة، ونخصك بالاستعانة، لا نعبد غيرك ولا نستعينه، والعبادة: أقصى غايات الخضوع والتذلل، وفي الشرع: عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف. والمجيء بالنون لقصد التواضع لا لتعظيم النفس، وقلمت العبادة على الاستعانة لكون الأولى وسيلة إلى الثانية. عن ابن عباس في قوله إياك نعبد يعني: إياك نوحّد ونخاف يا ربنا لا غيرك، وإياك نستعين على طاعتك وعلى أمورنا كلها. وعن قتادة أنه قال: يأمركم الله أن تخلصوا له العبادة، وأن تستعينوه على أمركم.

٦ «اهدنا الصراط المستقيم» الهداية هي: الإرشاد، أو التوفيق، أو الدلالة. وطلب الهداية من المهتدي معناه طلب الزيادة من الهداية، كقوله تعالى (والذين اهتدوا زادهم هدى). والصراط المستقيم: هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه، وأخرج أحمد وغيره، عن النّوّاس بن سميان، عن رسول الله ﷺ قال «ضرب



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ١
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٢ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٣
مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ ٥
نَسْتَغِيثُ ٦ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ٧
صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ٧

(ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا. ذلك الفضل من الله وكفى بالله علما)

«غير المغضوب عليهم» هم اليهود. «ولا الضالين» هم النصارى. أي لأن اليهود علموا الحق فتركوه وحادوا عنه على علم، فاستحقوا غضب الله؛ والنصارى حادوا عن الحق جهلا فكانوا على ضلال مبين في شأن عيسى عليه السلام. وعن عائشة أن النبي ﷺ قال: «ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على السلام والتأمين» ومعنى آمين: اللهم استجب لنا.

الله مثلاً صراطا مستقيما، وعلى جنبي الصراط سوران، فيها أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعا ولا تعوجوا. وداع يدعو من فوق الصراط، فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئا من تلك الأبواب قال: وبحك لا تفتحه، فإنك إن تفتحه تليج. فالصراط: الإسلام، والسوران: حدود الله، والأبواب المفتحة: محارم الله، وذلك الداعي على رأس الصراط: كتاب الله، والداعي من فوق: وإعظ الله تعالى في قلب كل مسلم.

٧ «صراط الذين أنعمت عليهم» هم المذكورون في سورة النساء حيث قال:

رب فيه أي لا شك في كونه من عند الله تعالى **هدى للمتقين** الهدى: هو الدلالة الموصلة إلى البغية، عن ابن عباس في قوله - هدى للمتقين - أي الذين يحذرون من الله عقوبته في ترك ما يعرفون من الهدى ويرجون رحمته في التصديق مما جاء منه. وعن أبي هريرة: أن رجلاً قال له: ما التقوى؟ قال هل وجدت طريقاً ذا شوك؟ قال: نعم. قال: فكيف صنعت؟ قال: إذا رأيت الشوك عدلت عنه، أو جاوزته، أو قصرت عنه، قال: ذاك التقوى.

٣ **الذين يؤمنون بالغيب** الإيمان في اللغة: التصديق، والغيب كل ما أخبر به الرسول ﷺ مما لا تهدي إليه العقول، من أشراط الساعة وعذاب القبر والنار والحشر والصراط والميزان والجنة والنار. عن النبي ﷺ أنه قال: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره». **ويقيمون الصلاة** إقامة الصلاة أداؤها بأركانها وسننها وهيأتها في أوقاتها، وعن ابن عباس في قوله **يقيمون الصلاة** قال: الصلوات الخمس **وما رزقناهم ينفقون** قال زكاة أموالهم. واختار ابن جرير أن الآية عامة في الزكاة والنفقات، وهو الحق، من غير فرق بين النفقة على الأقارب وغيرهم وصدقة الفرض والنفل. ٤ **والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك** أي يصدقونك بما جئت به من الله، وما جاء به من قبلك من المرسلين، لا يفرقون بينهم ولا يجحدون ما جاءهم به من ربهم **وبالآخرة هم يوقنون** المراد: أنهم يوقنون بالبعث والنشور وسائر أمور الآخرة من دون شك، إيماناً بالبعث والقيامة والجنة والنار والحساب والميزان، أي لا هؤلاء الذين يزعمون أنهم آمنوا بما كان قبلك ويكفرون بما جاءك.



بسم الله الرحمن الرحيم

١ **الهم** قال القرطبي في تفسيره: الحروف التي في أوائل السور، هي سر الله في القرآن، قال: وقال جمع من العلماء كثير، بل نحب أن نتكلم فيها ونلتمس الفوائد التي تحتها، والمعاني التي تتخرج عليها. واختلفوا في ذلك على أقوال، منها أنها إشارة إلى حروف الهجاء، أعلم الله بها العرب حين تحداهم بالقرآن أنه مؤتلف من حروف هي التي بناء كلامهم عليها، ليكون عجزهم عنه أبلغ في الحجة عليهم، إذ لم يخرج عن كلامهم.

٢ **ذلك الكتاب** هو هذا القرآن **ولا**

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

قبل هي أول سورة نزلت بالمدينة. وأخرج مسلم والترمذي وأحمد عن النواس ابن سميان قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يؤتى بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا، تقدمهم سورة البقرة وآل عمران، قال: وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد، قال كأنها غمامتان، أو كأنها غيابتان، أو كأنها ظلتان سوداوان، أو كأنها فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبها». وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي يُقرأ فيه سورة البقرة».

٥ «أولئك على هدى من ربهم» حال

هؤلاء الجامعين بين التقوى والإيمان بالغيب والإتيان بالفرائض أنهم على نور من ربهم، وبرهان واستقامة وسداد بتسديد الله إياهم وتوفيقه لهم **«وأولئك هم المفلحون»** أي المنجحون المدركون ما طلبوا عند الله بأعمالهم وإيمانهم بالله وكتبه ورسله.

٦ «إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون»

[أي إن الذين أصرّوا على جحد رسالتك يا محمد، وإنكار ما جئت به من الآيات البينات، مع وضوح الحق لهم وانقطاع الشبهة واستيقانهم أنك صادق، فلن يفيدهم إنذارك شيئاً، لأنهم إنما يتبعون أهواءهم].

٧ «ختم الله على قلوبهم» فهم لا

يبصرون هدى، ولا يسمعون ولا يفقهون ولا يعقلون. قال ابن جرير: إن الذنوب إذا تتابعت على القلوب أغلقتها، فلا يكون إليها مسلك، ولا للكفر منها مخلص.

٨ «ومن الناس من يقول آمنا بالله

وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين» ذكر سبحانه في هذه السورة المؤمنين الخالصين، ثم ذكر بعدهم الكفرة الخالصين، ثم ذكر المنافقين، وهم الذين لم يكونوا من إحدى الطائفتين، بل صاروا فرقة ثالثة لأنهم وافقوا في الظاهر الطائفة الأولى وفي الباطن الطائفة الثانية، ومع ذلك فهم أهل الدرك الأسفل من النار.

٩ «وما يخدعون إلا أنفسهم» لما

خادعوا من لا يخدع كانوا خادعين لأنفسهم، لأن الخداع إنما يكون مع من لا يعرف البواطن.

١٠ «في قلوبهم مرض» المرض: الفساد الذي في عقائدهم، إما: شكاً ونفاقاً، أو جحداً وتكذيباً **«فزادهم الله مرضاً»** بما

أولئك على هدى من ربهم **«وأولئك هم المفلحون»** **٥**
 إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون **٦**
 ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشوة ولهم عذاب عظيم **٧**
 ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين **٨**
 يخدعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون **٩**
 في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون **١٠**
 وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون **١١**
 ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون **١٢**
 وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون **١٣**

الله عن الفساد جعلوا صفة الصلاح مختصة بهم خالصة لهم، فردّ الله عليهم ذلك أبلغ رد، وردهم إلى صفة الفساد التي هم متصفون بها في الحقيقة **«ولكن لا يشعرون»** [أي لا يدرون أنهم هم أهل الفساد حقيقة لمعاداتهم الحق وأهله وصدهم عن سبيل الله].

١٣ «ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون» فنسبوا إلى المؤمنين السفه استهزاء واستخفافاً، فتسببوا بذلك إلى تسجيل الله عليهم بالسفه وحصر السفاهة وسخافة العقول فيهم.

يتجدد لرسول الله ﷺ من النعم، ويتكرر له من من الله الدنيوية والدينية. فابتلوا بزيادة الشك وترادف الحسرة وفرط النفاق **«ولهم عذاب أليم»** نكال موجه **«بما كانوا يكذبون»** أي في دعواهم الإيمان وهم غير مؤمنين.

١١ «وإذا قيل لهم لا تفسدوا في

الأرض» بالنفاق وموالاته الكفرة وتفريق الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ والقرآن، فإنكم إذا فعلتم ذلك فسد ما في الأرض بهلاك الأبدان وخراب الديار.

١٢ «ألا إنهم هم المفسدون» لما نهاهم

الإسلام عند مقدّم النبي ﷺ المدينة، ثم نافقوا، فكان مثلهم كمثّل رجل كان في ظلمة، فأوقد نارا، فأضاءت ما حوله من أذى فأبصره حتى عرف ما يتقي، فبينما هو كذلك إذ طفت ناره، فأقبل لا يدري ما يتقي من أذى، فكذلك المنافق كان في ظلمة الشرك فأسلم، فعرف الحلال من الحرام، والخير من الشر، فبينما هو كذلك إذ كفر، فصار لا يعرف الحلال من الحرام، ولا الخير من الشر.

١٨ ﴿صُمُّ بَكْمٌ عَمِيٌّ فَهِمٌ لَا يَرْجِعُونَ﴾ أي بقي أصحاب تلك النار المضئئة بعد انطفائها صمّا لا يسمعون مناديا، بكما أي خرساً لا يستطيعون السؤال عن الطريق، عميا لا يرونها، فلا يتمكنون من الرجوع إلى طريقهم، فكذلك أهل النفاق الذين أسلموا ثم كفروا.

١٩ ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾ المراد بالصيب: المطر، ضربه الله مثلا للقرآن، إذ ينزل بما فيه مما يخيف المنافقين **﴿فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَّرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾** زواجر القرآن **﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾** [أي يتقون الخطر بما لا يقيهم منه، فكذلك المنافقون لم يجدوا إلا أن يصموا آذانهم عن سماع آيات القرآن] **﴿وَاللَّهُ مُجِيبٌ بِالْكَافِرِينَ﴾** الإحاطة: الأخذ من جميع الجهات حتى لا يفوت المحاط به بوجه من الوجوه.

٢٠ ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾ يكاد يحكم القرآن يدل على عورات المنافقين **﴿كَلِمَاتٌ أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ﴾** أي فإذا كثرت أموالهم وأولادهم وأصابوا غنيمة وفتحوا مشوا فيه وقالوا: إن دين محمد ﷺ حينئذ صدق، واستقاموا عليه **﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾** فكانوا إذا هلكت أموالهم وأصابهم البلاء قالوا هذا من أجل دين محمد ﷺ وارتدوا كفارا.

وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَا رَبَّحْتُمْ بِتِجَارَتِهِمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمُّ بَكْمٌ عَمِيٌّ فَهِمٌ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُجِيبٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ

١٤ ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ﴾ أي استبدلوا الضلالة بالهدى، وأصل الضلالة الحيرة والجور عن القصد وفقد الاهتداء **﴿فَا رَبَّحْتُمْ تِجَارَتِهِمْ﴾** [أي فا ربحوا في تجارتهم باتباعهم الكفر بدل الإيمان] **﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾** في شرائهم الكفر بالإيمان، وخروجهم من الهدى إلى الضلالة، ومن الجماعة إلى الفرقة، ومن الأمن إلى الخوف، ومن السنة إلى البدعة.

١٧ ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ عن ابن مسعود وناس من الصحابة في هذه الآية، قالوا: إن ناسا دخلوا في

﴿رُؤْسَانِهِمْ فِي الْكُفْرِ الَّذِينَ يَدْبُرُونَ الشَّرَّ﴾ **﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾** ثابتون على الكفر **﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾** بالمسلمين في تلك الموافقة، ولم تكن بواطننا موافقة لهم ولا مائلة إليهم.

١٥ ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ أي ينزل بهم الموان والحقارة، وينستقم منهم، ويستخف بهم انتصافا منه لعباده المؤمنين **﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾** يملئ لهم **﴿فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾** في كفرهم يتمادون.

١٦ ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ

٢١ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ خص نعمة الخلق، وامتنن بها عليهم لأن جميع النعم مترتبة عليها، وهي أصلها الذي لا يوجد شيء منها بدونها. وأيضا فالكفار مقرنون بأن الله هو الخالق (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولنَّ الله) فامتنن عليهم بما يعترفون به ولا ينكرونه.

٢٢ ﴿فَرَأَسًا﴾ أي وطاء يستقرون عليها. وجعل ﴿السَّمَاءَ بَنَاءً﴾ كالقبة المضروبة عليهم والسقف للبيت الذي يسكنونه، ثم امتن عليهم بإنزال الماء من السماء ﴿فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ أي أخرجنا لكم ألوانا من الثمرات وأنواعا من النبات ليكون ذلك متاعا لكم إلى حين ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ أي لا تتخذوا له شركاء تعبدونهم مثلاً تعبدونه ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [أن الأنداد لم يخلقوكم، ولم يجعلوا الأرض فراشا، ولا السماء بناء، ولا أخرجوا لكم نباتا].

٢٣ ﴿فِي رَيْبٍ﴾ أي شك ﴿مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾ أي القرآن أنزله الله على محمد ﷺ ﴿فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ تحداهم بأن يأتوا بسورة مثل أي سورة في القرآن مهما كانت صغيرة ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ﴾ أي ناسا يشهدون لكم أن ما أتيتم به هو مثل للقرآن.

٢٤ ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ أي إن لم تطبقوا ذلك، وتبين لكم عجزكم ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ﴾ بالإيمان بالله وكتبه ورسله والقيام بفرائضه واجتناب مناهيه. وهذا من الغيوب التي أخبر بها القرآن قبل وقوعها، لأنها لم تقع المعارضة من أحد من الكفرة في أيام النبوة وفيها بعدها وإلى الآن ﴿الَّتِي وَقُودُهَا﴾ الوقود الحطب، أي هذه النار تتقد بالناس والحجارة، فأوقدت بنفس ما يراد إحراقه بها. عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «ما من نبي

شئٌ عَظِيمٌ ﴿٢٠﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِمَّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِءَ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي

من الأنبياء إلا أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة». ٢٥ ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ التبشير الإخبار بما يظهر أثره على البشرية، من البشر والسرور ﴿الصَّالِحَاتِ﴾ الأعمال المستقيمة، المطلوبة منهم المفترضة عليهم، [أو التي يندبهم الله تعالى إليها]، فالجنة تُنال بالإيمان والعمل الصالح ﴿جَنَّاتٍ﴾ الجنات: البساتين، وهو اسم لدار الثواب كلها، وهي مشتملة على جنات كثيرة من الأنبياء إلا أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة». ٢٥ ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ التبشير الإخبار بما يظهر أثره على البشرية، من البشر والسرور ﴿الصَّالِحَاتِ﴾ الأعمال المستقيمة، المطلوبة منهم المفترضة عليهم، [أو التي يندبهم الله تعالى إليها]، فالجنة تُنال بالإيمان والعمل الصالح ﴿جَنَّاتٍ﴾ الجنات: البساتين، وهو اسم لدار الثواب كلها، وهي مشتملة على جنات كثيرة

﴿مِنْ تَحْتِهَا﴾ أي تجري من تحت أشجارها وتحت مساكنها ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا﴾ من أي نوع من أنواع الثمرات ﴿قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ أنه شبيه ونظيره ومن جنسه، وذلك أن اللون يشبه اللون، وإن كان الحجم والطعم والرائحة متخالفة، فإذا أكلوا وجدوا له طعما غير طعم الأول ﴿مُتَشَابِهًا﴾ في الجودة ليس فيه ساقط، والمراد بتطهير الأزواج أنه لا يصيبهن ما يصيب النساء من قذر الحيض والنفاس، وسائر الأدناس. والخلود: البقاء الدائم الذي لا ينقطع.



أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَّا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَتَمَنًا فَأُخِبْتُكُمْ ثُمَّ يَمِينُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ

فأقروا به [واتزموا الطاعة والمتابعة]، ثم كفروا فتنقضوه. **﴿ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل﴾** الرحم والقربة **﴿ويُفسدون في الأرض﴾** يعملون فيها بالمعصية **﴿أولئك هم الخاسرون﴾** هم أهل النار [لا كما يظنون أنهم ينقضهم العهد يصلون إلى مصالح يبتغونها، فالوفاء بعهد الله أعظم المصالح وهم يفتنون].

٢٨ ﴿كيف تكفرون بالله﴾ للإنكار عليهم والتعجب من حالهم. كأنه قال: كيف تكفرون؟ وأنتم عالمون بهذه القصة وبأولها وآخرها **﴿وكنتم أمواتا﴾** قبل أن تخلقوا أي معدومين **﴿فأحياكم﴾** أي خلقكم ونفخ فيكم أرواحكم **﴿ثم يميتكم﴾** عند انقضاء آجالكم **﴿ثم يحييكم﴾** يوم القيامة **﴿ثم إليه ترجعون﴾** أي تحشرون إلى الموقف عند الله سبحانه فيجازيكم بأعمالكم.

٢٩ ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا﴾ كرامة من الله ونعمة لابن آدم وبُليغة ومنفعة إلى أجل. والاستواء: الارتفاع والعلو على الشيء، قال تعالى: (فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك) **﴿فسواهن﴾** عدل خلقهن فلا اعوجاج فيه.

٣٠ ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ الخليفة الخالف لمن كان قبله من الملائكة، قيل: هو آدم، خاطب الله الملائكة بهذا الخطاب لا للمشورة ولكن لاستخراج ما عندهم **﴿أتجعل فيها من يفسد فيها﴾** [بالشرك وفعل المعاصي] قالوا هذه المقالة لعلم قد علموه من الله سبحانه بوجه من الوجوه لأنهم لا يعلمون الغيب **﴿ويسفك الدماء﴾** أي بالقتل والإيذاء **﴿بحمدك﴾** أي حامدين لك **﴿ونقدس﴾** التقديس: التطهير، أي وننزهك عما لا يليق بك مما نسبته إليك الملحدون وافترء الجاحدون.

بهذا المثل أن يُضِلُّ أقواما ويهدي آخرين **﴿وما يضلُّ به إلا الفاسقين﴾** هذا من كلام الله سبحانه [والمعنى: فسقوا فأضلهم الله بفسقهم حيث استخفوا بكلام ربهم]. والفسق في عرف الاستعمال الشرعي: الخروج عن طاعة الله عز وجل، فقد يقع على من خرج بكفر، وعلى من خرج بهيوان.

٢٧ ﴿الذين ينقضون﴾ النقض: إفساد ما أُبْرِمَ، من بناء أو حبل أو عهد، وقوله **﴿ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه﴾** هو ما عهد إليهم في القرآن

٢٦ ﴿إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما﴾ أنزل الله هذه الآية ردا على الكفار لما قالوا: الله أجل وأعلى من أن يضرب الأمثال. قالوا: إنه جاء في القرآن ذكر النحل والعنكبوت والنمل، وهذه الأشياء لا يليق ذكرها بكلام الفصحاء **﴿بعوضة فما فوقها﴾** أي فوقها في الصغر كجناحها. ويمكن أن يراد ما زاد عليها في الكبر **﴿فأما الذين آمنوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾** أي المثل **﴿الحق﴾** الثابت، وهو المقابل للباطل **﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾** أي أراد الله

قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا
ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا
إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَتَّخِذُ
أَنْبِيَئُهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ
إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ
تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا
إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾
وَقُلْنَا يَتَّخِذُ مَقَادِمَ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا
رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ
الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا
فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ

﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ عن قتادة في تفسيرها قال: كان في علم الله أنه سيكون من الخليقة أنبياء ورسل وقوم صالحون وساكنو الجنة.

٣١ ﴿الْأَسْمَاءُ﴾ أسماء المسميات كلها. وقيل: أسماء الملائكة وأسماء ذرية آدم. ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ وسألهم عن أسماء مسمياتها التي قد تعلمها آدم، فقال لهم آدم: هذا اسمه كذا. وهذا اسمه كذا. ومعنى ﴿أَنْبِئُونِي﴾ أخبروني.

٣٢ ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ عجزوا واعترفوا بالقصور.

٣٣ ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [أي ما غاب عن إدراك المخلوقين] ومن جملة ذلك تفضيله لآدم وذريته بالعلم ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ عن ابن مسعود قال: هو قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ يعني: ما أسر إبليس في نفسه من الكبر. والله أعلم.

٣٤ ﴿اسْجُدُوا﴾ السجود: معناه في كلام العرب: التذلل والخضوع. وغايته وضع الوجه على الأرض. قال أبو عمرو: سجد إذا طأطأ رأسه، وفي هذه الآية فضيلة لآدم عليه السلام، حيث أسجد الله له ملائكته. ثم إن السجود لغير الله

حُرِّمَ في شريعة الإسلام ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ كان من الجن، ولكن لزمه السجود لأنه كان بين الملائكة. وعن ابن عباس، قال: كان إبليس اسمه عَزَازِيلَ، وكان من أشرف الملائكة، ثم أَبْلَسَ بعد، فسمي إبليس لأن الله أبلسه من الخير كله، أي آيسه منه ﴿أَبَى﴾ رفض السجود ﴿وَاسْتَكْبَرَ﴾ تعاضم في نفسه ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ أي كان في علم الله تعالى قبل ذلك كافراً.

٣٥ ﴿اسْكُنْ﴾ أي اتخذ الجنة مسكناً ﴿وَزَوْجُكَ﴾ أي زوجتك ﴿رَغَدًا﴾

الرغد: العيش الهنيء الذي لا عناء فيه ﴿وَلَا تَقْرَبَا﴾ النهي عن القرب فيه سد للذريعة وقطع للوسيلة، ولهذا جاء به عوضاً عن الأكل، واختلف في تفسير هذه الشجرة فقيل: هي الكرم، وقيل: السنبلة، وقيل: التين، وقيل: الخنطة ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ لأنفسهم بالمعصية. ٣٦ ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ من الزلة وهي الخطيئة أوقعهما فيها ﴿عَنْهَا﴾ أي أصدر الشيطان زلتها عنها أي بسببها يعني الشجرة. وقيل الضمير للجنة أي أبعدهما عن الجنة الصراح.

﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ من النعيم والكرامة، أو من الجنة، وإنما نسب ذلك إلى الشيطان لأنه الذي تولى إغواء آدم حتى أكل من الشجرة، [بوسوسته وادعائه لها أنها شجرة الخلد وملك لا يبلى. فأمرهما الله بالخروج] ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا﴾ أمر لآدم وحواء - وتتبعهما الذرية - بالخروج من الجنة العالية إلى الأرض ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [أي تعادي ذرية آدم بعضهم بعضاً] والعدو خلاف الصديق، والعدوان الظلم الصراح.

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ هو ما أخذ عليهم في التوراة من اتباع محمد ﷺ، وقيل: هو أداء الفرائض ﴿أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ أي بما ضمننت لكم من الجزاء ﴿وإياي فارهبون﴾ الرهبة: شدة الخوف [يقول: اجعلوا في قلوبكم خوفاً ولا تخافوا أحداً سواي] ﴿وَأَمِنُوا بِمَا أُنزِلَتْ﴾ هو القرآن العظيم ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ [التوراة وأخبار الأنبياء، يوافقها القرآن ويطابق ما عندكم من الحق].

٤١ ﴿أَوَّلُ كَافِرٍ بِهِ﴾ المعنى لا تكونوا أول من كفر [وحققكم أن تكونوا أول المصدقين به] ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي﴾ أي بأوامري ونواهي ﴿نَتَمَنَّا قَلِيلًا﴾ أي عيشاً نزرنا ورئاسة تافهة لا قيمة لها.

٤٢ ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ [ينهاهم الله تعالى أن يخلطوا الحق من دينه بالباطل من عندهم تليساً على الأفهام وإفساداً للأديان] ﴿وَتَكْمُلُوا الْحَقَّ﴾ المراد النهي عن كتم حجج الله التي أوجب عليهم تبليغها وأخذ عليهم بيانها، ومن جعلها البشارات في كتبه يبعث النبي محمد ﷺ ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أذ محمد رسول الله، وتعلمون ما في كتبكم من الإخبار به.

٤٣ ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [يأمر الله تعالى اليهود بالدخول في الإسلام، وإقامة الصلاة، على ما بينه محمد ﷺ وفصله وسأله، وأداء الزكاة وحضور الصلاة مع الجماعة] وقال ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ لأن اليهود لا ركوع في صلاتهم. وفيه الإرشاد إلى شهود جماعة المسلمين، والخروج إلى المسجد. وذهب الجمهور إلى أنه سنة مؤكدة مرغّب فيها وليس بواجب.

٤٤ ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ﴾ بالإيمان بالله ورسوله والوفاء بعهد الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ﴿وَتَنْسُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾

مُسْتَقَرٍّ وَمَتَّعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ ءَكَلِمَتٍ فَنَابَ عَلَيْهِ ؕ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا أَهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنَّيَ فَرَاهُبُونَ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُوا بِمَا أُنزِلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ؕ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنَّيَ فَاتَّقُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ * أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسُونَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ

الكتاب وعمل به ﴿فَلَا خَوْفٌ﴾ الخوف: هو الذُّعْرُ ولا يكون إلا بما في المستقبل ﴿يَحْزَنُونَ﴾ الحزن ضد السرور. ٣٩ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ كفروا بالله ولم يقبلوا هدايته ولا عملوا بكتبه المنزلة ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ صحبة أهل النار لها بمعنى الاقتران والملازمة.

٤٠ ﴿إِسْرَءِيلَ﴾ هو يعقوب بن إسحق ابن إبراهيم عليهم السلام ومعنى (إسرائيل) عبد الله ﴿أَذْكُرُوا﴾ اشكروا نعمتي عليكم بإرسال الرسل وإنزال الكتاب والنجاة من فرعون وغير ذلك.

﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ المراد بالمستقر: موضع الاستقرار ﴿وَمَتَّاعٌ﴾ المتاع: ما يستمتع به من المأكول والمشروب والملبوس ونحوها ﴿إِلَى حِينٍ﴾ إلى الموت، وقيل إلى قيام الساعة.

٣٧ ﴿فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ ءَكَلِمَتٍ﴾ هي قول آدم وحواء (ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لكونن من الخاسرين) ألهمها الله أن يقولها ﴿فَنَابَ عَلَيْهِ﴾ رجع عليه بالرحمة، فقبل توبته.

٣٨ ﴿فَإِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ الهدى: كتاب الله ﴿فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ﴾ أي قبل



أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ
إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلتَقُوا رَبَّهُمْ
وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي
الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَاتَّقُوا
يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ
وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِذْ نَجَّيْنَكُمْ
مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ
وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾
وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ
تَنْظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ أَخَذْنَا
الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِّنْ بَعْدِ
ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ

أي وتتركون أنفسكم فلا تأمرونها به،
ففي ذلك أشد القبح **﴿أفلا تعقلون﴾** أي
إنكم لو لم تكونوا من أهل العلم وحَمَلَةِ
الحُجَّةِ وأهل الدراسة لكتب الله، لكان
مجرد كونكم ممن يعقل حائلاً بينكم وبين
ذلك، زاجراً لكم منه، فكيف أهملتم
ما يقتضيه العقل بعد إهمالكم لما يوجبه
العلم؟

٤٥ ﴿واستعينوا بالصبر﴾ بحبس أنفسكم
عن الشهوات وقصرها على الطاعات
﴿والصلاة﴾ [بالرغبة فيها إلى الله في أن
يعينكم على إلزام أنفسكم الإيمان بمحمد
ﷺ وإن كانت أنفسكم تأبى ذلك]
﴿وانها لكبيرة﴾ [عسرة على من لا يؤمن
بالله تعالى، ومن يستكبر عن طاعته]
﴿إلا على الخاشعين﴾ الذين ذلت
نفوسهم لعظمة الله، وسكنت إلى ذلك.
٤٦ ﴿الذين يظنون﴾ أي يستيقنون
﴿ملاقو ربهم﴾ فيجزهم أجورهم
ويزيدهم من فضله.

٤٧ ﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي﴾
تقدم بيان تلك النعم (آية ٤٠)، أي إذا
تذكرتم تلك النعم فقوموا بحقها، وآمنوا
بمن بعثته رسولا **﴿وإني فضلتكم على
العالمين﴾** قيل: المراد بالعالمين عالمو
زمانهم، وقيل: على جميع العالمين بمن
جعل فيهم من الأنبياء. [وهذا عندما
كانوا مؤمنين بمن بعثهم الله من الرسل]
وليسوا أفضل من أمة محمد ﷺ لقوله
تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس).

٤٨ ﴿واتقوا يوماً﴾ هو يوم القيامة، أي
عذابه **﴿لا تجزي نفس عن نفس شيئاً﴾**
أي لا تقضي عنها حقاً **﴿ولا يقبل منها
شفاعة﴾** إن جاءت بمن يشفع لها عند
الله **﴿ولا يؤخذ منها عدل﴾** أي فدية
من مال أو أهل أو ولد **﴿ولا هم
ينصرون﴾** أي لا يقدر أحد أن يعينهم
فينجيهم من عذاب الله.

٤٩ ﴿وإذ نجيناكم﴾ أي: اذكروا وقت
أن أنجيناكم **﴿من آل فرعون﴾** فرعون،
قيل: هو اسم ذلك الملك بعينه، وقيل إنه
اسم لكل ملك من الذين ملكوا مصر
القديمة **﴿يسومونكم سوء العذاب﴾**
يذيقونكم ويلزمونكم أشد العذاب،
وفسره بقوله **﴿يذبحون أبناءكم
ويستحيون نساءكم﴾** يتركونهن على قيد
الحياة ليستخدموهن ويمتهنوهن. وإنما أمر
بذبح الأبناء واستحياء البنات لأن
الكهنة أخبروا فرعون بأنه يولد من بني
إسرائيل مولود يكون هلاكه على يده
﴿وفي ذلكم﴾ أي المذكور من الشر، وما
آتاهم الله من الخير **﴿بلاء﴾** اختبار **﴿من
ربكم﴾** لدى قيامكم بحق شكره وطاعته
والإيمان برسوله.
٥٠ ﴿وإذ فرقنا بكم البحر﴾ فلقناه
لكم حتى صار يابساً تمشون على أرضه
[والبحر هو بحر القلزم - السويس]
﴿فأنجيناكم﴾ من الفرق **﴿وأغرقنا آل
فرعون﴾** أي هو وأتباعه **﴿وأنتم تنظرون﴾**
نظروا إلى أنفسهم ينجون وإلى آل فرعون
يفرقون.
٥١ ﴿واعدنا﴾ من الله سبحانه وعده ومن

وَالْفُرْقَانِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ
يَقَوْمِ إِنَّمَا ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى
بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ
عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَى
لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ
وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ
وَأَلْسَلَوْنِي كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ
كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذْ قُلْنَا أَدْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ
فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا
حِطَّةٌ نَغْفِرَ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾
فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى

موسى قبول **«أربعين ليلة»** [وعده الله تعالى أن يأتي إلى الطور بعدها ليكلمه ويوحى إليه] **«ثم اتخذتم العجل»** أي جعلتم العجل إلهًا من بعد مضي موسى إلى الطور.

٥٢ «من بعد ذلك» أي من بعد عبادتكم العجل، تفضلنا بالعفو عن ذنبكم العظيم الذي وقعتم فيه.

٥٣ «الكتاب» التوراة **«والفرقان»** قيل هو الحجة والبيان بالآيات التي أعطاه الله موسى من العصا واليد وغيرهما.

٥٤ «يا قوم» خطاب لرجال قومه

ونسائهم من عبدة العجل **«فتوبوا إلى بارئكم»** أي فتوبوا إلى الذي خلقكم وقد عبدتم معه غيره **«فاقتلوا أنفسكم»** عن علي قال: قالوا لموسى: ما توبتنا؟ قال: يقتل بعضكم بعضًا، فأخذوا السكاكين، فجعل الرجل يقتل أخاه وأباه وابنه، لا يبالي من قتل، حتى قُتل منهم سبعون ألفًا، فأوحى الله إلى موسى: مُرَّهُمْ فليرفعوا أيديهم، وقد عُفِرَ لمن قُتِلَ، وتيبَّ على من بقي **«فتاب عليكم»** فقتلتكم أنفسكم فتاب على الباقي منكم.

٥٥ «واذ قلتم» القائلون هذه المقالة هم السبعون الذين اختارهم **«جهرة»** الجهرة: المعاينة **«فاخذتكم الصاعقة»** نار من السماء أصابتهم فأتوا **«وأنتم تنظرون»** ترون ذلك عياناً.

٥٦ «ثم بعثناكم» أحياهم بعد إمامتهم. وإنما عوقبوا بأخذ الصاعقة لهم لأنهم طلبوا ما لم يأذن الله به من رؤيته في الدنيا، أما في الآخرة فقد تواترت الأحاديث الصحيحة بأن العباد يرون ربهم في الآخرة، وهي قطعية الدلالة.

٥٧ «وظللنا عليكم الغمام» السحاب، جعله الله لهم كالمظلة، يقيهم حر الشمس في التيه بين مصر والشام، لما امتنعوا من دخول مدينة الجبارين **«المن»** ظل ينزل من السماء على شجر أو حجر، ويحلو وينعقد عسلاً، ويحف جفاف الصمغ. وعن النبي ﷺ أن الكأء من المن الذي أنزله الله على موسى **«والسلوى»** قيل: هو السُّمَانِي، طائر يذبحونه فيأكلونه. وقيل: السلوى العسل **«وما ظلمونا»** يقول الله تعالى: نحن أعز من أن نُظْلَمَ.

٥٨ «هذه القرية» هي بيت المقدس **«رغداً»** كثيراً واسعاً **«وادخلوا الباب سجداً»** والباب الذي أمروا بدخوله هو باب بيت المقدس، والسجود هنا هو الانحناء، وقيل التواضع والخضوع **«حطة»** أمرهم بأن يقولوا ما يدل على التوبة [والخضوع لله اعترافاً بفضله عليهم في تيسير ذلك الفتح] **«وسنزيد المحسنين»** منكم فضلاً منا إحساناً على إحسانهم المتقدم.

٥٩ «فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم» روى البخاري ومسلم عن النبي ﷺ قال «قيل لبني إسرائيل: ادخلوا الباب سجداً وقولوا: حِطَّة، فبدلوا، فدخلوا يزحفون على أستاههم، وقالوا: حَبَّةٌ فِي شَقَرَةٍ».

الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾
 * وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ
 الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ
 مَّشْرِبَهُمْ كُلاًّ وَاشْرَبُوا مِنْ رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ
 مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْوِسِي لَن نَّصِيرَ عَلَىٰ طَعَامٍ
 وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ
 بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ
 الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا
 سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُ وَبَغَضِبَ
 مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ
 النَّبِيَّاتِ بَغْيًا حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾
 إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّبِيَّانَ مَن

٦٠ ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾ الاستسقاء إنما يكون عند عدم الماء وحبس المطر، طلب لهم السقيا وهم في التيه ﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ فضربه بها ﴿فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ آية من الله حيث أخرج الماء من الصخر، ونعمة عليهم عندما فقدوا الماء. كان حجراً مربعاً يخرج من كل جهة ثلاث عيون، إذا ضرب به موسى سالت العيون، وإذا استغنوا عن الماء جفت ﴿مَشْرِبَهُمْ﴾ المشرب: موضع الشرب. قيل: كان لكل سبط عين من تلك العيون لا يتعداها إلى غيرها، والأسباط: ذرية الاثني عشر من أولاد يعقوب ﴿كُلُّوا﴾ أي قلنا لهم كلوا من السلوى، واشربوا الماء المتفجر من الحجر ﴿وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ أي لا تكثروا فيها فساداً.

٦١ ﴿لَن نَّصِيرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ تضجّر منهم بما صاروا فيه من النعمة والرزق الطيب، والعيش المستلذ، ونزوح إلى ما ألفوه قبل ذلك من خشونة العيش. فقالوا لن نصير على طعام واحد، أي لتكررها في كل يوم، وعدم وجود غيرها معها، ولا تبديلة بها ﴿تُنْبِتُ﴾ تخرج ﴿مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾ البقل: كل نبات ليس له ساق، والشجر: ما له ساق. والمراد به البقول التي يأكلها الناس كالنعناع والكرفس والكراث وأشباهاها. والقشء معروف، والفوم قيل هو الثوم. وقيل الفوم الحنطة. والعدس والبصل معروفان ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ أي أتضعون هذه الأشياء موضع المن والسلوى اللذين هما خير منها من جهة الاستلذاذ، والوصول من عند الله بغير واسطة أحد من خلقه، والجبل الذي لا تطرقه الشبهة، وعدم

الكلفة بالسعي له والتعب في تحصيله ﴿أَهْبِطُوا مِصْرًا﴾ أذن لهم بدخول مصر. وقيل: إن الأمر للتعجيز ﴿فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ﴾ أي تجدون هناك البقل والثوم وماعها، لكن مع الذبح والخوف والمذلة ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ ومنه ضرب الجزية عليهم وتمزقهم في الأرض ﴿وَبَاءُ﴾ المراد رجعوا ﴿بِغَضِبِ اللَّهِ﴾ صاروا أحقأ بغضبه ﴿ذَلِكَ﴾ ماتقدم من الذلة وما بعده إنما كان بسبب كفرهم بالله وقتلهم لأنبيائه كما كان منهم مع شعيب وزكريا ويحيى، فإنهم قتلوهم وهم يعلمون ويعتقدون أنهم ظالمون بقتلهم، [وأرادوا قتل عيسى عليه السلام فرفعه الله ونجاه من مكدهم].

٦٢ ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ المراد بالذين آمنوا الذين صدقوا النبي ﷺ وصاروا من جملة أتباعه ﴿هَادُوا﴾ معناه صاروا يهوداً. وقيل: معنى هادوا: تابوا، لتوبتهم عن عبادة العجل ﴿وَالنَّصَارَى﴾ نسبة إلى الناصرة قرية بفلسطين منها المسيح عليه السلام. وقيل سمووا بذلك لأنهم نصروا المسيح ﴿وَالصَّابِغِينَ﴾ هم قوم خرجوا من دين اليهود والنصارى وعبدوا الملائكة،

عندهم ليعلموه ويعملوا به .

٦٤ ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ المراد هنا إعراضهم عن الميثاق المأخوذ عليهم ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي من بعد رفع الجبل فوق رؤوسهم كأنه ظلة عليهم ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بأن تدارككم بلطفه ورحمته حتى أظهرتم التوبة، أي لخسرتهم .

٦٥ ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ وهم يهود أيلة . كان اليهود مأمورين بالراحة والدعة يوم السبت، والآن يعملوا عملاً . فاحتالوا لصيد الحيتان فيه . وسوف تأتي قصتهم في سورة الأعراف بتفصيل واسع من الآية ١٦٢-١٦٦ ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً﴾ مسخوا قردة مع كونهم مطرودين صاغرين .

٦٦ ﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾ أي القرية التي حصل منها هذا وهي أيلة ﴿نَكَالاً﴾ النكال: الزجر والعقاب ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ أمامها من القرى ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾ من القرى ﴿وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ الذين من بعدهم إلى يوم القيامة .

٦٧ ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ قال لهم هذا بعد أن قُتِلَ فيهم قتيل ولم يعرف قاتله، فاختصموا إلى موسى كما يأتي بعد أربع آيات ﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ الهزو هنا اللعب والسخرية ﴿قَالَ أَعُودُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ أي كيف أنسب إلى الله تعالى أمراً لم يأمر به، وإنما يفعل ذلك أهل الجهل، لأنه نوع من العبث الذي لا يفعله العقلاء .

٦٨ ﴿فَارْضَ﴾ الفارض الميسرة ﴿وَلَا بَكْرَ﴾ البكر الصغيرة التي لم تحمل ﴿عَوَانَ﴾ العوان المتوسطة بين ميسري الفارض والبكر، وهي التي قد ولدت بطناً أو بطنين ﴿فَافْعَلُوا﴾ تجديد للأمر، وزجر لهم عن التعتن .

ءَامِنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَآذِكُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِرِينَ ﴿٦٩﴾ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴿٧٠﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُودُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٧١﴾ قَالُوا آدَعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِصٌ وَلَا يَكَرُّ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٧٢﴾

منهم بقايا بالعراق .

﴿مِنْ آمِنَ﴾ أي من آمن منهم، أي من الطوائف الأربع ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ عن ابن عباس: فأنزل الله بعد هذا (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)

٦٣ ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ هذا من بقية خطاب اليهود، أخذ سبحانه عليهم الميثاق بأن يعملوا بما شرعه لهم في التوراة ويؤمنوا بمن يرسله الله ﴿الطُّورَ﴾ اسم الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام . وقد ذكر كثير من المفسرين أن

موسى لما جاء بني إسرائيل من عند الله بالألواح التي فيها التوراة قال لهم: خذوها والتزموها، فقالوا: لا، إلا أن يكلمنا الله بها كما كلمك . فأمر الله الملائكة فاقتلعت جبلاً من جبال فلسطين طوله فرسخ في مثله، وكذلك كان عسكرهم، فجعل عليهم مثل الظلة، وقيل لهم: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ أي: بجدي واهتمام، وعليكم الميثاق ألا تضيعوها، وإلا سقط عليكم الجبل، فسجدوا توبة لله، وأخذوا التوراة بالميثاق . والمراد بقوله ﴿وَآذِكُوا مَا فِيهِ﴾ أن يكون محفوظاً

قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ
 إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٩﴾
 قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا
 وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ
 لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيبَةَ فِيهَا
 قَالُوا آلَتَنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾
 وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَرَأْتُمُ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ
 تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ
 الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ
 قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً
 وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا
 يَسْقَى فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ

٦٩ ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا﴾ هذه عودة منهم إلى تعنتهم المؤلف. [فلم يقل لهم: لا داعي لهذا السؤال، ولكن ألزمهم شرطاً آخر يتعسر معه تحصيل بقرة تتصف به، معاقبة لهم على ذلك التعنت] ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ﴾ الصفرة اللون المعروف ﴿فَاقِعٌ لَوْنُهَا﴾ الفقوع أشد ما يكون من لصفرة وأنصعه ﴿تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ تُدْخِلُ عليهم السرور إذا نظروا إليها إعجاباً بها واستحساناً للونها.

٧٠ ثم لم ينزعوا عن غوايتهم، بل عادوا إلى تعنتهم، فقالوا ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ أي إن البقرة تشابه علينا أي أن جنس البقرة يشابه عليهم لكثرة ما فيها من العوان الصفراء الفاقعة اللون، أي فلا ندري أي بقرة منها يريد الله ﴿وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ إذا أخبرنا.

٧١ ﴿لَا ذَلُولَ﴾ الذلول التي لم يذلها العمل ﴿تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾ بجرثها ﴿وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾ أي ليست من النواضح، وهي الدواب التي تستخدم في رفع المياه لسقي الزروع ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ سليمة من العيوب ﴿لَا شِيبَةَ فِيهَا﴾ أي إن هذه البقرة خالصة الصفرة ليس في جسمها لمعة من لون آخر ﴿قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ أي قالوا: الْآنَ أَوْضَحْتَ لَنَا الْوَصْفَ، وَبَيَّنْتَ لَنَا الْحَقِيقَةَ الَّتِي يَجِبُ الْوُقُوفُ عِنْدَهَا ﴿فَذَبَحُوهَا﴾ أي فحصلوا تلك البقرة الموصوفة بتلك الصفات، فذبحوها وامتثلوا الأمر الذي كان واسعاً فضيقوه، وكان يسيراً فعمسروه. [وقولهم هذا أيضاً من تعنتهم فإنه قد جاءهم بالحق أول مرة] ﴿وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ أي لعدم وجدان البقرة المتصفة بهذه الأوصاف، وقيل لارتفاع ثمنها، وقيل لخوف انكشاف أمر المقتول. عن أبي هريرة قال: قال رسول

الله ﷺ «لولا أن بني إسرائيل قالوا (وإننا إن شاء الله لمهتدون) ما أعطوا أبداً، ولو أنهم اعترضوا بقرة من البقر فذبحوها لأجزأت عنهم، ولكنهم شددوا فشدد الله عليهم».

٧٢ ﴿ادْرَأْتُمْ﴾ اختلفتم وتنازعتم [كل منهم يدرأ عن نفسه الجريمة ويلصقها بغيره] فيمن هو القاتل ﴿فَخُذِرْ﴾ أي مظهر ما كتمت بينكم من أمر القتل.

٧٣ ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ أي بضربه من أعضاء البقرة التي ذبحوها، فضربوه فأحياء الله ﴿كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى﴾ أي إحياء كمثل هذا الإحياء ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ أي علاماته ودلائله الدالة على كمال قدرته. فأحياء الله وتكلم وقال: قتلني فلان.

٧٤ ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ أي خلت من الإنابة والإذعان لآيات الله مع وجود ما يقتضي خلاف هذه القسوة من إحياء القاتل وتكليمه وتعيينه لقاتله ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي من بعد ما أراهم الله من إحياء البقرة وإحياء القاتل ﴿وَإِنْ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾ ثم عذر الله الحجارة ولم يعذر شقياً بني آدم، أي



وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ * أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا
لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرِفُونَهُ
مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ
ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بِعَضُوبِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا
أُتِّخَذَتْهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ
أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ
وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا
أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ
الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ
ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا
يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً
قُلْ أَتُخَذُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ

حَكَمَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْعَذَابِ، وَذَلِكَ أَنْ
نَاسًا مِنَ الْيَهُودِ أَسْلَمُوا ثُمَّ نَافَقُوا فَكَانُوا
يَحْدِثُونَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْعَرَبِ بِمَا عَذَبَ بِهِ
آبَاؤَهُمْ **﴿لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ﴾** وَالْحَاجَةُ إِبْرَازَ
الْحُجَّةِ، أَيْ لَا تُخْبِرُوهُمْ بِمَا حَكَمَ اللَّهُ بِهِ
عَلَيْكُمْ مِنَ الْعَذَابِ فَيَكُونُ ذَلِكَ حُجَّةً لَهُمْ
عَلَيْكُمْ **﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾** مَا فِيهِ الضَّرَرُ
عَلَيْكُمْ مِنْ هَذَا التَّحَدُّثِ.

**٧٧ ﴿أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ
وَمَا يُعْلِنُونَ﴾** مَا يَسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ مِنْ أَمْرِهِمْ
وَكَلَامِهِمْ إِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا، وَمَا
يَسِرُّونَ إِذَا خَلَا بِعَضُوبِهِمْ إِلَى بَعْضٍ مِنْ
كَفَرِهِمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَتَكْذِيبِهِمْ بِهِ.

٧٨ ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ﴾ أَيْ مِنَ الْيَهُودِ طَائِفَةٌ
لَمْ تَتَعَلَّمِ الْكِتَابَةَ وَلَا تَحْسِنُ الْقِرَاءَةَ
لِلْمَكْتُوبِ **﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا
أَمَانِي﴾** مِنْ كَوْنِهِمْ مَغْفُورًا لَهُمْ بِمَا يَدْعُوهُ
لَأَنْفُسِهِمْ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، أَوْ بِمَا
لَهُمْ مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِ فِي اعْتِقَادِهِمْ
وَقِيلَ: الْأَمَانِي التَّلَاوَةُ. أَيْ لَا عِلْمَ لَهُمْ
إِلَّا بِمَجْرَدِ التَّلَاوَةِ مِنْ دُونِ تَفْهَمِ **﴿وَإِنْ
هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾** يَعْتَمِدُونَ عَلَى الظَّنِّ
الَّذِي لَا يَقِفُونَ مِنْ تَقْلِيدِهِمْ عَلَى غَيْرِهِ.

**٧٩ ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ
وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾** هَلَاكٌ وَدَمَارٌ **﴿لِلَّذِينَ
يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ﴾** بِمَا تَمْلِيهِ عَلَيْهِمْ
أَهْوَاؤُهُمْ **﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾** أَيْ فَهْمُ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ
مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ **﴿ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ
عِنْدِ اللَّهِ﴾** فَهَؤُلَاءِ الْكِتَابَةُ لَمْ يَكْتَفُوا
بِالتَّحْرِيفِ وَلَا بِالْكِتَابَةِ لِذَلِكَ الْمَحْرُفِ
حَتَّى نَادَوْا فِي الْمَحَافِلِ بِأَنَّهُ **﴿مِنْ عِنْدِ
اللَّهِ﴾** لِيَنَالُوا بِهِذِهِ الْمَعَاصِي الْمُتَكَرِّرَةِ هَذَا
الْغَرَضَ النَّزْرَ وَالْمَوْضُوعَ الْحَقِيرَ.

٨٠ ﴿وَقَالُوا﴾ أَيْ الْيَهُودُ **﴿لَنْ تَمَسَّنَا
النَّارُ﴾** عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا
يَقُولُونَ مَدَّةَ الدُّنْيَا سَبْعَةَ آلَافِ سَنَةٍ،
نَعَذِبُ بِكُلِّ أَلْفِ سَنَةٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا يَوْمًا
وَاحِدًا فِي النَّارِ، وَإِنَّمَا هِيَ سَبْعَةُ أَيَّامٍ
مَعْدُودَةٍ، ثُمَّ يَنْقُطُ الْعَذَابُ.

أَشْرَافُهُمْ **﴿مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾** أَيْ مِنْ
بَعْدِ مَا فَهَمُوهُ بِعَقُولِهِمْ، مَعَ كَوْنِهِمْ يَعْلَمُونَ
أَنَّ ذَلِكَ الَّذِي فَعَلُوهُ تَحْرِيفٌ مُخَالَفٌ لِمَا
أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِهِ مِنْ تَبْلِيغِ شَرَاتِعِهِ كَمَا هِيَ،
فَكَيْفَ تَطْمَعُونَ فِي إِسْلَامِهِمْ وَهَذِهِ
حَالُهُمْ.

٧٦ ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يَعْنِي أَنَّ
الْمُتَنَافِقِينَ مِنَ الْيَهُودِ إِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا
**﴿قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِعَضُوبِهِمْ إِلَى
بَعْضٍ﴾** أَيْ إِذَا خَلَا الَّذِينَ لَمْ يَنَافِقُوا
بِالْمُتَنَافِقِينَ قَالُوا لَهُمْ عَاتِبِينَ عَلَيْهِمْ
﴿أَتُخَذُتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ﴾ أَيْ

إِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لِأَلَيْنَ مِنْ قُلُوبِكُمْ عَمَّا
تَدْعُونَ إِلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ.

٧٥ ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ أَيْ
أَتَطْمَعُونَ أَنْ يَصِلَ قَوْلُكُمْ وَأَنْ يَسْتَجِيبُوا
لَكُمْ **﴿كَلَامَ اللَّهِ﴾** أَيْ التَّوْرَةَ **﴿ثُمَّ
يَحْرِفُونَهُ﴾** مِنَ التَّحْرِيفِ زِيَادَةُ الْفَاطِ فِي
التَّوْرَةِ، أَوْ النِّقْصُ مِنْهَا، أَوْ تَبْدِيلُ شَيْءٍ
مِنْهَا بِغَيْرِهِ لِيُؤَافِقَ مَا يَرِيدُونَ، وَمِنْ
التَّحْرِيفِ أَنَّهُمْ عَمِدُوا إِلَى مَا سَمِعُوهُ مِنْ
التَّوْرَةِ فَجَعَلُوا حَلَالَهُ حَرَامًا أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ
بِمَا فِيهِ مُوَافَقَةٌ لِأَهْوَائِهِمْ، كَتَحْرِيفِهِمْ صِفَةَ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَإِسْقَاطِ الْحُدُودِ عَنْ

عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ
بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ
هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ
لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ
وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ
وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٨٤﴾
وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ
أَنفُسَكُمْ مِنْ دِينِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٥﴾ ثُمَّ أَنْتُمْ
هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِنْ دِينِهِمْ
تُظَاهِرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسْرَىٰ
تُفْدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ

٨١ ﴿بلى من كسب سيئة﴾ من شرك وخطيئة من الخطايا الكبائر ولم يتب ﴿وأحاطت به خطيئته﴾ أي من عمل مثل أعمالكم وكفر بمثل ما كفرتم حتى يحيط كفره بماله من حسنة ﴿فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾.

٨٢ ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أي من آمن بما كفرتم به وعمل بما تركتم من دينه فلهم الجنة خالدين فيها.

٨٣ ﴿وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل﴾ الميثاق الذي أخذه الله عليهم هنا هو ما أخذه الله عليهم في حياتهم على السن أنبيائهم ﴿لا تعبدون إلا الله﴾ أخذ العهد عليهم بإفراد الله بالعبادة ﴿وبالوالدين إحساناً﴾ الإحسان إلى الوالدين معاشرتها بالمعروف، والتواضع لهما، وامتثال أمرهما ﴿القربى﴾ هم القرابة، والإحسان بهم صلتهم، والقيام بما يحتاجون إليه بحسب الطاقة ﴿واليتامى﴾ اليتيم في بني آدم من فقد أبوه. وفي سائر الحيوانات من فقدت أمه ﴿والمساكين﴾ المسكين من أسكنته الحاجة وذلكة، وهو أشد فقرا من الفقير عند أكثر أهل اللغة، وكثير من أهل الفقه. وروي عن الشافعي أن الفقير أسوأ حالا من المسكين ﴿وقولوا للناس

حسناً﴾ أي قولوا لهم قولا حسنا. وكل ما صدق عليه أنه قول حسن شرعا كان من جملة ما يصدق عليه هذا الأمر ﴿وآتوا الزكاة﴾ الزكاة التي كانوا يخرجونها. وقال ابن عطية: زكاتهم هي التي كانوا يضعونها فتنزل النار على ما يقبل ولا تنزل على ما لا يقبل ﴿ثم توليتم﴾ عن هذا العهد والميثاق فلم تعملوا به بل تركتم ذلك كله ﴿إلا قليلا﴾ ومنهم عبد الله بن سلام وأصحابه الذين آمنوا بمحمد ﷺ.

٨٤ ﴿لا تسفكون دماءكم﴾ أي لا

والعدوان﴾ أي بلا سبب يحل به ذلك ﴿وان يأتوكم أسارى تفادوهم﴾ أي إن يؤسر أحد منكم وجاءكم يطلب ما يفتدي به نفسه أعطيتموه ذلك إيمانا بما في التوراة.

﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض﴾ فكانوا إذا كان بين الأوس والخزرج من العرب حرب خرجت بنو قينقاع مع الخزرج، والنضير وقريظة مع الأوس، وأعان كل واحد من الفريقين حلفاءه على إخوانه، حتى يسفكوا دماءهم، فإذا وضعت الحرب أوزارها

يقتل بعضكم بعضا، ولا يخرج بعضكم بعضا بطردهم من منازلهم ﴿ثم أقررتم﴾ أي حصل منكم الاعتراف بهذا الميثاق المأخوذ عليكم في حال شهادتكم على أنفسكم بذلك. وكان الله سبحانه قد أخذ في التوراة على بني إسرائيل ألا يقتل بعضهم بعضا ولا ينفية ولا يسترقه.

٨٥ ﴿ثم أنتم هؤلاء﴾ أي أنتم هؤلاء المشاهدون الحاضرون منهم في عهد النبي ﷺ تخالفون ما أخذه الله عليكم في التوراة فتقتلون أنفسكم... إلى آخر الآية ﴿تظاهرون﴾ المظاهرة المعاونة ﴿بالإثم

الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾

به الروح المنفوخ فيه، أيده الله به لما فيه من القوة **﴿بما لا تهوى أنفسكم﴾** أي: بما لا يوافقها ويلائمها **﴿استكبرتم﴾** عن إجابته احتقارا للرسل واستبعادا للرسالة، ومن الفريق المكذبين عيسى ومحمد، ومن الفريق المقتولين يحيى وزكريا.

٨٨ ﴿غُلْفٌ﴾ الغلف: جمع أغلف، وهو الذي عليه غشاوة تمنع من وصول الكلام إليه، ادَّعُوا أَنَّهُمْ لَا يَفْهَمُونَهُ. قالوا ذلك تَيْبِيسًا لِلنَّبِيِّ ﷺ من إيمانهم لئلا يعاودهم بالدعوة **﴿بل لعنهم الله بكفرهم﴾** أصل اللعن: الطرد والإبعاد، والمعنى أبعدهم الله من رحمته [بسبب عدم مسارعته إلى الإيمان. أي وهذا في حقيقة الأمر هو سبب كفرهم لا ما زعموا من عدم قدرتهم على الفهم] **﴿فقليلًا ما يؤمنون﴾** وصف إيمانهم بالقلة لأنهم الذين قصَّ الله علينا من عنادهم وعجرفتهم وشدة لجاحهم وبعدهم عن إجابة الرسل ما قصَّه. ومن جملة ذلك أنهم يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعضه.

٨٩ ﴿ولمَّا جاءهم﴾ يعني اليهود **﴿كتاب﴾** يعني القرآن **﴿مصدق﴾** وتصديقه لما معهم من التوراة والإنجيل أنه يخبرهم بما فيها، ويصدقه ولا يخالفه **﴿يستفتحون﴾** أي كانوا من قبل يطلبون من الله النصر على أعدائهم بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي يجدون صفته عندهم في التوراة **﴿فلما جاءهم ما عرفوا﴾** الرسول الذي يعرفون وصفه **﴿كفروا به﴾** أخرج ابن إسحاق وغيره عن أشياخ من الأنصار، قالوا: لم يكن أحد من العرب أعلم بشأن رسول الله ﷺ منا، لأنَّ معنا يهود، وكانوا أهل كتاب وكنا أصحاب أوثان، وكانوا إذا بلغهم منا ما يكرهون قالوا: إن نبيا ليُبْعَث الآن قد أظَلَّ زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم. فلما بُعِثَ رسول الله ﷺ اتبعناه وكفروا به.

افتدوا أسراهم تصديقا لما في التوراة، أي: أتفادونهم مؤمنين بذلك، وتخرجونهم كفرا بذلك **﴿فما جزاء من يفعل ذلك منكم﴾** [عذاب يخزيه الله به] **﴿ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب﴾** [جزاء تلاعبه بآيات الله].

٨٦ ﴿اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة﴾ استحبوا قليل الدنيا على كثير الآخرة.

٨٧ ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسول﴾ الكتاب: التوراة، والمراد أن الله سبحانه أرسل على أثر

موسى رسلا جعلهم تابعين له، وهم أنبياء بني إسرائيل المبعوثون من بعده **﴿البيّنات﴾** الأدلة التي ذكرها الله في آل عمران والمائدة، وهي الآيات التي أجزاها الله على يديه، من إحياء الموتى، وخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله، وإبراء الأكمه والأبرص، وإخبار الناس بكثير من الغيوب، وإتيانهم بالمائدة من السماء، وإنزال الإنجيل عليه. والتأييد التقوية **﴿روح القدس﴾** أي: الروح المقدسة، قيل: هو جبريل أيد الله به عيسى. وقيل: المراد

بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا
أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ فَبَاءَ وَ
بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٩٠﴾
وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ
عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ ۚ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ
قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾
* وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ
وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ
الطُّورَ خُذُوا مَاءَ آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمِعُوا ۖ قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا
وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ
إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ
الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ

٩٠ ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ أي أنهم
أوبقوا أنفسهم في نار جهنم ولم يستعوضوا
عنها إلا الكفر بما أنزل الله فبئست
الصفقة ﴿بَغْيًا﴾ أي حسدا ومنافسة ﴿أَنْ
يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ
عِبَادِهِ﴾ [حسدوا العرب أن يكون منهم
خاتم النبيين ﷺ، وكان عليهم أن يعلموا
أن الاختصاص بالنبوة فضل من الله
يؤتيه من يشاء، وليست لبني إسرائيل
حُكْرًا عليهم] ﴿فَبَاءَ وَ﴾ أي رجعوا
وصاروا أحقاء ﴿بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ﴾
قيل: لكفرهم بعيسى ثم كفرهم بمحمد.
وقيل: لكفرهم بمحمد ثم البغي عليه.

٩١ ﴿بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ أي صدقوا بالقرآن
أو صدقوا بما أنزل الله من الكتب ﴿قَالُوا
نُوْمِنُ﴾ أي نصدق ﴿بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا﴾ أي
التوراة ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾ أي قالوا
أنهم يكفرون بما سواه ﴿وَهُوَ الْحَقُّ
مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [أي ما معنى التفريق
في التصديق بين شيئين متساويين في
كونها حقا ويصدق كل منهما الآخر؟]
﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ﴾ أي إن كنتم صادقين
في دعواكم أنكم تؤمنون بما أنزل عليكم
فكيف تقتلون الأنبياء؟ وقد نهيتهم عن
قتلهم فيما أنزل عليكم. وهذا الخطاب
وإن كان مع الحاضرين من اليهود زمن
النبي ﷺ فالمراد به أسلافهم، ولكن لما
كانوا راضين بما فعله أسلافهم كانوا
مثلهم ونسب الفعل إليهم لكونهم ساروا
على طريق أسلافهم في تكذيب الأنبياء
ومعاداتهم.

٩٢ ﴿الْبَيِّنَاتِ﴾ يجوز أن يراد بها التوراة،
أو الآيات التسع المشار إليها بقوله تعالى
(ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) ﴿ثُمَّ
اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ عبدتموه واتخذتموه إلهًا.

٩٣ ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ تقدمت
قصة رفع الطور — الآية ٦٣ ﴿خُذُوا مَا
آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ أي بجِدِّ واهتمام

﴿وَاسْمِعُوا﴾ السماع معناه: الطاعة
والقبول لما يسمعون من الأمر. وقولهم في
الجواب ﴿سَمِعْنَا﴾ أي سمعنا قولك بحاسة
السمع ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمرك، أي لا نقبل ما
تأمرنا به ﴿وَأَشْرَبُوا﴾ جعلت قلوبهم لتمكن
حب العجل منها كأنها تشربه، لأن
شرب الماء يتغلغل في الأعضاء حتى يصل
إلى باطنها ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ أي كان ذلك
بسبب كفرهم عقوبة لهم وخذلانا ﴿قُلْ
بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيْمَانُكُمْ﴾ أي إيمانكم
الذي زعمتم أنكم تؤمنون بما أنزل عليكم
وتكفرون بما وراءه، فإن هذا الصنع وهو
قولكم — سمعنا وعصينا — يدل على
أنكم كاذبون في قولكم: (نؤمن بما أنزل
علينا).
٩٤ ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ
الْآخِرَةُ﴾ لما ادعوا أنهم يدخلون الجنة
﴿خَالِصَةً﴾ لا يشاركون فيها غيرهم
﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ﴾ أمرهم بتمني الموت لأن
من كان موقناً أنه من أهل الجنة كان
الموت أحب إليه من الحياة. وأخرج
البخاري وغيره من حديث ابن عباس
مرفوعاً: «لو أن اليهود تمَّنُوا الموت لما توا
ولرأوا مقاعدهم من النار.»



كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ
وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ
عَلَى حَيَاتِهِ وَمِنْ الَّذِينَ أُشْرِكُوا يُوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ
سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحِّزٍ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ
بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ
عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى
لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ
وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا
إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿٩٩﴾
أَوْ كَلَّمَآ عَاهِدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ
لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ

٩٥ ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ

أَيْدِيَهُمْ﴾ أي بسبب ما فعلوه من الذنوب التي يكون فاعلها غير آمن من العذاب بل غير طامع في دخول الجنة، فضلاً عن كونها خالصة له مختصة به ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ تسجيل عليهم بأنهم كذلك.

٩٦ ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى

أَحْقَرِ ﴿حَيَاةٍ﴾ أقل لبث في الدنيا، فكيف بحياة كثيرة ولبث متناول؟ ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أُشْرِكُوا﴾ أي أحرص الناس وأحرص من الذين أشركوا الذين لا يؤمنون بالبعث والدار الآخرة، فهم من

أحرص الناس على الدنيا، وإنما بلغ اليهود في الحرص إلى هذا الحد، لأنهم يعلمون بما يحل بهم من العذاب في الآخرة ﴿يُوَدُّ أَحَدُهُمْ﴾ أي يتمنى الواحد من اليهود ﴿لَوْ يُعَمَّرُ﴾ أي يعيش ﴿أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحِّزٍ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ﴾ أي وما التعمير بمزحزحه.

٩٧ ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾

نزلت في اليهود جواباً إذ زعموا أن جبريل عدو لهم، وأن ميكائيل ولي لهم. وكان سبب قيلهم ذلك من أجل مناظرة جرت بينهم وبين رسول الله ﷺ من أمر نبوته قالوا له: لو كان وليك سوى جبريل من

الملائكة لاتبعناك وصدقناك. قال فما يمنعكم أن تصدقوه. قالوا: هذا عدونا. ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ﴾ أي فإن جبريل نزل القرآن على قلب محمد ﷺ وفي هذا دليل على شرف جبريل وارتفاع منزلته وأنه لا وجه لمعاداة اليهود له، فإنه لم يصدر منه إلا ما يوجب المحبة دون العداوة، وليس ذلك بذنب له لأن هذا الكتاب الذي نزل به هو كتاب الله تعالى، وهو أيضاً مصدق لكتابهم وهدى وبشرى للمؤمنين.

٩٨ ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ

وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ خص جبريل وميكائيل بالذكر لقصد التشريف لهما، وأنها وإن كانا من الملائكة فقد صارا باعتبار ما لهما من المزية بمنزلة جنس آخر أشرف من جنس الملائكة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ لأن من عادى أولياء الله وجنود الله فقد عادى الله تعالى وكفر به، فالله تعالى يعاديه ويؤاخذه. وهذه العداوة موجبة لكفر من وقعت منه.

٩٩ ﴿آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ علامات واضحة

دالة على نبوتك ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ [أي إنها لشدة وضوحها لا يكفر بها إلا من خرج عن أمر الله واتبع هواه، لا من يطلب الحق لاتباعه].

١٠٠ ﴿نَبَذَهُ﴾ أي طرحه وألقاه ونقضه ﴿فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ طائفة.

١٠١ ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ﴾ هو محمد ﷺ

﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ هم اليهود آتاهم الله الكتاب وأكرمهم به لكنهم نبذوا ﴿كِتَابَ اللَّهِ﴾ أي التوراة لأنهم لما كفروا بالنبي ﷺ وبما أنزل عليه بعد أن أخذ الله عليهم في التوراة الإيمان به وتصديقه واتباعه، وبين لهم صفته، كان ذلك منهم نبذاً للتوراة ونقضاً لها ورفضاً لما فيها ﴿كَانَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ عملوا عمل من لا يعلم.

وَرَأَى ظُهُورَهُمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكٍ سُلَيْمَانٍ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَآتَقَوْا لِمُتُوبَةٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ مَا يَوْذُو الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ

١٠٢ ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾ من السحر ونحوه. ومعنى ﴿تَتْلُوا﴾ تتقوله وتقرؤه ﴿عَلَى مُلْكٍ سُلَيْمَانٍ﴾ أي على عهد ملك سليمان، وقد كانوا يظنون أن هذا هو علم سليمان، وأنه يستجيزه ويقول به، فرد الله ذلك عليهم وقال ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ [وفي هذا تبرئة لسليمان عليه السلام مما اتهم به اليهود أنه سجد للبعليم أي للأصنام] ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ أي بتعليمهم الناس السحر ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ أي ويعلمون الناس ما أنزل على الملكين هاروت وماروت الموجودين في بابل، بالعراق وكانا في الأصل على ما روي عن بعض السلف، من الملائكة [طلبنا أن يهبطا إلى الأرض، فأهبطا إليها، ورُكبت فيها الشهوة، فوقعت منها الخطيئة، فجعلنا في جُبِّ بابل فتنة للناس يعلمونهم السحر] ﴿وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَقَّ يَقُولَا﴾ تعليم إنذار من السحر لا تعليم دعاء إليه، فيقولان لهم لا تفعلوا كذا ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ ابتلاء واختبار من الله لعباده ﴿فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ﴾ منها السحر، أي يعلمون الناس، فيتعلمون منها ﴿وَمَا يَفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ فللسحر تأثير في القلوب بالحب والبغض، والجمع والفرقة، والقرب والبعد ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ فللسحر تأثير في نفسه، ولكنه لا يؤثر ضرراً إلا فيمن أذن الله بتأثيره فيه. وقد أجمع أهل العلم على أن له تأثيراً في نفسه وحقيقة ثابتة، لم يخالف في ذلك إلا المعتزلة وأبو حنيفة ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ فيه تصريح بأن السحر لا يعود على صاحبه بفائدة، ولا يجلب إليه منفعة، بل هو ضرر محض وخسران بحسب ﴿لَمَنِ اشْتَرَاهُ﴾ أي من استبدل ما تتلو الشياطين بكتاب الله

«راعنا» طلباً منه أن يراعيهم، أي: يتلطف بهم في التعليم، اغتنموا الفرصة، فكانوا يقولون للنبي ﷺ كذلك مظهرين أنهم يريدون المعنى العربي، مبطين أنهم يقصدون السب الذي هو معنى هذا اللفظ في لغتهم، فهى الله المؤمنين أن يقولوها ليقطع الطريق على اليهود، وأبدلهم لفظاً آخر هو ﴿وَقُولُوا انْظُرْنَا﴾ أي أقبل علينا، وانظر إلينا ﴿وَاسْمَعُوا﴾ أطيعوا الله واسمعوا ما يخاطبكم به الرسول من الشرع بدون طلب للمراعاة، ثم توعدهم اليهود بقوله ﴿وَاللَّكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿مَنْ خَلَقَ﴾ والخلاق: النصيب ﴿وَمَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ أي باعوها. وإنما قال ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ لأنهم تركوا العمل بعلمهم. ١٠٣ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا﴾ أي بالنبي ﷺ وما جاء به من القرآن ﴿وَآتَقَوْا﴾ أي تجنبوا ما وقعوا فيه من السحر والكفر ﴿لِمُتُوبَةٍ﴾ أي لأثبوا أجراً خيراً مما ينالونه من حطام الدنيا بالسحر. ١٠٤ ﴿وَإِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ أي راقنا. وهذا اللفظ كان بلسان اليهود من ألفاظ السب، فلما سمعوا المسلمين يقولون للنبي ﷺ



أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ * مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تَرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ

إنكاره [ليتوصلوا بذلك إلى انكار نبوة محمد ﷺ قالوا: لأنه نسخ بعض ما في التوراة فلا يكون نبياً] وهم عجوجون بما في التوراة نفسها أن آدم كان يزوج الأخ من اخته وقد حرم الله ذلك على موسى عليه السلام وقومه **﴿أَوْ نُنسِهَا﴾** أي: ننسيكم إياها حتى لا تقرأ ولا تذكر **﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾** نأت بما هو أنفع للناس منها في العاجل والآجل، أو بما هو مماثل لها من غير زيادة، فقد يكون الناسخ أخف فيكون أنفع لهم في العاجل، وقد يكون أثقل وثوابه أكثر فيكون أنفع لهم في الآجل **﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** فالنسخ من مقدوراته سبحانه وتعالى.

١٠٧ ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ التصرف فيها بالإيجاد والاختراع ونفوذ الأمر فهو أعلم بمصالح عباده، وقد يختلف ذلك باختلاف الأزمنة.

١٠٨ ﴿أَمْ تَرِيدُونَ﴾ أي: بل أنريدون أن تسألوا محمداً ﷺ سؤالاً مثل ما سئل موسى من قبل؟ حيث سأله أن يريهم الله جهرة، وسألوا محمداً ﷺ أن يأتي بالله والملائكة قبيلاً **﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾** أي: ذهب عن قصد الطريق وسَمَّيْتِهِ، أي: طريق طاعة الله.

١٠٩ ﴿مَنْ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ عرفوا أن محمداً رسول الله **﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا﴾** العفو: ترك المؤاخذه بالذنب، والصفح: إزالة أثر الذنب من النفس **﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾** أي: إلى أن يأتي إليكم الأمر من الله سبحانه في شأنهم، وهو قتل من قُتِلَ منهم، وإجلاء من أُجْلِيَ، وضرب الجزية على من ضربت عليه، وإسلام من أسلم.

١١٠ ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾ يعني من أعمال الخير في الدنيا **﴿تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾** تجدوا ثوابه.

يحول الله الحلال حراماً، والحرام حلالاً، والمباح محظوراً، والمحظور مباحاً، ولا يكون ذلك إلا في الحظر والإطلاق، والمنع والإباحة، فأما الأخبار فلا يكون فيها ناسخ ولا منسخ. وأصل النسخ من نسخ الكتاب، وهو نقله من نسخة إلى أخرى، فكذلك معنى نسخ الحكم إلى غيره إنما هو تحويله إلى غيره. وسواء نُسخَ حكم الآية، أو خطها. وقد اتفق علماء الإسلام سلفاً وخلفاً على ثبوت النسخ في كتاب الله تعالى ولم يخالف في ذلك أحد إلا من لا يُعْتَدُّ بخلافه. وقد اشتهر عن اليهود

١٠٥ ﴿مَا يَدْعُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ لشدة عداوتهم **﴿أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾** أي خير كان، من وحي أو غيره **﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ﴾** الرحمة: النبوة، وقيل: جنس الرحمة **﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾** أي صاحب الفضل العظيم، فكيف لا يودون أن يختص برحمته من يشاء من عباده؟

١٠٦ ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾ النسخ الإبطال والإزالة، وكل شيء خلف شيئاً فقد انتسخه، يقال نسخت الشمس الظل، ونسخ الشيب الشباب وذلك أن

١١١ ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ قالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان يهودياً، وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانياً، كل طائفة تضلل الأخرى ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ أنه لا يدخل الجنة غيرهم [أي مجرد أمانتي يتمنونها دون أن يكون عليها دليل في كتب الله المنزلة]. ﴿هَاتُوا﴾ أحضروا، والبرهان: الدليل الذي يحصل عنده اليقين ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي: في تلك الأمانتي المجردة والدعاوي الباطلة.

١١٢ ﴿بَلَى﴾ يعني بل يدخلها ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ [أي: أسلم له ذاته، وأخلص له عمله من جميع البشر] ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ يعمل صالح الأعمال، [وهي المطابقة لما شرعه على السنة رسله] عن ابن عباس قال: لما قدم وفد نجران من النصارى على رسول الله ﷺ أتتهم أحبار اليهود، فتنازعوا عند رسول الله ﷺ فقال رافع بن حريملة: ما أنتم على شيء، وكفر بعيسى والإنجيل. فقال له رجل من أهل نجران: ما أنتم على شيء، وجحد نبوة موسى، وكفر بالتوراة.

١١٣ ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾ كل طائفة تنفي الخير عن الأخرى وتثبت لنفسها، وتنكر ما مع الطائفة الأخرى من الحق. [وليس هذا فعل من يُرزق الإنصاف، فإن المنصف يعرف ما مع خصمه من الحق وينكر ما معه من الباطل، ولا يحمله البغض على إنكار الحق]. ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ أي كل يتلو في كتابه تصديق من كفر به ﴿الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أمم كانت قبل اليهود والنصارى لم يكن لهم بكتب الله تعالى علم.

١١٤ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ أي لا أحد أظلم

عند الله إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١١﴾ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١٢﴾ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٣﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٤﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَمِنْ وَجْهِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ

﴿هُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ أي هؤلاء الذين يخربون مساجد الله ويمنعون ذكر الله فيها، لهم الإذلال من الله تعالى بأيدي المؤمنين المجاهدين في سبيله ﴿وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في نار جهنم.

١١٥ ﴿الْمَشْرِقُ﴾ موضع شروق الشمس ﴿وَالْمَغْرِبُ﴾ موضع الغروب، أي هما ملك لله وما بينهما ﴿فَأَيْنَمَا تُولَّوْا﴾ أي أي جهة تستقبلونها فهناك وجه الله، وذلك يكون عند التباس جهة القبلة، وفي صلاة النافلة كان النبي ﷺ يصلي على راحلته مستقبلاً بوجهه الجهة التي تسير إليها.

﴿مَنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ منع من يأتي إليها للصلاة والتلاوة والذكر وتعليم القرآن ﴿وسعى في خرابها﴾ هو السعي في هدمها وإزالة بنيانها، أو في تعطيلها عن الطاعات كتعلم العلم، والقعود للاعتكاف ﴿مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾ [أي كان عليهم أن يدخلوها خائفين من الله رهم، فإنها بيوت عبادته] وفيه إرشاد من الله عز وجل للعباد أنه ينبغي لهم أن يمنعوا مساجد الله من أهل الكفر [وفيه الإذن لنا بتمكينهم من ذلك حال خوفهم]

وَسِعُ عِلْمٍ ﴿١١٥﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهٍ قَانِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَّهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ أَهْدَىٰ لِمَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ أَهْوَاءِهِمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ

يُخْبِرُنَا بنبوة محمد فنعلم أنه نبي ﴿أَوْ تَأْتِينَا آيَةً﴾ بذلك علامة على نبوته ﴿قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ اليهود والنصارى ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ في اتفاقهم على الكفر [وطلب ما لا ينبغي لهم واقتراح الآيات على الله] ﴿يُوقِنُونَ﴾ أي يعترفون بالحق ويدعون لا وأمر الله لكونهم مصدقين له سبحانه.

١١٩ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ [يؤكد الله تعالى لنبيه ﷺ أنه مرسل منه، ردا لما طلبه الكفرة من تكليم الله لهم بنبوته] ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ أي أرسلناك لأجل التبشير والإنذار ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ [أي عليك البلاغ ولست مسئولاً عما لم يؤمن منهم ممن سيكون مصيره إلى النار لا محالة].

١٢٠ ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ﴾ لو جثتهم بكل ما يقترحون لم يرضوا عنك إذ ليس مطلوبهم في الحقيقة ما يقترحونه عليك من الآيات وما يوردون عليك من التعنتات، بل ما يريدونه في الحقيقة هو صرفك عن دينك إلى دينهم، واتباع أهوائهم. وكذلك كل صاحب بدعة وهوى لا يرضيه من أهل الحق إلا أن يتابعوه على هواه ﴿إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ أَهْدَىٰ﴾ الحقيقي، لا ما هم عليه من الشريعة المنسوخة والكتب المحرفة ﴿وَلَنْ تَتَّبِعَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [ما في كتبهم من التحريف، وما ابتدعوه في دينهم من الأحكام والآراء] وعيد شديد وجه لرسول الله ﷺ إن اتبع أهواءهم وحاول رضاهم، وهو تعريض لأمره وتحذير أن يدخلوا في أهوية أهل الملل، ويطلبوا رضى أهل البدع، ومن كان كذلك فهو مخذول.

١٢١ ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ قيل هم المسلمون، وقيل: من أسلم من أهل الكتاب ﴿يَتْلُونَهُ﴾ يتبعونه ويعملون بما

شتمه إياي فقله لي ولد، فسبحاني أن اتخذ صاحبة أو ولدا. ﴿قَاتِنُونَ﴾ أي: قائمون بالعبودية خاضعون له، فكيف يكونون ولدا له؟

١١٧ ﴿بَدِيعُ سَمَوَاتِهِ وَأَرْضِهِ﴾ أي: هو الذي ابتداء خلقها على غير مثال سابق ﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾ أراد أن يخلق شيئا أو يدبر تدبيرا ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ أي لكمال قدرته يفعل ما يريد بقول كن.

١١٨ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ مشركو العرب ﴿لَوْلَا﴾ أي هلا ﴿يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾

١١٦ ﴿وَقَالُوا﴾ هم اليهود، قالوا: عزيز ابن الله. والنصارى قالوا: المسيح ابن الله. وكفار العرب قالوا: الملائكة بنات الله. ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تبرا الله تعالى عما نسبوه إليه من اتخاذ الولد ﴿بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ومنهم عزيز وعيسى، والملائكة، كلهم عبد لله خاضع له لا يستنكف عن عبادته. فكيف يكونون أولاداً لله؟ عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: قال الله تعالى: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَشَتَمَنِي، أَمَا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَيَزْعَمُ أَنِّي لَا أَقْدِرُ أَنْ أُعِيدَهُ كَمَا كَانَ، وَأَمَّا

فيه، فيحللون حلاله، ويحرمون حرامه
و يقرؤونه حق قراءته، ولا يحرفونه ولا
يبدلونه.

١٢٢، ١٢٣ **«يا بني إسرائيل»** إلى
قوله **«ولا هم ينصرون»** تقدم تفسيره في
الآيتين ٤٧، ٤٨ وقال البقاعي: أعاد ما
صدر به قصتهم من التذكير بالنعمة،
والتحذير من حلول النقم، ليُعلم أن ذلك
فذلكة القصة.

١٢٤ **«وإذ ابستل إبراهيم ربه»**
الابتلاء: الامتحان والاختبار **«بكلمات»**
هي قوله (إني جاعلك للناس إماماً)
«فأتّمهن» [طلب الزيادة على مضمونهن
بقوله: ومن ذريتي] وقيل معناه: قام بحق
الإمامة أتم قيام **«ومن ذريتي قال لا
ينال عهدي الظالمين»** أي: واجعل من
ذريتي أئمة، فأخبره أن فيهم عصاة
وظلمة، وأنهم لا يصلحون للإمامة، ولا
يقومون بحقها، ولا ينالهم عهد الله
سبحانه، لأن الإمام لا بد أن يكون من
أهل العدل والعمل بالشرع كما ورد،
ولأنه إذا زاغ عن ذلك كان ظالماً، وهو
في معنى الأمر لعباده ألا يولوا أمور الشرع
ظالماً لأن الإمام إنما كان إماماً لكونه
يقتدي بقوله وبفعله في أمور الدين فإن
كان ظالماً أو فاسقاً أضلّ الذين اقتدوا
به، وحاد بهم عن الصراط المستقيم.

١٢٥ **«وإذ جعلنا البيت»** هو الكعبة
«مناجاة» يرجع الحجاج إليه بعد تفرقهم
عنه **«وأمناً»** أي موضع أمن لا يجوز أن
يخاف فيه أحد، ولا يقام الحد على من
لجأ إليه، ومن دخله كان آمناً **«وأتخذوا
من مقام إبراهيم مصلى»** عن عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه قال: قال
النبي ﷺ: هذا مقام إبراهيم. فقلت: يا
رسول الله أفلا تتخذ مصلى، فنزلت هذه
الآية. والمقام: الحجر الذي يعرفه الناس
ويصلون عنده ركعتي الطواف، كان

مُ الْخَسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي
أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَاتَّقُوا
يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ
وَلَا تَنْفَعُهَا شَفْعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ * وَإِذِ ابْتَلَى
إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ
إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾
وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ
إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا
بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾
وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ
أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ

إبراهيم يقوم عليه لبناء الكعبة لما ارتفع
الجدار، أتاه إسماعيل به ليقوم فوقه.
وكان ملصقاً بجدار الكعبة، وأول من
نقله عمر بن الخطاب رضي الله عنه **«أن
طهرا بيتي»** من الأوثان، والكفار،
والنجاسات، وطواف الجنب، والحائض،
وكل خبيث **«للطائفين»** الطائف: الذي
يطوف به **«والعاكفين»** العاكف [الملازم
للمسجد للعبادة] وقيل: هو المجاور دون
المقيم من أهل مكة **«والركع السجود»**
هم المصلون.

١٢٦ **«هذا بلد آمناً»** أي مكة
**«وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم
بالله»** دون من كفر، فقال الله تعالى له
«ومن كفر» أي: أنا أرزق المؤمنين من
أهل هذا البيت، وعداً مني، وأرزق أيضاً
من كان كافراً. [فليس الرزق مثل
الإمامة، فالإمامة لا تكون إلا للمؤمنين
أما الرزق فللمؤمنين والكفار] أما الكافر
«فأمتعه» بالرزق قليلاً في هذه الدنيا،
«ثم أضطره إلى عذاب النار» في
الآخرة فالزُمة عذاب النار حتى يصير
مضطراً لذلك لا يجد عنه مخلصاً.

١٢٧ **«وإذ برقع إبراهيم القواعد من**



عرفات، قال: وقد عرفت ما أريتك، قالها ثلاثا، قال، نعم. قال: فأذن بالحج. قال: كيف أؤذن؟ قال: قل: يا أيها الناس أجيئوا ربكم. فأجاب العباد: لبيك اللهم لبيك. فن أجاب إبراهيم يومئذ فهو حاج.

١٢٩ **«وَابْعَثْ فِيهِمْ»** في العرب ذرية إبراهيم وإسماعيل، وقد أجاب الله لإبراهيم عليه السلام هذه الدعوة، فبعث في ذريته **«رَسُولًا مِنْهُمْ»** وهو محمد ﷺ **«يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ»** دعا أن ينزل على النبي ﷺ قرآن يتلى **«الْحِكْمَةَ»** المعرفة بالدين، والفقه في أحكامه، والفهم للشرعية **«وَيُزَكِّيهِمْ»** أي: يطهرهم من الشرك وسائر المعاصي **«الْعَزِيزُ»** الغالب.

١٣٠ **«إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ»** أي: وما يرغب عن ملة إبراهيم أحد إلا من جهل أمر نفسه فلم يفكر فيها، فأهلك نفسه **«اصْطَفَيْنَاهُ»** أي: اخترناه وقت أمرنا له بالاسلام.

١٣١ **«أَسْلِمَ»** أي: تمسك بالاسلام ديناً.

١٣٢ **«وَوَصَّى بِهَا»** أي: بوصية الله له بالتمسك بملة الإسلام أو الكلمة، أي: وصاهم بقول كلمة: أسلمت لرب العالمين **«ويعقوب»** أي: وأوصى يعقوب بنيه، كما أوصى إبراهيم بنيه قائلا **«يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ»** أي: اختاره لكم، وهي الملة التي جاء بها محمد ﷺ **«فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ»** أي: الزموا الإسلام، ولا تفارقوه، حتى إذا جاءكم الموت جاء وأنتم على الإسلام.

١٣٣ **«أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ»** الخطاب لليهود والنصارى الذين يتسبون إلى إبراهيم وإلى بنيه أنهم على اليهودية أو النصرانية، فرد الله عليهم وقال لهم: أشهدتم يعقوب، وعلمتم

النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمِ ۖ قَالَ أَسَلَّمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنِي ۖ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ

الحج، ومواضع الذبح. عن مجاهد قال: قال إبراهيم: رَبُّ أَرْنَا مَنَاسِكَنَا. فأتاه جبريل، فأتى به البيت، فقال: ارفع القواعد، فَرَفَعَ الْقَوَاعِدَ وَأَتَمَّ الْبِنْيَانَ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِهِ فَانْطَلَقَ بِهِ نَحْوَ مَنَى، فَلَمَّا كَانَ عِنْدَ جَمْرَةِ الْعَقَبَةِ فَإِذَا إِبْلِيسُ قَائِمٌ عِنْدَ الشَّجَرَةِ، فَقَالَ: كَبِّرْ وَارْمِ، فَكَبَّرَ وَرَمَاهُ، فَذَهَبَ إِبْلِيسُ حَتَّى أَتَى الْجَمْرَةَ الْوَسْطَى، فَفَعَلَ بِهِ إِبْرَاهِيمُ كَمَا فَعَلَ فِي الْأَوَّلَى، ثُمَّ كَذَلِكَ فِي الْجَمْرَةِ الثَّالِثَةِ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِهِ جَبْرِيلُ حَتَّى أَتَى بِهِ الْمَشْعَرَ الْحَرَامَ، فَقَالَ هَذَا الْمَشْعَرُ الْحَرَامُ. ثُمَّ ذَهَبَ حَتَّى أَتَى بِهِ

الْبَيْتِ أي يرفع بنيانه على أساسات ثابتة **«رَبَّنَا»** أي: قائلين ربنا **«تَقَبَّلْ مِنَّا»** هذا العمل الطيب **«إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ»** تسمع دعاءنا وتعلم نيتنا.

١٢٨ **«وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ»** ثابتين على الإسلام أو زدنا منه، والمزاد بالإسلام الإيمان والأعمال الصالحة **«وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ..»** هي أمة محمد ﷺ، قيل: من العرب خاصة فهم ذرية إبراهيم وإسماعيل **«وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا»** مناسك

أَلَمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ
إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُهَا
وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ
لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ
مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾
قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ
وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ
مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنَ بِهِ
فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ
اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ

بما أوصى به بنيه فتدعون ذلك عن علم، أم لم تشهدوا بل أنتم مفترون؟ **﴿من بعدي﴾** أي من بعد موتي **﴿آبائك﴾** إسماعيل كان عما يعقوب إلا أن العرب تسمي العم أبا **﴿ونحن له مسلمون﴾** [أخذ على بنيه الميثاق عند موته أن يعبدوا الله ولا يعبدوا شيئاً سواه، فأقرؤا بذلك وشهد عليهم بإقرارهم أنهم مسلمون].

١٣٤ والإشارة بقوله **﴿تلك﴾** إلى إبراهيم وبنيه، ويعقوب وبنيه **﴿قد خلت﴾** مضت **﴿لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون﴾** [تحذير لليهود إذ رفضوا اتباع النبي ﷺ متكلين على أنهم ينتسبون إلى سلف صالح ومفترين بذلك]. فلكل من الفريقين كسبه، لا ينفع الأبناء كسب الآباء ولا ينالهم منه شيء، وفيه الرد على من يتكل على عمل سلفه ويروح نفسه بالأمانى الباطلة. ومنه ما ورد في الحديث «مَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ» والمراد أنكم لا تنتفعون بحسناتهم ولا تؤاخذون بسيئاتهم، ولا تسألون عن أعمالهم كما لا يسألون عن أعمالكم.

١٣٥ **﴿وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا﴾** أي: قال اليهود للمسلمين كونوا يهوداً، وقال لهم النصارى كونوا نصارى، تكونوا على الحق **﴿بل ملة إبراهيم﴾** بل نكون على ملة إبراهيم **﴿حنيفاً﴾** المائل عن الأديان الباطلة إلى دين الحق، والحنيفية دين الإسلام **﴿وما كان من المشركين﴾** فيه تعريض باليهود والنصارى، أي ما كان على هذه الحالة من الشرك بالله، فكيف تدعون عليه أنه كان على اليهودية أو النصرانية؟

١٣٦ **﴿قولوا آمنا بالله﴾** خطاب للمسلمين وأمرهم بأن يقولوا هذه المقالة، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال

ما آمنتم به، أي بجميع كتب الله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم فقد اهتدوا **﴿في شقاق﴾** الشقاق: المخالفة والمعاندة **﴿فسيكفيكم الله﴾** وعد من الله تعالى لنبيه أنه سيكفيه من عانده وخالفه من المتولين عن الحق.

١٣٨ **﴿صبغة الله﴾** أي: اصبغوا أنفسكم وأهليكم بالإسلام، فهو صبغة الله، وتمسكوا به. [والصبغ يتخلل كل المصبوغ، فكذلك الإسلام يغير حال من تمسك به.] أصل ذلك أن النصارى كانوا يصبغون أولادهم في الماء، وهو

لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله... الآية. **﴿الأسباط﴾** أولاد يعقوب وهم اثنا عشر ولداً، ولكل واحد منهم من الأولاد جماعة، والاسبط في بني إسرائيل بمنزلة القبيلة في العرب **﴿لا نفرق بين أحد منهم﴾** لا نؤمن ببعضهم ونكفر ببعضهم كما فعلت اليهود والنصارى. فالمسلمون يؤمنون بكل نبي أرسله الله، وبكل كتاب أنزله الله [وعليهم أن يعلنوا هذا].

١٣٧ **﴿فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به﴾** أي: فإن آمن أهل الكتاب وغيرهم بمثل

مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عِبِيدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾ * سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ

ما كانوا يهودًا ولا نصارى، بل كانوا على الملة الإسلامية، فظلموا أنفسهم بكتهم لهذه الشهادة، بل بادعائهم لما هو مخالف لها. عن قتادة قال: أولئك أهل الكتاب كتموا الإسلام وهم يعلمون أنه دين الله، واتخذوا اليهودية والنصرانية، وكتموا محمداً وهم يعلمون أنه رسول الله ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ لا يترك عقوبتهم على هذا الظلم القبيح.

١٤٢ ﴿سَيَقُولُ﴾ هذا إخبار من الله سبحانه لنبيه ﷺ وللمؤمنين، بأن السفهاء من اليهود والمنافقين سيقولون هذه المقالة عندما تتحول القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة ﴿السُّفَهَاءُ﴾ هم خفاف الأحلام، ضعفاء العقول ﴿وَمَا وَلَّاهُمْ﴾ ما صرفهم؟ ﴿عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ وهي بيت المقدس ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ فله أن يأمر بالتوجه إلى أي جهة شاء ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ إشعار بأن تحويل القبلة إلى الكعبة من الهداية للنبي ﷺ ولأهل ملته إلى الصراط المستقيم.

١٤٣ ﴿وَسَطًا﴾ الوسط: الخيار، أو العدل ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ أي يوم القيامة تشهدون للأنبياء على أمهم أنهم قد بلغوهم ما أمرهم الله بتبليغه إليهم ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ يشهد عليكم بالتبليغ لكم. قال رسول الله ﷺ «يدعى نوح يوم القيامة، فيقال له: هل بلغت؟ فيقول: نعم فيدعى قومه، فيقال لهم: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، وما أتانا من أحد. فيقال لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمه» ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾ هي بيت المقدس ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ أي ما جعلناها قبله لكم إلا لتبليغكم فنعلم عندما نخولها إلى الكعبة المؤمن التابع، والمرتد الكافر، وأهل النفاق.

غيره، فكيف تدعون لأنفسكم ما نحن أولى به منكم وأحق [مع ما أنتم عليه من الاشرار بالله سبحانه ودعوى الألوهية لغيره]

١٤٠ ﴿أَمْ تَقُولُونَ﴾ أي: بل أتقولون إن هؤلاء الأنبياء على دينكم ﴿قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ﴾ أي: إن الله أخبرنا بأنهم لم يكونوا هودا ولا نصارى، وأنتم تدعون أنهم كانوا هودا أو نصارى، فهل أنتم أعلم أم الله سبحانه؟ ﴿مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ يريد بذلك الذم لأهل الكتاب بأنهم يعلمون أن هؤلاء الأنبياء

الذي يسمونه المغمودية، ويجعلون ذلك تطهيراً لهم، فإذا فعلوا ذلك قالوا: الآن صار نصرانياً حقاً، فرد الله عليهم بهذا.

١٣٩ ﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ﴾ أي: أتجادلوننا في دينه ونحن وأنتم سواء في ربوبيته لنا، وعبوديتنا له، فكيف تدعون أنكم أولى به منا، وتحتاجوننا في ذلك؟ ﴿وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ فلستم بأولى بالله منا ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ نحن أهل الإخلاص للعبادة دونكم، وهو المعيار الذي يكون به التفاضل. والخصلة التي يكون صاحبها أولى بالله سبحانه من



الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا
 عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ
 اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ
 فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ
 الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ
 وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ
 وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٦﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا
 الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ
 وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ
 مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٧﴾
 الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ
 وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٨﴾

﴿وإن كانت لكبيرة﴾ أي: كانت هذه القضية، وهي تحويل القبلة، صعبةً يشقُّ الإيمان بها إلا على الذين هداهم الله للحق، فانشرح صدورهم لتصديقك ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾ نزلت فيمن مات وهو يصلي إلى بيت المقدس، وقيل المراد ثبات المؤمنين على الإيمان عند تحويل القبلة، وعدم ارتيابهم كما ارتاب غيرهم ﴿الرءوف﴾ الرءوف: كثير الرأفة، وهي أشد الرحمة.

١٤٤ ﴿قد نرى تقلب وجهك﴾ في النظر إلى السماء ﴿فلنولينك﴾ فلنجعلنك متولياً إلى قبلة تحبها ﴿فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام﴾ أي اتجه في صلاتك إلى جهة الكعبة ﴿وحيثما كنتم﴾ [أي في أي مكان من الأرض كنتم فتوجهوا إلى الكعبة] ﴿وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم﴾ أي يعلمون أن توجهكم إلى الكعبة حقٌ بأمر الله. وعلم أهل الكتاب بذلك إما لكونه قد بلغهم عن أنبيائهم، أو وجدوا في كتب الله المنزلة عليهم أن هذا النبي يستقبل الكعبة. في الصحيحين عن البراء «أن النبي ﷺ كان أول ما نزل بالمدينة صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت، وإن أول صلاة صلاها — أي إلى جهة الكعبة — صلاة العصر، وصلى معه قوم، فخرج رجل ممن كان صلى معه، فتر على أهل المسجد وهم راكعون، فقال أشهد بالله لقد صليت مع النبي ﷺ قبل الكعبة، فداروا كما هم قبل البيت. وكانت اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلي قبل بيت المقدس وأهل الكتاب، فلما ولي وجهه قبل البيت أنكروا ذلك. وكان الذي مات على القبلة قبل أن تحوّل رجال، فلم نذر ما نقول فيهم، فنزل (وما كان الله ليضيع

بعض﴾ بعضهم لا يتابع الآخر في

استقبال قبلته. وذلك أن اليهود تستقبل بيت المقدس، والنصارى تستقبل مطلع الشمس ﴿ولئن اتبعت أهواءهم﴾ [أي قبلتهم، فإنه بعد أن أمره الله تعالى بالتوجه إلى الكعبة لزمهم ذلك أيضاً، فكان بقاؤهم على غيرها عن هوى].

١٤٦ ﴿يعرفونه﴾ أي يعرفون نبوة محمد ﷺ ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [وأكثر ما يعرف الإنسان أبوه وأمه، فإنها يرقبانه منذ الصغر حتى يكبر]

﴿وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق﴾ وهم

إيمانكم. ﴿﴾ ١٤٥ ﴿ولئن أتيت﴾ أي إن هؤلاء لا

تؤثر فيهم كل آية، ولا يرجعون إلى الحق، وإن جاءهم بكل برهان لأنهم لم يتركوا اتباع الحق لدليل عندهم أو لشبهة طرأت عليهم، بل كان تركهم للحق تمرداً وعناداً، مع علمهم بأنهم ليسوا على شيء، ومن كان هكذا فهو لا ينتفع بالبرهان أبداً ﴿وما أنت بتابع قبلتهم﴾ دفع لأطماع أهل الكتاب، وقطع لما يرجونه من رجوعه ﷺ إلى القبلة التي كان عليها ﴿وما بعضهم بتابع قبلة

الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلِّ
وَجْهَةٍ هُوَ مَوْلِيهَا ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِنَّ مَا تَكُونُوا
يَأْتِي بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾
وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ۚ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾
وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۚ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ
عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي
وَلَا تَمْنَعْنِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَا أَرْسَلْنَا
فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾
فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾

أراد بالأول: ولَّ وجهك شطر الكعبة إذا
صليت تلقاءها، ثم قال **﴿وحيث ما كنتم﴾** معاشر المسلمين في سائر الأرض
والمساجد بالمدينة وغيرها **﴿فولوا ووجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة﴾** لئلا يكون لليهود عليكم
حجة، إذ كانوا يقولون: وافقنا محمد في
قبلتنا، فيوشك أن يوافقنا في ديننا.
والحجة بمعنى المُحَاجَّة، وهي الخصامة
والمجادلة، سماها الله حجة وحكم
بفسادها، حيث كانت من ظالم لكن
﴿الذين ظلموا منهم﴾ وهم مشركو
العرب، فسيحتجون عليكم يقولون: إن
محمدًا تخيَّر في دينه، وما توجه إلى قبلتنا
إلا لأننا أهدى منه. وقالوا: سيرجع إلى
ديننا كما رجع إلى قبلتنا. وعن قتادة قال:
يعني أهل الكتاب حين صرف الله نبيه
إلى الكعبة قالوا: اشتاق الرجل إلى بيت
أبيه ودين قومه. وغير ذلك من الأقوال
التي لم تنبعث إلا من عابد وثن، أو من
يهودي، أو منافق **﴿فلا تخشوهم﴾** أي لا
تخافوا مطاعنهم، فإنها داحضة باطلة لا
تضركم **﴿ولا تمنعني عليكم﴾** أي
ولكي أتم عليكم نعمتي عرفتكم قبلي
وإتمام النعمة: الهداية إلى القبلة [فتكون
لكم شريعة مستقلة تامة].

١٥١ **﴿كما أرسلنا﴾** إشارة إلى النعمة في
القبلة كالنعمة في الرسالة. وقيل معنى
الكلام على التقديم والتأخير أي فاذكروني
كما أرسلنا فيكم رسولاً.
١٥٢ **﴿فاذكروني أذكركم﴾** اذكروني
بالطاعة أذكركم بالثواب والمغفرة. قال
بعض السلف: المعنى: فن ذكركم وهو
مطيع فحق علي أن أذكره بمغفرتي
﴿واشكروا لي﴾ الشكر معرفة الإحسان
والتحدث به **﴿ولا تكفرون﴾** الكفر هنا
ستر النعمة.

قبلة يصلي إليها من شرق أو غرب أو
جنوب أو شمال **﴿هو موليها﴾** وجهه
﴿فاستبقوا الخيرات﴾ أي: بادروا إلى
ما أمركم الله من استقبال البيت الحرام
وكل ما يصدق عليه أنه خير، وإلى
الصلاة في أول وقتها **﴿أينما تكونوا يأت بكم الله﴾** يجمعكم للجزاء يوم
القيامة، **﴿جميعاً﴾** كما جعل صلاتكم في
الجهات المختلفة كأنها إلى جهة واحدة.
١٥٠ **﴿ومن حيث خرجت﴾** في
الأسفار فاستقبل القبلة حيثما كنت في بر
أو بحر. وتكرير الأمر للاهتمام. وقيل

علماؤهم الذين عرفوا نعت النبي ﷺ
وليس منه هذا الفريق الذين آمنوا منهم
كعبد الله بن سلام وأصحابه.
١٤٧ **﴿الحق من ربك﴾** أي الحق هو
الذي من ربك لا مما يخبرك به أهل
الكتاب **﴿فلا تكونن من الممترين﴾** ناه
الله سبحانه عن الشك فيما آتاه الله من
القبلة وغيرها. وغيره أولى بالخذر من
الشك.
١٤٨ **﴿ولكل﴾** أي: لكل أهل دين
وجهة، والمراد: القبلة، إما بحق، وإما
بباطل أو المراد: لكل منكم يا أمة محمد

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ
مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
أَمُوتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ
بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ
وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا
أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾
أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ * إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ
فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا
وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ
يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ
لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ

١٥٣ ﴿استعينوا بالصبر والصلاة﴾ على تأدية ما أمر الله به، ودفع ما يرد عليكم من المحن ﴿إن الله مع الصابرين﴾ ينيلهم مقاصدهم.

١٥٤ ﴿ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله﴾ هم ﴿أموات﴾ بل هم ﴿أحياء﴾ ولكن لا تشعرون﴾ بهذه الحياة عند مشاهدتكم لأبدانهم بعد سلب أرواحهم، تحكمون عليها بالموت في ظاهر الأمر، وليسوا كذلك في الواقع بل هم أحياء في البرزخ.

١٥٥ ﴿ولنبلوئنكم﴾ سوف نختبركم. والمراد بـ ﴿الخشوف﴾ ما يخشى من ضرر من عدو أو غيره ﴿والجوع﴾ المجاعة والقحط ﴿ونقص من الأموال﴾ ما يحدث فيها بسبب الجوائح وما أوجبه الله فيها من الزكاة ونحوها، والمراد بنقص ﴿الأنفس﴾ الموت والقتل في الجهاد، والمراد بنقص ﴿الثمرات﴾ ما يصيبها من الآفات. وقيل نقص الثمرات: موت الأولاد.

١٥٦ ﴿مصيبة﴾ المصيبة النكبة التي يتأذى بها الإنسان وإن صغرت ﴿إننا لله وأنا إليه راجعون﴾ هذه الكلمات ملجأ للمصابين، وعصمة للممتحنين، فإنها جامعة بين الإقرار بالعبودية لله، والاعتراف بالبعث والنشور.

١٥٧ ﴿صلوات﴾ الصلوات: هنا المغفرة والثناء الحسن ﴿ورحمة﴾ المعنى: عليهم رافة بعد رافة، ورحمة بعد رحمة.

١٥٨ ﴿الصفاء﴾ علم لجبل من جبال مكة معروف، وكذلك المروة ﴿من شعائر الله﴾ أعلام مناسكه، والمراد بها مواضع العبادة التي أشعرها الله أعلاما للناس من: الموقف، والمسعى، والمنحر ﴿حج البيت﴾ قصده للفريضة ﴿أو اعتمر﴾ العمرة في اللغة: الزيارة، وفي الشرع:

الجاهلية، فأنزل الله الآية. قالت عائشة: ثم قد بين رسول الله ﷺ الطواف بهما، فليس لأحد أن يدع الطواف بهما. وإنها قالت: لعمري ما أتت الله حج من لم يشع بين الصفا والمروة ولا عمرته، لأن الله قال (إن الصفا والمروة من شعائر الله) اهـ. وسئل رسول الله ﷺ فقال: «إن الله كتب عليكم السعي فاسعوا».

١٥٩ ﴿إن الذين يكتمون﴾ هم أحبار اليهود ورهبان النصارى الذين كتموا أمر محمد ﷺ، وكل من كتم الحق وترك بيان ما أوجب الله بيانه ﴿الكتاب﴾

الإتيان بالنسك المعروف ﴿بطواف﴾ أصله يتطوف، والتطوف بالصفاء والمروة: السعي بينها في الحج والعمرة. والسعي واجب ونسك من جملة المناسك، فمن عائشة أن عروة قال لها: ما أرى على أحد جناحاً أن لا يطوف بهما؟ فقالت عائشة: بش ما قلت يا ابن أخي، إنها لو كانت على ما أولتها كانت (فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما) ولكنها إنما أنزلت أن الأنصار قبل أن يسلموا كانوا يهيلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها، وكان من أهلها يتحرج أن يطوف بالصفاء والمروة في

منهم جميعا. والله أعلم.

١٦٢ ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أي في النار، وقيل: في اللعنة ﴿يُنْظَرُونَ﴾ يُمَهَّلُونَ.

١٦٣ ﴿وَالْهُكْمُ لِلَّهِ وَاحِدٌ﴾ فيه الإشارة إلى أن أول ما يجب بيانه ويحرم كتمانها هو أمر التوحيد.

١٦٤ ﴿وَاخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ﴾ [تعاقبها واختلافهما بالإضاءة والإظلام، والحرارة والبرودة، وفي سبب ذلك ونتائجه، مما فيه الحكمة البالغة ومصلحة المخلوقات] ﴿وَتَصْرِيفَ الرِّيحِ﴾ إرسالها عقبا ومُلَقِحَةً، وصِراً ونصراً وهلاكاً، وحارة وباردة، ولينة وعاصفة. وقيل تصريفها: إرسالها جنوباً وشمالاً، ودبوراً وصَباً ونكباء ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ﴾ المذل. قيل تسخيرها ثبوته بين السماء والأرض من غير عمد ولا علائق ﴿لَا يَاتُ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ علم كل عاقل بأنه لا يتبأ من أحد من الآلهة التي أثبتها الكفار أن يأتي بشيء منها، أو يتقدر عليه أو على بعضه، وهي خلق المسوات، وخلق الأرض، وتعاقب الليل والنهار، وجري الفلك في البحر، وإنزال المطر من السماء، وإحياء الأرض به، وبث الدواب منها بسببه، وتصريف الرياح، فإن من أمعن نظره، وأعمل فكره في واحد منها، تحتم عليه التصديق بأن صانعه هو الله سبحانه.

١٦٥ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً﴾ أي مع هذا الدليل الظاهر المفيد لعظيم سلطان الله، وجليل قدرته، وجد في الناس من يتخذ معه سبحانه نداً يعبدونه من الأصنام ﴿كَحُبِّ اللَّهِ﴾ أي كحُبِّ المؤمنين لله، أو: كما يحب المشركون الله، يحبون أندادهم ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ أي أشد من حب الكفار للأنداد.

الْلَّعْنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَاللَّهُمَّ إِنَّكَ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ

الوفاة لا يعلم، ولعن العاصي المعين لا يجوز باتفاق، لما روي أن النبي ﷺ أتته بشارب خمر مرارا، فقال بعض من حضر: لعنه الله ما أكثر ما يشربه. فقال النبي ﷺ «لا تكونوا عوناً للشيطان على أخيك» والحديث في الصحيحين، ولكن لا يمنع من جواز لعن الكفار على العموم. ولعنهم جزاء لهم على الكفر، وزجر لهم عنه، وإظهار لقبه. [وليس من أدب الإسلام المواجهة لأحد باللعن في وجهه فإنه فُحْش] ﴿وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ هذا يوم القيامة. أما في الدنيا فلا يتأتى اللعن

اسم جنس شامل لجميع الكتب، ﴿يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ﴾ لعنته: الإبعاد والطرده من رحمته ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ الملائكة والمؤمنون، وقيل: كل من يتأتى منه اللعن، فيدخل في ذلك الجن. وفي هذه الآية من الوعيد ما لا يُقَدَّرُ قَدْرُهُ.

١٦٠ ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ استثناء للتائبين من الكتمان، والمصلحين لما أفسدوا، والمبينين للناس ما بينه الله في كتبه، فليس هؤلاء مستحقين للعنة.

١٦١ ﴿وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ استدل بذلك أنه لا يجوز لعن كافر معين لأن حاله عند

وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ
جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ
اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ
الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةٌ فَنَتَبَرَّأَ
مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسْرَتٍ
عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا
مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ
إِنَّهُ لَكُمُ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ
وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا
مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَلَوْ
كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمِثْلُ الَّذِينَ
كَفَرُوا كَمِثْلِ الَّذِينَ يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً

﴿ولو يرى الذين ظلموا﴾ [أي ولو أن الذين ظلموا بجهنم الأنداد كحب الله، لو يرون حالهم عند رؤيتهم العذاب يوم القيامة، ومعانتهم قوة الله وبطشه، وعجز آلتهم عن أن تدفع عنهم شيئاً من عذاب الله، لما أحبوا شيئاً من الحب].

١٦٦ ﴿إذ تبرأ الذين اتبعوا﴾ ومعناه: أن السادة والرؤساء وأئمة الكفر تبرءوا ممن اتبعهم على الكفر ﴿ورأوا العذاب﴾ يعني التابعين والمتبعين، قيل: عند المعاينة في الدنيا، وقيل: عند العرض والمساءلة في الآخرة ﴿وتقطعت بهم الأسباب﴾ الصلات والعلاقات التي كانوا يتواصلون بها في الدنيا من الرحم وغيره.

١٦٧ ﴿كررة﴾ الكرة الرجعة والعودة إلى الدنيا، والمعنى: أن الأتباع قالوا يا ليت أننا رددنا إلى الدنيا حتى نعمل صالحاً ﴿فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا﴾ ﴿حسرات﴾ المعنى: أن أعمالهم الفاسدة يريهم الله إياها فتكون عليهم حسرات، ويرهم الأعمال الصالحة التي أوجبها عليهم فتركوها، فيكون ذلك حسرة عليهم ﴿وما هم بخارجين من النار﴾ فيه دليل على خلود الكفار في النار.

١٦٨ ﴿كلوا مما في الأرض﴾ نزلت في ثقيف وخزاعة وبني مدلج فيما حرموه على أنفسهم من الأنعام ﴿حلالاً﴾ أي من غير ما حرم الله عليكم، والطيب هو المستلذذ ﴿خطوات الشيطان﴾ لا تقفوا أثر الشيطان وعمله [فيما حرم عليكم مما لم يأت شرع الله بتحريمه] وما يدعوكم إليه من المعاصي ﴿عدو مبين﴾ ظاهر العداوة. ١٦٩ ﴿بالسوء والفحشاء﴾ السوء: القبيح، والفحشاء: التجاوز للحد في القبح، وقيل: الفحشاء الزنى ﴿وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾ ما حرموه من البحيرة والسائبة ونحوها مما جعلوه

وداعيمهم، وهو محمد ﷺ بالراعي الذي ينطق بالغنم أو الإبل، فلا تسمع إلا دعاء ونداء ولا تفهم ما يقول. عن ابن عباس قال: كمثل البقر والحمار والشاة إن قلت لبعضهم كلاماً لم يعلم ما تقول، غير أنه يسمع صوتك، وكذلك الكافر إن أمرته بخير أو نهيته عن شر أو وعظته لم يعقل ما تقول غير أنه يسمع صوتك. ﴿صم بكم عمي فهم لا يعقلون﴾ أي هم صم بكم عمي لا يقدر أن يسمعوا الحق، ولا أن يبصروه، ولا أن يتكلموا به فكيف يعقلون ما يقال لهم؟

شرعاً، فكل ما لم يرد فيه نص أو ظاهر من الأعيان الموجودة في الأرض فأصله الحل حتى يرد دليل يقتضي تحريمه.

١٧٠ ﴿وإذا قيل لهم﴾ للكفار ﴿ألفينا﴾ معناه: وجدنا ﴿أولو كان آباؤهم﴾ [يعني أتبعون آباءهم فيما كانوا فيه على ضلال مبين، كتحريمهم ما لم يحرمه الله، ولو كان ما فعلوه غير صادر عن عقل صحيح ولا عن هداية سماوية؟]

١٧١ ﴿ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق﴾ فيه تشبيه واعظ الكافرين

صُمُّكُمْ عَمِّي فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ
تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ
وَمَا أَهْلَ بِهِ لغيرِ اللَّهِ فَمَنْ أَضْطُرَّ بِغَيْرِ بَاغٍ وَلَا عَادٍ
فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ إِنْ الَّذِينَ
يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ءِثْمًا
قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ
اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾
أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ
فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ
بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ
بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾ * لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ

من يأكل هذه المحرمات وهو يجد عنها
مندوحة ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [إِنْ أَكَلَ،
لأن الله تعالى يرخص له في تلك الحال
ولا يؤاخذ به] ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لذنب من
أكل الحرام مضطراً ﴿رَحِيمٌ﴾ به إذا أحلَّ
له الحرام للضرورة.

١٧٤ ﴿إِنْ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ يشمل
علماء اليهود، لأنهم كتموا ما أنزل الله في
التوراة من صفة محمد ﷺ، ويشمل كل
من كتم ما شرعه الله، وأخذ عليه الرشا
[وكل من رضي بتغيير شيء من دين الله
وكنتمان الحق في مقابلة نفع عاجل أو
مصلحة زائلة] ﴿وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا
قَلِيلًا﴾ وكل ما يأخذه على ذلك من
متاع الدنيا فهو قليل وإن كان مما
يستكثر ﴿مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا
النَّارَ﴾ أي: أنه يوجب عليهم عذاب النار
﴿وَلَا يَكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾ لحلول غضب الله
عليهم وعدم الرضى عنهم، وقال الطبري:
لا يكلمهم بما يحبونه، وإن كان يكلمهم
بما يكرهونه ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ لا يصلح
أعمالهم الخبيثة فيطهرهم.

١٧٥ ﴿اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾ قد
تقدم تحقيق معناه - الآية ١٦ - ﴿فَمَا
أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ معناه التعجب،
والمراد تعجب الخلق من حال هؤلاء
الذين باشروا الأسباب الموجبة لعذاب
النار، فكأنهم بهذه المباشرة للأسباب
صبروا على العقوبة في نار جهنم.

١٧٦ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ
بِالْحَقِّ﴾ [فيجب على العلماء بيانه والحذر
من كتمان، أي متى سئلوا عنه أو وقعت
الحاجة إلى البيان] ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا
فِي الْكِتَابِ﴾ يقول بعضهم هو سحر،
وبعضهم يقول هو أساطير الأولين ﴿لَفِي
شِقَاقٍ﴾ أي خلاف ومُحَادَّةٍ لله ﴿بَعِيدٍ﴾
عن الحق.

ميتة البحر، ويجوز أكل جميع حيوانات
البحر حيها وميتها ﴿وَالدَّمَ﴾ الدم المحرم
هو المسفوح، روت عائشة أنها كانت
تطبخ اللحم فتعلو الصفرة من الدم على
البرمة، فيأكل ذلك النبي ﷺ ولا ينكره
﴿وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ﴾ جملة الخنزير محرمة ﴿وَمَا
أَهْلٌ بِهِ لغيرِ اللَّهِ﴾ هو ما ذكر عليه اسم
غير الله، كالكالات والعزى ﴿فَمَنْ أَضْطُرَّ﴾
إلى شيء من هذه المحرمات بسبب المجاعة
وفقدان ما يتغذى به [أو بإكراه يخاف
منه الضرر] ﴿غَيْرِ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ المراد
بالباغي من يأكل فوق حاجته، والعادي

١٧٢ ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾
[الطيب هو الحلال المستلذ من الأطعمة،
فكلوا منه ولا تحرموا شيئاً لم يحرمه الله،
ولا تمتنعوا من أكل ما حرمه أهل
الجاهلية وغيرهم من تلقاء أنفسهم] ﴿إِنْ
كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ أي تخصونه بالعبادة
فكلوا من الطيبات، ولا تبالوا بتحريم من
حرم شيئاً من دون الله.

١٧٣ ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ حصرت
الآية التحريم في الأمور المذكورة بعدها.
والميتة: ما فارقها الروح من غير ذبح
شرعي. والمراد بالميتة هنا ميتة البر لا



وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ
ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ
وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ
بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ
وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ
فِي الْقَتْلِ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى
فَمَنْ عَنِ لَهْ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ
بِإِحْسَنِ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى
بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ
حَيَوةٌ يَأْتُوايَ الْأَلْبَبُ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمْ

١٧٧ ﴿ليس البر﴾ نزلت للرد على اليهود والنصارى لما أكثروا الكلام في شأن القبلة عند تحويل رسول الله ﷺ إلى الكعبة ﴿فبقل المشرق والمغرب﴾ [أي الجهات المختلفة] ﴿ولكن البر من آمن﴾ أي: ولكن البر هو بر من آمن. والبر اسم جامع للخير [وقد فسرته هذه الآية بأصول الإيمان الستة، وأصول الأعمال الصالحة] ﴿والكتاب﴾ المراد بالكتاب هنا جنس الكتاب أي كتب الله ﴿على حبه﴾ على حب المال، لأنه أعطى المال وهو يحبه ويشح به ﴿ذوي القربى﴾ هم أقاربك، فإن دفع المال إليهم صدقة وصلة إذا كانوا فقراء، وهكذا ﴿اليتامى﴾ الفقراء أولى بالصدقة من الفقراء الذين ليسوا يتامى، لعدم قدرتهم على الكسب ﴿والمساكين﴾ المسكين الساكن إلى ما في أيدي الناس، لكونه لا يجد شيئاً ﴿وابن السبيل﴾ المسافر المنقطع في غير بلده ﴿والمسائلين﴾ المتعرضين لطلب المال لاضطرارهم إليه ﴿وفي الرقاب﴾ المراد شراء الرقاب، أي رقاب المالك وإعتاقها، وقيل المراد فك الأسارى. وقوله ﴿وآتى الزكاة﴾ فيه دليل على أن الإيتاء المتقدم هو صدقة التطوع، لا صدقة الفريضة ﴿والموفون بعهدهم﴾ إذا عاهدوا الله أو عاهدوا الناس ﴿البأساء﴾ الشدة والفقر ﴿والضراء﴾ المرض والزمانة ﴿وحين البأس﴾ المراد وقت الحرب ﴿صدقوا﴾ كانوا جادين صادقين في دعواهم الإيمان. ١٧٨ ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾ [أي من قتل مسلماً عمداً عدواناً وجب قتله حقاً لأوليائه المقتول مماثلة لما فعل] ﴿الحر بالحر والعبد بالعبد﴾ أفاد أن الحر يقتل بالحر، والعبد يقتل بالعبد. ويفهم منه أن الحر لا يقتل بالعبد. وذهب الجمهور إلى أنه لا يقتل المسلم بالكافر، واستدلوا

بما ورد من السنة عن النبي ﷺ أنه «لا يقتل مسلم بكافر» ﴿والأنثى بالأنثى﴾ أي تقتل بها إن قتلها، وتقتل بالرجل بطريق الأولى، ويقتل الرجل بالمرأة للحديث الوارد من قول النبي ﷺ «وان الرجل يقتل بالمرأة» ﴿فمن عني له من أخيه شيء﴾ أي إن القاتل أو الجاني إذا عني له - من جهة المجني عليه أو الولي - دم أصابه منه، ثبت للمجني عليه أو وليه الدية أو الأرش ﴿فاتباع﴾ أي فلتكن مطالبة صاحب الحق للقاتل بالمعروف، بإنظاره إن كان معسراً، وعلى القاتل «أداء إليه بإحسان» دون مماطلة أو جحد أو إساءة في القول ﴿ذلك تخفيف﴾ إشارة إلى العفو والدية، أي: أن الله شرع لهذه الأمة القصاص، والعفو من غير عوض أو بعوض، ولم يضيق عليهم، كما ضيق على اليهود، فإنه أوجب عليهم القصاص أو العفو، ولا دية، وكما ضيق على النصارى، فإنه أوجب عليهم العفو ولا دية ﴿فمن اعتدى بعد ذلك﴾ أي بعد العفو، نحو أن يأخذ الدية ثم يقتل القاتل، أو يعفو ثم يقتص. ١٧٩ ﴿ولكم في القصاص حياة﴾

ضرار ومخالفة لما شرعه الله، وإثبات ماهو حق، كالوصية في قرابة لغير وارث.

١٨٣ ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ أي افترض الله عليكم الصوم، وهو الإمساك عن المفطرات مع اقتران النية به، من طلوع الفجر إلى غروب الشمس **﴿كما كتب﴾** كما أوجبه **﴿على الذين من قبلكم﴾** وهم أمة موسى وعيسى عليها السلام **﴿لعلكم تتقون﴾** بالمحافظة عليها، لأنها تضعف دواعي المعاصي.

١٨٤ ﴿أَيَّاماً﴾ أي كتب عليكم أن تصوموا أياماً **﴿معدودات﴾** أي معينات بعدد معلوم، إشارة إلى تقليل الأيام [وهي رمضان نفسه] **﴿فمن كان منكم مريضاً﴾** إن كان لا يطبق الصوم، كان الإفطار عزيمة، وإن كان يطبقه مع تضرر ومشقة كان الإفطار رخصة **﴿على سفر﴾** مسافة قصر الصلاة أو أكثر **﴿فعدة﴾** أي فعليه صيام عدة ما أفطره **﴿من أيام آخر وعلى الذين يطيقونه﴾** أي يتكلفونه بمشقة خارجة عن طوقهم، كالشيخ الكبير والمريض مرضاً مزمنياً **﴿فدية طعام مسكين﴾** [ومقداره نصف صاع من بر أو تمر أو نحوهما عن كل يوم أفطره أو طعام جاهز يكفي المسكين يوماً] **﴿فمن تطوع خيراً فهو خير له﴾** من زاد في الإطعام على القدر، وقيل: من أطعم مع المسكين مسكيناً آخر **﴿وأن تصوموا خير لكم﴾** معناه أن الصيام خير لهم من الإفطار مع الفدية.

١٨٥ ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ أنزل جملة من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا وقيل: أنزل في رمضان أول ما نزل من القرآن، وكان نزول القرآن في ليلة القدر **﴿هدى للناس﴾** أي هادياً لهم **﴿وبينات من الهدى﴾** والبيانات تختص بالمحكم منه **﴿والفرقان﴾** ما فرق بين الحق والباطل، أي فصل.

إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوسِرٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ

باعتبار ما يؤول إليه من ارتداع الناس عن قتل بعضهم بعضاً **﴿لعلكم تتقون﴾** لكي تتقوا الدماء مخافة القصاص.

١٨٠ ﴿كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت﴾ حضور الموت، حضور أسبابه، وظهور علاماته، وتجب الوصية حينئذ لعدم بقاء الفسحة **﴿إن ترك خيراً﴾** أي: إن من ترك مالا كثيراً وجب عليه أن يوصي بشيء لوالديه وأقاربه، ويبقى باقي المال لأولاده. وكان هذا في أول الإسلام، ثم نسخ بآيات الموارث **﴿بالمعروف﴾** أي العدل لا وكس فيه ولا شطط. وقد أذن الله للميت بالثلث دون ما زاد عليه **﴿حقاً﴾** واجباً، وهذا كان قبل النسخ بآيات الموارث.

١٨١ ﴿فمن بدله﴾ أي الإيصاء **﴿بعد ما سمعه﴾** فإنما إثمه وليس على الموصي من ذلك شيء، فقد تخلص مما كان عليه بالوصية به.

١٨٢ ﴿جنفاً أو إثماً﴾ الجنف الخطأ، والإثم الميل عمداً **﴿فأصلح بينهم﴾** أي أصلح ما وقع بين الورثة من الشقاق والاضطراب بسبب الوصية، بإبطال ما فيه

الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ ۚ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۚ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ ۚ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۚ ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَىٰ اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ۚ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ فَلَا تَقْرُبُوهَا ۚ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ

﴿فن شهد منكم الشهر﴾ أي حضر، لم يكن في سفر بل كان مقبلاً، فإنه إذا سافر أفطر، وإذا حضر بعضه وسافر بعضه فإنه لا يتحتم عليه إلا صوم ما حضره ﴿يريد الله بكم اليسر﴾ فرخص للمريض والمسافر في الإفطار، واليسر: السهولة. وعدم التشديد من مقاصد الرب سبحانه في جميع أمور الدين. ورسول الله ﷺ كان يرشد إلى التيسير وينهى عن التعسير كقوله ﷺ «يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا» ﴿ولتكمّلوا العدة﴾ أي والقضاء لمن أفطر من مرض أو سفر لتتم لكم العدة، ويكمل الأجر ﴿ولتكبروا الله﴾ لتعظموه بالصوم والذكر. عن بعض السلف أنهم كانوا يكثرون ليلة الفطر: إذا رأوا هلال شوال كبروا إلى خروج الإمام لصلاة العيد.

١٨٦ ﴿وإذا سألَكَ عبادي عني﴾ جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله: أقرب ربنا فتناجيه، أم بعيد فتناديه؟ فسكت النبي ﷺ فنزلت هذه الآية ﴿أجيب دعوة الداع﴾ في الصحيح أن النبي ﷺ قال «ما من مسلم يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث خصال: إما أن يعجل له دعوته، وإما أن يدخر له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها» ﴿فليستجيبوا لي﴾ ليدعوني ﴿وليؤمنوا بي﴾ أي ليؤمنوا بأنهم إذا دعوني استجبت لهم ﴿لعلهم يرشدون﴾ يهتدون.

١٨٧ ﴿أجل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم﴾ والرفث كلمة جامعة لكل ما يريد الرجل من امرأته من الجماع وغيره ﴿هن لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾ لامتزاج كل واحد منها بالآخر، كالامتزاج الذي يكون بين الثوب ولاسه [أي فلهذا رخص لكم ويسر] ﴿تختانون

أنفسكم﴾ أي: تخونونها بالمباشرة في ليالي الصوم، وأصل الخيانة أن يؤتمن الرجل على شيء فلا يؤدي الأمانة فيه، وإنما سماهم خائنين لأنفسهم لأن ضرر ذلك عائد عليهم ﴿فتاب عليكم﴾ قبل التوبة من خيانتهم لأنفسهم ﴿وعفا عنكم﴾ المراد التوسعة والتسهيل ﴿وابتغوا ما كتب الله لكم﴾ قيل: هو الولد، وقيل: المراد: اطلبوا ليلة القدر، أي فلا يشغلكم عنها ما أباح الله لكم من الرفث ﴿الخيطة الأبيض﴾ هو المعترض في الأفق، لا الذي هو كذب السرحان، فإنه الفجر الكذاب الذي لا يُجِلُّ شيئاً ولا يحرمه ﴿الخيطة الأسود﴾ سواد الليل، والتبيين: أن يمتاز أحدهما عن الآخر، وذلك لا يكون إلا عند دخول وقت الفجر، وقوله ﴿ثم أتموا الصيام إلى الليل﴾ أوله تمام غروب الشمس ﴿ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد﴾ المباشرة هنا: الجماع، وقيل: تشمل التقبيل واللمس إذا كانا لشهوة. ولا يقبل لشهوة. والمعتكف من يلزم المسجد بحبس نفسه لهذه العبادة، وللاعتكاف أحكام مستوفاة في كتب الفقه.



اللَّهُ ءَايَتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ
 بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا
 مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ * يَسْأَلُونَكَ
 عَنِ الْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ
 بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى
 وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾
 وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْدُوا
 إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ
 وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ
 وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقْتَلُوا فِيهِ
 فَإِنْ قَتَلْتُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾
 فَإِنْ أَنْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى

١٨٨ ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ الباطل ما لم يبيح الشرع أخذه من مالكه، فهو مأكول بالباطل، وإن طابت به نفس مالكة : كمهر البغي، وحلوان الكاهن، وثمر الخمر **﴿وتدلو﴾** أي بأموالكم، لا تدفعوها رشوة **﴿إلى الحكام﴾** القضاة، ليحكموا لكم بالباطل. وحكم الحاكم لا يحلل الحرام ولا يحرم الحلال **﴿فريقا﴾** أي قطعة أو جزءا **﴿بالإثم﴾** بالظلم والعدوان **﴿وانتم تعلمون﴾** عن ابن عباس قال: هذا في الرجل يكون عليه مال، وليس عليه

بينة، فيجحد المال، ويخاصم إلى الحكام. **١٨٩ ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ﴾** نزلت في معاذ بن جبل وشعبة بن عثمة، وهما رجلان من الأنصار قالوا يارسول الله: ما بال الهلال يبدو ويطلع دقيقا مثل الخيط، ثم يزيد حتى يعظم ويستوى، ثم لا يزال ينقص ويَدِقُّ حتى يعود كما كان لا يكون على حال واحد؟ فنزلت **﴿قل هي مواقيت للناس﴾** في حل دينهم ولصومهم ولفطرمهم وعِدِّ نساءهم والشروط التي إلى أجل، ولناسكهم وحجهم **﴿وليس البر بأن تأتوا البيوت﴾**

من ظهورها﴾ ورد أن الأنصار كانوا إذا حجوا لا يدخلون من أبواب بيوتهم، وإذا رجع أحدهم إلى بيته بعد إحرامه قبل تمام حجه، يعتقدون أن المحرم لا يجوز أن يحول بينه وبين السماء حائل. وكانوا يتسئمون ظهور بيوتهم **﴿ولكن البر من اتقى﴾** أي ولكن البر بر من اتقى، وكانت قريش تدعى الحمس، وكانوا يدخلون من الأبواب في الإحرام، وكانت الأنصار وسائر العرب لا يدخلون من باب في الإحرام. فبينما رسول الله ﷺ في بستان إذ خرج من بابه، وخرج معه رجل. قال: رأيتك فعلته ففعلت كما فعلت. فقال: إني رجل أحسي، قال: فإن ديني دينك، فأنزل الله الآية.

١٩٠ ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ لما نزلت هذه الآية كان ﷺ يقاتل من قاتله، ويكف عمن كف عنه، حتى نزل قوله تعالى (فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الآية) وقيل: (ولا تعتدوا) أي بقتل النساء والصبيان.

١٩١ ﴿حيث ثقتموهم﴾ وجدتموهم وتمكنتم من قتلهم **﴿من حيث أخرجوكم﴾** أي من مكة **﴿والفتنة أشد من القتل﴾** أي الفتنة التي أرادوا أن يفتنوكم، وهي رجوعكم إلى الكفر، أشد من القتل لو قتلوكم. وقيل: المراد أن الشرك الذي هم عليه أشد مما يستعظمونه من القتل **﴿ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام﴾** في الحرم [وهو مكة وما حولها إلى أعلام الحرم في عرفات والتنعيم وغيرها] **﴿فإن قاتلوكم فاقتلوهم﴾** [أي إن بدؤوكم بالقتال في حرم مكة فقاتلوهم واستمروا في قتالهم حتى تقتلوهم]

١٩٢ ﴿فإن انتهوا﴾ عن قتالكم ودخلوا في الإسلام **﴿فإن الله غفور رحيم﴾** فاعفوا عنهم حينئذ، فإن الإسلام يجب ما قبله من الآثام.

لَا تَكُونُ فِتْنَةً وَيَكُونِ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ
إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ
وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ
بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ
الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ
إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾
وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنْ
الْهَدْيِ وَلَا تَخْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ
فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ
مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ
بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ
فِصْيَامَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ

١٩٣ ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾

[وهي أن تزول مقدرة الكفار على الصد عن سبيل الله، ويأمن كل من كان مسلماً على دينه] ﴿وَيَكُونُ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ وهو الدخول في الإسلام، فمن دخل في الإسلام وأقلع عن الشرك لم يحل قتاله ﴿فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ لا تقاتلوا إلا من قاتلكم. وعن عكرمة: قال: هم من أبى أن يقول لا إله إلا الله.

١٩٤ ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾

أي إذا قاتلوكم في الشهر الحرام وهتكوا حرمة فقاتلوهم في الشهر الحرام مكافأة لهم ومجازاة على فعلهم ﴿وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾ جمع حرمة، والحرمة مامنع الشرع من انتهاكه، ولن تُعدي عليه في مال أو بدن أن يتعدى بمثل ما تعدي عليه - أي دون أن يظلم أو يرتكب محرماً - وهذا قال الشافعي وغيره. وقال آخرون إن أمور القصاص مقصورة على الحكام، وهكذا الأموال. والأول أرجح.

١٩٥ ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وهو

الجهاد ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى

التَّهْلُكَةِ﴾ أي لا تستسلموا إلى أسباب

الهلاك، بل دبروا لأنفسكم أسباب

النجاة. ومن التهلكة: الإقامة في الأموال

لإصلاحها، وترك الجهاد في سبيل الله.

١٩٦ ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ أي

من أهل بواحد منها وجب عليه إتمامه.

وقيل: إتمامها أن تفرد كل واحد منها

من غير تمتع ولا قران ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾

المحصر: من يصير ممنوعاً من مكة بعد

الإحرام بمرض أو عدو أو غيره ﴿فَمَا

اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ أي فأنحروا أو

فأهدوا ما استيسر أي ما تيسر، والهدي

ما يهدي إلى البيت من الإبل أو البقر أو

الغنم ليذبح في مكة تقريباً إلى الله تعالى.

وقال الحسن: أعلى الهدي بدنة، وأوسطه

بقرة، وأدناه شاة ﴿وَلَا تَخْلِقُوا رُءُوسَكُمْ

حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ﴾ هو خطاب لكل

من أحرم ليس له أن يخلق رأسه حتى

يذبح هديه إن كان معه هدي ﴿فَمَنْ

كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ

رَأْسِهِ﴾ فخلق فعلياً فدية، يطعم ستة

مساكين، أو يهدي شاة، أو يصوم ثلاثة

أيام ﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ﴾ كنتم آمنين ولم

تُحْصَرُوا عن الإتمام ﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ

إِلَى الْحَجِّ﴾ المراد بالتمتع: أن يحرم الرجل

بعمره في أشهر الحج ثم يقيم حلالاً بمكة

إلى أن يحرم بالحج، فاستباح بذلك ما لا

يحل للمحرم استباحته ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ

الْهَدْيِ﴾ يذبحه جبراً لنقص الإتمام بالتمتع

﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾ الهدي، إما لعدم المال، أو

لعدم الحيوان، صام ثلاثة أيام ﴿فِي

الْحَجِّ﴾ أي في أيام الحج، وهي من عند

شروعه في الإحرام إلى يوم النحر، وتصام

أيام التشريق لمن لم يجد الهدي ﴿وَسَبْعَةٍ

إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ إلى الأوطان.

وإنما قال سبحانه ﴿تِلْكَ عَشْرَةٌ﴾ لدفع

توهم التخيير بين الثلاثة الأيام في الحج

كَامِلَةً ذَٰلِكَ لِمَنْ لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ
 الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾
 الْحَجَّ أَشْهَرُ مَعْلُومَتٍ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ
 وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ
 يَعْلَمَهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ
 يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا
 مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ
 الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ
 لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ
 وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمْ
 مِنْكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا
 فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ

يحبون بلا زاد، ويقولون نحن متوكلون
 على الله سبحانه، فنهاهم عن ذلك **﴿فَإِنْ
 خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾** [خير الزاد إلى الدار
 الآخرة التقوى، وخير زاد الدنيا ما أعان
 على التقوى].

**١٩٨ ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا
 فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾** من التجارة وطلب
 الرزق مع الحج **﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ﴾** أي دفعتم
 إلى المزدلفة **﴿مِنْ عَرَفَاتٍ﴾** بعد الوقوف
 بها فالوقوف بها فرض على الحاج
﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ هو
 جبل قزح الذي يقف عليه الإمام من
 أرض مزدلفة، وقيل: هو ما بين جبلي
 المزدلفة من مازمي عرفة إلى وادي محسر،
 [وذكر الله فيه التلبية، والصلاة فيه
 المغرب والعشاء والفجر، والدعاء بعد
 صلاة الفجر] **﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾**
 أي اذكروه ذكرا حسنا، كما هداكم
 هداية حسنة.

**١٩٩ ﴿ثُمَّ أَفِضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ
 النَّاسُ﴾** أي من المزدلفة صباح يوم العيد
﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ أمروا بالاستغفار لأنهم
 في مساقط الرحمة، ومواطن القبول،
 ومظنات الإجابة.

٢٠٠ ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ﴾ أي فإذا
 فرغتم من أعمال الحج يوم النحر، وهي:
 الرمي، والذبح، والحلق، وطواف
 الإفاضة **﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ
 آبَاءَكُمْ﴾** كان العرب إذا فرغوا من
 حجهم يقفون عند الجمرة فيذكرون
 مفاخر آبائهم، ومناقب أسلافهم، فأمرهم
 الله بذكره مكان ذلك الذكر **﴿أَوْ أَشَدَّ
 ذِكْرًا﴾** أي بل أشد **﴿خُلَاقٍ﴾** الخلاق:
 النصيب، أي وما لهذا الداعي من
 نصيب يطلبه في الآخرة، لأن همه مقصور
 على الدنيا لا يريد غيرها، وفي هذا النهي
 عن الاقتصار على طلب الدنيا، والذم لمن
 جعلها غاية رغبته، ومعظم مقصوده.

بعمرة **﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِ الْحَجَّ﴾** أحرم به
 فيمن فليزمه الحج **﴿فَلَا رَفَثَ﴾** هو الجماع
 والإفحاش بالكلام مع النساء **﴿وَلَا
 فُسُوقَ﴾** الفسوق: الخروج عن حدود
 الشرع، سواء بفعل ما حرم في الإحرام
 خاصة كحلق الشعر، أو فيه وفي غيره،
 كالزنى، والظلم. وقيل: السباب **﴿وَلَا
 جِدَالَ﴾** الجدال: المماراة **﴿وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ
 خَيْرٍ يَعْلَمَهُ اللَّهُ﴾** حث على الخير بعد ذكر
 الشر، وعلى الطاعة بعد ذكر المعصية
﴿وَتَزَوَّدُوا﴾ كان بعض العرب يقولون
 كيف نخرج بيت ربنا ولا يطعمنا، فكانوا

والسبعة إذا رجع **﴿كَامِلَةً﴾** لا ينقص من
 عددها **﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ
 حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾** مكة وضواحيها
 وهم أهل الحرم.

١٩٧ ﴿الْحَجَّ أَشْهَرُ مَعْلُومَاتٍ﴾ أي
 وقت عمل الحج، الأشهر المعلومات
 وهي: شوال، وذو القعدة، وذو الحجة
 كله. وقيل: هي شوال، وذو القعدة،
 وعشر من ذي الحجة. وقد استدل بهذه
 الآية من قال إنه لا يجوز الإحرام بالحج
 قبل أشهر الحج، فمن أحرم قبلها أحل

فِي الْآخِرَةِ مَنْ خَلَقَ ﴿٢٠١﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا
فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠٢﴾
أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا ۖ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٣﴾
* وَأَذْكُرُوا لِلَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ ۚ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ
فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَآتَقَىٰ
اللَّهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَمِنَ النَّاسِ
مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ
مَا فِي قَلْبِهِ ۖ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ
فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۚ وَاللَّهُ
لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٠٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ
بِالْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٠٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ
مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ رَءُوفٌ

٢٠١ ﴿حَسَنَةً﴾ حسنة الدنيا ما يطلبه الصالحون في الدنيا، من زوجة حسنة، وولد صالحين، وطيبات الرزق. وحسنة الآخرة رضى الرحمن، والخور العين، وطيبات ما أعد الله للمتقين المحسنين.

٢٠٢ ﴿أُولَئِكَ﴾ إشارة إلى الفريق الثاني ﴿لَهُمْ نَصِيبٌ مِنْ﴾ جنس ﴿مَا كَسَبُوا﴾ بالدعاء المذكور ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ وصف نفسه بسرعة حساب الخلائق على كثرة عددهم، وأنه لا يشغله شأن عن شأن، فيحاسبهم في حالة واحدة.

٢٠٣ ﴿فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾ هي أيام منى، وهي أيام رمي الجمار، وهي أيام التشريق بلا خلاف، والذكر المأمور به، رمي الجمار وتكبير الحجاج بمنى، وتكبير سائر الناس في أمصارهم بعد الصلوات وغيرها من غداة عرفة إلى صلاة العصر من آخر النحر ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ﴾: أي من رمى في اليوم الثاني من الأيام المعدادات فلا حرج، ومن تأخر إلى الثالث فلا حرج: كل ذلك مباح ﴿لِمَنِ اتَّقَى﴾ معناه: أن رفع الإثم ثابت لمن اتقى الله في حجه. وقيل: لمن اتقى بعد انصرافه من الحج عن جميع المعاصي.

٢٠٤ ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ هم طائفة المنافقين الذين يظهرون الإيمان، ويبطنون الكفر. نزلت في منافق خرج من عند النبي ﷺ فرب بززع لقوم من المسلمين وحر، فأحرق الزرع، وعقر الحمر ﴿وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ﴾ يحلف على ذلك فيقول يشهد الله على ما في قلبي من محبتك أو من الإسلام ﴿أَلَدُّ﴾ الألد: الشديد الخصومة.

٢٠٥ ﴿وَإِذَا تَوَلَّى﴾ أي أدبر وذهب عنك يا محمد ﴿سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ﴾ [مضى فيها يبذل مجهوده] ﴿لِيُفْسِدَ فِيهَا﴾ بما يصنع من التخريب، كالتدبير على المسلمين بما يضرهم، وإعمال الحيل عليهم ﴿الْحَرْثُ﴾ الزرع ﴿وَالنَّسْلُ﴾ الأولاد ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ يشمل كل نوع

من أنواعه من غير فرق بين مافيه فساد الدين، ومافيه فساد الدنيا. وقيل: معناه: أن يلي الظالم الملك، فيفسد في الأرض، فيمسيك الله المطر، فيهلك بسبب ذلك الحرث والنسل.

٢٠٦ ﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ أخذته الحمية عن قبول الوعظ للإثم الذي في قلبه، وهو النفاق. وقيل معناه: حملته الغلبة وشدة النفس على الإثم، وقيل: أي ارتكب الكفر تعزراً واستكباراً ﴿فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ﴾ أي كافيه معاقبة وجزاء ﴿الْمِهَادُ﴾ الموضع المهيأ للنوم.

٢٠٧ ﴿يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ أي يبيع نفسه في مرضاة الله كالجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. عن صهيب قال: «لما أردت الهجرة من مكة إلى النبي ﷺ قالت لي قريش: يا صهيب، قدمت إلينا ولا مال لك، وتخرج أنت ومالك، والله لا يكون ذلك أبداً، فقلت لهم: أرايتم إن دفعت إليكم مالي تخلون عني؟ قالوا نعم، فدفعت إليهم مالي فخلوا عني، فخرجت حتى قدمت المدينة فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «ربح البيع صهيب. ربح البيع صهيب».



بِالْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا آدْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً
وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُرْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٠٨﴾
فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ
فِي ظُلُلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ
تَرْجِعُ الْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ سَلَّ بَنِي إِسْرَءِيلَ كَرَّمَاءَ تَيْنَهُمْ مِنْ
ءَايَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ
شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا
وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ ؕ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ كَانَ
النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ
وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ

يا محمد، واسألوا أيها المؤمنين اسألوا بني إسرائيل عن الآيات التي آتيناهم وكيف عوقبوا شديد العقاب عندما بدلوا نعمة الله كفراً. فكذاك من دُعي من الناس إلى الدخول في الإسلام كافة، فأبى وكفر بآيات الله **﴿من آية﴾** وهي البراهين التي جاء بها أنبيائهم **﴿نعمة الله﴾** هدايته ودينه. وتبديلها الكفر بها بدل شكر الله عليها **﴿فإن الله شديد العقاب﴾** فيه من الترهيب والتخويف ما لا يقدر قدره.

٢١٢ ﴿زَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ الكافر افتتن بهذا التزيين وأعرض عن الآخرة، والمسلم لم يفتتن به، بل أقبل على الآخرة **﴿ويسخرون من الذين آمنوا﴾** لكونهم فقراء ليس حظهم من الدنيا كحظ رؤساء الكفر، وأساطين الضلال، الذين يرون عرض الدنيا عندهم هو الأمر الذي يكون من ناله سعيداً رابحاً، ومن حُرِمَهُ شقياً خاسراً.. وقد كان غالب المؤمنين إذ ذاك فقراء **﴿والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة﴾** لأنهم في الجنة والكفار في النار.

٢١٣ ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي كانوا كلهم على دين واحد هو الإسلام بين آدم ونوح، وقيل: المراد نوح ومن في سفينته، [فقد كانوا على التوحيد، ثم تطاولت القرون، وانتشرت عبادة الأوثان، فأصبح الناس مابين مؤمن وكافر] **﴿فبعث الله النبيين﴾** لهداية البشر **﴿مبشرين ومنذرين﴾** البشارة لأهل الإيمان وصلاح الأعمال، والنذارة لأهل الكفر والفساد **﴿وأُنزل معهم الكتاب﴾** أي جنس الكتب السماوية **﴿ليحكم﴾** أي ليكون الكتاب السماوي حكماً بين الناس **﴿فبما اختلفوا فيه﴾** [من العقائد وشئون الغيب، وحسن الأعمال وقبحها].

﴿فاعلموا أن الله عزيز﴾ غالب لا يعجزه الانتقام منكم **﴿حكيم﴾** لا ينتقم إلا بحق.

٢١٠ ﴿هل ينظرون﴾ هل ينتظر التاركون للدخول في السلم إلا أن يأتيهم الله [لفصل القضاء] وللحساب والعذاب **﴿في ظلل من الغمام﴾** وأن تأتيهم الملائكة لتنفيذ أمر الله فيهم. والغمام: السحاب الرقيق الأبيض **﴿وقضي الأمر﴾** أي هو واقع لا محالة، أي وُفِرَغَ من الأمر الذي هو إهلاكهم.

٢١١ ﴿سَلَّ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أي اسأل

٢٠٨ ﴿ادخلوا في السلم كافة﴾ ذكر الله سبحانه أن الناس ينقسمون إلى ثلاث طوائف: مؤمنين، وكافرين، ومنافقين، [أمرهم بعد ذلك بالدخول في الإسلام كله بالسنتهم وقلوبهم جميعاً، وأن يدخلوا في جميع شعب الإسلام]. **﴿ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾** [ولا تقفوا أثره، ولا تطيعوا ما يأمركم به من الشهوات والمعاصي ليضلكنم ويحزنكنم].

٢٠٩ ﴿زللتم﴾ ضللتم وعرجتم عن الحق **﴿من بعد ما جاءكم البينات﴾** الدالة على أن الدخول في الإسلام هو الحق

فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ
بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ
ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي
مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢١٤﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا
الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمُونَ
الْبَاسَاءَ وَالضَّرَاءَ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا
مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٥﴾ يَسْأَلُونَكَ
مَاذَا يَنْفِقُونَ ۚ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ
وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۚ وَمَا تَفْعَلُونَ مِنْ خَيْرٍ
فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ
لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ
تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾

﴿وما اختلف فيه﴾ أي في الكتب السماوية السابقة، وهم بنو إسرائيل وأتباع عيسى ﴿إلا الذين أوتوه﴾ أي أوتوا الكتاب ﴿بغيا بينهم﴾ أي لم يختلفوا إلا للبغى: أي الحسد والحرص على الدنيا، بدلا من أن يكون الكتاب للاتفاق والسير على طريق الهداية ﴿فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق﴾ أي هدى الله أمة محمد ﷺ إلى الحق، بما بينه لهم في القرآن من اختلاف من كان قبلهم ﴿بإذنه﴾ بأمره. عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، وأول الناس دخولا بيته أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم، فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق، فهذا اليوم الذي اختلفوا فيه - يعني يوم الجمعة - فهدانا الله له، فالتاس لنا فيه تبع، فغدا لليهود، وبعد غد للنصارى».

٢١٤ ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ أي هل تظنون أن تدخلوا الجنة ولم تمتحنوا بمثل ما امتحن به من كان قبلكم من أتباع الأنبياء، لتصبروا كما صبروا؟ ﴿مستهم الباساء والضراء﴾ الفقر المدقع والأمراض والجراحات في سبيل الله ﴿وزلزلوا﴾ خوفوا وأزعجوا إزعاجا شديدا ﴿حق يقول﴾ أي استمر ذلك إلى غاية هي قول الرسول ومن معه ﴿متى نصر الله﴾ قالوا هذه المقالة لطلب النصر، واستبطاء حصوله، واستطالة تأخره، فبشرهم الله سبحانه بقوله ﴿ألا إن نصر الله قريب﴾.

٢١٥ ﴿يسألونك ماذا ينفقون﴾ سألوا عن الشيء الذي ينفقونه ماهو؟ فأجيبوا ببيان المصروف تنبيها على أنه الأولى بالقصد. وقد تقدم الكلام في ﴿الأقربين

واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾ الآية ١٧٧

٢١٦ ﴿كتب﴾ أي فرض، وفرض

القتال عليهم من جملة ما امتحنوا به والمراد بـ ﴿القتال﴾ قتال الكفار ﴿كره﴾ والكراهة بالضم: المشقة التي تكرهها النفوس، وكان الجهاد كرها لأن فيه إخراج المال، ومفارقة الأهل والوطن، والتعرض لذهاب النفس ﴿وعسى أن تكرهوا شيئا﴾ الجهاد لما فيه من المشقة ﴿وهو خير لكم﴾ فرما تغلبون وتظفرون وتغنمون وتؤجرون، ومن مات مات شهيدا ﴿وعسى أن تحبوا﴾ الدعة وترك القتال ﴿وهو شر لكم﴾ فرما يتقوى عليكم العدو فيغلبكم، ويقصدكم إلى عقر دياركم، فيحل بكم أشد مما

تخافونه من الجهاد الذي كرهتم، مع ما يفوتكم في ذلك من الفوائد العاجلة والآجلة ﴿والله يعلم﴾ مافيه صلاحكم وفلاحكم ﴿وأنتم لا تعلمون﴾ عن ابن شهاب في الآية قال: «الجهاد مكتوب على كل أحد غزا أو قعد، فالقاعد إن استعين به أعان، وإن استغنى عنه أغاث، وإن استنفر نفر، وإن استغنى عنه قعد».

٢١٧ ﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه﴾ بعث رسول الله ﷺ سرية، فلقوا عمرو بن الحضرمي وهو مقبل من

الكفر إلى دار الإسلام **﴿يرجون رحمة الله﴾** [نزلت في سرية عبدالله بن جحش، فإنهم قالوا يا رسول الله: هل نطمع أن تكون لنا هذه غزوة نعطي فيها أجر المجاهدين؟ فأخبرهم الله تعالى أنهم على رجاء في الأجر، لايمانهم وهجرتهم وجهادهم].

٢١٩ **﴿يسألونك عن الخمر﴾** الخمر:

ماء العنب الذي غلا واشتد وقذف بالزبد، أي ترك حتى أخذ يفور دون أن تقربه نار، وماخامر العقل من غيره فهو في حكمه **﴿والميسر﴾** قار العرب بالأزلام [كانوا يتقامرون بها على لحم البعير، ومن كسب يوزع ما يأخذه على فقراء الحي، وكانت الأزلام قطعاً من الخشب، وللمقامرة بها طريقة معينة] (ر: لسان العرب - يسر) قال جماعة من السلف: كل شيء فيه قار [أي أخذ مال باللعب بأن يأخذ الغالب من المغلوب] من نرد أو شطرنج أو غيرهما فهو الميسر، حتى لعب الصبيان بالجوز والكعاب **﴿قل فيها إثم كبير﴾** يعني الخمر والميسر، فإثم الخمر ما يصدر عن فساد العقل من المخاصمة والمشاتمة وقول الفحش والزور، وتعطيل الصلوات، وترك سائر ما يجب عليه. وإثم الميسر: الفقر وذهاب المال، والعداوة وإحاش الصدور، وأما منافع الخمر فريح التجارة فيها، وما يصدر عنها من الطرب والنشاط وقوة القلب وثبات الجنان وإصلاح المعدة [ومنافع الميسر: نفع الفقراء] **﴿وإثمها أكبر من نفعها﴾** لأنه لا خير يساوي فساد العقل الحاصل بالخمر، ولا خير في الميسر يساوي ما فيه من المخاطرة بالمال، والتعرض للفقر، واستجلاب العداوات المفضية إلى سفك الدماء وهتك الحرم **﴿قل العفو﴾** هو ما فضل عن نفقة العيال. وقيل: إن هذه الآية منسوخة بآية الزكاة المفروضة.

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ
وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ
أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ
وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ
اسْتَطَعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ
فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ
أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا
وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ
رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ * يَسْأَلُونَكَ عَنِ
الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ
وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ
الْعَفْوُ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾

المراد بالفتنة هنا فتنة المستضعفين من المؤمنين عن دينهم بالتعذيب والإخراج فهي أكبر من قتلهم لو قتلوهم **﴿ولا يزالون﴾** مستمرين على قتالكم وعداوتكم **﴿حتى يردوكم﴾** عن الإسلام إلى الكفر **﴿إن استطاعوا﴾** ذلك وتبأ لهم منكم **﴿حبطت﴾** بطلت وفسدت **﴿في الدنيا والآخرة﴾** لا يبقى للمرتد حكم المسلمين في الدنيا، ولا ينال شيئاً من ثواب الآخرة الذي يوجبه الإسلام، ويستحقه أهله إذا مات على الكفر.

٢١٨ **﴿هاجروا﴾** المراد: الهجرة من دار

الطائف، وكانت أول ليلة من رجب الحرام، ولم يشعروا، فقتله رجل منهم، وأخذوا ما كان معه. وإن المشركين أرسلوا يعيرونه بذلك، فنزلت الآية. والمعنى يسألونك عن القتال في الشهر الحرام والأشهر الحرم هي: ذو القعدة، وذو الحجة، وعمر، ورجب، ثلاثة سرّ، وواحد فرد **﴿قل قتال فيه كبير﴾** أي القتال فيه ذنب كبير مستنكر **﴿وصدّ﴾** عن سبيل الله وكفّر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله وكان كفار مكة يفعلون ذلك كله **﴿والفتنة﴾**



«تتفكرون في الدنيا والآخرة» فتحبسون من أموالكم ما تصلحون به معاش دنياكم، وتنفقون الباقي في الوجوه المقرّبة إلى الآخرة، وفي **«الآخرة»** فترغبون عن العاجلة إلى الآجلة **«إصلاح لهم خير»** أي خير من تركه **«وإن تغالطوهم»** يكون لأحدهم المال، ويشق على كافلة أن يُفرد طعامه عنه، فيأخذ من مال اليتيم ما يرى أنه كافيه بالتحري، فيجعله مع نفقة أهله، وهذا قد تقع فيه الزيادة والنقصان، فدلّت هذه الآية على الرخصة في ذلك **«فإخوانكم»** أي فذلك جائز، فهم إخوانكم في الدين **«والله يعلم المفسد من المصلح»** تحذير للأولياء، أي يعلم من يعتمد أكل مال اليتيم، ومن يتحرج منه ولا يألو عن إصلاحه **«لأعنتكم»** [أي ولكنه يسرّ عليكم ووسع، فأذن لكم بمخالطتهم، فاتقوا إفساد أموالهم].

٢٢١ **«وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ»**

المشركات الوثنيات، ومثلهن سائر النساء الكافرات، إلا نساء النصارى واليهود فيجوز للمسلمين التزوّج منهن، كما في الآية هـ- من سورة المائدة **«وَلَا أُمَّة مُّؤْمِنَةٌ»** أي ولأن يتزوج أحدكم مملوكة مسلمة خير له من أن يتزوج حرة كافرة **«ولو أعجبتكم»** المشركة من جهة كونها ذات جمال أو مال أو شرف **«وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ»** أي لا تزوّجوههم بالمؤمنات **«حتى يؤمنوا»** وأجمعت الأمة على أن المشرك لا يبطأ المؤمنة بوجوه من الوجوه، لما في ذلك من الغضاضة على الإسلام **«وأولئك»** إشارة إلى المشركين والمشركات **«يدعون إلى النار»** بعشرتهم وأقوالهم وأفعالهم، أي إلى الأعمال الموجبة للنار، فكان في مصاهرتهم ومعاشرتهم ومصاحبتهم من الخطر العظيم [على من تزوج منهم، وعلى ولده] مالا يجوز

في الدنيا والآخرة **«وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ»** وإن تُخالطوهم فإخوانكم **«وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ»** ولو شاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ **«إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ»** وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ **«وَلَا أُمَّة مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ»** وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ **«وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا»** وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ **«أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ»** وَيَبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ **«وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ»** فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ **«إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ»** نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ

للمؤمنين أن يتعرضوا له ويدخلوا فيه **«والله يدعو إلى الجنة»** وتزويج المؤمن الصالح والمؤمنة الصالحة يدعو إلى الجنة بعشرته وقوله وفعله.

٢٢٢ **«الْمَحِيضُ» الحيض **«قل هو أذى»** كناية عن القدر والضرر **«فأعتزلوا النساء في الحيض»** أي فاجتنبوهن في زمان الحيض. والمراد من هذا الاعتزال ترك المجامعة لا ترك المجالسة أو الملامسة، فإن ذلك جائز، ويجوز الاستمتاع منها بما عدا الفرج، أو بما دون الإزار **«ولا تقربوهن حتى يطهرن»** والظهر انقطاع**

الحيض.

«فإذا تطهرن» إذا اغتسلن بالماء، أي فلا يحل إتيان الحائض حتى ينقطع حيضها وتغتسل بالماء. ويقوم التيمم مقام الماء عند عدمه **«فأتوهن من حيث أمركم الله»** يجامعونهن في المأق الذي أباحه الله، وهو القبل، وقيل: من قبل الحلال لا من قبل الزنى والحرام، **«التوابين»** المراد: التوابون من الذنوب، والمتطهرون من الجنابة والأحداث.

٢٢٣ **«نساؤكم حرث لكم» مُزْدَرِغ الذرية كما أن الحرث مزدرع النبات**

منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه».

٢٢٦ ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾

الإيلاء: أن يحلف الرجل ألا يوطأ امرأته **﴿تربص أربعة أشهر﴾** انتظار هذه المدة ولا شيء عليه فيها، أما بعدها فإن طالبت المرأة وقفه القاضي، فإما أن يفيء أو يطلق، فإن أبى طلق عليه القاضي بطلب المرأة **﴿فإن فاءوا﴾** أي رجعوا عن اليمين المذكورة، وإلى بقاء الزوجية واستدامة النكاح. والفاء: الجماع لمن لا عذر له.

٢٢٧ ﴿وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم﴾

[فإن أبى الطلاق طلق عليه القاضي رفعا للضرر عن المرأة].

٢٢٨ ﴿يتربصن﴾ التربص: الانتظار

﴿ثلاثة قروء﴾ هي عدة المطلقة، وهي

ثلاث حيضات وما بينهن من الأطهار

﴿ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله

في أرحامهن﴾ من الحيض أو الحمل

﴿إن كنن يؤمن بالله واليوم الآخر﴾ فيه

وعيد شديد للكافرات، من كتمت ذلك

منهن لم تستحق اسم الإيمان

﴿وبعولتهن﴾ أزواجهن **﴿أحق بردهن﴾**

أي: برجعتهن **﴿في ذلك﴾** في مدة

التربص، فإن انقضت مدة التربص فهي

أحق بنفسها **﴿إن أرادوا إصلاحا﴾**

بالمراجعة، فإن قصد الإضرار بها فهي

محرمة **﴿ولهن مثل الذي عليهن**

بالمعروف﴾ فيحسن عشرتها، وتحسن هي

عشرته **﴿وللرجال عليهن درجة﴾** أي

منزلة ليست لهن، وهو قيامه عليها في

الإنفاق، وكونه من أهل الجهاد والتدبير

والقوة. [أي فعلها أن تطيعه فيما يأمرها

به وما يطلبه منها في شئون البيت

والأسرة، وفي خاصة نفسها، مما لا

معصية فيه لله تعالى. وفي الآية دليل على

أن المرأة مصلقة إذا أخبرت بانتهاء عدتها

بالأقراء حيث يمكن.]

فَاتُوا حَرْثَكُمْ أَنِّي شِئْتُمْ وَقَدِمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ

وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوُهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٦﴾ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ

عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ

وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ

وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ

حَلِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ

أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢٩﴾ وَإِنْ

عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٣٠﴾ وَالْمُطَلَّقَاتُ

يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لهنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ

مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

وَبِعُولَتِهِنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا

وَلهنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ

﴿أن شئتم﴾ أي من أي جهة شئتم من

٢٢٥ ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في

أيمانكم﴾ اللغو قول الرجل: لا والله،

وبلى والله، في حديثه وكلامه، غير معتقد

لليمين، ولا مريد لها، وكذا في الهزل

والمزاح، فهذا لا إثم فيه ولا حنث ولا

كفارة، لأنه ليس بيمين حقيقة **﴿والله**

غفور﴾ أي حيث لم يؤاخذكم بما تقولونه

بألسنتكم من دون عمد وقصد، وجعل

لكم سبيلا إلى الحنث بالكفارة **﴿حليم﴾**

لا يعاجل بالعقوبة. عن النبي ﷺ قال

«من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا

من خلف، وقدام، وباركة، ومستلقة،

ومضطجعة، إذا كان في موضع الحنث،

﴿وقدموا لأنفسكم﴾ أي خيرا تجدونه

عند الله **﴿واتقوا الله﴾** عن الوقوع في شيء

من المحرمات **﴿واعلموا أنكم ملاقوه﴾**

مبالغة في التحذير.

٢٢٤ ﴿ولا تجعلوا الله عرضة

لأيمانكم﴾ أي إذا حلفت على مقاطعة

ذوي أرحامكم، أو ألا تتصدقوا، فلا

تجعلوا يمينكم بالله مانعة لكم من فعل

البر، بل كفر عن يمينك واصنع الخير.

٢٢٩ ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ﴾ أي الطلاق

الذي تثبت فيه الرجعة للأزواج هو مرتان، أي الطلقة الأولى والثانية، إذ لا رجعة بعد الثالثة ﴿مَرَّتَانٍ﴾ مرة بعد مرة: لا طلقتان دفعة واحدة، وبعد كل مرة من مرتي الطلاق هاتين: إما إمساك وهو الرجعة ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ بحسن العشرة وأداء الحقوق ﴿أَوْ تَسْرِيحٍ﴾ أي أن يترك مراجعتها حتى انتهاء عدتها، ويسرحها إلى بيت أهلها بطيب من القول، ويعطيها المتعة وهي هدية أو مال - انظر الآية ٢٣٦ - ﴿شَيْئًا﴾ أي لا يحل للأزواج أن يأخذوا مما دفعوه إلى نسايتهم من المهر على وجه المضارة لمن ﴿فَإِنْ خَفْتُمْ﴾ الخطاب فيه للأئمة والحكام، أو المتوسطين بين الزوجين للإصلاح ﴿أَلَا يُقِيماً حَدُودَ اللَّهِ﴾ حسن العشرة والطاعة، فإن خافا ذلك ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾ ببذل شيء من المال يرضى به الزوج فيطلقها لأجله، وهذا هو الخلع. فيجوز إن لم يكن من الزوج غشٌّ ولا إضرار ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ أي: أحكام النكاح والفراق المذكورة، هي حدود الله التي أمِرت بامتثالها ﴿فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ بالمخالفة لها.

٢٣٠ ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ بعد المرتين السابق

ذكرهما طلاقاً أخرى وهي الثالثة ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَقِّ تَنْكِحِ زَوْجًا غَيْرَةً﴾ أي حتى تستزوج بزواج آخر [وبجامعها] فإن قصد الزوج الثاني التحليل للأول فإن ذلك حرام للأدلة الواردة في ذمّه وذم فاعله، وأنه التيس المستعار الذي لعنه الشارع، ولعن من اتخذه لذلك، ولا تحل بذلك الزواج للزوج الأول ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ أي الزوج الثاني، أو فارقها بموت أو فسخ ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ أي الزوج الأول والمرأة ﴿أَنْ يَتَرَاجَعَا﴾ أي يرجع كل واحد منهما

دَرَجَةً وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فِيمَا سَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَنِ وَلَا يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَقِّ تَنْكِحِ زَوْجًا غَيْرَةً فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيُغْنِ أَجْلُهُنَّ فَاُمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِنَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا

لصاحبه، فلها أن يعقدا الزواج من جديد، وتكون عنده على ثلاث تطليقات ﴿إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ حقوق الزوجية الواجبة لكل منها على الآخر ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ إشارة إلى الأحكام المذكورة.

٢٣١ ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيُغْنِ أَجْلُهُنَّ﴾ أي إذا طلقتم النساء فقاربن آخر العدة ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ من غير قصد لضرار ﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ أي يتركها حتى تنقضي عدتها من غير مراجعة

ضراراً ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا﴾ أي لا لحاجة ولا محبة، ولكن لقصد تطويل العدة، وتوسيع مدة الانتظار، إضراراً وإيذاء للمرأة ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ عرض نفسه للعذاب ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾ فإنها جد كلها، فمن هزل فيها فقد لزمته، نهاهم أن يفعلوا كما كانت الجاهلية تفعل، فإنه كان يطلق الرجل منهم أو يعتق أو يتزوج، ويقول كنت لاعباً. ومن طلق هازلاً فإنه الطلاق يلزمه.

وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ
وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ
شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلِّغْنَ أَجَلَهُنَّ
فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ
بِالْمَعْرُوفِ ۚ ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَلِكَ أَرْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ
لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ * وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ
كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ
رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا
لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ ۚ وَعَلَى الْوَارِثِ
مِثْلُ ذَلِكَ ۚ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۚ وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ

﴿واذكروا نعمت الله عليكم﴾

الإسلام وشرائعه بعد أن كنتم في جاهلية جهلاء، وظلمات بعضها فوق بعض **﴿الكتاب﴾** هو القرآن **﴿والحكمة﴾** هي السنة **﴿يعظكم به﴾** أي يُعلمكم ويخوفكم بما أنزل عليكم.

٢٣٢ **﴿فلا تعضلوهن﴾** الخطاب للأزواج، والعضل: أن يمنعوهن من أن يتزوجن من أردن بعد انقضاء عدتهن، لحمية الجاهلية، كما يقع كثيرا من الخلفاء والسلاطين، غيره على من كنَّ

تحتهم من النساء أن يصرن تحت غيرهم. وقيل: الخطاب للأولياء، نُهي أحدهم أن يمنع بنته أو أخته المطلقة من الرجوع إلى زوجها في عدتها، أو من تزوجها بعد انقضاء عدتها بشروطه كما تقدم **﴿ذلكم أزكى﴾** أي أنقى وأنفع **﴿وأطهر﴾** من الأدناس **﴿والله يعلم﴾** ما لكم فيه الصلاح **﴿وأنتم لا تعلمون﴾** ذلك.

٢٣٣ **﴿والوالدات يرضعن أولادهن﴾** لما ذكر الله النكاح والطلاق ذكر الرضاع، لأن الزوجين قد يفترقان وبينها

ولد **﴿يرضعن﴾** هو خبر في معنى الأمر **﴿حولين﴾** سنتين **﴿كاملين﴾** تحقيقا لا تقريبا، فليس بعد الحولين رضاع **﴿لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾** إرضاع الحولين ليس حتما، بل هو التمام، ويجوز الاقتصار على ما دونه برضى والدي الطفل **﴿وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن﴾** أي على الأب الذي يولد له حقا لأم الولد القائمة بإرضاعه إطعامها وكسوتها، ولهذا ينسبون إليهم دونهن، كأنهن إنما ولدن لهم فقط، وهذا في المطلقات، وأما غير المطلقات فنفتقن وكسوتهن واجبة على الأزواج من غير إرضاعهن لأولادهن **﴿لا تكلف نفسا إلا وسعها﴾** لا تكلف المرأة الصبر على التقدير في الأجرة، ولا يكلف أبو الطفل ما هو إسراف، وما لا يقدر عليه من النفقة، بل يراعى القصد **﴿لا تضار﴾** أي لا تضار الأم الأب بسبب الولد بأن تطلب منه ما لا يقدر عليه من الرزق والكسوة، ولا يضار زوجها بأن يقصر عليها في شيء مما يجب عليه، أو ينتزع ولدها منها بلا سبب **﴿وعلى الوارث مثل ذلك﴾** أي إذا مات الأب كان على وارث هذا الصبي المولود إرضاعه، كما كان يلزم أباه ذلك، وقيل: المراد بالوارث وارث الأب تجب عليه نفقة المرضعة وكسوتها بالمعروف. ويحرم على هذا المنفق من الإضرار بالأم ما كان يحرم على الأب من ذلك **﴿فصلا﴾** الفصال: الفطام عن الرضاع **﴿عن تراض منها﴾** أي صادرا عن تراض من الأبوين إذا كان الفصال قبل الحولين **﴿فلا جناح عليهما﴾** فلا بد لأحد الأبوين إذا أراد فطام الرضيع أن يراضي الآخر ويشاوره حتى يحصل الاتفاق بينها على ذلك **﴿وإن أزلتم أن تسترضعوا أولادكم﴾** أي أن تطلبوا لهم من يرضعهم من النساء سوى أمهاتهم.



فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا
 اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ وَالَّذِينَ يَتَوَقَّوْنَ
 مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ
 وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ
 فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٥﴾
 وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ
 أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ
 لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا
 عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ
 اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
 حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ
 تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ

﴿إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ﴾ لا بأس عليكم أن تسترضعوا أولادكم غير أمهاتهم إذا سلمتم إلى الأمهات أجرهن بحساب ما قد أرضعن لكم إلى وقت الاسترضاع أو إلى المرضعات ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ من أجر أي دون مما طلة أو نقص فإن عدم توفير أجرهن يبعثهن على التساهل بأمر الصبي والتفريط في شأنه. وجواز استرضاع غير الأم مشروط بعدم المضارة بالأم كما في أول هذه الآية.

٢٣٤ لما ذكر سبحانه عدة الطلاق عقب ذلك عدة الوفاة ﴿وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ أي ولهم زوجات، فالزوجات ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ أي عشرة أيام بلياليها، ووجه الحكمة في جعل العدة للوفاة هذا المقدار، أن الجنين يتحرك في الغالب لأربعة أشهر، فزاد الله سبحانه على ذلك عشرا، لأن الجنين ربما يضعف عن الحركة [ورعاية حرمة النكاح الأول] والتربص: التأي والتصبر عن النكاح للصغيرة والكبيرة وذات الحيض والآيسة، عدتهن جميعا للوفاة أربعة أشهر وعشر ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ بانقضاء العدة ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ﴾ من التزين والتعرض للخطاب والتزويج إن أردن ذلك ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ الذي لا يخالف شرعا ولا عادة مستحسنة. وقد استدل بذلك على وجوب الإحداد على المعتدة عدة الوفاة. والإحداد: ترك الزينة من الطيب، ولبس الثياب الجيدة والحلي.

٢٣٥ ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾ المعتدات من وفاة، [أو طلاق ثلاث] والتعريض ضد التصريح، والتعريض: أن يذكر شيئا يدل به على شيء لم يذكره، كما يقول المحتاج: جئتكم لأسلم عليكم، ولأنظر إلى وجهك، والخطبة بالكسر: ما يفعله

الطالب من الطلب، والاستلطاف بالقول والفعل ﴿أَكْنَنْتُمْ﴾ سترتم وأضمرتم من التزويج بعد انقضاء العدة ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾ أي علم الله أنكم لا تصبرون عن النطق لمن برغبتكم فيهن، فرخص لكم بالنسبة للمعتدة من الوفاة [أو طلاق ثلاث] في التعريض دون التصريح ﴿وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ أي لا يقل الرجل لهذه المعتدة تزويجيني، بل يعرض تعريضا ﴿إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ هو ما أبيح من التعريض، كأن يقول لها إنك الجميلة، الطالب من النساء لمن حاجتي ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ﴾ المعنى: ولا تعقدوا عقد النكاح ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾ نهاية العدة. وتحريم عقد النكاح في العدة مجمع عليه، ولا تحل به المرأة. ٢٣٦ ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ أي لا تبعة عليكم من الإثم أو المهر ونحوه إن طلقتم النساء في هذه الحالة ﴿مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ﴾ أي إن طلقتم النساء اللاتي لم تمسوهن، والميسس الجماع ﴿أَوْ تَفْرِضُوا﴾ [تذكروا مقدار المهر] فإن وجد الميسس وجب المسمى أو مهر المثل

قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى
 الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٨﴾ وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ
 وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ
 أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ
 لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ
 بَصِيرٌ ﴿٢٣٩﴾ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى
 وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٤٠﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا
 أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٤١﴾
 وَالَّذِينَ يَتَوَقَّوْنَ مِنْكُمْ أَنْ يَرْجَوْا زَوْجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ
 مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ
 عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ
 حَكِيمٌ ﴿٢٤٢﴾ وَلِلْمُطَلَّقاتِ مَتَعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى

﴿ومتعهن﴾ أي أعطوهن شيئا يكون متاعا لهن، من كسوة أو ذهب أو نحوه، ليكون عوضاً عما فاتهن من المهر **على الموسع قدره وعلى المقتر قدره** والاعتبار في ذلك بحال الزوج، فالمتعة من الغني فوق المتعة من الفقير **بالمعروف** ما عرف في الشرع والعادة الموافقة له حقا واجبا.

٢٣٧ ﴿وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن﴾ أي قبل الدخول بهن **فنصف ما فرضتم** أي فالواجب عليكم نصف ما سميت لهن من المهر **إلا أن يعفون**

أي المطلقات: إلا أن يتركن هذا النصف الذي أوجبه الله لهن على الأزواج، فلا حرج على الأزواج في عدم إعطائهن **أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح** المراد أن يعفو الزوج فيعطيه المهر كاملا، أو لا يسترد منه شيئا بعد الطلاق إن كان قد سلمه لها **وأن تعفوا أقرب للتقوى** هو خطاب للرجال والنساء تغليا، يرغب الله كلا منهما في العفو لصاحبه، ومن عفا منها كان أقرب للتقوى **ولا تنسوا الفضل بينكم** والمعنى: أن الزوجين لا ينسيان

التفضل من كل واحد منها على الآخر، للوصلة التي قد وقعت بينهما.

٢٣٨ ﴿حافظوا على الصلوات﴾

المحافظة: المداومة والمواظبة، وأفرد **الصلاة الوسطى** وهي صلاة العصر [لأن قبلها صلاتين وبعدها صلاتين، وهي في الوسط] **وقوموا لله** أي في صلاتكم، أمرهم فيها بالقيام، أي وقفا على أرجلهم بسكون، وهذا في صلاة الفرض، أما صلاة التطوع فيجوز فيها الجلوس، ويجوز الصلاة على الراحلة ونحوها **قانتين** والقنوت: قيل: هو الطاعة والخشوع.

٢٣٩ ﴿فإن خفتم فرجالاً أو ركباناً﴾

أي في حال شدة الخوف جاز لكم أن يصلي الراكب على دابته، والراجل على رجليه، مستقبلا القبلة، أو دون استقبال، مع الحركة والانتقال، والضرب والكر والفر **فإذا أمنتم** أي إذا زال خوفكم فارجعوا إلى ما أمرتم به من إتمام الصلاة مستقبلين القبلة، قائمين بجميع شروطها وأركانها، وهو قوله **فأذكروا الله كما علمكم** من الشرائع **فما لم تكونوا تعلمون**.

٢٤٠ ﴿متاعا إلى الحول غير إخراج﴾

المعنى: أنه يجب على الذين يتوفون، أن يوصوا قبل نزول الموت بهم لأزواجهم، أن يمتنع بعدهم حولا كاملا، ولا يخرجن من مساكنهن **فإن خرجن** باختيارهن قبل الحول **فلا جناح عليكم** أي لا حرج على الولي والحاكم وغيرها **فما فعلن في أنفسهن** من التعرض للخطاب والتزين لهم **من معروف** أي بما هو معروف في الشرع غير منكر، وفيه دليل على أن النساء كن مخيرات في سكني الحول، وليس ذلك بمحتم عليهن. وقيل السكنى لسنة منسوخة بآيات المواريث. والخروج لا يكون إلا بعد العدة.

الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَلَمَّا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَيَّكُمْ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُنْتُ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا

٢٤١ ﴿وَالْمُطْلَقَاتُ مَتَاعٌ﴾ قيل: المتعة واجبة لكل مطلقة، وقيل: إن هذه الآية شاملة للمتعة الواجبة، وهي متعة المطلقة قبل البناء والفرض، وغير الواجبة وهي متعة سائر المطلقات فإنها مستحبة فقط. وقيل: المراد بالمتعة هنا النفقة. وقال ابن عمر: لكل مطلقة مئة إلا التي تطلقها ولم تدخل بها، كفى بنصف المهر متاعاً.

٢٤٣ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ عن ابن عباس قال: كانوا أربعة آلاف خرجوا فرارا من الطاعون، وقالوا نأتي أرضا ليس بها موت، حتى إذا كانوا بموضع كذا وكذا (قال لهم الله موتوا) فماتوا، فرعاهم نبي من الأنبياء فدعا ربه أن يحييهم حتى يعبدوه فأحياهم ﴿وَهُمْ أُلُوفٌ﴾ كثيرة ﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ الطاعون ﴿فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا﴾ أمر تكوين، فماتوا ﴿ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ جميعا، أما هؤلاء الذين خرجوا فليكونه أحياءهم ليعتبروا، وأما المخاطبون فليكونه قد أرشدهم إلى الاعتبار والاستبصار بقصة هؤلاء، ليعلموا أن الله قادر على كل شيء. والفرض من إيراد هذه القصة تشجيع المسلمين على الجهاد [والمعنى أن الحذر من الموت وترك الجهاد لأجل ذلك لا ينجي من الموت إن أراد الله].

٢٤٥ ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ﴾ لما أمر سبحانه بالقتال والجهاد أمر بالإففاق في ذلك. وإقراض الله مثل لتقديم العمل الصالح الذي يستحق به فاعله الثواب ﴿حَسَنًا﴾ أي طيبة به نفسه من دون من ولا أذى ﴿فَيُضَاعِفُهُ﴾ أي يكثره له وينميه حتى يكون مثل الأصل ﴿أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ﴾ والتوسيع، التقليل في الرزق، والبسط: التوسيع، وفيه وعيد بأن من بخل من البسط يوشك أن يبدل عليه بالقبض ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

فيجازيكم بما قدمتم، وإن بخلتم عاقبكم. عن ابن زيد قال: يَبْصُطُ عليك وأنت ثقيل عن الخروج للجهاد لا تريده، وَيَقْبِضُ عن هذا وهو يطيب نفسا بالخروج ويخف له، فقوة مما بيدك يكن لك الحظ.

٢٤٦ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَلَمَّا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ الملائكة: الأشراف من الناس، ذكر الله سبحانه قصتهم للتحريض على القتال بعد القصة المتقدمة [وكانت الجبابرة قد تسلطت على بني إسرائيل وبعثهم بالملك والسيطرة] واستولت

الأمم على ديارهم ﴿مَنْ بَعْدَ مُوسَى﴾ أي بعد وفاته ﴿لِنَبِيِّهِمْ﴾ قيل هو صمويل ﴿أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا﴾ نرجع إليه ونعمل على رأيه و﴿نُقَاتِلُ﴾ معه ﴿فَلَمَّا كُنْتُ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ﴾ فرض ﴿تَوَلَّوْا﴾ لاضطراب نياتهم وفتور عزائمهم.

٢٤٧ ﴿وَقَالَ لَهُمُ نَبِيُّهُمْ﴾ وهو صمويل ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ يستره لكم وأمركم بطاعته والقتال معه. قيل: إن طالوت لم يكن من سبط النبوة، وهم بنو لاوى، ولا من سبط الملك، وهم بنو يهوذا، فلذلك ﴿قَالُوا أَنَّى

إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَأَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمُ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ

التابوت بين أيديهم» **﴿سكينة﴾** السكينة من السكون، وهي الوقار والطمأنينة، أي: فيه سبب سكون قلوبكم فيما اختلفتم فيه من أمر طالوت [وثبات نفس عند اللقاء مع الأعداء] **﴿وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون﴾** هي عصا موسى ورُضاض الألواح التي كتبت فيها التوراة أول مرة، وقيل غير ذلك. قيل: والمراد بآل موسى وهارون هما أنفسهما، أي بما ترك هارون وموسى.

٢٤٩ **﴿فصل﴾** خرج بهم عن البلد،

﴿ينهر﴾ قيل هو بين الأردن وفلسطين.

والمراد بهذا الابتلاء اختبار طاعتهم، فن أطاع في ذلك الماء أطاع فيما عداه، ومن عصى في هذا وغلبته نفسه فهو بالعصيان في سائر الشدائد أخرى. ورخص لهم في الغُرْفَة ليرتفع عنهم أذى العطش بعض ارتفاع، وليكسروا نزاع النفس في هذه الحال **﴿فليس مني﴾** أي ليس من أصحابي **﴿ومن لم يطعمه﴾** أي ومن لم يذقه **﴿إلا من اغترف غرفة بيده﴾** الاغتراف الأخذ من الماء باليد أو بالة، الغُرْفَة قيل هي ما كان بالكف الواحدة.

وقيل بالكفين معاً **﴿فشربوا منه﴾** وعصوا ملكهم فلم يأذن لهم بالسير معه للقاء العدو **﴿إلا قليلاً﴾** كانوا بعدد أهل بدر، ثلاثمائة وبضعة عشر كما في صحيح البخاري وغيره. وروى ابن جرير عن البراء بن عازب قال: كتنا نتحدث أن أصحاب محمد الذين كانوا يوم بدر ثلاثمائة وبضعة عشر على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر، وما جاوزه إلا مؤمن. وقال السُّدِّي: كان الجيش ثمانين ألفاً، فشرب من النهر ستة وسبعون ألفاً وتبقى معه أربعة آلاف. [ومع هذا الاختبار لصبرهم وطاعتهم فإن الذين جاوزوا النهر عندما واقفوا العدو لم يثبتوا كل الثبات]

﴿والله يؤتي ملكه من يشاء﴾ فالملك

ملكه، والعبيد عبيده، فإلى لكم والاعتراض على شيء ليس هو لكم ولا أمره إليكم **﴿واسع﴾** أي واسع الفضل، **﴿عليم﴾** بمن يستحق الملك ويصلح له.

٢٤٨ **﴿التابوت﴾** عن ابن عباس:

«كانت العماليق قد سبوا التابوت من بني إسرائيل، فجاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والأرض وهم ينظرون إليه حتى وضعت عند طالوت، فلما رأوا ذلك قالوا: نعم، فسلموا له وملكوه، وكانت الأنبياء إذا حضروا قتالا قَدَّمُوا

يكون له الملك علينا» أي كيف ذلك

ولم يكن من بيت الملك، ولا هو ممن أوتي سعة من المال، حتى نتبعه لشرفه أو لماله **﴿اصطفاه عليكم﴾** أي اختاره، واختيار الله هو الحجة القاطعة **﴿وزاده بسطة في العلم﴾** الذي هو مِلَاكُ

الإنسان ورأس الفضائل، وأعظم وجوه الترجيح، وزاده بسطة في **﴿الجسم﴾** الذي يظهر به الأثر في الحروب ونحوها، فكان قويا في دينه وبدنه [وحسن تدبيره أمر الحرب] وذلك هو المعبر، لا شرف النسب. فإن فضائل النفس مقدمة عليه

ءَامَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ
 قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ
 غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾
 وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا
 وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾
 فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ
 وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ
 بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى
 الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ
 وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾ * تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ
 عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ۚ
 وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ

﴿فلما جاوزوه﴾ أي جاوز النهر طالوت
 ﴿والذين آمنوا معه﴾ وهم القليل الذين
 أطاعوه، ولكنهم اختلفوا في قوة البقين،
 فبعضهم قال ﴿لا طاقة لنا﴾ و﴿قال
 الذين يظنون﴾ أي يتيقنون ﴿أنهم
 ملاقوا الله﴾ و﴿فئة﴾ الفئة: الجماعة
 ﴿والله مع الصابرين﴾ أي إن النصر مع
 الصبر وليس بكثرة العدد.

٢٥٠ ﴿برزوا﴾ صاروا في البراز وهو
 المتسع من الأرض ﴿جالوت﴾ جالوت:
 أمير العمالقة ﴿قالوا ربنا أفرغ علينا
 صبراً﴾ أي أكثر لنا منه ﴿وثبت
 أقدامنا﴾ عبارة عن القوة وعدم الفشل،
 وعدم الركون إلى الفرار ﴿وانصرونا على
 القوم الكافرين﴾ هم جالوت وجنوده،
 أي أعنا عليهم حتى نغلبهم.

٢٥١ ﴿فهزمهم بإذن الله﴾ أي بأمره
 وإرادته ﴿وقتل داود جالوت﴾ هو داود
 ابن إيشا، جمع الله له بين النبوة والملك
 بعد أن كان راعياً، اختاره طالوت لمقاتلة
 جالوت فقتله ﴿وآتاه الله الملك﴾ اختاره
 له وكان ذلك أثناء حياة طالوت
 و﴿الحكمة﴾ هنا النبوة و﴿وعلمه مما
 يشاء﴾ مما قضت به مشيئته، قيل: إن
 من ذلك تعليمه صنعة الدروع و﴿ولولا
 دفع الله الناس بعضهم﴾ هم الذين

يباشرون أسباب الشر والفساد و﴿بعض﴾
 آخر منهم، وهم الذين يكفونهم عن ذلك
 [بالجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن
 المنكر] ويردونهم عنه و﴿لفسدت
 الأرض﴾ أي لتغلب أهل الفساد عليها
 بإحداثهم للشرور التي تهلك الحرث
 والنسل.

٢٥٢ ﴿آيات الله﴾ ما اشتملت عليه
 هذه القصة و﴿بالحق﴾ الخبر الصحيح الذي
 لا ريب فيه و﴿وانك﴾ يا محمد ﴿لأمر
 المرسلين﴾ إخبار بأنه من جملة رسل الله
 سبحانه، تقوية لقلبه وثبته لجناحه

وتشييداً لأمره.

٢٥٣ ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على
 بعض﴾ جعل لبعضهم من مزايا الكمال
 فوق ما جعله للآخر، وحديث أبي هريرة
 مرفوعاً بلفظ «لا تفضلوني على الأنبياء»
 قال محمد ﷺ ذلك على سبيل التواضع
 مع علمه أنه أفضل الأنبياء، كما يدل
 عليه قوله «أنا سيد ولد آدم» [ولكن لا
 ينبغي أن نقول: محمد أفضل من موسى
 أو عيسى على التعيين، للحديث المذكور]
 ﴿منهم من كلم الله﴾ وهو موسى ونبينا
 سلام الله عليهما. وهذا من تفضيل الله

لها و﴿ورفع بعضهم درجات﴾ وهم من
 عظمت منزلته عند الله سبحانه من
 الأنبياء، ويحتمل أن يراد به نبينا ﷺ
 لكثرة مزاياه، ويحتمل أن يراد به إدريس
 رفعه مكاناً علياً، وقيل: إنهم أولو العزم
 و﴿وآتيناه عيسى بن مريم البينات﴾ وهذا
 من تفضيل الله له من إحياء الأموات،
 وإبراء المرضى، وغير ذلك، قوله و﴿وأيّدناه
 بروح القدس﴾ تقدم بيانه (آية ٨٧).

﴿من بعدهم﴾ أي من بعد الرسل،
 وقيل: من بعد موسى وعيسى ومحمد
 و﴿ولكن اختلفوا﴾ اختلفت أمم الأنبياء



وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ
الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَنَهُمُ مِنَ الْأَمْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٢﴾
يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ
يَوْمٌ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفِيعَةٌ وَالْكَافِرُونَ
هُمْ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٣﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ
لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ
وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا
وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٤﴾ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ
الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ

بعضهم مع بعض من بعدهم حتى اقتتلوا، وصاروا مللاً مختلفاً **﴿فَنَهُمُ مِنْ آمْنٍ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾** عدم اقتتالهم بعد هذا الاختلاف **﴿مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾** لارادة الحكمة، ولا مبدل لقضائه، فهو يفعل ما يشاء.

﴿٢٥٤﴾ ﴿أَنْفِقُوا﴾ في سبيل الله ما دمت قادرين لتدخروا لأنفسكم ما فيه لكم النفع يوم القيامة **﴿مَنْ قَبْلُ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَبِيعُ فِيهِ﴾** فتشترى ما فيه نجاتكم **﴿وَلَا خُلَّةٌ﴾** صداقة ومحبة، ولا شفاعة مؤثرة إلا لمن أذن الله له **﴿وَالْكَافِرُونَ هُمْ**

الظالمون﴾ إذ كذبوا الرسل وعصوا النُّور. **﴿٢٥٥﴾ ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾** أي لا معبود بحق إلا هو **﴿الْحَيُّ﴾** خلاف الميت، وله تعالى الحياة الكاملة لا يزول ولا يحول **﴿الْقَيُّومُ﴾** القائم بتدبير الخلق وحفظه **﴿سِنَّةٌ﴾** النعاس: وهو ما يتقدم النوم من الفتور وانطباق العينين **﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾** لا أحد من عباده يقدر أن ينفع عند الله أحداً منهم بشفاعة أو غيرها ما لم يأذن الله للشفيع أن يشفع **﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾** قدامهم من الآخرة **﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾** من

الدنيا **﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾** ورد عن ابن عباس: كرسية علمه. ورجحه الطبري. وورد عنه: الكرسي موضع القدمين. والله أعلم بمراده به. **﴿وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾** معناه: لا يشغل على الله تعالى حفظهما ولا يناله منه أدنى مشقة **﴿الْعَلِيُّ﴾** العالي عن خلقه بارتفاعه عنهم وقدرته عليهم، وهو القاهر الغالب. وتسمى هذه الآية آية الكرسي، وورد في السنة الصحيحة أنها أعظم آية في القرآن. عن أبي بن كعب أن النبي ﷺ سأل «أي آية من كتاب الله أعظم؟» قال: آية الكرسي، قال: ليهنك العلم أبا المنذر». وعن أسماء بنت يزيد بن السكن قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول في هاتين الآيتين: «اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، وآلم الله لا إله إلا هو: إن فيها اسم الله الأعظم».

﴿٢٥٦﴾ ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ أي لا يجبر أحد من الناس على الدخول في الإسلام إذا أدى الجزية. وقيل: إن الأنصار قالوا: إنما جعلنا أولادنا على دين اليهود، ونحن نرى أن دينهم أفضل من ديننا، وإن الله جاء بالإسلام فلنكرهتهم، فلما نزلت خير الأبناء رسول الله ﷺ ولم يكرههم على الإسلام **﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾** الرشد هنا: الإيمان، والغبي: الكفر، أي قد تميز أحدهما من الآخر **﴿بِالطَّاغُوتِ﴾**: الكاهن، والشيطان، والصنم، وكل رأس في الضلال **﴿وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾** بعدما تميز له الرشد من الغبي **﴿فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾** [العروة: طرف الجبل إذا ربط على هيئة الحلقة، يمسك بها من ينزل في بئر أو يصعد منها، والمراد بها: هنا وسيلة النجاة] والوثق: شديدة الربط لا أوثق منها **﴿لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾** أي لا انحلال لها فلا يهلك المتعلق بها بل يصل بتمسكه بها إلى الجنة، ولا ينقطع عن الجنة إلا من لم يتمسك بها.

أَسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ ءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيَا وَمِيتٌ ۖ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمَسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ

٢٥٧ ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ناصرهم ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ من الشبه المضلة والجهل وعبادة الطواغيت إلى العلم والهداية والإيمان ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾ أولياؤهم هنا: أئمة الكفر وفلاسفته، يأمرهم ويزينون لهم الكفر والإلحاد، فيخرجونهم من النور — الذي هو فطرة الله التي فطر الناس عليها، وما جاء به أنبياء الله تعالى من الدعوة إلى العقائد الصادقة، والشرائع الصالحة — إلى ظلمات الكفر.

٢٥٨ ﴿الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ قيل: إنه النمرود، وكان ملكا بالعراق ﴿أَن آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ أبطره وأورثه الكبر والعتو، فحاج ذلك ﴿قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ﴾ عن ابن عباس: أتى برجلين فقتل أحدهما وعفا عن الآخر، وادّعى أنه أحيا وأمات. وذلك مغالطة، لأن إبراهيم أراد أن الله هو الذي يخلق الحياة والموت في الأجساد، وأراد الكافر أنه يقدر أن يعفو عن القتل، فيكون ذلك إحياء، وعلى أن يقتل فيكون ذلك إماتة، فكان هذا جوابا أحق لا يصح نصبه في مقابلة حجة إبراهيم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمَسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ أتاه إبراهيم بهذه الحجة التي لا تجري فيها المغالطة، ولا يتيسر للكافر أن يخرج عنها بمخرج مكابرة ومشغبة ﴿فَبُهِتَ﴾ انقطع وسكت متحيراً.

٢٥٩ ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ هو عُزَيْرٌ من أنبياء بني إسرائيل، مرَّ على قرية من أرض بيت المقدس بعد تخريب بُخْتَنْصَرُهَا، وقيل: المراد بالقرية أهلها ﴿خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ العروش: السقوف، سقطت السقوف ثم سقطت الحيطان عليها. وقيل: معناه خالية من الناس، والبيوت قائمة ﴿أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ﴾ استبعاد لإحيائها وهي على تلك

الحالة المشابهة لحالة الأموات، استبعد إحياءها بالعمارة لها والسكون فيها، وقيل: المراد إحياء أهلها ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ ضرب له المثل في نفسه ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتَ﴾ أي قال الله تعالى له بعد بعثه: كم مدة بقائك ميتاً؟ ﴿يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ قال هذا بناء على ما عنده، وفي ظنه [ظن أنه نام نومة]. ﴿قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ﴾ ميتاً ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ لم يتغير مع طول المدة بقدرة الله ﴿وَانْظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾ كيف تفرقت أجزاؤه، ونحرت عظامه ﴿وَلَنَجْعَلَ لَكَ آيَةً﴾ للناس دلالة على البعث بعد الموت، وقيل: موضع كونه آية هو أنه جاء شاباً على حاله يوم مات، فوجد أبنائه وحفدته شيوخاً ﴿وَانْظُرْ إِلَىٰ الْعِظَامِ كَيْفَ نَنشُرُهَا﴾ أي نرفع بعضها إلى بعض ﴿ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾ أي نسترها به، فأول ما خلق الله عيناه، فجعل ينظر إلى عظامه ينضم بعضها إلى بعض، ثم كسيت لحماً، ثم نفخ فيه الروح ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾ أي لما اتضح له عياناً ما كان مستبعداً في قدرة الله عنده قبل عيانه ﴿قَالَ أَعْلَمُ﴾ معناه: أعلم هذا الضرب من العلم الذي لم أكن

فَإَنْظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهٗ ۖ وَانْظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ
وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِلنَّاسِ ۖ وَانْظُرْ إِلَىٰ الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا
ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۖ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ ۖ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُنْخِ
الْمَوْتِ ۖ قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَبْطِئَنَّ قَلْبِي
قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ
كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ أَدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۖ وَاعْلَمْ
أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أُنْبِتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ
سُنْبُلَةٍ مِّائَةٌ حَبَّةٌ ۖ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ۖ وَاللَّهُ وَسِعُ
عِلْمُ ﴿٢٦١﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ
مَآ أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ

كلمة الله **﴿كمثل حبة﴾** أي كمثل زارع حبة، والمراد بالسبع السنابل: هي التي تخرج في ساق واحد، يتشعب منه سبع شعب، في كل شعبة سنبله **﴿والله يضاعف لمن يشاء﴾** يضاعف السبعمائة أضعافا كثيرة، لمن راعى ما دلت عليه الآيات التالية من الآداب، إذا أنفق لرفع كلمة الله. وقد ورد القرآن أن الحسنة بعشر أمثالها، واقتضت هذه الآية بأن نفقة الجهاد حسنتها بسبعمائة ضعف، فتكون العشرة الأمثال فيما عدا ذلك [روى الإمام أحمد عن عياض بن غطيف قال: دخلنا على أبي عبيدة نعوذ من شكوى أصابته بجنبه، وامرأته قاعدة عند رأسه. قلنا: كيف بات أبو عبيدة؟ قالت: والله لقد بات بأجر. قال أبو عبيدة: ما بث بأجر. وكان مقبلاً بوجهه على الحائط. فأقبل على القوم بوجهه وقال: ألا تسألوني عما قلت؟ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من أنفق نفقة فاضلة في سبيل الله فبسبعمائة، ومن أنفق على نفسه، أو عاد مريضاً، أو مازأذى فالحسنة بعشر أمثالها، والصوم جنة مالم يخرقها، ومن ابتلاه الله عز وجل ببلاء في جسده فهو له حطة.»]

٢٦٢ **﴿ثم لا يتبعون ما أنفقوا منّا ولا**

أذى﴾ المن: التحدث بما أعطى حتى يبلغ ذلك الآخذ فيؤذيه، والمن من الكبائر، والأذى: السب والتطاول **﴿عند ربهم﴾** فيه تأكيد وتشريف **﴿ولا خوف عليهم﴾** في الدارين **﴿ولا هم يحزنون﴾** يفيد دوام انتفاء الحزن عنهم [روى مسلم عن أبي ذر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: المنافق الكاذب، والمسلم المزور، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب].

قال: «ما في القرآن عندي آية أرجى منها» **﴿فخذ أربعة من الطير فصرهنَّ إليك﴾** أي اجمعهن إليك، ثم قطع كل واحد منهن قطعاً **﴿ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً﴾** أي ثم اجعل على كل جبل من كل واحد منهن جزءاً **﴿سعيًا﴾** المراد به: الإسراع في الطيران، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: وضعت على سبعة أجبل، وأخذ الرؤوس بيده، فجعل ينظر إلى القطرة تلقى القطرة، والريشة تلقى الريشة، حتى صرن أحياء.

٢٦١ **﴿في سبيل الله﴾** في الجهاد لإعلاء

علمته، وهو طمأنينة القلب. ٢٦٠ **﴿أرني﴾** لم يرد رؤية القلب، وإنما أراد رؤية العين، لتحصل له الطمأنينة **﴿أولم تؤمن﴾** بآني قادر على الإحياء حتى تسألني إراءته **﴿قال بلى﴾** علمت وآمنت بأنك قادر على ذلك **﴿ولكن﴾** سألت **﴿ليطمئن قلبي﴾** باجتماع دليل العيان إلى دلائل الإيمان. ولم يكن شاكاً في إحياء الموتى قط، وإنما طلب المعاينة لما جبلت عليه النفوس من الاطمئنان إلى رؤية ما أخبرت عنه، ولهذا قال النبي ﷺ «ليس الخبر كالمعاينة». عن ابن عباس أنه



عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٣﴾ * قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ
مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٤﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ
مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَنُفِلَ
كَمَلٌ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا
لَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٥﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ
مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا
وَابِلٌ فَفَاعَتَتْ أَكْلَهَا ضَعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٦﴾ أَيُّودٌ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ
جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فِيهَا مِنْ
كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا

٢٦٣ قول معروف من المستول للسائل، وهو التأنيس والترجية بما عند الله، والرد الجميل خير من الصدقة التي يتبعها أذى. والمراد بالمغفرة: الستر لسوء حالة المحتاج، والعفو عن السائل إذا صدر منه من الإلحاح ما يكدر صدر المستول.

٢٦٤ لا تبطلوا صدقاتكم الإبطال للصدقات: إذهاب أثرها وإفساد ثوابها، فالمن يبطلها والأذى والرياء **كالذي** أي لا تبطلوا مشابهن للذي **ينفق ماله رثاء الناس** أي ينفق مرثيا لا يقصد بذلك وجه الله وثواب الآخرة، بل يفعل ذلك لمجرد أن يراه الناس، استجلابا لشنائهم عليه ومدحهم له **فنل كمثل صفوان** الصفوان: الحجر الكبير الأملس **عليه تراب فأصابه وابل** والوابل: المطر الشديد **فتركه صلدا** أصابه وابل من المطر أذهب عنه التراب، وبقي أجرد نقيا، فكذلك هذا المرائي، فإن نفقته لا تنفعه [بثواب، ولم يبق ماله، كالصخر لم يُنسب ولم يبق عليه ترابه] **لا يقدر على شيء مما كسبوا** [أي لا يقدر المتان والمؤذي والمرائي على الحصول على أجر ما أنفقوه، ولا على استرجاعه بعد إنفاقه. وهم قد تعبوا في اكتسابه من قبل].

٢٦٥ وتثبيتا من أنفسهم يشتون من أنفسهم يبذل أموالهم على الإيمان وسائر العبادات رياضة لها وتدريباً وتمريناً. قال الحسن: كان الرجل إذا هم بصدقة تثبت: فإن كان لله أمضاه، وإن كان لغير ذلك أمسك، وقيل معناه: إن أنفسهم لها بصائر، فهي تثبتهم على الإنفاق في طاعة الله تثبيتاً، فإنهم عند التصديق ينظرون، فإن كانت لله أمضوها، وإلا أمسكوا **كمثل جنة** الجنة: البستان، تنبت فيها الأشجار حتى تغطيها **بربوة** الربوة: المكان المرتفع

ارتفاعاً يسيراً، لأن نباتها يكون أحسن من غيره، مع كونه لا يصطلمه البرد في الغالب، للطافة هوائه بهبوب الرياح الملطفة له. والوابل: المطر الشديد كما تقدم **فأتت أكلها ضعفين** مثلي ما كانت تثمر، بسبب الوابل [وهكذا المؤمن إذا أكثر الله له الخير أكثر من الصدقة ابتغاء وجه الله، وإذا أصابه من الخير قليل فإنه يبذل من صدقته ولا يقطعها]. ونفعها عند الله كثير بعد أن يطلب بها وجه الله ولو كانت قليلة **فطل** أي فإن الطل يكفيها: وهو المطر الضعيف المستدق القطر.

٢٦٦ تجري من تحت الأنهار أي من تحت أشجارها، وخص النخيل والأعناب بالذكر مع قوله **وله فيها من كل الثمرات** لكونها أكرم الشجر **وأصابه الكبر** وكبر السن هو مظنة شدة الحاجة، لما يلحق صاحبه من العجز عن تعاطي الأسباب **وله ذرية ضعفاء** فإن من جمع بين كبر السن وضعف الذرية كان تحسره على تلك الجنة في غاية الشدة، [إذ ليس له قوة فيعيد غرس بستانه حتى يعود كما كان، وليس عند ولده قدرة].

إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ
لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا
مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ
وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ
تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ الشَّيْطَانُ
يَعِدُّكُمْ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ
وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَسِعُ عِلْمٍ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ
وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا
أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ
فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِنْ تَبَدُّوا
الْصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُوتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ
خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ

﴿إِعْصَارٌ﴾ الإعصار: الريح الشديدة التي تهب من الأرض إلى السماء كالعمود، وهي التي يقال لها الزوبعة، فإذا كانت فيه نار أتت على الشجر وأحرقته. وهذه الآية تمثيل لمن يعمل خيرا، ويضم إليه ما يحبطه - فيجده يوم القيامة عند شدة حاجته إليه لا يسمن ولا يغني من جوع - بحال من له هذه الجنة الموصوفة، وهو متصف بتلك الصفة.

﴿٢٦٧﴾ ﴿مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ من جيد ما كسبتم ومختاره وحلاله ﴿وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ وهي الثمار والحبوب

والبقول والمعادن والركاز ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ﴾ أي لا تقصدوا المال الرديء ﴿مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾ أي لا تخلصوا الخبيث بالإنفاق ﴿وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ﴾ أي والحال أنكم لا تأخذونه في معاملاتكم في وقت من الأوقات ﴿إِلَّا أَنْ تَغْمِضُوا فِيهِ﴾ أي لو وجدته أحدكم في السوق يباع، أو لو أن أحدكم أهدي إليه مثل ما أعطى، لم يأخذه إلا على إغماض وحياء.

﴿٢٦٨﴾ ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمْ الْفَقْرَ﴾ يخوفكم الفقر لئلا تنفقوا ﴿بِالْفَحْشَاءِ﴾ المعاصي والإنفاق فيها والبخل عن الإنفاق في

الطاعات، والفاحش عند العرب: البخل، لشدة قبح البخل عندهم ﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ﴾ المغفرة: الستر على عباده في الدنيا والآخرة لذنوبهم ﴿وَفَضْلًا﴾ الفضل: أن يخلف عليهم أفضل مما أنفقوا، فيوسع لهم في أرزاقهم، وينعم عليهم في الآخرة بما هو أفضل وأكثر وأجل وأجل.

﴿٢٦٩﴾ ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ﴾ هي العلم، وقيل: الفهم للأمور، ومن أولها علم القرآن وقيل الإصابة في القول.

﴿٢٧٠﴾ ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ﴾ أي فإن الله يعلمها ويجزيكم عليها ﴿أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ﴾ النذر: التزام الإنسان طاعة الله لم يلزمه بها فتجب عليه بذلك ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا﴾ فيه معنى الوعد والوعيد ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ أي لا نصير للظالمين أنفسهم بما وقعوا فيه من الإثم لمخالفة الأمر بالإنفاق والوفاء بالنذر.

﴿٢٧١﴾ ﴿إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ أي إن تظهروا الصدقات، فذلك شيء حسن ﴿وَأِنْ تُخْفُوهَا﴾ تخرجوها سرا وتصيبوا بها مصارفها من الفقراء فالإخفاء خير لكم. وذلك في صدقة التطوع لا في صدقة الفرض، فلا فضيلة للإخفاء فيها، بل قد قيل إن الإظهار فيها أفضل ﴿وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ بصدقة

السر وصدقة العلانية. في الصحيحين عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه، ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه.»

خَيْرٌ ﴿٢٧١﴾ * لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي
مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا تُنْفِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ
إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوفَّ إِلَيْكُمْ
وَأَنْتُمْ لَا تظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ
اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ
أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ
إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾
الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ
أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾
الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي
يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا
الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ

٢٧٢ ﴿ليس عليك هداهم﴾ أي ليس
بواجب عليك أن تجعلهم مهديين قابلين
لما أمروا به ونهوا عنه ﴿ولكن الله يهدي
من يشاء﴾ هداية توصله إلى المطلوب
﴿من خير﴾ كائننا ما كان فتنعه عائد
إليكم لا ينفع الله شيئا ﴿وما تنفقون إلا
ابتغاء وجه الله﴾ بين أن النفقة المعتد بها
المقبولة إنما هي ما كان لا ابتغاء وجه الله
﴿يوف إليكم﴾ أجره وثوابه على الوجه
الذي تقدم ذكره من التضعيف.

٢٧٣ ﴿للفقراء﴾ أي اجعلوا ذلك للفقراء
﴿الذين أحصروا في سبيل الله﴾ بالغزو
أو الجهاد ﴿لا يستطيعون ضرباً في
الأرض﴾ للتكسب بالتجارة والزراعة،
ونحو ذلك بسبب انشغالهم بشأن الجهاد
وحصر أنفسهم له، أو هجرتهم ليكونوا في
طاعة الله ورسوله كأهل الصفة ﴿بحسبهم
الجاهل أغنياء﴾ لكونهم متعفين عن
المسألة، وعن إظهار المسكنة، بحيث
يظنهم الجاهل بهم أغنياء، أما الحكيم
فيرفهم بعلاماتهم ﴿تعرفهم بسيماهم﴾
بضعف أبدانهم، وكل ما يشعر بالفقر
والحاجة ﴿لا يسألون الناس إلحافاً﴾ أي
ليسوا كغيرهم ممن يسأل الناس إلحافاً،
بل هم لا يسألونهم البتة، لا سؤال
إلحاح، ولا سؤال غير إلحاح لتعففهم.

٢٧٤ ﴿بالليل والنهار﴾ لزيادة رغبتهم في
الإنفاق، وشدة حرصهم عليه، حتى أنهم
لا يتركون ذلك ليلاً ولا نهاراً، ويفعلونه
سراً وجهراً، عند أن تنزل بهم حاجة
المحتاجين ﴿فلهم أجرهم﴾.

٢٧٥ ﴿الذين يأكلون الربا﴾ غالب ما
كانت تفعله الجاهلية أنه إذا حل أجل
الدين قال من هو له: لمن هو عليه:
أتقضي أم تربى؟ فإذا لم يقض زاد مقدراً
في المال الذي عليه، وأخر له الأجل إلى
حين، وهذا حرام بالاتفاق، وهذا الوعيد
لمن يأكله، وألحق الحديث بالآكل غيره،

قال النبي ﷺ «لعن الله آكل الربا
وموكله وكاتبه وشاهديه، وقال: هم
سواء» ﴿لا يقومون﴾ أي يوم القيامة
﴿يتخبطه الشيطان من المس﴾
كالمصروع، قالوا: إنه يبعث كالمجنون
عقوبة له وتقيتاً عند أهل المحشر، لأن
الحرص والطمع والرغبة في الجمع قد
استفزته في الدنيا حتى صار شبهاً في
حركته بالمجنون، والخبط: الضرب بغير
استواء كخبط العشواء وهو المصروع،
والمس: الجنون كذا حالهم وعقوبتهم
بسبب قولهم ﴿إنما البيع مثل الربا﴾ أي
أنهم جعلوا البيع والربا شيئاً واحداً،
[أي لأن الإنسان يربح في هذا كما
يربح في هذا] ﴿وأحل الله البيع وحرم
الربا﴾ أي هذا هو الفرق بينهما، أي أن
الله أحل البيع وحرم نوعاً من أنواعه،
وهو البيع المشتمل على الربا. [وإنما
أجابهم بهذا الجواب لقطع مشاغبتهم
وفصل الكلام معهم، فإن شأن المؤمن أن
يطيع الله فيما أمره ونهاه دون جدال، وإلا
فإن مفسد الربا ومحاسن البيع والتجارة
مما لا يحق فكيف يقولون: البيع مثل
الربا؟]

[الربا؟]

٢٧٨ ﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾

واتركوا البقايا التي بقيت لكم من الربا، وظاهره أنه أبطل من الربا ما لم يكن مقبوضاً **﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾** على الحقيقة، فإن ذلك يستلزم امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه.

٢٧٩ ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ ما أمرتم به من

الاتقاء وترك ما بقي من الربا **﴿فَأَذِنُوا﴾** بحرب من الله **﴿ورسوله﴾** فعل إمام المسلمين أن يعلن عليهم الحرب حتى يتركوا. عن ابن عباس قال: من كان منقياً على الربا لا ينزع منه، فحق على إمام المسلمين أن يستيبه، فإن نزع وإلا ضرب عنقه. وقد دلت هذه الآية على أن أكل الربا والعمل به من الكبائر **﴿وإن تبتم﴾** أي من الربا **﴿فلكم رؤوس أموالكم﴾** تأخذونها **﴿لا تظلمون﴾** غرماءكم بأخذ الزيادة **﴿ولا تظلمون﴾** أنتم من قبلهم بالمطل والنقص.

٢٨٠ ﴿وإن كان ذو عسرة﴾ أي إن

كان المدين معسراً لا يجد مالاً يوفي به دينه **﴿فنظرة إلى ميسرة﴾** والنظرة: التأخير، والميسرة بمعنى اليسر ووجود المال، وهي عامة في جميع من عليه دين **﴿وأن تصدقوا﴾** على المعسر من غرمائكم بالإبراء بإسقاط الدين عن المدينين المعسرين خير من مطالبتهم في الحال، وخير من إنظارهم إلى أجل.

٢٨١ ﴿واتقوا يوماً﴾ هو يوم القيامة

﴿ترجعون فيه إلى الله﴾ هو يوم الموت. عن ابن عباس قال: آخر آية نزلت من القرآن على النبي ﷺ (واتقوا يوماً) ترجعون فيه إلى الله) وكان بين نزولها وبين موت النبي ﷺ واحد وثلاثون يوماً، وعن النبي ﷺ قال: كان تاجر يداين الناس، فإذا رأى معسراً قال لفتيانه: تجاوزوا عنه لعل الله يتجاوز عنا فتجاوز الله عنه.

جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ، فَأَنْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَآتَقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَآتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ

الصدقات﴾ أي يزيد في المال الذي أخرجت صدقته، وبارك في ثوابها وبضاعفه، ويزيد في أجر المتصدق **﴿والله لا يحب كل كفار أثيم﴾** لأن الحب مختص بالتوابين. وفيه تشديد وتغليظ عظيم على من أرى وقال تلك المقالة، حيث حكم عليه بالكفر، قال النبي ﷺ: «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب - ولا يقبل الله إلا طيباً - فإن الله يقبلها بيمينه، ثم يربها لصاحبها كما يربى أحدكم فلوله، حتى تكون مثل الجبل».

﴿فإن جاءه موعظة من ربه﴾ منها ما وقع هنا من النهي عن الربا **﴿فأنتهى﴾** أي فامتثل وانزجر **﴿فله ما سلف﴾** أي ما تقدم منه من الربا لا يؤاخذ به، لأنه فعله قبل أن تنزل آية تحريم الربا **﴿وأمره إلى الله﴾** في العفو عنه وإسقاط التبعة فيه **﴿ومن عاد﴾** إلى أكل الربا والمعاملة به، وقيل: عاد إلى القول بأن البيع مثل الربا **﴿فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾** خالد أي طويل البقاء.

٢٧٦ ﴿يمحق الله الربا﴾ أي يذهب بركته في الدنيا وإن كان كثيراً **﴿ويربي﴾**

وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ
بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكُنْ بِدَيْنِكُمْ
كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ
فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ
وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا
أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ
وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ
فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ
إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ
إِذَا مَادُّعُوا وَلَا تَسْمَعُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا
إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى
أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ بَحْرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بِيَدِكُمْ

٢٨٢ ﴿إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ﴾ العين عند العرب ما كان حاضرا، والدين ما كان غائبا ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وقد استدل به على أن الأجل المجهول لا يجوز وخصوصا أجل السلم ﴿فاكْتُبُوهُ﴾ أي الدين بأجله، لأنه أدفع للنزاع وأقطع للخلاف ﴿وليكُتِبْ بينكم كاتب بالعدل﴾ أمر للمتدائنين باختيار كاتب لا يكون في قلبه ولا قلمه هوادة لأحدهما على الآخر، بل يتحرى الحق بينهم والمعدلة فيهم ﴿ولاباب كاتب﴾ لا يمتنع أحد من الكتاب أن يكتب كتاب التداين ﴿كما علمه الله﴾ أي على الطريقة التي علمه الله من الكتاب، أو كما علمه الله بقوله بالعدل ﴿وليمل الذي عليه الحق﴾ هو من عليه الدين، أمره الله تعالى بالإملاء، لأن الشهادة إنما تكون على إقراره بشبوت الدين في ذمته، وأمره الله بالتقوى فيما يمليه على الكاتب، ونهاه عن البخس وهو النقص، وقيل: إنه نهي للكاتب ﴿فإن كان الذي عليه الحق سفيهاً﴾ والسفيه: هو سيء التصرف ﴿أو ضعيفاً﴾ الضعيف هو: الشيخ الكبير، أو الصبي، أو مذهب العقل، والذي لا يستطيع أن يمل ﴿هو الآخر﴾، أو العبي الذي لا يقدر على التعبير كما ينبغي ﴿فليمل وليه بالعدل﴾ أي يمل عن المذكورين من الضعفاء أولياؤهم وأوصياؤهم ﴿واستشهدوا شهيدين من رجالكم﴾ أي اطلبوا رجلين مسلمين يشهدان على كتاب الدين. والإشهاد على المداينة واجب بهذه الآية. وقيل: إنه مندوب ﴿فإن لم يكونا﴾ أي الشاهدان ﴿رجلين فرجل وامرأتان﴾ أي فليشهد رجل وامرأتان، وهذا أقل نصاب في الشهادة في المعاملة ﴿ممن ترضون من الشهداء﴾ أي ممن ترضون دينهم وعدالتهم ﴿أن تضل إحداهما﴾ والضلال

عن الشهادة نسيان جزء منها وذكر جزء ﴿فتذكر إحداهما الأخرى﴾ إن ضلت هذه ذكرتها هذه، وإن ضلت هذه ذكرتها هذه، لما يلحقها من ضعف النساء بخلاف الرجال. وربما ضلت هذه عن وجهه، وضلت تلك عن وجه آخر، فذكرت كل واحدة منها صاحبها ﴿ولا باب الشهداء إذا مادعوا﴾ أي لأداء الشهادة التي قد تحملوها من قبل، وقيل: إذا مادعوا لتحمل الشهادة ﴿ولا تسموا أن تكتبوه﴾ أي لا تملوا أن تكتبوه، أي الدين الذي تداينتم به، لأنهم ربما ملوا من كثرة المداينة أن يكتبوا، ثم بالغ في ذلك فقال ﴿ذلكم﴾ أي الكتابة ذلكم، أي أضل، أي أصح وأحفظ ﴿واقوم للشهادة﴾ أي أعون على إقامة الشهادة وأثبت لها ﴿وأدنى ألا ترتابوا﴾ الكتاب الذي يكتبونه يدفع ما يعرض لهم من الريب كائنا ما كان ﴿تجارة حاضرة﴾ بحضور البديلين السلعة والثمن ﴿تدبرونها بينكم﴾ تتعاطونها يدا بيد، فالمراد التبائع الناجز يدا بيد، فلا حرج عليكم إن تركتم كتابته.



فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ
وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فَسُوقٌ بِكُمْ
وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾
* وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَنْ مَقْبُوضَةً
فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمْنَتَهُ
وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا
فَإِنَّهُ إِثْمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾
الْسَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ
أَوْ تُخَفُّوهُ يَحْسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرْ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ
مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾
بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ
وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ

مالك إلى أنه يصح الارتهان بالإيجاب
والقبول من دون قبض **﴿فإن أمن
بعضكم بعضا﴾** واستغنى بأمانته عن
الارتهان **﴿فليؤد الذي أؤتمن﴾** وهو
المديون **﴿أمانته﴾** أي الدين الذي عليه
﴿وليتق الله ربه﴾ في ألا يجحد من الحق
شيئا **﴿ومن يكتمها فإنه إثم قلبه﴾** فاجر
لا يبالي أن يقع في معصية الله، لأنه
بكم الشهادة قد يفقد صاحب الحق
حقه.

٢٨٤ ﴿يحاسبكم به الله﴾ يحاسب العباد
على ما أظهروه، وما أضمرته أنفسهم من
الأمور التي يحاسب عليها [ككتمان
الشهادة والشك في الدين والنفاق
والتكذيب ونحوه]. أما إذا حدث العبد
نفسه بأن يفعل المعصية ثم لم يفعلها فهي
عفو لحديث «إن الله غفر لهذه الأمة ما
حدثت به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل
به».

**٢٨٥ ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من
ربه﴾** لما ذكر الله سبحانه في هذه السورة
أحكاماً كثيرة ذكر تعظيم نفسه سبحانه
بقوله **﴿الله ما في السماوات وما في
الأرض﴾** ثم ذكر تصديق نبيه ﷺ ثم
ذكر تصديق المؤمنين بجميع ذلك فقال

﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه﴾
أي صدق الرسول بجميع هذه الأشياء
التي جرى ذكرها، وكذلك المؤمنون
كلهم صدقوا بالله **﴿وملائكته﴾** أي من
حيث وجودهم، وكونهم عباده المكرمين
المتوسطين بينه وبين أنبيائه في إنزال
﴿وكتابه﴾ لأنها المشتملة على الشرائع التي
تعبد بها عباده **﴿ورسله﴾** لأنهم المبلغون
لعباده ما نزل إليهم **﴿لا نفرق﴾** والمعنى:
يقولون لا نفرق **﴿بين أحد من رسله﴾**
[وأحد آخر بل نؤمن بهم جميعاً].

التراخي، أو يطلب منها الحضور من
مكان بعيد **﴿وان تفعلوا﴾** أي ما نهيت
عنه من المضارة **﴿فإنه﴾** أي فعلكم هذا
﴿فسوق بكم﴾ أي خروج عن الطاعة
إلى المعصية **﴿ويعلمكم الله﴾** ما تحتاجون
إليه من العلم في هذه الآيات وغيرها.

٢٨٣ ﴿وان كنتم على سفر﴾ ونص على
حالة السفر، ويلحق بذلك كل عذر يقوم
مقام السفر **﴿ولم تجدوا كاتباً﴾** في
سفركم **﴿فرهان مقبوضة﴾** ذهب
الجمهور إلى اعتبار القبض كما صرح به
القرآن، فلا يتم الرهن إلا بقبضه، وذهب

﴿وأشهدوا إذا تبايعتم﴾ هذا التبايع وهو
التجارة الحاضرة - الإشهاد فيها يكفي،
وقيل: معناه إذا تبايعتم أي تبايع كان
حاضراً أو ديناً فأشهدوا [وكان ابن عمر
إذا باع بنقدي أشهد، وإذا باع بنسيئة
كتب] **﴿ولا يضار كاتب ولا شهيد﴾**
بالتحريف والتبديل والزيادة والنقصان
في كتابته، ويحتمل أن يكون الضرر
المنهي عنه من المتبايعين، نهياً أن يضرا
الكاتب والشهيد، بأن يُدْعَيَا إلى ذلك
وهما مشغولان بهم لها، ويضيق عليهما
في الإجابة، ويؤذيا إن حصل منها

مَنْ رُسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ
الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا
مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ
نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ
عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ
وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا
عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

(٣) سُورَةُ الْعَنْزَلِ مَدَنِيَّةٌ وَأَيُّهَا مَآثِرُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَمْ ﴿١﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَلَ

ونصرهم على القوم الكافرين، والحمد لله رب العالمين. عن ابن عباس قال: «بينما رسول الله ﷺ وعنده جبريل، إذ سمع نقيضا، فرفع جبريل بصره فقال: هذا باب قد فتح من السماء ما فتح قط. قال: فنزل منه ملك، فأتى النبي ﷺ فقال: أبشر بنورين، قد أوتيتهما، لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحه الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ حرفا منها إلا أوتيته». ثمانين آية نزل في وفد نجران، وكان قدومهم في سنة تسع من الهجرة، وكانوا ستين راكباً، فيهم ١٤ رجلاً من أشrafهم، فيهم السيد والعاقب، وجادلوا محمداً ﷺ في عيسى وعقائدهم النصرانية، فنزل في هذه السورة ما يبين الحق فيما كانوا يزعمون.

١ ﴿أَلَمْ﴾ الله أعلم بمراده بذلك.

٢ ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾

تقدم تفسير هذين الاسمين في «سورة

البقرة آية ٢٥٥».

٣ ﴿نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ﴾ أي: القرآن

سُورَةُ الْعَنْزَلِ

هي مدنية بالإجماع صدرها إلى ثلاث

﴿وقالوا﴾ أي ويقول الرسول والمؤمنون
﴿سمعنا وأطعنا﴾ أي أدركناه بأسماعنا،
وفهمناه وأطعنا ما فيه، وأجبنا دعوتك
ياربنا ﴿غفرانك﴾ أي اغفر لنا، غفرانك
ياربنا.

٢٨٦ ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾

التكليف هو الأمر بما فيه مشقة وكلفة،
والوسع: الطاقة ﴿لها ما كسبت﴾ أي لها
ثواب ما كسبت من الخير ﴿وعليها﴾ وزر
﴿ما اكتسبت﴾ من الشر، ويقولون
﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾

ورد في الحديث: أنهم لما دعوا بهذا
الدعاء قال الله تعالى: «قد فعلت» فرفع
عنهم إثم الخطأ والنسيان، ولم يختلف أن
الإثم مرفوع في حالتي الخطأ والنسيان.
﴿ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته
على الذين من قبلنا﴾ الإصر: التكليف

الشاق، والأمر الغليظ الصعب، وشدة
العمل، كما غلظ على بني إسرائيل من
قتل الأنفس، وقطع موضع النجاسة.
والآية تعلم الصحابة أن يطلبوا من الله
سبحانه ألا يحتملهم من ثقل التكليف
ما حمل الأمم قبلهم ﴿ربنا ولا تحمّلنا ما لا
طاقة لنا به﴾ المراد به الشاق الذي لا
يكاد يستطيع من التكليف ﴿واعف

عنا﴾ أي عن ذنوبنا بمحوها ومساعدتنا
﴿واغفر لنا﴾ أي استر على ذنوبنا
﴿وارحنا﴾ أي تفضل برحمة منك علينا
﴿مولانا﴾ أي ولينا وناصرنا، وأنت
سيدنا ونحن عبيدك ﴿فانصرنا على القوم

الكافرين﴾ فإن من حق المولى أن ينصر
عباده، ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ
أن الله تعالى قال عقب كل دعوة من
هذه الدعوات «قد فعلت» فلم
يؤاخذهم بشيء من الخطأ والنسيان،
ولا حمل عليهم شيئاً من الإصر الذي حله
على من قبلهم، ولا حملهم ما لا طاقة لهم
به، وعفا عنهم، وغفر لهم، ورحمهم،

عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأُنزِلَ
التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٢٠﴾ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأُنزِلَ
الْفُرْقَانُ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ
وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٢١﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ
فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ
فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٣﴾
هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ
هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ
زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ
وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا
بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٤﴾
رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ

[وتشكيل أعضائهم من العين والأذن والأنف والأطراف وغير ذلك].

٧ **«الكتاب»** هو القرآن **«منه آيات**

محكمات» المحكم: مالا يحتمل إلا وجها واحدا من التفسير، فليس يمكن فيه تحريف ولا تحريف عما وضع له، والمتشابه: مافيه تحريف وتحريف وتأويل. والخفاء أو عدم الظهور أو الاحتمال أو التردد يوجب التشابه **«هن**

أم الكتاب» أي: أصله الذي يعتمد عليه، ويرد ما خالفه إليه **«فأما الذين**

في قلوبهم زيغ» الزيغ: الميل عن الحق **«فيتبعون ما تشابه منه»** أي: يتعلقون

بالمتشابه من الكتاب فيشككون به على المؤمنين، ويجعلونه دليلا على ما هم فيه

من البدعة **«ابتغاء الفتنة»** طلبا منهم لفتنة الناس في دينهم والتلبس عليهم

«وابتغاء تأويله» أي: طلبا لتأويله على الوجه الذي يريدون ويوافق

مذاهبهم الفاسدة **«وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم»** قال ابن

عباس: أنا ممن يعلم تأويله. ومعناه: والراسخون في العلم يعلمونه قائلين

«آمنّا به» جميعا، محكيه ومتشابهه أي: فكله من الله فلا يختلف، فردّ التشابه الذي يحتمل حقا وباطلا إلى المحكم

الذي لا يحتمل إلا الحق، فيتبين بذلك المعنى المراد بالمتشابه [نزلت في نصارى

نجران، قالوا: إن الله تعالى يقول عن نفسه في القرآن (نحن، وإنا) وذلك

للجماعة، فهو ثالث ثلاثة، تعالى الله. فأمرهم برد هذا إلى المحكم نحو قوله

(قل هو الله أحد) ونحو (إنما الله إله واحد) وفي قول: الراسخون في العلم لا

يعلمون تأويل المتشابه، والمراد بالمتشابه: نحو موعد قيام الساعة وماهية الروح،

ونحو ذلك مما لا يعلمه البشر.

بين الحق والباطل من أمر عيسى وغيره. والفرقان: هو القرآن **«ذوانتقام»** عظيم، والنقمة: السطوة، يقال انتقم منه: إذا عاقبه بسبب ذنب قد تقدم منه.

٥ **«إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ»** ومن جملة مالا يخفى عليه إيمان من آمن من خلقه وكفر من كفر.

٦ **«هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ»** من ذكر وأنثى، حسن وقبيح، أسود وأبيض، وطويل وقصير.

«بالحق» بالصدق وبالحجة الغالبة **«مصدقاً»** موافقاً **«لما بين يديه»** أي: من الكتب المنزلة **«وأنزل التوراة والإنجيل»** على موسى وعيسى عليهما السلام.

٤ **«مَنْ قَبْلُ»** أي: من قبل تنزيل القرآن **«هُدًى لِلنَّاسِ»** أي: لأجل هداية البشر جميعا، وهذه الأمة متعبدة بما لم ينسخ من الشرائع السماوية [إذا ورد ذكرها في القرآن أو السنة الصحيحة على وجه الإقرار لها ولم تُنسخ] **«وأنزل الفرقان»** أي: الفارق

رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ
 لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٩﴾ إِنَّ
 الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ
 مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿١٠﴾ كَذَّابِ
 آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ
 اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا
 سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٢﴾
 قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ
 اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأَى الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ
 بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾
 زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ
 الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ

٨ ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا﴾ من تمام ما
 يقوله الراسخون أي: يقولون ربنا لا تزغ
 قلوبنا باتباع المتشابه كما زاغت قلوب
 الذين يتبعون التشابهات **﴿بعد إذ
 هديتنا﴾** إلى الحق **﴿وهب لنا من
 لدنك رحمة﴾** أي: كائنة من عندك
 عظيمة واسعة **﴿إنك أنت الوهاب﴾**
 تهب من تشاء جزيل العطاء **﴿ربنا
 إنك جامع الناس﴾** أي باعثهم ومعيهم
﴿ليوم﴾ هو يوم القيامة، أي لحساب
 يوم **﴿لا رب فيه﴾** أي: في وقوعه
 ووقوع ما فيه من الحساب والجزاء،
 أي: إن الوفاء بالوعد شأن الإله، لا
 شك في ذلك.

١٠ **﴿إن الذين كفروا لن تُغني عنهم
 أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً﴾**
 أي: لن تفيدهم لذته، ولن تنجيهم من
 عذابه **﴿وأولئك هم وقود النار﴾** حطب
 جهنم الذي تسر به.

١١ **﴿كذاب آل فرعون﴾** أي: كعادة
 آل فرعون وكشأنهم وحالهم مع موسى،
 أي: لم تغن عنهم غناء، كما لم تغن
 عن آل فرعون **﴿والذين من قبلهم﴾**
 من الأمم الكافرة **﴿كذبوا بآياتنا
 فأخذهم الله﴾** [عاقبهم العقوبات
 المهلكة] **﴿بذنوبهم﴾** التي من جللتها
 تكذيبهم.

١٢ **﴿قل للذين كفروا﴾** قيل: هم
 اليهود، وقيل: هم مشركو مكة
﴿ستغلبون وتحشرون﴾ وقد صدق الله
 وعده بقتل بني قريظة، وإجلاء بني
 النضير، وفتح خيبر، وضرب الجزية على
 سائر اليهود، والله الحمد **﴿وبئس
 المهاد﴾** [أي: ساء المستقر لهم والمأوى
 جهنم].

١٣ **﴿قد كان لكم﴾** يا معشر اليهود
 علامة عظيمة دالة على صدق ما أقول
 لكم [والخطاب لليهود، ليحذروا يوما

يصيبهم به من الله مثل ما أصاب أهل
 مكة في بدر]. والمراد بالفتن المسلمين
 والمشركون لما التقوا يوم بدر
﴿فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى﴾
 أي: وفئة أخرى **﴿كافرة بربهم
 مثليهم﴾** كانوا ثلاثة أمثالهم، فقلل الله
 المشركين في أعين المسلمين، فأراهم
 إياهم مثلي عدتهم لتقوى أنفسهم. وقد
 كانوا أغلبيوا أن المائة منهم تغلب
 المائتين من الكفار **﴿رأى العين﴾** أي:
 رؤية ظاهرة مكشوفة لا لبس فيها **﴿والله
 يؤيد بنصره من يشاء﴾** أي: يقوى من

١٤ **﴿زين للناس﴾** زينها لهم الله تعالى
﴿حب الشهوات﴾ هي المشتيات [من
 الأمور المفرحة للقلب يجد فيها لذته]
﴿من النساء﴾ بدأ بهن لكثرة تشوق
 النفوس إليهن. وخص **﴿البنين﴾** دون
 البنات لعدم الاطراد في محبتهم

يشاء أن يقويه، ومن جملة ذلك تأييد
 أهل بدر بتلك الرؤية **﴿إن في ذلك﴾**
 أي: في رؤية القليل كثيرا **﴿لعبرة﴾**
 وموعظة جسيمة **﴿لأولي الأبصار﴾**
 [أي: لأهل البصائر النافذة التي تعتبر
 بما ترى].



وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ
عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴿١٤﴾ قُلْ أُوْنِيْكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ
ذَلِكَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ
وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَتَيْنَا مَا فَغْفَرَ
لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ
وَالْقَنَاتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ
اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا
بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ الدِّينَ
عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا
مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بَعَايَتْ
اللَّهُ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ

١٧ ﴿الصَّابِرِينَ﴾ صبروا على طاعة
الله، وصبروا عن محارمه ﴿وَالصَّادِقِينَ﴾
صدقوا نياتهم واستقامت قلوبهم وألسنتهم
في السر والعلانية ﴿وَالْقَانِتِينَ﴾ المطيعون
لله الخاشعة له قلوبهم ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ
بِالْأَسْحَارِ﴾ هم السائلون المغفرة
بالأسحار. وقيل المصلون صلاة الفجر أو
صلاة آخر الليل والسَّحَر هو الوقت من
حين يدبر الليل إلى أن يطلع الفجر.
١٨ ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ أي بيّن وأعلم ﴿أَنَّهُ
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ فقد دللنا على وحدانيته
بما بيّن وما خلق ﴿وَالْمَلَائِكَةَ﴾ وشهادتهم
إقرارهم بأنه لا إله إلا الله ﴿وَأُولُوا
الْعِلْمِ﴾ وشهادتهم بمعنى الإيمان منهم وما
يقع من البيان للناس على ألسنتهم. وفي
ذلك فضيلة لأهل العلم جليّة ومنقبة
نبيلة لقرنهم باسمه واسم ملائكته ﴿قَائِمًا
بِالْقِسْطِ﴾ أي قائمًا بالعدل في جميع
أموره أو مقبلاً له وهو الله تعالى .

١٩ ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [لا
يقبل من أحد ديناً غيره] والإسلام هنا:
يشمل الإيمان، أي لأن الإسلام هو
التصديق والقول والعمل ﴿وَمَا اخْتَلَفَ
الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ أي اختلف اليهود
فيما بينهم، والنصارى فيما بينهم، وتخالف
اليهود والنصارى ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ
الْعِلْمُ﴾ الذي في الكتابين السماويين،
وهذا العلم صريح عندهم بوجوب توحيد
الخالق، وطاعته، والاستسلام لأمره ﴿بَغْيًا
بَيْنَهُمْ﴾ فيه الإخبار بأن اختلاف اليهود
والنصارى كان لمجرد البغى، والمراد
خلافهم في كون نبينا ﷺ كان نبياً أم
لا، واختلافهم في نبوة عيسى،
واختلافهم في ذات بينهم، حتى قالت
اليهود: ليست النصارى على شيء،
وقالت النصارى: ليست اليهود على
شيء، كل ذلك سببه الحسد والتباعد من
الحق علواً واستغناء .

أي هل أخبركم بما هو خير من تلك
المستلذات ثم بيّنه بقوله ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا
عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ خص المتقين لأنهم المنتفعون
بذلك ﴿جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا﴾ خلوداً لا يلحقه موت
﴿وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ أي زوجات لا
يلحقهن ما يلحق النساء في الدنيا من
الحيض والنفاس ونحوهما ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ
اللَّهِ﴾ ذلكم مستمر يأمنون معه من تغير
حال النعيم الذي هم فيه ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ
بِالْعِبَادِ﴾ فيجازي كلا بما يستحق،
بحسب إيمانه وعمله .

﴿وَالْقَنَاطِيرُ﴾ جمع قنطار [وهو مائة
رطل] هو اسم للمال الكثير ﴿الْمُقَنْطَرَةُ﴾
أي المضاعفة أضعافاً ﴿مِنَ الذَّهَبِ
وَالْفِضَّةِ وَالْخَبْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾ المرعية في
المروج والمسارح. وقيل المسومة المعلمة
بعلامة تتميز بها عن غيرها ﴿وَالْأَنْعَامِ﴾
هي الإبل والبقر والغنم ﴿وَالْحَرْثِ﴾
المزارع بما فيها من الأرض والزرع
﴿ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: ذلك
المذكور مما يتمتع به في هذه الدار ثم
يذهب ولا يبقى.
١٥ ﴿قُلْ أُوْنِيْكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكَ﴾

أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ^ق وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا ^ط وَإِنْ تَوَلَّوْا
فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ^ق وَاللَّهُ بِصِيرُ الْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ
يَكْفُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ
وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٢٢﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى
الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ
لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ^ط
وَعَرَّهْمُ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا
جَمَعْنَهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ

٢٠ ﴿فَإِنْ حَاجُوكَ﴾ جادلوك بالشبه الباطلة، والأقوال المحرفة، فقل: ﴿أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾ أي أخلصت ديني وعبادتي لله ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾ كذلك أخلص القصد أتباعي من المسلمين. والمراد بـ ﴿الأميين﴾ هنا: مشركو العرب [لم يكن لديهم كتب يدرسونها] ﴿أَسْلَمْتُمْ﴾ المعنى: أنه قد أتاكم من البراهين ما يوجب الإسلام، فهل قبلتم الإسلام، وعلمتم بموجب ذلك، أم لا؟ ﴿فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ أي ظفروا بالهداية التي هي الحظ الأكبر، وفازوا بخير الدنيا والآخرة ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أي أعرضوا عن قبول الحجة ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾ أي: فإنما عليك أن تبلغهم ما أنزل إليك، ولست عليهم بمسيطر، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ﴿وَاللَّهُ بِصِيرُ الْعِبَادِ﴾ إنه عالم بجميع أحوالهم.

٢١ ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ يعني: اليهود، قتلوا الأنبياء ﴿وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ﴾ أي بالعدل، وهم الذين يأمرُونَ بالمعروف وينهون عن المنكر، ويردعون الظالم عن ظلمه. قال المبرد: كان ناس من بني إسرائيل جاءهم النبيون، فدعواهم إلى الله، فقتلوهم، فقام أناس من بعدهم من المؤمنين، فأمرهم بالإسلام، فقتلوهم.

٢٢ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ لم يبق لحسناتهم أثر في الدنيا، حتى يعاملوا فيها معاملة أهل الحسنات، فلُعِنُوا وحل بهم الخزي والصغار، ولهم في الآخرة عذاب النار.

٢٣ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ وهم أحبار اليهود ﴿يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ﴾ الذي أُوتوا نصيباً منه، وهو التوراة ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ عن الإجابة إلى ما دعوا إليه مع علمهم به، واعترافهم بوجوب الإجابة

جمعناهم ليوم الجزاء الذي لا يرتاب مرتاب في وقوعه، فإنهم يقعون لا محالة، ويعجزون عن دفعه بالحيل والأكاذيب ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ﴾ أي جزاء ما كسبت ﴿وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ﴾ بزيادة ذنب عليهم ولا نقص شيء مما لهم من عمل صالح. أي في ذلك اليوم يتبين لليهود وأمثالهم ممن حاربوا الله ورسوله وتجروا على الله مفترين بأكاذيبهم أن ذلك لن ينفعهم عندما يجمعهم الله لديه ويقفهم للسؤال والحساب، فلا يكون ذلك لديه عذراً لهم.

٢٤ ﴿ذَلِكَ﴾ أي تَوَلَّوْا وأعرضوا عن القبول بحكم الله تعالى بسبب ﴿أَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ وهي مقدار عبادتهم العجل ﴿وَعَرَّهْمُ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ من الأكاذيب التي من جللتها هذا القول، ومنها قولهم: نحن أبناء الله وأحباؤه، فصدقوا أكاذيب أنفسهم وصدقها الاتباع.

٢٥ ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ فكيف يكون حالهم إذا

وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ
 مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ
 مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾
 تُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ
 مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ
 بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ
 مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ
 فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتُوا وَيَحْذَرُكَ اللَّهُ نَفْسَهُ
 وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِن تُخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ
 تُبَدُّوهُ يَعْلَمَهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
 وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ
 مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ

يتخذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين
﴿فليس من الله في شيء﴾ بل هو
 منسلخ عنه بكل حال، فقد برىء الله
 منه **﴿إلا أن تتقوا منهم تقاة﴾** أي إلا
 أن تظهروا لهم الموالاة بالسنتكم ظاهراً،
 وقلوبكم تكرههم وذلك إذا كنتم
 مستضعفين بين الكفار. عن ابن عباس
 قال: نهى الله المؤمنين أن يلاطفوا
 الكفار، ويتخذوهم وليجة من دون
 المؤمنين، إلا أن يكون الكفار عليهم
 ظاهرين، فيظهرون لهم اللطف،
 وبخالفونهم في الدين، وقال: التقية
 باللسان: من حِيلَ على أمر يتكلم به،
 وهو معصية الله، فيتكلم به مخافة الناس،
 وقلبه مطمئن بالإيمان، فإن ذلك لا
 يضره، إنما التقية باللسان، ولا يبسط يده
 فيقتل، ولا إلى إثم، فإنه لا عذر له
﴿ويحذركم الله نفسه﴾ أي ذاته
 المقدسة، إن اتخذتموهم أولياء ظاهراً
 وباطناً.

٢٩ ﴿قل إن تخفوا ما في صدوركم﴾
 من موالاة الكفار باطناً، أو ما سوى ذلك
 مما لا يرضاه ربكم **﴿يعلمه الله﴾**
 فيجزيك به **﴿ويعلم ما في السماوات
 وما في الأرض﴾** مما هو أعم من الأمور
 التي يخفونها أو يبدونها.

٣٠ ﴿وما عملت من سوء﴾ أي وتجد
 ما عملت من سوء مُخَضَّراً **﴿تود لو أن
 بينها وبينه أمداً بعيداً﴾** عن الحسن
 قال: يسرُّ أحدكم ألا يلقى عمله ذلك
 أبداً، يكون ذلك مناه، وأما في الدنيا
 فقد كانت خطيئته يستلذها. وكرر قوله
﴿ويحذركم الله نفسه﴾ للتأكيد ليكون
 هذا التهديد العظيم على دُكْرِ منهم **﴿والله
 رءوف بالعباد﴾** هذا التحذير الشديد
 مقترن بالرأفة منه سبحانه بعباده لطفاً

لآخر **﴿وتخرج الحي من الميت وتخرج
 الميت من الحي﴾** يخرج الرجل الحي من
 النطفة وهي ميتة، ثم يخرج من الرجل
 النطفة وهي ميتة، ثم يخرج منها الرجل
 الحي وهكذا، ويخرج البيضة من
 الدجاجة، ومن الدجاجة البيضة، وكذا
 النخلة من النواة، ثم النواة من النخلة.
 وقيل: معناها يخرج المؤمن من الكافر،
 والكافر من المؤمن.

٢٨ ﴿أولياء من دون المؤمنين﴾
 يحبونهم، ويلاطفونهم، ويميلون بقلوبهم إلى
 مناصرتهم **﴿ومن يفعل ذلك﴾** أي ومن

٢٦ ﴿مالك الملك﴾ أي: يا مالك
 جنس الملك، أنت **﴿تؤتي الملك من
 تشاء﴾** أي من تشاء إتياءه إياه **﴿وتنزع
 الملك ممن تشاء﴾** نزعه منه **﴿بيدك
 الخير﴾** لا بيد غيرك.

**٢٧ ﴿تولج الليل في النهار وتولج النهار
 في الليل﴾** أي تدخل ما نقص من
 أحدهما في الآخر، يعني اختلاف طول
 الليل والنهار وقصرهما بحسب الفصول
 والمواقع، فما نقص من أحدهما زاد في
 الآخر، فإن طولها جميعاً ٢٤ ساعة، لا
 تختلف من فصل لآخر، ولا من مكان

أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾
 قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ
 لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ
 وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾
 * إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ
 عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ
 عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ
 لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ
 الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي
 سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ
 الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا

٣١ ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾ أي إن كنتم صادقين في ادعائكم محبة الله ﴿فَاتَّبِعُونِي﴾ على الإسلام، فقد علمتم أنني رسوله ﴿يُحِبُّكُمُ اللَّهُ﴾ فحبة الله للعباد أثر اتباع النبي ﷺ وطاعته. وأثر محبة الله للعباد إنعامه عليهم بالغفران، والفضل والرحمة.

٣٢ ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ أي في جميع الأوامر والنواهي ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أي إن تتولوا، أي تعرضوا عن طاعة الله ورسوله ومحبتها، فلن يحبكم الله ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ كناية عن البغض والسخط عليهم.

٣٣ ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ.. الْخ﴾ لما فرغ سبحانه من بيان أن الدين المرضي هو الإسلام، وأن محمدا ﷺ هو الرسول الذي لا يصح لأحد أن يحب الله إلا باتباعه، وأن اختلاف أهل الكتابين فيه إنما هو لمجرد البغي عليه، والحسد له، شرع في تقرير رسالة عيسى عليه السلام، وبيّن أنه من أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، وبيّن أنه مخلوق مربوب لله تعالى، لا ينبغي الغلو فيه، والاصطفاء: الاختيار. اختارهم بالنبوة، وتخصيص آدم بالذكر لأنه أبو البشر. وكذلك نوح، فإنه آدم الثاني. وأما آل إبراهيم فلكون النبي ﷺ منهم، مع كثرة الأنبياء فيهم، وآل عمران لما كان عيسى عليه السلام منهم.

٣٤ ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ في النسب، كما أنهم بعضهم من بعض في النية والعمل والإخلاص والتوحيد.

٣٥ ﴿امْرَأَةً عِمْرَانَ﴾ اسمها حنة أم مريم، فهي جدة عيسى ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي﴾ أي لعبادتك ﴿مُحَرَّرًا﴾ أي عتيقا خالصا لله خادما [للمسجد]. لا يشوبه شيء من أمر الدنيا ﴿فَتَقَبَّلَ مِنِّي﴾ نذري بما في بطني.

٣٦ ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ﴾ وتحسرت وتحزنت لما فاتها من ذلك الذي كانت ترجوه وتقدره، وكانت ترجو أن يكون ذكرا ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ﴾ هذا من كلام الله سبحانه على جهة التفتيح لشأن الوليدة التي هي مريم عليها السلام، والتنبيه لأمرها حيث وقع منها التحسر والتحزن، مع أن هذه الأنثى التي وضعتها سيجعلها الله وابنة آية للعالمين ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ﴾ من جملة كلامها، ومن تمام تحسرها وتحزنها، أي ليس الذكر الذي أردت أن يكون خادما ويصلح للنذر، كالأنثى التي لا تصلح لذلك ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ حتى لا يقدر على إغوائها أو إغواء ذريتها، وقد استجاب الله دعائها في الحديث «مامن مولود يولد إلا مسه الشيطان حين يولد، إلا مريم وابنها».

٣٧ ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ أي رضي بها في النذر، وسلك بها مسلك السعداء ﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ التربية الحسنة العائدة عليها بما يصلحها في جميع أحوالها.



السلام، وقد بعث في زمانه، وكان ابن خالته، ويحيى أول من آمن بعيسى وصدق **«وسيدا وحضورا»** والسيد: الذي يسود قومه حلما كريما تقيا، والحضور: الذي لا يأتي النساء، فيحيى عليه السلام كان محصورا عن إتيان النساء، أي محصورا لا يأتين كغيره من الرجال، إما لعدم القدرة على ذلك، أو لأنه يكف نفسه **«من الصالحين»** يؤدي لله ما افترض عليه، وإلى الناس حقوقهم.

٤٠ **«قال رب أنى يكون لى غلام»** استبعد حدوث الولد منها، لكون العادة قاضية بأنه لا يحدث من مثلها، لأنه كان كبيرا، قيل: في تسعين سنة **«وقد بلغنى الكبر»** أي الهرم **«عاقرا»** والعاقرة التي لا تلد، أي بها عقم يمنعها من الولد **«كذلك الله يفعل ما يشاء»** من الأفعال العجيبة، لا تعجز قدرته عن شيء، أي: قَلِمَ تستبعد ذلك؟

٤١ **«قال رب اجعل لى آية»** أي علامة أعرف بها صحة الحمل فأتلقى هذه النعمة بالشكر **«إلا رمزا»** أي علامتك أن تحبس لسانك عن تكليم الناس ثلاثة أيام لا عن غيره من الأذكار، جعل الآية لتخلص تلك الأيام لذكر الله سبحانه شكرا على ما أنعم به عليه. والرمز: الإيماء بالشفقتين أو العينين أو الحاجبين أو اليدين **«وسبح بالعشي»** من حين نزول الشمس إلى أن تغيب **«والإيكار»** من طلوع الفجر إلى وقت الضحى.

٤٢ **«إن الله اصطفاك»** اختارك، أي ليرفع ذكرك بولادة المسيح **«وطهرتك»** من الكفر أو من الأدناس على عمومها **«واصطفاك على نساء العالمين»** فضلك على جميع نساء العالم إلى يوم القيامة.

حَسَنًا وَكَفَلَهَا زَكْرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُؤُا أَنَّى لَكَ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا ۖ وَآذْكُر رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴿٤١﴾ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرِئُؤُا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ

«وكفلها زكريا» أي جملة الله كافلا لها وملتزما بمصالحها، عن قتادة قال: كانت مريم ابنة سيدهم وإمامهم، فتشاح عليها أحبارهم، فآلقوا القرعة بسهامهم أيهم يكفلها، وكان زكريا زوج أختها فكفلها، وكانت عنده وفي حضنته **«وجد عندها رزقا»** أي نوعا من أنواع الأطعمة، وكان إذا دخل عليها وجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء **«أنى لك هذا»** من أين يجيء لك هذا الرزق الذي لا يشبه أرزاق الدنيا **«قالت هو من عند الله»** فليس ذلك بعجيب ولا مستنكر.

٣٨ **«هنالك»** دعا في ذلك المكان الذي هو قائم فيه عند مريم، أن يهب الله له ذرية طيبة لأن من أوجد ذلك يقدر على إيجاد الولد من العاقرة.

٣٩ **«فنادته الملائكة»** قيل: المراد هنا جبريل **«أن الله يبشرك بعيسى»** كان اسمه في الإنجيل يوحنا، أي يبشرك بولادة يحيى **«مصداقا بكلمة من الله»** أي بعيسى عليه السلام، وسُمِّي كلمة الله: لأنه كان بقوله سبحانه «كن» وقد جاء يحيى يبشر بقرب بعثة عيسى عليه

وَأَصْطَفَيْتُكَ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَمْرِيْمُ أَقْنِي لِرَبِّكَ
وَأَسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ
الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَقْلَمَهُمْ
أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾
إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرِيْمُ إِنَّ اللَّهَ يَبْشُرُكَ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ
الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنْ
الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنْ
الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي
بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا
يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي
قَدْ جِئْتُكُمْ بِعَايَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ

٤٣ ﴿يا مريم اقنتي لربك﴾ أي كوني خاشعة لله، وصلي، وأطيلي القيام في الصلاة ﴿واركعي مع الراكعين﴾ أي صلي الصلاة مع جماعة المصلين، وقيل: المعنى أنها تفعل مثل فعلهم وإن لم تصل معهم.

٤٤ ﴿ذلك﴾ ما سبق من الأمور التي أخبره الله بها من ﴿أنباء الغيب﴾ من أخبار الأمور التي كنت غائبا عنها يا محمد ﴿وما كنت لديهم﴾ أي بحضرتهم، يعني المتنازعين في تربية مريم، بل الله أوحى إليك بخبرهم، مع التسليم بأنه ﷺ ليس ممن يقرأ الإنجيل، ولا ممن يلبس النصارى، ذلك كله يثبت صدقه ﴿يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم﴾ أي يضمها إلى حضنته. قال عكرمة: فاقتربوا وجعلوا أقلامهم في الماء الجاري، على أن من وقف قلمه ولم يجر مع الماء فهو صاحبها، فجرت أقلامهم ووقف قلم زكريا.

٤٥ ﴿بكلمة منه﴾ الكلمة عيسى نفسه، جاء بكلمة من الله، قال له كن فكان ﴿المسيح﴾ قيل: إنه كان لا يمسح ذعاهاة إلا برىء، فسمى مسيحا، وقوله ﴿عيسى ابن مريم﴾ مع كون الخطاب معها تنبيها على أنه يولد من غير أب، فنسب إلى أمه ﴿وجيها﴾ الوجه ذو الوجهة، ووجهته في الدنيا النبوة، وفي الآخرة الشفاعة وعلو الدرجة ﴿ومن المقربين﴾ إلى الله.

٤٦ ﴿ويكلم الناس في المهد وكهلا﴾ المهد: مضجع الصبي في رضاعه، والكهل: من كان بين سن الشباب والشيخوخة، أي يكلم الناس رضيعا في المهد وحال كونه كهلا بالوحي والرسالة ﴿ومن الصالحين﴾ أي من العباد الصالحين، [فضمنت البشرى: ولادته، وكلامه في المهد، وبلوغه سن

الكهولة، وكونه من صالح عباد الله، وكونه ذا وجهة، وكونه من العلماء، وكونه نبيا.]

٤٧ ﴿أنى يكون لي ولد﴾ أي كيف يكون، على طريقة الاستبعاد العادي ﴿ولم يمسنى بشر﴾ استبعدت أن تلد ولدا من غير ذكر يكون له أبا ﴿فإنما يقول له كن فيكون﴾ من غير عمل ولا مزاوله، لكمال قدرته.

٤٨ ﴿ويعلمه الكتاب﴾ والكتاب: الكتابة، والحكمة: العلم [وقوة الفهم وحسن التدبير للأمور بوضعها في

مواضعها].
٤٩ ﴿ورسولا﴾ أي وأرسله رسولا إلى بني إسرائيل برسالة مضمونها ما يلي. ولم يكن عيسى مرسلا إلى غير بني إسرائيل، إلا أنهم لما رفضوه وكذبوه أرسل بعض أتباعه إلى بعض الأمم الأخرى (انظر سورة يس ١٢ - ٢٧) ﴿أنى قد جئتكم بآية﴾ بعلامة ﴿من ربكم أنى أخلق﴾ أي أصور ﴿لكم من الطين كهيئة الطير﴾ أي شيئا مثل هيئة الطير.

في التوراة، كالشحوم وكل ذي ظفر وغيرها، مما شدد الله فيه عليهم لتشديدهم، وقيل: إنما أحل لهم ما حرّمته عليهم الأحبار ولم تحرمه التوراة **﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾** ادخلوا في ديني وتابعوني.

٥١ ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾ أعلنها صريحة أنه ليس رباً لهم، كما ادعاه النصراني من بعد علوّ فيه، بل قال: إنه عبد الله، كما أنهم هم أيضاً عبيد الله، فكيف يتخذون عيسى إلهاً؟

٥٢ ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ الأنصار: جمع نصير، المعنى: من أنصاري في الدعوة إلى الله، وتبليغ رسالته إلى الناس **﴿الحواريون﴾** وكانوا اثني عشر رجلاً، وهم تلاميذه، وأخص الناس به **﴿أنصار الله﴾** أنصار دينه ورسله **﴿واشهد بأننا مسلمون﴾** أي أشهد لنا يوم القيامة بأننا مخلصون في إيماننا، منقادون لما تريد منا.

٥٤ ﴿ومكروا﴾ أي الذين أحس عيسى منهم بالكفر، وهم كفار بني إسرائيل **﴿ومكر الله﴾** مكره استدراجه للعباد من حيث لا يعلمون. وقيل: مكر الله هنا إلقاء شبه عيسى على واحد من الحواريين، ورفع عيسى إلى السماء [فجاء الجنود فأخذوا الذي ألقى عليه شبه عيسى فقتلوه وصلبوه، وظنوا أنهم قتلوا وصلبوا عيسى]

﴿والله خير الماكرين﴾ أي: أقواهم مكرًا، وأنفذهم كيدًا، وأقواهم على إيصال الضرر بمن يريد من حيث لا يحتسب [ولا يمكر إلا بما كره].

٥٥ ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ خُذْ هَذِهِ وَارْفَعْكَ إِلَيَّ﴾ في السماء فأكون عاصمك من أن يقتلك الكفار. والصحيح أن الله رفعه إلى السماء من غير موت **﴿ومطهرتك من الذين كفروا﴾** أي من جوارهم برفعه إلى السماء وبعده عنهم.

كَهَيْجَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأَحْلَلْ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ إِنَّ اللَّهَ الرَّبَّ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٥٢﴾ * فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٤﴾ وَمَكْرُوهًا وَمَكْرَ اللَّهِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿٥٥﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَافِعُكَ إِلَىٰ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ

﴿فأنفخ فيه﴾ أي في ذلك الخلق، أو ذلك الشيء **﴿فيكون طيرًا﴾** يطير كسائر الطيور **﴿بإذن الله﴾** لولا الإذن من الله عز وجل لم يقدر على ذلك، وأن خلق ذلك كان بفعل الله سبحانه أجراه على يد عيسى عليه السلام، فكانت تسوية الطين والنفخ من عيسى، والخلق من الله عز وجل **﴿وأبرئ الأكمه﴾** الأكمه: الذي يولد أعمى **﴿والأبرص﴾** والبرص معروف، وهو بياض يظهر في الجلد. وإنما خص الله سبحانه هذين المرضين بالذكر لأنها لا يبرآن في الغالب بالمداواة

﴿وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم﴾ [والعادة أن ما يدخره الإنسان في بيته، أو يأكله في بيته، لا يطلع عليه الناس، فكان ذلك آية لعيسى عليه السلام]. **٥٠ ﴿ومصدقاً﴾** المعنى: وجئتكم مصدقاً **﴿لما بين يدي﴾** قبلي **﴿من التوراة﴾** [أي لأنها بشرت به، وذكرت أوصافه، فكان بعثه تصديقاً لها، وكان هو يراعي أحكامها فيما لم يؤمر بنسخه، وذلك من تصديقه لها] **﴿ولأحل﴾** ولأجل أن أحل بعض الذي حرم الله عليكم من الأطعمة



كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ
الْقِيَمَةِ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ
تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ
الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ
الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ
مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ
فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ
مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ
وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ
لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَذَا هُوَ الْقَصَصُ

﴿وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين

كفروا إلى يوم القيامة﴾ أي الذين اتبعوا

ما جئت به، وهم خلص أصحابه الذين لم يبلغوا في الغلو فيه إلى ما بلغ من جعله إلهًا، ومنهم المسلمون، فإنهم اتبعوا ما جاء به عيسى عليه السلام ووصفوه بما يستحقه من دون غلو. وقيل: معنى الآية: أن النصارى الذين هم أتباع عيسى لن يزالوا ظاهرين على باقي بني إسرائيل، وهم اليهود، كفروا بعيسى، ولم يؤمنوا به. وظهورهم عليهم إنما هو بالقوة والعزة والغلبة. والله أعلم.

٥٧ ﴿فيوفيهم أجورهم﴾ أي يعطيهم الله

إياها كاملة موفرة ﴿لا يحب الظالمين﴾ كناية عن بغضهم.

٥٨ ﴿ذلك﴾ إشارة إلى ما سلف من نبا

عيسى وغيره ﴿من الآيات والذكر

الحكيم﴾ المشتمل على الحكيم، أو المحكم الذي لا خلل فيه، وهو القرآن الكريم.

٥٩ ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل

آدم﴾ في كونه مخلوقًا من غير أب كآدم،

بل أمر آدم أغرب، فإنه كما لا أب له لا

أم له، لأن الله ﴿خلقهم من تراب﴾

فكيف تتخذون عيسى إلهًا؟ وأنتم تقولون

أن آدم بشر مخلوق، فكذلك عيسى بل هو

أول ﴿ثم قال له كن فيكون﴾ أي كن

بشرا فكان بشرا.

٦٠ ﴿فلا تكن من الممترين﴾ الخطاب

لكل سامع، أي لا يكن أحدكم ممتريًا،

أو للرسول ﷺ والنهي له لزيادة

التثبيت.

٦١ ﴿فمن حاجك﴾ يا محمد ﴿فيه﴾ أي

في عيسى مدعيًا أنه إله. وقد حاججه

نصارى نجران، وادعوا هذه الدعوى،

فدعاهم إلى المباهلة كما سيأتي قريبًا.

وقال بعض العلماء: إذا جادل النصارى

في ذلك قباهلة ﴿من بعد ما جاءك من

العلم﴾ أي من بعد ما أخبرك الله بحقيقة

ويدعو إليه، لا ما يبالغ فيه النصارى.

عن ابن عباس: أن رهطًا من أهل نجران

قدموا على النبي ﷺ وكان فيهم السيد

والعاقب، فقالوا: ما شأنك تذكر

صاحبنا؟ قال: من هو؟ قالوا: عيسى،

تزعّم أنه عبد الله، قالوا: فهل رأيت مثل

عيسى وأنبئت به؟ ثم خرجوا من عنده،

فجاء جبريل فقال: قل لهم: إذا أتوك

(إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم) إلى

آخر الآية. وفي حديث البخاري ومسلم:

«فأراد أن يلاعنها، فقال أحدهما

لصاحبه: لا نلاعنه، فوالله لئن كان نبيا

الأمر في هذه الآيات المتقدمة ﴿تعالوا﴾

أي هلموا وأقبلوا ﴿ندع أبناءنا﴾ ليدع

كل منا ومنكم أبناءه ونسائه ونفسه إلى

المباهلة ﴿نبتل﴾ أصل الابتال: الاجتهاد

في الدعاء باللعن وغيره برفع اليدين مدًا

﴿فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾ أي

نقول في دعائنا جميعًا: اللهم اجعل لعنتك

على الكاذب مئًا ومنكم.

٦٢ ﴿إن هذا﴾ أي الذي قصه الله على

رسوله من نبا عيسى ﴿هو القصص

الحق﴾ القصة المطابقة للواقع لولادة عيسى

عليه السلام ونشأته، وما كان يقوله

الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُو الْعَزِيزُ
 الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾
 قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ
 أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا
 بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا
 مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا
 أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾
 هَٰئِنتُمْ هَٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ
 فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾
 مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا
 مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ
 بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ

الله به علينا من هذا الدين القويم. عن
 ابن عباس قال: حدثني أبو سفيان: أن
 هرقل دعا بكتاب رسول الله ﷺ فقرأه
 فإذا فيه «بسم الله الرحمن الرحيم. من
 محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم:
 سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإني
 أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك
 الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك
 إثم الأريسين، و (يا أهل الكتاب تعالوا
 إلى كلمة سواء بيننا وبينكم) إلى قوله
 بأنا مسلمون».

٦٥ ﴿لم تحاجون في إبراهيم﴾ ادعى كل
 من اليهود والنصارى أن إبراهيم عليه
 السلام كان على دينهم، فرد الله سبحانه
 ذلك عليهم، فأبان بأن الملة اليهودية والملة
 النصرانية إنما كانتا من بعده. فإن
 اليهودية بعد موسى وكتابه التوراة،
 والنصرانية بعد عيسى وكتابه الإنجيل،
 وإبراهيم كان قبل ذلك بدهر طويل،
 فكيف يكون يهوديا أو نصرانيا؟

٦٦ ﴿ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم﴾
 به علم، والمراد بما لهم به علم: هو ما
 كان في التوراة من الحلال والحرام وأنواع
 العبادة، وإن خالفوا مقتضاه وجادلوا فيه
 بالباطل، والذي لا علم لهم به هو
 زعمهم أن إبراهيم كان على دينهم.

٦٧ ﴿ولكن كان حنيفا﴾ مائلا عن
 الأديان كلها إلى التوحيد ﴿مسليما﴾ مطيعا
 لله عابدا له. وكان دينه الإسلام.

٦٨ ﴿إن أولى الناس﴾ أي أحقهم به
 وأخصهم ﴿للذين اتبعوه﴾ آمنوا به،
 وأطاعوه من أصحابه، واتبعوا ملته واقتدوا
 بدينه ﴿وهذا النبي﴾ يعني محمدا ﷺ
 وأولويته ﷺ بإبراهيم من جهة كونه من
 ذريته، ومن جهة موافقته لدينه في كثير
 من الشريعة المحمدية ﴿والذين آمنوا﴾ من
 أمة محمد ﷺ ﴿والله ولي المؤمنين﴾
 جميعا بالنصر والتأييد.

كلمة سواء﴾ ادع اليهود والنصارى
 قائلا: تعالوا نفر بكلمة موجودة فيما أنزل
 إلينا وفيما أنزل إليكم من الوحي. وقد
 فرها بقوله ﴿ألا نعبد إلا الله ولا نشرك
 به شيئا﴾ أي لا نتخذ شيئا من المخلوقات
 إلها مع الخالق سبحانه وتعالى ﴿ولا يتخذ
 بعضنا بعضا أربابا﴾ كمن اعتقد ربوبية
 المسيح وعزير، ولا يسجد بعضنا لبعض،
 بل نسجد جميعا لله رب العالمين ﴿فإن
 تولوا﴾ أي عرضوا عما دعوا إليه ﴿فقلوا
 اشهدوا بأنا مسلمون﴾ أي منقادون
 لأحكامه، مرتضون به، معترفون بما أنعم

فلاعنا لا نفلح أبدا نحن ولا عقبتنا من
 بعدنا، فقالوا له: نعطيك ما سألت،
 فابعث معنا رجلا أمينًا، فقال: قم يا أبا
 عبيدة، فلما قام، قال هذا أمين هذه
 الأمة «﴿وما من إله إلا الله﴾ أي لا
 يوجد أحد يستحق العبادة غير الله تعالى.

٦٣ ﴿فإن تولوا فإن الله عليم﴾
 بالمفسدين﴾ أي إن عرضوا عن هذا
 الحق البين فهذا هو الفساد في الأرض
 بعينه، لأنه العودة إلى الشرك والكفر،
 والله عليم بالمفسدين، وليؤاخذهم بفعلهم.

٦٤ ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى

وَلِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ
لَوْ يَضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾
يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ
تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ
وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ
أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهَ
النَّهَارِ وَآكْفُرُوا ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوا
إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَى
أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّا
أَلْفُضَّلُ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾
يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾
* وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن إِنْ تَأَمَّنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ

٦٩ «ودت طائفة من أهل الكتاب لو

يضلونكم» نزلت في يهود بني النضير

وقريظة وبني قينقاع حين دعوا جماعة من
المسلمين إلى دينهم. أي أحبوا واستقرت
في قلوبهم الرغبة، في أن تضلوا عن الحق،
باتباع ما يدعونكم إليه «وما يضلون إلا
أنفسهم» لثبوت قدم المؤمنين في الإيمان،
فلا يعود وبال من أراد فتنهم إلا عليه.

٧٠ «بآيات الله» ما في كتبهم من
دلائل نبوة محمد ﷺ «وأنتم تشهدون»
على ما في كتبكم من ذلك، تعلمون أنها
حق.

٧١ «تلبسون الحق بالباطل» ولبس
الحق بالباطل: خلطه بما يتعمدونه من
التحريف [وما يدخلونه في الدين مما
ليس منه تلبيسا على الناس وإضلالا
لهم].

٧٢ «وقالت طائفة من أهل الكتاب»

هم رؤساؤهم وأشرافهم، قالوا للسفلة من
قومهم هذه المقالة «وجه النهار» أوله
«واكفروا آخره» أمروهم بالردة في وقت
قريب «لعلهم يرجعون» ليدخل الشك
على المؤمنين ويفتن بعضهم، فيقولوا: ما
ترك هؤلاء الإسلام بعد دخولهم فيه
صباح هذا اليوم إلا لأنهم اطلعوا فيه على
باطل. فيشكوا، ولتسهل الردة على من
يستصعبها إذا رأى غيره قد ارتد قبله.

وهذه المؤامرة من هؤلاء المضروب عليهم
لا تفيد. وهم لا يعلمون أن الله قد ثبت
قلوب المؤمنين ومكن أقدامهم، فلا
تزلزلهم أراجيف أعداء الله، ولا تحركهم
ريح المعاندين.

٧٣ «ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم»

هذا من كلام اليهود بعضهم لبعض، أي
قال الرؤساء للسفلة: لا تصدقوا تصديقا
صحيحا إلا لمن تبع دينكم من أهل الملة
التي أنتم عليها، وأما غيرهم ممن قد أسلم
فأظهروا لهم ذلك خداعا «قل إن الهدى

الإسلام «يؤتيه من يشاء» لا أحد يقدر
أن يمنع فضل الله، ولا أن يتحكم في
صرفه عمن يريد إيصاله إليه. وقد شاء
الله أن يختص محمدا ﷺ وأمة بهذا
الدين.

٧٤ «يختص برحمته» قيل: هي النبوة.

٧٥ «ومن أهل الكتاب من إن تأمنه

بقنطار» أي قنطار من الذهب، وهو مائة
رطل، كناية عن كثرة الأمانة.

«ومنهم من إن تأمنه بدينار» واحد،

كناية عن قلة ما ائتمنته عليه، وشدة

طمعه هو، أي: أن أهل الكتاب فيهم

هدى الله» أي بيده الهداية، وإلا فقد
عرفتم معشر اليهود الحق، ولم تطاوعكم
أنفسكم على الإيمان به «أن يؤتى أحد
مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم»

هذا من تمام كلام اليهود بعضهم لبعض،
قالوا: إنما دعانا لرسم هذه الخطة، أنا
نحسد المؤمنين على أن صارت فيهم النبوة
والكتاب كما كان فينا، ولثلا يحتج علينا
المسلمون عند الله يوم القيامة أننا كنا
نعرف الحق ولم نتبعه، أو يحتجوا بإيمان
من أسلم منا وثبت على إسلامه «قل إن
الفضل بيد الله» ومن فضله النبوة ودين



وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأَمَّنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنْ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ

﴿واتق﴾ فلم يأكل مال أحد بالباطل، وأدى الحقوق والأمانات إلى أهلها.

٧٧ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [هم اليهود وأشباههم، إذا أكلوا أموال غيرهم وحقوقهم أنكروا، وإذا استحلفوا على ذلك حلفوا] ﴿أولئك﴾ أي الموصوفون بهذه الصفة ﴿لا خلاق لهم في الآخرة﴾ أي لا نصيب ﴿ولا يكلمهم الله﴾ بشيء أصلا، أو لا يكلمهم بما يسرهم ﴿ولا ينظر إليهم يوم القيامة﴾ نظر رحمة، بل يسخط عليهم ويعذبهم بذنوبهم. عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ «من حلف على يمين هو فيها فاجر ليقطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان. يا رسول الله: إذن يحلف، فيذهب مالي، فأنزل الله (إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا).

٧٨ ﴿يلوون ألسنتهم بالكتاب﴾ [أي ما زادوه على كتاب الله وحرفوه يتلونه كأنه من كتاب الله] ﴿لتحسبوه﴾ لتظنوا أنه مما أنزل الله، وليس هو منه ﴿ويقولون هو من عند الله﴾ يعني ينطقون بذلك قولاً، كذبا وافتراء ﴿ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾ وذلك من أعظم الذنوب.

٧٩ ﴿ما كان لبشر﴾ [أي لا ينبغي هذا ولا يستقيم، فإن الأنبياء يصطفهم الله ويخصهم بالوحي، وصدق الفهم والإخلاص لله، فلن يقع من نبي أن يدعو الناس إلى الكفر، بأمره لهم بعبادة نفسه من دون الله، فإن هذا خلاف طبيعة الأشياء]. نزلت الآية في النصاري: افتروا على عيسى عليه السلام ما لم يصح عنه، ولا ينبغي أن يقوله هو ولا أحد من إخوانه النبيين.

الذين ليسوا أهل كتاب، أي قالوا: ليس علينا في ظلمهم حرج لمخالفتهم لنا في ديننا، وادعوا أن ذلك في كتابهم ﴿ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾ يخبرنا الله تعالى أن ذلك ليس في الدين الذي أنزله الله عليهم، بل هو اختلاق محض.

٧٦ ﴿بلى﴾ أي بلى عليهم سبيل لكذبهم واستحلالهم أموال العرب، وعليهم الوزر لو أكلوا مال أحد بالباطل، ولو كان كافرا أو مخالفا لهم في الدين ﴿من أوفى بعهد﴾ مع الله فأتاه وعمل بشريعته

الأمين الذي يؤدي أمانته وإن كانت كثيرة، وفيهم الخائن الذي لا يؤدي أمانته وإن كانت حقيرة، ومن كان أمينا في الكثير، فهو في القليل أمين بالأولى، ومن كان خائنا في القليل، فهو في الكثير خائن بالأولى. وقوله ﴿إلا ما دمت عليه قائما﴾ أي لا يؤدي إليك في حال من الأحوال، إلا ما دمت عليه قائما [مثبتا] لحقك باليئة، [مطالبها له، مضيقا عليه متقاضيا لرده لك] ﴿ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل﴾ والأميون: هم العرب، وغيرهم من الأمم

كُونُوا رَبَّنِيَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّيْنَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَّا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ

﴿ولكن﴾ ولكن يقول النبي: ﴿كونوا ربانيين﴾ ومعنى الرباني: العالم بدين الرب، القوي التمسك بطاعة الله، مع فقه وحلم وحكمة ﴿بما كنتم تعلمون الكتاب وما كنتم تدرسون﴾ أي يقول النبي: كونوا مع علمكم شديدي التمسك بطاعة الرب، أقوياء في ذلك، لأنكم تدرسون كتبه، وتعلمونها للناس، وتأمرهم بالتمسك بما فيها، والذي يعلم غيره الحق يجب أن يكون أكثر من غيره تمسكاً به.

٨٠ ﴿ولا بأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً﴾ أي وليس لني: عيسى أو غيره، بعد ما آتاه الله من العلم والهدى أن يأمر بعبادة نفسه، ولا يأمر باتخاذ الملائكة والنبيين أرباباً بل ينهى عنه.

٨١ ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين﴾ بعد أن بين الله تعالى أن الأنبياء يأمرهم بتوحيد الله والإخلاص له، يبين هنا أنهم يصدقون الرسالات ويأمرهم بتصديقها: فقد أخذ الله ميثاق الأنبياء أن يصدق بعضهم بعضاً بالإيمان، ويأمر بعضهم بعضاً بذلك، ويأمرهم أنهم بذلك ﴿لما آتيتكم من كتاب وحكمة﴾ أي لأن آتيتكم شيئاً منها ﴿ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم﴾ أي موافق لهذا الذي

سوف أعطيكم ﴿لتؤمنن به﴾ جواب القسم الذي هو أخذ الميثاق، إذ هو بمنزلة الاستحلاف. عن علي قال: لم يبعث الله نبياً، آدم فن بعده، إلا أخذ عليه العهد في محمد لأن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنّه، ويأمره فيأخذ العهد على قومه ﴿إصري﴾ سمي العهد إصراً لما فيه من التشديد ﴿قال فاشهدوا﴾ قال الله سبحانه: فاشهدوا، أي ليشهد بعضهم على بعض ﴿وأنا معكم من الشاهدين﴾ أي وأنا على إقراركم وشهادة بعضكم على بعض من الشاهدين.

كارهون [وقيل المراد: أن كل شيء في السماوات والأرض حتى الحيوان والجماد مسلم لله، وحتى الكافر مستسلم لله كرهاً وإن كفر قلبه ولسانه].

٨٤ ﴿آمننا﴾ إخبار منه ﷺ عن نفسه وعن أمته ﴿والأسباط﴾ القبائل من بني إسرائيل الذين آمنوا بموسى ﴿لا نفرق بين أحد منهم﴾ كما فرقت اليهود والنصارى فآمنوا ببعض وكفروا ببعض. وقد تقدم تفسير هذه الآية في سورة البقرة / ١٣٦ ﴿ونحن له مسلمون﴾ أي منقادون مخلصون.

٨٢ ﴿فمن تولى﴾ أعرض بعد ذلك الميثاق عنك يا محمد بعد هذا العهد المأخوذ من جميع الأمم ﴿فأولئك هم الفاسقون﴾ أي الخارجون عن الطاعة.

٨٣ ﴿أفغير دين الله يبغون﴾ أي هل يطلب أحد من الناس ديناً غير دين الله خالق كل شيء، وهو طاعته وعبادته والإسلام له ﴿وله أسلم من في السماوات﴾ الملائكة ﴿والأرض﴾ كل مخلوق فيها ﴿وكرها﴾ قيل: المراد من أتى به من أسرى الأمم في السلاسل والأغلال، يقادون إلى الجنة وهم

مِنْ رَبِّهِمْ لَا نَفَرِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾
وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ
مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا
بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ
وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ
أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾
خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٨٨﴾
إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
رَحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا
كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴿٩٠﴾
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ
مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ ؕ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ

٨٥ ﴿دِينًا﴾ أي يتبع دينا حال كونه غير الإسلام **﴿وهو في الآخرة من الخاسرين﴾** [فلا دين بعد بعثة محمد ﷺ إلا دينه، ولا نجاة يوم القيامة لأحد لم يدين بدين الإسلام. عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «تحيى الأعمال يوم القيامة، فتحيى الصلاة فتقول: يا رب أنا الصلاة، فيقول: إنك على خير، وتحيى الصدقة فتقول: يا رب أنا الصدقة، فيقول: إنك على خير، ويحيى الصيام، فيقول: أنا الصيام، فيقول: إنك على خير، ثم تحيى الأعمال كل ذلك

يقول الله: إنك على خير، ثم يحيى الإسلام فيقول يا رب: أنت السلام، وأنا الإسلام، فيقول: إنك على خير، بك اليوم آخذ، وبك أعطي.»

٨٦ ﴿كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم﴾ معنى الآية [التباعد] لأن يهدي الله قوما إلى الحق كفروا بعد إيمانهم، وبعد ما شهدوا أن الرسول حق، وبعد ما جاءتهم البينات من كتاب الله سبحانه، ومعجزات رسول الله ﷺ فعرفوها وعلموا مقتضاها وآمنوا بها **﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾** ومنهم

المرتدون، ولا ريب أن ذنب المرتد أشد من ذنب من هو باق على الكفر، ممن لم يدخل في الإسلام أصلا، لأن المرتد قد عرف الحق، ثم أعرض عنادا وتمردا.

٨٧ ﴿أولئك﴾ المرتدون **﴿عليهم لعنة الله﴾** الإبعاد والطرده من رحته، ولعنة **﴿الملائكة والناس أجمعين﴾** معناه استحقاق المرتدين لذلك.

٨٨ ﴿ولا هم ينظرون﴾ معناه: لا يؤخرون ولا يمهلون. ثم استثنى التائبين: فقال:

٨٩ ﴿إلا الذين تابوا من بعد ذلك﴾ أي من بعد الارتداد **﴿وأصلحوا﴾** بالإسلام ما كان قد أفسدوه من دينهم بالردة [وأصلحوا العمل] وتقبل توبة المرتد إذا رجع إلى الإسلام مخلصا، ولا خلاف في ذلك فيما أحفظ.

٩٠ ﴿ثم ازدادوا كفرا﴾ بإقامتهم على كفرهم، وازدياد كيدهم للإسلام وأهله وقيل: هي في اليهود كفروا بعمى، فلما جاءهم محمد ﷺ كفروا به أيضا **﴿لن تقبل توبتهم﴾** عند الموت، كما قال تعالى: (وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن) **﴿وأولئك هم الضالون﴾** أي الذين لا يهتدون إلى ما

فيه نجاتهم.

٩١ ﴿إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار﴾ سواء الكفار الأصليون، أو المرتدون **﴿ولو افتدى به﴾** أي لو أتي يوم القيامة بملء الأرض ذهبا — وينجو من عذاب النار — ما قبل ذلك منه **﴿وما هم من ناصرين﴾** لا أحد ينجيهم من نار الله يوم القيامة، وفي الحديث «يؤتى بالرجل من أهل النار فيقول الله له: أتفتدي مني بطلاع الأرض ذهبا فيقول نعم. فيقول: كذبت أخذت عليك إلا تشرك بي شيئا فأبيت.»

الِيمُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٩١﴾ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا
مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾
* كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ
إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَاتُوا
بِالتَّوْرَةِ فَآتِلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى
اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩٤﴾
قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ
مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي
بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ
مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ
حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ
غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾ قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ

٩٢ ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ﴾ [أي لن تصلوا درجة الأبرار وهي صدق الإيمان وصلاح العمل وقبوله] ﴿حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ أي حتى تكون نفقتكم في سبيل الله في الجهاد وغيره من الطاعات من أموالكم التي تحبونها.

٩٣ ﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ قيل: حرم يعقوب على نفسه لحوم الأيل والبانها، وقيل: حرم كل لحم فيه عرق ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ﴾ أي أن كل المطعومات كانت حلالا ﴿قُلْ فَاتُوا بِالتَّوْرَةِ فَآتِلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ حتى تعلموا صدق ما قصه الله في القرآن، من أنه لم يحرم على بني إسرائيل شيء من قبل نزول التوراة إلا ما حرمه يعقوب على نفسه.

٩٤ ﴿فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي من بعد إحضار التوراة وتلاوتها، أو من بعد التحدي لهم بما في كتابهم ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ فإنه لا أظلم ممن حوكم إلى كتابه وما يعتقده شرعا صحيحا، ثم يجادل من بعد ذلك مفتريا على الله الكذب.

٩٥ ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي ملة الإسلام التي أنا عليها، ما دام يصدق ما جتكم به قد تبين لكم بكل جلاء.

٩٦ ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ لعبادة الله تعالى في الأرض ﴿لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ البيت الكعبة، نبه تعالى بكونه أول مُتَعَبَّدٍ على أنه أفضل من غيره، والباقي له في الابتداء إبراهيم، وبكة هي مكة ﴿مُبَارَكًا﴾ البركة: كثرة الخير الحاصل لمن يستقر فيه أو يقصده، لكثرة الخيرات التي تجي إليه، ولأجل الثواب المتضاعف ﴿وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ لعله لما فيه من إقامة توحيد الله، وذكره في المشاعر، وإحياء سنة الخليلين.

٩٧ ﴿آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ منها الصفا والمروة والمشاعر كلها. ومنها هلاك من يقصده من الجبابرة، وغير ذلك، ومنها ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ وهو الصخرة التي كان يقوم عليها وهو يبني البيت. وقد أقرنا الله أن نتخذ مصل. سورة البقرة/١٢٥، ومنها: أن ﴿مَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ أي من كان خائفا ودخل البيت الحرام آمنا، ووجب على الناس ألا يهيجوه ولو كان قد سفك دما، أو أخذ مالا، حتى يخرج من الحرم لكن من ارتكب الجريمة في الحرم يؤخذ بها، وتقام عليه العقوبة لقوله تعالى (والحرمت قصاص) ولأنه يكون هو الذي بدأ بانتهاك الحرمة ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ﴾ تأكيداً لحقه وتعظيماً لحرمة ﴿مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ التقدير أن يحج البيت من استطاع إليه سبيلا، والاستطاعة هي: الزاد والراحلة ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ أي [ومن كفر بالآيات البينات في فضائل الكعبة] فإن الله تعالى عنه غني ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ هو تعالى شأنه وتقديسه سلطانه غني لا تعود إليه طاعات عباده بأسرها بنفع.



بِغَايَةِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ
 الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنۢ ءَامَنَ تَبَغُّونَهَا
 عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۚ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ ۖ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾
 يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا
 الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ
 تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُم ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ۚ
 وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾
 يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ۚ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا
 وَأَنتُمْ مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ
 وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمۡ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَآءَ فَأَلَّفَ بَيْنَ
 قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ
 مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُم ءَايَاتِهِ ۚ

رسوله فارجعوا إليه، وردوا الأمر إليه،
 يبطل كيد هؤلاء. وهذا في عهده **ﷺ**
 وأما بعده، فإن آثاره وعلامته والقرآن
 الذي أتى به وسننه كل ذلك باق
 فينا، [والعلماء يعرفون ذلك] فكأنه لا
 يزال بين أظهرنا **ﷺ** ويكون ذلك إذا
 تمسكنا به ورجعنا إليه، عصمة من
 دسائسهم وفتنهم **«ومن يعتصم بالله»**
 أرشدهم إلى الاعتصام به وترك الركون
 إلى أعدائه، لتثبت لهم الهداية، ويخلصوا
 من الضلال الذي يراد بهم.

١٠٢ «اتقوا الله حق تقاته» أي التقوى
 التي تحقق له، وهي ألا يترك العبد شيئا
 مما يلزمه فعله، ولا يفعل شيئا مما يلزمه
 تركه، وييذل في ذلك جهده ومستطاعه.
 ذكر المفسرون أنها لما نزلت هذه الآية،
 قالوا يا رسول الله: من يقوى على هذا؟
 وشق عليهم ذلك، فنزل: (فاتقوا الله ما
 استطعتم) فنسخت هذه الآية. وقيل
 المعنى: اتقوا الله حق تقاته ما استطعتم
«ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون» أي لا
 تكونوا على حال سوى حال الإسلام،
 حتى إذا جاء الموت — وقد يأتي بغتة —
 جاء وأنتم مسلمون.

١٠٣ «واعتصموا بحبل الله جميعا»
 أمرهم سبحانه بأن يجتمعوا على التمسك
 بدين الإسلام أو بالقرآن، ونهاهم عن
 التفرق الناشئ عن الاختلاف في الدين
«أعداء» يقتل بعضهم بعضا، وينهب
 بعضهم بعضا، فأصبحوا بسبب هذه
 النعمة إخوانا **«على شفا حفرة من
 النار»** بما كانوا عليه من الكفر، فأنقذهم
 الله من هذه الحفرة بالإسلام، يقول:
 كنتم على طرف النار، من مات منكم
 وقع في النار، فبعث الله محمدا **ﷺ**
 واستنقذكم به من تلك الحفرة. وفي
 الحديث «كتاب الله هو حبل الله
 الممدود من السماء إلى الأرض».

شهداء» أي كيف تطلبون ذلك الكيد
 بملة الإسلام، والحال أنكم تشهدون أنها
 دين الله الذي لا يقبل غيره، كما عرفتم
 ذلك من كتبكم المنزلة على أنبيائكم.

**١٠٠ «إن تطيعوا فريقا من الذين
 أوتوا الكتاب»** إن تصفوا إلى دسائسهم
 وتركوا إلى أقوالهم يصلوا بكم إلى هدفهم
 وهو أن **«يردوكم بعد إيمانكم
 كافرين»**.

**١٠١ «وكيف تكفرون وأنتم تتلى
 عليكم آيات الله»** فاتلوها واستمسكوا
 بها تعرفوا ما يريد بكم اليهود **«وفيكُم**

٩٨ «والله شهيد على ما تعملون»
 [مطلع عليكم يراكم حينما تنطقون
 بالكفر. وتفعلون ما هو كفر بدلائل الحق
 ومعجزات النبوة، أو كفر بآيات
 التوراة].

**٩٩ «لم تصدون عن سبيل الله من
 آمن»** تدبرون المكاييد لتوقعوا الفتنة بين
 المؤمنين، وتحاولوا الحيلولة بين الناس
 وبين الإيمان بالله **«تبغونها عوجا»**
 تطلبون لسبيل الله اعوجاجا وميلا عن
 القصد والاستقامة بإيهاكم الناس بأنها
 كذلك، تقويا لدعاويكم الباطلة **«وأنتم**

لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلِتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ
وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُقْلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ
بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾
يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ
وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيْمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا
كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ
فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٨﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ
نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾
وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ
الْأُمُورُ ﴿١١٠﴾ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ
بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ

١٠٤ ﴿ولتكن منكم أمة﴾ أي لتكن طائفة منكم قائمين بواجب الدعوة والأمر والنهي، وقيل المراد: كونوا كلكم أمة تدعون وتأمر وتنهون. والقول الأول أصح ﴿يدعون إلى الخير﴾ بالتعليم والوعظ والإرشاد ﴿ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ باليد أو باللسان. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات، يختص بأهل العلم الذين يعرفون كون ما يأمر به معروف، وما ينهون عنه منكر. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثابت بالكتاب والسنة، وهو من أعظم واجبات الشريعة المطهرة، وأصل عظيم من أصولها، وبه يكمل نظامها [وذلك لأن أصحاب كل دين قد ينحرف بعضهم عن دينه جهلاً به، أو اتباعاً للهوى، وقد يتقاعسون عن أداء الواجبات، وقد يظلم بعضهم بعضاً، فإن لم يوجد من يصحح المسيرة، ويهدي الضال، ويعظ المقصر، يأخذ على يد الظالم، كثر الانحراف، وتعاضم، حتى يُنسى الدين، وتتغير معالمه. وقد حذرنا الله من مثل مصير بني إسرائيل، ولعنهم لتركهم الأمر والنهي وقال (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون. كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون)]
﴿وأولئك﴾ أي تلك الطائفة القائمة بما ذكر ﴿هم المفلحون﴾ أي المختصون بالفلاح.
١٠٥ ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا﴾ هم اليهود والنصارى نهاهم الله أن يكونوا فرقا. ونهاهم عن الاختلاف فيما وردت فيه ﴿البيّنات﴾ وهي: الآيات الواضحة المبينة للحق، الموجبة لعدم الاختلاف، وقيل: الذين تفرقوا هم مبتدعة هذه الأمة، والفرق التي تميزت وخالفت فيما هو من ضروريات الدين وأساسياته.
١٠٦ ﴿يوم تبيض وجوه﴾ أي لهم

عذاب عظيم يوم القيامة حين يبعثون من قبورهم، وتكون وجوه المؤمنين مبيضة، ووجوه الكافرين مسودة ﴿أكفرتم﴾ أي فيقال لهم: أكفرتم، قيل: هم أهل الكتاب، وقيل: المرتدون، وقيل: المنافقون، وقيل: المبتدعون.
١٠٧ ﴿ففي رحمة الله﴾ أي في جنته ودار كرامته.
١٠٨ ﴿نتلوها عليك بالحق﴾ أي متلبسة بالحق وهو العدل ﴿وما الله يريد ظلماً للعالمين﴾ بتعذيبهم إلا وهم مستحقون.
١٠٩ ﴿وما في السماوات وما في الأرض﴾ أي له ذلك يتصرف فيه كيف يشاء، وعلى ما يريد، ولغناه عن الظلم لكون ما في السماوات وما في الأرض في قبضته.
١١٠ ﴿كنتم خير أمة﴾ أي كنتم في علم الله كذلك، وقيل: كنتم منذ آمنتم، وفيه دليل على أن هذه الأمة الإسلامية خير الأمم على الإطلاق، وأن هذه الخيرية مشتركة ما بين أول هذه الأمة وآخرها بالنسبة إلى غيرها من الأمم، وإن كان الصحابة أفضلهم ﴿أخرجت للناس﴾ أي أظهرت لهم، وقيل: المعنى كنتم أنفع

أَهْلَ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمْ
الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقْتُلُوكُمْ
يُولُوكُمْ آلَ ذُبَارٍ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ
أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُ و
بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
كَانُوا يَكْفُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ
ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ * لَيْسُوا سَوَاءً
مَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ
الَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ
فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا
مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ



الذلة محيطة بهم في كل حال **﴿أَيُّهَا
تُقِفُوا﴾** حيثما وجدتموهم متمكنين منهم
﴿إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ﴾ بذمة الله أو بكتابه
﴿وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ﴾ أي بذمة من الناس
وهم المسلمون [أو معونة ممن هم سواهم]
﴿وَبَاءُ و﴾ أي رجعوا **﴿بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾**
أي لزمهم غضب من الله هم مستحقون
له، ومعنى **﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾**
إحاطتها بهم من جميع الجوانب، أي
الغضب والذلة والمسكنة، فإنهم تحت
الفقر المدقع، والمسكنة الشديدة، إلا
النادر الشاذ منهم **﴿ذَلِكَ﴾** أي ضرب
الذلة عليهم والمسكنة والبواء بالغضب
منه، لكونهم كفروا بآياته، وقتلوا أنبياءه،
وبسبب عصيانهم واعتدائهم .

١١٣ ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ أي أهل الكتاب
غير مستويين على الحال التي تقدمت من
ذمهم، بل فيهم خيار مؤمنون **﴿أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾**
مستقيمة عادلة **﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ﴾** أي
آيات القرآن في صلاة الليل **﴿آنَاءَ
الَّيْلِ﴾** ساعاته **﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾** وهم
يصلون، عبر بالسجود عن مجموع الصلاة،
لما فيه من الخضوع والتذلل .

١١٤ ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ هو
يوم القيامة **﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ
عَنِ الْمُنْكَرِ﴾** على العموم، وقيل المراد
بالأمر بالمعروف هنا: أمرهم باتباع النبي
ﷺ ونهيهم عن مخالفته **﴿وَيُسْرِعُونَ فِي
الْخَيْرَاتِ﴾** يبادرون بها غير متأقلين عن
تأديتها لمعرفتهم بقدر ثوابها **﴿وَأُولَئِكَ مِنَ
الصَّالِحِينَ﴾** أي مع الصالحين، وهم
الصحابة رضي الله عنهم [فيكونون - إذا
كانوا كذلك - من الأمة التي هي خير
أمة أخرجت للناس التي تقدم ذكرها
آنفا] .

١١٥ ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ أي خير
كان **﴿فَلَنْ يُكْفَرُوهُ﴾** أي لن يعدموا
ثوابه، بل هو مؤثر لهم .

الحق المتمردون في باطلهم المكذبون
لرسول الله ﷺ .

١١١ ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى﴾ أي لن
يضرركم بنوع من أنواع الضرر إلا بنوع
الأذى، وهو الكذب والتحريف والبهت،
ولا يقدرُونَ على الضرر الذي هو الضرر
في الحقيقة بالحرب والنهب ونحوهما **﴿وَأَنْ
يُقَاتِلُوكُمْ يُولُوكُمْ الْأُدْبَارَ﴾** أي ينهزمون
ولا يقدرُونَ على مقاومتكم فضلاً عن أن
يضرركم **﴿ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ﴾** بل شأنهم
الخذلان ما داموا .

١١٢ ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾ صارت

الناس للناس. وخيريتهم لما بيته بقوله
﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي كانوا خير أمة
ما أقاموا على ذلك واتصفوا به، فإذا
تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر والإيمان بالله زال عنهم ذلك. **﴿وَلَوْ
آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾** أي اليهود إيماناً
كإيمان المسلمين بالله ورسوله وكتبه
﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ ولكنهم لم يفعلوا
ذلك. ثم بيّن حال أهل الكتاب بقوله
﴿مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ﴾ وهم الذين آمنوا
برسول الله ﷺ منهم **﴿وَأَكْثَرُهُمْ
الْفَاسِقُونَ﴾** أي الخارجون عن طريق

كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتُهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَآأَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا الْقُومُ قَالَُوا ءَامِنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُوا عَلَيْكُمْ فَأَلَامُوا مِنَ الْغِيظِ قُلْ مُوتُوا بِغِيظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِنْ تَمَسَّكْتُمْ حَسَنَةً تَسُوءُهُمْ وَإِنْ تَصَبَّرْكُمْ سَيِّئَةً يَفْرَحُوا بِهَا

١١٦ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قيل: هم بنو قريظة والنضير. لما ذكر تعالى مؤمني أهل الكتاب، ذكر كفارهم في هذه الآية ﴿لَنْ تُغْنِيَ﴾ لن تدفع ﴿أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ من الدفع مما يريد الله أن يوقعه بهم من الهزيمة والنكال، وخص الأولاد لأنهم أحب القرابة إلى الإنسان وأرجاهم لدفع ما ينوبه.

١١٧ ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ﴾ بيان لعدم إغناء أموالهم التي كانوا يقولون عليها، وينفقونها في محادة الله ورسوله، ومحاربة دين الإسلام ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ الصر: البرد الشديد، ومعنى الآية: مثل نفقة الكافرين في بطلانها وذهابها وعدم منفعتها، كمثل زرع أصابه ريح باردة، فأحرقتة أو أهلكته، فلم ينتفع أصحابه بشيء منه بعد أن كانوا على طمع من نفعه وفائدته [والأموال التي أنفقوها في ذلك الزرع ذهبت أيضا] وقيل: هذا مثل لما يفعلونه من الخير بأموالهم مع ما هم عليه من الكفر، يأتون يوم القيامة فيجدون ثمرته قد محقت ﴿وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [أضاعوا أموالهم في مقابلة الله الذي لا يغلب] كمثل هذا الزرع إذا زرعه القوم الظالمون فأصابه ريح فيها صر فأهلكته، فكذلك أنفقوا فأهلكهم شركهم.

١١٨ ﴿لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ﴾ بطانة الرجل: خاصته الذين يستبطنون أمره [ويطلعهم على أسرارهم وداخله أمره] ﴿مِنْ دُونِكُمْ﴾ أي من دون المسلمين وهم الكفار ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ لا يقصرون فيما فيه الفساد عليكم، والخبال: الفساد في الأفعال والأبدان والعقول ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾ يحبون لكم ما فيه المشقة عليكم والضرر ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ﴾ هي شدة البغض، قد ظهرت

في كلامهم لما خامرهم من شدة الحسد. أظهرت ألسنتهم ما في صدورهم، فتركوا التقيّة وصرحوا بالكذب، وكان يظهر من فلتات ألسنتهم ما يكشف عن خبث طويتهم ﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ بل تلك الفلتات بالنسبة إلى ما في الصدور قليلة جدا.

١١٩ ﴿هَآأَنْتُمْ أَوْلَاءُ﴾ أيها الموالون لهم الذين اتخذتم منهم بطانة ﴿تُحِبُّونَهُمْ﴾ أنتم ﴿وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ هم، لما قد استحکم في صدورهم من الغيظ والحسد ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾ والحال أنكم مؤمنون

بكتب الله التي من جملتها كتابهم، فبالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم؟ ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا﴾ نفاقا وثقيّة ﴿وَإِذَا خَلَوْا عَضُوا عَلَيْكُمْ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغِيظِ﴾ تأسفا وتحسرا، حيث عجزوا عن الانتقام منكم ﴿قُلْ مُوتُوا بِغِيظِكُمْ﴾ أي: فإن الله متمم نعمته على المؤمنين، ومظهر دينه، فلتزدادوا غيظا حتى تموتوا به ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ الخواطر القائمة بها.

١٢٠ ﴿إِنْ تَمَسَّكْتُمْ حَسَنَةً﴾ من نصر، أو قوة، أو غير ذلك، ولو كان

يترتب على الصبر من النصر **﴿أذلة﴾** بسبب قلتهم.

١٢٤ ﴿إِذْ تَقُولُ﴾ أي: اذكر إذ قلت

يوم بدر للمؤمنين **﴿أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ﴾** للإنكار منه عليهم عدم اكتفائهم بذلك المدد من الملائكة.

١٢٥ ﴿بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا﴾ على شدة

الحرب، وثبتتوا في المعركة **﴿وَيَأْتُوكُمْ**

مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا﴾ أي: إن يأتوكم من

ساعتهم هذه **﴿يَمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ﴾** بالملائكة

في حال إتيانهم، لا يتأخر عن ذلك

﴿مُسَوِّمِينَ﴾ أي معلمين أنفسهم

بالعلامات، وكان أهل الشجاعة والبأس

يعلمون أنفسهم بعصاة حمراء، أو علامة

أخرى، ليعرف مكانهم. قيل: إن

الملائكة يوم بدر اعتمت بعمائم بيض،

وقيل: حر، وقيل: خضر، وقيل: صفر،

وقيل: كانوا على خيل بلق.

١٢٦ ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ﴾

أي إلا لتبشروا بأنكم تنصرون

﴿وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ﴾ أي بالإمداد

﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ لا من

عند غيره، فلا تنفع كثرة المقاتلة،

وجود العدة، إلا بعون الله وتأيدته

وتوقيفه [ولو شاء الله تعالى لقضى عليهم

ونصر دينه بدون قتال منكم، ولا سعي

في تدبير حرب، ولكن ليختبر إيمانكم

وصبركم شرع لكم قتالهم، كما في الآية

الأخرى (ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم

ولكن ليلو بعضكم ببعض).

١٢٧ ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾

أي نصركم الله ببدر ليقطع طائفة من

الكفار، وهم الذين قتلوا يوم بدر، ومعنى

﴿يَكْبِتُهُمْ﴾ يحزنهم ويضيق عليهم أمرهم

ويكف غلواءهم **﴿فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾** أي

غير ظافرين بمطلبهم.

وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ

بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ

الْمُؤْمِنِينَ مَقْعَدَ الْفِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّتْ

طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ

الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا

اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ

يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ

مُزَلِّينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ

فَوْرِهِمْ هَذَا يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ

مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ

قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ

الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ

أحد **﴿تُبَوِّئُ﴾** أي تتخذ لهم مقاعد للقتال، أي أماكن يقعدون فيها.

١٢٢ ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ

تَفْشَلَا﴾ والطائفتان: بنو سلمة من

الخزرج، وبنو حارثة من الأوس، وكانا

جناحي العسكر يوم أحد، أرادوا الرجوع

عن الغزو مع النبي ﷺ، فحفظ الله

قلوب المؤمنين فلم يرجعوا **﴿والله وليها﴾**

أي: ولذلك عصمها من الفشل فلم

يرجعوا كما رجع المنافقون.

١٢٣ ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ﴾ جملة

مستانفة سيقت لتصبيرهم بتذكير ما

قليلا **﴿نصوهم﴾** فن كانت هذه حاله لم

يكن أهلا لأن يتخذ بطانة **﴿وإن**

تصبروا﴾ على عداوتهم أو على التكليف

الشاقة في حربهم **﴿وتتقوا﴾** مولاتهم **﴿لا**

يضرركم كيدهم﴾ تدبيرهم السوء لكم

ولدينكم **﴿إن الله بما يعملون محيط﴾**

مطلع عليه قادر على إحباطه.

١٢١ ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ انتقل

إلى ذكر الحرب مع قريش في بدر وأحد،

ليعتبر اليهود ويعلموا كيف مصيرهم لو

حاربهم المسلمون. والمعنى: خرجت من

المنزل الذي فيه أهلك. نزلت في غزوة

فَيَنْقَلِبُوا خَاطِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَرْبَابَ مَا أَضَعَفَا مَضْعَفَةٌ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ * وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ

١٢٨ ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ أي إن الله مالك أمرهم يصنع بهم ما يشاء من الإهلاك أو الهزيمة أو التوبة إن أسلموا، أو العذاب. فقله ﴿أو يتوب عليهم أو يعذبهم﴾ فيه تلميح بأن قریشا سيكون مصيرها الإيمان.

١٢٩ ﴿والله ما في السماوات وما في الأرض﴾ لبيان سعة ملكه ﴿يفغر لمن يشاء﴾ أن يفغر له ﴿ويعذب من يشاء﴾ أن يعذبه، يفعل في ملكه ما يشاء، ويحكم ما يريد ﴿والله غفور رحيم﴾ إشارة إلى أن رحمته سبقت غضبه [ودعوة لقریش إلى أن تراجع موقفها من دين الإسلام].

١٣٠ ﴿أضعافاً مضاعفة﴾ اعتراض بين أثناء قصة أحد [ليتركوا أكل الربا، ويبدلوا أموالهم في سبيل الله، ويستعدوا لنشر الإسلام]، ومعلوم تحريم الربا على كل حال، ولكنه جيء به باعتبار ما كانوا عليه، فإنهم كانوا يربون إلى أجل، فإذا حل الأجل زادوا في المال، ثم يزيّدون في أجل الدين، يفعلون ذلك مرة بعد مرة، حتى يأخذ المرابي أضعاف دينه الذي كان له في الابتداء.

١٣١ ﴿واتقوا النار التي أعدت للكافرين﴾ فيه الإرشاد إلى تجنب ما

يفعله الكفار في معاملاتهم، أي إن أكل الربا شأن الكفار، فاتقوا الربا الذي ينزع منكم الإيمان فتستوجبون النار كالكفار.

١٣٢ ﴿وأطيعوا الله والرسول﴾ في كل أمر ونهي ﴿لعلكم ترحمون﴾ لتكونوا بطاعتكم لله ورسوله متعرضين لرحمة الله.

١٣٣ ﴿عرضها السماوات والأرض﴾ فيها أوسع مخلوقات الله سبحانه فيها يعلمه عباده، فكيف تفعلون ما يحرمكم من الجنة، على ما هي عليه من السعة، وقد أعدت للمتقين؟ وتأكلون الربا،

فدخلكم النار التي أعدت للكافرين.

١٣٤ ﴿السراء﴾ اليسر والرخاء

﴿والضراء﴾ العسر والشدة ﴿والكاظمين

الغيظ﴾ الذين يكتمون غضبهم، ويبقونه

في قلوبهم، فلا يظلمون بسبب غيظهم

أحداً، يقال: كظم غيظه، أي سكت

عليه ولم يظهره ﴿والعافين عن الناس﴾

أي التاركين عقوبة من أذنب إليهم

واستحق المؤاخظة، أي وذلك إذا كانوا

قادرين على المؤاخظة ﴿والله يحب

المحسنين﴾ بالعمو وغيره من أمورهم.

١٣٥ ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة﴾ أي

فعلت فاحشة وهي كل معصية. وقد كثر

اختصاصها بالزنى، لأنه من أشنع

الفواحش ﴿أو ظلموا أنفسهم﴾ باقتراف

الذنوب، وقيل: الفاحشة الكبيرة، وظلم

النفس الصغيرة ﴿ذكروا الله﴾ بالسنتهم

وقلوبهم ﴿فاستغفروا لذنوبهم﴾ طلبوا

المغفرة لها من الله ﴿ومن يغفر الذنوب

إلا الله﴾ [أي مغفرة كاملة لا يتبعها

عتب ولا عقوبة، فلا يتعاضده ذنب أن

يغفره] ﴿ولم يصروا على ما فعلوا﴾

الإصرار: العزم على معاودة الذنب، وعدم

الإقلاع عنه بالتوبة.



عن الأخذ بأسباب القوة]. عزاهم
وسلاهم عما نالهم يوم أحد من القتل
والجراح، وحشهم على قتال عدوهم،
ونهاهم عن العجز والفشل، ثم بين لهم
أنهم **«الأعلون»** على عدوهم بالنصر
والظفر بعد هذه الواقعة **«إن كنتم**
مؤمنين» أي إن كنتم مؤمنين فلا تنهوا
ولا تحزنوا، أو إن كنتم مؤمنين فأنتم
الأعلون.

١٤٠ «فَرِحَ» القرح: الجرح، والمعنى إن
نالوا منكم يوم أحد، فقد نلتهم منهم يوم
بدر **«وتلك الأيام»** أي النصر والغلبة
في الوقائع الكائنة بين الأمم في حروبها،
جرت عادة الله أن يجعلها بينهم متداولة،
تارة تغلب هذه الطائفة، وتارة تغلب
الأخرى، كما وقع لكم أيها المسلمون في
يوم بدر وأحد **«وليعلم الله الذين آمنوا»**
بصبرهم علماً يقع عليه الجزاء، كما علمه
علما أزليا **«ويتخذ منكم شهداء»** أي
يكرمهم بالشهادة، والشهداء سئوا بذلك
[لأنهم قتلوا في الدعوة إلى الله، فيشهدون
عنده على من قتلهم أنه قتلهم ظلماً
وعدواناً]. وقيل: لكونهم مشهوداً لهم
بالجنة.

١٤١ «وليمحص الله الذين آمنوا»

والتحصيص: التطهير، أي: ليخلص
المؤمنين من ذنوبهم، فتبقى صحائفهم نقية
ليس فيها إلا الحسنات **«ويعحق**
الكافرين» أي يستأصلهم بالهلاك. ففي
هذه الآية بيان الحكمة في ظهور الكفار
يوم أحد، فنها تميز أهل الإيمان والصبر،
وإدراك بعض المؤمنين الشهادة، وطفیان
الكفار ليؤدي ذلك بهم إلى الحق.

١٤٢ «أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولا

يعلم» أي [بل أتظنون أنكم تدخلون
الجنة قبل أن يميز منكم أهل الجهاد
وأهل الصبر من غيرهم، ففي وقعة أحد
تميزوا].

الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾
أُولَٰئِكَ جَزَاءُهُمْ مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾
قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا
كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ
وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَنهَوْا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ
الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ
مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ
وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۚ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ
الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ
الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا
يَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾

كان عاقبة المكذبين» ولمشاهدة آثار
الأمم البائدة وقع في النفوس، ليس لمجرد
التذكر واستماع القول أثر يوازيه. ولذا
أمرنا الله بالسير والنظر.

١٣٨ «هذا» الأمر بالسير في الأرض،
والنظر في عاقبة الظالمين البائدين وديارهم
الخاوية منهم **«بيان للناس»** أي
للمكذبين وغيرهم **«وهدى وموعظة»**
فالبيان لجميع الناس مؤمنهم وكافرهم،
والهدى والموعظة للمتقين وحدهم.

١٣٩ «ولا تنهوا ولا تحزنوا» [الوهن:
الضعف والعجز وترك الاستعداد، والملل

١٣٦ «جزاؤهم مغفرة من ربهم» أي
جزاء من عمل الصالحات المذكورة أن
يمحى عنه ذنبه، ويدخل الجنة. عن أبي
بكر الصديق، قال: سمعت رسول الله
ﷺ يقول: «ما من رجل يذنب ذنباً، ثم
يقوم عند ذكر ذنبه فيتطهر، ثم يصلي
ركعتين، ثم يستغفر الله من ذنبه ذلك إلا
غفر الله له، ثم قرأ هذه الآية».

١٣٧ «قد خلت من قبلكم سنن»
وقائع سنها الله في الأمم المكذبة **«فسيروا**
في الأرض» سيحوا فيها بقصد الاعتبار،
أي إن شككتم فسيروا **«فانظروا كيف**

وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ
وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ
مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَلَا يَنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ أَنْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ
وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ
الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ
كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ
ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾
وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قُتِلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا
أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ
يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا
اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا
عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا

١٤٣ ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ﴾ كانوا
يتمنون يوما يكون فيه قتال، فلما كان
يوم أحد انهزموا مع أنهم هم الذين ألحوا
على رسول الله ﷺ بالخروج، ولم يصبر
منهم إلا نفر يسير، مثل أنس بن النضر
عم أنس بن مالك ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ تَلْقَوْهُ﴾
أي القتال، وتوفي الموت من المسلمين
يرجع إلى توفي الشهادة ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ﴾
أي الموت ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ معانين له
حين قتل من قتل منكم.

١٤٤ ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ لما أصيب
في يوم أحد صاح الشيطان قائلا: قد قتل
محمد، ففشل بعض المسلمين، حتى قال
قائل: قد أصيب محمد فاعطوا بأيديكم،
فإنما هم إخوانكم. وقال آخر: لو كان
رسولا ما قتل ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ
الرُّسُلُ﴾ يموت كما مات الرسل غيره،
وقد يقتل كما قتلوا [وهذا قبل أن عصمه
الله من الناس] ﴿أَفَلَا يَنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ
أَنْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ أي كيف ترتدون
وتتركون دينه إذا مات أو قتل، مع
علمكم أن الرسل تخلو ويتمسك أتباعهم
بدينهم وإن فُقدوا بموت أو قتل ﴿وَمَنْ
يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾ أي بإدباره عن
القتال، أو بارتداده عن الإسلام ﴿فَلَنْ
يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا﴾ وإنما يضر نفسه
﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ أي الذين
صبروا وقاتلوا واستشهدوا، لأنهم بذلك
شكروا نعمة الله عليهم بالإسلام.

١٤٥ ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا
بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بقضاء الله وقدره ﴿كِتَابًا
مُؤَجَّلًا﴾ معناه: كتب الله الموت كتابةً
على كل نفس في أجل لا يتقدم على
أجله ولا يتأخر ﴿وَمَنْ يُرِدْ﴾ أي بعمله
﴿ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ كالغنيمة ونحوها ﴿نُؤْتِهِ
مِنْهَا﴾ أي من ثوابها ﴿وَمَنْ يُرِدْ﴾ بعمله
﴿ثَوَابَ الْآخِرَةِ﴾ وهو الجنة نُؤْتِهِ مِنْ
ثَوَابِهَا، ونضاعف له الحسنات أضعافا

كثيرة ﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ بامثال ما
أمرناهم به كالقتال والصبر، عن علي
قال: الشاكين على دينهم: أبا بكر
وأصحابه، فكان علي يقول: كان أبو بكر
أمير الشاكين.
١٤٦ ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ
رَبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ أي كثير من الأنبياء قاتلوا
أعداء الله، وقاتل معهم العلماء والعُباد
الربانيون. والربيون: هم الربانيون نسبوا
إلى التأله والعبادة ومعرفة الربوبية ﴿فَمَا
وَهَنُوا﴾ أي فما وهن أولياء الله لقتل
نبيهم، أو لقتل من قتل منهم ﴿وَمَا
ضَعُفُوا﴾ أي عن عدوهم ﴿وَمَا اسْتَكَانُوا﴾
والاستكانة: الذلة والخضوع.
١٤٧ ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ﴾ أي قول أولئك
الذين كانوا مع الأنبياء عند أن لقوا
عدوهم ﴿ذُنُوبَنَا﴾ قيل: هي الصفات
﴿وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا﴾ قيل: هي الكبائر،
والإسراف: ما فيه مجاوزة للحد، قالوا
ذلك مع كونهم ربانيين هضما لأنفسهم
﴿وَتَبَّتْ أَقْدَامُنَا﴾ في مواطن القتال.
١٤٨ ﴿فَآتَاهُمُ اللَّهُ﴾ بسبب ذلك
﴿ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ من النصر والغنيمة والعزة

وَحَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ ۖ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا اللَّهَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يردُّوكُمُ عَلَى
أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ
الْمَوْلَىٰ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ۚ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا
أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانٌ ۚ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ
وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ
إِذْ تَحْسُونَهُمْ بِإِذْنِهِ ۚ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ
وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِّنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا
وَمِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ
وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ۚ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥١﴾
* إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلَوْنَهَا عَلَىٰ أَحَدٍ ۚ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ
فِي أُخْرَاكُمْ فَأَتَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ



نزلت لما قال بعض المسلمين من أين أصابنا هذا؟ وقد وعدنا الله النصر، وذلك أنه كان الظفر لهم في الابتداء، حتى قتلوا صاحب لواء المشركين وتسعة نفر بعده. فلما اشتغلوا بالغنيمة، وترك الرماة مركزهم طلبا للغنيمة، كان ذلك سبب الهزيمة **«تَحْسُونَهُمْ»** تقتلونهم وتستأصلونهم **«حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ»** أي جبنتم وضعفتم **«وَتَنَزَّعْتُمْ»** والتنازع، ما وقع من الرماة حين قال بعضهم: نلحق الغنائم، وقال بعضهم: نثبت في مكاننا **«مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ»** ما وقع لكم من النصر في الابتداء في يوم أحد **«وَمِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا»** الغنيمة **«وَمِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ»** أي الأجر بالبقاء في مراكزهم امتثالا لأمر رسول الله ﷺ **«ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ»** أي ردكم الله عنهم بالانهزام بعد أن استوليت عليهم ليمتحنكم **«وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ»** لما علم من ندمكم فلم يستأصلكم بعد المعصية [والمعصية هي أن النبي ﷺ كان قد أقام الرماة في موضع ليحموا ظهور المسلمين، وقال لهم «إن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا، وإن رأيتمونا نقتل فلا تشركونا» ولكنهم تركوا أماكنهم لما رأوا هزيمة المشركين].

١٥٢ **«إِذْ تُصْعِدُونَ»** تمضون قبالة وجوهكم تمنعون في السير بعيدا **«وَلَا تَلَوْنَهَا»** أي لا يلتفت بعضكم إلى بعض هربا **«عَلَىٰ أَحَدٍ»** ممن معكم، وقيل: على رسول الله ﷺ **«وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ»** في الطائفة المتأخرة منكم، وكان دعاء النبي ﷺ «أي عباد الله ارجعوا» **«فَأَتَابَكُمْ»** أي فجازاكم الله غمّا حين صرفكم عنهم بسبب غم أذقتموه رسول الله ﷺ بعصيانكم **«لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ»** من الغنيمة **«وَلَا مَا أَصَابَكُمْ»** من الهزيمة.

إلى المشركين ولا تتولوهم، وكونوا من حزب الله، حربا على أعدائه، فالله هو مولاكم دونهم، ولا ينصرونكم، بل الله ناصركم لا غيره.

١٥١ **«سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الْكَافِرِينَ خَوْفًا وَفَزَعًا»** بما أشركوا بالله أي بسبب إشراكهم **«مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا»** أي ما لم ينزل الله بجعله شريكا حجة وبيانا وبرهانا **«وَمَا أَوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ»** فكيف تتولونهم؟ فإنكم إن توليتموهم كنتم معهم].

١٥٢ **«وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ»**

ونحوها **«وَحَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ»** وهو نعيم الجنة **«وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ»** في شؤون الحرب وغيرها فيحسن جزاءهم في الدنيا والآخرة.

١٤٩ **«إِن تَطِيعُوا اللَّهَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا»** [هذا كأنه رد على الذين دعوا في معركة أحد بعد الهزيمة إلى الاستسلام، وأملوا أن يحسن المشركون معاملتهم] **«يُردُّوكُمُ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ»** أي يخرجوكم من دين الإسلام إلى الكفر **«فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ»** أي ترجعوا مغبونين.

١٥٠ **«بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ»** أي فلا ترجعوا

وَلَا مَا أَصْبَرَ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٦﴾ ثُمَّ أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنٌ نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يَبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا ههنا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا

١٥٤ ﴿أَمْنٌ﴾ الأمانة: الأمن يكون مع وجود أسباب الخوف ﴿نُعَاسًا﴾ عن الزبير ابن العوام قال: رفعت رأسي يوم أحد فجعلت أنظر وما منهم من أحد إلا وهو يميل تحت جحفته من النعاس ﴿يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ﴾ هم المؤمنون الذين خرجوا للقتال طلبا للأجر، أصابهم النعاس قليلا فكان ثباتا لهم، والطائفة الأخرى هم: معتب بن قشير وأصحابه من المنافقين، وكانوا خرجوا طمعا في الغنيمة، فجعلوا يتأسفون، بل أخذهم القلق على الحضور، ويقولون الأقاويل، ومعنى ﴿أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ صارت هممتهم لا هم لهم غيرها ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ ظنهم أن أمر النبي ﷺ باطل، وأنه لا يُنْصَرُّ ولا يتم ما دعا إليه من دين الحق ﴿يَقُولُونَ﴾ لرسول الله ﷺ ﴿هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ﴾ من النصر والاستظهار على العدو لننال الغنيمة ﴿قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ وليس لكم ولا لعدوكم منه شيء، فالنصر بيده والظفر منه، وقوله ﴿يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ النفاق ولا يبدون لك ذلك، بل يسألونك سؤال المسترشدين ﴿يَقُولُونَ﴾ كأنه قيل ما هو الأمر الذي يخفون في أنفسهم؟ فقيل يقولون فيما بينهم أو في أنفسهم ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا ههنا﴾ أي ما قتل من قتل منا في هذه المعركة ﴿لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ أي لم يكن بد من خروج من كتب عليه القتل إلى هذه المصارع التي صرعوا فيها، فإن قضاء الله لا يرد ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ ليبحثن ما في صدوركم من الإخلاص، وليمحص ما في قلوبكم من وساوس الشيطان.

١٥٥ ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ أي انهزموا يوم أحد ﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ أوقعهم في الخطيئة

وهي الانهماك بسبب ﴿بَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ من الذنوب ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ لتوبتهم واعتذارهم.

١٥٦ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾ في الكفر، أو في النسب [أو في المحبة]، أي قالوا لأجلهم ﴿إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ﴾ إذا ساروا فيها للتجارة أو نحوها ﴿أَوْ كَانُوا غَزَى﴾ أي خارجين للقتال فاتوا في السفر، أو قتلوا في الحرب [يبين الله تعالى موقف كل من المؤمنين إذا مات له أخ أو عزيز في سفر أو تجارة أو حرب]

١٥٧ ﴿وَلَمَّا قُتِلْتُمْ﴾ في الجهاد ﴿أَوْ مِتُّمْ﴾ في سفر أو غيره ﴿مَغْفُورَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ مزية القتل أو الموت في

﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾ قالوا ذلك لعدم إيمانهم بقضاء الله وقدره ﴿لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ والمراد أنه صار ظنهم أنهم لو لم يخرجوا ما قتلوا حسرة ﴿وَاللَّهُ بِحَيِّ وَبِيتٍ﴾ متى شاء وأين شاء، في الغزو والسفر وغيرهما، فلا تكونوا أيها المؤمنون مثلهم، ولا تتحسروا على من استشهد منكم، وكونوا من الصابرين المؤمنين بأقدار الله.

ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا
وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ۖ وَاللَّهُ يُحْيِي
وَيُمِيتُ ۖ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ أَوْ مُتْتُمْ لِمَغْفِرَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٍ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾
وَلَئِنْ مُتْتُمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ
اللَّهِ لَئِنْ لَّمْ يَكُنْ لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ
حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ
فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾
إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ
فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِّنْ بَعْدِهِ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ
بِمَا غُلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ

سبيل الله، وزيادة تأثيرهما في استجلاب
المغفرة والرحمة، خير مما يجمع الناس من
الدنيا ومنافعها.

١٥٨ ﴿وَلَئِنْ مِتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ﴾ على أي وجه
﴿لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾ [أي ليس موت
إخوانكم الذين يموتون فراقاً لا لقاء بعده،
بل ستحشرون إلى الله وجميعكم عنده].

١٥٩ ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ أي من رحمة
الله عليكم وعليهم ﴿لَئِنْ لَّمْ يَكُنْ لَّهُمْ
رَفِيقًا بِهِمْ، وَالْمَعْنَى أَنَّ لِيْنَهُ لَهُمْ مَا كَانَ
إِلَّا بِسَبَبِ الرَّحْمَةِ الْعَظِيمَةِ مِّنَ اللَّهِ تَعَالَى
إِعَانَةً مِنْهُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ ﷺ لِتَأْلِيفِ قُلُوبِ

اصحابه واستقامة أمر الدين ﴿فَظًا﴾
اللفظ: الغليظ الجافي، الكريه الخلق
﴿غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾ وغلظ القلب قساوته
وقلة إشفاقه وعدم انفعاله للخير ﴿لَانْفَضُّوا
مِنْ حَوْلِكَ﴾ انصرفوا عنك وتفرقوا
﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ فيما يتعلق بك من الحقوق
﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ الله فيما هو من حقه
سبحانه ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ الذي يَرِدُ
عليك، مما يشاور في مثله، أو في أمر
الحرب، وفي ذلك تطيب خاطرهم
واستجلاب مودتهم، ولتعريف الأمة
بمشروعية ذلك بعدك. والمراد المشاورة في

غير الأمور التي يرد الشرع بها [إن كانت
جلية لا خفاء فيها]. فواجب على الولاة
مشاورة العلماء فيما لا يعلمون وفيما أشكل
عليهم من أمور الدين، ومشاورة وجوه
الجيش فيما يتعلق بالحرب، ووجوه الناس
فيما يتعلق بالمصالح، ووجوه الكتاب
والعمال والوزراء فيما يتعلق بمصالح البلاد
وعمارتها. وحكى القرطبي: أنه لا خلاف
في وجوب عزل من لا يستشير أهل العلم
والدين ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾ إذا عزمْتَ عقب
المشاورة على إمضاء شيء واطمأنت به
نفسك ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ في فعل ذلك.

١٦٠ ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾
أي فتولوه وتولوا عليه وثقوا به ﴿وَإِنْ
يَخْذُلْكُمْ﴾ يترك إعانتكم على عدوكم.

١٦١ ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾ ما صح
لنبي أن يخون شيئاً من المغنم فيأخذها
لنفسه من غير اطلاع أصحابه، قيل نزلت
في قطيفة حمراء افتقدت من الغنائم يوم
بدر، فقال أحدهم: لعل رسول الله ﷺ
أخذها، وفيه تنزيه الأنبياء عن الغلول
والغلول أن يأخذ إنسان لنفسه من مال
المسلمين شيئاً، سواء أكان غنيمَةً أو
صدقة أو هدية، مما لاحق له فيه،
والغلول حرام لهذه الآية وكان النبي ﷺ
يأخذ الوبرة من ظهر البعير من المغنم ثم
يقول «مالي فيه إلا مثل أحدكم. إياكم
والغلول فإن الغلول خزي على صاحبه يوم
القيامة. أدوا الخياط والمخيط وما فوق
ذلك» ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غُلَّ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ﴾ وهذه الجملة تتضمن تحريم
الغلول والتنفير منه، بأنه ذنب يختص
فاعله بعقوبة على رؤوس الأشهاد، يطلع
عليها أهل المحشر، وهي مجيئه يوم القيامة
بما خان فيه حاملاً له قبل أن يحاسب
عليه ويعاقب عليه ﴿ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ
مَا كَسَبَتْ﴾ أي تعطى جزاء ما كسبت
وافيا من خير وشر.

لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنُ بَاءَ بِسَخَطِ
مِّنَ اللَّهِ وَمَا وَهُ جَهَنَّمَ وَيَلْسُ الْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَاتٌ
عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ
آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا
مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ
قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ
إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّنَقُّ
الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ
نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا
قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبْعَنَكُمُ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمِيذٍ أَقْرَبُ
مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ

١٦٢ ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنُ بَاءَ بِسَخَطِ اللَّهِ﴾ أي ليس من اتبع رضوان الله في أوامره ونواهيه: أي كانبيا الله البررة المنزهين عن أن يدوا أيديهم إلى ما يحرمه الله - كغيرهم ممن غل أو عصى، فباء أي رجع بسخط عظيم من الله بسبب مخالفته لما أمر به ونهى عنه، ويدخل تحت ذلك الغلول.

١٦٣ ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ﴾ فدرجات من اتبع رضوان الله، ليست كدرجات من باء بسخط من الله.

١٦٤ ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي أنعم عليهم ﴿مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ ولو كان من غير جنس بني آدم لم يحصل كمال الأنس به لاختلاف الجنسية ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ هذه منة ثانية، أي يتلو عليهم القرآن بعد أن كانوا أهل جاهلية لا يعرفون شيئا من الشرائع ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ أي يطهرهم من نجاسة الكفر ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ السنة ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ مِنْ عَمَدٍ لِّبِطَالٍ﴾ أي من قبل محمد ﴿لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ أي واضح لاريب فيه.

١٦٥ ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ﴾ هي الغلبة والقتل الذي أصيبوا به يوم أحد ﴿قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا﴾ يوم بدر، الذين قتلوا من المسلمين يوم أحد سبعون، وقد كانوا قتلوا من المشركين يوم بدر سبعين، وأسروا سبعين ﴿أَنَّى هَذَا﴾ أي من أين أصابنا هذا الانهزام والقتل، ونحن نقاتل في سبيل الله، ومعنا رسول الله ﷺ وقد وعدنا الله بالنصر عليهم؟ وقوله ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ بسبب مخالفة الرماة أمره ﷺ من لزوم المكان الذي عينته لهم، وعدم مفارقتهم له على كل حال.

١٦٦ ﴿يَوْمَ التَّنَقُّ الْجَمْعَانِ﴾ أي ما أصابكم يوم أحد من القتل والجراح والهزيمة ﴿فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بقضائه وقدره،

وقيل بتخليته بينكم وبينهم. ١٦٧ ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ والمراد بالعلم هنا التمييز والإظهار قبل ذلك، والمراد بالمنافقين هنا عبدالله بن أبي وأصحابه، عن ابن شهاب وغيره: قال خرج رسول الله ﷺ إلى أحد في ألف رجل من أصحابه فلما كانوا بالشوط بين أحد والمدينة انخزل عنهم عبدالله بن أبي بثلاث الناس، وقال: أطاعهم وعصاني، والله ما ندري علام نقتل أنفسنا ههنا؟! فرجع بمن اتبعه من أهل النفاق وأهل الريب ﴿تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ إن كنتم ممن يؤمن بالله واليوم الآخر ﴿أو ادفعوا﴾ عن أنفسكم وأولادكم ودياركم إن كنتم لا تؤمنون بالله واليوم الآخر، وقيل: المراد دافعوا من ورائنا، ولا تقاتلوا، وقيل: كثروا سوادنا، فأبوا جميع ذلك ﴿قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ﴾ أنه سيكون قتال ﴿لَا تَبْعَنَّاكُمْ﴾ وقاتلنا معكم، ولكنه لا قتال هنالك، وقيل: المعنى لو كنا نقدر على القتال ونحسنه لا تبعناكم ﴿هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمِيذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ عند من كان يظن أنهم مسلمون ﴿يَقُولُونَ﴾

وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسَّهِنَّ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا

مستمر عنده، وإن انقطع رزقهم من الدنيا بقتلهم].

١٧٠ ﴿فرحين بما آتاهم الله﴾ ما ساقه الله إليهم من الكرامة بالشهادة، وما صاروا فيه من الحياة، وما يصل إليهم من رزق الله سبحانه ﴿ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم﴾ من إخوانهم من المؤمنين الذين لم يقتلوا إذ ذاك ﴿ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ أي يستبشرون بهذه الحالة التي ستحصل لمن يقتل منهم في سبيل الله أو يموت على الإيمان لإخوانهم من أنه لا خوف عليهم ولا حزن.

١٧١ ﴿يستبشرون﴾ لإخوانهم أهل الإيمان وأهل الجهاد، بما رآه لهم عند الله من الجنة والرضوان ﴿وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين﴾ علموا أنه لا يضيع أجر مؤمن عمل صالحا.

١٧٢ ﴿الذين استجابوا لله والرسول﴾ عندما دعاهم للاحقة أبي سفيان وجيش قريش بعد رجوعهم من أحد ﴿من بعدما أصابهم القرع﴾ الجراح وشدة الحرب ﴿للمذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم﴾ عن عائشة أنها قالت لعروة بن الزبير: يا ابن أختي: كان أبواك منهم: الزبير وأبو بكر.

١٧٣ ﴿الذين قال لهم الناس﴾ المراد بالناس أعرابي أرسله أبو سفيان ﴿إن الناس قد جمعوا لكم﴾ أبو سفيان وأصحابه ﴿فزادهم﴾ ذلك القول إيمانا ولم يؤثر فيهم خوفا ﴿وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ أي يكفينا الله شرهم، وهو الذي نتوكل عليه، ونسند أمورنا إليه.

١٧٤ ﴿فانقلبوا﴾ أي فخرجوا خلف جيش قريش فانقلبوا بنعمة، وهي السلامة من عدوهم وعافية ﴿وفضل﴾ أي أجر تفضل الله به عليهم، وقيل ربح في التجارة.

المؤمنين يوم أحد، ومثلهم من قتل ويقتل منهم في سائر المواطن ﴿في سبيل الله﴾ أي قتلوا وهم يجاهدون لرفع كلمة الله ونصر دينه ﴿أمواتا﴾ أي لا تظن أن الشهداء ماتوا ﴿بل﴾ هم ﴿أحياء﴾ حياة محقة، وقد وردت السنة المطهرة بأن أرواحهم في أجواف طيور خضر، وأنهم في الجنة يُرزقون ويأكلون [ولا يمنع ذلك من أنهم بالنسبة إلينا موتى، فحياتهم حياة برزخية هي من قبيل الغيب] ﴿عند ربهم﴾ في كرامته ﴿يرزقون﴾ أي: يرزقهم الله الطعام والشراب [فرزقهم

بأفواههم ما ليس في قلوبهم﴾ أي إنهم أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر.

١٦٨ ﴿الذين قالوا لإخوانهم﴾ أي هم الذين قالوا لإخوانهم أي قالوا عن أقاربهم من المؤمنين الذين قتلوا في وقعة أحد، والحال أن هؤلاء القاتلين قد ﴿وقعدوا﴾ عن القتال ﴿لو أطاعونا﴾ بترك الخروج من المدينة ماقتلوا ﴿قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين﴾ أي لا ينفع الحذر من القدر، فإن المقتول يقتل بأجله، ولا مفر لأحد من الموت.

١٦٩ ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا﴾ من



رِضْوَانِ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَلِكُمُ
الشَّيْطَانُ يَخَوْفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ
إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا
فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنْ الَّذِينَ اشْتَرَوْا
الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾
وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ نُمْلِي لَهُمْ خَيْرًا لِّأَنفُسِهِمْ
إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٧٨﴾
مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ
الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ
وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَعَامِنُوا بِاللَّهِ
وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾

﴿وَاتَّبِعُوا رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ في ما يأتون
ويذرون، ومن ذلك خروجهم لهذه
الغزوة.

١٧٥ ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ﴾ أي الشيطان لكم أيها
المؤمنون ﴿الشيطان يخوف أوليائه﴾
والمعنى: أن الشيطان يخوف المؤمنين من
أوليائه وهم الكافرون، والمراد الشيطان
نفسه باعتبار ما يصدر عنه من الوسوسة.
وقيل المراد الأعرابي الذي نقل إليهم وعيد
أبي سفيان ﴿فلا تخافوهم﴾ أي: لا
تخافوا الكفار، فهم أولياء الشيطان.
نهاهم عن أن يخافوهم فيجنبوا عن اللقاء
ويفشلوا عن الخروج ﴿وخافون﴾ فافعلوا
ما أمركم به، واتركوا ما أنهاكم عنه،
لأنني الحقيق بالخوف مني، والمراقبة لأمري
ونهيي، لكون الخير والشر بيدي.

١٧٦ ﴿ولا يحزنك الذين يسارعون في
الكفر﴾ قيل: هم قوم ارتدوا فاغتم النبي
ﷺ لذلك، فسلاه الله سبحانه ونهاه عن
الحزن، وقيل: كان النبي ﷺ يفرط في
حزنه على كفر قومه، فنهاه الله عن
الإفراط فيه. كما قال الله تعالى (فلا
تذهب نفسك عليهم حسرات) ﴿إنهم لن
يضرروا الله شيئاً﴾ والمعنى أن كفرهم لا
ينقص من ملك الله سبحانه شيئاً، وقيل:
المراد لن يضرروا دينه الذي شرعه لعباده
﴿يريد الله ألا يجعل لهم حظاً﴾ نصيباً

في الجنة، أو نصيباً من الثواب ﴿ولهم
عذاب عظيم﴾ بسبب مسارعتهم في
الكفر، فكان ضرر كفرهم عائداً عليهم،
جالباً لهم عدم الحظ في الآخرة.

١٧٧ ﴿إن الذين اشتروا الكفر
بالإيمان﴾ أي استبدلوا الكفر بالإيمان.

١٧٨ ﴿ولا يحسبن الذين كفروا أنما
غلبناهم﴾ بطول العمر ورغد العيش، أو بما
أصابوا من الظفر يوم أحد ﴿خير
لأنفسهم﴾ فليس الأمر كذلك بل ﴿إنما
غلبناهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب

مهن﴾ أخبر بأنه يطيل أعمار الكفار
ويجعل عيشهم رغداً ليزدادوا إثماً.

١٧٩ ﴿وما كان الله ليذر المؤمنين على
ما أنتم عليه﴾ بل يعقد من الأسباب —

كما أمركم بالجهاد والهجرة — ﴿حتى يميز
الخبِيث﴾ وهو المنافق والعاصي ﴿من

الطيب﴾ وهو المؤمن الزكي. وقيل:
الخطاب للمؤمنين، أي ما كان الله

ليذكركم بامعشر المؤمنين على ما أنتم عليه
من الاختلاط بالمنافقين حتى يميز بينكم

﴿وما كان الله ليطلعكم على الغيب﴾
حتى تميزوا بين الطيب والخبِيث، فإنه

المستأثر بعلم الغيب لا يظهر على غيبه
أحداً ﴿ولكن الله يجتبي من رسله من
يشاء﴾ ويختاره فيطلعه على شيء من
غيبه، فيميز بينكم، كما وقع من نبينا ﷺ
من تعيين كثير من المنافقين، [أما غير
النبي ﷺ فقد يميز المنافقين بكثرة
معاصيهم وسوء أحوالهم وللقرائن التي
تظهر منهم].

١٨٠ ﴿ولا يحسبن الذين يبخلون بما
آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم﴾ لا
يحسبن الباخلون عن الإنفاق في سبيل الله
البخل خيراً لهم ﴿سيطوفون ما بخلوا به﴾

وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۚ
هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ ۚ
يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨١﴾ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ
قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ
الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨٢﴾
ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٨٣﴾
الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نؤمنَ لِرَسُولٍ حَتَّى
يَأْتِنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ
قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ ﴿١٨٤﴾ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّنْ
قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٥﴾

يكون ما بخلوا به من المال طوقا من نار
في أعناقهم، والبخل: أن يمنع الإنسان
الحق الواجب، ويترك الإنفاق حيث
ينبغي الإنفاق **﴿ولله ميراث السماوات
والأرض﴾** له ما فيها مما يتوارثه أهلها،
فما بالهم يبخلون بذلك ولا ينفقونه حيث
أمرهم وإنما كان عندهم عارية مستردة؟
عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ
«من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له
شجاع أقرع له زبيبتان يطوقه يوم
القيامة، فيأخذ بلهزمته يعني بشدقه،
فيقول: أنا مالك، أنا كنزك. ثم تلا هذه

**﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا
إن الله فقير﴾** قال قوم من اليهود هذه
المقالة [غرورا بما هم فيه من الغنى،
وجهلا منهم بقدر الله تعالى] وقيل:
أرادوا أنه تعالى إن صح ما طلبه منا من
القرض على لسان محمد ﷺ فهو فقير،
ليشككوا في دين الإسلام. وقال ابن
عباس: أتت اليهود محمدا ﷺ حين أنزل
الله (من ذا الذي يقرض الله قرضا
حسنا) فقالوا: يا محمد أفقير ربك يسأل
عباده القرض. فأنزل الله الآية

﴿سنكتب ما قالوا﴾ سنكتبه في صحف
الملائكة، وسنحفظه، وسنجازهم عليه
﴿وقتلهم الأنبياء﴾ أي ونكتب قتلهم
الأنبياء، جعل ذلك القول قرينا لقتل
الأنبياء تنبيها على العظم والشناعة
﴿ونقول﴾ أي ننتقم منهم بهذا القول
الذي نقوله لهم في النار، والحريق: اسم
لنار الملهبة [وسبب نزول الآية أن
يهوديا اسمه فنحاص قال لأبي بكر:
ما بنا إلى الله من حاجة، وإنه إلينا
لفقير، ما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا،
وإننا عنه لأغنياء، ولو كان غنيا
ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم.
فنزلت].

**١٨٢ ﴿ذلك بما قدمت أيديكم وأن
الله ليس بظلام للعبيد﴾** أي عذبهم
عذاب الحريق بما أصابوا من الذنب،
وجازاهم على فعلهم، فلم يكن ذلك
ظلما.

١٨٣ ﴿الذين قالوا إن الله عهد إلينا﴾
كان دأب بني إسرائيل أنهم كانوا
يقربون القربان، فيقوم النبي فيدعو،
فتنزل نار من السماء فتحرقه. ولم يتعبد
الله بذلك كل أنبيائه، ولا جعله دليلا
على صدق دعوى النبوة، [وهم قد ادعوا
أن لديهم من الله عهدا بذلك، يفرقون به
بين المتنبئين الكاذب، والنبي الصادق]
ولهذا رد الله عليهم فقال **﴿قل قد
جاءكم رسل من قبلي بالبينات
وبالذي قلتم﴾** من القربان **﴿فلم
قتلتموهم إن كنتم صادقين﴾** كيحيى
ابن زكريا وأشعيا وسائر من قتلوا من
الأنبياء، والقربان: ما يتقرب به إلى الله.
**١٨٤ ﴿فإن كذبوك فقد كذب رسل
من قبلك جاءوا﴾** بمثل ما جئت به من
البينات فكذبوه، والزبر جمع زبور: وهو
الكتاب، أي فاصبر على قولهم
وجاهدهم.



١٨٥ ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ هذه

الآية تتضمن الوعد والوعيد، للمصدق والمكذب [والله تعالى قد جعل الموت مصيراً لكل حي سواء سواء أكان بشراً أو ملكاً أو جنياً أو حيواناً لا مخلص لأحد من أن يذوق كأس الجحيم]

«وإنما توفون أجوركم يوم القيامة»

تكميلها إنما يكون في ذلك اليوم، وما يقع
من الأجور في الدنيا أو في البرزخ، فإنما
هو بعض الأجور **«فن زحزح»**
والزحزحة: التنحية والإبعاد **«فقد فاز»**
أي ظفر بما يريد، ونجا مما يخاف، فإن
كل فوز - وإن كان بجميع المطالب -
دون الجنة ليس بشيء، وكل نجاة من
ضرر فليس بنجاة إن لم ينج صاحبها من
النار. والمتاع ما يتمتع به الإنسان
ويستمتع به، ثم يزول ولا يبقى **«الفرور»**
الاغترار بالأمان.

١٨٦ ﴿لَتَبْلُوُنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾
هذا الخطاب للنبي ﷺ وأمه، تسلياً لهم
عما سيلقونه من الكفرة والفسقة، ليوطنوا
أنفسهم على الثبات والصبر على المكاره.
أي لَتُمْتَحِنُنَّ وَلَتُخْتَبِرُنَّ في أموالكم
بالمصائب، والإنفاقات الواجبة، وسائر
التكاليف الشرعية المتعلقة بالأموال،
والابتلاء في الأنفس بالموت، والأمراض،
وفقد الأحباب، والقتل في سبيل الله
﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ وهم
اليهود والنصارى ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾
وهم سائر الطوائف الكفرية من غير أهل
الكتاب ﴿أَذَى كَثِيرًا﴾ من الطعن في
دينكم وأعراضكم ﴿فَإِنْ ذَلِكَ﴾ الصبر
بالتقوى ﴿عَزَمَ الْأُمُورَ﴾ أي مما يجب
عليكم أن تعزموا عليه، ويقال عزم
لأمر: أي شده وأصلحه.

١٨٧ ﴿لتبينته﴾ أي إن الله أخذ على اليهود والنصارى أن يبينوا نبوته للناس ولا يكتُموها ﴿فنبذوه وراء ظهورهم﴾

مبالغة في النبذ والطرح **«واشتروا به ثمنا قليلا»** أي حقيرا يسيرا من حطام الدنيا وأعراضها.

١٨٨ «لا تحسبن الذين يفرحون» أي فن فرح بما فعل، وأحب أن يحمد الناس بما لم يفعل، فلا تحسبنه بمنجاة من العذاب. أخرج البخاري ومسلم وغيرها

١٩٠ ﴿واختلاف الليل والنهار﴾ أي تعاقبها بمجيء كل منها بعد الآخر، وتفاوتها طولاً وقصراً، وحراً وبرداً، وغير ذلك ﴿لآيات﴾ دلالات واضحة، وبراهين بيينة تدل على الخالق سبحانه

قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ
الَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ
اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ
فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخُلِ النَّارَ فَقَدْ
أُخْرِيتُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا
مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ
لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾
رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ
إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي
لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنِّي بَعْضُكُمْ
مِّنْ بَعْضٍ فَأَلَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا

مع العذر **﴿ويستفكرون في خلق السماوات والأرض﴾** في بديع صنعها، وإتقانها مع عظم أجرامها **﴿ربنا ما خلقت هذا باطلا﴾** ما خلقت هذا عبثا ولهوا، بل خلقتة دليلا على حكمتك وقدرتك، ولتجعل الأرض ميدانا لاختبار عبادك، ليظهر من يطيعك ممن يعصيك **﴿سبحانك﴾** أي تنزهها لك عما لا يليق بك.

﴿١٩٢﴾ ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيتهم﴾ أي أذلته وأهنته.

﴿١٩٣﴾ سمعنا مناديا ينادي للإيمان﴾

﴿لأولي الأبواب﴾ أهل العقول الصحيحة الخالصة عن شوائب النقص، فإن مجرد التفكير فيما قصه الله في هذه الآية يكفي العاقل، ويوصله إلى الإيمان الذي لا تزلزله الشبه، ولا تدفعه التشكيكات.

﴿١٩١﴾ الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم﴾ المعنى أنهم يذكرون الله على كل حال، وكان رسول الله ﷺ «يذكر الله على كل أحيانه» وقيل: الذكر هنا عبارة عن الصلاة، أي لا يضيعونها في حال من الأحوال فيصلونها قياما مع عدم العذر، وقعودا وعلى جنوبهم

هو النبي ﷺ وقيل هو القرآن **﴿فآمننا﴾** أي امتثلنا ما يأمر به هذا المنادي من الإيمان، وتكرير النداء في قوله **﴿ربنا﴾** لإظهار التضرع والخضوع **﴿الأبرار﴾** البار المتسع في طاعة الله قيل: هم الأنبياء.

﴿١٩٤﴾ ربنا وآتينا ما وعدتنا على رسلك﴾ والموعود به على ألسن الرسل هو الثواب الذي وعد الله به أهل طاعته **﴿ولا تخزنا يوم القيامة﴾** لا تفضحنا فيكون ذلك ذلا وإهانة لنا **﴿الميعاد﴾** الوعد. والله تعالى، لقدرته وكماله وعظيم إنعامه، لا يخلف عبادته المؤمنين الصالحين ما وعدهم إياه على السنة رسله، وما تضمنته كتبه، من مغفرة ذنوبهم إذا استحقوا ذلك، ومن إنجائهم من عذابه ومصيرهم إلى جنته.

﴿١٩٥﴾ فاستجاب﴾ أي قبل دعوتهم بما يأتي من الوعد **﴿أن لا أضيع عمل عامل منكم﴾** بترك الإثابة **﴿من ذكر أو أنى﴾** نصر على النساء تطييباً لأنفسهن، وإلا فإنهن يدخلن في عموم الذين آمنوا وعملوا الصالحات [وفي ضمن الآية، حث للنساء على المشاركة في الدعوة، وما قد يتبعها من الهجرة والجهاد] **﴿بعضكم من بعض﴾** أي رجالكم مثل نساءكم في الطاعة، ونساءكم مثل رجالكم فيها، باعتبار تشعبها من أصل واحد فكلا الجنسين من نسل آدم وحواء وكلا الجنسين مكلف **﴿فالذين هاجروا﴾** من الرجال والنساء من أوطانهم إلى رسول الله ﷺ **﴿وأخرجوا من ديارهم﴾** في طاعة الله عز وجل **﴿وأودوا في سبيلي﴾** والمراد ما نالهم من الأذى من المشركين بسبب إيمانهم بالله حتى يردوهم عن دينهم، فلم يزداهم ذلك إلا تمسكا بدينهم. [ويدخل في الآية كل من ناله أذى بسبب تمسكه بحبل الله].

فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا وَقَتَلُوا لَا كَفَرَنَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ
وَلَا دَخَلَنَّهُمْ جَنَّتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ
عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ لَا يَغُرَّنَّكَ
تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١٩٦﴾ مَتَّعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ
جَهَنَّمَ وَيُبْسُ الْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ
جَنَّتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا تَزُلَا مِنْ
عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنْ مِنْ
أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا
أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا
قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ
الْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا
وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾

﴿وقَاتلوا﴾ أعداء الله **﴿وقَاتلوا﴾** في سبيل الله، والمراد: قُتِلَ بعضهم **﴿لَا كَفَرَنَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾** [فإن الهجرة في سبيل الله تجب ما قبلها من الذنوب. والجهاد في سبيل الله والشهادة في سبيله تمحي بها جميع الذنوب، كما ورد في الستة، إلا الذين] **﴿والله عنده حسن الثواب﴾** أي حسن الجزاء، وهو ما يرجع على العامل من جزاء عمله.

١٩٦ ﴿تقلب الذين كفروا في البلاد﴾ بالأسفار للتجارة التي يتوسعون بها في معاشهم فهو (متاع قليل) يتمتعون به في هذه الدار، ثم مصيرهم إلى جهنم. وقال عكرمة: تقلب ليهم ونهارهم وما يجري عليهم من النعم.

١٩٧ ﴿متاع قليل﴾ لا اعتداد به بالنسبة إلى ثواب الله سبحانه **﴿ثم ماواهم﴾** أي ما يأوون إليه **﴿وبس المهاد﴾** ما مهدوا لأنفسهم في جهنم بكفرهم.

١٩٨ ﴿لكن الذين اتقوا ربهم﴾ لهم — بالإضافة إلى ما ما يحصل لهم من الانتفاع الكثير — الخلد الدائم **﴿نزلا﴾** النزول ما يهبط للنزول [أو المنزل الذي يأوون إليه، في مقابل: ماواهم جهنم] **﴿وما عند الله﴾** مما أعده لمن أطاعه **﴿خير للأبرار﴾** مما يحصل للكفار من الربح في الأسفار والمكاسب.

١٩٩ ﴿وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله﴾ بعض أهل الكتاب لهم حظ من الدين، وليسوا كسائرهم في فضائهم التي حكاها الله عنهم فيما سبق، فإن هذا البعض يجمعون بين الإيمان بالله، وبما أنزل الله على نبينا محمد ﷺ، وما أنزله على أنبيائهم **﴿لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا﴾** لا يتركون متابعة محمد ﷺ طلبا لمنصب أو جاه **﴿لهم أجرهم﴾** مرتين، كما في (سورة القصص / ٥٤). **٢٠٠ ﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا﴾**

حضر على الصبر على الطاعات وعن الشهوات، والمصابرة: مصابرة الأعداء، أي غاليوهم في الصبر على شذائد الحرب، والمصابرة أشد وأشق من الصبر **﴿ورابطوا﴾** أي أقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها. ومن الرباط انتظار الصلوات في المساجد. فالرباط ملازمة الثغور وملازمة المساجد. عن أبي هريرة قال: أما إنه لم يكن في زمن النبي ﷺ غزو يربطون فيه، ولكنها نزلت في قوم يعمرن المساجد، يصلون الصلوات في مواقيتها، ثم يذكرون الله فيها. وقد ثبت

في الصحيح وغيره من قول النبي ﷺ «ألا أخبركم بما يمحوا الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط». وقد وردت أحاديث كثيرة في فضل الرباط في سبيل الله من وراء المسلمين في مواجهة أرض العدو منها قول النبي ﷺ «رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها» رواه البخاري.

(٤) سُورَةُ النِّسَاءِ مَدَنِيَّةٌ وَأَيَاتُهَا سِتٌّ وَسَبْعُونَ وَمِائَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ
وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً
وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ، وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ
عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ وَءَاتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبَدَّلُوا
الْأَحْيَاثَ بِالْطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ
إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي
الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِمَّنِّي
وَتِلْكَ وَرُبِعٌ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةٌ أَوْ مَمْلُوكَةٌ

سُورَةُ النِّسَاءِ

هي مدنية. عن عبدالله بن مسعود قال :
إن في سورة النساء لخمس آيات، ما
يسرني أن لي بها الدنيا وما فيها (إن الله
لا يظلم مثقال ذرة) الآية و (إن تحببتوا
كبائر ما تنهون عنه) الآية و (إن الله لا
يغفر أن يشرك به) الآية (ولو أنهم إذ
ظلموا أنفسهم).

١ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي**
خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا
زَوْجَهَا أي خلقكم من نفس واحدة

٢ **وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ** خطاب
للأولياء والأوصياء، واليتيم : من لا أب
له ولم يبلغ الحلم، ولا يعطون المال إلا
بعد ارتفاع اسم اليتيم عنهم بالبلوغ
وَلَا تَبَدَّلُوا الْيَتَامَىٰ بِالطَّيِّبِ نهي لهم
عن أن يصنعوا صنع الجاهلية في أموال
اليتامى، فإنهم كانوا يأخذون الطيب من
أموال اليتامى ويعوضونه بالرديء من
أموالهم، وقيل المعنى : لا تأكلوا أموال
اليتامى وهي محرمة عليكم خبيثة، وتدعوا
الطيب من أموالكم **وَلَا تَأْكُلُوا**
أَمْوَالَهُمْ بضمها إلى أموالكم **حُوبًا**
إثماً.

٣ **وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ**
فَانكِحُوا معناه : أن الرجل كان يكفل
اليتيمة لكونه ولياً لها، ويريد أن
يتزوجها فلا يقسط لها في مهرها، أي لا
يعطيها ما يعطيها غيره من الأزواج،
فنهاهم الله أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا
لهن، ويبلغوا بهن أعلى ما هو لهن من
الصداق وسائر حقوق الزوجية، وأمرؤ أن
ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن،
والمعنى : من غلب على ظنه التقصير في
العدل لليتيمة، فليتركها وينكح غيرها
مَا طَابَ ما استحسنت من النساء ممن
هن حلال لكم، وما حرمه الله فليس

بطيب **مِنَ النِّسَاءِ** غير يتيماكم **مِمَّنِّي**
وَتِلْكَ وَرُبَاعٌ أي تزوجوا ثنتين ثنتين،
أو ثلاثاً ثلاثاً، أو أربعاً أربعاً، ولا
زيادة على أربع للرجل الواحد **فَإِنْ**
خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فانكحوا **وَاحِدَةً**
فقط، والمعنى : فإن خفتم ألا تعدلوا بين
الزوجات — في القسم ونحوه، وقيل : في
الحب — فتزوجوا واحدة فقط، ولا
تزيدوا عليها **أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ** من
السراري وإن كثر عددهن، والمراد
نكاحهن بطريق الملك لا بطريق الزواج،
ولا حق للمملوكات في القسم.

خلقها أولاً، هي آدم عليه السلام، ثم
خلق من تلك النفس التي هي عبارة عن
آدم زوجها وهي حواء **وَبَثَّ مِنْهَا** أي
نشر منها في الأرض **رِجَالًا كَثِيرًا**
وَنِسَاءً أي كثيرة **وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي**
تَسَاءَلُونَ بِهِ يسأل بعضكم بعضاً بالله
وَالْأَرْحَامَ أي اتقوا الله واتقوا الأرحام
فلا تقطعوهما، فإنها مما أمر الله به أن
يوصل، والأرحام : اسم لجميع القربات
من الرجال والنساء، من غير فرق بين
المحرم وغيره **رَقِيبًا** يرقب أعمالكم
خيرها وشرها.

أَيْمَنُكُمْ ذَلِكَ أَذْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٤﴾ وَءَاتُوا النِّسَاءَ
صَدُقَتَيْنِ نَحْلَةً فَإِن طِبَن لَّكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ
هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴿٥﴾ وَلَا تَوْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ
اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا
مَعْرُوفًا ﴿٦﴾ وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ
ءَانَسْتُمْ مِّنْهُمْ رُّشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا
إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبُرُوا وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ
وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ
أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٧﴾ لِلرِّجَالِ
نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ
مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرُ
نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٨﴾ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ

ذَلِكَ أَذْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ الاقتصار على
واحدة أسلم من الجور مع إحداهن على
الأخرى. وقال الشافعي ﴿أَلَّا تَعُولُوا﴾ ألا
تكثر عيالكُم، وقال سفيان: ألا تعولوا:
ألا تفتقروا.

٤ ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَتَيْنِ﴾ مهرهن
﴿نَحْلَةً﴾ عطية عن طيبة نفس ﴿فَإِن طِبَنَ
لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا﴾ فالمعتبر في
تحليل ذلك منهن لهم إنما هو طيبة النفس
لا مجرد الموافقة بالألفاظ التي لا يتحقق
معها طيبة النفس ﴿هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾ عن
ابن عباس يقول: إذا كان من غير ضرار
ولا خديعة فهو هنيء مريء كما قال الله.
٥ ﴿وَلَا تَوْتُوا السُّفَهَاءَ﴾ المراد هنا
الصبيان، ومن هو ضعيف الإدراك لا
يهتدي إلى وجوه النفع التي تصلح المال،
ولا يتجنب وجوه الضرر التي تهلكه
وتذهب به، ولو كان كبيرا من رجل أو
امراة ﴿الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا﴾ تصلح
بها أمورهم، فإنهم إذا أفسدوا تلك
الأموال كانوا عالة عليكم ﴿وَارْزُقُوهُمْ
فِيهَا وَاكْسُوهُمْ﴾ أي اجعلوا لهم من
أموالهم رزقا ينفقونه على أنفسهم
ويكسبون به ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾
وعدا حسنا، قولوا لهم: إن رشدتم دفعنا
إليكم أموالكم.

يَكْبُرُوا﴾ الإسراف: التبذير، أي لا
تأكلوها مسرفين ومبشرين لكبرهم،
وتقولوا ننفق أموال اليتامى فيما نشتهي قبل
أن يبلغوا فينتزعوها من أيدينا ﴿وَمَن كَانَ
غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا
فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ فلا يترفع بأموال
اليتامى ولا يبالغ في التمتع بالمأكل
والمشروب والملبوس، وقيل: لا يأكل إلا
بمقدار عمله في مال اليتيم ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ
إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ بعد بلوغهم ورشدهم
﴿فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ﴾ أنهم قد قبضوها منكم
لتندفع عنكم التهم، وتأمنا عاقبة
الدعوى الصادرة منهم ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ
حَسِيبًا﴾ حاسباً لأعمالكم، شاهدا
عليكم في كل شيء تعملونه.
٧ ﴿وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ
وَالْأَقْرَبُونَ﴾ أي من جميع ما ترك، ولو
كان مما لا يصلح إلا للرجال كالسلاح،
أو للنساء كالحلي ﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ
كَثُرَ﴾ وقد كانوا في الجاهلية لا يورثون
النساء، ولا يورثون من الغلمان إلا من
أطاق القتال ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ أي حقا
ثابتا أوجبه الله لا يجوز التعرض لإبطاله
أو نقصه.

٦ ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى﴾ الابتلاء: الاختبار
وهو أن يتأمل الوصي أخلاق يتيمة ليعلم
بنجائته وحسن تصرفه، ويدفع إليه شيئا
من ماله، ويأمره بالتصرف فيه حتى
يعلم حقيقة حاله ﴿بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾ ومن
علامات البلوغ نزول المني والإنبات
وحبل المرأة وحيضها ﴿فَإِن أَنَسْتُمْ﴾ أي
أبصرتم ورأيتم ﴿رُّشْدًا﴾ فلا تدفع إلى
اليتامى أموالهم إلا بعد البلوغ، وبعد
إيناس الرشد منهم بحسن التصرف في
أموالهم، وعدم التبذير بها، ووضعها في
مواطنها ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن

وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۚ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ ۚ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ ۚ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ ۚ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۚ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ

٨ ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةُ أُولُو الْقَرْبَىٰ﴾ غير الوارثين، وكذا ﴿اليتامى والمساكين﴾ فيعطون بمقدار ما تطيب به أنفس الورثة ﴿قولا معروفا﴾ والقول المعروف: هو القول الجميل الذي ليس فيه من ولا أذى.

٩ ﴿ولبخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم﴾ هم الأوصياء، وفيه وعظ لهم بأن يفعلوا باليتامى الذين في حجوهم ما يحبون أن يفعل بأولادهم من بعدهم ﴿وليقولوا﴾ أي يقول الأوصياء لليتامى، أو يقول

الحاضرون للمحتضر ﴿قولا سديدا﴾ موافقا للحق والعدل، كما تقدم. ١٠ ﴿ظلم﴾ أي ظالمين لهم ﴿إنما يأكلون في بطونهم نارا﴾ [يعذبون بهذا النوع من العذاب يوم القيامة] ﴿وس يصلون سعيرا﴾ سعير النار لها.

١١ ﴿يوصيكم الله في أولادكم﴾ أي أولاد من مات منكم في بيان ميراثهم. والأولاد إن كان فيهم ذكر لهم ما أبقت الفروض للحديث الثابت بلفظ «ألقوا الفرائض بأهلها، فما أبقت الفرائض، فلاولى رجل ذكر» وأولاد البنين يأخذون

ذلك إن لم يكن للميت أولاد مباشرون ﴿لذكر﴾ منهم مثل ﴿حظ الأنثيين﴾ والمراد حال اجتماع الذكور والإناث ﴿فإن كن نساء فوق اثنتين﴾ أي فإن كان أولاد الميت نساء ليس معهن ذكر ﴿فوق اثنتين﴾ زائدات على اثنتين ﴿فلهن ثلثا ما ترك﴾ الميت، وإن كن اثنتين فقط فلها الثلثان قياسا على الأختين المنصوص عليهما في آخر آية في السورة ﴿وإن كانت بنتا﴾ واحدة فلها النصف ولأبويه أي لأبي الميت وأمه إن كانا باقين بعده ﴿لكل واحد منها السدس مما ترك إن كان له ولد﴾ ذكر أو أنثى، واحدا أو أكثر، أو ولد ابن كذلك ﴿فإن لم يكن له ولد﴾ أي ولا ولد ابن ﴿وورثه أبواه﴾ منفردين عن سائر الورثة، أي ليس معها وارث آخر من زوج أو زوجة، وكان الأب والأم جميعا وارثين ﴿فلأمه الثلث﴾ والباقي وهو الثلثان للأب. أما لو كان معها أحد الزوجين فليس للأم إلا ثلث الباقي بعد الموجود من الزوجين ﴿فإن كان له إخوة فلأمه السدس﴾ سواء أكان الإخوة ذكورا أو إناثا أو مختلفين، وسواء كانوا اثنين أو أكثر. أما الواحد منهم فلا يحجب الأم عن الثلث إلى السدس ﴿من بعد وصية يوصي بها أو دين﴾ أي لا يفرض لمن ذكر ثلثان أو ثلث أو سدس أو غير ذلك إلا بعد إخراج ما أوصى به الميت، وبعد أن يسدد ما عليه من الديون. ثم يقسم الباقي على الورثة ولا يجوز من الوصايا ما زاد على ثلث المال ﴿آبائكم وأبنائكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا﴾ [أي ولذلك قسم الله تعالى الميراث هكذا بين أصولكم وفروعكم ولم يجعل إليكم القسمة بينهم] ﴿فريضة من الله﴾ أي إن أحكام هذه الآية فرض عليكم محتم من قبل الله سبحانه

كَانَ عَلِيًّا حَكِيمًا ﴿١١﴾ * وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ
 إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا
 تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِيَنَّ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ
 مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ
 فَلَهُنَّ الثُّمْنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا
 أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ
 أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ
 ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِيَنَّ بِهَا
 أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾
 تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ
 تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ
 الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ

١٢ ﴿ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن هن ولد﴾ الخطاب هنا للرجال، والمراد بالولد الابن أو البنت أو أولاد الابن سواء كانوا من الزوج الوارث أو من غيره ﴿فإن كان هن ولد فلكم الربع مما تركن﴾ للزوج مع عدم الولد النصف، ومع وجوده وإن سفل الربع ﴿وهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد﴾ سواء كان من الزوجة الوارثة أو من غيرها. وهذا النصيب مع الولد والنصيب مع عدمه تنفرد به الواحدة من الزوجات، ويشترك فيه الأكثر من واحدة لا خلاف في ذلك. والكلام في الوصية والدين كما تقدم ﴿وإن كان رجل يورث كلاله﴾ الكلاله: الميت الذي لا ولد له ولا والد ولا جد، كل من لم يرثه بالتعصيب أب أو ابن أو جد فهو عند العرب كلاله، فالكلالة من يرثه الإخوة أو الأعمام أو أبناء الأعمام ﴿أو امرأة﴾ تورث كلاله ﴿وله أخ أو أخت﴾ أجمع العلماء أن الإخوة ها هنا هم الإخوة لأم، أما الإخوة الأشقاء والإخوة لأب فسيأتي بيان ميراثهم في آخر السورة ﴿فلكل واحد منها السدس﴾ ذكرا كان أو أنثى إذا انفرد ﴿فإن كانوا أكثر من ذلك﴾ أي أكثر من واحد ذكورا أو إناثا أو مختلطين ﴿فهم شركاء في الثلث﴾ بالتساوي بين ذكرهم وأنثاهم ﴿غير مضار﴾ بالدين أو الوصية لورثته بوجه من وجوه الضرر، كأن يُقَرَّ بشيء ليس عليه، أو يوصي بوصية لا مقصد له فيها إلا الإضرار بالورثة، أو يوصي لوارث مطلقا، أو لغيره بزيادة على الثلث ولم تجزه الورثة، فاصدر من الإقرارات بالديون أو الوصايا لمضارة الورثة فهو باطل مردود، لا ينفذ منه شيء لا الثلث ولا دونه. عن ابن عباس قال: الإضرار في الوصية من الكبائر ﴿وصية من الله﴾

فكل وصية من عباده تخالفها فهي مسبوقة بوصية الله، ووصية الله أحق بالاتباع، فيترك ما خالفها، وذلك كالوصايا المتضمنة لتفضيل بعض الورثة على بعض، أو المشتملة على الضرر بوجه من الوجوه. ١٣ ﴿تلك﴾ الأحكام المتقدمة ﴿حدود الله﴾ لكونها لا تجوز مجاوزتها، ولا يحل تعديها ﴿ومن يطع الله ورسوله﴾ في قسمة الموارث وغيرها من الأحكام. ١٤ ﴿ويتعد حدوده﴾ بتفسير هذه الأحكام أو ترك العمل بها ﴿وله عذاب﴾ فكل وصية من عباده تخالفها فهي مسبوقة بوصية الله، ووصية الله أحق بالاتباع، فيترك ما خالفها، وذلك كالوصايا المتضمنة لتفضيل بعض الورثة على بعض، أو المشتملة على الضرر بوجه من الوجوه. ١٥ ﴿واللاني يأتين الفاحشة من نسائكم﴾ الفاحشة: الفعلة القبيحة، والمراد بها هنا: الزنى خاصة ﴿فاستشهدوا عليهن أربعة منكم﴾ أي اطلبوا من يشهد عليهن بذلك، فإن شهد عليهن بالجرم أربعة رجال ﴿فأمسكوهن﴾

مهن﴾ كله خزي وإذلال.

عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ «تعلموا الفرائض وعلموه الناس، فإني امرؤ مقبوض، وإن العلم سيقبض، وتظهر الفتن، حتى يختلف الاثنان في الفريضة لا يجدان من يقضي بها».

١٥ ﴿واللاني يأتين الفاحشة من نسائكم﴾ الفاحشة: الفعلة القبيحة، والمراد بها هنا: الزنى خاصة ﴿فاستشهدوا عليهن أربعة منكم﴾ أي اطلبوا من يشهد عليهن بذلك، فإن شهد عليهن بالجرم أربعة رجال ﴿فأمسكوهن﴾

يَدْخُلُهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٤﴾ وَالَّذِي يَأْتِيَنَّ
الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَأَسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةٌ مِنْكُمْ
فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّيَهُنَّ
الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَالَّذَانِ يَأْتِيَتُهَا مِنْكُمْ
فَعَاذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ
كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿١٦﴾ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ
السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ
عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ
لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ
قَالَ إِنِّي تَبْتُ الظَّنَّ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ
أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا

في البيوت كان هذا في أول الإسلام ثم نسخ، عن ابن عباس قال: كانت المرأة إذا فجرت حبست في البيوت، فإن ماتت ماتت، وإن عاشت عاشت، حتى نزلت الآية في سورة النور (الزانية والزاني فاجلدوا) فجعل الله لمن سبيلًا، فمن عمل شيئا جلد وأرسل، أي ترك **أو يجعل الله لمن سبيلًا** طريقًا بأن ينزل في شأنهن حكمًا آخر، وقد جعل لمن سبيلًا بنزول آية الحد للزانية والزاني، ولذا قال النبي ﷺ بعد نزولها «خذوا عني قد جعل الله لمن سبيلًا، البكر

بالبكر جلد مائة وتغريب عام» الحديث. **١٦ والذان يأتياها** أي الرجل والمرأة اللذان يأتيان الفاحشة من رجالكم ونسائكم، والمراد: الزاني والزانية **فعاذوهما** بالضرب والجفاء والتوبيخ. فكان على المرأة الزانية الحبس والإيذاء، وعلى الرجل الزاني الإيذاء دون حبس **فإن تابا** أي من الفاحشة **وأصلحا** العمل فيما بعد **فأعرضوا عنها** أي اتركوها وكفوا عنها الأذى، وهذا كان قبل نزول الحدود على ما تقدم. **١٧ إنما التوبة على الله** أي واجبة

على الله، أوجب على نفسه أن يتوب عليهم، ويقبل توبتهم إن تابوا إليه **للذين يعملون السوء** أي المعاصي **بجهالة** أي يعملونها جاهلين. عن ابن عباس «كل من عمل السوء فهو جاهل، من جهالته عمل السوء» **ثم يتوبون من قريب** عن النبي ﷺ قال «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يفرغ».

١٨ وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت بحيث يعلم أنه ميت لا محالة، ولم يبق له في الحياة رجاء **ولا الذين يموتون وهم كفار** فالذين يموتون وهم كفار لا توبة لهم رأسًا، ووجودها كعدمها.

١٩ لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها أي لا يحل لكم أن تأخذوهن بطريق الإرث، فتزعمون أنكم أحق بهن من غيركم، وتحبسونهن لأنفسكم. كما كان أهل الجاهلية يفعلون **ولا يحل لكم أن تعضلوهن** عن أن يتزوجن غيركم لتأخذوا ميراثهن إذا متن، أو ليدفعن إليكم صداقهن إذا أذنتم لمن بالنكاح. قال الزهري وأبو مجلز، كان من عادتهم إذا مات الرجل وله زوجة ألقى ابنه من غيرها — أو أقرب عصبته — ثوبه على المرأة، فيصير أحق بها من نفسها ومن أوليائها. وروى البخاري عن ابن عباس قال «كانوا — يعني أهل الجاهلية — إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته إن شاء بعضهم تزوجها وإن شاءوا تزوجوها وإن شاءوا لم يزوجوها فهم أحق بها» وفي رواية عنه عند غير البخاري «فإن كانت جميلة تزوجها قريبة وإن كانت دميمة حبسها حتى تموت فيرثها أو تفتدي منه بفدية». وفي رواية البخاري «فنزلت هذه الآية» والحاصل أنهم كانوا يعتبرون المهر كضمن للمرأة.

بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ
وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ
تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ وَإِنْ أَرَدْتُمْ
أَسْتَبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَهُنَّ قِنْطَارًا
فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بِهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴿٢٠﴾
وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ
مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ
مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ
سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ
وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ
وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمُ مِنَ الرَّضْعَةِ
وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبُكُمُ اللَّاتِي فِي جُجُورِكُمْ مِنْ

﴿لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن﴾ أي:
تسترجعوا منهن المهر ﴿إلا أن يأتين
بفاحشة﴾ ذلك للزوج، قال أبو قلابة:
إذا زنت امرأة الرجل فلا بأس أن
يضارها ويشق عليها حتى تفتدي منه،
وقال قوم: الفاحشة: البذاءة باللسان
﴿وعاشروهن بالمعروف﴾ أي بما هو
معروف في هذه الشريعة وبين أهلها من
حسن المعاشرة فيما أحله الله ﴿فإن
كرهتموهن﴾ لسبب من الأسباب من
غير ارتكاب فاحشة ولا نشوز ﴿فعسى أن
تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً
كثيراً﴾ من استدامة الصحة، وحصول
الأولاد.

٢٠ ﴿وآتيتم إحداهن﴾ مهراً أو هدية
﴿قِنْطَارًا﴾ القِنْطَار مائة رطل - أي من
الذهب - ﴿فلا تأخذوا منه شيئاً﴾ أي
إذا طلق الرجل زوجته لرغبته عنها دون
أن يكون الطلاق لفاحشة منها كما تقدم،
لم يحل له أن يأخذ مما أعطها شيئاً
﴿أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً﴾ أي بغير
حق، فإنه يكون ظلماً وحراماً.

٢١ ﴿وكيف تأخذونه﴾ إنكار بعد إنكار
﴿وقد أفضى بعضكم إلى بعض﴾ وقال
ابن عباس الإفشاء: الجماع ﴿وأخذن
منكم ميثاقاً غليظاً﴾ وهو عقد النكاح،
فإذا جامع الرجل امرأته أو خلا بها بعد
عقد النكاح استحقت المهر كله، وحرم
عليه أخذ شيء منه عند الطلاق، إلا في
حالة إتيانها بفاحشة الزنى، كما تقدم
بيانه.

٢٢ ﴿ولا تنكحوا ما نكح آبائكم من
النساء﴾ نهي عما كانت عليه الجاهلية
من نكاح نساء آبائهم إذا ماتوا ﴿إلا ما
قد سلف﴾ قبل نزول هذه الآية فلا
يؤاخذكم الله به ﴿إنه كان فاحشة
ومقتاً وساء سبيلاً﴾ كانت الجاهلية
تسميه نكاح المقت، أن يتزوج الرجل

امرأة أبيه إذا طلقها أو مات عنها.
٢٣ ﴿حرمت عليكم أمهاتكم﴾ أي
التزوج بهن، ويدخل في لفظ الأمهات
أمهاتهن وجداتهن وأم الأب وجداته، وإن
علون لأن كلهن أمهات ﴿وبناتكم﴾
ويشمل البنات بنات الأولاد وإن سفلن
﴿وأخواتكم﴾ والأخوات تصدق على
الأخت لأبوين أو لأحدهما ﴿وعماتكم﴾
والعمة اسم لكل أنثى هي أخت لأبيك
أو أحد أجدادك، وقد تكون العمة من
جهة الأم وهي أخت أبي الأم
﴿وخالاتكم﴾ والخالة اسم لكل امرأة
هي أخت لأُمك، أو لإحدى جداتك،
وقد تكون الخالة من جهة الأب وهي
أخت أم أبيك ﴿وبَنَاتُ الْأَخِ﴾ وبنت
الأخ اسم لكل أنثى لأخيك عليها ولادة
مباشرة أو بواسطة وإن بعدت، وكذلك
بنت الأخت ﴿وأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي
أَرْضَعْنَكُمْ﴾ في الحولين، وقد ورد تقييده
بخمسة رضعات في أحاديث صحيحة
﴿وأخواتكم من الرضاعة﴾ الأخت من
الرضاع هي التي رضعت أنت وإياها من
امرأة واحدة ﴿وأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ﴾ وهي أم
زوجتك وكل جداتها.



نِسَائِكُمُ الَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلِيلُ آبَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ
وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّ اللَّهَ
كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٣﴾ * وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ
إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَإِحْلَ لَكُمْ
مَّا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ
فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً
وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيهَا تَرْضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ
طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمَنْ مَّا مَلَكَتْ
أَيْمَانُكُمْ مِنْ قَبَائِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ
بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَاَنْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ

إلا إذا فارقها وانقضت عنتها **﴿إلا ما ملكت أيمانكم﴾** بالسبي من أرض الحرب أما إن اشترى أمة مزوجة لم تحل له إلا أن يفارقها زوجها **﴿كتاب الله عليكم﴾** أي حكما لازما لا يحل لأحد تغييره **﴿وأحل لكم ما وراء ذلكم﴾** ما سوى المحرمات المذكورات في الآيات السابقة **﴿أن تبتغوا بأموالكم﴾** أي أحل لكم أن تطلبوا بالمهور من أموالكم الحلال زواج النساء اللاتي أحلن الله لكم ولا تبتغوا بها الحرام **﴿محصنين﴾** أي متعفين عن الزنى **﴿غير مسافحين﴾** أي غير زانين **﴿فما استمتعتم به منهن﴾** فاستمتعتم وتلذذتم بجماعهن ومباشرتهن من النساء بالنكاح الشرعي **﴿فاتوهن أجورهن﴾** أي مهورهن، وقيل المراد: فاستمتعتم به من النساء بنكاح المتعة الذي كان في صدر الاسلام ثم نُسِخَ **﴿فاتوهن أجورهن﴾** التي تراضيت عليها ثم نهي عنها. عن علي قال: «نهي النبي ﷺ عن نكاح المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية يوم خيبر» وهو في الصحيحين **﴿فريضة﴾** أي مفروضة، أي المهور مفروضة للزوجات من قبل الله تعالى **﴿ولا جناح عليكم فيما تراضيتن به من بعد الفريضة﴾** أي من زيادة أو نقصان في المهر.

٢٥ **﴿طولا﴾** غنى وسعة في ماله يقدر بها على التزوج بامرأة حرة مسلمة **﴿فما ملكت أيمانكم من قباياتكم المؤمنات﴾** أي فإنه يحل له أن يتزوج أمة مسلمة مملوكة لغيره. أما إن كان يستطيع زواج حرة فزواج الأمة عليه حرام، ولا يجوز نكاح الأمة الكتابية **﴿والله أعلم بإيمانكم﴾** فلا تستنكفوا من الزواج بالإماء عند الضرورة، فربما كان إيمان بعض الإماء أفضل من إيمان بعض الحرائر **﴿بعضكم من بعض﴾** لأنهم جميعا بنو آدم.

ابنك تحرم عليك بمجرد عقده عليها ولو لم يدخل بها **﴿الذين من أصلابكم﴾** دون زوجات من تبنيت من أولاد غيركم، كما كانوا يفعلونه في الجاهلية **﴿وأن تجمعوا بين الأخنتين﴾** أي وحرمة عليكم أن يتزوج الرجل أخت زوجته قبل أن يفارقها بطلاق أو موتها **﴿إلا ما قد سلف﴾** [أي ما كان قد جرى من هذه الأنكحة المحرمة قبل نزول التحريم فلا يؤخذكم الله به].

٢٤ **﴿والمحصنات من النساء﴾** ذوات الأزواج، فلا تحل المتزوجة لغير زوجها

﴿وربائبكم اللاتي في حجوركم﴾ أي اللاتي تربين تحت رعايتكم، وهذا المعنى غير معتبر في التحريم، فإن الربيبة بنت امرأة الرجل من غيره، سميت ربيبة لأنه يربها في حجره، وتحرم على زوج أمها إذا دخل بالأم، وإن لم تكن الربيبة في حجره **﴿فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم﴾** أي في نكاح الربائب، أما في سائر المحرمات بالصهر، وهن زوجة الأب وزوجة الابن وأم الزوجة، فإنهن يحرمن عليك بمجرد العقد على الزوجة **﴿وحلائل أبنائكم﴾** أي زوجة

أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَفِحَاتٍ وَلَا
مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أَحْصَنَ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ
فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ
لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ
غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٥﴾ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبينَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾
وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ
أَنْ تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ
وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا
أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ
مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾
وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا

﴿وَأَتَوْهِنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي أدوا
إليهن مهورهن بما هو المعروف في الشرع
والعادات المستحسنة ﴿مُحْصَنَاتٍ﴾ أي
عفائف ﴿غَيْرَ مُسَفِحَاتٍ﴾ أي غير
معلنات بالزنى ﴿وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾
وذاات الخدن: التي تزني بواحد سرًا،
وكانت العرب تعيب الإعلان بالزنى ولا
تعيب اتخاذ الأخدان ﴿فَإِذَا أَحْصَنَ﴾ أي
مقى تزوجن، وإذا زنت ولم تحصن فلا
حد عليها وإنما تضرب تأديبا، وقيل: تحد
غير المتزوجة أيضا ﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ﴾
الفاحشة: هي الزنى ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا
عَلَى الْمُحْصَنَاتِ﴾ أي الحرائر، أي خمسين
جلدة فقط، لأن حد الحرة مائة جلدة
﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ﴾ أي
الزواج بالأمه المملوكة رخصة لمن خاف
العنت بعدم تمكنه من قضاء وطره من
النساء الحرائر بالزواج. والعنت المشقة،
والضرر، وخشية الوقوع في الإثم ﴿وَأَنْ
تَصْبِرُوا﴾ عن نكاح الإماء ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾
من نكاحهن، لأن نكاحهن يفضي إلى
إرقاق الولد والغض من النفس.

﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِكُمْ﴾ أي طرقهم، وهم الأنبياء
وأتباعهم لتقتدوا بهم ﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾
أي: ولذلك رخص لكم.

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ﴾ هم
الزناة يريدون قضاء الشهوة دون نظر في
المواقب ولا فيما أحل الله وحرّم ﴿أَنْ
تَمِيلُوا﴾ إلى طريقتهن ﴿مِيلًا عَظِيمًا﴾ أي
تفعلوا فعلهم دون تقيّد بشرع. والمراد
بالشهوآت هنا: ما حرّمه الشرع دون ما
أحله.

﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ عاجزا
غير قادر على ملك نفسه ومقاومة الشهوة
الجامحة، فلهذا أراد الله سبحانه التخفيف
عنه، فأباح له ما أباح كما بين في هذه
الآيات.

﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ
بِالْبَاطِلِ﴾ تقدم تفسيره في سورة البقرة
الآية ١٨٨ ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً﴾
التجارة: التكسب بالبيع والشراء، نص
الله سبحانه على التجارة دون سائر أنواع
المعاوضات لكونها أكثرها وأغلبها ﴿عَنْ
تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾ التراضي: علم كل من
المتبايعين بما يأخذ، دون غش ولا
تدليس، ولا كتمان لبيب، ثم يفترقان
بعد التبائع راضيين، وقيل: إذا تعاقد
راضين حل ولو لم يفترقا ﴿وَلَا تَقْتُلُوا
أَنْفُسَكُمْ﴾ أي لا يقتل بعضكم أيها

المسلمون بعضا إلا بسبب أثبتته الشرع،
ولا يقتل الإنسان نفسه حقيقة. وفي
الحديث «من قتل نفسه بسم فسّم في
يده يتحشاه في نار جهنم خالدا فيها أبدا»
﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ أكل أموال
الناس ظلما أو القتل ﴿عُدْوَانًا وَظُلْمًا﴾ أي
متعمدا اعتداء بغير حق، كأخذ المال نهباً
أو غصباً، وقتل النفس في غير قصاص
ولا حد ولا ردة ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ﴾ أي
ندخله نارا عظيمة ﴿وَكَانَ ذَلِكَ﴾ أي
إصلاؤه النار ﴿عَلَى اللَّهِ بِسِيرًا﴾ لأنه لا
يعجزه شيء.

وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣١﴾ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نَكْفِرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلًى مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلَّذِينَ عَقَدْتَ أَيْمَانُكُمْ فَعَاثُوهُمْ نَصِيبُهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٤﴾ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ۚ فَالصَّالِحَاتُ قَنَتٌ ۖ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ۚ وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۚ

نسخ بقوله تعالى (وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض) وبقي للحليف الوصية والمعروف، لقوله تعالى (إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفًا).

٣٤ ﴿الرجال قوامون على النساء﴾ أي عليهن إطاعتهم فيما يأمرهن من المعروف **﴿بما فضل الله بعضهم على بعض﴾** أي إنما استحقوا هذه المزية لتفضيل الله للرجال على النساء بما فضلهم به من الصفات في العقول والأجسام حتى كان فيهم الخلفاء والحكام والأمراء والغزاة وغير ذلك من الأمور **﴿وبما أنفقوا﴾** على النساء، من أموالهم **﴿فالصالحات﴾** أي من النساء **﴿قانتات﴾** أي مطيعات لله ولأزواجهن، قانتات بما يجب عليهن من حقوق الله وحقوق أزواجهن **﴿حافظات للغيب﴾** أي لما يجب حفظه عند غيبة أزواجهن عنهن من حفظ نفوسهن وفروجهن وحفظ أولادهم وبيوتهم وحفظ أموالهم **﴿بما حفظ الله﴾** أي بحفظ الله لهن ومعونته وتسديده **﴿واللاتي تخافون نشوزهن﴾** النشوز العصيان، يقال نشزت المرأة: استعصت على بعلها بأن تعصيه فلا تطيع أمره، وتمنع نفسها بلا عذر، وتخرج من بيتها بغير إذنه، ونحو ذلك **﴿فمعظوهن﴾** أي ذكروهن بما أوجبه الله عليهن من الطاعة وحسن العشرة ورغبوهن ورغبوهن **﴿واهجروهن في المضاجع﴾** أي تباعدوا عن مضاجعتهن، وقيل: هو أن يوليها ظهره في الفراش عند الاضطجاع **﴿واضربوهن﴾** ضرب تأديب وإصلاح **﴿فإن أطعنكم﴾** كما يجب وترك النشوز **﴿فلا تبغوا عليهن سبيلاً﴾** بشيء مما يكرهن لا بقول ولا بفعل، ولا تكلفوهن الحب لكم، فإنه لا يدخل تحت اختيارهن **﴿إن الله كان علياً كبيراً﴾** فاذكروا قدرة الله عليكم فإنها فوق كل قدرة.

﴿للرجال نصيب﴾ فالله قد جعل لكل من الفريقين نصيباً على حسب ما تقتضيه إرادته وحكمته **﴿واسألوا الله من فضله﴾** أي بدل أن تشتغلوا بالتقني اكتسبوا واسألوا الله الخير.

٣٣ ﴿ولكل جعلنا مولى مما ترك الوالدان والأقربون﴾ أي جعلنا لكل إنسان ورثة موالٍ من أقاربه يلون ميراثه **﴿والذين عقدت أيمانكم﴾** المراد بهم موالى الموالاة، كان الرجل يعاقد الرجل فيقول له: ترثني وأرثك، وكان هذا في الجاهلية كذلك، وفي أول الإسلام، ثم

٣١ ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه﴾ إن تجتنبوا كبائر الذنوب التي نهاكم الله عنها **﴿نكفر عنكم سيئاتكم﴾** أي ذنوبكم التي هي الصفائر. قال ابن عباس «الكبيرة كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب» **﴿وندخلكم مدخلاً كريماً﴾** أي حسناً مرضياً.

٣٢ ﴿ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض﴾ ويجوز أن يتمنى أن يكون له حال مثل حال صاحبه من دون أن يتمنى زوال ذلك الحال عن صاحبه

إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا
فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا
يُوفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ * وَأَعْبُدُوا
اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي
الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ
الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ
أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾
الَّذِينَ يَخْلُونِ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ
اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾
وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِيعَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ
قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

٣٥ «وإن خفتم شقاق بينهما» أي تفاقم الخلاف بين الزوجين **«فابعثوا»** إلى الزوجين **«حكمًا»** يحكم بينهما ممن يصلح لذلك عقلا ودينا وإنصافا. نص الله على أن الحكمين يكونان من أهل الزوجين لأنها أعرف بأحوالهما، وأحفظ لأسرارهما الخاصة، وأحرص على الصلح بينها واستقامة حالهما. وهذا إذا أشكل أمرهما ولم يتبين المسئء منها، فاما إذا عرف المسئء فإنه يؤخذ لصاحبه الحق منه. وعلى الحكمين أن يسعيا في إصلاح ذات البين جهدهما، فإن قدرا على ذلك عملا عليه، بفرض نفقة قليلة أو كثيرة، أو تلافي قصور، أو حجب النفقة، أو نحو ذلك. وإن أعياهما إصلاح حالهما ورأيا التفريق بينها جاز لها ذلك. وقيل: يرفعان الأمر إلى القاضي ولا يتم التفريق إلا بحكمه **«إن يريد»** أي الحكمان **«إصلاحا»** بين الزوجين **«يوفق الله»** أي بين الزوجين حتى يعودا إلى الألفة وحسن العشرة. وإذا اختلف الحكمان لم ينفذ حكمهما.

٣٦ «والمساكين» تقدم تفسير هذه وما قبلها في سورة البقرة الآية ١٧٧ **«والجار ذي القرى»** هو من له مع الجوار في الدار قرب النسب **«والجار الجنب»** هو الغريب وقيل اليهودي والنصراني. [والجار يتفاوت حقه بمدى قربه منك فكلما بعد منزله ضعف حقه] وكلما قرب منك قوي حقه **«والصاحب بالجنب»** الرفيق في السفر والإقامة في تحصیل علم أو تعلم صناعة أو مباشرة تجارة أو نحو ذلك **«وابن السبيل»** الذي يجتاز بك مارا، والسبيل الطريق، فإن على المقيم أن يحسن إليه. وقيل هو المنقطع به. وقيل هو الضيف **«وما ملكت أيمانكم»** وهم العبيد والإماء، وقد أمر النبي ﷺ بأنهم يطعمون مما يطعم مالكمهم، ويلبسون مما

٣٨ «والذين ينفقون أموالهم رياء» الناس، كما يفعله من يريد أن يتسامع الناس بأنه كريم **«ومن يكن الشيطان له قرينا»** القرين: صاحب الخليل **«فساء قرينا»** لأنه يورده موارد الهلاك: يأمره بالفخر والخيلاء، والبخل بالحقوق، والإنفاق للرياء والسمعة، فيحرمه أجر الإنفاق في الحق، ويتلف له ماله بإنفاقه في الباطل، فبئس صاحب مثل هذا. وفي الحديث «أول ثلاثة تُسجَرُ بهم النار يوم القيامة» فذكر منهم صاحب المال الذي أنفق وتصدق ليقال عنه: هو جواد.

يلبس **«مختالا»** متكبرا تائها على الناس **«فخورا»** والفخر: المدح للنفس والتطاول وتعديد المناقب، أي لا يجب أهل الفخر والخيلاء. **٣٧ «الذين يغلون»** عن أداء الحقوق **«ويأمرون الناس بالبخل»** كأنهم يجدون في صدورهم من جود غيرهم بماله حرجا وغضاظة. وهذا غاية اللؤم ونهاية الحمق والرقاعة وقبح الطباع **«ويكتمون ما آتاهم الله من فضله»** أي يتظاهرون بالسكنة لئلا يتطلع أهل الحاجة إلى ما ينتفعون به منهم.

وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُّضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤١﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤٢﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَدِّعُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا الرُّسُولَ لَوْ تَسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٣﴾ يَتَأَيَّاهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتُرُونَ

٤٠ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾

الذرة واحدة الذر: وهي الثقل الصغير. وقيل: كل جزء من أجزاء الهباء، أي لا يبخسهم من ثواب أعمالهم، ولا يزيد في عقاب ذنوبهم وزن ذرة فضلا عما فوقها ﴿وَأَنْ تَكَ حَسَنَةً يُّضَاعِفْهَا﴾ أضعافا مضاعفة. ولا تُضاعف السيئة.

٤١ ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ

بشَهِيدٍ﴾ بمن دعاهم إلى الله وذكرهم بعهد، يشهد عليهم يوم القيامة بذلك ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ أي أنت الشهيد على كفار قومك ومن بلغت.

٤٢ ﴿لَوْ تَسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ﴾ أي تمنوا

لو انفتحت لهم الأرض فساخوا فيها، ثم يرد عليهم التراب كما كان، ولا يحضرون للجزاء ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ بل أسرارهم معروضة عليه، وأحاديثهم فيما بينهم معلومة لديه.

٤٣ ﴿لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾

أي لا تصلوا حال السكر، أو لا تدخلوا المساجد في تلك الحال ﴿حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ أي حتى يزول عنكم أثر السكر وتعلموا ماتقولونه، فإن السكران لا يعلم مايقوله ﴿وَلَا جُنُبًا﴾ الجنب: من

أصابته الجنابة، وهي أثر كل جماع أو إيلاج أو إنزال باحتلام أو غيره ﴿إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ حال السفر، فإنه يجوز لكم أن تصلوا بالتييم، وقيل: المعنى لا تقربوا مواضع الصلاة، وهي المساجد، في حال الجنابة، إلا أن تكونوا مجتازين فيها من جانب إلى جانب، فالجنب يمر في المسجد ولا يجلس فيه ﴿وَأَنْ كُنْتُمْ مَرْضَى﴾ يخاف أحدكم على نفسه التلف أو الضرر باستعمال الماء في الحال أو المال، أو كان ضعيفا في بدنه لا يقدر على الوصول إلى موضع الماء ﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ فيه جواز التيمم لمن صدق عليه اسم المسافر، ولا يشترط أن يكون سفر قصر، وقيل: الحاضر يتيمم أيضا إن عدم الماء ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾ كناية عن الحدث الخارج من الإنسان ﴿أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ بالتقبيل والجمس باليد، أو غيرها من البدن، بغرض التمتع وقضاء الشهوة والالتذاذ، وقيل المراد: الجماع ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً﴾ أي مقربة منكم بعد طلبه، أو أضربكم استعماله ﴿فَتَيَمَّمُوا﴾ أي اقصدا ﴿صَعِيدًا﴾ الصعيد وجه الأرض سواء كان عليه تراب أو لم يكن، لأنه نهاية ما يصعد إليه من الأرض، وقيل: الصعيد التراب خاصة، لا يجزىء التيمم إلا بالتراب فقط، فلا يجزىء التيمم بالصخر والرمل ﴿طَيِّبًا﴾ هو الطاهر ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ من ذلك الصعيد ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا غَفُورًا﴾ أي عفا عنكم، وغفر لكم تقصيركم، ورحمكم بالترخيص لكم والتوسعة عليكم، فصليتم عند العذر دون وضوء أو غسل.

٤٤ ﴿يَشْتُرُونَ الضَّلَالَةَ﴾ وهي البقاء

على اليهودية بعد وضوح الحجة على صحة نبوة نبينا ﷺ.

الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ مِنْ
الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا
وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا
فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَانْظُرْنَا لَكَانَ
خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ
إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا
نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا
عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ ؕ وَكَانَ أَمْرُ
اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ؕ وَيَغْفِرُ
مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ؕ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ
إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ

﴿ويريدون أن تضلوا السبيل﴾ أرادوا مع ضلالهم أن يتوصلوا بكتبتهم وجحدهم [ومكرهم] إلى أن تضلوا أنتم أيها المؤمنون سبيل الحق.

٤٥ ﴿والله أعلم بأعدائكم﴾ أيها المؤمنون، وما يريدونه بكم من الإضلال ﴿وكفى بالله ولياً﴾ لكم ﴿وكفى بالله نصيراً﴾ ينصركم في مواطن الحرب، فاكتفوا بولايته ونصره، ولا تتولوا غيره ولا تستنصروه.

٤٦ ﴿من الذين هادوا﴾ أي ينصركم الله أيها المؤمنون من اليهود، ويحتمل أن يكون ابتداء كلام، أي من الذين هادوا قوم ﴿يحرفون الكلم﴾ أي يميلونه ويزيلونه عن مواضعه، ويجعلون مكانه غيره. أو المراد أنهم يتأولونه على غير تأويله ﴿ويقولون سمعنا﴾ أي سمعنا قولك ﴿وعصينا﴾ أمرك ﴿واسمع غير مسمع﴾ دعاء منهم على النبي ﷺ بالأسماع، قاتلهم الله أنى يؤفكون، والمعنى: اسمع لا سمعت، وقد تقدم الكلام في ﴿وراعنا﴾ في سورة البقرة الآية ١٠٤ ﴿لياً بالسنتم﴾ يلوونها عن الحق، أي يميلونها إلى ما في قلوبهم، تعريضاً وخبثاً ﴿وطعنا في الدين﴾ بقولهم: لو كان نبيا لعلم أنا نسبته، فاطلع الله سبحانه نبيه ﷺ على ذلك ﴿ولو أنهم قالوا سمعنا﴾ قولك ﴿وأطعنا﴾ أمرك ﴿واسمع﴾ مانقول ﴿وانظرنا﴾ مكان قولهم راعنا ﴿لكان خيراً لهم﴾ مما قالوه ﴿واقوم﴾ أي أعدل وأولى من قولهم الأول، وهو قولهم (سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا) ولكن لم يسلكوا المسلك الحسن ولهذا ﴿لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً﴾ وهو الإيمان ببعض الكتب دون بعض، وببعض الرسل دون بعض.

٤٧ ﴿آمنوا بما نزلنا﴾ إنذار إلهي بغضب منه عليهم، إذ كانوا يعلمون الحق فتركوا

متابعته وعملوا بنقيضه ﴿من قبل أن نطمس وجوها﴾ أي نطمس وجوهكم بمحو معالمها فيجعل الوجه كالقفا، فيذهب بالأنف والفم والحاجب والعين ﴿فنردها على أدبارها﴾ بعد الطمس يردها إلى موضع القفا ﴿أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت﴾ وكان لعن أصحاب السبت مسخهم قردة وخنازير. وقيل: المراد نفس اللعنة، وهم ملعونون بكل لسان ﴿وكان أمر الله مفعولاً﴾ لا محالة متى أراده كان.

٤٩ ﴿ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم﴾ بادعاء فضائل ليست لهم كقول اليهود والنصارى: نحن أبناء الله وأحباؤه، وقول بعض الناس لا ذنوب لنا ونحن كالأطفال، وقيل: المراد ثناء بعض الناس على بعض.

٤٨ ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به﴾ أي

يُرَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ
يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ ۚ إِنَّمَا مَبِينًا ﴿٥٠﴾
أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ
وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى
مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ
وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن نَّجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ
مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ
النَّاسَ عَلَى مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَا آلَ
إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُم مَّلَكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾
فَمِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ بِهِ ۚ وَمِنْهُمْ مَّنْ صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ
سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِءَايَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا
كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا

على رسول الله والمؤمنين، فناقضوا الحق
لأجل الهوى وهم يعلمون، وما فعلوه إلا
لتنصيرهم قريش **﴿ومن يلعن الله فلن
نجد له نصيرا﴾** يدفع عنه ما نزل به من
عذاب الله وسخطه.

٥٣ ﴿أم لهم نصيب من الملك﴾ يعني
ليس لهم نصيب من الملك، ولو جعل لهم
نصيب من الملك لا يعطون الناس نقيرا
منه لشدة بخلهم وقوة حسدهم، والنقير:
النقرة في ظهر نواة التمر.

٥٤ ﴿أم يحسدون الناس﴾ يعني اليهود
يحسدون النبي ﷺ وأصحابه **﴿على
ما آتاهم الله من فضله﴾** من النبوة
والنصر وقهر الأعداء **﴿فقد آتينا آل
إبراهيم﴾** أي ليس ما آتينا محمدا
وأصحابه من فضلنا ببدع، فهم يعلمون بما
آتينا آل إبراهيم. وقيل حسدوا النبي ﷺ
على أن أباح الله له الزواج من تسع
نسوة، وقالوا: لا هم له إلا النكاح،
فذكرهم الله بما كان من إبراهيم وآله،
كسليمان وداود، آتاهم الله الكتاب
والحكمة والملك، وكانت لهم زوجات
أكثر من محمد ﷺ بكثير.

٥٥ ﴿فمنهم﴾ أي اليهود **﴿من آمن به﴾**
أي بالنبي ﷺ **﴿ومنهم من صد عنه﴾**
أي أعرض عنه، وقيل: المراد أعرض عما
ذكر من حديث آل إبراهيم.

٥٦ ﴿سوف نصليهم نارا﴾ سوف
ندخلهم نارا عظيمة **﴿كلما نضجت
جلودهم﴾** كلما احترقت بدلتهم الله جلودا
غيرها، أي أعطاهم مكان كل جلد
محترق جلدا آخر غير محترق، فإن ذلك
أبلغ في العذاب. وقيل: المعنى أعدنا
الجلد الأول جديدا **﴿ليذوقوا العذاب﴾**
[أي لأن الجلد المحترق يفقد الإحساس
بالألم، بخلاف الجديد ليذوق لهم ولا
ينقطع].

﴿مبين﴾ أي كفى بالكذب دلالة على فجور
فاعله وارتكابه المعصية عمدا.

**٥١ ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من
الكتاب﴾** وهم اليهود **﴿يؤمنون بالجبت
والطَّاغُوت﴾** الكاهن، وماعبد
من دون الله، وكل معبود من دون الله
وهو راض، أو مطاع في معصية الله
﴿ويقولون للذين كفروا﴾ أي يقول
اليهود لكفار قريش أنتم أهدى من الذين
آمنوا بمحمد سبيلا.

٥٢ ﴿الذين لعنهم الله﴾ حيث فضلوا
قريشا مع كفرهم بالله وعبادتهم الأصنام

﴿بل الله يزكي من يشاء﴾ فهو العالم بمن
يستحق التزكية من عباده، ومن لا
يستحقها، فليدع العباد تزكية أنفسهم
للترفع والتفاخر **﴿ولا يظلمون فتيل﴾** وهو
الخيوط الذي في نواة التمر، والمعنى: أن
هؤلاء الذين يزكون أنفسهم يعاقبون على
تزكيتهم لأنفسهم بقدر هذا الذنب، ولا
يظلمون بالزيادة على ما يستحقون ولو
بقدر الفتيل، ولا ينقصون من الثواب
الذي يستحقون مقدار فتيل.

**٥٠ ﴿انظر كيف يفترون على الله
الكذب﴾** في قولهم ذلك **﴿وكفى به إثنا**

الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ * إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ

٥٧ ﴿هم فيها أزواج مطهرة﴾ أي من الأدناس التي تكون في نساء الدنيا ﴿ظلا ظليلا﴾ والظل الظليل: الكثيف الذي لا يدخله الحر والسموم.

٥٨ ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾ الخطاب يشمل جميع الناس في جميع الأمانات. وتدخل الولاية في هذا الخطاب دخولا أوليا، فيجب عليهم تأدية ما لديهم من الأمانات ورد الظلمات، وتحري العدل في أحكامهم. ويدخل غيرهم من الناس، فيجب عليهم رد ما لديهم من الأمانات والتحري في الشهادات والأخبار ﴿وإذا حكمت بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾ [العدل هنا، ألا يميل القاضي إلى أحد الخصمين؛ أو الوالي، فلا يفضل أحدا على خصمه لقربة أو جاه أو مصلحة يرجوها منه أو هوى، ولكن يحكم القاضي لمن له الحق طبقا لما بينه القرآن العظيم والسنة ويعامل الوالي الناس بالتسوية بينهم دون أن يفضل أحدا إلا بما له من فضل، من اجتهاد في العمل أو خبرة أو علم أو قوة في الجهاد أو نحو ذلك] ﴿إن الله كان سميعا﴾ لا يحكم به ﴿ببصيرا﴾ به إذ يصدر حكمه، فيعلم الله هل يتحرى العدل أم يحكم بالهوى.

٥٩ ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾ لما أمر سبحانه القضاة والولاة إذا حكموا بين الناس أن يحكموا بالحق، أمر الناس بطاعتهم ها هنا، وسبق ذلك بالأمر بطاعة الله وطاعة الرسول، لأن القاضي أو الوالي أو غيرها إذا خالف حكم الله ورسوله فحكمه مردود ﴿وأولي الأمر﴾ هم الأئمة والسلاطين والقضاة وكل من كانت له ولاية شرعية، لا ولاية طاغوتية، والمراد: طاعتهم فيما يأمرون به وينهون عنه مالم تكن معصية، فلا طاعة لمخلوق في معصية الله، كما ثبت ذلك عن

رسول الله ﷺ وقيل: إن أولى الأمر هم أهل القرآن والفقه، الذين يأمرون بالحق ويفتون به وهم يعلمون ﴿فإن تنازعتم﴾ فيما بين بعضكم وبعض، أو فيما بينكم وبين الأئمة ﴿في شيء﴾ يتناول أمور الدين والدنيا ﴿فردوه إلى الله والرسول﴾ والرد إلى الله: هو الرد إلى كتابه العزيز، والرد إلى الرسول: هو الرد إلى سنته المطهرة بعد موته، وأما في حياته فالرد إليه سؤاله ﴿إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ هذا الرد متحتم على المتنازعين، وأنه شأن من يؤمن بالله واليوم الآخر ﴿ذلك﴾ إشارة إلى الرد المأمور به ﴿خير﴾ لكم ﴿وأحسن تأويلا﴾ أي مرجعا من تأويلكم الذي صرتم إليه عند التنازع إذا ردتموه إلى غير الله ورسوله.

٦٠ ﴿يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت﴾ الكهان وكل من يحكم بغير ما أنزل الله، فكيف يكونون مؤمنين بالكتب السماوية ثم يتحاكمون إلى الكهان؟ ﴿وقد أمروا أن يكفروا به﴾ أي والكتب السماوية تأمرهم أن يكفروا بكل من لا يحكم بما أنزل الله.



وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦١﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦٢﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٣﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٤﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿٦٥﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّوْا تَسْلِيمًا ﴿٦٦﴾ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ

٦١ ﴿يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ أي يعرضون نفورا من التحاكم إلى القرآن والنبي ﷺ .

٦٢ ﴿إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ﴾ فإنهم يعجزون عند ذلك ولا يقدرّون على الدفع ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي بسبب ما فعلوه من المعاصي التي من جللتها التحاكم إلى الطاغوت ﴿ثُمَّ جَاءُوكَ﴾ يعتذرون عن فعلهم ﴿إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾ أي ما أردنا بتحاكمنا إلى غيرك إلا الإحسان لا الإساءة، والتوفيق بين الخصمين لا المخالفة لك .

٦٣ فكذبهم الله بقوله ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من النفاق والعداوة للحق . معناه : قد علم الله أنهم منافقون ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ عن قبول اعتذارهم ﴿وَعِظْهُمْ﴾ أي خوّفهم من النفاق ﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ في حق أنفسهم ، وقيل : معناه قل لهم خاليا بهم ليس معهم غيرهم ﴿قَوْلًا بَلِيغًا﴾ أي بالغا في وعظهم إلى المقصود مؤثرا فيهم ، وذلك بأن توعدهم بسفك دمائهم وسلب أموالهم [أو يقول لهم ما يؤثر في قلوبهم، ويقنعهم بسوء مسلكهم] .

٦٤ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ﴾ فيها أمر به ونهى عنه ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بعلمه ، وقيل بتوفيقه ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بترك طاعتك والتحاكم إلى غيرك ﴿جَاءُوكَ﴾ متصلين عن جنایاتهم ومخالفاتهم ﴿فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ﴾ لذنوبهم وتضرعوا إليك حتى قت شفيعا لهم فاستغفرت لهم ﴿وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوْجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ أي كثير التوبة عليهم والرحمة لهم .

٦٥ ﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾ أي فليس الأمر كما يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ﴿لَا يَزَالُ الَّذِينَ يُلْحِقُونَكَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ وَمَنْ بِلَيْتِكَ خِيفَةً فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ أي يجعلوك حكما بينهم في جميع أمورهم لا يحكمون أحدا غيرك ﴿فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ أي اختلف بينهم وتخاصموا فيه ، فنفى عنهم الإيمان الذي هو رأس مال صالح عباد الله حتى تحصل لهم غاية هي تحكيم رسول الله ﷺ ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ﴾ فلا يكون مجرد التحكيم والإذعان كافيا حتى يكون من صميم القلب عن رضی واطمئنان وانشلاج قلب وطيب نفس ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ أي يذعنوا وينقادوا ظاهرا وباطنا ﴿تَسْلِيمًا﴾ لا يخالطه رد ولا تشوبه مخالفة .

٦٦ ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ [بيان لمقدار حق الله تعالى في أن يطيعه العباد في شرعه وأمره . فلو أمرهم بقتل بعضهم بعضا ، أو بأن يقتل الرجل نفسه ، أو أمرهم بترك مساكنهم وبلادهم ، لوجب على العباد أن يطيعوه ، ولو أنه فعل ذلك لما نفذ أمره به إلا قليل من العباد] وقد روي من طرق أن جماعة من الصحابة قالوا لما نزلت الآية : لو فعل ربنا لفعلنا ، والحمد لله الذي عافانا . فقال النبي ﷺ «إن من أمتي رجالا لا إيمان في قلوبهم أثبت من الجبال الرواسي» .

مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ
لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنبِيْثًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا لَا تَجِدُهُمْ مِنْ
لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهْدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾
وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ
عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ
وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ
وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ
فَإِنْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ أَنْفِرُوا جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنْ مِنْكُمْ لَمَنْ
لَّيْبِطُنَّ فَإِنْ أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ قَالْ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ
أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ
لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلْبِثَنِي كُنْتُ
مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ * فَلْيَقْتُلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

﴿ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به﴾ من اتباع
الشرع والانقياد لرسول الله ﷺ ﴿لكان﴾
ذلك ﴿خيراً لهم﴾ في الدنيا والآخرة
﴿وأشد تنبيثاً﴾ لأقدامهم على الحق، فلا
يضطربون في أمر دينهم.

٦٧ ﴿وإذن﴾ أي لو فعلوا ذلك عندما
نأمرهم ﴿لآتيناهم من لدنا أجراً
عظيماً﴾.

٦٩ ﴿مع الذين أنعم الله عليهم﴾
بدخول الجنة، والوصول إلى ما أعد الله
لهم ﴿والصديقين﴾ الصديق المبالغ في
الصدق والتصديق بدين الله وكتبه
ورسله، وهم فضلاء أتباع الأنبياء
﴿والشهداء﴾ هم الذين يقتلون في سبيل
الله ﴿والصالحين﴾ أهل الأعمال الصالحة
﴿ورفاقاً﴾ أصحاباً. عن عائشة قالت: جاء
رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله:
إنك لأحب إلي من نفسي، وإنك لأحب
إلي من ولدي، وإني لأكون في البيت
فأذكرك، فاصبر حتى آتي فأنظر إليك،
وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا
دخلت الجنة رفقت مع النبيين، وإني إذا
دخلت الجنة خشيت ألا أراك، فلم يرد
عليه النبي ﷺ حتى نزل جبريل بهذه
الآية (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع
الذين أنعم الله عليهم) الآية.

٧٠ ﴿وكفى بالله علماً﴾ يعلم من يستحق
أن يؤتیه فضله فيجعله من هؤلاء
المذكورين، ممن لا يستحق.

٧١ ﴿خذوا حذركم﴾ كونوا على حذر
من أن يباغتكم أعداء الدين
فيستأصلوكم، فأعدوا العدة ﴿فانفروا﴾
انهضوا لقتال العدو ﴿ثبات﴾ أي جماعات
متفرقات ﴿أو انفروا جميعاً﴾ أي مجتمعين
جيشاً واحداً ليكون ذلك أشد على
عدوهم، وليأمنوا من أن يتخطفهم
الأعداء إذا نفر كل واحد منهم وحده،
فعليهم أن ينفروا جميعاً في الحال الذي

﴿شهِيداً﴾ أي حاضراً.

٧٣ ﴿ولئن أصابكم فضل من الله﴾

غنيمة أو فتح ﴿ليقولن﴾ هذا المنافق قول

نادم حاسد ﴿كان لم تكن بينكم وبينه

مودة﴾ [أي يقول: لِمَ لَمْ تَشْرِكُونِي فِي

غنيمتكم وفتحكم؟ كأنني لم أكن

أحبكم وأعينكم] ف ﴿يا ليتني كنت

معهم فأفوز فوزاً عظيماً﴾ [أي تَتَمَّى أَنْ

يكون خرج مع المؤمنين للقتال لينال

حظه من الغنيمة، ويرى ذلك هو الفوز

العظيم، ولا غرض له في إعلاء كلمة الله

ونصر الإسلام].

يحتاج فيه إلى نفور الجميع، وينفر
البعض عند الاكتفاء بنفور البعض دون
البعض.

٧٢ ﴿وان منكم من ليبطئن﴾ التبطئة:

الإبطاء أي التأخر، والمراد المنافقون،

كانوا يقعدون عن الخروج ويقعدون

غيرهم. والمراد أن من دخلائكم

وجنسكم، ومن أظهر إيمانه لكم نفاقاً من

يبطئ المؤمنين ويشبطهم ﴿فإن أصابتكم

مصيبة﴾ من قتل أو هزيمة أو ذهاب مال

﴿فقال﴾ هذا المنافق ﴿قد أنعم الله علي

إذ لم أكن معهم﴾ حتى يصيبني ما أصابهم

الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقْتَلْ فِي سَبِيلِ
 اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾
 وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ
 الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ
 هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا
 وَاجْعَل لَّنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ
 فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ
 فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾
 أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ
 وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ
 يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ
 كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَّعُ

والمستضعفين من المؤمنين ﴿من الرجال والنساء والولدان﴾ بيان للمستضعفين ﴿القرية الظالم أهلها﴾ مكة ولم ينسب الظلم إلى مكة، تشريفا لها وتكريما.

٧٦ ﴿الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله﴾ أي قتلهم لهذا المقصد لا لغيره ﴿والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت﴾ أي سبيل الشيطان [وما يوقعه في قلوب الناس، فيقتاتلون عليه من طلب الفخر والغلبة بالباطل، وإذلال الغير، وسلب أموال الناس، والانتقام بغير حق، والاعتزاز بالعصبيات والقوميات] ﴿فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا﴾ أي مكروه ومكر من اتبعه من الكفار.

٧٧ ﴿كفوا أيديكم﴾ هم بعض الصحابة، أمروا بترك القتال في مكة فقد جاءوا إلى النبي ﷺ فقالوا يا نبي الله كُتِبَ في عزّة ونحن مشركون، فلما آمنا صرنا أذلة؟ فقال: إني أمرتُ بالعفو، فلا تقاتلوا القوم ﴿فلما كتب عليهم﴾ بالمدينة تشبّطوا عن القتال من غير شك في الدين بل خوفا من الموت وقرقا من هول القتل، وقيل: في المنافقين، أسلموا قبل فرض القتال، فلما فرض كرهوه ﴿يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية﴾ أي بعضهم يخافون الناس بمقدار خوفهم من الله، وبعضهم أشد من ذلك خوفا ﴿لولا﴾ أخرتنا إلى أجل قريب﴾ أي هلا أمهلتنا مدة أخرى ولو قليلة لنستمتع بالحياة فيها. وهذه الآية شبيهة بالآية الأخرى في سورة محمد (ويقول الذين آمنوا لولا أنزلت سورة فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت فأولى لهم. طاعة وقول معروف فإذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم).

أحدهم فاز بالشهادة، وإن غلب وظفر كان له أجر من قاتل في سبيل الله، مع ما قد ناله من العلو في الدنيا والغنيمة. ٧٥ ﴿والمستضعفين﴾ أي: ما لكم لا تقاتلون في سبيل الله وسبيل المستضعفين حتى تخلصوهم من الأسر وتريحوهم من الجهد. والمراد بالمستضعفين هنا: من كان بمكة من المؤمنين تحت إذلال الكفار عاجزين عن الانتقال إلى بلد يكونون فيه أعزة وهم الذين كان النبي ﷺ يدعو لهم فيقول: اللهم أنج الوليد بن الوليد، وسلمة بن هشام، وعياش بن ربيعة،

٧٤ ﴿فليقاتل في سبيل الله﴾ [حج من الله تعالى للمؤمنين على القتال وتبئية لهم على أن يخلصوا له النية. قال النبي ﷺ: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو سبيل الله. وقال أيضا «من قتل دون ماله فهو شهيد. ومن قتل دون دمه فهو شهيد» ﴿الذين يشرون﴾ معناه: يبيعون، وهم المؤمنون. أي إن لم يقاتل هؤلاء المنافقون المبطونون فليقاتل المخلصون الباذلون أنفسهم البائعون للحياة الدنيا بالآخرة. ثم وعد المقاتلين في سبيل الله بأنه سيؤتيهم أجرا عظيما إذا قتل

الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾
 أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ
 مُّشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
 وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ
 مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ قَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ
 حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ
 مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا
 وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ مَّن يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ
 وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ
 فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ
 وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ
 وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ

﴿قل متاع الدنيا قليل﴾ سريع

الفناء لا يدوم لصاحبه، وثواب الآخرة خير لكم من المتاع القليل ﴿لمن اتق﴾ منكم ورجب في الثواب الدائم ﴿ولا تظلمون فتيلًا﴾ أي شيئا حقيرا، والفتيل: الخيط الذي في شق نواة التمر.

٧٨ ﴿أينما تكونوا يدرككم الموت﴾ فيه حث لمن قعد عن القتال خشية الموت، وبيان لفساد ماخالطه من الجبن وخامره من الخشية، فإن الموت كائن لا محالة، فمن لم يمت بالسيف مات بغيره ﴿بروج مشيدة﴾ البروج المشيدة: الحصون المعقاة ببنيانها وتحصينها، لن تدفع الموت عند الأجل ﴿وان تصيبهم حسنة﴾ أي إن تصب المنافقين نعمة نسبوها إلى الله تعالى، وإن تصيبهم بلية ونقمة نسبوها إلى رسول الله ﷺ ﴿قل كل من عند الله﴾ ليس كما تزعمون.

٧٩ ﴿ما أصابك﴾ أيها الإنسان ﴿من حسنة فمن الله﴾ أي: ما أصابك من خصب ورخاء وصحة وسلامة فمن الله بفضلِهِ ورحمته، وما أصابك من جهد وبلاء وشدة فهو من الله أيضا، ولكنه بسبب من نفسك بذنب أتيت فعوقبت عليه ﴿وأرسلناك للناس رسولا﴾ أي ما أنت يا محمد إلا مبلغ، وليست بيدك مقادير الخلائق حتى يكون منك الضرر والنفع، فليس لك من الأمر شيء حتى تكون المصائب عليهم منك ﴿وكفى بالله شهيدا﴾ على ذلك.

٨٠ ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ فيه أن طاعة الرسول طاعة لله، لأن الرسول لا يأمر إلا بما أمر الله به، ولا ينهي إلا عما نهى الله عنه، فطاعة المبلغ طاعة لمن قد أرسله ﴿ومن تولي﴾ أي أعرض عن طاعتك [فهو في الحقيقة إنما يحصي الله تعالى] ﴿فما أرسلناك عليهم حفيظا﴾ أي حافظا لأعمالهم، إنما عليك

البلاغ، وليس عليك أن تؤمن قلوبهم .
 ٨١ ﴿ويقولون طاعة﴾ أي يقولون إذا كانوا عندك: أمرنا طاعة ﴿فإذا برزوا من عندك﴾ أي خرجوا من عندك ﴿بيت طائفة منهم﴾ أي زورت طائفة من هؤلاء القائلين ﴿غير الذي تقول﴾ لهم أنت وتأمرهم به، وقيل معناه: غيروا وبدلوا وحرّفوا قولك فيما عهدت إليهم ﴿والله يكتب ما يبيئون﴾ أي يشبهه في صحائف أعمالهم ليجازيهم عليه ﴿فأعرض عنهم﴾ أي دعهم وشأنهم حتى يمكن الانتقام منهم .
 ٨٢ ﴿أفلا يتدبرون﴾ أي يعرضون عن القرآن فلا يتدبرونه، أي: لا يفهمونه ولا يتأملون معانيه، وإنهم لو تدبروه حق تدبره لوجدوه مؤتلفا غير مختلف [ولفهموا معنى قوله (كل من عند الله) وقوله (وما أصابك من سيئة فمن نفسك)] ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾ أي تفاوتات وتناقضات، وعدم المطابقة للواقع، وهذا شأن كلام البشر، لاسيما إذا طال وتعرض قائله للإخبار بالغيب، فإنه لا يوجد منه صحيحا مطابقا للواقع إلا القليل النادر.

مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَاءَهُمْ
أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى
الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ
مِنْهُمْ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ
إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسُكَ
وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ ۗ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ
كَفَرُوا ۚ وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾ مَنْ يَشْفَعْ
شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۚ وَمَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً
سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
مُّقْبِتًا ﴿٨٥﴾ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِحِجَّةٍ فَبِأَحْسَنِ مِنَّهَا أَوْ رَدُّوهَا ۚ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ

٨٣ ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾ هم جماعة من ضعفه المسلمين، كانوا إذا سمعوا شيئاً فيه أمن نحو ظفر المسلمين وقتل عدوهم، أو فيه خوف نحو هزيمة المسلمين وقتلهم أفشوه، وقيل: كانوا يسمعون إرجافات المنافقين على المسلمين، والإشاعات الباطلة فيذيعونها فتحصل بذلك المفسدة ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ وهم أهل العلم والعقول الراجحة الذين يرجعون إليهم في أمورهم، أو هم الولاة عليهم ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾

أي يستخرجونه بتدبيرهم وصحة عقولهم، والمعنى: أنهم لو تركوا الإشاعة للأخبار حتى يكون النبي ﷺ هو الذي يذيعها، أو يكون أولو الأمر منهم هم الذين يتولون ذلك، لأنهم يعلمون ما ينبغي أن يُفشى وما ينبغي أن يُكتم.

٨٤ ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يا محمد بنفسك ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسُكَ﴾ أي لست مشغولاً عن أصحابك قاتلوا أم لا، فيلزمك أن تفعل ما أمرك الله ولا تلزم فعل غيرك ﴿وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي حضهم على القتال والجهاد ﴿عَسَى اللَّهُ

أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فيه إطماع للمؤمنين بكف بأس الذين كفروا عنهم، فهو وعد منه سبحانه، ووعد كائن لا محالة ﴿وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا﴾ أي أشد صولة وأعظم سلطاناً ﴿وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ تعذيباً.

٨٥ ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ [الشفيع: من يأمر غيره بفعل أمر ويحضه عليه] والشفاعة الحسنة هي في البر والطاعة، فمن شفع في الخير لينفع فله نصيب منها، أي من أجرها، ومن شفع في الشر كمن يسمى بالقيمة والغيبة كان له كفل منها، أي نصيب من وزرها ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْبِتًا﴾ حافظاً لمقادير أعمالكم فيجزئكم عليها.

٨٦ ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ﴾ التحية: السلام، وقيل: التحية هنا تشييت العاطس، وقال أصحاب أبي حنيفة التحية هنا: الهدية لقوله ﴿فَبِأَحْسَنِ مِنَّهَا﴾ أن يزيد في الجواب على ما قاله المبتدئ بالتحية، فإذا قال المبتدئ: السلام عليكم، قال المجيب: وعليكم السلام ورحمة الله [ويزيد لطفاً وبشاشة] والابتداء بالسلام سنة مرغّب فيها، ورده فريضة لقوله ﴿فَبِأَحْسَنِ مِنَّهَا أَوْ رَدُّوهَا﴾ أي ردوها بمثلها على الأقل، ولا يجوز بأقل منها، ولا يجوز ترك الرد بالكلية، فهو فرض، ولا يجوز نقص الرد عن مقدار الابتداء ﴿حَسِيبًا﴾ يحاسبكم على كل شيء.

٨٧ ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ بالحشر إلى حساب يوم القيامة ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ يوم القيام من القبور ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي في يوم القيامة عند من يعقل عن الله حُجْبَتِهِ ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [أي لا أحد أصدق في أخباره وأحاديثه من الله تعالى لغناه وقدرته وكما له].

مِنْ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ * فَمَالَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنِينَ وَاللَّهُ
أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ
وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ
كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى
يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ
حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾
إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ
أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يَقْتُلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا
قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتِلُوكُمْ فَإِنْ
اعْتَرَلُوكُمْ فَلَمْ يَقْتُلُوكُمْ وَالْقَوَا إِلَيْكُمْ أَلْسَمَ فَمَا جَعَلَ
اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ
أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلٌّ مَارَدُوا إِلَى الْفِتْنَةِ

٨٨ ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنِينَ﴾ عَنْ
مُجَاهِدٍ قَالَ: إِنْ أَنَا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ كَانُوا
يَأْتُونَ النَّبِيَّ ﷺ فَيَسْلَمُونَ رِيَاءً، ثُمَّ
يَرْجِعُونَ إِلَى قَوْمِهِمْ فَيُرْتَكِسُونَ فِي الْأَوْثَانِ،
يَسْتَفُونَ بِذَلِكَ أَنْ يَأْمَنُوا هَاهُنَا وَهَاهُنَا،
فَأَمْرٌ بِقَاتِلِهِمْ إِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوا وَيَصَالِحُوا، أَيْ
لَمْ اخْتَلَفْتُمْ فِي شَأْنِهِمْ حَتَّى صَرَّمْتُمْ فِيهِ عَلَى
رَأْيَيْنِ؟ ﴿وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾ أَيْ
رَدَّهُمْ إِلَى الْكُفْرِ وَنَكْسَهُمْ، فَالْرُكْسُ
وَالنَّكْسُ قَلْبُ الشَّيْءِ عَلَى رَأْسِهِ، أَوْ رُدُّ
أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ، أَيْ أَرْكَسَهُمْ بِسَبَبِ
كَسِبِهِمْ، وَهُوَ لِحُوقِهِمْ بَدَارُ الْكُفْرِ
﴿أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾
لِلتَّقْرِيعِ وَالتَّوْبِيخِ، وَمَنْ أَضَلَّهُ اللَّهُ لَا
تَنْجِعُ فِيهِ هِدَايَةُ الْبَشَرِ.

٨٩ ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا﴾
هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ يُودُونَ أَنْ يَكْفُرَ الْمُؤْمِنُونَ
كَمَا كَفَرُوا هُمْ، وَيَتَمَنُّونَ ذَلِكَ عَنَادًا
وَعُغْلًا فِي الْكُفْرِ وَتَمَادِيًا فِي الضَّلَالِ
﴿فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ أَيْ فِي الْكُفْرِ ﴿فَلَا
تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ أَيْ أَنْصَارًا تَتَوَلَّوْنَهُمْ
حَتَّى يَحْقُقُوا إِيْمَانَهُمْ بِالْهَجْرَةِ ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾
عَنْ ذَلِكَ ﴿فَخُذُوهُمْ﴾ إِذَا قَدَرْتُمْ عَلَيْهِمْ
﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ فِي أَيْ
مَكَانٍ، وَهَذَا فِي قَوْمٍ ادَّعَوْا الْإِسْلَامَ ثُمَّ
لَحَقُوا بِدَارِ الْحَرْبِ مُعَانِدِينَ، وَلَيْسَ فِي
الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ كَانُوا يَسَاكُونُ الْمُؤْمِنِينَ
بِالْمَدِينَةِ.

٩٠ ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ
وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ أَيْ إِلَّا الَّذِينَ يَتَصَلُّونَ
وَيَدْخُلُونَ فِي قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ،
بِالْجَوَارِ وَالْحَلْفِ، فَلَا تَقْتُلُوهُمْ، فَإِنْ الْعَهْدُ
يَشْمَلُهُمْ، وَقِيلَ: الْإِتِّصَالُ هُنَا هُوَ اتِّصَالُ
النَّسَبِ ﴿أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ
صُدُورُهُمْ﴾ أَيْ ضَاقَتْ عَنْ الْقِتَالِ،
فَأَمْسَكُوا عَنْ قِتَالِكُمْ وَالْقِتَالُ مَعَكُمْ
لِقَوْمِهِمْ، فَضَاقَتْ صُدُورُهُمْ عَنْ قِتَالِ
الطَّائِفَتَيْنِ، وَكَرِهُوا ذَلِكَ ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ

لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾ ابْتِلَاءً مِنْهُ لَكُمْ
وَإِحْتِبَارًا، أَوْ تَمْحِصًا لَكُمْ، أَوْ عَقُوبَةً
بِذُنُوبِكُمْ ﴿فَإِنْ اعْتَرَلُوكُمْ﴾ وَلَمْ يَتَعَرَّضُوا
لِقِتَالِكُمْ ﴿وَالْقَوَا إِلَيْكُمْ أَلْسَمَ﴾ أَيْ
[رَغَبُوا فِي مَسَالَتِكُمْ وَوَضَعَ الْحَرْبَ بَيْنَكُمْ
وَبَيْنَهُمْ بِعَهْدٍ يُثَرِّمُونَهُ مَعَكُمْ] ﴿فَمَا جَعَلَ
اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ فَلَا يَحِلُّ لَكُمْ
قَتْلُهُمْ وَلَا أَسْرَهُمْ وَلَا نَهْبُ أَمْوَالِهِمْ، فَهَذَا
الِاسْتِسْلَامُ يَمْنَعُ مِنْ ذَلِكَ وَيَحْرِمُهُ. فَهِيَ
اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ عَنْ التَّعَرُّضِ لِقِتَالِ كُلِّ مِنَ
الطَّائِفَتَيْنِ، وَهُمْ الدَّاخِلُونَ فِي الْعَهْدِ
الْمُتَمَسِّكُونَ بِهِ، وَالْمُعْتَزِلِينَ لِلْحَرْبِ الرَّاغِبِينَ
فِي عَقْدِ الصِّلَحِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ .
٩١ ﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ
يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ﴾ فَيُظْهِرُونَ لَكُمْ
الْإِسْلَامَ وَيُظْهِرُونَ لِقَوْمِهِمُ الْكُفْرَ، لِيَأْمَنُوا
مِنْ كُلِّ الطَّائِفَتَيْنِ، وَهُمْ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ
تِهَامَةَ طَلَبُوا الْأَمَانَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
لِيَأْمَنُوا عِنْدَهُ وَعِنْدَ قَوْمِهِمْ ﴿كَلِمًا رَدُّوا إِلَى
الْفِتْنَةِ﴾ أَيْ دَعَاهُمْ قَوْمُهُمْ إِلَيْهَا وَطَلَبُوا
مِنْهُمْ قِتَالَ الْمُسْلِمِينَ ﴿أَرْكَسُوا فِيهَا﴾ أَيْ
انْقَلَبُوا فِيهَا فَرَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ [وَإِخْتَلَطَ
عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ وَتَحِيرُوا، هَلْ يَقَاتِلُونَكُمْ أَوْ
يَقَاتِلُونَ قَوْمَهُمْ أَوْ يَعْتَزِلُونَ].

أَرْكُسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمْ السَّلَامَ
وَيَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ فَاغْزَوْهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ
وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿٩١﴾ وَمَا كَانَ
لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَقْتُلُوا مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً
فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَّةٌ مُسْلِمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ
يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوِّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ
رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ
فَدِيَّةٌ مُسْلِمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ
فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا
حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ
خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا
عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

لَكُمْ وهم الكفار الحربيون، فالمؤمن الذي يقتله المسلمون في بلاد الكفار الذين كان منهم، ثم أسلم ولم يهاجر، فلا دية على قاتله، بل عليه تحرير رقبة مؤمنة، وسقطت الدية، لأن هذا الذي آمن ولم يهاجر حرمة قليلة **﴿وإن كان﴾** أي إن كان المؤمن المقتول **﴿من قوم﴾** كفار **﴿بينكم وبينهم ميثاق﴾** مؤقت أو مؤبد وهو مؤمن **﴿فدية مسلمة إلى أهله﴾** أي فعل قاتله دية مؤداة إلى أهله من أهل الإسلام وهم ورثته **﴿وتحرير رقبة مؤمنة﴾** كما تقدم **﴿فمن لم يجد﴾** أي الرقبة أو لم يتسع ماله لشرائها **﴿فصيام شهرين متتابعين﴾** لم يفصل بين يومين من أيام صومها إفطار في نهار. فلو أضر استأنف. وأما الإفطار لعذر كالحيض ونحوه فلا يوجب الاستئناف، واختلف في الإفطار لعروض المرض **﴿توبة من الله﴾** أي شرع ذلك قبولاً لتوبتكم.

٩٣ ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً﴾ أي قاصدا قتله وهو يعلم أنه إنسان مؤمن، وعلامة العمد أن يقتله بما يقتل مثله في العادة كالسيف أو السموم **﴿فجزاؤه جهنم﴾** يستحقها بسبب هذا الذنب مع كونه خالداً فيها، وأن غضب الله عليه ولعنته وإعداده له عذاباً عظيماً إلا من تاب، لكن لا بد في توبة قاتل العمد من الاعتراف بالقتل، وتسليم نفسه للقصاص إن كان واجباً، أو تسليم الدية إن لم يكن القصاص واجباً، وكان القاتل غنياً متمكناً من تسليمها أو بعضها، وأما مجرد التوبة من القاتل عمداً، وعزمه على ألا يعود إلى قتل أحد، من دون اعتراف، ولا تسليم نفس، فنحن لا نقطع بقبولها، والله أرحم الراحمين، هو الذي يحكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون [ولم يذكر له توبة ولا كفارة كما ذكرهما للقاتل الخطيئ فدل على انتفائها] وقيل له توبة.

﴿فإن لم يعزلوكم وبلغوا إليكم﴾ أي فعله تحرير رقبة - عبد مؤمن أو أمة مؤمنة - يعتقها كفارة عن قتل الخطأ **﴿ودية مسلمة إلى أهله﴾** الدية: ما يعطى عوضاً عن دم المقتول إلى ورثته، والمسلمة المدفوعة المؤداة، والأهل: المراد بهم الورثة. وأجناس الدية وتفصيلها قد بينتها السنة المطهرة. والدية هنا تلزم عاقلة القاتل، وليس القاتل نفسه **﴿إلا أن يصدقوا﴾** أي إلا أن يتصدق أهل المقتول على أهل القاتل بالدية، سمي العفو عنها صدقة ترغيباً فيه **﴿فإن كان من قوم عدو﴾** **﴿فإن لم يعزلوكم وبلغوا إليكم﴾** أي عطفوا عليكم، يعطوكم من العهد ما تطمئنون به إلى عدم مشاركتهم في قتالكم **﴿ويكفوا أيديهم﴾** عن قتالكم **﴿فغزوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم﴾** أي حيث وجدتموهم وتمكنتم منهم **﴿سلطاناً مبيناً﴾** أي حجة واضحة تتسلطون بها عليهم، وتقهرونهم بها بسبب ارتكاسهم في الفتنة بأيسر عمل وأقل سعي.

٩٢ ﴿وما كان للمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ﴾ ووجوه الخطأ كثيرة، ويضبطها عدم القصد، إذا لم يتعمد

فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا
تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ
كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ
كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِّ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى
وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾
دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٩٦﴾
إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ
قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ
وَسِعَةً فَهَاجَرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ

٩٤ ﴿إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ خرجتم
للجهاد [أو ضربتم بالسلاح قتالا في
سبيل الله] ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ أي تثبتوا لئلا
يكون من تضربونه مؤمنا ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ
أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ﴾ أي: لا تقولوا لمن
ألقى إليكم كلمة الإسلام وهي الشهادة،
لست مؤمنا، وقيل: المعنى لا تقولوا لمن
ألقى إليكم التسليم، فقال السلام
عليكم: لست مؤمنا، عن ابن عباس
قال: مر رجل من بني سليم بنصر من
أصحاب رسول الله ﷺ وهو يسوق غنما
له، فسلم عليهم، فقالوا: ما سلم علينا
إلا ليتوذن منا، فعمدوا إليه فقتلوه، وأتوا
بغنمه إلى النبي ﷺ فنزلت هذه الآية
﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ طالبين
الغنيمة ﴿فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ مما هو
حلال لكم من دون ارتكاب محظور،
وتستغنون بها عن قتل من قد استسلم
وانقاد، واغتنام ماله ﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ
قَبْلُ﴾ أي كنتم كفارا فحققت دماؤكم
لما تكلمتم بكلمة الشهادة.

٩٥ ﴿غَيْرِ أُولِي الضَّرَرِّ﴾ أهل الضرر: هم
أهل الأعذار، لأنها أضرت بهم حتى
منعهم عن الجهاد، فإنهم إن كانت نيّتهم
وكل عزمهم أنهم لولا العذر لخرجوا
مجاهدين، فهم بدرجة المجاهدين ولهم مثل
أجرهم ﴿دَرَجَةً﴾ هذا بيان لما بين
الفريقين من التفاضل، والمراد هنا غير
أولي الضرر، أي أعلى ذكركم ورفعهم
بالثناء والمدح ﴿وَكُلًّا﴾ من المجاهدين
والقاعدين، وعده الله ﴿الْحُسْنَى﴾ أي
المثوبة، وهي الجنة.

٩٦ ﴿دَرَجَاتٍ﴾ قيل: هي الدرجة
السابقة نفسها. وقيل: فضلهم بدرجة
واحدة على القاعدين بعذر، وفضلهم
درجات على القاعدين دون عذر. وعن
أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ
فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ

أصحاب النبي ﷺ أم كنتم مشركين؟
﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ لا نقدر
على إظهار ديننا، فنقول لهم الملائكة ﴿أَلَمْ
تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجَرُوا فِيهَا﴾
أي فتتخلصوا من ظلم الكفار لكم،
وتعبدوا الله مع المسلمين. والأرض: كل
بقعة من بقاع الأرض تصلح للهجرة
إليها، ويراد بالأرض الأولى كل أرض
ينبغي الهجرة منها ﴿مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ أي لا
مسكن لهم إلا النار. فهذه الآية دليل على
وجوب الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام.
لمن لم يكن قادراً على إقامة دينه.

للمجاهدين في سبيل الله، ما بين
الدرجتين كما بين السماء والأرض».

٩٧ ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾
تتوفاهم بقبض أرواحهم ﴿ظَالِمِي
أَنْفُسِهِمْ﴾ وهم الذين لم يهاجروا من مكة
إلى المدينة، بل بقوا بين الكفار يمنعونهم
من إظهار إسلامهم وممارسة عبادتهم
وشعائر دينهم، وربما قتلهم المسلمون في
الحرب مع الكفار وهم لا يعلمون بأنهم
مسلمون، تقول لهم الملائكة ﴿فِيمَ كُنْتُمْ﴾
سؤال توبيخ، أي في أي شيء كنتم من
أمر دينكم؟ وقيل المعنى: أكنتم في



مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ
وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾
فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا
غَفُورًا ﴿٩٩﴾ * وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ
مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً * وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى
اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ
وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ
فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ
أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا
مُبِينًا ﴿١٠١﴾ وَإِذَا كُنْتُمْ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ
طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكُمْ وَلْيَاخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا
فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا

عباس قال: خرج ضمرة بن جندب من بيته مهاجرا فقال لقومه: احملوني فأخرجوني من أرض الشرك إلى رسول الله ﷺ فات في الطريق قبل أن يصل إلى النبي ﷺ فنزلت هذه الآية.

١٠١ «وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ» سافرت فيها «فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ» فيه دليل على أن القصر ليس بواجب على من سافر، بل المسافر إن شاء قصر وإن شاء أتم الصلاة، والقصر: أن تصلي الصلاة الرباعية في السفر ركعتين فقط «إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا» ظاهر هذا أن القصر لا يجوز في السفر إلا مع خوف الفتنة من الكافرين، لا مع الأمن، ولكنه قد تقرر بالسنة أن النبي ﷺ «قصر مع الأمن».

١٠٢ «وَإِذَا كُنْتُمْ فِيهِمْ» هذا خطاب لرسول الله ﷺ ولن بعده من أهل الأمر حكمة: فيصل كل منهم بأصحابه صلاة الخوف، والصحابة قد صلوا بعد موته أكثر من مرة كما هو معروف «فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكُمْ» يعني بعد أن تجعلهم طائفتين: طائفة تقف بإزاء العدو، وطائفة تقوم معهم معك في الصلاة «وَلْيَاخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ» أي الطائفة التي تصل معكم، والطائفة القائمة بإزاء العدو لابد أن تكون قائمة بأسلحتها، والمراد أن يكونوا حاملين لسلحهم ليتناولوه من قرب إذا احتاجوا إليه، وليكون ذلك أقطع لرجاء عدوهم من إمكان فرصته فيهم «فَإِذَا سَجَدُوا» أي فإذا سجد المصلون معه، أي أتموا الركعة أو جميع الصلاة «فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ» أي فلينصرفوا بعد الفراغ إلى مقابلة العدو للحراسة «وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى» وهي القائمة في مقابلة العدو التي لم تصل «فَلْيَصَلُوا مَعَكُمْ» على الصفة التي كانت عليها الطائفة الأولى.

الحديث الصحيح «فن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه» «يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَٰغَمًا» مكانا يسكن فيه على رغم أنف قومه الذين هاجروهم، أي على ذلهم وهوانهم «وَسَعَةً» في البلاد وفي الرزق «ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ» قبل أن يصل إلى المكان الذي قصد الهجرة إليه «فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ» أجر هجرته كاملا ولو لم يصل دار الهجرة «عَلَى اللَّهِ» أي ثبت ذلك عنده ثبوتا لا يتخلف. عن ابن

٩٨ «إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ» حقيقة «مِنْ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ» كالزمنى ونحوهم «لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً» بأسباب التخلص.

٩٩ «فَأُولَٰئِكَ» إشارة إلى المستضعفين الموصوفين بما ذكر «عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ» لتأكيد أمر الهجرة، حتى يظن أن تركها — ممن لا تجب عليه — يكون ذنبا يطلب العفو عنه [بسبب العذر].

١٠٠ «وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» الهجرة تكون بقصد صحيح ونية خالصة غير مشوبة بشيء من أمور الدنيا، ومبني

فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ
كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ
مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ
أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ
إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ
فَازْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ
فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا
مَوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلُمُونَ
فَإِنَّهُمْ يَأْلُمُونَ كَمَا تَأْلُمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ
وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ
لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِنِينَ
خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٦﴾

﴿ولياخذوا﴾ أي هذه الطائفة الأخرى
﴿حذرهم وأسلحتهم﴾ ولم يبين في الآية
كم تصلي كل طائفة من الطائفتين، وقد
وردت صلاة الخوف في السنة المطهرة على
صُور مختلفة، وصفات متعددة، وكلها
صحيحة مجزئة، من فعل واحدة منها فقد
فعل ما أمر به، فارجع إلى كتب الحديث
لتعلمها. وبجمعها ما في هذه الآية
﴿فيميلون عليكم ميلاً واحدة﴾ فيشدون
عليكم شدة واحدة أي بكل قوتهم حتى
لا يحتاجون إلى ميلاً ثانية ﴿أن تضعوا
أسلحتكم﴾ رخص لهم في وضع السلاح
إذا نالهم أذى من المطر، وفي حال
المرض، ثم أمرهم بأخذ الحذر لئلا يأتهم
العدو على غرة وهم غافلون.

١٠٣ ﴿فإذا قضيت الصلاة﴾ فرغتم من
صلاة الخوف ﴿فاذكروا الله قياماً
وقعوداً وعلى جنوبكم﴾ أي في جميع
الأحوال حتى في حال القتال ﴿فإذا
اطمأنتم﴾ أي أمنتهم ولم يكن هناك عدو
تخافون منه ﴿فأقيموا الصلاة﴾ أي فاتوا
بالصلاة التي يدخل وقتها على الصفة
المشروعة من الأذكار والأركان
والطمأنينة ﴿إن الصلاة كانت على
المؤمنين كتاباً موقوتاً﴾ أي محدودة معينة
بأوقات معلومة لكل منها بدء ونهاية لا
يصلح تقديمها ولا تأخيرها. فإن الله
افترض على عباده الصلوات، وكتبها
عليهم في أوقاتها المحدودة، لا يجوز لأحد
أن يأتي بها في غير ذلك الوقت إلا لعذر
شرعي: من نوم أو سهو أو نحوها، أي
ولذلك أمركم بالصلاة حال الخوف مع
حمل السلاح والصفة المبينة، ولم يأذن
لكم في تأخيرها عن الوقت.

١٠٤ ﴿ولا تهنوا في ابتغاء القوم﴾ أي
لا تضعفوا في طلبهم وأظهروا القوة والجلد
﴿إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما
تألمون﴾ فليسوا بأولى منكم بالصبر على

حر القتال ومرارة الحرب ﴿وترجون من
الله﴾ من الأجر وعظيم الجزاء ﴿وما لا
يرجون﴾ لكفرهم وجحودهم، فأنتم أحق
بالصبر منهم.

١٠٥ ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق﴾
سبب نزول هذه الآيات أن رجلاً من

المنافقين من بني أبيرق سرق من يهودي
طعاماً وسلاحاً، واتهم به رجلاً صالحاً.

ولما شعر بعض الناس بالسارق، طفق
قومه يدافعون عنه أمام النبي ﷺ حتى
كاد أن يميل إليهم على اعتبار أن من
اتهم لا بينة له، فنزلت الآيات ﴿بما

أراك الله﴾ إما بوحى، أو بما عرفه الله به
وأرشده إليه ﴿ولا تكن للخائنين
خصيماً﴾ أي مخاصماً عنهم مجادلاً للمحققين
بسببهم. وفيه دليل على أنه لا يجوز لأحد
أن يخاصم عن أحد إلا بعد أن يعلم أنه
محق.

١٠٦ ﴿واستغفر الله﴾ استغفر الله من
خصامك عن بني أبيرق، وكان ﷺ قد
قال للمدعي: «عمدت إلى أهل بيت
ذكر منهم إسلام وصلاح ترميهم بالسرقة
على غير ثبوت ولا بينة» فلما نزلت الآية
ردوا السلاح.

وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا
يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى
مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَآئِئْتُمْ
هَٰؤُلَاءِ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ
عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَنْ
يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ
غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُ
عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ
خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا
وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ
لَهَمَّت طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَنْ يُضْلُوكَ وَمَا يُضْلُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ

١٠٧ ﴿ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم﴾

أنفسهم﴾ أي لا تحاجج عن الذين يخونون أنفسهم، لأن ضرر معصيتهم راجع إليهم، والخوان: الكثير الخيانة. والأثيم: الكثير الإثم.

١٠٨ ﴿يستخفون من الناس﴾ أي

يستترون منهم ﴿ولا يستخفون من الله﴾ أي: لا يستترون بترك الفعل الذميمة،

لأنهم إن فعلوه لم يخف عليه سبحانه، فكيف يستخفون منه؟ ﴿إذ يبيتون﴾ أي

يديرون الرأي بينهم بالليل ﴿وما لا يرضى من القول﴾ أي من الرأي الذي أداروه

١٠٩ ﴿وما أنتم هؤلاء﴾ يعني القوم

الذين جادلوا عن صاحبهم السارق ﴿في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم

القيامة﴾ عند تعذيبهم بذنوبهم، وهو المطلع على كل ما دبروه ﴿أم من يكون

عليهم وكيل﴾ أي مجادلا ومخاصما بالوكالة عنهم.

١١٠ ﴿ومن يعمل سوءا﴾ السوء القبيح الذي يسوء به غيره ﴿أو يظلم نفسه﴾

بفعل معصية من المعاصي التي لا تتعدى إلى غيره ﴿ثم يستغفر الله﴾ يطلب منه أن

يستر له ما قارفه من الذنوب، ويححو عنه أثره، بقوله: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، أو: اللهم اغفر لي ﴿يجد الله عفورا﴾ لذنبه ﴿رحيما﴾ به قال ابن عباس: «أخبر الله العباد بحلمه وعفوه وكرمه وسعة رحمته ومغفرته ولو كانت ذنوب العبد أعظم من السماوات والأرض والجبال فإن الله يغفرها لمن تاب واستغفر». وفيه ترغيب لمن وقع منه السرقة من بني أبيرق أن يتوب إلى الله ويستغفره، وأنه غفور لمن يستغفره رحيم به، وهي لكل عبد من عباد الله أذن ذنبا ثم استغفر الله سبحانه.

١١١ ﴿ومن يكسب إثما فإنما يكسبه

على نفسه﴾ عاقبته عائدة عليه [أي ما كان لأقارب ذلك السارق أن يكونوا في حرج من سرقة يحملهم على الدفاع عنه بالباطل] فليس عليهم من إثم السرقة شيء ﴿علما حكيما﴾ [حيث حكم بهذه القاعدة العظيمة، وأخبركم بها لتعملوا بها].

١١٢ ﴿ومن يكسب خطيئة أو إثما﴾

الخطيئة تكون عن عمد وعن غير عمد، والإثم لا يكون إلا عن عمد، وقيل الخطيئة: الصغيرة، والإثم: الكبيرة ﴿ثم

يرم به بريئا فقد احتمل بهتاناً﴾ والبهتان: هو الكذب على البريء بما ينبت له ويتحير منه.

١١٣ ﴿ولولا فضل الله عليك ورحمته﴾

خطاب لرسول الله ﷺ والمراد بهذا الفضل والرحمة لرسول الله: أنه نبيه على الحق في قصة بني أبيرق ﴿لهمت طائفة

منهم﴾ أي من الجماعة الذين عضدوا بني أبيرق ﴿أن يضلوك﴾ عن الحق ﴿وما

يضلون إلا أنفسهم﴾ لأن وبال ذلك عائد عليهم.

وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ
عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ * لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مِنْ أَمْرٍ
بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ
ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُوْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾
وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ
غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ
مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونََ
ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا
بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنثًا وَإِنْ يَدْعُونَ
إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ
نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَا ضَلَالَتَهُمْ وَلَا أَمْنِيَّتَهُمْ وَلَا مَكْرَهُمْ

﴿وما يضرُّونك من شيء﴾ لأن الله سبحانه هو عاصمك من الناس، ولأنك عملت بالظاهر ولا ضرر عليك في الحكم به قبل نزول الوحي ﴿وانزل الله عليك الكتاب﴾ أي وشرع لك في هذه الآيات وغيرها من القواعد والأحكام ما فيه خير كثير سببه ما حصل في شأن بني أبيرق ﴿والحكمة﴾ السنة النبوية مع إنزال الله ذلك عليك ﴿وعلمك ما لم تكن تعلم﴾ من قبل ﴿وكان فضل الله عليك عظيمًا﴾ إذ لا فضل أعظم من النبوة ونزول الوحي.

١١٤ ﴿لا خير في كثير من نجواهم﴾ النجوى: السر بين الاثنين أو الجماعة إذا تحدثوا في أمر من الأمور سرًا، فأكثر ما يتناجى الناس به لا خير فيه، إلا في هذه الأمور الثلاثة ﴿أو معروف﴾ المعروف: لفظ عام يشمل جميع أنواع البر ﴿أو إصلاح بين الناس﴾ والإصلاح بين الناس عام في الدماء والأعراض والأموال، وفي كل شيء يقع التداعي والتخاصم فيه ﴿ومن يفعل ذلك﴾ أي من يأمر بهذه الأشياء ﴿ابتغاء مرضاة الله﴾ ومن فعلها لغير ذلك فهو غير مستحق لهذا المدح والجزاء، بل قد يكون غير ناج من الوزر، والأعمال بالنيات. عن أم حبيبة قالت: قال رسول الله ﷺ «كلام ابن آدم كله عليه لا له، إلا أمرًا بمعروف أو نهيًا عن منكر، أو ذكرًا لله عز وجل».

١١٥ ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى﴾ المشاقة: المعادة والمخالفة، فيناجي غيره بالإثم والعدوان ومعصية الرسول، وتبين الهدى: ظهوره، بأن يعلم صحة الرسالة بالبراهين الدالة على ذلك ثم يفعل المشاقة ﴿ويتبع غير سبيل المؤمنين﴾ أي غير طريقهم وهو ما هم عليه من دين

الإسلام والتمسك بأحكامه، بل تولى أهل الكفر والضلال ﴿نوله ما تولى﴾ أي نلحقه بالكفار والضلال ﴿ونصله جهنم﴾ أي نذيقه عذاب نارها. ١١٦ ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به﴾ تقدم تفسيرها (الآية ٤٨). ١١٧ ﴿إن يدعون من دونه إلا إنثًا﴾ أي ما يدعون من دون الله إلا أصناما لها أسماء مؤنثة كالكالات والعزى ومناة، وقيل المراد بالإناث: الملائكة، لقولهم: الملائكة بنات الله. عن الضحاك: قال المشركون إن الملائكة بنات الله، وإنما نعبدنهم

ليقربونا إلى الله زلفى، قال: اتخفونهم أربابا، وصوروهن صور الجواري فحلوا وقلدوا، وقالوا هؤلاء يشبهن بنات الله الذي نعبدن. يعنون الملائكة ﴿وان يدعون إلا شيطانا مريدا﴾ وهو إبليس لعنه الله، لأنهم إذا أطاعوه فإيا سؤل لهم فقد عبدوه. والمريد: المتمرد العاقي. ١١٨ ﴿وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا﴾ لأجعلن قطعة مقدرة من عباد الله تحت غوايتي، حتى أخرجهم من عبادة الله إلى الكفر به. ١١٩ ﴿ولأمنينهم﴾ الأمانى الباطلة



فَلْيَبْتَكَنْ أَذَانَ الْإِنْعَمِ وَلَا مَرْنَهُمْ فَلْيَغْيِرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ^ج
وَمَنْ يَخْذِ الشَّيْطَانُ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا
مُبِينًا ﴿١٢٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ
إِلَّا غُرُورًا ﴿١٣٠﴾ أُولَئِكَ مَاؤُنْهَمُ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا
مَحِيصًا ﴿١٣١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَ
اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٣٢﴾ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ
وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا
يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٣٣﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ
مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ
يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٣٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا
مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا

نزل بهم من المكروه.

١٢٢ ﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ أي وعدهم الله ذلك وعدا صادقاً ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ أي لا أحد أصدق قولاً من الله عز وجل.

١٢٣ ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ أي ليس دخول الجنة أو

الفضل أو القرب من الله والخلاص من عذابه يحصل بمجرد التقي، سواء من أهل الكتاب، كقولهم: نحن أبناء الله وأحباؤه، وقولهم: لن تمسنا النار إلا أياما معدودة [أو من المسلمين، كقول بعضهم يوم القيامة: ينادي مناد: من كان اسمه محمدا فليدخل الجنة، أو من مات يوم الجمعة، أو في بلد كذا دخل الجنة، كلها أمانى باطلة] بل ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ فكل من عمل سوءا من شرك أو غيره من غير فرق بين المسلم والكافر، يجازى بفعله في الدنيا أو الآخرة في كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى الشوكة يشاكها، عن أبي هريرة وأبي سعيد أنها سمعا رسول الله ﷺ يقول «ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا سقم ولا حزن حتى ألهم يمه إلا كفر الله به من سيئاته».

١٢٤ ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ أي لا

ينقصون ولو شيئا حقيرا، والنقير: النقرة في ظهر نواة التمر.

١٢٥ ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ أي أخلص نفسه له حال

كونه محسنا أي عاملا للحسنات ﴿وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي دينه حال كون المتبع

﴿حَنِيفًا﴾ أي مائلا عن الأديان الباطلة إلى دين الحق، وهو الإسلام ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ

إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ أي جعله صفة له وخصه بكراماته، والخليل: أقرب أحببك إليك الذي تخصه بألفتك ويخصك بمثلها.

آدم لا يحمل ولا يجوز، وهو مثله وتغير

لخلق الله ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ باتباعه وامتنال ما يأمر به من دون اتباع لما أمر الله به ولا امتثال له.

١٢٠ ﴿يَعِدُهُمْ﴾ المواعيد الباطلة

﴿وَيُمْنِيهِمْ﴾ الأمانى العاطلة ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ

الشَّيْطَانُ﴾ بما يوقعه في خواطرهم من

الوساوس الفارغة ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾ يغرهم به

ويظهر لهم فيه النفع، وهو ضرر محض.

قال ابن عرفة: الغرور: ما رأيت له ظاهرا تحبه، وله باطن مكروه.

١٢١ ﴿مَحِيصًا﴾ مكانا يفرون إليه مما

الناشئة عن تسويل الشيطان ووسوسته.

﴿وَلَا مَرْنَهُمْ فَلْيَبْتَكَنْ أَذَانَ الْإِنْعَمِ﴾

تبتيكها: تقطيعها، فليبتكنها بموجب أمري. وقد فعل الكفار ذلك امتثالا لأمر

الشيطان، واتباعا لرسمه، فشقوا آذان البحائر والسوايب كما ذلك معروف

﴿وَلَا مَرْنَهُمْ فَلْيَغْيِرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾ قيل: هو

الخصاء، وفقء الأعين، وقطع الآذان.

وقيل: المراد تغيير الفطرة التي فطر الله

الناس عليها وقد رخص طائفة من العلماء

في خصاء البهائم إذا قصد بذلك زيادة

الانتفاع بها لئمن أو غيره، وخصاء بني

وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾
وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ
عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتِمَّى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُوْتُونَهُنَّ
مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ
مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ
خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾ وَإِنْ أَمْرَةٌ خَافَتْ مِنْ
بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا
بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ
وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾
وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ
فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا

١٢٦ ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ إشارة إلى أنه اتخذ إبراهيم خليلًا لطاعته، لا للتكثير به والاعتقاد بمخالته **﴿مُحِيطًا﴾** أحاط علمه بكل شيء - لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، سبحانه ومحمده.

١٢٧ ﴿اللَّهُ يَفْتِيكُمْ﴾ أي يبين لكم حكم ما سألتكم عنه **﴿وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾** أي والذي نزل من القرآن في أول سورة النساء وهو قوله (وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم) المقصود به **﴿يَتِمَّى النِّسَاءُ اللَّاتِي لَا تُوْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾** أي ما فرض لمنهن من الميراث وغيره **﴿وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾** أي ترغبون في أن تنكحوهن لجمالهن، فلا تفعلوا ذلك إلا أن تعطوهن صداقهن كاملاً كأمثالهن **﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ﴾** أي وما يتلى عليكم في يتامى النساء وفي المستضعفين من الولدان، وهو قوله تعالى: (يوصيكم الله في أولادكم) وقد كان أهل الجاهلية لا يورثون النساء ولا من كان مستضعفاً من الولدان كما سلف، وإنما يورثون الرجال القائمين بالقتال وسائر الأمور الكبار **﴿وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ﴾** وهو ما تقدم في أول السورة من الوصاية على اليتامى في أموالهم **﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ﴾** في حقوق المذكورين **﴿وَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾** يجازيكم بحسب فعلكم من خير وشر.

١٢٨ ﴿وَإِنْ أَمْرَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ نشوز الرجل عن زوجته: تباعده عنها وكرهيته لها ورغبته في فراقها، والإعراض: ألا يكلمها ولا يأنس بها **﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا﴾** بأي نوع من أنواعه: إما بإسقاط النوبة، أو بعضها، أو بعض النفقة، أو بعض المهر، وترضى هي بالبقاء عنده مع سقوط

شيء مما ذكر **﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾** أي إن الصلح الذي تسكن إليه النفوس، ويزول به الخلاف، خير من الفرقة، أو من الخصومة **﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ﴾** إخبار منه سبحانه بأن الشح في كل واحد منها، بل في كل الأنفس الإنسانية، كأنه حاضر لها لا يغيب عنها بحال، بحكم الجبلة والطبيعة والخلقة، فالرجل يشح بما يلزمه للمرأة من حسن العشرة وحسن النفقة ونحوها، والمرأة تشح على الرجل بحقوقها اللازمة للزوج فلا تترك له شيئاً منها **﴿وَإِنْ تَحْسِنُوا وَتَتَّقُوا﴾** أي تحسنوا عشرة النساء وتتقوا ما لا يجوز من النشوز والإعراض.

١٢٩ ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ﴾ في المحبة والجماع، على الوجه الذي لا ميل فيه ألبتة، لما جبلت عليه الطباع البشرية من ميل النفس إلى هذه دون هذه، بحيث لا يملكون قلوبهم ولا يستطيعون توقيف أنفسهم على التسوية، ولهذا كان النبي ﷺ يقول «اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما لا أملك» **﴿فَلَا تَمِيلُوا﴾** عن إحداهن إلى الأخرى **﴿كُلَّ الْمِيلِ﴾** حتى يذروا الأخرى

وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٣٠﴾ وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ
 اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ وَسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣١﴾
 وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ
 أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَإِنْ
 تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَانَ
 اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣٢﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ
 وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٣﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ
 وَيَأْتِ بِآخَرِينَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٤﴾ مَّن
 كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
 وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٣٥﴾ * يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا
 قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ
 وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا

كالمعلقة، التي ليست ذات زوج ولا مطلقة، فيكون في ذلك عليهن ضرر كبير، بل ينبغي أن يجعل لها من نفسه نصيبا وإن قل **﴿وإن تصلحوا﴾** أي: تصلحوا ما أفسدتم من الأمور التي تركتم من عشرة النساء والعدل بينهما **﴿وتتقوا﴾** أي: وتتقوا الله بترك ما يكره، ومنه كل الميل الذي نهيت عنه **﴿فإن الله كان غفورا رحما﴾** لا يؤاخذكم بما فرط منكم.

١٣٠ **﴿يغنى الله كلا﴾** منها عن الآخر بأن يهيبه للرجل امرأة توافقه وتقر بها عينه، وللمرأة رجلا تغتبط بصحبته،

ويرزقها **﴿من سعته﴾** رزقا يغنيها به عن الحاجة. عن علي أنه سئل عن هذه الآية، فقال: هو رجل عنده امرأتان، فتكون إحداها قد عجزت، أو تكون دميمة، فيريد فراقها فتصالحه على أن يكون عندها ليلة، وعند الأخرى ليالي ولا يفارقها، فاطابت به نفسها فلا بأس به، فإن رجعت - أي عن الصلح - سوى بينهما.

١٣١ **﴿ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم﴾** أمرناهم فيما أنزلناه عليهم من الكتب **﴿ولياكم﴾** أي أمرناهم

وأمرناكم بالتقوى **﴿فإن الله ما في السموات وما في الأرض﴾** وفائدة هذا التكرير: التأكيد ليتنبه العباد على سعة ملكه، وينظروا في ذلك، ويعلموا أنه غني عن خلقه، وأنه عليهم قادر، وإن حقه أن يطاع فلا يعصى.

١٣٣ **﴿إن يشأ يذهبكم﴾** أي يفتنكم ويبيدكم **﴿ويأت بآخرين﴾** أي يقوم آخرون غيركم، ثم لا يكونوا أمثالكم.

١٣٤ **﴿من كان يريد ثواب الدنيا﴾** وهو من يطلب بعمله شيئا من أمور الدنيا، كالمجاهد يطلب الغنيمة دون الأجر **﴿فعند الله ثواب الدنيا والآخرة﴾** فما باله يقتصر على أدنى الثوابين وأحق الأجرين، وهلا طلب بعمله ما عند الله سبحانه، وهو ثواب الدنيا والآخرة، فيحرزها جميعا ويفوز بها.

١٣٥ **﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط﴾** بالعدل بين الناس فيما تتولونه من أمورهم، وفيمن تحت أيديكم من النساء والأولاد. وتشمل القضاة والأمراء **﴿شهداء لله﴾** مراقبين له طالبين لمرضاته بإقامة الشهادة بين الناس على وجهها **﴿ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين﴾** العدل في شهادتهم على أنفسهم هو الإقرار بما عليهم من الحقوق، أما شهادته على والديه فبأن يشهد عليها بحق للخير، وذكر الأبوين لوجوب برهما وكونها أحب الخلق إليه. ثم ذكر الأقربين، لأنهم مظنة المودة والتعصب، فإذا شهدوا على هؤلاء بما عليهم فالأجنبي من الناس أحرى أن يشهدوا عليه بالحق **﴿إن يكن﴾** المشهود عليه **﴿غنيا﴾** فلا يراعى لأجل غناه استجلابا لنفعه، أو استدفاعا لضره، فيترك الشهادة عليه **﴿أو فقيرا﴾** فلا يراعى لأجل فقره رحمة له وإشفاقا عليه، فيترك الشهادة عليه **﴿فإن الله أولى بها﴾** بكل واحد منها.

﴿فلا تتبعوا الهوى﴾ الميل مع ما تشبهه
أنفسكم من جلب النفع لأنفسكم
ووالديكم والأقربين، ودفع الضرر عنهم
كراهة ﴿أن تعدلوا وإن تلوهوا﴾ تتركوا ما
يجب عليكم من تأديتها على وجه الحق
بتحريفها عن وجهها بطريقة تخدم ما
تهوونه ﴿أو تعرضوا﴾ أي عن تأدية
الشهادة من الأصل بكتمانها. وهذه الآية
تعم القاضي والشهود، أما الشهود فظاهر،
وأما القاضي فذلك بأن يعرض عن أحد
الخصمين، أو يلوي عن الكلام معه.
وقيل: هي خاصة بالشهود، كان الرجل
تكون عنده الشهادة قِبَلَ ابن عمه أو
ذوي رحمه، فيلوي بها لسانه، أو يكتمها
مما يرى من عسرته حتى يوسر فيقضي
حين يوسر.

١٣٦ ﴿آمَنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي اثبتوا
على إيمانكم ودوموا عليه ﴿وَالْكِتَابِ
الَّذِي أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ هو كل كتاب
سماوي ﴿فَقَدْ ضَلَّ﴾ عن القصد
﴿ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ أي فليراجع طريق
الهداية.

١٣٧ ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيُدْخِلَهُمْ سَبِيلًا﴾ لأنه يبعد منهم كل البعد أن يخلصوا لله ويؤمنوا إيماناً صحيحاً، فإن هذا الاضطراب منهم، والكفر المستمر، والجحود الدائم، يدل على أنهم متلاعبون بالدين، ليست لهم نية صحيحة ولا قصد خالص، وهؤلاء هم المنافقون والزنادقة، إذا اطلع عليهم ادّعوا الإسلام، فإذا ذهبوا أظهروا الكفر. وقال ابن عباس «لا يغفر لهم إن استمروا على كفرهم حتى ماتوا»، وإلا فالكافر إذا آمن وأخلص إيمانه وأقلع عن الكفر فقد هداه الله السبيل، والإسلام يَجُبُّ ما قبله.

١٣٨ ﴿بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً﴾ أمره بتبشيرهم تهكم بهم.

١٣٩ ﴿الَّذِينَ يَتَخَذُونَ الْكَافِرِينَ

أولياءهم يوالونهم على كفرهم وبالثوبهم على ضلالهم **﴿من دون المؤمنين﴾** أي فلا يتخذون المؤمنين أولياء **﴿أيتفون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا﴾** وما كان منها مع غيره فهو من فيضه وتفضله، والعزة: الغلبة والامتناع والقوة.

١٤٠ ﴿فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره﴾ أي أنزل عليكم في الكتاب أنكم عند هذا السماع للكفر والاستهزاء بآيات الله لا تقعدوا معهم ما داموا كذلك حتى يخوضوا في حديث غير حديث الكفر والاستهزاء بها، والذي أنزل

الله عليهم في الكتاب هو قوله تعالى (وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره) سورة الأنعام آية ٦٨/، وقد كان جماعة من الداخلين في الإسلام يقعدون مع المشركين واليهود حال سخرتهم بالقرآن واستهزائهم به، فنها عن ذلك **﴿إنكم إذا مثلهم﴾** إن فعلتم ذلك ولم تنتهوا فأنتم مثلهم في الكفر، ومن التقوى اجتناب مجالس الذين يكفرون بآيات الله ويستهزئون بها.

١٤١ ﴿الذين يتربصون بكم﴾ أي

فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ **إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ** إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ
 الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤١﴾ الَّذِينَ
 يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ
 مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ
 عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعَكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ بِحُكْمِ بَيْنِكُمْ
 يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
 سَبِيلًا ﴿١٤٢﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ
 وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ
 وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٣﴾ مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ
 لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن
 تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿١٤٤﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا
 الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُونَ أَن

ينتظرون بكم ما يتجدد ويحدث لكم من
 خير أو شر **«فتح من الله»** بالنصر على
 من يخالفكم من الكفار **«ألم نكن
 معكم»** في الاتصاف بالإسلام والتزام
 أحكامه، فأعطونا من الغنيمة **«وان كان
 للكافرين نصيب»** من الغلب لكم
 والظفر بكم **«قالوا»** للكافرين **«ألم
 نستحوذ عليكم»** [أي ألم نبين لكم أننا
 على ما أنتم عليه، ولكننا كنا نداخل
 المسلمين لنشطهم عنكم] **«ونمنعكم من
 المؤمنين»** بتخذيلهم وتشتيتهم عنكم حتى
 ضعفت قلوبهم عن الدفع، وعجزوا عن

الانتصاف منكم. والمراد أنهم يميلون مع
 من له الغلب والظفر من الطائفتين،
 ويظهرون لهم أنهم كانوا معهم على
 الطائفة المغلوبة، وهذا شأن المنافقين
 أبعدهم الله. ويشبههم من هذا حذوهم
 من أهل الإسلام من الميل إلى من معه
 الحظ من الدنيا في مال أو جاه، فيلقاه
 بالتملق والتودد والخضوع والذلة، ويلقى
 من لا حظ له من الدنيا بالشدة والغلبة
 وسوء الخلق، ويزدري به ويجاهه بكل
 مكروه، فقبح الله أخلاق أهل النفاق
 وأبعدها **«فالله يحكم بينكم يوم**

القيامة» في هذا اليوم تنكشف الحقائق
 وتظهر الضمائر **«ولن يجعل الله
 للكافرين على المؤمنين سبيلا»** هذا في
 يوم القيامة إذا كان المراد بالسبيل النصر
 والغلب، أو في الدنيا إن كان المراد به
 الحجة. وقيل المعنى: إنه سبحانه لا يجعل
 للكافرين سبيلا على المؤمنين ما داموا
 عاملين بالحق غير راضين بالباطل، أي ما
 داموا عاملين بالشرع فيجب أن يكتبوا
 الكفار والمنافقين ويظهروا كرامة أهل
 الإيمان برفع درجات المؤمنين على درجات
 الكفار والمنافقين.

١٤٢ «إن المنافقين يخادعون الله»

بإظهار الإيمان وإبطان الكفر **«وهو
 خادعهم»** يصنع بهم صنع من يخادع من
 خادعه، وذلك أنه يتركهم على ما هم
 عليه من التظاهر بالإسلام في الدنيا،
 فعصم به أموالهم ودماءهم، وأخر
 عقوبتهم إلى الدار الآخرة، فجازاهم على
 خداعهم بالدرك الأسفل من النار
«كسالى» يصلون وهم متكاسلون متثاقلون
 لا يرجون ثوابا ولا يخافون عقابا
«براءون» الرياء: إظهار الجميل ليراه
 الناس، لا لاتباع أمر الله **«ولا يذكرون
 الله إلا قليلا»** عن النبي ﷺ أنه وصف
 صلاة المنافق فقال: «يرقب الشمس
 حتى إذا كانت بين قرني شيطان قام فنقر
 أربعا لا يذكر الله فيها إلا قليلا».

١٤٣ «مذبذبين بين ذلك» أي

يترددون في أمرهم بين المؤمنين
 والمشركين، لا مخلصين الإيمان، ولا
 مصرحين بالكفر.

«ومن يضل الله» أي يخذله ويسلبه
 التوفيق **«فلن تجد له سبيلا»** أي طريقا
 يوصله إلى الحق.

١٤٤ «أولياء» خاصة لكم وبطانة

توالونهم **«من دون»** إخوانكم من
«المؤمنين» كما فعل المنافقون.

تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ
فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾
إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ
لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ
أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ
وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ * لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ
مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾
إِنْ تَبَدُّوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تُعْفَوْا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ
عَفْوًا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ
وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ
بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ
سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا

﴿سلطانا مبينا﴾ حجة بينة يعذبكم بها بسبب موالاته الكافرين.

١٤٥ ﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾ الدرك: هو الدرج النازل إلى أسفل، أما الذي إلى أعلى فهو الدرج، قيل: النار دركات سبع، فالمنافق في الدرك الأسفل منها، وهي الهاوية، لفظ كفره وكثرة غوائله ﴿ولن تجد لهم نصيرا﴾ يخلصهم من ذلك الدرك.

١٤٦ ﴿إلا الذين تابوا﴾ من المنافقين عن النفاق ﴿وأصلحوا﴾ ما أفسدوا من أحوالهم ﴿وأخلصوا دينهم لله﴾ غير مشوب بطاعة غيره، والاعتصام بالله: التمسك به والثوق بوعده ﴿مع المؤمنين﴾ في أحكام الدنيا والآخرة. ثم بين ما أعد الله للمؤمنين الذين هؤلاء معهم فقال ﴿وسوف يؤتي الله المؤمنين أجرا عظيما﴾ فيكون للمنافقين الذين يخلصون مثل هذا الأجر.

١٤٧ ﴿ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم﴾ أي منفعة له في عذابكم إن شكرتم وآمنتم، فإن ذلك لا يزيد في ملكه، كما أن ترك عذابكم لا ينقص من سلطانه، وفي هذا اللفظ دعوة للمنافقين ليصلحوا أنفسهم ﴿وكان الله شاكرا عليما﴾ أي يشكر عباده على طاعته، فيثيبهم عليها ويتقبلها منهم.

١٤٨ ﴿لا يحب الله الجهر بالسوء من القول﴾ [كالسباب والشتم ولو كان ما نسبته إلى المشتوم صحيحا] ﴿إلا من ظلم﴾ أي لکن من ظلم فله أن يقول ظلمي فلان، وقيل: هو أن يدعو على من ظلمه، ويقول: فلان ظلمي، أو: هو ظالم، فيجوز لمن ظلم أن يتكلم بالكلام الذي هو من السوء في جانب من ظلمه. وفي الحديث الصحيح «لِيُؤْخَذَ الظَّالِمُ عَلَى مَا ظَلَمَ» [وليست للمظلوم أن يزيد فيما يجهر به من السوء على مقدار

حقه، وإلا كان معتديا].

١٤٩ ﴿أو تعفوا عن سوء﴾ تصابون به ﴿فإن الله كان عفوا﴾ عن عباده ﴿قديرا﴾ على الانتقام منهم بما كسبت أيديهم، أي فاققدوا به سبحانه، فإنه يعفو مع القدرة. وفي حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «المتسائبان ما قالاه فعلی البادیء منها ما لم يعتد المظلوم» [والعفو أفضل، ولكن ممن هو قادر على أخذ حقه فتركه الله. أما العاجز فلا قيمة لعفوه].

١٥٠ ﴿إن الذين يكفرون بالله ورسله﴾ لما كفروا ببعض كان ذلك كفرا بالله

وبجميع الرسل ﴿ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله﴾ كفروا بالرسل بسبب كفرهم ببعضهم، وآمنوا بالله فكان ذلك تفريقا بين الله وبين رسله ﴿ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض﴾ هم اليهود، آمنوا بموسى، وكفروا بعيسى ومحمد، عليهم صلوات الله وسلامه. وكذلك النصارى: آمنوا بعيسى، وكفروا بمحمد ﴿ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا﴾ أي يتخذوا بين الإيمان والكفر دينا متوسطا بينها [فيتخلصوا من الحجة اللازمة لهم].



لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ
وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ
وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٥٢﴾ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ
تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ
مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ
ثُمَّ أَخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ أَلْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ
ذَلِكَ وَءَاتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ
الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا
لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾
فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكَفَرِهِمْ بِعَايَةِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ
الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا
بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ

من دون الله وقصة عبادتهم للعجل مبيّنة
في سورة البقرة / ٥٤، وسورة الأعراف /
١٤٨ - ١٥٣، وسورة طه / ٨ - ٩٨
﴿البينات﴾ المعجزات من اليد والعصا
وفلق البحر ﴿فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ﴾ أي عما
كان منهم من التعتت وعبادة العجل
﴿وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ أي حجة
بيّنة، وهي الآيات التي جاء بها،
وسميت الحجة سلطاناً لأن من جاء بها
قهر خصمه.

١٥٤ ﴿ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم﴾
روي أنهم امتنعوا من قبول شريعة
موسى، فرفع الله عليهم الجبل، حتى كان
فوق رؤوسهم مثل المظلة ﴿وقلنا لهم
ادخلوا الباب سُجَّدًا﴾ أي أمرناهم
بدخول باب مدينة بيت المقدس. وكان
ذلك حين أذن الله لهم بافتتاحها بعد
موسى عليه السلام، فبدّلوا، فدخلوا
يزحفون على أستانهم ﴿وقلنا لهم لا
تعدوا في السبت﴾ فتأخذوا ما أمرتم
بتركه فيه من الحيتان ﴿وأخذنا منهم
ميثاقاً غليظاً﴾ وهو العهد الذي أخذه
عليهم في التوراة.

١٥٥ ﴿فما نقضهم ميثاقهم﴾ أي
فبسبب نقضهم لعهدهم مع الله، حرّما
عليهم طيبات أحلت لهم، لأن هذه
القصة ممتدة إلى قوله (فبظلم من الذين
هادوا حرّما) (الآية ١٦٠) ونقضهم
الميثاق أنه أخذ عليهم أن يبينوا صفة
النبي ﷺ ﴿وقتلهم الأنبياء﴾ يحیی
وزكريا وغيرهما ﴿غلف﴾ جمع أغلف
وهو المغطى بالغلاف، أي قلوبنا في
أغطية فلا نفقه ما تقول ﴿بل طبع الله
عليها بكفرهم﴾ ليس عدم قبولهم للحق
بسبب كونها غلفاً بحسب مقصدهم الذي
يريدونه، بل بحسب الطبع من الله
عليها ﴿فلا يؤمنون إلا قليلاً﴾ فبسبب عدم
استجابتهم قلة إيمانهم أو انعدامه.

١٥١ ﴿أولئك هم الكافرون﴾ أي
الكاملون في الكفر ﴿حقاً﴾ أي كفرا
حقيقياً ﴿ولم يفرقوا بين أحد منهم﴾
وأحد، بل آمنوا بهم جميعاً.
١٥٣ ﴿يسألك أهل الكتاب﴾ هم
اليهود سألوا النبي ﷺ أن يرق إلى السماء
وهم يرونه، فينزل عليهم كتاباً مكتوباً
فيما يدعيه، يدل على صدقه، دفعة
واحدة، كما أتى موسى بالتوراة، وكان
هذا السؤال تعنتاً منهم، أبعدهم الله
﴿أرنا الله جهرة﴾ أي عياناً ﴿فأخذهم
الصاعقة﴾ هي النار التي نزلت عليهم

من السماء فأهلكتهم ﴿بظلمهم﴾ أي
بسبب ظلمهم لامتناع الرؤية عياناً في
الدنيا، وهذا لا يستلزم امتناع رؤية العباد
لربهم يوم القيامة، فقد جاءت بها
الأحاديث المتواترة، ومن استدلك بهذه
الآية على امتناع الرؤية يوم القيامة فقد
غلط غلطاً بيّناً، ومن الأحاديث في ذلك
قول النبي ﷺ «إنكم سترون ربكم كما
ترون هذا القمر، لا تُضامون في رؤيته،
فإن استطعتم أن لا تُغلبوا على صلاة قبل
طلوع الشمس، وصلاة قبل غروبها،
فافعلوا» ﴿اتخذوا العجل﴾ إلهاً، وعبدوه

عَلَى مَرْيَمَ بَهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ
عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ
شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ
بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَلْ
رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِنْ مِنْ
أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ
يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَيُظْلَمُ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا
عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخَذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ
النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾
لَكِنَّ الرَّاغِبِينَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ
إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ

١٥٦ ﴿وبكفرهم﴾ بالمسيح ﴿وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً﴾ هو رميها بيسوف النجار، وكان من الصالحين.

١٥٧ ﴿وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله﴾ كذبوا بأنهم قتلوه وافتخروا بقتله، ولعلمهم إنما ذكروه بالرسالة استهزاء، لأنهم ينكرونها ولا يعترفون بأنه نبي ﴿وما قتلوه وما صلبوه﴾ يكذبهم الله في ادعائهم أنهم قتلوا عيسى وصلبوه ﴿ولكن شبه لهم﴾ أي القبيح شبهة على غيره، وقاتلوا الذي قتلوه وهم شاكون فيه ﴿وان الذين اختلفوا فيه﴾ أي في شأن عيسى، فقال بعضهم: قتلناه. وقال من عاين رفعه إلى السماء: ما قتلناه. وقيل: إن الاختلاف بينهم هو أن النسطورية من النصارى قالوا: صُلب عيسى من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته، وقالت الملكانية: وقع القتل والصلب على المسيح بكماه: ناسوته ولاهوته ﴿لني شك منه﴾ فهم مترددون مرتابون، في شكهم يعمهون، وفي جهلهم يتحيرون ﴿وما لهم به من علم إلا اتباع الظن﴾ أي لكنهم يتبعون الظن فهم مضطربون مترددون ﴿وما قتلوه يقيناً﴾ أي قتلوا يقيناً: أي ليس هذا عندهم بيقين.

١٥٨ ﴿بل رفعه الله إليه﴾ وقد تقدم ذكر رفعه عليه السلام في سورة آل عمران / آية ٥٥

١٥٩ ﴿وان من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته﴾ أي لا يموت يهودي أو نصراني إلا وقد آمن بالمسيح، وقيل: المعنى أنه لا يموت عيسى حتى يؤمن به كل كتابي في عصره، وقيل: المعنى سيدرك أناس من أهل الكتاب عيسى حين يبعث وسيؤمنون به، والمراد الإيمان به عند نزوله في آخر الزمان، كما وردت بذلك الأحاديث ﴿ويوم القيامة يكون﴾

عيسى على أهل الكتاب ﴿شهِيداً﴾ يشهد على اليهود بالكذب له، وعلى النصارى بالغلو فيه حتى قالوا هو ابن الله [وعلى من آمن به بحق كذلك].

١٦٠ ﴿فبظلم من الذين هادوا﴾ أي فبسبب ظلم عظيم من اليهود وهو ما تقدم تعديده من الذنوب في الآيات السابقة ﴿حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم﴾ لا بسبب شيء آخر كما زعموا أنها كانت محرمة على من قبلهم. والطيبات منها ما نصّه الله سبحانه (وعلى الذين هادوا حرماً كل ذي ظفر) إلى آخر الآية ١٤٦

من سورة الأنعام ﴿وبصدهم﴾ أنفسهم وغيرهم ﴿عن سبيل الله﴾ وهو اتباع محمد ﷺ وتحريفهم وقتلهم الأنبياء، وما صدر منهم من الذنوب المعروفة.

١٦١ ﴿وأخذهم الربا وقد نهوا عنه﴾ أي معاملتهم فيما بينهم وبين الناس بالربا، وأكلهم له وهو محرم عليهم ﴿وأكلهم أموال الناس بالباطل﴾ كالرشوة والسحت الذي كانوا يأخذونه.

١٦٢ ﴿لكن الراسخون في العلم منهم﴾ الراسخ: هو المبالغ في علم الكتاب الثابت فيه. والمراد بالمؤمنين إما من آمن



الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ
أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾ * إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا
إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ؕ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ
وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ؕ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾
وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ
نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾
رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ
حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ لَكِنِ اللَّهُ
يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ ؕ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ
وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ
سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

﴿وكلم الله موسى تكليمًا﴾ أي تكليمًا حقيقة لا مجازًا، وتخصيص موسى بالتكليم تشريف لقدره، ولذلك سمي موسى (كليم الله) عن أبي ذر قال: «قلت يا رسول الله: كم الأنبياء؟ قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا. قلت: كم الرسل منهم؟ قال: ثلاثمائة وثلاثة عشر، جم غفير».

١٦٥ ﴿رسلا مبشرين ومنذرين﴾ أي

مبشرين لأهل الطاعات ومنذرين لأهل المعاصي ﴿لئلا يكون للناس على الله

حجة بعد الرسل﴾ أي معذرة يعتذرون

بها كما في قوله تعالى (ولو أنا أهلكناهم

بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت

إلينا رسولاً ففتيح آياتك) ﴿بعد الرسل﴾

بعد إرسال الرسل. عن ابن مسعود قال:

قال رسول الله ﷺ: «لا أحد أغير من

الله، من أجل ذلك حرم الفواحش ما

ظهر منها وما بطن؛ ولا أحد أحب إليه

المدح من الله، من أجل ذلك مدح

نفسه؛ ولا أحد أحب إليه العذر من الله،

من أجل ذلك بعث الله النبيين مبشرين

ومنذرين».

١٦٦ ﴿أنزله بعلمه﴾ أي بعلمه الذي لا

يعلمه غيره، من كونك أهلاً لما اصطفاك

الله له من النبوة، وأنزله عليك من القرآن

﴿وكفى بالله شهيداً﴾ بالمعجزات الدالة

على صحة النبوة. أي فلا تحزن لتكذيب

من كذبتك من الكفار فإن شهادة الله

لك كافية ومعجزاته التي أعطاك دلالات

بينات.

١٦٧ ﴿وصدوا عن سبيل الله﴾ وهو

دين الإسلام، بإنكارهم نبوة محمد ﷺ

وبقولهم: ما نجد صفته في كتابنا، وإنما

النبوة في ذرية هارون وداود، وبقولهم إن

شرع موسى لا ينسخ ﴿قد ضلوا ضلالاً

بعيداً﴾ لأنهم مع كفرهم منعوا غيرهم

عن الحق.

من ذرية يعقوب، أي الأنبياء منهم. والله

أعلم ﴿وآتينا داود زبوراً﴾ الزبور:

كتاب داود. قال القرطبي: وهو مائة

وخمسون سورة، ليس فيها حُكْمٌ ولا حلال

ولا حرام، وإنما هي جُكْمٌ ومواعظ.

والمزمور: فصل يشتمل على كلام لداود

يستغيث فيه بالله من خصومه، ويدعو

الله عليهم، ويستنصره، وتارة يأتي

بمواظ.

١٦٨ ﴿ورسلاً﴾ أي وأرسلنا رسلاً ﴿قد

قصصناهم عليك﴾ أي قصصنا أخبارهم

﴿من قبل﴾ قصصهم عليه في هذه السورة

من أهل الكتاب، أو من المهاجرين

والأنصار، أو من الجميع ﴿والمقيمين

الصلاة﴾ أي وأعني المقيمين ﴿والمؤمنون

بالله واليوم الآخر﴾ هم مؤمنوا أهل

الكتاب، وقيل المراد بهم: المؤمنون من

المهاجرين والأنصار كما سلف أنهم

جامعون بين هذه الأوصاف.

١٦٩ ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى

نوح والنبيين من بعده﴾ المعنى أن أمر

محمد ﷺ كأمر من تقدمه من الأنبياء،

وخص نوحاً لكونه أول نبي شرعت على

لسانه الشرائع ﴿والأسباط﴾ وهم القبائل

وَزَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾
إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى
اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءُكُمُ الرُّسُولُ
بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَعَامِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا
فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا
حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا
تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ
مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أُلْقِيَتْهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ
فَعَامِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهَوْا خَيْرًا
لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ
وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ
وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا

١٦٨ ﴿إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بجحدهم
﴿وَزَلَمُوا﴾ غيرهم بصددهم عن السبيل،
أو ظلّموا عمدا بكتمانهم نبوته، أو ظلّموا
أنفسهم بكفرهم ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ﴾
إذا استمروا على كفرهم وماتوا كافرين.
١٦٩ ﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾ لكونهم اقترفوا
ما يوجب لهم ذلك بسوء اختيارهم وفرط
شقائهم ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ أي خلودا
دائما لا نهاية له ﴿وَكَانَ ذَلِكَ﴾ أي
تخليدهم في جهنم إلى الأبد ﴿عَلَى اللَّهِ
يَسِيرًا﴾ لأنه سبحانه لا يصعب عليه
شيء.

١٧٠ ﴿فَعَامِنُوا خَيْرًا لَكُمْ﴾ أي فآمنوا
يكن الإيمان خيرا لكم ﴿وَأَنْ تَكْفُرُوا﴾
أي وإن تستمروا على كفركم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ
مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ومن كان
خالقا لكم ولها، فهو قادر على مجازاتكم
بقيع أفعالكم.

١٧١ ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي
دِينِكُمْ﴾ الغلو: هو التجاوز للحدود،
والمراد غلو النصارى في عيسى حتى جعلوه
ربا، ومن التفريط غلو اليهود فيه عليه
الصلاة والسلام حتى جعلوه لغير رتبة
﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ كقول
اليهود عزيز ابن الله، وقول النصارى
المسيح ابن الله ﴿وَكَلِمَتُهُ أُلْقَاهَا إِلَى
مَرْيَمَ﴾ أي كوّنّه بقوله «كن» فكان بشرا
من غير أب ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ أي أرسل
جبريل فنفخ في درع مريم، فحملت بإذن
الله. وهذه الإضافة للتفضيل، وإن كان
جميع الأرواح من خلقه تعالى ﴿فَعَامِنُوا
بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ أي بأنه سبحانه إله واحد
لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد،
وبأن رسله صادقون، ولا تكذبوهم ولا
تغلوا فيهم، فتجعلوا بعضهم آلهة ﴿وَلَا
تَقُولُوا ثَلَاثَةً﴾ أي لا تقولوا هم ثلاثة.
والنصارى مع تفرق مذاهبهم متفقون على
التثليث. ويعنون بالثلاثة: الثلاثة

الأقانيم، فيجعلونه سبحانه جوهرًا واحدًا،
وله ثلاثة أقانيم، ويعنون بالأقانيم: أقنوم
الوجود، وأقنوم الحياة، وأقنوم العلم،
وربما يعبرون عن الأقانيم بالأب والابن
وروح القدس. وقيل المراد بالآلهة
الثلاثة: الله سبحانه وتعالى، ومريم،
والمسيح. وقد اختلط النصارى في هذا
اختباطا طويلا ﴿انْتَهَوْا خَيْرًا لَكُمْ﴾ أي
انتهوا عن التثليث، يكن انتهاؤكم خيرا
من بقائكم على ما أنتم عليه من الكفر
﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ لا شريك له
﴿سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾ أي هو منزّه

١٧٢ ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ
عَبْدًا لِلَّهِ﴾ أي لن يأنف عن عبوديته لله،
ولن يرى ذلك عيبا، بل تلك هي
الكرامة حقا، ولن يتنزه عنها.
[والنصارى يقرأون في الانجيل أن عيسى
عليه السلام كان يتضرع إلى الله ويتعبد
له ويقول: الرب إلهنا إله واحد].

تنزهها عن أن يكون له ولد ﴿لَهُ مَا فِي
السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ وما
جعلتموه له شريكا أو ولدا هو من جملة
ذلك، والمملوك لا يكون شريكا ولا
ولدا.

لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ
وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ
فَضْلِهِ ؕ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا
أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾
يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكَ وَأُنزِلَتْ
إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا
بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٧٥﴾ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ
إِنْ أَمْرُؤَا هَكَاءَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ
مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ
فَلَهُمَا اثْلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً

﴿ولا الملائكة المقربون﴾ أي لن يستكبروا عن أن يكونوا عبادا لله ﴿ويستكبر﴾ أي يأنف تكبرا ويعد نفسه كبيرا عن العبادة ﴿فسيحشرهم إليه جميعا﴾ المستنكف وغيره، فيجازي كلا بعمله.

١٧٤ ﴿يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم﴾ بما أنزله عليكم من كتبه ومن أرسله إليكم من رسله، وما نصبه لهم من المعجزات ﴿وأنزلنا إليكم نورا مبينا﴾ وهو القرآن، وسماه نورا لأنه يهتدى به من ظلمة الضلال.

١٧٥ ﴿فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به﴾ أي بالله، وقيل بالنور المذكور ﴿ويهديهم إليه صراطا مستقيما﴾ لا عوج فيه، وهو التمسك بدين الإسلام وترك غيره من الأديان.

١٧٦ ﴿قل الله يفتيكم في الكلاله﴾ تقدم بيان الكلاله ما هي في أول سورة النساء (الآية ١٢) ﴿هلك﴾ أي مات، والولد يطلق على الذكر والأنثى، واقتصر على عدم الولد هنا — مع أن عدم الوالد معتبر أيضا في الكلاله — اتكالا على ظهور ذلك، والله أعلم ﴿وله أخت﴾

والمراد الأخت لأبوين أو لأب، لا لأم، فإن قرض الأخت لأم السدس كما ذكر سابقا. وقد ذهب جمهور العلماء إلى أن الأخوات لأبوين أو لأب عصبه مع البنات، وإن لم يكن معهن أخ، فيرثن معهن باقي المال، ففي بنت وأخت، للبنت النصف وللأخت النصف، وفي بنت وبنت ابن وأخت، للبنت النصف ولبنت الابن السدس وللأخت الباقي تخصيبا ﴿وهو يرثها﴾ أي المراه يرثها، أي يرث الأخت ﴿إن لم يكن لها ولد﴾ ذكر [ويرث أيضا ما أبقت الفروض، فلو كان للمرأة المتوفاه زوج، أخذ الزوج النصف وأخذ أخوها الباقي وهو النصف تعصيبا. وهذا شأن كل العصبات، يأخذون كل المال إن لم يكن معهم ذو فرض، وإلا يأخذون الباقي بعد الفرض] ﴿فإن كانتا اثنتين﴾ أي فإن كانت الأخوات اثنتين فأكثر ﴿فلهما الثلثان مما ترك﴾ الميت إن لم يكن له ولد كما سلف ﴿وإن كانوا﴾ أي من يرث بالأخوة ﴿إخوة رجالا ونساء﴾ أي مختلطين ذكورا وإناثا ﴿فللذكر منهم﴾ مثل حظ الأنثيين ﴿فيا يأخذونه تعصيبا﴾ يبين الله لكم أن تفضلوا أي يبين لكم حكم الكلاله وسائر الأحكام كراهة أن تفضلوا.

عن عمر قال: ما سألت النبي ﷺ عن شيء أكثر مما سألت في الكلاله، حتى طعن بإصبعه في صدري، وقال: «ما تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء؟» وعن عمر قال: ثلاث وددت أن رسول الله ﷺ كان عهد إلينا فيهن عهدا ننهي إليه: الجد، والكلاله، وأبواب من أبواب الربا. ﴿والله بكل شيء عليم﴾ [أي ومن جملة ذلك قسمة موارثكم بين من تخلفونه بعدكم من القربات والأزواج على الطريقة المثلث التي تقتضيها الحكمة البالغة].

فَلِلَّذِينَ كَرِهُوا مَثَلُ حِطِّ الْأُنثَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا
وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧٦﴾

(٥) سُورَةُ الْمَائِدَةِ مَدَنِيَّةٌ
وَأَيُّهَا عَشْرُونَ وَفَاتُهُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ
الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرِ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ
إِنَّ اللَّهَ يُحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحِلُّوا
شَعِيرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ
وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ
وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ

سُورَةُ الْمَائِدَةِ

وهي مدنية وعن عائشة قالت «هي آخر سورة نزلت فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه، وما وجدتم فيها من حرام فحرموه» [تعني أنه ليس فيها آية منسوخة].

١ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾

هي التي عقدها الله على عباده وألزمهم بها من الأحكام، فالتزموها بقولهم: سمعنا وأطعنا ونحوها، والعقود التي يعقدونها بينهم من عقود المعاملات [وعقود المحالفات التي كانت بينكم في الجاهلية، لما في الحديث: «كل جلف كان في الجاهلية لم يزد الإسلام إلا شدة، ولا حلف في الإسلام»] والوفاء به في حدود التعاون على الخير، لا في الإثم والعدوان على الناس [والمعنى: أوفوا بعقد الله عليكم، وبعقدكم بعضكم مع بعض] ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾ والأنعام: اسم للإبل والبقر والغنم ﴿إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ وهو ما نص الله على تحريمه في الآية التالية من الميتة ونحوها ﴿غَيْرِ مُحِلِّي الصَّيْدِ﴾ استثناء من بهيمة الأنعام. أي: إلا الصيد وأنتم محرمون، فيحرم على المحرم الاصطياد في البر وأكل صيده. والمراد بالحُرْم: من هو مُحْرَمٌ بالحج أو العمرة أو بها، وأيضا يحرم صيد حرم مكة على المحرم وغير المحرم ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ من الأحكام المخالفة لما كانت العرب تعتاده.

٢ ﴿لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾

المراد بها هنا: جميع مناسك الحج: الصفا والمروة وغيرها فلا تحلُّوها بأن يقع منكم الإخلال بشيء منها، أو بأن تحولوا بينها وبين من أراد تعظيمها وعبادة الله فيها. وقيل المراد بالشعائر هنا: فرائض الله، وحرمان الله ﴿وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ جميع الأشهر الحرم الأربعة: ذو القعدة، وذو الحجة، ومحرم، ورجب. فلا تحلُّوها بالقتال فيها ﴿وَلَا

الهدى﴾ هو ما يهدي إلى بيت الله من ناقة أو بقرة أو شاة، الواحدة هديَّة، نهاهم أن يحلوا حرمة الهدى بأن يأخذوه على صاحبه، أو يحولوا بينه وبين البيت الحرام ﴿وَلَا الْقَلَائِدَ﴾ وهي الأنعام المقلدة بالقلائد عند إهدائها للبيت وإحلالها بأن تؤخذ غصبا. عطفه على الهدى لزيادة التوضيح بالهدى ﴿وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ﴾ أي: لا تحلوا قاصديه، والمعنى لا تمنعوا من قصد البيت الحرام لحج، أو عمرة، أو ليسكن عنده من المسلمين، أو ليتاجر فيه، وقيل: إن سبب نزول هذه الآية أن المشركين كانوا يحجون ويعتصرون ويهدون، فأراد المسلمون أن يغيروا عليهم، فنزل (يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله) الآية، ثم نسخ الله هذا الحكم بقوله: (فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) وقال قوم: الآية مُحْكَمَةٌ وهي في الحجاج والعتار المسلمين ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا﴾ يبتغون الفضل والأرباح في التجارة ويبتغون بالحج رضوان الله ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ﴾ أي من إحرامكم ﴿فَاصْطَادُوا﴾ أي من غير الحرم.



قَوْمٌ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا
وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ
وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٣١﴾
حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهْلُ
لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ
وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ
تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَٰلِكُمْ فَسُقُ الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ
كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ
لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ
الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ
لِإِثْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٢﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ
لَهُمْ قُلْ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ

﴿ولا يجرمنكم شأن قوم﴾ لا يحملنكم بغضكم لهم - لما وقع منهم من الصد لكم عن المسجد الحرام - على الاعتداء عليهم ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾ أي ليؤمن بعضكم بعضاً على ذلك و﴿الإثم﴾ معصية الله ﴿والعدوان﴾ التعدي على الناس بما فيه ظلم.

٣ ﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به﴾ تقدم تفسيرها في سورة البقرة الآية ١٧٣ و﴿المنخنقة﴾ هي التي تموت بالخنق بفعلها، أو بفعل آدمي أو غيره، وقد

كان أهل الجاهلية يخنقون الشاة، فإذا ماتت أكلوها و﴿الموقوذة﴾ هي التي تُضرب بجحر أو عصاً حتى تموت من غير تذكية و﴿التردية﴾ هي التي تقع من علو إلى سفلى فتتموت و﴿النطيحة﴾ هي التي تنطحها أخرى فتتموت من دون تذكية و﴿وما أكل السبع﴾ أي ما افترسه ذوناب كالأسد والفيل والذئب والضبع فإت من دون تذكية و﴿إلا ما ذكيت﴾ راجع على المنخنقة وما بعدها، أي ما أدركت ذكاته من المذكورات سابقاً وفيه حياة و﴿وما ذبح على النصب﴾ تعظيماً

لها. والنصب حجر كان ينصب فيعبد ويصب عليه دماء الذبائح. وقال مجاهد: هي حجارة كانت حوالي مكة يذبحون عليها و﴿أن تستقسموا بالأزلام﴾ والأزلام للعرب ثلاثة: أحدها مكتوب فيه «افعل»، والآخر مكتوب فيه «لا تفعل»، والثالث مهمل لا شيء عليه، فإذا أراد أن يطلب معرفة حقه في زواج أو سفر أو أمر مهم جعلها في خريطة معه، ثم أدخل يده، وهي متشابهة، فيخرج واحداً منها، فإن خرج الأول فعل ما عزم عليه، وإن خرج الثاني تركه، وإن خرج الثالث أعاد الضرب، حتى يخرج واحد من الأولين. والاستقسام: طلب القسم والنصب. وقد حرمه الله لأنه تعرض لدعوى علم الغيب، وضرب من الكهانة و﴿ذلكم فسق﴾ إشارة إلى جميع المحرمات المذكورة هنا، والفسق هنا هو أشد الكفر و﴿اليوم يبس الذين كفروا من دينكم﴾ حصل لهم اليأس من إبطال دينكم، وأن يردوكم إلى دينهم و﴿فلا تخشوهم﴾ أي لا تخافوا منهم أن يفلبوكم أو يبطلوا دينكم و﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ لظهوره على الأديان كلها، ولكمال أحكامه التي يحتاج المسلمون إليها من الحلال والحرام نزلت هذه الآية في حجة الوداع، في وقفة عرفات، وكان يوم الجمعة، وقد أظهر الله الإسلام ونصر نبيته و﴿واتممت عليكم نعمتي﴾ بإكمال الدين، وافتتح مكة، وقهر الكفار وإياسهم عن الظهور عليكم، كما وعدتكم بقولي (ولأتم نعمتي عليكم) و﴿ورضيت لكم الإسلام﴾ الذي أنتم عليه اليوم ديناً باقياً إلى انقضاء أيام الدنيا و﴿فمن اضطر في مخمصة﴾ أي من دعت الضرورة في مجاعة إلى أكل الميتة وما بعدها من المحرمات و﴿غير متجانف لإثم﴾ غير مائل إلى معصية الله.

مُكَلِّبِينَ تَعْلَمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ
عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ
سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٠﴾ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ
وَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلْلٌ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ
حَلْلٌ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ
مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ
أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَفِّحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ
وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ
مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى
الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ
وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ
جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ

٤ ﴿وما علمتم من الجوارح﴾ أي وأحل الله لكم صيد ما علمتم من الجوارح، وهي الكواسب من الكلاب والفهود وسائر السباع، وسباع الطير، كالصقر والبازي. قال القرطبي: إن الكلب إذا لم يأكل من صيده الذي صاده، وأثر فيه بجرح أو تلبيب، وصاد به مسلم، وذكر اسم الله عند إرساله، فإن صيده صحيح يؤكل بلا خلاف ﴿مكلبين﴾ المكلب: معلم الكلاب لكيفية الاصطياد، ومعلم سائر الجوارح مثله ﴿تعلمونهم مما علمكم الله﴾ بما خلقه فيكم من العقل الذي تهتدون به إلى تعليمها وتدريبها حتى تصير قابلة لإمساك الصيد [وعلاوة كون الكلب أصبح معلما بعد تدريبه أن يمسك الصيد مرة بعد أخرى، ثم لا يأكل منه] ﴿فكلوا مما أمسكن عليكم﴾ فإن أكل منه فإنما أمسكه على نفسه، فلا يحل، ولقوله ﷺ لعدي بن حاتم: «إذا أرسلت كلبك المعلم، وذكرت اسم الله عليه، فكل ما أمسك عليك، فإن أكل فلا تأكل، فإنني أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه» ﴿واذكروا اسم الله عليه﴾ على الجوارح عند إرساله على الصيد، فإن ترك الصائد التسمية لم يحل، إلا إن تركتم ذلك نسيانا [وإذا أدرك الصائد الصيد وفيه حياة مستقرة فليذبحه وليسم الله عليه].

٥ ﴿وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم﴾ الطعام: اسم لما يؤكل، ومنه الذبائح، فجميع طعام اليهود والنصارى، من غير فرق بين اللحم وغيره، حلال للمسلمين، فذبائحهم حلال. وقال علي وعائشة وابن عمرو: إذا سمعت الكتابي يسمي غير الله فلا تأكل. وقال مالك: إنه يكره ولا يحرم، وأما مع عدم العلم فهي حلال، وقد أكل النبي ﷺ من الشاة المصلية التي أهدتها إليه اليهودية،

وهو في الصحيح، والمجوس لا تؤكل ذبائحهم [وكذا أهل الأوثان والملحدون، وكل كافر غير اليهود والنصارى] ولا نتزوج نساءهم، لأنهم ليسوا بأهل كتاب، أما غير الذبائح من طعامهم فهو حلال بالإجماع ﴿وطعامكم حل لكم﴾ أي وطعام المسلمين حلال لأهل الكتاب ﴿والمحصنات من المؤمنات﴾ العفاف دون الفاجرات، أي هن حلال لكم أي المؤمنون ﴿والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم﴾ أي هن حلال لكم أيضا بالزواج. ولم يذكر أن نساءنا

المؤمنات حلال لرجالهم كما أحل طعامنا لهم، فدل على تحريم نساءنا عليهم. ومن الشرط في الكتابية التي تحل لنا أن تكون محصنة، فيدخل تحت هذه الآية الحرة العفيفة من الإسرائيليات والنصرانيات، دون الفاجرة منهن ﴿إذا آتيتموهن أجورهن﴾ أي مهورهن ﴿محصنين﴾ طالبين بالنكاح الإحصان ﴿غير مسافحين﴾ غير مجاهرين بالزنى ﴿ولا متخذي أخدان﴾ الأخدان الخليلات. شرط الله في الرجال العفة، وعدم المجاهرة بالزنى، وعدم اتخاذ أخدان، كما شرط في

أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِّنَ الْغَايِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً
فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ
مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ
وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ وَأَذْكُرُوا
نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا
وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ
وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ
لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾
وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ
عَظِيمٌ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ
الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ

التيمم، وعلى الصعيد **﴿ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج﴾** أي ما يريد بأمركم بالطهارة بالماء أو بالتراب التضييق عليكم في الدين **﴿ولكن يريد ليطهركم﴾** من الذنوب **﴿وليتم نعمته عليكم﴾** أي بالترخيص لكم في التيمم عند عدم الماء، أو بما شرعه لكم من الشرائع التي عرّضكم بها للثواب **﴿لعلكم تشكرون﴾** نعمته عليكم، فتستحقون بالشكر ثواب الشاكرين.

٧ **﴿نعمة الله﴾** هي الإسلام **﴿وميثاقه﴾** الميثاق قيل المراد به هنا: ما أخذه على بني آدم، كما قال (وإذ أخذ ربك من بني آدم) الآية. قال مجاهد: ونحن وإن لم نذكره فقد أخبرنا الله به. وقيل: هو العهد الذي أخذه النبي ﷺ ليلة العقبة عليهم، وهو السمع والطاعة في المشط والمكره، ثم كان من دخل في الإسلام بايعه على ذلك. وأضافه الله تعالى إلى نفسه، لأنه عن أمره وإذنه، كما قال (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله) وبيعة العقبة مذكورة في كتب السيرة، وهذا متصل بقوله (أوفوا بالعقود) **﴿إذ قلتم سمعنا وأطعنا﴾** أي وقت قولكم هذا، [فإنكم بذلك قطعتم على أنفسكم عهداً مع الله] **﴿ذات الصدور﴾** ما تخفيه القلوب.

٨ **﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين﴾** قد تقدم تفسيرها في سورة النساء (الآية ١٣٥) وقوله **﴿قوامين﴾** يفيد أنهم مأمورون بأن يقوموا بها أتم قيام **﴿الله﴾** أي لأجله تعظيماً لأمره، وطمعاً في ثوابه، وخوفاً من عقابه. والقسط: العدل **﴿ولا يجرمنكم﴾** أي لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم، وكم الشهادة التي تنفعهم **﴿اعدلوا هو﴾** أي العدل **﴿أقرب للتقوى﴾** التي أمرتم بها غير مرة: أي أقرب لأن تتقوا الله، أو: لأن تتقوا النار.

توضاً أدار الماء على مرفقيه **﴿وامسحوا برءوسكم﴾** امسحوا رءوسكم بالماء **﴿وأرجلكم إلى الكعبين﴾** أي واغسلوا أقدامكم إلى الكعبين، وفي كل رجل كعبان [وهما العظمان الناثان في أسفل عظم الساق] والمسح على الخفين ثابت بالأحاديث المتواترة **﴿وإن كنتم جنباً فاطهروا﴾** أي فاغسلوا بالماء **﴿وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط﴾** تقدم تفسير هذا في سورة النساء (الآية ٤٣) مستوفى، وكذلك تقدم الكلام على ملامسة النساء، وعلى

النساء أن يكن محصنات. **٦ ﴿إذا قمتم إلى الصلاة﴾** الوضوء لكل صلاة مندوب، ولا يجب الوضوء إلا على من أحدث. عن أنس بن مالك قال: «كان النبي ﷺ يتوضأ عند كل صلاة. فقليل له: فأنتم كيف كنتم تصنعون؟ قال: كنا نعلي الصلوات بوضوء واحد ما لم نحدث» **﴿فاغسلوا وجوهكم﴾** بالماء، قيل: ومن غسل الوجه المضمضة والاستنشاق، وقد ورد الدليل بتخليل اللحية **﴿وأيديكم إلى المرافق﴾** المرفق: المفصل الذي بين الساعد والعضد. وإذا

إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾
 * وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فِيمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي

١١ **﴿إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا﴾** عن ابن عباس: أن بني النضير هموا أن يطرحوا حجرا على النبي ﷺ ومن معه، فجاء جبريل، فأخبره بما هموا به، فقام ومن معه، فنزلت هذه الآية. وقيل سبب نزولها ما رواه جابر بن عبد الله «أن النبي ﷺ نزل منزلاً، ففرَّق الناس في العضاء [أي الشجر البرتي] يستظلون تحتها، فعلق النبي ﷺ سلاحه بشجرة، فجاء أعرابي إلى سيفه، فأخذه فسأله، ثم أقبل على رسول الله ﷺ، فقال: من يمنعك مني؟ قال: الله. قال الأعرابي مرتين أو ثلاثاً: من يمنعك مني؟ والنبي ﷺ يقول: الله. فشام الأعرابي السيف [أي أعتمده] فدعا النبي ﷺ أصحابه. فأخبرهم بصنيع الأعرابي، وهو جالس إلى جنبه لم يعاقبه.»

١٢ **﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾** أخذ عهدهم الموثق بما في آخر هذه الآية **﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾** النقيب: كبير القوم — إذا اختير ليدبر أمرهم. قيل المراد ببعث هؤلاء النقباء: أنهم بعثوا أمناء للاطلاع على الجبارين، والنظر في قوتهم ومنعتهم، فساروا ليختبروا حال من بها، فاطلعوا من الجبارين على قوة عظيمة، وظنوا أنهم لا قبل لهم بها. فتعاقدوا بينهم على أن يخفوا ذلك عن بني إسرائيل، وأن يعلموا به موسى. فلما انصرفوا إلى بني إسرائيل خان منهم عشرة، فأخبروا قرابتهم، ففشا الخبر حتى بطل أمر الغزو، وقالوا: اذهب أنت وربك فقاتلا، وقيل: إن هؤلاء النقباء كفيل كل واحد منهم على سبطه بأن يؤمنوا ويتقوا الله، وهذا معنى بعثهم **﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ﴾** أي قال ذلك لبني إسرائيل، [أي: هذا هو مضمون الميثاق] والمعنى إني معكم بالنصر والعون **﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ﴾** أديتموها على الوجه

الأكمل كما شرعها الله **﴿وَأَتَيْتُمُ الزَّكَاةَ﴾** الصدقات التي افترضها الله عليهم **﴿وَأَمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾** أي عظمتهم، أو ردتم عنهم أعداءهم ونصرتهم ومنعتهم **﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾** أي أنفقتم في وجوه الخير **﴿فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾** أي بعد هذا الميثاق **﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾** أي: خرج عن الطريق الموصل إلى رضوان الله [وهكذا لما أراد النبي ﷺ الهجرة إلى المدينة واستجاب له الأوس والخزرج جعل عليهم اثني عشر نقيباً منهم وأخذ عليهم الميثاق على ألا يشركوا بالله شيئاً وأن يقيموا شرائع الإسلام وأن يحموه وينصروه وجعل لهم على الوفاء بذلك الجنة كما هو في السيرة].
 ١٣ **﴿فِيمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ﴾** أي فبسبب نقضهم ميثاقهم **﴿لَعَنَّاهُمْ﴾** أي طردناهم وأبعدناهم من رحمتنا **﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾** أي صلبة لا تعي خيراً ولا تعقله ولا تلين له **﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾** أي يبدلونه بغيره، أو يتأولونه على غير تأويله انظر تفسير سورة النساء (الآية ٤٦) **﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ﴾**



أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا تِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ
الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ
بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ
رَسُولُنَا يَبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ
وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ
مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ
وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ
الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ
أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ
جَمِيعًا وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ
مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ

السبت المسوخين قردة **﴿ويعفو عن كثير﴾** مما تخفونه، فيترك بيانه. وقيل معناه: يعفو عن كثير منكم فلا يؤاخذهم بما يصدر منهم **﴿قد جاءكم من الله نور﴾** النور محمد ﷺ وقيل: الإسلام أو القرآن.

١٦ **﴿يهدي به الله من اتبع رضوانه﴾** أي ما رضى به الله **﴿سبل السلام﴾** طرق السلامة من العذاب الموصلة إلى دار السلام وهي الجنة، المنزهة عن كل آفة **﴿ويخرجهم من الظلمات﴾** الكفرية **﴿إلى النور﴾** الإسلام. عن عكرمة قال: إن نبي الله ﷺ أتاه اليهود يسألونه عن الرجم، فقال: أيكم أعلم؟ فأشاروا إلى ابن صوريا، فناشده بالذي أنزل التوراة على موسى، والذي رفع الطور، وبالمواثيق التي أخذت عليهم، حتى أخذه أفكل، فقال: إنه لما كثر فينا جلدنا مائة جلدة وحلقنا الرؤوس [أي وتركوا الزجج] فحكم النبي ﷺ على الزانيين اليهوديين بالرجم، ونزلت هذه الآية.

١٧ **﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم﴾** أي صاروا بقولهم هذا من الكافرين **﴿قل فن يملك من الله شيئا﴾** أي فن يقدر أن يمنع الله تعالى **﴿إن أراد أن يهلك المسيح﴾** وإذا لم يقدر أحد أن يمنعه من ذلك، فلا إله إلا الله، ولا رب غيره، ولا معبود بحق سواه، ولو كان المسيح إلهًا كما تزعم النصارى، لكان له من الأمر شيء، ولقدر على أن يدفع عنه نفسه [وأنتم تزعمون أنه صلب وقُتِلَ، فهلا دفع عن نفسه لو كان إلهًا] ولم يقدر أيضاً أن يدفع عن **﴿أمه﴾** الموت عند نزوله بها، فإذا لم يقدر على الدفع عنها كان أعجز عن أن يدفع عنكم شيئاً من أمر الله **﴿يخلق ما يشاء﴾** [كما خلق عيسى من أم بلا أب].

نصيباً وأفرا عقب أخذه عليهم **﴿فأغرنا بينهم العداء والبغضاء﴾** أي بين اليهود والنصارى، وقيل: بين النصارى خاصة: افترقوا إلى اليعقوبية والنسطورية والملكانية، وكفر بعضهم بعضاً، وتظاهروا بالعداء في ذات بينهم **﴿وسوف ينبيههم الله بما كانوا يصنعون﴾** أي سيلقون جزاء نقض الميثاق.

١٥ **﴿قد جاءكم رسولنا﴾** أي محمد ﷺ **﴿يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب﴾** المنزل عليكم، وهو التوراة والإنجيل، كآية الرجم، وقصة أصحاب

منهم **﴿الخائنة: الخيانة والكذب والفجور﴾** فاعف عنهم واصفح **﴿أمره الله أن يعفو عنهم ويصفح ويترك قتالهم، ثم نسخ ذلك في سورة التوبة (الآية ٢٩) فقال (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) فأمره بقتالهم حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون.**

١٤ **﴿ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم﴾** أي أخذنا من النصارى ميثاقهم مثل ميثاق المذكورين قبلهم من بني إسرائيل **﴿فنسوا حظاً مما ذكروا به﴾** أي أهملوا من الميثاق المأخوذ عليهم

وَالنَّصْرَى نَحْنُ أَبْنَاؤُ اللَّهِ وَأَحِبَّاءُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ
بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِشَرِّ مَن خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ
وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا
بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ
رَسُولُنَا يَبَيِّنُ لَكُمُ عَلَى فِتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا
مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ۖ يَنْقُومُ
أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ
مُلُوكًا وَءَاتَاكُمْ مَّا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾
يَنْقُومُ أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ
وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾
قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنذُرُهَا

١٨ ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه﴾ أثبتت اليهود لأنفسها ما أثبتته لعزير، حيث قالوا (عزير ابن الله) وأثبتت النصارى لأنفسها ما أثبتته للمسيح، حيث قالوا: (المسيح ابن الله) وأثبتوا لأنفسهم أنهم أحباء الله بمجرد الدعاوى الباطلة والأمانى العاطلة ﴿قل فلم يعذبكم بذنوبكم﴾ فإياه يعذبكم بما تفترونه من الذنوب، بالقتل والمسخ، وبالنار في يوم القيامة كما تعترفون بذلك، فإن الابن من جنس أبيه، لا يصدر عنه ما يستحيل على الأب، وأنتم تذنوبون؛ والحبيب لا يعذب حبيبه، وأنتم تعذبون؛ فهذا يدل على أنكم كاذبون ﴿بل أنتم بشر ممن خلق﴾ أي من جنس من خلقه الله تعالى كسائر عباد الله، يحاسبهم على الخير والشر، ويجازي كل عامل بعمله. عن ابن عباس قال: أتى رسول الله ﷺ نعمان بن أضاء، وبحري بن عمرو، وشاس بن عدي، فكلموه وكلمهم رسول الله ﷺ ودعاهم إلى الله وحذرهم نعمته، فقالوا ما نخوفنا يا محمد (نحن أبناء الله وأحباؤه) فأنزل الله فيهم (وقالت اليهود والنصارى) إلى آخر الآية.

١٩ ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا﴾ هو محمد ﷺ ﴿على فترة من الرسل﴾ انقطع الرسل قبل بعثه ﷺ مدة من الزمان ﴿أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير﴾ كراهة أن تقولوا هذا القول معتذرين عن تفريطكم ﴿فقد جاءكم﴾ أي لا تعتذروا فقد جاءكم بشير ونذير، وهو محمد ﷺ عن ابن عباس قال: كان بين ميلاد عيسى ومحمد ﷺ خمسمائة سنة وتسع وستون سنة.

٢٠ ﴿وجعلكم ملوكا﴾ أي: وجعل منكم ملوكا، كما تقول قرابة الملك: نحن الملوك، وقيل: المراد بالملك أنهم ملوكا أمرهم بعد أن كانوا مملوكين لفرعون.

والمقدسة: المطهرة، وقيل: المباركة ﴿التي كتب الله لكم﴾ أي: قسمها وقدرها لهم في سابق علمه، وجعلها مسكنا لكم [أي عندما كانوا صالحين، فلما أفسدوا أخرجهم منها] ﴿ولا تترددوا على أدباركم﴾ أي: لا ترجعوا عن أمري وتتركوا طاعتي وما أوجبه عليكم من قتال الجبارين جبنا وفشلا ﴿فتنقلبوا خاسرين﴾ لخير الدنيا والآخرة.

٢٢ ﴿قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين﴾ قوم عظام الأجسام طوال متعاضمون، وهم العماليق.

وعن مجاهد قال: وجعلكم ملوكا: أي لكم بيوت وزوجات وخدم. وعن عبدالله بن عمرو بن العاص «أنه سأله رجل: ألسنا من فقراء المهاجرين؟ قال: ألك امرأة تأوي إليها؟ قال نعم، قال: ألك مسكن تسكنه؟ قال نعم، قال: فأنت من الأغنياء، قال إن لي خادما، قال: فأنت من الملوك» ﴿وآناكم ما لم يوت أحدا من العالمين﴾ من المن والسلوى والحجر والغمام وكثرة الأنبياء وكثرة الملوك وغير ذلك.

٢١ ﴿الأرض المقدسة﴾ هي فلسطين،



حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾
 قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنِعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا
 عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ
 فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّا لَن
 نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا
 إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا
 نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾
 قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ
 فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ * وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ
 ابْنِي آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ
 يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ
 الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ

﴿فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ تصريح الله .

أن امتناعهم من الدخول ليس إلا لهذا السبب .

﴿٢٣﴾ قَالَ رَجُلَانِ﴾ هما يُوشَعَ وكآب ابن يوفنا، وكانا من الاثني عشر نقيباً
 ﴿مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ أي: يخافون من الله عز وجل، وقيل: من الذين يخافون
 ضعف بني إسرائيل وجنهم ﴿أَنِعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ بالآيمان واليقين بحصول ما وعدوا
 به من النصر والظفر ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾ أي: باب بلد الجبارين ﴿فَإِذَا

دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ﴾ قاله ثقة بوعد

﴿٢٤﴾ قَالُوا﴾ أي: بنو إسرائيل لموسى ﴿إِنَّا لَن
 نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا﴾ وكان

هذا القول منهم فشلا وجبنا، أو عنادا
 وجراءة على الله وعلى رسوله ﴿فَاذْهَبْ
 أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا﴾ قالوا هذا جهلا
 بالله عز وجل وبصفاته، وكفرا بما يجب
 له ﴿إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ أي: لا نبرح
 هذا المكان، ولا نتقدم معك ولا نتأخر
 عن هذا الموضع .

﴿٢٥﴾ قَالَ﴾ موسى ﴿رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ
 إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾ أما هم فقد خرجوا

عن طاعتي ﴿فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ
 الْفَاسِقِينَ﴾ وميَّزنا عن جملتهم، ولا تلحقنا
 بهم في العقوبة، وقيل المعنى: فاقض
 بيننا وبينهم .

﴿٢٦﴾ قَالَ فَإِنَّهَا﴾ أي: الأرض المقدسة
 ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ أي: على هؤلاء العصاة
 بسبب امتناعهم من قتال الجبارين
 ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ لا زيادة عليها، قيل: إنه
 لم يدخلها أحد ممن قال: «إنا لن
 ندخلها» ﴿يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ يتحيرون
 فيها، يذهبون ويحيثون على غير هدى .
 [وهي أرض سيناء] وقد كان معهم في
 التيه موسى عليه السلام . وعن ابن
 عباس، قال: تاهوا أربعين سنة، فهلك
 موسى وهارون في التيه، وكل من جاوز
 الأربعين سنة، فلما مضت الأربعون سنة
 نهض بهم يوشع بن نون، وهو الذي قام
 بالأمر بعد موسى، وهو الذي افتتحها،
 [أي بالجيل الذي رباه موسى على يديه
 جهادا وعلما وصبرا] .

﴿٢٧﴾ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِي آدَمَ﴾
 واسمها: قابيل، وهابيل، وكان قربان
 قابيل حزمة من سنبل، لأنه كان
 صاحب زرع، واختارها من أردأ زرعه،
 وكان قربان هابيل كبشا لأنه كان
 صاحب غنم، أخذه من أجود غنمه،
 فتقبل الله قربان هابيل، فرفع إلى الجنة،
 ولم يتقبل قربان قابيل، فحسده، وقال:
 لا بد أن أقتلك، وكان ذلك منه غيرة
 وحسدا ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ
 الْمُتَّقِينَ﴾ كأنه يقول لأخيه: إنما أتيت من
 قِبَلِ نَفْسِكَ لا من قبلي، فإن عدم تقبل
 قربانك، بسبب عدم تقواك .

﴿٢٨﴾ لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي﴾
 أي: إن قصدت قتلي ﴿مَا أَنَا بِبَاسِطٍ﴾
 أي فلن أقصد قتلك، وهذا استسلام من
 هابيل للقتل، كما ورد في الحديث «إذا
 كانت الفتنة فكن كخير ابني آدم»

يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾
 إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ
 النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ
 قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ
 غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِى سَوْءَةَ أَخِيهِ
 قَالَ يَوَيْلَ لِي أَخْبَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ
 فَأَوْرَى سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾ مِنْ أَجْلِ
 ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ
 نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا
 وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ
 رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنْ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ
 لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ

أما في شرعنا فيجوز دفعه إجماعا [وهو
 مأمور به، وفي وجوب ذلك عليه خلاف،
 والأصح وجوب ذلك لما فيه من النهي
 عن المنكر، ولقوله تعالى (والذين إذا
 أصابهم البغي هم ينتصرون) وقوله (ولولا
 دفعُ الله الناس بعضهم ببعض لفسدت
 الأرض) [وهذا في غير الفتنة والشبهة،
 أما حين تكون الفتنة، ويرى كل من
 الطرفين أنه يقاتل الآخر في سبيل الله،
 فقد قيل: الأولى ترك الدفع بدلالة هذه
 الآيات.

٢٩ ﴿إني أريد أن تبوء بإثمي﴾ أي بإثم
 قتلك لي، وإثمك الذي قد صار عليك
 بذنوبك من قبل قتلي.

٣٠ ﴿فطوَّعت له نفسه قتل أخيه﴾ أي
 سهلت نفسه عليه الأمر وشجعت،
 وصورت له أن قتل أخيه طوع يده سهل
 عليه، وأن فيه كسبا له وشرفا.

٣١ ﴿فبعث الله غرابا﴾ لما قتل أخاه لم
 يدر كيف يواريه، لكونه أول ميت مات
 من بني آدم، فبعث الله غرابين أخوين،
 فاقتتلا، فقتل أحدهما صاحبه، فحفر له
 ثم حشا عليه ﴿بإثمي﴾ كلمة تحسر
 وحزن، والويله الهلكة. عن ابن مسعود
 قال: قال رسول الله ﷺ «لا تُقتل نفس
 ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفلٌ
 من دمها، لأنه أول من سن القتل»
 ﴿فأورى سؤة أخيه﴾ أي: جيفته،
 فواراه يدفنه في التراب.

٣٢ ﴿من أجل ذلك﴾ المعنى أن نبا ابني
 آدم هو الذي تسبب عنه الكُتُب المذكور
 على بني إسرائيل، ولعله إنما خص
 بني إسرائيل، لأنهم أول أمة نزل الوعيد
 عليهم في قتل الأنفس، ولكثرة سفكهم
 للدماء، وقتلهم للأنبياء ﴿بغير نفس﴾ أي
 بغير نفس توجب القصاص ﴿أو فساد في
 الأرض﴾ هو الشرك، وقيل: الفساد في
 الأرض قطع الطريق، وسفك الدماء،

وهتك الحرم، ونهب الأموال، والبغي على
 عباد الله بغير حق، وهدم البنيان، وقطع
 الأشجار وتغوير الأنهار ﴿فكأنما قتل

الناس جميعا﴾ عن مجاهد قال: المعنى أن
 الذي يقتل النفس المؤمنة متعمدا جعل
 الله جزاءه جهنم، وغضب عليه ولعنه
 وأعد له عذابا عظيما، فلو قتل الناس
 جميعا لم يزد على هذا ﴿ومن أحياءها﴾ أي
 من عفا عمن وجب قتله، وعن مجاهد أن
 إحياءها إنجاؤها من غرق، أو حرق، أو
 هدم، أو هلكة ﴿فكأنما أحيى الناس
 جميعا﴾ أي وجب على الكل شكره،
 وقيل: كأنما أحيى الناس جميعا في الأجر
 ﴿لمسرفون﴾ أي في القتل.
 ٣٣ ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله
 ورسوله﴾ نزلت فيمن خرج من المسلمين
 يقطع الطريق، ويسعى في الأرض
 بالفساد. وهذه الآية تعم المشرك وغيره
 ممن ارتكب ما تضمنته، ومحاربة الله:
 عصيانه، ومحاربة رسول الله ﷺ: هي
 حمل السلاح ضده، ومثلها محاربة
 المسلمين في عصره، ومن بعد عصره إذا
 خرجوا على الناس بالسلاح، وقطعوا
 الطريق لأخذ الأموال، والفتك بالنفوس

وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ
 أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ
 لَهُمْ نَذْرٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾
 إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ
 اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
 وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ
 تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ
 جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَمَةِ
 مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوكَ
 مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾
 وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا
 مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَنْ تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ

من غير شبهة ولا إرادة إصلاح أو دفع فساد **﴿ويسعون في الأرض فسادا﴾** أي يعيشون فيها مفسدين **﴿أن يقتلوا﴾** إن قتلوا نفساً معصومة **﴿أو يصلبوا﴾** إن أخذوا المال وقُتلوا، والصلب إنما يكون بعد القتل، ولا يجوز أن يصلب قبل القتل **﴿أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف﴾** إن أخذوا المال ولم يقتلوا، والمراد بهذا: قطع اليد اليمنى والرجل اليسرى فقط **﴿أو ينفوا من الأرض﴾** إذا لم يقتلوا ولم يأخذوا مالا، بل قاطع الطريق بالسلاح يُقلَّب بالخنيل والرجال

حتى يؤخذ فيقام عليه الحد، أو يُخرج من دار الإسلام هرباً. وعن الشافعي: أنهم يُخرجون من بلد إلى بلد، ويطلبون لتقام عليهم الحدود. وعن مالك: أنه يُنفى من البلد الذي أحدث فيه إلى غيره، ويحبس فيه، كالزاني. والظاهر من الآية: أنه يطرد من الأرض التي وقع منه فيها ما وقع من غير سجن ولا غيره. [وقيل: الإمام بالخيار في المحاربين بين العقوبات الثلاث] **﴿ذلك لهم خزي في الدنيا﴾** الخزي: الذل والفضيحة. **﴿من قبل أن تقدروا عليهم﴾**

استثنى التائبين قبل القدرة عليهم، فلا يطالب المحارب التائب قبل القدرة عليه بشيء من العقوبات المنصوص عليها في الآية السابقة. وذهب بعض أهل العلم إلى: أنه لا يسقط القصاص وسائر حقوق الآدميين بالتوبة قبل القدرة، وأما التوبة بعد القدرة فلا تسقط بها العقوبة المذكورة في الآية. وليس إلى طالب الدم من أمر المحاربين شيء، ولا يجوز عفو ولي الدم، بل الأمر إلى الإمام.

٣٥ ﴿وابتغوا إليه الوسيلة﴾ أي: اطلبوا ما يقربكم إلى الله تعالى. والوسيلة التي هي القربة، وتصدق على التقوى، وعلى غيرها من خصال الخير التي يتقرب العباد بها إلى ربهم **﴿وجاهدوا في سبيله﴾** أي: جاهدوا من لم يقبل دينه.

٣٧ ﴿وما هم بخارجين منها﴾ هذه للكفار وليست لعصاة المسلمين.

٣٨ ﴿والسارق والسارقة﴾ لما ذكر سبحانه حكم من يأخذ المال جهاراً، وهو المحارب، عقبه بذكر من يأخذ المال خفية، وهو السارق. والسرقة: أخذ الشيء في خفية من الأعين **﴿فاقطعوا أيديهما﴾** أي: اليد اليمنى من كل واحد منها، تقطع من الرسغ، والسرقة لا بد أن تكون ربع دينار فصاعداً، ولا بد أن تكون من جزر، ولا فلا قطع بها **﴿جزاء بما كسبا﴾** من السرقة **﴿نكالا﴾** عذاباً رداً على السارقين **﴿من الله﴾** أي: فلا تحزنوا عليهم.

٣٩ ﴿فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح﴾ أي: فمن تاب من بعد أن قُطعت يده بسبب السرقة وأصلح أمره، تاب الله عليه. عن النبي ﷺ أنه قال للسارق بعد قطعه: «تب إلى الله، ثم قال تاب الله عليك». وفي السنة ما يدل على أن الحدود إذا رفعت إلى الأئمة وجبت وامتنع إسقاطها.

وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٩﴾
 أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ
 يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾
 * يَأَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ
 الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ
 هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ
 يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا
 فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ
 فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ
 يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ
 عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلسُّحْتِ
 فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ

٤١ ﴿يَا أَيُّهَا الرِّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ﴾ نزلت هذه الآيات في رجل من اليهود وامرأة منهم زنيا، وكانت اليهود قد حرقت حكم الرجم للزنا، وعاقبوهم تخفيفا بغيره، فأتوا النبي ﷺ ليحكم لهم كما كانوا يحكمون، ليحتجوا بذلك عند الله، فأمر برجمها. والقصة في كتب الحديث فليُرجع إليها ﴿الَّذِينَ يَسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ المراد هنا: وقوعهم في الكفر بسرعة عند وجود فرصة ﴿قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ هم المنافقون ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ يعني اليهود، أي: ومن الذين هادوا قوم ﴿سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ أي قابلون لكذب رؤسائهم المحرفين للتوراة ﴿سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ﴾ يستمعون قول هؤلاء ﴿لَمْ يَأْتُوكَ﴾ أي: لم يحضروا مجلسك، وهم طائفة من اليهود كانوا لا يحضرون مجلس رسول الله ﷺ تكبرا وتمردا، ولكن يوجهون إليه بعضا منهم ليحضروا مجلسه، ويزودونهم بإرشاداتهم ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ من جملة صفات القوم المذكورين، أي يميلونه عن مواضع التي وضعه الله فيها من حيث لفظه، أو من حيث معناه، ولعل المراد أنهم حرفوا التوراة، ومما حرفوه الرجم على الزاني والزانية، جعلوا بدله تسويد الوجه ﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ﴾ أي إن أُوتِيتُمْ من جهة محمد هذا الكلام الذي حرفناه، فخذوه واعملوا به، وإن لم تؤتوه بل جاءكم بغيره فاحذروا من قبوله والعمل به ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ﴾ أي ضلالتة ﴿فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً﴾ أي: فلا تستطيع دفع ذلك عنه، ولا تقدر على نفعه وهدايته ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ﴾ من أرجاس الكفر والنفاق، كما طهر قلوب المؤمنين ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ بظهور نفاق المنافقين، وبضرب الجزية على

الكافرين، وظهور تحريفهم وكنتمهم لما أنزل الله في التوراة.
 ٤٢ ﴿أَكَلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ السحت: المال الحرام، لأنه يُسحِتُ الطاعات: أي يذهبها ويمحو أجرها، وقيل: هو الرشوة ﴿فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ فيه تحخير لرسول الله ﷺ بين الحكم بينهم والإعراض عنهم. وقد أجمع العلماء على أنه يجب على حكام المسلمين أن يحكموا بين المسلم والذمي إذا ترافعا إليهم، واختلفوا في أهل الذمة إذا ترافعوا فيما بينهم، فقليل: يجب الحكم بينهم

وقيل: هو جائز وله أن يردهم ولا يحكم بينهم بشيء ﴿وَأَنْ تَعْرِضَ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرَّوكَ شَيْئاً﴾ أي إن اخترت الإعراض عن الحكم بينهم فلا سبيل لهم عليك ﴿وَأَنْ حَكَمْتَ﴾ أي وإن اخترت الحكم بينهم ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾ أي بالعدل الذي أمرك الله به وأنزله عليك.
 ٤٣ ﴿وَكَيْفَ يَحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾ فيه تعجيب له ﷺ من تحكيمهم إياه، مع كونهم لا يؤمنون به ولا بما جاء به، مع أن ما يحكمونه فيه هو موجود عندهم في التوراة كالرجم



عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرَّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ
بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحْكُمُونَكَ
وَعِنْدَهُمُ التَّورَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ
وَمَا أَوْلَيْكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّورَةَ فِيهَا
هُدًى وَنُورٌ يُحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا
وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا
عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَسْتُرُوا
بِعَايَتِي ثَمَّنَا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ
هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ
بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ
وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ
كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ

ونحوه، وإنما يأتون إليه ﷺ ويحكمونه طمعاً منهم في أن يوافق تحريفهم وأهواءهم.

٤٤ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّورَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ وهو بيان الشرائع والتبشير بمحمد ﷺ وإيجاب اتباعه ﴿يُحْكَمُ بِهَا النَّبِيُّونَ﴾ هم أنبياء بني إسرائيل ﴿الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ صفة مادحة للنبيين، وفيه إرغام لليهود بأن أنبياءهم كانوا يدينون بدين الإسلام الذي دان به محمد ﷺ [فلا يقال لبي من الأنبياء إنه يهودي أو نصراني، بل كانوا جميعاً مسلمين] ﴿وَالرَّبَّانِيُّونَ﴾

العلماء الحكماء ﴿وَالْأَحْبَارُ﴾ العلماء ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ أي أمرهم الأنبياء بحفظ التوراة عن التغير والتبديل ﴿وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ أي على كتاب الله، والشهداء: الرقباء، فهم يحمونه عن التغير والتبديل بهذه المراقبة، والخطاب بقوله ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ﴾ لرؤساء اليهود ﴿وَلَا تَسْتُرُوا بِآيَاتِي ثَمَّنَا قَلِيلًا﴾ [أي لا تتركوا الحكم بما أنزل الله خوفاً من أحد، أو رغبة في مصلحة أو رشوة] ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ إن فعلوه. وحكم هذه الآية

لكل من ولي الحكم، وقيل: هو معمول على أن ترك الحكم بما أنزل الله وقع استخفافاً، أو استحللاً، أو جحداً. عن ابن عباس: من جحد الحكم بما أنزل الله فقد كفر، ومن أقر به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق. وعن ابن عباس: ليس بكفر ينقل عن الملة، بل كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق.

٤٥ ﴿وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ أي وكُتِبْنَا على اليهود في التوراة القصاص بقتل النفس بالنفس، كبيرة أو صغيرة، ذكراً أو أنثى. وشرع من قبلنا يلزمنا إذا لم ينسخ ﴿وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ﴾ أي إن العين إذا فقشت، أو قلعت عمداً ولم يبق فيها مجال للإدراك فإنها تفقأ عين الجاني أو تقلع بها ﴿وَالْأَنْفَ﴾ إذا جدد جميعه، فإنه يجدد أنف الجاني به، والأذن إذا قطعت جميعها، فإنها تقطع أذن الجاني بها ﴿وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ﴾ أي: وكذلك السن إذا قلعت أو كسرت تؤخذ بها لا فرق بين الشنايا، والأنياب، والأضراس، والرباعيات، وأنه يؤخذ بعضها ببعض، ولا فضل لبعضها على بعض، وينبغي أن يكون المأخوذ في القصاص من الجاني هو المماثل للمأخوذ من المجني عليه، كالأذن اليمنى بالأذن اليمنى مثلاً دون اليسرى ﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ فيقتص من الجاني بجرح مثل ما جرح، إن كان لا يخاف من القصاص تلف النفس، ويُعرف مقدار الجرح عمقاً أو طولاً أو عرضاً. وقد قدر أئمة الفقه أرش كل جراحة بمقادير معلومة ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾ بأن عفا عن الجاني، فهو كفارة للمتصدق، يكفر الله عنه بها ذنوبه ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ أي: إن هذا الظلم الصادر منهم، ظلم عظيم بالغ إلى الغاية.

الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ
مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّورَةِ ۚ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ
هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّورَةِ وَهُدًى
وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا
أُنزِلَ اللَّهُ فِيهِ ۖ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا
لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ ۖ فَاحْكُم بَيْنَهُم
بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ
الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنكُم شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ
لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ
فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا
كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَن آحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ

٤٦ ﴿وقفينا على آثرهم بعيسى بن مريم﴾ أي: جعلنا عيسى بن مريم يقف على آثار النبيين الذين أسلموا من بني إسرائيل ﴿وآتيناها الإنجيل فيه هدى﴾ أي: إن الإنجيل أوتي به عيسى، مشتملا على الهدى والنور، مصدقا لما بين يديه من التوراة، يرافقها ويثبت ما فيها من الحق.

٤٧ ﴿وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه﴾ ولا يتركوا ذلك لرغبة في الدنيا أو رهبة من الناس. وهذا أمر لأهل الإنجيل بأن يحكموا بما أنزل الله فيه، فإنه قبل البعثة المحمدية حق، وأما بعدها فقد أمروا في غير موضع بأن يعملوا بما أنزل الله على محمد ﷺ في القرآن، لأن القرآن ناسخ لما خالفه في كل الكتب المنزلة

٤٨ ﴿وأنزلنا إليك الكتاب﴾ خطاب لمحمد ﷺ، والكتاب القرآن ﴿مصدقا لما بين يديه من الكتاب﴾ من كتب الله المنزلة، لكونه مشتملا على الدعوة إلى الله، والأمر بالخير، والنهي عن الشر، كما اشتملت عليه ﴿ومهيمننا عليه﴾ شاعدا بصحة الكتب المنزلة، ومقررا لما فيها مما لم ينسخ، وناسخا لما خالفه منها، ورقيبا عليها، وحافظا لما فيها من أصول الشرائع، وغالبا لها لكونه المرجع في المحكم منها والنسوخ، ومؤمنا عليها لكونه مشتملا على ما هو معمول به منها، وما هو متروك [ومبيننا لكثير مما حرفة علماء اليهود والنصارى فيها] ﴿فاحكم بينهم بما أنزل الله﴾ في القرآن ﴿ولا تتبع أهواءهم﴾ أي: أهواء أهل الملل السابقة، ولا تعدل أو لا تنحرف ﴿عما جاءك من الحق﴾ أي: الحق الذي أنزل الله عليك، فإن كل ملة من الملل تهوى أن يكون الأمر على ما هم عليه، وما أدركوا عليه سلفهم، وإن كان باطلا منسوخا، أو

محرفا عن الحكم الذي أنزله الله على الأنبياء، كما أرادوا في الرجم ونحوه مما حرفوه من كتب الله ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا﴾ جعل التوراة لأهلها، والإنجيل لأهله، والقرآن لأهله، وهذا قبل نسخ الشرائع السابقة بالقرآن، وأما بعده فلا شرعة ولا منهاج إلا ما جاء به محمد ﷺ ﴿ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة﴾ بشريعة واحدة، وكتاب واحد، ورسول واحد ﴿ولكن ليبلوكم﴾ باختلاف الشرائع ﴿فما آتاكم﴾ فيما أنزله عليكم من الشرائع المختلفة، أي ليختبر

مقدار اتباع كل طائفة لشريعتهم، هل يعملون بذلك وتدعون له، أو تتركونه، وقيلون إلى الهوى، وتشترون الضلالة بالهدى. وفيه دليل على أن اختلاف الشرائع هو هذه العلة، أعني: الابتلاء والامتحان، لا لكون مصالح العباد مختلفة باختلاف الأوقات والأشخاص فقط ﴿فاستبقوا الخيرات﴾ أي فسابقوا أيها المسلمون غيركم من أصحاب الشرائع الذين عملوا على أساسها بطاعة الله، واعملوا بطاعة الله على أساس شريعتكم. ٤٩ ﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله﴾



وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ
مَا أُنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ
أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ
لَفَاسِقُونَ ﴿٥١﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ
مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٢﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ
وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَمَا لَهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ ﴿٥٣﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ
فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ
يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا
فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴿٥٤﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَهْؤُلَاءِ
الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ

كانوا يوالون اليهود والنصارى فنوا عن ذلك **«بعضهم أولياء بعض»** بعض اليهود أولياء البعض الآخر منهم، وبعض النصارى أولياء البعض الآخر منهم، [ولن يكونوا إذا تولوكم صادقين] وقيل: المراد أن اليهود يوالون النصارى، والنصارى يوالون اليهود على عداوة النبي ﷺ وعداوة ما جاء به، وإن كانوا في ذات بينهم متعادين متضادين **«ومن يتوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُمْ مِنْهُمْ»** أي فإنه من جملتهم وفي عدادهم، وهو وعيد شديد **«إن الله لا يهدي القوم الظالمين»** [أي الظالمين لأنفسهم بموالات الكفرة].

٥٢ «الذين في قلوبهم مرض» مرض النفاق والشك في الدين **«يسارعون فيهم»** في موالاتهم **«يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة»** أي نخشى أن تظفر الكفار بمحمد ﷺ فتكون الدولة لهم، وتبطل دولته، فيصيبنا منهم مكروه **«بالفتح»** ظهور النبي ﷺ على الكافرين، كقتل مقاتلة بني قريظة وسبي ذراريهم، وإجلاء بني النضير، وقيل: هو فتح بلاد المشركين على المسلمين **«أو أمر من عنده»** ما تندفع به صولة اليهود ومن معهم وتنكسر به شوكتهم، وقيل: هو إظهار أمر المنافقين، وإخبار النبي ﷺ بما أسروا في أنفسهم، وأمره بقتلهم **«على ما أسروا في أنفسهم»** من النفاق الحامل لهم على الموالات **«نادمين»** على ذلك لبطلان الأسباب التي تخيلوها، وانكشاف خلافها.

٥٣ «أهؤلاء» إلى المنافقين: أي: يقول الذين آمنوا مخاطبين لليهود مشيرين إلى المنافقين **«أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم لئهم لمعكم»** بالناصره والمعاوضة في القتال، وجهد الأيمان: أغلظها، أي: أقسموا بالله جاہدين.

أي: إن جاؤوك لتحكم بينهم، فأردت أن تحكم، فليكن حكمك طبقا لما أنزله الله عليك، لا طبقا لما تنواه أنفسهم، أو طبقا لما في كتبهم من التحريف **«واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك»** أي: يضلوك عنه **«فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم»** أي: إن أعرضوا عن قبول حكمك بما أنزل الله عليك، فذلك لما أراده الله من تعذيبهم ببعض ذنوبهم، وهو ذنب التولي عنك، والإعراض عما جئت به. **٥٠ «أفحكم الجاهلية يبغون»** أي: يعرضون عن حكمك بما أنزل الله عليك، فذلك لما أراده الله من تعذيبهم ببعض ذنوبهم، وهو ذنب التولي عنك، والإعراض عما جئت به. **٥١ «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء»** تناصروهم وتحالفونهم وتحبونهم من دون الله. قيل: مخاطب بهذا الكلام المنافقون، ووصفهم بالإيمان باعتبار ما كانوا يظهرونه. وقد

«حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ» أي بطلت الأعمال التي عملوها في المولاة، أو كل عمل يعملونه.

٥٤ «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ» شروع في بيان أحكام المرتدين، بعد بيان أن مولاة الكافرين من المسلم كفر، ونوع من أنواع الردة. والمراد بالقوم الذين وعد الله سبحانه بالإتيان بهم: هم أبو بكر الصديق رضي الله عنه وجيشه من الصحابة والتابعين الذين قاتل بهم أهل الردة، وكل من جاء بعدهم من المقاتلين للمرتدين في جميع الزمن، وهم الموصوفون بهذه الأوصاف العظيمة، المشتملة على غاية المدح ونهاية الثناء، من كونهم يحبون الله وهو يحبهم، ومن كونهم **«أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ»** أي يظهرون العطف والحنو والتواضع للمؤمنين، ويظهرون الشدة والغلظة والترفع على الكافرين، ويجمعون بين المجاهدة في سبيل الله، وعدم خوف الملامة في الدين، بل هم متصلبون لا يبالون بما يفعله أعداء الحق وحزب الشيطان، من الازدراء بأهل الدين، وقلب محاسنهم مساوئ، ومناقبهم مثالب، حسدا وبغضا وكراهة للحق وأهله.

٥٥ «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ» هو الولي الذي تجب مولاته **«وَهُمْ رَاكِعُونَ»** والمراد بالركوع: الخشوع والخضوع لله، أي: يقيمون الصلاة وهم خاشعون خاضعون لا يتكبرون على أحد من المؤمنين، ويؤتون الزكاة، فيضعونها في مواضعها، غير متكبرين على الفقراء ولا مترفعين عنهم.

٥٦ «وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا» سبحانه من يتولى الله ورسوله والذين آمنوا بأنهم الغالبون لعدوهم **«حِزْبُ اللَّهِ»** هم المؤمنون القاثون بنصر شريعة الله. وسبب نزولها ما ورد أنه لما حاربت بنو قينقاع من اليهود رسول الله ﷺ تمسك عبد الله بن

حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٦﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا مِمَّنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٥٩﴾

«أَوْلِيَاءُ» مناصرين لكم.

٥٨ «وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا

هُزُوءًا وَلَعِبًا» كان بعض اليهود إذا سمع الأذان سخروا به، وقالوا: لعن الله الكاذب، فإذا قام المسلمون إلى الصلاة فركعوا وسجدوا، ضحكوا منهم وسخروا بهم **«ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ»** لأن الهزؤ واللعب شأن أهل السفه والخفة والطيش، فكيف بمن يهزأ بشعائر دين الله تعالى؟

٥٩ «قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ

مِنَا» هل تعيبون، أوتسخطون، أو

أبي بحليفه معهم. أما عبادة بن الصامت فشى إلى رسول الله ﷺ، وتبرأ من حلفهم، وكان له من حلفهم مثل ما لعبد الله بن أبي، لكنه خلعه إلى رسول الله ﷺ، وقال: أتبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم.

٥٧ «لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ

هُزُوءًا» هذا النهي عن مولاة المتخذين للدين هزوا ولعبا، يعم كل من حصل منه ذلك من المشركين وأهل الكتاب وأهل البدع المنتمين إلى الإسلام **«وَالْكَافِرَ»** أي: ولا تتخذوا سائر الكفار

قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَن ءَامَنَّا بِٱللَّهِ
وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ
فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ
ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ ٱلْقِرَدَةَ
وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّاغُوتَ ٱلَّتِى تُشْرِكُونَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْلَىٰ
عَنِ سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَقَدْ
دَخَلُوا بِٱلْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ ءَ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسْرِعُونَ
فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدُونِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْ لَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّنَا نِىُونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ
ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾
وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُوبَةٌ غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا

بالكفر، وخرجوا من عندك متلبسين به،
لم يؤثر فيهم ما سمعوا منك، بل خرجوا
كما دخلوا **«والله أعلم بما كانوا
يكتمون»** عندك من الكفر [مع إظهارهم
الإسلام وظهور البشاشة لك في
وجوههم].

٦٢ **«وترى كثيرا منهم»** من المنافقين،
أو اليهود، أو الطائفتين جميعا **«يسارعون
في الإثم»** يبادرون إلى الكذب، أو
الشرك، أو الحرام **«والعدوان»** الظلم
المتعمد إلى الغير، أو مجاوزة الحد في
الذنوب و **«السحت»** المال الحرام.

٦٣ **«لولا ينهاهم الربانيون والأحبار
عن قولهم الإثم وأكلهم السحت»** أي
[لقد ترك علماءهم نهيهم عن المنكر الذي
يقولونه بألسنتهم، وما يأكلونه من الحرام
والرشا والظلم] **«لبئس ما كانوا
يصنعون»** [فبئس الصنيع من علمائهم
هذا التهاون في إيقائهم واقعين في الحرام
دون إنكار ولا تغيير]. فوبّخ سبحانه
الخاصة، وهم العلماء التاركون للأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر، بما هو أغلظ
وأشد من توبيخ فاعلي المعاصي، فهم أشد
حالا، وأعظم وبالا من العصاة، فرحم
الله عالما قام بما أوجبه الله عليه من
فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٦٤ **«وقالت اليهود يد الله مغلولة»**
مراد اليهود هنا، عليهم لعائن الله، أن الله
بخيل **«غلت أيديهم»** دعاء عليهم
بالبخل، ويجوز أن يكون المراد غل
أيديهم حقيقة بالأسر في الدنيا، أو
بالعذاب في الآخرة **«ولعنوا بما قالوا»**
أبعدوا من رحمة الله بسبب قولهم: يد الله
مغلولة. [قيل إنها نزلت في فحاص
اليهودي الذي قال (إن الله فقير ونحن
أغنياء) فضربه أبو بكر الصديق. انظر
سورة آل عمران (آية ١٨١) وقيل في يهودي
آخر، قال إن ربك بخيل لا ينفق.]

اليهود، فإن الله مسخ أصحاب السبت
قردة، ومسخ من النصارى - كفار مائدة
عيسى منهم - خنازير **«وعبد الطاغوت»**
وجعل منهم من يبالغ في عبادة
الطاغوت، والطاغوت: الشيطان أو
الكهنة **«أولئك شر مكانا»** منزلة يوم
القيامة **«وأضل عن سواء السبيل»** [بما
تعتقدونه من ضلال المسلمين في
اعتقادكم الباطل].

٦١ **«وإذا جاءوكم قالوا آمنا»** أظهروا
الإسلام **«وقد دخلوا بالكفر وهم قد
خرجوا به»** دخلوا عندك متلبسين

تنكرون، أو تكرهون منا، إلا إيماننا
بالله، وبكتبه المنزلة، وقد علمتم بأننا على
الحق **«وأن أكثركم فاسقون»** بترككم
للإيمان، والخروج عن امتثال أوامر الله.

٦٠ **«قل هل أنبئكم بشر من ذلك»**
بيّن الله سبحانه لرسوله أن هناك قوما
فيهم من العيب ما هو أولى بالعيب، وهو
ما هم عليه من الكفر الموجب للعن الله
وغضبه ومسخه **«مثوبة»** جزاء ثابتا **«من
لعنه الله»** أي طرده من رحمته **«وجعل
منهم القردة والخنازير»** أي: مسخ
بعضهم قردة وبعضهم خنازير، وهم

بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا
مِّنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقَيْنَا
بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ كُلَّمَا أَوقَدُوا
نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا
وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ
ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سِيَئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ
النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ
إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ
مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾
* يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَّمْ
تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ
إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَأَهْلَ

﴿بل يده مَبسوطتان﴾ أي بل هو في غاية ما يكون من الجود [وهل ما في السماوات والأرض من النعم إلا من فضل يديه سبحانه ومحمده] ﴿ينفق كيف يشاء﴾ أي إنفاقه على ما تقتضيه مشيئته، فإن شاء وسَّع، وإن شاء ضيق، فهو الباسط القابض، فإن قبض كان ذلك لما تقتضيه حكمته الباهرة ﴿وليزيدن كثيرا منهم﴾ من اليهود والنصارى ﴿وما أنزل إليك﴾ من القرآن المشتمل على هذه الأحكام الحسنة ﴿طغيانا وكفرا﴾ إلى طغيانهم وكفرهم، لأجل ما عندهم من الحسد ﴿والقينا بينهم﴾ أي بين اليهود، أو بين اليهود والنصارى ﴿كلما أوقدوا نارا للحرب أطفاها الله﴾ أي كلما جمعوا للحرب جمعا، وأعدوا لها عدة، شتت الله جمعهم، وذهب بريحهم، فلم يظفروا بطائل، ولا عادوا بفائدة، وهكذا لا يزالون يهيجون الحروب ويجمعون عليها، ثم يبطل الله ذلك ﴿ويسعون في الأرض فسادا﴾ أي يجتهدون في فعل ما فيه فساد، ومن أعظمه ما يريدونه من إبطال الإسلام وكيد أهله.

٦٥ ﴿ولو أن أهل الكتاب آمنوا﴾ بما جاء به محمد ﷺ كما أمروا بذلك في كتب الله المنزلة عليهم ﴿واتقوا﴾ المعاصي، ومن أعظمها الشرك بالله، والجحود لما جاء به رسول الله ﴿لكفرنا عنهم سيئاتهم﴾ التي اقترفوها، وإن كانت كثيرة متنوعة.

٦٦ ﴿ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل﴾ أي: أقاموا ما فيها من الأحكام التي من جملتها الإيمان بما جاء به محمد ﷺ ﴿وما أنزل إليهم من ربهم﴾ من سائر كتب الله ﴿لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم﴾ بتيسر أسباب الرزق لهم، وكثرتها وتعدد أنواعها ﴿منهم أمة مقتصدة﴾ هم المؤمنون، كعبد الله بن سلام ومن تبعه،

وطائفة من النصارى ﴿وكثير منهم ساء ما يعملون﴾ وهم المصرون على الكفر، المتمردون عن إجابة محمد ﷺ والإيمان بما جاء به. ٦٧ ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ أمره أن يبلغ جميع ما أنزله الله إليه لا يكتف من شينا، فلم يُيسر إلى أحد مما يتعلق بما أنزله الله إليه شينا ﴿وإن لم تفعل﴾ بل كتمت ولو بعضا من ذلك ﴿فما بلغت رسالته﴾ وقد بلغ رسول الله ﷺ لأمرته ما نزل إليهم، وقال لهم في غير موطن «هل بلغت؟» فيشهدون له بالبيان ﴿والله يعصمك من الناس﴾ أي يحميك بعد اليوم ممن يريدك منهم بسوء. أي فليس يمنعك شيء من إبلاغ كل ما يوحى إليك به الله تعالى، فلا تكتف شيئا. وعده بالعصمة من الناس، دفعها لما قد يظن أنه حامل له على كتم البيان، وهو خوف لحوق الضرر من الناس. عن عائشة قالت: «كان رسول الله ﷺ يُحَرَّسُ، حتى نزلت (والله يعصمك من الناس) فأخرج رأسه من القبة، فقال: أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله».



الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ
وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ
إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ
الْكَافِرِينَ ﴿٦٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغُونَ
وَالنَّصَارَى مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا
فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٧٠﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ
بَنِي إِسْرَءِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا قُلْنَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ
بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧١﴾
وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾
لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ
وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ

الكافرين أي دع عنك التأسف على هؤلاء، وفي المتبعين لك من المؤمنين غنى لك عنهم.

٦٩ «والذين هادوا» أي دخلوا في دين اليهود **«والصابغون»** تقدم بيانهم في سورة البقرة **«من آمن»** منهم **«بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم»** عند لقاء الله **«ولا هم يحزنون»** فمن آمن من هذه الطوائف إيمانا خالصا على الوجه المطلوب، وعمل عملا صالحا، فهو الذي لا خوف عليه ولا حزن.

٧٠ «وارسلنا إليهم رسلا» ليعرفوهم بالشرائع وينذروهم **«فريقا كذبوا وفريقا يقتلون»** أي قتلوا بعض هؤلاء الرسل، وكذبوا بعضا آخر منهم، فتمن كذبوه عيسى وأمثاله من الأنبياء، ومن قتلوه زكريا ويحيى.

٧١ «وحسبوا ألا تكون فتنة» ابتلاء واختبار بالشدائد لدى تمسكهم بالميثاق المذكور، اعتزازا بقولهم (نحن أبناء الله وأحباؤه) **«فعموا وصموا»** أي عموا عن إِبصار الهدى، وصموا عن استماع الحق، من مخالفة أحكام التوراة، وقتل أشعياء، ثم تاب الله عليهم حين تابوا، فكشف عنهم القحط **«ثم عموا وصموا كثير منهم»** إشارة إلى ما وقع منهم بعد التوبة من قتل يحيى بن زكريا، وقصدهم لقتل عيسى.

٧٢ «لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم» والقائلون بهذه المقالة، هم فرقة منهم يقال لهم اليعقوبية، وقيل: هم الملكانية، قالوا: إن الله عز وجل حل في ذات عيسى، فرد الله عليهم بقوله **«وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم»** أي والحال أنه قد قال المسيح هذه المقالة، فكيف يدعون الإلهية لمن يعترف على نفسه بأنه عبد مثلهم؟

نتبعك، فأنزل الله فيهم **«قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل»** إلى قوله **«القوم الكافرين»**. أي لستم على شيء من الحق يعتد به، حتى تقيموا التوراة والإنجيل: أي تعملوا بما فيها من أوامر الله ونواهيه، التي من جملتها أمركم باتباع محمد ﷺ ونهيكم عن مخالفته **«وما أنزل إليكم من ربكم»** هو القرآن، فإن إقامة الكتابين لا تصح بغير إقامته **«طغيانا وكفرا»** أي كفرا إلى كفرهم، وطغيانا إلى طغيانهم **«فلا تأس على القوم**

٦٨ «قل يا أهل الكتاب لستم على شيء» عن ابن عباس قال: جاء نافع ابن حارثة، وسلام بن مشكم، ومالك بن الصيف، ورافع بن حرمة، فقالوا يا محمد: ألسنت تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه، وتؤمن بما عندنا من التوراة، وتشهد أنها من الله حق؟ فقال النبي ﷺ «بلى ولكنكم أحدثتم وجحدتم ما فيها مما أخذ عليكم من الميثاق، وكفرتم منها بما أمرتم أن تبينوه للناس، فبرئت من إحداثكم. قالوا: فإننا نأخذ بما في أيدينا، وإننا على الهدى والحق، ولا نؤمن بك ولا

إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ
وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ
ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا
عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابُ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾
أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٤﴾
مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ
وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ أَنْظِرْ كَيْفَ نَبِّئُ لَهُمْ
الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنِّي يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ
دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَتَاهَلُ الْكِتَابُ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ
الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا
كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لَعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا

﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ قيل: هو من قول عيسى .
٧٣ ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ والمراد بالثلاثة: الله سبحانه، وعيسى، ومريم. وقيل المراد: قولهم ثلاثة أقانيم، أقنيم الأب، وأقنيم الابن، وأقنيم روح القدس ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ ليس في الوجود إله حق إلا الله سبحانه، وقيل: هذا من تمام مقالة النصارى، أي: إنهم قالوا: هم ثلاثة، وقالوا: هم واحد ﴿وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ﴾ من الكفر ويتركوه.

٧٤ ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ﴾ [من هذا الافتراء على الله الذي يُغضب الله، ويعاقب الله عليه].

٧٥ ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ أي: هو مقصور على الرسالة، لا يجاوزها كما زعمتم [إلى أن يكون إلهًا أو ابنًا لله] بل هو من جنس الرسل الذين مضوا من قبله، وما وقع منه من المعجزات لا يوجب كونه إلهًا، فقد كان لمن قبله من الرسل مثلها، فإن الله أحيا العصا في يد موسى، وخلق آدم من غير أب، فإن كان كما تزعمون إلهًا أو ابنًا لله لذلك، فمن قبله من الرسل آلهة ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ أي: صديقة فيما

تقوله، أو مصدقة لما جاء به ولدها من الرسالة، وذلك لا يستلزم الإلهية لها، بل هي كسائر من يتصف بهذا الوصف من النساء ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ كسائر أفراد البشر، أي: من كان يأكل الطعام كسائر المخلوقين فليس برب [لأنه لا يأكل الطعام إلا من هو محتاج إليه، ولو ترك الأكل هلك، والرب لا يموت، وكل من أكل الطعام يذهب إلى الخلاء لقضاء الحاجة. تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً].

﴿أَنْظِرْ كَيْفَ نَبِّئُ لَهُمُ الْآيَاتِ﴾ تعجيب

من حال هؤلاء الذين يجعلون تلك الأوصاف مستلزمة للإلهية ﴿ثُمَّ أَنْظِرْ أَنِّي يُؤْفَكُونَ﴾ أي كيف يصرفون عن الحق بعد هذا البيان.

٧٦ ﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ أي ومن كان لا ينفع ولا يضر، فكيف تتخذونه إلهًا وتعبدونه؟ والمراد هنا: المسيح وأمه عليها السلام ﴿وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ أي: ومن كان كذلك فهو القادر على الضر والنفع، لإحاطته بكل مسموع ومعلوم، فهو الإله الحق.

٧٧ ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾

نهاهم عن الغلو والمجازة للحد، كإثبات الإلهية لعيسى، وسلوك طريقة الإفراط بغير حق، وأما الغلو في الحق، بإبلاغ كلية الجهد في البحث عنه واستخراج حقائقه، فليس بمذموم ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ﴾ وهم أسلاف طائفتي اليهود والنصارى، أي قبل البعثة المحمدية ﴿وَأَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ من الناس ﴿وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ والمراد أن أسلافهم ضلوا من قبل البعثة، وأضلوا كثيرا من الناس إذ ذاك، وضلوا من بعد البعثة، لكونهم سنوا لهم ذلك

وليسوا على دين حق **«لبس ما قدمت لهم أنفسهم»** أي ما قدموه لأنفسهم ليردوا عليه يوم القيامة **«أن سخط الله عليهم»** أي قدموا لأنفسهم في الآخرة سخط الله، فإذا رجعوا يوم القيامة نزلوا بمنزل السخط الإلهي.

٨١ **«ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي»** أي نبيهم **«وما أنزل إليه»** من الكتاب **«ما اتخذوهم»** أي المشركين **«أولياء»** لأن الله ورسوله نهاهم عن ذلك **«ولكن كثيرا منهم فاسقون»** أي خارجون عن ولاية الله.

٨٢ **«لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا»** والخطاب لكل من يصلح له، والمعنى: أن اليهود والمشركين لعنهم الله أشد جميع الناس عداوة للمؤمنين وأصلبهم في ذلك، وأن النصراني أقرب الناس مودة للمؤمنين **«بأن منهم قسيسين ورهبانا»** أي: لأن في النصراني قسسا ورهبانا، يعلمونهم التواضع لله والرحمة، ونفع الناس، والتماس الحق. والمراد بالقسيسين في الآية: المتبعون للعلماء والعباد، والرهبانية والترهب: التعبد في الصوامع **«وأنهم لا يستكبرون»** عن قول الحق، بل هم متواضعون، بخلاف اليهود فإنهم على ضد ذلك.

٨٣ **«تفيض من الدمع»** يكون عند سماع القرآن بملء أعينهم **«مما عرفوا من الحق»** أي: بسبب ما سمعوه في القرآن مما علموا أنه حق، بسبب معرفتهم لكتابهم **«يقولون ربنا آمنا»** أي: آمنا بهذا الكتاب النازل من عندك على محمد، وبمن أنزلته عليه **«فاكتبنا مع الشاهدين»** على الناس يوم القيامة من أمة محمد، أو مع الشاهدين بصدق محمد وأنه رسولك إلى الناس.

مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرِ فَعْلُوهُ لِبَيْسٍ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِبَيْسٍ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمُ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨١﴾ * لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيْكَ ذَلِكَ بَأَنَّ مِنْهُمْ قِسِسِينَ وَرُهَبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا

الشرعية **«لبس ما كانوا يفعلون»** أي من تركهم لإنكار ما يجب عليهم إنكاره. عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ «إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل، كان الرجل يلقي الرجل فيقول له: يا هذا اتق الله ودع ما تصنع، فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد، فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ثم لعنهم.

٨٠ **«ترى كثيرا منهم»** أي من اليهود **«يتولون الذين كفروا»** أي المشركين،

ونهجوه. ٧٨ **«لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم»** أي في الزبور والإنجيل بما فعلوه من المعاصي، كاعتدائهم في السبت وكفرهم بعيسى، أي ذلك اللعن بسبب المعصية والاعتداء لا بسبب آخر.

٧٩ **«كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه»** كانوا لا يهتدون بالعاصي عن معاودة معصية قد فعلها، أو تهتأ لفعلها. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم القواعد الإسلامية، وأجل الفرائض



مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ
الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يَدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾
فَأَنبِئْهُمْ أَنَّ اللَّهَ بِمَا قَالُوا جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٦﴾ وَالَّذِينَ
كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٨٧﴾
يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ
وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٨﴾ وَكُلُوا مِمَّا
رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ
مُؤْمِنُونَ ﴿٨٩﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ
يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّرتَهُ بِإِطْعَامِ عَشْرَةِ
مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتِهِمْ أَوْ
تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّرتُهُ

٨٤ ﴿وما لنا لا نؤمن بالله﴾ أي: أي سبب يحول بيننا وبين ذلك، مع وجود المقتضي له، وهو الطمع في إتمام الله ﴿ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين﴾ [أي: لن نلتفت لشيء يجعلنا نكفر بالله ورسوله، ونحن نطمع في الجنة بصحبة الصالحين من الأنبياء وأتباعهم المطيعين لله].

٨٥ ﴿فأنبئهم الله بما قالوا﴾ أنبئهم على هذا القول مخلصين له معتقدين لمضمونه. بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري وكتب معه كتابا إلى النجاشي، فأرسل النجاشي إلى الرهبان والقسيسين فجمعهم، ثم أمر جعفر بن أبي طالب أن يقرأ عليهم القرآن، فقرأ عليهم سورة مريم، فأمنوا بالقرآن، وفاضت أعينهم من الدمع، وهم الذين أنزل الله فيهم (ولتجدن أقربهم مودة) إلى قوله (من الشاهدين).

٨٧ ﴿لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم﴾ الطيبات هي: المستلذات مما أحله الله لعباده، نهاهم أن يحرموا على أنفسهم شيئا منها، إما لظنهم أن في ذلك طاعة لله وتقربا إليه، وأنه من الزهد في الدنيا، أو لقصد أن يحرموا على أنفسهم شيئا مما أحله لهم، كما يقع من كثير من العوام، من قولهم: حرام علي، وحرمة على نفسي، ونحو ذلك من الألفاظ التي تدخل تحت هذا النهي القرآني ﴿ولا تعتدوا﴾ فتحلوا ما حرم الله عليكم، أي: تترخصوا فتحلوا حراما كما نهيتم عن التشديد على أنفسكم بتحريم الحلال. وقال أبو حنيفة وأحمد ومن تابعهما إن من تناول شيئا كان قد حرّمه على نفسه لزمته كفارة اليمين.

٨٨ ﴿حلالا طيبا﴾ غير محرم ولا مستقذر.

٨٩ ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في

عليكم أعلاه، ولا يجوز لكم أدناه، حتى يشبعوا، وقال عمر وعائشة: يدفع إلى كل واحد من العشرة نصف صاع من بر أو تمر ﴿أو كسوتهم﴾ ما يكسو البدن ولو كان ثوبا واحدا، قيل: المراد بالكسوة ما تجزىء به الصلاة ﴿أو تحرير رقبة﴾ أي: إعتاق مملوك من الرق، أي: والخالف غير بين هذه الثلاثة المتقدمة يخرج أيها شاء ﴿فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام﴾ أي: فمن لم يجد شيئا من الأمور المذكورة، فيكفيه عن الكفارة صيام ثلاثة أيام متتابعات أو متفرقات.

أيمانكم﴾ أيمان اللغو لا يؤاخذ الله الحالف بها ولا تجب فيها الكفارة. وهي قول الرجل: لا والله، وبلى والله، في كلامه غير معتقد لليمين ﴿ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان﴾ أي: بأيمانكم المعقودة الموثقة بالقصد والنية إذا حنثتم فيها ﴿فكفارتها﴾ أي: من حلف يمينا معقودة وحث فيها فعليه أن يخرج عنها الكفارة، وهي ﴿إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم﴾ أطمعهم من المتوسط مما تعتادون إطعام أهليكم منه، ولا يجب

أَيْمَنُكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَنُكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ
لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ
عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ
الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ
وَالْمَيْسِرِ وَيُصَدِّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ
مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا
فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا إِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٩٢﴾
لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا
طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا
وَأَمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمْ اللَّهُ شَيْئًا مِّنَ الصَّيْدِ

فسكت عنهم. ثم نزلت بعدها الآية (لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى) فقل: حرمت الخمر، فقالوا يا رسول الله: لا نشربها قرب الصلاة، فسكت عنهم. ثم نزلت (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر) الآية، فقال رسول الله ﷺ حرمت الخمر. وعن ابن عباس قال: كل القمار من الميسر، حتى لعب الصبيان بالجوز والكعاب.

٩١ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ هذا من المفسدات الدنيوية في الخمر والميسر، وفيها من المفسدات الدينية: **﴿ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون﴾** أي هل أنتم تاركون لها نهائياً. قال عمر رضي الله عنه لما سمع هذا: انتهينا.

٩٢ ﴿وَاحْذَرُوا﴾ أي مخالفة الله ورسوله. **٩٣ ﴿فِيمَا طَعِمُوا﴾** من المطاعم التي يشتهونها **﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا﴾** أي: اتقوا ما هو محرم عليهم كالخمر وغيره **﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾** من الأعمال **﴿ثُمَّ اتَّقَوْا﴾** ما حرم عليهم بعد ذلك مع كونه كان مباحاً فيما سبق **﴿وَأَمَنُوا﴾** بتحريمه **﴿ثُمَّ اتَّقَوْا﴾** ما حرم عليهم بعد التحريم المذكور قبله بما كان مباحاً من قبل **﴿وَأَحْسَنُوا﴾** أي عملوا الأعمال الحسنة. سبب نزولها: أنه لما نزل تحريم الخمر، قال قوم من الصحابة: كيف بمن مات منا، وهو يشربها، ويأكل الميسر، وماتوا وهي في بطونهم؟ [أي فكان الجواب أنهم ماتوا قبل تحريمها فلم يكن عليهم في شربها إثم، وكانوا أتقياء]

٩٤ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمْ اللَّهُ شَيْئًا مِّنَ الصَّيْدِ﴾ كان الصيد أحد معاش العرب، فابتلاهم الله بتحريمه مع الإحرام وفي الحرم، كما ابتلى بني إسرائيل ألا يعتدوا في السبت.

﴿واحفظوا أيمانكم﴾ أمرهم بحفظ الأيمان وعدم المسارعة إليها أو إلى الخنث بها، [وإذا حنثوا فيه فلا يتساهلوا بترك الكفارة] **﴿لعلكم تشكرون﴾** ما أنعم الله به عليكم من بيان شرائعه وإيضاح أحكامه. **٩٠ ﴿الميسر﴾** تقدم تفسيره في سورة البقرة **﴿والأنصاب﴾** هي الأصنام المنصوبة للعبادة **﴿والأزلام﴾** قد تقدم تفسيرها في أول هذه السورة **﴿رجس﴾** الرجس يطلق على القذرة والأقذار **﴿من عمل الشيطان﴾** بسبب تحسينه لذلك وتزيينه له **﴿فاجتنبوه﴾** أكد تحريم الخمر والميسر فقرنها بعبادة الأصنام، وجعلها رجساً أي نجسين نجاسة معنوية، وقيل: في الخمر نجاسة حسية أيضاً، ومن عمل الشيطان، والشيطان لا يأتي منه إلا الشر البحت، وأمر بالاجتناب، وجعل الاجتناب من أسباب الفلاح، وذكر ما ينتج منها من الوبال. وعن ابن عمر قال أنزل في الخمر ثلاث آيات، فأول شيء (يسألونك عن الخمر والميسر) الآية، فقل: حرمت الخمر، فقل يا رسول الله: دعنا ننتفع بها كما قال الله،

وتمرهم بحفظ الأيمان وعدم المسارعة إليها أو إلى الخنث بها، [وإذا حنثوا فيه فلا يتساهلوا بترك الكفارة] **﴿لعلكم تشكرون﴾** ما أنعم الله به عليكم من بيان شرائعه وإيضاح أحكامه. **٩٠ ﴿الميسر﴾** تقدم تفسيره في سورة البقرة **﴿والأنصاب﴾** هي الأصنام المنصوبة للعبادة **﴿والأزلام﴾** قد تقدم تفسيرها في أول هذه السورة **﴿رجس﴾** الرجس يطلق على القذرة والأقذار **﴿من عمل الشيطان﴾** بسبب تحسينه لذلك

تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَا حُكْمٌ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ
فَمَنْ أَعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ يَتَأْتِيهَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ
مُتَعَمِّدًا بِحِزَاءٍ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ
مِنْكُمْ هَدْيًا بَلِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَرَةً طَعَامُ مَسْكِينٍ
أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ
عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو
انْتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ
وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا وَاتَّقُوا
اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ * جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ
الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ
وَالْقَلَئِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ

[عن مقاتل قال: أنزلت هذه الآية في
عمرة الحديبية، فكانت الوحش والطير
والصيد تغشاهم في رحالهم لم يروا مثله
قط فيما خلا، فنهاهم الله عن قتله وهم
محرمون] **﴿تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَا حُكْمٌ﴾** [أي
دون حاجة إلى السهام والجوارح والطرء،
ابتلاء من الله تعالى] **﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ
يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾** لِيَتَمَيَّزَ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ يَخَافُهُ
مِنْكُمْ خَفِيَّةً عَنِ النَّاسِ كَمَا يَخَافُهُ بِمَرَأَى
مِنَ النَّاسِ وَمَسْمُوعٌ مِنْهُمْ، فَالْخَوْفُ بِالْغَيْبِ
بِرَهَانِ الْإِيمَانِ.

٩٥ ﴿لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ أي:
في حال الإحرام **﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ
مُتَعَمِّدًا﴾** فلا كفارة على غير المتعمد.
وقيل: عليه أيضا الكفارة **﴿فَجِزَاءٌ مِّثْلُ
مَا قَتَلَ﴾** أي فعلية جزاء مماثل لما قتله
﴿مِنَ النَّعَمِ﴾ أي من الإبل أو البقر أو
الغنم **﴿يَحْكُمُ بِهِ﴾** أي بالجزاء، أو بمثل ما
قتل **﴿ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾** أي رجلان
معروفان بالعدالة بين المسلمين، فإذا
حكما بشيء لزم **﴿هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾**
المعنى: أنها إذا حكما بالجزاء فإنه يفعل
به ما يفعل بالهدي من الإرسال إلى مكة
والنحر هنالك، ولم يرد الكعبة بعينها،
فإن الهدي لا يبلغها، وإنما أراد الحرم،
ولا خلاف في هذا **﴿أَوْ كَفَرَةً طَعَامُ
مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا﴾** وقد قرّر
العلماء عدل كل صيد من الإطعام
والصيام، وأن الجاني يختار بين الأنواع
المذكورة **﴿لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ﴾** الوبال
سوء عاقبة قتله للصيد **﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا
سَلَفَ﴾** قبل نزول الكفارة **﴿وَمَنْ عَادَ﴾**
إلى قتل الصيد بعد هذا البيان **﴿فَيَنْتَقِمُ
اللَّهُ مِنْهُ﴾** في الآخرة، فيعذبه بذنبه،
وقيل: ينتقم منه بالكفارة. وقال شريح
وسعيد بن جبيرة: يُحْكَمُ عَلَيْهِ فِي أَوَّلِ
مرة، فإذا عاد لم يحكم عليه، بل يقال
له: اذهب ينتقم الله منك، أي ذنبك

٩٧ ﴿قِيَامًا لِلنَّاسِ﴾ مدارا لمعاشهم

ودينهم، فيه ما يصلح دينهم وديناهم:
يأمن فيه خائفهم، ويُنْصَرُ فيه ضعيفهم،
ويربح فيه تجارهم، ويتعبد فيه متعبدهم
﴿وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ الأشهر الحرم:
ذوالقعدة، وذوالحجة، ومحرم، ورجب، لا
يطلبون فيها دما، ولا يقاتلون بها عدوا،
ولا يهتكون فيها حرمة، فكانت من هذه
الحيشة قياما للناس **﴿وَالْهَدْيَ وَالْقَلَئِدَ﴾**
[أي إذا قلد هديه عُيِّلِمَ أَنَّهُ حَاجٌ أَوْ
مُعْتَمِرٌ فَلَا يَتَعَرَّضُ لَهُ أَحَدٌ] فكان في
ذلك تيسير لحياتهم وأسفارهم.

أعظم من أن يكفر.

٩٦ ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ﴾ وصيد
البحر ما يصاد فيه من الحيوانات المائية،
والمراد بالبحر هنا: كل ماء يوجد فيه
صيد بحري، وإن كان نهرا أو غديرا
﴿وَطَعَامُهُ﴾ ما قذف به البحر وطفا عليه
﴿مَتَاعًا لَكُمْ﴾ تمتيعا لكم: أي لمن كان
مقيا منكم يأكله طريا **﴿وَلِلسَّيَّارَةِ﴾**
المسافرين منكم يتزودونه **﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ
صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا﴾** ما دمت
محرمين، ويحرم صيد غير المحرم على المحرم،
إن صاده لأجله.



وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ أَعْلَمُوا
أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٨﴾
مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ
وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ
وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَأْتِ بِكُمُ الْآلَاءُ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُونَ عَنْ
أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدِّلَكُمْ تَسْأَلُونَ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ
الْقُرْآنُ تَبَدَّلْ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾
قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١٠٢﴾
مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ
وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَآكَرَهُمْ
لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ

تبدلكم نسؤكم أي إذا ظهرت
سألتكم، ولأن السؤال عما لا يعني، ولا
تدعو إليه حاجة، قد يكون سبباً لإيجابه
على السائل وعلى غيره **«وان تسألوا عنها
حين ينزل القرآن»** مع وجود رسول الله
ﷺ بين أظهركم، ونزول الوحي عليه
«تبدلكم» أي تظهر لكم بما يجيب
عليكم به النبي ﷺ أو ينزل به الوحي
«عفا الله عنها» [أي: هناك أشياء
سكت عنها القرآن، ولم يكلفكم فيها
شيء، فلا تسألوا عنها، ولكن إن سألتكم
عنها ينزل عليكم التكليف بحكمها، أي
فلا تكثروا من السؤال] قال رسول الله
ﷺ «أعظم المسلمين في المسلمين جرماً،
من سأل عن شيء لم يحرم، فحرم من
أجل مسأله».

**١٠٢ «قد سألتها قوم من قبلكم ثم
أصبحوا بها كافرين»** سألوا عن مثلها
في كونها مما لا حاجة إليه، ولا توجبه
الضرورة الدينية، ثم لما كلفوا لم يعملوا
بها.

١٠٣ «ما جعل الله من بحيرة»
البحيرة: الناقة كان أهل الجاهلية
يتحرون أذنائها، أي يشقونها، ويجعلون لبناً
للطواغيت، فلا يحتلبها أحد من الناس،
وجعل شق أذنائها علامة لذلك. والسائبة:
الناقة تسبب، أو البعير يسبب بنذر على
الرجل، إن سلمه الله من مرض، أو بلغه
منزله، فلا يحبس عن رعي ولا ماء، ولا
يركبه أحد، والوصيلة: قيل: هي الناقة
إذا ولدت أنثى بعد أنثى، فهي لهم، وإن
ولدت ذكراً فهو لآلئهم. والحامي: هو
الفحل إذا نبت من صلبه عشرة، قالوا:
قد حمى ظهره، فلا يُركب ولا يمنع من
كلأ ولا ماء **«ولكن الذين كفروا
يفترون على الله الكذب»** [حيث حرموا
هذه الأشياء تدنياً وتعبداً ولم يحرمها الله
عليهم].

والحلال، وقيل: الكافر والمؤمن، وقيل:
العاصي والطيع، وقيل: الرديء والجيد
«ولو أعجبك كثرة الخبيث» لأن خبيث
الشيء يبطل فائدته، وبحق بركته،
ويذهب بمنفعته **«فاتقوا الله يا أولي
الألباب»** [اختاروا صالح الأعمال على
سيئها، وكونوا مع صالحى الناس دون
أشرارهم].

**١٠١ «يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا
عن أشياء»** أي لا تسألوا النبي ﷺ عن
أشياء لا حاجة لكم بالسؤال عنها، ولا
هي مما يعينكم في أمر دينكم **«إن**

٩٨ «اعلموا أن الله شديد العقاب
وأن الله غفور رحيم» أمرهم بأن
يعلموا بأن الله لمن انتهك محارمه، ولم يتب
عن ذلك شديد العقاب، وأنه لمن تاب
وأتاب غفور رحيم.

٩٩ «إلا البلاغ» لهم، فإن لم يمتثلوا
ويطيعوا فاضروا إلا أنفسهم، وما جنوا
إلا عليها، وأما الرسول عليه الصلاة
والسلام فقد فعل ما يجب عليه، وقام بما
أمره الله به.

**١٠٠ «قل لا يستوي الخبيث
والطيب»** الخبيث والطيب: الحرام

وإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا^ج
 أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾
 يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِنْ ضَلَّ
 إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ
 تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا
 حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ
 مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ
 فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الْصَّلَاةِ
 فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ
 ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْإِيمَانِ ﴿١٠٦﴾
 فَإِنْ عَثَرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا
 مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوَّلَيْنِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ

١٠٤ ﴿قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ أي: قالوا لن نؤمن بالقرآن، ولا بالرسول، ويكفينا دين آبائنا ﴿أَوَّلُوا﴾ كان آبائهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون﴾ أي هل يقون على دين آبائهم ولو كانوا جهلة ضالين، فلا ينبغي لأحد أن يبقى على ما وجد الناس عليه مجرد ذلك، وخاصة إن تبين فيه الفساد، أو كان مخالفاً لكتاب الله أو سنة رسوله.

١٠٥ ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾ أي: الزموا أنفسكم، أو احفظوها ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾ المعنى: لا يضرركم ضلال من ضل من الناس، إذا اهتديتم للحق أنتم في أنفسكم. وقد دلت الآيات القرآنية، والأحاديث المتكاثرة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجوبا متحتمًا، فتحمل هذه الآية على من لا يقدر على القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أولا يظن التأثير بحال من الأحوال، أو يخشى على نفسه أن يحل به ما يضره ضررا يسوغ له معه الترك.

١٠٦ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنَكُمْ﴾ هذه الآيات الثلاث التالية أصعب ما في القرآن إعرابا ونظما وحكما ﴿شَهَادَةُ بَيْنَكُمْ﴾ الشهادة هنا: هي الشهادة التي تؤدَّى من الشهود ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ﴾ حضرت علاماته ﴿حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ﴾ أي: شهادة اثنين من رجالكم ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ من المسلمين ﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ من الكفار، فيكون في الآية دليل على جواز شهادة أهل الذمة على المسلمين في السفر في خصوص الوصايا، فإن عثر بعد ذلك على أنها استحقاقا إثما: أي كذبا أو خانا، حلف رجلان من أولياء الموصي، وغرم الشاهدان الكافران ما ظهر عليها من خيانة أو نحوها ﴿إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ هو السفر ﴿فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ

الموت﴾ فنزل بكم الموت وأردتم الوصية، ولم تجدوا شهودا عليها مسلمين، ثم ذهبوا إلى ورثتكم بوصيتكم، وبما تركتم، فارتابوا في أمرهما، وادعوا عليها خيانة ﴿تَحْبِسُونَهَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ﴾ تقفونها لليمين بعد صلاة العصر، وقيل: أو غيرها من الصلوات، إن ارتبتم في شهادتها ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ﴾ أي يقسم بالله الشاهدان على الوصية ﴿لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا﴾ أي فيحلفان بالله لا نبيع حظنا من الله تعالى بهذا العرض النزر، فنحلف به كاذبين لأجل المال الذي ادعيتموه علينا ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ أي ولو كان الشهود له قريبا، فإننا نؤثر الحق والصدق ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ﴾ داخل معه في حكم القسم.

١٠٧ ﴿فَإِنْ عَثَرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا﴾ إذا اطلع بعد التحليف على أن الشاهدين، أو الوصيين، استحقا إثما: إما بكذب في الشهادة، أو إيمان، أو بظهور خيانة ﴿فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾ أي فحالفتان آخران يقومان مقام الأولين، فيشهدان أو يحلفان، على ما هو الحق ﴿مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوَّلَيْنِ﴾



لَشَهِدْتُنَا أَحَقَّ مِنْ شَهِدَتِيهِمَا وَمَا أَعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ
الظَّالِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَلِكَ أَذْنِي أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا
أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانُ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا
وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٠٨﴾ * يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ
الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمْ قَالَُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ
عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَذْكُرُ
نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَلَدَتِكَ إِذْ أُيِّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ
تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ
كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي
وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ
بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ

تركة الميت، وزعما أنه قد صار في ملكها
بوجه من الوجوه، حلف رجلان من
الورثة وعمل بذلك.

١٠٩ ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾ هو يوم
القيامة ﴿فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمْ﴾ أي ماذا
أجابتكم به أممكم الذين بعثكم الله
إليهم؟ ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾ مع أنهم عالمون بما
أجابوا به، لكن قالوا هذا إظهارا للعجز،
وعدم القدرة، وهو تفويض الجواب إلى
الله. وقيل: إنهم ذهبلوا عما أجاب به
قومهم لهول المحشر.

١١٠ ﴿إِذْ كَرَّمْنَا نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ
وَلَدَتِكَ﴾ ذكره سبحانه نعمته عليه
وعلى أمه، لقصد تعريف الأمم بما
خصها الله به من الكرامة، وميزها به
من علو المقام، ولتوبيخ من اتخذها
إلهين، ببيان أن ذلك الإتيان عليها كله
من عند الله سبحانه، وأنها عبداً من
جملة عبادته، منعم عليها بنعم الله
سبحانه، ليس لها من الأمر شيء
﴿أَيُّدْتُكَ﴾ قوتك ﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ الروح
الطاهرة التي خصه الله بها، وقيل: إنه
جبريل عليه السلام ﴿تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي
الْمَهْدِ﴾ حال كونك صبياً ﴿وَكَهْلًا﴾ لا
يتفاوت كلامك في الحالتين ﴿وَإِذْ
عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ﴾ الخط ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ هي

الكلام المحكم ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ
كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ أي تصوّر طيناً مثل صورة
الطير ﴿فَتَنفُخُ فِيهَا﴾ في الهيئة المصورة
﴿فَتَكُونُ﴾ هذه الهيئة طائراً متحركاً حياً
كسائر الطيور ﴿وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ﴾ هو
الأعمى ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ﴾ من قبورهم،
فيكون ذلك آية لك عظيمة ﴿بِإِذْنِي﴾ كله
من جهة الله ليس لعيسى عليه السلام
فيه فعل إلا مجرد امتثاله لأمر الله سبحانه
﴿وَإِذْ كَفَفْتُ﴾ دفعت وصرفت ﴿بَنِي
إِسْرَءِيلَ عَنْكَ﴾ حين هموا بقتلك ﴿إِذْ
جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات الواضحات.

﴿أَيُّدْتُكَ﴾ أي ترد على الورثة، فيحلفون على
خلاف ما شهد به شهود الوصية،
فيفتضح حينئذ شهود الوصية. وحاصله
أن من حضره الموت، أشهد على وصيته
عدلين من عدول المسلمين، فإن لم يجد
شاهدين مسلمين، وكان في سفر، ووجد
كفاراً، جاز له أن يُشَهِدَ رجلين كافرين
منهم على وصيته. فإن ارتاب بها ورثة
الموصي، حلفا بالله على أنها شهدا بالحق،
وما كتما من الشهادة شيئاً، ولا خانا مما
تركة الميت شيئاً، فإن تبين بعد ذلك
خلاف ما أقسما عليه، أو ظهور شيء من

أي: من أقرب الناس إلى الميت.
﴿فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ﴾ على الشاهدين
الكافرين: لشهادتنا - على أنها كاذبان
خائنات - أحق من شهادتهما، أي من
يمينها على أنها صادقان أمينان ﴿وَمَا
أَعْتَدَيْنَا﴾ [أي ما حلفنا هذا زوراً
عليها].

١٠٨ ﴿ذَلِكَ أَذْنِي أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ
عَلَى وَجْهِهَا﴾ أي أقرب إلى أن يؤدي
الشهود المتحملون للشهادة على الوصية
الشهادة على وجهها، فلا يحرفوا ولا يبدلوا
ولا يخونوا ﴿أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانُ بَعْدَ

بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أُوحِيَتْ إِلَى الْخَوَارِجِ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَرَسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ الْخَوَارِجُ إِنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتُنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أَعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أَعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يُعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ

﴿إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ لما عظم ذلك في صدورهم، وانبهروا منه لم يقدرُوا على جحده بالكلية، بل نسبوه إلى السحر.

١١١ ﴿وَإِذْ أُوحِيَتْ إِلَى الْخَوَارِجِ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَرَسُولِي﴾ أي: أُمِيت الخواريين وقذفت في قلوبهم بالتوحيد والإخلاص، وقيل: معناه: أُمِرتهم على أسنة الرسل أن يؤمنوا بي ويؤمنوا برسالة رسولي ﴿قَالُوا ءَامَنَّا﴾ أي: استجاب الخواريون لدعوة عيسى عليه الصلاة والسلام ﴿وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ أي: أشهد يا رب بأننا مخلصون في إيماننا.

١١٢ ﴿إِذْ قَالَ الْخَوَارِجُ﴾ هم تلاميذ عيسى، قيل إنهم لم يشكوا في استطاعة الباري سبحانه، فإنهم كانوا مؤمنين عارفين بذلك. وقيل: إنهم طلبوا الطمأنينة، كما قال إبراهيم عليه السلام: (رب أرني كيف تحيي الموتى) الآية، ويدل على هذا قولهم من بعد: (وتطمئن قلوبنا) والمائدة: الخوان إذا كان عليه الطعام فأجابهم عيسى عليه السلام قائلا: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي اتقوه ودعوكم من هذا السؤال وأمثاله، إن كنتم صادقين في إيمانكم، فإن شأن المؤمن ترك الاقتراح على ربه على هذه الصفة.

١١٣ ﴿قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا﴾ [كان معه جمع كبير لم يجدوا طعاما يكفيهم] ﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُنَا﴾ بكمال قدرة الله، أو بأنك مرسل إلينا من عنده، أو بأن الله قد أجابنا إلى ما سألناه ﴿وَنَعْلَمُ أَنْ قَدْ صَدَقْتُنَا﴾ أي: نعلم علما يقينا بأنك قد صدقتنا في نبوتك ﴿وَنَكُونُ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ عند من لم يحضرها من بني إسرائيل، أو من سائر الناس.

١١٤ ولما رأى عيسى عليه السلام ما حكوه عن أنفسهم من قصدهم بإنزال

١١٥ فأجاب الله سبحانه سؤال عيسى عليه السلام فقال: ﴿إِنِّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ ووعدته الحق وهو لا يخلف الميعاد ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ﴾ أي بعد تنزيلها ﴿فَإِنِّي أَعَذِّبُهُ عَذَابًا﴾ أي تعذيبا ﴿لَا أَعَذِّبُهُ﴾ أي لا أعذب مثل ذلك التعذيب ﴿أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [أي لأنهم يكونون قد كذبوا بالحس بما رأوه بأم أعينهم]. عن ابن عباس قال: نزلت المائدة على عيسى ابن مريم والحواريين: خوان عليه سمك وخبز، يأكلون منه أينما تولوا إذا شاءوا.

المائدة ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا﴾ أي يكون يوم نزولها لنا عيداً، قيل: كان نزولها يوم الأحد، فاتخذوه عيداً ﴿لِأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا﴾ أي: لمن في عصرنا، ولمن يأتي بعدنا من ذرارينا وغيرهم ﴿وَأَيَّةً مِنْكَ﴾ أي: دلالة وحجة واضحة على كمال قدرتك، وصحة إرسالك من أرسلته ﴿وَارْزُقْنَا﴾ رزقا نستعين به على عبادتك ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ بل لا رازق في الحقيقة غيرك، ولا معطي سواك.

وإدراكهم .

١١٧ ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾
أي ما أمرتهم إلا بما أمرتني **﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾** أي: حفيظا ورقيبا أرعى أحوالهم، وأمنعهم عن مخالفة أمرك **﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾** أي: رفعتني إلى السماء. وليست الوفاة هنا بمعنى الموت، بل عيسى عليه السلام باق في السماء على الحياة التي كان عليها في الدنيا حتى ينزل إلى الأرض آخر الزمان. فلما رفعتني إلى السماء **﴿كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبُ عَلَيْهِمْ﴾** أي كنت الحافظ لهم، والعالم بهم، والشاهد عليهم.

١١٨ ﴿إِنْ تَعَذَّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ تصنع بهم ما شئت، وتحكم فيهم بما تريد **﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾** أي القادر على ذلك **﴿الْحَكِيمُ﴾** في أفعاله، قاله على وجه الاستعطاف كما يُستغطف السيد لعبده [ففي هذا القول من عيسى عليه السلام تبرؤ من القدرة على الحكم في أمته يوم القيامة بل الحكم فيهم إلى الله وحده. ورد أن النبي ﷺ صلى بهذه الآية ليلة حتى الصباح يردددها.]

١١٩ ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صَدُقَهُمْ﴾ أي صدقهم في الدنيا، وقيل في الآخرة **﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾** بما عملوه من الطاعات الخالصة له **﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾** بما جازاهم به مما لم يخطر لهم على بال، ولا تتصوره عقولهم. والفوز: الظفر المطلوب على أتم الأحوال.

١٢٠ ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾
دون عيسى وأمه وسائر من ادَّعيت لهم الربوبية، ودون سائر مخلوقات الله تعالى **﴿وَمَا فِيهِنَّ﴾** أي من جميع الخلائق كلهم ملك لله تعالى، فليس له ولد ولا والد **﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** أي فلن يحتاج منهم إلى نصير ينصره.

أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ
قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ
كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي
نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا
أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ
شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبُ
عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِنْ تَعَذَّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ
عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾
قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صَدُقَهُمْ لَكُمْ جَنَّاتُ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾

الله تعالى ما بعثه إليهم إلا ليعبدوا الله وحده **﴿سُبْحَانَكَ﴾** أي أنزهك تنزيها **﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ﴾** أي ما ينبغي لي أن أدعي لنفسي ما ليس من حقها **﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾** رد ذلك إلى علمه سبحانه **﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي﴾** ما أكتمه في صدري عن الناس لا يخفى عليك، **﴿سُبْحَانَكَ﴾** **﴿وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾** نفى عيسى عن نفسه علم غيب الله تعالى وما يريد الله أن يفعله **﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾** وهو كل ما غاب عن حواس بني آدم

١١٦ ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ﴾ يعني: اذكر يا محمد يوم القيامة يوم يقول الله تعالى هذا القول لعيسى بن مريم. وقيل: بل هذا قول قاله الله تعالى لعيسى عند رفعه إلى السماء لما قالت النصراني فيه ما قالت. [وإنما يسأله الله تعالى عن هذا القول، وهو يعلم أنه لم يقله، توبيخا للنصارى وقطعا لحجتهم] وقيل: يقوله أيضا لقصد تعريف المسيح أيضا عليه السلام بأن قومه قد غيروا بعده، وقالوا عليه ما لم يقله، من اتخاذه ربًا من دون الله، وعبدوه وأمه من دون الله، مع أن

(٦) سُورَةُ الْاِنْعَامِ مَكِّيَّةٌ
وَاَيَاتُهَا خَمْسٌ وَسِتُّونَ وَقَاتَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ
الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾
هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى
عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي
الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾
وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا
مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ
يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ

سُورَةُ الْاِنْعَامِ

وهي مكية إلا ست آيات منها. عن ابن عمر رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نزلت على سورة الأنعام جملة واحدة يشيعها سبعون ألف ملك لهم زجلٌ بالتسبيح والتحميد.»

١ **الحمد لله** بدأ سبحانه هذه السورة بالحمد لله، للدلالة على أن الحمد كله له، ولإقامة الحجة على الذين هم برهم يعدلون **«خلق السماوات والأرض»** إخبار عن قدرة الله الكاملة الموجبة لاستحقاقه لجميع المحامد **«وجعل الظلمات والنور»** سواد الليل وضياء النهار، وظلمة الكفر ونور الإيمان **«ثم الذين كفروا بربهم يعدلون»** أي وبعد هذا الخلق العظيم يعدلون به ويساوون به ما لا يقدر على شيء مما يقدر عليه، وهذا نهاية الحق وغاية الرقاعة.

٢ **«هو الذي خلقكم من طين»** المراد آدم عليه السلام **«ثم قضى أجلًا»** يعني الموت **«وأجل مسمى عنده»** يعني القيامة. وقيل: الأول ما بين أن يُخلَقَ الإنسان إلى أن يموت، والثاني ما بين أن يموت إلى أن يبعث. وقيل: الأول مدة الدنيا، والثاني عمر الإنسان إلى حين موته **«ثم أنتم تمترون»** أي كيف تشكؤون في البعث، مع مشاهدتكم في أنفسكم من الابتداء والانتها ما يذهب بذلك، فإن من خَلَقَكُمْ من طين، وصيركم أحياء تعلمون وتعتقلون، وخلق لكم هذه الحواس والأطراف، ثم سلب ذلك عنكم، فصرتم أمواتا، وعدتم إلى ما كنتم عليه من الجمادية، لا يعجزه أن يبعثكم، ويعيد هذه الأجسام كما كانت، ويرد إليها الأرواح.

٣ **«وهو الله في السماوات وفي الأرض»** أي هو المعبود أو المالك أو المتصرف في السماوات والأرض. وقيل

المعنى: وهو الله يعلم سركم وجهركم في السماوات وفي الأرض فلا تخفي عليه خافية.

٤ **«وما تأتيتهم من آية من آيات ربهم»** كمعجزات الأنبياء، وما يصدر عن قدرة الله الباهرة مما لا يشك من له عقل أنه يفعل الله سبحانه، والآيات التي يجب أن يستدلوا بها على توحيد الله.

٥ **«فقد كذبوا»** أي إن كانوا معرضين عنها فقد كذبوا بما هو أعظم من ذلك وهو الحق **«لما جاءهم»** القرآن، وقيل: محمد ﷺ **«فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا**

به يستهزئون» أي سيعرفون أن هذا الشيء الذي استهزأوا به ليس بموضع للاستهزاء، وذلك عند إرسال عذاب الله عليهم.

٦ **«ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن»** القرن: يطلق على أهل كل عصر، أي: ألم يعرفوا بسماع الأخبار، ومعاينة الآثار، كم أهلكنا من قبلهم من الأمم الموجودة في عصر بعد عصر لتكذيبهم أنبياءهم **«مكنهم في الأرض ما لم**

الذين هم قبلكم ما لم نعطكم من الدنيا

أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّهِمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ تُمَكِّنْ
لَكَرُّ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا
ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ
بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾
وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَقُضِيَ الْأَمْرُ
ثُمَّ لَا يَنْظُرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكَ لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا
وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ
قَبْلَكَ حَقًّا بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠﴾
قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ
الْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمعَكُمْ إِلَىٰ

يشاهدونه ويخاطبونه، لجعلنا ذلك الملك رجلاً، لأنهم لا يستطيعون أن يروا الملك على صورته التي خلقه الله عليها إلا بعد أن يتجسم بالأجسام الكثيفة المشابهة لأجسام بني آدم، فلو جعل الله سبحانه الرسول إلى البشر ملكاً مشاهداً مخاطباً، لفروا منه ولم يأتسوا به ولداخلهم الرعب، وحصل معهم من الخوف ما يمنعهم من كلامه ومشاهدته **«وللبسنا عليهم ما يلبسون»** لأنهم إذا رأوه في صورة إنسان قالوا: هذا إنسان وليس بملك، فيعود الأمر إلى الالتباس عليهم.

١٠ «فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون» أي فتزل ما كانوا به يستهزئون، وأحاط بهم: وهو الحق حيث أهلكوا من أجل الاستهزاء به.

١١ «قل سيروا في الأرض» سافروا في الأرض، وانظروا آثار من كان قبلكم لتعرفوا ما حل بهم من العقوبات، بعد ما كانوا فيه من النعم العظيم، فأنتم بهم لاحقون وبعد هلاكهم هالكون إن سرتهم على طريقته في التكذيب.

١٢ «قل لمن ما في السماوات والأرض قل لله» المعنى: قل لهم هذا القول، فإن قالوا، فقل: هي لله، إما باعترافهم، أو بقيام الحجة عليهم، أي: فالله قادر على أن يعاجلهم بالعقاب، ولكنه **«كتب على نفسه الرحمة»** فلا يعاجلهم بالعقوبة، بل يقبل منهم الإنابة والتوبة. ومن رحمته لهم إرسال الرسل، وإنزال الكتب، ونصب الأدلة. عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «لما قضى الله الخلق كتب كتاباً، فوضعه عنده فوق العرش: إن رحمتي سبقت غضبي» **«ليجمعنكم إلى يوم القيامة»** يمهلنكم وليؤخرن جمعكم في القبور إلى اليوم الذي أنكرتموه.

وطول الأعمار وقوة الأبدان، وقد أهلكناهم جميعاً، فإهلاككم وأنتم دونهم أهون **«وأرسلنا السماء عليهم مدراراً»** المطر الكثير **«من تحتهم»** من تحت أشجارهم ومنازلهم.

٧ «فلمسوه بأيديهم» حتى يجتمع لهم الإدراك بحاسة البصر وحاسة اللمس **«لقال الذين كفروا»** منهم **«إن هذا إلا سحر مبين»** ولم يعملوا بما شاهدوا ولمسوا، وإذا كان هذا حالهم في المرئي المحسوس، فكيف فيما هو مجرد وحي إلى رسول الله ﷺ بواسطة ملك لا يروونه ولا يحسونه.

٨ «وقالوا لولا أنزل عليه ملك» أي قالوا: هلا أنزل الله عليك ملكاً نراه، ويكلمنا أنك نبي، حتى نؤمن بك ونتبعك **«ولو أنزلنا ملكاً»** أي لو أنزلنا ملكاً على الصفة التي اقترحوها بحيث يشاهدونه ويخاطبونه ويخاطبهم **«لقضي الأمر»** لأهلكناهم إذا لم يؤمنوا عند نزوله ورؤيتهم له **«ثم لا ينظرون»** أي لا يمهلون بعد نزوله ومشاهدتهم له.

٩ «ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً» أي لو جعلنا الرسول إلى النبي ملكاً

يَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ اتَّخِذْ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ

﴿الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون﴾
[أي إن الذين لا يؤمنون بذلك سيتبين لهم يوم الجمع أنهم بعملهم هذا قد خسروا وجودهم].

١٢ ﴿وله ما سكن في الليل والنهار﴾
[أي كل شيء. فإن الأشياء منها ما هو ساكن كل الوقت وهو الجمادات، ومنها ما يسكن في الليل وهو أغلب الحيوانات، ومنها ما يسكن في النهار ككثير من الطيور والحشرات والسباع] وقيل المراد: وله ما سكن في الليل والنهار وما تحرك فيها.

١٤ ﴿قل أغير الله اتخذ ولياً﴾ قال لهم ذلك لما دعوهم إلى عبادة الأصنام، أي كيف اتخذ غير الله معبوداً ﴿فاطر السماوات والأرض﴾ هو الذي ابتداء خلقها من العدم ﴿وهو يطعم ولا يطعم﴾ [أي يرزق الناس ما يأكلون، وهو غني عن الطعام لا يأكل، فلا يحتاج إلى من يطعمه] ﴿قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم﴾ أمره الله بعدما تقدم من إنكاره اتخاذ غير الله ولياً أن يقول لهم بأنه مأمور أن يكون أول من أسلم وجهه لله من قومه، وأول من استسلم لأمر الله، [من هذه الأمة].

١٥ ﴿إن عصيت ربِّي﴾ بعبادة غيره، أو مخالفة أمره أو نهيهِ ﴿عذاب يوم عظيم﴾ هو يوم القيامة، حين يحاسب العصاة على أعمالهم، ويعذبون إلا من رحم الله.

١٦ ﴿من يصرف عنه يوم القيامة﴾ أي من يصرف عنه العذاب يوم القيامة ﴿فقد رحمه﴾ [أي غلِّم أنه من أهل الرحمة وسيدخل جنة الله].

١٧ ﴿وإن يمسسك الله بضرٍ﴾ أي إن يُنزل الله بك ضرراً من فقر أو مرض ﴿فلا كاشف له إلا هو﴾ أي لا قادر على رفع الضرر الذي ينزل بك أحد غير الله ﴿وإن يمسسك بخيرٍ﴾ من رخاء أو

عافية ﴿فهو على كل شيء قدير﴾ ومن جملة ذلك المس بالشر والخير.

١٨ ﴿وهو القاهر﴾ الغالب ﴿فوق عباده﴾ بفوقية الاستعلاء بالقهر والغلبة عليهم وفي القهر معنى زائد ليس في القدرة، وهو منع الغير عن بلوغ المراد.

١٩ ﴿قل أي شيء أكبر شهادة﴾ أي شهيد أكبر شهادة ﴿الله شهيد بيني وبينكم﴾ هو الجواب، لأنه إذا كان الله هو الشهيد بينه وبينهم، كان أكبر شهادة له ﷻ، وقيل: إنه قد تم الجواب عند قوله ﴿قل الله﴾ يعني الله أكبر شهادة، ثم

ابتداء فقال ﴿شاهد بيني وبينكم﴾ أي هو شهيد بيني وبينكم ﴿وأوحى إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ﴾ لأجل أن أنذركم به، وأنذر به من بلغ إليه من الناس جميعاً بجميع شعوبهم وأصنافهم، من موجود ومعدوم سيوجد في الأزمنة المستقبلية فأحكام القرآن شاملة للبشر والجن جميعاً من كان منهم موجوداً يوم الرسالة أو يوجد بعدها إذا بلغتهم دعوة الإسلام وسمعوا بهذا القرآن، وهو نذير لهم بأنهم مسؤولون عن استجابتهم لدعوة الله، وعن أعمالهم في الدنيا، عند لقاء



إِنِّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ
 قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾
 الَّذِينَ اتَّيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ
 الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ
 مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِعَايَتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ
 الظَّالِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا
 أَيْنَ شُرَكَاءُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتْنَتَهُمْ
 إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ
 كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾
 وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ
 يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلَّآيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا
 حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا

بين العابدين وبين المعبودين من دون الله
 ﴿أين شركاؤكم﴾ لم تكن شركاء لله في
 الحقيقة، بل سموها شركاء، فأضيفت
 إليهم، وهي ما كانوا يعبدونه من دون
 الله، أو يعبدونه مع الله ﴿الذين كنتم
 تزعمون﴾ أي تزعمونها شركاء، لم
 ينفعوهم في تلك الحال، أو كانت
 حاضرة ولكن لا ينتفعون بها بوجه من
 الوجوه، فكان وجودها كعدمها، فوبخهم
 بندائهم لهم: أين هي لتفعلكم؟

٢٣ ﴿ثم لم تكن فتنتهم﴾ أي لم تكن
 عاقبة كفرهم الذي افتخروا به وقاتلوا
 عليه ﴿إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا
 مشركين﴾ أي لم يكن جوابهم إلا الجحود
 والتبري من ذلك الفعل.

٢٤ ﴿انظر كيف كذبوا على أنفسهم﴾
 بإنكار ما وقع منهم في الدنيا من الشرك
 ﴿وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ أي زال
 وذهب افتراؤهم، وتلاشى وبطل ما
 كانوا يظنونونه من أن الشركاء يقربونهم
 إلى الله، وفارقهم ما كانوا يعبدون من
 دون الله، فلم يغن عنهم شيئا.

٢٥ ﴿ومنهم من يستمع إليك﴾ هذا
 كلام مبتدأ لبيان ما كان يصنعه بعض
 المشركين في الدنيا، يستمع إليك حين
 تتلو القرآن ﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة﴾
 أي وقد جعلنا على قلوبهم أغشية كراهة
 أن يفقهوا القرآن. والوقر الصمم، فقلوبهم
 لا تعقل، وأسماعهم لا تدرك ﴿حق إذا
 جاءوك يجادلونك﴾ والمعنى أنهم بلغوا من
 الكفر والعناد أنهم إذا جاءوك مجادلين لم
 يكتفوا بمجرد عدم الإيمان، بل يقولون
 ﴿إن هذا إلا أساطير الأولين﴾ أي
 ليس هذا القرآن إلا مما سطره الأولون في
 الكتب من القصص والأحاديث
 والثرهات [زعموا أن محمدا ﷺ أخذ
 القرآن من تلك القصص والأخبار،
 وما هو إلا تنزيل العزيز الحميد].

وتمردهم هم الذين لا يؤمنون بما جاء به
 رسول الله ﷺ.

٢١ ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله
 كذبا﴾ أي لا أحد أظلم ممن اختلق على
 الله الكذب، فقال إن في التوراة أو
 الإنجيل أو القرآن ما لم يكن فيها ﴿أو
 كذب بآياته﴾ من المعجزة الواضحة
 البينة، أو من آيات القرآن العظيم فجمع
 بين كونه كاذبا على الله، ومكذبا بما
 أمره الله بالإيمان به.

٢٢ ﴿ويوم نحشرهم جميعا﴾ أي اذكر
 لهم خبر يوم القيامة يوم يجمع الله عنده

الله.
 ﴿قل لا أشهد﴾ أي فانا لا أشهد معكم
 بأن مع الله آلهة أخرى لكون هذه
 الشهادة من أبطل الباطل ﴿وانني بريء
 مما تشركون﴾ أي من الأصنام التي
 تجعلونها آلهة، أو من إشراككم بالله.

٢٠ ﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ التوراة
 والإنجيل وغيرهما: يعرفون رسول الله ﷺ
 ﴿كما يعرفون أبناءهم﴾ أي فإن الإنسان
 لا يعرفه أحد كما يعرفه أبوه وأمه ﴿الذين
 خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون﴾ أي إن
 الكفار الخاسرين لأنفسهم بعنادهم

إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْعَوْنَ
عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ
تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ
بِعَايَتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَأَ لَهُمْ
مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ
وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا
وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ
قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا
الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا
بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْسِرْتَنَّا
عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ
أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ

٢٦ ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ﴾ أي ينهى المشركون الناس عن الإيمان بالقرآن، أو بمحمد ﷺ و يبعدون هم في أنفسهم عنه. وقيل إنها نزلت في أبي طالب، فإنه ينهى الكفار عن أذية النبي ﷺ ويبعد هو عن إجابته ﴿وَأَنْ يَهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أي ما يهلكون بما يقع منهم من النهي والنهي إلا أنفسهم، بتعريضها لعذاب الله وسخطه، وما يشعرون بهذا البلاء الذي جلبوه على أنفسهم.

٢٧ ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ﴾ حُجِسُوا بقربها معانين لها، لرأيت منظرا هائلا وحالا فظيما ﴿فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ أي إلى الدنيا ﴿وَلَا نَكُذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا﴾ تمنوا الرد وألا يكذبوا وأن يكونوا من المؤمنين.

٢٨ ﴿بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ﴾ أي ظهر لهم ما كانوا يخفون من النفاق والكفر وسيء الأعمال، وعرفوا أنهم هالكون بشركهم، فعدلوا إلى التقي والمواعيد الكاذبة [ويحتمل أن المراد: ظهر لهم حقيقة ما كانوا يخفونه في قلوبهم من صدق محمد ﷺ في أخباره، وإن ادَّعوا في مجامعهم تكذيبهم له] ﴿وَلَوْ رُدُّوا﴾ إلى الدنيا حسبما تمنوا ﴿لَعَادُوا﴾ لفعل ما نهوا عنه من القبائح التي رأسها الشرك، كما عاين إبليس ما عاين من آيات الله ثم عاند ﴿وَأَنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في وعدهم بأن يكونوا مؤمنين، وإنما يقولون ذلك لمجرد الخلاص مما هم فيه.

٢٩ ﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ أي ما هي إلا حياتنا الدنيا [أي فنحن نعمل كل أعمالنا لحياتنا الدنيا، ولن نعمل للآخرة لأنها ليست موجودة] ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ بعد الموت.

٣٠ ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ أي حبسوا على ما يكون من أمر ربهم فيهم، لشاهدت أمرا عظيما، فيقول لهم ﴿أَلَيْسَ

هذا بالحق﴾ أي أليس هذا البعث الذي تنكرونه كائنا موجودا، وهذا الجزاء الذي تجحدونه حاضرا ﴿قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ اعترفوا بما أنكروا، وأكدوا اعترافهم بالقسم ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ أي بسبب كفركم به.

٣١ ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾ والمراد تكذبتهم بالبعث، وبالجزاء ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ﴾ أي القيامة ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿قَالُوا يَا حَسْرَتُنَا﴾ والحسرة: الندم الشديد ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ أي على تفريطنا في الساعة: أي في

الاعتداد لها، والاحتفال بشأنها، والتصديق بها ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ﴾ أي ذنوبهم، والمعنى: أنها لزمتهم الآثام، فصاروا مثقلين بها كأنها على الظهور ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ أي بشس ما يحملون، أي يحشرون وما أثموا به على ظهورهم بغية تعذيبهم به.

٣٢ ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ والقصد بالآية: تكذيب الكفار في قولهم ما هي إلا حياتنا الدنيا [أما الحياة الحقيقية التي ينبغي العمل لها فهي دار الآخرة، لأنها الدائمة بلا انقطاع].

وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾
 قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ
 وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِعَايَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَتْ
 رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى
 أَنْتَهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ
 نَبِيِّ الْأُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ
 اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ
 فَتَأْتِيَهُمْ بِعَايَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا
 تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾ * إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ
 يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾
 وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ
 عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾



الإعراض عما دعى إليه هو كائن لا محالة، لما سبق في علم الله عز وجل، وليس في استطاعته وقدرته إصلاحهم وإجابتهم قبل أن يأذن الله بذلك **﴿فإن استطعت أن تبغى نفقا في الأرض﴾** فتأتهم بآية منه **﴿أو سُلَّمًا في السماء فتأتهم بآية﴾** منها فافعل، ولكنك لا تستطيع ذلك، فدع الحزن. والنفق: السَّرْبُ والمنفذ، والسلم: الدرج الذي يرتقى عليه. والله سبحانه في ذلك حكمة، فلو جاء لرسوله ﷺ بآية تضطرهم إلى الإيمان لم يبق للتكليف الذي هو الابتلاء والامتحان معنى، ولهذا قال **﴿ولو شاء الله لجمعهم على الهدى﴾** جمع إلقاء وقشر، ولكنه لم يشأ ذلك، والله الحكمة البالغة **﴿فلا تكونن من الجاهلين﴾** فإن شدة الحرص والحزن لإعراض الكفار عن الإجابة قبل أن يأذن الله بذلك هو صنيع أهل الجهل ولست منهم.

٣٦ ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ سماع تفهم حسبما تقتضيه العقول، وتوجيه الأفهام، وهؤلاء ليسوا كذلك، بل هم بمنزلة الموتى، الذين لا يسمعون ولا يعقلون **﴿والموتى يبعثهم الله﴾** [أي كما أن الله يبعث الموتى، كذلك هؤلاء الكفار قد يُقْبَلُ بقلوبهم الله إلى فهم ما جئت به].

٣٧ ﴿وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه﴾ ومرادهم بالآية هنا: هي التي تضطرهم إلى الإيمان، كنزول الملائكة برأى منهم ومسمع، أو نتق الجبل، فأمره أن يجيبهم بأن **﴿الله قادر على أن ينزل آية﴾** على رسوله تضطرهم إلى الإيمان، ولكنه ترك ذلك لتظهر فائدة التكليف الذي هو الابتلاء والامتحان، وأيضا لو أنزل آية كما طلبوا لم يمهلهم بعد نزولها، بل سيعاجلهم بالعقوبة إذا لم يؤمنوا.

فاقتد بالرسول الذين من قبلك، ولا تحزن، واصبر كما صبروا على ما كذبوا به وأودوا، حتى يأتيتك نصرنا كما أتاهم، وأنت منصور على المكذبين، ظاهر عليهم. وقد كان ذلك والله الحمد **﴿ولقد جاءك من نبي المرسلين﴾** أي بعض أخبارهم وكيفية إنجاء الله لهم ومن معهم من المؤمنين وكيف أهلك الله المكذبين.

٣٥ ﴿وإن كان كبر عليك إعراضهم﴾ كان النبي ﷺ يكبر عليه إعراض قومه ويتعاضمه ويحزن له، فبيّن له الله سبحانه، أنّ هذا الذي وقع منهم من

﴿وللدار الآخرة خير للذين يتقون﴾ أي للذين يتقون الشرك، والمعاصي.

٣٣ ﴿قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون﴾ أي فلا تحزن **﴿فإنهم لا يكذبونك﴾** أي لا ينسبونك أنت إلى الكذب، فإنهم يعترفون لك بالصدق، ولكن تكذيبهم راجع إلى ما جئت به، ولهذا قال **﴿ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾** أي إنما يكذبون في الحقيقة آيات الله وكتابه.

٣٤ ﴿ولقد كذبت رسل من قبلك﴾ هذا من جملة التسلية لرسول الله ﷺ أي

وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَالِكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِعَايُنِنَا صُمْ وَبُكْرٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَاكُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا

٣٨ ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَالِكُمْ﴾ [أصناف مصنفة لكل منها تقومها الخاص في تكوينها ومعاشها وتجميعها وتغذيتها وغير ذلك من شئون حياتها] خلقهم الله كما خلقكم، ورزقهم كما رزقكم، وهي داخله تحت علمه وتقديره وإحاطته بكل شيء. وقيل: **﴿أَمْثَالِكُمْ﴾** في ذكر الله والدلالة عليه **﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾** من شئونكم وشئون تلك الأمم، والمراد بالكتاب: اللوح المحفوظ، فإن الله أثبت فيه جميع الحوادث **﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾** يعني الأمم المذكورة. وفيه دلالة على أنها تحشر كما يحشر بنو آدم. عن أبي هريرة قال «ما من دابة ولا طائر إلا سيحشر يوم القيامة، ثم يُقْتَصُّ لبعضها من بعض، حتى يقتصر للجلحاء من ذات القرن، ثم يقال لها: كوني ترابا، فعند ذلك يقول الكافر (يا ليتني كنت ترابا) وقيل: المراد بالحشر المذكور حشر الكفار.

٣٩ ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمْ﴾ أي لا يسمعون بأسماعهم **﴿وَبُكْرٌ﴾** لا ينطقون بالسنتهم **﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾** أي في ظلمات الكفر والجهل والحيرة، لا يهتدون لشيء مما فيه صلاحهم، لعدم الانتفاع بالأبصار والأسماع، فكانت حواسهم كالمسلوبة التي لا ينتفع بها بحال، [أي إنهم كرجل أعمى أخرس في ظلمة شديدة لا يستطيع أن يرى طريقه، ولا أن يدعو الناس فيدلوه عليها، ولا يراه أحد من بعيد فيدله، فكيف يصل إلى غرضه ويهتدي إلى سبيل النجاة].

٤٠ ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ﴾ أي أخبروني **﴿أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ﴾** أي أتدعون في هذه الحالة - وهي حالة مجيء العذاب، أو قيام الساعة - أحدا غير الله من الأصنام التي تعبدونها، أم تدعون الله سبحانه **﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾** في دعوكم أن أصنامكم تضر وتنفع، وأنها آلهة كما تزعمون.

٤١ ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾ لا تدعون غيره، بل تخلصون له الدعاء في هذه الأحوال المهمة **﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾** أي فيرفع الله ما تدعونه لرفعه من العذاب إن شاء **﴿وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾** الأصنام ونحوها، فلا تدعونها ولا ترجون كشف ما بكم منها، بل تعرضون عنها إعراض الناسي [لأنكم ترون حينئذ أنه ليس فيها فائدة].

٤٢ ﴿وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ أي فإذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم أي صلبت وغلظت **﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** أي أغواهم بالتصميم على الكفر.

٤٣ ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ لما تركوا الاعتنا بما ذكروا به من البأساء

الفقر والمصائب في الأموال **﴿وَالضَّرَاءِ﴾** المرض والمصائب في الأبدان **﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾** أي يدعون الله بضرعة، وهي الدل.

٤٤ ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ لما تركوا الاعتنا بما ذكروا به من البأساء

بِمَا أَوْتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ
دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾
قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى
قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظِرْ كَيْفَ نَصَرَفُ
الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ
عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾
وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ
وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَالَّذِينَ
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾
قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ
وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ
هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾

يعودون بعد ذلك إلى النماء والتكاثر [والحمد لله رب العالمين] أي على هلاكهم، وفيه تعليم للمؤمنين كيف يحمّدونه عند نزول النعم التي من أجلها هلاك الظلمة، الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون، فإنهم أشد على عباد الله من كل شديد، اللهم أرح عبادك المؤمنين من ظلم الظالمين، واقطع دابرهم، وأبدلهم بالعدل الشامل.

٤٦ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أي أخبروني ﴿إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ﴾ أخذ القوى التي فيها، أو طمس الجهازين طمساً

والضراء وأعرضوا عن ذلك ﴿ففتحنا عليهم أبواب كل شيء﴾ استدرجناهم بفتح أبواب كل نوع من أنواع الخير عليهم ﴿حتى إذا فرحوا بما أوتوا﴾ من الخير على أنواعه فرح بطير وأشر، وأعجبوا بذلك، وظنوا أنهم إنما أعطوه لكون كفرهم الذي هم عليه حقاً وصواباً ﴿أخذناهم بغتة﴾ أي فجأة وهم غير مترقبين لذلك ﴿فإذا هم مبلسون﴾ المبلس: الحزين الآيس من الخير لشدة ما نزل به من سوء الحال.

٤٥ ﴿فقطع دابر القوم الذين ظلموا﴾ أي استؤصلوا جميعاً حتى آخرهم، [فلا

﴿وختم على قلوبكم﴾ حتى ما عاد بإمكانها أن تعقل شيئاً ﴿من إله غير الله﴾ يأتاكم به، بذلك المأخوذ ﴿انظر﴾ يا محمد ﴿كيف نصرف الآيات﴾ تعجيباً له من ذلك، والتصريف: المجيء بها على جهات مختلفة، تارة إنذار، وتارة إعداء، وتارة ترغيب، وتارة ترهيب ﴿ثم هم يصدفون﴾ يعرضون.

٤٧ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ﴾ أي أخبروني عن ذلك إذا أتاهم ﴿بغتة﴾ فجأة: أي من دون مقدمات تدل على العذاب، بل هم عنه غافلون ﴿أو جهرة﴾ الجهرة: أن يأتي العذاب بعد ظهور مقدمات تدل عليه، فهم لذلك يرونه آتياً ﴿هل يهلك إلا القوم الظالمون﴾ أي ما يهلك هلاك تعذيب وسخط إلا القوم الظالمون.

٤٨ ﴿وما نرسل المرسلين إلا مبشرين﴾ لمن أطاعهم بما أعد الله لهم من الجزاء العظيم ﴿ومنذرين﴾ لمن عصاهم بما لهم عند الله من العذاب الويل ﴿فمن آمن﴾ بما جاءت به الرسل ﴿وأصلح﴾ حال نفسه بفعل ما يدعونه إليه ﴿فلا خوف عليهم﴾ بوجه من الوجوه ﴿ولا هم يحزنون﴾ على ما فاتهم من الدنيا.

٥٠ ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ خزائن قدرة الله حتى يأتهم بما اقترحوه من الآيات، ويقول لهم: إنه لا يعلم الغيب حتى يخبرهم به ويعرفهم بما سيكون في مستقبل الدهر ﴿ولا أقول لكم إني ملك﴾ حتى تكلفوني من الأفعال الخارقة للعادة مالا يطيقه البشر ﴿إن أتبع إلا ما يوحى إلي﴾ أمرت بتبليغي إليكم ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ لا يستوي الضال والمهتدي، أو المسلم والكافر ﴿أفلا تفكرون﴾ في ذلك حتى تعرفوا عدم الاستواء بينهما، فتتبعوا طريقة من أبصر واهتدى؟

وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ
 مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ
 الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ
 مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ
 مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَلِكَ
 فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مِنْ اللَّهِ عَلَيْهِمْ
 مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَاءَكَ
 الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ
 عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ
 تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَلِكَ
 نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾
 قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ

٥١ ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ لأن الإنذار يؤثر فيهم لما حل بهم من الخوف من الله، بخلاف من لا يخاف الحشر من طوائف الكفر لمحوده به وإنكاره له، فإنه لا يؤثر فيه ذلك، فيشمل كل من آمن بالبعث من المسلمين وأهل الذمة وبعض المشركين، وإن لم يكن مصدقا به في الأصل، لكنه يخاف أن يصح ما أخبر به النبي ﷺ فإن من كان كذلك تكون الموعظة فيه أنفع، والتذكير له أنفع **﴿لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾** لا ولي لهم يواليهم، ولا نصير ينصرهم، ولا شفيع يشفع لهم عند الله لينجيهم من عذابه. وفيه رد على من زعم من الكفار المعترفين بالحشر أن آبائهم يشفعون لهم، وهم أهل الكتاب، أو أن أصنامهم تشفع لهم، وهم المشركون.

٥٢ ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ يصلون له صباحا ومساء، ويذكرونه وهم مخلصون في عبادتهم، لا يريدون بذلك إلا وجه الله تعالى **﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾** حساب هؤلاء هو على أنفسهم ما عليك منه شيء، وحسابك على نفسك ما عليهم منه شيء، فعلام تطردهم؟ أي: فأقبل عليهم وجالستهم، ولا تطردهم مراعاة لحق من ليس على مثل حالهم في الدين والفضل **﴿فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾** أي إن طردتهم كنت من الظالمين.

٥٣ ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾ فتنا التكبرين بالمستضعفين **﴿لِيَقُولُوا﴾** ليقول الأولون **﴿أَهَؤُلَاءِ﴾** الذين **﴿مِنْ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾** أكرمهم بإصابة الحق دوننا **﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾** يقول الله لهم: فإياكم تعترضون بالجهل وتنكرون الفضل؟

٥٤ ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا﴾ هم الذين ناه الله عن طردهم، وهم المستضعفون من المؤمنين **﴿فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾** تطيبا لخواطهم وإكراما لهم. وقد كان النبي ﷺ بعد نزول هذه الآية إذا رآهم بدأهم بالسلام **﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾** أي أوجب ذلك على نفسه إيجاب فضل وإحسان، وقيل: كتب ذلك في اللوح المحفوظ. قيل: هذا من جملة ما أمره الله سبحانه بإبلاغه إلى أولئك تبشيرا بسعة مغفرة الله وعظيم رحمته **﴿أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ﴾** فعل فعل الجاهلين، لافعل أهل الحكمة والتدبير، وكل ذنب فهو بجهالة، انظر (سورة النساء/١٧) **﴿ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ﴾** أي من بعد عمله **﴿وَأَصْلَحَ﴾** ما أفسده بالمعصية، فراجع الصواب، وعمل الطاعة **﴿فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾**. **٥٥ ﴿وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ﴾** من أمر الدين، وتبيين لهم حكم كل طائفة **﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ﴾** أي لتظهر لك طريقة الكفار والمعاندين الذين يأمرونك بطرد المستضعفين، من سبيل المؤمنين.

﴿أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا﴾



قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ
 الْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ
 مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ ۚ إِنِ الْحُكْمُ لِلَّهِ يَقْضُ
 الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ لَّوْ أَن عِنْدِي
 مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
 بِالظَّالِمِينَ ﴿٥٨﴾ * وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا
 إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ
 إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ
 وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم
 بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ
 أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ
 تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ

أي ما تطلبون تعجيله، بأن يكون إزاله
 بكم مقدوراً لي وفي وسمي **«لقضي الأمر
 بيني وبينكم»** لو كان العذاب الذي
 تطلبونه وتستعجلون به عندي وفي قبضتي
 لأنزلته بكم، وعند ذلك يقضى الأمر بيني
 وبينكم.

٥٩ «وعنده مفاتيح الغيب» أي مخازن
 الغيب، وقيل: المعنى مفاتيح خزائن
 الغيب **«لا يعلمها إلا هو»** لا علم لأحد
 من خلقه بشيء من الأمور الغيبية التي
 استأثر الله بعلمها، وهذا ما يدفع أباطيل
 الكهان والمنجمين والرمليين وغيرهم من
 المدعين ماليس من شأنهم، وقال النبي ﷺ
 «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا
 الله: لا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم
 ما تفيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم متى
 يأتي المطر إلا الله، ولا تدري نفس بأي
 أرض تموت إلا الله، ولا يعلم أحد متى
 تقوم الساعة إلا الله» **«ويعلم ما في البر
 والبحر»** من حيوان وجماد علما مفصلا
«وماتسقط من ورقة إلا يعلمها» أي
 من ورق الشجر يعلمها، ويعلم زمان
 سقوطها ومكانه **«ولا حبة»** كائنة **«في
 ظلمات الأرض»** أي في الأمكنة
 المظلمة، في بطن الأرض **«ولا رطب ولا
 يابس»** يشمل جميع الموجودات **«إلا في
 كتاب مبين»** هو اللوح المحفوظ.

٦٠ «يتوفاكم بالليل» أي ينيمكم فيه،
 فيقبض فيه نفوسكم التي بها تميزون
«ويعلم ما جرحتم بالنهار» أي كسبتم
 بجوارحكم من الخير والشر **«ثم يبعثكم
 فيه»** أي في النهار يعني اليقظة **«ليقضى
 أجل مسمى»** أي معين لكل فرد من
 أفراد العباد من حياة ورزق.

٦١ «وهو القاهر فوق عباده» الغالب
 على أمره فيهم **«ويرسل عليكم حفظة»**
 ملائكة جعلهم الله حافظين لكم من
 الآفات ويحفظون أعمالكم.

لم يكن عنده مايتعجلونه من العذاب،
 فإنهم كانوا لفرط تكذيبهم يستعجلون
 نزوله استهزاء، وقيل **«ما عندي
 ما تستعجلون به»** من الآيات التي
 تقترحونها علي **«إن الحكم إلا لله»** في
 كل شيء، ومن جملة ذلك ما تستعجلون
 به من العذاب أو الآيات المقترحة
«يقص الحق» أي يبين الحق فيما يحكم
 به، أو يقص القصص الحق **«وهو خير
 الفاصلين»** أي بين الحق والباطل بما
 يقضي به بين عباده ويفضله لهم.

٥٨ «لو أن عندي ما تستعجلون به»

٥٦ «لا أتبع أهواءكم» المقاصد
 الفاسدة التي يتسبب عنها الوقوع في
 الضلال، فيما طلبتموه من عبادة
 معبوداتكم، وطرد من أردتم طرده **«وما
 أنا من المهتدين»** إن فعلت ذلك.

٥٧ «قل إنني على بينة من ربي» أي
 إنني على برهان من ربي ويقين، لا على
 هوى وشك، كما هم عليه من اتباع
 الشبه الداحضة، والشكوك الفاسدة، التي
 لا مستند لها إلا مجرد الأهواء الباطلة
«وكذبتكم به» أي بالرَب، أو بالبيئة
«ما عندي ما تستعجلون به» أخبرهم بأنه

حَفَظَةٌ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنَ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّيْنٍ أَنْجِنَا مِنَ هَذِهِ لَنَكُونَ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِّنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُّشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيعًا وَيُذِيقَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظِرْ كَيْفَ نُصْرِفُ أَلَا يَتْلَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيءِ آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ

﴿حق إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا﴾ هم أعوان ملك الموت، ومعنى توفته استوفت روحه ﴿لا يفرطون﴾ أي لا يقصرون ولا يضيعون فيما أمروا به من الإكرام أو الإهانة.

٦٢ ﴿ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق﴾ أي ترد ملائكة الموت أرواح العباد بعد قبضها إلى الله ﴿وهو أسرع الحاسبين﴾ لا يحتاج إلى ما يحتاجون إليه من الفكر والرؤية والتدبر.

٦٣ ﴿قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر﴾ شذائهما العظيمة، من ينجيكم من ذلك حال دعائكم له متضرعين وخائفين ﴿لئن أنجانا﴾ أي قائلين لئن أنجيتنا ﴿من هذه﴾ الشدة التي نزلت بنا وهي الظلمات المذكورة ﴿لنكونن من الشاكرين﴾ لك على ما أنعمت به علينا من تخلصنا من هذه الشدائد.

٦٤ ﴿قل الله ينجيكم منها﴾ من الظلمات ﴿ومن كل كرب﴾ والكرب: الغم يأخذ بالنفس ﴿ثم أنتم تشركون﴾ بالله سبحانه بعد أن أحسن إليكم بالخلوص من الشدائد وذهاب الكرب، والشركاء لا ينفعونكم فكيف وضعت هذا الشرك موضع ما وعدتم به من أنفسكم من الشكر؟

٦٥ ﴿هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا﴾ من كل جانب ﴿من فوقكم﴾ وهو ما ينزل من السماء من المطر والصواعق ﴿أو من تحت أرجلكم﴾ وهو الخسف والزلازل والفرق ﴿أو يلبسكم شيعا﴾ يجعلكم مختلطي الأهواء، مختلطي النحل، متفرقي الآراء، أو يجعلكم فرقا يقاتل بعضكم بعضا ﴿ويذيق بعضكم بأس بعض﴾ من قتل وأسر ونهب ﴿انظر كيف نصرف الآيات﴾ بين لهم الحجج والدلالات من وجوه مختلفة ﴿لعلهم يفقهون﴾ الحقيقة، فيعودون إلى

الحق الذي بيناه لهم بيانات متنوعة. عن سعد بن أبي وقاص: أن النبي ﷺ أقبل ذات يوم من العالية، حتى إذا مر بمسجد بني معاوية، دخل فركع فيه ركعتين، وصلينا معه ودعا ربه طويلا، ثم انصرف إلينا فقال: «سألت ربي ثلاثا، فأعطاني اثنتين، ومنعني واحدة: سأله ألا يهلك أمتي بالفرق، وسأله ألا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها، وسأله ألا يجعل بأسهم بينهم فتنة».

٦٦ ﴿وكذب به قومك﴾ هم قريش ﴿وهو الحق﴾ أي كذبوا بالقرآن أو

العذاب، والحال أنه حق ﴿قل لست عليكم بوكيل﴾ أي لست بحفيظ على أعمالكم حتى أجازيكم عليها.

٦٧ ﴿لكل نبي مستقر﴾ أي لكل خير عن المستقبل نهاية يظهر بها أنه حق أو باطل ﴿وسوف تعلمون﴾ نهاية ما أخبرتكم به بحصوله ونزوله بكم.

٦٨ ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا﴾ بالكذب والرد والاستهزاء ﴿فأعرض عنهم﴾ فدعهم ولا تقعد معهم لسماع مثل هذا المنكر العظيم [أي وإن جالست قوما فخاضوا فقم عنهم]

حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ
فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا
عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرِىٰ
لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لِبَآءٍ
وَهُوَ غُرَّتُهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ ۚ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا
كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ
تَعَدَّلَ كُلُّ عَدَلٍ لَّا يُؤْخَذُ مِنْهَا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا
كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا
يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا
وَلَا يَضُرُّنَا وَنُزِدْ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهَ كَالَّذِي
اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُ ۖ أَصْحَابُ
يَدْعُونَهُ إِلَىٰ آلِهَتِي أَتَيْنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ

العمل به والدخول فيه — لعبا ولهوا، ولا
تعلق قلبك بهم، فإنهم أهل تغت، وإن
كنت مأمورا بإبلاغهم الحجة **﴿وغيرهم
الحياة الدنيا﴾** حتى آثروها على الآخرة
وأنكروا البعث **﴿وذكر به أن تبسل
نفس بما كسبت﴾** الإيسال: تسليم المرء
نفسه للهلاك، فالمعنى: ذكر بالقرآن لعل
أحدا يتذكر فينجو بنفسه من العذاب قبل
أن يحيط بها فلا تجدد مخلصا **﴿وإن تعدل
كل عدل لا يؤخذ منها﴾** أي وإن
بدلت تلك النفس التي سلمت للهلاك
كل فدية، لا يؤخذ منها ذلك العدل حتى
تنجوه من الهلاك **﴿أولئك﴾** المتخذون
دينهم لعبا ولهوا، هم **﴿الذين أبسلوا بما
كسبوا﴾** أي هؤلاء الذين سلموا للهلاك
بما كسبوا **﴿لهم شراب من حميم﴾** وهو
الماء الحار، يشربونه فيقطع أمعاءهم.

٧١ **﴿قل أندعو من دون الله ما لا
ينفعنا ولا يضرنا﴾** أي كيف ندعو من
دون الله أصناما لا تنفعنا بوجه من وجوه
النفع إن أردنا منها نفعاً، ولا نخشى
ضررها بوجه من الوجوه، ومن كان هكذا
فلا يستحق العبادة **﴿ونزد على أعقابنا﴾**
ونرجع إلى الضلالة التي أخرجنا الله منها
**﴿كالذي استهوته الشياطين في
الأرض﴾** وهم الغيلان أو مردة الجن،
يدعونه باسمه واسم أبيه وجده فيتبعها،
ويرى أنه في شيء فيصبح وقد ألقته في
مضلة من الأرض يهلك فيها عطشا، فهذا
مثل من أجاب الآلهة التي تعبد من دون
الله **﴿حيران﴾** لا يهتدي لجهة **﴿له
أصحاب يدعونه إلى الهدى﴾** أي له
رفقة يدعونه إلى الطريق الذي يوصله إلى
بلده وأهله، يقولون له: اتنا فلا يجيبهم
ولا يهتدي بهديهم، لأنه متحير لا يدري
أي الطرفين يدعوه إلى الطريق الصحيح
﴿قل إن هدى الله هو الهدى﴾ أي دينه
الذي ارتضاه لعباده وماعده باطل.

﴿حسابهم من شيء﴾ ليس على الذين
يتقون الخوض في آيات الله في مجالستهم
للخائضين فيها أي شيء من الإثم لو
جالسهم، فإن إثم الخائض على نفسه،
ولكن قوموا عنهم تذكيرا لهم بعظمة الإثم
الذي هم واقعون فيه بسبب هذا الخوض
لعلهم يتركونه. ففي الآية الترخيص
للمتقين من المؤمنين في مجالسة الكفار إن
لم يخوضوا.

٧٠ **﴿وذري الذين اتخذوا دينهم لعبا
ولهوا﴾** أي اترك هؤلاء الذين اتخذوا
الدين الحق — الذي كان يجب عليهم

﴿حتى يخوضوا في حديث غير﴾ مغاير له،
أمره الله بالإعراض عن أهل المجالس التي
يستهان فيها بآيات الله، وعن مجالسة أهل
البدع المضلة، فيها من المفسدة أضعاف
أضعاف ما في مجالسة من يعصي الله بفعل
شيء من المحرمات. وعن ابن عباس أن
الآية في مجالسة الذين يتجادلون في آيات
الله ويتخاصمون فيها **﴿وإما ينسبك
الشیطان فلا تقعد بعد الذكرى﴾** إن
أنساك الشيطان أن تقوم عنهم، فلا تقعد
معهم إذا تذكرت أمرنا بل قم في الحال.
٦٩ **﴿وما على الذين يتقون من**

وَأْمُرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ
وَأَتَّقُوا ۖ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ ۚ
قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ ۚ عِلْمُ الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾ * وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ
لَأَبِيهِ أَزْرَأُ اتَّخَذُوا صَنَامًا إِلَهَةً ۖ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَمْلَأَ
فِي ضُلُلٍ مُبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَلِكَ نَرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا
جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ
قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ
هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ
الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا

﴿وَأْمُرْنَا لِنُسَلِّمَ﴾ أي وأمرنا بأن نسلم.

٧٢ ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوا﴾

المعنى: أمرنا بأن نسلم، وبأن نقيم الصلاة، وبأن نتق الله أي فهذا هو الهدى ﴿وهو الذي إليه تحشرون﴾ أي:

تُحْشَرُونَ إليه وحده، وله الحكم وحده يوم القيامة في المحشر وما بعده، ولا ينفعكم يومئذ إلا ما قدمتموه من الأعمال الصالحة ورأسها التقوى والصلاة.

٧٣ ﴿وهو الذي خلق السماوات

والأرض﴾ خلقا ﴿بالحق ويوم يقول

كن فيكون قوله الحق﴾ يأمر بالبعث

والحشر، فتطيعه الخلائق، أي فكيف

ندعو من دونه مالا ينفعنا ولا يضرنا،

ونرتد على أعقابنا ﴿وله الملك يوم ينفخ

في الصور﴾ الصور: قرن يُنفخ فيه النفخة

الأولى للفناء، والثانية للإنشاء ﴿عالم

الغيب والشهادة﴾ العالم بما غاب وما

حضر من كل شيء ﴿وهو الحكيم﴾ في

جميع ما يصدر عنه ﴿الخبير﴾ بكل شيء.

٧٤ ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزر﴾ قيل

إن اسم والد إبراهيم «تارخ» وقيل:

كان له اسمان: آزر وتارخ ﴿أنتخذ

أصناما آلهة﴾ أي أتجعلها آلهة لك تعبدها

﴿إني أراك وقومك﴾ الموافقين لك في

عبادة الأصنام ﴿في ضلال﴾ عن طريق

الحق ﴿مبين﴾ واضح.

٧٥ ﴿وكذلك نرى إبراهيم ملكوت

السماوات والأرض﴾ مافيهما من الخلق،

وقيل: كشف الله له عن ذلك حتى رأى

إلى العرش، وإلى أسفل الأرضين، وقيل

رأى من ملكوت السماوات والأرض

ما قصه الله في هذه الآية، نرى: أي

أرىناه، فهو حكاية حال ماضية، وقد

كان آزر وقومه يعبدون الأصنام

والكواكب والشمس والقمر، فأراد أن

ينبههم على الخطأ ﴿وليكون من

الموقنين﴾ أي أرىناه ما أرىناه من

عجائب الخلق، وغرائب الملكوت ليكون نبياً ذا علم، وليكون علمه عن يقين لا يخالجه شك في عظمة الله وقدرته على كل شيء.

٧٧ ﴿فلما رأى القمر بازغاً﴾ أي طالعا

﴿فلما أفل قال لن لم يهديني ربي﴾ إلى

من هو الإله الحق ﴿لأكون من القوم

الضالين﴾ الذين لا يهتدون للحق،

فيظلمون أنفسهم ويحرمونها حظها من

الخير.

٧٨ ﴿قال هذا ربي﴾ هذا الشيء الطالع

﴿هذا أكبر﴾ أي مما تقدمه من الكواكب

والقمر فهو حري بأن يكون الإله.

٧٦ ﴿فلما جن عليه الليل﴾ أي ستره

بظلمته ﴿رأى كوكباً﴾ قيل: رأى

المشتري، وقيل: الزهرة ﴿هذا ربي﴾

قيل: وكان هذا منه عند قصور النظر

لأنه في زمن الطفولية، وقيل أراد قيام

الحجة على قومه كالحاكي لما هو عندهم

وما يعتقدونه لأجل إلزامهم ﴿فلما أفل﴾

أي غرب ﴿قال﴾ إبراهيم فإن الذي يغرب



أي إن علمه محيط بكل شيء، وإذا شاء أنزال شرِّي كان.

٨١ «وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً» أي كيف أخاف ما لا يضر، ولا ينفع، ولا يخلق، ولا يرزق، والحال أنكم أنتم لا تخافون ما صدر منكم من الشرك بالله، وهو الضار النافع، الخالق الرازق، وما نزل عليهم بإشراكها حجة يحتاجون بها **«فأي الفريقين أحق بالأمن»** فريق المؤمنين بالله القوي القادر، الكافرين بالصنم العاجز، أم فريق المؤمنين بالصنم العاجز الكافرين بالله القوي القادر؟ فأخبروني: أي الفريقين أحق بالأمن وعدم الخوف **«إن كنتم تعلمون»** وتعرفون البراهين الصحيحة، وتميزونها عن الشبه الباطلة.

٨٢ «الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم» أي هم أحق بالأمن من الذين أشركوا ومعنى **«لم يلبسوا إيمانهم بظلم»** أي: لم يخلطوه بظلم، والمراد بالظلم: الشرك، عن ابن مسعود قال: لما نزلت هذه الآية شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، وقالوا: أينما لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ «ليس هو كما تظنون، إنما هو كما قال لقمان - يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم».

٨٣ «وتلك حجتنا» أي ماتقدم من الحجج التي أوردها إبراهيم عليهم **«آتيناهم إبراهيم على قومه»** أي نصرناه بتعليمها له فغلب بها قومه **«نرفع درجات من نشاء»** بالهداية، والإرشاد إلى الحق، وتلقين الحجة، كما رفعنا إبراهيم درجات.

٨٤ «ووهبنا له إسحاق» ولدا هبة منا، ووهبنا له يعقوب ولد ابنه إسحق **«كلا هدينا»** فقد جعلنا كلا منهما نبيا.

رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفْلَتَ قَالَ يَقُومُ إِنِّي بِرِيٍّ مِمَّا تَشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحْجُّونَنِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ

يقنعوه بصحة اتخاذ الآلهة الأخرى، وخوفه من ضررها وغضبها **«أتعاجوني في الله»** أي في كونه لا شريك له ولا ند ولا ضد **«وقد هدان»** أي هداني إلى توحيدهم وأنتم تريدون أن أكون مثلكم في الضلالة والجهالة وعدم الهداية **«ولا أخاف ما تشركون به»** أي إني لا أخاف ما هو مخلوق من مخلوقات الله الذي هو حجر لا يضر ولا ينفع **«إلا أن يشاء ربي شيئا»** من الضرر لي بذنب عملته، فالأمر إليه، وذلك منه، لا من معبوداتكم **«وسع ربي كل شيء علما»**

«قال يا قوم إني بريء مما تشركون» أي من الأشياء التي تجعلونها شركاء لله وتعبدونها، قال هذا لما ظهر له أن هذه الأشياء مخلوقة لا تنفع ولا تضر وليس أي واحد منها إله الكون مستدلا على ذلك بأقوالها.

٧٩ «إني وجهت وجهي» كلي وذاتي وعبادتي **«فطر السماوات والأرض»** ابتداء خلقها **«حنيفاً»** مائلا إلى الدين الحق.

٨٠ «وحاجه قومه» أي جادلوه في التوحيد الذي توصل إليه، وأرادوا أن

كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ
وَسُلَيْمَنَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ
نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِيلَاسَ
كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ
وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ آبَائِهِمْ
وَذُرِّيَّتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ
عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾
أُولَئِكَ الَّذِينَ اتَّيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَ وَالنُّبُوَّةَ
فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَسُوْنَ بِهَا
بِكُفْرَيْنَ ﴿٨٩﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ
أَفْتَدَهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ

﴿ومن ذريته﴾ من ذرية نوح، فإن يونس
ولوطا ما كانا من ذرية إبراهيم، إذ إن
لوطا هو ابن أخي إبراهيم ﴿داود
وسليمان﴾ وإنما عُدَّ الله سبحانه هداية
هؤلاء الأنبياء من النعم التي عددها على
إبراهيم، لأن شرف الأبناء متصل بالأباء
﴿وكذلك نجزي المحسنين﴾ أي كما
جزينا هؤلاء الأنبياء الذين أحسنوا
أعمالهم بالجهاد والدعوة والصبر، كذلك
نجزي كل مُحْسِن.

٨٥ ﴿وإيلاس﴾ قيل إيلاس هو
إدريس، وليس بصحيح، فإن إدريس
كان قبل نوح، وإيلاس من ذرية نوح،
كما تدل عليه هذه الآيات.

٨٦ ﴿واليسع﴾ قيل هو الخضر. وقيل هو
صاحب إيلاس وكانوا قبل يحيى وعيسى
﴿وكلا فضلنا على العالمين﴾ أي كل
واحد من هؤلاء النبيين فضلناه بالنبوة
على غيره من الناس، فالأنبياء أفضل
البشر.

٨٧ ﴿ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم﴾
هدينا بعض آبائهم وذرياتهم وأزواجهم
﴿واجتبيناهم﴾ الاجتباء: الاصطفاء، أو
التخليص، أو الاختيار.

٨٨ ﴿ذلك هدى الله﴾ الهداية والتفضيل
والاجتباء المفهومة مما تقدم ﴿يهدي به﴾
الله ﴿من يشاء من عباده﴾ وهم الذين
وفقهم للخير واتباع الحق ﴿ولو أشركوا﴾
أي هؤلاء المذكورون ﴿لحبط عنهم﴾ من
حسناتهم ﴿ما كانوا يعملون﴾ والحبوط:
البطلان.

٨٩ ﴿أولئك﴾ الأنبياء المذكورون سابقا
آتيناهم كتبنا ﴿والحكم﴾ العلم
﴿والنبوة﴾ الرسالة ﴿فإن يكفر بها
هؤلاء﴾ أي كفار قريش المعاندون لرسول
الله ﷺ ﴿فقد وكلنا بها قوما﴾ أي
ألزمنا بالإيمان بها قوما ﴿ليسوا بها
بكافرين﴾ وهم المهاجرون والأنصار،

وفقناهم لحملها حتى كأنهم موكلون بها.
٩٠ ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم
اقْتَدِهِ﴾ كان ﷺ مأمورا بالاقْتَدَاءِ بمن
قبله من الأنبياء فيما لم يرد عليه فيه نص
﴿قل لا أسألكم عليه أجرا﴾ أمره الله
بأن يخبرهم بأنه لا يسألهم أجرا على
القرآن ﴿إن هو إلا ذكرى﴾ يعني القرآن
﴿للعالمين﴾ أي موعظة وتذكير للخلق
كافة الموجودين عند نزوله ومن سيوجد
من بعد.
٩١ ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ أي لم
يعرفوا مقداره تعالى حق معرفته، حيث
أنكروا إرساله للرسول، وإنزاله للكتب
﴿قل من أنزل الكتاب الذي جاء به
موسى﴾ وهم يعترفون بذلك ويزعمون له،
ويعلمونه بالإخبار من اليهود، وقد كانوا
يصدقونهم ﴿تجعلونه﴾ التفات إلى خطاب
اليهود ﴿قراطيس﴾ أي تجعلون التوراة في
قراطيس [مُفَرَّقة]، ليتَّمَّ لكم ما تريدونه
من التحريف والتبديل، وكنتم صفة النبي
ﷺ المذكورة فيه ﴿تبدونها﴾ القراطيس
﴿وتخفون كثيرا﴾ أي وتخفون كثيرا منها
[أي جعلوا التوراة قراطيس متفرقة، كل
قرطاس وحده، ليتمكنوا من إظهار ما

لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَن أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا ءَابَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٢﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَن حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٣﴾ وَمَن أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ أَلْهُونَ

ما ينال به خيرها، ويندفع به ضررها. **٩١ ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا﴾** أي كيف تقولون ما أنزل الله على بشر من شيء، وذلك يستلزم تكذيب الأنبياء عليهم السلام، ولا أحد أظلم ممن افترى على الله كذبا، فزعم أنه نبي، وليس بنبي، أو كذب على الله في شيء من الأشياء **﴿أو قال أوحى إلي ولم يوح إليه شيء﴾** وقد صان الله أنبياءه عما تزعمون عليهم، وإنما هذا شأن الكذابين رهوس الإضلال، كمسيلمة الكذاب، والأشود القيسي وسجاح **﴿ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله﴾** ادعى أنه قادر على معارضة القرآن بقرآن مثله، وهم القائلون (لو نشاء لقلنا مثل هذا) وقيل: هو عبدالله بن أبي سرح: فإنه كان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ فأملى عليه رسول الله ﷺ (ثم أنشأنا خلقا آخر) فقال عبدالله (فتبارك الله أحسن الخالقين) فقال رسول الله ﷺ «هكذا أنزلت» فشك عبدالله حيثذ، وقال: لئن كان محمد صادقا لقد أوحى إلي كما أوحى إليه، ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال، ثم ارتد عن الإسلام ولحق بالمشركين، ثم أسلم يوم الفتح كما هو معروف **﴿ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت﴾** شدائد النزع، ويدخل فيه الجاحدون لما أنزل الله، والمذعنون للنبوءات، والمنتصبون للمعارضة، أي لرأيت أمرا عظيما **﴿والملائكة باسطو أيديهم﴾** لقبض أرواح الكفار، وقيل للعذاب وفي أيديهم مطارق الحديد **﴿أخرجوا أنفسكم﴾** أي قائلين لهم أخرجوا أنفسكم من هذه الغمرات التي وقعت فيها، أو أخرجوا أنفسكم من أيدينا وخلصوها من العذاب، أو أخرجوا أرواحكم لنقبضها من أجسادكم وسلموها إلينا.

﴿مصدق الذي بين يديه﴾ أي موافق لما أنزله الله من الكتب على الأنبياء من قبله كالتوراة والإنجيل **﴿ولتنذر﴾** أي أنزلناه للبركات ولتنذر **﴿أم القرى﴾** وهي مكة أعظم القرى شأنا، بها أول بيت وضع للناس، ولكونها قبله هذه الأمة ومحل حجهم، فالإنذار لأهلها مستتبع لإنذار سائر أهل الأرض **﴿والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به﴾** من حق من صدق بالدار الآخرة أن يؤمن بهذا الكتاب، لأن التصديق بالآخرة يوجب قبول من دعا الناس إلى

يريدون، وإخفاء ما يريدون] **﴿وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم﴾** والذي علموه هو الذي أخبرهم به نبينا محمد ﷺ من الأمور التي أوحى الله إليه بها، فإنها اشتملت على ما لم يعلموه من كتبهم، ولا على لسان أنبيائهم، ولا علمه آباؤهم **﴿قل الله﴾** أي أنزله الله **﴿ثم ذرهم في خوضهم يلعبون﴾** في باطلهم يصنعون صنع الصبيان الذين يلعبون.

٩٢ ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك﴾ على محمد ﷺ فكيف تقولون: (ما أنزل الله على بشر من شيء) والمبارك الكثير البركة

بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ
تَسْكِبُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ
أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى
مَعَكُمْ شُفَعَاءَ كُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ
لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾
* إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ
وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾
فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ الَّذِي
جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم
مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ

﴿بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾
أي بسبب قولكم هذا من إنكار إنزال
الله كتبه على رسله وبسبب ادعائكم أن
الله شركاء ﴿وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْكِبُونَ﴾
عن التصديق لها والعمل بها، فكان
ما جازيتهم به من عذاب الهوان جزاء
وفاقا.

٩٤ ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى﴾ واحدا
واحدا، كل واحد منفرد عن أهله وماله
[ومن ينصره] وما كان يعبد من دون
الله، فلم ينتفع بشيء من ذلك ﴿كَمَا
خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي على الصفة التي
كنتم عليها عند خروجكم من بطون
أمهاتكم، عراة غرلا ﴿وَتَرَكْتُمْ
مَا خَوَّلْنَاكُمْ﴾ أي أعطيناكم، والحوّل
ما أعطاه الله للإنسان من متاع الدنيا،
فلم تأتونا بشيء منه، ولا انتفعت به بوجه
من الوجوه ﴿وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَ كُ
الَّذِينَ﴾ عبدتموهم وقتلتم (ما نعبدهم إلا
ليقربونا إلى الله زلفى) و ﴿زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ
فِيكُمْ شُرَكَاءُ﴾ الله يستحقون منكم
العبادة كما يستحقها ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾
أي تقطع الوصل بينكم أنتم وشركاؤكم
﴿وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ من
الشركاء والشرك، وحيل بينكم وبينهم.

٩٥ ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ فالق
الحب فيخرج منه النبات، وفالق النوى
فيخرج منه الشجر، والنوى: جمع نواة،
يطلق على كل ما فيه عَجَمٌ، كالتمر
والشمش والخوخ ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ
الْمَيِّتِ﴾ أي يخرج الحيوان من مثل
النطفة والبيضة وهي ميتة ﴿وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ
مِنَ الْحَيِّ﴾ يخرج النطفة والبيضة وهي
ميتة من الحي أو المعنى: يخرج المؤمن من
الكافر بالولادة، ويخرج الكافر من المؤمن
كذلك ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ﴾ أي صانع ذلك الصنع
العجيب المذكور سابقا هو ﴿اللَّهُ فَأَنَّى
تُؤْفَكُونَ﴾ فكيف تصرفون عن الحق مع

ما ترون من بديع صنعه وكمال قدرته ؟
٩٦ ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ أي فالق ظلمة
الإصباح، وهي الغبش، عن بياض النهار
﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾ يسكن فيه الناس
عن الحركة في معاشهم، ويستريحون من
التعب والنصب ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
حُسْبَانًا﴾ جعلها محل حساب تتعلق به
مصالح العباد، لأن سيرهما على تقدير لا
يزيد ولا ينقص، ليدل عباده بذلك على
عظيم قدرته وبديع صنعه ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ
الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ومن جملة معلوماته
تسييرهما على هذا التدبير المحكم.

٩٧ ﴿لِتَهْتَدُوا بِهَا﴾ أي خلقها للاهتداء
بها ﴿فِي ظُلُمَاتِ﴾ الليل عند المسير في
﴿الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ عند اشتباه طرقها التي لا
يهتدى فيها إلا بالنجوم، وهذه إحدى
منافع النجوم التي خلقها الله لها.

٩٨ ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ
وَاحِدَةٍ﴾ أي آدم عليه السلام ﴿فَمُسْتَقَرٌّ
وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ فلكم مستقر على ظهر
الأرض، والمستودع في باطن الأرض،
وقيل: المستقر ما كان في الرحم،
والمستودع ما كان في الصلب.



لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أُنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَلِكَُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْآبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْآبْصَرُ وَهُوَ اللَّطِيفُ

﴿وخلقهم﴾ أي: وقد علموا أن الله خلق الجن، أو: خلق ما جعلوه شريكا لله ﴿وخرقوا له بنين وبنات﴾ أي اختلقوا واخترعوا، لأن المشركين ادعوا أن الملائكة بنات الله، والنصارى ادعوا أن المسيح ابن الله، واليهود ادعوا أن عزيرا ابن الله ﴿بغير علم﴾ بل عن جهل خالص ﴿سبحانه﴾ أي تنزيها له وتقديسا ﴿تعالى﴾ تباعد وارتفع عن قولهم الباطل الذي وصفوه به.

١٠١ ﴿بديع السماوات والأرض﴾ أي مبدعها [على غير مثال سبق، على هذا الوضع المتقن] ﴿أنى يكون له ولد﴾ أي من كان هذا وصفه، وهو أنه خالق السماوات والأرض وما فيها كيف يكون له ولد؟ وكيف يتخذ ما يخلقه ولدا ﴿ولم تكن له صاحبة﴾ والصاحبة الزوجة، وإذا لم توجد الزوجة استحال وجود الولد ﴿وخلق كل شيء﴾ ومنهم الملائكة والمسيح وعزير.

١٠٢ ﴿ذلكم الله ربكم﴾ أي المصنف بالأوصاف العلية السابقة هو ربكم لا رب لكم غيره ﴿فاعبدوه﴾ أي فهو الحقيق بالعبادة، ولا تعبدوا غيره.

١٠٣ ﴿لا تدركه الأبصار﴾ أي لا تبلغ كنه حقيقته الأبصار، فالمنفي هو الإدراك والإحاطة به، ويراه المؤمنون في الآخرة، لقوله تعالى: (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) والرؤية في الآخرة قد ثبتت بالأحاديث المتواترة تواترا لا شك فيه ولا شبهة ﴿وهو يدرك الأبصار﴾ يحيط بها ويبلغ كنهها، لا تحقق عليه منها خافية ﴿وهو اللطيف﴾ أي الرفيق بعباده. واللفظ من الله التوفيق والعصمة [وقيل اللطيف من يدرك الأسرار بيسر] و﴿الخبير﴾ الذي أحاط بالأشياء علما ظواهرها وبواطنها.

التي ينالها القائم والقاعد. قال الزجاج: المعنى منها دانية، ومنها بعيدة، فحذف ﴿والزيتون والرمان مشتبا وغير متشابه﴾ متشابه في الحجم واللون، وغير متشابه في الطعم. ثم أمرهم سبحانه بأن ينظروا نظر اعتبار إلى ثمره إذا أثمر وإلى ينعه إذا أينع [أي إدراكه ونضجه حين يكون ملائما لأبدانهم كل الملاءمة] ﴿إن في ذلكم﴾ ماتقدم ذكره مجملا ومفصلا. ١٠٠ ﴿وجعلوا لله شركاء الجن﴾ أي جعلوا الجن شركاء لله، فعبدوهم وعظموهم، كما عبدوه وعظموه

٩٩ ﴿وهو الذي أنزل من السماء ماء﴾ هو ماء المطر ﴿فأخرجنا به﴾ التفات من الغيبة إلى التكلم إظهاراً للعناية بشأن هذا المخلوق وما ترتب عليه و﴿نبات كل شيء﴾ يعني: كل صنف من أصناف النباتات المختلفة ﴿فأخرجنا منه خضرا﴾ أي أخضر، والخضر: رطب البقول ﴿نخرج منه حبا متراكبا﴾ أي: مركبا بعضه على بعضه كما في السنابل ﴿ومن النخل من طلعها قنوان دانية﴾ أي ويخرج بأمر الله تعالى من طلع النخل غذوقه، وهي عناقيده، والدانية: القرية

الْخَبِيرُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ جَاءَكُمْ بِصَاحِبٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَنَنْظُرْ
فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿١٠٥﴾
وَكَذَلِكَ نُنْصِرُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ
يَعْلَمُونَ ﴿١٠٦﴾ أَتَبِعَ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٧﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ
مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ
بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا
اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ
ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٩﴾
وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا
قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١١٠﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْعَادَتَهُمْ وَأَبْصُرُهُمْ كَمَا لَمْ

١٠٤ ﴿قد جاءكم بصائر من ربكم﴾ حجج وبراهين واضحة، من عقلها أبصر الحق، وذلك فيما أورده القرآن في هذه السورة وغيرها ﴿فن أبصر فلنفسه﴾ أي فن تعقل الحجة وأذن لها فنفع ذلك لنفسه ﴿ومن عمي﴾ عن الحجة ولم يتعقلها ولا أذن عن ضرر ذلك على نفسه ﴿وما أنا عليكم بحفيظ﴾ برفيق أحصي عليكم أعمالكم، وإنما أنا رسول أبلغكم رسالات ربي وهو الحفيظ عليكم.

١٠٥ ﴿وكذلك نصرف الآيات﴾ في الوعد والوعيد، والوعظ والتنبيه ﴿وليقلوا درست﴾ وسوف يقول المشركون إذا سمعوا هذا البيان إنك يا محمد لم تأت بهذا وإنما درست علم أهل الكتاب وتعلمت منهم ﴿ولنبينه﴾ أي القرآن.

١٠٦ ﴿اتبع ما أوحى إليك من ربك﴾ أمره الله ألا يشغل خاطره بهم، بل يشغل باتباع ما أمره الله ﴿وأعرض عن المشركين﴾ وهذا قبل نزول آية القتال.

١٠٧ ﴿ولو شاء الله ما أشركوا﴾ أي إن الله تعالى قادر أن يجعلهم كلهم مؤمنين غير مشركين، فالأمر بيده، فلا تحرص عليهم كل الحرص. وفيه أن الشرك بمشيئة الله سبحانه ﴿وما جعلناك عليهم حفيظا﴾ أي رقيباً ﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾ أي قيم بما فيه نفعهم فتجلبه إليهم، ليس عليك إلا إبلاغ الرسالة.

١٠٨ ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم﴾ أي لا تسبوا آلهة المشركين لئلا يسبوا الله عدواناً وتجاوزاً عن الحق، وجهلاً منهم بما يجب له تعالى من التقديس ﴿كذلك زيننا لكل أمة عملهم﴾ [وما أظنع حال من زين له أن يسب ربه تبارك وتعالى وتقدس انتصاراً لصنم أو طاغوت]، في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال «ملعون

من سب والديه قالوا: يا رسول وكيف يسب الرجل والديه؟ قال يسب أبا الرجل، فيسب أباه، ويسب أمه، فيسب أمه» فكيف بمن تسبب إلى سب الله تعالى وتقدس.

١٠٩ ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم﴾ أي حلفوا بالله أشد أيمانهم التي بلغت قدرتهم، [أنه إذا جاءهم محمد ﷺ بمعجزة واحدة لسوف يؤمنون به]، وقد كانوا يعتقدون أن الله هو الإله الأعظم، فلماذا أقسموا به ﴿إنما الآيات عند الله﴾ هذه الآية التي يقترحونها وغيرها، وليس عندي من ذلك شيء، فهو سبحانه إن أراد إنزالها أنزلها، وإن أراد ألا ينزلها، لم ينزلها ﴿وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون﴾ أي وما يدريكم أيها المؤمنون بأنهم يؤمنون إذا جاءتهم، إنهم لن يؤمنوا، هذه هي الحقيقة أخبرتكم بها، فلا تحرصوا عليهم.

عن محمد بن كعب القرظي قال: كلم رسول الله ﷺ قريشاً فقالوا يا محمد: تخبرنا أن موسى كان معه عصا يضرب بها الحجر، وأن عيسى كان يحيي الموتى، وأن ثمود لهم ناقة، فأتنا من الآيات حتى نصدقك، فقال رسول الله ﷺ «أي شيء



يُؤْمِنُوا بِهِ ^طأَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾
 * وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَاهُ إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا
 عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبَلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ
 وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ
 عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ
 زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرُهُمْ
 وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْعَدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
 بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيْرَ اللَّهِ
 أَبْتَغَى حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا
 وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ
 بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ
 رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ

تكثر لعدم إيمانهم وبلغهم كما أيزت [ولكن أكثرهم يجهلون] ذلك فلا يلتجئون إليه تعالى ملتجئين الهداية].

١١٢ ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا﴾

المعنى: كما ابتليناك بهؤلاء فقد ابتلينا الأنبياء من قبلك، فجعلنا لكل واحد منهم عدوا من كفار زمنهم ﴿شياطين الإنس﴾ من الكهان والسحرة ورؤساء الكفر الذين لا يخافون الله ﴿والجن﴾ شياطينهم ولد إبليس لعنه الله، يضلون سائر الجن، ويضلون الإنس ﴿يوحى بعضهم إلى بعض﴾ يوسوس بعضهم لبعض، خفية بينهم، وتجعل قلوبهم ﴿زخرف القول﴾ لتزيينهم إياه ﴿غورا﴾ [يخدع به بعضهم بعضا].

١١٣ ﴿ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾

[أي تميل إلى الباطل وإلى زخرفة شياطين الإنس والجن قلوب أهل الباطل وعشاق الدنيا] ﴿وليَرْضَوْهُ﴾ لأنفسهم بعد الإصغاء إليه ﴿وليَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾ من الآثام.

١١٤ ﴿أفغير الله أبتغي حكما﴾ أمره الله

تعالى أن ينكر عليهم ما طلبوه منه، من أن يجعل بينه وبينهم حكما فباختلفوا فيه، وإن الله هو الحكم العدل بينه وبينهم ﴿وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا﴾ مبينا واضحا مستوفيا لكل قضية على التفصيل ﴿والذين آتيناهم الكتاب﴾ وإن أظهروا الجحود والمكابرة فإنهم ﴿يعلمون﴾ أن القرآن منزل من عند الله، بما دلتهم عليه كتب الله المنزلة - كالتوراة والإنجيل -

١١٥ ﴿وتمَّت كلمة ربك﴾ أي إن الله قد أتم وعده ووعدته وأنزل شرعه فظهر الحق، وانطمس الباطل ﴿صدقا وعدلا﴾ [صدقا في الأخبار وعدلا في الأوامر والأحكام] ﴿لا مبدل لكلماته﴾ لا خلف فيها ولا مغير لما حكم به.

١١٠ ﴿ونقلب أفئدتهم وأبصارهم﴾ يوم القيامة على لهب النار وحر الجمر ﴿كما لم يؤمنوا﴾ في الدنيا ﴿أول مرة﴾ [بل تقلبوا

في آرائهم في القرآن، وقالوا فيه أقوالا مختلفة ﴿ونذروهم﴾ في الدنيا أي غفلهم ولا نعاقبهم ونتركهم متحيرين].

١١١ ﴿ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة﴾

حتى يروهم عيانا، وكلموهم وأخبروهم بصدقك كما اقترحوه ﴿وكلمهم الموتى﴾ الذين يعرفونهم بعد إحيائنا لهم، فقالوا لهم: إن هذا النبي صادق مرسل من عند الله فآمنوا به ﴿وحشرنا عليهم كل شيء﴾ مما سألوهم من الآيات ﴿قبلا﴾ أي مواجهة، أو جماعة جماعة ﴿ما كانوا ليؤمنوا﴾ إلا أن يشاء الله [أي فلا

تحبون أن آتيكم به] قالوا: تجعل لنا الصفا ذهبا، قال: فإن فعلت تصدقوني، قالوا: نعم والله لئن فعلت لنتبعنك أجمعون، فقام رسول الله ﷺ يدعو فجاءه جبريل، فقال له: إن شئت أصبح ذهبا، فإن لم يصدقوا عند ذلك لتعذبهم، وإن شئت فاتركهم حتى يتوب تائبهم، فقال: بل يتوب تائبهم، فأنزل الله (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) الآية.

١١٠ ﴿ونقلب أفئدتهم وأبصارهم﴾ يوم القيامة على لهب النار وحر الجمر ﴿كما لم يؤمنوا﴾ في الدنيا ﴿أول مرة﴾ [بل تقلبوا

الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِنْ تَطَعُ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا
يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ
وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ
إِنْ كُنْتُمْ بِعَايَنَتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا
ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا
مَا اضْطُرَرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ
عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ وَذَرُوا ظَهْرَ الْإِثْمِ
وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيَجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا
يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ
وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ
لِيُجَدِّلُواكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾

١١٦ ﴿وَإِنْ تَطَعُ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لأن عادة الله في خلقه جرّث على أن الحق لا يكون إلا بيد الأقلين [أما أكثر الناس فإنهم يتبعون في أمور الدين أهواءهم] ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ الذي لا أصل له، وهو ظنهم أن معبوداتهم تستحق العبادة، وأنها تقرهم إلى الله ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ أي يحدسون ويقدرّون.

١١٨ ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِعَايَنَتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ أي لا تحرّموا منه على أنفسكم شيئا، ولا تمتنعوا عن أكله تديّنا، لأن كل ما ذكر الذابح عليه اسم الله فهو حلال، إن كان مما أباح الله أكله ﴿إِنْ كُنْتُمْ بِعَايَنَتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ بأحكامه من الأوامر والنواهي.

١١٩ ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ أي ما المانع لكم من أكل ما سميت عليه بعد أن أذن الله لكم بذلك؟ ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ أي بيّن لكم المحرمات من الأطعمة بيانا مفصلا يدفع الشك، ويزيل الشبهة بقوله (قل لا أجد فيما أوحى إلي محرما) إلى آخر الآية ﴿إِلَّا مَا اضْطُرَرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ أي من جميع ما حرمه عليكم، فإن الضرورة تحلل الحرام ﴿وَإِنْ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ هم الكفار الذين كانوا يحرمون البحيرة والسائبة ونحوهما كانوا يضلون الناس فيتبعونهم، ولا يعلمون أن ذلك جهل وضلالة [وهكذا في كثير من الشعوب تحريمات راجعة إلى الهوى والجهل].

١٢٠ ﴿ظَاهِرُ الْإِثْمِ وَبَاطِنُهُ﴾ الظاهر: كأفعال الجوارح، والباطن: كأفعال القلب، وقيل: ما أعلنتم وما أسررت، وقيل: الزنا الظاهر والزنا المكتوم.

١٢١ ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ كالميتات، وما ذبح على اسم غير

الله، وأما ما ذبحه المسلم: فإن ترك التسمية عمدا حرم أكله عند الجمهور، وإن تركها نسيانا لم يضر. وقال الشافعي وغيره: التسمية مستحبة وليست واجبة، وإن تركها المسلم ولو عمدا لم يضر. فإن اسم الله على كل مسلم. وقيل: الآية واردة في الميتات التي لم تذبح أصلا، وفيما ذبح لغير الله ﴿وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ أي إن أكل ما ذبح على اسم غير الله وأكل الميتة ونحوها خروج عن أمر الله تعالى وحكمه ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ﴾ يلقون إليهم بالشبه، ويخبرونهم الله، وأما ما ذبحه المسلم: فإن ترك التسمية عمدا حرم أكله عند الجمهور، وإن تركها نسيانا لم يضر. وقال الشافعي وغيره: التسمية مستحبة وليست واجبة، وإن تركها المسلم ولو عمدا لم يضر. فإن اسم الله على كل مسلم. وقيل: الآية واردة في الميتات التي لم تذبح أصلا، وفيما ذبح لغير الله ﴿وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ أي إن أكل ما ذبح على اسم غير الله وأكل الميتة ونحوها خروج عن أمر الله تعالى وحكمه ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ﴾ يلقون إليهم بالشبه، ويخبرونهم ما يستندون إليه في مجادلتهكم كقولهم «أنتم لا تأكلون مما قتل الله وتأكلون مما قتلتم أنتم» ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ فيما يأمرونكم به وينهونكم عنه ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ مثلهم. ومن اعتقد إحلال ما حرم الله يقينا فقد كفر. عن ابن عباس قال لما نزلت الآية (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) أرسلت فارس إلى قريش أن خاصموا محمدا، فقولوا له: ما تذبح أنت بيدك بسكين فهو حلال، وما ذبح الله بشمشار من ذهب: يعني الميتة، فهو حرام؟ فنزلت الآية.

أَوْ مَنْ كَانَ مِينًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ
 فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا
 كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَلِكَ
 جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا
 يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ
 آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ
 اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا
 صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾
 فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ
 يُرِدْ أَنْ يَضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّما
 يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى
 الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا

١٢٢ ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مِينًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾

كان كافرا فهديناه إلى الإسلام ﴿وجعلنا له نورًا يمشي به في الناس﴾ والنور عبارة عن الهداية والإيمان، وقيل: هو القرآن، وقيل: الحكمة، فصاحب القرآن والحكمة يسير في أمور حياته بين الناس على بصيرة من ربه ﴿كمن مثله في الظلمات﴾ ظلمات الكفر والضلال ﴿ليس بخارج منها﴾ [لن يتاح له أن ينسلخ من الكفر والضلالة]. عن زيد بن أسلم في تفسير هذه الآية قال: نزلت في عمر بن الخطاب، وأبي جهل بن هشام، كانا

ميتين في ضلالتها، فأحيا الله عمر بالإسلام وأعزاه، وأقر أبا جهل في ضلalte وموته، وذلك أن رسول الله ﷺ دعا فقال «اللهم أعز الإسلام بأبي جهل بن هشام، أو بعمر بن الخطاب» [أي: فاستجيب له في عمر رضي الله عنه].

١٢٣ ﴿وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها﴾ هم الرؤساء والعظماء. وخصهم بالذكر لأنهم أقدر على الفساد. والمكر: الحيلة في مخالفة الاستقامة ﴿وما يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ أي وبال مكرهم عائد عليهم ﴿وما يشعرون﴾ بذلك لفرط

جهلهم وسيرهم مع أهوائهم.

١٢٤ ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ﴾ أي إذا

أخبرت الأكابر والرؤساء من قريش بشيء من الآيات التي أنزلها الله عليك ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾ يريدون أنهم لا يؤمنون حتى يكونوا أنبياء ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ وقد اختار أن يجعل الرسالة في محمد صفيه وحبيبه، أي: فدعوا طلب ما ليس من شأنكم ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ﴾ أي ذل وهوان، فإن هؤلاء الأكابر لم يقولوا ما قالوه إلا بسبب ما في قلوبهم من الكبر.

١٢٥ ﴿فَمَنْ يَرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾

يوسع صدره حتى يقبله بصدر منشرح [عن أبي جعفر، قال: سئل النبي ﷺ عن هذه الآية، قالوا: كيف ينشرح صدره يا رسول الله؟ قال: «نور يُقَدِّفُ فِيهِ فَيَنْشُرُ لَهُ وَيَنْفُسُ» قالوا: فهل لذلك من علامة يُعَرَفُ بِهَا؟ قال: «الإجابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل لقاء الموت» رواه عبدالرزاق وابن جرير وغيرهما.] ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يَضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا﴾ لا مكان فيه للإيمان والهداية ﴿حَرَجًا﴾ قال الزجاج: الحرج أضيق الضيق ﴿كَأَنَّما يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [فإن من صعد في السماء يحس بأشد الضيق وقرب الاختناق لقلة الهواء. وهذا التشبيه من معجزات القرآن]. وكذلك من يدعى إلى الإسلام وقد قدر عليه الضلال، يجد أشد الضيق لذلك ﴿كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

وقيل: هو العذاب. ١٢٦ ﴿وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ﴾ ما عليه النبي ﷺ ومن معه من المؤمنين: أي هذا طريق دين ربك ﴿مُسْتَقِيمًا﴾ أي: لا اعوجاج فيه.

١٢٧ ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ أي من كفر بالله ورسوله ﴿يَجْعَلْ اللَّهُ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ عذابا عظيما.

قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ * لَهُمْ دَارُ
السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾
وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَمْعَشَرُ الْجَنِّ قَدْ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ
الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا
بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ
خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾
وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾
يَمْعَشَرُ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ
عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا
عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ
أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ
الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ

١٢٧ ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾

الجنة، لأنها دار السلامة من كل مكروه
﴿وهو وليهم﴾ أي ناصرهم [والمستولي
أمرهم حتى يدخلوا الجنة آمنين من كل
ظلم وكل مكروه] ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾
بسبب أعمالهم الطيبة.

١٢٨ ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا﴾ أي يحشر

البشر والجن كلهم ﴿يَا مَعْشَرَ الْجَنِّ﴾ أي
يوم الحشر يقول الله تعالى لهم: يا جماعة
الجن ﴿قَدْ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾ من
إغوائهم وإضلالهم حتى صاروا في حكم
الأتباع لكم، فحشرناهم معكم. وقيل:
المراد بالاستمتاع التلذذ من الجن بطاعة
الإنس لهم ودخولهم فيما يريدون منهم
﴿وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا

اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ أما استمتاع
الجن بالإنس فهو تلذذهم باتباعهم لهم؛
وأما استمتاع الإنس بالجن فحيث قبلوا
منهم تحسين المعاصي، فوقعوا فيها وتلذذوا
بها، ومنه أيضاً أن أهل الجاهلية ومن
شاغلهم كانوا يصدقون الجن فيما يلقونه
إليهم ويتلذذون بذلك وينالون به شيئاً
من حظوظ الدنيا، كالكهَّان ﴿وَبَلَغْنَا
أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا﴾ أي يوم
القيامة، اعتراف منهم بالوصول إلى ما
وعدهم الله به مما كانوا يكذبون به ﴿قَالَ

النَّارُ مَثْوَاكُمْ﴾ أي موضع مقامكم
﴿خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ إلا في
الوقت الذي يشاء الله عدم بقائهم فيها،
عن ابن عباس قال: في هذه الآية: لا
ينبغي لأحد أن يحكم على الله في خلقه،
لا ينزلهم جنة ولا ناراً.

١٢٩ ﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ

بَعْضًا﴾ نسلط ظلمة الجن على ظلمة
الإنس، ونسلط بعض الظلمة على بعض،
فيهلكه ويذله. عن الأعمش قال:
سمعتهم يقولون: إذا قَسَدَ الزمان أَمُرَّ
عليهم شرارهم. وقال فضيل بن عياض:

إذا رأيت ظالماً ينتقم من ظالم فقف
وانظر متعجباً ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾
بسبب كسبهم للذنوب ولئلا يعضهم
بعضاً.

١٣٠ ﴿يَا مَعْشَرَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ﴾ أي يوم
نحشرهم نقول لهم ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ
مِنْكُمْ﴾ [أي من الإنس يتلون كتب الله
على الإنس والجن] ﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ
آيَاتِي﴾ أي يتلونها عليكم ﴿قَالُوا شَهِدْنَا
عَلَى أَنْفُسِنَا﴾ هذا إقرار منهم بأن حجة
الله لازمة لهم بإرسال رسله إليهم
﴿وَوَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ فصرفتهم عن

الإيمان بالرسول، ألهتهم بزخرفها وزينتها
فالت قلوبهم إليها، حتى دعاهم ذلك إلى
تكذيب الرسل ﴿وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾
شهادة أخرى منهم على أنفسهم بأنهم
كانوا كافرين في الدنيا بالرسول المرسلين
إليهم، والآيات التي جاءوا بها.

١٣١ ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ
الْقُرَى بِظُلْمٍ﴾ ما كان الله مهلك أهل
القرى بظلم منه، فهو يتعالى عن الظلم،
بل إنما يهلكهم بعد أن يستحقوا ذلك،
وترتفع الغفلة عنهم بإرسال الأنبياء
مبشرين ومنذرين.

مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ
الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ
مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنْ
مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَتَقَوَّمُ
أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ
تَكُونُ لَهُ عَقِيبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣٥﴾
وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا
هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ
فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ
سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ لِيَرُدُّوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ
دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَّهُمْ وَمَا يُفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾

بكفركم، بل إني ثابت على ما أنا عليه
﴿فسوف تعلمون﴾ من هو على الحق،
ومن هو على الباطل و﴿عاقبة الدار﴾
النصر في دار الدنيا، ووراثة الأرض،
ومن له الدار الآخرة.

١٣٦ ﴿وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث
والأنعام نصيبا﴾ الكلام مع كفار
العرب، أي جعلوا لله سبحانه مما خلق
[من زروعهم وثمار أشجارهم] ونتاج
دوابهم نصيبا، ولآلهتهم نصيبا من ذلك،
يصرفونه إلى سدنتها والقائمين بخدمتها،
فإذا ذهب ما لآلهتهم بإنفاقه في ذلك،
عوضوا عنه ما جعلوه لله، وقالوا: الله غني
عن ذلك ﴿فما كان لشركائهم فلا يصل
إلى الله﴾ أي إلى المصارف التي شرع الله
الصرف فيها، كالصدقة، وصلة الرحم،
وقرى الضيف ﴿وما كان لله فهو يصل
إلى شركائهم﴾ أي يجعلونه لآلهتهم
وينفقونه في مصالحها ﴿ساء ما يحكمون﴾
في إشار آلهتهم على الله سبحانه.

١٣٧ ﴿وكذلك زين لكثير من
المشركين قتل أولادهم شركاؤهم﴾ أي
حسن الشياطين في أعين أهل الجاهلية
قتل الأولاد. وقيل: شركاؤهم ها هنا
هم الذين كانوا يخدمون الأوثان [من
الكهنة وسدنة الأصنام] زينوا لهم دفن
البنات مخافة السبي والحاجة، وقتل
الأولاد مخافة الفقر. وكان الرجل يحلف
بالله لئن ولد له كذا من الذكور لينحرن
أحدهم، كما فعله عبد المطلب
﴿ليردوهم﴾ أي ليهلكوهم بقتل الأنفس
البريئة المحرمة ﴿وليلبسوا عليهم دينهم﴾
ليخلطوه عليهم فلا يعلمون ما هو مشروع
مما ليس بمشروع ﴿ولو شاء الله ما
فعلوه﴾ أي إن هذا الإجماع منهم واقع
بإرادة الله الكونية لحكمة يعلمها ﴿فذرهم
وما يفترون﴾ أي فاتركهم وافترائهم على
الله الكذب، فإن ذلك لا يضرك.

إهلاككم ﴿ما يشاء﴾ من خلقه ممن هو
أطوع له منكم ﴿كما أنشأكم من ذرية
قوم آخرين﴾ قيل: هم أهل سفينة نوح.
١٣٤ ﴿إن ما توعدون﴾ من البعث
والمجازاة ﴿لآت﴾ لا محالة، فإن الله لا
يخلف الميعاد ﴿وما أنتم بمعجزين﴾ لن
تفوتوني عما هو نازل بكم من العذاب،
تقول العرب: أعجزني فلان إذا هرب فلم
تستطع اللحاق به.

١٣٥ ﴿قل يا قوم اعملوا على
مكانتكم﴾ أي اثبتوا على ما أنتم عليه،
فإني غير مُبَالٍ بكم ولا مكترث

١٣٢ ﴿ولكل درجات مما عملوا﴾ أي
لكل من الجن والإنس درجات متفاوتة
في الآخرة، في الجنة والنار بحسب
أعمالهم.

١٣٣ ﴿وربك الغني﴾ أي هو سبحانه
مستغن عن خلقه لا يحتاج إليهم ولا إلى
عبادتهم، لا ينفعه إيمانهم ولا يضره
كفرهم، ومع كونه غنيا عنهم فهو ذورحة
بهم والرحمة لهم مع كمال الغنى عنهم هو
غاية الكرم والفضل ﴿إن يشأ يذهبكم﴾
أيها العباد العصاة، فيستأصلكم بالعذاب
﴿ويستخلف من بعدكم﴾ أي من بعد

وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَمٌ وَحَرْتُ حِجْرًا لَا يَطْعُمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ
بِرَعْمِهِمْ وَأَنْعَمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَمٌ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ
اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءٌ عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾
وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ
عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُن مِّتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ
وَصَفَّهُمْ إِنَّهُمْ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا
أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً
عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ * وَهُوَ الَّذِي
أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ
مُخْتَلِفًا أَلْوَنًا وَالزَّيْتُونَ وَالرَّمَانَ مِثْلَهَا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ
كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ
وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ الْأَنْعَمِ

١٣٨ ﴿وقالوا هذه أنعام وحرث حجر﴾ أي حرام ممنوعة، يعنون أنها لأصنامهم، لا يأكل منها إلا من يشاءون بزعمهم، وهم خدام الأصنام ﴿وانعام حرمت ظهورها﴾ وهي البحيرة والسائبة والهامي فهذه الأنواع من الأنعام كانوا يجهلهم يحرمون ركوبها أو الحمل عليها ﴿وانعام لا يذكرون اسم الله عليها﴾ وهي ما ذبحوا لألهتهم، فإنهم يذبحونها باسم أصنامهم لا باسم الله، وقيل: إن المراد لا يحجون عليها ﴿افتراء عليه﴾ أي كذبوا بادعائهم أن هذا من دين الله.

١٣٩ ﴿وقالوا ما في بطون هذه الأنعام﴾ يعنون البحائر والسوائب، من الأجنّة. عن ابن عباس قال: كانت الشاة إذا ولدت ذكراً ذبحوه، فكان للرجال دون النساء، وإن كانت أنثى تركوها فلم تذبح، وإن كان ميتة كانوا فيها شركاء ﴿خالصة لذكورنا﴾ أي حلال لهم ﴿ومحرم على أزواجنا﴾ وهن النساء، فيدخل في ذلك البنات والأخوات ونحوهن، وقيل: هو اللبن، جعلوه حلالاً للذكور، ومحرمًا على الإناث ﴿وان يكن ميتة﴾ أي وإن يكن الذي في بطون الأنعام ميتة ﴿فهم فيه﴾ أي في الجنين الميت ﴿شركاء﴾ يأكل منه الذكور والإناث ﴿سيجزيهم وصفهم﴾ أي سيجزيهم بقولهم هذا ما يستحقون.

١٤٠ ﴿قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها﴾ أي قتلوا بناتهم بالوَاد الذي كانوا يفعلونه سفهاً، وهو الطيش والخفة، لا لحجة عقلية ولا شرعية ﴿وحرّموا ما رزقهم الله﴾ من الأنعام التي سموها بجائر وسوائب ﴿افتراء على الله﴾ كذباً عليه، فإن الله لم يحرم من هذا شيئاً.

١٤١ ﴿وهو الذي أنشأ جنات﴾ أي خلق البساتين ﴿معروشات﴾ مرفوعات

على الأعمدة ﴿وغير معروشات﴾ غير مرفوعات عليها، وقيل: المعروشات ما انبسط على وجه الأرض مما يعرش، مثل: الكرم، والزرع، والبطيخ، وغير المعروشات ما قام على ساق مثل النخل وسائر الأشجار ﴿مختلفاً أكله﴾ في الطعم [أي تختلف ثماره وما يؤكل منه من ورق أو حب، يمتن الله تعالى بما في اختلاف الأطعمة من الفرق بعباده] ﴿والزيتون والرمان﴾ أي وأنشأ الزيتون والرمان ﴿متشابهاً وغير متشابه﴾ وقد تقدم الكلام على تفسير هذا في الآية (١٩١) ﴿إذا أثمر﴾ وإن لم يدرك ﴿وآتوا حقه يوم حصاده﴾ قيل: هي في زكاة الزرع والثمر، وقيل: يجب على المالك يوم الحصاد أن يعطي من حضر من المساكين القبضة والضغث ونحوهما ﴿ولا تسرفوا﴾ أي في [الأكل، أو] في التصدق.

١٤٢ ﴿ومن الأنعام حولة وفرشا﴾ أي: وأنشأ لكم من الأنعام، وهي الأصناف الثمانية الآتي ذكرها، حولة وفرشا، والحمولة: ما يحمل عليها، وهو يختص بالإبل، والفرش: ما يتخذ من الوبر والصوف والشعر فراشا يفرشه الناس،

حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَاتِ
الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُرْءُودٌ مُبِينٌ ﴿١٤٣﴾ ثَمَنِيَّةٌ أَزْوَاجٌ مِّنَ
الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَالُ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أُمُّ
الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ نَبِّحُوَنِ
بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ
اثْنَيْنِ قُلْ ءَالُ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أُمُّ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ
أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْتُكُمْ اللَّهُ بِهَذَا
فَنَنْظُرُ أَظَلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ
عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾ قُلْ لَا أَجِدُ
فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ
مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا
أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ؕ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلْيَنْ رَّبِّكَ

علم، فهل كنتم شهوداء حاضرين
مشاهدين إذ وصاكم الله بهذا التحريم؟
﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾
أي لا أحد أظلم ممن افترى على الله
كذباً، فحرم شيئاً لم يحرمه الله، ونسب
ذلك إليه افتراء عليه كما فعله كبراء
المشركين [وفي هذه الآية بيان عظم إثم
من يحرم شيئاً مما خلقه الله بغير مستند
صحيح].

١٤٥ ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ
مُحَرَّمًا﴾ فدل ذلك على انحصار المحرمات
فيها لولا أنها مكية؛ وقد نزل بعدها
بالمدينة سورة المائدة، وزيد فيها على هذه
المحرمات: المنخقة، والموقوذة، والمتردة،
والنطيحة؛ وصح عن رسول الله ﷺ تحريم
كل ذي ناب من السباع، وكل ذي
مخالب من الطير، وتحريم الحمر الأهلية،
والكلاب. وقد روي عن ابن عباس
وابن عمر وعائشة: أنه لا حرام إلا ما
ذكره الله في هذه الآية ﴿على طاعم
يطعمه﴾ أي من المأكولات والمشروبات
﴿إلا أن يكون ميتة﴾ وهي غير المذكي
﴿أو دماً مسفوحاً﴾ أي جارياً أما غير
المسفوح فهو معفو عنه كالدم الذي يبقى
في العروق بعد الذبح، ومنه الكبد
والطحال، وهكذا ما يتلطح به اللحم من
الدم عند الذبح ﴿أو لحم خنزير فإنه﴾
أي الخنزير ﴿رجس﴾ والرجس: النجس
﴿أو فسقاً أهل لغير الله به﴾ أي ذبح
على الأصنام ﴿فمن اضطر غير باغ ولا
عاد﴾ قد تقدم تفسيره في سورة البقرة
(الآية ١٧٣) عن ابن عباس قال: كان
أهل الجاهلية يأكلون أشياء، ويتركون
أشياء تقدرراً، فبعث الله نبيه، وأنزل
كتاباً، وأحل حلاله، وحرم حرامه، فما
أحل فهو حلال، وما حرم فهو حرام، وما
سكت عنه فهو عفو، ثم تلا هذه الآية
﴿غفور رحيم﴾ أي للمضطر إن أكل.

﴿ومن المعز اثنين﴾ والمعز من الغنم
خلاف الضأن، وهي ذوات الأشعار
والأذنان القصار ﴿قل الذكركين حرم
أم الأنثيين﴾ المراد بالذكركين: الكبش
والتيس، وبالأنثيين: النعجة والعنز،
والمعنى: الإنكار على المشركين في أمر ما
حرّمه منها ﴿نبشوني بعلم﴾ أي بعلم
مستند إلى خبرٍ مُخبرٍ صادق ﴿إن كنتم
صادقين﴾ أي إن كنتم صادقين فهاثوا
الدليل من كلام الله تعالى.
١٤٤ ﴿أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله
بهذا﴾ أي إن لم يكن بيدكم مستند

وقيل: الحمولة الإبل، والفرش: الغنم،
وقيل: الحمولة كبار الإبل والفرش:
صغارها التي لا يحمل عليها ﴿كلوا مما
رزقكم الله﴾ من هذه الأشياء ﴿ولا
تتبعوا خطوات الشيطان﴾ كما فعل
المشركون، من تحريم ما لم يحرمه الله،
وتحليل ما لم يحلله.
١٤٣ ﴿ثمانية أزواج﴾ يعني ثمانية
أفراد، لأن كل واحد من الذكر والأنثى
زوج بالنسبة إلى الآخر، ويقال لهما
أيضاً: زوجان ﴿من الضأن اثنين﴾ ذكر
وأنثى، والضأن: ذوات الصوف من الغنم

غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٦﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ
وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ
ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ
بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٤٧﴾ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ
ذُو رَحْمَةٍ وَسِعَتْ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٨﴾
سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا
وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا
إِنْ نَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ فَلِلَّهِ
الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٥٠﴾ قُلْ هَلْ
شُهِدَ آتَمُّ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا
فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا

١٤٦ ﴿وعلى الذين هادوا﴾ [أي والذي
حرمناه في التوراة هو هذا، فمن أين لأهل
الجاهلية تحريم ما حرموه وليس في التوراة
ولا في القرآن؟] ﴿كل ذي ظفر﴾ عن
مجاهد قال: هو كل شيء لم تنفرج قوائمه
من البهائم، وما انفرج أكلته اليهود،
قال: انفرجت قوائم الدجاج والعصافير،
فيهود تأكله، ولم ينفرج خف البعير ولا
النعام، ولا قائمة الوز، فلا تأكل اليهود
الإبل ولا النعام، ولا كل شيء لم تنفرج
قائمته كذلك ﴿ومن البقر والغنم حرمناه
عليهم شحومهما﴾ هو شحم الكلية
والشحم الرقيق الذي يكون على الكرش،
ثم استثنى الله سبحانه من الشحوم ما
حملت ظهورهما من الشحم، فإنه لم يحرمه
الله عليهما ﴿أو الحوايا﴾ وهي المباخر التي
يجتمع البعر فيها، فاحملته من الشحم غير
حرام عليهما ﴿أو ما اختلط بعظم﴾ ما
لصق بالعظام من الشحوم في جميع مواضع
الحيوان، ومنه الآية فإنها لاصقة بعجب
الذنب ﴿ذلك﴾ التحريم ﴿جزيناهم
ببغيتهم﴾ بظلمهم [أي وهذه الأشياء التي
حرمت على اليهود ولم تحرم في القرآن،
هي من الطيبات لكنها حرمت عليهم
عقوبة لهم على بغيتهم].

١٤٧ ﴿كذبوك﴾ أي فإن كذبك اليهود،
وقيل المراد: فإن كذبك المشركون الذين
قسموا الأنعام إلى تلك الأقسام، وحللوها
بعضها وحرموها بعضها ﴿فقل ربكم ذو
رحمة واسعة﴾ ومن رحمته حلمه عنكم،
وعدم معاجلته لكم بالعقوبة ﴿ولا يرد
بأسه عن القوم المجرمين﴾ إذا أنزله بهم
واستحقوا المعاجلة بالعقوبة.

١٤٨ ﴿سيقول الذين أشركوا﴾ مشركو
قريش وغيرهم، يريدون أن ما فعلوه
حق، ولو لم يكن حقاً لأرسل الله إلى
آبائهم رسلاً يأمرهم بترك الشرك،
وبترك التحريم لما لم يحرمه الله، والتحليل

١٤٩ ﴿الحجة البالغة﴾ التي تنقطع
عندها معاذيرهم، وتبطل شبههم وظنونهم
وتوهماتهم ﴿فلو شاء﴾ هدايتكم جميعاً
﴿لهداكم أجمعين﴾.

١٥٠ ﴿هل شهداكم﴾ أي هاتوهم
وأحضروهم، يأمرهم بإحضار الشهود على
أن الله حرم تلك الأشياء ﴿فإن شهدوا﴾
بغير علم، بل مجازفة وتعصباً ﴿فلا تشهد
معههم﴾ أي فلا تصدقهم ولا تسلم لهم
﴿ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا﴾
أي ولا تتبع أهواءهم، فإنهم رأس
المكذبين بآياتنا، وهم يكفرون بالآخرة،

لما يحرمه ﴿كذلك كذب الذين من
قبلهم﴾ أي بمثل هذه الحجة كذب الذين
من قبلهم بالمرسلين إليهم ﴿حتى ذاقوا
بأسنا﴾ أي العذاب الذي أنزلناه بهم
﴿هل عندكم من علم فتخرجوه لنا﴾
دليل يدل على أن الله رضي منكم أن
تشركو به، وتحللوا وتحرموا من دونه، وأما
مجرد وقوع الفساد منكم فلا يدل على
رضاه عنكم ﴿إن تتبعون إلا الظن﴾ أي
ما يتبعون إلا الظن الذي هو محل الخطأ
ومكان الجهل ﴿وإن أنتم إلا تخرصون﴾
أي تتوهمون مجرد توهم.



وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾
 * قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقْتُمْ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلَا مَبْطُنٌ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾

وهي ما فيه صلاح ونفع لليتيم وزيادة في ماله **﴿حق يبلغ أشده﴾** بلوغه وإيناس رشده. وهو أن يكون في تصرفاته بماله سالكا مسلك الراشدين، لا مسلك أهل السفه والتبذير **﴿وأوفوا الكيل والميزان بالقسط﴾** أي بالعدل في الأخذ والإعطاء عند البيع والشراء **﴿لا تكلف نفسا إلا وسعها﴾** أي إلا طاقتها في كل تكليف من التكليف، ومنه التكليف بإيفاء الكيل والوزن بما يمكن الاحتراز عنه في الزيادة والنقصان **﴿وإذا قلتم فاعدلوا﴾** في خبر أو شهادة أو جرح أو تعديل فاعدلوا فيه وتحروا الصواب، ولا تتعصبوا في ذلك لقريب ولا على بعيد، ولا تميلوا إلى صديق ولا على عدو، بل سوا بين الناس **﴿ولو كان﴾** المقول فيه، أو المقول له **﴿ذا قرنى﴾** أي صاحب قرابة لكم **﴿وبعهد الله أوفوا﴾** [أي إذا عاهدتم الله أو عاهدتم بالله فأوفوا. ومن أسلم فقد عاهد الله على طاعته] **﴿ذلكم﴾** ما تقدم ذكره **﴿وصاكم به﴾** أمركم به أمرا مؤكدا.

١٥٣ ﴿وأن هذا صراطي مستقيما﴾

[السبيل الموصل إلى رضائي، وهو دين الله]، ثم أمرهم باتباعه ونهاهم عن اتباع سائر **﴿السبل﴾** أي الأديان المتباينة طرقها **﴿فتفرق بكم﴾** أي تميل بكم **﴿عن سبيله﴾** أي عن سبيل الله المستقيم الذي هو دين الإسلام، وهذه السبل تعم اليهودية والنصرانية والمجوسية، وسائر الملل، والبدع والضلالات من الأهواء والشذوذ، وعن ابن مسعود قال: «خط رسول الله ﷺ خطا بيده ثم قال هذا سبيل الله مستقيما ثم خط خطوطا عن يمين ذلك الخط وعن شماله، ثم قال: وهذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعوه إليه، ثم قرأ: وأن هذا صراطي مستقيما الآية.»

﴿وهم برهم يعدلون﴾ أي يجعلون له عدلا من مخلوقاته، كالأوثان، فكيف تتبع من هكذا عقولهم؟
١٥١ ﴿أتل ما حرم ربكم عليكم﴾ أقرأ عليكم الآيات المشتملة على ما حرمه الله عليكم **﴿ألا تشركوا﴾** أي ألزمكم أو حشكم على ألا تشركوا به **﴿وبالوالدين إحسانا﴾** بالبر بهما، وامتثال أمرهما ونهيها، وفيه نهي عن عقوقها **﴿ولا تقتلوا أولادكم من إملاق﴾** الإملاق: الفقر، فقد كانت الجاهلية تفعل ذلك بالذكور والإناث خشية الإملاق، وتفعله بالإناث خشية العار **﴿ولا تقربوا الفواحش﴾** أي المعاصي، ومنه الزنى **﴿وما ظهروا﴾** ما أعلن به منها **﴿وما بطن﴾** ما أسر به **﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾** ومن الحق قتلها قصاصا، وقتلها بسبب زنى المحصن، وقتلها بسبب الردة، وهذه هي الأسباب التي ورد الشرع بها **﴿وصاكم به﴾** أي أمركم به، وأوجه عليكم.
١٥٢ ﴿ولا تقربوا مال اليتيم﴾ أي لا تتعرضوا له بوجه من الوجوه **﴿إلا به﴾** الخصلة **﴿التي هي أحسن﴾** من غيرها،

ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ
وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ
يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا
لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَى
طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ﴿١٥٦﴾
أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ
فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي
الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا
يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ
أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي
بَعْضُ ءَايَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِمْتِنَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامِنْتَ

١٥٤ ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ أي ثم
إننا قد آتينا موسى الكتاب قبل إنزالنا
القرآن على محمد ﷺ ﴿تَمَامًا عَلَى الَّذِي
أَحْسَنَ﴾ أي أتممناه على الأمر الذي هو
أحسن الأمور، وقيل المعنى: تَمَامًا لِلنِّعْمَةِ
جزاء على إحسان موسى بطاعة الله عز
وجل ﴿وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ لأحكام
كل شيء.

١٥٥ ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾
الإشارة إلى القرآن، والمبارك الكثير
البركة لما هو مشتمل عليه من المنافع
الدنيوية والدينية ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾ فاتباعه
متحتم عليكم ﴿وَاتَّقُوا﴾ مخالفتُهُ والتكذيب
بما فيه ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ إن قبلتموه ولم تخالفوه
﴿تُرْحَمُونَ﴾ برحمة الله.

١٥٦ ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ أي لثلاث تقولوا ﴿إِنَّمَا
أَنْزَلَ الْكِتَابَ﴾ أي التوراة والإنجيل
﴿عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا﴾ وهم: اليهود
والنصارى، ولم ينزل علينا كتاب ﴿وَأَنْ
كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ﴾ أي عن تلاوة كتبهم
بلغاتهم ﴿لَغَافِلِينَ﴾ أي لا ندري ما فيها.

١٥٧ ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْنا
الْكِتَابَ﴾ كما أنزل على الطائفتين من
قبلنا ﴿لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ﴾ فإن هذه
المقالة والمعذرة منهم مندفة بإرسال محمد

ﷺ وإنزال القرآن عليه ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ
بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي كتاب أنزله الله
على نبيكم، وهو منكم يا معشر العرب،
فلا تعتذروا بالأعذار الباطلة، وتعللوا
أنفسكم بالعلل الساقطة ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ
كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ التي هي رحمة وهدى
للناس ﴿وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ فَضَّلَ بِانصرافه
عنها.

١٥٨ ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ أي لا ينتظرون
﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ أي ملائكة
الموت لقبض أرواحهم ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾
يوم القيامة لفصل القضاء بينهم ﴿أَوْ يَأْتِيَ
بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ أمارات الساعة

الدالة على مجيئها ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ
رَبِّكَ﴾ يوم تأتي الآيات التي اقترحوها،
وهي التي تضطرهم إلى الإيمان، كطلوع
الشمس من مغربها، وخروج الدابة التي
تكلمهم ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا﴾ لارتفاع
التكليف بذلك، لأن الكل يرون الحق
رأي العين، فيؤمنون جميعا، فلا ينفعهم

حيثئذ الإيمان ﴿لَمْ تَكُنْ ءَامِنْتَ مِنْ قَبْلُ﴾
أي من قبل مجيء بعض الآيات، فأما
التي قد كانت آمنت من قبل مجيء
بعض الآيات فإيمانها ينفعها ﴿أَوْ كَسَبَتْ
فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾ بعمل صالح قدمته، فن

آمن من قبل فقط ولم يكسب خيرا في
إيمانه، أو كسب خيرا ولم يؤمن، فإن
ذلك غير نافع. قال رسول الله ﷺ «لا
تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من
مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا
أجمعون، فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها،
ثم قرأ الآية».

١٥٩ ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ جعلوا
دينهم متفرقا، فأخذوا ببعضه وتركوا
بعضه، والمراد بهم: اليهود والنصارى
والمشركون، عبد بعضهم الصنم وبعضهم
الملائكة، وكل من ابتدع وجاء بما لم يأمر

مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ أَنْتَظِرُوا إِنَّآ مُنْتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا لَّسَتْ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغَى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾

بمغفرته فلا مجازاة **«وهم»** أي من جاء بالحسنة ومن جاء بالسيئة **«لا يظلمون»** ينقص ثواب حسنات المحسنين ولا بزيادة عقوبات المسيئين.

١٦١ «إلى صراط مستقيم» وهو ملة إبراهيم عليه السلام **«ديننا قيام»** هو الدين المستقيم الذي لا عوج فيه **«حنيفاً»** والحنيف: المائل إلى الحق.

١٦٢ «قل إن صلاتي» والمراد بالصلاة جميع أنواعها **«ونسكي»** جمع نسكة، وهي الذبيحة، وقيل: عبادتي **«ومحياي ومماتي»** أي ما أعمله في حياتي من أعمال الخير، ومن أعمال الخير بعد الممات بالوصية بالصدقات وأنواع القربات، وقيل: نفس الحياة، ونفس الموت **«لله رب العالمين»** أي خالصاً له.

١٦٣ «لا شريك له» أي لا أشرك به شيئاً في صلاتي ولا نسكي ولا محياي ولا مماتي **«وأنا أول المسلمين»** أي أول مسلمي أمته. عن علي: أن النبي ﷺ كان إذا قام إلى الصلاة قال: «وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض إلى قوله - وأنا أول المسلمين».

١٦٤ «أغير الله أبغى رباً» كيف أطلب غير الله رباً مستقلاً وأترك عبادة الله، أو كيف أطلب شريكاً لله فأعبدهما معاً، والحال أنه رب كل شيء، والذي تدعونني إلى عبادته مربوب له، ومخلوق مثلي، لا يقدر على نفع ولا ضرر **«ولا تكسب كل نفس إلا عليها»** أي فلا يقدر أحد أن يكتسب لغيره ذنباً **«ولا تزر وازرة وزر أخرى»** فلا يحمل بريء ذنب غير بريء، وفيه رد لما كانت عليه الجاهلية من مؤاخذه القريب بذنب قريبه، والواحد من القبيلة بذنب الآخر، وفي الآية الأخرى (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم).

أمثالها» وهذا ما أوجه الله تعالى على نفسه، وقد يزيد، كمثله أنبئت سبع سنابل، وورد في بعض الحسنات أن فاعلها يجازى عليها بغير حساب **«ومن جاء بالسيئة»** من الأعمال السيئة **«فلا يجزى إلا مثلاً»** من دون زيادة عليها، على قدرها في الخفة والعظم، فيجزي على سيئة الشرك بخلوده في النار، وفاعل المعصية من المسلمين يجازى عليها بمثلها مما ورد تقديره من العقوبات. وهذا إن لم يتب، أما إذا تاب أو غلبت حسناته سيئاته أو تغمدته الله برحمته وتفضل عليه

به الله **«شيعة»** فرقا وأحزاباً، فتصدق على كل قوم كان أمرهم في الدين واحداً مجتمعاً، ثم اتبع كل جماعة منهم رأي كبير من كبرائهم يخالف الصواب، ويبين الحق **«لست منهم في شيء»** أي أنت بريء من بدعهم واقتراحهم، وإنما عليك الإنذار **«إنما أمرهم إلى الله»** فهو مجاز لهم بما تقتضيه مشيئته **«ثم»** هو يوم القيامة **«ينبئهم»** أي يخبرهم **«بما كانوا يفعلون»** من الأعمال التي تخالف ما شرعه الله لهم وأوجه عليهم.

١٦٠ «من جاء بالحسنة فله عشر

وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ
بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ
الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٥﴾

(٧) سُورَةُ الْأَعْرَافِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا سِتُّ وَفَاتْنَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَصَّ ﴿١﴾ كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ
حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ اتَّبِعُوا
مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ
قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَكَمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا
بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ

١٦٥ ﴿وهو الذي جعلكم خلائف الأرض﴾ خلفاء الأمم الماضية والقرون السالفة، خلفتموهم في عمران الأرض. وقيل المراد: أن هذا النوع الإنساني خلفاء الله في أرضه ﴿ورفع بعضكم فوق بعض درجات﴾ في الخلق والرزق والقوة والفضل والعلم، إلى درجات ﴿ليبلوكم فيما آتاكم﴾ أي ليختبركم فيما آتاكم من تلك الأمور ﴿إن ربك سريع العقاب﴾ فإنه وإن كان في الآخرة فكل آت قريب ﴿وإنه لغفور رحيم﴾ أي كثير الغفران والرحمة لمن آمن بالله وبرسوله وكتبه، واتبع ما أنزله من الهدى [وقد أكد الله تعالى حقيقة كونه غفورا رحيمًا أشد من تأكيده لسرعة عقابه وهذا يبين أن رحمة الله تعالى أشد وأعظم من غضبه. وقد قال رسول الله ﷺ «لما خلق الله الخلق كتب في كتاب عنده فوق العرش: إن رحمتي تغلب غضبي» رواه مسلم.]

سُورَةُ الْأَعْرَافِ

١ ﴿المص﴾ الله أعلم بمراده بذلك. وقد تقدم الكلام على هذه الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

٢ ﴿كتاب أنزل إليك﴾ أي هذا كتاب ﴿فلا يكن في صدرك حرج منه﴾ أي لا يكن في صدرك ضيق منه من إبلاغه إلى الناس، مخافة أن يكذبوك ويؤذوك، فإن الله حافظك وناصرك، ولا يضيق صدرك حيث لم يؤمنوا به، ولم يستجيبوا لك (فإنما عليك البلاغ) وقيل المراد: لا يكن في صدرك شك ولا كُتُس في كون هذا القرآن كتاب الله أنزله إليك لدعوة عباد الله إلى دين الله ﴿لتنذر به﴾ أي لتنذر الناس بالكتاب أنزلناه إليك ﴿وذكرى للمؤمنين﴾ [فالكتاب يذكرهم أنا بعد أن برهمن، وما يحق له من

الطاعة] منزل إليهم بواسطة إنزاله إلى النبي ﷺ. وينسون ذلك أو يجهلونه كثيرا].

٣ ﴿اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم﴾ هو القرآن العظيم، والسنة معه لأنها تبينه وتفسره، قد قال الله تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) ﴿ولا تتبعوا من دونه أولياء﴾ تعبدونهم وتجعلونهم شركاء لله، أو لا تتبعوا من دون كتاب الله أولياء تقلدوهم في دينكم، كما كان يفعل أهل الجاهلية من طاعة الرؤساء فيما يحللونه لهم ويحرمونه عليهم ﴿قليلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [أي إن البشر أشد وأفطن.

٤ ﴿وكم من قرية أهلكناها﴾ أي: أردنا إهلاكها ﴿فجاءها بأسنا﴾ أي أهلكنا كثيرا من القرى المكذبة بالحق، فكان أن جاءها عذابنا ﴿بياتا﴾ أي ليلا وهم نائمون ﴿أو هم قائلون﴾ والقيلول: هي نوم نصف النهار، وقيل: هي مجرد الاستراحة في ذلك الوقت لشدة الحر من دون نوم، وخص الوقتين لأنها وقت السكون والدعة، فجاء العذاب فيها أشد وأفطن.



إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٥﴾
 فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾
 فَلَنَقْصُنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٧﴾ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ
 الْحَقُّ ۖ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾
 وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ
 بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ
 وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾
 وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا
 لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾
 قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ
 خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ
 مِنْهَا ۖ فَكَوْنُ لَكَ أَنْ تَكْبُرَ فِيهَا فَتَخْرُجَ إِنَّكَ

الصالحة فرجحت سيئاته ﴿فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون﴾ أي يعاملونها بغير ما تستحقه من التعظيم فكذبوا بها.

١٠ ﴿ولقد مكناكم في الأرض﴾ أي جعلنا لكم فيها مكانا، وهيانا لكم فيها أسباب المعيش.

١١ ﴿ولقد خلقناكم﴾ خلقنا آدم من تراب ﴿ثم صورناكم﴾ [أي صورنا آدم، وأنتم بالتبع]. وقيل: المعنى ولقد خلقنا الأرواح أولا، ثم صورنا الأشباح ﴿ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ أمرناهم بذلك فامتثلوا الأمر، وفعلوا السجود بعد الأمر ﴿إلا إبليس لم يكن من الساجدين﴾ أبى السجود تكبرا.

١٢ ﴿قال ما منعك ألا تسجد﴾ السؤال: لإقامة الحجة، وللتقريع والتوبيخ، وإلا فهو سبحانه عالم بذلك ﴿قال أنا خير منه﴾ كان المانع له من السجود بزعمه هو اعتقاده أنه أفضل من آدم، وإنكار أن يؤمر مثله بالسجود لمثله ﴿خلقني من نار وخلقته من طين﴾ اعتقادا منه أن عنصر النار أفضل من عنصر الطين.

١٣ ﴿قال فاهبط﴾ من السماء التي هي محل المطيعين من الملائكة الذين لا يعصون الله فيما أمرهم، إلى الأرض التي هي مقر من يعصي ويطيع ﴿فأ يكون لك أن تتكبر فيها﴾ فإن السماء لا تصلح لمن يتكبر ويعصي أمر ربه مثلك ﴿فاخرج﴾ أي من الجنة ﴿إنك من الصاغرين﴾ من أهل الصغار والهوان على الله، وعلى صالحى عبادته، جزاء استكبارك. وكل من تردى برداء الاستكبار، عوقب بلبس رداء الهوان والصغار، ومن لبس رداء التواضع رفع الله قدره.

٧ ﴿فلنقصن عليهم بعلم﴾ أي على الرسل والمرسل إليهم ما وقع بينهم عند الدعوة منهم، أي عالمين بالأمر كيف وقع بينهم حينما جاءهم الرسل ﴿وما كنا غائبين﴾ عنهم حتى يحق علينا شيء مما وقع بينهم.

٨ ﴿والوزن يومئذ الحق﴾ أي توزن أعمال العباد يوم القيامة بالميزان وزنا حقيقيا طبقا للعدل الذي لا ظلم معه ﴿فن ثقلت موازينه﴾ فن رجحت أعماله الصالحة الموزونة.

٩ ﴿ومن خفت موازينه﴾ أعماله

٥ ﴿فأ كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا﴾ أي فأ كان دعواهم ربهم عند نزول العذاب إلا اعترافهم بالظلم على أنفسهم.

٦ ﴿فلنسألن الذين أرسل إليهم﴾ من الأمم السالفة عما أجابوا به رسلهم عند دعوتهم ﴿ولنسألن المرسلين﴾ أي الأنبياء الذين بعثهم الله، نسألهم عما أجاب به أممهم عليهم، ومن أطاع منهم ومن عصى [وكل ذلك ليكون معلوما أننا ما ظلمنا أهل تلك القرى عندما أهلكناهم، بل كانوا هم الظالمين بتكذيبهم للرسل].

مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾
 قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي لِأَقْعُدَنَّ
 لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَا تَيَسَّرُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ
 وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ
 أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَخْرَجَ مِنْهَا مَذْذُومًا وَمَا مَذْهُورًا
 لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾
 وَيَتَادَمُّ أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ رَأَوْا آيَاتِنَا وَلَوْ كُنَّا مُنْذِرِينَ ﴿١٩﴾
 فَسَوْسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ
 سُوءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ
 تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا
 إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا

١٤ ﴿قال أنظرنى إلى يوم يبعثون﴾ كأنه طلب ألا يموت أبداً، لأن يوم البعث لا موت بعده والمراد إلى أن يبعث آدم وذريته ليوم القيامة.

١٥ ﴿إنك من المنظرين﴾ أي المهلين [لا إلى يوم البعث لكن إلى يوم الصق]، قيل الحكمة في إنظاره: ابتلاء العباد ليعرف من يطيعه ممن يعصيه.

١٦ ﴿قال فيما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم﴾ أي فسبب إضلالك إياي - حتى تركت السجود لآدم، فعاقبتني العقوبة المهلكة - لأجهدن في إغوائهم حتى يفسدوا بسببي - كما فسدت بسبب تركي السجود لأبيهم.

١٧ ﴿ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم﴾ الجهات الأربع، لأنها هي التي يأتي منها العدو عدوه، وترك ذكر جهة الفوق والتحت، لأن الرحمة تنزل من فوقهم، أي سوف آتيهم من كل الجهات، محاولاً إغواءهم عن صراطك المستقيم بكل وسيلة أقدر عليها ﴿ولا نجد أكثرهم شاكرين﴾ لتأثير وسوستي فيهم وإغوائي لهم، فهو يضلهم عن الأعمال الصالحة ويحاول إفسادها.

١٨ ﴿قال اخرج منها﴾ من السماء أو الجنة ﴿مذموما﴾ أي مذموماً، والمذخور: المطرود ﴿لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين﴾ قسم وإنذار منه تعالى لمن ترك طاعة الرحمن، واتبع سبيل الشيطان.

١٩ ﴿وبإ آدم اسكن أنت وزوجك الجنة﴾ أي وقلنا يا آدم، وهذا القول بعد إخراج إبليس من الجنة ﴿من حيث شئت﴾ من أي نوع من أنواع ثمار الجنة شئتما أكله ﴿ولا تقربا هذه الشجرة﴾ أباح لهم جميع شجر الجنة ماعدا هذه الواحدة وقد اختلف في نوع تلك الشجرة، ولم يرد في تعيينه خبر صحيح، ولا

الجنة، أو من الذين لا يموتون.

جدوى من البحث في ذلك.

٢١ ﴿وقاسمها إني لكأ لمن الناصحين﴾ أي حلف لها، وقيل: إنها أقسمت له بالقبول، كما أقسم لها على المناصحة أي فصدقه آدم وحواء، ولم يخطر ببالها أنه كاذب مُضِلٌّ.

٢٢ ﴿فدلاهما بغرور﴾ التدلية والإدلاء: إرسال الشيء من أعلى إلى أسفل، والمعنى: أنه أهبطها بذلك من الرتبة العلية، وهي رتبة الطاعة والكرامة، بما خدعها به من اليمين الكاذبة.

٢٠ ﴿فوسوس لها الشيطان﴾ أي حدثها بصوت خفي ﴿ليبدى لها﴾ أي ليظهر لها ﴿ما ووري﴾ أي ما ستر وعُظي ﴿عنها من سوءاتها﴾ أراد الشيطان أن يسوءها بظهور ما كان مستورا عنها من عوراتها، فإنها كانت لا يريان عورة أنفسها، ولا يراها أحدهما من الآخر. ثم قد قيل: إنما بدت عورتها لها لا لغيرهما ﴿وقال ما بها كما ربكما عن﴾ أكل هذه الشجرة ﴿إلا أن تكونا ملكين﴾ لشلا تكونا ملكين ﴿أو تكونا من الخالدين﴾ في

إلى وقت، وهو وقت موتكم، أو المراد:
إلى وقت قيام الساعة.

٢٥ ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ أي في الأرض تحيون، وفيها يأتىكم الموت، ومنها تخرجون إلى دار الآخرة.

٢٦ ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ﴾ [وذلك من الصوف والقطن، ومما علمكم الله تعالى صناعته من سائر الملابس، امتن الله بها على بني آدم، ليستر عوراتهم التي أبداهم لهم إبليس] **﴿وَرِيشًا﴾** المراد بالريش هنا: لباس الزينة، أي إن الملابس التي أهدى الله بني آدم اتخاذها حكمتها السر والزينة **﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾** لباس الإيمان والعمل الصالح، والورع، واتقاء معاصي الله، والخشية من الله، فذلك خير لباس وأجل زينة، وقيل: هو الدرع والمغفر الذي يلبسه من يجاهد في سبيل الله **﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾** [أي إنزال الملابس وبيان لباس التقوى].

٢٧ ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾ [أي احذروا أن يفتنكم الشيطان فيغويكم عن طاعة الله، فينزِعَ عنكم اللباس، أو التقوى، ويحرمكم من دخول الجنة، أو يسؤل لكم إظهار العورة وكشفها لمن لا يحل له، فقد قن أبويكم] **﴿يَنْزِعُ عَنْهَا لِبَاسَهَا﴾** [أوقعها في المعصية التي كانت عقوبتها ظهور ما كان خافيا عنها من السوءة] **﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾** أي فاحفظوا أنفسكم من رؤيته لكم عراة، حيث نهاكم الله عن إبداء العورة، لأن من كان بهذه المثابة - يرى بني آدم من حيث لا يرونه - كان عظيم الكيد، وكان حقيقا بأن يُخترَسَ منه أبلغ احتراس **﴿وقبيله﴾** أعوانه من الشياطين وجنوده.

الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهَا سَوْءَاتُهَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَبْنِي آدَمُ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُورِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ يَذَكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَبْنِي آدَمُ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ

﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهَا سَوْآتُهَا﴾ أي: لما أكلتا من الشجرة ظهرت لهما عوراتهما **﴿وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة﴾** أخذا يقطعان الورق، قيل: هو ورق التين، ويلزقانه بعورتها ليسترها طبقة فوق طبقة **﴿وناداهما ربهما﴾** قائلا لهما **﴿ألم أنهكما عن تلكما الشجرة﴾** وهذا عتاب من الله لهما وتوبيخ، حيث خالفا أمر الله فأكلتا من الشجرة بعينها، ولم يحذرا ما حذرهما منه وهو مكاييد الشيطان. بقوله **﴿إن الشيطان لكما عدو مبين﴾** أي ظاهر العداوة لا يخفيها.

٢٣ ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾ اعتراف بالذنوب، وأنها ظلما أنفسهما مما وقع منها من المخالفة، [خلافا لإبليس الذي لم يعتذر عن معصيته، ولم يستغفر ربه، بل استكبر].

٢٤ ﴿قَالَ اهْبِطُوا﴾ والخطاب لآدم وحواء وذريتهما، ولإبليس **﴿بعضكم لبعض عدو﴾** جعل العداوة نوعا من العقوبة **﴿ولكم في الأرض مستقر﴾** موضع استقرار **﴿و﴾** لكم فيها **﴿متاع﴾** تتمتعون به في الدنيا، وتنتفعون به، من المطعم والمشرب ونحوهما **﴿إلى حين﴾** أي

أُولِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرْنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحِشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أُولِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهم مُهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾

* يَنْبِئُ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾

قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ

٢٨ ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرْنَا بِهَا﴾ نزلت في طواف المشركين بالبيت غرّة، فعلوا ذلك اقتداء بآبائهم وادعوا أنهم مأمورون بذلك من جهة الله سبحانه. ووجود آبائهم على القبح لا يسوّغ لهم فعله، والأمر من الله سبحانه لهم لم يكن بالفحشاء، بل أمرهم باتباع الأنبياء، والعمل بالكتب المنزلة، ونهاهم عن مخالفتها، ومما نهاهم عنه فعل الفواحش ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحِشَاءِ﴾ فكيف تدعون ذلك عليه سبحانه ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ فإن القول بالجهل إذا كان قبيحا في كل شيء، فكيف إذا كان في القول على الله؟

٢٩ ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ أي هذه أوامر الله تعالى، فأين أمركم بالتعري والفواحش؟ والقسط العدل، وفيه أن الله سبحانه يأمر بالعدل لا كما زعموه من أن الله أمرهم بالفحشاء ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ أي صلوا له تعالى متوجهين إليه في صلاتكم إلى القبلة في أي مسجد كنتم ﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ اعبدوه حال كونكم مخلصين الدعاء أو العبادة له وحده ولا تشركوا به ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ كما أنشأكم في ابتداء الخلق يعيدكم، وقيل: كما أخرجكم من بطون أمهاتكم تعودون إليه كذلك ليس معكم شيء.

٣٠ ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ﴾ أي تعودون فريقين: سعداء وأشقياء، والفريق الذي ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ هم الكفار ﴿إِنَّهم اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أُولِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي ذلك بسبب أنهم أطاعوا الشياطين في معصية الله.

٣١ ﴿يَنْبِئُ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ يأمر الله تعالى عباده بالتزين وستر العورة عند الحضور إلى

المساجد للصلاة والطواف ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ نهاهم عن الإسراف، فلا زهد في ترك مطعم ولا مشرب؛ وتاركه بالمرّة قاتل لنفسه، وهو من أهل النار؛ والمقل منه على وجه يضعف به بدنه، ويعجز عن القيام بما يجب عليه القيام به من طاعة أو سعي على نفسه وعلى من يعول، يخالف لما أمر الله به وأرشد إليه؛ والمسرف في إنفاقه على وجه لا يفعله إلا أهل السفه والتبذير، يخالف لما شرعه الله لعباده، واقع في النهي القرآني.

٣٢ ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ الزينة: ما يزين به الإنسان من ملبوس أو غيره من الأشياء المباحة كالمعادن والجواهر ونحوها. فلا حرج على من لبس الثياب الجيدة الغالية القيمة [إذا لم يدخل في حد الإسراف، ولم يكن مما حرمه الله، ولا حرج على من تزين بشيء من الأشياء التي لها مدخل في الزينة ولم يمنع منها مانع شرعي، ومن زعم أن ذلك يخالف الزهد فقد غلط] وهكذا ﴿الطَّيِّبَاتِ﴾ من المطاعم والمشارب، فإنه لا زهد في ترك



يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا
وَمَا بَطَّنَ ۖ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ
يُنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾
وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً
وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ يَبْنِي ۖ آدَمَ ۖ إِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ
يَقْضُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي ۖ فَمَنْ آتَقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا
عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾ فَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۖ
أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ
رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ
اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا

إلى الله سبحانه من التحليلات
والتحريمات التي لم يأذن بها .

٣٤ ﴿ولكل أمة أجل﴾ أي وقت معين
محدد يميتهم فيه ﴿فإذا جاء أجلهم﴾ أي
إذا جاء أجل كل أمة من الأمم كان ما
قدّره عليهم واقعاً في ذلك الأجل .

٣٥ ﴿يا بني آدم إما يأتينكم﴾ المعنى :
إن أتاكم رسل منكم ﴿بقصون عليكم
آياتي﴾ أي يخبرونكم بأحكامي ،
ويبينونها لكم ، أي فاطيعوا هؤلاء الرسل
وصدّقوهم وتابعوهم ﴿فمن اتقى﴾ معاصي
الله ﴿وأصلح﴾ حال نفسه باتباع الرسل ،
وإجابتهم ﴿فلا خوف عليهم﴾ من ظلم
أو عذاب ينالهم ﴿ولا هم يحزنون﴾ يوم
القيامة على ما أصابهم في الدنيا .

٣٦ ﴿والذين كذبوا بآياتنا﴾ التي
يقصها عليهم رسلنا ﴿واستكبروا﴾ عن
إجابتها والعمل بما فيها فـ ﴿أولئك
أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ لا
يخرجون منها ، بسبب كفرهم .

٣٧ ﴿فمن أظلم ممن افترى على الله
كذباً أو كذب بآياته﴾ أي لا أحد أظلم
ممن اقتترف معصية الكذب على الله ،
فشرع من الدين ما لم يأذن الله به ، أو
كذب بما جاءت به الرسل ﴿أولئك
الكاذبون على الله ، والمكذبون لما أتاهم

من الله ﴿ينالهم نصيبهم من الكتاب﴾
أي مما كتب الله لهم من خير وشر ،
[ومن زينة الدنيا وطيبات مطاعمها]
﴿حتى إذا جاءتهم رسلنا﴾ ملك الموت
وأعوانه ﴿قالوا أين ما كنتم تدعون من
دون الله﴾ أي أين الآلهة التي كنتم
تدعونها من دون الله وتعبدونها؟ ابجثوا
عنها لتنفعكم اليوم ﴿قالوا ضلوا عنا﴾
[أضاعونا فلا يدرون أين نحن] أو :
ذهبوا عنا وغابوا فلا ندري أين هم ؟
﴿وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا
كافرين﴾ أي أقروا بالكفر على أنفسهم .

القيامة﴾ أي مختصة بهم يوم القيامة لا
يشاركهم فيها الكفار .

٣٣ ﴿قل إنما حرم ربي الفواحش﴾
المعاصي التي اشتدت شناعتها ﴿ما ظهر
منها وما بطن﴾ أي ما أعلن منها وما أسر
﴿والإثم﴾ يتناول كل معصية يتسبب عنها
العقاب ﴿والبغي بغير الحق﴾ الظلم
للناس المجاوز للحد ﴿وأن تشركوا بالله
ما لم ينزل به سلطاناً﴾ أي وأن تجعلوا لله
شريكاً لم ينزل عليكم به حجة ﴿وأن
تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾ بحقيقته
وأن الله قاله ، وهذا مثل ما كانوا ينسبون

الطيب منها ، ولهذا جاءت الآية للإنكار
على من حرم ذلك على نفسه ، أو حرمه
على غيره ، وترك أكل اللحم والطيبات
المستلذات من الطعام من اللحم والفاكهة
والحلويات وغيرها مما طاب كسبها ومطعمها
فهو داخل في هذا النهي . عن النبي ﷺ
قال : «كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا في
غير غيلة ولا سرف ، فإن الله سبحانه
يجب أن يرى أثر نعمته على عبده» ﴿قل
هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا﴾ أي
إنها لهم بالأصالة ، وإن شاركهم الكفار
فيها ما داموا في الحياة ﴿خالصة يوم

كَافِرِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ
مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا
حَتَّى إِذَا آدَارُكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأَوْلِهِمْ رَبَّنَا
هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَغَاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ
ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ
فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ
تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايَتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا
لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ
الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾
لَهُمْ مِّنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ
نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ

٣٨ ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ أي ادخلوا في جملة الأمم التي قد مضت من الأمم الماضية من قبلكم ﴿مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ وهم الكفار من الطائفتين من الأمم ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ﴾ من الأمم الماضية ﴿لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ أي الأخرى التي سبقتها إلى النار ﴿حَتَّى إِذَا آدَارُكُوا فِيهَا﴾ والتدارك: التلاحق والتتابع والاجتماع في النار ﴿قَالَتْ أُخْرَاهُمْ﴾ أي قالت أخراهم دخولا وهم سفلتهم وأتباعهم ﴿لَا وُلَاهُمْ﴾ دخولا، وهم رؤساؤهم وكبارهم ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا﴾ فإن المضلين هم الرؤساء، ويجوز أن يراد أنهم أضلوهم لأنهم تبعوهم واقتدوا بدينهم من بعدهم، لأن أخراهم تبعت دين أولاهم ﴿فَغَاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ﴾ الضعف: الزائد على مثله مرة أو مرات ﴿قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ﴾ لكل طائفة منكم ضعف من العذاب: أي الطائفة الأولى، والطائفة الأخرى.

٣٩ ﴿وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ﴾ قال السابقون لللاحقين، أو المتبعون للتابعين ﴿فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾ أي تخفيف من العذاب، فإن العبرة بكسب الإنسان وعمله، ولا عذر له في اتباع الباطل، بل الفريقان سواء في الكفر بالله واستحقاق عذابه ﴿فَذُوقُوا﴾ عذاب النار كما ذقناه ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ من معاصي الله والكفر به.

٤٠ ﴿لَا تَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ لا تفتح أبواب السماء لأرواحهم إذا ماتوا، وقيل لا تفتح أبواب السماء لأدعيتهم إذا دعوا [ولا لأعمالهم إذا عملوا، فلا ترفع إلى الله] ولا تقبل، بل ترد عليهم فيضرب بها في وجوههم ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ لا يدخلون الجنة بحال من الأحوال، ولهذا علقه بالمستحيل، فقال ﴿حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ

فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ وخص سم الخياط، وهو ثقب الإبرة، لكونه غاية في الضيق، والجمال: الذكر من الإبل، وقيل الحمل الغليظ من القتب.

٤١ ﴿مِهَادٌ﴾ المهاد القُرش ﴿غَوَاشٍ﴾ الغواشي: اللحف، أي نيران تفشاهم من فوهم كالأغطية.

٤٢ ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي نكلف العباد بما يدخل تحت وسعهم ويقدر على، ولا نكلفهم ما لا يدخل تحت وسعهم.

٤٣ ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ﴾ ينزع الله ما في قلوبهم من الحقد بعضهم على بعض، حتى تصفو قلوبهم، ويود بعضهم بعضا، فإن الغلّ لو بقي في صدورهم كما كان في الدنيا لكان في ذلك تنغيص لنعيم الجنة، لأن المتشاحنين لا يطيب لأحدهم عيش مع وجود الآخر، والغلّ: الحقد الكامن في الصدور، وقيل نزع الغلّ في الجنة ألا يحسد بعضهم بعضا في تفاضل المنازل ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾ أي لهذا الجزاء العظيم، وهو الخلود في الجنة، ونزع الغلّ من صدورهم، بالهداية

هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَتَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ
تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا
لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ
رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا
كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ
أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ
رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ
اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا
حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ
وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا
وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ * وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ



لسببه من الإيمان والعمل الصالح في الدنيا **﴿وما كنا لنهتدي﴾** نطبق أن نهتدي بهذا الأمر لولا هداية الله لنا **﴿لقد جاءت رسل ربنا بالحق﴾** قالوا هذا اغتباطا بما صاروا فيه **﴿ونودوا﴾** [تهنئة لهم بنعمة الله] **﴿أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون﴾** ورثتم منازلها بعملكم، قال رسول الله ﷺ فيما صح عنه «سددوا وقاربوا واعلموا أنه لن يدخل أحد الجنة بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمديني الله برحمته» ولولا التفضل من

الله سبحانه وتعالى على العامل بإقداره على العمل لم يكن غيل أصلا. عن النبي ﷺ قال: «نودوا أن صحوا فلا تسقموا، وانغموا فلا تبأسوا، وشبوا فلا تهرموا، واخلدوا فلا تموتوا».

﴿ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار﴾ أي ينادونهم بعد أن يستقر كل من الفريقين في منزله **﴿أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا﴾** أي: إنا قد وصلنا إلى ما وعدنا الله به من النعيم، فهل وصلتم إلى ما وعدكم الله به من العذاب الأليم؟ **﴿قالوا نعم﴾** أي وجدنا ما وعدنا

ربنا حقا **﴿فأذن مؤذن﴾** أي فنادى مناد بين الفريقين، قيل: هو من الملائكة.

٤٥ ﴿الذين يصدون عن سبيل الله﴾ يمنعون الناس عن سلوك سبيل الحق **﴿ويبغونها عوجا﴾** أي يتفرون الناس عنها، ويقدحون في استقامتها بقولهم إنها غير حق، وإن الحق ما هم فيه.

٤٦ ﴿وبينها حجاب﴾ أي بين الفريقين، أو بين الجنة والنار، والحجاب هو السور **﴿وعلى الأعراف رجال﴾** الأعراف: هي شرفات السور المضروب بينهم. والأعراف في اللغة: المكان المرتفع، وقد اختلف العلماء في أصحاب الأعراف، ف قيل: هم الشهداء، وقيل: هم فضلاء المؤمنين، فرغوا من شغل أنفسهم وتفرغوا لمطالعة أحوال الناس، ذكره مجاهد، وقيل: هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، قد قصرت بهم أعمالهم عن دخول الجنة، ثم يدخلون الجنة بفضل الله ورحمته، وهم آخر من يدخلها؛ وقيل: هم ملائكة موكلون بهذا السور، يميزون الكافرين من المؤمنين قبل إدخالهم الجنة والنار **﴿يعرفون كلا بسيماهم﴾** بعلاماتهم كبياض الوجوه وسوادها **﴿ونادوا أصحاب الجنة﴾** نادى رجال الأعراف أصحاب الجنة حين رأوهم **﴿أن سلام عليكم﴾** تحية لهم وإكراما وتبشيرا **﴿لم يدخلوها وهم يطمعون﴾** أي لم يدخل الجنة أصحاب الأعراف، ولكنهم يطمعون في دخولها، [لما يرون من فضل الله ورحمته على أهل الجنة، وأن الله تعالى تغلب رحمته غضبه، وروي أن النبي ﷺ قال: «إذا فرغ رب العالمين من الفصل بين العباد قال لأصحاب الأعراف: أنتم عتقائي فارعوا من الجنة حيث شئتم.»]

من الجنة حيث شئتم.]]

أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾
وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رَجُلًا لَا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِمَتِهِمْ
قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾
أَهْوَلَاءَ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ
لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ
النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا
رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾
الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ هَوًى وَلَعِبًا وَغَرَّتُهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا
فَالْيَوْمَ نَنسَهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا
بِعَايَتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾ وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ
عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ
إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ

٤٧ ﴿وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا﴾ أي قال أهل الأعراف ﴿ربنا لا نجعلنا مع القوم الظالمين﴾ سألوا الله ألا يجعلهم منهم.

٤٨ ﴿ونادى أصحاب الأعراف رجلاً﴾ من الكفار ﴿يعرفونهم بسيماتهم﴾ أي بعلاماتهم ﴿وما أغنى عنكم جمعكم﴾ الذي كنتم تجمعون للصّد عن سبيل الله ﴿وما كنتم تستكبرون﴾ أي: وما أغنى عنكم استكباركم.

٤٩ ﴿أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة﴾ قالوا للكفار مشيرين إلى المسلمين الذين صاروا إلى الجنة هذه المقالة ﴿ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون﴾ من قول أصحاب الأعراف: أي قالوا للمسلمين ادخلوا الجنة، وقيل: إن هذا الكلام يقال لأصحاب الأعراف أنفسهم فيدخلهم ربهم الجنة برحمته. عن السّدي قال: أصحاب الأعراف يعرفون الناس بسيماتهم: أهل النار بسواد وجوههم، وأهل الجنة ببياض وجوههم، فإذا مروا بزمرة يذهب بهم إلى الجنة قالوا: سلام عليكم، وإذا مروا بزمرة يذهب بها إلى النار، قالوا ربنا لا نجعلنا مع القوم الظالمين.

٥٠ ﴿أن أفيضوا علينا من الماء﴾ طلبوا منهم أن يواسوهم بشيء من الماء، أو شيء من الأشربة أو الأطعمة ﴿إن الله حرمها﴾ أي الماء وما رزقهم الله من غيره ﴿على الكافرين﴾ فلا نواسيكم بشيء مما حرّمه الله عليكم.

٥١ ﴿فاليوم ننسهم﴾ نتركهم في النار كنسيانهم لقاء يومهم هذا ﴿وما كانوا بآياتنا يجحدون﴾ أي ينكرونها.

٥٢ ﴿ولقد جئناهم بكتاب﴾ هو القرآن، والتفصيل التبيين ﴿على علم﴾ أي عالين بما نفّضه.

٥٣ ﴿هل ينظرون إلا تأويله﴾ هل ينتظرون إلا ما وعدوا به في الكتاب من العقاب الذي يثول الأمر إليه ﴿يوم يأتي تأويله﴾ وهو يوم القيامة ﴿يقول الذين نسوه من قبل﴾ أي تركوه من قبل أن يأتي تأويله ﴿قد جاءت رسل ربنا بالحق﴾ أي أقروا به حيث لا ينفعهم الإقرار برسالات الرسل ﴿فهل لنا من شفعاء﴾ معناه التّقي ﴿فيشفعوا لنا﴾ عند ربنا فيعفينا من عذاب النار ﴿أو نرد﴾ أو يشفعوا لنا حتى يرجعنا الله إلى الدنيا، ﴿فنعمل﴾ أي اننا إن رجعنا نعمل ﴿غير

الذي كنا نعمل﴾ أي غير ما كنا نعمل من المعاصي ﴿قد خسروا أنفسهم﴾ أي لم ينفعوا بها فكانت أنفسهم بلاء عليهم وعنة لهم، فكانهم خسروها كما يخسر التاجر رأس ماله ﴿وضلّ عنهم ما كانوا يفترون﴾ بطل كذبهم الذي كانوا يقولونه في الدنيا، أو غاب عنهم ما كانوا يجعلونه شريكاً لله، فلم ينفعهم.

٥٤ ﴿إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام﴾ قيل: هذه الأيام من أيام الدنيا، وقيل: من أيام الآخرة، وقيل: هذه الأيام

قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ
شُفْعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ
قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾
إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ
أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ
حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ
أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾
ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾
وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا
وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ
الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى
إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ

معقول، والاستواء منه غير مجهول،
والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة
﴿يغشى الليل النهار﴾ أي يجعل الليل
كالغشاء للنهار فيغطي بظلمته ضياءه
﴿يطلبه حثيثا﴾ أي حال كون الليل
طالبا للنهار طلبا سريعا لا يفتقر عنه بحال
﴿والشمس والقمر والنجوم﴾ خلقها
﴿مسخرات بأمره﴾ تسير طبقا لما أَرَادَهُ
الله منها دون تخلف ﴿ألا له الخلق
والأمر﴾ أي: أن الكون كله خلقه،
والأمر فيه أمره [وهي أوامر التكوين
وأحكام الشريعة] ﴿تبارك الله رب

الست أولها الأحد وآخرها الجمعة، وهو
سبحانه قادر على خلقها في لحظة واحدة،
يقول لها كوني فتكون، ولكن لكل شيء
عنده أجل ﴿ثم استوى على العرش﴾
والاستواء: هو العلو والاستقرار، والله
أعلم بكيفية ذلك، بل على الوجه الذي
يليق بجلاله تعالى. والعرش: هو سرير
الملك. عن أم سلمة قوله ﴿استوى على
العرش﴾ الكيف غير معقول، والاستواء
غير مجهول، والإقرار به إيمان، والجحود
كفر. وعن مالك أن رجلا سأله كيف
استوى على العرش؟ فقال: الكيف غير

العالمين﴾ أي كثرت بركته واتسعت.
﴿٥٥﴾ ﴿ادعوا ربكم تضرعا﴾ أي بضرعة
وتذلل وابتهاال ورغبة إليه تعالى.
﴿وخفية﴾ الخفية: الإسرار به، فإن ذلك
أقطع لعرق الرياء ﴿إنه لا يحب
المعتدين﴾ أي المجاوزين لما أمروا به في
الدعاء وفي كل شيء. ومن الاعتداء في
الدعاء، كأن يسأل الداعي ما ليس له
كالخلود في الدنيا، أو إدراك ما هو محال
في نفسه، أو يطلب الوصول إلى منازل
الأنبياء في الآخرة، أو يرفع صوته بالدعاء
صارخا به.

﴿٥٦﴾ ﴿ولا تفسدوا في الأرض﴾ بقتل
الناس، وتخریب منازلهم، وقطع
أشجارهم، وتغویر أنهارهم. ومن الفساد
في الأرض: الكفر بالله، والوقوع في
معاصيه [والغاء العمل بالشرائع بعد
تقررها وانتظامها] ﴿بعد إصلاحها﴾ بعد
أن أصلحها الله بإرسال الرسل، وإنزال
الكتب، وتقرير الشرائع [وبعد أن
عمرها مؤمن أو كافر] ﴿وادعوه خوفا
وطمعا﴾ خائفين من الله ألا يستجيب
لكم طامعين في استجابته ﴿إن رحمة الله
قريب من المحسنين﴾ وفي هذا ترغيب
للعباد إلى الخير وتنشيط لهم [والمحسنون
هم الذين جمعوا بين الإيمان بالله والإيمان
بالغيب، وأدوا فرائض الله واجتنبوا
محارمه، وراقبوا الله فأحسنوا أعمالهم].

﴿٥٧﴾ ﴿وهو الذي يرسل الرياح﴾ يتضمن
ذكر نعمة من النعم التي أنعم بها على
عباده، مع ما في ذلك من الدلالة على
وحدانيته، وثبوت إلهيته ﴿بشرا﴾ أي
الرياح تبشر بالمطر ﴿حق إذا أقبلت
سحابا ثقالا﴾ المعنى: حتى إذا حملت
الرياح سحابا قد ثقلت بالماء الذي
صارت تحمله ﴿سقناه﴾ أي السحاب
﴿لبلد ميت﴾ أي مجذب ليس فيه
نبات.

الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ
الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ
بِإِذْنِ رَبِّهِ ۚ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ
نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُسْكِرُونَ ﴿٥٨﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ
قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ
إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ الْمَلَأُ
مِنْ قَوْمِهِ ۖ إِنَّا لَنَرَنَّكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَتَقَوْمِ
لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾
أَبْلَغُكُمْ رَسُولًا لِيَمْلِكُنَا اللَّهُ وَنُكَلِّمُكَ أَفْهَامًا ﴿٦٢﴾
تَعْلَمُونَ ﴿٦٣﴾ أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ
رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٤﴾
فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ

﴿فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ﴾ أي بالبلد ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾ أي بالماء ﴿مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ أي من جميع أنواعها ﴿كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾ أي مثل إخراج الثمرات نخرج الموتى من القبور يوم حشرهم فحيث أمكن بقدرة الله تعالى إخراج الثمر على تلك الصورة العجيبة، فما الذي يعجزه عن إخراج الموتى من قبورهم ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فتعلمون بعظيم قدرة الله وبديع صنعته، وإنه قادر على بعثكم.

٥٨ ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ أي التربة الطيبة تخرج نباتها بإذن الله وتيسيره إخراجا حسنا تاما وأفيا ﴿وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ أي والتربة الخبيثة لا يخرج نباتها إلا نكدا، أي لا خير فيه. هذا مثل للقلوب، فشبه القلب القابل للوعظ بالبلد الطيب، والنائي عنه بالبلد الخبيث ﴿لِقَوْمٍ يُسْكِرُونَ﴾ الله ويعترفون بنعمته. عن ابن عباس في قوله: (والبلد الطيب) قال: مثل ضربه الله للمؤمن، يقول: هو طيب وعمله طيب، كما أن البلد الطيب ثمرها طيب، والذي خبث ضرب مثلا للكافر، فهو كالبلدة السبخة المالحة التي لا تخرج منها البركة، فالكافر هو الخبيث وعمله خبيث.

٥٩ ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ نوح أول الرسل إلى أهل الأرض بعد آدم، وكان بأرض العراق، وقيل: إن إدريس قبل نوح ﴿فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ أي اعبدوه لأنه لم يكن لكم إله غيره حتى يستحق منكم أن يكون معبودا ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ أي إن لم تعبدوه أخاف عليكم عذاب يوم القيامة، أو عذاب يوم الطوفان [وكان قوم نوح يعبدون أصناما لهم ذكرها الله تعالى في سورة نوح، واسماؤها: وُدٌ، وَسُوعٌ، وَيَغُوثٌ

وَيَعُوقٌ، ونشرو، وكانت دعوة نوح لهم لإعادتهم إلى ديانة التوحيد التي كان عليها آدم والخليفة من بعده].
٦٠ ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ﴾ الملاء: أشراف القوم ورؤساؤهم ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي دَعَائِكَ إِلَىٰ عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ﴾ في ضلال، عن طريق الحق.
٦١ ﴿وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أرسلني إليكم لسوق الخير إليكم، ودفع الشر عنكم، نفي عن نفسه الضلالة، وأثبت لها الرسالة.
٦٢ ﴿أَبْلَغُكُمْ رَسُولًا﴾ ما أرسله الله به إليهم مما أوحاه إليه ﴿وَأَنْصَحْ لَكُمْ﴾ أخلص النية لكم عن شوائب الفساد، بل أريد صلاح أموركم ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ بإخبار الله له بذلك.
٦٣ ﴿أَوْعَجِبْتُمْ﴾ استبعدتم، أو أكذبتم، أو أنكرتم وعجبتم ﴿أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي وحي وموعظة ﴿عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ﴾ أي على لسان رجل منكم تعرفونه ليس من جنس آخر كالملائكة والجن فتنفروا عنه، بل هو بشر مثلكم تأنسون به، وهو رجل منكم تعرفونه منذ



كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ * وَإِلَىٰ عَادِ
أَخَاهُمْ هُودًا قَالِ يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ
أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالِ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا
لَنُرِيكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَنْظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾
قَالِ يَتَقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ
الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ
أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوْعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ
مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ
قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً ۖ فَادْكُرُوا آلَاءَ
اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ
وَنَذَرَ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ۖ آيَاتُنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنْتَ
مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالِ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ

ظنهم كذبه فيما ادعاه من الرسالة.
٦٨ ﴿أَمِينَ﴾ الأمين: المعروف بالأمانة، وهي ضد الخيانة والصدق، أي فلم أغير في رسالة الله شيئا.

٦٩ ﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح﴾ أذكركم نعمة من نعم الله عليهم، أي جعلهم سكان الأرض بعد هلاك قوم نوح، أو جعلهم ملوكا ﴿وزادكم في الخلق بضطة﴾ أي طولا في الخلق، وعظم جسم، زيادة على ما كان عليه غيرهم في الأبدان ﴿فاذكروا آلاء الله﴾ نعمه عليكم، ومن جعلها نعمة الاستخلاف في الأرض، والبسطة في الخلق، وغير ذلك مما أنعم به عليهم ﴿لعلكم تفلحون﴾ لأن الذكر للنعمة سبب باعث على شكرها، ومن شكر فقد أفلح.

٧٠ ﴿قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده﴾ وإنما كان هذا مستنكرا عندهم لأنهم وجدوا آباءهم على خلاف ما دعاهم إليه ﴿ونذر ما كان يعبد آباؤنا﴾ أي نترك الذي كانوا يعبدونه ﴿فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين﴾ هذا استعجال منهم للعذاب الذي كان هود يعدهم به، لشدة تمردهم على الله.

٧١ ﴿قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب﴾ أي قد استحققت عذاب الله وغضبه فهو واقع بكم لا محالة، جعل ما هو متوقع كالواقع، تنبيها على تحقق وقوعه، والرجس: العذاب الشديد ﴿أتجادلونني في أسماء﴾ يعني: أسماء الأصنام التي كانوا يعبدونها، جعلها مجرد أسماء، لأن مسمياتها لا حقيقة لها، بل تسميتها بالآلهة باطلة، فكأنها معدومة لم توجد، بل الموجود أسماؤها فقط ﴿سميتوها أنتم وآباؤكم﴾ أي سميت بها معبوداتكم من جهة أنفسكم أنتم وآباؤكم، ولا حقيقة لذلك.

يفيدهم التذكير. وقد فصل الله تعالى قصة نوح وقومه، وكيف أنجاه في السفينة وأغرق قومه بالطوفان، انظر سورة هود (الآيات ٣٥ - ٤٨).

٦٥ ﴿وإلى عاد أخاهم هودا﴾ أي وأرسلنا إلى قبيلة عاد أخاهم، أي: واحدا من قبيلتهم [هونبي الله هود. وكانت قبيلة عاد تقيم في الأحقاف من أرض حضرموت باليمن].

٦٦ ﴿سفاهة﴾ السفاهة: الخفة والحمق، نسبوه إلى الخفة والطيش زورا وكذبا ﴿وإننا لنظنك من الكاذبين﴾ مؤكداين

نشا، لا ضالا ولا كذابا ﴿ولعلكم ترحمون﴾ بسبب ما يفيد الإندار لكم، والتقوى منكم، من التعرض لرحمة الله سبحانه لكم، ورضوانه عنكم.

٦٤ ﴿في الفلك﴾ وهي السفينة التي أمره الله تعالى ببنائها لينجو عليها هو ومن معه من المؤمنين من خطر الطوفان ﴿وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا﴾ واستمروا على ذلك ولم يرجعوا إلى التوبة [أغرقناهم في الطوفان وهم بأرضهم] ﴿إنهم كانوا قوما عَمِينَ﴾ أي أغرقنا المكذبين لكونهم عمي القلوب، لا تنجع فيهم الموعظة، ولا

﴿ما نزل الله بها من سلطان﴾ أي من حجة تحتجون بها على ما تدعونه لها من الدعاوى الباطلة. ثم توعدهم بأشد وعيد، فقال ﴿فانتظروا إني معكم من المنتظرين﴾ أي فانتظروا ما طلبتموه من العذاب، فإني معكم من المنتظرين له وهو واقع بكم لا محالة. ونازل عليكم ولا شك.

٧٢ ﴿فأنجيناه والذين معه برجة منا﴾ أخبر الله سبحانه أنه نجى هودا ومن معه من المؤمنين به من العذاب النازل بمن كفر به ولم يقبل رسالته ﴿وقطعنا دابر الذين كذبوا﴾ استأصلناهم فلم يبق منهم أحد يخلفهم ﴿وما كانوا مؤمنين﴾ أي استأصلنا هؤلاء القوم الجامعين بين التكذيب وعدم الإيمان [وكان العذاب الذي أخذهم الله به ريحا عاصفة شديدة البرد، دمرت ديارهم وأشجارهم، وكانت تحمل الحجارة فتقذفها في وجوههم، وتحملهم فتضرهم بالأرض قال الله تعالى في سورة الحاقة (وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية. سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية)].

٧٣ ﴿والى ثمود أخاهم صالحا﴾ أي وأرسلنا إلى ثمود أخاهم، وثمرود قبيلة [كانت تسكن الجفر في بلاد العرب شمال المدينة النبوية] بين الحجاز والشام قرب وادي القرى ﴿قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾ أمرهم بعبادة الله التي لأجلها خلق الله الخلق، وأخبرهم أن العبادة لا تصلح إلا لله وحده، وهذان الأمران هما خلاصة دعوة الرسل، كما قال الله تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) ﴿قد جاءكم بينة من ربكم﴾ أي معجزة ظاهرة، وهي إخراج الناقة من الحجر الصلد ﴿فذروها تأكل

رجس و غضب أنجدلوني في أسماء سميتوها أنتم وءاباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا إني معكم من المنتظرين ﴿٧١﴾ فأنجيناه والذين معه برجة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين ﴿٧٢﴾ وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يقرم أعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءكم بينة من ربكم هذِهِ ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم ﴿٧٣﴾ وأذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين ﴿٧٤﴾ قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا

اللبن والآجر ونحو ذلك، فيبنون به القصور ﴿وتنحتون الجبال بيوتا﴾ كانوا لقوتهم وصلابة أبدانهم ينحتون الجبال، فيتخذون فيها كهوفا يسكنون فيها، قيل: لأن الأبنية والسقوف كانت تبنى قبل فناء أعمارهم ﴿فاذكروا آلاء الله﴾ تقدم تفسيره في القصة التي قبل هذه ﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ لا تكثروا فيها من الفساد.

٧٥ ﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه﴾ أي قال الرؤساء المستكبرون من قوم صالح للمستضعفين الذين استضعفهم

في أرض الله﴾ أي دعوها تأكل في أرض الله، فهي ناقة الله، والأرض أرضه، فلا تمنعوها مما ليس لكم ولا تملكونه ﴿ولا تمسوها﴾ بشيء من سوء، أي لا تتعرضوا لها بوجه من الوجوه التي تسوؤها وتضرها.

٧٤ ﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد﴾ أي استخلفكم في الأرض، أو جعلكم ملوكا فيها ﴿وبوأكم في الأرض﴾ أي جعل لكم فيها مباءة، وهي المنزل الذي تسكنونه ﴿تتخذون من سهولها قصورا﴾ تراها يتخذون منه

يأثّر جهداً في إبلاغهم الرسالة ومحض النصيح، لكن أبوا ذلك، فحق عليهم العذاب، ونزل بهم ما كذبوا به واستعجلوه ويحتمل أنه قال لهم هذا بعد موتهم، فتحسر على ما فاتهم من الإيمان والسلامة من العذاب.

٨٠ ﴿لوطاً﴾ أي وأرسلنا لوطاً، ولوط هو ابن أخي إبراهيم، هاجر مع عمه إبراهيم من أرض العراق إلى أرض بيت المقدس، فأرسله الله رسولاً إلى قرية تسمى سدوم، بقرب بيت المقدس **﴿أتأتون الفاحشة﴾** أي الخصلة الفاحشة الشديدة شناعتها، وهي اللواط **﴿ما سبقكم بها من أحد من العالمين﴾** أي لم يفعلها أحد قبلكم، فإن اللواط لم يكن في أمة من الأمم.

٨١ ﴿إنكم لتأتون الرجال شهوة﴾ أي لا غرض لهم إلا مجرد قضاء الشهوة من غير أن يكون لهم في ذلك غرض يوافق العقل والفطرة السليمة، فهم في هذا كالبهائم التي ينزوي بعضها على بعض، لما يتقاضاها من الشهوة **﴿من دون النساء﴾** [أي وتتركون ما خلق الله لكم من أزواجكم اللواتي هن أصلح لكم بحسب الفطرة] وهن محل لقضاء الشهوة، وموضع لطلب اللذة **﴿بل أنتم قوم مسرفون﴾** إخبار لهم بأن هذا الخروج عن مقتضى الفطرة، إنما سببه الإسراف والخروج عن حد الاعتدال البشري.

٨٢ ﴿وما كان جواب قومه﴾ الواقفين في هذه الفاحشة عما أنكره عليهم منها **﴿إلا أن قالوا أخرجوهم﴾** أي لوطاً وأتباعه **﴿من قريبتكم﴾** وكان حق قوم لوط أن يصدقوا نبوته ويطيعوا أمره ويجيبوه بالموافقة، لكنهم أجابوا بهذا الجواب الذي ينبعث من نفوسهم الخبيثة وفطرتهم المنكوسة **﴿إنهم أناس يتطهرون﴾** يتنزهون عن الوقوع في هذا العمل، فلا يساكنوننا في قريتنا.

لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ ءَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ ؕ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ ءَمُومُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ ءَكْفُرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصَلِّحْ آثِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولًا مِنْ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحِينَ ﴿٧٩﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ءَاتَاؤُنَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ ءِلاَّ أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ ۚ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ ءِلاَّ أُمَّرَأَتَهُ ۚ

ذلك تحدياً واستخفافاً.

٧٨ ﴿فأخذتهم الرجفة﴾ أي الزلزلة، وقيل: كانت صيحة شديدة خلعت قلوبهم **﴿فأصبحوا في ديارهم﴾** أي بلدهم **﴿جانمين﴾** لاصقين بالأرض على ركبهم ووجوههم كما يجثم الطائر، ميتين لا حراك بهن.

٧٩ ﴿فتولى عنهم﴾ ذهب عن أرضهم مولياً لهم ظهره عند اليأس من إجابتهم **﴿وقال﴾** لهم هذه المقالة **﴿لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين﴾** أبان عن نفسه أنه لم

المستكبرون **﴿أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربه﴾** قالوا هذا على طريق الاستهزاء والسخرية **﴿قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون﴾** أي قال المؤمنون أتباع صالح: لسنا فقط نعلم صدقه، بل نؤمن به ونتبعه ونطيع أمره.

٧٧ ﴿فعقروا الناقة﴾ قتلوها بنحرها، أو قطع عرقوبها، وإنما عقرها واحد منهم، لكن كان ذلك برضاهم وموافقتهم، فلذلك نسبته إليهم **﴿وعتوا عن أمر ربهم﴾** أي استكبروا وعاندوا **﴿وقالوا يا صالح آثنا بما تعدنا﴾** أي من العذاب، قالوا

كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظَرُوا
كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ
شُعَيْبًا قَالَ يَبْقَوْمُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ
قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ
وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ
بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾
وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ
اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا
فَكَثَرَكُمُ وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾
وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ
وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ
خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾ * قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا

٨٣ ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾ أنجى الله لوطاً وأهله إذ أخرجهم من سدوم في الليلة التي وقع العذاب على تلك القرية في صبيحتها، في قصة فصلتها سورة هود (الآيات ٧٧ - ٨٣) واستثنى امرأته من الأهل، لكونها لم تؤمن به ﴿كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ من الباقين في عذاب الله.

٨٤ ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ غير ما يعتادونه، والمطر كان هو رميهم بالحجارة كما في قوله (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حجارة من سجيل) وسيأتي في سورة هود تفصيل قصة لوط بأبين مما هنا.

٨٥ ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ أي وأرسلنا إلى مدين وهي قبيلة من ولد إبراهيم رسولا منهم هو نبي الله شعيب ﴿قَالَ يَبْقَوْمُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ دعاهم إلى الله، وذكرهم بأنهم قومه، وأنه واحد منهم، يحب ما فيه صلاحهم، وأمرهم بتوحيد الله وإفراده بالعبادة، وذلك رأس دعوة الرسل. وأنكر أن يكون شيء مما اتخذوه آلهة قد كان لها بحق، بل هي باطلة زائلة ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ﴾ [أي لا تنقصوا المشتري أو البائع حقه باستعمال مكيال أو عيار ناقص، أو زائد عن المعروف، أو بغير ذلك من الطرق] كانوا أهل معاملة بالكيل والوزن، وكانوا لا يوفونها ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ البخس: النقص، وهو يكون بالتعيب للسلعة، أو التزهيد فيها، أو المخادعة لصاحبها والاحتيال عليه، وكل ذلك من أكل أموال الناس بالباطل. وقيل كانوا مكاسين يكسون كل مداخل إلى أسواقهم ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ قد تقدم تفسيره قريبا.

٨٦ ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ﴾ الصراط: الطريق ﴿تُوعِدُونَ﴾ الناس

بالعذاب، قيل: كانوا يقعدون في الطرقات المفضية إلى شعيب، فيتعدون من أراد المحيى إليه، ويقولون: إنه كذاب فلا تذهب إليه ﴿وتصدون عن سبيل الله من آمن به﴾ والمراد بالصد عن سبيل الله صد الناس عن الطريق الذي قعدوا عليه، ومنعهم من الوصول إلى شعيب وقيل المراد نهيمهم عن القعود على طرق الدين ومنع من أراد سلوكها وليس المراد القعود على الطرق حقيقة ﴿وتبغونها عوجا﴾ أي تطلبون لسبيل الله أن تكون معوجة غير مستقيمة ﴿واذكروا

إذ كنتم قليلا﴾ عددكم ﴿فكثركم﴾ بالنسل، وقيل: كنتم فقراء فأغناكم ﴿كيف كان عاقبة المفسدين﴾ من الأمم الماضية، فإن الله أهلكهم ومحا أثرهم.

٨٧ ﴿فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين﴾ وحكم الله بين الفريقين هو كالحكم بين الخصمين: القضاء بينهما، ونصر المحقين على المبطلين. وفيها أمر للمؤمنين بالصبر على ما يحل بهم من أذى الكفار حتى ينصرهم الله عليهم.

٨٨ ﴿قال الملأ﴾ أي قال الأشراف



مِنْ قَوْمِهِ لَخُذِرْجَنَّكَ يُشْعِبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ
قَرِيبِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴿٨٨﴾
قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ
نَجَّيْنَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا
أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى
اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ
وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا
مِنْ قَوْمِهِ لَئِنْ أَتَبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَسِرُونَ ﴿٩٠﴾
فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ ﴿٩١﴾
الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا
كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَلْقَوْمٍ لَقَدْ
أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى

لأن من ارتد بعد الإيمان أعظم كفراً
وأشد إلهاداً [وما يكون لنا] أي ما
يصح لنا ولا يستقيم [أن نعود فيها]
بحال من الأحوال بعد ما نجانا الله منها
[إلا أن يشاء الله] أي ما لم يرد الله
بنا ذلك [وسع ربنا كل شيء علماً]
أي: أحاط علمه بكل الموجودات [على
الله توكلنا] عليه اعتمادنا في أن يشبنا
على الإيمان، ويحول بيننا وبين الكفر
وأهله، ويتم علينا نعمته، ويعصمنا من
نقمته [ربنا افتح بيننا وبين قومنا
بالحق] أي احكم بيننا وبين قومنا
بالحق، بنصر المحقين على المبطلين،
فكانهم طلبوا نزول العذاب بالكافرين.

٩٠ [لئن اتبعتم شعيباً] أي دخلتم في
دينه وتركتم دينكم [إنكم إذا
لخاسرون] وخسرانهم: هلاكهم، أو ما
يخسرونه بسبب إيفاء الكيل والوزن،
وترك التطفيف الذي كانوا يعاملون
الناس به.

٩١ [فأخذتهم الرجفة] أي الزلزلة،
وقيل: الصيحة [فأصبحوا في دارهم
جاثمين] قد تقدم تفسيره في قصة
صالح.

٩٢ [كان لم يغنوا فيها] أي أصبحت
بعد العذاب خراباً خالية، يقال:
غَنِيْتُ بالمكان: إذا أقت به، أي: كان
لم يقيموا في دارهم، لأن الله سبحانه
استأصلهم بالعذاب [كانوا هم
الخاسرين] لأنفسهم وما ملكوا [أي: ولم
يكن الخسران نصيب المؤمنين بشعيب،
كما أدعى الملأ المستكبرون، بل كان
الخسران لهم هم ومن وافقهم].

٩٣ [فتولى عنهم] أي شعيب لما شاهد
نزول العذاب بهم [فكيف آسى] أي
أحزن [على قوم كافرين] بالله مصرين
على كفرهم متمردين عن الإجابة.

نريد، فإن المكره لا اختيار له، ولا تعد
موافقته موافقة، ولا عوده عوداً.

٨٩ [قد افترينا على الله كذباً إن
عدنا في ملتكم] التي هي الشرك [فإن
الشرك كله كذب على الله، وهو محض
اختلاق، إذ ليس للكون كله إلا إله
واحد هو الله وهو خالقه ومدبره ومعبوده.
فن ادعى أن الله تعالى شريكاً فقد افترى
على الله الكذب: ادعى نقص ألوهيته
وربوبيته] [بعد إذ نجانا الله منها]
[أي والعود لو حصل أعظم للذنب ممن
كان في الأصل كافراً لم يتبين له الحق،

المستكبرون] [لنخرجنك يا شعيب
والذين آمنوا معك] لم يكتفوا بترك
الإيمان والتمرد عن الإجابة، بل جاوزوا
ذلك بغياً وبطراً وأشراً، إلى توعد نبيهم
ومن آمن به، بالإخراج من قريتهم، أو
عوده هو ومن معه في ملتهم الكفرية: أي
لابد من أحد الأمرين: إما الإخراج أو
العود [قال أولو كنا كارهين] أي
أتعيدوننا في ملتكم في حال كراهتنا
للعود إليها، أو: أخرجوننا من قريتهم في
حال كراهتنا للخروج منها، فليس لكم
ذلك ولا يصح لكم أن تكرهونا على مالا

عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٩٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَاسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَاءُ وَالسَّرَاءُ فَأَخَذْنَاهُم بِغَنَةٍ وَهُمْ لَا يَسْعُرُونَ ﴿٩٥﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا أَهْلُ الْقَوْمِ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّو نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ

٩٤ ﴿وما أرسلنا في قرية من نبي﴾ من الأنبياء، فكذب أهلها، إلا أخذناهم ﴿بالبأساء﴾ البؤس والفقر ﴿والضراء﴾ الضر والمرض ﴿لعلهم يضرعون﴾ أي لكي يتضرعوا ويتذللوا، فيدعوا ما هم عليه من الاستكبار وتكذيب الأنبياء.

٩٥ ﴿ثم بدلنا﴾ أي ثم بعد الأخذ لأهل القرى بأحوال الفقر والمرض، ولم يتعظوا، بدلناهم ﴿مكان السيئة﴾ التي أصبناهم بها من البلاء والامتحان ﴿الحسنة﴾ أي: الخصلة الحسنة، فصاروا في خير وسعة وأمن ﴿حق عفو﴾ كشروا في أنفسهم وفي أموالهم ﴿وقالوا قد مس آبائنا الضراء والسراء﴾ أي: إن هذا الذي مسنا من البأساء والضراء، ثم من الرخاء والخصب من بعد، هو أمر وقع لآبائنا قبلنا مثله، ومعناهم أن هذه هي العادة الجارية في السلف والخلف، ولم يصدقوا أن ذلك من الله سبحانه ابتلاء لهم، وعقوبة على ظلمهم ﴿فأخذناهم بغتة﴾ أي فجأة عقب أن قالوا هذه المقالة من دون تراخ ولا إمهال ﴿وهم لا يشعرون﴾ بذلك ولا يترقبونه. [وهذا من الله تعالى لمزيد عقوبتهم، فلم يأخذهم وهم في حال البؤس والمرض، ولكن أخذهم بعد أن أصبحوا في حال نعمة وافرة، ليكون أشد لعذابهم].

من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم﴾ المعنى: ألم يتبين لمن يسكن الأرض بعد إهلاك أصحابها، أن الله لو شاء أهلكهم بذنوبهم كما أهلك من كان يسكن تلك الأرض قبلهم ﴿ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون﴾ الطبع الختم والإغلاق فلا ينفذ إليها شيء أي ولكنهم صاروا بسبب الطبع على قلوبهم، لا يسمعون ما يتلو عليهم، من أرسله الله إليهم، من: الوعظ، والإعذار، والإنذار، فلا يتبينون هذا الأمر مع وضوحه، لعدم الفرق بينهم وبين من قبلهم.

سبب ﴿ما كانوا يكسبون﴾ من الذنوب.

٩٧ ﴿أفأمن أهل القرى﴾ هم أهل القرى المذكورة قبله، وقيل: المراد بالقرى مكة وما حولها لتكذيبهم للنبي ﷺ ﴿أن يأتهم بأسنا بيانا﴾ أي في الليل.

٩٨ ﴿ضحى﴾ ضحوة النهار، إذا أشرقت الشمس وارتفعت ﴿وهم يلعبون﴾ أي يشتغلون بما لا يعود عليهم بفائدة.

٩٩ ﴿أفأمنوا مكر الله﴾ ما يدبره لهم من العقوبة وهم لا يشعرون. وقيل: مكر الله هنا هو استدراجه لهم بالنعمة والصحة.

١٠٠ ﴿أولم يهد للذين يرثون الأرض

٩٦ ﴿ولو أن أهل القرى﴾ التي أرسلنا إليها رسلنا ﴿آمنوا﴾ بالرسول المرسلين إليهم ﴿واتقوا﴾ ما صمموا عليه من الكفر، ولم يصروا على ما فعلوا من القبائح ﴿لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض﴾ أي يسرنا لهم خير السماء والأرض، كما يحصل التيسير للأبواب المغلقة بفتح أبوابها، والمراد بخير السماء: المطر، وخير الأرض: النبات وسائر الخيرات ﴿ولكن كذبوا﴾ بالآيات، والأنبياء، ولم يؤمنوا، ولا اتقوا ﴿فأخذناهم﴾ بالعذاب ﴿ب﴾

به الله .

عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٣﴾ تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٤﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿١٠٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَقَالَ مُوسَى يُفْرِعُونَ لِي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٩﴾ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا

١٠٣ ﴿بَيِّنَاتِنَا﴾ أي: المعجزات الآتي ذكرها. من الحية، واليد، وغيرها ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ﴾ ملك مصر، وكل من كان يملك أرض مصر كان يسمى فرعون ﴿وَمَلَائِهِ﴾ أشراف قومه، وتخصيصهم بالذكر لأن من عداهم كالأتباع لهم ﴿فَظَلَمُوا بِهَا﴾ أي كذبوا بها، والتكذيب بما هو أصدق الصدق ظلم عظيم. وقيل المعنى: ظلموا الناس بسببها لما صدوهم عن الإيمان بها، أو ظلموا أنفسهم بسببها ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ أي نهاية أمر المكذبين بالآيات الكافرين بها.

١٠٤ ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنَ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ومن كان مرسلًا من جهة من هو رب العالمين أجمعين، فهو حقيق بالقبول.

١٠٥ ﴿حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ﴾ أي أنا حريص على أن أخبركم بما أرسلت به كما هو، وأنا جدير بذلك ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي بما يتبين به صدقي، وأني رسول من رب العالمين ﴿فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ طلب منه أن يترك بني إسرائيل يذهبون معه ويرجعون إلى الأرض المقدسة. وقد كانوا باقين لديه مستبعدة ممنوعين من الرجوع إلى وطنهم.

١٠٦ ﴿قَالَ﴾ له فرعون ﴿إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ﴾ من عند الله كما تزعم ﴿فَأْتِ بِهَا﴾ حتى نشاهدها وننظر فيها.

١٠٧ ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ﴾ حية عظيمة من ذكور الحيات ﴿مُبِينٌ﴾ أن كونها حية في تلك الحال أمر مرئي ظاهر واضح لا لبس فيه.

١٠٨ ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ﴾ أي أخرجها وأظهرها من جيبه، أو من تحت إبطه

ترغيب، ولا تهريب.

١٠٢ ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ﴾ بل دأبهم نقض العهود في كل حال، والمراد بالعهد: هو المأخوذ عليهم في عالم الذر، وقيل: هم الكفار على العموم، لا عهد لهم ولا وفاء، والقليل منهم قد بقي بعهدده ويحافظ عليه ﴿وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ أي قد وجدنا أكثرهم خارجين عن طاعتنا خروجًا شديدًا. عن ابن عباس في قوله ﴿وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ قال: ذاك أن الله إنما أهلك القرى لأنهم لم يكونوا يحفظوا ١٠ وصاهم

١٠١ ﴿تِلْكَ الْقُرَى﴾ أي التي أهلكناها، وهي قرى: قوم نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، المتقدم ذكرها ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ أي نتلو عليك ﴿مِنْ أَنْبَاءِهَا﴾ أي من أخبارها ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ عند مجيء الرسل بالمعجزات بسبب ﴿بِمَا كَذَبُوا﴾ به ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ مجيئهم بها، أو فلما رأوها لم يؤمنوا بما كذبوا به من قبل رؤيتها، بل حالهم عند مجيئهم بها كحالهم قبله ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ فلا ينبع فيهم بعد ذلك وعظ، ولا تذكير، ولا

هِيَ بَيْضَاءٌ لِلنَّظِيرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَأَذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ * وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغَلَبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوا آمَنَّا

﴿فإذا هي بيضاء للناظرين﴾ بيضاء تتلأأ نورا يظهر لكل مبصر دون أن يكون بها برص.

١٠٩ ﴿قال الملأ﴾ أي الأشراف لما شاهدوا انقلاب العصا حية، ومصير يده بيضاء من غير سوء ﴿إن هذا﴾ أي موسى ﴿لساحر عليم﴾ أي كثير العلم بالسحر.

١١٠ ﴿يريد أن يخرجكم من أرضكم﴾ هي أرض مصر ﴿فإذا تأمرون﴾ أي: قال بعضهم لبعض ماذا تأمرون به من الرأي؟

١١١ ﴿قالوا أرجه وأخاه﴾ قال الملأ جوابا لكلام فرعون: أرجىء موسى وأخاه وأخبرهما إلى وقت آخر ﴿وأرسل في المدائن حاشرين﴾ أي أرسل جماعة في المدائن التي فيها السحرة حتى يحضروهم إليك.

١١٢ ﴿يأتوك﴾ أي: يأتيك هؤلاء الذين أرسلتهم ﴿بكل ساحر عليم﴾ بكل ماهر في السحر كثير العلم بصناعته.

١١٣ ﴿وجاء السحرة فرعون﴾ أي فبعث في المدائن حاشرين وجاء السحرة فرعون ﴿قالوا إن لنا لأجرا﴾ سألوا فرعون أن يجعل لهم جملا إن غلبوا موسى بسحرتهم.

١١٤ فأجابهم فرعون بقوله ﴿نعم وإنكم لمن المقربين﴾ أي إن لكم لأجرا، وإنكم مع هذا الأجر المطلوب منكم لمن المقربين لدينا، وعدهم بالمناصب.

١١٥ ﴿قالوا يا موسى إما أن تلقى وإما أن نكون نحن الملقيين﴾ خيروا موسى بين أن يستديء بإلقاء ما يريد إلقاءه أو يتبدئوه هم بذلك، ثقة من أنفسهم بأنهم غالبون وإن تأخروا.

١١٦ فأجابهم موسى بقوله ﴿ألقوا﴾ اختار أن يكونوا المتقدمين عليه بإلقاء ما يلقونه غير مبال بهم ولا هائب لما جاءوا به ﴿فلما ألقوا﴾ أي حبالهم وعصيم

﴿سحروا أعين الناس﴾ أي غيروها عن صحة إدراكها بما جاءوا به من التويه والتخييل الذي يفعله المشعوذون وأهل الخفة ﴿واسترهبوهم﴾ أي أدخلوا الرهبة في قلوبهم إدخلا شديدا ﴿وجاءوا بسحر عظيم﴾ في أعين الناظرين لما جاءوا به، وإن كان لا حقيقة له في الواقع، [وهذا نوع من السحر وهو سيخرُ التخييل وخفة اليد. ومن السحر ماله حقيقة وتأثير. وانظر تفسير سورة البقرة (الاية ١٠٢)]

١١٨ ﴿فوقع الحق﴾ أي ظهر وتبين لما جاء به موسى ﴿وبطل ما كانوا يعملون﴾ من سحرتهم، أي: تبين بطلانه.

١١٩ ﴿فغلبوا﴾ أي السحرة ﴿هنالك﴾ أي في الموقف الذي أظهروا فيه سحرتهم ﴿وانقلبوا﴾ من ذلك الموقف ﴿صاغرين﴾ أذلاء مهورين.

١٢٠ ﴿وألقى السحرة ساجدين﴾ أي خروا ساجدين، لم يتمالكوا مما رأوا.



بما أصابنا في ذاته، فتوعده بعذاب الله في الآخرة، لما توعدهم بعذاب الدنيا.

١٢٦ ﴿وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا﴾ أي لست تعيب علينا وتنكر منا **﴿إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا﴾** مع أن هذا هو الشرف العظيم، والخير الكامل، وهو حقيق بالثناء الحسن، لا بالإنكار والانتقام. ثم تركوا خطابيه، والتفتوا لخطاب الجناب العلي، مفوضين الأمر إليه قائلين **﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾** أي اصببه علينا حتى يفيض ويغمرنا. طلبوا أبلغ أنواع الصبر استعدادا منهم لما سينزل بهم من العذاب، وتوطينا لأنفسهم على التصلب في الحق، وثبوت القدم على الإيمان **﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾** غير محرفين ولا مبدلين ولا مفتونين. عن السدي قال: فقطعهم وقتلهم.

١٢٧ ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ... لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بإيقاع الفرقة، وتشيت الشمل [وتبديل الدين الذي استقامت عليه أحوال أهل هذه الأرض] **﴿وَيَذْرَؤُا أَيُّهَا النَّاسُ عَنِ عِبَادَتِكُمْ﴾** أي: أترك موسى أيضا يتخلى عن عبادتك **﴿وَأَهْنِكَ﴾** قيل: كان له أصنام يعبدها قومه تقربا، وقيل: كان يعبد الشمس **﴿سَنُقْتِلُ أبنَاءَهُمْ﴾** أي الذكور من أولادهم، ونستبي الإناث **﴿وَأَنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾** أي مستعلون عليهم بالقهر والغلبة، وهم تحت قهرنا وبين أيدينا، ما شئنا أن نفعله بهم فعلناه، ولم يعلم ما يدبره الله لهم.

١٢٨ ﴿وَاصْبِرُوا﴾ على المحنة **﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾** وهو وعد من موسى لقومه بالنصر على فرعون وقومه، ثم بشرهم بأن **﴿الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾** أي العاقبة المحمودة في الدنيا والآخرة للمتقين من عباده، وهم موسى ومن معه. وعاقبة كل شيء آخرة.

رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٦﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَأَمِنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ؕ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَكْرُومُهُ فِي الْمَدِينَةِ لَتُخْرِجُوا مِنْهَا ءَٰهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٨﴾ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأَضْلِبَنَّكُمْ أَتَجْمَعِينَ ﴿١٢٩﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٣٠﴾ وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَأَمَنَّا بِءَايَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٣١﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِّنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَٰلِهَتَكَ قَالَ سَنُقْتِلُ أبنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِ نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١٣٢﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ؕ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ قَالُوا أَوِذِنَا

القبط وتستولوا عليها، وتسكنوا فيها أنتم وبنو إسرائيل، ومعنى **﴿في المدينة﴾** أن هذه الحيلة والمؤامرة كانت بينكم وأنتم بالمدينة، قبل أن تبرزوا أنتم وموسى إلى هذه الصحراء.

١٢٤ ﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ﴾ أي الرجل اليمنى واليد اليسرى من كل إنسان منكم، أو الرجل اليسرى واليد اليمنى **﴿ثُمَّ لَأَضْلِبَنَّكُمْ﴾** في جذوع النخل.

١٢٥ ﴿قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ وسيجازيك الله بصنعك بنا، ويحسن إلينا

١٢١ ، ١٢٢ ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ صرحوا بأنهم آمنوا برب العالمين: رب موسى وهارون: لثلا يتوهم متوهم من قوم فرعون المقرين بإلهيته أن السجود له.

١٢٣ ﴿قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾ [وهذا من سوء رأيه، فإن الإيمان بالحق لا يحتاج إلى إذن أحد، لأن فيه نجاة النفس، وفي تركه هلاكها] **﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَكْرُومُهُ فِي الْمَدِينَةِ﴾** أي حيلة احتلتموها أنتم وموسى عن مواطاة بينكم سابقة **﴿لَتُخْرِجُوا﴾** من مدينة مصر **﴿أَهْلَهَا﴾** من

مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ
يَهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ
تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصِ
مِنْ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ
قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى
وَمَنْ مَعَهُ ۚ أَلَا إِنَّمَا طَّيَّرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ
بِهَا فَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ
وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ
فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ
قَالُوا يَمْوَسَىٰ آدَعُ لَنَا رَبِّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ
عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٣٤﴾

١٢٩ ﴿قَالُوا أَوْذِنَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا﴾

أي من قبل أن تأتينا رسولا، وذلك بقتل
فرعون أبناءنا عند مولدك ﴿ومن بعد ما
جئتنا﴾ رسولا، بقتل آبائنا الآن، وقيل:
المعنى أؤذينا من قبل أن تأتينا باستعمالنا
في الأعمال الشاقة بغير أجر، وبما صرنا
فيه الآن من الخوف على أنفسنا وأولادنا
وأهلنا ﴿ويستخلفكم في الأرض﴾ هو
تصريح بما رمز إليه سابقا من أن الأرض
لله، أي فيجعل لكم فيها الأمر والملك
﴿فينظر كيف تعملون﴾ هل تكونون مثل
فرعون وقومه، أم على ما يرضاه الله.

١٣٠ ﴿ولقد أخذنا آل فرعون﴾ المراد
بآل فرعون هنا قومه ﴿بالسنين﴾ أي
بالسنين المجدبة، والجوائح المتتالية
﴿ونقص من الثمرات﴾ بسبب عدم نزول
المطر، وكثرة العاهات ﴿لعلهم يذكرون﴾
فيتعظون ويرجعون عن غوايتهم.

١٣١ ﴿فإذا جاءتهم الحسنة﴾ الخصب
وصلاح الثمرات ورخاء الأسعار ﴿قالوا لنا
هذه﴾ أعطيناها باستحقاق، وهي مختصة
بنا ﴿وان تصيبهم سيئة﴾ من الجذب
والقحط وكثرة الأمراض ونحوها من
البلاء ﴿يطيئروا بموسى ومن معه﴾ أي
يتشاءموا بهم ﴿ألا إنما طائرهم عند الله﴾
أي سبب خيرهم وشرهم بجميع ما ينالهم
من خصب وقحط هو من عند الله، ليس
بسبب موسى ومن معه، وكان هذا
الجواب على نمط ما يعتقدونه وبما
يفهمونه، ولهذا عبر بالطائر عن الخير والشر
الذي يجري بقدر الله وحكمته ومشيئته،
وليس المراد إثبات الاعتقاد بالتطير
﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ بهذا، بل
ينسبون الخير والشر إلى غير الله جهلا
منهم.

١٣٢ ﴿وقالوا مهما تأتنا به من آية
لتسحرنا بها﴾ [داخلهم العناد والإصرار،
وادعوا أنه لا فرق بين المعجزة والسحر]

أي لتصرفنا عما نحن عليه كما يفعله
السحرة بسحرهم ﴿فما نحن لك بمؤمنين﴾
أرادوا تبيسه حتى لا يراجعهم بالدعوة.
١٣٣ ﴿فأرسلنا عليهم الطوفان﴾ وهو
الماء الشديد [المغرق للأرض المتلف
للدور والشجر]. وقيل الطوفان: الموت
﴿والجراد﴾ أرسله الله لأكل زروعهم
فأكلها ﴿والقمل﴾ قيل: هي الذبابة،
والذبابة الجراد قبل أن تطير، وقيل
البراغيث ﴿والضفادع﴾ الحيوان المعروف
الذي يكون في الماء ﴿والدم﴾ روي: أنه
سال النيل عليهم دما، وقيل: هو

الرعاف ﴿آيات مفصلات﴾ أي بينات
ظاهرات ﴿فاستكبروا﴾ أي ترفعوا عن
الإيمان بالله ﴿وكانوا قوما مجرمين﴾ لا
يهدون إلى حق، ولا ينزعون عن باطل.
١٣٤ ﴿ولما وقع عليهم الرجز﴾ أي
العذاب بهذه الأمور، وقيل: كان هذا
الرجز طاعونا مات به من القبط في يوم
واحد ألوف ﴿قالوا يا موسى ادع لنا
ربك بما عهد عندك﴾ أو بما اختصك به
من النبوة، أو ادع لنا متوسلا إليه بعهد
عندك ﴿لنؤمنن﴾ بك: أي لنصدقن
بنبوتك ﴿ولنرسلن معك بني إسرائيل﴾

ما أصيبوا به من فرعون وقومه [وصبرهم على الجهاد] **﴿وما كانوا يعرشون﴾** من الجنات، وقيل: يعرشون: يبنون.

١٣٨ ﴿وجاوزنا بني إسرائيل البحر﴾ [أي مكثهم من قطعه وعبره لما ضربه موسى بعصاه فانفلق فروا، وهو بحر السويس] **﴿فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم﴾** يعبدونها، قيل: هم من لحم، كانت أصنامهم تماثيل بقر، وقيل: كانوا من الكنعانيين **﴿قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً﴾** أي صنما نعبد كالذي لهؤلاء القوم **﴿قال إنكم قوم تجهلون﴾** لأنهم قد شاهدوا من آيات الله ما يزجر من له أدنى علم عن طلب عبادة غير الله، ولكن بني إسرائيل أشد خلق الله عنادا وجهلا وتلونا، وقد ورد في السنة أن الصحابة رأوا للمشركين شجرة يسمونها ذات أنواط يعكفون عندها ويعقلون بها أسلحتهم فقالوا للنبي ﷺ «اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط» فقال «كدم تقولون كما قال قوم موسى: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة».

١٣٩ ﴿إن هؤلاء﴾ العاكفين على الأصنام **﴿متبر ما هم فيه﴾** التبار: الهلاك والتدمير، والذي هم فيه: هو عبادة الأصنام **﴿وباطل ما كانوا يعملون﴾** أي ذاهب مضحل جميع ما كانوا يعملونه من الأعمال مع عبادتهم للأصنام.

١٤٠ ﴿أغير الله أبغىكم إلهاً﴾ أي كيف أطلب لكم غير الله إلهاً تعبدونه؟ وقد شاهدتم من آياته العظام ما يكفي البعض منه **﴿وهو فضلكم على العالمين﴾** بما أنعم به عليكم من إهلاك عدوكم، واستخلافكم في الأرض، وإخراجكم من الذل والهوان إلى العز والرفعة [وهدايتكم إلى الدين الحق] فكيف تقابلون هذه النعم بطلب عبادة غيره؟!

فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَنَمَتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَّبِعُوا مَا هُمْ فِيهِ وَبَطِلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْغَيْكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضْلُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ

﴿الذين كانوا يستضعفون﴾ أي يُستذلون ويمتهنون بالخدمة لفرعون وقومه **﴿مشارك الأرض ومغارها التي باركنا فيها﴾** [وهي أرض بيت المقدس وفلسطين من نهر الأردن إلى البحر] والبركة فيها: إخراج الزرع والثمار منها على أتم ما يكون وأنفع ما يتفق **﴿ومتت كلمة ربك الحسنى﴾** أي مضت واستمرت على التمام، والكلمة هي: (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين. وفكّن لهم في الأرض) **﴿على بني إسرائيل﴾** بسبب صبرهم على

وقد كانوا حاسبين لهم عندهم يمتنونهم في الأعمال، فوعده بتخليتهم ليذهبوا معه.

١٣٥ ﴿فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه﴾ أي رفعنا عنهم العذاب إلى الأجل المضروب لإهلاكهم بالفرق **﴿إذا هم ينكثون﴾** أي ينقضون ما عقدوه على أنفسهم، فامتنعوا من إرسال بني إسرائيل مع موسى كما التزموا بذلك.

١٣٦ ﴿فانتقمنا منهم﴾ لما نكثوا **﴿فأغرقناهم في اليم﴾** في البحر **﴿بأنهم كذبوا بآياتنا﴾** أي لذلك السبب.

١٣٧ ﴿وأورثنا القوم﴾ يعني بني إسرائيل

سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتَلُونَ أَبْنَاءَ كُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَ كُمْ
وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ * وَوَعَدْنَا مُوسَى
ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَنَمِيقَتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ
لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ
وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى
لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ
لَنَ تَرَنِي وَلَٰكِنِ أَنظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ
فَسَوْفَ تَرَنِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا
وَحَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنكَ تُبَّتْ إِلَيْكَ
وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَمُوسَى إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ
عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَا آتَيْنَكَ وَكُن مِّنَ
الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِن كُلِّ شَيْءٍ

١٤١ ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾

يعذبونكم به حتى ألقتوه، كالإبل التي ألقت المراعي ﴿وَفِي ذَٰلِكُمْ﴾ أي في هذا الإنجاء من تلك الأضرار الجسيمة ﴿بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ نعمة كبيرة يتليكم بها ويختبركم، هل تقومون بحق شكرها.

١٤٢ ﴿وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾

من جملة ما كرم الله به موسى عليه السلام وشرفه، ضرب الله هذه المدة موعداً لمناجاة موسى ومكالمته، [ولعل ذلك ليزداد إيماناً و يقيناً، كما فعل بمحمد ﷺ ليلة الإسراء، وليعهد إليه ويعطيه التوراة] ﴿وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ﴾ أي زدناه عشراً بعد أن جاء للميقات ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾ أي كن خليفتي فيهم، قال موسى هذا لما أراد المضي إلى المناجاة ﴿وَأَصْلِحْ﴾ أمر بني إسرائيل بحسن سياستهم، والرفق بهم، وتفقد أحوالهم ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ أي لا تسلك سبيل العاصين، ولا تكن عوناً للظالمين، بل يسلك سبيل أهل الصلاح والإصلاح.

١٤٣ ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا﴾ أي

لكلام الله في الموعد المضروب لذلك ﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ أي أسمعته كلامه من غير واسطة ﴿أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ عن قتادة قال: لما سمع موسى الكلام طمع في الرؤية، أي اشتياقاً ﴿لَنَ تَرَنِي﴾ يفيد أنه لا يراه هذا الوقت الذي طلب رؤيته فيه، وأما رؤيته في الآخرة فقد ثبتت بالأحاديث المتواترة تواتراً لا يخفى على من يعرف السنة المطهرة ﴿وَلَٰكِنِ أَنظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ معناه: أنك لا تثبت لرؤيتي، ولا يثبت لها ما هو أعظم منك جرماً وصلابة وقوة، وهو الجبل، قيل: هو جبل الطور فانظر إليه ﴿فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ﴾ ولم يتزلزل عند رؤيتي له ﴿فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ وإن ضعف

١٤٤ ﴿إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ

بِرِسَالَتِي وَبِكَلَامِي﴾ أي اخترتك على الناس فخصصتك بالرسالة والتكليم من غير واسطة ﴿فَخُذْ مَا آتَيْنَكَ﴾ أمره بأن يأخذ ما آتاه، أي ما أعطاه من هذا الشرف الكريم وأمره بأن يكون من ﴿الشَّاكِرِينَ﴾ على هذا العطاء العظيم، والإكرام الجليل.

١٤٥ ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِن كُلِّ

شَيْءٍ﴾ أي من كل ما يحتاج إليه بنو إسرائيل في دينهم ودنياهم، وهذه الألواح: هي التوراة.

عن ذلك فأنت منه أضعف، فهذا الكلام بمنزلة ضرب المثل لموسى عليه السلام بالجبل ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ ظهر له، وتجلَّى الشيء: أي انكشف ﴿جَعَلَهُ دَكًّا﴾ أي جعله مذكوكاً مدقوقاً، فصار تراباً. وفي حديث أنس مرفوعاً: فساخ الجبل ﴿وَحَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾ أي مغشياً عليه مأخوذاً من الضاعقة ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ﴾ من غشيته ﴿قَالَ سُبْحَانَكَ﴾ أي أنزهك تنزيهاً ﴿تُبَّتْ إِلَيْكَ﴾ عن العود إلى مثل هذا السؤال ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بك قبل قومي المعترفين بعظمتك وجلالك.

كثرة ما رأوا من المعجزات.

١٤٧ «والذين كذبوا بآياتنا ولقاء

الآخرة» ولقائهم ما وعدوا به فيها.

وحبوط الأعمال بطلان ما عملوه مما

صورته صورة الطاعة كالصدقة والصلة،

وإن كانوا في حال كفرهم لا طاعات

لهم تبطل، بعد ما كانت مرجوة النفع

«هل يجزون إلا ما كانوا يعملون» أي

فلم يظلمهم الله تعالى شيئا، ولم يزدهم

على العقوبة التي يستحقونها.

١٤٨ «واتخذ قوم موسى من بعده» أي

من بعد خروجه إلى الطور **«من حلبيهم»**

ما معهم من حلي الذهب **«عجلا»**

اتخذوا عجلا لها **«جسدا»** [أي تمثالا

لعجل من البقر لا روح فيه، وكانت

عبادة البقر واتخاذها آلهة عادة من

عادات قوم فرعون] **«له خوار»** الخوار:

صوت الشور إذا خار. روي أنه لما وعد

موسى قومه ثلاثين ليلة، فأبطأ عليهم في

العشر المزیدة، قال السامري لبني

إسرائيل، وكان مطاعا فيهم: إن معكم

حليا من حلي آل فرعون الذي استعرقوه

منهم لتزينوا به في العيد، وخرجتم وهو

معكم، وقد أغرق الله أهله، فهاتوها،

فدفعوها إليه، فاتخذ منها العجل المذكور

«ألم يروا أنه لا يكلمهم» فضلا عن أن

يقدر على جلب نفع لهم، أو دفع ضرر

عنهم **«ولا يهديهم سبيلا»** لا يدلهم على

طريق خير حسي أو معنوي **«اتخذوه»**

إلها **«وكانوا ظالمين»** لأنفسهم في

اتخاذها، أو في كل شيء.

١٤٩ «ولما سقط في أيديهم» أي ندموا

وتحيروا. قيل: كان ذلك بعد عودة موسى

من الميقات **«ورأوا أنهم قد ضلوا»** أي

باتخاذهم العجل، وأنهم قد ابتلوا بمعصية

الله سبحانه **«قالوا لنن لم يرحمنا ربنا**

ويغفر لنا» لجأوا إلى الاستغاثة بالله

والتضرع والابتهال في السؤال.

مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ نَّخُذُهَا بِقُوَّةٍ وَأَمْرٌ قَوْمَكَ

يَأْخُذُوا بِأَحْسَنَهَا سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾

سَأَصْرِفُ عَنْ آيَتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ

الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ

الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ

سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾

وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ

هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ وَأَتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ

بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ

لَا يَكْلِمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾

وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ

يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾

«موعظة» لمن يتعظ بها من بني إسرائيل

وغيرهم **«وتفصيلا»** للأحكام المحتاجة إلى

التفصيل **«فخذها بقوة»** أي خذ

الألواح، أو خذ المواعظ والتفاصيل بجِدِّ

ونشاط واعمل بما فيها **«وأمر قومك**

بأخذوا بأحسنها» أي بأحسن ما فيها

مما أجره أكثر من غيره، ومن الأحسن

الصبر على الغير، والعفو عنه، والعمل

بالعزيمة دون الرخصة، وفعل المأمور به

على أحسن وجوهه، وترك المنهي عنه

وعدم مقاربتة. أمير موسى أن يأخذ نفسه

بأشد مما أمر به قومه **«سأريكم دار**

الفاسين» قيل: هي منازل الكفار من

الجبابرة والعمالقة، ليعتبروا بها.

١٤٦ «سأصرف عن آياتي الذين

يتكبرون» سأمنعهم فهم كتابي، وقيل:

سأصرفهم عن الإيمان بها **«وإن يروا كل**

آية لا يؤمنوا بها» مع كثرتها ووضوح

دالاتها **«ذلك»** الصرف **«بأنهم كذبوا**

بآياتنا وكانوا عنها غافلين» بسبب

تكذيبهم بالآيات وتغافلهم عنها، أي إنَّ

الله تعالى صرف قلوبهم عن الإيمان

والتصديق بالرسالة لكونهم أصروا على

التكذيب والإعراض تجبراً وكبراً على

«موعظة» لمن يتعظ بها من بني إسرائيل

وغيرهم **«وتفصيلا»** للأحكام المحتاجة إلى

التفصيل **«فخذها بقوة»** أي خذ

الألواح، أو خذ المواعظ والتفاصيل بجِدِّ

ونشاط واعمل بما فيها **«وأمر قومك**

بأخذوا بأحسنها» أي بأحسن ما فيها

مما أجره أكثر من غيره، ومن الأحسن

الصبر على الغير، والعفو عنه، والعمل

بالعزيمة دون الرخصة، وفعل المأمور به

على أحسن وجوهه، وترك المنهي عنه

وعدم مقاربتة. أمير موسى أن يأخذ نفسه

بأشد مما أمر به قومه **«سأريكم دار**

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضَبَنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعْجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسخِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ

١٥٠ ﴿ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا﴾ أي حزينا. وقيل: الأسف منزلة وراء الغضب أشد منه ﴿قال بشا خلفتموني من بعدي﴾ بش العمل ما عملتموه من بعد غيبي عنكم ﴿أعجلتم أمر ربكم﴾ أعجلتم عن انتظار ميعاده الذي وعدني، وهو الأربعون، ففعلتم ما فعلتم، أو تعجلتم سخط ربكم بعبادة العجل ﴿والقى الألواح﴾ أي طرحها من شدة الغضب والأسف، حين أشرف على قومه وهم عاكفون على عبادة العجل ﴿وأخذ برأس أخيه يجره إليه﴾ أخذ برأس أخيه هارون، أو بشعر رأسه، لكونه لم يذكر على السامري، ولا غير ما رآه من عبادة بني إسرائيل للعجل ﴿ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني﴾ فلم أطلق تغيير ما فعلوه، وإنما قال: ابن أم، لأنها كلمة لين وعطف، ولأن أمها كانت كما قيل مؤمنة ﴿فلا تشمت بي الأعداء﴾ فلا تسرهم بمعاقتك لي ﴿ولا تجعلني مع القوم الظالمين﴾ أي لا تجعلني بغضبك علي في عداد القوم الظالمين، يعني الذين عبدوا العجل، أي فإني لم أفعل مثل فعلهم، أولا تعتقد أنني منهم.

١٥١ ﴿قال رب اغفر لي ولأخي﴾ ليزيل عن أخيه ما خافه من الشماتة، فكانه تذم بما فعله بأخيه، وأظهر أنه لا وجه له، وطلب المغفرة له من الله بدل ما فرط منه في جانبه.

١٥٢ ﴿إن الذين اتخذوا العجل﴾ إلها ﴿سينالهم غضب من ربهم﴾ لعل الغضب ما نزل بهم من العقوبة في الدنيا بقتل أنفسهم، انظر سورة البقرة (الآية ٥٤) ﴿في الحياة الدنيا﴾ وذلك يختص بالمتخذين للعجل إلها، لا لمن بعدهم من ذراريهم، ومجرد ما أمروا به من قتل أنفسهم هو من غضب الله عليهم

﴿وكذلك نجزي المفتريين﴾ ومنهم هؤلاء الذين جعلوا تمثال العجل إلها وليس بإله. فن افترى على الله سيناله من الله غضب وذلة في الحياة الدنيا.

١٥٣ ﴿والذين عملوا السيئات﴾ أي سيئة كانت ﴿ثم تابوا من بعدها﴾ أي من بعد ما عملوها ﴿وآمَنُوا﴾ بالله ﴿إن ربك من بعدها﴾ أي من بعد هذه التوبة، أو من بعد عمل هذه السيئات، وآمن بالله ﴿لغفور رحيم﴾ كثير الغفران والرحمة لهم.

١٥٤ ﴿ولما سكنت عن موسى الغضب﴾ لما سكن ﴿أخذ الألواح﴾ التي

ألقاها عند غضبه ﴿وفي نسخها هدى ورحمة﴾ أي فيما نسخ من الألواح المتكسرة، ونقل إلى الألواح الجديدة، والهدى: ما يهتدون به من الأحكام، والرحمة ما يحصل لهم من الله عند عملهم بما فيها من الرحمة الواسعة.

١٥٥ ﴿واختار موسى قومه﴾ أي من قومه ﴿لميقاتنا﴾ للوقت الذي وقتناه له بعد أن وقع من قومه ما وقع، أمره أن يأتي إلى الطور في موعد وقته له، في ناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه سبحانه من عبادة العجل و ﴿الرجفة﴾ الزلزلة



سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِنِّي أَتُهْلِكُهُم بِمَا فَعَلَ
السُّفَهَاءُ مِنَّا إِن هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ
وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ
خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾ * وَآكُتِبَ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا
حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ
مَن أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ
يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِعَايِلَتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾
الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا
عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ
عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ
وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ

كل عذاب ويدخل فيه عذاب هؤلاء
﴿ورحمي وسعت كل شيء﴾ من
المكلفين وغيرهم. ثم أخبر سبحانه أنه
سيكتب هذه الرحمة الواسعة ﴿للذين
يتقون﴾ الذنوب ﴿ويؤتون الزكاة﴾
المفروضة عليهم ﴿والذين هم بآياتنا
يؤمنون﴾ أي يصدقون بها ويدعون لها.

١٥٧ ﴿الذين يتبعون الرسول النبي
الأمي﴾ وهو محمد عليه الصلاة والسلام،
والأمي: [أي من الأمم، من غير أهل
الكتاب]. وقيل: الأمي الذي لا يكتب
ولا يقرأ المكتوب ﴿الذي يجدونه﴾ يعني
اليهود والنصارى يجدون نعتهم ﴿مكتوبا
عندهم في التوراة والإنجيل﴾ وهما
مرجعهم في الدين. عن عطاء بن يسار
قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن
العاص، فقلت له أخبرني عن صفة رسول
الله ﷺ قال «أجل والله، إنه لموصوف
في التوراة ببعض صفته في القرآن: يا أيها
النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا،
وحرزا للأميين، أنت عبدي ورسولي.
سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ
ولا صخاب في الأسواق، ولا يجزي
بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح،
ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة
الموجاء، بأن يقولوا لا إله إلا الله،
ويفتح به أعينا عميا، وآذانا صما،
وقلوبا غلغا» ﴿يأمرهم بالمعروف﴾ بكل ما
تعرفه القلوب ولا تنكره من مكارم
الأخلاق ﴿وينهاهم عن المنكر﴾ أي ما
تنكره القلوب من مساوئ الأخلاق،
وقبيح الأفعال والأقوال ﴿وعملهم
الطيبات﴾ أي المستلذات وخاصة ما حرم
على بني إسرائيل بسبب ذنوبهم. ﴿ويحرم
عليهم الخبائث﴾ أي النجاسات
والمستخبثات حقيقة لما فيها من القبح
والضرر، كالحشرات والخنازير ﴿ويضع
عنه إصْرَهُم﴾ التكاليف الشاقة الثقيلة.

رجع إلى الاستعطاف والدعاء فقال
﴿أنت ولينا﴾ أي المتولي لأمرنا ﴿فاغفر
لنا﴾ ما أذنبناه ﴿وارحمنا﴾ برحمتك التي
وسعت كل شيء.
١٥٦ ﴿واكتب لنا في هذه الدنيا
حسنة﴾ بتوفيقنا للأعمال الصالحة، أو
تفضل علينا بإفازة النعم في هذه الدنيا
من العافية وسعة الرزق ﴿وفي الآخرة﴾
أي واكتب لنا في الآخرة الجنة ﴿إنا
هدنا إليك﴾ إنا تبنا إليك ورجعنا عن
الغواية ﴿قال عذابي أصيب به من
أشياء﴾ المراد: الرجفة، أو يندرج تحته

الشديدة، قيل: إنهم زلزلوا حتى ماتوا
﴿قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل
ولياي﴾ قاله عليه السلام تحسرا وتلهفا،
أي: لو شئت إهلكنا لأهلكتنا [بذنوبنا
قبل أن تأتي إليك فيقول بنو إسرائيل إني
أخذتهم بمكيدة مني إلى القتل] ﴿أهلكنا
بما فعل السفهاء منا﴾ قيل المراد بهم:
السامري وأصحابه ﴿إن هي إلا فتنتك﴾
أي قد كانت مسألة السامري وعبادة
العجل اختبارا منك ﴿تضل بها من تشاء
وتهدي من تشاء﴾ [فأنت الذي بيدك
الهداية والضلal، ولو شئت لهديتهم]. ثم

فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ، وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي
 أُنْزِلَ مَعَهُ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ
 إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ
 وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ
 لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ
 وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ وَقَطَعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا
 أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ أَضْرِبَ
 بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ
 عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبُهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَنزَلْنَا
 عَلَيْهِمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلَوى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ
 وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ

﴿وَالْأَغْلَالِ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾

التكاليف الشاقة التي كانوا قد كلفوها [مما لم يكن فيه مصلحة لذاته، بل كلفوا بها كعقوبة لهم على سيئ أعمالهم] **﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا﴾** منكم يا بني إسرائيل ومن غيركم **﴿به﴾** أي بمحمد ﷺ **﴿وعزروه﴾** أي عظموه ووقروه **﴿ونصروه﴾** أي قاموا بنصره على من يعاديه **﴿واتبعوا النور الذي أنزل معه﴾** أي اتبعوا القرآن الذي أنزل عليه، مع اتباعه بالعمل بستته مما يأمر به وينهى عنه [وهذه الصفات تنطبق أول كل شيء على صحابة رسول الله ﷺ الكرام البررة، الذين آمنوا وجاهدوا معه، وعزروه، وحملوه، وبذلوا أنفسهم في سبيل نشر دعوته، ثم على التابعين لهم بإحسان، ثم على كل من سار على نهجهم. ومن آمن به من بني إسرائيل ونصره شملته البشارة. **﴿أولئك هم المفلحون﴾** الفائزون بالخير والفلاح لا غيرهم من الأمم. فكتب الرحمة يومئذ لهذه الأمة الإسلامية. عن ابن عباس قال: سأل موسى ربه مسألة فأعطاها محمدا ﷺ (فسأكتها للذين يتقون) فأعطى محمدا ﷺ كل شيء سأل موسى ربه في هذه الآية.

١٥٨ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ أمر الله سبحانه نبيه

محمدا ﷺ أن يقول هذا القول المقتضي لعموم رسالته إلى الناس جميعا، لا كما كان غيره من الرسل عليهم السلام يبعثون إلى قومهم خاصة **﴿لا إله إلا هو﴾** لأن من ملك السماوات والأرض وما فيها هو الإله على الحقيقة، وهكذا من كان **﴿يحيي ويميت﴾** هو المستحق لتفرده بالربوبية ونفي الشركاء عنه **﴿الذي يؤمن بالله وكلماته﴾** ما أنزله الله عليه وعلى الأنبياء من قبله **﴿واتبعوه لعلمكم تهتدون﴾** أي فإن الهداية في أمور الدين

في اتباعه، من بني إسرائيل وغيرهم من الأمم والشعوب.

١٥٩ ﴿ومن قوم موسى أمة﴾ لما قص الله ما وقع من السامري وأصحابه وما حصل من بني إسرائيل من التزلزل في الدين، قص علينا سبحانه أن من قوم موسى أمة مخالفة لأولئك **﴿يهدون بالحق﴾** أي يدعون الناس إلى الهداية متلبسين بالحق **﴿وبه﴾** أي بالحق **﴿يعدلون﴾** بين الناس في الحكم.

١٦٠ ﴿وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطا﴾ أي قطعنا قوم موسى، والمعنى: أنه ميز بعضهم من بعض حتى صاروا أسباطا، كل سبط معروف على انفراده، لكل سبط نقيب **﴿وأما﴾** أي كل سبط قبيلة من أب واحد من أولاد يعقوب **﴿وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه﴾** لما أصابهم العطش في التيه **﴿فانبجست﴾** أي فضرِب فانفجرت **﴿منه اثنتا عشرة عينا﴾** بعدد الأسباط، لكل سبط عين يشربون منها **﴿قد علم كل أناس مشربهم﴾** أي كل سبط عرف العين المختصة به التي يشرب منها **﴿وظللنا عليهم الغمام﴾** أي جعلناه مظلاً عليهم في التيه يقيم حر

لَهُمْ أَسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا
حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرَ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ
سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا
غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ
بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ
حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ
يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ
نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ
لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا
قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا
مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا
الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا

١٦٣ ﴿وَإِسْلَامُهُمْ﴾ [تذكيرا لهم بما وقع
لقدمائهم كيف مسخهم الله تعالى عندما
تلاعبوا بدينه، وتحاولوا على أمره ونهيه]
﴿عن القرية التي كانت حاضرة
البحر﴾ قيل: هي أيلة التي بجوار العقبة،
وقيل: طبرية ﴿إذ يعدون﴾ أي
يتجاوزون حدود الله بالصيد يوم السبت
الذي نهوا عن الاصطياد فيه ﴿إذ تأتيهم
حيثانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا
يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم﴾
ابتلاهم الله تعالى بسبب ظهور الفسوق
فيهم، بأن تأتيهم الأسماك يوم السبت
ظاهرة على وجه البحر، قرية المأخذ
يسهل صيدها، وفي سائر الأيام لا تأتي،
ولا يقدرون عليها. وفي ذلك امتحان
لمدى قدرتهم على الصبر عن محارم الله.

١٦٤ ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ﴾ جماعة من
صلحاء أهل القرية لآخرين، ممن كان
يجتهد في وعظ المتعدين في السبت، حين
أيسوا من قبولهم للموعظة، وإقلاعهم عن
المعصية ﴿لم تعظون قوما الله مهلكهم﴾
أي مستأصل لهم بالعقوبة ﴿أو معذبهم
عذابا شديدا﴾ بما انتهكوا من الحرمة
وفعلوا من المعصية ﴿قالوا معذرة إلى
ربكم﴾ أي قال الواعظون: موعظتنا لهم
معذرة إلى الله، حتى لا يؤاخذنا بترك
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اللذين
أوجبنا علينا ﴿ولعلهم يتقون﴾ يقلعون
عما هم فيه من المعصية. هذا وإن بني
إسرائيل افترقوا ثلاث فرق: فرقة عصت
وصادت، وفرقة اعتزلت فلم تنه ولم
تعص، وفرقة اعتزلت ونهت ولم تعص.

١٦٥ ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ أي لما
ترك العصاة من أهل القرية ما ذكّرهم
به الصالحون الناهون عن المنكر ﴿وأخذنا
الذين ظلموا﴾ وهم العصاة المعتدون في
السبت ﴿بعذاب بئيس﴾ أي شديد.

تفسيرها في سورة البقرة (الآية ٥٨)
﴿وادخلوا الباب﴾ أي باب القرية
المتقدم ذكرها ﴿سجدا﴾ ساجدين ﴿نغفر
لكم خطيئاتكم﴾ أي متى دخلتم بيت
المقدس منتصرين، وأنتم مع ذلك متذللون
لله، خاشعون لله، سامعون مطيعون يكون
ذلك مغفرة لذنوبكم ﴿سنزيد المحسنين﴾
بما يتفضل به عليهم من النعم.

١٦٢ ﴿فبدل الذين ظلموا منهم قولا
غير الذي قيل لهم﴾ قد تقدم بيان ذلك
في البقرة ﴿رجزا من السماء﴾ عذابا
كانوا يظلمون بسبب ظلمهم.

الشمس، يسير بسيرهم، ويقم بإقامتهم
﴿وانزلنا عليهم المن والسلوى﴾ تقدم
تحقيقه في سورة البقرة الآية ٥٧ ﴿كلوا
من طيبات ما رزقناكم﴾ أي قلنا لهم
كلوا من المستلذات التي رزقناكم ﴿وما
ظلمونا﴾ بما وقع منهم من المخالفة،
وكفران النعم، وعدم تقديرها حق
قدرها.

١٦١ ﴿اسكنوا هذه القرية﴾ أي أرض
بيت المقدس ﴿وكلوا منها﴾ مما فيها من
الخيرات ﴿حيث شئتم﴾ أي في أي مكان
شئتم من أمكنتها ﴿وقولوا حطة﴾ تقدم

عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾
وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ
يُسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ
وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا
مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ
وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ
خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى
وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ
أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا
الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ
أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا
الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ * وَإِذْ نَتَقْنَا

١٦٦ ﴿فلما عتوا عما نهوا عنه﴾ أي تجاوزوا الحد في معصية الله تمردا وتكبرا ﴿قلنا لهم كونوا قردة﴾ أي فصاروا كما أمرناهم، وبذلك مسخناهم قردة ﴿خاسئين﴾ أذلاء مطرودين. وعن ابن عباس أيضا قال: نجبا الناهون وهلك الفاعلون، ولا أدري ما صنيع بالساكئين. والله لأن أكون علمت أن القوم الذين قالوا لم تعظون قوما نجوا مع الذين نهوا عن السوء أحب إلي من حر النعم، ولكن أخاف أن تكون العقوبة نزلت بهم جميعا. وعن عكرمة قال: فما زلت أبصره حتى عرف أنهم قد نجوا، فكساني حلة. ١٦٧ ﴿وإذ تأذن ربك﴾ أعلمهم إعلاما ظاهرا ﴿ليبعثن عليهم﴾ أي ليرسلن عليهم وليسلطن ﴿إلى يوم القيامة﴾ فكانوا هكذا أذلاء مستضعفين معذبين بأيدي أهل الملل، ويسلمون الجزية ﴿يسومهم﴾ يذيقهم.

١٦٨ ﴿وقطعناهم في الأرض أمتا﴾ فليس قطر من أقطار الأرض إلا وفيه منهم طائفة ﴿منهم الصالحون﴾ هم الذين آمنوا بمحمد ﷺ، ومن مات قبل البعثة المحمدية غير مبذل ﴿ومنهم دون ذلك﴾ أي دون الطائفة الأولى في الصلاح ﴿وبلوناهم بالحسنات والسيئات﴾ أي

امتنحناهم بالخير والشر، من الأمن والخوف، والرخاء والبلاء، ليرجعوا عما هم فيه من الكفر والمعاصي.

١٦٩ ﴿فخلف من بعدهم خلف﴾ أولاد وذرية خلفوا أولئك، وأجيال نشأوا بعدهم، والخلف: خلف السوء ﴿ورثوا الكتاب﴾ أي التوراة من أسلافهم يقرأونها ولا يعملون بها ﴿يأخذون عرض هذا الأدنى﴾ هو الدنيا يتعجلون مصالحها بالرشاء والسحت في مقابلة تحريفهم لكلمات الله، وتهوينهم للعمل بأحكام التوراة، وكتمهم لما يكتمونونه منها

﴿للذين يتقون﴾ الله ويحبتون معاصيه، ويحذرون من تحريف كلام الله والتحايل عليه.

١٦٩ ﴿والذين يمسكون بالكتاب﴾ أي ومنهم طائفة يتمسكون بالكتاب، أي التوراة ويعملون بما فيه، ويرجعون إليه في أمر دينهم، فهم المحسنون الذين لا يضيع أجرهم عند الله، وذلك التمسك منهم هو الإصلاح ﴿إنا لا نضيع أجر المصلحين﴾.

١٧١ ﴿وإذ نتقنا الجبل﴾ أي رفعنا الجبل من جذوره. وهو الطور ﴿كأنه

﴿ويقولون سيغفر لنا﴾ أي يعملون أنفسهم بالمغفرة مع تماديهم في الضلالة ﴿وان يأتهم عرض مثله يأخذوه﴾ ويتعجلون بالمغفرة أيضا، وهكذا مرة بعد مرة ﴿ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب﴾ أي التوراة ﴿ألا يقولوا على الله إلا الحق﴾ دون تحريف أو تبديل رغبة أو رهبة ﴿ودرسوا ما فيه﴾ تركوا العمل بالميثاق، وقد درسوا ما في الكتاب وعلموه، فكان الترك منهم عن علم لا عن جهل، وذلك أشد ذنبا وأعظم جرما ﴿والدار الآخرة خير﴾ من ذلك العرض



النظر واقتفائنا آثار سلفنا.

١٧٤ ﴿وَكَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ إلى الحق ويتركون ما هم عليه من الباطل.

١٧٥ ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ [أي ذكر بني إسرائيل بأمر آخر وقع لبعض أسلافهم حين ترك أمر الله لهوى نفسه كيف صنع الله به] عن ابن عباس قال: هو رجل من مدينة الجبارين: يقال له بلعم، تعلم اسم الله الأكبر، فلما نزل بهم موسى أتاه بنو عمه وقومه، فقالوا: إن موسى رجل حديد، ومعه جنود كثيرة، وإنه إن يظهر علينا يهلكنا، فادع الله أن يرد عنا موسى ومن معه، قال: إني إن دعوت الله أن يرد موسى ومن معه مضت دنيائي وآخرتي، فلم يزالوا به حتى دعا الله فسلخ ما كان فيه **﴿فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾** انخلع منها بالكلية كما تنسلخ الشاة عن جلدها **﴿فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾** أي لحقه فأدركه وصار قرينا له **﴿فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾** المتمكنين في الغواية وهم الكفار.

١٧٦ ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾ أي لأكرمناه ورفعنا قدره **﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾** مال إلى الدنيا، ورغب فيها وآثرها على الآخرة **﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾** اتبع ما يهواه، وهو ما أعطاه الجبارون من حطام الدنيا الواسعة ليدعو على أهل الحق ويمكر بهم **﴿إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَرَكَهٗ يَلْهَثْ﴾** أي إن حمل الحكمة لم يحملها، وإن ترك لم يهتد لخير، وقيل: المعنى: إن وعظته ضلّ، وإن تركته ضل فهو في ضلال ملازم. لا نسلخه عن آيات ربه، فهو كالكلب إن كان رابضا لهث، وإن يطرد لهث **﴿ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا﴾** أي: ذلك المثل الخسيس مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا من اليهود وغيرهم، بعد أن علموا بها وعرفوها فحرفوا وبدلوا وكذبوا بها.

أَلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَآءَ آتَيْنَكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٦﴾ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٧﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٨﴾ وَكَذَٰلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٩﴾ وَآتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٨٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَرَكَهٗ يَلْهَثْ ذَٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ

وهؤلاء هم عالم الذر **﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ﴾** أي أشهد كل واحد منهم **﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾** أي قائلا: ألسنت بربكم **﴿قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾** أي على أنفسنا بأنك ربنا **﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ﴾** أي لثلا تقولوا: لم يكن عندنا علم بكون الله ربنا وحده لا شريك له.

١٧٣ ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ﴾ لا نهتدي إلى الحق، ولا نعرف الصواب، وإنما استمر العمل بيننا بما كان عليه أوائلنا **﴿أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾** من آبائنا ولا ذنب لنا لجهلنا وعجزنا عن

ظلة **﴿سَحَابَةٌ تَظْلِيهِمْ﴾** وظنوا أنه واقع بهم أي ساقط عليهم، وقلنا لهم **﴿خُذُوا مَآءَ آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾** أي وقلنا لهم خذوا والقوة: الجِد والعزيمة **﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾** من الأحكام التي شرعها الله لكم ولا تنسوه. عن قتادة قال: انتزع الله الجبل من أصله، ثم جعله فوق رؤوسهم، ثم قال لتأخذن أمري أو لأرمينكم به.

١٧٢ ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ المعنى: أن الله سبحانه لما خلق آدم مسح ظهره فاستخرج منه ذريته وأخذ عليهم العهد،

كَذَّبُوا بِعَايِنَتِنَا فَأَقْصَصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾
 سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِعَايِنَتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا
 يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَىٰ وَمَنْ يُضِلِّ
 فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا
 مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ
 لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ
 كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾
 وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ
 يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾
 وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾
 وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِعَايِنَتِنَا سنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ
 لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾

﴿فاقصص القصص﴾ الذي هو صفة الرجل المنسلخ عن الآيات، فإن مثله المذكور كمثل هؤلاء القوم المكذبين لك من اليهود ﴿لعلهم يتفكرون﴾ فينزعجون عن الضلال، ويقبلون على الصواب.

١٧٧ ﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي قُبْح مثلهم، بقبح أفعالهم ﴿وأنفسهم كانوا يظلمون﴾ أي ما ظلموا بالتكذيب إلا أنفسهم.

١٧٨ ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَى﴾ لما أمر الله به وشرعه لعباده ﴿وَمَنْ يُضِلِّ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ الكاملون في الخسران.

١٧٩ ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ﴾ خلقهم وهو يعلم أن عاقبتهم ستكون إلى النار، لأنهم بعمل أهلها يعملون. وقد علم ما هم عاملون قبل كونهم ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ كما يفقه غيرهم ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ انتفى من الأعين إِبْصَار ما فيه الهداية بالتفكر والاعتبار، وإن كانت مبصرة في غير ذلك، وانتفى من الآذان سماع المواعظ النافعة، والشرائع التي اشتملت عليها الكتب المنزلة، وما جاءت به رسل الله، وإن كانوا يسمعون غير ذلك ﴿أُولَئِكَ﴾ المتصفون بهذه الأوصاف ﴿كَالْأَنْعَمِ﴾ في انتفاء انتفاعهم بهذه المشاعر ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ من البهائم، لأنها تدرك ما ينفعها ويضرها فتنتفع بما ينفع، وتجتنب ما يضر، وهؤلاء لا يميزون بين ما ينفع وما يضر باعتبار ما طلبه الله وكلفهم به.

١٨٠ ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ أي الله أحسن الأسماء لدلالاتها على أحسن مسمى، وأشرف مدلول [من الرحمة والقدرة والعلم والحكمة والخبرة والعزة وغيرها] ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [قائلين يا رحمن يا حليم ياعليم] فإنه إذا دعي بأحسن

أسمائه كان ذلك من أسباب الإجابة ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ يحرفون لفظها أو معناها. والإلحاد في أسمائه يكون على ثلاثة أوجه: إما بالتغيير كما فعله المشركون، فإنهم أخذوا اسم اللات من الله، والعزى من العزيز، ومناة من المنان؛ أو بالزيادة عليها، بأن يخترعوا أسماء من عندهم لم يأذن الله بها، أو بالنقصان منها بأن ينكروا بعضها. قيل: نزلت في رجل من المسلمين، كان يقول في صلاته: يا رحمن. يا رحيم. فقال رجل من المشركين: أليس يزعم

محمد وأصحابه أنهم يعبدون ربا واحداً، فما بال هذا يدعور بين اثنين؟ وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «إن الله تسعة وتسعين اسماً: مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة، إنه وتر يحب الوتر».

١٨١ ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً﴾ قيل: هم من هذه الأمة، وإنهم الفرقة الذين لا يزالون على الحق ظاهرين، كما ورد في الحديث الصحيح.

١٨٢ ﴿سنستدرجهم﴾ الاستدراج: هو الأخذ بالتدرج منزلة بعد منزلة، وذلك

يؤمنون إن لم يؤمنوا به، فليس هناك حديث خير منه، ولا أدعى منه للتفكر والاعتبار.

١٨٧ ﴿يسألونك﴾ السائلون: هم اليهود، وقيل: قريش، و**﴿الساعة﴾**: القيامة **﴿أيان مرساها﴾** أي: متى يرسيا الله: أي يشبها ويوقعها [كما ترسو السفينة القادمة في البحر عند الشاطئ] **﴿قل﴾** **﴿إنما علمها عند ربي﴾** لا يعلمها غيره **﴿لا يجليها لوقتها إلا هو﴾** أي لا يظهرها لوقتها ولا يكشف عنها إلا الله سبحانه **﴿ثقلت في السماوات والأرض﴾** لا تطبقها السماوات والأرض لعظمها، لأن السماء تنشق، والنجوم تتناثر، والبحار تنضب **﴿لا تأتكم إلا بغتة﴾** إلا فجأة على غفلة وأنتم آمنون، أي فلن يطلع الله على وقت مجيئها أحدا **﴿يسألونك كأنك حفي عنها﴾** كأنك عالم بها، أو كأنك مستقص للسؤال عنها ومستكثر منه **﴿قل﴾** **﴿إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾** [ومفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله منها وقت قيام الساعة].

١٨٨ ﴿قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله﴾ لتأكيد ما تقدم من عدم علمه بالساعة أيان تكون ومتى تقع، أي فبالأولى لا أقدر على علم ما استأثر الله بعلمه **﴿ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير﴾** أي لا اشتريت حين يكون فيما أشتريه الربح، وبعث حين يكون الربح في البيع، فيكثر مالي، ولا أخسر في بيع، ولتعرضت لما فيه الخير فجلبته إلى نفسي، وتوقيت ما فيه السوء حتى لا يمسي **﴿إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون﴾** مبلغ عن الله لأحكامه أنذر بها قوما، وأبشر بها آخرين، ولست أعلم بغيب الله سبحانه، أي وليس الإخبار بالغيب من مهمتي، ولا العلم به من صفتي.

أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جَنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عَلَيْهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقَّتِهَا إِلَّا هُوَ ثُقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْعَونَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عَلَيْهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ

١٨٥ ﴿أو لم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض﴾ والمعنى: إن هؤلاء لم يتفكروا حتى ينتفعوا بالتفكر، ولا نظروا في مخلوقات الله حتى يهتدوا بذلك إلى الإيمان به **﴿وما خلق الله من شيء﴾** من الحيوان والنبات والكواكب وغيرها **﴿وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم﴾** فيموتوا عن قريب، فما لهم لا ينظرون فيما يهتدون به وينتفعون [قبل أن تنتهي المدة الممنوحة لهم للنظر والإيمان والعبادة بانتهاء آجالهم؟] **﴿فبأي حديث بعده يؤمنون﴾** أي فبأي كلام غير القرآن

بإدراك النعم عليهم وإنسانهم شكرها، فيتمكنون في الغواية، ويتكبدون طرق الهداية.

١٨٣ ﴿وأمل لهم﴾ أي أطيل لهم المدة وأمهلهم وأؤخر عنهم العقوبة **﴿إن كيدي متين﴾** لأنه في الظاهر إحسان، وفي الحقيقة خذلان.

١٨٤ ﴿أولم يتفكروا﴾ في شأن رسول الله ﷺ وفيما جاء به **﴿ما بصاحبهم من جنة﴾** شيء مما يدعونه من الجنون **﴿إن هو إلا نذير مبين﴾** منذر من الله لهم، معه الدليل على نبوته.

يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ * هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ
وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ
حَمْلًا خَفِيفًا فَرَّتْ بِهِ ۖ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ
ءَاتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّا ءَاتَاهُمَا
صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا
يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيْشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْعًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ ﴿١٩١﴾
وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٢﴾
وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ
أَدْعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنْ الَّذِينَ تَدْعُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَهْمُ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ
أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يَبْصُرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ

١٨٩ ﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة﴾ آدم، وقيل: من نفس واحدة يعني من جنس واحد وشكل واحد ﴿وجعل منها زوجها﴾ وهي حواء، خلقها من ضلع من أضلاعه ﴿ليسكن إليها﴾ يأنس إليها ويطمئن بها، فإن الجنس بجنسه أسكن، وإليه آنس، وكان هذا في الجنة ﴿فلما تغشاهما﴾ كناية عن الوقاع: أي فلما جامعها ﴿حملت حملاً خفيفاً﴾ علقت به بعد الجماع ﴿فررت به﴾ أي استمرت بذلك الحمل تقوم وتقمعد وتمضي في حوائجها لا تجد به ثقلاً ﴿فلما أثقلت﴾ لكبر الولد في بطنها ﴿دعوا الله ربها﴾ دعا آدم وحواء ربها ﴿لئن آتيتنا صالحاً﴾ أي ولداً صالحاً ذا خلقٍ سوى ﴿لنكونن من الشاكرين﴾ لك على هذه النعمة.

١٩٠ ﴿فلما آتاهما﴾ الولد الصالح، وقيل: صالحاً: أي غلاماً سوياً، لا كما خافا أن يكون على خلق آخر. وأجاب دعاءهما ﴿جعلاً له شركاء فيما آتاهما﴾ قال جماعة من المفسرين: إن الجاعل شركاء فيما آتاهما، هم جنس بني آدم، كما وقع من المشركين منهم، ولم يكن ذلك من آدم وحواء.

١٩١ ﴿أيشركون ما لا يخلق شيئاً﴾ أي: أيجعلون الأصنام شركاء لله في العبادة، وهم يعلمون أن هذه الأصنام لم تخلق شيئاً من الخلق حتى تستحق بذلك أن تُعبد ﴿وهم يخلقون﴾ أي: وهؤلاء الذين جعلوهم شركاء من الأصنام أو الشياطين مخلوقون.

١٩٢ ﴿ولا يستطيعون لهم نصراً﴾ إن طلبوه منهم ﴿ولا أنفسهم ينصرون﴾ ومن عجز عن نصر نفسه، فهو عن نصر غيره أعجز.

١٩٣ ﴿وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم﴾ وإن تدعوا هؤلاء الشركاء إلى

الهدى لا يجيبوكم إلى ذلك ﴿سواء عليكم أدعوتهم أم أنتم صامتون﴾ فحالهم واحدة عند ندائكم وعدم ندائكم، لأنهم مجرد أحجار منحوتة جامدة.

١٩٤ ﴿إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم﴾ هؤلاء الذين جعلتموهم آلهة هم عباد الله، كما أنتم عباد له، مع أنكم أكمل منهم، لأنكم أحياء تنطقون، وتمشون، وتسمعون، وتبصرون، وهذه الأصنام ليست كذلك، ولكنها مثلكم في كونها مملوكة لله مسخرة لأمره ﴿فادعوه﴾ بقوة ﴿قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون﴾

فليستجيبوا لكم﴾ أي فليردوا عليكم الجواب إن كانوا أحياء ﴿إن كنتم صادقين﴾ فيما تدعونه لهم من قدرتهم على النفع والضرر.

١٩٥ ﴿أهم أرجل﴾ أي: هؤلاء الذين جعلتموهم شركاء لله في العبادة ليس لهم شيء من الآلات التي هي ثابتة لكم ﴿أم لهم أيدٍ يبطشون بها﴾ أي يعملون بها، أو يضربون بها، فكيف تدعون من هم على هذه الصفة من سلب الأدوات، وهذه المنزلة من العجز؟ والبطش: الأخذ بقوة

ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا
فَلَا تُنْظَرُونَ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِيَّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابُ
وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ
لَا يَسْتَجِيبُونَ نَدْعَكُمْ وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِنْ
تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرْتَبِّهُمْ يَنْظُرُونَ
إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ
وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِنَّمَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ
نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ
اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَافٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا
هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغِيِّ ثُمَّ
لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا آجْتَبَيْتَهَا
قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَافُ

النفوس **﴿وأعرض عن الجاهلين﴾** أي
إذا أقت الحجة عليهم في أمرهم بالمعروف
فلم يفعلوا، فأعرض عنهم ولا تمارهم ولا
تسافهم مكافأة لما يصدر منهم من المراء
والسفاة.

**٢٠٠ ﴿وإما ينزغنك من الشيطان
نزغ﴾** النزغ: الوسوسة بالفساد، يقال نزغ
بيننا: أي أفسد **﴿فاستعذ بالله إنه سميع
عليم﴾** التجيء إليه، فإنه يسمع ذلك
منك ويعلم به.

٢٠١ ﴿طائف من الشيطان﴾ وهي
الوسوسة، لأنها لمة من الشيطان تشبه لمة
الخيال. ووسوسته: أمره بالسوء عند
الغضب [وتسويل ارتكاب المعصية]
﴿تذكروا﴾ عظمة ربهم ونبيه **﴿فإذا هم
مبصرون﴾** منتبهون [يعلمون أن ذلك نزغ
من الشيطان، فيكفون عن معصية الله،
ويعصون الشيطان].

٢٠٢ ﴿وإخوانهم يمدونهم في الغي﴾
[أصله أن صاحب الدابة يسكها برسها
ويتركها ترعى، وكلما ابتعدت عنه مد
لها الحبل لترعى، فإذا قاربت أن ترد ما
فيه عليها ضرر أقصر لها وجذبها إليه].
فالمعنى: وإخوان الشياطين، وهم الفجار
من ضلّال الإنس، تمدهم الشياطين
ليرعوا في مراعي الغي، فيقبلون منهم
ويقتدون بهم، ثم لا تقصر الشياطين لهم
ولا تحول بينهم وبين ما يشتهون، بل
تزيدهم وسوسة وإضللا حتى يهلكوا.

**٢٠٣ ﴿وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا
اجتبتينا﴾** كانوا يقولون لرسول الله ﷺ
إذا تراخى الوحي: هلا أتيت بشيء من
الآيات القرآنية افتعالا من تلقاء نفسك
﴿قل إنما أتبع ما يوحى إلي﴾ فإوحاه
إلي وأنزله عليّ أبلغته إليكم **﴿هذا﴾**
القرآن المنزل علي هو **﴿بصائر من
ربكم﴾** يتبصر بها من قبلها **﴿وهدي﴾**
يهدي به المؤمنون إلى مرضي ربهم.

١٩٨ ﴿وتراهم ينظرون إليك﴾ أي
الأصنام، كانوا يصنعونها تماثيل كهيئة
بني آدم، أو كالحیوانات، ولها مشال
الأيدي والأرجل والأعين، ولكنها جامدة
لا تبطش ولا تمشي ولا ترى شيئا.

١٩٩ ﴿خذ العفو﴾ من أخلاقهم
وصدقاتهم، فلا تكلفهم ما يشق عليهم،
ثم كلفوا بالحدود وبالزكاة بعد ذلك.
وكان رسول الله ﷺ يقول «يسروا ولا
تعسروا، وبشروا ولا تنفروا» **﴿وأمر
بالعرف﴾** بالمعروف، وهو كل خصلة
حسنة ترتضيها العقول وتطمئن إليها

أنتم وهم جميعا بما شتم من وجوه الكيد
﴿فلا تنظرون﴾ أي فلا تمهلوني، ولا
تتأخروا عن إنزال الضرر بي، إن كنتم
أنتم وهم قادرين على شيء من الضرر
أمره الله تعالى بتحديثهم بذلك ليظهر لهم
عجز آلهتهم عن كل شيء.

١٩٦ ﴿إن وليي الله﴾ أي كيف أخاف
هذه الأصنام التي هذه صفتها، ولي ولي
ألجأ إليه وأستنصر به وهو الله عز وجل
﴿وهو يتولى الصالحين﴾ أي يحفظهم
وينصرهم، ويحول ما بينهم وبين
أعدائهم.

مِنْ رَبِّكُمْ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ
الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾
وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنْ
الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾
إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ
وَيَسْبِحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾

(٨) سُورَةُ الْأَنْفَالِ مَكْنِيَّةٌ وَأَيَّانَهَا خَمِيسٌ وَسَبْعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ

٢٠٤ ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ لستمغفوا به، وتدبروا ما فيه من الحكم والمصالح، وهذا في الصلاة وغيرها [ولا تجعلوه كسائر الكلام، يُغرض عنه من يعرض] **﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾** أي تنالون الرحمة وتفوزون بها بامتثال أمر الله سبحانه، [وسماع آيات كتابه].

٢٠٥ ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ خفية بتأمل وتدبر، و **﴿تَضَرَّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾** أي تسمع نفسك ولا تصرخ به صراخا، أي: متضرعا، وخائفا، ومتكلما بكلام هو دون الجهر من القول **﴿بِالْغُدُوِّ﴾** أي أوقات الغدوات، والغدوة الصباح، وأوقات الأصائل: والأصيل: الوقت من بعد العصر إلى المغرب **﴿وَلَا تَكُن مِنَ الْغَافِلِينَ﴾** أي عن ذكر الله.

٢٠٦ ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ المراد بهم الملائكة **﴿وَيَسْبِحُونَهُ﴾** يعظمونه وينزهونه عن كل شين **﴿وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾** أي يخصونه بعبادة السجود التي هي أشرف عبادة.

سُورَةُ الْأَنْفَالِ

وهي مدنية. نزلت في عقب غزوة بدر ١ **﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾** أي الغنائم **﴿قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾** أي: حكمها مختص بها، يقسمها بينكم رسول الله ﷺ عن أمر الله سبحانه، وليس لكم حكم في ذلك. عن عبادة بن الصامت، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ فشهدت معه بدرا، فالتقى الناس، فهزم الله العدو، فانطلقت طائفة في آثارهم يهزمون ويقتلون، وأكبت طائفة على العسكر يحوزونه ويجمعونه، وأحدثت طائفة برسول الله ﷺ لا يصيب العدو منه غرة؛ حتى إذا كان الليل، وفاء

الناس بعضهم إلى بعض، قال الذين جمعوا الغنائم: نحن حويناها وجعلناها فليس لأحد فيها نصيب؛ وقال الذين خرجوا في طلب العدو: لستم بأحق بها منا، نحن نفينا عنه العدو وهزمناهم؛ وقال الذين أهدقوا برسول الله ﷺ: لستم بأحق بها منا، نحن أهدقنا برسول الله ﷺ وخفنا. أن يصيب العدو منه غرة فاشتغلنا به، فنزلت **﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾** وقسمها رسول الله ﷺ بين المسلمين. وقيل: إن هذه الآية جعلت الغنائم ملكا للناس بعضهم إلى بعض، قال الذين جمعوا الغنائم: نحن حويناها وجعلناها فليس لأحد فيها نصيب؛ وقال الذين خرجوا في طلب العدو: لستم بأحق بها منا، نحن نفينا عنه العدو وهزمناهم؛ وقال الذين أهدقوا برسول الله ﷺ: لستم بأحق بها منا، نحن أهدقنا برسول الله ﷺ وخفنا. أن يصيب العدو منه غرة فاشتغلنا به، فنزلت **﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾** وقسمها رسول الله ﷺ بين المسلمين. وقيل: إن هذه الآية جعلت الغنائم ملكا للناس بعضهم إلى بعض، قال الذين جمعوا الغنائم: نحن حويناها وجعلناها فليس لأحد فيها نصيب؛ وقال الذين خرجوا في طلب العدو: لستم بأحق بها منا، نحن نفينا عنه العدو وهزمناهم؛ وقال الذين أهدقوا برسول الله ﷺ: لستم بأحق بها منا، نحن أهدقنا برسول الله ﷺ وخفنا. أن يصيب العدو منه غرة فاشتغلنا به، فنزلت **﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾** وقسمها رسول الله ﷺ بين المسلمين.

لرسول الله ﷺ، ثم نسخ ذلك بقوله تعالى (واعلموا أنما غنمتم من شيء) الآية **﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾** حيث اختلفوا في الأنفال. عن مكحول قال: كان صلاح ذات بينهم أن ردت الغنائم، فقسمت بين من ثبت عند رسول الله ﷺ وبين من قاتل وغنم **﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾** تهيج لهم على التقوى، وإصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله، فإن الإيمان لا يتم إلا بهذه الثلاثة ولذلك كانت الطاعة علامة على صدق الإيمان.



إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ
 اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ
 إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ
 وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا
 لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾
 كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ
 الْمُؤْمِنِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿٥﴾ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ
 مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٦﴾
 وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ
 غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ
 بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ الْحَقَّ
 وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ

الكفار، وكان أكثرهم لا يريدون،
 وأمدهم بالملائكة إلى غير ذلك مما
 توضحه السورة].

٦ ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾
 ومجادلتهم لما نديهم إلى إحدى الطائفتين،
 وفات العير، وأمرهم بقتال النفير، ولم
 يكن معهم كثير استعداد، لذلك شق
 عليهم وقالوا: لو أخبرتنا بالقتال لأخذنا
 العدة وأكملنا الاستعداد ﴿فِي الْحَقِّ﴾
 أي في القتال بعد ما تبين لهم أنك لا
 تأمر بالشيء إلا بأذن الله ﴿كَأَنَّمَا
 يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾
 خرجوا وهم يائسون من النصر لا يخطر
 ببالهم، ويتوقعون الهزيمة كأنهم في حال
 من يساق ليقتل وهو مشاهد لأسباب
 قتله، ناظر إليها، لا يشك فيها.

٧ ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾
 الطائفتين أنها لكم، والطائفتان: هما
 العير والنفير [أوحى الله إلى رسوله ﷺ
 عند خروجهم إلى بدر أنكم ستظفرون،
 إما بالعير: وهي قافلة قريش الآتية من
 الشام تحمل البضائع والتجارات، وإما
 بالنفير: وهو جيش قريش الآتي
 لقتالكم] ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ
 الشَّوْكَةِ﴾ الشوكة: السلاح، وهي طائفة
 العير، لأنها غنيمة صافية عن كدر
 القتال، إذ لم يكن معها من يقوم
 بالدفع عنها ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ
 بِكَلِمَاتِهِ﴾ من ظفركم بذات الشوكة،
 وقتلكم لصناديدهم، وأسر كثير منهم
 حتى تظهر قوة الإسلام ﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ
 الْكَافِرِينَ﴾ ويستأصلهم جميعاً.

٨ ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ﴾ ليثبت الإسلام في
 الأرض ويعلي بنيانه ﴿وَيُبْطِلَ
 الْبَاطِلَ﴾ يحق الشرك حتى يبطل وجوده
 وينتهي ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ هم
 المشركون من قريش، أو جميع طوائف
 الكفار.

وأعمالهم الصالحة] وفي كونها عنده
 سبحانه زيادة تشریف لهم وتكريم
 وتعظيم وتفخيم ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم
 ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ من واسع فضله،
 وفائض جوده.

٥ ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ
 بِالْحَقِّ﴾ [يذكر الله تعالى في هذه الآية
 وما بعدها أن الفضل في النصر في غزوة
 بدر إنما هو لله تعالى، ولذا فالغنائم له
 ورسوله، ومن ذلك أنه أخرجهم من
 المدينة لحرب المشركين وأكثرهم
 كارهون، وصرفهم إلى قتال جيش

٢ ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ المعنى: أن حصول
 الخوف من الله والفرع منه عند ذكره
 هو شأن المؤمنين ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾
 لا على غيره. والتوكل على الله:
 تفويض الأمر إليه.

٤ ﴿أُولَٰئِكَ﴾ المتصفون بالأوصاف
 المتقدمة ﴿هُمْ الْمُؤْمِنُونَ﴾ الكاملون
 الإيمان، البالغون فيه إلى أعلى درجاته
 وأقصى غاياته و﴿حَقًّا﴾ معناه أنهم برئوا
 من الكفر ﴿لَهُمْ دَرَجَاتٌ﴾ أي: منازل
 خير وكرامة وشرف في الجنة [بعضها
 أعلى من بعض بحسب إيمان أصحابها

رَبُّكَ فَاسْتَجَابَ لَكَرَّ أَتَى مُدَّتْكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ
مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ
قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسُ أَمْنَةً مِنْهُ وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ
مِنْ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ
الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾
إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَتَى مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ
ءَامَنُوا سَالَتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا
فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ
شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَلِكَ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ
عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ

٩ ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ لما علموا أنه لابد من قتال النفي كما أمرهم الله، ورأوا كثرة عدد النفي وقلة عددهم، استغاثوا بالله سبحانه. وإن النبي ﷺ لما رأى ذلك استقبل القبلة، ثم مد يديه، فجعل يهتف بربه: اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آتني ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض ﴿فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة﴾ جند منهم يقاتلون المشركين معكم ﴿مردفين﴾ متتابعين: أمدهم الله بألف، ثم بثلاثة، ثم أكملهم خمسة.

١٠ ﴿وما جعله الله﴾ أي: الإمداد بالملائكة ﴿إلا بشري﴾ إلا بشارة لكم بنصره ﴿ولتطمئنن به﴾ أي: بالإمداد ﴿قلوبكم وما النصر إلا من عند الله﴾ لا من عند غيره، ليس هو من عند الملائكة ﴿إن الله عزيز﴾ لا يغالب ﴿حكيم﴾ في كل أفعاله. عن عمر قال: أما يوم بدر فلا نشك أن الملائكة كانوا معنا، وأما بعد ذلك فالله أعلم.

١١ ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسُ أَمْنَةً مِنْهُ﴾ سَكَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَأَمْنًا حَتَّى نَامُوا آمَنِينَ غَيْرِ خَائِفِينَ، وَكَانَ هَذَا فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي كَانَ الْقِتَالُ فِي غَدَا، وَقِيلَ: إِنْ النُّومُ غَشِيَهُمْ فِي حَالِ التَّقَاءِ الصَّفِينِ ﴿وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ قَبْلَ الْقِتَالِ مَطَرًا حَتَّى سَالَ الْوَادِي ﴿لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾ لِيَرْفَعَ عَنْكُمْ الْأَحْدَاثَ [فَاغْتَسَلْتُمْ وَصَلَيْتُمْ عَلَى أُمِّ الْوَجُوهِ وَأَكْمَلْتُمْ، وَلَمْ يَكُنْ قَدْ شَرَعَ التَّيْمِمُ] ﴿وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾ أي: وسوسته لكم من الخوف والفشل ﴿وليربط على قلوبكم﴾ فيجعلها صابرة قوية ثابتة في مواطن الحرب ﴿ويثبت به الأقدام﴾ فقد اشتد بالمطر رخو

منهم كل بنان﴾ أطراف الأصابع من اليدين. فإنه إذا ضربت البنان تعطل المضروب عن القتال، بخلاف سائر الأعضاء.

١٣ ﴿ذلك﴾ القتل للمشركين ﴿بأنهم شاقوا الله ورسوله﴾ لأنهم خاصموا الله ورسوله وعاندوهما.

١٤ ﴿ذلكم﴾ إشارة إلى العقاب العاجل الذي أصيب به المشركون ﴿فذوقوه﴾ [يا معشر المشركين واشعروا بالآلامه وتجرعوا عُصَصَهُ]. ﴿وأن للكافرين عذاب النار﴾ إشارة إلى العقاب الآجل.

الأرض ورملها وزال الغبار.

١٢ ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَتَى مَعَكُمْ﴾ نعمة أخرى يذكرهم بها ﴿فثبتوا الذين آمنوا﴾ بشروهم بالنصر، أو ثبتوهم على القتال بالحضور معهم وتكثير سوادهم ﴿سألني في قلوب الذين كفروا الرعب﴾ تقدم بيانه في سورة آل عمران (الآية ١٥١) ﴿فاضربوا فوق الأعناق﴾ أعاليها، لأنها المفاصل الذي يكون الضرب فيها أسرع إلى القطع، قيل: وهذا أمر للملائكة، وقيل: للمؤمنين ﴿واضربوا

كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَنْ يُولِهِمْ يُؤَمِّدْ
 دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ
 بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾
 فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ
 وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ
 اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَرِيدٌ
 الْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ
 تَنْتَهُوا فهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ
 فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾
 يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ
 وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا
 وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ * إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ



قبضة من تراب فرمى بها في وجوه
 المشركين، فأصابته كل واحد منهم
 ودخلت في عينيه ومنخره وأنفه
﴿ولكن الله رمى﴾ أي: لم ترمها أنت
 على الحقيقة، لأنك لو رميتها وكانت
 على الوجه المعتاد ما بلغ أثرها إلا ما
 يبلغه رمي البشر، ولكنها كانت رمية
 الله حيث أثرت ذلك الأثر العظيم،
 وأثرها الذي لا يطيقه البشر فعل الله عز
 وجل **﴿وليبلّي المؤمنين منه بلاء حسناً﴾**
 أي: وللإنعام عليهم بنعمه الجميلة فعل
 ذلك، لا لغيره **﴿إن الله سميع﴾**
 لدعائهم **﴿عليم﴾** بأحوالهم.

١٨ ﴿ذلكم وأن الله موهن كريد الكافرين﴾ أي: إن الغرض بما وقع مما
 حكته الآيات السابقة إبلاء المؤمنين
 وتوهين كيد الكافرين.

١٩ ﴿إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح﴾ خطاب للكفار تهكما بهم، وقد
 كانوا عند خروجهم من مكة سألوا الله
 أن ينصر أحق الطائفتين بالنصر **﴿وان
 تنتهوا﴾** عما كنتم عليه من الكفر
 والعداوة لرسول الله ﷺ **﴿فهو﴾** أي:
 الانتهاء **﴿خير لكم وإن تعودوا﴾** إلى
 الكفر والعداوة **﴿نعد﴾** بتسليط المؤمنين
 عليكم ونصرهم، كما سلطناهم في يوم
 بدر **﴿ولن تغني عنكم فتكم﴾** وهي
 قومهم بمكة **﴿وأن الله مع المؤمنين﴾**
 ومن كان الله معه فهو المنصور.

٢٠ ﴿ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون﴾
 [أي لا تعرضوا عنه إذ ناداكم وسمعت
 نداه].

**٢١ ﴿ولا تكونوا كالذين قالوا
 سمعنا﴾** وهم المنافقون أو اليهود، فإنهم
 يسمعون بأذانهم من غير فهم ولا عمل،
 فهم كالذي لم يسمع أصلاً [أو المراد
 أنهم سمعوا القول فلم يستجيبوا، بل
 قالوا: سمعنا وعصينا].

١٥ ﴿زحفا﴾ أي يمشي بعضكم إلى
 بعض **﴿فلا تولوهم الأدبار﴾** نهى الله
 المؤمنين أن ينهزموا عن الكفار إذا
 لقوهم.
١٦ ﴿ومن يولهم يومئذ دبره﴾ أي:
 من أدار إليهم ظهره منهزماً يوم الزحف،
 والتولي يوم الزحف من الكبائر من
 السبع الموبقات **﴿إلا متحرفاً لقتال﴾**
 من جانب إلى جانب في المعركة طلباً
 لمكائد الحرب، وخذعاً للعدو، كمن
 يولهم أنه منهزم ليتبعه العدو فيكره عليه
 ويتمكن منه، فإن الحرب خدعة **﴿أو**

١٧ ﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم﴾
 بما يسره لكم من الأسباب الموجبة
 للنصر **﴿وما رميت إذ رميت﴾** هو ما
 كان منه ﷺ في يوم بدر، فإنه أخذ

بعضكم إلى بعضي بعضكم إلى
 بعض **﴿فلا تولوهم الأدبار﴾** نهى الله
 المؤمنين أن ينهزموا عن الكفار إذا
 لقوهم.
١٦ ﴿ومن يولهم يومئذ دبره﴾ أي:
 من أدار إليهم ظهره منهزماً يوم الزحف،
 والتولي يوم الزحف من الكبائر من
 السبع الموبقات **﴿إلا متحرفاً لقتال﴾**
 من جانب إلى جانب في المعركة طلباً
 لمكائد الحرب، وخذعاً للعدو، كمن
 يولهم أنه منهزم ليتبعه العدو فيكره عليه
 ويتمكن منه، فإن الحرب خدعة **﴿أو**

الْصُّمُّ الْبُكْرُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَحُونُوا أَمْنَنِيكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

٢٢ ﴿إِنْ شَرَّ الدَّوَابِّ﴾ أي: مآذب على الأرض ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: في حكمه ﴿الصُّمُّ الْبُكْرُ﴾ أي: الذين لا يسمعون ولا ينطقون، وصفوا بذلك مع كونهم ممن يسمع وينطق لعدم انتفاعهم بالسمع والنطق ﴿الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ما فيه النفع لهم فيأتوه، وما فيه الضرر عليهم فيتجنبوه، فهم شر الدواب عند الله، لأنها تميز بعض تمييز، وتفرق بين ما ينفعها ويضرها.

٢٣ ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ﴾ أي: في هؤلاء الصُّمُّ الْبُكْرُ ﴿لَأَسْمَعَهُمْ﴾ سماعاً ينتفعون به ويتعقلون عنده الحجج والبراهين ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ لأنه قد سبق في علمه أنهم لا يؤمنون.

٢٤ ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ أي بادروا إلى طاعة رسول الله ﷺ وتنفيذ أمره، فإن أوامره فيها حياة لكم وعز وكمال، كما إذا دعاكم إلى ما فيه حياتكم من علوم الشريعة، فإن العلم حياة، والجهل موت؛ وإلى ما تضمنته القرآن من أوامر ونواه، ففيه الحياة الأبدية، والنعمة السرمدية؛ وإلى الجهاد، فإنه سبب الحياة في الظاهر، لأن العدو إذا لم يُغزَّ غزا. وعن أبي سعيد بن المولى: قال

«كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه، ثم أتيت فقلت: يا رسول الله، إني كنت أصلي، فقال: ألم يقل الله تعالى: استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم» ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ قيل معناه: بادروا إلى الاستجابة لأوامر الله تعالى ما دامت قلوبكم لينة مطاوعة لكم، قبل أن تتغير الأحوال فلا تطاوعكم، وذلك بموت الإنسان فلا يستطيع العمل، ومن أكثر من المعصية فقد لا يوفق للاستجابة بعد ذلك.

والنهي عن المنكر، حتى يظهر الفساد، فتكون العقوبة عامة لا خاصة.

٢٦ ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ﴾ الخطاب للمهاجرين، وقيل: هو لأمة العرب ﴿مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ هي أرض مكة ﴿تَخَافُونَ أَن يَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾ الخطف: الأخذ بسرعة، والناس مشركو قريش، وقيل: فارس والروم ﴿فَأَوَّاكُمْ﴾ ضمكم الله إلى المدينة، أو إلى الأنصار ﴿وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ﴾ أي قواكم بالنصر في مواطن الحرب التي منها يوم بدر ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ التي من جملتها

٢٥ ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ أي: اتقوا فتنه تتعدى الظالم، فتصيب الصالح والطالح [أي: إذا لم تقوموا بالاستجابة لأوامر الله ورسوله ﷺ، وتقفوا لتأييد الحق وإنكار الباطل، ربما أصابتكم فتنه تهلك الظالمين، وتتعداهم إلى أهل الصلاح] ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ومن شدة عقابه أنه يصيب بالعذاب من لم يباشر أسبابه، والذين لم يظلموا قد تسببوا للعقوبة بأسباب: كترك الأمر بالمعروف،

إِنْ تَشَقُّوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ
الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ
وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ
آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا
إِلَّا أَصْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا
هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حَجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ
وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ
أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا
كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ ۖ إِنْ أَوْلِيَائُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنْ
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا

فقال بعضهم: إذا أصبح فاثبتوه بالوثاق، يريدون النبي ﷺ، وقال بعضهم: بل اقتلوه، وقال بعضهم: بل أخرجوه، فأطلع الله نبيه على ذلك، فبات علي بن أبي طالب على فراش النبي ﷺ حتى لحق بالغار **﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾** يخفون ما يعدونه لرسول الله ﷺ من المكائد، فيجازيهم الله على ذلك، ويرد كيدهم في نحورهم.

٣١ ﴿قَالُوا﴾ تعنتا وتمردا وبعدا عن الحق **﴿قَدْ سَمِعْنَا﴾** ماتتلوه علينا **﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾** الذي تلوته علينا، فلما راموا أن يقولوا مثله عجزوا عنه، ثم قالوا **﴿إِنْ هَذَا إِلَّا أَصْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾** أي ما يسطره الوراقون من أخبار الأولين.

٣٢ ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا﴾ قالوا هذا مبالغة في الجحود والإنكار.

٣٣ ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ يا محمد **﴿فِيهِمْ﴾** موجود، فإنك مادمت فيهم فهم في مهلة من العذاب الذي هو الاستئصال **﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾** روي أنهم كانوا يقولون في الطواف غفرانك، وقيل المعنى: لو كانوا ممن يؤمن بالله ويستغفروه لم يعذبهم، وقيل: وما كان الله ليُعَذِّبَهُمْ وفيهم من يستغفر من المسلمين، فلما خرجوا من بين أظهرهم عذبهم بيوم بدر وما بعده.

٣٤ ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾ أي: إنهم مستحقون لعذاب الله لما ارتكبوا من القبائح **﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ﴾** الناس **﴿عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾** من آمن منهم بالله واتبع الرسول، فلا يمكنهم من أداء المناسك **﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾** هذا كالحذر لما كانوا يقولونه من أنهم ولاية البيت **﴿إِنْ أَوْلِيَائُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾** أي ما أولياؤه إلا من كان في عداد المتقين للشرك والمعاصي، فإنه لله، فلا ولاية عليه لأولياء الأصنام.

٢٩ ﴿يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ يجعل لكم من ثبات القلوب، وقوة البصائر، وحسن الهداية، ما تفرقون به بين الحق والباطل، ويتبين لكم به المخرج من الشبهات، والنجاة من كل ما تخافونه **﴿وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾** يمحو عنكم الذنوب **﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾** وقد قيل إن المراد بالسيئات الصغائر، وبالذنوب التي تغفر الكبائر.

٣٠ ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ عن ابن عباس قال: تشاورت قريش ليلة بمكة،

الغنائم **﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾** هذه النعم التي أنعم بها عليكم.

٢٧ ﴿لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ نهاهم الله عن أن يخونوه بترك شيء افترضه عليهم، أو يخونوا رسوله بترك شيء مما أمنهم عليه، أو يخونوا شيئا من الأمانات التي أؤتمنوا عليها **﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾** أن ذلك الفعل خيانة، فتفعلون الخيانة عن عمد.

٢٨ ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ لأنهم سبب الوقوع في كثير من الذنوب **﴿وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾** فأثروا حقه على أموالكم وأولادكم.

مُكَاةً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾
 إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
 فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ
 كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ
 الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ
 جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٣٧﴾
 قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ
 يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَتْلُوهُمْ حَتَّىٰ
 لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنْ آنتَهُوا فَلِإِنَّ
 اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ
 مَوْلَاكُمْ نِعَمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعَمَ النَّصِيرِ ﴿٤٠﴾ * وَاعْلَمُوا
 أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي

٣٥ ﴿وما كان صلاتهم عند البيت إلامكاء وتصديّة﴾ المكاء: الصغير، والتصديّة: التصفيق، أي: فلم يكن البيت معموراً بالعبادة التي فيها تعظيم الله على الوجه المشروع، بل بتلك الصلاة السخيفة، وقيل المعنى: إن المشركين كانوا يصفرون ويصفقون عند البيت، فوضعوا ذلك موضع الصلاة قاصدين به أن يشغلوا المصلين من المسلمين عن الصلاة ﴿فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾ أي فهذا جزاؤكم على ما فعلتم، وهو ما حصل لكم يوم بدر.

٣٦ ﴿إن الذين كفروا ينفقون أموالهم﴾ للصد عن سبيل الحق بمحاربة رسول الله ﷺ وجمع الجيوش لذلك، وانفاق أموالهم عليها ﴿فسينفقونها ثم تكون﴾ عاقبة ذلك أن يكون إنفاقهم ﴿حسرة﴾ عليهم ندماً [لأنهم يخسرونها في غير فائدة يحصلون عليها بل تأتيم بالمصائب] ﴿ثم يغلبون﴾ كما وعد الله به في مثل قوله (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي) وصدق الله، فقد كان خبر هذه الآية من المعجزات.

٣٧ ﴿ليميز الله﴾ الفريق ﴿الخبِيث﴾ من الكفار ﴿ومن﴾ الفريق ﴿الطيب﴾ وهم المؤمنون ﴿ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً﴾ أي يجمع بعضهم

إلى بعض حتى يتراكموا لفرط ازدحامهم. ٣٨ ﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا﴾ عما هم عليه من عداوة رسول الله ﷺ وقتاله بالدخول في الإسلام ﴿يغفر لهم ما قد سلف﴾ من العداوة، فإن الإسلام يجب ما قبله ﴿وإن يعودوا﴾ إلى القتال والعداوة والكفر ﴿فقد مضت سنة الأولين﴾ أي قد مضت سنة الله فيمن فعل مثل فعل هؤلاء من الأولين من الأمم أن يصيبه بعذاب، فليتوقعوا مثله. ٣٩ ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة﴾ أي كفر، وقد تقدم تفسير هذا في سورة البقرة

السبيل﴾ قال الشافعي: إن الخمس يقسم على خمسة، وإن سهم الله وسهم رسوله واحد يصرف في مصالح المؤمنين، والأربعة الأخماس على الأربعة الأصناف المذكورة في الآية، وقول أبي حنيفة: إنه يقسم الخمس على ثلاثة: لليتامى، والمساكين، وابن السبيل، وقد ارتفع حكم قرابة رسول الله ﷺ بموته كما ارتفع حكم سهمه ﴿ولذي القربى﴾ أي أقارب النبي ﷺ وهم: بنو هاشم، وبنو المطلب، وأما الأسهم الأربعة الأخرى من الغنيمة فتقسم على الغانمين الذين

(الآية ١٩٣) ٤٠ ﴿وإن تولوا﴾ عما أمروا به من الانتهاء ﴿فاعلموا﴾ أي المؤمنون ﴿أن الله مولاكم﴾ أي ناصركم عليهم ﴿نعم المولى ونعم النصير﴾ فمن والاه فاز، ومن نصره غلب.

٤١ ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء﴾ الغنيمة مال الكفار إذا ظفر به المسلمون على وجه الغلبة والقهر. والغنائم شاملة لكل ما غنمه المسلمون من أرض ومال وغيرها ﴿فإن لله خمسها ولرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن



الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَآبْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ
ءَامِنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّبَقُّ
الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدُوِّ
الَّذِينَ هُمْ بِالْعُدُوِّ الْقُصَوِّ وَالرَّكْبِ أَسْفَلَ مِنْكُمْ
وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لَيَقْضِيَ اللَّهُ
أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ
حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ
فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَأَيْتَهُمْ كَثِيرًا لَفَشَلْتُمْ وَتَنَّزَعْتُمْ
فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾
وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّفَقُّتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ
فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ
تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً

حضرُوا المعركة **﴿إِنْ كُنْتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللَّهِ﴾**
أي إن كنتم مؤمنين بالله فأنقادوا وسلموا
لأمر الله فيما أعلمكم به من حال قسمة
الغنيمة، فاقطعوا عنه أطعاعكم، واقتنعوا
بالأخماس الأربعة **﴿وَمَا أُنزِلْنَا عَلَىٰ
عَبْدِنَا﴾** محمد ﷺ يوم بدر من الملائكة،
والنصر، والآيات، والمعجزات و**﴿يَوْمَ
الْفُرْقَانِ﴾** يوم بدر، لأنه فرق بين أهل
الحق، وأهل الباطل **﴿الْجَمْعَانِ﴾**
الفريقان من المسلمين والكافرين.

﴿٤٢﴾ **﴿إِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّفَقُّتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تَرْجَعُ الْأُمُورُ﴾** الجانب الأدنى من الوادي إلى جهة المدينة،

وعدوكم بالجانب الأقصى منه مما يلي
مكة **﴿وَالرَّكْبِ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾** والمراد
ركب أبي سفيان، وهي العير، فإنهم
كانوا في موضع أسفل منهم مما يلي ساحل
البحر، فامتن الله على المسلمين بنصرتهم
عليهم والحال هذه **﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ
فِي الْمِيعَادِ﴾** أي لو تواعدتم أنتم والمشركون
على أن تلتقوا في هذا الموضع لخالف
بعضكم بعضاً، فببطكم قتلهم وكثرتهم
عن الوفاء بالموعد، وببطهم ما في قلوبهم
من المهابة لرسول الله ﷺ **﴿وَلَكِنْ﴾** جمع
الله بينكم في هذا الوطن **﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ**

أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ من نصر أوليائه،
وخذلان أعدائه، وإعزاز دينه، وإذلال
الكفر، ولم يكن في حساب الطائفتين أن
يقع هذا الاتفاق على هذه الصفة **﴿لِيَهْلِكَ
مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾** أي
ليموت من يموت عن بينة، ويعيش من
عاش **﴿عَنْ بَيِّنَةٍ﴾** لئلا يبقى لأحد على الله
حجة، وقيل المعنى: ليكون كفر من كفر
عن غير شبهة، وإسلام من أسلم عن غير
شبهة كذلك، إذ زالت الشبهة بنصر أهل
الإيمان، وما حصل من الفرقان أي فإذا
هَلَكَ إنسان بعد هذا فاستحقّ باستمراره
على الكفر العذاب يكون هلاكه عن غير
شبهة، بل باستمراره على الضلال وهو
يعلم. وكذا لا تبقى شبهة لأهل الإيمان في
أنهم على حق ويتبينوا أن دين الله
منصور وأوليائه ظاهرون.

﴿٤٣﴾ **﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾**
والمعنى: أن النبي ﷺ رآهم في منامه
قليلًا، فقص ذلك على أصحابه، فكان
ذلك سبباً لشباعتهم، ولو رآهم في منامه
كثيراً، لفشلوا وجبنوا عن قتالهم،
وتنازعوا في الأمر، هل يلاقونهم أم لا.
﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ﴾ وعصمهم من الفشل،
فقللهم في عين رسول الله ﷺ.

﴿٤٤﴾ **﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّفَقُّتُمْ فِي
أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾** أي
ليغري كلا من الطائفتين بضعف
الأخرى، حتى قال القائل من المسلمين
لآخر: أتراهم سبعين، قال: هم نحو
المائة، وقلل المسلمين في أعين المشركين،
حتى قال قائلهم: إنهم أكلة جزور،
وكان هذا قبل القتال، فلما شرعوا فيه
كثر الله المسلمين في أعين المشركين
أي **﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾** أي
ليلف بينهم الحرب للنقمة ممن أراد
الانتقام منه، والإنعام على من أراد
النعمة عليه.

فَأَثْبِتُوا وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا
 اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ
 وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ
 خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ
 سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيْنٌ
 لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ
 النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ
 عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ
 إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ
 الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرْهًا وَلَا دِينَهُمْ
 وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَلَوْ تَرَى
 إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ

٤٥ ﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾ أي إذا حاربتم جماعة من المشركين ﴿فَأَثْبِتُوا﴾ لهم ولا تجبنوا عنهم، وقد لا يحصل الثبات إلا بالتحرف والتحيز ﴿وَادْكُرُوا اللَّهَ﴾ عند جزع قلوبكم، فإن ذكره يعين على الثبات، وادكروه بالسنتكم، وادعوه في ذلك الموطن كما قال أصحاب طالوت ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبْتَ أَقْدَامَنَا وَانصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا﴾ نهاهم عن التنازع، وهو الاختلاف في الرأي، فإن ذلك يتسبب عنه الفشل في الحرب ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ الريح القوة والنصر، وقيل الريح الدولة، شبت في نفوذ أمرها بالريح في هبوبها.

٤٧ ﴿بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ﴾ وهم قريش، فإنهم خرجوا يوم بدر ليحفظوا العير، ومعهم القيان والمعازف، وبلغهم أن العير قد نجت وسلمت، فلم يرجعوا، بل قالوا: لا بد لهم من الوصول إلى بدر، ليشربوا الخمر، وتغني لهم المغنيات، وتسمع العرب بمخرجهم، فكان ذلك منهم بطرا وأشرًا، وطلبًا للثناء من الناس، والتمدح إليهم، والفخر عندهم وهو الرياء ﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ والصد: إضلال الناس والحيلولة بينهم وبين طرق الهداية.

رأى أمارات النصر مع المسلمين بإمداد الله لهم بالملائكة، ثم علل ذلك بقوله ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ لا يغلبه غالب، ولا يذل من توكل عليه.

٥٠ ﴿إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ﴾ هم من قتلهم الملائكة يوم بدر، وقيل: المراد ملائكة الموت حين تنزع أرواح الكفار، لرأيت أمرا عظيما ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ﴾ قتلهم، وقيل: هو يوم القيامة حين يسرون بهم إلى النار.

٤٩ ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ﴾ هم الذين قد أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ هم الشاككون من غير نفاق، بل لكونهم حديثي عهد بالإسلام ﴿غَرْهًا وَلَا دِينَهُمْ﴾ أي المسلمين ﴿دِينَهُمْ﴾ حتى

٤٨ ﴿وَإِذْ زَيْنٌ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ﴾ أوهمهم أنهم محسنون بمقاتلة المسلمين، وقد روي أن الشيطان تمثل لهم ﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ﴾ أي مجير لكم من كل عدو، أو من بني كنانة، كان في صورة سراقه ابن مالك بن جعشم، وهو من بني بكر ابن كنانة، وكانت قريش تخاف من بني بكر أن يأتوهم من ورائهم ﴿فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئَتَانِ﴾ أي فئة المسلمين والمشركين ﴿نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ أي رجع القهقري ﴿وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ﴾ تبرأ منهم لما

﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ المعنى: وتقول

وَأَذْبَرَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ
 أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ كَذَّابٌ ءَالِ
 فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ
 اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ
 اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا
 مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَذَّابٌ ءَالِ
 فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِعَايَةِ رَبِّهِمْ
 فَاهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلَّ كَانُوا
 ظَالِمِينَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا
 فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ
 عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِنَّمَا تَتَّقِ الَّذِينَ
 فِي الْحَرْبِ فَشِرَدُوا بِهِمْ مَنِ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾

الملائكة لهم ذوقوا عذاب الحريق.

٥١ ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ﴾ أي ذلك واقع بسبب ما كسبتم من المعاصي، واقتربتم من الذنوب ﴿و﴾ بسبب ﴿أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ لأنه سبحانه قد أرسل إليهم رسله، وأنزل كتبه، وأوضح لهم السبيل.

٥٢ ﴿كَذَّابٌ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ لما ذكر الله سبحانه ما أنزله بأهل بدر، أتبعه بما يدل على أن هذه سنته في فرق الكافرين، والدأب: العادة، فكانت العادة في عذاب هؤلاء كالعادة الماضية لله في

تعذيب طوائف الكفر، أي دأبهم هذا هو أنهم كفروا بآيات الله، فتسبب عن كفرهم أخذ الله سبحانه لهم.

٥٣ ﴿ذَلِكَ﴾ العقاب الذي أنزله الله بهم ﴿بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ﴾ أي بسبب أن عادة الله في عباده عدم تغيير نعمه التي ينعم بها عليهم ﴿حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ من الأحوال والأخلاق بكفران نعم الله، وغمط إحسانه، وإهمال أوامره ونواهيه.

٥٤ ﴿كَذَّابٌ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي كعادة الله فيهم: إذا كفروا

وأذنبوا يأخذهم الله بالعقوبة، فعاقب آل فرعون بالفرق، وأهلك من سواهم. حكم على كلا الطائفتين: من آل فرعون والذين من قبلهم، ومن كفار قريش بالظلم لأنفسهم، بما تسببوا به لعذاب الله من الكفر بالله وآياته ورسله، وبالظلم لغيرهم، كما كان يجري منهم في معاملاتهم للناس بأنواع الظلم. [وقد ورد في السيرة أن النبي ﷺ لما جاءه خبر مقتل أبي جهل في بدر، ذهب حتى وقف عليه، ثم قال: هذا فرعون هذه الأمة].

٥٥ ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ﴾ أي شر ما يدب على وجه الأرض من أنواع الحيوان، لعدم تعقلهم لما فيه رشادهم ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي في حكمه ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي المصرون على الكفر، المتنادون في الضلال ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أبدا، ولا يرجعون عن الغواية أصلا. وهؤلاء هم:

٥٦ ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ﴾ من الذين كفروا ﴿ثُمَّ﴾ هم ﴿يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ﴾ الذي عاهدتهم عليه ﴿فِي كُلِّ مَرَّةٍ﴾ من مرات المعاهدة ﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ النقض، ولا يخافون عاقبته، ولا يتجنبون أسبابه، ومن هؤلاء بنو قريظة، عاهدهم رسول الله ﷺ ألا يعينوا الكفار فلم يفوا بذلك، بل ذهبوا إلى مكة يؤلبون الكفار على حرب المسلمين، ويعدونهم العون والنصر عليهم، وجاءت قريش إلى غزوة الخندق، فنقض بنو قريظة عهدهم مع المسلمين، فأوقع بهم المسلمون كما هو معروف في السيرة.

٥٧ ﴿فَإِنَّمَا تَتَّقِ الَّذِينَ فِي الْحَرْبِ﴾ أي: إن تقدر عليهم وتتمكن من غلبهم ﴿فَشِرَدُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ أي ففرق بقتلهم والتنكيل بهم من خلفهم من المحاربين لك من أهل الشرك حتى يهابوا جانبك، ويكفوا عن حربك، مخافة أن ينزل بهم ما نزل بهؤلاء.

وَأَمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ ۚ إِنَّ
 اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
 سَبَقُوا ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ
 مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ
 وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنْفِقُوا
 مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾
 * وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ
 هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ
 حَسْبَكَ اللَّهُ ۚ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ ۚ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾
 وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا
 أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُ غَفِيرٌ
 حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ

٥٨ ﴿وَأَمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً﴾ أي غشا ونقضا للعهد من القوم المعاهدين [إذا ظهرت منهم بوادر الخيانة] ﴿فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ﴾ أي فاطرح إليهم العهد الذي بينك وبينهم ﴿عَلَى سَوَاءٍ﴾ على طريق مستوية، والمعنى: أنه يخبرهم إخبارا ظاهرا مكشوفًا بالنقض، ولا يناجزهم الحرب بغتة، والآية عامة في كل معاهد يُخَاف من وقوع النقض منه ﴿إِنْ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ﴾ تحذير لرسول الله ﷺ عن المناجزة قبل أن ينبذ إليهم على سواء.

٥٩ ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أنفسهم ﴿سَبَقُوا﴾ فاتونا وأفلتوا من أن نظفرك بهم ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ أي إنهم وإن أفلتوا من هذه الواقعة فسندركهم بالعذاب لا محالة.

٦٠ ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ القوة: كل ما يتقوى به في الحرب، ومن ذلك السلاح، والحصون [وجمع العتاد والتدرب على القتال وسائر التدبيرات الحربية] من كل ما تقدر على عليه ﴿وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ وهي الخيل التي ترتبط بإزاء العدو ﴿تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ هم المشركون من أهل مكة وغيرهم ممن يحاربكم ﴿وَأَخْرَجَ مِنْ دُونِهِمْ﴾ هم المنافقون، وقيل: هم اليهود، وقيل: فارس والروم، وغيرهم من كل

من لا تعرف عداوته ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي في الجهاد وإن كان يسيرا حقيرا [أو عظيما جليلا] ﴿يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ جزاؤه في الدنيا والآخرة، أضعافا كثيرة.

٦١ ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ أي وإن مالوا إلى الصلح ودفع الجزية فاقبلوا منهم، ثم قيل: هي منسوخة ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ في جنوحك للصلح ولا تخف من مكرهم، ف ﴿إِنَّهُ﴾ سبحانه ﴿هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ لما يقولون ﴿الْعَلِيمُ﴾ بما

بالإيمان برسول الله ﷺ ، وقيل أراد التأليف بين المهاجرين والأنصار ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ لما كان بينهم من العصبية والعداوة قد بلغ إلى حد لا يمكن دفعه بحال من الأحوال ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ﴾ بعظيم قدرته وبديع صنعته [وحكمة دينه القوم الذي أتاهم به].

٦٤ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي كافيك الله، وكافيك المؤمنون، ويحتمل أن يكون المعنى: إن الله كافيك وكافي المؤمنين.

٦٢ ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ﴾ بالصلح، وهم مضمرون الغدر والخداع ﴿فَإِنْ حَسْبُكَ اللَّهُ﴾ أي كافيك ما تخافه من شرورهم بالنكث والغدر ﴿هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ فإن الله الذي قواك عليهم بالنصر فيما مضى، وهو يوم بدر، هو الذي سينصرك ويقويك عليهم عند حدوث الخدع والنكث.

٦٣ ﴿وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ المراد: الأوس والخزرج. كان بينهم عصبية شديدة وحروب عظيمة، فألف الله بين قلوبهم

يفعلون.



الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ
 إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ
 يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ
 لَا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ أَلَمْ تَرَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ
 ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ
 وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ
 الصَّابِرِينَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ رَأْسُي حَتَّى
 يُخَنَّ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ
 الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ
 سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا مِمَّا
 غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٩﴾
 يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ

٦٥ ﴿حرض المؤمنين على القتال﴾ أي

حشهم وحضهم، ثم بشرهم تثبيتاً لقلوبهم وتسكيناً لخواطرهم: **﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾** وهذه البشارة بهذا العدد، وهي جارية في كل عدد **﴿وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا﴾** ومن غلب من المسلمين بأقل من هذا العدد، فذلك لعدم إيمانهم، أو عدم صبرهم، أو عدم استعدادهم، أو للتنازع الذي قد يحصل بينهم، أو لغير ذلك من الأسباب التي أشير إلى بعضها في هذه السورة. وقيل: إن هذا الخبر الواقع في

الآية هو في معنى الأمر، كانوا مأمورين من جهة الله سبحانه بأن تثبت الجماعة منهم عشرة أمثالهم.

٦٦ ثم لما شق ذلك عليهم واستعظموه، خفف عنهم ورخص لهم لما علمه سبحانه من وجود الضعف فيهم فقال **﴿فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾** إلى آخر الآية، فأوجب على الواحد أن يثبت لاثنتين من الكفار **﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾** يقاتلون على غير بصيرة، ومن كان هكذا فهو مغلوب في الأكثر.

٦٧ **﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى﴾**

حتى يشخن في الأرض﴾ [بما يحصل به

إزالة المقاومة لدى الكفار، وعدم قدرتهم على حركة فعالة ضدكم] أخبر الله سبحانه أن قتل المشركين يوم بدر كان هو الواجب على المسلمين لا أسرهم وأخذ الفداء منهم كما فعل المسلمون يومئذ **﴿تريدون عرض الدنيا﴾** أي نفعها ومتاعها بما قبضتم من الفداء **﴿والله يريد الآخرة﴾** بما يحصل لكم من الثواب في الإثخان بالقتل.

٦٨ ﴿لولا كتاب من الله سبق لمسكم

فيما أخذتم﴾ من المال فداء لأسرى بدر **﴿عذاب عظيم﴾** وهذا الكتاب مغفرة الله لأهل بدر ما تقدم من ذنوبهم وما تأخر.

٦٩ ﴿فكلوا مما غنمتم﴾ أي كلوا من

الفداء الذي غنمتم، فإنه من جملة الغنائم التي أحلها الله لكم [سوغه الله بعد أن كان عاتبهم في أسرهم **﴿واتقوا الله﴾** فيها يستقبل، فلا تقدموا على شيء لم يأذن الله لكم به **﴿إن الله غفور﴾** لما فرط منكم **﴿رحيم﴾** بكم، فلذلك رخص لكم فيما أخذتموه من الفداء ولم يحرمه عليكم. عن ابن مسعود قال: لما كان يوم بدر جرى بالأسارى، فقال رسول الله ﷺ: ما ترون في هؤلاء الأسارى؟ فقال أبو بكر: يا رسول الله: قومك وأهلك، فاستبقهم لعل الله أن يتوب عليهم. وقال عمر: يا رسول الله: كذبوك وأخرجوك وقتلوك قدمهم فاضرب أعناقهم. وقال عبدالله بن رواحة: يا رسول الله: انظر واديا كثير الخطب فأضرمه عليهم نارا، فخرج رسول الله ﷺ فقال: «إنكم عالة فلا ينفلتن أحد منهم إلا بفداء أو ضرب عنق» فأنزل الله (ما كان لنبي أن يكون له أسرى) فعاتبه الله في ذلك.

٧٠ ﴿قل لمن في أيديكم من الأسرى﴾

الذين هم في أيديكم أسرتوهم يوم بدر وأخذتم منهم الفداء.

اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلِيَّتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا

﴿إِنْ يَعْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾ من حسن إيمان، وصلاح نية ﴿يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ﴾ من الفداء: أي يعوضكم في هذه الدنيا رزقا خيرا منه، وأنفع لكم ﴿وَيَغْفِرَ لَكُمْ﴾ ذنوبكم. ٧١ ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ﴾ إن كان قولهم كذبا ﴿فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ﴾ فقد كفروا وقاتلوك ﴿فَأَمْكَنَ﴾ لك الله منهم.

٧٢ ﴿وَهَاجَرُوا﴾ ختم الله سبحانه هذه السورة بذكر الموالاة، ليعلم كل فريق وليه الذي يستعين به. وسمى سبحانه المهاجرين إلى المدينة بهذا الاسم، لأنهم هجروا أوطانهم وفارقوها طلبا لما عند الله، وإجابة لداعيه ﴿وَالَّذِينَ ءَاوَوْا وَنَصَرُوا﴾ هم الأنصار ﴿أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ في النصرة والمعونة، وقيل: في الميراث أيضا، فقد كانوا يتوارثون بالهجرة والنصرة، ثم نسخ ذلك بقوله سبحانه (وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض) ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَا يَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي ما لكم من نصرتهم وإعانتهم، أي ليس عليكم أن تنصروهم، أو ما لكم من ميراثهم - ولو كانوا من قراباتكم - شيء لعدم وقوع الهجرة منهم ﴿حَقَّ يَهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ﴾ أي هؤلاء الذين آمنوا ولم يهاجروا إذا طلبوا منكم النصرة لهم على المشركين ﴿فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾ أي فواجب عليكم النصر ﴿إِلَّا﴾ أن يستنصروكم ﴿عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ فلا تنصروهم [عليهم لأن الميثاق لابد من مراعاته، وفي إعانتكم للمسلمين الذين عندهم عليهم نقض لذلك الميثاق، والله لا يحب الخائنين والناقضين للعهد]، ولا تنقضوا العهد الذي بينكم وبين أولئك القوم حتى تنقضي مدته. ٧٣ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ

بعض﴾ فيه تعريض للمسلمين بأنهم لا ينصرون الكفار ولا يتولونهم ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾ من موالاة المؤمنين ومناصرتهم على التفصيل المذكور، وترك موالاة الكافرين ﴿تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ أي مفسدة كبيرة في الدين والدنيا. ٧٤ ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ أي الكاملون في الإيمان ﴿لَهُمْ﴾ من عند الله تعالى ﴿مَغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم في الآخرة، ولهم في الدنيا ﴿رِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ خالص عن الكدر، طيب مستلذ. ٧٥ ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ﴾ أي بعد نزول هذه الآيات ﴿فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ﴾ أي من جملة المهاجرين والأنصار في استحقاق ما استحقوه من الموالاة والمناصرة، وكمال الإيمان، والمغفرة، والرزق الكريم ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ﴾ والمراد: بهم القرابات فيتناول كل قرابة من العصبات وغير العصبات ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ أي في حكمه، ويدخل في هذه الأولوية الميراث دخولا أوليا لوجود سببه، أعني القرابة. عن ابن عباس قال: آخى

وقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها، فن أجل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب بينها سطر «بسم الله الرحمن الرحيم».

١ «براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم» العهد: العقد الموثق باليمين. المعنى: الإخبار للمسلمين بأن الله ورسوله قد برئا من تلك المعاهدات بسبب ما وقع من الكفار من النقض، فصار النبذ إليهم بمعهدهم واجبا على المعاهدين من المسلمين.

٢ «فسيحوا في الأرض أربعة أشهر» المعنى: أن الله سبحانه بعد أن أمر بالنبذ إلى المشركين بمعهدهم، أباح للمشركون الضرب في الأرض، والذهاب إلى حيث يريدون، والاستعداد للحرب هذه الأربعة الأشهر، وهم حرب بعد ذلك لله ولرسوله وللمؤمنين يقتلون حيث يوجدون. وابتداء هذا الأجل يوم الحج الأكبر وانقضاؤه إلى عشر من ربيع الآخر من سنة عشر «واعلموا أنكم غير معجزي الله» أي اعلموا أن هذا الإمهال ليس لمعجز، ولكن لمصلحة، ليتوب من تاب، ولا تفوتون الله وهو غزيكم: أي مذككم ومهيئكم في الدنيا بالقتل والأسر، وفي الآخرة بالعذاب لمن أصر على الكفر.

٣ «وأذان» وهو الإعلام والإعلان العام «إلى الناس» أي إلى كافة الناس غير مختص بقوم دون قوم «يوم الحج الأكبر» وهو يوم عيد الأضحى. ووصفه بالأكبر لأنه يجتمع فيه الناس، أو لكون معظم أفعال الحج فيه. وجعل الإعلان فيه [ليكون إعلاناً عاماً واضحاً جلياً، ليرأى من تهمة النكث] ليكفل بلوغه إلى الناس جميعاً «أن الله بريء من المشركين» أي قد برىء من المشركين الناقضين للعهد «ورسوله» أي والرسول أيضاً قد برىء منهم.

لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنْكُمْ وَأُولَٰئِ الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾

(٩) سُورَةُ التَّوْبَةِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّانَهَا تِسْعٌ وَعَشْرُونَ وَفَاتِحَةٌ

بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُحْزِي الْكَافِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذِّنْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ

الله عنه ليقرأها على أهل مكة، وينبذ العهود إلى المشركين بعد أن كثر منهم النقض. فكان ينادي: لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، ولا يطوف بالبيت عريان، ولا يجتمع مسلم وكافر بالبيت الحرام بعد عامهم هذا، ومن كان بينه وبين النبي ﷺ أجل فأجله إلى مدته. ومن لم يكن له أجل فأجله أربعة أشهر. عن عثمان رضي الله عنه قال: كانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة، وكانت براءة من آخر القرآن نزولاً، وكانت قصتها شبيهة بقصتها، فظننت أنها منها،

رسول الله ﷺ بين أصحابه وورث بعضهم من بعض، حتى نزلت هذه الآية (وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض) فتركوا ذلك وتوارثوا بالنسب.

سُورَةُ التَّوْبَةِ

إنما سميت: سورة التوبة لأن فيها التوبة على المؤمنين عامة، والتوبة على الذين تخلفوا عن معركة تبوك خاصة، وهي مدنية نزلت عام تسع من الهجرة بعد فتح مكة بعام، وأرسل النبي ﷺ بالآيات العشر الأولى منها مع علي رضي



خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ
وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ
مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا
عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ
يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٥﴾ فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا
الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخَذُوهُمْ وَآخِصُّوهُمْ
وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَوَاتُوا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦﴾
وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ
كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧﴾
كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ
إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقْتُمُوا

﴿فإن تبتم﴾ أي من الكفر ﴿فهو﴾ أي التوبة ﴿خير لكم﴾ مما أنتم فيه من الكفر ﴿وإن توليتم﴾ أي وبقيتم على الكفر ﴿فاعلموا أنكم غير معجزى الله﴾ أي غير فائتين عليه، بل هو مدرككم فجازيكم بأعمالكم.

٤ ﴿ثم لم ينقصوكم شيئاً﴾ أي لم يقع منهم أي نقص وإن كان يسيراً، أي لم ينقصوا عهدهم، وفيه دليل على أنه كان من أهل العهد من خاس بعهده، ومنهم من ثبت عليه، فأذن الله سبحانه لنبيه ﷺ بنقض عهد من نقض، وأمره بالوفاء لمن لم ينقض إلى مدته ﴿ولم يظاهروا عليكم أحداً﴾ أي لم يعاونوا عليكم أحداً من أعدائكم ﴿فأتوا إليهم﴾ أي أدوا إليهم عهدهم تاماً غير ناقص ﴿إلى مدتهم﴾ التي عاهدتموهم إليها، وإن كانت أكثر من أربعة أشهر ﴿إن الله يحب المتقين﴾ الذين يتقون الله فيما حرم عليهم فيوفون بالعهد.

٥ ﴿فإذا انسلك الأشهر الحرم﴾ هي الأشهر الأربعة التي أمهلهم إليها، وسميت حرماً لأن الله سبحانه حرم على المسلمين فيها دماء المشركين والتعرض لهم ﴿فاقتلوا المشركين﴾ أي قاتلوهم حتى تقتلوهم، أي مع مراعاة ما شرعه الله تعالى في قتال الكفار ﴿حيث وجدتموهم﴾ في أي مكان وجدتموهم، ﴿وخذوهم﴾ أي ائسروهم فإن الأخذ هو الأسير ﴿واحصروهم﴾ الحصر: منعهم من التصرف في بلاد المسلمين إلا بإذن منهم ﴿كل مرصد﴾ المرصد الموضع الذي يرقب فيه العدو، أي أقعدوا لهم في المواضع التي ترتقبونهم فيها. وهذه الآية المتضمنة للأمر بقتل المشركين عند انسلاخ الأشهر الحرم عامة لكل مشرك لا يخرج عنها إلا من خصته السنة، وهو المرأة والصبي، والعاجز الذي لا يقاتل، وأهل الكتاب الذين

يعطون الجزية. وهذه الآية نسخت كل آية فيها ذكر الإعراض عن المشركين، والصبر على أذاهم ﴿فخلوا سبيلهم﴾ أي اتركوهم وشأنهم فلا تأسروهم ولا تحصرهم ولا تقتلوهم إن تابوا وفعلوا ما ذكر.

٦ ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره﴾ أي كن جارا له محامياً عنه ﴿حتى يسمع كلام الله﴾ منك ويتدبره حق تدبره، ويقف على حقيقة ما تدعو إليه ﴿ثم ابْلغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ أي إلى الدار التي يأمن فيها بعد أن يسمع كلام الله إن لم

يسلم، ثم بعد أن تبلغه مأمنه جاز لك أن تقاتله، فقد خرج من جوارك وأمن ذلك بأنهم قوم لا يعلمون العلم النافع المميز بين الخير والشر.

٧ ﴿كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله﴾ أي محال أن يثبت لهؤلاء عهد وهم أضداد لكم، مضمرون للغدر، ينتهزون الفرص لينقضوا عهدكم، أي فلا يطمعوا في ذلك ولا يحذثوا به أنفسهم ﴿إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام﴾ ولم ينقضوا ولم ينكثوا، أي: فلا تقاتلوهم.

لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ
وَأِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً
يَرْضَوْنَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾
أَشْتَرُوا بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ
إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا
وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا
الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَلَا خَوْفٌ لَّكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفِصِلُ
الَّذِينَ لَا يَتَّقُونَ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ
مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ
إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تَقْتُلُونَ قَوْمًا
نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ
مَرَّةٍ أَنْ تَخْشَوْنَهُمْ فَأَلَّهِ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾

أي ليس عندهم أي مراعاة لحقوق
المؤمنين على الإطلاق **﴿وأولئك هم
المعتدون﴾** أي المجاوزون للحلال إلى
الحرام بنقض العهد، أو البالغون في الشر
والتمرد إلى الغاية القصوى.

١١ ﴿فإن تابوا﴾ عن الشرك، والتزموا
أحكام الإسلام، وتركوا اللات والعزى،
وشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا
رسول الله **﴿فإخوانكم في الدين﴾**
مسلمون مثلكم ولا يحل لكم قتالهم. عن
ابن عباس قال: حرمت هذه الآية قتال
أو دماء أهل الصلاة.

**١٢ ﴿وان نكثوا أيمانهم من بعد
عهدهم﴾** إن نكثوا العهد التي عاهدوا
بها المسلمين، ووثقوها لهم بالإيمان،
وضموا إلى ذلك الطعن في دين الإسلام،
والقدح فيه، فقد وجب على المسلمين
قتالهم **﴿أئمة الكفر﴾** صناديد المشركين،
وأهل الرئاسة فيهم على العموم **﴿إنهم لا
أيمان لهم﴾** المعنى: أن إيمان الكافرين
الناقضين، وإن كانت في الصورة يمينا،
فهي في الحقيقة ليست بيمين حتى
يستحقوا العصمة لدمائهم وأموالهم
﴿لعلهم ينتهون﴾ أي عن كفرهم ونكثهم
وطعنهم في دين الإسلام.

١٣ ﴿ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم﴾
للتحريض على القتال والمبالغة في تحققة.
فن كان حاله كحال هؤلاء: من نقض
العهد، وإخراج الرسول من مكة،
والبدء بالقتال، فهو حقيق بالآل يترك
قتاله، وأن يوبَّخ من فرط في ذلك
﴿أنخشونهم﴾ أي أنخشون أن ينالكم منهم
مكروه فتركون قتالهم **﴿فأله أحق أن
تخشوه إن كنتم مؤمنين﴾** فإنه الضار
النافع بالحقيقة، ومن خشيتكم له أن
تقاتلوا من أمركم بقتاله [ولا تجعلوا
خشيتكم لغير الله كخشيتكم لله].

تأبى ذلك وتخالفه، وتود ما فيه مساءتكم
ومضرتكم **﴿وأكثرهم فاسقون﴾** حكم
عليهم بالفسق، وهو التمرد والتجري،
والخروج عن الحق لنقضهم العهد، وعدم
مراعاتهم للعقود.

٩ ﴿اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا﴾ أي
استبدلوا بآيات القرآن التي من أجلها ما
فيه الأمر بالوفاء بالعهد ثمنا قليلا
حقيرا، وهو ما آثروه من حطام الدنيا
﴿فصدوا عن سبيله﴾ أعرضوا عن سبيل
الحق، وصرفوا غيرهم عنه.

١٠ ﴿لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة﴾

﴿فاستقاموا لكم﴾ أي فاستقاموا
مستقيمين لكم على العهد الذي بينكم
وبينهم **﴿فاستقيموا لهم﴾** قيل: هم بنو
كنانة **﴿إن الله يحب المتقين﴾** إشارة إلى
أن الوفاء بالعهد، والاستقامة عليه من
أعمال المتقين.

٨ ﴿كيف وإن يظهروا عليكم﴾ بالغلبة
لكم **﴿لا يرقبوا﴾** أي لا يراعوا فيكم
﴿إلا﴾ الإل: القرابة **﴿ولا ذمة﴾** الذمة
العهد **﴿يرضونكم بأفواههم﴾** أي يقولون
بألسنتهم ما فيه مجاملة ومحاسنة لكم،
طلباً لمرضاتكم وتطبيب قلوبكم، وقلوبهم

قَتَلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيُنْصِرُكُمْ عَلَيْهِمْ
وَيَسْفِى صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ۖ وَيَذْهَبُ غَيْظُ قُلُوبِهِمْ
وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمْ
حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ
وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ
وَلِجَاجَةً ۖ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ
أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ
أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿١٧﴾
إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ
أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ * أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ
الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ

١٤ ﴿قاتلوهم﴾ رتب على هذا الأمر فوائد: الأولى: تعذيب الله للكفار بأيدي المؤمنين بالقتل والأسر، والثانية: إخزاؤهم، قيل: بالأسر، وقيل: بما نزل بهم من الذل والهوان، والثالثة: نصر المسلمين عليهم وغلبتهم لهم، والرابعة: أن الله يشفي بالقتال صدور قوم مؤمنين ممن لم يشهد القتال ولا حضره.

١٥ والخامسة: أنه سبحانه يذهب بالقتال غيظ قلوب المؤمنين الذي نالهم بسبب ما وقع من الكفار من نقض للعهد ﴿ويتوب الله على من يشاء﴾ كما وقع من بعض أهل مكة يوم الفتح، فإنهم أسلموا وحسن إسلامهم.

١٦ ﴿أم حسبتم أن تتركوا﴾ من غير أن تُبْتَلُوا بما يظهر به المؤمن والمنافق ﴿ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم﴾ كيف تحسبون أنكم تتركون ولم يتبين المخلص منكم في جهاده من غير المخلص ﴿ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة﴾ الوليجة: البطانة من المشركين، والمعنى: لا بد أن يعلم الله هؤلاء ويميزهم ممن اتخذوا دخيلة أو بطانة من المشركين يفتشون إليهم بأسرارهم ويعلمونهم أمورهم من دون الله ورسوله والمؤمنين.

١٧ ﴿ما كان للمشركين أن يعمرُوا مساجد الله﴾ ما صح لهم وما استقام أن يشغلوا المساجد بعباداتهم ويخدموها، وقيل: المراد بهذه الآية المسجد الحرام خاصة ﴿شاهدين على أنفسهم بالكفر﴾ بإظهار ما هو كفر من نصب الأوثان، والعبادة لها، وجعلها آلهة، فكيف يجمعون بين ذلك وبين عمارة المساجد التي هي من شأن المؤمنين وحدهم. وقيل: المراد بهذه الشهادة قولهم في طوافهم: لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك ﴿أولئك حبطت

أعمالهم﴾ التي يفتخرون بها ويظنون أنها من أعمال الخير التي يعملونها، ومنها عمارة المساجد. أي بطلت ولم يبق لها أثر.

١٨ ﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر﴾ وفعل ما هو من لوازم الإيمان من إقامة الصلاة وإتاء الزكاة ﴿ولم يحش﴾ أحدا ﴿إلا الله﴾ فن كان مؤمناً موحداً يعمل هذه الأعمال الصالحة كما أمره الله فهو الحقيق بعمارة المساجد، لا من كان خالياً منها ﴿فمضى أولئك أن يكونوا من المهتدين﴾ إذا

١٩ ﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام﴾ أنكر عليهم التسوية بين ما كان عمله الجاهلية من الأعمال التي صورتها صورة الخير، وإن لم ينتفعوا بها، وبين إيمان المؤمنين وجهادهم في سبيل الله، وقد كان المشركون يفتخرون بالسقاية والعمارة ويفضلونها على عمل المسلمين.



وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٢﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتْ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢٣﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٤﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخْذُوا ءِبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أُولَئِكَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنْ كَانَ ءِبَاءُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ

صاحبه. عن ابن عباس قال: قال العباس حين أسر يوم بدر: إن كنتم سبقتونا بالإسلام والهجرة والجهاد، لقد كنا نعمار المسجد الحرام ونسقي الحاج ونفك العاني، فأنزل الله **﴿أَجْعَلُمْ سَقَايَةَ الْحَاجِّ﴾** الآية: يعنى أن ذلك كان في الشرك فلا أقبل ما كان في الشرك.

٢٣ ﴿لَا تَتَّخِذُوا ءِبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أُولَئِكَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ﴾ حكم باقى إلى يوم القيامة، يدل على قطع الولاية بين المؤمنين والكافرين. نزلت في الحضر على الهجرة ورفض بلاد الكفر، ونهت المؤمنين أن يوالوا الآباء والإخوة، فيكونوا لهم تبعاً، إن أقاموا على كفرهم وأبوا أن يسلموا، ثم حُكم على من يتولى من استحب الكفر على الإيمان من الآباء والإخوان بالظلم، فدل ذلك على أن تولى من كان كذلك من أعظم الذنوب وأشدّها.

٢٤ ﴿وَعَشِيرَتَكُمْ﴾ عشيرة الرجل: قرابته الأدنى، والاقتراف الاكتساب، والتجارة: الأمتعة التي يشترونها ليربحوا فيها، والكساد: عدم التوافق لفوات وقت بيعها بالهجرة ومفارقة الأوطان **﴿ومساكن ترضونها﴾** هي المنازل التي تعجبهم وتميل إليها أنفسهم [ينشغلون بتجهيز مرافقها حتى توافق رضاهم] أي إن كانت هذه الأشياء **﴿أحب إليكم من الله ورسوله﴾** ومن الجهاد في سبيل الله، فاشتغلتم بها عن حق الله تعالى وتنفيذ أوامره والهجرة والجهاد في سبيله **﴿فتربصوا﴾** أي انتظروا **﴿حتى يأتي الله بأمره﴾** فيكم وما تقتضيه مشيئته من عقوبتكم [وفي هذا إنذار عظيم للمتخلفين عن الجهاد بأعداء واهية. وفي الحديث «إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم بأذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد في سبيل الله، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى تراجعوا دينكم.»]

الله، وأحق بما لديه من الخير من تلك الطائفة المشركة المفتخرة بأعمالها الحابطة الباطلة **﴿وأولئك﴾** المتصفون بالصفات المذكورة **﴿هم الفائزون﴾** أي المختصون بالفوز عند الله دون غيرهم من أهل الشرك، وإن كانوا - أي هؤلاء المشركين - يسقون الحبيب، ويعمرون الكعبة والمسجد الحرام.

٢١ ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ فوق وصف الواصفين، وتصور المتصورين. والنعم المقيم: الدائم المستمر الذي لا يفارق

﴿لا يستون عند الله﴾ أي لا تساوي تلك الطائفة الكافرة الساقية للحجيج العامرة للمسجد الحرام، هذه الطائفة المؤمنة بالله واليوم الآخر المجاهدة في سبيله، فكيف يدعون أنهم أفضل عملاً ومكانة من المؤمنين. **﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾** سماهم ظالمين فلم تغن عنهم عمارة المسجد الحرام شيئاً. ثم صرح بالفريق الفاضل فقال:

٢٠ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلى آخره، أي: الجامعون بين الإيمان والهجرة والجهاد بالأموال والأنفس **﴿أعظم درجة عند**

وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ، فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مَّدْيَنَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِثْمًا الْمُسْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ

٢٥ ﴿ويوم حنين﴾ أي ونصركم يوم حنين ﴿إذ أعجبتمكم كثرتكم﴾ أما فيما قبل يوم حنين فكان المسلمون قلة، وكثرتهم لم تعجبهم في جميع تلك المواقف، ولم يكونوا كثيرًا في جميعها. وحنين: واد بين مكة والطائف، التقى فيه النبي ﷺ والمسلمون معه بكفار هوازن وأهل الطائف، وكان المسلمون ١٢٠٠٠ مقاتل. فقال قائلهم: لن نغلب اليوم من قلة، ثم انهزموا، وثبت رسول الله ﷺ وثبت معه طائفة يسيرة، منهم: أبو بكر وعمر وعنه العباس وأبوسفيان بن الحارث، ثم تراجع المسلمون فكان النصر والظفر ﴿بما رحبت﴾ المعنى: أن الأرض مع كونها واسعة الأطراف ضاقت عليهم من الخوف والوجل ﴿ثم وليتم مدبرين﴾ أي انهزمتهم مولين أدباركم إلى جهة عدوكم.

٢٦ ﴿ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين﴾ أي أنزل ما يسكنهم فيذهب خوفهم حتى وقع منهم الاجترار على قتال المشركين، المراد من ثبت منهم فلم ينهزم ومن رجع وقاتل وهم الأنصار ﴿وأنزل جنودا لم تروها﴾ هم الملائكة ﴿وعذب الذين كفروا﴾ بما وقع عليهم من القتل والأسر، وأخذ الأموال، وسبي الذرية.

٢٧ ﴿ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء﴾ أي من بعد هذا التعذيب على من يشاء ممن هداه منهم إلى الإسلام.

٢٨ ﴿إنما المشركون نجس﴾ المراد نجاسة الشرك والظلم والأخلاق والعادات السيئة. والكافر ليس بنجس الذات، لأن الله سبحانه أحل طعامهم. وثبت عن النبي ﷺ أنه أكل في آنيته، وشرب منها، وتوضأ فيها، وأنزلهم في مسجده ﴿فلا يقربوا المسجد الحرام﴾ أي لا يدخلوا الحرم المكي، ومنه المسجد

الحرام، ولو لحج أو عمرة، فليس لهم أن يحجوا البيت أو يعتمروا. أما غير المسجد الحرام من المساجد، فذهب أهل المدينة إلى منع كل مشرك عن كل مسجد لأنهم نجس، والمساجد طاهرة مطهرة، ونهي المشركين عن أن يقربوا المسجد الحرام هو نهي للمسلمين عن أن يكونوا من ذلك ﴿بعد عامهم هذا﴾ سنة تسع، وهي التي حج فيها أبو بكر على الموسم، فيمنعون من دخوله ابتداء من سنة عشر للهجرة ﴿وإن خفتم عيلة﴾ العيلة: الفقر، وكان المسلمون لما منعوا المشركين من الموسم، وهم كانوا يجلبون إليه الأطعمة والتجارات، قذف الشيطان في قلوبهم الخوف من الفقر، وقالوا من أين نعيش؟ فوعدهم الله أن يغنيهم من فضله ﴿فسوف يغنيكم الله من فضله﴾ قال عكرمة: أغناهم بإدراك المطر، والنبات، وخصب الأرض، وأسلمت العرب، فحملوا إلى مكة ما أغناهم الله به، وأغناهم بالنبي. ٢٩ ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله﴾ فبيّن الذنب الذي يوجب العقوبة ﴿ولا باليوم الآخر﴾ أكد الذنب في جانب الاعتقاد.

مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ
 أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ
 صَغِيرُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزِّيْرُ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ
 النَّصْرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ
 يُضَاهِعُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلْتَهُمُ اللَّهُ أَنَّى
 يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ
 دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا
 إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾
 يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ
 يَتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ
 رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ
 وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ * يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ

الأفواه، غير مفيدة لفائدة يعتد بها
﴿يضاهئون قول الذين كفروا﴾ شابهوا
 بهذه المقالة عبدة الأوثان في قولهم :
 اللات والعزى ومناة بنات الله، والملائكة
 بنات الله **﴿قاتلهم الله﴾** دعاء عليهم
 بالهلاك، لأن من قاتله الله هلك. وقيل
 المعنى: لعنهم الله **﴿أنى يؤفكون﴾** أي
 كيف يصرفون عن الحق إلى الباطل.

**٣١ ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا
 من دون الله﴾** كانوا إذا أحلوا لهم شيئا
 استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئا حرموه.
 أطاعوهم فيما يأمرونهم به وينهونهم عنه فيما
 يخالف أحكام الله تعالى، فنسخوا بذلك
 ما في كتب الله، فكانوا بمنزلة المتخذين
 لهم أربابا، لأنهم أطاعوهم كما تطاع
 الأرباب **﴿والمسيح ابن مريم﴾** أي اتخذه
 النصارى ربا معبودا، وفيه إشارة إلى أن
 اليهود لم يتخذوا عزيزا ربا معبودا **﴿وما
 أمروا إلا ليعبدوا إله واحد﴾** أي وما
 أمر الأحرار والرهبان وعيسى وعزير إلا
 بعبادة الله وحده، فكيف يكونون آلهة؟
 أو فكيف حق لأتباعهم أن يتخذوهم
 آلهة؟ **﴿سبحانه عما يشركون﴾** أي تنزهها
 له عن الإشراف في طاعته وعبادته.

**٣٢ ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله
 بأفواههم﴾** هذا نوع آخر ضلالهم وهو ما
 راموه من إبطال الحق بأقاويلهم الباطلة
 والمجادلات الزائفة **﴿ويأبى الله إلا أن
 يتم نوره﴾** أي دينه القويم.

**٣٣ ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى
 ودينه﴾** أي بما يهدي به الناس من البراهين
 والمعجزات والأحكام التي شرعها الله
 لعباده **﴿ودين الحق﴾** وهو الإسلام
 [الذي هو الاعتقاد الحق والتوحيد
 الصرف، والخالي عن صرف العبادة لأي
 مخلوق منها كان عظيما] **﴿ليظهره﴾** أي
 ليظهر رسوله، أو دين الحق بما اشتمل
 عليه من الحجج والبراهين، وقد وقع ذلك
 والله الحمد.

﴿ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله﴾ فيه
 زيادة للذنب في مخالفة الأعمال، ثم قال
﴿ولا يدينون دين الحق﴾ فيه إشارة إلى
 تأكيد المعصية بالانحراف، والمعاندة،
 والأنفة عن الاستسلام، ثم قال **﴿من
 الذين أوتوا الكتاب﴾** تأكيد للحجة
 عليهم، لأنهم كانوا يمجّدونه مكتوبا عندهم
 في التوراة والإنجيل **﴿حتى يعطوا الجزية﴾**
 الجزية: هي المبلغ من المال الذي يفرض
 على الكافر إذا أذن له في الإقامة بدار
 الإسلام **﴿عن يده﴾** مواتية غير ممتنعة،
 وقيل: معناه يعطونها بأيديهم غير مستنيين
 فيها أحدا، والمعنى: أن الذمي يعطي
 الجزية حال كونه صاغرا ذليلا، فيأتي بها
 بنفسه ويسلمها وهو قائم، والمتسلم قاعد.
٣٠ ﴿وقالت اليهود عزيز ابن الله﴾ قالوا
 هذا عندما جاء عزيز فأملى عليهم التوراة
 من صدره بعد نسيانهم لها **﴿وقالت
 النصارى المسيح ابن الله﴾** قالوا هذا لما
 رأوا من إحيائه للموتى مع كونه من غير
 أب **﴿ذلك قولهم بأفواههم﴾** أي أن
 هذا القول لما كان ساذجا ليس فيه
 بيان، ولا عضده برهان، كان مجرد
 دعوى ليس فيها إلا كونها خارجة من



كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ
بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ
الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ
بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ
لَأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ
عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ
فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِ أَنْفُسَكُمْ وَقَتْلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا
يُقَتِّلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾
إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا
يُحْلُونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِعُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ

٣٤ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن كَثِيرًا مِنَ
الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ﴾ أي من هؤلاء الذين
اتخذهم اليهود والنصارى أربابا يأكلون
السحت والمال الحرام، كالرشوة
﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي عن
الطريق إليه، وهو دين الإسلام ﴿وَالَّذِينَ
يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ الكنز: كل
شيء مجموع بعضه إلى بعض، أي لا
يؤدون زكاة أموالهم، فالمال الذي أدبت
زكاته ليس بكنز ﴿وَلَا يَنْفِقُونَهَا﴾ أي
الكنز والأموال ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾
من باب التهكم.

٣٥ ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ أي
إن النار توقد عليها وهي ذات حمى وحر
شديد ﴿هَذَا مَا كُنْتُمْ لَأَنفُسِكُمْ﴾ أي
يقال لهم: هذا ما كنزتموه لتنتفعوا به،
فهذا نفعه، على طريقة التهكم والتوبيخ
﴿فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ أي ذوقوا
وباله، وسوء عاقبته. عن ابن عمر في
الآية: قال إنما كان هذا قبل أن تنزل
الزكاة، فلما نزلت الزكاة جعلها الله
طهرة للأموال، ثم قال: ما أبالي لو كان
عندي مثل أحد ذهباً أعلم عدده وأزكيه
وأعمل فيه بطاعة الله.

٣٦ ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ﴾ أي عدد شهور
السنة عند الله، أي: في حكمه وقضائه
وحكمته، اثنا عشر شهراً ﴿فِي كِتَابِ
اللَّهِ﴾ أي فيما أثبتته في كتابه ﴿يَوْمَ خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ أي ثابت في علمه
في أول ما خلق الله العالم ﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ
حُرْمٌ﴾ هي ذو القعدة، وذو الحجة،
والمحرم، ورجب: ثلاثة سرء، وواحد قرد
﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ أي كون هذه
الشهور كذلك، ومنها أربعة حرم، هو
الدين المستقيم، والحساب الصحيح،
والعدد المستوفي ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِ
أَنفُسَكُمْ﴾ أي في هذه الأشهر الحرم
بإيقاع القتال فيها والهلاك لحرمتها، وتحريم

القتال في الأشهر الحرم ثابت محكم لم
ينسخ، لهذه الآية ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ
كَافَّةً﴾ أي جميعاً ﴿كَمَا يَقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾
أي جميعاً ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾
أي ينصرهم ويثبتهم، ومن كان الله معه
فهو الغالب، وله العاقبة.

٣٧ ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ﴾ هو تأخير التحريم من
شهر إلى شهر، فيحللون بعضها ويحرمون
مكانه بقدره من غير الأشهر الحرم،
فيحلون شهر المحرم مثلاً في بعض السنين،
ويحرمون بدله صفر. وقيل في تفسير معنى
النسيء غير ذلك ﴿زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ إلى

كفرهم بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر
﴿يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي إن الذي
سنَّ لهم ذلك يجعلهم ضالين بهذه السنة
السيئة ﴿يُحْلُونَهُ عَامًا﴾ بإبداله بشهر آخر
من شهور الحلال ﴿وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا﴾ أي:
يحافظون عليه فلا يحلون فيه القتال، بل
يبقونه على حرمة ﴿لِيُوَاطِعُوا عِدَّةَ مَا
حَرَّمَ اللَّهُ﴾ أنهم لم يحلوا شهراً إلا حرموا
شهراً، لتبقى الأشهر الحرم أربعة في
العدد فأنكر الله تعالى عليهم إحلال ما
حرم الله وتحريم ما أحل ليوافقوا هوى
أنفسهم بالقتال في الأشهر التي يحلونها.

فِيحِلُّوْا مَا حَرَّمَ اللهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِيْنَ ﴿٣٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَتَأْقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ

بترك امتثال أمره بالنفير، أو لا تضربوا رسول الله بترك نصرته والنفير معه شيئاً **﴿والله على كل شيء قدير﴾** من جملة مقدوراته تعذيبكم والاستبدال بكم.

٤٠ **﴿إلا تنصروه﴾** أي إن تركتم نصرته رسول الله ﷺ فالله متكفل به **﴿فقد نصره﴾** في موطن القلة، وأظهره على عدوه بالغلبة والقهر، أو فسينصره مَنْ نصره حين لم يكن معه إلا رجل واحد وقت إخراج الذين كفروا له **﴿ثاني اثنين﴾** أي أحد اثنين، وهما رسول الله ﷺ وأبو بكر الصديق رضي الله عنه **﴿إذهما في الغار﴾** والغار: ثقب في الجبل المسمى ثورا، وهو جبل قريب من مكة **﴿إذ يقول لصاحبه﴾** لأبي بكر **﴿لا تحزن إن الله معنا﴾** ومن كان الله معه فلن يغلب، ومن لا يغلب فيحق له ألا يحزن **﴿فأنزل الله سكينته عليه﴾** السكينة: تسكين جأشه وتأمينه حتى ذهب روعه وحصل له الأمن **﴿وأيدته بجنود لم تروها﴾** هي الملائكة كما كان في يوم بدر **﴿وجعل كلمة الذين كفروا السفلى﴾** أي كلمة الشرك [فقضى على دولة المشركين] **﴿وكلمة الله هي العليا﴾** هي كلمة التوحيد ودعوة الإسلام، صفتها الدائمة أنها فوق كل كلمة، والإسلام يعلو ولا يعلى **﴿والله عزيز حكيم﴾** أي غالب قاهر لا يفعل إلا ما فيه حكمة وصواب.

٤١ **﴿أنفروا خفافا وثقالا﴾** نشاطا وغير نشاط، فقراء وأغنياء، شبابا وشيوخا، رجالا وفرسانا، ومن لا عيال له ومن له عيال **﴿وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله﴾** الجهاد فرض كفاية، فإن كان لا يقوم بالعدو إلا جميع المسلمين في قطر من الأرض أو أقطار، وجب عليهم ذلك وجوب عين **﴿ذلكم﴾** الأمر بالنفير والأمر بالجهاد **﴿خير لكم﴾** أي خير عظيم في نفسه، أو خير من السكون والدعة.

الخروج للقتال **﴿أتأقلمت إلى الأرض﴾** أصله تأقلمت أي تباطأتم وملتكم إلى الإقامة بأرضكم والبقاء فيها **﴿أرضيتم بالحياة الدنيا﴾** أي بنعيمها بدلا من الآخرة، فإن نعيم الآخرة يحصل بالجهاد والنفير في سبيل الله **﴿في الآخرة﴾** أي في جنب الآخرة، وفي مقابلها **﴿إلا قليل﴾** حقير لا يعاب به.

٣٩ **﴿إلا تنفروا بعذبكم﴾** أي إن تركتم الجهاد عذبكم الله بالقهر والإذلال **﴿ويستبدل قوما غيركم﴾** ينصرونه تكون لهم الدولة **﴿ولا تنصروه شيئا﴾**

﴿فيحلوا ما حرم الله﴾ أي من الأشهر الحرم التي أبدلها بغيرها **﴿زين لهم سوء أعمالهم﴾** أي: زين لهم الشيطان الأعمال السيئة التي يعملونها، ومن جعلتها النسوية **﴿والله لا يهدي القوم الكافرين﴾** أي المصيرين على كفرهم المستمرين عليه.

٣٨ **﴿يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم أنفروا في سبيل الله﴾** نزلت عتابا لمن تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، وكانت سنة تسع من الهجرة بعدالفتح بعام، والنفير: هو

وَأَنْفُسَكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا
لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ
لَوْ آسَظَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ
إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنَتْ لَهُمْ
حَتَّى يَتَّبِعَنَّ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٣﴾
لَا يَسْتَعِذُّكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ
يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾
إِنَّمَا يَسْتَعِذُّكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَأَرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾
* وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ
أَنْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾

٤٢ ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا﴾ لو كان المدعو إليه غنيمة قريبة غير بعيدة ﴿وسفرا قاصدا﴾ متوسطا بين القرب والبعد ﴿لا تتبعوك﴾ أي: لمشي معك إليه هؤلاء المتخلفون ﴿ولكن بعدت عليهم الشقة﴾ غزوة تبوك فإنها كانت سفرة بعيدة شاقة ﴿وسيحلفون بالله﴾ أي المتخلفون عن غزوة تبوك، قائلين ﴿لو استظعننا لخرجنا معكم﴾ أي لو قدرنا على الخروج، ووجدنا ما نحتاج إليه فيه مما لا بد منه ﴿لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم﴾ لأن من حلف كاذبا فقد أهلك نفسه ﴿والله يعلم إنهم لكاذبون﴾ في حلفهم الذي سيحلفون به لكم. كانوا يستطيعون الخروج، ولكن كان تركه تبطة من عند أنفسهم وزهادة في الجهاد.

٤٣ ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم﴾ لم سارعت إلى الإذن لهم في التخلف عن الجهاد بأعذار أخبروك بها، وهلا تأنيت حتى يتبين لك صدق من هو صادق منهم في العذر الذي أبداه، وكذب من هو كاذب منهم في ذلك.

٤٤ ﴿لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا﴾ لا يستأذنك المؤمنون في الجهاد، بل دأبهم أن يبادروا إليه، من غير توقف ولا ارتقاب منهم لوقوع الإذن منك، فضلا عن أن يستأذنوك في التخلف ﴿والله عليم بالمتقين﴾ وهم هؤلاء الذين لم يستأذنوا.

٤٥ ﴿إنما يستأذنك﴾ في القعود عن الجهاد، والتخلف عنه ﴿الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ وهم المنافقون. وذكر الإيمان بالله وباليوم الآخر لأنها الباعثان على الجهاد في سبيل الله ﴿وارتابت قلوبهم﴾ وهو الشك ﴿فهم في ريبهم يترددون﴾ يتحيرون، فهؤلاء الذين يستأذنونك ولا عذر لهم ليسوا بمؤمنين، بل هم مرتابون في الدين، حاثرون لا يهتدون

إلى طريق الصواب.

قلوبهم القعود خذلانا لهم ﴿مع

٤٦ ﴿ولو أرادوا الخروج لأعدوا له﴾ القاعدية أي مع أولي الضرر، من العميان، والمرضى، والنساء، والصبيان. تركوا إعداد العدة وتحصيلها قبل وقت الجهاد، كما يستعد لذلك المؤمنون، لكنهم لم يريدوا الخروج أصلا، ولا استعدوا للغزو، بما يلزمهم من الزاد والراحلة والسلاح ﴿ولكن كره الله أنبعاثهم فثبطهم﴾ أي حبسهم الله عن الخروج معك وخذلهم، لأنهم قالوا: إن لم يؤذن لنا في الجلوس أفسدنا وحرصنا على المؤمنين ﴿وقيل اقعدوا﴾ أي أوقع الله في

٤٧ ﴿لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا﴾ هذه تسلية للمؤمنين عن تخلف المنافقين. والخبال الفساد والغميمة وإيقاع الاختلاف والأراجيف ﴿ولا وضعوا خلا لکم﴾ لسمعوا بينكم سعيًا حثيثا بالافساد بما يخلقونه من الأكاذيب الموجبة لفساد ذات البين ﴿يبغونكم



لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعَوُا خِلَالَكُمْ
يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدْ ابْتِغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ
الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَرِهُونَ ﴿٤٨﴾
وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَئِذَا لَمْ نَأْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا
وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ
تُسَوِّهُمُ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ
قَبْلُ وَيتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ
اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾
قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ
بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا
فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا

التخلف عن الجهاد **«ولا تفتني»** عن ابن عباس قال: لما أراد النبي ﷺ أن يخرج إلى غزوة تبوك قال لجلد بن قيس: يا جد: ما تقول في مجاهدة بني الأصفر؟ فقال: يا رسول الله: إني امرؤ صاحب نساء، ومتى أرى نساء بني الأصفر - يعني نساء الروم - أفتن، فائذن لي ولا تفتني. وقيل المعنى: لا توقعني في الفتنة أي الإثم إذا لم تأذن لي فتخلفت بغير إذنك **«ألا في الفتنة سقطوا»** أي في نفس الفتنة سقطوا، وهي فتنة التخلف عن الجهاد، والاعتذار الباطل.

٥٠ **«إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُوَّهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ»**

نصيبك مصيبة الحسنة: الغنيمة والظفر والمصيبة: الجراح والقتل في سبيل الله **«قد أخذنا أمرنا من قبل»** أي احتطنا لأنفسنا، وأخذنا بالحزم، فلم نخرج إلى القتال كما خرج المؤمنون حتى نألمهم من المصيبة **«ويتولوا وهم فرحون»** بسلامتهم وبمصيبة المؤمنين.

٥١ **«لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا»**

أي في اللوح المحفوظ، وقد أمرنا بالقتال فنحن نمثل أمره **«هو مولانا»** أي ناصرنا وجاعل العاقبة لنا ومظهر دينه على جميع الأديان **«وعلى الله فليتوكل المؤمنون»** والتوكل على الله تفويض الأمور إليه لا يتوكلون على غيره.

٥٢ **«قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيْنِ»**

هل تنتظرون بنا إلا النصر أو الشهادة، وكلاهما مما يحسن لدينا **«ونحن نتربص بكم»** إحدى المسألتين لكم: إما **«أن يصيبكم الله بعذاب من عنده»** أي قارعة نازلة من السماء فيسحقكم بعذابه **«أو»** بعذاب لكم **«بأيدينا»** أي بإظهار الله لنا عليكم بالقتل والأسر والنهب والسبي **«فتربصوا»** أي تربصوا بنا ما ذكرنا من عاقبتنا، فنحن معكم متربصون ما هو عاقبتكم.

٤٨ **«لَقَدْ ابْتِغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ»** أي

لقد طلبوا الإفساد والخبال وتفريق كلمة المؤمنين وتشيت شملهم من قبل هذه الغزوة **«وقلبوا لك الأمور»** أي صرفوها من أمر إلى أمر لعل شيئا منها يؤثر فيك فيبطل عزمك على الجهاد **«حقى جاء الحق»** وهو النصر لك والتأييد **«وظهر أمر الله»** بإعزاز دينه وإعلاء شرعه وقهر أعدائه **«وهم كارهون»** كان ذلك على رغم منهم.

٤٩ **«وَمِنْهُمْ»** أي من المنافقين **«من يقول»** لرسول الله ﷺ **«ائذن لي»** في

الفتنة في ذات بينكم بما يصنعونه من التحريش والإفساد **«وفيكُم سماعون لهم»** فيكم من يستمع ما يقولونه من الكذب، فينقله إليكم فينشأ من ذلك الاختلاف بينكم، والفساد لإخوانكم **«والله عليم بالظالمين»** وما يحدث منهم لو خرجوا معكم، فلذلك اقتضت حكمته البالغة ألا يخرجوا معكم. [وكان هؤلاء المتخلفون سادة في الأوس والخزرج منهم عبدالله بن أبي، وكان في الخارجين من الأنصار من يستمع لقولهم لما لهم من المهابة في قومهم].

٥٣ ﴿قُلْ أَنْفَقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ

يَتَقَبَّلَ مِنْكُمْ﴾ إِنْ أَنْفَقْتُمْ طَائِعِينَ مِنْ غَيْرِ أَمْرٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، أَوْ مَكْرِهِينَ بِأَمْرِ مِنْهَا، فَإِنْ نَفَقْتُمْ لَنْ تَجِدَ قَبُولًا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، لِأَجْلِ الْكُفْرِ الَّذِي تَبْطِنُونَهُ **﴿إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾** الفسق: التمرد.

٥٤ ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ يَقْبَلُوا مِنْهُمْ نَفَقَاتِهِمْ﴾ جعل المانع من القبول ثلاثة أمور: الأول: الكفر، الثاني: أنهم لا يصلون في حال من الأحوال إلا في حالة الكسل والثقل، لأنهم لا يرجون ثوابا ولا يخافون عقابا، فصلاهم ليست إلا رياء، والثالث: أنهم **﴿لَا يَنْفِقُونَ﴾** أموالهم **﴿إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾** ولا ينفقونها طوعا، لأنهم يعدون إنفاقها وضعا لها في مضیعة، لعدم إيمانهم بما وعد الله ورسوله.

٥٥ ﴿فَلَا تَعْجَبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ﴾ لا تستحسن ما معهم من الأموال والأولاد **﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾** بسبب عدم الشكر لربهم الذي أعطاهم ذلك، وترك ما يجب عليهم من الزكاة فيها، والتصدق بما يحق التصديق به **﴿وَيُزْهِقُ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾** المعنى: أن الله يريد أن تخرج أرواحهم حال كفرهم لعدم قبولهم لما جاءت به الأنبياء، وتصميمهم على الكفر، وقمادهم في الضلالة.

٥٦ ﴿وَيُخَلِّفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ﴾ أي من جملتكم في دين الإسلام **﴿وَمَا هُمْ مِنْكُمْ﴾** في ذلك إلا بمجرد ظواهرهم دون بواطنهم **﴿وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ﴾** أي يخافون من لقاء الأعداء، ويجنون عنهم وقيل المراد: يخافون أن ينزل بهم ما نزل بالمشركين من القتل والسبي، فيظهرون لكم الإسلام تقية منهم لا عن حقيقة.

٥٧ ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً يَحْفَظُونَ أَنْفُسَهُمْ فِيهِ مِنْكُمْ مِنْ حَصْنٍ أَوْ غَيْرِهِ﴾ **﴿أَوْ مَغَارَاتٍ﴾** وهي الكهوف يستترون فيها

أَوْ كَرَّهًا لَنْ يَتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٣﴾
وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ يَقْبَلُوا مِنْهُمْ نَفَقَاتِهِمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٥٤﴾ فَلَا تَعْجَبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مَدَخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رِضًا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾

عنكم لثلا تلزمهم بالخروج معكم إلى القتال **﴿أَوْ مَدَخَلًا﴾** أي مكانا يدخلون فيه **﴿لَوَلَّوْا إِلَيْهِ﴾** أي لالتجأوا إليه وأدخلوا أنفسهم فيه **﴿وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾** أي يسرعون إسراعا لا يردهم شيء، كما يجمع الفرس إذا لم يرد له اللجام.

٥٨ **﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾** أي: يعيبك في تفريقها وقسمتها **﴿فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا﴾** أي من الصدقات بقدر ما يريدون **﴿رِضًا﴾** بما وقع من رسول الله ﷺ ولم يعيبوه، وذلك لأنه لا مقصد لهم إلا حطام الدنيا، وليسوا من الدين في شيء **﴿وَأَنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا﴾** ما يريدونه ويطلبونه **﴿إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾** يظهرون التذمر وعدم الرضى.

٥٩ **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾** أي ما فرضه الله لهم وما أعطاهم رسول الله ﷺ أي لكان خيرا لهم **﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ﴾** كفانا الله: سيعطينا من فضله ويعطينا رسوله بعد هذا ما نرجوه ونؤمله **﴿إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾** في أن يعطينا من فضله ما نرجوه.

٦٠ **﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ﴾** لما لمز

* إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا
وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ
وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾
وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ
لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا
مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾
يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمُ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ
يَرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿١٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدُ
اللَّهِ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَلِيدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ
الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ
تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهِزُّوْا إِنَّا اللَّهُ مُخْرِجُ
مَا تَحْذَرُونَ ﴿١٤﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ

سبيل الله هم الغزاة والمرابطون يعطون من الصدقة ما ينفقون في غزوهم ومرابطتهم وإن كانوا أغنياء **وابن السبيل** المراد الذي انقطعت به الأسباب في سفره عن بلده، فإنه يعطى منها وإن كان غنيا في بلده **فريضة من الله** كون الصدقات مقصورة على هذه الأصناف هو حكم لازم فرضه الله على عباده، ونهاهم عن مجاوزته.

٦١ **ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن** هذا نوع آخر من فضائح المنافقين، يقال رجل أذن: إذا كان يسمع مقال كل أحد فيصدقه، ولا يفرق بين الصحيح والباطل، قالوا هذا عن النبي ﷺ اغترارا منهم بحلمه عنهم، وصفحه عن جنایاتهم، كرما وحلما وتغاضيا **قل أذن خير لكم** أي نعم هو يستمع لكم، ولكن نعم الأذن هو، لكونه يسمع الخير ولا يسمع الشر **يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين** أي: يصدق بالله وصدق المؤمنين ويستمع لهم.

٦٢ **يخلفون بالله لكم ليرضوكم** وذلك أن المنافقين كانوا في خلواتهم يطعنون على النبي ﷺ، فإذا بلغ ذلك إلى المؤمنين، جاء المنافقون فحلفوا لهم على أنهم لم يقولوا ما بلغ عنهم.

٦٣ **من يحادد الله ورسوله** أي من يعاديه **ذلك** العذاب هو **الخنزي العظيم** الذل والهوان [إذا أصابا من يتكبر].

٦٤ **يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة** أي على النبي ﷺ في شأن المنافقين **تنبيههم** أي المنافقين **بما في قلوبهم** مما يسرونه فضلا عما يظهرونه، فالمراد: اطلاعهم على أن المؤمنين قد علموا بما في قلوبهم **قل استهزؤا إن الله مخرج ما تحذرون** إما بإنزال سورة، أو بإخبار رسوله بذلك.

ولا يسأل الناس شيئا **والعاملين عليها** أي السعاة والجباة الذين يعثهم الإمام لتحصيل الزكاة **والمؤلفة قلوبهم** هم الكفار الذين كان النبي ﷺ يتألفهم ليسلموا، وكانوا يدخلون في الإسلام بالعطاء **وفي الرقاب** بأن يشتري ممالك ثم يعتقهم **والغارمين** هم الذين ركبته الديون ولا وقاء عندهم بها، إلا من لزمه دين في سفاهة، فإنه لا يعطى منها ولا من غيرها إلا أن يتوب. وقد أعان النبي ﷺ من الصدقة من تحمل حمالة، وأرشد إلى إعانته منها **وفي**

المنافقون رسول الله ﷺ في قسمة الصدقات، بين الله لهم مصرفها دفعا لطعنهم وقطعا لشغبهم. عن زياد ابن الحرث، قال: «أتى النبي ﷺ رجل فقال: أعطني من الصدقة، فقال له: إن الله لم يرض بحكم نبي ولا غيره في الصدقات حتى حكم فيها هو فجزأها ثمانية أصناف، فإن كنت من تلك الأجزاء أعطيتك» **للفقراء** الفقير الذي لا شيء له، وفي الحديث: قالوا: ما المسكين يا رسول الله؟ قال الذي لا يجد غنى يغنيه، ولا يظن له فيتصدق عليه،

وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾
 لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ
 مِنْكُمْ نُعَذِّبُ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ الْمُنَافِقُونَ
 وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ
 وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ
 فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَّ اللَّهُ
 الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ
 فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٦٨﴾
 كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا
 وَأَوْلَدًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا
 اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي
 خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

٦٥ ﴿وَلَنْ سَأَلْتَهُمْ﴾ عما قالوه من الطعن في الدين، وثلث المؤمنين، بعد أن يطلعك الله عليه ﴿ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب﴾ ولم تكن في شيء من أمرك ولا أمر المؤمنين ﴿قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون﴾ ولم يعبا بإنكارهم لأنهم كانوا كاذبين في الإنكار، بل جعلهم كالمعترفين بوقوع ذلك منهم.

٦٦ ﴿لا تعتذروا﴾ فإن ذلك غير مقبول منكم ﴿قد كفرتم﴾ أي أظهرتم الكفر بما وقع منكم من الاستهزاء المذكور ﴿بعد إيمانكم﴾ أي بعد إظهاركم الإيمان ﴿إن نعف عن طائفة منكم﴾ وهم من أخلص الإيمان وترك النفاق وتاب عنه ﴿نعذب طائفة به﴾ سبب ﴿أنهم كانوا مجرمين﴾ مصرين على النفاق لم يتوبوا. عن عبد الله بن عمر، قال: قال رجل في غزوة تبوك في مجلس يوما: مارأينا مثل قرائنا هؤلاء، لا أرغب بطونا، ولا أكذب ألسنة، ولا أجبن عند اللقاء. فقال رجل في المجلس: كذبت، ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله ﷺ. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ونزل القرآن. قال عبد الله: فأننا رأيت متعلقا بحقب ناقه رسول الله ﷺ والحجارة تنكبه، وهو يقول: يارسول الله: إنما كنا نخوض ونلعب، والنبي ﷺ يقول (أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون).

٦٧ ﴿المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض﴾ ذكورهم في ذلك كإناثهم، وأحوالهم في ذلك متفقة، متناهون في النفاق والبعد عن الإيمان ﴿ويقبضون أيديهم﴾ أي يشحون فيما ينبغي إخراجهم من المال في الصدقة والصلة والجهاد ﴿نسوا الله﴾ حتى لا تخطر تقواه لهم على بال ﴿فنسيتهم﴾ أغفلهم من رحمة.

٦٨ ﴿هي حسبتهم﴾ أي كافيتهم لا يحتاجون إلى زيادة على عذابها ﴿ولعنهم﴾

الله ﷻ أي طردهم وأبعدهم من رحمة. ٦٩ ﴿كالذين من قبلكم﴾ الخطاب للمنافقين، أي كان من قبلكم من الكفار أشد من هؤلاء المنافقين المعاصرين للنبي ﷺ ﴿قوة وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا﴾ أي تمتعوا ﴿بخلافهم﴾ أي نصيبهم الذي قدره الله لهم من ملاذ الدنيا ﴿فاستمتعتم﴾ أنتم أيها المنافقون ﴿بخلافكم﴾ أي نصيبكم الذي قدره الله لكم ﴿كما استمتع الذين من قبلكم بخلافهم﴾ أي انتفعتم به كما انتفعوا به، عاب على الفريقين استغراقهم في تلك الحظوظ حتى غفلوا عن حق المنعم بها ﴿وخضتم كالذي خاضوا﴾ أي كالخوض الذي خاضوه في أسباب الدنيا واللغو واللعب، وقيل: في آيات الله بالكذب ﴿أولئك﴾ المتصفون بهذه الأوصاف ﴿حبطت أعمالهم﴾ أي بطلت، والمراد بالأعمال ما عملوه مما هو في صورة طاعة ﴿في الدنيا والآخرة﴾ أما بطلانها في الدنيا: فلأنه يصير ما يرجونه من الغنى فقرا، ومن الغز ذلا، ومن القوة ضعفا، وأما في الآخرة: فلأنهم يصيرون إلى عذاب النار، ولا ينتفعون بشيء من

وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمَ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمُ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدَ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ

معروف في الشرع غير المنكر، ومن ذلك توحيد الله سبحانه، وترك عبادة غيره **«وينهون عن المنكر»** أي عما هو منكر في الدين **«ويطيعون الله»** في صنع ما أمرهم بفعله **«أولئك»** المتصفون بهذه الأوصاف **«سيرحمهم الله»** بإنجاز الوعد.

٧٢ **«وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات**

تجري من تحتها الأنهار» تجري تحت أشجارها وغرفها **«ومساكن طيبة»** ليس فيها من السوء شيء، يتمتعون فيها **«في جنات عدن»** دار عدن أي إقامة غير

منقطعة **«ورضوان»** ولو قليل **«من»** رضوان **«الله أكبر»** من ذلك كله الذي أعطاهم الله إياه، فإنهم يأمنون سخطه إلى أبد الأبد، فإن أدنى رضوان منه لا يساويه شيء من اللذات الجسمانية وإن كانت عظيمة **«ذلك»** أي الجنات

ورضوان الله تعالى **«هو الفوز العظيم»** دونه كل فوز مما يعده الناس فوزاً. عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ «إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: ربنا وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعطه أحداً من خلقك؟ فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك، قالوا: يا ربنا وأي شيء أفضل من ذلك؟ قل أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبداً».

٧٣ **«يا أيها النبي جاهد الكفار**

والمنافقين» وجهاد الكفار يكون بمقاتلتهم حتى يسلموا، وجهاد المنافقين بإقامة الحجة عليهم، وإقامة الحدود عليهم، فهم أكثر من يفعل موجبات الحدود، لأنهم لا يخافون الله **«واغلظ عليهم»** الغلظ: شدة القلب، وخشونة الجانب وهكذا تكون معاملة المؤمنين لهذين الفريقين في الدنيا. ولهم في الآخرة عذاب النار.

عليهم من الحجارة، وسميت مؤتفكات لأنها انقلبت بهم حتى صار عاليها سافلها **«أتتهم رسلهم بالبينات»** أي رسل هذه الطوائف الست **«فما كان الله ليظلمهم»** لأن رسله أنذروهم وحذروهم **«ولكن كانوا أنفسهم يظلمون»** بسبب ما فعلوه من الكفر بالله وعدم الانقياد لأنبيائه.

٧١ **«والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض»** أي قلوبهم متحدة في التواد والتحاب والتعاطف، بسبب ما جمعهم من أمر الدين وضمهم من الإيمان بالله **«يأمرون بالمعروف»** أي بما هو

الأعمال التي يظنونها طاعة وقربة.

٧٠ **«ألم يأتهم»** أي المنافقين **«نبأ الذين من قبلهم»** أي خبرهم الذي له شأن، وهو ما فعلوه وما قيل بهم، فذكر منهم ههنا ست طوائف، قد سمع العرب أخبارهم **«قوم نوح»** وقد أهلكوا بالإغراق **«وعاد»** وقد أهلكوا بالريح العقيم **«وثمود»** وقد أخذوا بالصيحة **«وقوم إبراهيم»** وقد سلب الله عليهم البعوض **«وأصحاب مدين»** وهم قوم شعيب، وقد أخذتهم الرجفة **«والمؤتفكات»** وهي قرى قوم لوط، وقد أهلكهم الله بما أمطر

٧٤ ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا﴾ نزلت بسبب قول بعض المنافقين: لئن كان محمد صادقاً على إخواننا الذين هم ساداتنا وخيارنا، لنحن شر من الحمير، فأخبر بذلك النبي ﷺ وأخذ قاتل تلك الكلمة يخلف بالله ما قالها. وقيل في سبب نزولها غير ذلك **﴿ولقد قالوا كلمة الكفر﴾** وهي ماتقدم بيانه **﴿وكفروا بعد إسلامهم﴾** فعلوا ما يوجب كفرهم على تقدير صحة إسلامهم **﴿وهووا بما لم ينالوا﴾** قيل: هو أنهم هموا بقتل رسول الله ﷺ ليلة العقبة في غزوة تبوك **﴿وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله﴾** أي وما عابوا وأنكروا إلا ما هو حقيق بالمدح والثناء، وهو إغناء الله لهم من فضله، وقد كان هؤلاء المنافقون في ضيق من العيش، فلما قدم النبي ﷺ المدينة اتسعت معيشتهم وكثرت أموالهم **﴿فإن يتوبوا بك خيراً لهم﴾** [أي تكن التوبة خيراً لهم مما فعلوه في نفاقهم] **﴿وإن يتولوا﴾** عن التوبة والإيمان **﴿يعذبهم الله عذاباً أليماً في الدنيا﴾** بالقتل والأسر **﴿وفي الآخرة﴾** بعذاب النار.

٧٥ **﴿ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن﴾** نزلت في ثعلبة بن حاطب من أهل المدينة وهو أحد الذين بنوا مسجد الضرار. روى قصته موجزة ابن جرير بأسانيده عن ابن عباس والحسن وقتادة. ثم رواها مفصلة بسند ضعيف عن أبي أمامة الباهلي قال:

جاء ثعلبة بن حاطب، فقال يارسول الله: ادع الله أن يرزقني مالا، فوالذي بعثك بالحق إن آتاني الله مالا لأعطين كل ذي حق حقه. «قال ويحك يا ثعلبة: قليل تطيق شكره خير من كثير لا تطيقه». قال يارسول الله: ادع الله تعالى، فقال رسول الله ﷺ «اللهم ارزقه مالا». قال فاتخذ غنا فتمت كما تنمو الدود، حتى ضاقت بها المدينة ففتحى بها، ثم نمت ففتحى بها، فكان لا يشهد

الْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ يَبْمَلُونِ بِنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ * وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لِنَّ أَتْسِنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا أَتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعَقِبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ

جمعة ولا جنازة، فقال رسول الله ﷺ «ويح ثعلبة بن حاطب، ويح ثعلبة بن حاطب». ثم بعث رسول الله ﷺ رجلين يأخذان الصدقات، فمرا بثعلبة فسألاه الصدقة، فقال: ما هذه إلا جزية. حتى قدما المدينة، فلما رآهما رسول الله ﷺ قال قبل أن يكلمهما: «ويح ثعلبة بن حاطب» وأنزل الله هذه الثلاث الآيات في شأنه، فسمع بعض أقارب ثعلبة، فأتى ثعلبة فقال: ويحك يا ثعلبة أنزل فيك كذا وكذا. قال: فقدّم ثعلبة فقال يا رسول الله: هذه صدقة مالي. فقال: إن

الله قد منعي أن أقبل منك، فجعل يبكي ويحكي التراب على رأسه، ثم لم يقبلها أبو بكر في عهده ثم لم يقبلها عمر ولا عثمان، فهلك في خلافة عثمان.

٧٦ **﴿بخلوا به﴾** فلم يتصدقوا بشيء منه كما حلفوا.

٧٧ **﴿فأعقبهم نفاقاً﴾** أي فأعقبهم الله بسبب البخل وإخلاف عهدهم مع الله مستمرا **﴿في قلوبهم إلى يوم يلقونه﴾** أي إلى يوم القيامة يوم يلقون الله عز وجل.

٧٨ **﴿ألم يعلموا﴾** أي المنافقون **﴿أن الله يعلم سرهم ونجواهم﴾** ما يتناجون به فيما



إِلَّا جُهِدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ يَخِرَّ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ
 أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ
 لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا
 بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨٠﴾
 فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا
 أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا
 تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا
 يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً
 بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ
 مِنْهُمْ فَاسْتَعِذْ نَوْكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا
 وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ
 فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تَصِلْ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ

الفاستقون أي المتمردون الخارجين عن الطاعة، فإنهم لفسقهم لا يوفقون إلى الهداية الموصلة إلى المطلوب.

٨١ فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وهم الذين استأذنوا رسول الله ﷺ من المنافقين، فأذن لهم وخلفهم بالمدينة في غزوة تبوك، أي فرح المخلفون بمقعدهم بعد رسول الله ﷺ **وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله** وسبب ذلك الشح بالأموال والأنفس، وعدم الإيمان والإخلاص، وماهم فيه من النفاق **وقالوا لا تنفروا في الحر** قال المنافقون لإخوانهم هذا تشييطا لهم وتواصيا بينهم بالخالف لأمير الله ورسوله **نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون** والمعنى: أنكم أيها المنافقون كيف تفرون من هذا الحر اليسير ونار جهنم التي ستدخلونها خالدين فيها أبدا أشد حرا مما فررت منه وهو حر غير متناه أبدا الآبدن ودهر الدهرين.

٨٢ فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا والمعنى فليضحكون قليلا ويبكون كثيرا في الآخرة، كما كان يضحكون في الدنيا كثيرا: اتخذوا دينهم هزوا ولعبا، وذلك أمر محتم لا يكون غيره **جزاء بما كانوا يكسبون** من المعاصي.

٨٣ فإن رجعت الله إلى طائفة منهم إنما قال: إلى طائفة لأن منهم من تاب عن النفاق وندم على التخلف **فاستأذنوك للخروج** معك في غزوة أخرى بعد غزوتك هذه **فقل لهم لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا** عقوبة لهم، ولما في استصحابهم من الفساد **إنكم رضيتم بالقعود أول مرة** وهي غزوة تبوك **فاقعدوا مع الخالفين** والخالفون المراد بهم: من تخلف عن الخروج من المرضى والنساء والصبيان.

حاصل ما يقدر عليهم **سخر الله منهم** أهانهم وأذلهم وعذبهم. **٨٠ استغفر لهم أو لا تستغفر لهم** أي إن صدور الاستغفار منه للمنافقين وعدمه سواء، وذلك لأنهم ليسوا بأهل لاستغفاره ﷺ ولا للمغفرة من الله سبحانه لهم **إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم** أي إن الله لن يغفر لهم، وإن استغفرت لهم استغفاراً بالغاً في الكثرة غاية المبالغ **ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله** أي ذلك الامتناع سببه كفرهم بالله ورسوله **والله لا يهدي القوم**

بينهم من الطمع على النبي ﷺ وعلى أصحابه، وعلى دين الإسلام **وأن الله علام الغيوب** فلا يخفى عليه شيء، ومن جملة ذلك ما يصدر عن المنافقين. **٧٩ الذين يلزمون المطوعين** كانوا يعييون المسلمين إذا تطوعوا بشيء يسير من أموالهم وأخرجوه للصدقة، فكانوا يقولون: ما أغنى الله عن هذا، وإن تصدق أحد المؤمنين بشيء كثير، يقولون: ما فعلوا هذا إلا رياء، ولم يكن لله خالصا **والذين لا يجدون إلا جهدهم** لا يجدون إلا شيئا قليلا يتصدقون به هو

مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تَعْجَبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ
إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ
وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةً أَنْ ءَامِنُوا بِاللَّهِ
وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَعِذْنَاكَ أُولَئِذَا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا
ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ
الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَكِنَّ
الرَّسُولَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ
وَأَوْلِيَّكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ ۖ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾
أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ
لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ

٨٤ ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبدا﴾ عن ابن عباس قال: سمعت عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، يقول: لما توفي عبد الله بن أبي، دعي رسول الله ﷺ للصلاة عليه، فقام عليه، فلما وقف قلت: أغلى عدو الله عبد الله بن أبي القائل كذا وكذا، والقائل كذا وكذا، أعدد أيامه، ورسول الله ﷺ يبسم. حتى إذا أكثر قال: يا عمر، أخر عني، إني قد خيئت، قد قيل لي (استغفر لهم أولا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم) فلو أعلم أني إن زدت على السبعين غفر له لزدت عليها. ثم صلى عليه رسول الله ﷺ ومشى معه حتى قام على قبره حتى فرغ منه. يقول عمر: فعجبت لي ولجراتي على رسول الله ﷺ والله ورسوله أعلم، فوالله ما كان إلا ينسيرا، حتى نزلت هاتان الآيتان (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره) فاصلى رسول الله ﷺ على منافق بعد **﴿ولا تقم على قبره﴾** كان إذا دفن الميت وقف على قبره ودعا له، فنع هاهنا من أن يقف على قبر أي منافق ليدعو له **﴿وماتوا وهم فاسقون﴾** وصفهم بالفسق بعد وصفهم بالكفر، لأن الكافر قد يكون عدلا في دينه، والكذب والنفاق والخداع والجبن والخبث مستقبحة في كل دين.

٨٥ ﴿ولا تعجبك أموالهم﴾ تقدم تفسيرها (الآية ٥٥)

٨٦ ﴿وإذا أنزلت سورة﴾ قيل: هي هذه السورة، أي سورة براءة **﴿استأذنك أولو الطول منهم﴾** أي ذوو الفضل والسعة، وقيل: هم الرؤساء والكبراء المنظور إليهم **﴿وقالوا ذرنا نكن مع القاعد﴾** أي المتخلفين عن الغزو من المعذورين كالضعفاء والزمنى، فنقعد عن القتال معك.

الأعراب بما جاءوا به من الأعذار بحق أو بباطل لأجل أن يأذن لهم رسول الله ﷺ بالتخلف عن الغزو، وطائفة أخرى لم يعتذروا، بل قعدوا عن الغزو لغير عذر، وهم منافقوا الأعراب **﴿وقعد الذين كذبوا الله ورسوله﴾** ولم يؤمنوا ولا صدقوا: بايعوا النبي ﷺ على السمع والطاعة ثم تبين بتخلفهم من دون اعتذار أنهم كانوا كاذبين **﴿سيصيب الذين كفروا منهم﴾** أي من الأعراب، وهم الذين اعتذروا بالأعذار الباطلة، والذين لم يعتذروا، بل كذبوا بالله ورسوله.

٨٧ ﴿رضوا بأن يكونوا مع الخوالف﴾ أي إنهم لنفاقهم وما في قلوبهم من المرض والشك والجبن الخالغ لم يستنكفوا أن يبقوا خلاف رسول الله ﷺ مع النساء اللاتي يخلفن الرجال في القعود في البيوت **﴿فهم لا يفقهون﴾** بل هم كالأنعام.

٨٨ ﴿وأولئك لهم الخيرات﴾ وهي كل خير، فيشمل منافع الدنيا والدين، وقيل: الخيرات هن النساء الحسان في الجنة.

٩٠ ﴿وجاء المعذرون﴾ المعذر: هو الذي يعتذر ولا عذر له، اعتذروا بأعذار باطلة لا أصل لها. والمعنى: أنه جاء هؤلاء من

الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩١﴾ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ
وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ
إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٢﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ
لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ
تَفِضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يَنْفِقُونَ ﴿٩٣﴾
* إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَعِذُّونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ
رِضْوَانًا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ
فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٤﴾ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ
قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهَ مِنْ أَخْبَارِكُمْ
وَسِيرَى اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تَرَدُّونَ إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٥﴾ سَيَحْلِفُونَ

ولكتابيه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين،
وعاقتهم» **﴿ما على المحسنين من سبيل﴾**
أي ليس على المذورين الناصحين طريق
عقاب ومؤاخذه [ومثلهم غيرهم من
المحسنين] وثواب الغزو ثابت لهم لرغبتهم
إليه لولا أن حبسهم العذر عنه.

**٩٢ ﴿ولا على الذين إذا ما أتوك
لتحملهم﴾** هم نفر من الأنصار طلبوا منه
ما يركبونه من الدواب. وقيل: سألوه
الزاد. وقيل: لم يسألوه إلا النعال **﴿قلت
لا أجد ما أحملكم عليه﴾** أي إن من
جملة المذورين هؤلاء الذين أتوك
لتحملهم على ما يركبون عليه في الغزو،
فلم تجد ذلك الذي طلبوه منك **﴿وأعينهم
تفيض من الدمع﴾** أي تولوا عنك لما
قلت لهم: لا أجد ما أحملكم عليه، حال
كونهم باكين **﴿حزنا ألا يجدوا ما
ينفقون﴾** لا عند أنفسهم ولا عندك.

٩٣ ﴿إنما السبيل﴾ أي طريق العقوبة
والمؤاخذه **﴿على الذي يستأذنونك﴾** في
التخلف عن الغزو **﴿وهم أغنياء﴾** أي
يجدون ما يتجهزون به **﴿رضوا بأن
يكونوا مع الخوالف﴾** مع النساء
القاعدات في البيوت **﴿فهم﴾** بسبب هذا
الطبع **﴿لا يعلمون﴾** ما فيه الربح لهم
حتى يختاروه على ما فيه الخسران.

٩٤ ﴿يعتذرون إليكم﴾ إخبار عن
المنافقين بأنهم سوف يعتذرون إلى المؤمنين
إذا رجعوا من الغزو **﴿لن تؤمن لكم﴾**
أي لن نصدقكم **﴿قد نبأنا الله من
أخباركم﴾** أي لأن الله قد أعلمنا
بالوحي ما هو مناف لصدق اعتذاركم
﴿وسيرى الله عملكم ورسوله﴾ فيما بعد
هل تقلعون عما أنتم عليه الآن من الشر
أم تبقون عليه **﴿ثم تردون إلى عالم
الغيب والشهادة﴾** وهو الله تعالى فإنه
يعلم بكل شيء يقع منهم مما يكتُمونه، أو
يتظاهرون به.

يخالفها كائنا ما كان، ويدخل تحته
دخولا أوليا: نصح عباده، ومحبة
المجاهدين في سبيله، وبذل النصيحة لهم
في أمر الجهاد، وترك المعاونة لأعدائهم
بوجه من الوجوه؛ ونصيحة الرسول ﷺ:
التصديق بنبوته، وبما جاء به، وبطاعته
في كل ما يأمر به أو ينهى عنه، وموالاته
من والاه، ومعاذاة من عاداه، ومحبته،
وتعظيم سنته، وإحيائها بعد موته بما تبلغ
إليه القدرة. وقد ثبت في الحديث
الصحيح أن النبي ﷺ قال «الدين
النصيحة، ثلاثا، قالوا: لمن؟ قال الله،

٩١ ﴿ليس على الضعفاء﴾ وهم النساء
والصبيان **﴿ولا على المرضى﴾** وهم
أرباب الزمانة والهرم والعمى والعرج ونحو
ذلك، أي ليس عليهم حرج في تخلفهم
عن الخروج إلى الغزو، فإن أعذارهم
قائمة، وهذه أعذار قائمة بالبدن. ثم ذكر
العذر الراجع إلى المال لا إلى البدن،
فقال **﴿ولا على الذين لا يجدون ما
ينفقون حرج﴾** أبان أن الجهاد مع هذه
الأعذار ساقط عنهم غير واجب عليهم
﴿إذا نصحوا لله ورسوله﴾ والنصح لله:
الإيمان به، والعمل بشريعته، وترك ما



بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِنُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجَسٌ وَمَا وَلَّيْتُمْ لَهُمْ جَهَنَّمَ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُّ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَالْأَعْرَابُ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَىٰ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَىٰ لَهُمْ سَيَدْخُلُوهُمْ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٩﴾ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ وَالْأُولَوْنَ

٩٥ ﴿سَيُحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ سيؤكدون ما جاءوا به من الأعداء الباطلة، وغرضهم أن يعرض المؤمنون عنهم فلا يوبخونهم ولا يؤاخذونهم بالتخلف، ويظهرون الرضى عنهم ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ المراد تركهم، والمهاجرة لهم، لا الرضا عنهم والصفح عن ذنبهم ﴿إِنَّهُمْ رَجَسٌ﴾ جميع أعمالهم نجسة قبيحة، فهؤلاء لما كانوا هكذا كانوا غير متأهلين لقبول الإرشاد إلى الخير، والتحذير من الشر، فليس لهم إلا الترك.

٩٦ ﴿فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾ كما هو مطلوبهم مساعدة لهم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ المقصود نهي المؤمنين عن ذلك لأن الرضى على من لا يرضى الله عليه مما لا يفعله مؤمن.

٩٧ ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ كفرهم ونفاقهم أشد من كفر غيرهم ومن نفاق غيرهم، لأنهم أقسى قلبا، وأغلظ طبعا، وأجنى قولا، وأبعد عن سماع كتب الله وما جاءت به رسله. والأعراب هم: من سكن البوادي من العرب. فن استوطن القرى العربية فهو عربي، ومن نزل البادية فهو أعرابي ﴿وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ من الشرائع والأحكام لبعدهم عن مواطن الأنبياء وديار التنزيل.

٩٨ ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا﴾ يعتقد أن الذي ينفقه في سبيل الله غرامة وخسران، ولكنه ينفقه للرياء والتقية ﴿الدَّوَائِرَ﴾ الدائرة الحالة المنقلبة عن النعمة إلى البلية ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ جعل ما دعا به عليهم ماثلا لما أرادوه بالمسلمين، عليهم دائرة الهزيمة والشر، والعذاب والبلاء، والمكروه ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لما يقولونه ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يضمرونه.

٩٩ ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ هذا النوع الثاني من

الأعراب — أي: يصدق بها ﴿ويتخذ ما ينفق﴾ أي يجعل ما ينفقه في سبيل الله ﴿قربات﴾ وهي ما يتقرب به إلى الله سبحانه ﴿وصلوات الرسول﴾ [أي يتخذون صلوات الرسول وهو استغفاره ودعاؤه قربة لهم عند الله لعظيم إيمانهم بالله ورسوله] ﴿أَلَا إِنَّهَا قُرْبَىٰ لَهُمْ﴾ أي إن صدقاتهم وصلوات النبي ﷺ عليهم قربة لهم مقبولة عند الله تعالى ﴿سيدخلهم الله في رحمته﴾ [وهي المودة مع المؤمنين وما يصيبهم من الخير في الدنيا والجنة في الآخرة].

١٠٠ ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ وَالْأُولَوْنَ﴾ هذه شهادة من الله تعالى للسابقين من أصحاب النبي ﷺ وبشرى لهم بالجنة والفوز في الآخرة. وهي بشرى لمن سلك مسلكهم واتخذهم له قدوة، والسابقون هم: الذين صلوا القبليتين، أو الذين شهدوا بيعة الرضوان، أو أهل بدر، وأفضلهم الخلفاء الأربعة [بالترتيب] ثم الستة الباقون، ثم البديون، ثم أصحاب أحد، ثم أهل بيعة الرضوان بالحديبية. وإنما فضل السابقين لإيمانهم وإنفاقهم قبل انتشار الإسلام.

عذاب عظيم إلى الدرك الأسفل في النار.

١٠٢ «وآخرون اعترفوا بذنوبهم» أي ومن أهل المدينة قوم آخرون، تخلفوا عن الغزو لغير عذر مسوغ للتخلف، ثم ندموا على ذلك ولم يعتذروا بالأعذار الكاذبة، ورجوا أن يتوب الله عليهم **«خلطوا عملاً صالحاً»** ما تقدم من قيامهم بشرائع الإسلام، وخروجهم إلى الجهاد في سائر المواطن، والمراد بالعمل السيئ: تخلفهم عن هذه الغزوة، وقد أتبعوا هذا العمل السيئ عملاً صالحاً، وهو الاعتراف به والتوبة عنه **«إن الله غفور رحيم»** أي يغفر الذنوب ويتفضل على عباده.

١٠٣ «خذ من أموالهم صدقة» قيل: هي صدقة الفرض، وقيل: هي مخصوصة بهذه الطائفة المعترفة بذنوبها، لأنهم بعد التوبة عليهم عرضوا أموالهم على رسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية تأمره بأخذ بعض أموالهم لا كلها **«تطهرهم وتزكهم بها»** أي تزكهم يا محمد بالصدقة المأخوذة، والتطهير: إذهاب ما يتعلق بهم من أثر الذنوب، والتزكية: المبالغة في التطهير **«وصل عليهم»**: أي ادع لهم بعد أخذك لتلك الصدقة من أموالهم **«إن صلاتك سكن لهم»** والسكن: ما تسكن إليه النفس وتطمئن به.

١٠٤ «ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة» لاستغاثته عن طاعة المطيعين، وعدم مبالاته بمعصية العاصين **«ويأخذ الصدقات»** أي يتقبلها منهم، وهذا تشريف عظيم لهذه الطاعة ولمن فعلها.

١٠٥ «وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون» خطاب لهؤلاء التائبين وغيرهم. أي فسارعوا إلى أعمال الخير، وأخلصوا أعمالكم لله عز وجل [والعمل إذا كان صالحاً يعرفه المؤمنون].

اتَّبِعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠١﴾ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يَرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٢﴾ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٣﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٥﴾ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسِرِّي اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ

منافقون **«مردوا على النفاق»** أقاموا على النفاق وثبتوا عليه ثبوتاً شديداً، ومهروا فيه ولجوا ولم ينشئوا عنه، حتى خفي أمرهم على رسول الله ﷺ فكيف سائر المؤمنين؟ **«لا تعلمهم نحن نعلمهم»** أي لا تعلمهم أنت يا محمد بأعيانهم لمهارتهم في النفاق، ورسوخهم فيه على وجه يخفى على البشر، ولا يظهر لغير الله سبحانه **«سنعذبهم مرتين»** الفضيحة بانكشاف نفاقهم، والعذاب في الآخرة، وقيل المراد بالمرتين: المصائب في أموالهم وأولادهم [وأنفسهم] وعذاب القبر **«ثم يردون إلى**

والذين اتبعوهم بإحسان» اتبعوا السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وهم المتأخرون عنهم من الصحابة فمن بعدهم إلى يوم القيامة، إذا اتبعوهم بإحسان في الأفعال والأقوال اقتداء منهم بالسابقين الأولين **«رضي الله عنهم»** قبل طاعاتهم وتجاوز عنهم ولم يسخط عليهم **«ورضوا عنه»** بما أعطاهم من فضله.

١٠١ «وممن حولكم من الأعراب منافقون» وهؤلاء هم الذين حول المدينة من المنافقين **«ومن أهل المدينة»** قوم

وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَرُدُّونَ إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَآخَرُونَ مُرْجُونَ
لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا
وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
مِنْ قَبْلُ وَلِيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ
إِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ
عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ
يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿١٠٨﴾
أَفَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَى تَقْوَى مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ
أَمْ مَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارٍ بِهِ
فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾

﴿وَسَرُدُّونَ﴾ بعد الموت ﴿إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ إلى الله سبحانه الذي لا يخفى عليه شيء، ويستوي عنده كل معلوم، سواء أظهرتموه أم أخفيتموه.

١٠٦ ﴿وَأَخَرُونَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ﴾ وكانوا ثلاثة هم: كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع، كلهم من الأنصار، بقي أمرهم موقوفا في تلك الحال ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ﴾ إن بقوا على ما هم عليه ﴿وَأِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ إن تابوا توبة صحيحة، وأخلصوا إخلاصا تاما. وسيأتي في آخر السورة أن الله تعالى تاب عليهم.

١٠٧ ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾ هذه طائفة أخرى من المنافقين ابتنوا مسجدا، فقال لهم أبو عامر الراهب: ابنوا مسجدكم، واستمدوا بما استطعتم من قوة وسلاح، فإني ذاهب إلى قيصر ملك الروم، فأتي بجند من الروم، فأخرج محمدا وأصحابه. فلما فرغوا من مسجدهم، أتوا النبي ﷺ وقالوا: يا رسول الله: إنا بنينا مسجداً لذي العلة، والحاجة، والليلة الشاتية، والليلة المطيرة، وإنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه. قال: إني على جناح سفر، ولو قدمنا إن شاء الله أتيناكم فصلينا لكم فيه. ونزل عليه الوحي بخبرهم، فلما رجع من سفره دعا رجلين فقال: انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله، فاهدماه وحرقاه. فخرجا سريعين، وفيه أهله، فحرقاه وهدماه، وتفرقا عنه ﴿ضِرَارًا﴾ أي بقصد الضرر بالمؤمنين وإيقاع الأذى بهم ﴿وَكُفْرًا﴾ لأنهم أرادوا ببنيانهم تقوية أهل النفاق ﴿وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أرادوا ألا يحضروا مسجد قباء، فتقل جماعة المسلمين، وفي ذلك من اختلاف الكلمة وبطلان الألفة ما لا يخفى ﴿وَأِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ وهم المنافقون، ومنهم أبو عامر الراهب ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي

من قبل بناء مسجد الضرار ﴿وَلِيَحْلِفُنَّ﴾ من قبل بناء مسجد الضرار ﴿إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى﴾ أي وهي الرفق بالمسلمين ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ فيما حلفوا. ١٠٨ ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ المراد: النهي عن الصلاة فيه ﴿لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ هو مسجد قباء، وقيل: مسجد النبي ﷺ ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ من أيام تأسيسه ﴿أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾ أي لو كان القيام في مسجد المنافقين جائزا، لكان هذا أولى بقيامك فيه للصلاة ولذكر الله ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا﴾ أي في نار جهنم ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ في نار جهنم ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ أي في نار جهنم ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ في نار جهنم.

يتطهروا بالوضوء والغسل، يؤثرونه ويحرصون عليه عند عروض موجهه ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ من الأحداث والذنوب. ١٠٩ ﴿أَفَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ﴾ أي إن من أسس بنيانه [كما أسس مسجد قباء] على قاعدة قوية محكمة، وهي تقوى الله ورضوانه، خير ممن أسس على ضد ذلك، والجرف: ما ينجرف بالسيول، وهي الجوانب من الوادي التي تنجرف بالماء، والهار: المشرف على السقوط ﴿فَانْهَارَ بِهِ﴾ في نار جهنم ﴿فَانْهَارَ الْجُرُفُ بِالْبَنِيَانِ﴾ [وبانيه] في النار.



لَا يَزَالُ بُنْيَنُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ * إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمْ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقٌّ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ اتَّخَذُوا الْعَبِيدَ الْأَحْمَدُونَ السَّيِّحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَى قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ

يخلف الميعاد **﴿فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به﴾** أظهروا السرور بهذا البيع فقد رحمت فيه ربنا لم يربحه أحد من الناس إلا من فعل مثل فعلكم.

١١٢ **﴿التائبون﴾** هم الراجعون إلى طاعة الله عن الحالة المخالفة للطاعة **﴿العابدون﴾** القائمون بما أمروا به من عبادة الله مع الإخلاص و**﴿الحامدون﴾** الذين يحمدون الله سبحانه على السراء والضراء **﴿السائحون﴾** قيل: هم الصائمون، وقيل: المجاهدون **﴿الراكعون الساجدون﴾** المصلون **﴿الأمرون بالمعروف﴾** بما هو معروف في الشريعة **﴿والناهون عن المنكر﴾** هو ما ينكره الشرع **﴿والحافظون لحدود الله﴾** القائمون بحفظ شرائعه التي أنزلها في كتبه وعلى لسان رسوله **﴿وبشر المؤمنين﴾** الموصوفين بالصفات السابقة. عن ابن عباس قال: من مات على هذه التسعة فهو في سبيل الله.

١١٣ **﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين﴾** لما حضرت الوفاة أبا طالب دخل النبي ﷺ وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية، فقال النبي ﷺ أي عم قل: لا إله إلا الله، أحاج لك بها عند الله. فقال أبو جهل وعبد الله بن أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فجعل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، وأبو جهل وعبد الله يعاندانه بتلك المقالة، فقال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول لا إله إلا الله، فقال النبي ﷺ «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك» فنزلت **﴿ما كان للنبي﴾** الآية. وهذه الآية متضمنة لقطع الموالاة للكفار، وتحريم الاستغفار لهم، والدعاء بما لا يجوز لمن كان كافرا [والصلاة على جنازته استغفار نهي عنه أيضا] والقراءة في مثل هذا لا تأثير لها **﴿من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم﴾** لموتهم على الشرك.

بالأموال في الجهاد، وجاد الله عليهم بالجنة **﴿فَيُقْتَلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾** يقدمون على قتل الكفار في الحرب، ويبدلون أنفسهم في ذلك، فإن فعلوا فقد استحقوا الجنة، وإن لم يقع القتل عليهم بعد التعرض للموت بالإقدام على الكفار **﴿وعداً عليه﴾** حقا في التوراة والإنجيل والقرآن **﴿حقا﴾** إخبار من الله سبحانه أن استحقاق المجاهدين الجنة. قد ثبت الوعد بها من الله في كتبه المنزلة، التوراة، والإنجيل، كما وقع في القرآن **﴿ومن أوفى بعهده من الله﴾** لا أحد. وهو صادق الوعد لا

١١٠ **﴿لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم﴾** أي شكا ونفاقا، كان هؤلاء الذين بنوا مسجد الضرار منافقين شاكين في دينهم، ازدادوا يهدم رسول الله ﷺ لمسجدهم وإبطاله لكيدهم تصميا على الكفر، ومقتا للإسلام **﴿إلا أن تقطع قلوبهم﴾** إما بالموت أو بالسيف.

١١١ **﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم﴾** لما شرح الله تعالى فضائح المنافقين، بين هنا فضيلة الجهاد، فهؤلاء المجاهدون باعوا أنفسهم من الله بالجنة، فجادوا بأنفسهم، وجادوا

إِلَّا عَنْ مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ
تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ
قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ
بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ
وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ
وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ
يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ
رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّى
إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ
أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ
لِيتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ

١١٤ ﴿وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه﴾ عندما قال له (لأستغفرن لك) انظر سورة الممتحنة / ٤ وكان وعده قبل أن يتبين له أنه من أهل النار، ومن أعداء الله ﴿إن إبراهيم لأواه﴾ الأواه: المتضرع الخاضع، الذي إذا ذكر خطاياها تأوه منها، فيقول: آه من ذنوبي، آه مما أعاقب به بسببها ﴿حليم﴾ وهو الذي يصفح عن الذنوب، ويصبر على الأذى.

١١٥ ﴿حتى يبين لهم ما يتقون﴾ أي إن الله لا يوقع الضلال على قوم، بعد أن هداهم إلى الإسلام والقيام بشرائعه، مالم يقدموا على شيء من المحرمات بعد أن يتبين لهم أنه محرم، وأما قبل أن يتبين لهم ذلك فلا إثم عليهم ولا يؤاخذون به، أي فلا تستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى، فإن القرابة لا تنفعهم شيئاً، لأنه قد بين لهم ما يتقون، فلم يتقوا الله، ولم يؤمنوا.

١١٦ ﴿لقد تاب الله على النبي﴾ فيما وقع منه من الإذن في التخلف، أو الاستغفار للمشركين ﴿و﴾ على ﴿المهاجرين والأنصار﴾ فيما قد اقترفوه من الذنوب ﴿الذين اتبعوه﴾ فلم يتخلفوا عنه ﴿في ساعة العسرة﴾ هي غزوة تبوك [وهذا

سبب التوبة عليهم، فإن خروجهم للجهاد مع بعد المشقة، وقوة الأعداء وهم الروم، وقلة ذات اليد، وشدة الحر، كل ذلك فاسأوا عُسْرَتَهُ وتحملوا مشقته في سبيل الله لنشر الإسلام، وتقوية دولته فاستحقوا رفع الدرجات والتوبة والمغفرة، فرضي الله عنهم وأرضاهم] ﴿من بعدما كاد يزيغ قلوب فريق منهم﴾ موا بالتخلف عن الغزو لما هم فيه من الشدة العظيمة ﴿ثم تاب عليهم﴾ أي على الذين كادوا يتخلفون أو على الجميع.

١١٨ ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا﴾ أي

وتاب على الثلاثة الذين خلفوا: أي أخرؤا، ولم تقبل توبتهم في الحال كما قبلت توبة أولئك المتخلفين من أصحاب الأعذار المتقدم ذكرهم (انظر آية ١٠٦) لم يقبل النبي ﷺ توبتهم حتى نزل القرآن بأن الله قد تاب عليهم ﴿حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت﴾ لإعراض الناس عنهم، وعدم مكالتهم من كل أحد، لأن النبي ﷺ نهى الناس أن يكالموهم ﴿وضاقت عليهم أنفسهم﴾ ضاقت صدورهم بما نالهم من الوحشة، وبما حصل لهم من الجفوة ﴿وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه﴾ أي علموا أن لا ملجأ يلجئون إليه قط إلا إلى الله سبحانه بالتوبة والاستغفار ﴿ثم تاب عليهم ليتوبوا﴾ أي رجع عليهم بالقبول والرحمة ليستقيموا فيما يستقبل من الزمان إن فرطت منهم خطيئة ليتوبوا عنها ويرجعوا إلى الله فيها [هذا وإن قصة توبة الله تعالى على هؤلاء النفر الثلاثة الذين صدقوا النبي ﷺ ولم يكذبوه، ولم يعتذروا بعذر كاذب، بل أقروا بأنهم ما كان لهم عذر، وأنهم كانوا مخطئين بتخلفهم، هذه القصة فيها عبر وموعظة للمؤمنين، وقد



ءَامِنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ
الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ
رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ بِأَنَّهُمْ
لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
وَلَا يَطْعُونَ مَوْطِنًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ
نَيْلًا ۚ إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ
الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً
وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ
مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ * وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً
فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ
وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ

البطن **﴿في سبيل الله﴾** في طاعة الله
وجهاد أعدائه **﴿ولا يطأون موطئا يغيظ
الكفار﴾** أي لا يدوسون مكانا من أمكنة
الكفار بأقدامهم، أو بحوافر خيولهم
فيحصل بسبب ذلك الغيظ للكفار **﴿ولا
ينالون من عدو نيلا﴾** قتلا، أو أسرا، أو
هزعة، أو غنيمة **﴿إلا كتب لهم به عمل
صالح﴾** الحسنة المقبولة يجازيهم بها.
١٢١ **﴿ولا ينفقون نفقة﴾** وإن كان
شيئا صغيرا يسيرا **﴿ولا يقطعون واديا﴾**
كل منفرج بين جبال أو آكام **﴿إلا
كتب لهم﴾** أي كتب لهم ذلك الذي
عملوه من النفقة والسفر في الجهاد
﴿ليجزئهم الله﴾ به **﴿أحسن ما كانوا
يعملون﴾**.

١٢٢ **﴿وما كان المؤمنون لينفروا
كافة﴾** ويتركون المدينة خالية، بل ينفر
﴿من كل فرقة منهم طائفة﴾ من تلك
الفرقة، ويبقى من عداهم **﴿ليتفقها﴾** أي
ليتفق القاعدون **﴿في الدين﴾** والمعنى أن
طائفة من هذه الفرقة تخرج إلى الغزو،
ومن بقى من الفرقة يقفون لطلب العلم،
ويعلمون الغزاة إذا رجعوا إليهم من الغزو
[ويحتمل أن المراد: ليتفق الذين خرجوا
مع النبي ﷺ في الدين بما يسمعون من
النبي ﷺ ويتعلمونه منه من القرآن
وأحكام الدين في الجهاد والحرب
والتعامل وغيره، فيعلمون قومهم إذا
رجعوا إليهم].

١٢٣ **﴿قاتلوا الذين يلونكم من
الكفار﴾** أمر سبحانه المؤمنين بأن يجتهدوا
في مقاتلة من يليهم من الكفار، وأن
يأخذوا في حربهم بالغلظة والشدة،
والجهاد واجب لكل الكفار، وإن كان
الابتداء بمن يلي المجاهدين منهم أهم
وأقدم، ثم الأقرب فالأقرب **﴿واعلموا أن
الله مع المتقين﴾** يتصر من اتقاه فجاهد
في سبيله.

بخلاف غيرهم من العرب فإنهم لم
يستنفروا، مع كون هؤلاء لقربهم
وجوارهم أحق بالنصرة والمتابعة لرسول
الله ﷺ **﴿ولا يرغبوا بأنفسهم عن
نفسه﴾** أي وما كان لهم أن يشحوا بها
ويصونوها ولا يشحون بنفس رسول الله
ويصونونه، بل واجب عليهم أن يكابدوا
معه المشاق، ويجاهدوا بين يديه أهل
الشقاق، ويبذلوا أنفسهم دون نفسه
﴿ذلك﴾ من وجوب المتابعة، والظما:
العطش، والنصب: التعب، والمخمصة:
المجاعة الشديدة التي يظهر عندها ضمور

بئسها كتب السيرة النبوية ودواوين
الحديث، فليرجع إليها].

١١٩ **﴿وكونوا مع الصادقين﴾** فيه
الإشارة إلى أن هؤلاء الثلاثة حصل لهم
بالصدق ما حصل من توبة الله.

١٢٠ **﴿ما كان لأهل المدينة﴾** أي ما
صح وما استقام لأهل المدينة **﴿ومن
حولهم من الأعراب﴾** كمزينة، وجهينة،
وأشجع **﴿أن يتخلفوا عن رسول الله﴾**
ﷺ أي ليس لهم إذا خرج النبي ﷺ إلى
الجهاد بنفسه أن يتخلف عنه منهم أحد
بغير أمره ﷺ في غزوة تبوك وغيرها،

وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾
وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ
هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ
يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ
رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوْ لَا يَرْوْنَ
أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ
وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ
إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَيْنَا مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ
قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ
مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ
رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾

١٢٤ ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ﴾ أي من المنافقين ﴿مَّن يَقُولُ﴾ لاخوانه منهم ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ﴾ السورة النازلة ﴿إِيمَانًا﴾ يقولون هذا استهزاء بالمؤمنين ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [أي زادهم نزول السورة إيماناً بالله تعالى وتصديقاً بكتابه وأخباره لما فيها من المواعظ والدلالات، ويزيدهم ما فيها من التكاليف عملاً وجهاداً فيزداد إيمانهم بزيادة أعمالهم في طاعة الله] ﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ بنزول الوحي وما يشتمل عليه من المنافع الدينية والدنيوية.

١٢٥ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ وهم المنافقون ﴿فَزَادَتْهُمْ﴾ السورة المنزلة ﴿رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾ أي خبثاً إلى خبثهم الذي هم عليه من الكفر وفساد الاعتقاد، فتشددوا فيه، ورسخوه في أنفسهم، واستمروا عليه إلى أن ماتوا كفاراً منافقين.

١٢٦ ﴿يُفْتَنُونَ﴾ يختبرون، أو يبتليهم الله سبحانه بالقحط والشدة، وبالأفراض والأوجاع، أو بأمرهم بالغزو والجهاد مع النبي ﷺ ﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ﴾ بسبب ذلك ﴿وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ وهذا تعجيب من حال المنافقين وتصلبهم في النفاق.

١٢٧ ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ أي نظر بعض المنافقين إلى البعض الآخر قائلين ﴿هَلْ يَرَأُونَا مِنْ أَحَدٍ﴾ من المؤمنين لننصرف عن المقام الذي ينزل فيه الوحي، فإنه لا صبر لنا على استماعه، ولنتكلم بما نريد من الطعن والسخرية ﴿ثُمَّ انصَرَفُوا﴾ عن ذلك المجلس إلى منازلهم، أو عما يقتضي الهداية والإيمان إلى ما يقتضي الكفر والنفاق ﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ أي صرفها عن الخير وما فيه الرشد لهم والهداية وخذلهم ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ أي لا يفهمون ما يسمعون لعدم تدبرهم

وإنصافهم. ١٢٨ ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ﴾ يامعشر العرب ﴿رَسُولٌ﴾ أرسله الله إليكم له شأن عظيم ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ من جنسكم في كونه عربياً، ولم يكن من العرب قبيلة إلا ولها على النبي ﷺ ولادة، مُضَرِّيَّهَا ورَبِيعِيَّهَا وِجَانِيَّهَا: أي قد ولدتموه يامعشر العرب. وقال الزجاج: هي خطاب لجميع العالم أي هو من جنس بني آدم أرسل إليهم رحمة بهم ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ شاق عليه عنيتكم، والعنت: التعب لهم والمشقة عليهم بعذاب الدنيا، أو بعذاب الآخرة بالنار ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي شحيح عليكم بأن تدخلوا النار، أو حريص على إيمانكم ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ منكم أيها العرب أو الناس ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾. ١٢٩ ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أي أعرضوا عنك ولم يعملوا بما جئت به ولا قبلوه ﴿فَقُلْ﴾ ياعلمد ﴿حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ أي يكفيني الله سبحانه المنفرد بالألوهية عن أن أحتاج إلى الاعتماد على غيره أو الالتجاء إلى أحد سواه ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ أي فوضت جميع أموري ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ لأنه أعظم المخلوقات.

(١٠) سُورَةُ يُونُسَ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّانَهَا تِسْعٌ وَثَانَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ
لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ
النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ
رَبِّهِمْ ﴿٢﴾ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٣﴾
إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ
أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ
إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ
أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا

اختلفوا فيه .

سُورَةُ يُونُسَ

١ **الر** تقدم الكلام على الحروف الواقعة في أوائل السور في أول سورة البقرة **تلك** أي ماتضمنته هذه السورة من الآيات **آيات الكتاب** وهو القرآن **الحكيم** المحكم بالحلال والحرام والحدود والأحكام، وقيل: الحكيم ذو الحكمة لاشتيماله عليها. وقيل: الحكيم هنا الحاكم، كقوله تعالى (وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما

٢ **أكان للناس عجباً** لإنكار التعجب مع ما يفيد من التقرير والتوبيخ للمعترضين على القرآن. والمعنى: أكان يحاؤنا إليك الكتاب عجباً للناس **إلى رجل منهم** وليس في هذا الإيحاء إلى رجل من جنسهم ما يقتضي العجب، فإنه لا يلبس الجنس ويرشده ويخبره عن الله سبحانه إلا من كان من جنسه، ولو كان من الملائكة أو من الجن يتعذر المقصود حينئذ من الإرسال، لأنهم لا يأنسون إليه. هذا إن كان العجب منه

لكونه رسولا من جنسهم. أما أن العجب لكونه يتيماً أو فقيراً فذلك لا يمنع من كان كذلك أن يكون جامعاً لخصال الخير والكمال والشرف مما يؤهله ليكون محلاً للرسالة. وقد كان لرسول الله ﷺ قبل أن يصطفيه الله بإرساله، من خصال الكمال عند قريش، ما هو أشهر من الشمس، حتى كانوا يسمونه الأمين **أن أنذر الناس** أي بلغهم على سبيل التحذير لهم بما يأتي في السورة **قدم صدق** أي منزل صدق، ودرجة عالية فيه، وقيل: القدم المتقدم في الشرف السابق في الصدق، وقيل: القدم كل ما قدمت من خير، أي إن لهم أعمالاً صالحة قدموها أمامهم ليوم المعاد **قال الكافرون إن هذا** الرجل **ساحر مبين** .

٣ **إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام** أي له هذا الاقتدار العظيم، فكيف يكون إرساله لرسول إلى الناس من جنسهم محلاً للتعجب؟ **يدبر الأمر** يقضي ويقدر وحده أحوال ملكوت السماوات والأرض والعرش وسائر الخلق **ما من شفيع إلا من بعد إذنه** ليس لأحد أن يشفع إليه في شيء إلا بعد إذنه، لأنه أعلم بموضع الحكمة والصواب، وفي هذا بيان لاستبداده بالأمور في كل شيء سبحانه وتعالى **فاعبدوه** لبديع صنعه وعظيم اقتداره **أفلا تذكرون** لأن من له أدنى تذكروا وأقل اعتبار يعلم بهذا ولا يخفى عليه .

٤ **إليه مرجعكم جميعاً** هذا من الإنذار الذي أجل في أول السورة والتبشير بما بعد هذا **وعد الله حقاً** أي إرجاعه إياكم إليه وعد منه صادق، والمعنى أن إعادة حشر البشر جميعاً إلى الله عز وجل بعد موتهم وبعثهم موعد من الله صادق لن يخلفه .

إِنَّهُ رَبُّكَ يُبَدِّئُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٥﴾ هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٨﴾ أُولَٰئِكَ مَا لَهُمْ أَلْهَاءٌ مِّمَّنْ كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَتِهِمْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٠﴾ دَعْوَتُهُمْ

﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾ من التراب ﴿ثم يعيده﴾ إلى الحياة بعد أن يموت، لأجل الجزاء يوم القيامة ﴿بِالْقِسْطِ﴾ العدل الذي لا جور فيه ﴿مِنْ حَمِيمٍ﴾ الحميم: الماء الحار.

٥ ﴿جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ الضياء: ما كان من ذات الشيء، كضوء النار والسراج، والنور: ما كان مستفاداً من غير الذات بالانعكاس، كانعكاس النور عن المرآة، ونور القمر مستفاد من ضوء الشمس ﴿وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ﴾ أي قدر مسيره في منازل، ومنازل القمر هي المسافة التي يقطعها في يوم وليلة بحركته الخاصة به، وجملتها ثمانية وعشرون [منزلة، يعرفها أهل الفلك والتقاوم] ينزل القمر في كل ليلة منها منزلاً لا يتخطاه، فيبدو صغيراً في أول منزله، ثم يكبر قليلاً قليلاً حتى يبدو كاملاً، وإذا كان في آخر منزله رق واستقوس، ثم يستتر ليلتين أو ليلة ﴿لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ﴾ ولولا هذا التقدير لم يعلم الناس بذلك، ولا عرفوا ما يتعلق به كثير من مصالحهم [وفي هذا دعوة لتعلم الفلك النافع وحساب التقاوم الزمنية] والاختلاف بين السنة الشمسية والقمرية معروف ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾

[أي ما خلق السماوات والأرض وقدر ما فيها أحسن تقدير إلا لتعلم عظمته وقدرته وحكمته فيعبد].

٦ ﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ تقدم تفسير هذا الاختلاف ﴿سُورَةُ الْبَقَرَةِ/ ١٦٤﴾ ﴿لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ يعنون النظر والتفكر في مخلوقات الله سبحانه حذراً منهم عن الوقوع في شيء مما يخالف مراد الله سبحانه، ونظراً لعاقبة أمرهم، وما يصلحهم في معادهم.

٧ ﴿لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ لا يتوقعون لقاءنا، فهم لا يخافونه ولا يطمعون فيه

تحتهم الأنهار﴾ من تحت بساطتهم أو من بين أيديهم لأنهم على سرر مرفوعة. ١٠ ﴿دَعَاؤُهُمْ فِيهَا﴾ أي: دعاؤهم ونداؤهم في الجنة قولهم: ﴿سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾ والمعنى إن دعاءهم الذي يدعون به في الجنة هو تسبيح الله وتقديسه ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ أي تحية بعضهم لبعض، أو تحية الله، أو الملائكة لهم ﴿وَأَخْرَجَهُمُ اللَّهُ أَنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي وخاتمة دعائهم الذي هو التسبيح أن يقولوا: الحمد لله رب العالمين.

﴿وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ عن الآخرة ﴿وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا﴾ أي سكنت أنفسهم إليها وفرحوا بها ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَاتِنَا غَافِلُونَ﴾ لا يعتبرون بها ولا يتفكرون فيها.

٨ ﴿أُولَٰئِكَ مَا لَهُمْ أَلْهَاءٌ مِّمَّنْ كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي بسبب ما كانوا يكسبون من الكفر والتكذيب بالمعاد.

٩ ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾ يرزقهم الهداية بسبب الإيمان والعمل الصالح، فيصلون بذلك إلى الجنة ﴿تَجْرَى مِنْ



فِيهَا سُبْحَنَكَ اللَّهُمَّ وَنَحْيَتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ۖ وَءَاخِرُ دَعْوَاهُمْ
 أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١﴾ وَلَوْ يَعْجَلُ اللَّهُ
 لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَفُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ ۚ
 فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٢﴾
 وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا
 فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ
 مَسَّهُ ۚ كَذَلِكَ زِينٌ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾
 وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ
 رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا ۚ كَذَلِكَ نَجْزِي
 الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ
 مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ
 آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا آتَتْ بِقُرْءَانٍ

الأحوال المذكورة وغيرها **﴿ فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضره ﴾** مضى على طريقته التي كان عليها قبل أن يمسه الضر، ونسي حالة الجهد والبلاء، ونسي موقف الدعاء والضرع لا يرجع إليه كأنه لا عهد له به. وهذه الحالة تتفق لكثير من المسلمين: تلين أسنتهم بالدعاء عند نزول ما يكرهون به، فإذا كشفه الله غفلوا، وذهلوا عما يجب عليهم من شكر النعمة من إجابة دعائهم، ورفع الضر ودفع المكروه. اللهم أوزعنا شكر نعمك وأذكّرنا الأحوال التي مننت علينا فيها بإجابة الدعاء حتى نستكثر من الشكر، وما أغناك عنه وأحوجنا إليه **﴿ كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون ﴾** زين لهم الإعراض عن الدعاء، والغفلة عن الشكر، والاشتغال بالشهوات.

١٣ ﴿ ولقد أهلكنا القرون من قبلكم ﴾ الأمم الماضية أهلكناها حين فعلوا الظلم بالتكذيب، والتجرؤ على الرسل، والتطاول في المعاصي **﴿ وجاءتهم رسلهم بالبينات ﴾** وقد جاءتهم رسلهم الذين أرسلناهم إليهم: بالآيات الواضحات الدلالة على صدق الرسل **﴿ وما كانوا ليؤمنوا ﴾** وما صح لهم وما استقام أن يؤمنوا لعدم استعدادهم لذلك وسلب الألفاف عنهم **﴿ كذلك نجزي القوم المجرمين ﴾** وهذا وعيد شديد لكفار مكة. **١٤ ﴿ ثم جعلناك خلائف ﴾** أي استخلفناكم في الأرض بعد تلك القرون التي تسمعون أخبارها، وتظنون آثارها **﴿ لننظر كيف تعملون ﴾** من أعمال الخير أو الشر.

١٥ ﴿ وإذا تلى عليهم آياتنا بينات ﴾ والمراد: الآيات التي في الكتاب العزيز الدالة على إثبات التوحيد وإبطال الشرك.

تعالى ورحمته البالغة [وقد دعا أهل مكة فقالوا: «إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم» فلم يستجب دعاءهم لحكمته فيما قدر لهم **﴿ في طغيانهم يعمهون ﴾**: أي تركهم يتحيرون في تطاولهم وتكبرهم وعدم قبولهم للحق [يقولون لو كان القرآن حقا فقد دعونا الله أن يطر علينا الحجارة، فلما لم يفعل علمنا أنه ليس بحق].

١٢ ﴿ دعانا لجنبه ﴾ مضطجعا ﴿ أو قاعدا أو قائما ﴾ وكأنه قال: دعانا في جميع

١١ ﴿ ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير ﴾ أي: لو عجل الله للناس العقوبة، كما يتعجلون بالثواب والخير **﴿ لفضي إليهم أجلهم ﴾**: أي ماتوا، وقيل: المعنى لو فعل الله مع الناس في إجابته [إياهم دعاءهم على أنفسهم وأموالهم وأهلهم بالشر] مثل ما يريدون فعله معهم في إجابته إلى الخير لأهلكهم [فإن كثيرا من الناس يدعو بالموت والهلاك على نفسه أو غيره ويستعجل ذلك] ولكنه سبحانه لم يعجل لهم الشر فأمهلوا [وذلك لحلمه

غَيْرَ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَائِي
نَفْسِي إِنْ أَتَّبَعُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ
عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ
مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ
عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن
افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ
الْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ
وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَتُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ
أَتَدْعُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ
سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ النَّاسُ
إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ
لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ

﴿قال الذين لا يرجون لقاءنا﴾ وهم المنكرون للمعاد ﴿أنت بقرآن غير هذا﴾ القرآن الذي فيه ذم عبادة الأوثان ﴿أو بدله﴾ بنسخ بعض آياته أو كلها، ووضع أخرى مكانها مما يلائم غرضهم ﴿ما يكون لي﴾ ما ينبغي لي ولا يحل لي ﴿أن أبدله من تلقاء نفسي﴾ أى بل الأمر إلى الله تعالى إن شاء أن يأمر بتبديله، فليس إليّ من الأمر شيء ﴿إن أتبع إلا ما يوحى إلي﴾ من عند الله سبحانه من غير تبديل ولا تحويل ولا تحريف ﴿إني أخاف إن عصيت ربي﴾ بفعل ما تطلبون على تقدير إمكانه ﴿عذاب يوم عظيم﴾ هو يوم القيامة.

١٦ ﴿قل لو شاء الله ما تلوته عليكم﴾ ولو شاء الله ألا أتلهو عليكم، ولا أبلغكم إياه ما تلوته ﴿ولا أدراكم به﴾ أي ولو شاء الله ما أدراكم بالقرآن: أى ما أعلمكم به على لساني ﴿فقد لبثت فيكم عمرا من قبله﴾ أي زمانا طويلا، وهو أربعون سنة من قبل القرآن، تعرفونني بالصدق والأمانة، لست ممن يقرأ ولا ممن يكتب، وعدم قراءتي للكتب المنزلة على الرسل، وتعلمي لما عند أهلها من العلم، ولا طلبي لشيء من هذا الشأن ولا حرصي عليه، ثم جثتكم بهذا الكتاب الذي عجزتم عن الإتيان بسورة منه، وقصرتم عن معارضته، وأنتم العرب المشهود لهم بكمال الفصاحة.

١٧ ﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا﴾ لما طلبوا منه أن يأتي بقرآن غير هذا القرآن، أو يبدله، بين لهم أنه لو فعل ذلك لكان من الافتراء على الله، ولا ظلم مماثل ذلك ﴿إنه لا يفلح المجرمون﴾ لا يظفرون بمطلوب.

١٨ ﴿ويعبدون من دون الله﴾ أى متجاوزين الله إلى عبادة غيره لا بمعنى ترك عبادته بالكلية ﴿مالا يضرهم ولا

ينفعهم﴾ ومن الحق أن يكون المعبود نافعا ضارا إذا شاء، وإلا فما فائدة عبادته إن كان عاجزا ﴿ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ زعموا أنهم يشفعون لهم عند الله، فلا يعذبهم بذنوبهم، ويزعمون أن آلهتهم تتوسط لهم عند الله في إصلاح أحوال دنياهم ﴿قل أنبئوا الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض﴾ المعنى: الله سبحانه لا يعلم لنفسه شريكا ولا شفيعا بغير إذنه من جميع مخلوقاته الذين هم في سماواته وفي أرضه.

١٩ ﴿وما كان الناس إلا أمة واحدة﴾ ٢٠ ﴿ويقولون لولا أنزل عليه آية من

موحدة لله سبحانه مؤمنة به ﴿فاختلفوا﴾ فصار البعض كافرا، وبقي البعض الآخر مؤمنا، فخالف بعضهم بعضا ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ وهي أنه لا يقضي بينهم فيما اختلفوا فيه إلا يوم القيامة ﴿لقضي بينهم﴾ في الدنيا ﴿فيما﴾ هم ﴿فيه يختلفون﴾ لكنه امتنع ذلك بالكلمة التي لا تتخلف، وقيل: الكلمة أنه لا يأخذ أحدا إلا بحجة، وهي إرسال الرسل كما قال تعالى: وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا.

عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ۖ فَقُلْ إِنَّمَا الْغِيبُ لِلَّهِ فَاَنْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَّسْتَهْمٍ إِذَا لَهُمْ مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ الَّذِي يُسِيرُكُم فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أُنْجِيتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّا أُنْجِيتَهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَتَأَيَّاهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ

لهم لينتفعوا بها، ويركبون ما خلقه الله لركوبهم من الدواب، وألهمهم لعمل السفائن التي يركبون فيها في لجج البحر ﴿حتى إذا كنتم في الفلك﴾ هي السفن ﴿وجرين﴾ أي السفن ﴿بهم﴾ أي بالراكبين عليها ﴿بريح طيبة﴾ تسوق سفنهم وليست بعاصفة ﴿جاءتها ريح عاصف﴾ العُصوف: شدة هبوب الريح ﴿وجاءهم الموج من كل مكان﴾ أي من جميع الجهات ﴿وظنوا أنهم أحيط بهم﴾ أي غلب على ظنونهم الهلاك ﴿ودعوا الله﴾ أي توجهوا في تلك الحال إلى الله بالدعاء لعلهم أنه على إنجائهم قادر ﴿مخلصين﴾ أي لم يشوبوا دعاءهم بشيء من الشوائب، كما جرت عادتهم — في غير هذا الموطن — أنهم يشركون أصنامهم في الدعاء، وفي هذا دليل على أن الخلق جبلوا على الرجوع إلى الله في الشدائد، وأن المضطر يجاب دعاؤه وإن كان كافرا ﴿لئن أنجيتنا من هذه﴾ المحنة، يقسمون قائلين ذلك.

٢٣ ﴿فلما أنجاهم﴾ الله من هذه المحنة وأجاب دعاءهم ﴿إذا هم يبغون في الأرض﴾ يفسدون فيها وينسون ما دعوا وحلفوا وعاهدوا الله عليه ﴿بغير الحق﴾ بغير شبهة عندهم، بل تمردا وعنادا ﴿يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم﴾ أي إن ما يقع من البغي على الغير هو بغي على نفس الباغي باعتبار ما يؤول إليه الأمر من الانتقام منه مجازاة على بغيه. تتمتعون بالبغي ﴿متاع الحياة الدنيا﴾ أي في زمنها فقط ﴿ثم إلينا مرجعكم﴾ المعنى: أنكم بعد هذه الحياة الدنيا ومتاعها ترجعون إلى الله ﴿فننبئكم بما كنتم تعملون﴾ فنخبركم بما كنتم تعملون في الدنيا من خير، ونجازيكم عليه. عن مكحول قال: ثلاث من كنّ فيه كنّ عليه: المكر، والبغي، والنكث.

الضراء بالجذب وضيق المعاش، فما شكروا نعمته، ولا قدروها حق قدرها، بل أضافوها إلى أصنامهم التي لا تنفع ولا تضر، وطعنوا في آيات الله، واحتالوا في دفعها بكل حيلة ﴿قل الله أسرع مكرًا﴾ أي أعجل عقوبة ﴿إن رسلنا يكتبون ما تَمْكُرُونَ﴾ وهم الملائكة يكتبون مكر الكفار، لا يخفى ذلك على الملائكة الذي هم الحفظة، فكيف يخفى على العليم الخبير؟

٢٢ ﴿هو الذي يسيركم في البر والبحر﴾ يشون على أقدامهم التي خلقها

ربه﴾ هم أهل مكة، كأنهم لم يعتدوا بما قد نزل على رسول الله ﷺ من الآيات الباهرة، والمعجزات القاهرة، فطلبوا منه آية كإحياء الأموات، وجعل الجبال ذهبا، ونحو ذلك ﴿فقل إنما الغيب لله﴾ أي إن نزول الآية غيب، والله هو المختص بعلمه، لا علم لي به، ولا لكم، ولا لسائر مخلوقاته ﴿فانتظروا﴾ نزول ما اقترحموه.

٢١ ﴿إذا لهم مكر في آياتنا﴾ وسع عليهم في الأرزاق، وأدرّ عليهم النعم بالمطر وصلاح الثمار، بعد أن مستهم

أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا
يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ
زُخْرُفَهَا وَازَيَّنَّتْ وَظَنَّ أَهْلِهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا أَنهَآ
أَمْرًا نَالِيًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ
بِالْأَمْسِ ۚ كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾
وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ * لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ
وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ
هُم فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ
سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرَهَّقُ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ
كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُولَٰئِكَ
أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا

﴿٢٤﴾ **إنما مثل الحياة الدنيا كماء** لما ذكر الله متاع الدنيا، جاء بكلام مستأنف يتضمن بيان حالها وسرعة تقضيها. والمعنى: أن مثلها في سرعة الذهاب، مثل ما على الأرض من أنواع النبات في زوال رونقه وذهاب بهجته وسرعة تقضيه **﴿فاختلط به نبات الأرض﴾** اشتبك بعض أنواعه ببعض حتى بلغ إلى حد الكمال **﴿مما يأكل الناس والأنعام﴾** من الحبوب والثمار والكلأ **﴿أخذت الأرض زخرفها﴾** أخذت لونها الحسن المشابه بعضه للون الذهب، وبعضه للون الفضة، وبعضه للون الباقوت، وبعضه للون الزمرد **﴿وازينت﴾** تزينت. شبهها بالمرأة التي تلبس الثياب الجيدة، المتلونة ألوانا كثيرة، والحلي، وتتصنع لتلفت الأنظار **﴿وظن أهلها أنهم قادرون عليها﴾** على حصادها والارتفاع بها **﴿أناها أمرنا﴾** بإهلاكها واستئصالها وضربها ببعض العاهات **﴿فجعلناها حصيدا﴾** أي جعلنا زرعها شبيها بالمحصول في قطعه من أصوله **﴿كان لم تغن﴾** كان لم يكن زرعها فيها **﴿بالأمس﴾** مخضرا طريا **﴿كذلك﴾** أي مثل ذلك التفصيل البديع **﴿ن فصل الآيات﴾** القرآنية التي من جملتها هذه الآية **﴿لقوم يتفكرون﴾** فيما اشتملت عليه.

﴿٢٥﴾ **والله يدعو إلى دار السلام** لما بين الله تعالى لعباده قيمة الحياة الدنيا وسرعة تغيرها وزوالها [رغبهم في الدار الآخرة، ودار السلام الجنة، هي دار السلامة من الآفات.

﴿٢٦﴾ **للذين أحسنوا الحسنى** للذين أحسنوا القيام بما أوجه الله عليهم من الأعمال، والكف عما نهاهم عنه من المعاصي، المشوبة الحسنى، وهي الجنة **﴿وزيادة﴾** والزيادة التفضل بالنظر إلى وجه الله الكريم. وأخرج أحمد ومسلم

والحسرة والندامة.

﴿٢٧﴾ **جزاء سيئة بمثلها** أي يجازي سيئة واحدة بسيئة واحدة، لا يزداد عليها بل يماثلها في الصغر والكبر **﴿وترهقهم ذلة﴾** يغشاهم هوان وخزي **﴿ما لهم من الله من عاصم﴾** أى لا يعصمهم أحد كائن من كان من سخط الله وعذابه **﴿كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلمًا﴾** لشدة ما يغشاهم من دخان النار وسوادها **﴿أولئك أصحاب النار﴾** لا انفكاك لهم عنها. **﴿٢٨﴾** **ويوم نحشرهم جميعا** يحشر العابد

عن صهيب: أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية وقال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى مناد: يا أهل الجنة: إن لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه، فيقولون: وما هو؟ ألم يثقل موازيننا، ويبيض وجوهنا، ويدخلنا الجنة، ويزحزحنا عن النار؟ قال: فيكشف لهم الحجاب فينظرون إليه، فوالله ما أعطاهم الله شيئا أحب إليهم من النظر إليه، ولا أقر لأعينهم» **﴿ولا يرهق وجوههم قتر﴾** لا يعلو وجوههم سواد الوجوه، ولا دخان النار من الخزي



ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ فَزَيَّلْنَا
 بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾
 فَكُنِيَ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ
 لَغَافِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا
 إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾
 قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ
 السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ
 الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ
 أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ
 الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ حَقَّتْ
 كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾
 قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ

الآلهة، فلم تنفع، ولم تشفع.
 ٣١ ﴿من يرزقكم من السماء﴾ بالمطر
 ﴿ومن﴾ من الأرض ﴿بالنبات والمعادن،
 فلا بد أن يعترفوا بأن الله هو الذي
 خلقهما﴾ أم من يملك السمع
 والأبصار ﴿أي من يستطيع ملكهما
 وتسويتها على هذه الصفة العجيبة،
 والخلقة الغريبة، حتى ينتفعوا بهما هذا
 الانتفاع العظيم﴾ ومن يخرج الحي من
 الميت الإنسان من النطفة، والطيور من
 البيضة، والنبات من الحبة ﴿ويخرج
 الميت من الحي﴾ أي النطفة من الإنسان
 ﴿ومن يدبر الأمر﴾ أي يقدره ويقضيه
 ﴿فسيقولون الله﴾ سيكون قولهم أن
 الفاعل لهذه الأمور هو الله، إن أنصفوا
 وعملوا على ما يوجبه الفكر الصحيح
 والعقل السليم ﴿أفلا تتقون﴾ أي تعلمون
 ذلك، أفلا تتقون الله الذي يفعل هذه
 الأفعال، فتزدوه بالعبادة.

٣٢ ﴿فذلكم الله ربكم الحق﴾ أي هذا
 هو الرب الحقيقي، لا ما جعلتموهم
 شركاء له، لا يقدرون على شيء ﴿فإذا
 بعد الحق إلا الضلال﴾ ثبوت ربوبية
 الرب سبحانه حق بإقرارهم، فكان غيره
 باطلا ﴿فأني تصرفون﴾ أي كيف
 تستجيزون العدول عن الحق الظاهر،
 وتقعون في الضلال فتخذون غيره رباً.

٣٣ ﴿كذلك حقت كلمة ربك﴾ أي
 حكمة وقضاؤه ﴿على الذين فسقوا﴾ أي
 خرجوا من الحق إلى الباطل، وتمردوا في
 كفرهم عنادا ومكابرة ﴿أنهم لا يؤمنون﴾
 هذه هي الكلمة التي حقت عليهم.

٣٤ ﴿قل هل من شركائكم من يبدأ
 الخلق ثم يعيده﴾ بالبعث بعد الموت،
 ﴿قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده﴾ أي لا
 جواب لكم غير هذا، ولن تدعوا ذلك
 للشركاء ﴿فأني توفكون﴾ تصرفون عن
 الحق إلى غيره.

والمعبود لسؤالهم ﴿ثم نقول للذين
 أشركوا﴾ تقريرا لهم على رؤوس الأشهاد
 مع حضور معبوداتهم ﴿مكانكم﴾ أي قفوا
 في موضعكم ﴿أنتم وشركاءكم﴾ أنتم
 والذين اتخذتموهم آلهة مع الله ﴿فزيلنا
 بينهم﴾ أي فرقنا المعبودين عن عابديهم
 ﴿وقال شركاءهم ما كنتم إيانا
 تعبدون﴾ أي لم تأمركم بعبادتنا، وإنما
 عبدتم هواكم وضلالكم، وشياطينكم
 الذين أغووكم، أمروكم بعبادتنا
 فأطعتموهم، فمعناه إنكار عبادتهم إياهم
 عن أمرهم لهم بالعبادة.

٢٩ ﴿فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم﴾
 أي إن الله يشهد أننا ما كنا أمرناكم
 بعبادتنا، أو رضينا ذلك منكم ﴿إن كنا
 عن عبادتكم لغافلين﴾ لم نكن نشعر
 أنكم تعبدوننا، ولا طلبنا ذلك منكم.

٣٠ ﴿هنالك تبلو كل نفس ما
 أسلفت﴾ أي في ذلك الموقف تذوق كل
 نفس وتختبر جزاء ما أسلفت من العمل
 ﴿ورددوا إلى الله مولاهم الحق﴾ رد الذين
 أشركوا إلى ربهم الصادق الربوبية
 دون ما اتخذوه من المعبودات الباطلة
 ﴿وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ من

قُلِ اللَّهُ يَهْدِي الْأَخْلَاقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ فَأَنْتَ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾
 قُلِ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ
 يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ
 لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾
 وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ
 شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَذَا
 الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي
 بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ
 الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلِ فَأْتُوا بِسُورَةٍ
 مِثْلِهِ ۚ وَادْعُوا مِنْ أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ
 صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ ۚ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ
 تَأْوِيلُهُ ۚ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ

٣٥ ﴿قُلِ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ يرشد إلى دين الإسلام ويدعو الناس إلى الحق، فإذا قالوا لا، فقل لهم: ﴿اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾ بما نصبه لهم من الآيات في المخلوقات، وإرساله للرسل وإنزاله للكتب، وخلقه لما يتوصل به العباد إلى ذلك من العقول والأفهام والأسماع والأبصار ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدَىٰ﴾ أفمن يهدي الناس إلى الحق، وهو الله سبحانه، أحق أن يتبع ويقتدى به، أم الأحق بأن يتبع ويقتدى به من لا يهدي بنفسه إلا أن يهديه غيره، فضلا عن أن يهدي غيره ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ في شأن هذه الحجة التي أوردناها لكم، وكيف تحكمون باتخاذ هؤلاء شركاء لله.

٣٦ ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا﴾ ولم يكن ذلك عن بصيرة، بل هو ظن من ظن من سلفهم أن هذه المعبودات تقرهم إلى الله، وأنها تشفع لهم، ولم يكن ظنه هذا مستند قط، بل مجرد خيال ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ لأن أمر الدين إنما يبنى على العلم، وبه يتضح الحق من الباطل.

٣٧ ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [فإنه لا يقدر على مثله إلا الله عز وجل] ﴿وَلَكِنْ كَانِ هَذَا الْقُرْآنُ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب المنزلة على الأنبياء، وقد بشرت به قبل نزوله، فجاء مصدقا لها ﴿وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ﴾ أراد ما بين في القرآن من الأحكام.

٣٨ ﴿قُلِ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ في البلاغة، وجودة الصناعة، فأنتم مثلي في معرفة لغة العرب، وبلاغة الكلام ﴿وَادْعُوا مِنْ أَسْتَطَعْتُمْ﴾ من مظاهريكم ومعاونيكم ﴿مَنْ اسْتَطَعْتُمْ﴾ دعاءه والاستعانة به من قبائل العرب،

ومن آلهتكم التي تجعلونهم شركاء لله ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في دعواكم أن هذا القرآن مفترى. فإن فعلتم هذا فأنتم صادقون فيما نسبتموه إلي، وألصقتموه بي، فلم يأتوا — عند سماع هذا الكلام المنصف، والتنزل البالغ — بكلمة، بل تشبثوا بأذيال العناد البارد.

٣٩ ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ سارعوا إلى تكذيب القرآن، قبل أن يتدبروه ويفهموا معانيه، وما اشتمل عليه، ومن كذب بأمر قبل أن يحيط بعلمه، فهو لم يتمسك بشيء في هذا التكذيب إلا مجرد كونه جاهلا لما كذب به غير عالم به، فكان بهذا التكذيب مناديا على نفسه بالجهل بأعلى صوت، ومسجلا بقصوره عن تعقل الحجج ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم عند أن جاءتهم الرسل بحجج الله وبراهينه، فإنهم كذبوا به قبل أن يحيطوا بعلمه، وقبل أن يأتهم تأويله ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ من الأمم السالفة من سوء العاقبة، كما حكى ذلك القرآن عنهم.

٤٠ ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ في نفسه،

كَانَ عَقِبَهُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ
وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾
وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلٍ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيْعُونَ
بِمَا أَعْمَلْتُمْ وَأَنَا بَرِيْعٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُمْ
مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا
لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي
الْعُمَى وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ
شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ
كَأَن لَّهُمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ
قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾
وَإِنَّمَا نُرِيكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّا
مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ

عليه باب الهدى. والمقصود من هذا الكلام تسليية رسول الله ﷺ، فإن الطبيب إذا رأى مريضاً لا يقبل العلاج أصلاً أعرض عنه، وترك الاشتغال به.

٤٤ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ لأجل ما صار في طبائعهم من التعصب والمكابرة للحق، فهم الذين ظلموا أنفسهم بذلك، ولم يظلمهم الله شيئاً من الأشياء، بل خلقهم وجعل لهم من المشاعر ما يدركون به أكمل الإدراك، وركب فيهم من الحواس ما يصلون به إلى ما يريدون، ووفر مصالحهم الدنيوية عليهم، وخلق بينهم وبين مصالحهم الدينية، فعلى نفسها براقش تحيى.

٤٥ ﴿كَأَن لَّهُمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ﴾ استقلوا المدة الطويلة، إما لأنهم ضيعوا أعمارهم في الدنيا، أو لطول وقوفهم في المحشر، نسوا لذات الدنيا وكأنها لم تكن ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ [أي يحسون أنهم لم يبقوا في الدنيا إلا وقتاً قليلاً يعرف بعضهم بعضاً فيه ثم افترقوا، ولذا لا يرجو بعضهم من بعض في المحشر نفعا] ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾ وما كانوا مهتدين ﴿يَتَحَقَّقُونَ مِنْ ذَلِكَ عِنْدَ حَشْرِهِمْ لِلْجَزَاءِ وَالْحِسَابِ﴾.

٤٦ ﴿وَإِنَّمَا نُرِيكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ من إظهار دينك في حياتك بقتلهم وأسرهم ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ أي تموت قبل ذلك ﴿فَإِنَّا مَرْجِعُهُمْ﴾ فعند ذلك نعيدهم في الآخرة، فنريك عذابهم فيها، فإن لم ننتقم منهم عاجلاً انتقمنا منهم آجلاً ﴿ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ [أي ثم يشهد الله عليهم يوم القيامة بما فعلوا بعدك. نظيرها قول عيسى عليه السلام: وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم].

٤٢ ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ إلى النبي ﷺ إذا قرأ القرآن وعلم الشرائع ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾ أي الذين لديهم مانع من السماع، وهو البغض والكراهية، فمنعهم القبول ﴿وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾ ومن كان أصم غير عاقل، فإنه لا يفهم شيئاً، ولا يسمع ما يقال له.

٤٣ ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمَى وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ﴾ ومن جمع له بين عمى البصر والبصيرة فقد تعذر عليه الإدراك. وكذا من جمع له بين الصمم وذهاب العقل فقد انسد

ويعلم أنه صدق وحق، ولكنه كذب به مكابرة وعناداً ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ﴾ ولا يصدق في نفسه، بل كذب به جهلاً ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ فيجازيهم بأعمالهم، والمراد بهم: المصرون المعاندون.

٤١ ﴿لِي عَمَلٍ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾ أي لي جزء عملي، ولكم جزء عملكم، فقد أبلغت إليكم، وليس علي غير ذلك ﴿أَنْتُمْ بَرِيْعُونَ مِمَّا أَعْمَلْتُمْ وَأَنَا بَرِيْعٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ أي لا تؤاخذون بعلمي، ولا أؤاخذ بعملكم.

أُمَّةٌ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ
وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ
كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا
نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ
فَلَا يَسْتَفْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ
إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتٍ أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ
الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ ؕ أَلَمْ تَكُنْ
كُنْتُمْ بِهِ ؕ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا
عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾
* وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّى إِنَّهُ لَحَقُّ
وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ
مَا فِى الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ ؕ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا

٤٧ ﴿ولكل أمة﴾ من الأمم الخالية
﴿رسول﴾ يرسله الله إليهم، وبين لهم ما
شرعه الله لهم من الأحكام ﴿فإذا جاء
رسولهم﴾ وبلغهم ما أرسله الله به فكذبوه
جميعا ﴿قضى بينهم﴾ أي بين الأمة
ورسولها ﴿بالقسط﴾ أي العدل، فنجا
الرسول، وهلك المكذبون له.

٤٩ ﴿قل لا أملك لنفسي ضرا ولا
نفعاً﴾ فكيف أقدر على أن أملك ذلك
لغيري ﴿إلا ما شاء الله﴾ ولكن ما شاء
الله من ذلك كان، وفي هذه أعظم واعظ
وأبلغ زاجر لمن صار ذئبته المنادة لرسول
الله ﷺ والاستغاثة به عند نزول النوازل
التي لا يقدر على دفعها إلا الله سبحانه،
وكذلك من صار يطلب من الرسول ﷺ
ما لا يقدر على تحصيله إلا الله سبحانه،
فإن هذا مقام رب العالمين. ويترك
الطلب من رب الأرباب القادر على كل
شيء الخالق الرازق المعطي المانع. فيا
عجبا لقوم يعكفون على قبور الأموات
الذين قد صاروا تحت أطباق الثرى،
ويطلبون منهم الحوائج، كيف لا يتيقظون
لما وقعوا فيه من الشرك؟ ولا ينتبهون لما
حل بهم من المخالفة لمعنى لا إله إلا الله،
ينادونهم تارة على الاستقلال: وتارة مع
ذي الجلال، ولقد توسل الشيطان بهذه
الذريعة إلى كفر كثير من هذه الأمة
المباركة (وهم يحسبون أنهم يحسنون
صنعاً) فإننا لله وإنا إليه راجعون ﴿لكل
أمة أجل﴾ يحل بهم ما يريد الله سبحانه
لهم عند حلوله ﴿إذا جاء أجلهم فلا
يستأخرون﴾ عن ذلك الأجل المعين
﴿ساعة ولا يستقدمون﴾ عليه ساعة.

٥٠ ﴿ماذا يستعجل منه المجرمون﴾ فإن
العذاب مكروه تنفر منه القلوب، وتأباه
الطبايع، فما المقتضى لاستعجالهم له؟
ومن حق المجرم أن يخاف من العذاب

٥٣ ﴿ويستنبئونك أحق هو﴾ أحق ما
تعذنا به من العذاب؟

٥٤ ﴿ولو أن لكل نفس ظلمت ما في
الأرض لافتدت به﴾ أي ولو أن لكل
كافر يوم القيامة ما في الأرض من كل
شيء من الأشياء التي تشتمل عليها من
الأموال النفيسة والذخائر، لود أن يجعله
فدية لنفسه من العذاب ﴿وأسروا الندامة

لما رأوا العذاب﴾ أخفوها لما قد شاهدوه
في ذلك الوطن مما سلب عقولهم، فأسروا
الندامة لثلا يشمت بهم المؤمنون، ووقع
هذا منهم كان عند رؤية العذاب، وأما

بسبب إجرامه، فكيف يستعجله؟
٥١ ﴿أثم إذا ما وقع آمنتم به﴾ أبعد ما
وقع عذاب الله عليكم، وحل بكم
سخطه وانتقامه آمنتم حين لا ينفعكم هذا
الإيمان شيئا، ولا يدفع عنكم ضرا
﴿الآن﴾ آمنتم به ﴿وقد كنتم به
تستعجلون﴾ تستعجلون بالعذاب تكذيبا
منكم واستهزاء.

٥٢ ﴿ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا
عذاب الخلد﴾ أي العذاب الدائم الذي
لا ينقطع ﴿هل تجزون إلا بما كنتم
تكسبون﴾ في الحياة من الكفر والمعاصي.



الْعَذَابُ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾
 أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ
 حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ
 وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ
 مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ
 لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا
 هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ
 مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَلًا قُلْ إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لَكُمْ
 أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى
 اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ
 وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ
 وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا

٥٩ ﴿فجعلتم منه حراما وحلالا﴾ أي
 فجعلتم بعضه حراما، وجعلتم بعضه
 حلالا، وذلك كما كانوا يفعلونه في
 الأنعام حسبما سبق، انظر سورة الأنعام
 (الآية ١١٩ وما بعدها) فإن كان بمجرد
 الشهوي والهوى فهو مهجور باتفاق العقلاء
 وإن كان لا اعتقادهم أنه حكم الله
 فيكم، وفيما رزقكم، فلا تعرفون ذلك إلا
 من جهة الرسل، وليس عندكم برهان
 بأن أحدا منهم حرم ما حرمتوه، فليست
 في ذلك إلا مفترين على الله. وفي هذه
 الآية الشريفة ما يصك مسامع المتصدرين
 للإفتاء لعباد الله في شريعته، بالتحليل
 والتحريم والجواز وعدمه، وما ينههم إلى
 تعقل حجج الله وفهمها من الكتاب
 والسنة، وألا يكتفوا بأن يكون مبلغهم
 من العلم الحكاية لقول قائل من هذه
 الأمة قد قلده في دينهم، فاعمل به من
 الكتاب والسنة فهو المعمول به عندهم،
 وما لم يبلغه أو بلغه ولم يفهمه حق فهمه،
 أو فهمه وأخطأ الصواب في اجتهاده
 وترجيحه، فهو في حكم المنسوخ عندهم
 المرفوع حكمه عن العباد، مع كون من
 قلده متعبدا بهذه الشريعة كما هم
 متعبدون بها، وقد اجتهد رأيه وأدى ما
 عليه، وفاز بأجرين مع الإصابة، أو أجز
 مع الخطأ، فليس لغيره من أهل العلم
 القادرين على النظر اتباعه دون معرفة
 لدليله، وتعقل لحجته.

٦٠ ﴿وما ظن الذين يفترون على الله
 الكذب يوم القيامة﴾ أي أي شيء
 ظنهم في هذا اليوم، أن يصنع بهم فيه.
 ٦١ ﴿وما تكون في شأن﴾ أي أمر من
 الأمور التي تعرض لك ﴿وما تتلو منه من
 قرآن﴾ أي وما تقرأ في تلك الحال من
 القرآن، ومن أجل الشأن الذي حدث
 القرآن، فيعلم كيف حكمه ﴿ولا تعملون
 من عمل﴾ الخطاب لرسول الله وللأمة.

﴿وشفاء لما في الصدور﴾ من الشكوك
 التي تعترى المرتابين، واشتماله على
 تزييف العقائد الباطلة ﴿وهدي﴾ الهدى:
 الإرشاد لمن اتبع القرآن وتفكر فيه إلى
 الطريق الموصلة إلى الجنة ﴿ورحمة﴾
 الرحمة: هي ما في الكتاب العزيز من
 الأمور التي يرحم الله بها عباده.
 ٥٨ ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك
 فليفرحوا﴾ [أي فليفرحوا بما آتاهم الله
 في القرآن وبأن جعلهم من أهله، وبغيره
 من أفضال الله ورحمته عليهم] ﴿هو خير
 مما يجمعون﴾ من حطام الدنيا.

بعد الدخول فيه فيقولون (يا حسرتنا على
 ما فرطنا فيها) يظهرون ما أسروا ﴿وقضي
 بينهم بالقسط﴾ بين المؤمنين وبين
 الكافرين، أو بين الرؤساء والأتباع.
 ٥٥ ﴿ألا إن لله ما في السماوات
 والأرض﴾ [فهو قادر على إنجاز ما يعدهم
 به] ﴿ألا إن وعد الله حق﴾ أي كائن
 لا محالة ﴿ولكن أكثرهم﴾ أي الكفار
 ﴿لا يعلمون﴾ ما فيه صلاحهم وما فيه
 فسادهم، فيستعبدوا للقاء الله.
 ٥٧ ﴿موعظة من ربكم﴾ القرآن فيه
 التذكير بالعواقب: بالترغيب أو التهيب

عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ
مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ
مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦١﴾ أَلَا إِنَّ
أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ
الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْزَنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ
جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ
فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ
هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ
لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصَرًا إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ

﴿إلا كنا عليكم شهودا﴾ نراكم ونسمعكم ﴿إذ تفيضون فيه﴾ تندفعون فيه من أقوالكم وأعمالكم ﴿وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة﴾ أي وما يغيب عنه تعالى وزن ذرة: أي غلة حمراء ﴿ولا أصغر من ذلك ولا أكبر﴾ أي وليس شيء أصغر من الذرة ولا أكبر منها إلا هو عند الله ﴿في كتاب مبين﴾ فكيف يغيب عنه؟ والغرض: الرد على من يزعم أنه تعالى غير عالم بالجزئيات.

٦٢ ﴿ألا إن أولياء الله﴾ أولياء الله هم خالص المؤمنين، كأنهم قربوا من الله سبحانه بطاعته واجتناب معصيته، فهؤلاء ﴿لا خوف عليهم﴾ أي لا يخافون عند البعث والحشر ولا في عرصات القيامة، إذ ضمن الله لهم ألا تنالهم أهوالها ﴿ولا هم يحزنون﴾ أي: على ما فاتهم وما خلفوه من الدنيا كما يحزن أهل حبة الدنيا، وهؤلاء الأولياء هم:

٦٣ ﴿الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ لا يخافون أبدا كما يخاف غيرهم، لأنهم قد قاموا بما أوجب الله عليهم، وانتهوا عن المعاصي التي نهاهم عنها، فهم على ثقة من أنفسهم، وحسن ظن بربهم. وكذلك لا يحزنون على فوت مطلب من المطالب، لأنهم يعلمون أن ذلك بقضاء الله وقدره، فصدورهم منشحة، وجوارحهم نشطة، وقلوبهم مسرورة.

٦٤ ﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ أي لهم البشرى من الله ما داموا في الحياة بما يوحى إلى أنبيائه، من كون حال المؤمنين عنده هو إدخالهم الجنة ورضوانه عنهم، وكذلك الرؤيا الصالحة [بشرى لهم في الحياة الدنيا، كما ثبت في الحديث مرفوعاً إلى النبي ﷺ]: «لم يبق من الوحي إلا المبشرات: الرؤيا الصالحة، يراها المؤمن، أو ترى له» ومن البشرى في الدنيا لهم أيضا ما يفضل الله

به عليهم من إجابة دعائهم، وما يشاهدونه عند حضور آجالهم بتنزل الملائكة عليهم قائلين لهم: لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة، وأما البشرى في الآخرة، فتلقى الملائكة لهم مبشرين بالفوز بالنعيم والسلامة من العذاب ﴿لا تبديل لكلمات الله﴾ لا تغيير لأقواله على العموم، فيدخل فيها ما وعد به عباده الصالحين دخولا أوليا، أي فإنه سيتحقق لا محالة.

٦٥ ﴿ولا يحزنك قولهم﴾ المتضمن للطمع عليه وتكذيبه والقدح في دينه ﴿إن العزة﴾ المالك ﴿وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء﴾ أي: إنهم وإن سمو

الله جميعا، أي الغلبة والقهر له في مملكته وسلطانه، فكيف يقدر أن يكون عليك حتى تحزن لأقوالهم؟

٦٦ ﴿ألا إن الله من في السماوات ومن في الأرض﴾ ومن جملتهم هؤلاء المشركون، وإذا كانوا في ملكه يتصرف فيهم كيف يشاء، فكيف يستطيعون أن يؤذوا رسول الله ﷺ بما لا يأذن الله به؟ وفي الآية نعي على عبادة البشر والملائكة والجمادات، لأنهم عبدوا المملوك وتركوا

المالك ﴿وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء﴾ أي: إنهم وإن سمو

يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا آتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ
لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ
سُلْطٰنٍ بِهٰذَا أْتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ
إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾
مَتَّعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نَذِيقُهُمُ الْعَذَابَ
الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ * وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ
نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَنْقُومُ إِنْ كَانَ كِبَرُ عَلَيْكُمْ مَقَامِي
وَتَذَكِّرِي بِمَا يَتَّبِعُ اللَّهُ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ
وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا
إِلَيَّ وَلَا تَنْظُرُونَ ﴿٧١﴾ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَسْأَلُكُمْ مِنْ
أَجْرٍ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأَمِرتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ
الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَجَعَلْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ

معبوداتهم شركاء الله، فليست شركاء له على الحقيقة: إنما هي أسماء لا مسميات لها، والله مالك لمعبوداتهم **﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾** أي ما يتبعون يقينا، والظن لا يغني من الحق شيئا **﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخِرُّونَ﴾** أي يقدرون أنهم شركاء تقديرا باطلا وكذبا بحتا.

٦٧ ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لَتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ يسكن العباد فيه عن الحركة والتعب، ويريمون أنفسهم عن الكد والكسب **﴿وَالنَّهَارَ مَبْصُرًا﴾** أي مضيئا، تظهر فيه المراتب وتدرج، فهم

يسمعون فيه بما يعود على نفعهم، وتوفير معاشهم **﴿لَقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾** ما يتلى عليهم من الآيات التنزيلية، ويتفكرون ويعتبرون، فيكون ذلك من أعظم أسباب الإيمان.

٦٨ ﴿سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ فتزده عما نسبوه إليه من هذا الباطل البين، وبين أنه غني عن ذلك، وأن الولد إنما يطلب للحاجة، والغني المطلق لا حاجة له حتى يكون له ولد يقضيها، وأيضا إنما يحتاج إلى الولد من يكون بصدد الانقراض ليقوم الولد مقامه، والله عز وجل حي قيوم لا يعثره

موت ولا انتهاء، ولهذا لا يفتقر إلى ذلك **﴿لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾** فلا يصح أن يكون شيء مما فيها ولدا له، للمنافاة بين الملك والبنوة والأبوة **﴿إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطٰنٍ بِهٰذَا﴾** أي ما عندكم من حجة وبرهان بهذا القول.

٦٩ ﴿قُلْ إِنْ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يَفْلِحُونَ﴾ لا يفوزون بجنة الله والنجاة من عذاب النار.

٧٠ ﴿مَتَّعٌ فِي الدُّنْيَا﴾ أي إن هذا الافتراء وإن فاز صاحبه بشيء من المطالب العاجلة فهو متاع قليل في الدنيا، ثم يتعقبه الموت والرجوع إلى الله، فيعذب المفترى عذابا مؤبدا، بسبب الكفر الحاصل بأسباب من جعلها الكذب على الله.

٧١ ﴿نَبَأَ نُوحٍ﴾ ما جرى له مع قومه الذين كفروا بما جاء به، كما فعله كفار قريش **﴿يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كِبَرُ عَلَيْكُمْ﴾** مقامي شق عليكم مكثي بين أظهركم، وقيامي بالوعظ في مواطن اجتماعكم **﴿بِآيَاتِ اللَّهِ﴾** التكوينية والتنزيلية **﴿فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾** لا أقابل ذلك منكم إلا بالتوكل على الله **﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ﴾** اعزموا عليه **﴿وَشُرَكَاءَكُمْ﴾** أي: ادعوهم لاتخاذ قراركم أو لنصرتكم **﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾** ليكن أمركم ظاهرا منكشفا **﴿ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ﴾** أي ذلك الأمر الذي تريدونه بي **﴿وَلَا تَنْظُرُونَ﴾** لا تمهلوني، بل عجلوا أمركم واصنعوا ما بدا لكم. وهذا الكلام من نوح عليه السلام لوثوقه بنصر ربه، وعدم مبالاته بما يتوعدة به قومه.

٧٢ ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَسْأَلُكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾ أي إن أعرضتم عن العمل بنصحي فأسألكم في مقابلة ذلك من أجر تؤدونه إليّ حتى تهمني فيما جشت به **﴿إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾** فهو يثيني، آمنتكم أو توليتكم.

وَجَعَلْنَاهُمْ خُلَافَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ
 كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا
 إِلَى قَوْمِهِمْ بِجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَبُوا
 بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾
 ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ
 وَمَلَائِكَتِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾
 فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ
 مُبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ
 هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتْنَا عَمَّا
 وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ
 وَمَا نَحْنُ لَكُمُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتُؤْتُونِي بِكُلِّ
 سِحْرِ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى

٧٣ ﴿فكذبوه﴾ أي: استمروا على
 تكذيبه وأصروا على الشقاق ﴿فنجنيه﴾
 ومن معه من المؤمنين الذين تابعوه في
 الدين وثبتوا برغم معاندة قومهم وإيذائهم
 ﴿في الفلك﴾ وهي السفينة التي أمره الله
 عز وجل أن يصنعها ﴿وجعلناهم
 خلائف﴾ خلفاء يسكنون الأرض التي
 كانت للمهلكين بالفرق ويخلفونهم فيها
 ﴿وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا﴾ من
 الكفار المعاندين لنوح، أغرقهم الله
 بالطوفان ﴿فانظر كيف كان عاقبة
 المنذرين﴾ تسلياً لرسول الله ﷺ ،
 وتهديد للمشركين.

٧٤ ﴿ثم بعثنا من بعده﴾ من بعد نوح
 ﴿رسلاً﴾ كهود وصالح وإبراهيم ولوط
 وشعيب ﴿فجاءهم بالبينات﴾ أي
 بالمعجزات والشرائع ﴿فما كانوا ليؤمنوا﴾
 أي: ما أحدثوا إيماناً، بل استمروا على
 الكفر وأصروا عليه ﴿بما كذبوا به من
 قبل﴾ لم يوقفوا للإيمان بما جاءهم به رسل
 الله تعالى بسبب إصرارهم السابق على
 تكذيب الرسل، أو المعنى: ما كان أقوام
 هؤلاء الرسل المذكورين بعد نوح عليه
 السلام ليؤمنوا بما كذب به قوم نوح قبلهم
 ﴿كذلك نطبع على قلوب المعتدين﴾
 المتجاوزين للحد في الكفر.

٧٥ ﴿ثم بعثنا من بعدهم﴾ أي بعد
 الرسل المذكورين سابقاً وبعد أمهم
 ﴿بآياتنا﴾ الآيات: المعجزات، وهي التسع
 المذكورة في الكتاب العزيز ﴿فاستكبروا﴾
 عن قبولها، ولم يتواضعوا لها، ويزعمون لما
 اشتملت عليه ﴿وكانوا قوماً مجرمين﴾
 أجرموا باستكبارهم عن اتباع ما جاء به
 موسى وهارون.

٧٦ ﴿قالوا إن هذا لسحر مبين﴾ حملوها
 على السحر مكابرة منهم.

٧٧ ﴿أتقولون للحق لما جاءكم أسحر
 هذا﴾ أتقولون للحق هذا سحر فلا تقولوا

وصدقوه، صارت مقاليد أمر أمته إليه،
 ولم يبق للملك رئاسة تامة، لأن التدبير
 للناس بالدين يرفع تدبير الملوك لهم
 بالسياسات والعادات.

٧٩ ﴿وقال فرعون اتنوني بكل ساحر
 عليم﴾ قال هكذا لما رأى الآيات التي جاء
 بها موسى، من اليد البيضاء والعصا، لأنه
 اعتقد أنها من السحر [ويحتمل أنه أراد أن
 يستخف الناس ويعارض ما جاء به موسى
 بالسحر والشعوذة والتهويل على موسى
 والشغب عليه. فكان ما يذكره الله من
 إبطال ذلك الكيد.]

ذلك، وهو أبعد شيء من السحر ﴿ولا
 يفلح الساحرون﴾ فلا يظفرون بمطلوب،
 ولا يفوزون بخير، ولا ينجون من مكروه،
 فكيف يقع في هذا من هو مرسل من
 عند الله؟

٧٨ ﴿قالوا أجئتنا لنتلفتنا عما وجدنا
 عليه آباءنا﴾ أي تريد أن تصرفنا عن
 الشيء الذي وجدنا عليه آباءنا، وهو
 عبادة الأصنام، والمراد بـ ﴿الكبرياء﴾
 الملك، عللوا عدم قبولهم دعوة موسى
 بأمرين: التمسك بالتقليد للآباء، والحرص
 على الرياسة، لأنهم إذا أجابوا النبي

الْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَمَّا أَمْنٌ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَى يُنْقِظُكُمْ إِن كُنْتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِّنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بَيْوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ

أمره التكويني، كأمره العصا أن تكون حية تأكل حبالهم وعصيتهم **﴿ولو كره المجرمون﴾** من آل فرعون وغيرهم.

٨٣ ﴿فأما آمن لموسى إلا ذرية من قومه﴾ من ذراري بني إسرائيل، وقيل:

المراد من ذراري قوم فرعون، ومنهم مؤمن آل فرعون، وامراته، وماشطة ابنته، وامرأة خازنه **﴿على خوف من فرعون وملئهم﴾** وأشراف قومهم **﴿أن يفتنهم﴾** أي يصرفهم عن دينهم بالعذاب **﴿وإن فرعون لعال في الأرض﴾** أي عات متكبر متسلط على أرض مصر وأهلها **﴿وإنه لمن المسرفين﴾** في الكفر وما يفعله من القتل والصلب وتنويع العقوبات.

٨٤ ﴿فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين﴾ أمرهم بالتوكل على الله، وحضهم على أن يسلموا أنفسهم لله: أي يجعلوها له سالة خالصة، لا حظ للشيطان فيها، لأن التوكل لا يكون إلا مع الإخلاص.

٨٥ ﴿ربنا لا نجعلنا فتنه للقوم الظالمين﴾ لا تسلطهم علينا فيعذبونا حتى يفتنونا عن ديننا، أو لا نجعلنا فتنه لهم يفتنون بنا غيرنا، فيقولون لهم لو كان هؤلاء على حق لما سُلطنا عليهم وعذبناهم.

٨٦ ﴿وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا﴾ أي اتخذا لقومكما بمصر بيوتا لعبادة الله تعالى، أي مساجد، قيل: ومصر في هذه الآية هي الإسكندرية، وقيل: هي مصر القديمة بجوار القاهرة الآن **﴿واجعلوا بيوتكم قبلة﴾** أي متوجهة إلى جهة القبلة، وقيل: المراد البيوت التي يسكنون فيها، أمروا بأن يجعلوها متقابلة، والمراد بالقبلة على القول الأول هي جهة بيت المقدس، وقيل: جهة الكعبة **﴿واقموا الصلاة﴾** التي أمركم الله بإقامتها **﴿وبشر المؤمنين﴾** يا موسى [بما يعدهم الله من النصر والاستخلاف في الأرض].

٨٧ ﴿وقال موسى ربنا إنك آتيت

السحر﴾ أي الذي جثم به هو السحر، وهو الباطل الزائف الذي تُخيلون به على الناس، ولا حقيقة له، بخلاف ما جثم به أنا، فهو حق، لأنه آية من آيات الله **﴿إن الله سيبطله﴾** سيمحق ما صنعتم، فيصير باطلا يعلم الناس بطلانه بما يظهره على يدي من الآيات المعجزة.

٨٢ ﴿ويحق الله الحق﴾ [أي يوجدّه ويثبتّه ويمكّن له] وقيل المعنى: بينه ويوضحه **﴿بكلماته﴾** التي أنزلها في كتبه على أنبيائه لاشتمالها على الحجج والبراهين. أو المراد: بكلماته التي هي

٨٠ ﴿فلما جاء السحرة قال لهم موسى

الْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾ أي اطرحوا على الأرض ما معكم من حبالكم وعصيكم.

وإنما قال هذا ليدأوا هم بإلقاء عصيتهم، وهو يعلم أنهم إنما يعملون خيالات ولا يقلبون العصي والحبال حيات، فيكون قضاؤه على حبالهم وعصيتهم محقا لسحرهم، فيظهر عجزهم لكل القوم الحاضرين، لأنه يرفع عصاه وهي موجودة يراها الناس، ثم هم لا يرون حبال السحرة وعصيتهم.

٨١ ﴿فلما ألقوا قال موسى ما جثتم به

الْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾ أي اطرحوا على الأرض ما معكم من حبالكم وعصيكم.

وإنما قال هذا ليدأوا هم بإلقاء عصيتهم، وهو يعلم أنهم إنما يعملون خيالات ولا يقلبون العصي والحبال حيات، فيكون قضاؤه على حبالهم وعصيتهم محقا لسحرهم، فيظهر عجزهم لكل القوم الحاضرين، لأنه يرفع عصاه وهي موجودة يراها الناس، ثم هم لا يرون حبال السحرة وعصيتهم.

٨٨ ﴿زينة وأموالا في الحياة الدنيا﴾

الزينة: اسم لكل ما يتزين به من ملابس، ومركوب، وحلية، وفراش، وسلاح، وغير ذلك ﴿ربنا ليضلوا عن سبيلك﴾ [أي فكانت عاقبة أمرهم أن استعملوا نعمك في صرف الناس عن دينك دين الحق] ﴿ربنا اطمس على أموالهم﴾ دعاء عليهم بأن يمحى الله أموالهم ويهلكها ﴿واشدد على قلوبهم﴾ أي اجعلها قاسية مطبوعة لا تقبل الحق، ولا تشرح للإيمان ﴿فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم﴾ أي: لا يحصل منهم الإيمان إلا مع المعاينة لما يعذبهم الله به، وعند ذلك لا ينفع إيمانهم.

٨٩ ﴿قال قد أجيبك دعوتك﴾

فاستقيما﴾ الاستقامة: الثبات على ما هما عليه من التمسك بالدين، وعدم الخروج عن أحكامه، والدعاء إلى الله ﴿ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون﴾ [أي ولا تنحرفا عن شريعته باتباع من لا علم عندهم بالدين].

٩٠ ﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر﴾

جعل البحر يسا فروا فيه حتى خرجوا منه إلى البر. وقد تقدم تفسير هذا في سورة البقرة (الآية ٥٠) ﴿بغيا وعدوا﴾ والبغي: الظلم، والعدو: الاعتداء ﴿حتى إذا أدركه الغرق﴾ أي ناله ووصله

وألجمه، انطبق عليهم البحر، ففرقوا كما حكى الله سبحانه ﴿قال آمنت﴾ ولم ينفعه هذا الإيمان، لأنه وقع منه بعد إدراك الغرق له. ولم يقل اللعين: آمنت بالله، لأنه بقي فيه عرق من دعوى الإلهية ﴿وأنا من المسلمين﴾ أي المستسلمين لأمر الله، الذين يوحدونه وينفون ما سواه.

٩١ ﴿الآن وقد عصيت قبل وكنت

من المفسدين﴾ أي: فقبل له: أتؤمن الآن؟ [ولا ينفعك الإيمان عند رؤية

فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَان سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ * وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَاَمْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَاَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَاَلَكُنَّ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبَوءًا صَدَقَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى

الموت].

٩٣ ﴿ولقد بوأنا بني إسرائيل مَبَوءًا

صدق﴾ أسكناهم، وأنزلناهم في المنزل المحمود، وهو أرض بيت المقدس وما حوله ﴿فما اختلفوا﴾ في أمر دينهم وتشعبوا فيه شعبا بعدما كانوا على طريقة واحدة غير مختلفة ﴿حتى جاءهم العلم﴾ بقراءتهم التوراة، وعلمهم بأحكامها. وقيل المعنى: أنهم لم يختلفوا حتى جاءهم العلم، وهو القرآن، فاختلَفوا في نعته وصفته، وآمن به من آمن منهم وكفر به من كفر ﴿إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ فيجازي الحق بعمله

٩٢ ﴿فالיום ننجيك بدتك﴾ بجسدك أي: بدون روح، فقد قذفه البحر ميتا. حتى شاهده ﴿لتكون لمن خلفك آية﴾ من آيات الله يعتبر بها الناس ممن سيأتي من الأمم إذا سمعوا ذلك، حتى يحذروا من التكبر والتجبر والتمرد على الله سبحانه، وحتى يعلموا كذب هذا الذي ادعى أنه الرب الأعلى، فهذا هي جثته مطروحة بالعراء لا روح بها ﴿عن آياتنا﴾ التي توجب الاعتبار والتفكير، وتوقظ من سنة الغفلة ﴿لغافلون﴾.



جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا
كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍ مِمَّا أَنْزَلْنَا
إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقرءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ
جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾
وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايَةِ اللَّهِ فَتَكُونَنَّ مِنَ
الْخَاسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ
الْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا
إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنَمَتَّعْنَهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ
لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ
حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ

كما فعل فرعون، ولكن ذلك لا يفيدهم ولا ينجيهم.

٩٨ ﴿فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها﴾ فهلا قرية واحدة من هذه القرى التي أهلكتها آمنت إيمانا معتدا به، وذلك بأن يكون خالصا لله قبل معاينة عذابه، ولم يؤخروه كما أخره فرعون **﴿إلا قوم يونس﴾** لكن قوم يونس **﴿لما آمنوا﴾** إيمانا معتدا به قبل معاينة العذاب **﴿كشفنا عنهم عذاب الخزي﴾** وهو العذاب الذي كان قد وعدهم يونس أنه سينزل عليهم ولم يروه، فأروا علاماته دون عينه **﴿ومتعنناهم إلى حين﴾** أي بعد كشف العذاب عنهم. عن قتادة في الآية قال: لم يكن هذا في الأمم قبل قوم يونس، لم ينفع قرية كفرت ثم آمنت - حين عاينت العذاب - إلا قوم يونس، فاستثنى الله قوم يونس. قال: وذكر لنا أن قوم يونس كانوا بنيوني من أرض الموصل، فلما فقدوا نبيهم قذف الله في قلوبهم التوبة، فلبسوا المسوح، وأخرجوا المواشي، وفرقوا بين كل بهيمة وولدها، فعجوا إلى الله أربعين صباحا، فلما عرف الله الصدق من قلوبهم، والتوبة والندامة على ماضيهم، كشف عنهم العذاب بعد ما تدلى عليهم، لم يكن بينهم وبين العذاب إلا قليل.

٩٩ ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا﴾ مجتمعين على الإيمان لا يتفرقون فيه ويختلفون، ولكنه لم يشأ ذلك لكونه مخالفا للمصلحة التي أرادها الله سبحانه، وهي الحكمة البالغة **﴿أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾** فإن ذلك ليس في وسعك يا محمد، ولا داخل تحت قدرتك.

١٠٠ ﴿وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله﴾ أي ماصح وما استقام لنفس من الأنفس أن تؤمن بالله إلا بإذنه: فلا يقع غير ما يشاؤه كائنا ما كان.

يتشككون فيه هو الحق الذي لا يخالطه باطل، ولا تشوبه شبهة **﴿فلا تكونن من الممترين﴾** وهم الشاكون المتحيرون المترددون.

٩٦، ٩٧ ﴿إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون﴾ حق عليهم قضاء الله وقدره بأنهم يصرون على الكفر، ويموتون عليه، لا يقع منهم الإيمان بحال من الأحوال **﴿ولو جاءتهم كل آية﴾** من الآيات التكوينية والتنزيلية، فإن ذلك لا ينفعهم **﴿حتى يروا العذاب الأليم﴾** فيقع منهم الإيمان عند معاينتهم للعذاب،

بالحق والمبطل بما يستحق.

٩٤ ﴿فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك﴾ يا محمد **﴿فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك﴾** أهل الكتاب الذين قد أسلموا، وآمنوا بدعوة النبي ﷺ كعبد الله ابن سلام، فإنهم سيخبرونك بأنه كتاب الله حقا، وأنتك رسوله، وأن التوراة شاهدة بذلك ناطقة به. عن قتادة قال: ذكر لنا أنه ﷺ قال: «لا أشك ولا أسأل» **﴿لقد جاءك الحق من ربك﴾** في هذا بيان ما يقطع الشك، وهو شهادة الله سبحانه بأن هذا الذي

إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠١﴾
 قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي
 الْآيَاتُ وَالنَّذْرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٢﴾ فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ
 إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي
 مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿١٠٣﴾ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا
 كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ
 إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ
 دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّكُمُ وَأُمِرْتُ أَنْ
 أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٥﴾ وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ
 حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ
 اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ
 الظَّالِمِينَ ﴿١٠٧﴾ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ

﴿ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون﴾ أي العذاب، أو الخذلان الذي هو سبب العذاب على الكفار الذين لا يتعقلون حجج الله، ولا يتفكرون في آياته، ولا يتدبرون فيما نصبه لهم من الأدلة. [ومن جملة عدم تعقلهم أنهم لم يفهموا أن الإيمان والهداية إنما هو بيد الله تعالى، ولذلك لم يلجأوا إليه ليهديهم صراطه المستقيم فبقوا في رجسهم واستمر لهم الخذلان واستحقوا السخط من ربهم.]

١٠١ ﴿قل انظروا ماذا في السماوات والأرض﴾ تفكروا واعتبروا بالمصنوعات الدالة على الصانع ووحدته وكمال قدرته ﴿وما تغني الآيات والنذر﴾ أي ما تنفع الآيات والرسول ﴿عن قوم لا يؤمنون﴾ في علم الله سبحانه، فن كان هكذا لا يجدي فيه شيء، ولا يدفع عنه الكفر دافع، فإن التفكير والتدبر في هذه الدلائل لا ينفع في حق من استكملت شقاوته.

١٠٢ ﴿فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم﴾ أي فهل ينتظر هؤلاء الكفار المعاصرون لمحمد ﷺ إلا مثل وقائع الله سبحانه بالكفار الذي خلوا من قبل هؤلاء فقد كان الأنبياء المتقدمون يتوعدون كفار زمانهم بأيام مشتملة على أنواع العذاب، وهم يكذبونهم ويصتمون على الكفر حتى يُنزل الله عليهم عذابه ويحل عليهم انتقامه ﴿فانتظروا﴾ أي تربصوا لوعد ربكم ﴿إني معكم من المنتظرين﴾ لوعد ربي.

١٠٣ ﴿ثم ننجي رسلنا﴾ أهلكنا الأمم، ثم نجينا رسلنا المرسلين إليهم، والذين آمنوا بهم ﴿كذلك حقا علينا ننج المؤمنين﴾ بمحمد ﷺ من قريش وغيرهم، ننجيهم من عذابنا للكفار.

١٠٤ ﴿قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني﴾ وهو عبادة الله وحده لا شريك له، ولم تعلموا بحقيقته، فاعلموا

أني بريء من أديانكم التي أنتم عليها ﴿فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله﴾ في حال من الأحوال ﴿ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم﴾ فيفعل بكم مايفعل من العذاب الشديد ﴿وأمرت أن أكون من المؤمنين﴾ وأخلص له الدين. ١٠٥ ﴿وأن أقم وجهك للدين﴾ أمره بالاستقامة في الدين، والثبات فيه، وعدم التزلزل عنه بحال من الأحوال، وخص الوجه لأنه أشرف الأعضاء ﴿حنيفاً﴾ مائلاً عن كل دين من الأديان إلى دين الإسلام. ١٠٦ ﴿ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك﴾ بشيء من النفع والضر إن دعوته، ودعاء من كان هكذا لا يجلب نفعاً، ولا يقدر على ضرر، ضائع لا يفعله عاقل ﴿فإن فعلت﴾ فإن دعوت ﴿فإنك إذا من الظالمين﴾ لأنفسهم. [ومن يدعو الأموات والجمادات لطلب نفع أو دفع ضرر فذلك شرك بالله تعالى ينبغي الحذر منه.] ١٠٧ ﴿وإن يمسسك الله بضر﴾ المعنى: أن الله سبحانه هو الضار النافع، فإن أنزل بعبده ضراً، أو أوصابه بمكروه في

بحفيظ يحفظ أموركم، وتوكل إليه، إنما أنا بشير ونذير.

١٠٩ ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ﴾ أمره الله سبحانه أن يتبع ما أوحاه إليه من الأوامر والنواهي التي يشرعها الله له ولأمته، ثم أمره بالصبر على أذى الكفار، وما يلاقيه من مشاق التبليغ، وما يعانیه من تلون أخلاق المشركين وتعجرهم ﴿وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ﴾ وهو خير الحاكمين ﴿أَيَّ يَحْكُمُ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ بالنصر له عليهم، وفي الآخرة بعذابهم بالنار أي فلا ينبغي أن تستجعل ذلك فإنه آت لا ريب فيه.

سُورَةُ هُودٍ

أخرج الترمذي وحسنه والحاكم وصححه، قال أبو بكر: يارسول الله: قد ثبت، قال: «شيتني هود، والواقعة، والمرسلات، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت».

١ ﴿الر﴾ تقدم تفسير هذه الحروف في أول سورة البقرة ﴿كِتَابٌ﴾ هو القرآن ﴿أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ﴾ صارت محكمة متقنة لا نقص فيها ولا نقض لها، كالبناء المحكم، ولم تنسخ، بخلاف التوراة والإنجيل ﴿ثُمَّ فَصَّلَتْ﴾ بالوعد والوعيد، والشواب والعقاب، ومعنى إحكامها: أي لافساد فيها ﴿مَنْ لَدُنْ حَكِيمٌ خَبِيرٌ﴾ أحكمها حكيم، وفصلها خبير عالم بمواقع الأمور.

٢ ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾، [أي أن الآيات التي أحكمها الله تعالى في القرآن وفصلها، مضمونها ومآلها الأمر بعبادة الله، والأمر بأن تكون العبادة له وحده، فلا يُعبد أحد غير الله تعالى] ﴿إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ﴾ يخوفهم من عذاب الله لمن عصاه ﴿وَبَشِيرٌ﴾ يبشرهم بالجنة والرضوان لمن أطاعه.

لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرَدِّكْ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ۚ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ۖ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّٰ فَلِنَافْسِهِ ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ ۚ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿١٠٩﴾

(١١) سُورَةُ هُودٍ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّانَهَا ثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ وَمِائَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الر كَتَبْتُ أَحْكَمْتُ آيَاتُهُ ثُمَّ فَصَّلْتُ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ

وكل ما أنعم به عليهم ومنه الهداية، ومنه النبوة التي اختص بها محمداً ﷺ فهي من فضل الله لا يقدر أحد أن يردّها ﴿يُصِيبُ بِهِ﴾ أي: بفضله ﴿مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ بمحض اختيار المولى سبحانه ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ومن جملة ما يغفره تقصير عباده عن إحصاء نعمه تعالى].

١٠٨ ﴿فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّٰ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ أي منفعة اهتدائه مختصة به، وضرر كفره مقصور عليه لا يتعداه، وليس لله حاجة في شيء من ذلك ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ أي:

نفسه ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ لم يستطع أحد أن يدفعه عنه، ويحول بينه وبينه، كائناً من كان إلا الله وحده ﴿وَإِنْ يَرَدِّكْ بِخَيْرٍ﴾ أي إن قصدك الله بالخير، أي أراد إيصال خير إليك ﴿فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ لا أحد يحول دون ذلك. [وكل خير من الله تعالى فهو تفضل منه سبحانه، لأنه نعمه التي تنزل منه على عباده تنزل عليهم بلا استحقاق منهم عليه، بل هو المبتدي لهم بالنعم دون استحقاق، ومن ذلك ابتداءه بخلقهم، وإحسان صورهم، وتمكينهم في الأرض،

نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَإِنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ
يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي
فَضْلٍ فَضْلَهُ ۖ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ
يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَا إِنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا
حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُ
عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٥﴾ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ
إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ
فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ
أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ
الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾

٣ ﴿وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ﴾
قدم ذكر الاستغفار، لأن المغفرة هي
الغرض المطلوب، والتوبة هي السبب
إليها، وقيل: استغفروا في الصفات،
وتوبوا إليه في الكبائر ﴿يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا
حَسَنًا﴾ من سعة الرزق ورغد العيش
﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى وقت مقدر عند
الله، وهو الموت ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي
فَضْلٍ﴾ في الطاعة والعمل ﴿فَضْلَهُ﴾ أي
جزاء فضله: إما في الدنيا، أو في
الآخرة، أو فيها جميعا، وقيل: المعنى أن
الله يعطي كل من فضلت حسناته من
فضل الله الذي يتفضل به على عباده،
فالفضل من الله تعالى لأهل الفضائل
﴿وَأَنْ تَوَلَّوْا﴾ أي تتولوا وتعرضوا عن
العبادة والاستغفار والتوبة ﴿فَإِنِّي أَخَافُ
عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ وهو يوم
القيامة.

٤ ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ رجوعكم إليه
بالموت، ثم البعث، ثم الجزاء، لا إلى
غيره ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومن
جملة ذلك عذابكم على عدم الامتثال.

٥ ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ صُدُورَهُمْ﴾ ينحرفون
وَيَتَوَلَّوْنَ عَنْهُ إِصْرَارًا عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ
﴿لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾ أي ليستخفوا من الله
بسيئى أعمالهم فلا يطلع عليه رسوله
والمؤمنين ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾
حين يأوون إلى فراشهم، ويتدثرون
بأغطيتهم يعلم الله ما في قلوبهم، وذلك
أن بعض الكفار كان إذا مر به رسول
الله ﷺ ثنى صدره، وولى ظهره،
واستغشى ثيابه، لئلا يراه رسول الله ﷺ
﴿وَيَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ فلا فائدة
لهم في الاستخفاء، فالظاهر والباطن عند
الله سواء ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾
هي الضمائر التي تشتمل عليها الصدور.

٦ ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى
اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ من الغذاء اللائق بالحيوان

على اختلاف أنواعه تفضلا منه وإحسانا،
فلما كان لا يغفل عن كل حيوان باعتبار
ما قسمه له من الرزق، فكيف يغفل عن
أحواله وأقواله وأفعاله ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا﴾
أي محل استقرارها في الأرض حيث
تأوي ﴿وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ موضعها الذي تموت
فيه ﴿كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ أي كل مما
تقدم ذكره من: الدواب ومستقرها،
ومستودعها، ورزقها، في كتاب مبين،
وهو اللوح المحفوظ: أي مثبت فيه.

٧ ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ أي كان
عرشه قبل خلقها على الماء ﴿لِيَبْلُوكُمْ﴾
أيكم أحسن عملا، فيما أمر به ونهى
عنه، فيجازي المحسن بإحسانه، والمسيء
بإساءته ﴿لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا
إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ إلا باطل كبطلان
السحر، وخدع كخدعه.

٨ ﴿إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ﴾ أي إلى طائفة من
الأيام قليلة، وقيل: إلى حين تنقضي أمة
معدودة من الناس ﴿لَيَقُولَنَّ مَا يَجِبُ﴾
أي: يقول المنافقون: أي شيء يمنعه من
النزول؟ استعجالا له على جهة الاستهزاء
والتكذيب ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا
عَنْهُمْ﴾ أي ليس محبوسا عنهم، بل واقع



وَلَيْنَ أَخْرَجْنَاهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لِّيَقُولُوا
مَا نَحْبِسُهُ ۚ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ
بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ ۚ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾ وَلَيْنَ أَذْقْنَا الْإِنْسَانَ
مِنَ رَحْمَةٍ ثُمَّ تَزَعَّيْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَكَيُوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾
وَلَيْنَ أَذْقَنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَّةٍ لِّيَقُولَنَّ ذَهَبَ
السَّيِّئَاتُ عَنِّي ۚ إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾
فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ ۚ صَدْرُكَ
أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كُتُبٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَا
أَنْتَ نَذِيرٌ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ
أَفْتَرَاهُ ۚ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ ۚ مُفْتَرِيَتٍ وَادْعُوا
مَنْ أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾

فخور أي كثير الفرح بطرا وأشرا، كثير
الفخر على الناس والتطاول عليهم بما
يتفضل الله به عليه من النعم الحاضرة.
١١ **إلا الذين صبروا** فإنهم ثابتون
في الحالين في مقام الشكر: يذكرون الله
عند زوال النعم، ويحمدون الله عليها،
ويذكرون الله عند زوال النعمة،
وحصول النعمة، فيعلمون أنها من الله فلا
يبطرون **أولئك** المتصفون بالصبر وعمل
الصالحات **لهم مغفرة** لذنوبهم **وأجر**
لأعمالهم الحسنة **كبير** متناه في الكبر.

١٢ **فلعلك تارك بعض ما يوحى**
إليك أي: فلعلك لعظم ماتراه منهم من
الكفر والتكذيب، واقتراح الآيات التي
يقترحونها عليك على حسب هواهم
وتعنتهم، تارك بعض ما أنزله الله عليك
وأمرك بتبليغه مما يشق عليهم سماعه أو
العمل به، كسب آهتهم، وأمرهم بالإيمان
بالله وحده. أي: لا يكن منك ذلك، بل
تبليغهم جميع ما أنزل الله عليك، أحبوا
ذلك أم كرهوه **وضائق به صدرك**
غخافة **أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز**
أي مال مكنوز مخزون ينتفع به **أو جاء**
معه ملك يصدقه ويبين لنا صحة
رسالته.

١٣ **أم يقولون افتراه** أي اختلق
القرآن من عند نفسه كذبا **قل فأتوا**
بعشر سور مثله في البلاغة وحسن
النظم، وجزالة اللفظ، وفخامة المعاني
مفتريات أي: فأننا واحد منكم،
فهايتوا، وافتروا أقل مما افتريته **وادعوا**
للاستظهار على المعارضة بالعشر السور
من استطعتم دعاءه، وقدرتم على
الاستعانة به من هذا النوع الإنساني،
ومن تعبدونه وتجعلونه شريكا لله سبحانه
إن كنتم صادقين فيما تزعمون من
افتراضي له، إذ لو كان الأمر كما تدعون
لكان بإمكانكم أن تأتوا بمثله.

التي تمتع بها سابقا فلا يعود يشكرها بعد
زوالها.]

١٠ **ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء**
مسته ليقولن ذهب السيئات عني أي:
إنه إن أذاق الله سبحانه العبد نعماءه من
الصحة والسلامة والغنى، بعد أن كان في
ضر من فقر أو مرض أو خوف لم يقابل
ذلك بما يليق به من الشكر لله سبحانه،
بل يقول: ذهببت المصائب التي ساءته
من الضر والفقر والخوف والمرض عنه،
وزال أثرها، غير شاكر لله ولا مثن عليه،
على إزالة تلك الحال السيئة **إنه لفرح**

بهم لا محالة **وحاق بهم ما كانوا به**
يستهزون أي أحاط بهم العذاب الذي
كانوا يستعجلونه استهزاء منهم.

٩ **ولئن أذقنا الإنسان** أي هذه
طبيعة البشر: اليأس بعد سلب النعمة،
والغفلة بعد زوال النعمة. فيشمل
الإنسان المؤمن والكافر **رحمة** الرحمة:
النعمة من توفير الرزق والصحة والسلامة
من المحن **ثم نزعناها منه** أي سلبناه
إياها **إنه ليتوس** أي آيس من الرحمة،
شديد القنوط من عودها وأمثالها **كفور**
والكفور: عظيم الكفران [ينسى النعم

فَلَا تَسْتَجِيبُوا لَهُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا
لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا
النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾
أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن
قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ
وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ
فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِّن رَّبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا
أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ
الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾

١٤ ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ لم يفعلوا ما طلبته منهم، وتحديثهم به ﴿فَاعْلَمُوا﴾ أيها المؤمنون علم اليقين ﴿أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ المختص به الذي لا تطلع على كنهه العقول، لما اشتمل عليه من الإعجاز الخارج عن طوق البشر ﴿وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ المتفرد بالالوهية، ولا يقدر غيره على ما يقدر عليه ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ أي ثابتون على الإسلام مخلصون لله، مزدادون من الطاعات، أي فكونوا كذلك وأسلموا لله، لأنه قد حصل لكم بعجز الكفار عن الإتيان بمثل عشر سور من هذا الكتاب طمأنينة فوق ما كنتم عليه، وبصيرة زائدة وإن كنتم مسلمين من قبل.

١٥ ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا﴾ [أي أن من يرفضون الإيمان بعد البيان المتقدم لم يريدوا بالإعراض عنه إلا الدنيا] ومن كان يريد بعمله حظ الدنيا يكافأ بذلك، من الصحة والأمن والسعة في الرزق، وارتفاع الحظ، ونفاذ القول، ونحو ذلك، وذلك بمشيئة الله سبحانه. لقوله: (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد).

١٦ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ﴾ بأنهم لم يريدوا الآخرة بشيء من الأعمال المعتد بها، الموجبة للجزاء الحسن في الدار الآخرة ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا﴾ أي ظهر في الدار الآخرة حبوط ما صنعوه من الأعمال، أفسدوها بفساد مقاصدهم، وعدم الخلوص ﴿وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ لأنه لم يعمل لوجه صحيح يوجب الجزاء.

١٧ ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ في اتباع النبي ﷺ والإيمان بالله كغيره ممن يريد الحياة الدنيا وزينتها، وقيل: المراد النبي ﷺ ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ وهو القرآن، وقيل: الشاهد المعجزات، أو الإنجيل ﴿وَمَنْ قَبْلَهُ كَتَابَ مُوسَى﴾

التقدير: ويتلو الشاهد شاهد آخر من قبله هو كتاب موسى، بشر بمحمد ﷺ وأخبر بأنه رسول من الله ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ الإمام: هو الذي يؤتم به في الدين، ويقتدى به. وهو أي التوراة النعمة العظيمة التي أنعم الله بها على من أنزله عليهم ﴿أُولَئِكَ﴾ أي من كان على البينة وعلم شهادة الشاهدين المذكورين ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ أي يصدقون بالنبي ﷺ أو بالقرآن ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ﴾ من أهل مكة وغيرهم، من أهل الأديان كلها ﴿فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾ أي هو من أهل النار لا محالة ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ أي لا شك من القرآن، أو من الموعد ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِّن رَّبِّكَ﴾ فلا مدخل للشك فيه ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ مع ظهور الدلائل الموجبة له، ولكنهم يعاندون.

١٨ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بقولهم لأصنامهم: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، وقولهم: الملائكة بنات الله، ونحو ذلك ﴿يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ فيحاسبهم على أعمالهم ﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾

الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ
بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٩﴾ أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ
فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ
يُضَعِفُ لَهُمْ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا
كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ
وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ
هُمْ الْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ ﴿٢٣﴾ * مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ
وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ ۖ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢٥﴾
أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۚ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ

عقوبتهم ﴿وما كان لهم من دون الله
من أولياء﴾ يدفعون عنهم ما يريد الله
سبحانه من عقوبتهم ﴿يضاعف لهم
العذاب﴾ [لأجل افتراءهم على الله،
وصدهم عن سبيله، ووصف الملة
الإسلامية بالعوج، فعذابهم مضاعف
بالنسبة لعذاب كافر لم يفعل مثل فعلهم]
﴿ما كانوا يستطيعون السمع﴾ أي أفرطوا
في إعراضهم عن الحق وبغضهم له، حتى
كانهم لا يقدرّون على السمع ولا على
الإبصار.

٢١ ﴿الذين خسروا أنفسهم﴾ بعبادة غير
الله ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ أي
ذهب وضاع ما كانوا يفترون من الآلهة
التي يدعون أنها تشفع لهم، ولم يبق
بأيديهم إلا الخسران.

٢٢ ﴿لا جرم لهم في الآخرة هم
الأخسرون﴾ أي وما دام أمرهم كذلك
فلا بد أن يخسروا، وأنهم في الخسران قد
بلغوا إلى حد يتقاصر عنه غيرهم ولا يبلغ
إليه.

٢٣ ﴿وأخبتوا إلى ربهم﴾ أي أنابوا إليه
وخشعوا.

٢٤ ﴿مثل الفريقين كالأعمى والأصم
والبصير والسميع﴾ فالكافر شبه بمن جمع
بين العمى والصمم، والمؤمن شبه بمن جمع
بين السمع والبصر ﴿هل يستويان مثلاً﴾
يعني الفريقين، أي هل يستويان حالاً
وصفة ﴿أفلا تذكرون﴾ في عدم
استوائهما، وفيما بينها من التفاوت
الظاهر.

٢٥ ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه﴾ قائلاً
﴿إني لكم نذير مبين﴾ منذر من قبل الله
تعالى، معي بينة على أي رسول.

٢٦ ﴿إني أخاف عليكم عذاب يوم
القيم﴾ أيهم ولم يفره لهم، وتأويله هو:
يوم القيامة، أو يوم الطوفان.

نفسه أنه قد هلك، قال: فإني سترتها
عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم،
ثم يعطى كتاب حسناته؛ وأما الكافر
والمنافق فيقول الأَشْهَاد: هؤلاء الذين
كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على
الظالمين».

١٩ ﴿الذين يصدون عن سبيل الله﴾
أي يمنعون من قدروا على منعه عن دين
الله والدخول فيه ﴿ويبغونها عوجاً﴾ أي
يصفونها بالاعوجاج تنفيراً للناس عنها.

٢٠ ﴿لم يكونوا معجزين في الأرض﴾
أي ما كانوا يفوتون الله في الدنيا إن أراد

الأشهاد: الملائكة والمرسلون والعلماء
الذين بلغوا ما أمرهم الله بإبلاغه، يقولون
عند العرض ﴿هؤلاء﴾ المعروضون هم
﴿الذين كذبوا على ربهم﴾ بما نسبوه إليه
﴿ألا لعنة الله على الظالمين﴾ الذين
ظلموا أنفسهم بالافتراء، وفي الصحيحين
وغيرهما عن ابن عمر: سمعت رسول الله
ﷺ يقول: «إن الله يدني المؤمن حتى
يضع كنفه عليه ويستتره من الناس
ويقره بذنوبه، ويقول له: أتعرف ذنب
كذا، أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: رب
أعرف، حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في



٢٧ ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾

قومه ﴿الملا: الأشراف، فيه دليل على أن بعض أشراف قومه لم يكونوا كفرة أجابوه بهذا الجواب الذي يقتضي طعنهم في نبوته من ثلاث جهات: الجهة الأولى: قولهم: ﴿ما نراك إلا بشرا مثلاً﴾ في البشرية، فلم يكن لك علينا مزية تستحق بها النبوة دوننا. والجهة الثانية قولهم: ﴿وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا﴾ أي ولم يتبعك أحد من الأشراف، والأراذل: الفقراء، والذين لا حسب لهم، ومن يدخل في الحرف الدنية أي فليس لك علينا مزية باتباع هؤلاء الأراذل لك [فإنهم لا يدركون مواقع الخطأ فيما يسمعون من القول بل يتبعون كل من دعاهم إلى مذهب جديد دون تفهم لقوله]. ﴿بإدي الرأي﴾ أي اتبعوك في ظاهر الرأي من غير تعمق ولا تحقق من كونك نبياً. والجهة الثالثة من مطاعنهم قولهم: ﴿وما نرى لكم علينا من فضل﴾ خاطبوه بهذا وخاطبوا متبعيه: أي ما نرى لك ولمن اتبعك من الأراذل علينا من فضل تتميزون به وتستحقون ما تدعونه. ثم أضربوا عن المطاعن الثلاثة وانتقلوا إلى ظنهم المجرد عن البرهان الذي لا مستند له إلا مجرد العصبية والحسد واستبقاء ما هم فيه من الرياسة الدنيوية فقالوا: ﴿بل نظنكم كاذبين﴾.

٢٨ ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي﴾

أي أخبروني إن كنت على برهان من ربي في النبوة يدل على صحتها، ويوجب عليكم قبولها، والمساواة في صفة البشرية لا تمنع المفارقة في صفة النبوة ﴿وأتاني رحمة من عنده﴾ هي النبوة ﴿فعميت﴾ خفيت ﴿أنلزمكموها﴾ أي كننا أن نضطرركم وندخل الإيمان في قلوبكم رغماً عنكم ﴿وأنتم لها كارهون﴾ غير متدبرين فيها، فإن ذلك لا يقدر عليه

إِلَيْهِ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِإِدْنِي بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَنِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعَمِيَتْ عَلَيْكُمْ أَنْزِلُكُمْ مَوَاهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَاثِرُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقَوْمِ لَا تَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَآ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلْكُ قَوْمِ رَبِّي وَلَكِنِّي أَرْسَلْتُ قَوْمًا يَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَقَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمَنْ

إلا الله.

٢٩ ﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً﴾

لا يطلب النبي على تبليغ الرسالة مالا حتى يكون بذلك محلاً للتهمة ﴿وما أنا بطارد الذين آمنوا﴾ من الفقراء كما تطلبون ﴿إنهم ملافؤ ربهم﴾ فهو يجازيهم على إيمانهم ﴿ولكني أراكم قوماً تجهلون﴾ ومن جهلهم استرداهم للفقراء، وسؤالهم له أن يطردهم.

٣٠ ﴿وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ﴾

وقد سبقوا إلى الإيمان والإجابة وإلى الدعوة التي أرسلني الله بها، أي:

فهم أحقاء بالإكرام ورفعة المقام بسبب مبادرتهم إلى الإيمان بالله، لا بالطرد والإبعاد والإهانة، ولا يصنع هذا بهم إلا الجهلة الذين لا يعلمون حق الله، فكيف أفعله وأنا رسول الله، ومن ينصُرني إن فعلت هذه المعصية [إذ إن المؤمنين المسارعين إلى طاعة الله هم أولياء الله وأحبابه ولو كانوا فقراء لا يملكون شيئاً، فإن أسأت إليهم وطردهم كان الله خصمي، فمن ينصُرني منه].

٣١ ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾

حق تستدلوا بعدمها على كذبي،

الظالمين ﴿٣١﴾ قَالُوا يَنْوُحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ
جِدْلَنَا فَأَتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾
قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾
وَلَا يَنْفَعُكُمْ نَصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ
اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾
أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَىٰ إِجْرَامِي وَأَنَا
بِرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾ وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ
قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾
وَأَصْنَعِ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ
ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعِ الْفُلَكَ وَكُلَّمَا
مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا
فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ

والمراد بخزائن الله: خزائن رزقه **﴿ولا أعلم الغيب﴾** أي ولا أدعي أنني أعلم بغييب الله، بل لم أقل لكم إلا أنني نذير مبين **﴿ولا أقول﴾** لكم **﴿إني ملك﴾** حتى تقولوا ما نراك إلا بشرا مثلنا **﴿ولا أقول للذين تزدري أعينكم﴾** أي لا أقول لهؤلاء المتبعين لي، المؤمنين بالله، الذين تعيبونهم وتحتقرونهم **﴿لن يؤتيهم الله خيرا﴾** بل قد آتاهم الخير بالإيمان، فهو مجازيهم بالجزاء العظيم في الآخرة، ورافعهم في الدنيا **﴿الله أعلم بما في أنفسهم﴾** من الإيمان به والإخلاص له، فجازيهم على ذلك، [أي فإن كان في قلوبهم خير فإن الله يؤتيهم من فضله بحسب ذلك، ولا يمنع من إعطائهم فضله كونهم ضعفاء فقراء] **﴿إني إذا لمن الظالمين﴾** [إن قلت لن يؤتيهم الله خيرا وأنا لا أعلم لي بما في أنفسهم].

٣٢ ﴿يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا﴾ دفعنا بكل حجة **﴿فأتانا بما تعدنا﴾** من العذاب الذي تخوفنا منه، وتخافه علينا.

٣٣ ﴿قال إنما يأتىكم به الله﴾ عجله لكم أو أخره **﴿وما أنتم بمعجزين﴾**

بفائتين عما أراده الله بكم بهرب أو مدافعة.

٣٤ ﴿ولا ينفعكم نصحي﴾ الذي أبذله لكم، وأستكثر منه بحق النصيحة لله بإبلاغ رسالته، ولكم بإيضاح الحق **﴿إن كان الله يريد أن يغويكم﴾** لا ينفعكم نصحي إن كان الله يريد أن يضلكم عن سبيل الرشاد، ويخذلكم عن طريق الحق، ولا أدري ما يريد الله بكم **﴿هو ربكم﴾** فإليه الإغواء، وإليه الهداية **﴿واليه ترجعون﴾** فيجازيكم بأعمالكم.

٣٥ ﴿أم يقولون افتراه﴾ يعني بل أقول كفار مكة: افتري محمد قصة نوح هذه **﴿قل إن افتريته﴾** [فذلك إجماع عظيم] **﴿فعلنى إجرامي﴾** إثمى وجزاء كسبي **﴿وأنا بريء مما تجرمون﴾** ما تنسبونه إلي من الافتراء، فالإجماع وعقابه ليس إلا عليكم، وأنا بريء منه.

٣٦ ﴿لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن﴾ [آيسه الله من إيمانهم بهذا الخبر القاطع، ليكف عن دعوتهم ويستعد للنجاة] فالآية تأيس له من إيمانهم، إلا من قد سبق إيمانه **﴿فلا تبتئس﴾** فلا تحزن. والابتئاس: حزن في استكانة.

٣٧ ﴿واصنع الفلك بأعيننا ووحينا﴾ أي اعمل السفينة برأى منا، وحفظنا لك، وبما أوحينا إليك من كيفية صنعها **﴿ولا تخاطبني في الذين ظلموا﴾** أي لا تطلب منا إصالحهم، فإنه محكوم منا عليهم بالفرق، وقد مضى به القضاء، فلا سبيل إلى دفعه ولا تأخير، فإنهم مغرقون في الوقت المضروب لذلك.

٣٨ ﴿ويصنع الفلك﴾ أي وأخذ يصنع الفلك **﴿سخرها منه﴾** فيقولون يا نوح: صرت بعد النبوة نجارا [أو يقولون يعمل سفينة في البر فكيف تجري] **﴿إن تسخرها منا﴾** بسبب عملنا للسفينة اليوم، فإننا نسخر منكم غدا عند الفرق.

٣٩ ﴿عَذَابٌ يُجْزِيهِ﴾ وهو عذاب الفرق في الدنيا ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ وهو عذاب النار الدائم.

٤٠ ﴿وَفَارَ التَّنُورُ﴾ أي فار الماء من التنور، وهو تنور الخبز الذي يخبزون فيه. وقيل: التنور وجه الأرض، وفورانه علامة بدء الطوفان.

﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ اثْنَيْنِ﴾ احمل في السفينة من كل صنف مما في الأرض من الحيوانات زوجين اثنين ذكرا وأنثى ﴿وَأَهْلَكَ﴾ أمره أن يحمل معه أهله وهم امرأته، وبنوه ونساؤهم ﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ أي من تقدم الحكم عليه بأنه من المغرقين ﴿وَمَنْ آمَنَ﴾ أي واحمل في السفينة من آمن معك من قومك ثم وصف الله سبحانه قلة المؤمنين مع نوح بالنسبة إلى من كفر به، فقال: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ قيل: هم ثمانون إنسانا: منهم ثلاثة من بنيه، وهم سام، وحام، ويافث، وزوجاتهم.

٤١ ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا﴾ القائل: نوح [وإنما قال هذا لإشعارهم بلطف الله ورحمته بهم] ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِيهَا وَمُرسَاهَا﴾ جريانها في الطوفان ورسوها بعده ﴿إِنْ رَبِّي لَغَفُورٌ﴾ للذنوب ﴿رَحِيمٌ﴾ ومن رحمته إنجاء هذه الطائفة تفضلا منه لبقاء أجناس الحيوان التي حملها معه، [وبقاء النسل البشري بعد الطوفان].

٤٢ ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ [فيه بيان لشدة الأهوال وقوة الريح وعظم الطوفان الذي غشي الأرض، وأن الله سلم السفينة ومن فيها على الرغم من ذلك تفضلا منه ورحمته] ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾ قيل: هو كنعان، وكان كافرا، وقيل: كان منافقا ﴿وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ﴾ عن قومه وقربته بحيث لم يبلغه قول نوح: اركبوا فيها، وقيل: في

مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُجْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾
حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ
زَوْجٍ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ
وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ * وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا
بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِيهَا وَمُرسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤١﴾
وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ
فِي مَعْزِلٍ يَبْنَىٰ أَرَكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾
قَالَ سَعَاوَىٰ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ
الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ
فَكَانَ مِنَ الْمَغْرِقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ
وَيَسْمَاءُ أَقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ
عَلَىٰ الْجُودَىٰ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾

﴿وَبَا سَاءَ أَقْلَعِي﴾ يقال أقلع المطر إذا انقطع ﴿وغيض الماء﴾ أي نقص [حتى جفت] ﴿وقضى الأمر﴾ أهلك الله قوم نوح على تمام وإحكام ﴿واستوت على الجودي﴾ أي استقرت السفينة على الجبل المعروف بالجودي، وهو جبل بقرب الموصل ﴿وقيل بعدا﴾ هلاكا ﴿للقوم الباطلين﴾ وقد أطبق علماء البلاغة على أن هذه الآية الشريفة باللغة من الفصاحة والبلاغة إلى محل يتقاصر عنه الوصف، وتضعف عن الإتيان بما يقاربه قدرة القادرين على فنون البلاغة، الثابتين معزل من دين أبيه ﴿ولا تكن مع الكافرين﴾ خارج السفينة، أو لا تكن على دينهم فإنهم هالكون.

٤٣ ﴿يعصمني من الماء﴾ أي يمنعني بارتفاعه من وصول الماء إلي ﴿ولا عاصم اليوم من أمر الله﴾ أي لا مانع فإنه يوم قد حق فيه العذاب ﴿إلا من رحم﴾ أي لكن من رحمه الله فهو يعصمه ﴿وحوال بينهما الموج﴾ أي وتعاضمت الأمواج حتى حالت بين نوح وابنه، فتعذر خلاصه من الفرق.

٤٤ ﴿وقيل يا أرض ابلعي ماءك﴾ ليس كالنشف المعتاد على سبيل التدرج



وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ
الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَنُوحُ إِنَّهُ
لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ
لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾
قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ
وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ
يَنُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ
مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾
تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا
أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَةَ
لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِلَى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا
اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۚ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾

العالمين العاملين. ثم لما علم نوح بأن
سؤاله لم يطابق مرضاة الله، وأن دعاءه
ناشيء عن وهم كان يتوهمه، بادر إلى
الاعتراف بالخطأ، وطلب المغفرة والرحمة:
٤٧ **﴿قال رب إني أعوذ بك أن
أسألك ما ليس لي به علم﴾** ما لا علم
لي بصحته وجوازه **﴿وإن لا تغفر لي﴾**
ذنب ما دعوت به على غير علم مني
﴿وترحمني﴾ برحمتك، فتقبل توبتي **﴿أكن
من الخاسرين﴾** في أعمالي فلا أربح
فيها.

٤٨ **﴿قيل يا نوح اهبط﴾** أي: انزل
من السفينة إلى الأرض، أو من الجبل
إلى المنخفض من الأرض، فقد بلغت
الأرض ماءها وجفت **﴿بسلام منا﴾** أي
بسلامة وأمن **﴿وبركات﴾** أي نعم ثابتة
﴿وعلى أمة ممن معك﴾ وهم المتشعبون
من ذرية من كان معه في السفينة، ومن
في السفينة، فإنهم أمة مختلفة، وأنواع من
الحيوانات متباينة **﴿وأمة سنعطيهم﴾** من
صار كافراً من ذريتهم إلى يوم القيامة،
سنمتعهم في الدنيا، ونعطيهم منها ما
يعيشون به **﴿ثم يمسه﴾** من **﴿أمة﴾** في الآخرة
﴿عذاب أليم﴾.

٤٩ **﴿تلك﴾** قصة نوح **﴿من أنباء
الغيب﴾** أي من أخباره **﴿ما كنت﴾** يا
محمد **﴿تعلمها أنت ولا﴾** يعلمها
﴿قومك﴾ من قبل الوحي أي فكان
محيثك بها على هذا التفصيل البديع
المطابق للحقيقة دليلاً لهم على أنك رسول
الله حقاً **﴿فاصبر﴾** على ما تلاقيه من
كفار زمانك **﴿إن العاقبة﴾** المحمودة في
الدنيا والآخرة **﴿للمتقين﴾** لله، المؤمنين
بما جاءت به رسله.

٥٠ **﴿وإلى عاد﴾** أي: إلى قبيلة عاد، كانت
تسكن الأحقاف باليمن **﴿أخاهم هوداً﴾**
أخاهم: أي واحد منهم **﴿إن أنتم إلا
مفترون﴾** أي كاذبون باتخاذ إله غير الله.

العمل، أي [وأنت يا نوح لا ينتسب
إليك العمل السيء، فهو ليس من أهلك
في الحقيقة التي يدعو إليها أنبياء الله،
ويعلنونها للناس، من أن العلاقة إذا
كانت بين المؤمنين بالله فهي ثابتة، وإن
كانت بين أولياء الله وبين أعدائه فهي
مقطوعة] **﴿فلا تسألن ما ليس لك به
علم﴾** أي لو كان في علمي أنه مؤمن
لأنجيت به. وفيه عدم جواز الدعاء بما يعلم
الإنسان عدم مطابقته للشرع **﴿إني
أعظك أن تكون من الجاهلين﴾** أي
أحذرك أن تكون منهم، بل كن من

الأقدام في علم البيان، الراسخين في علم
اللغة.

٤٥ **﴿فقال رب إن ابني من أهلي﴾** أي
فهو من الذين وعدتني بتنجيهم بقولك:
وأهلك **﴿وإن وعدك الحق﴾** الذي لا
خلف فيه **﴿وأنت أحكم الحاكمين﴾**
أعلمهم وأعدلهم.

٤٦ **﴿قال يا نوح إنه ليس من
أهلك﴾** لأنه لم يكن من الذين آمنوا بك
وتابعوك، فالقربة قرابة الدين لا قرابة
النسب وحده **﴿إنه عمل غير صالح﴾**
للمبالغة في ذمه، كأنه جعل نفس

٥١ ﴿يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾

على ما أبلغه إليكم، وأنصحكم به ﴿على الذي فطرني﴾ أي خلقتني فهو الذي يشيني على ذلك.

٥٢ ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ﴾ أي المطر ﴿عليكم

مدراراً﴾ أي كثير الدرور، والناقة المذار

الكثيرة الحليب. أي إن الاستغفار

والتوبة يجلبان رزق السماء، وبركات

الأرض ﴿ويزدكم قوة إلى قوتكم﴾

خصباً إلى خصبكم، أو عزاً إلى عزكم

﴿ولا تتولوا مجرمين﴾ أي لا تعرضوا عما

أدعوكم إليه [فتكونوا بذلك مرتكبين

جريمة الإعراض عن دعوة الله والكفر

بآياته وبرسوله].

٥٣ ﴿مَا جِئْنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ أي بحجة واضحة

نعمل عليها [نستدل بها على أنك رسول

من عند الله حقاً، وعلى أنك لست كاذباً

مذعياً على الله] ﴿وما نحن بناركي

آلهتنا﴾ التي نعبدها من دون الله ﴿عن

قولك﴾ صادرين عن قولك [الذي ليس

معه حجة].

٥٤ ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا

بسوء﴾ أي ما نقول إلا أنه أصابك بعض

آلهتنا - التي تعيها وتسفه رأينا في

عبادتها - بسوء: بجنون، فن جنونك ما

تقوله لنا، وتكرره علينا من التنفير عنها

﴿قال إني أشهد الله وأشهدوا﴾ أنتم

﴿إني بريء مما تشركون﴾ [أي أتنزه عن

عبادتها، وأعلن أنني لست ممن اتخذوها

أرباباً، بل أنا عدو لها].

٥٥ ﴿مَنْ دُونَهُ﴾ أي: من إشراككم من

دون الله من غير أن ينزل به سلطاناً

﴿فكيدوني جميعاً﴾ أنتم وآلهتكم إن

كانت كما تزعمون تقدر على الإضرار بي،

وأنا اعترتني بسوء ﴿ثم لا تنظرون﴾ أي

لا تهملوني، بل عاجلوني واصنعوا ما بدا

لكم من الإضرار بي.

٥٦ ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي

يَقُومُ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي

فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَقُومُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ

تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً

إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا يَهُودُ مَا جِئْتَنَا

بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ

بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ

قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾

مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونَ ﴿٥٥﴾ إِنِّي

تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ

بِنَاصِيَتِهَا إِنْ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِنْ

تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ

رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنْ رَبِّي عَلَى كُلِّ

شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٧﴾ تَسْتَمِرُّونَ عَلَى الْإِعْرَاضِ عَنْ

الْإِجَابَةِ وَالتَّصْمِيمِ عَلَى الْكُفْرِ فَقَدْ

أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ لَيْسَ

عَلَيَّ إِلَّا ذَلِكَ، وَقَدْ لَزِمْتُكُمْ الْحُجَّةَ

﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [أي

إن الله تعالى يهلككم بسبب موقفكم من

رسول ربكم وإعراضكم عن دعوته ثم

يأتي بقوم سواكم يكونون بدلاً عنكم في

دياركم وأموالكم] ﴿ولا تضرونه شيئاً﴾

كثيراً من الضرر ولا حقيراً ﴿إن ربِّي

على كل شيء حفيظ﴾ رقيب مهيم،

دعوته.

٥٧ ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ تستمروا على الإعراض

عن الإجابة والتصميم على الكفر ﴿فقد

أبلغتكم ما أرسلت به إليكم﴾ ليس

عليَّ إلا ذلك، وقد لزمتمكم الحجة

﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [أي

إن الله تعالى يهلككم بسبب موقفكم من

رسول ربكم وإعراضكم عن دعوته ثم

يأتي بقوم سواكم يكونون بدلاً عنكم في

دياركم وأموالكم] ﴿ولا تضرونه شيئاً﴾

كثيراً من الضرر ولا حقيراً ﴿إن ربِّي

على كل شيء حفيظ﴾ رقيب مهيم،

دعوته.

وربكم﴾ فهو يعصمني من كيدكم وإن

بلغتم في طلب وجوه الإضرار بي كل

مبلغ، فن توكل على الله كفاه ﴿ما من

دابة إلا هو آخذ بناصيتها﴾ أي كل

دابة، ومنها أنتم في قبضته وتحت قهره،

بغاية التسخير ونهاية التذليل، ومعنى:

آخذ بناصيتها: مالكها، والقادر عليها،

وقاهرها، والناصية: قصاص الشعر من

مقدم الرأس ﴿إن ربِّي على صراط

مستقيم﴾ أي هو على الحق والعدل فلا

يسلطكم علي، لأنني مؤمن به داع إلى

سبيله، وأنتم تكفرون به، وتعرضون عن

دعوته.



شَيْءٌ حَفِیْظٌ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ
آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيْظٍ ﴿٥٨﴾
وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِعَايَتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا
أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً
وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ
قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ * وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَتَقَوَّمُ
أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ
الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ
إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا يَصْلِحْ قَدْ كُنْتَ فِينَا
مَرْجُوعًا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا
لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَتَقَوَّمُ أَرَأَيْتُمْ
إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّي وَءَاتَنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَهَلْ يَنْصُرُنِي

أَنْ مِنْ كَذِبٍ بِرَسُولٍ وَاحِدٍ فَقَدْ كَذَبَ
بِجَمِيعِ الرُّسُلِ. وَمَنْ كَانَ قَبْلَهُ مِنَ الرُّسُلِ
﴿وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ الجبار:
المتكبر، والعنيد: الطاغوي الذي لا يقبل
الحق ولا يذعن له أي إنهم أدركوا سوء
المصير هذا بسبب إعراضهم عن طاعة الله
وطاعة رسوله مع ما جاءهم به من
المعجزات والبراهين، واتباعهم العتاة من
رؤسائهم وقادتهم إلى الشر.

﴿٦٠﴾ وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً
[يلعنهم اللاعنون] فأصبحت لازمة لهم لا
تفارقهم مادامت هذه الدنيا ﴿٦١﴾ أَتَبَعُوا

فهو يحفظني من أن تنالوني بسوء.

﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا أي عذابنا الذي
هو إهلاك عاد ﴿بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾ أي برحمة
عظيمة كائنة من الله، لأنه لا ينجو أحد
إلا برحمة الله ﴿مِنْ عَذَابٍ غَلِيْظٍ﴾ أي
شديد، قيل وهو رياح السموم التي كانت
تدمر ديارهم وتفتنهم حتى لم تبق منهم
أحد.

﴿٥٩﴾ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ أي كفروا
بها وكذبوها وأنكروا المعجزات ﴿وَعَصَوْا
رُسُلَهُ﴾ أي هودا وحده، لأنه لم يكن في
عصره رسول سواه، ولكن تشير الآية إلى

﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ فلعنوا هنالك كما لعنوا في
الدنيا ﴿كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾ أي بربهم، أو
كفروا نعمة ربهم ﴿أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ
هُودٍ﴾ أي لا زالوا مبغدين من رحمة الله.

﴿٦١﴾ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا
[وكانوا يسكنون الحجر بين المدينة والشام
﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ﴾ أي ابتداء
خلقكم من الأرض، لأن كل بني آدم
من صلب آدم، وهو مخلوق من الأرض
﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ أي جعلكم عمارها:
من بناء المساكن، وغرس الأشجار
﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ أي: اسألوا الله أن يغفر
لكم ما كنتم عليه من عبادة الأصنام
وسائر الذنوب ﴿ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ﴾ أي
ارجعوا إلى عبادته واندموا على ما فرط
منكم ﴿إِنْ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ أي
قريب الإجابة لمن دعاه.

﴿٦٢﴾ قَدْ كُنْتُ فِينَا مَرْجُوعًا قَبْلَ
هَذَا: أي كنا نرجو أن تكون فينا
سيدا مطاعا ننتفع برأيك قبل هذا الذي
أظهرته، من ادعائك النبوة، ودعوتك إلى
التوحيد، فلما دعاهم إلى الله قالوا انقطع
رجاؤنا منك ﴿أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ
آبَاؤُنَا﴾ للإنكار، أنكروا عليه هذا النهي
﴿وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ
مُرِيبٍ﴾ من عبادة الله وحده، وترك
عبادة الأوثان — موقع في الريب.

﴿٦٣﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ أَي فُكِّرُوا فِي
قَوْلِي وَأَخْبِرُونِي ﴿إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْ
رَّبِّي﴾ أي حجة ظاهرة وبرهان صحيح
﴿رَحْمَةً﴾ أي نبوة ﴿فَهَلْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ﴾
يمنعني من عذاب الله ﴿إِنْ عَصَيْتُهُ﴾ في
تبليغ الرسالة وراقبتكم وفترت عما يجب
عليّ من البلاغ لكم بترك عبادة
الطواغيت [وبإفرااد الله وحده بالعبادة،
فإنّي لا أعبد لي ولا نجاة لي من الله ما لم
أبلغكم الرسالة التي أتمنني عليها].

مِنْ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَحْسِيرٍ ﴿٦٣﴾
وَيَقَوْمَ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذُرُّوَهَا تَكُلْ فِي أَرْضِ
اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾
فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ
غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ
ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ
هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ
فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جُثُمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَنَّ لَمْ يَغْنُوا فِيهَا
أَلَّا إِنْ تَمُودَا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لَلثَمُودَ ﴿٦٨﴾ وَلَقَدْ
جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ
فَلَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ
لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحْزَنْ

﴿فما تزيدونني﴾ بتشيطكم إياي ﴿غير تحسیر﴾ بأن تجعلوني خاسرا بإبطال عملي، والتعرض لعقوبة الله لي.

٦٤ ﴿ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية﴾ معجزة ظاهرة، لأنه أخرجها لهم من جبل على حسب اقتراحهم.

٦٥ ﴿فذروها تاكل في أرض الله﴾ مما فيها من المراعي التي تأكلها الحيوانات [ولا تضيقوا عليها في المرعى، فهي ناقة الله تأكل في أرضه] ﴿فياخذكم عذاب قريب﴾ أي: قريب من عقرها، وذلك ثلاثة أيام ﴿فعقروها﴾ أي قتلوها بضربها بسيف أو نحوه ﴿فقال﴾ لهم صالح ﴿تمتعوا في داركم ثلاثة أيام﴾ أي تمتعوا بالعيش في منازلكم ثلاثة أيام: فإن العقاب نازل عليكم بعدها.

٦٦ ﴿فلما جاء أمرنا﴾ بوقوع العذاب ﴿ومن خزي يومئذ﴾ وهو هلاك قومه بالصيحة، والخزي: الذل والمهانة.

٦٧ ﴿وأخذ الذين ظلموا الصيحة﴾ صيح بهم فاتوا، قيل: صيحة جبريل، وقيل: صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم ﴿فأصبحوا في ديارهم جاثمين﴾ أي ساقطين على وجوههم موتى قد لصقوا بالتراب كالطير إذا جثمت.

٦٨ ﴿كأن لم يغنوا فيها﴾ أي كأنهم لم يقيموا في بلادهم، أو ديارهم ولم يستعمروا فيها.

٦٩ ﴿ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى﴾ لما أنزل الله الملائكة بعذاب قوم لوط، فرأوا إبراهيم ونزلوا عنده، لتبشيره بهذه البشارة المذكورة ﴿فالبث﴾ أي: إبراهيم ﴿أن جاء بعجل حنيد﴾ الحنيد: المشوي بحر الحجارة من غير أن تمسه النار.

٧٠ ﴿فلما رأى أيديهم لا تصل إليه﴾ أي: لا يمدونها إلى العجل، كما يمد يده من يريد الأكل ﴿نكرهم﴾ استنكر منهم ذلك، ظن أنهم قد جاءوه بشر، لأن

عادتهم أن الضيف إذا نزل بهم، ولم يأكل من طعامهم، ظن أنه قد جاء بشر هو ﴿يعقوب﴾.

٧٢ ﴿قالت يا ويلتا﴾ كلمة تقع كثيرا على أفواه النساء إذا طرأ عليهن ما يعجبهن منه ﴿أألد وأنا عجوز﴾ شيخوخة قد طغنت في السن رقيق بنت تسعين ﴿وهذا بعلي﴾

٧١ ﴿وامرأته قائمة﴾ قيل: كانت قائمة تخدم الملائكة وهو جالس، والضحك هنا: هو الضحك المعروف، وقيل معناه: أنها حاضت في تلك الحال، وكانت عجوزا عقيما قد يشست من الحيض ﴿فبشرناها بإسحق﴾ تلده لإبراهيم ﴿ومن

وراء إسحق﴾ بشرناها أنه يأتيه ولد له هو ﴿يعقوب﴾.

٧٢ ﴿قالت يا ويلتا﴾ كلمة تقع كثيرا على أفواه النساء إذا طرأ عليهن ما يعجبهن منه ﴿أألد وأنا عجوز﴾ شيخوخة قد طغنت في السن رقيق بنت تسعين ﴿وهذا بعلي﴾

٧١ ﴿وامرأته قائمة﴾ قيل: كانت قائمة تخدم الملائكة وهو جالس، والضحك هنا: هو الضحك المعروف، وقيل معناه: أنها حاضت في تلك الحال، وكانت عجوزا عقيما قد يشست من الحيض ﴿فبشرناها بإسحق﴾ تلده لإبراهيم ﴿ومن

إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٥﴾ وَأَمْرًا لَهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ
فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧٦﴾ قَالَتْ
يَبُوءُ لِيَ بَلَدٌ كَأَنَّ الدُّنْيَا بِيَدِي وَإِنَّا نَجُوزُ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا
لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٧﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ
اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿٧٨﴾
فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجْدِلُنَا
فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٩﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴿٨٠﴾
يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ
وَإِنَّهُمْ أَتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٨١﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ
رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ يَوْمٍ ﴿٨٢﴾ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ
عَصِيبٌ ﴿٨٣﴾ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ
كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ﴿٨٤﴾ قَالَ يَتَقَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ

ابن، وأيست منه لكبر سنها، فبشرها الله به على لسان ملائكته.

٧٣ ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ وهو لا يستحيل عليه شيء، وإنما أنكروا عليها مع كون ما تعجبت منه من خوارق العادة، لأنها من بيت النبوة، ولا يخفى على مثلها أن هذا من مقدوراته سبحانه ﴿وَبَرَكَاتِهِ﴾ البركات: هي النعم والزيادة ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ [يا أهل بيت النبوة. وأنت يا زوجة النبي منهم] ﴿إِنَّهُ حَمِيدٌ﴾ أي يفعل موجبات حمده من عباده ﴿مَجِيدٌ﴾ [ذو المجد والرفعة].

٧٤ ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ﴾ الخيفة التي أوجسها في نفسه ﴿وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى﴾ أي بالولد ﴿يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ أي يجادل رسلنا، وقيل: إن المعنى أخذ يجادلنا، قيل: إنه لما سمع قولهم (إننا مهلكو أهل هذه القرية) قال: أرأيتم إن كان فيهم خسون من المسلمين أتهلكونهم؟ قالوا لا. قال: فأربعون؟ قالوا لا. قال: فمئثون؟ قالوا لا. قال: قال فمئثون؟ قالوا لا. قال: فواحد؟ قالوا لا (قال: إن فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجيه وأهله)

أي يجادلنا في شأنهم وأمرهم لعله أن يجد وجهاً لتأخير العذاب عنهم.

٧٥ ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾ أي ليس بمعجول في الأمور، والأواه: كثير التأوه، والمنيب: الراجع إلى الله.

٧٦ ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ الجدال في أمر قد فرغ منه، وحق به القضاء ﴿إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ بعذابه الذي قدره عليهم، وسبق به قضاؤه ﴿وَأَنَّهُمْ أَتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ أي لا يردّه دعاء ولا جدال، بل هو واقع بهم لا محالة، ليس بمصروف ولا مدفوع.

٧٧ ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾ لما خرجت الملائكة من عند إبراهيم، وكان بين إبراهيم وقرية لوط فراسخ، جاءوا إلى لوط في صورة أضياف، فلما رآهم لوط ﴿سِئَاءَ يَوْمٍ﴾ أي ساءه مجيئهم ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ ضاق صدره لما رأى الملائكة في تلك الصورة، خوفاً عليهم من قومه، لما يعلم من فسقهم وارتكابهم لفاحشة اللواط ﴿وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ أي شديد. علم أنه سيضطر لمداغة قومه عما جرت عليه عادتهم الخبيثة، وظن أنهم قد يغلبونه على أضيافه، فلا يقدر على دفعهم.

٧٨ ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾ يسرعون إليه إسراعاً مع رعدة، وقيل يهرعون: يهرولون، كأنما يدفعون دفعاً لطلب الفاحشة من أضيافه ﴿وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ أي: كانت عادتهم إتيان الرجال، فلما جاءوا إلى لوط، وقصدوا أضيافه لذلك العمل، قام إليهم لوط مدافعاً و﴿قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ قيل: المراد تزوجوهن، وقيل: أراد بقوله ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾ النساء جملة، لأن نبي القوم أب لهم، وقيل: إنما كان هذا القول منه على طريق المدافعة إلى أن ينصرف الضيوف، ولم يرد الحقيقة.

أَطْهَرُ لَكُمْ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَلَا تُحْزُونِ فِي ضَيْفِي ^ط أَلَيْسَ
مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ٧٨ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ
مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ٧٩ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً
أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ٨٠ قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ
رَبِّكَ لَنْ يَصْلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا
يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتُكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ
إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ٨١ فَلَمَّا
جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً
مِنْ سِجِّيلٍ مَنضُودٍ ٨٢ مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ
الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ٨٣ * وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا
قَالَ يَبْنَؤُمْ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا
الْمِيزَانَ إِنِّي أَرَانَكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ

﴿هَن أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ أَحَلَّ وَأَنْزَلَ ﴿وَلَا تُحْزُونِ فِي ضَيْفِي﴾ أَيِ اتَّقُوا اللَّهَ بِتَرْكِ مَا تَرِيدُونَ مِنَ الْفَاحِشَةِ بِهِمْ، وَلَا تَجْلِبُوا عَلَيَّ الْعَارِ فِي حَقِّ أَضْيَافِي ﴿أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ بِرَشْدِكُمْ إِلَى تَرْكِ هَذَا الْعَمَلِ الْقَبِيحِ وَمَنْعِكُمْ مِنْهُ.

٧٩ ﴿مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ مِنْ شَهْوَةٍ وَلَا حَاجَةٍ، وَقِيلَ: إِنَّهُمْ كَانُوا قَدْ خَطَبُوا بَنَاتَهُ مِنْ قَبْلِ فَرْدِهِمْ.

٨٠ ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾ [أَيِ: يَا لَيْتَنِي كَانَ لِي قُوَّةٌ عَلَى دَفْعِكُمْ] أَوْ وَجَدْتُ مَعِينًا وَنَاصِرًا ﴿أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [مَكَانٍ مَحْصَنٍ أَلْتَجِيءُ إِلَيْهِ] وَقِيلَ مُرَادُهُ بِالرُّكْنِ الشَّدِيدِ: عَشِيرَةٌ قَوِيَّةٌ تَحْمِيهِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْهُمْ عَشِيرَةٌ، لِأَنَّهُ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ، [أَيِ لَوْ كَانَ لِي وَاحِدٌ مِنْ هَذَيْنِ الْأُمَرَيْنِ، الْقُوَّةُ أَوْ الْعَشِيرَةُ، لَكُنْتُ قَدْ قَاوَمْتُكُمْ، وَنَكَلْتُ بِكُمْ، وَمَنْعْتُكُمْ مِمَّا أَنْتُمْ مُقَدِّمُونَ عَلَيْهِ مِنْ انْتِهَاكِ حُرْمَةِ مَنْزِلِي وَأَضْيَافِي. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى لُوطٍ لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ» يَعْنِي حَايَةَ اللَّهِ تَعَالَى.]

٨١ ﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصْلُوا إِلَيْكَ﴾ أَيِ قَالَتْ لَهُ الْمَلَائِكَةُ: لَنْ يَقْدَرُوا أَنْ يَمْسُوكَ بِسُوءٍ، فَنَحْنُ مَلَائِكَةُ أَرْسَلْنَا اللَّهَ إِلَيْكَ، ثُمَّ أَمَرُوهُ أَنْ يَخْرُجَ عَنْهُمْ، فَقَالُوا لَهُ ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ أَخْرَجَ لِلْغُرْبَةِ مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ لَيْلاً ﴿بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ﴾ سَاعَةً مِنْهُ شَدِيدَةُ الظُّلْمَةِ ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ أَيِ لَا يَنْظُرْ إِلَى مَا وَرَاءَهُ، أَوْ يَشْتَغِلْ بِمَا خَلْفَهُ مِنْ مَالٍ أَوْ غَيْرِهِ ﴿إِلَّا أَمْرَاتُكَ﴾ أَيِ لَكِنْ أَمْرَاتُكَ سَتُخَالِفُ هَذَا وَتَلْتَفِتُ، فَدُورُهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ مِنْ الْعَذَابِ ﴿وَإِنْ مَوْعِدُهُمُ الصُّبْحُ﴾ جَعَلَ الصُّبْحَ مِيقَاتَا هَلَاكِهِمْ، لِكُونِ النَّفُوسِ فِيهِ أَسْكَنَ، وَالنَّاسِ فِيهِ مُجْتَمِعُونَ لَمْ يَتَفَرَّقُوا إِلَى

أَعْمَالِهِمْ. ٨٢ ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ بِوُقُوعِ الْعَذَابِ ﴿جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا﴾ أَيِ: عَلَاقِي قَرْيَ قَوْمِ لُوطٍ سَافِلَهَا، قَلْبَهَا عَلَى هَذِهِ الْهَيْئَةِ، حَتَّى إِنْ عَلِيَهَا صَارَ سَافِلَهَا، وَسَافِلَهَا صَارَ عَلِيَهَا، قِيلَ: أَمْرُ اللَّهِ تَعَالَى جَبْرِيلَ فَرَفَعَهَا بِجَنَاحِهِ ثُمَّ قَلْبَهَا بِهِمْ ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ وَالسِّجِّيلُ: الطِّينُ الْمُتَحَجَّرُ بِطَبَخٍ أَوْ غَيْرِهِ ﴿مَنضُودٍ﴾ بِعُضْهِ فَوْقَ بَعْضٍ. ٨٣ ﴿مُسَوِّمَةً﴾ الْمُسَوِّمَةُ الَّتِي لَهَا عَلَامَةٌ الْقَوْمِ الَّذِينَ يَرْجُمُونَ بِهَا، قِيلَ: كَانَ عَلَيْهَا أَمْشَالُ الْخَوَاتِمِ، وَقِيلَ: مَكْتُوبٌ عَلَى كُلِّ

حَجَرٍ اسْمٌ مِنْ رَمِي بِهِ ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾ فِي خَزَائِنِهِ ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أَيِ وَمَا هَذِهِ الْحِجَارَةُ مِنْ كُلِّ ظَالِمٍ مِنَ الظُّلْمَةِ، وَمِنْهُمْ كِفَارُ قَرِيشٍ وَمَنْ عَاضَدَهُمْ عَلَى الْكُفْرِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ ﴿بِبَعِيدٍ﴾ فَهُمْ لَظْلَمَهُمْ مُسْتَحَقُونَ لَهَا. وَقِيلَ ﴿وَمَا هِيَ﴾ أَيِ قَرْيَ قَوْمِ لُوطٍ ﴿بِبَعِيدٍ﴾ فَإِنَّهَا بَيْنَ الشَّامِ وَالْمَدِينَةِ لَيْسَتْ بِبَعِيدَةٍ عَنْ أَهْلِ مَكَّةَ.

٨٤ ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ أَيِ: وَأَرْسَلْنَا إِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ فِي النَّسَبِ شُعَيْبًا، وَسُمِّيَ مَدْيَنَ بِاسْمِ أَبِيهِمْ، وَهُوَ مَدْيَنُ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى

حِجَرَاتِهِمْ. ٨٤ ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ أَيِ: وَأَرْسَلْنَا إِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ فِي النَّسَبِ شُعَيْبًا، وَسُمِّيَ مَدْيَنَ بِاسْمِ أَبِيهِمْ، وَهُوَ مَدْيَنُ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى



عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَقَوْمٍ أَوفُوا الْمِكَالَ وَالْمِيزَانَ
بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا
فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَتْ اللَّهُ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا يَشْعَبُ
أَصْلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَأَنْ نَفْعَلَ
فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾
قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي
مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخْلِفَ لَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَكُمُ عَنْهُ
إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ
عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ
شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ
هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾

قصتهم في سورة الأعراف (الآيات ٨٥ - ٩٣) وقد كان شعيب عليه السلام يسمى خطيب الأنبياء، لحسن مراجعته لقومه، ﴿إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ﴾ بثروة وسعة في الرزق، فلا تغيروا نعمة الله عليكم بمعصيته والإضرار بعباده، ففي هذه النعمة ما يغنيكم عن أخذ أموال الناس بغير حقها ﴿وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ لا يشذ منكم أحد عنه ولا يجد منه ملجأ ولا مهرباً.

٨٥ ﴿بِالْقِسْطِ﴾ العدل، وهو عدم الزيادة والنقص ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾

بنقصهم عما يستحقون غشاً، أو مخادعة، أو غضباً ﴿وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ لا تكثروا فيها الفساد.

٨٦ ﴿بَقِيَتْ اللَّهُ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أي ما يبقيه لكم من الحلال بعد إيفاء الحقوق بالقسط أكثر خيراً وبركة من التطفيف والبخس والفساد في الأرض ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ لأن ذلك إنما ينتفع به المؤمن لا الكافر ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ أحفظ عليكم أعمالكم وأحاسبكم بها وأجازيكم عليها بل أنا مبلغ.

٨٧ ﴿قَالُوا يَا شَعْبُ أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ

أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ من الأوثان ﴿أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾ من الأخذ والإعطاء، والزيادة والنقص. فهي أموالنا لا حرج علينا أن نتصرف فيها على الوجه الذي نرضاه ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ على طريقة التهكم به، لأنهم يعتقدون أنه على خلافها، وقيل: بل هو عندهم كذلك، وأنكروا عليه الأمر والنهي منه لهم بما يخالف الحلم والرشد في اعتقادهم.

٨٨ ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي﴾ على حجة واضحة فيما أمرتكم به ونهيكم عنه ﴿وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ كان عليه السلام كثير المال، وقيل: أراد بالرزق النبوة، وقيل الحكمة، أي هل ترون أنه إن كان جاءني أمر الله بإبلاغكم، أترك أمركم ونهيكم لمجرد رفضكم له وامتناعكم عن قبوله؟ ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخْلِفَ لَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَكُمُ عَنْهُ﴾ أي ليس من شأني أن أنهاكم عن الشيء ثم أفعله دونكم ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ﴾ ما أريد بالأمر والنهي إلا الإصلاح لكم ودفع الفساد في دينكم ومعاملاتكم ﴿مَا اسْتَطَعْتُ﴾ ما تمكنت منه طاقتي ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾ أي ماصرت موفقاً هادياً نبياً مرشداً إلا بتأييد الله سبحانه وإقداري عليه ومنحي إياه ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ في جميع أموري ﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ أي: أرجع وأفوض جميع أموري إلى ما يختاره لي.

٨٩ ﴿وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي﴾ أي لا تحملنكم عداوتي على تكذبي، فيكون جزاؤكم إصابة العذاب إياكم كما أصاب من كان قبلكم ﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾ ليس مكانهم ببعيد من مكانكم، وليس زمانهم ببعيد من زمانكم، فاخشوا مثل أيامهم إن عصيتم الله كما عصوه.

وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ
 وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا يَشْعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا
 لَنَرُّكَ فِيْنَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ
 عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَهْطِيْ أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ
 وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ
 مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَقَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلٌ
 سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ
 وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا
 شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ
 ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جَثَمِينَ ﴿٩٤﴾ كَانُوا
 لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِّلْمَدِينِ كَمَا بَعْدَتْ ثُمُودُ ﴿٩٥﴾
 وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾

٩٠ ﴿إِنْ رَبِّي رَحِيمٌ﴾ عظيم الرحمة للتائبين،
 والـ ﴿ودود﴾ المحب فإله يفعل بالتائبين
 المستغفرين ما تقتضيه المحبة من اللطف بهم
 وسوق الخير إليهم ودفع الشر عنهم.

٩١ ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا
 تَقُولُ﴾ تأتينا بمالا عهد لنا به من الأخبار
 بالأمور الغيبية، كالبعث والنشور، ولا
 نفقه ذلك، أي: لا نفهمه كما نفهم
 الأمور الحاضرة المشاهدة ﴿وَإِنَّا لَنَرُّكَ فِيْنَا
 ضَعِيفًا﴾ أي لا قوة لك تقدر بها على أن
 تمنع نفسك منا وتتمكن بها من مخالفتنا
 ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾ رهط الرجل:
 عشيرته الذين يستند إليهم ويتقوى بهم،
 وإنما جعلوا رهطه مانعا من إنزال الضرر
 به، مع كون رهطه قلة، والكفار أوف
 كثيرة، لأنهم كانوا على دينهم، فتركوه
 احتراما لهم، لا خوفا منهم ﴿وَمَا أَنتَ
 عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ بل تركنا رجلك لغزة رهطك
 علينا ﴿لَرَجَمْنَاكَ﴾ لقتلناك بالرمي
 بالحجارة.

٩٢ ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِيْ أَعَزُّ عَلَيْكُمْ
 مِنَ اللَّهِ﴾ لأن الاستهانة بأنبياء الله
 استهانة بالله عز وجل، فلم تحترموه في
 نسبه، بل احترمتهم رهطهم أكثر من
 احترامكم الله تعالى ﴿وَاتَّخَذْتُمُوهُ﴾
 واتخذتم الله عز وجل بسبب عدم
 اعتدادكم بنبيه الذي أرسله الله إليكم
 ﴿وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا﴾ أي منبذا وراء الظهر
 لا تبالون به.

٩٣ ﴿وَيَا قَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾
 لما رأى إصرارهم على الكفر، وتصميمهم
 على دين آبائهم، وعدم تأثير الموعظة
 فيهم، توعدهم بأن يعملوا على غاية تمكثهم
 ونهاية استطاعتهم، وأخبرهم أنه عامل
 على حسب ما يمكنه ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾
 أي عاقبة ما أنتم فيه من عبادة غير الله
 والإضرار بعباده ﴿مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ
 يُخْزِيهِ﴾ العذاب الخزي الذل والفضيحة

والعار الذي يلحق المستكبرين والمتعاليين
 على الناس بغير الحق ﴿وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ﴾
 ستعلمون من هو المعبذب ومن هو
 الكاذب مني ومنكم ﴿وَارْتَقِبُوا إِنِّي
 مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ أي انتظروا إني معكم
 منتظر لما يقضي به الله بيننا.

٩٤ ﴿بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾ لهم حيث أنجيناهم
 وأهلكنا الظالمين بسبب رحمتنا، وهي
 هدايتهم للإيمان ﴿وَأَخَذَتِ الَّذِينَ
 ظَلَمُوا﴾ غيرهم بما أخذوا من أموالهم بغير
 وجه وظلموا أنفسهم بالتصميم على الكفر
 ﴿الصَّيْحَةُ﴾ التي صاح بهم جبرائيل حتى

خرجت أرواحهم من أجسادهم
 ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثَمِينَ﴾ أي
 ميتين. وقد تقدم تفسيره في الآية ٦٧.
 ٩٥ ﴿أَلَا بُعْدًا﴾ هلاك كما هلكت
 ثمود.

٩٦ ﴿بِآيَاتِنَا﴾ التوراة ﴿وَسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ﴾
 المعجزات، وقيل الآيات هي التسع
 المذكورة في سورة الإسراء، والسلطان
 معجزة قلب العصا حية.
 ٩٧ ﴿وَمَلَائِهِ﴾ الملائة: أشراف القوم،
 وسائر القوم أتباع لهم في الإصدار
 والإيراد ﴿فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ﴾ أي أمره

إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۖ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ
بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ
وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةَ وَيَوْمَ
الْقِيَمَةِ بِئْسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى
نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ
وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ۖ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمْ
الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ
وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا تَتْبِيبٌ ﴿١٠١﴾ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا
أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ۚ ذَلِكَ يَوْمٌ
تَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا
لِأَجَلٍ مُّعَدَّدٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ

عروشهم ومبانيه، ومنها **«حصيد»** والحصيد: الخراب، سقطت مبانيه حتى ليس له أثر.

١٠١ **«وما ظلمناهم»** بما فعلنا بهم من العذاب **«ولكن ظلموا أنفسهم»** بالكفر والمعاصي التي هي سبب الهلاك، فهم الذين جلبوا الهلاك لأنفسهم **«فما أغنت عنهم آلهتهم»** أي فما دفعت عنهم العذاب **«لما جاء أمر ربك»** أي لما جاء عذابه **«وما زادوهم غير تنبيء»** أي ما زادتهم الأصنام التي يعبدونها إلا هلاكاً وخسراناً، وقد كانوا يعتقدون أنها تعينهم على تحصيل المنافع.

١٠٢ **«وهي ظالمة»** أي يأخذ أهلها وهم ظالمون **«إن أخذه»** أي عقوبته للكافرين **«أليم شديد»** أي موجه غليظ. وأخرج البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ «إن الله سبحانه وتعالى يميل للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، ثم قرأ: وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد».

١٠٣ **«إن في ذلك لآية»** لعبرة وموعظة **«لمن خاف عذاب الآخرة»** لأنهم الذين يعتبرون بالعبر، ويتعظون بالمواعظ **«ذلك يوم مجموع له الناس»** يوم القيامة أي يجمع فيه الناس للمحاسبة والمجازاة **«وذلك»** أي يوم القيامة **«يوم مشهود»** أي يشهده أهل المحشر.

١٠٤ **«وما نؤخره إلا لأجل معدود»** معلوم بالعدد، قد عين الله سبحانه وقوع الجزاء بعده.

١٠٥ **«يوم يأت لا تكلم نفس»** أي لا تتكلم بحجة ولا شفاعة **«إلا بإذنه»** لها في التكلم بذلك. فإن الأمر يومئذ لله وحده ما من شفيع إلا من بعد إذنه **«فإنهم شقي وسعيد»** أي ينقسم الناس فريقين: أصحاب النار وأصحاب الجنة.

٩٩ **«واتبعوا»** أي اتبع الله فرعون وملائه بعد هلاكهم على الصفة التي بيثها الله تعالى في غير هذا الموضع **«في هذه»** الدنيا **«لعنة»** أي طرداً وإبعاداً **«ويوم القيامة»** أي: واتبعوا لعنة يوم القيامة يلعنهم أهل المحشر **«بئس الرفد المرفود»** أي: بئس العطاء والإعانة ما أعطوهم إياه، وأعانوهم به وهو اللعنة المذكورة.

١٠٠ **«ذلك من أنباء القرى نقصه عليك»** أي: ما قصه الله سبحانه في هذه السورة من أخبار الأمم السالفة **«منها»** أي: من القرى **«قائم»** على

لهم بالكفر. ويجوز أن يراد بأمر فرعون شأنه وطريقته **«وما أمر فرعون برشيد»** أي ليس فيه رشد قط، بل هو غي وضلال.

٩٨ **«يقدم قومه يوم القيامة»** يصير متقدماً سابقاً لهم إلى عذاب النار، كما أنه أمرهم في الدنيا بالكفر فاتبعوه **«فأوردتهم النار»** يتبعونه حتى يوصلهم النار ويدخل بهم فيها **«وبئس الورد المورود»** لأن الوارد إلى الماء إنما يرده ليطفىء حر العطش، والنار على ضد ذلك.

فَإِنَّمَا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ
فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ
وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾
* وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرُ
مَجْدُودٍ ﴿١٠٨﴾ فَلَا تَكُ فِي مِرَّةٍ مَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبدُونَ
إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوفُونَ
نُصِيبُهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ ﴿١٠٩﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ
فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ
وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مِرْيَبٌ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ كَلَّا لَمَّا لِيُوفِيَهُمْ
رَبُّكَ أَعْمَلُهُمْ إِنَّهُمْ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ فَاسْتَقِمْ كَمَا
أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ

١٠٦ ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا﴾ من الكفار والمعصاة، أي كتبت لهم الشقاوة لكفرهم وفساد أعمالهم ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ الزفير: إخراج النفس بصوت شديد من شدة ألم صدورهم، والشهيق: أخذ النفس.

١٠٧ ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ المعنى أنهم خالدون فيها أبدا لا انقطاع لذلك، ولا انتهاء له، والمراد سموات الآخرة وأرضها ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ من تأخير قوم عن ذلك. وقيل إلا المعصاة من المؤمنين فيخرجون منها ويبقى فيها الكفار ﴿إِنْ رَبُّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ يصنع في الدنيا والآخرة ما يشاء [وعن عمر قال: لو لبث أهل النار في النار قدر رمل عالج لكان لهم على ذلك يوم يخرجون فيه. والله أعلم].

١٠٨ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا﴾ كتبت لهم السعادة بإيمانهم وصلاح أعمالهم ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ من تأخيرهم في قبورهم، وفي المحشر قبل دخول الجنة ﴿عَطَاءٌ غَيْرُ مَجْدُودٍ﴾ تمتد إلى غير نهاية، لا ينقطع.

١٠٩ ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرَّةٍ مَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ﴾ لا تكن في شك من بطلان ما

يعبد هؤلاء، فلا نفع في أصنامهم ولا ضرر ﴿مَّا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ﴾ [أي ليس الحامل لهم على عبادتهم للأصنام نقل عن الله عندهم صحيح، أو عقل صريح، بل تقليد الآباء لا غير] ﴿وَإِنَّا لَمُوفُونَ نَصِيبُهُمْ﴾ من العذاب كما وفينا آباءهم لا ينقص من ذلك شيء. وقيل: المراد نصيبهم من الخير والشر.

١١٠ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ أي التوراة ﴿فَاخْتَلَفَ فِيهِ﴾ أي في شأنه وتفصيل أحكامه، فآمن به قوم، وترك العمل ببعضها

آخرون، فلا يضق صدرك يا محمد بما وقع من هؤلاء في شأن القرآن ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ أي لولا أن الله قد حكم بتأخير عذابهم إلى يوم القيامة لما علم في ذلك من الصلاح لقضي بينهم أي بين قومك، أو بين قوم موسى فأثيب الحق وعذاب المبطل. ١١١ ﴿وَإِنْ كَلَّا لَمَّا لِيُوفِيَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [أي وليس أحد من هؤلاء المختلفين إلا سيجازيه الله بعمله ويوفيه جزاءه].

١١٢ ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ أي كما أمرك الله، فبدخل في ذلك جميع ما

أمره به وجميع ما نهاه عنه ﴿وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾ أي وليستقم من تاب معك. وما أعظم موقع هذه الآية وأشد أمرها، فإن الاستقامة كما أمر الله لا تقوم بها إلا الأنفس المطهرة ﴿وَلَا تَطْغَوْا﴾ الطغيان مجاوزة الحد. [أي لا تعتدوا بارتكاب المعاصي] ﴿إِنَّهُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ يجازيكم على حسب ما تستحقون.

١١٣ ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ والركون المنهي عنه هو الرضى بما عليه الظلمة، أو تحسين الطريقة وتربيتها عند



بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ
وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾
وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ
يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَأَصْبِرْ فَإِنَّ
اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ
مِن قَبْلِكَ أُولُوا بَقِيَّةِ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ
إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا
فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى
بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ
النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ
رَبُّكَ وَلَذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ
مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ

الله لا يضيع أجر المحسنين أي يوفهم
أجورهم ولا يضيع منها شيئاً.

١١٦ ﴿فلولا﴾ أي فهلا ﴿كان من
النقرون﴾ الأمم التي عذبت ﴿من
قبلكم أولو بقية﴾ من الرأي والعقل
والدين ﴿ينهون﴾ قومهم ﴿عن الفساد
في الأرض إلا قليلاً﴾ أي لكن قليلاً
﴿من أنجيناهم﴾ كانوا ينهون عن
الفساد في الأرض، فأنجيناهم ﴿واتبع
الذين ظلموا ما أترفوا فيه﴾ آثروا
ذلك على الاشتغال بأعمال الآخرة،
واستغرقوا أعمارهم في الشهوات ﴿وكانوا
مجرمين﴾ أي اتبعوا شهواتهم، وكانوا
بذلك الاتباع مجرمين.

١١٧ ﴿وما كان ربك ليهلك القرى بظلم
وأهلها مصلحون﴾ ينصف بعضهم بعضاً،
فلا يهلكهم بمجرد الشك وحده حتى ينضم
إليهم الفساد في الأرض.

١١٨ ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة
واحدة﴾ على الحق غير مختلفين فيه، مجتمعين
على دين الإسلام دون سائر الأديان ﴿ولا
يزالون مختلفين﴾ ألا يزالون مختلفين في الحق
بسبب اتباع الهوى والبغي.

١١٩ ﴿إلا من رحم ربك﴾ بالهداية
إلى الدين الحق، فإنهم لم يختلفوا
﴿ولذلك﴾ أي لما ذكر من الاختلاف
﴿خلقهم﴾ أو ولرحمته خلقهم. وقيل:
الإشارة بذلك إلى مجموع الاختلاف
والرحمة ﴿وتمَّت كلمة ربك﴾ ثبتت كما
قدَّره في أزله، وإذا تمت امتنعت من
التغيير والتبديل. وقيل: الكلمة هي
قوله ﴿لأملأن جهنم من الجنة والناس
أجمعين﴾ أي: من يستحقها من
الطائفتين. [وفي الحديث «قال الله
تعالى للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من
أشاء. وقال للنار: أنت عذابي أعذب
بك من أشاء، وعليّ لكل واحدة منك ما
ملؤها»].

وما: الفجر والعصر، وقيل: الصبح
والمغرب ﴿وزلفا من الليل﴾ أي ساعة
بعد ساعة في صلاة الليل، أو المراد
صلاة العشاء ﴿إن الحسنات﴾ ومن
جملتها بل عمادها الصلاة ﴿يذهبن
السيئات﴾ على العموم، وقيل المراد
بالسيئات: الصفات، يكفرها حتى كأنها
لم تكن ﴿ذلك ذكرى للذاكرين﴾
أي موعظة للمتعبين.

١١٥ ﴿واصبر﴾ على ما أمرت به من
الاستقامة، وعدم الطغيان والركون إلى
الذين ظلموا [واقامة الصلاة] ﴿فإن

غيرهم، ومشاركتهم في شيء من تلك
الأبواب، فأما مداخلتهم لرفع ضرر
واجتلاب منفعة عاجلة فغير داخله في
الركون ﴿فتمسكم النار﴾ بسبب
الركون إليهم ﴿وما لكم من دون الله
من أولياء﴾ والمعنى: أنها تمسكم النار
حال عدم وجود من ينصركم وينقذك
منها، حتى هؤلاء الذين ركنتم إليهم ﴿ثم
لا تنصرون﴾ من جهة الله سبحانه، إذ
قد سبق في علمه أنه يعذبكم بسبب
الركون الذي نهيت عنه فلم تنتهوا.

١١٤ ﴿واقم الصلاة طرفي النهار﴾

مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّتُ بِهِ، فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ
الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا
يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَانْتَظِرُوا
إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَالْيَهُ بِرُجْعِ الْأُمُورِ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ
بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

(١٢) سُورَةُ يُوسُفَ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّانَهَا إِخْدَى عَشْرَةٌ وَمِائَتُهُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ
قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ

١٢٠ ﴿مَا نُنَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ بزيادة يقينه ووفور طمأنينته ﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ﴾ أي جاءك في هذه السورة، البراهين القاطعة الدالة على صحة المبدأ والمعاد ﴿وَمَوْعِظَةٌ﴾ يتعظ بها الواقف عليها من المؤمنين ﴿وَذِكْرٌ﴾ يتذكر بها من تفكر فيها منهم، وخص المؤمنين لكونهم المتأهلين للاتعاظ والتذكير. [وإنما كان في هذه السورة مزيد وعظ وتذكير، لما فيها من قصص الأنبياء مع أممهم، وكيف واصلوا معهم دعوتهم إلى الله، وما جرى بينهم من المحاجة والمخاصمة، وكيف احتمل الرسل الكرام أذى أقوامهم. وفيها تفصيل كيفية إنجاء الله للرسل ولمن آمن معهم، وكيف أهلك الظالمين وتركهم أثراً بعد عين. ففي ذلك كله تثبيت لقلب النبي ﷺ في دعوته، وتذكير لأهل الحق بحسن العاقبة، والنصر في المآل.]

١٢١ ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بهذا الحق ولا يتعظون ولا يتذكرون ﴿اعملوا على مكانتكم﴾ على تمكنكم وحالكم وجهنكم.

١٢٢ ﴿وانتظروا إنا منتظرون﴾ انتظروا عاقبة أمرنا، فإننا منتظرون عاقبة أمركم، وما يحل بكم من عذاب الله وعقوبته.

١٢٣ ﴿وَاللَّهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي علم جميع ما هو غائب عن العباد فيها، لا يشاركه فيه غيره ﴿وَالْيَهُ بِرُجْعِ الْأُمُورِ كُلِّهِ﴾ أي يوم القيامة، فيجازي كلا بعمله ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ فإنه كافيك كل ما تكره، ومعطيك كل ما تحب ﴿وَمَا رَيْكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ بل عالم بجميع ذلك ومجاز عليه: إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

كتب السماء. وفيها من مواقف الابتلاء بالشدائد، والابتلاء بالشهوات، والابتلاء بالقدرة وبيان عاقبة ذلك كله]

سُورَةُ يُوسُفَ

١ ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ أي تلك الآيات التي أنزلت إليك في هذه السورة، هي من آيات القرآن المبين، أي: الظاهر أمره في كونه من عند الله، وفي إعجازه، المبين لما فيه من الأحكام. ٢ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ أي: القرآن ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ أي على لغة العرب ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي لكي تعلموا معانيه وتفهموا ما فيه.

وهي مكية كلها، قال العلماء: ذكر الله أقاصيص الأنبياء في القرآن، وكررها بمعنى واحد، في وجوه مختلفة، بالفاظ متباينة. وقد ذكر قصة يوسف ولم يكررها، فلم يقدر مخالف على معارضة ما تكرر، ولا على معارضة غير المتكرر. [وقد سمى الله تعالى هذه السورة أحسن القصص، وآيات للسائلين، وعبرة لأولي الألباب، وتصديق ما قبل القرآن من

أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ
 كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ
 لِأَبِيهِ يَأْتِ بِإِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ
 وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَبْنَىٰ لَا تَقْصُصْ
 رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ
 لِلْإِنْسَنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ
 مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ
 يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ
 إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ * لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ
 وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلْسَّائِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ
 وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا أَيْنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي
 ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٨﴾ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ

على إخوته فيفهموا تأويلها ويحصل منهم
 الحسد له ﴿فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ أي
 خشية أن يدبروا لك تدبيراً خفياً لا
 تفهمه، فيهلكوك حسداً ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ
 لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ فيحملهم على
 ذلك، لأنه عدو للإنسان، مظهر للعداوة،
 مجاهر بها.

٦ ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾ فيجعلك
 نبياً، ويصطفيك على سائر العباد،
 ويسخرهم لك كما تسخرت لك تلك
 الأجرام التي رأيتها في منامك فصارت
 ساجدة لك ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ
 الْأَحَادِيثِ﴾ أي تأويل الرؤيا ﴿وَيُتِمُّ
 نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ فيجمع لك بين النبوة
 والملك — كما تدل عليه هذه الرؤيا التي
 أراك الله — وفي ذلك خير الدنيا والآخرة
 ﴿كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ
 إِبْرَاهِيمَ﴾ أنجاه الله من النار، ونبأه،
 واتخذ الله خليلاً ﴿وَإِسْحَاقَ﴾ قيل:
 نبأه. وصار لهما الذرية الطيبة.

٧ ﴿آيَاتٍ لِلْسَّائِلِينَ﴾ دالة على نبوة محمد
 ﷺ للسائلين له من اليهود، فإنه روي
 أنه سأل اليهود عن قصة يوسف وهو
 بمكة، ولم يكن بمكة أحد من أهل
 الكتاب ولا من يعرف خبر الأنبياء،
 فأنزل الله سورة يوسف جملة واحدة.

٨ ﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا
 أَيْنَا مِنَّا﴾ هو بنيامين، وخصوه بكونه
 أخاه مع أنهم جميعاً إخوته، لأنه أخوه من
 أمه وأبيه، أما سائرهم، فهم إخوته من
 أبيه لا من أمه ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ العصابة:
 الجماعة، قيل وهي ما بين الواحد إلى
 العشرة ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾
 بالترجيح لها علينا، وإيثارها دوننا.

٩ ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾
 أي قالوا: افعلوا به أحد الأمرين: إما
 القتل، أو الطرح في أرض؛ أو أشار
 بعضهم بالقتل وبعضهم بالطرح.

٣ ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ
 الْقَصَصِ﴾ عن الأمم الماضية، وأمر الله
 في عباده، وذلك أحسن حديث يحدث به
 أحداً أحداً ﴿وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ
 الْغَافِلِينَ﴾ عن هذه القصة وغيرها مما
 أوحاه الله إليك من القصص. وهذه
 السورة أحسن القصص، لأنها تتضمن من
 العبر والمواعظ والحكم ما لم يكن في
 غيرها، وفيها ذكر الأنبياء، والصالحين،
 والملائكة، وسير الملوك، والمماليك،
 والتجار، والرجال، والنساء وحيلهن،
 ومكرهن، ولأن كل من ذكر فيها كان

٤ ﴿لَأَبِيهِ﴾ هو يعقوب بن إسحاق بن
 إبراهيم ﴿إِنِّي رَأَيْتُ﴾ أي: في المنام
 ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ تأويلها: إخوته
 ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ تأويلها: أمه وأبوه
 ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ أجريت مجرى
 العقلاء لوصفها بوصف العقلاء، وهو
 كونها ساجدة.

٥ ﴿قَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ
 إِخْوَتِكَ﴾ نهى يعقوب عليه السلام ابنه
 يوسف عن أن يقص رؤياه على إخوته،
 لأنه قد علم تأويلها وخاف أن يقصها



لَكَرَّ وَجْهَ أَبِيكَ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾
 قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوَّةُ فِي غَيْبَتِ
 الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿١٠﴾
 قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ
 لَنَنصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ
 لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ
 أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا لَيْنَ أَكَلَهُ
 الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا نَلَخَسِرُونَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا ذَهَبُوا
 بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ
 لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَاءَ آبَاَهُمْ
 عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا
 يُوسُفَ عِنْدَ مَتْعِنَا فَاكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا

﴿يَجِلْ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ﴾ أي: يصف
 ويخلص فيقبل عليكم ويحبكم حبا
 كاملا ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ بعد الفراغ من قتله
 أو طرحه، وقيل: من بعد الذنب الذي
 اقترفوه في يوسف ﴿قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ في
 أمور دينكم وطاعة أبيكم، أو صالحين في
 أمور دنياكم لذهاب ما كان يشغلكم عن
 ذلك، وهو الحسد ليوسف.

١٠ ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ﴾ قيل: هو يهوذا
 ﴿فِي غَيْبَةِ الْجُبِّ﴾ قعر البئر الذي لا يقع
 البصر عليه، وهذه البئر بأرض
 بيت المقدس ﴿يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾
 المسافرين، فيحمله إلى مكان بعيد بحيث
 يخفى عن أبيه ومن يعرفه ﴿إِنْ كُنْتُمْ
 فَاعِلِينَ﴾ عاملين بما أشرت به عليكم في
 أمره، وفي هذا دليل على أن إخوة يوسف
 ما كانوا أنبياء.

١١ ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى
 يُوسُفَ﴾ كان يظن به أن يرسله معهم
 حباً له، ولعل ذلك من خشيته عليه
 منهم، وكأنهم سألوه قبل ذلك أن يخرج
 معهم يوسف فأبى ﴿وَأِنَّا لَهُ لَنَنصِحُونَ﴾
 في حفظه وحيطته حتى نرده إليك.

١٢ ﴿يَرْتَعُ﴾ يتسع في الخصب، واللعب:
 هو المباح لمجرد الانبساط.

١٣ ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ﴾
 أخبرهم أنه يحزن لغيبة يوسف عنه لفرط
 محبته له وخوفه عليه ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ
 الذِّئْبُ﴾ قيل: قال يعقوب هذا تخوفاً
 عليه منهم، فكفى عن ذلك بالذئب ﴿وَأَنْتُمْ
 عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ لاشتغالكم بالرتع واللعب،
 أو لكونهم غير مهتمين بحفظه.

١٤ ﴿إِنَّا إِذَا نَلَخَسِرُونَ﴾ هالكون ضعفاً
 وعجزاً لانتفاء القدرة على أيسر شيء.

١٥ ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ﴾ من عند يعقوب
 ﴿وَأَجْمَعُوا﴾ عزموا أمرهم ﴿أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي
 غَيْبَةِ الْجُبِّ﴾ قد تقدم تفسير الغيبة
 والجب (الآية ١٠) ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾ أي

إلى يوسف تأنيساً لوحشته، مع كونه

١٧ ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾

أي: نتسابق في العدو، أو على الخيل، أو
 في الرمي. وقال الأزهري: النضال في
 السهام، والرهان في الخيل، والمسابقة
 تجمعها، والغرض من المسابقة التدريب
 بذلك في القتال ﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ
 مَتَاعِنَا﴾ أي عند ثيابنا ليحرسها ﴿وَمَا
 أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا﴾ بمصدق لنا في هذا العذر
 الذي أبدينا ﴿وَلَوْ كُنَّا﴾ عندك أو في

الواقع ﴿صَادِقِينَ﴾ لما قد علق بقلبك من
 التهمة لنا في ذلك مع شدة محبتك له.

صغيراً. اجتمع على إنزال الضرر به عشرة
 رجال من إخوته بقلوب غليظة، قد نزعت
 عنها الرحمة، وسلبت منها الرأفة ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُمْ
 بِأَمْرِهِمْ هَذَا﴾ أي: لتخبرن إخوتك
 بأمرهم هذا الذي فعلوه معك بعد
 خلوصك مما أرادوا بك من الكيد،
 وسيأتي ما قاله لهم عند دخولهم عليه بعد
 أن صار إليه أمر خزائن مصر
 (الآية ٨٩)

١٦ ﴿وَجَاءُوا آبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾ أي
 متباكين ترويحاً لكذبهم وتنفيقا لمكرهم

ابن الكريم.

٢٠ **«وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ»** أي باعه الوارد وأصحابه بمصر، وقيل: المراد باعه إخوته **«بِثَمَنٍ بَخْسٍ»** ناقص عن ثمن الرقيق الذين في مثل حال يوسف **«وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ»** الراغبين عنه الذين لا يبالون به.

٢١ **«وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ»** هو العزيز الذي كان على خزائن مصر، وكان وزيراً لملك مصر **«أَكْرَمِي مَثْوَاهُ»** بالطعام الطيب واللباس الحسن **«عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَاهُ»** أي يكفيناه بعض المهمات مما نحتاج إلى مثله فيه **«أَوْ نَتَّخِذْهُ وَلَدًا»** أي نتبناه فنجعله ولداً لنا، قيل كان العزيز حصوراً لا يولد له **«وَكَذَلِكَ مَكْنَاهُ لِيُوسُفَ»** الإشارة إلى ما تقدم من إنجائه من إخوته وإخراجه من الحب، وعطف قلب العزيز عليه، حتى صار متمكناً من الأمر والنهي **«وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ»** أي تقع الأمور على الوجه الذي يريده سبحانه، ولو دبر الناس لإيقاعها على خلاف ذلك **«وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ»** أن الله غالب على أمره، وهم المشركون.

٢٢ **«وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ»** الأشد: هو وقت استكمال القوة، ثم يكون بعده النقصان، قيل: هو ثلاث وثلاثون سنة، وقيل: بلوغ الحلم، وقيل: ثماني عشرة سنة **«آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا»** قيل: الحكم هو النبوة، والعلم: هو العلم بالدين وعلم الرؤيا **«وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ»** فكل من أحسن في عمله أحسن الله جزاءه.

٢٣ **«وَرَأَوْنَاهُ»** المرادة: الإرادة والطلب برفق ولين، وقد يخص بمحاولة الوقاع **«التي هو في بيتها»** هي امرأة العزيز، واسمها - فيما قيل - زليخا.

وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ
قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ
وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ
فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْرَىٰ هَذَا غُلَامٌ
وَأَسْرُوهُ بِضَعَّةٍ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ
بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾
وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِأُمِّهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ
عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَاهُ أَوْ نَتَّخِذْهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكْنَاهُ لِيُوسُفَ
فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ
عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا
بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي
الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَرَأَوْنَاهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ

١٨ **«وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ»** الذي يرد الماء ليستقي للقوم **«فَأَدْلَى دَلْوَهُ»** أي: أرسلها لتمتليء. فتعلق يوسف بالحبل، فلما خرج الدلو من البئر أبصره الوارد **«قَالَ يَا بَشْرَى»** أي قال هذا بنفسه، أو نادى به أصحابه مبشراً لهم **«وَأَسْرُوهُ»** أي: الرفقة المسافرون، أخفوا وجدانه لهم في الحب، وزعموا أنه دفعه إليهم أهل الماء ليبيعوه لهم بمصر، وسكت يوسف مخافة أن يأخذوه فيقتلوه **«وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ»** بيوسف من الحن وما صار فيه من الابتذال بجري البيع والشراء فيه، وهو الكريم ابن الكريم ابن الكريم

١٩ **«وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ»** رفقة مارة تسير من الشام إلى مصر **«وَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ»** الوارد:

وَعَلَقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ
 إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾
 وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ
 كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا
 الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ
 وَأَلْفَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ
 سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي
 عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ
 مِنْ قَبْلِ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِنْ كَانَ
 قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾
 فَلَمَّا رَأَى الْقَمِيصَ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ
 إِنْ كَيْدُكُمْ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا

﴿وعلقت الأبواب﴾ قيل: وكانت
 الأبواب سبعة ﴿هيت لك﴾ أي: هلم
 وتعال، تدعوه إلى نفسها ﴿قال معاذ
 الله﴾ أي: أعوذ بالله معاذاً مما دعوتني
 إليه ﴿إنه ربي أحسن مثواي﴾ أي:
 كيف أفعل ذلك والحال أن زوجك هو
 ربي، يعني العزيز: أي سيدي الذي
 رباني وأحسن مثواي حيث أمرك بقوله
 أكرمي مثواه، فكيف أخونه في أهله
 وأجيبك إلى ما تريد من ذلك.

٢٤ ﴿ولقد همت به وهم بها﴾ مال كل
 واحد منها إلى الآخر بمقتضى الطبيعة
 البشرية والجملة الخلقية. وقال ثعلب: أي
 همت زليخا بالمعصية وكانت مصرة، وهم
 يوسف ولم يوقع ما هم به، فبين الهمين
 فرق. وقيل هم بضربها ﴿لولا أن رأى
 برهان ربه﴾ هو تذكره عهد الله وميثاقه
 وما أخذه على عباده، وقيل رأى صورة
 يعقوب عاضاً على أظفله يتوعده ﴿كذلك﴾
 أي أراه الله برهانا منه ليتذكر ﴿لنصرف
 عنه السوء﴾ الخيانة للعزيز في أهله
 ﴿والفحشاء﴾ الزنى ﴿إنه من عبادنا
 المخلصين﴾ ممن استخلصه الله للرسالة،
 فعصمه من الوقوع في المعصية.

٢٥ ﴿واستبقا الباب﴾ أي: تسابقا إليه
 يوسف يريد الفرار والخروج من الباب،
 وامرأة العزيز تريد أن تسبقه إليه لتمتعه
 ﴿وقدت قميصه من دبر﴾ أرادت أن تمتعه
 من الخروج بجذبا لقميصه فانشق من
 جهة الخلف ﴿والفيا سيدها لدى
 الباب﴾ وجدا العزيز هنالك، وعنى
 بالسيد: الزوج ﴿قالت ما جزاء من
 أراد بأهلك سوءا﴾ قالت هذه المقالة
 طلباً منها للحيلة وللمستر على نفسها،
 فنسبت ما كان منها إلى يوسف ﴿إلا أن
 يسجن﴾ [طلبت أن تسجنه أو تجلده
 انتقاماً منه لأنه عصاها فيما أرادت،
 ولكن أظهرت أنه يستحق ذلك لأنه

٢٧ ﴿وإن كان قميصه قد من دبر﴾

أي من ورائه ﴿فكذبت﴾ في دعواها عليه
 ﴿وهو من الصادقين﴾ في دعواه عليها.

٢٨ ﴿فلما رأى﴾ أي العزيز ﴿قميصه﴾ أي
 قميص يوسف ﴿قد من دبر قال إنه﴾ أي
 هذا الأمر الذي وقع فيه الاختلاف
 بينكما ﴿من كيدكن﴾ يا معشر النساء
 ﴿إن كيدكن عظيم﴾ والكيد: المكر
 والحيلة.

٢٩ ﴿يوسف أعرض عن هذا﴾ أي:
 عن هذا الأمر الذي جرى واكتمه ولا
 تتحدث به.

المعتدي].

٢٦ ﴿قال هي راودتني عن نفسي﴾ أي
 هي التي طلبت مني ذلك ولم أرد بها
 سوءا ﴿وشهد شاهد من أهلها﴾ طفل في
 المهد تكلم. وهو الصحيح للحديث الوارد
 في ذلك عن النبي ﷺ في ذكر من تكلم
 في المهد، وذكر من جملتهم شاهد يوسف،
 وشهادته أنه قال: ﴿إن كان قميصه قد
 من قبل﴾ من أمامه ﴿فصدقت﴾ أي فقد
 صدقت بأنه هو الذي أراد بها سوءا ﴿وهو
 من الكاذبين﴾ في قوله إنها هي التي
 راودته عن نفسه.



وَأَسْتَغْفِرِي لِدُنْبِكَ إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٣٠﴾
 * وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرْوَدُ فَتَنَّا عَنْ
 نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣١﴾
 فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ
 مُتَكًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ
 عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ
 حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣٢﴾
 قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودْنَاهُ عَنْ
 نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّا يَفْعَلْ مَا أمْرُهُ لَيُصْجَنَنَّ
 وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ
 إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ
 إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٤﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ

وهن في شغل عن ذلك بما دمههن، مما
 تطيش عنده الأحلام ﴿وقلن حاش لله﴾
 براءة لله وتنزيهاً له ﴿ما هذا بشراً﴾ أي
 لأن له من الجمال البديع ما لم يعهد على
 أحد من البشر ﴿إن هذا إلا ملك
 كريم﴾ قد تقرر في الطباع أنهم فائقون في
 الحُسن أعني الملائكة.

٣٢ ﴿قالت فذلكن الذي لمتني فيه﴾
 أي: فهذا هو الفتي الذي غيرتني في
 حبي له. قالت لهن هذا لما رأت
 افتتانهن بيوسف إظهاراً لعذر نفسها
 ﴿فاستعصم﴾ أي: استعصى علي
 واستعف وامتنع مما أريده طالبا العصمة
 لنفسه عن ذلك، صرحت بما وقع منها من
 المراودة له ﴿ليسجن﴾ أي لأدبرن له
 تدبيراً يؤدي به إلى السجن ﴿وليكونن
 من الصاغرين﴾ الأذلاء لما يناله من
 الإهانة، ويسلب عنه النعمة.

٣٣ ﴿قال﴾ مناجيا لربه سبحانه ﴿رب
 السجن﴾ أي: يارب السجن الذي
 أوعدتني هذه به ﴿أحب إلي مما
 يدعونني إليه﴾ من مؤاناتها والوقوع في
 المعصية العظيمة التي تذهب بخير الدنيا
 والآخرة. لأن النسوة دعونه إلى أنفسهن
 أيضا [بدليل قول الملك فيما بعد قال: ما
 خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه]

﴿ولا تصرف عني كيدهن﴾ احتياهن
 علي من الترغيب له في المطاوعة
 والتخويف من المخالفة ﴿أصب إليهن﴾
 أي أمل إليهن وأشتاق ﴿وأكن من
 الجاهلين﴾ ممن يعمل عمل الجاهل. لما
 عظم عليه البلاء وخشي الفتنة العظيمة،
 لجأ إلى الله عز وجل بالدعاء.

٣٤ ﴿فاستجاب له ربه﴾ لطف به
 وعصمه عن الوقوع في المعصية، لأنه إذا
 صرف عنه كيدهن لم يقع شيء مما رمنه
 منه ﴿إنه هو السميع﴾ لدعوات الداعين
 له ﴿العليم﴾ بأحوال الملتجئين إليه.

فوصلن إليه لأنها ﴿أرسلت إليهن﴾ أي:
 تدعوهن إليها لينظرن إلى يوسف حتى
 يقعن فيما وقعت فيه ﴿وأعتدت لهن
 متكاً﴾ أي هيات لهن مجالس يتكنن عليها
 ﴿وآتت كل واحدة منهن سكيناً﴾ لشيء
 يأكله مما يحتاج إلى التقطيع من الأطعمة
 ﴿وقالت﴾ ليوسف ﴿اخرج عليهن﴾
 [وهذا من قصور ذلك الزوج حيث أبقى
 المرأة ويوسف في البيت جميعا بعد ما
 حصل منها ما حصل] ﴿فلما رأينه
 أكبرنه﴾ أعظمه ودهشن وراعهن حسنه
 حتى اضطربت أيديهن، فوقع القطع عليها

﴿واستغفري لدنبيك﴾ الذي وقع منك
 ﴿إنك كنت﴾ بسبب ذلك ﴿من
 الخاطئين﴾ المتعمدين.

٣٠ ﴿تراد فتاه﴾ غلامها المملوك تدعوه
 إلى نفسها، أي إن ذلك الخبر انتشر في
 المدينة ﴿قد شغفها حباً﴾ دخل حبه في
 شغافها فأمرضها، وشغاف القلب:
 غلافه.

٣١ ﴿فلما سمعت﴾ امرأة العزيز
 ﴿بمكرهن﴾ أي بغيبتهن إياها، وقيل:
 إنهن قلن ذلك أردن أن يتوصلن بذلك إلى
 رؤية يوسف، فلهذا سمى قولهن مكراً،

فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾
 ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَجُنَّهُ حَتَّى
 حِينَ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا
 إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أُحْمَلُ
 فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِئْنَا بِتَأْوِيلِهِ
 إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ
 تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا
 ذَلِكَ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
 وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي
 إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ
 مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ
 أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَصْحَبِي السِّجْنَ أَرْبَابٌ

٣٥ ﴿ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ﴾ أي: ظهر لهم رأي وتدير في شأن يوسف ﴿مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ﴾ أي: العلامات الدالة على براءة يوسف ونزاهته. والآيات: قيل هي القميص، وشهادة الشاهد، وقطع الأيدي. ولم يُجِدْ ذلك فيهم، بل كانت امرأة العزيز هي الغالبة على رأيه، الفاعلة لما يطابق هواها في يوسف، وإنفاذ ما تقدم منها من الوعيد له. وهذا الرأي لهم في سجن يوسف لأنهم أرادوا ستر القالة، وكنتم ما شاع في الناس، ويحتمل: أن العزيز قصد بسجنه الحيلولة بينه وبين امرأته ﴿حَقِ حِينَ﴾ إلى مدة غير معلومة.

٣٦ ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ﴾ أي: فسجنوه ودخل معه السجن فتيان، أي: عبدان، وقد قيل: إن أحدهما كان خباز الملك، والآخر ساقيه، قيل: وقد كانا وضعا للملك سماً، ثم إن الساقى رجع عن ذلك، وقال للملك: لا تأكل الطعام فإنه مسموم. قال ابن جرير: إنها سألا يوسف عن علمه، فقال: إني أعبر الرؤيا. فسألاه عن رؤياهما كما قص الله سبحانه ﴿قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ أي: رأيت نفسي في المنام أعصر العنب لأصنع منه خمرًا ﴿نَبِئْنَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ أي: بتأويل ما قصصناه عليك ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ الذين يحسنون عبارة الرؤيا، أو: من المحسنين إلى أهل السجن.

٣٧ ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَا إِلَى السِّجْنِ طَعَامٌ إِلَّا أَخْبَرَهُمَا بِمَا هَيْتَ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَا﴾ كقول عيسى عليه السلام (وَأَنْبِئْكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ) قال يوسف عليه السلام لما هذا ليحصل الانقياد منها له فيما يدعوها إليه بعد ذلك، من الإيمان بالله، والخروج من الكفر. ومعنى ترزقانه: يجري عليها من جهة الملك أو

﴿من فضل الله علينا﴾ ولطفه بنا بما جعله لنا من النبوة المتضمنة للعصمة عن معاصيه ﴿و﴾ من فضل الله ﴿على الناس﴾ كافة ببعثة الأنبياء إليهم وهدايتهم إلى ربهم وتبيين طرائق الحق لهم ﴿ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾ الله سبحانه على نعمه.

٣٩ ﴿يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ المراد: يا صاحبي في السجن: هل الأرباب المتفرقون في ذواتهم، المختلفون في صفاتهم، المتنافون في عددهم، خير

غيره ﴿إِلَّا نَبَأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ بينت لكما ماهيته وكيفيته قبل أن يأتيكما ﴿ذلكما﴾ أي: التأويل ﴿مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ بما أوحاه إليّ وألهمني إياه لا من قبيل الكهانة والتنجيم ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ ملة ملك مصر وغيره.

٣٨ ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ سماهم آباء جميعاً لأن الأجداد آباء، وهذا منه عليه السلام لترغيب صاحبيه في الإيمان بالله ﴿مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ﴾ أي ما صح لنا ذلك أنا وآبائي ﴿ذلك﴾ الإيمان والتوحيد

مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاءُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَصْحَبِي السِّجْنَ أَمَّا أَحَدُكُمْ فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُنبُلَاتٍ خُضِرٍ وَأُخْرَى يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ وَمَا نَحْنُ

الطير من رأسه ﴿تعبيراً لما رآه من أنه يحمل فوق رأسه خبزاً فتأكل الطير منه ﴿قضي الأمر الذي فيه تستفتيان﴾ وهو ما رآياه وقصاه عليه.

٤٢ ﴿وقال للذي ظن أنه ناج منها﴾ أي: قال يوسف، والظان هو أيضاً يوسف، لأن عابر الرؤيا إنما يظن ظناً ﴿اذكرني عند ربك﴾ أمره بأن يذكره عند الملك، ويصفه بما شاهده منه، من جودة التعبير والاطلاع على شيء من علم الغيب، ليكون ذلك سبباً لانتباهه إلى ما وقع من الظلم البين على يوسف بسجنه، بعد أن رأى من الآيات ما يدل على براءته، والذي ﴿أنساه الشيطان ذكر ربه﴾ هو الذي نجا من الغلامين، فأنساه الشيطان أن يخبر الملك بما أمره به يوسف مع خلوصه من السجن ورجوعه إلى ما كان عليه من القيام بسقي الملك ﴿فلبث في السجن بضع سنين﴾ البضع: ما بين الثلاث إلى التسع.

٤٣ ﴿وقال الملك﴾ هو الملك الأكبر، الذي كان العزيز وزيرا له ﴿إني أرى﴾ أي: رأيت في المنام ﴿سبع بقرات سمان﴾ في أثرهن ﴿سبع عجاف﴾ أي: مهازيل. وقد أقبلت العجاف على السمان فأكلتهن ﴿وسبع سنبلات خضر﴾ قد انعقد حبها، واليابسات التي قد بلغت حد الحصاد. كان قد رأى أن السبع السنبلات اليابسات قد أدركت الخضر والتوت عليها حتى غلبتها ﴿يا أيها الملأ﴾ خطاب للأشراف من قومه ﴿أفتوني في رؤيائي﴾ أي: أخبروني بحكم هذه الرؤيا ﴿إن كنتم للرؤيا تعبرون﴾ أي: تعبرونها وتفسرونها.

٤٤ ﴿قالوا أضغاث أحلام﴾ أخاليط أحلام. والحلم: الرؤيا الكاذبة التي لا حقيقة لها كما يكون من حديث النفس، ووسواس الشيطان.

بها﴾ أي بتلك التسمية ﴿من سلطان﴾ من حجة تدل على صحتها ﴿إن الحكم إلا لله﴾ أي لا يحكم في الخلق إلا الله ﴿ذلك﴾ أي تخصيصه بالعبادة ﴿والدين القيم﴾ أي المستقيم الثابت ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ أن ذلك هو دينه القويم، وصراطه المستقيم.

٤١ ﴿أما أحدكم﴾ هو الساقى ﴿فيسقي ربه خمرًا﴾ فكانه قال: أما أنت أيها الساقى فستعود إلى ما كنت عليه، ويدعو بك الملك ويطلقك من الحبس ﴿وأما الآخر﴾ وهو الخباز ﴿فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ

لكما؟ أم الله المعبود بحق، المتفرد في ذاته وصفاته، الذي لا ند له ولا شريك، القهار الذي لا يغالبه مغالب، ولا يعانده معاند، وقد قيل: إنه كان بين أيديها أصنام يعبدونها عند أن خاطبها بهذا الخطاب.

٤٠ ﴿ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها﴾ أي إلا مسميات أسماء سميتموها ﴿أنتم وآباؤكم﴾ من تلقاء أنفسكم، وليس لها من الإلهية شيء إلا مجرد الأسماء، لكونها جمادات لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر ﴿ما أنزل الله

﴿وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين﴾

المعنى: بتأويل الأحلام المختلطة، وقيل: إنهم قصدوا محوها من صدر الملك حتى لا يشتغل بها.

٤٥ ﴿وقال الذي نجا منها﴾ أي من الغلامين، وهو الساقى ﴿وادكر﴾ أي تذكر الساقى يوسف وما شاهده منه من العلم بتعبير الرؤيا ﴿بعد أمة﴾ بعد حين، وهي مجموع السنين التي قضاها يوسف في السجن ﴿أنا أنبئكم بتأويله﴾ أي أخبركم به بسؤالى عنه من له علم بتأويله، وهو يوسف ﴿فأرسلون﴾ خاطب الملك بلفظ التعظيم، طلب أن يرسله إلى يوسف ليقص عليه الرؤيا فيعود بتأويلها إلى الملك.

٤٦ ﴿يوسف أيها الصديق أفتنا﴾ أي فذهب إليه فقال له: أخبرنا عن رؤيا من رأى سبع بقرات ... الخ ﴿لعلي أرجع إلى الناس﴾ أي إلى الملك ومن عنده من الملأ ﴿لعلهم يعلمون﴾ تأويل هذه الرؤيا، ويعلمون فضلك ومعرفتك لفرن التعبير.

٤٧ ﴿قال تزرعون سبع سنين دأباً﴾ أي: متوالية متتابعة، فعبر يوسف عليه السلام السبع البقرات السمان بسبع سنين فيها خصب، والعجاف بسبع سنين فيها جدد، وهكذا عبر السبع السنبلات الحضر والسبع السنبلات اليابسات، واستدل بالسبع السنبلات الحضر على ما ذكره في التعبير من قوله ﴿فما حصدم فذروه في سنبله﴾ أي ما حصدم في كل سنة من السنين المخصصة فتركوا ذلك المحصول في سنبله، ولا تفصلوه عنها لئلا يأكله السوس.

٤٨ ﴿ثم يأتي من بعد ذلك﴾ أي من بعد السبع السنين المخصصة ﴿سبع شداد﴾ أي سبع سنين مجدة يصعب أمرها على الناس ﴿يتأكلن ما قدمن هن﴾ من تلك

بتأويل الأحلام بعالمين ﴿٤٤﴾ وقال الذى نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون ﴿٤٥﴾ يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يا كلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يا بسنت لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون ﴿٤٦﴾ قال تزرعون سبع سنين دأباً فما حصدم فذروه في سنبله إلا قليلاً مما تأكلون ﴿٤٧﴾ ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمن هن إلا قليلاً مما تحصنون ﴿٤٨﴾ ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون ﴿٤٩﴾ وقال الملك أثوني به فلما جاءه الرسول قال أرجع إلى ربك فسئله مابال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربى يكيدهن عليم ﴿٥٠﴾ قال ما خطبكن إذ رودتن

الحبوب المتروكة في سنبلها ﴿إلا قليلاً مما تحصنون﴾ تحبسون من الحب. ٤٩ ﴿ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس﴾ [ولعله عرف ذلك لأن السبع العجاف لا تنتهي إلا بسنة خصب] والمراد أنه يأتيهم الفرج من الله، أي: بفيضان النيل، لأن زراعتهم عليه لا على المطر ﴿وفيه يعصرون﴾ الأشياء التي تعصر كالعنب والسمسم، أخبرهم بشيء لم يسألوه عنه، كأن الله قد علمه إياه. ٥٠ ﴿وقال الملك أثوني به﴾ رغب إلى لأجبت الداعي

رؤيته ومعرفة حاله بعد أن علم من فضله ما علمه من وصف الرسول له ومن تعبيره لرؤياه ﴿قال﴾ يوسف للرسول ﴿ارجع إلى ربك﴾ أي: سيدك ﴿فأسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن﴾ وتوقف عن الخروج من السجن، ولم يسارع إلى إجابة الملك، ليظهر للناس براءة ساحته. وهذا من الحلم والصبر والأناة ماتضييق الأذهان عن تصويره، ولهذا ثبت في الصحيح من قول النبي ﷺ «لو لبشت في السجن ما لبث يوسف



يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ
قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْقَتْلَ حَصْحَصَ الْحَقِّ أَنَا رَاودَتُهُ
عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ
أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾
* وَمَا أَبْرَأُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا
مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ
أَتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ
لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ
إِنِّي حَفِيزٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ
يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ
وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَا أَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ

﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ من النفوس فصمها
عن الوقوع في المعصية.

٥٤ ﴿أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾ وعادة الملوك
أن يجعلوا الأشياء النفيسة خالصة لهم
دون غيرهم ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ﴾ أي: فلما كلم
الملك يوسف وسمع جوابه ﴿قَالَ إِنَّكَ
الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ جاء بما حبيه
إلى الملك، وقربه من قلبه، فقال له هذه
المقالة، ومكين: ذو مكانة وأمانة بحيث
يتمكن مما يريد من الملك، ويأمنه الملك
على ما يطلع عليه من أمره، أو على
ما يكله إليه من ذلك.

٥٥ ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ
الْأَرْضِ﴾ أي ولني أمر حفظ خزائن
أرض مصر، وما فيها من الأطعمة
والأموال، طلب يوسف ذلك ليتوصل به
إلى نشر العدل ورفع الظلم، ويتوصل به
إلى دعاء أهل مصر إلى الإيمان بالله،
وترك عبادة الأوثان ﴿إِنِّي حَفِيزٌ عَلِيمٌ﴾ ضابط
لها [أي بالكتابة ومعرفة الحساب
ونحوهما] ولا أصرفها في غير مصارفها
﴿عَلِيمٌ﴾ لدي العلم بوجوه جمعها وتفريقها،
ومدخلها ومخرجها.

٥٦ ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾ جعلنا له
مكانة هي قدرته ونفوذ أمره ونبيه، حتى
صار الملك يصدر عن رأيه ﴿يَتَّبِعُوا مِنْهَا
حَيْثُ يَشَاءُ﴾ أي ينزل منها حيث أراد
كما يتصرف الرجل في منزله. وتدل الآية
على أنه يجوز تولي الأعمال من جهة
السلطان الجائر، بل الكافر، لمن وثق من
نفسه بالقيام بالحق ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ
نَشَاءُ﴾ من العباد فنرحمه في الدنيا
بالإحسان إليه والإنعام عليه ﴿وَلَا نُضِيعُ
أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ كما صنع الله بيوسف لما
صبر على بلاء الله، وعف عند الفتنة
لوجه الله مراقبة له.

٥٨ ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾ أي جاءوا
إلى مصر من أرض كنعان ليمتاروا.

ونسبة المراودة إليها.
٥٢ ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾
هذا من كلام يوسف أي: فعلت ذلك
ليعلم العزيز أنني لم أخنه في أهله
بالغيب، أي: وهو غائب عني، أو وأنا
غائب عنه.

٥٣ ﴿وَمَا أَبْرَأُ نَفْسِي﴾ من كلام
يوسف من باب الهضم للنفس، وعدم
التزكية لها ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾
أي: إن شأن الأنفس البشرية الأمر
بالسوء ليلها إلى الشهوات، وتأثيرها
بالطبع، وصعوبة قهرها وكفها عن ذلك

٥١ ﴿قَالَ مَا خَطْبُكَ﴾ أي قال لمن
الملك: ما شأنك ﴿إِذْ رَاودَتْهُ يُوسُفَ
عَنْ نَفْسِهِ﴾ وقد تقدم معنى المراودة، ومن
جملة من شمله خطاب الملك امرأة العزيز
﴿قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ﴾ أي معاذ الله ﴿وَمَا عَلِمْنَا
عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾ أي من أمر سيئ
ينسب إليه ﴿قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ﴾ مقرة
على نفسها بالمراودة له ﴿الْآنَ حَصْحَصَ
الْحَقُّ﴾ أي تبين الحق الآن وظهر واضحا
جليا بعد خفائه ﴿أَنَا رَاودَتُهُ عَنْ نَفْسِهِ﴾
ولم تقع منه المراودة لي أصلا ﴿وَإِنَّهُ لَمِنَ
الصَّادِقِينَ﴾ فيما قاله من تبرئة نفسه،

﴿فدخلوا﴾ على يوسف ﴿فعرفهم﴾ لأنه فارقهم رجالا ﴿وهم له منكرون﴾ لأنهم فارقوه صبيا، ودخلوا عليه الآن وهو رجل عليه أبهة الملك.

٥٩ ﴿ولما جهزهم بجهازهم﴾ أعطاهم ما طلبوه من الميرة، وما يصلحون به سفرهم من العدة التي يحتاجها المسافر ﴿قال انتوني بأخ لكم من أبيكم﴾ استدرجهم حتى رويوا له قصتهم، فقال لهم ذلك، يعني أخاه بنيامين، وهو أخو يوسف لأبيه وأمه ﴿ألا ترون أني أوفي الكيل﴾ ذلك عادته المستمرة ﴿وأنا خير المنزلين﴾ لمن نزل بي كما فعلته بكم من حسن الضيافة.

٦٠ ﴿فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي﴾ أي فلا أبيعكم شيئا فيما بعد، وأما في الحال فقد أوفاهم كيلهم ﴿ولا تقربون﴾ لا أتزلكم عندي كما أتزلكم هذه المرة.

٦١ ﴿قالوا سنراود عنه أباه﴾ أي: سنطلبه منه ونجتهد، وقيل: المراد المخادعة منهم لأبيهم، والاحتتيال عليه حتى ينتزعه منه ﴿وإننا لفاعلون﴾ هذه المراودة غير مقصرين فيها.

٦٢ ﴿وقال لفتياناه﴾ غلماناه ﴿اجعلوا بضاعتهم في رحالهم﴾ أي الأوعية التي جعلوا فيها الطعام، والبضاعة: هي التي وصلوا بها من بلادهم ليشتروا بها الطعام ﴿لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم﴾ رجعوا إليهم ﴿لعلهم يرجعون﴾ إلينا إذا عرفوا ذلك وعلموا أنهم أخذوا الطعام بلا ثمن [ولشلا يتهموا بأنهم سرقوا البضاعة وربما كان ذلك يحرمهم من شراء الطعام فيما بعد مع ما هم فيه من القحط].

٦٣ ﴿فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل﴾ أي: منع منا الكيل في المستقبل، ثم ذكروا له ما أمرهم به يوسف، فقالوا ﴿فأرسل معنا أخانا﴾

فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ قَالَ أَتُنُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلا تَرَوْنَ أَنِّي أَوْفِي الْكِيلِ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٦٠﴾ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦١﴾ قَالُوا سُرُودُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٦٢﴾ وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٣﴾ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكِيلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٦٤﴾ قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٦٥﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا

بنيامين ﴿نكتل﴾ بسبب إرساله معنا ما نريده من الطعام. أي إن أرسلته اكتلنا، وإلا منعنا الكيل ﴿وإناله﴾ أي لأخيهم بنيامين ﴿لحافظون﴾ من أن يصيبه سوء أو مكروه.

٦٤ ﴿قال هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل﴾ خاف أن يخونوه فيه كما خانوه في يوسف ﴿فأله﴾ خير حافظا وهو أرحم الراحمين ﴿أي: فتوكل يعقوب على الله ودفعه إليهم﴾

٦٥ ﴿وجدوا بضاعتهم ردت إليهم﴾ أي البضاعة التي حملوها إلى مصر ليمتاروا بها

﴿ما نبغي﴾ أي شيء نطلب من هذا الملك بعد أن صنع معنا ما صنع من الإحسان برد البضاعة، والإكرام عند القدوم إليه، وقيل: أي ما نبغي في القول وما نتزئد فيما وصفنا لك ﴿هذه بضاعتنا ردت إلينا﴾ فإن من تفضل عليهم برد ذلك حقيق بالشاء عليه ﴿ونمير أهلنا﴾ نجلب إليهم الميرة، وهي الطعام ﴿ونحفظ أخانا﴾ بنيامين مما تخافه عليه ﴿ونزداد﴾ بسبب إرساله معنا ﴿كيل بعير﴾ أي حمل بعير زائد على ما جئنا به هذه المرة ﴿ذلك كيل يسير﴾ أي زيادة

وَزَدَادُ كَيْلٍ بَعِيرٌ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ
مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُوا مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ
بَكُمْ فَلَمَّا أَتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾
وَقَالَ يَبْنِي لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ
مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ الْحُكْمُ
إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾
وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ
مَنْ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسٍ يَعْقُوبَ قَضَاهَا
وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لَمَّا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ
قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾
فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ

كان الله عز وجل يريد ألا ينفعكم به
﴿إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [التصرف في
الكون له، وما يقع في الكون كله بأمره
سبحانه، فإن شاء أفسد تدبير المدبرين
وإن كانت الأمور تجري بأسبابها التي
جعلها الله مسببة لها] ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾
أي اعتمدت ووثقت.

٦٨ ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ
أَبُوهُمْ﴾ أي من الأبواب المتفرقة، ولم
يجتمعوا داخلين من باب واحد ﴿مَا كَانَ
يُغْنِي عَنْهُمْ﴾ ذلك الدخول ﴿مَنْ اللَّهِ﴾ أي
من جهته ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ من الأشياء مما
قدرة الله عليهم، وهو تعالى قد قدر أخذ
يوسف لبنيامين كما يأتي ﴿إِلَّا حَاجَةٌ فِي
نَفْسٍ يَعْقُوبَ﴾ أي ولكن حاجة كانت
في نفس يعقوب، وهي شفقتة عليهم،
ومحبته لسلامتهم ﴿قَضَاهَا﴾ يعقوب: أي
أظهرها لهم ووصاهم بها، وقيل: خطر
ببال يعقوب أن الملك إذا رآهم مجتمعين
مع ما يظهر فيهم من كمال الخلقة، وسيا
الشجاعة، أوقع بهم حسدا وحقدا، أو خوفا
منهم ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لَمَّا عَلَّمْنَاهُ﴾ [أي
من الأخذ بالأسباب وأخذ الحذر والتوكل
على الله تعالى] ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا
يَعْلَمُونَ﴾ مثلما كان يعلم.

٦٩ ﴿ءَاوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾ أي ضم إليه
أخاه بنيامين، قيل: إنه أمر بإنزال كل
اثنين في منزل، فبقي أخوه منفردا فضمه
إليه و ﴿قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ﴾ يوسف،
قال له ذلك سرا من دون إخوته ﴿فَلَا
تَبْتَئِسْ﴾ أي فلا تحزن ﴿بِمَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ﴾ أي إخوانك من الأعمال الماضية
التي عملوها.

٧٠ ﴿جَعَلَ السَّقَايَةَ﴾ التي هي الصواع
﴿فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾ بنيامين، والرحل: هو
الوعاء الذي يجعل فيه ما اشتراه من
الطعام من مصر.

٦٧ ﴿وَقَالَ يَبْنِي لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ
وَاحِدٍ﴾ خاف عليهم أبوه ﴿أَنْ يَنْهَكُمُ
ضَرَرُ يَعْصِيهِمْ﴾، فإن كانوا متفرقين كانت
المصيبة أهون [وقيل: خاف عليهم أن
تصيبهم العين، لكونهم كانوا ذوي جمال
ظاهر، مع كونهم أولاد رجل واحد
﴿وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾ أي فذلك
أخرى أن تسلموا [إن أراد إيقاع الضرر
بكم أحد] ﴿وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ
مِنْ شَيْءٍ﴾ أي لا أَدْفَعُ عَنْكُمْ ضَرَرًا وَلَا
أَجْلِبُ إِلَيْكُمْ نَفْعًا بتدويري هذا، إن

الحلف به.

كيل بعير لأخيना يسهل على الملك،
لا يتعاضمه ولا يضايقنا فيه.

٦٦ ﴿قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُوا
مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ﴾ أي حتى تعطوني مائثق به
وأركن إليه، وهو الحلف بالله تعالى
﴿لَتَأْتُنَّنِي بِهِ﴾ لتردن بنيامين إلى ﴿إِلَّا أَنْ
يُحَاطَ بِكُمْ﴾ إلا أن تغلبوا عليه، أو
تهلكوا دونه، فيكون ذلك عذرا لكم
عندي ﴿فَلَمَّا أَتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ﴾ أي أعطوه
اليمين ﴿قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾
مطلع رقيب لا يخفى عليه منه خافية، فهو
المعاقب لمن خاس في عهده وفجر في

﴿ثم أذن مؤذن﴾ أي نادى مناد ﴿أيتها البعير﴾ معناه: يا أصحاب البعير، والبعير الإبل المرحولة المركوبة.

٧١ ﴿قالوا﴾ أي إخوة يوسف ﴿وأقبلوا عليهم﴾ على المنادي من أصحاب الملك ﴿ماذا تفقدون﴾ ماذا ضاع عليكم؟

٧٢ ﴿قالوا﴾ في جوابهم ﴿نفقد صواع الملك﴾ والصواع: هو الصاع بعينه ﴿ولمن جاء جاء به حمل بعير﴾ أي قالوا: لمن جاء بالصواع من جهة نفسه حمل بعير، والبعير: الجمل، ثم قال المنادي ﴿وأنا به زعيم﴾ أي كفيل، أي يحمل البعير الذي جعل لمن جاء بالصواع قبل التفتيش للأوعية.

٧٣ ﴿قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض﴾ أي حلفوا قائلين: إن يوسف وأصحابه يعلمون يقينا بنزاهة جانبهم، وطهارة ذيلهم عن التلوث بقدر الفساد في الأرض الذي من أعظم أنواعه السرقة، ولو لم يكن من ذلك إلا ردهم لبضاعتهم التي وجدوها في رحالهم.

٧٤ ﴿قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين﴾ والقائلون: هم أصحاب يوسف، أو المنادي، أي فما جزاء سرقة الصواع عندكم ﴿إن كنتم كاذبين﴾ فيما تدعونه من البراءة عن السرقة.

٧٥ ﴿قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه﴾ أي جزاء سرقة الصواع، أخذ الرجل الذي يوجد الصواع في رحله، وكان حكم السارق في آل يعقوب أن يؤخذ السارق عبداً لمن سرق منه سنة ﴿كذلك نجزي الظالمين﴾ لغيرهم من الناس بسرقة أمتعتهم.

٧٦ ﴿فبدأ به﴾ تفتيش ﴿أوعيتهم﴾ أي أوعية الإخوة العشرة ﴿قبل وعاء أخيه﴾ دفعا للتهمة، وسراً لما دبره من الحيلة ﴿ثم استخرجوها﴾ أي: السقاية، أو الصواع ﴿كذلك كدنا ليوسف﴾ علمناه وأوحينا إليه الكيد، ونهايته إلقاء المخدوع من

﴿ثم أذن مؤذن﴾ أي نادى مناد ﴿أيتها البعير﴾ معناه: يا أصحاب البعير، والبعير الإبل المرحولة المركوبة.

٧١ ﴿قالوا﴾ أي إخوة يوسف ﴿وأقبلوا عليهم﴾ على المنادي من أصحاب الملك ﴿ماذا تفقدون﴾ ماذا ضاع عليكم؟

٧٢ ﴿قالوا﴾ في جوابهم ﴿نفقد صواع الملك﴾ والصواع: هو الصاع بعينه ﴿ولمن جاء جاء به حمل بعير﴾ أي قالوا: لمن جاء بالصواع من جهة نفسه حمل بعير، والبعير: الجمل، ثم قال المنادي ﴿وأنا به زعيم﴾ أي كفيل، أي يحمل البعير الذي جعل لمن جاء بالصواع قبل التفتيش للأوعية.

٧٣ ﴿قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض﴾ أي حلفوا قائلين: إن يوسف وأصحابه يعلمون يقينا بنزاهة جانبهم، وطهارة ذيلهم عن التلوث بقدر الفساد في الأرض الذي من أعظم أنواعه السرقة، ولو لم يكن من ذلك إلا ردهم لبضاعتهم التي وجدوها في رحالهم.

٧٤ ﴿قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين﴾ والقائلون: هم أصحاب يوسف، أو المنادي، أي فما جزاء سرقة الصواع عندكم ﴿إن كنتم كاذبين﴾ فيما تدعونه من البراءة عن السرقة.

٧٥ ﴿قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه﴾ أي جزاء سرقة الصواع، أخذ الرجل الذي يوجد الصواع في رحله، وكان حكم السارق في آل يعقوب أن يؤخذ السارق عبداً لمن سرق منه سنة ﴿كذلك نجزي الظالمين﴾ لغيرهم من الناس بسرقة أمتعتهم.

٧٦ ﴿فبدأ به﴾ تفتيش ﴿أوعيتهم﴾ أي أوعية الإخوة العشرة ﴿قبل وعاء أخيه﴾ دفعا للتهمة، وسراً لما دبره من الحيلة ﴿ثم استخرجوها﴾ أي: السقاية، أو الصواع ﴿كذلك كدنا ليوسف﴾ علمناه وأوحينا إليه الكيد، ونهايته إلقاء المخدوع من

الله سبحانه.

حيث لا يشعر في أمر مكروه لا سبيل إلى دفعه ﴿ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك﴾ في شريعته التي كان عليها، بل كان دينه وقضاؤه أن يضرب السارق، ويغرم ضعف ما سرقه، دون الاستعباد سنة، كما هو دين يعقوب وشريعته ﴿نرفع درجات من نشاء﴾ بضروب العلوم والمعارف والعطايا والكرامات كما رفعنا درجة يوسف بذلك ﴿وفوق كل ذي علم﴾ ممن رفعه الله بالعلم ﴿علم﴾ أرفع رتبة منهم، وأعلى درجة، وقيل: معنى ذلك أن فوق كل أهل العلم عليم، وهو

٧٧ ﴿قالوا إن يسرق﴾ أي قال إخوة يوسف: إن يسرق بنيامين هذه المرة ﴿فقد سرق أخ له من قبل﴾، يعنون يوسف، قيل: إن يوسف أخذ صنما كان لجدته أبي أمه، فكسره وألقاه على الطريق، تغييراً للمنكر، وكان صنماً من ذهب، وقيل: إنهم لم يزل الحسد في قلوبهم ليوسف، فكذبوا عليه فيما نسبوه إليه ﴿فأسرها يوسف في نفسه﴾ أي أسر [تأذبه] من قولهم: إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل ﴿قال﴾ يوسف ﴿أنتم شر



قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا
مَكَانَهُ ۚ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن
نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَّعْنَا عَنْدَهُ ۚ إِنَّا إِذَا لَطَلِمُونَ ﴿٧٩﴾
فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا
أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ ۖ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ
فِي يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أُبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ
يَحْكُمَ اللَّهُ لِي ۖ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٠﴾ أَرْجِعُوا إِلَىٰ
أَيْكُم فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ أَبْنَاكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا
عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسَأَلَ الْقَرْيَةَ الَّتِي
كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٨٢﴾
قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَىٰ
اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾

بينهم **﴿قال كبيرهم﴾** قيل: هو روبيل، وقيل: شمعون، لأنه رئيسهم **﴿موثقا من الله﴾** أي: عهدا بالله في حفظ ابنه ورده إليه **﴿ومن قبل ما فرطتم في يوسف﴾** أي: وتعلمون تفريطكم في يوسف، ولم تحفظوا عهد أبيكم فيه **﴿فلن أبرح الأرض﴾** أرض مصر، ولا أزال مقبلا فيها **﴿حتى يأذن لي أبي﴾** في مفارقتها والخروج منها **﴿أو يحكم الله لي﴾** بمفارقتها والخروج منها، وقيل: أو يحكم الله لي بالنصر على من أخذ أخي فأحاربه وأخذ أخي منه. **٨١ ﴿إن ابنك سرق﴾** وذلك لأنهم قد شاهدوا استخراج الصواع من وعائه **﴿وما شهدنا إلا بما علمنا﴾** من استخراج الصواع من وعائه **﴿وما كنا للغيب حافظين﴾** حتى يتضح لنا هل الأمر على ما شاهدناه، أو على خلافه، ولعلمهم يريدون الشهادة على بنيامين بأنه قد سرق حقيقة، ومرادهم أنه سرق وهم نيام، أو فعل ذلك وهو غائب عنهم.

٨٢ ﴿واسأل القرية التي كنا فيها﴾ أي: اسأل أهل القرية وهي من قرى مصر **﴿والعير التي أقبلنا فيها﴾** أي: واسأل أصحاب القافلة التي رجعنا فيها إلى بلادنا، قيل: وكانوا قوما معروفين من جيران يعقوب **﴿وانا لصادقون﴾** فيما قلنا.

٨٣ ﴿قال﴾ أي قال يعقوب لما وصلوا إليه: **﴿بل سولت لكم أنفسكم أمرا﴾** أي زينت، والأمر هنا: قولهم (إن ابنك سرق) وما سرق في الحقيقة، وقيل المراد بالأمر: إخراجهم بنيامين، والمضي به إلى مصر طلبا للمنفعة **﴿فصبر جميل﴾** والصبر الجميل: هو الذي لا ييأس صاحبه بالشكوى، بل يفوض أمره إلى الله ويسترجع **﴿عسى الله أن يأتيني بهم جميعا﴾** أي بيوسف وأخيه بنيامين، والأخ الثالث الباقي بمصر.

مكانا﴾ أي موضعا ومنزلا من نسبتموه إلى السرقة وهو بريء. يعني: فإنكم قد فعلتم ما فعلتم من إلقاء يوسف في الجب والكذب على أبيكم، يعني: وغير ذلك من أفاعيلكم، ثم قال **﴿والله أعلم بما تصفون﴾** من الباطل بنسبة السرقة إلى يوسف.

٧٨ ﴿قالوا يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا﴾ أي: إن لبنيامين هذا أبا شيخا كبيرا لا يستطيع فراقه، ولا يصبر عنه، ولا يقدر على الوصول إليه **﴿فخذ أحدا مكانه﴾** يبقى لديك، فإن له منزلة

في قلب أبيه ليست لواحد منا، فلا يتضرر بفراق أحدا كما يتضرر بفراق بنيامين **﴿إننا نراك من المحسنين﴾** إلى الناس كافة، والينا خاصة، فتمم إحسانك إلينا بإجابتنا إلى هذا المطلب.

٧٩ ﴿معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده﴾ وهو بنيامين، فقد حل لنا استعباده بفتواكم **﴿إننا إذا لظالمون﴾** إذا أخذنا غيره.

٨٠ ﴿فلما استيسسوا منه﴾ أي يشوا من يوسف وإسعافهم منه إلى مطلبهم **﴿خلصوا نجيا﴾** أي انفردوا متناجين فيما

وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَأْسُفِي عَلَى يُوسُفَ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ
مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوًا نَّذَكُرُ يُوسُفَ
حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ
إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا
تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ
وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيِسُ مِنَ
رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ
قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَّا الضُّرَّ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ
مُزْجِيَةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ
يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ
وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوا أَأَنْتَ لَا تَعْلَمُ يُوسُفَ
قَالَ أَنَا يُوسُفَ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مِنْ

٨٤ ﴿وتولى عنهم﴾ أي أعرض عنهم، وقطع الكلام معهم ﴿وابيضت عيناه من الحزن﴾ أي انقلب سواد عينيه بياضا من كثرة البكاء ﴿فهو كظيم﴾ أي مكظوم، مملوء من الحزن، ممسك له لا يبيته.

٨٥ ﴿قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف﴾ أي لا تزال تتذكره وتنطق باسمه تأسفا وتحزنا عليه لشدة الفراق ﴿حتى تكون حرضا﴾ الحرص: الفساد في الجسم، أو العقل من الحزن، أو الهرم أو نحوها ﴿أو تكون من الهالكين﴾ من الميتين، وغرضهم منع يعقوب من البكاء والحزن شفقة عليه، وإن كانوا هم سبب أحزانه وتبئيسه من لقاء يوسف، أي: فإنه قد ذهب، أو أكله الذئب كما ادعوا، فلن تراه حتى تموت فإذا ينفعك البكاء؟

٨٦ ﴿قال إنما أشكو بني﴾ البث: ما يرد على الإنسان من الأشياء التي يعظم حزن صاحبها بها حتى لا يقدر على إخفائها، فالبث على هذا: أعظم الحزن وأصعبه ﴿وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾ من لطفه وإحسانه، وثوابه على المصيبة. وقيل: أراد علمه بأن يوسف حي، وقيل: أراد علمه بأن رؤياه صادقة.

٨٧ ﴿فتحسسوا من يوسف وأخيه﴾ فتعرفوا أخبار يوسف وأخيه ﴿ولا تياسوا من روح الله﴾ أي لا تقنطوا من فرجه وتنفيسه. وكل ما يهز الإنسان بوجوده ويلتذ به فهو روح ﴿إنه لا يياس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾ لكونهم لا يعلمون بقدرة الله سبحانه، وعظيم صنعه، وخفي ألطافه.

٨٨ ﴿فلما دخلوا عليه﴾ أي: على يوسف ﴿منا وأهلنا الضر﴾ أي: المرض في أنفسنا وفي أهلنا، لشدة ما نحن فيه من قلة الأمطار والجوع والحاجة ﴿وجئنا ببضاعة مزجاة﴾ بضاعة تدفع ولا يقبلها التجار لقلتها ورداءتها ﴿وتصدق علينا﴾

علمكم بما فيه من الإثم، وقصور معارفكم عن عاقبته.

٩٠ ﴿قالوا أنك أنت يوسف﴾ وكان ذلك منهم على طريق التعجب والاستغراب، قيل: سبب معرفتهم له بمجرد قوله لهم ﴿ما فعلتم بيوسف وأخيه﴾ لما قال لهم ذلك تنبهوا وفهموا أنه لا يخاطبهم بمثل هذا إلا هو ﴿قال أنا يوسف﴾ كأنه قال أنا المظلوم المستحل منه المحرم المراد قتله ﴿وهذا أخي﴾ المظلوم كظلمي ﴿قد من الله علينا﴾ بالخلاص ورفع القدر، اعترف الله بفضل

إما بزيادة يزيد لها لم على ما يقابل بضاعتهم، أو بالإغماض عن رداءة البضاعة التي جاءوا بها [أو المراد بذلك رد أخيم إليهم].

٨٩ ﴿ما فعلتم بيوسف وأخيه﴾ والذي فعلوا بيوسف هو ما تقدم مما قصه الله في هذه السورة، وما فعلوا بأخيه: هو ما أدخلوه عليه من الغم بفراق أخيه يوسف، وما كان يناله منهم من الاحتقار والإهانة، ولم يذكر أباه يعقوب ما دخل عليه من الغم بفراقه تعظيما له ورفعاً من قدره ﴿إذ أنتم جاهلون﴾ وقت عدم

يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾
 قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ أَثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِئِينَ ﴿٩١﴾
 قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ
 أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى
 وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾
 وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ
 لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ
 الْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ
 فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ
 مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا يَتَّابَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا
 كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ
 هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَى

القديم أي قال الحاضرون عنده من أهله إنك يا يعقوب لمستم على ما كنت عليه من ذهابك عن طريق الصواب من إفراط حبك ليوسف لا تنساه، وتوهم أنه حي، وترجو أن يعود إليك، وقد أكله الذئب من زمان بعيد.

٩٦ ﴿فلما أن جاء البشير﴾ حامل البشرى لأبيهم **﴿ألقاه على وجهه﴾** أي: ألقى البشير قميص يوسف على وجه يعقوب **﴿فارتد بصيرا﴾** عاد إلى صحة بصره **﴿قال ألم أقل لكم﴾** اني لأجد ريح يوسف فقلتم ما قلتم **﴿إني أعلم من الله ما لا تعلمون﴾** ويريد بذلك إخبارهم بما قاله لهم سابقا (إنما أشكوبني وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون)

٩٧ ﴿قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين﴾ أي: قال إخوة يوسف هذا لما وصلوا بعد وصول البشير. اعترفوا بالذنب فوعدهم بما طلبوه منه.

٩٨ ﴿وقال سوف أستغفر لكم ربي﴾ قال: الزجاج أراد يعقوب أن يستغفر لهم في وقت السحر، لأنه أخلق بإجابة الدعاء، ولم يعجل بالدعاء، لعظيم جرميتهم، فأراد أن يخلص لله الدعاء ويتحرى ساعة الإجابة شفقة على أولاده لعل الله أن يتجاوز عنهم.

٩٩ ﴿آوى إليه أبويه﴾ أي ضمها إلى مسكنه وأنزلها عنده. قال المفسرون: المراد يعقوب وزوجته خالة يوسف، لأن أمه قد كانت ماتت في ولادتها لأخيه بنيامين [وهذا نقل عن أهل الكتاب، والظاهر أنها أمه حقيقة] **﴿وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمين﴾** بما تكرهون، وإنما أمنا بمكانة يوسف في مصر، قيل: تلقاهم إلى خارج مصر، فوقف منتظرا لهم في مكان فدخلوا عليه فـ **﴿آوى إليه أبويه وقال ادخلوا مصر﴾**

لكم.

٩٣ ﴿يأت بصيرا﴾ قد ذهب عنه العمى **﴿وأتوني بأهلكم أجمعين﴾** من النساء والذراري.

٩٤ ﴿ولما فصلت العير﴾ أي خرجت منطلقا من مصر إلى الشام وفارقت العامر من مدينة مصر **﴿قال أبوهم﴾** أي يعقوب لمن عنده في أرض كنعان من أهله **﴿إني لأجد ريح يوسف﴾** رائحته **﴿لولا أن تفندون﴾** لولا أن تنسبوني إلى الخرف، وهو ذهاب العقل من الهرم.

٩٥ ﴿قالوا تالله إنك لفي ضلالك

العظيم عليه وعلى أخيه.

٩١ ﴿قالوا تالله لقد آثرك الله علينا﴾ أي: لقد اختارك وفضلك علينا بما خصك به من صفات الكمال **﴿وإن كنا لخاطئين﴾** والخطيئة: من تعد ما لا ينبغي، علموا أنه لابد لهم من الاعتراف بأخطائهم القديمة، ومنها إلقائه في الحب، والحديث، ومنها اتهامه بالسرقة.

٩٢ ﴿قال لا تثريب عليكم﴾ أي: لا تعيير ولا توبيخ: ولا لوم عليكم، ولكم عندي الصفح والعفو، عند اعترافكم بالذنب، ثم دعا لهم بقوله **﴿يفغر الله**

إِلَيْهِ أَبُوَيْهِ وَقَالَ أَدْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾
 وَرَفَعَ أَبُوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَأْتِبُ
 هَذَا تَأْوِيلُ رُءُوسِي مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ
 أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنْ
 الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ
 رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾
 * رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ
 الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيَّ الدُّنْيَا
 وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَلِكَ
 مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا
 أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ
 بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ

١٠٠ ﴿ورفع أبويه على العرش﴾ أي :
 أجلسها معه على السرير الذي يجلس
 عليه كما هو عادة الملوك ﴿وخرؤا له
 سجدا﴾ أي : الأبوان والإخوة، وكان
 ذلك جائزا في شريعتهم منزلا منزلة
 التحية ﴿وقال﴾ يوسف ﴿يأبت هذا
 تأويل رؤياي﴾ يعني التي تقدم ذكرها
 ﴿قد جعلها ربي حقا﴾ بوقوع تأويلها
 على ما دلت عليه ﴿وقد أحسن بي﴾ أي
 لطف بي محسنا، ولم يذكر إخراجهم من
 الحب، لأن في ذكره نوع تثريب للإخوة،
 وقد قال : لا تثريب عليكمم ﴿وجاء بكم
 من البدو﴾ أي البادية، وهي أرض
 كنعان بالشام، وكانوا أهل مواش وبرية
 ﴿من بعد أن نزع الشيطان بيني وبين
 إخواني﴾ أي أفسد بيننا وحمل بعضنا على
 بعض، أحال يوسف ذنب إخوته على
 الشيطان تكريما منه وتادبا ﴿إن ربي
 لطيف لما يشاء﴾ اللطيف : الرفيق بوجه
 الوصول إلى ما يشاء حتى يناله بأيسر
 طريق على وجه الصواب.

١٠١ ﴿رب قد آتيتني من الملك﴾ وهو
 ماواه ملك مصر من شأن خزائن الأموال
 ﴿وعلمتني من تأويل الأحاديث﴾ أي :
 تأويل الرؤيا ﴿فاطر السماوات
 والأرض﴾ أي يافاطر، والفاطر : الخالق
 والمبدع ﴿أنت وليي﴾ أي ناصري ومتولي
 أموري ﴿في الدنيا والآخرة﴾ تتولاني فيها
 ﴿توفني مسلما وألحقني بالصالحين﴾ أي
 اجعلني طيلة حياتي على الإسلام لا
 يفارقني حتى أموت عليه، وألحقني
 بالصالحين من النبيين من آبائي وغيرهم،
 فأظفر بمثل ثوابهم منك ودرجاتهم عندك.

١٠٢ ﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه
 إليك﴾ يا محمد، ولم يكن عندك قبل
 الوحي شيء من ذلك ﴿وما كنت لديهم﴾
 أي : لدى إخوة يوسف ﴿إذ أجمعوا
 أمرهم﴾ إذعزموا جميعا على إلقائه في

الجب ﴿وهم﴾ في تلك الحالة ﴿يمكرون﴾
 بيوسف، ويغفونه الغوائل. وإذا لم يكن
 رسول الله ﷺ لديهم عند أن فعلوا ذلك،
 ولم يكن بين قوم لهم علم بأحوال الأمم
 السالفة، ولا خالطهم ولا خالطوه، فلم
 يبق لعلمه بذلك طريق إلا مجرد الوحي
 من الله سبحانه.

١٠٣ ﴿وما أكثر الناس ولو حرصت
 بمؤمنين﴾ أي : ليسوا ولو حرصت على
 هدايتهم وبالغت في ذلك بمؤمنين بالله،
 إلا من رحم الله، لتصميمهم على الكفر
 الذي هو دين آبائهم، قيل : إن قريشا
 واليهود سألت رسول الله ﷺ عن قصة
 يوسف وإخوته فشرحها شرحا شافيا، وهو
 يؤمل أن يكون ذلك سببا لإسلامهم،
 فخالفوا ظنه، وحزن رسول الله ﷺ لذلك
 فعزاه الله.

١٠٤ ﴿وماتسألم عليه من أجر﴾ أي :
 على القرآن وماتتلوه عليهم منه، أو على
 الإيمان، أو على ما تحدثهم به، من مال
 يعطونك إياه ويجعلونه لك، كما يفعله
 أحبارهم ﴿إن هو﴾ أي القرآن ﴿إلا ذكر
 للعالمين﴾ كافة لا يختص بقريش
 وحدهم.

لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ
بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ
عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾
قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ
اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَا
أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ
الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ
عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا
أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْعَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ
قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مِنْ نَّشَأٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا
عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ

والضرر ويصرفون إليهم شيئا من العبادة،
وذلك هو الشرك بعينه.

١٠٧ ﴿أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾ الغاشية: ما يغشاهم ويغمرهم من العذاب، قيل: هي الساعة، وقيل: الصواعق والقوارع **﴿أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾** أي فجأة **﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾** بإتيانه.

١٠٨ ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي﴾ هذه الدعوة التي أدعو إليها، والطريقة التي أنا عليها، سبيلي: أي طريقي وسنتي **﴿أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾** أي على حجة واضحة [ومعرفة مني لصحة ما أدعو إليه] **﴿أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾** أي ويدعو إليها من اتبعني واهتدى بهديي **﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾** بالله الذين يتخذون من دونه أندادا.

١٠٩ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ لا ملائكة، فكيف ينكرون إرسالنا إياك **﴿نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾** كما نوحى إليك **﴿مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾** أي المدائن **﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾** أي: أفلم يسافر المشركون في أرض الله فينظروا إلى مصارع الأمم الماضية، فيعتبروا بهم حتى ينزعوا عما هم فيه من التكذيب **﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾** الجنة هي خير للمتقين من دار الدنيا.

١١٠ ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْعَسَ الرُّسُلُ﴾ من النصر بعقوبة قومهم **﴿وَوَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا﴾** استبطأوا النصر، فحدثتهم أنفسهم بأنهم قد أخلفوا ما وعدوا به من النصر. روي معناه عن ابن عباس. وقيل: معناه ظن القوم أن الرسل قد كذبوهم فيما أخبروا به من العذاب ولم يصدقوا **﴿جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾** أي فجاء الرسل نصر الله سبحانه فجأة **﴿فَنُجِّيَ مِنْ نَّشَأٍ﴾** هم الرسل ومن آمن معهم، وهلك المكذبون **﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾** عند نزوله بهم.

وما يصدق ويقر أكثر الناس بالله من كونه الخالق الرازق المحيي المميت **﴿إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾** بالله، يعبدون معه غيره، كما كانت تفعله الجاهلية، فإنهم مقرون بالله سبحانه وبأنه الخالق لهم، لكنهم كانوا يشبثون له شركاء، فيعبدونهم ليقربوهم إلى الله؛ ومثل هؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله، ومثلهم كذلك المعتقدون في الأموات بأنهم يقدرون على ما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه، كما يفعله كثير من عباد القبور يؤمنون بالله ثم يعتقدون في غيره النفع

١٠٥ ﴿وَكَايِن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ كم من آية تدلهم على توحيد الله في السماوات من كونها منصوبة بغير عمد، مزينة بالكواكب النيرة، السيارة والشوابت، وفي الأرض من جبالها وقفارها وبحارها ونباتها وحيواناتها، تدلهم على توحيد الله سبحانه وأنه الخالق لذلك **﴿يَمُرُّونَ﴾** على هذه الآيات غير متأملين لها ولا ملتفتين إلى ما تدل عليه من وجود خالقها، وإن نظروا إليها بعيونهم، فقد أعرضوا عن التفكير والاعتبار والاستدلال.

١٠٦ ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ﴾ أي:

عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ
تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى
وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

(١٣) سُورَةُ الرَّحْمَنِ
وَأَيُّهَا ثَلَاثُ وَأَرْبَعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَرْ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ
مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾
اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَى
عَلَى الْعَرْشِ وَخَرَّ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ
مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ

١١١ ﴿لقد كان في قصصهم﴾ أي: قصص الرسل ومن بعثوا إليهم من الأمم، أو في قصص يوسف وإخوته وأبيه ﴿عبرة لأولي الأبواب﴾ والعبرة: البصيرة المخلصة من الجهل والخيرة، وأولو الأبواب: هم ذوو العقول السليمة الذين يعتبرون بعقولهم، فيدرون مافيه مصالح دينهم ﴿ما كان حديثا يفترى﴾ أي ما كان القرآن المشتمل على ذلك حديثا مختلفا ﴿ولكن تصديق الذي بين يديه﴾ من الكتب المنزلة كالأنجيل والإنجيل والزبور ﴿وتفصيل كل شيء﴾ من الشرائع الممثلة المحتاجة إلى تفصيلها والأصول والقوانين ﴿وهدى﴾ في الدنيا يهتدي به كل من أراد الله هدايته ﴿ورحمة﴾ في الآخرة يرحم الله بها عباده العاملين ﴿للقوم يؤمنون﴾ أي يصدقون به وما تضمنه من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وشرائعه وقدره، وأما من عداهم فلا ينتفع به ولا يهتدي، فلا يستحق ما يستحقونه.

سُورَةُ الرَّحْمَنِ

١ ﴿تلك آيات الكتاب﴾ الإشارة بقوله ﴿تلك﴾ إلى آيات هذه السورة ﴿والذي أنزل إليك من ربك الحق﴾ مراداً به القرآن كله: هو الحق البالغ في اتصافه بهذه الصفة ﴿ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾ بهذا الحق الذي أنزله الله عليك.

٢ ﴿الله الذي رفع السماوات بغير عمد﴾ العمد: الأساطين، أي: قائمات بغير عمد تعتمد عليه، وقيل: لها عمد ولكن لا نراه ﴿ثم استوى على العرش﴾ أي: علا على العرش وارتفع، والله أعلم بكيفية ذلك [إلا أننا نؤمن بأنه حق، بلا تكيف ولا تشبيه، وبلا تأويل ولا تعطيل، بل كما قال الإمام مالك:

الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. [وسخر الشمس والقمر﴾ أي: ذللها لما يراد منها من منافع الخلق ومصالح العباد ﴿كل يجري لأجل مسمى﴾ أي كل من الشمس والقمر يجري إلى وقت معلوم: وهو فناء الدنيا وقيام الساعة، وقيل المراد بالأجل المسمى: درجاتها ومنازلها وهي سنة للشمس، وشهر للقمر ﴿يدبر الأمر﴾ أي: يصرفه على ما يريد ﴿يفصل الآيات﴾ أي يبينها، وهي الدالة على كمال قدرته وربوبيته، ومنها ما تقدم من رفع السماء بغير عمد، وتسخير الشمس والقمر وجريها لأجل مسمى ﴿لعلكم توفقون﴾ بذلك لا تشكون فيه، ولا تمترون في صدقه. ٣ ﴿وهو الذي مد الأرض﴾ بسطها طولاً وعرضاً؛ ولا ينافي كبرويتها في نفسها لتباعد أطرافها [ولذلك تبدو مبسوطة لمن عليها، مع أنها كروية] ﴿وجعل فيها رواسي﴾ أي جبالاً ثوابت ﴿ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين﴾ الذكر والأنثى [وهذا تصريح معجز بما غلِّم حديثاً من وجود الجنسين

التفكر في المخلوقات، والاعتبار في عبر
الموجودات.

٥ «وإن تعجب» يا محمد من تكذيبهم
لك، فأعجب منه تكذيبهم بالبعث إذ
قالوا: «أئذا كنا تراباً أئنا لفي خلق
جديد» أثبتت أو تُعاد «وأولئك الذي
كفروا بربهم» أي: أولئك المنكرون
لقدرته على البعث هم المتعادون في الكفر
الكاملون فيه «وأولئك الأغلال في
أعناقهم» فتصرفهم عن الإيمان، فلا
يقدرّون عليه، وقيل: الأغلال أعمالهم
السيئة التي هي لازمة لهم لزوم الأطواق
للأعناق.

٦ «ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة»
السيئة: العقوبة المهلكة، والحسنة:
العافية والسلامة، والمعنى: أنهم طلبوا
العقوبة قبل السلامة والعافية «وقد
خلت من قبلهم المثلثات» أي: إن
هؤلاء يستعجلونك بإزالة العقوبة بهم،
وقد مضت من قبلهم عقوبات أمثالهم
من الكاذبين، فما لهم لا يعتبرون بهم،
ويحذرون من حلول ما حلّ بهم «وإن
ربك لذومغفرة للناس» أي لذو تجاوز
عظيم «على ظلمهم» فلا يعاجلهم
بالعقوبة مع استمرارهم في عمل الذنوب
«وإن ربك لشديد العقاب» يعاقب
العصاة المكذبين من الكافرين عقاباً
شديداً على ما تقتضيه مشيئته.

٧ «ويقول الذين كفروا لولا أنزل
عليه آية من ربه» أي: هلا أنزل عليه
آية غير ما قد جاء به من الآيات
المعجزات «إنما أنت منذر» تنذرهم
النار، وليس إليك من الآيات شيء. وقد
فعل محمد ﷺ ما هو عليه، وأنذر أبلغ
إنذار «ولكل قوم هاد» أي نبي يدعوهم
إلى ما فيه هدايتهم ورشادهم.

رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٥﴾ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا
رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ
آثْنَيْنِ يُغِشِّي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ
يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦﴾ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّتْ
مِنْ أَغْنَبٍ وَزَرَءٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ
وَاحِدٍ وَنُفِضَ لِبَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٧﴾ * وَإِنْ تَعْجَبَ فَعَجَبٌ
قَوْلُهُمْ إِذَا كُنَّا تُرَابًا أَوْنَا لَنِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ
كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِيْ أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ
أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ
بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ
وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ

[في نوع الثمرة والأجزاء التي تؤكل من
الشجرة] فيكون طعم بعضها حلواً،
والآخر حامضاً، وهذا في غاية الجودة،
وهذا ليس بجيد، وهذا فائق في حسنه،
وهذا غير فائق، مما يقطع من تفكر واعتبر
ونظر فيه نظر العقلاء بأنه صنع الحكيم
الخبير. فإذا كان المكان متجاوراً، وقطع
الأرض متلاصقة، والماء الذي تسقى به
واحداً لم يبق سبب للاختلاف في نظر
العقل إلا تلك القدرة الباهرة والصنع
المعجب «إن في ذلك لآيات لقوم
يعقلون» غير مهملين لما يقتضيه من

في كل ثمرة] «يغشي الليل النهار» أي
يلبسه مكانه، فيصير أسود مظلماً بعدما
كان أبيض منيراً.

٤ «وفي الأرض قطع متجاورات»
متدانيات ترابها واحد، وماؤها واحد،
ولكنها مع ذلك تثبت أنواعاً مختلفة من
الثمار «وجنات من أعناب وزرع ونخيل
صنوان وغير صنوان» أي: أصناف
متماثلات، وأصناف غير متماثلات.
وعن ابن عباس: الصنوان النخلة لها
رأسان وأصلها واحد «يسقى بماء واحد
ونفضل بعضها على بعض في الأكل»



٨ **«الله يعلم ما تحمل كل أنثى»** في بطنها من علقه، أو مضغة، ذكر أو أنثى، صبيح أو قبيح، سعيد أو شقي، وعلى أي حال هو **«وما تغيض الأرحام وما تزداد»** [المراد ازدياد حجم الرحم بنمو الحمل فيه يوماً بعد يوم، ونقصه بخروج الولد، ففي كل من الأمرين معجزة] **«وكل شيء عنده بمقدار»** القدر الذي قدره الله [أي رتبته بموازين ومقادير ونسب ثابتة معلومة عنده جارية على نظام محسوب، ومن جملة ذلك نوع الجنين وحجم الأرحام، ومدد الحمل ومدد الحيض].

٩ **«عالم الغيب والشهادة»** أي عالم كل غائب عن الحس، وكل مشهود حاضر، أو كل معدوم وموجود **«الكبير المتعال»** أي: العظيم المستعلي على كل شيء بقدرته وعظمته وقهره.

١٠ **«سواء منكم من أسر القول ومن جهر به»** فهو يعلم ما أسرته الإنسان، كعلمه بما جهر به من خير وشر **«ومن هو مستخف بالليل»** أي مستتر في الظلمة متوار عن الأعين **«وسارب بالنهار»** فالظاهر في الطرقات والمستخفي في الظلمات علم الله فيهما سواء.

١١ **«له معقبات»** أي: لكل من هؤلاء الناس معقبات، وهم الحفظة من الملائكة، يأتي بعضهم بعقب بعض **«من بين يديه ومن خلفه»** المراد: أن الحفظة من الملائكة من جميع جوانبه **«يحفظونه من أمر الله»** أي: بأمر الله، أي: بما أمرهم به لا أنهم يقدر أن يدفعوا أمر الله. وقيل: يحفظونه من الجن، وقيل: يحفظونه من أمر الله بأمر الله فإذا جاء القدر تخلوا عنه. وعن ابن عباس: هي في الملوك والأمراء، يجعلون الحرس يحفظونهم من أمامهم وورائهم، يقول: أيحفظونه من أمري؟ فإني إذا أردت بقوم سوءاً فلا مرد

لشديد العقاب ﴿٦﴾ ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه إنا أنتم منذرون ولكل قوم هاد ﴿٧﴾ الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد ﴿٨﴾ وكل شيء عنده بمقدار ﴿٩﴾ عليم الغيب والشهادة الكبير المتعال ﴿١٠﴾ سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار ﴿١١﴾ له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال ﴿١٢﴾ هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينشئ السحاب الثقال ﴿١٣﴾ ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها

له، فلن يغني الحرس شيئاً **«إن الله لا يغير ما بقوم»** من النعمة والعافية **«حتى يغيروا ما بأنفسهم»** من طاعة الله، فلا يسلب قوما نعمة أنعم بها عليهم حتى يغيروا الذي بأنفسهم من الخير والأعمال الصالحة **«وإذا أراد الله بقوم سوءاً»** أي هلاكاً وعذاباً **«فلا مرد له»** أي فلا رد له، وقيل: المعنى: إذا أراد الله بقوم سوءاً أعمى قلوبهم حتى يختاروا ما فيه البلاء **«وما لهم من دونه من وال»** يلي أمرهم ويلتجئون إليه، فيدفع عنهم ما ينزل بهم من العقاب.

١٢ **«خوفاً وطمعاً»** أي لتخافوا خوفاً، ولتطمعوا طمعاً، والخوف للمسافر لما يتأذى به من المطر، والطمع للحاضر إذا رأى البرق طمع في المطر **«وينشئ السحاب الثقال»** بما فيها من الماء.

١٣ **«ويسبح الرعد بحمده»** ولا مانع من أن ينطقه الله [فأصواته شاهدة بعظمة الله وقدرته] وقيل: تسبيحه شهادته بقدرة الله، من دون أن ينطق **«والملائكة من خيفته»** أي: ويسبح الملائكة من خيفة الله سبحانه **«ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء»** من خلقه فيهلكه.

مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٣﴾
لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ
لَهُمْ شَيْءٌ إِلَّا كِبَاسٌ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ
بِیَبْلُغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٤﴾
وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا
وَظُلْمًا لَهُمُ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿١٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتُخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ
لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي
الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ
أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا تَحْلِقُهُ فَنَشَبَهُ خَلَقَ عَلَيْهِمْ
قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾ أُنْزِلَ مِنَ
السَّمَاءِ مَاءٌ فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا

والموت، والفقر والغنى **﴿طوعا وكرها﴾**
فإن الكفار ينقادون كرها كما ينقاد
المؤمنون طوعا فيعبودونه كما يأمرهم
﴿وظللهم بالغدو والآصال﴾ المراد به:
ظل الإنسان الذي يتبعه، جعل ساجدا
[ملقى على الأرض بأمر الله] وخص
الغدو والآصال بالذكر، لأنه يزداد ظهور
الظلال فيها.

**١٦ ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ﴾** أمر الله سبحانه رسوله أن
يسأل الكفار، فقال: **﴿قُلِ اللَّهُ﴾** فكأنه
حكى جوابهم وما يعتقدونه **﴿قُلْ أَفَاتُخَذُمْ
مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾** فإيا بالكم اتخذتم
لأنفسكم من دونه أولياء عاجزين؟ **﴿لَا
يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ نَفْعًا﴾** ينفعونها به **﴿وَلَا
ضَرًّا﴾** يضررون به غيرهم، أو يدفعونه عن
أنفسهم، فكيف ترجون منهم النفع
والضرر؟ وهم لا يملكونها لأنفسهم **﴿قُلْ
هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى﴾** في دينه وهو
الكافر **﴿وَالْبَصِيرُ﴾** فيه وهو الموحد، فإن
الأول جاهل لما يجب عليه وما يلزمه،
والثاني عالم بذلك **﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِي
الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾** الكفر، والإيمان
﴿فَنَشَبَهُ خَلَقَ عَلَيْهِمْ﴾ بل إنما جعلوا له
شركاء الأصنام ونحوها، وهي لم تخلق
شيئا، فكيف اشتبه عليهم الأمر؟

١٧ ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ﴾ أي: سال ماؤها
﴿بِقَدَرِهَا﴾ فإن صغر الوادي قل الماء،
وإن اتسع كثر. شبه نزول القرآن الجامع
للهدى والبيان بنزول المطر، إذ نفع نزول
القرآن يعم كعموم نفع نزول المطر، وشبه
الأودية بالقلوب، فمن القلوب من يتسع
لخير وعلم كثير، ومنها بخلاف ذلك
﴿فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا﴾ الزبد: هو
الأبيض المرتفع المنتفخ على وجه السيل،
ويقال له: الغشاء والرغوة، والرابي:
العالي المرتفع فوق الماء.

بعيد فإن الماء لا يستجيب له، لأنه جاد
لا يشعر بحاجته إليه، ولا يدري أنه طلب
منه أن يبلغ فاه **﴿وَمَا هُوَ﴾** أي الماء
﴿بِالْفَهْمِ﴾ أي ببالغ إلى فم الداعي. وقيل
شبه من يدعون الأصنام والأموات، بمن
مد يده إلى البئر بغير حبل ولا دلو **﴿وَمَا
دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾** أي
يفضل عنهم ذلك الدعاء، فلا ينفعهم
بوجه من الوجوه.

**١٥ ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ﴾** المراد بالسجود: الانقياد لأمره
وحكمه فيهم بالصحة والمرض، والحياة

﴿وهو شديد المحال﴾ المحال: المكر،
والمكر من الله: هو التدبير بالحق.
وإيصال المكروه إلى من يستحقه.

١٤ ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ دعاؤه سبحانه
عند الخوف، فإنه لا يدعى فيه سواه، فهو
القادر على الاستجابة، فمن دعاه فقد
دعاه بحق **﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا
يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ شَيْءٌ﴾** أي: والآلهة
الذين يدعوه الكفار من دون الله
عز وجل لا يستجيبون لهم بشيء مما
يطلبونه منهم كائنا ما كان، إلا استجابة
كاستجابة الماء لمن بسط كفيه إليه من



رَأْيَا وَمَا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ
مِثْلَهُ ۚ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ
فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۚ
كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ۖ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا
لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ
مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ۚ أُولَٰئِكَ
لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ۖ
* أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ
أَعْمَىٰ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ۖ ۝ ١٩ ۚ الَّذِينَ يُوفُونَ
بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ۖ ۝ ٢٠ ۚ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ
مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ ۚ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ
الْحِسَابِ ۖ ۝ ٢١ ۚ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا

﴿وَمَا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ﴾ فيذوب من
الأجسام المعدنية كالذهب والحديد
﴿ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ﴾ أي: لطلب اتخاذ حلية
تتزينون بها وتتجملون كالذهب والفضة
﴿أَوْ مَتَاعٍ﴾ من الأواني والآلات المتخذة
من الحديد والصفير والنحاس والرصاص
﴿زَبَدٌ مِثْلَهُ﴾ فإنه يعلو فوق ما أذيب من
تلك الأجسام وهو الخَبَثُ والتراب
﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾
أي يضرب الله مثل الحق ومثل الباطل
﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾ يقذفه
السيول على وجه الأرض فيجف ويذهب
ولا يستكن في الأرض، وزبد المعادن
يلقيه الصانع فلا يصنع منه حلية ولا
متاعا. وكذلك الباطل يزول ﴿وَأَمَّا مَا
يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ منها، وهو الماء الصافي،
والذائب الخالص من المعدن ﴿فَيَمْكُثُ
فِي الْأَرْضِ﴾ أي يثبت فيها، أما الماء
فإنه يسلك في عروق الأرض فتنتفع
الناس به، وأما ما أذيب من تلك
الأجسام فإنه يصاغ حلية وأمتعة، وهو
مثل الحق. فمثل المؤمن واعتقاده ونفع
الإيمان كمثل هذا الماء المنتفع به في
نبات الأرض وحياة كل شيء، وكمثل
نفع الفضة والذهب وسائر الجواهر لأنها
كلها تبقى منتفعا بها؛ ومثل الكافر
وكفره، كمثل الزبد الذي يذهب
جفاء، وكمثل خبث الحديد وما تخرجه
النار من وسخ الفضة والذهب الذي لا
ينتفع به ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾
أي: مثل ذلك الضرب العجيب يضرب
الله الأمثال في كل باب.
١٨ ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾
إذ دعاهم إلى توحيدِهِ وتصديق أنبيائه
والعمل بشرائعه ﴿الْحُسْنَى﴾ أي: المثوبة
الحسنى وهي الجنة ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا
لَهُ﴾ أي لدعوته ﴿لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي
الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ من أصناف الأموال

وهو القرآن، مثل من هو أعمى لا يعلم
ذلك ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ أهل
العقول الراجعة.
٢٠ ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ أي بما
عقدوه من العهود فيما بينهم وبين ربهم،
أو فيما بينهم وبين العباد [إذا عاهدوهم
بالله] ﴿وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ الذي وثقوه
على أنفسهم، وأكدوه بالآيمان ونحوها.
ويدخل تحت الميثاق كل ما أوجبه العبد
على نفسه كالنذور ونحوها وما يلزم به
العبد نفسه.
٢١ ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ

﴿وَمِثْلَهُ مَعَهُ﴾ أي: مثل ما في الأرض
جميعا منضمها إليه ﴿لَافْتَدَوْا بِهِ﴾ بما هم
فيه من العذاب الكبير والهول العظيم يوم
القيامة، ولن يقبل ذلك منهم، بل
﴿أُولَٰئِكَ﴾ يعني الذين لم يستجيبوا ﴿لَهُمْ
سُوءُ الْحِسَابِ﴾ هو أن يحاسب الرجل
بذنبيه كله لا يفر منه شيء ﴿وَمَا وَاهُمْ
جَهَنَّمُ﴾ أي: هي مسكنهم ﴿وَبِئْسَ
الْمِهَادُ﴾ أي المستقر الذي يستقرون فيه.
١٩ ﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾ أي: ليس من
يعلم أن ما أنزله الله سبحانه إلى رسوله
من الحق الذي لا شك فيه ولا شبهة،



الْصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ
بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّتٌ عَدْنٌ
يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ
وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ
بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ
عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ
يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ
سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ
وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ
إِلَّا مَتَاعٌ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ
مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنْ اللَّهُ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ
مَنْ أُنَابَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ

﴿رَزَقْنَاهُمْ﴾ فادوا زكاة أموالهم، وبذلوا
المال حيث وجب أو نُذِب **﴿سِرًّا﴾** خفية
﴿وَعَلَانِيَةً﴾ جهارا ليقتدى بهم
﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ أي يدفعون
سيئة من أساء إليهم بالإحسان إليه، أو
يدفعون بالعمل الصالح العمل السيئ،
أو الذنب بالتوبة **﴿أُولَئِكَ﴾** الموصوفون
بالصفات المتقدمة **﴿لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾**
[يرثون الأرض ولهم الجنة].
﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾ جنات إقامة دائمة
لأهلها لا يرحلون عنها **﴿وَمَنْ صَلَحَ مِنْ
آبَائِهِمْ﴾** يشمل الآباء والأمهات

﴿يُوصَلَ﴾ كصلة الأرحام **﴿وَيُفْسِدُونَ﴾**
﴿رَبِّهِمْ﴾ خشية تحملهم على فعل ما وجب،
واجتناب ما لا يحل **﴿وَيَقْدِرُ﴾** وهو الاستقصاء والمناقشة، فن
نوقش الحساب عذب، فيحاسبون أنفسهم
قبل أن يحاسبوا.

﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾
[المراد: الصبر على طاعة الله، والصبر عن
محارم الله، والصبر على أقدار الله المؤلمة]
﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ أي فعلوها في أوقاتها
على ما شرعه الله في أذكراها وأركانها مع
الخشوع والإخلاص **﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا**

﴿وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ [ليحصل لهم تمام
الأنس ببقاء أحبائهم] ذكر الصلاح دليل
على أنه لا يدخل الجنة من قرابات أولئك
إلا من كان صالحاً، ولا ينفع مجرد كونه
من الآباء أو الأزواج أو الذرية بدون
صلاح **﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ
كُلِّ بَابٍ﴾** أي: من جميع أبواب المنازل
التي يسكنونها.

﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي: قائلين سلام
عليكم، أي: سلمتم من الآفات **﴿بِمَا
صَبَرْتُمْ﴾** أي: بسبب صبركم على تقوى
الله **﴿فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾** مدح لما أعطاهم
من عقبي الدار المتقدم ذكرها.

﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بالكفر
وارتكاب المعاصي والإضرار بالأنفس
والأموال **﴿لَهُمْ﴾** بسبب ذلك **﴿اللَّعْنَةُ﴾**
أي: الطرد والإبعاد من رحمة الله سبحانه
﴿وَهُمْ سَاءُ الدَّارِ﴾ أي: سوء عاقبة دار
الدنيا، وهي عذاب النار.

**﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ
وَيَقْدِرُ﴾** فقد يبسط الرزق لمن كان
كافراً، ويقتره على من كان مؤمناً ابتلاء
وامتحاناً، ولا يدل البسط على الكرامة،
ولا القبض على الإهانة **﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ
الدُّنْيَا﴾** وجهلوا ما عند الله **﴿وَمَا الْحَيَاةُ
الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾** [أي هي
في جنب الآخرة] شيء قليل ذاهب.

﴿قُلْ إِنْ اللَّهُ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾ كما
ضل هؤلاء القائلون لولا أنزل عليه آية
من ربه **﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ﴾** أي:
ويهدي إلى الحق من رجع إلى الله بالتوبة
والإقلاع عما كان عليه.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: إنهم هم الذين
هداهم الله وأنابوا إليه **﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ
بِذِكْرِ اللَّهِ﴾** أي: تسكن وتستأنس بذكر
الله سبحانه بالسنتهم: كتلاوة القرآن
والتسبيح والتحميد والتكبير والتوحيد، أو
بسماع ذلك من غيرهم.

﴿ألا بذكر الله﴾ وحده دون غيره
﴿تطمئن القلوب﴾ والنظر في مخلوقات الله
سبحانه، وبدائع صنعه، وإن كان يفيد
طمأنينة في الجملة، وكذلك النظر في
المعجزات، فليس إفادتها للطمأنينة كإفادة
ذكر الله.

٢٩ ﴿طوبى لهم﴾ طوبى هي الحال
المستطابة من الفرح وقرة العين. وقيل:
طوبى شجرة في الجنة ﴿وحسن مأب﴾
وحسن مرجع، وهو الدار الآخرة.

٣٠ ﴿كذلك أرسلناك في أمة قد
خلت من قبلها أمة﴾ في جماعة من
الناس قد مضت من قبلها جماعات
أرسلنا إليهم رسلاً ﴿لنتلوا عليهم الذي
أوحينا إليك﴾ أي: لتقرأ عليهم القرآن
﴿وهو﴾ الحال أنه ﴿هم يكفرون بالرحمن﴾
[بهذا الاسم من أسمائه تعالى فينكرون
أن يكون الله تعالى اسم الرحمن] ﴿قل هو
ربي﴾ كأنهم قالوا وما الرحمن؟ فقال
سبحانه ﴿قل﴾ يا محمد ﴿هو ربي﴾ أي
خالقي ﴿لا إله إلا هو﴾ أي لا يستحق
العبادة سواه ﴿عليه توكلت﴾ في جميع
أموري ﴿والإيه﴾ لا إلى غيره ﴿متاب﴾
أي توبتي.

٣١ ﴿ولو أن قرآنا سيرت به الجبال﴾
قيل: هذا متصل بجواب قولهم (لولا أنزل
عليه آية من ربه) أي: إن القرآن نفسه
هو الآية لو يعقلون، والمعنى لو أن هناك
كلاماً إذا قيل سيرت به الجبال، أي:
بإنزاله وقراءته، فسارت عن محل استقرارها
﴿أو قطعت به الأرض﴾ [قطع به قارته
مسافات الأرض] ﴿أو كلم به الموق﴾
أي: صاروا أحياء بقراءته عليهم، فكانوا
يفهمونه عند تكليمهم به كما يفهمه
الأحياء، أي: لكان هذا القرآن. عن
ابن عباس قال: قالوا للنبي ﷺ إن كان
كما تقول، فأرنا أشياخنا الأول من الموق

ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَجَبَ ﴿٢٩﴾ كَذَلِكَ
أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِنَتْلُوَ عَلَيْهِمُ
الَّذِيَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ أَنَّ
قُرْءَانًا سُرِّتَ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ
الْمَوْتُ بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْيِسِ الَّذِينَ ءَامَنُوا
أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ
كَفَرُوا تُصَيِّبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةً أَوْ تُخْلِ قَرْيَةً مِنْ دَارِهِمْ
حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ ﴿٣١﴾
وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتُ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا
ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ

نكلمهم، وافصح لنا جبال مكة التي قد
ضمتنا، فنزلت هذه الآية ﴿بل الله الأمر
جميعاً﴾ أي: لو أن قرآناً فعل به ذلك
لكان هذا القرآن، ولكن لم يفعل بل
فعل ما عليه الشأن الآن، فلو شاء أن
يؤمنوا لآمنوا، وإذا لم يشأ أن يؤمنوا لم
ينفع تسير الجبال، وسائر ما اقترحوه من
الآيات، بل يبقون على كفرهم ﴿أفلم
يبأس الذين آمنوا﴾ أي: أفلم يعلموا
ويتحققوا ويتبينوا ﴿أن لو يشاء الله
لهدى الناس جميعاً﴾ من غير أن يشاهدوا
الآيات ﴿ولا يزال الذين كفروا تصيبهم
بما صنعوا قارعة﴾ هذا وعيد لكفار
مكة، تصيبهم بسبب ما صنعوا من الكفر
والتكذيب للرسول قارعة، أي داهية
تفجهم بما تصنع بهم جيوش الإسلام من
قتل أو أسر، وقد قيل: إن القارعة النكبة
﴿أو تخل﴾ القارعة ﴿قريباً من دارهم﴾
فيفزعون منها ﴿حتى يأتي وعد الله﴾ وهو
موتهم، أو قيام الساعة عليهم.

٣٢ ﴿فأمليت للذين كفروا﴾ الإملاء:
الإمهال ﴿فكيف كان عقاب﴾ أي:
فكيف كان عقابي لهؤلاء الكفار الذين
استهزؤا بالرسول.

عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ
أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَبْظَاهِرُ مِنَ الْقَوْلِ
بَلْ زَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصَدُّوا عَنِ السَّبِيلِ
وَمَنْ يَضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٥﴾ هُمْ عَذَابٌ فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ
مِنْ وَاقٍ ﴿٣٦﴾ * مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكْلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ
اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ
الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ
يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ
إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَعَابٍ ﴿٣٨﴾ وَكَذَلِكَ أُنْزِلَتْهُ حُكْمًا
عَرَبِيًّا وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ

يصابون به من القتل والأسر وغير ذلك
﴿ولعذاب الآخرة أشق﴾ عليهم من
عذاب الحياة الدنيا ﴿وما لهم من الله
من واق﴾ يقيم عذابه، ولا عاصم
بعضهم منه.

٣٥ ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون﴾
أي: صفتها العجيبة الشأن أنها ﴿تجري
من تحتها الأنهار أكلها دائم﴾ أي: إن
ثمارها دائمة لا تنقطع كما تنقطع ثمار
أشجار الدنيا ﴿وظلها﴾ أي: كذلك دائم
لا يتقلص ولا تنسخه الشمس ﴿وعقبي
الكافرين النار﴾ ليس لهم عاقبة ولا
منتهى إلا ذلك.

٣٦ ﴿والذين آتيناهم الكتاب يفرحون
بما أنزل إليك﴾ الكتاب: هو التوراة
والإنجيل، والذين يفرحون هم أهل
الكتابين لكونهم يجدونه موافقا لما في
كتبهم مصدقا لهم ﴿ومن الأحزاب من
ينكر بعضه﴾ هم المشركون واليهود
والنصارى، فإنهم أنكروا ما يشتمل عليه
من كونه ناسخا لشرائعهم، فيتوجه فرح
من فرح به منهم إلى ما هو موافق لما في
الكتابين، وإنكار من أنكر منهم إلى ما
خالفها ﴿قل إنما أمرت أن أعبد الله
ولا أشرك به﴾ أي: إنما أمرت فيما أنزل
إلي بعبادة الله وتوحيده، وهذا أمر اتفقت
عليه الشرائع، وتطابقت على عدم إنكاره
جميع الملل المقتدية بالرسول ﴿إليه أَدْعُوا﴾
أي: إلى الله لا إلى غيره ﴿وإليه مآب﴾
أي إليه وحده، لا إلى غيره، مرجعي.

٣٧ ﴿وكذلك أنزلناه حكما عربيا﴾
أنزلنا القرآن مشتملا على أصول الشرائع
وفروعها مبينة بلسان العرب، كما أنزلنا
الكتب على الرسل بلغاتهم ﴿ولئن اتبعت
أهواءهم﴾ التي يطلبون منك موافقتهم
عليها ﴿بعد ما جاءك من العلم﴾ الذي
علمك الله إياه.

تعبدهم مع كونه العالم بما في السماوات
والأرض ﴿أم بظاهر من القول﴾ من غير
أن تكون له حقيقة، وإنما خص الأرض
لأنهم ادعوا له شريكا في الأرض لا في
السما ﴿بل زين للذين كفروا مكرهم﴾
[مكرهم هو الكفر الذي يمكر به كبارهم
وشياطينهم ليضلوا به الأتباع] ﴿وصدوا
عن السبيل﴾ أي صدهم الله، أو صدهم
الشیطان ﴿ومن يضلل الله فما له من
هاد﴾ أي يجعله ضالا وتقتضي مشيئته
إضلاله، فما له من هاد يهديه إلى الخير.
٣٨ ﴿لهم عذاب في الحياة الدنيا﴾ بما

٣٣ ﴿أفمن هو قائم على كل نفس﴾
يعني: ليس الله تعالى الذي هو المتولي
لأمور خلقه، المدبر لأحوالهم بالآجال
والأرزاق، كالأصنام والأموات الذين
اتخذهم المشركون آلهة من دون الله، فإنها
لا تقوم على شيء ولا تدبر شيئا ﴿وجعلوا
لله شركاء﴾ أي: وقد جعلوا ﴿قل
سموهم﴾ أي: قل يا محمد جعلتم له
شركاء فسموهم من هم؟ فهم أحقر من
أن يسموا بالآلهة كما تزعمون ﴿أم
تنبئونه﴾ أي: بل أننبئون الله ﴿بما لا
يعلم في الأرض﴾ من الشركاء الذين



﴿مَالِكٌ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيِّ وَلَا وَاكِ﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رَسُولًا
وَيَنْصُرُكَ ﴿وَلَا وَاكِ﴾ يَقِيكَ مِنْ عَذَابِهِ .

٣٨ ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ أي :
إن الرسل هم من جنس البشر، لهم
أزواج من النساء، ولهم ذرية توالدوا
منهم ومن أزواجهم، ولم نرسل الرسل من
الملائكة الذين لا يتزوجون ولا يكون لهم
ذرية، فليست يا محمد بدعا من الرسل في
ذلك، فإياكم تنكرون عليه ما كان
عليه الأنبياء قبله ؟ ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ
أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ﴾ معجزة، ومن جعلها ما
اقترحه عليه الكفار ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾
سبحانه ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ أي : لكل
أمر مما قضاه الله [كتابة كتبها فيها ذكر
ذلك الأجل، وهو والله أعلم : اللوح
المحفوظ . فيحل الأجل في مواعده
المكتوب] .

٣٩ ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾ مما في
الكتاب المذكور، فيمحو ما يشاء محوه،
من شقاوة، أو سعادة، أو رزق، أو
عمر، أو خير، أو شر، ويبدل هذا بهذا،
ويجعل هذا مكان هذا . وقيل يمحو ما
يشاء من الشرائع فينسخه، ويثبت ما
يشاء فلا ينسخه ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾
أي أصله الذي لا تبدل فيه ولا تغيير،
وقيل المحو والإثبات هو من الصحف التي
بأيدي الملائكة، أما اللوح المحفوظ فليس
فيه محو ولا تبدل، فيه النسخ والمنسوخ،
وما يبدل، وما يثبت .

٤٠ ﴿وَأَمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ
أَوْ نَتُوفِينَكَ﴾ أي : إن أريناك بعض ما
نعدهم من العذاب قبل موتك، أو
توفيناك قبل أن تراه ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ
الْبَلَاغُ﴾ أي : فليس عليك إلا تبليغ
أحكام الرسالة ﴿وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ أي
محاسبتهم بأعمالهم، ومجازاتهم عليها،
وليس عليك أن تتكفل بأن ينتهي الأمر
في حياتك بإيمانهم أو تعذيبهم .

مَالِكٌ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيِّ وَلَا وَاكِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رَسُولًا
مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ
أَنْ يَأْتِيَ بِعَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾
يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾
وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ أَوْ نَتُوفِينَكَ فَإِنَّمَا
عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي
الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ
لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ
وَسِعَ عِلْمُ الْكَافِرِينَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٤٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ
كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كُنِيَ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ
وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾

٤١ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ يعني أهل مكة ﴿أَنَا
نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ أي
نأتي أرض الكفر ننقصها من أطرافها
بالفتوح على المسلمين منها شيئا فشيئا
[حتي يتم الأمر بفتح مكة نفسها] ﴿وَاللَّهُ
يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾ أي يحكم ما
يشاء في خلقه، فيرفع هذا، ويضع هذا،
ويحيي هذا، ويميت هذا، وقد حكم بعزة
الإسلام وعلوه على الأديان ﴿لَا مُعَقِّبَ
لِحُكْمِهِ﴾ لا يتعقب أحد حكم الله سبحانه
بنقض ولا تغيير ﴿وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾
فيجازي المحسن والمسيء على وجه السرعة
لا يرهقه حسابهم، ولا تشغله محاسبة أحد
منهم عن محاسبة غيره من الناس بل
يحاسبهم جميعا في وقت واحد .

٤٢ ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ
الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ مكر الكفار الذين من قبل
كفار مكة بمن أرسله الله إليهم من
الرسل، فكادوهم وكفروا بهم، ومكرهم
هذا كالعدم ﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ أي لا
اعتداد بمكر غيره فلا قيمة له ولا تأثير له
في مواجهة مكر الله تعالى بالماكرين
﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ ومن علم
ما تكسب كل نفس وأعد لها جزاءها

تعليمهم ودعائهم إلى الإيمان [أو المعنى لا يخرج منهم أحد إلى النور إلا من أذن بخروجه الله] **إلى صراط العزيز الحميد** وهو طريقة الله الواضحة التي شرعها لعباده.

٢ **«وويل للكافرين»** الويل: كلمة تقال للعذاب والمهلكة، فحقت بذلك كلمته سبحانه وتعالى على من لم يخرج من الكفار بهداية رسول الله ﷺ أن عليه الويل **«من عذاب شديد»** قيل المعنى: أنهم يولولون ويضجون من العذاب الشديد الذي صاروا فيه، وقيل: الويل العذاب نفسه.

٣ **«الذين يستحبون الحياة الدنيا»** أي يؤثرونها لمحبتهم لها **«على الآخرة»** الدائمة والنعم الأبدية لأنهم لا يؤمنون بالآخرة **«ويصدون عن سبيل الله»** بصرف الناس عنها ومنعهم منها **«ويبغونها عوجاً»** أي يطلبون لها زيفاً وميلاً لموافقة أهوائهم وقضاء حاجاتهم وأغراضهم **«وأولئك في ضلال بعيد»** عن الحق والصواب.

٤ **«وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه»** أي متكلماً بلغتهم، ليفهم عنه المرسل إليهم ما يقوله لهم ويسهل عليهم، ولو كان بلسان غيرهم فإنهم لا يدرون ما يقول، ولا يفهمون ما يخاطبهم به **«ليبين لهم»** ما أمرهم الله به من الشريعة التي شرعها لهم، وهم يبينونه لمن كان على غير لسانهم ويوضحونه، حتى يصير فاهماً له كفهمهم إياه **«فيضل الله»** أي: ثم إن الرسول متى بين لقومه شرع الله بلسانهم فإنه لا يقدر أن يهدي أحداً، والمضل والهادي هو الله عز وجل [ويحتمل أن يكون المعنى: قد أضل الله عز وجل من شاء من الكفار الذين قالوا إن محمداً يتكلم بلساننا وهو واحد مثا فن أين جاءته النبوة].

(١٤) سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّانَهَا ثِنْتَانِ وَخَمْسُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّكِتَبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾
اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِيَ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤﴾

الكتاب من أسلم منهم كعبد الله بن سلام، فهم يشهدون لي بالرسالة، وقيل: المراد: من عنده علم اللوح المحفوظ، وهو الله سبحانه.

سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ

١ **«كتاب أنزلناه إليك»** كتاب: أي هذا القرآن كتاب أنزلناه إليك يا محمد **«لتخرج الناس من الظلمات إلى النور»** من ظلمات الكفر، والجهل، والضلالة، إلى نور الإيمان، والعلم، والهداية **«بإذن ربهم»** بما أذن لك من

كان المكر كله له، ولا أثر لمكر غيره في مقابلة مكره **«لن عقبي الدار»** لن العاقبة المحمودة من الفريقين في دار الدنيا، أو في الدار الآخرة.

٤٣ **«ويقول الذين كفروا لست مرسلًا»** أي: لست يا محمد مرسلًا إلى الناس من الله **«قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم»** فهو يعلم صحة رسالتي، وصدق دعوتي، ويشهد لي بذلك بما أجراه على يدي من المعجزات، وتلك شهادة كافية، وهو يعلم كذبكم في تكذبي وردكم شهادته **«ومن عنده علم»**

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيْسِمِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥٦﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٥٧﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٥٨﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٥٩﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا

٥ «ولقد أرسلنا موسى بآياتنا» هي المعجزات التسع التي لموسى «أن أخرج قومك» أي: وقلنا له في مضمون الرسالة أخرج بني إسرائيل الذين هم في ملك فرعون واستعباده «من الظلمات» من الكفر أو من الجهل الذي قالوا بسببه: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ومن العبودية «إلى النور» إلى الإيمان أو إلى العلم أو الحرية «وذكرهم بأيام الله» أي بوقائعه وبنعم الله عليهم، وبنقم أيام الله التي انتقم فيها من قوم نوح وعاد وثمود «إن في ذلك» أي: في التذكير بأيام الله «آيات» لدلالات عظيمة دالة على التوحيد وكمال القدرة «لكل صابر» أي: كثير الصبر على المحن والمنح «شكور» كثير الشكر للنعم التي أنعم الله بها عليه.

٦ «إذ أنجاكم من آل فرعون» وذلك لما خرج بهم موسى من أرض مصر، وقلق الله لهم البحر وأغرق فرعون وجنوده «يسومونكم سوء العذاب» وهو استعبادهم واستعمالهم في الأعمال الشاقة «ويذبحون أبناءكم» من الذكور «ويستحيون نساءكم» أي: يتركهن في الحياة لإهانتهم وإذلالهم «وفي ذلكم» المذكور من أفعالهم «بلاء من ربكم عظيم» أي ابتلاء لكم.

٧ «وإذ تأذن ربكم» أي أعلن لكم إعلاناً عاماً لتسمعوا قوله وتعقلوه فقال «لئن شكرتم» أي: لئن شكرتم إنعامي عليكم بما ذكر لأزيدنكم نعمة إلى نعمة تفضلاً مني، وقيل: لأزيدنكم من طاعتي «ولئن كفرتم» ذلك وجحدتموه «إن عذابي لشديد» فلا بد أن يصيبكم منه ما يصيب.

٨ «وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً» أي: إن تكفروا نعمته تعالى أنتم وجميع الخلق ولم

على سبيل الاستطراد «والذين من بعدهم» أي من بعد هؤلاء المذكورين «لا يعلمهم إلا الله» أي: لا يحصي عددهم ويحيط بهم علماً إلا الله سبحانه «فردوا أيديهم في أفواههم» أي: جعلوا أيدي أنفسهم في أفواههم ليعضوها غيظاً بما جاءت به الرسل، لأن الرسل جاءت بتسفيه أعلامهم وشم أصنامهم. وقيل: جعلوا أيديهم في أفواه الرسل رداً لقولهم «وانا لني شك ما تدعوننا إليه» أي: في شك من الإيمان بالله وحده وترك ما سواه «مرتب» أي: موجب للرب في

تشكروها «فإن الله لغني» عن شكركم لا يحتاج إليه، ولا يلحقه بذلك نقص «حميد» أي: مستوجب للحمد لذاته لكثرة إنعامه، والنفع من حمدكم لله وشكركم له عائد عليكم حتى يكون راضياً عنكم ويزيدكم من فضله.

٩ «ألم يأتكم نبا الذين من قبلكم» يحتمل أن يكون هذا خطاباً من موسى لقومه، فيكون داخلاً تحت التذكير بأيام الله، ويحتمل أن يكون من كلام الله سبحانه ابتداء خطاب من الله سبحانه لقوم محمد ﷺ تحذيراً لهم عن مخالفته،



أَرْسَلْتُمْ بِهِ، وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ﴿٩﴾
 * قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ
 مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا
 عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ
 لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى
 مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ
 إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا
 لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ
 عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾
 وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا
 أَوْ لَتَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ

تدعون. وقد جاءوهم بالسلطان المبين،
 ولكن هذا نوع من تعنتاتهم.

١١ **«قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر
 مثلكم»** في الصورة والهيئة والخلق حقيقة
 كما قلتم **«ولكن الله يمين على من يشاء
 من عباده»** يتفضل على من يشاء منهم
 بالنبوة. وقد شاء أن يتفضل علينا بذلك
«وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان»
 أي: ما صح ولا استقام لنا أن نأتيكم
 بحجة من الحجج **«إلا بإذن الله»** أي:
 إلا بمشيئته وليس ذلك في قدرتنا، قيل:
 المراد بالسلطان هنا هو ما يطلبه الكفار
 من الآيات على سبيل التعنت **«وعلى الله
 فليتوكل المؤمنون»** أي: عليه وحده،
 وكان الرسل قصدوا بهذا الأمر للمؤمنين
 الأمر لهم أنفسهم قصدا أوليا.

١٢ **«وما لنا ألا نتوكل على الله»** أي:
 وأي عذر لنا في ألا نتوكل عليه سبحانه
«وقد هدانا سبلنا» أي: والحال أنه قد
 فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه من
 هدايتنا إلى الطريق الموصل إلى رحمته
«ولنصبرن على ما آذيتمونا» أي إننا
 نُقسِمُ على أننا سوف نصبر على ما يقع
 منكم من التكذيب لنا والاقتراحات
 الباطلة **«وعلى الله»** وحده دون من عداه
«فليتوكل المتوكلون».

١٣ **«وقال الذين كفروا»** هم طائفة
 من المتمردين **«لنخرجنكم من أرضنا أو
 لنعودن في ملتنا»** خيرؤهم بين الخروج
 من أرضهم، أو العود في ملتهم الكفرية،
 أي أصروا على أن ينفذوا فيهم واحدا من
 هذين الأمرين. وهذا منهم ظلم وعدوان،
 أن يخرجوا الأنبياء من دورهم وأرضهم
 وأهلهم لمجرد أنهم جاءوهم بدعوة الله
«فأوحى إليهم ربهم» أي: إلى الرسل
 في تلك الحال الخطيرة **«لنهلكن
 الظالمين»** هم هؤلاء الكفرة.

ومبدعها وموجدما بعد العدم **«يدعوكم»**
 إلى الإيمان به وتوحيده **«ليغفر لكم من
 ذنوبكم»** [أي ما شاء الله منها]
«ويؤخركم إلى أجل مسمى» وهو
 الموت فلا يعذبكم في الدنيا **«قالوا إن
 أنتم إلا بشر مثلنا»** في الهيئة والصورة،
 تأكلون وتشربون كما نأكل ونشرب،
 ولستم ملائكة **«تريدون أن تصدونا»**
 تصرفونا عن معبودات آبائنا من الأصنام
 ونحوها **«فأتونا»** إن كنتم صادقين بأنكم
 مرسلون من عند الله **«بسلطان مبين»**
 أي: بحجة ظاهرة تدل على صحة ما

حقيقة ما أتيتمونا به. أي: هو أمر غير
 يقيني فكيف تريدوننا أن نؤمن به؟ إنا
 نشك في صحة نبوتكم [ويحتمل أنهم
 ادعوا على الرسل أن لهم نيات غير
 ما يظهرونه من الحصول على الملك في
 أقوامهم، واكتساب الأموال والدنيا
 العريضة، وأنهم قالوا ذلك لتوهين عزم
 الرسل وتفتير همتهم في الدعوة].

١٠ **«قالت رسلهم أفى الله شك»** أي:
 أفى وحدانيته سبحانه شك، وهي في غاية
 الوضوح والجللاء **«فاطر السماوات
 والأرض»** أي: خالقها ومخترعها

الظالمين ﴿١٤﴾ وَلَنَسَكِّنَنَّكَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ
لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٥﴾ وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ
كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٦﴾ مَنْ وَرَأَاهُ جَهَنَّمَ وَيُسْقَى مِنْ مَّاءٍ
صَدِيدٍ ﴿١٧﴾ يَجْرَعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ
كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَأَاهُ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٨﴾
مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ
فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ
هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٩﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٢٠﴾
وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢١﴾ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ
الضُّعْفَتَانِ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ
مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَّيْنَا اللَّهَ

١٤ ﴿ولنسكننكم الأرض﴾ أي: أرض هؤلاء الكفار الذين توعدوكم بما توعدوا من الإخراج أو العود ﴿ذلك﴾ ما تقدم من إهلاك الظالمين وإسكان المؤمنين في مساكنهم ﴿لمن خاف مقامي﴾ أي موقفي، وذلك يوم الحساب، وقيل: لمن خاف قيامي عليه ومراقبتي له ﴿وخاف وعيد﴾ أي خاف وعيدي بالعذاب، وقيل: هو نفس العذاب.

١٥ ﴿واستفتحوا﴾ أي استنصر الرسل بالله على أعدائهم، وقيل المعنى: طلب الكفار من الله أن يقضي بينهم وبين الرسل، فيهلك الظالم وينصر المظلوم. فلما قضى الله بينهم نصر الرسل والمؤمنين ﴿وخاب كل جبار عنيد﴾ الجبار: المتكبر الذي لا يرى لأحد عليه حقا، والعنيد: المعاند للحق والمجانِب له، الذي أبى أن يقول لا إله إلا الله.

١٦ ﴿من ورأه جهنم﴾ أي: جهنم في طلبه، وسوف تدركه ﴿ويسقى من ماء صديد﴾ الصديد ما يسيل من جلود أهل النار من القيح والدم.

١٧ ﴿يتجرعه﴾ يتحساه مرة بعد مرة، لا مرة واحدة، لمرارته وحرارته ﴿ولا يكاد يسغفه﴾ أي: يبتلعه، بل يفص به فيطول عذابه بالعطش تارة، ويشربه على هذه الحال أخرى ﴿ويأتيه الموت من كل مكان﴾ أي تأتيه أسباب الموت من كل جهة من الجهات ﴿وما هو بميت﴾ أي تأتيه ولكن لا يموت بها فيستريح من الآلام والشدة.

١٨ ﴿أعمالهم كرماد﴾ أعمالهم باطلة غير مقبولة يحرقها كما تحرق الرياح الشديدة الرماد في يوم عاصف، فإنها تحمله بسرعة، وتشره في كل مكان حتى لا يقدر عليه، ويبقى مكانه خاليا لا شيء فيه ﴿لا يقدرُونَ مما كسبوا على شيء﴾ من تلك الأعمال الباطلة، ولا

يرون له أثرا في الآخرة يجازون به ويشابون عليه ﴿ذلك هو الضلال البعيد﴾ عن طريق الحق.

١٩ ﴿خلق السماوات والأرض بالحق﴾ بالوجه الصحيح الذي يحق أن يخلقها عليه ليستدل بها على كمال قدرته ﴿إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد﴾ يهلك العصاة ويأتي بمن يطيعه من خلقه، من نوع الإنسان أو من نوع آخر.

٢٠ ﴿وما ذلك على الله بعزيز﴾ أي بمتنع، لأنه سبحانه قادر على كل شيء.

٢١ ﴿وبرزوا لله جميعا﴾ أي خرجوا من قبورهم يوم القيامة إلى البراز، وهو المكان الواسع الظاهر، وهو المحشر، واجتمعوا جميعا ﴿فقال الضعفاء﴾ أي: قال الأتباع الضعفاء للرؤساء الأقوياء المتكبرين لما هم فيه من الرياسة ﴿إنا كنا لكم تبعاء﴾ أي في الدنيا، فكذبنا الرسل، وكفروا بالله متابعين لكم ﴿فهل أنتم مغنون عنا﴾ أي: دافعون عنا ﴿من عذاب الله من شيء﴾ أي: بعض الشيء الذي هو عذاب الله ﴿قالوا لو هدانا الله هداانا الله﴾ إلى الإيمان ﴿لهديناكم﴾ إليه.

لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءً عَلَيْنَا أَجْرٌ عَنَّا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ
مَحْصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ
وَعَدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ
مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تُلْهُمُونِي
وَلَوْ مَوَّأْتُمْ أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي
كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأَدْخِلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ
تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ يُحْبَبُونَ
فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً
كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي
أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ
لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ

أنا بمغيثكم مما أنتم فيه من العذاب، وما أنتم بمغيثي مما أنا فيه، أي: أن الشيطان في تلك الحالة مبتلى بما ابتلوا به من العذاب، محتاج إلى من يغيثه ويخلصه مما هو فيه، فكيف يطمعون في إغاثة من هو محتاج إلى من يغيثه **﴿إني كفرت بما أشركتمون من قبل﴾** صرح لهم بأنه كافر بإشراكهم له مع الله في الربوبية، ولقد قام لهم الشيطان في هذا اليوم مقاماً يقسم ظهورهم، ويقطع قلوبهم.

٢٣ ﴿غيبتم فيها سلام﴾ أي: تحية الملائكة لهم في الجنة التسليم عليهم بإذن ربهم.

٢٤ ﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كليمه طيبة﴾ وهي كلمة الإسلام: أي لا إله إلا الله، أو كل كلمة تأمر بمعروف أو تنهى عن منكر، أي شبه الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة **﴿أصلها ثابت﴾** أي: راسخ **﴿وفرعها في السماء﴾** وكذلك كلمة التوحيد راسخة في قلب المؤمن في دنياه وآخرته.

٢٥ ﴿تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها﴾ بإرادته ومشيئته، قيل: وهي نخلة تثمر كل ساعة من الساعات من ليل أو نهار في جميع الأوقات من غير فرق بين شتاء وصيف، وكذلك كلمة التوحيد وكلمة الخير تثمر الخير، وتدفع حاملها إلى العمل الصالح في كل حين، ويدخل بسببها الجنة. وفي الحديث: أخبروني عن شجرة كالرجل المسلم، لا يتحات ورقها، وتؤتي أكلها كل حين ثم قال: «هي النخلة» **﴿ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون﴾** في ضرب الأمثال زيادة تذكير وتفهم وتصوير للمعاني.

٢٦ ﴿ومثل كلمة خبيثة﴾ هي كلمة الكفر، وكل كلمة تدعو إلى شر **﴿كشجرة خبيثة﴾** قيل: هي شجرة الحنظل.

﴿سواء علينا أجزعنا أم صبرنا﴾ أي يستوي علينا الجزع والصبر **﴿وما لنا من محيص﴾** أي من منجى ومهرب من العذاب.

٢٢ ﴿وقال الشيطان لما قضي الأمر﴾ لما دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار **﴿إن الله وعدهم وعد الحق﴾** بالبعث والحساب، ومجازاة المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته **﴿ووعدهم﴾** أي: وعدتكم وعداً باطلاً، بأنه لا بعث ولا حساب ولا جنة ولا نار **﴿فأخلفتم﴾** ما وعدتكم به من ذلك **﴿وما كان لي﴾**

عليكم من سلطان﴾ أي تسلط عليكم [فلا أتمكن من إدخالكم في الكفر رغماً عنكم] **﴿إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي﴾** أي: لكن دعوتكم إلى الكفر وحشنته ولم ألزمتكم به، فسارعتم إلى إجابتي **﴿فلا تلوموني﴾** بما وقعتم فيه بسبب وعدي لكم بالباطل وإخلافي لهذا **﴿ولوموا أنفسكم﴾** باستجابتكم لي بمجرد الدعوة، وترككم لوعده الله الحق، ودعوته لكم إلى دار السلام، مع قيام الحجة التي لا تحق على عاقل، ولا تلتبس إلا على مخذول **﴿وما أنا بمصْرِخِكُمْ وما أنتم بمصْرِخِي﴾** أي: ما

﴿اجتنت من فوق الأرض﴾ أي: استوصلت واقتلعت من أصلها فهي تموت وتذروها الريح ﴿مالها من قرار﴾ أي: من استقرار على الأرض، وكذلك كلمة الكفر والباطل والشر نهايتها إلى الفناء، بل الكافر وكلمة الكفر لا حجة له ولا ثبات فيه، ولا خير يأتي منه أصلاً، ولا يصعد له قول طيب ولا عمل طيب.

٢٧ ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت﴾ وهي الكلمة الطيبة المتقدم ذكرها: كلمة الشهادة «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله» وسائر الكلام الحق، فإن الآخذين بها يدومون على القول الثابت ﴿في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ وقت المسألة في القبر، ويوم القيامة. والمراد أنهم إذا سئلوا عن معتقدهم ودينهم أوضحوا ذلك بالقول الثابت من دون تلعم ولا تردد ولا جهل، كما يقول من لم يوفق: لا أدري، فيقال له: لا دريت ولا تليت ﴿ويضل الله الظالمين﴾ أي يضلهم عن حجتهم فلا يقدرّون على التكلم بها في قبورهم، ولا عند الحساب.

٢٨ ﴿بدّلوا نعمة الله كُفْراً﴾ تعجب من حال الكفار حيث جعلوا بدل الشكر لنعمة الله عليهم الكفر بها، وذلك بتكذيبهم محمداً ﷺ حين بعثه الله منهم، وأنعم عليهم به ﴿وأحلوا قومهم دار البوار﴾ وهي جهنم، والبوار: الهلاك، وقيل: هم قادة قريش أحلوا قومهم يوم بدر دار البوار، وهو القتل الذي أصيبوا به. ٢٩ ﴿وبش القرار﴾ بش المقرّ جهنم. ٣٠ ﴿وجعلوا لله أنداداً﴾ شركاء في الربوبية ﴿ليضلوا عن سبيله﴾ ليوقعوا قومهم في الضلال عن سبيل الله [وهذا عمل السادة المتبوعين من سدنة الأصنام وسدنة المذاهب الفسالة] ﴿قل تمتعوا﴾ بما أنتم فيه من الشهوات، وإضلال الناس

أَجْتُنْتُ مِنَ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا هَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾ * أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ ۚ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالٍ ﴿٣١﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۚ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبِينَ ﴿٣٣﴾

﴿فإن مصيركم إلى النار﴾ أي: مردكم ومرجعكم إليها ليس إلا، كأنه قيل: فإن دتم على ذلك فإن مصيركم إلى النار. ٣١ ﴿وبنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية﴾ أي: مسرين ومغلنين، وقيل: السر التطوع والعلانية الفرض ﴿من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال﴾ المعنى: أن يوم القيامة لا بيع فيه حتى يفتدي المقصر في العمل نفسه من عذاب الله بدفع عوض عن ذلك، وليس هناك مُحَالَّةٌ حتى يشفع الخليل لخليله وينقذه من العذاب. ٣٢ ﴿وسخر لكم الشمس والقمر﴾ لتتغنوا بها وتستضيئوا بضوئها ﴿دائبين﴾ أي: دائبين في إصلاح ما يصلحانه من النبات وغيره، وقيل دائبين في السير امتثالاً لأمر الله لا يفتران عن السير.



وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ
وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ
كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا
وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنِّي أَضَلَلْتُ
كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ۖ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي
فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ
غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ
فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ
الْثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ
مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ ۚ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ
وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٣٨﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى
الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٩﴾

البلد آمنا مكة: دعا إبراهيم ربه أن يجعله آمنا **«واجنبنني وبني أن نعبد الأصنام»** قيل: أراد بنيه من صلبه، وقيل أراد جميع ذريته ما تناسلوا. والصنم: هو التمثال الذي كانت تصنعه أهل الجاهلية من الأحجار ونحوها فيعبدونه [دعا الله أن يجتبه عبادة الأصنام، فغيره أولى بالخوف من ذلك، فإن لكل عصر أصنامة التي تلتبس على أهل الذكاء في ذلك العصر].

٣٦ «رب إني أضللن كثيرا من الناس» مع كونها جمادات لا تعقل، لأنها سبب لضلالتهم، فكانها أضلتهم **«فمن تبعني»** في ديني فصار مسلماً موحداً **«فإنه مني»** أي من أهل ديني **«ومن عصاني»** فلم يتابعني ويدخل في ملتي **«فإنك غفور رحيم»** قادر على أن تغفر له، قيل: المراد عصيانه هنا فيما دون الشرك.

٣٧ «ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع» إسماعيل وولده **«بواد غير ذي زرع»** أي لا زرع فيه، وهو وادي مكة **«عند بيتك المحرم»** قيل إنه محرم على الجابرة، ومحرم من أن تنتهك حرمة، أو يستخف به **«ربنا ليقيموا الصلاة»** أي أسكنتم ليقيموا الصلاة فيه **«فاجعل أفئدة من الناس»** أي قلوب بعض الناس **«تهوي إليهم»** [محبة في الله وفي بيته وبجواره ليحجوا ويتعبدوا فيه] **«وارزقهم من الثمرات»** التي تنبت فيه، أو تجلب إليه **«لعلهم يشكرون»** نعمك التي أنعمت بها عليهم.

٣٨ «ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن» أي ما نكتمه وما نظهره.

٣٩ «الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق» أي وهب لي على كبر سني وسن امرأتي، قيل: ولد له إسماعيل وهوابن تسع وتسعين سنة، وولد له إسحاق وهوابن مائة واثنى عشرة سنة.

«وسخر لكم الليل والنهار» يتعاقبان، فالنهار لسعيكم في أمور معاشكم، والليل لتسكنوا فيه.

٣٤ «وآتاكم من كل ما سألتموه» أي ومن كل ما لم تسألوه **«وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها»** لا تطبقوا إحصاءها بوجه من الوجوه، ولو رام فرد من أفراد العباد أن يحصي ما أنعم الله به عليه في خلق عضو من أعضائه، أو حاسة من حواسه، لم يقدر على ذلك قط، فكيف بما عدا ذلك من النعم في جميع ما خلقه الله في بدنه، والنعم الواصلة إليه في كل

وقت على تنوعها واختلاف أجناسها. اللهم إنا نشكرك على كل نعمة أنعمت بها علينا مما لا يعلمه إلا أنت **«إن الإنسان لظَلُومٌ»** لنفسه بإغفاله لشكر نعم الله عليه **«كفار»** أي: شديد كفران نعم الله عليه، جاحد لها، غير شاكر لله سبحانه عليها كما ينبغي عليه.

٣٥ «وإذ قال إبراهيم» أي: اذكر وقت قوله. رأى بعض المفسرين أن ذكر قصة إبراهيم ها هنا كمثال للكلمة الطيبة التي تثمر الخير كل وقت، لقصد الدعاء إلى التوحيد **«رب اجعل هذا**

رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ
دُعَاءَنَا ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ
الْحِسَابُ ﴿٤١﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ
إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾
مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ
هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ
الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرِنا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ تُجِيبُ دَعْوَتَكَ
وَتَتَّبِعُ أَرْسُلًا أَوْ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ
مِنْ زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكَانٍ الَّذِينَ ظَلَمُوا
أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ
الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ
وَإِنْ كَانِ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ

٤٠ «ومن ذريتي» أي اجعلني واجعل بعض ذريتي مقيمين للصلاة، غليظ أن منهم من لا يقيمها كما ينبغي.

٤١ «ربنا اغفر لي ولوالدي» طلب من الله أن يغفر لوالديه، قيل: إنه دعا لها بالمغفرة قبل أن يعلم أنها عدوان لله سبحانه «وللمؤمنين» خص المؤمنين من عباد الله بدعاء المغفرة، إذ لا يجوز الدعاء للكفار بها «يوم يقوم الحساب» أي يوم يثبت حساب المكلفين في المحشر [كما يقال: قد قامت السوق].

٤٢ «ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون» أي لا يقع في ظنك إذ ترى الظالمين في صحة وأمن ونعمة أن الله تعالى غفل عن استحقاقهم للعذاب «إنما يؤخرهم» أي يؤخر جزاءهم بظلمهم، فلا يؤاخذهم في الحال، بل يؤخرهم «ليوم تشخص فيه الأبصار» أي: ترفع فيه أبصار أهل الموقف ولا تخفى، من هول ما تراه في ذلك اليوم، بقيت مفتوحة لا تتحرك من شدة الحيرة والدهشة.

٤٣ «مهطعين» أي مسرعين «مقنعي رؤوسهم» أي رافعي رؤوسهم إلى السماء ينظرون إليها نظر فرح وذلة، ولا ينظر بعضهم إلى بعض «لا يرتد إليهم طرفهم» أي لا ترجع إليهم أبصارهم «وأفئدتهم هواء» خالية عن العقل والفهم لما شاهدوا من الفرع والحيرة والدهشة.

٤٤ «وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب» يوم القيامة: أي خوفهم هذا اليوم وحذرهم منه «فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب» أي فيقول الكفار: ربنا أمهلنا إلى أميد من الزمان معلوم غير بعيد «نحب دعوتك» لعبادك على ألسن أنبيائك «ونتبع الرسل» فنعمل بما بلغوه إلينا من شرائعك،

ونتدارك ما فرط منا من الإهمال «أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال» أي: فيقال لهم توبيخاً وتقريعاً: أولم تكونوا حلفت أنكم باقون مخلدون في الدنيا وأن ليس هناك قيامة؟

٤٥ «وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم» أي استقررت فيها، وهي بلاد ثمود ونحوهم من الكفار الذين ظلموا أنفسهم بالكفر بالله والعصيان له «وتبين لكم كيف فعلنا بهم» تبين لكم بمشاهدة الآثار كيف فعلنا بهم من العقوبة والعذاب الشديد بما فعلوه من

الذنوب «وضربنا لكم الأمثال» في كتب الله وعلى ألسن رسله إيضاحاً لكم وتقريعاً، وتكميلاً للحجة عليكم، أي: فلم تتعظوا بذلك كله، بل أصررت على التكذيب، كان الأمر لعب وليس جداً.

٤٦ «وقد مكروا مكْرَهُمْ» في رد الحق وإثبات الباطل العظيم الذي استفرغوا فيه وسعهم «وعند الله مكْرَهُمْ» [أي يمكرون بأحباب الله والله يراهم وهم يمكرون، وهو محيط بمكرهم] «وإن كان مكْرَهُمْ لتزول منه الجبال» أي: وإن كان مكْرَهُمْ يبلغ في الكيد إلى إزالة الجبال،

من قطران تطلّى به جلودهم، وخصّ القطران لسرعة اشتعال النار فيه مع نتن رائحته **﴿وتغشى وجوههم النار﴾** أي تملأ وجوههم وتضر بها، وخص الوجوه لأنها أشرف ما في البدن، وفيها الحواس المدركة.

٥١ **﴿ليجزى الله كل نفس ما كسبت﴾** من خير أو شر **﴿إن الله سريع الحساب﴾** لا يشغله عنه شيء [ومضيه مع الخلائق جميعا لا يشغله حساب أحد منهم عن حساب غيره].

٥٢ **﴿هذا بلاغ﴾** أي تبليغ وكفاية في الموعظة والتذكير **﴿للناس﴾** لجميع الناس **﴿ولينذروا به﴾** أي لينصحوها ولينذروا وليخوفوا به **﴿وليعلموا أنما هو إله واحد﴾** ليعلموا بالأدلة التكوينية المذكورة سابقا، وبهذه الآيات القرآنية المتلوة في هذه السورة، وحدانية الله سبحانه، وأنه لا شريك له **﴿وليذكر أولو الألباب﴾** أي: وليتعتز أصحاب العقول التي تعقل وتذكر.

سورة الخجر

١ **﴿تلك﴾** الإشارة بقوله تلك إلى ما تضمنته هذه السورة من الآيات، والكتاب هو القرآن، جمع له بين الاسمين.

٢ **﴿ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾** والمراد: أنه عندما ينكشف لهم الأمر، ويتضح بطلان ما كانوا عليه من الكفر، وأن الدين عند الله سبحانه هو الإسلام لا دين غيره، يحصل منهم التقي أن يكونوا قد أسلموا، ولكن أمنيته تكون مجرد التحسر والتندم ولوم النفس على ما فرطت في جنب الله، وقيل: يتمنون ذلك عندما يدخل المسلمون الجنة.

مُخْلِيفٌ وَعَدِهِ رُسُلُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٤٧﴾
يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ط ۖ وَبَرَزُوا
لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَنِينَ
فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطَرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ
النَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ
الْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ ۖ وَلِيَعْلَمُوا
أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾

(١٥) سِوْرَةُ الْخُجُرْمِكِيَّةِ وَأَيُّهَا تَسْمَعُ وَتَسْمَعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِي تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ ﴿١﴾ رَبَّمَا

المراد تغير صفاتها، وقيل: تغير ذاتها **﴿والسماوات﴾** أي: وتبدل السماوات غير السماوات على الاختلاف الذي مر **﴿وبرزوا لله الواحد القهار﴾** أي: ظهوروا من قبورهم، أو ظهر من أعمالهم ما كانوا يكتُمونه.

٤٩ **﴿وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الأصفاد﴾** ترى المشركين يوم القيامة مشدودين بعضهم مع بعض، أو قرنوا مع الشياطين، أو: جعلت أيديهم مقرونة إلى أرجلهم في الأغلال والقيود.

٥٠ **﴿سراويلهم من قطران﴾** أي قصانهم

فإن الله ينصر دينه [وقيل المعنى: وعند الله مكرهم، أي وما كان مكرهم عظيما بحيث تزول منه الجبال، فكيف يعظم على الله إبطاله، والجبال نفسها أهون شيء عليه؟]

٤٧ **﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِيفَ وَعَدِهِ رُسُلُهُ﴾** المراد ما وعدهم سبحانه بقوله (إنا لننصر رسلنا) و (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي) **﴿إن الله عزيز﴾** غالب لا يغال به أحد **﴿ذو انتقام﴾** ينتقم من أعدائه لأوليائه.

٤٨ **﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض﴾**



يَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَو كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا
وَيَسْتَمْتَعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَا
أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَا تَسْبِقُ
مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَعْجِرُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُوا يَأْتِيهَا الَّذِي
نَزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ
إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ الْمَلَكَةَ إِلَّا
بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ
وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ
الْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١١﴾ كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾
لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا
عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾

٣ ﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَسْتَمْتَعُوا﴾ هذا تهديد لهم: أي دعهم فهم لا يرعون أبدا ولا يخرجون من باطل إلى حق، واتركهم على ما هم فيه من الاشتغال بالأكل والتمتع بزهرة الدنيا، فإنهم كالأنعام التي لا تهتم إلا بذلك، واتركهم على ما هم عليه من إلهاء الأمل لهم عن اتباعك، فسوف يعلمون عاقبة أمرهم وسوء صنيعهم.

٤ ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ أي: أجل مقدر [مكتوب عند الله تعالى] لا تتقدم عليه ولا تتأخر عنه غير مجهول ولا منسي.

٥ ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا﴾ لا يأتي هلاكها قبل مجيء أجلها ﴿وَمَا يَسْتَعْجِرُونَ﴾ أي: وما يتأخرون عنه، فإن هذا الإمهال لا ينبغي أن يغتر به العقلاء.

٦ ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾ أي قال كفار مكة - لرسول الله ﷺ متهمين به - يا أيها الذي نزل عليه الذكر في زعمه، وعلى وفق ما يدعيه ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ أي: إنك - بسبب هذه الدعوى التي تدعيها من كونك رسولا لله مأمورا بتبليغ أحكامه - مجنون، فإنه لا يدعي مثل هذه الدعوى العظيمة عندهم من كان عاقلا.

٧ ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ﴾ ليشهدوا على صدقك ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ وقيل المعنى: لوما تأتينا بالملائكة فيعاقبونا على تكذيبنا لك.

٨ ﴿وَمَا نُنَزِّلُ الْمَلَكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ فيما تقتضيه الحكمة الإلهية والمشية الربانية، وليس هذا الذي اقترحتموه مما يحق عنده تنزيل الملأكة ﴿وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ﴾ أي: ولو نزلنا الملأكة لعوجلوا بالعقوبة.

٩ ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ الذي أنكروه ونسبوك بسببه إلى الجنون ﴿وَأِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ عن كل مالا يليق به من

تصحييف وتحريف وزيادة ونقص ونحو ذلك. ١٣ ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ أي: لا يؤمنون بالذكر الذي أنزلناه ﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ

الْأَوَّلِينَ﴾ أي: مضت طريقتهم التي سنها الله في إهلاكهم، حيث فعلوا ما فعلوا من التكذيب والاستهزاء.

١٠ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾ رسلا ﴿فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ﴾ في أممهم وأتباعهم وسائر فرقهم وطوائفهم. ١١ ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أي: ما يأتي رسول من الرسل شيعة إلا كانوا به يستهزئون، كما يفعله هؤلاء الكفار مع محمد ﷺ.

١٢ ﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ نسلك الضلال في قلوب المجرمين. ١٤ ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أي على هؤلاء المعاندين لمحمد ﷺ المكذبين له المستهزئين به ﴿بَابًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ ومكناهم من الصعود إليه ﴿فَظَلُّوا فِيهِ﴾ أي في ذلك الباب ﴿يَعْرُجُونَ﴾ يصعدون بألة أو بغير آلة حتى يشاهدوا ما في السماء من عجائب الملكوت.

لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ﴿١٥﴾
 وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٦﴾
 وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَآنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ
 السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ رَشَاهُ مُبِينٌ ﴿١٨﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا
 وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴿١٩﴾
 وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَاشٍ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴿٢٠﴾
 وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ
 مَعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا الرِّيْحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ
 مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ
 نُحْيِيهِ وَنُمِيتُهُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ
 مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ
 يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ

١٩ ﴿والأرض مددناها﴾ أي بسطناها وفرشناها ﴿والقينا فيها رواسي﴾ أي جبلاً ثابتة ﴿وانبتنا فيها من كل شيء موزون﴾ أي أنبتنا في الأرض من كل شيء مقدر معلوم، وقيل: موزون بميزان الحكمة، ومقدر بقدر الحاجة.

٢٠ ﴿وجعلنا لكم فيها معاش﴾ تعيشون بها من المطاعم والشارب، وقيل: هي التصرف في أسباب الرزق مدة الحياة ﴿ومن لستم له برازقين﴾ المعنى: وجعلنا لمن لستم له برازقين فيها معاش وهم سائر الناس غيركم، والدواب على اختلاف أجناسها.

٢١ ﴿وان من شيء إلا عندنا خزائنه﴾ المعنى: أن كل الممكنات مقدورة ومملوكة لله تعالى، يخرجها من العدم إلى الوجود بمقدار كيف شاء ﴿وما ننزله إلا بقدر معلوم﴾ أي ننزله من السماء إلى الأرض أو نوجده للعباد على مقدار حاجة العباد إليه.

٢٢ ﴿وأرسلنا الرياح لواقح﴾ تلتفح السحاب ببخار الماء فيمتلئ ماء، وتلتفح الشجر ليثمر ﴿فأسقيناكموه﴾ أي: جعلنا ذلك المطر لسقياكم ولشرب مواشيكم وأرضكم ﴿وما أنتم له بخازنين﴾ في الآبار والغدران والعيون.

٢٣ ﴿ونحن الوارثون﴾ أي للأرض ومن عليها، لأنه سبحانه الباقي بعد فناء خلقه الحي الذي لا يموت.

٢٤ ﴿ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين﴾ والمراد: من تقدم ولادة وموتاً، ومن تأخر فيها، وقال الحسن: المستقدمين في طاعة، والمستأخرين فيها.

٢٥ ﴿وان ربك هو يحشرهم﴾ يجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، لأنه الأمر المقصود من الحشر.

ومنازلها من أجل العلوم، يستدلون بها على الطرقات والأوقات، وهي: الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت ﴿وزيناها للناظرين﴾ وجمال السماء بنجومها لا يخفى على أحد، أو للمتفكرين المعتبرين المستدلين.

١٨ ﴿إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين﴾ حفظنا السماء من الشياطين أن تسمع شيئاً من الوحي وغيره إلا من استرق السمع فإنها تتبعه الشهب فتقتله أو تخبله.

١٥ ﴿لقالوا﴾ أي الكفار لفرط عنادهم وزيادة عتوهم ﴿إنما سكرت أبصارنا﴾ وهو سدها عن الإحساس، وقيل: هو من سكر الشراب ﴿بل نحن قوم مسحورون﴾ وفي هذا بيان لعنادهم: إذا رأوا آية توجب عليهم الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله نسبوا إلى أبصارهم أن إدراكها غير حقيقي لعارض السكر، أو أن عقولهم قد سحرت فصار إدراكهم غير صحيح.

١٦ ﴿ولقد جعلنا في السماء بروجا﴾ البروج: النجوم السيارة، وهي الاثنا عشر المشهورة. والمعرفة بمواقع النجوم

مِنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَلٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَالْجَانَّ خَلَقْتَهُ
مِنْ قَبْلُ مِنْ نَّارِ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ
إِنِّي خَلِّقُ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَلٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا
سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾
فَسَجَدَ الْمَلَكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى
أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَبْلِيسُ مَا لَكَ
أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ
خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَلٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا
فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٥﴾
قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ
الْمُنْظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ
رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ

٢٦ ﴿ولقد خلقنا الإنسان﴾ هو آدم والصلصال هو الطين اليابس، يتصلصل إذا حُرِّك، فإذا طبع في النار فهو الفخار، والحمأ: الطين الأسود المتغير، والمسنون: هو المتغير، فالتراب لما بُلَّ صار طينا، فلما أنتن صار حمأ مسنونا، فلما يبس صار صلصالا.

٢٧ ﴿والجان خلقناه من قبل من نار السموم﴾ هو إبليس، وسمى جانا لتواريه عن الأعين، والسموم الريح الحارة النافذة في السام، تكون بالنهار الحار.

٢٩ ﴿فإذا سويته﴾ عدلت صورته الإنسانية وكملة أجزائه ﴿ونفخت فيه من روحي﴾ قال القرطبي: الروح جسم لطيف، أجرى الله العادة بأن يخلق الحياة في البدن مع ذلك الجسم، أضافه الله تعالى إلى نفسه إضافة خلق إلى خالق، فالروح خلق عجيب من خلقه ﴿فقعوا له ساجدين﴾ سجود تحية وتكريم لا سجود عبادة، والله أن يكرم من يشاء من مخلوقاته كيف يشاء بما يشاء.

٣٠ ﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون﴾ عند أمر الله لهم بذلك من غير تراخ.

٣١ ﴿إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين﴾ قيل: كان من جنس الملائكة، ولكنه أبى ذلك استكبارا وحسدا لآدم فحقت عليه كلمة الله، وقيل: إنه لم يكن من الملائكة، ولكنه كان معهم، فغلب اسم الملائكة عليه وأمر بما أمروا به، فترك السجود على وجه الرفض.

٣٣ ﴿قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون﴾ زعما منه أنه مخلوق من عنصر أشرف من عنصر آدم.

٣٤ ﴿قال فاخرج منها﴾ أي من الجنة ﴿فإنك رجم﴾ أي: ملعون مطرود، لأن من يُطْرَد يَرجم بالحجارة.

٣٥ ﴿وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين﴾ أي عليك الطرد والإبعاد من رحمة الله سبحانه مستمرا عليك لازما لك إلى يوم الجزاء.

٣٦ ﴿قال رب فأنظرني﴾ أي أخرني وأمهلي ولا تمتني ﴿إلى يوم يبعثون﴾ أي يوم يبعث آدم وذريته، كأنه طلب ألا يموت أبدا، لأنه إذا أخر موته إلى البعث فهو يوم لا موت فيه، وقيل: لم يطلب ألا يموت، بل طلب أن يؤخر عذابه إلى يوم القيامة ولا يعذب في الدنيا.

٣٧ ﴿قال فإنك من المنظرين﴾ أجابه ٣٨ ﴿إلى يوم الوقت المعلوم﴾ وهو يوم القيامة [فيموت مع سائر الخلائق بالنفخة الأولى] ولم يؤخره إلى البعث.

٣٩ ﴿قال رب بما أغويتني لأزين لهم في الأرض﴾ أي أقسم بإغوائك إياي لأزين لهم ما داموا في الدنيا. والتزين منه: إما بتحسين المعاصي لهم وإيقاعهم فيها، أو بشغلهم بزينه الدنيا عن فعل ما أمرهم الله به فلا يلتفتون إلى غيرها ٤٠ ﴿ولاغوينهم أجمعين﴾ أي: لأضلهم عن



أَجْمَعِينَ ۝٤٠ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ۝٤١ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَى مُسْتَقِيمٍ ۝٤٢ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ۝٤٣ وَإِنْ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٤٤ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ۝٤٥ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝٤٦ أَدْخُلُوها بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ ۝٤٧ وَتَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ۝٤٨ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ۝٤٩ نَبِيِّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝٥٠ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ۝٥١ وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ۝٥٢ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ۝٥٣ قَالُوا لَا تَوَجَلْ إِنَّا نَبِّشُرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ۝٥٤ قَالَ أَبَشِّرْهُنِّي عَلَىٰ أَنْ مَسْنَىٰ

لن سل السيف على أمتي».

٤٦ قيل لهم **«ادخلوها»** قبل أن يكونوا فيها. وقيل المعنى: إنهم لما صاروا في الجنات، فإذا انتقلوا من بعضها إلى بعض يقال لهم ادخلوها **«بسلام آمنين»** بسلامة من الآفات، وأمن من المخافات، أو مسلما عليهم من الله عز وجل.

٤٧ **«ونزعنا ما في صدورهم من غل»** الغل: الحقد والعداوة **«إخوانا»** أي إخوة في الدين والتعاطف **«على سرر متقابلين»** ينظر بعضهم إلى وجوه بعض، والسرير هو المجلس الرفيع المهيأ للسرور. عن علي من طرق: أنه قال لابن طلحة: إني لأرجو أن أكون أنا وأبوك من الذين قال الله فيهم (ونزعنا ما في صدورهم من غلٍ إخواناً على سرر متقابلين).

٤٨ **«لا يمسهم فيها نصب»** أي تعب ٤٩ **«نبيء عبادي أنا الغفور الرحيم»** أي أخبرهم يا محمد أنا الغفور الرحيم، الكثير المغفرة لذنوبهم، الكثير الرحمة لهم. ٥١ **«ونبئهم عن ضيف إبراهيم»** ضيوفه من الملائكة أتوه في صورة البشر، أي: أخبرهم بما جرى على إبراهيم من الأمر الذي اجتمع فيه له الرجاء والخوف، ليعتبروا بذلك ويعلموا أنها سنة الله سبحانه في عباده.

٥٢ **«قال إنا منكم وجلون»** أي فزعون خائفون، قال هذا بعد أن قرب إليهم العجل فرآهم لا يأكلون منه، كما تقدم في سورة هود.

٥٣ **«قالوا لا توجل»** أي قالت الملائكة لا تخف **«إنا نبشرك بغلام عليم»** كثير العلم: هو إسحاق.

٥٤ **«قال أبشروني على أن مسني الكبر»** أي مع حالة الكبر والهرم **«فبم نبشرون»** عجب من حصول الولد له مع ما قد صار إليه من الهرم، فإن البشارة بما لا يكون عادة لا تصح.

فهؤلاء الذين يتبعونك حتى يعطوك أرسانهم تقودهم بها إلى الهاوية هم الذين لك سلطان عليهم].

٤٣ **«وإن جهنم لموعدهم أجمعين»** أي موعد المتبعين الغاوين.

٤٤ **«لها سبعة أبواب»** يدخل أهل النار منها، وإنما كانت سبعة لكثرة أهلها **«لكل باب منهم»** أي من الأتباع الغواة **«جزء مقسوم»** أي قدر معلوم متميز عن غيره. أخرج البخاري في تاريخه والترمذي عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ «لجهنم سبعة أبواب: باب منها

طريق الهدى، وأوقعهم في طريق الغواية. ٤٠ **«إلا عبادك منهم المخلصين»** الذين استخلصتهم من الناس لعبادتك.

٤١ **«قال هذا صراط على مستقيم»** أي: حق على أن أراعيه، وهو ألا يكون لك على عبادي سلطان، وقيل المعنى: كقولك لمن تهدده: طريقك علي ومصيرك إلي.

٤٢ **«إن عبادي ليس لك عليهم سلطان»** المراد بالعباد هنا، هم المخلصون **«إلا من اتبعك من الغاوين»** عن طريق الحق الواقعين في الضلال [أي

الْكِبَرُ فِيمَ تَبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا بَشَرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ
مِنَ الْقَانِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا
الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَاخْطُبْكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾
قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا آلَ لُوطٍ
إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَا إِنَّمَا لِمَنِ
الْغَيْرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ
إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ
يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ
بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ
مِنْكَ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ
ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾
وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ

٥٥ «قالوا بشركك بالحق» أي باليقين الذي لا خلف فيه «فلا تكن من القانطين» أي: من الآيسين من ذلك الذي بشركك به.

٥٦ «قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون» أي: إنما استبعدت الولد لكبر سني لا لقنوطي من رحمة ربي.

٥٧ «قال فاطخطبكم أيها المرسلون» أي: فاطمركم وشأنكم؟ وما الذي جئتم به غير ما قد بشرتموني به؟

٥٨ «قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين» هم قوم لوط.

٥٩ «إلا آل لوط» فليسوا مجرمين «إنا لمنجؤهم أجمعين» أي آل لوط، وهم أهله وأتباعه وأهل دينه.

٦٠ «إلا امرأته قدرنا إنما لمن الغابرين» قضينا: حكمنا أنها من الباقيين في العذاب مع الكفرة.

٦١ «قال إنكم قوم منكرون» أي قال لوط لا أعرفكم بل أنكركم.

٦٢ «قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون» أي بالعذاب الذي كانوا يشكون فيه.

٦٣ «وأتيناك بالحق» وهو العذاب النازل بهم لا محالة «وإنا لصادقون» في ذلك الخبر الذي أخبرناك.

٦٤ «فأسر بأهلك بقطع من الليل» تقدم تفسيره في سورة هود (الآية ٨١) «واتبع أدبارهم» أي كن من ورائهم تذودهم لئلا يتخلف منهم أحد فينال العذاب «ولا يلتفت منكم أحد» أي لا

تلتفت أنت ولا يلتفت أحد منهم، فيري ما نزل بهم من العذاب فيشتغل ويتباطأ عن سرعة السير «وامضوا حيث تؤمرون» أي إلى الجهة التي أمركم الله سبحانه بالمضي إليها، قيل: هي أرض الخليل.

٦٥ «فأسر بأهلك بقطع من الليل» تقدم تفسيره في سورة هود (الآية ٨١) «واتبع أدبارهم» أي كن من ورائهم تذودهم لئلا يتخلف منهم أحد فينال العذاب «ولا يلتفت منكم أحد» أي لا

تلتفت أنت ولا يلتفت أحد منهم، فيري ما نزل بهم من العذاب فيشتغل ويتباطأ عن سرعة السير «وامضوا حيث تؤمرون» أي إلى الجهة التي أمركم الله سبحانه بالمضي إليها، قيل: هي أرض الخليل.

٦٦ «وقضينا إليه» أي أوحينا إلى لوط

بتعرضكم لهم بالفاحشة، فيعلموا أنني عاجز عن حماية من نزل بي.

٦٩ «واتقوا الله» في أمرهم «ولا تخزون» من الخزي: وهو الذل والهوان [خشى أن يلحقه ذلك إن عجز عن حماية أضيافه].

٧٠ «قالوا أولم ننهك عن العالمين» أي: ألم نتقدم إليك وننهك عن أن تكلمنا في شأن أحد من الناس إذا قصدناه بالفاحشة، وقيل: نهوه عن ضيافة الناس.

٧١ «قال هؤلاء بناتي» فتزوجوهن «إن

ذلك الأمر» وهو إهلاك قومه، ثم فسره بقوله «أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين» أي: أن آخر من يبقى منهم يهلك وقت الصبح.

٦٧ «وجاء أهل المدينة يستبشرون» أي جاء أهل مدينة قوم لوط، وهي سدوم، مستبشرين بأضياف لوط طمعاً في ارتكاب الفاحشة منهم.

٦٨ «ف» «قال» لهم لوط «إن هؤلاء ضيفي» رآهم على هيئة الأضياف، وقومه رأوهم مرداء حسان الوجوه [ابتلاء من الله]

فلذلك طمعوا فيهم «فلا تفضحون»

ضَنِي فَلَا تَفْضَحُون ٧٨ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُون ٧٩
 قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ٨٠ قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ
 كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ٨١ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ٨٢
 فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ٨٣ فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمْ سَافِلَهَا
 وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ ٨٤ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
 لِلْمُتَوَسِّمِينَ ٨٥ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ ٨٦ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ
 لِلْمُؤْمِنِينَ ٨٧ وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ٨٨
 فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ ٨٩ وَلَقَدْ كَذَّبَ
 أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسِلِينَ ٩٠ وَءَاتَيْنَاهُمْ ءَايَاتِنَا
 فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ٩١ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ
 بُيُوتًا ءَامِنِينَ ٩٢ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ٩٣
 فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ٩٤ وَمَا خَلَقْنَا

من قرنك إلى قدمك.

٧٦ ﴿وَإِنَّا لَبَسِيلٌ مُقِيمٌ﴾ يعنى قرى قوم لوط أو مدينتهم على طريق ثابت، وهي الطريق من المدينة إلى الشام.

٧٧ ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور من المدينة أو القرى وما صنعه الله بها من العذاب لما عصوا نبيهم، وأصروا على ارتكاب فاحشة اللواط، وقطع الطريق وإتيان المنكرات مجاهرين ﴿لآيَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ يعتبرون بها.

٧٨ ﴿وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾

والأيكه الغيضة، وهي جماع الشجر، وقيل: الأيكه اسم القرية التي كانوا فيها، وأصحاب الأيكه: هم قوم شعيب.

٧٩ ﴿وَإِنَّا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ﴾ مدينة قوم لوط، ومكان أصحاب الأيكه، أي وإن المكائين لطريق واضح.

٨٠ ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسِلِينَ﴾

الحجر، اسم لدير ثمود قوم نبي الله صالح، وهي ما بين مكة وتبوك.

٨١ ﴿وَأَتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا﴾ المنزلة على نبيهم،

ومن جملتها الناقة ﴿فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ غير معتبرين، ولهذا عقروا الناقة وخالفوا ما أمرهم به نبيهم.

٨٢ ﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾

أي يخرقونها في الجبال ﴿آمِنِينَ﴾ من العذاب ركونا منهم على قوتها وثاقتها.

٨٣ ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ﴾ أي داخلين في وقت الصبح.

٨٤ ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾

أي لم يدفع عنهم شيئا من عذاب الله ما كانوا يكسبون من الأموال وما ينحتون من البيوت والحصون في الجبال بل أخذتهم الرجفة وصاح بهم جبريل فهلكوا، وقد تقدم تفسير قصتهم في سورة هود (الآيات ٧٧ - ٨٣) بأبسط مما هنا.

به الخمرة سكرة.

٧٣ ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ﴾ العظيمة، أو صيحة جبريل حال كونهم في وقت شروق الشمس.

٧٤ ﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمْ سَافِلَهَا﴾ أي: قلبنا مدينتهم بمن فيها من الناس حتى دفنوا تحتها ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ أي: من طين متحجر.

٧٥ ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور من قصتهم وبيان ما أصابهم ﴿لآيَاتٍ﴾ لعلامات يستدل بها ﴿لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ للمتفكرين الناظرين في الأمر، والواسم: الناظر إليك

كنتم فاعلين﴾ الفاحشة بضيئي، فهؤلاء بناتي تزوجهن حلالا ولا تركبوا الحرام، وقيل: أراد بناته نساء قومه.

٧٢ ﴿لَعَمْرُكَ﴾ اتفق أهل التفسير في هذا أنه قسم من الله جل جلاله بمدة حياة محمد ﷺ وهو سبحانه يقسم بما شاء من مخلوقاته، كالنجم، والضحى، والشمس، والليل، ونحو ذلك ﴿لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [السكرة هنا حالة طغيان الشهوة المحرمة] أي: لفي غوايتهم يضربون على غير تعقل ولا بصيرة، جعل الغواية لكونها تذهب بعقل صاحبها كما تذهب

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ
السَّاعَةَ لَأَتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ
هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَكَ سَبْعًا مِنْ
الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى
مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفَضْ
جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٨٩﴾
كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ
عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسَعَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ
الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ
يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ
نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ

٨٥ ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ وهو ما فيها من الفوائد والمصالح، وقيل: المراد بالحق مجازاة المحسن بإحسانه والسيء بإساءته ﴿وإن الساعة لأتية﴾ وعند إتيانها ينتقم الله ممن يستحق العذاب، ويحسن إلى من يستحق الإحسان ﴿فاصفح الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ تجاوز عنهم واعف عفوًا حسنًا، وعاملهم معاملة الصفوح الحليم، قيل: وهذا منسوخ بآية القتال.

٨٦ ﴿إن ربك هو الخلاق العليم﴾ أي الخالق للخلق جميعًا، العليم بأحوالهم وبالصالح والطالح منهم.

٨٧ ﴿ولقد آتيناك سبعًا من المثاني﴾

أكثر المفسرين على أنها الآيات السبع من سورة فاتحة الكتاب، سميت مثاني: لأنها تشني، أي: تكرر في كل صلاة، وقيل: هي سور السبع الطوال: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والسابعة الأنفال ﴿والقرآن العظيم﴾ جميع القرآن. ثم لما بين لرسوله

ﷺ ما أنعم به عليه من هذه النعمة الدينية، نفّره عن اللذات العاجلة الزائلة.

٨٨ فقال ﴿لا تمدن عينيك إلى ما متعنا

به أزواجًا منهم﴾ أي لا تطمح ببصرك إلى زخارف الدنيا طموح رغبة فيها وتمن لها. والأزواج: الأغنياء وأشباههم، وإدامة النظر إليه تدل على استحسانه وتمنيه

﴿ولا تحزن عليهم﴾ حيث لم يؤمنوا وصمموا على الكفر والعناد ﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾ كناية عن التواضع

ولين الجانب.

٨٩ ﴿وقل إنني أنا النذير المبين﴾ أي المنذر المظهر لقومه ما يصيبهم من عذاب الله.

٩٠ ﴿كما أنزلنا على المقتسمين﴾ أي:

أنذرتكم ما أنزلنا على المقتسمين من العذاب، قيل: هم ستة عشر رجلًا بعثهم الوليد بن المغيرة أيام الموسم، فاقتسموا

٩٣ ﴿عما كانوا يعملون﴾ في الدنيا من الأعمال التي يحاسبون عليها ويسألون عنها.

٩٤ ﴿فاصدع بما تؤمر﴾ أي أظهر دينك وافرقتهم وكلمتهم، بأن تدعوهم إلى التوحيد، فإنهم يتفرقون بعد إظهار الدعوة، فيؤمن بك منهم قوم، ويكفر بك آخرون

﴿وأعرض عن المشركين﴾ أي لا تبال بهم ولا تلتفت إليهم إذا لاموك على إظهار الدعوة. روي أن النبي ﷺ لم يزل مستخفياً بالدعوة حتى نزلت هذه الآية فخرج هو وأصحابه معلناً.

٩١ ﴿الذين جعلوا القرآن عضين﴾ أي أجزاء متفرقة، بعضه شعر، وبعضه سحر، وبعضه كهانة، ونحو ذلك. وقيل معنى عضين: إيمانهم ببعض الكتاب وكفرهم ببعض.

٩٢ ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين﴾ أي: لنسألن هؤلاء الكفرة أجمعين يوم القيامة.

سورة النحل

وتسمى هذه السورة: سورة النحل بسبب ما عذد الله فيها.

١ ﴿أَنِّي أَمْرُ اللَّهِ﴾ أي خروج محمد ﷺ وقيل: عقاب الله للمشركين، وقال جماعة من المفسرين: هو يوم القيامة، أي سيأتي لا محالة ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ فلا تطلبوا حضوره قبل ذلك الوقت ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي تنزهه وترفع عن إشراكهم، أو عن أن يكون له شريك.

٢ ﴿يُنْزِلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ﴾ أي إنما يُفْلِمُ الله أنبياءه بالوحي على ألسن الملائكة، يأتون به إلى من اختصه بذلك، وهم الأنبياء ﴿أَن أُنْذِرُوا﴾ أي أعلموا الناس ﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ أي مروهم بتوحيدي وأعلموهم ذلك مع تخويفهم ﴿فَاتَّقُونِ﴾ تحذير لهم من الشرك بالله.

٣ ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ أي أوجدهما على هذه الصفة للدلالة على قدرته ووجدانيته ﴿تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي ترفع وتقدس عن إشراكهم، أو عن شركة الذي يجعلونه شريكاً له.

٤ ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نَظْفَةٍ﴾ من جاد يخرج من حيوان، وهو المنى، فنقله أطواراً إلى أن كملت صورته، ونفخ فيه الروح، وأخرجه من بطن أمه إلى هذه الدار فعاش فيها ﴿فَإِذَا هُوَ﴾ بعد خلقه على هذه الصفة ﴿خَصِيمٌ﴾ أي: كالتخاصم لله سبحانه في قدرته ﴿مُبِينٌ﴾ ظاهر الخصومة واضحا.

٥ ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ﴾ وهي الإبل والبقر والغنم ﴿فِيهَا دَفءٌ﴾ وهو ما استدفع به من أصوافها وأوبارها وأشعارها ﴿وَمَنَافِعُ﴾ وهي درها، وركوبها، ونتاجها، والحراثة بها، ونحو ذلك ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ أي من لحومها وشحومها.

رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

(١٦) سُوْرَةُ النَّحْلِ فَكَيِّتْ
وَأَيُّهَا ثَمَانُ عَشْرُونَ وَمِائَتَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَنِّي أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٨﴾ يُنْزِلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أُنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٩٩﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نَظْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿١٠١﴾ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دَفءٌ

٩٥ ﴿إِنَّا كَفِينَاكَ الْمُسْتَزِينَ﴾ مع كونهم

كانوا من أكابر الكفار، وأهل الشوكة فيهم. وهؤلاء المستزئون كانوا خمسة من رؤساء أهل مكة: الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والأسود بن المطلب، والأسود بن عبد يغوث، والحارث بن الطلائع. وقد أهلكهم الله جميعاً وكفاه أمرهم في يوم واحد.

٩٦ ﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ لِلَّهِ إِيَّاهُ آخِرَ﴾ فلم يكن ذنبهم مجرد الاستهزاء، بل لهم ذنب آخر وهو الشرك بالله سبحانه ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ كيف عاقبتهم في الآخرة.

٩٧ ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ من رميك بالسحر والجنون والكهانة والكذب.

٩٨ ﴿وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ أي المصلين فإنك إذا فعلت ذلك، كشف الله همك، وأذهب غمك، وشرح صدرك.

٩٩ ﴿حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ أي الموت والمعنى: اعبد ربك أبداً ما دمت حياً.



وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ
وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا
بَلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾
وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا
تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَاړٌ وَلَوْ شَاءَ
لَهَدَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ
الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ
وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ
فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ

٦ ﴿ولكم فيها جمال﴾ تجمل وترين عند
الناظرين إليها ﴿حين ترعون﴾ حين
تسرحون وقت ردها من مراعيها،
وقت تسريحها إليها.

٧ ﴿وتحمل أثقالكم﴾ وهو متاع المسافر من
طعام وغيره، وقيل المراد: تحمل أبدانهم
﴿إلى بلد لم تكونوا بالفيه إلا بشق
الأنفس﴾ أي: لم تكونوا واصلين إليه لو
لم يكن معكم إبل تحمل أثقالكم إلا
بمشقة تنالكم وترهق أبدانكم.

٨ ﴿والخيل والبغال والحمير﴾ أي:
وخلق لكم هذه الثلاثة الأصناف
﴿لتركبوها﴾ والانتفاع بها في غير الركوب
معلوم كالتحميل عليها ﴿وزينة﴾ أي
[وزينة لكم تزينونها وتركبونها وتجدون في
ذلك الفرح في نفوسكم] ﴿ويخلق ما لا
تعلمون﴾ أي يخلق ما لا يحيط علمكم به
من المخلوقات غير ما قد عدده هاهنا: في
الأرض، وفي البحر، مما لم يره البشر، ولم
يسمعوا به [ولعل المراد أنه تعالى لا يزال
يخلق من وسائل الانتقال، وأسباب
الزينة، ما لم يعلمه البشر].

٩ ﴿وعلى الله قصد السبيل﴾ وعلى الله
بيان الطريق إلى المطلوب يشر وسهولة
﴿ومنها جائر﴾ أي: ومن الأنعام والخيل
والمراكب ما يجور أي يميل عن القصد،
فتطول بكم الطريق وتتأخرون عن
الوصول إلى الأمكنة التي تريدون،
والهداية من الله ﴿ولو شاء لهداكم
أجمعين﴾ إلى الطريق الصحيح، ولكنه لم
يشأ، بل يهدي بعضاً ويفضل بعضاً.

١٠ ﴿لكنم منه شراب﴾ يشر به الناس
والمواشي، ومن جلته ماء الآبار والعيون،
وقسم يحصل منه شجر ترعاه المواشي ﴿فيه
تسيمون﴾ أي في الشجر ترعون مواشيك.

١١ ﴿ومن كل الثمرات﴾ جميع أصناف
ثمار الفاكهة والثمار النافعة الأخرى ﴿إن

وعدم وجود شريك له.

١٣ ﴿وما ذرأ لكم في الأرض مختلفا
ألوانه﴾ أي: خلق وسخر لهم المخلوقات
الأرضية على اختلاف الألوان، آية
عظيمة دالة على وجود الصانع سبحانه
وتفردّه [وإنما جعلها الله تعالى مختلفة
الألوان لمنفعة البشر، فإن ذلك مبعث
لسرور أنفسهم ومنبع للمعارف. بخلاف
مالو كانت الأشياء كلها ذات لون
واحد] ﴿لآية﴾ واضحة ﴿لقوم يذكرون﴾
فإن من تذكر اعتبر، ومن اعتبر استدل
على المطلوب.

في ذلك﴾ أي الإنزال والإنبات ﴿لآية﴾
عظيمة دالة على كمال القدرة، والتفرد
بالربوبية ﴿لقوم يتفكرون﴾ في مخلوقات
الله، ولا يهلون النظر في مصنوعاته.

١٢ ﴿وسخر لكم الليل والنهار﴾
تسخيرهما للناس تصييرهما نافعين لهم
بحسب ما تقتضيه مصالحهم، يتعاقبان
دائماً كالعبد الطائع لسيده لا يخالف ما
يأمره به ولا يهمل السعي في نفعه ﴿إن
في ذلك﴾ التسخير ﴿لآيات لقوم
يعقلون﴾ أي يُفعلون عقولهم في هذه
الآثار الدالة على وجود الصانع وتفردّه،

يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لَنَا كُلَّوْا مِنْهُ لَحْمًا
طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ
مَوَازِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾
وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَّمَتِ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾
أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذْكُرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَعُدُّوا
نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ
يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ
دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ
أَحْيَاءٍ وَمَا يُسْعِرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ
وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ
مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ

المختلفة، فيعرفون الجهات ومنها القبلة،
ويهتدون في البر والبحر في سفرهم ليلاً.
وقيل: المراد بالنجم هنا الجدي.

١٧ ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ﴾ هذه المصنوعات
العظيمة، ويفعل هذه الأفاعيل العجيبة
﴿كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ شيئاً منها ولا يقدر على
إيجاد واحد منها، وهو هذه الأصنام.

١٨ ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾
فإن كل جزء من أجزاء الإنسان لو ظهر
فيه أدنى خلل وأيسر نقص لنقص النعم
على الإنسان، وتبقى أن ينفق الدنيا لو
كانت في ملكه حتى يزول عنه ذلك
الخلل ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لا
يؤاخذكم بالغفلة عن شكر نعمه. اللهم
إني أشكرك عدد ما شكرك الشاكرون
بكل لسان في كل زمان.

١٩ ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ﴾ أي:
تضمرونه من الأمور ﴿وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ أي:
تظهرونه منها.

٢٠ ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾
أي: الآلهة الذين يدعوه الكفار ﴿لَا
يَخْلُقُونَ شَيْئًا﴾ من المخلوقات أصلاً لا
كبيرة ولا صغيرة، ولا جليلاً ولا حقيراً
﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ يصنعهم الكفار من
الخشب أو الحجارة أو غير ذلك.

٢١ ﴿وَمَا يُشْعِرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ ما
تشعر هذه الجمادات من الأصنام متى
يبعث عبدتهم من الكفار، أو ما تشعر
هذه الأصنام متى تبعث هي.

٢٢ ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ صرح بما هو
الحق في نفس الأمر: وهو وحدانيته
سبحانه ﴿فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ
قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ﴾ للوحدانية، لا يؤثر فيها
وعظ، ولا ينجع فيها تذكير ﴿وَهُمْ
مُسْتَكْبِرُونَ﴾ عن قبول الحق.

٢٣ ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا
يُعْلِنُونَ﴾ أي: حتماً أن الله يعلم ما يسرون من
أقوالهم وأفعالهم وما يعلنون من ذلك.

للتجروا فيه فيحصل لكم الربح من
فضل الله سبحانه ﴿وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾
أي: إذا وجدتم فضله عليكم اعترفتم
بنعمته عليكم، فشكرتم باللسان
والأركان.

١٥ ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسِي﴾ أي:
جبالاً ثابتة ﴿أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ أي: لتلا
تضطرب بكم ﴿وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا﴾ أي: طرقاً
أظهرها وبينها لتهتدوا بها في أسفاركم.

١٦ ﴿وَعَلَامَاتٍ﴾ أي: وجعل فيها
علامات، وهي معالم الطرق ﴿وَبِالنَّجْمِ
هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ يهتدون بأنواع النجوم

١٤ ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ﴾
بتمكينكم من الركوب عليه، واستخراج
ما فيه من صيد وجواهر ﴿لَنَا كُلُّوْا مِنْهُ
لَحْمًا طَرِيًّا﴾ المراد به السمك، ووصفه
بالطراوة للإشعار بلطافته ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا
مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ أي: لؤلؤاً ومرجاناً
يجوز للرجال أن يلبسوها، كما يجوز [ذلك
للنساء، وقيل: المراد يلبسها النساء، وإنما
قال: تلبسونها، لأنهن يلبسها لأجلهم]
﴿وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَازِرَ فِيهِ﴾ أي ترى
السفن [تجري في البحر تشق عباب الماء
بصدورها] ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي:

﴿إنه لا يحب المستكبرين﴾ أي: لا يحب كل من استكبر، ومنهم هؤلاء الذين يستكبرون عن توحيد الله.

٢٤ ﴿وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم﴾ قيل: القائل المسلمون، فأجاب المشركون المنكرون المستكبرون: ﴿قالوا أساطير الأولين﴾ أي: ما تدعون أيها المسلمون نزوله هو الأباطيل والترهات التي يتحدث الناس بها عن القرون الأولى.

٢٥ ﴿ليحملوا أوزارهم كاملة﴾ [أي: فكانت عاقبة تكذيبهم بالقرآن وادعائهم أنه مجرد أساطير، أن ذنوبهم من قولهم هذا وغيره تبقى عليهم يأتون بها يوم القيامة] لم يكفر منها شيء لعدم إسلامهم الذي هو سبب لتكفير الذنوب ﴿ومن أوزار الذين يضلونهم﴾ أي: ويحملون بعض أوزار الذين أضلّوهم [بمن صدقهم بكذبهم على القرآن] لأن من سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها ﴿بغير علم﴾ أي يضلون الناس جاهلين بما يلزمهم من الآثام.

٢٦ ﴿قد مكر الذين من قبلهم﴾ [دبروا ما دبروا ليحملوا الناس على التكذيب بما جاءت به الرسل] ذهب أكثر المفسرين إلى أن المراد به نمرود بن كنعان، حيث بنى بناء عظيماً ببابل، ورام الصعود إلى السماء ليقاتل أهلها، فأهب الله الريح، فخر ذلك البناء عليه وعلى قومه فهلكوا. وفي هذا وعيد للكفار المعاصرين له ﷺ بأن مكرهم سيعود عليهم أيضاً ﴿فأتى الله بنيانهم من القواعد﴾ أتاها أمر الله من جهة قواعدها فزعزعها ﴿فخرّ عليهم السقف﴾ سقط عليهم ﴿من فوقهم﴾ فهلكوا، وما أفلتوا ﴿وأناهم العذاب﴾ أي: الهلاك ﴿من حيث لا يشعرون﴾ به، بل من حيث ظنوا أنهم في أمان.

٢٧ ﴿ثم يوم القيامة يخزيهم﴾ بإدخالهم

إنه لا يحب المستكبرين ﴿٢٣﴾ وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين ﴿٢٤﴾ ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم إلا ساء ما يزرّون ﴿٢٥﴾ قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخرّ عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ﴿٢٦﴾ ثم يوم القيامة يخزيهم ويقول أين شركاءى الذين كنتم تشقون فيهم قال الذين أوتوا العلم إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين ﴿٢٧﴾ الذين تتوفّاهم الملائكة ظالمى أنفسهم فآلقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بللى إن الله عليم بما كنتم تعملون ﴿٢٨﴾ فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين ﴿٢٩﴾

النار، ويفضحهم بذلك ويهيبهم ﴿وبقول﴾ لهم مع ذلك توبيخاً وتقريعاً ﴿أين شركائى﴾ كما تزعمون وتدعون ﴿الذين كنتم تشاقون فيهم﴾ أي: تخصمون الأنبياء والمؤمنين فيهم ﴿قال الذين أوتوا العلم﴾ قيل: هم العلماء، قالوه لأنفسهم، وكان هذا القول منهم على طريق الشتمة ﴿إن الخزي اليوم﴾ أي الفضيحة يوم القيامة ﴿والسوء﴾ أي العذاب ﴿على الكافرين﴾ مختص بهم.

٢٨ ﴿الذين تنوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم﴾ بالكفر بما أنزل الله ﴿فآلقوا السلم﴾ أي: ألقوا بالربوبية، وانقادوا عند الموت، وتركوا المشاقة عند رؤية ملائكة الموت ﴿ما كنا نعمل من سوء﴾ قالوا هذا كذباً. وقيل: إنهم لم يعملوا سوءاً في اعتقادهم. فأجاب أهل العلم ﴿بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون﴾ أي بلى كنتم تعملون السوء ولا ينفعكم هذا الكذب شيئاً.

٢٩ ﴿فادخلوا أبواب جهنم﴾ أي: يقال لهم ذلك عند الموت ﴿خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين﴾ جهنم، والمراد تكبرهم عن الإيمان والعبادة.



* وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا
لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ
وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ
الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ
يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ مِنْ رَبِّكَ
كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ
كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا
وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالَ الَّذِينَ
أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ
وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ

أحد الجنة بعمله، قيل: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته».

٣٣ ﴿هل ينظرون﴾ أي: هل ينتظرون في تصديق نبوتك ﴿إلا أن تأتيهم الملائكة﴾ شاهدين بذلك ﴿أو يأتي أمر ربك﴾ أي: بعذابه في الدنيا المستأصل لهم ﴿كذلك فعل الذين من قبلهم﴾ من الإصرار على الكفر والتكذيب والاستهزاء، فأتاهم أمر الله فهلكوا ﴿وما ظلمهم الله﴾ بتدميرهم بالعذاب فإنه أنزل بهم ما استحقوه بكفرهم.

٣٤ ﴿فأصابهم سيئات ما عملوا﴾ جزاء سيئات أعمالهم ﴿وحاق بهم﴾ أي: نزل بهم على وجه الإحاطة ﴿ما كانوا به يستهزئون﴾ أي: العذاب الذي كانوا به يستهزئون.

٣٥ ﴿وقال الذين أشركوا﴾ من أهل مكة ﴿لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء﴾ أي: لو شاء عدم عبادتنا لشيء غيره ما عبدنا ذلك ﴿نحن ولا آباؤنا﴾ الذين كانوا على ما نحن عليه الآن من الشرك بالله ﴿ولا حرما من دونه من شيء﴾ من السوائب والبحائر ونحوهما، ومقصودهم بهذا الطعن في الرسالة، أي: لو كان ما قاله الرسول حقاً من المنع من عبادة غير الله، والمنع من تحريم ما لم يحرمه الله، لم يقع منا ما يخالف ما أراده منا، فإنه قد شاء ذلك، وما شأه كان، وما لم يشأ لم يكن، فلما وقع منا العبادة لغيره وتحريم ما لم يحرمه كان ذلك دليلاً على أن ذلك هو المطابق لمرادهم والموافق لمشيئته [استدلوا بوجود الشرك منهم على رضى الله تعالى به، والله لا يرضى لعباده الكفر] ﴿كذلك فعل الذين من قبلهم﴾ من طوائف الكفر، فإنهم أشركوا بالله وحرّموا ما لم يحرمه، وجادلوا رسله بالباطل واستهزأوا بهم.

بمجرد اشتباههم له ﴿كذلك يجزي الله المتقين﴾ وهم كل من بقي الشرك، وما يوجب النار من المعاصي.

٣٢ ﴿الذين تتوفاهم الملائكة طيبين﴾ طاهرين من الشرك، أو صالحين، أو زاكية أفعالهم وأقوالهم، أو طيبين الأنفس ثقة بما يلقونه من ثواب الله ﴿يقولون سلام عليكم﴾ أي: تسلم عليهم الملائكة تبشيراً لهم بالجنة، لأن السلام أمان ﴿ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾ أي:

بسبب عملكم، وفي الحديث الصحيح: «سددوا وقاربوا واعلموا أنه لن يدخل

٣٠ ﴿وقيل للذين اتقوا﴾ وهم المؤمنون ﴿ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً﴾ أي: أنزل خيراً ﴿للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة﴾ أي: يقولون هذا هو القول الذي أنزله الله، وقيل: هذا من كلام الله سبحانه، والمعنى: للذين أحسنوا أعمالهم في الدنيا مثوبة حسنة في الدنيا ﴿ولدار الآخرة﴾ أي مثوبتها ﴿خير﴾ بما أوتوا في الدنيا ﴿ولنعلم دار المتقين﴾ دار الآخرة.

٣١ ﴿لهم فيها ما يشاءون﴾ أي: لهم ذلك في الجنات صفواً عفواً يحصل لهم

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرَّسْلِ إِلَّا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ ﴿٣٥﴾
 وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ آعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا
 الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ
 الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ
 عَقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ
 لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقْسَمُوا
 بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مِنْ يَمُوتُ بَلَى وَعَدًّا
 عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ
 لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا
 كَذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ
 كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا
 لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا

﴿فهل على الرسل إلا البلاغ﴾ أما حساب أقوامهم فعلى الله وليس على الرسل.

٣٦ ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا﴾ لإقامة الحجة عليهم ﴿أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ أي: اتركوا كل معبود دون الله كالشيطان والكاهن والصنم، وكل من دعا إلى الضلال ﴿فمنهم﴾ أي: من هذه الأمم التي بعث الله إليها رسوله ﴿من هدى الله﴾ أي: أرشده إلى دينه وتوحيده واجتناب الطاغوت ﴿ومنهم من حقت عليه الضلالة﴾ أي: وجبت وثبتت، لإصراره على الكفر والعناد [أي: فكان الواجب عليهم طاعة أمر الله والاستجابة إلى دعوته، لا أن يلتجئوا إلى الجدل بنحو حجته الأنف ذكرها، فالله تعالى] يأمر الكل بالإيمان، ولا يريد الهداية إلا للبعث، إذ لو أراد للكل لم يكفر أحد ﴿فسيروا في الأرض﴾ سير معتبرين ﴿فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ من الأمم السابقة عند مشاهدتكم لآثارهم، كعاد وثمود، صار آخر أمرهم إلى خراب الديار، بعد هلاك الأبدان.

٣٧ ﴿إن تحرص على هداهم﴾ تطلب بجهدك ذلك ﴿فإن الله لا يهدي من يضل﴾ أي: فإن الله لا يرشد من أضله

وسبق له عنده الحكم بالضلال. وقيل المعنى: من يضلله الله فلا أحد يهديه ﴿وما لهم من ناصرين﴾ ينصرونهم على الهداية لمن أضله الله، أو ينصرونهم بدفع العذاب عنهم.

٣٨ ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم﴾ أي جاہدين ﴿لا يبعث الله من يموت﴾ من عباده، وهم بذلك يحلفون إن الله كاذب، قاتلهم الله. فرد الله عليهم ذلك بقوله ﴿بلى﴾ أي: بلى يبعثهم ﴿وعدا عليه حقا﴾ لا خلف فيه ﴿ولكن أكثر الناس

لا يعلمون﴾ أن ذلك يسير عليه سبحانه.

٤١ ﴿والذين هاجروا﴾ الهجرة ترك

الأهل والأوطان ﴿في الله﴾ أي: في سبيل نصر دين الله ﴿من بعد ما ظلموا﴾ أي: عذبوا وأهينوا، فإن أهل مكة عذبوا جماعة من المسلمين حتى قالوا ما أرادوا منهم، فلما تركوهم هاجروا ﴿لنبوئهم في الدنيا حسنة﴾ فقليل المراد: نزولهم المدينة وما استولوا عليه من فتوح البلاد، وصار لهم فيها من الولايات، وما بقي لهم فيها من الشئاء، وصار لأولادهم من الشرف ﴿ولأجر الآخرة﴾ أي: جزاء أعمالهم في

٣٩ ﴿ليبين لهم﴾ أي: بلى يبعثهم ليبين لهم ﴿الذي يخْتَلَفُونَ فِيهِ﴾ الأمر الذي وقع الخلاف بينهم فيه ﴿وليعلم الذين كفروا﴾ بالله سبحانه وأنكروا البعث ﴿أنهم كانوا كاذبين﴾ في جداهم وإنكارهم البعث بقولهم (لا يبعث الله من يموت).

٤٠ ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾ لبيان كيفية الإبداء والإعادة بعد بيان سهولة البعث

يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾
وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَسَلُّوا
أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ
وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ
يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن
يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ
لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلُبِهِمْ فَاقُمْ
بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمُ
لَرَّءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ
يَتَفَبَّهُوا ظُلُمًا رَّعِيًّا عَنِ اليمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ
دَّخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾

مؤمني أهل الكتاب إن كنتم لا تعلمون،
فإنهم سيخبرونكم بأن جميع الأنبياء كانوا
بشرا.

﴿٤٤﴾ **بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ** أي: أرسلناهم
بالبينات والزبر. والبيّنات: الحجج
والبراهين، والزبر: الكتب **﴿وَأَنزَلْنَا
إِلَيْكَ الذِّكْرَ﴾** أي القرآن **﴿لِتُبَيِّنَ
لِلنَّاسِ﴾** جميعاً بأقوالك وأفعالك **﴿مَا نُزِّلَ
إِلَيْهِمْ﴾** في هذا الذكر من الأحكام
الشرعية والوعد والوعيد **﴿وَلَعَلَّهُمْ
يَتَفَكَّرُونَ﴾** أي ليتأملوا ويُعيدوا أفكارهم
فيتعظوا.

الآخرة **﴿أكبر﴾** أي: أكبر مما حصله
المهاجرون من حسنات الدنيا الآتفة
الذكر **﴿لو كانوا يعلمون﴾** أي: لو كان
هؤلاء الظلمة يعلمون ذلك.

﴿٤٢﴾ **الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ
يَتَوَكَّلُونَ** على ربهم خاصة يتوكلون في
جميع أمورهم.

﴿٤٣﴾ **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا
نُّوحِي إِلَيْهِمْ﴾** رد على قريش حيث زعموا
أن الله سبحانه أجل من أن يرسل رسولا
من البشر **﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ
لَا تَعْلَمُونَ﴾** أي: فاسألوا أيها المشركون

﴿٤٥﴾ **﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ﴾**

تآمروا ليضلوا الناس عن التصديق
بالنبوة، أي: مكروا المكرات السيئات
بسمهم في إيذاء رسول الله ﷺ وإيذاء
أصحابه على وجه الخفية، واحتياهم في
إبطال الإسلام، وكيد أهله **﴿أَن يَخْسِفَ
اللَّهُ بِهِمُ﴾** كما خسف بقارون **﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ
الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾** به في
حال غفلتهم عنه، كما فعل بقوم لوط
وغيرهم.

﴿٤٦﴾ **﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ﴾** في

أسفارهم ومتاجرهم، وفي حال إقبالهم
وإدبارهم، وذهابهم ومجيئهم بالليل والنهار
﴿فَاقُمْ بِهِمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ أي: بفائتين ولا
ممتنعين.

﴿٤٧﴾ **﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾** أي على

تنقص: إما بقتل أو بموت، يعني بنقص
من أطرافهم ونواحيهم، يأخذهم الأول
فالأول، حتى يأتي الأخذ على جميعهم
﴿فَإِنَّ رَبَّكُمُ لَرَّءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ لا يعاجل،
بل يمهل رافة بكم.

﴿٤٨﴾ **﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ
شَيْءٍ﴾** من الجبال والأشجار ونحوها

﴿يَتَفَبَّهُوا ظُلُمًا رَّعِيًّا﴾ تميل من جانب إلى
جانب، ويكون أول النهار على حال
ويقلص، ثم يعود في آخر النهار على
حالة أخرى **﴿عَنِ اليمِينِ وَالشَّمَائِلِ﴾** أي

عن جانبي كل واحد منها **﴿سُجَّدًا لِلَّهِ﴾**
أي حال كون الظلال سجدا لله، يعني
أن هذه الأشياء مجبولة على الطاعة، لأنها
كانت كما أرادها الله أن تكون **﴿وَهُمْ
دَّخِرُونَ﴾** أي خاضعون صاغرون.

﴿٤٩﴾ **﴿وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا
فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ﴾** أي: له وحده

يخضع وينقاد — لا لغيره — ما في
السماوات جميعا، وما في الأرض من
دابة تدب على الأرض **﴿وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا
يَسْتَكْبِرُونَ﴾** عن عبادة ربهم وعن السجود.



يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾
 * وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ
 فَإِنِّي فَارْهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُمْ مِنْ
 نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْعَرُونَ ﴿٥٣﴾
 ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ
 يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ
 تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا
 رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ
 لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ
 أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾
 يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَبِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ

٥٠ ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ أي: يخافون ربهم حال كونه من فوقهم ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ به من طاعة الله، يعني الملائكة، أو جميع من تقدم ذكره.

٥١ ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ فهي سبحانه عن اتخاذ إلهين، كما فعل الثنوية الذين عبدوا إلهين: إله النور، وإله الظلمة. ثم أثبت أن الإلهية منحصرة في إله واحد، وهو الله سبحانه ﴿فَإِيَّايَ فَارْهَبُونَ﴾ أي إن كنتم راهبين شيئا فارهبوني لاغيري.

٥٢ ﴿وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا﴾ أي ثابتا واجبا دائما لا يزول. والدين: هو الطاعة والإخلاص، فليس أحد يطاع إلا انقطع ذلك بزوال أو بهلكة، غير الله تعالى، فإن الطاعة تدوم له ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ﴾ أي: أتخافون غير الله ممن يستأى لها وأمره إلى زوال؟ بل خافوا الله وحده الذي له الطاعة الدائمة.

٥٣ ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ﴾ من النعم على اختلاف أنواعها ﴿فَمِنَ اللَّهِ﴾ النعمة: إما دينية، وهي معرفة الحق لذاته، ومعرفة الخير لأجل العمل به؛ وإما دنيوية: نفسانية، أو بدنية؛ أو خارجية، كالسعادات المالية وغيرها. والكل من الله سبحانه، فعلي العاقل أن يشكر المنعم على كل ذلك ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ تتضرعون في كشفه. والضر: المرض والبلاء والحاجة والقحط، وكل ما يتضرر به الإنسان.

٥٤ ﴿ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ يضعون الإشراف بالله الذي أنعم عليهم بكشف ما نزل بهم من الضر مكان الشكر له.

٥٥ ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ يعني ما كانت عاقبة تلك التضرعات إلا هذا الكفر ﴿فَتَمَتَّعُوا﴾ بما أنتم فيه من عبادة

غير الله ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عاقبة أمركم، وما يحل بكم من العذاب في هذه الدار وفي الدار الآخرة.

٥٨ ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ﴾ أي:

إذا أخبر أحدهم بولادة بنت له ﴿ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾ أي: متغيرا مما يحصل له من الغم وظهور الكآبة والانكسار ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ أي: ممتلئ من الغم غيظا وحنقا، يكتم غيظه ولا يظهره.

٥٩ ﴿يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ﴾ أي: يتغيب

ويختفي ﴿مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَبِهِ﴾ من سوء الحزن والعار والحياء الذي يلحقه بسبب حدوث البنت له.

٥٦ ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ بعد ما وقع منهم الجوار إلى الله سبحانه في كشف الضر عنهم: يجعلون لما لا يعلمون حقيقته من الجمادات والشرائط نصيبا مما رزقهم من أموالهم يتقربون به إليه.

٥٧ ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ﴾ وقد كانت خزاعة وكنانة تقول الملائكة بنات الله ﴿سُبْحَانَهُ﴾ نزه نفسه عما نسب إليه هؤلاء

هُونٌ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۖ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾
 لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّ ۚ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ
 وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ
 مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى
 فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَحْخِرُونَ سَاعَةً ۚ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾
 وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ السُّنْتَهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ
 لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾
 تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ
 أَعْمَلَهُمْ فَهُوَ وِلِيُّهُمْ أَلَيْسَ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَا أُنْزِلْنَا
 عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى
 وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
 فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ

غيره بشؤم ظلم الظالمين، فيمنع عنهم المطر حتى يهلكوا، ويصيبهم غير ذلك من القوارع. عن قتادة: قد فعل ذلك في زمن نوح، أهلك الله ما على ظهر الأرض من دابة إلا ما حمل في سفينته **«ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى»** وهو منتهى حياتهم وانقضاء أعمارهم، أو أجل عذابهم **«فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون»** تقدم تفسيره في سورة الأعراف (الآية ٣٤)

٦٢ **«ويجعلون لله ما يكرهون»** أي ما يكرهون نسبته إلى أنفسهم من البنات **«وتصف السنتهم الكذب أن لهم الحسنى»** أي: الخصلة الحسنى، وهي الأولاد الذكور، وقيل: الجزاء الحسن **«لا جرم أن لهم النار»** أي: حقا أنها لهم مكان ما جعلوه لأنفسهم **«وأنهم مفراطون»** أي: متروكون منسيون في النار، وقال قتادة: معجلون إليها مقدمون في دخولها.

٦٣ **«فزين لهم الشيطان أعمالهم»** الخبيثة **«فهو وليهم اليوم»** أي: فهو قرينهم في الدنيا، وقيل المراد: الشيطان وليهم أي ناصرهم يوم القيامة، فليستصروه إن كان لديه نصر.

٦٤ **«لتبين لهم الذي اختلفوا فيه»** من التوحيد وأحوال البعث وسائر الأحكام الشرعية **«وهدى ورحمة لقوم يؤمنون»** بالله سبحانه ويصدقون ما جاءت به الرسل ونزلت به الكتب.

٦٥ **«فأحيا به الأرض بعد موتها»** أي: أحياها بالنبات بعد أن كانت يابسة لا حياة بها **«إن في ذلك»** الإنزال والإحياء **«لآية»** دالة على وحدانيته، وعلى بعثه للخلق ومجازاتهم **«للقوم يسمعون»** كلام الله، ويفهمون ما يتضمنه من العبر.

الجنسين ليكون عندهم مثلاً لله، بل هؤلاء الذين وصفوا الله سبحانه بهذه القبائح الفظيعة مثل السوء، أي: صفة السوء من الجهل والكفر بالله **«ولله المثل الأعلى»** من الغنى الكامل والجود الشامل والعلم الواسع.

٦١ **«ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم»** المراد بالناس هنا الكفار أو جميع العصاة، ومن ظلمهم دعوى المشركين أن الأصنام بنات الله **«ما ترك عليها»** أي على الأرض، والمراد بالدابة كل ما دب، وذلك بإهلاك الظالم انتقاماً منه، وإهلاك

«أبمسكه» أي: لا يزال متردداً بين الأمرين: وهو إمساك البنت التي بشر بها، أو دفنها في التراب **«على هون»** أي على ذل وانكسار **«أم يدسه في التراب»** أي يخفيه في التراب بالوأة كما كانت تفعله العرب **«ألا ساء ما يحكمون»** حيث أضافوا البنات التي يكرهونها إلى الله سبحانه وأضافوا البنين إلى أنفسهم.

٦٠ **«لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّ»** [هذا وجه آخر في الرد على من قال عن الملائكة إنها بنات الله، فإن الولد مثل أبيه، أي: اختاروا أضعف

يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً تُنَاقِصُكُمْ
 مِمَّا فِي بُطُونِهِ ۚ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبْنَا خَالِصًا سَائِغًا
 لِلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ
 مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ
 يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنْ
 الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِنْ
 كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا
 شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ
 لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ
 وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ
 عِلْمٍ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ
 عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ۚ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ

٦٦ ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً﴾

الأنعام الإبل والبقر والغنم، والعبرة في الأنعام تسخيرها لأربابها وطاعتها لهم. وما تضمنه قوله: ﴿نُتَاقِصُكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ﴾ **من بين فرث ودم**، الفرث الزبل الذي ينزل إلى الكرش، فإذا خرج منه لم يسم فرثا، والمعنى: أن الشيء الذي تأكله يكون أسفله فرثا، وأعله دما، وأوسطه **لبنا**، فيجري الدم في العروق واللبن في الضروع **خالصا**، يعني: مصفى من حمرة الدم وقذارة الفرث بعد أن جمعها وعاء واحد **سائغا للشاربين**، لذذا هنيئا لا يغص به من شربه [ويسهل هضمه وينتفع به شاربه].

٦٧ ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ﴾

أي نسقيكم مما في بطونه ومن ثمرات النخيل والعنب **تتخذون منه سكرًا**، والسكر: ما يسكر من الخمر، والرزق الحسن جميع ما يؤكل من هاتين الشجرتين، كالتمر والدبس والزبيب والخل. وكان نزول هذه الآية قبل تحريم الخمر **إن في ذلك لآية لقوم يعقلون**، عند النظر في الآيات التكوينية.

٦٨ ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾

الوحي، الإلهام **أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون**، أي:

مساكن توافقها وتليق بها، في كوى الجبال وتجويف الشجر، وفي العروش التي يعرشها بنو آدم من الأجناح والحيطان وغيرها، وأكثر ما يستعمل فيها يكون من الخشب.

٦٩ ﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾

تأكل من الزهر والثمر **فاسلكي سبل ربك**، أي: الطرق التي فهمك الله وعلمك في الجبال وخلال الشجر، أو اسلكي ما أكلت في سبل ربك، أي: في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته الرحيق عسلا، أو إذا أكلت الثمار في الأمكنة البعيدة

يصير الإنسان إلى الخرف، بمنزلة الصبي الذي لا عقل له **لكيلا يعلم بعد علم**، كان قد حصل له **شيئا** من العلم لا كثيرا ولا قليلا.

٧١ ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ

في الرزق، فوسع على بعض عباده وضيقه على بعض عباده حتى صار لا يجد القوت، وذلك لحكمة بالغة. وقيل معنى الآية: أن الله سبحانه أعطى الموالي أفضل مما أعطى عبايكم، بدليل قوله **فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيماهم**.

فاسلكي إلى بيوتك راجعة سبل ربك لا تضلين فيها **ذلالا**، أي: مذلة غير متوعدة **شراب**، هو العسل **مختلف ألوانه**، بعضه أبيض، وبعضه أحمر، وبعضه أزرق، وبعضه أصفر **فيه شفاء للناس**، قالت طائفة: إن ذلك خاص ببعض الأمراض **إن في ذلك**، من أمر النحل **لآية لقوم يتفكرون**، أي: يعملون أفكارهم عند النظر في صنع الله سبحانه وعجائب مخلوقاته، فإن أمر النحل من أعجيبها وأغربها وأدقها وأحكمها.

٧٠ ﴿يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ﴾ هو عند أن



عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ
يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ
لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ
أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾
وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ
الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ * ضَرَبَ
اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنْهَا
رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يَنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ
لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ
أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا
يُوجَّهْ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ

يقولون إن إله العالم أجلُّ من أن يعبد
الواحد منا مباشرة، فكانوا يتوسلون إلى
الأصنام والكواكب، كما أن أصاغر
الناس يخدمون أكابر حضرة الملك،
وأولئك الأكابر يخدمون الملك.

**٧٥ ﴿ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا
يقدر على شيء﴾** يكتبه، فهو لا يملك
شيئا **﴿ومن رزقناه منا﴾** أي من جهتنا
﴿رزقا حسنا﴾ من الأحرار الذين يملكون
الأموال ويتصرفون بها كيف شاءوا **﴿فهو
ينفق منه﴾** في وجوه الخير، ويصرف منه
إلى أنواع البر والمعروف **﴿سرا وجهرا﴾**
أي: في أي وقت شاء بكامل إرادته
﴿هل يستوون﴾ أي: هل يستوي الحر
والعبد الموصوفان بالصفات المتقدمة،
فكذلك لا يستوي الرب الخالق الرازق،
والجمادات من الأصنام التي تعبدونها
وهي لا تضر ولا تنفع **﴿الحمد لله﴾** أي
الحمد لله كله على كمالاته **﴿بل
أكثرهم لا يعلمون﴾** ذلك حتى يعبدوا
من تحق له العبادة، ويعرفوا المنعم عليهم
بالنعم الجليلة.

٧٦ ﴿وضرب الله مثلا﴾ آخر أوضح مما
قبله وأظهر منه **﴿رجلين﴾** والأبكم العبي
المفحم، وقيل: هو الأقطع اللسان الذي
لا يحسن الكلام **﴿لا يقدر على شيء﴾**
لعدم فهمه وعدم قدرته على النطق **﴿وهو
كلٌّ على مولاه﴾** ثقیل على وليه وقربته
﴿أينما يوجهه لا يأت بخير﴾ لأنه عاجز
عن التصرف لا يمكنه أن يتكلم **﴿هل
يستوي هو﴾** في نفسه مع هذه الأوصاف
التي اتصف بها **﴿ومن يأمر بالعدل﴾** أي
يأمر الناس بالعدل **﴿وهو﴾** في نفسه **﴿على
صراط مستقيم﴾** على دين قويم وسيرة
صالحة، والمقصود امتناع التساوي بينه
سبحانه وبين ما يجعلونه شريكا له من
الأصنام التي لا تنطق، ولا تستطيع أن
تصنع شيئا.

الذين يخدمونه **﴿ورزقكم من الطيبات﴾**
التي تستطيعونها وتستلذونها **﴿أفبالباطل
يؤمنون﴾** الباطل هو اعتقادهم في
أصنامهم أنها تضر وتنفع.
**٧٣ ﴿ويعبدون من دون الله مالا
يملك لهم رزقا﴾** المعنى: أن هؤلاء الكفار
يعبدون معبودات لا تملك أن ترزقهم أي
رزق من السماوات والأرض **﴿ولا
يستطيعون﴾** أن يتصرفوا، فهم من
الجمادات لا كسب لهم.
٧٤ ﴿فلا تضربوا الله الأمثال﴾ لا تجعلوا
له مثلا، لأنه واحد لا مثل له، وكانوا

﴿فهم﴾ أي المالكون والماليك **﴿فيه﴾** أي
في الرزق **﴿سواء﴾** أي لا يردونه عليهم
بحيث يساؤونهم، أي فكيف تجعلون
عبيدي شركاء معي سواء فتعبدونهم
وأنتم لم تجعلوا عبيدكم مشاركين لكم
في أموالكم **﴿أفبنعمة الله يجحدون﴾**
حيث يفعلون ما يفعلون من الشرك.
**٧٢ ﴿والله جعل لكم من أنفسكم
أزواجا﴾** أي: خلق لكم من جنسكم
نساء تتزوجون لتستأنسوا بهن **﴿وجعل
لكم من أزواجكم بنين وحفدة﴾**
الحفدة أولاد الأولاد، وقيل: الأولاد

وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ
إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ
أُمَهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ
وَالْأَفْئِدَةَ ۚ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ
مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكََ
لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ
سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا
يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا
وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِئْتًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم
مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ
لَكُم سُرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسُرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَلِكَ

٧٧ ﴿وَاللَّهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾
أي يختص ذلك به لا يشاركه فيه غيره
ولا يستقل به ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ﴾ من
الغيوب المختصة به سبحانه ﴿إِلَّا كَلَمْحِ
الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ وصف سرعة
القدرة على الإتيان بها، لأنه يقول للشيء
كن فيكون ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ﴾ وبجيء الساعة بسرعة من جملة
مقدوراته.

٧٨ ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ
أُمَهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ أي أطفالا لا
علم لكم بشيء ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ
وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ أي: ركب فيكم
هذه الأشياء، لتحصلوا بها العلم الذي
كان مسلوبا عنكم عند إخراجكم من
بطون أمهاتكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي
لكي تصرفوا كل آلة فيما خلقت له،
فتعرفوا مقدار ما أنعم الله به عليكم
فتشكروه.

٧٩ ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ﴾
مذلللات للطيران بما خلق الله لها من
الأجنحة، وسائر الأسباب المواتية لذلك،
كرقة قوام الهواء، وإلهامها بسط الجناح
وقبضه كما يفعل السابح في الماء ﴿فِي جَوِّ
السَّمَاءِ﴾ في الهواء المتباعد من الأرض في
سمت العلو ﴿مَا يُمَسِّكُهُنَّ﴾ في الجو ﴿إِلَّا
اللَّهُ﴾ بقدرته الباهرة، فإن ثقل أجسامها
ورقة قوام الهواء يقتضيان سقوطها، لأنها
لم تتعلق بشيء من فوقها، ولا اعتمدت
على شيء تحتها ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾
تدل على وحدانية الله سبحانه، وقدرته
﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ بالله سبحانه وبما جاءت
به رسله من الشرائع التي شرعها الله.

٨٠ ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ
سَكَنًا﴾ تسكنون فيها وتهدأ جوارحكم
من الحركة ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ
الْأَنْعَامِ بُيُوتًا﴾ وهي بيوت البادية
والرحلة، كالخيام والقباب ﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾

أي: يخف عليكم حملها في الأسفار
وغيرها ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾ الظعن: سير أهل
البادية للالتجاع والتحول من موضع إلى
موضع ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا
وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِئْتًا﴾ الأصواف للغنم،
والأوبار للإبل، والأشعار للمعز،
والأثاث متاع البيت، والمتاع ما يفرش
في المنازل ويتزين به ﴿إِلَى حِينٍ﴾ إلى
أن تقضوا أوطاركم منه، أو إلى أن يبلى
ويفنى.

٨١ ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا﴾
أي أشياء تستظلون بها من حر الشمس

﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا﴾ وهو
ما يستكن به من المطر ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ
سُرَابِيلَ﴾ هي القمصان والثياب من
الصوف والقطن والكتان وغيرها ﴿تَقِيكُمُ
الْحَرَّ﴾ تدفع عنكم ضرر الحر، ونخص
الحر ولم يذكر البرد اكتفاء بذكر أحد
الضدين عن ذكر الآخر، ويحتمل أنه لم
يذكر البرد لكون الآية في الامتنان بما بقي
من الحر فقط ﴿وَسُرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾
وهي الدروع والجواشن يتقون بها الطعن
والضرب والرمي ﴿كَذَلِكَ يَتِمُّ نِعْمَتُهُ
عَلَيْكُمْ﴾ بصنوف النعم المذكورة هاهنا

يَتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا
عَلَيْكَ الْبَلَّغُ الْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا
وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا
ثُمَّ لَا يُوْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا
رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ
يُنْظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا
رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ
فَأَلْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَالْقَوَا إِلَى
اللَّهِ يَوْمَ يَذَّيْلُ السَّمَّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾
الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا
فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي
كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا

وبغيرها **﴿لعلكم تسلمون﴾** فإن من
أمعن النظر في هذه النعم لم يسعه إلا
الإسلام والانقياد للحق.

**﴿فإن تولوا فإنما عليك البلاغ
المبين﴾** وليس عليك غير ذلك [فلم
يكلفك الله أن تحملهم على الإيمان
وتدخله في قلوبهم].

﴿يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها﴾
ينكرونها بأفعالهم القبيحة من عبادة غير
الله، وبأقوالهم الباطلة، حيث يقولون: هي
بشفاعة الأصنام، وإنهم ورثوا تلك النعم
من آبائهم، ولا يستعملون هذه النعم في

مرضاة الرب سبحانه **﴿وأكثرهم
الكافرون﴾** أي الجاحدون لنعم الله.

**﴿ويوم نبعث من كل أمة
شهاداً﴾** وشهد كل أمة نبيها، يشهد لهم
بالإيمان والتصديق، وعليهم بالكفر
والجحود والتكذيب، وذلك يوم القيامة
﴿ثم لا يؤذن للذين كفروا﴾ في

الاعتذار، إذ لا حجة لهم ولا عذر، أو
في الرجوع إلى دار الدنيا **﴿ولا هم
يستعتبون﴾** لأن العتاب إنما يطلب لأجل
العود إلى الرضى، فإذا كان على عزم
السخط فلا فائدة في العتاب.

﴿وإذا رأى الذين ظلموا

العذاب﴾ الذي يستحقونه بشركهم، وهو
عذاب جهنم **﴿فلا يخفف﴾** ذلك العذاب
﴿عنهم ولا هم ينظرون﴾ أي ولا هم
يمهلون ليتوبوا.

﴿وإذا رأى الذين أشركوا

شركاءهم﴾ أي: أصنامهم وأوثانهم التي
عبدوها، فإنهم يبعثون مع المشركين

﴿قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا

ندعو من دونك﴾ ومقصودهم إحالة

الذنب على تلك الأصنام **﴿قالوا إليهم**

القول﴾ أي: أنطق الله الأصنام والأوثان

والشياطين فقالوا للمشركين **﴿إنكم**

لكاذبون﴾ فيما تزعمون من إحالة الذنب

علينا، بل الذنب ذنبكم، وقيل: المراد

تكذيبهم في قولهم إنهم شركاء، فليس لله

شريك.

﴿والقوا إلى الله يَوْمَذِ السَّلام﴾

الاستسلام والانقياد لعذابه والخضوع لعزته

﴿وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ ضاع

وبطل من كانوا يعبدونه، فلم يستطع لهم

شيئاً.

﴿الذين كفروا﴾ في أنفسهم

﴿وصدوا﴾ غيرهم **﴿عن سبيل الله﴾**

وهي طريق الإسلام، منعوهم من

سلوكها، وحلّوهم على الكفر بتزيينه لهم

﴿زدناهم عذاباً فوق العذاب﴾ أي

زادهم الله عذاباً لأجل الإضلال لغيرهم

فوق العذاب الذي استحقوه لأجل

ضلالهم في ذات أنفسهم.

﴿ويوم نبعث في كل أمة شهيداً

عليهم﴾ أي نبياً يشهد عليهم **﴿من**

أنفسهم﴾ من جنسهم، إتماماً للحجة

وقطعاً للمعذرة **﴿وجئنا بك﴾** يا محمد

﴿شهاداً على هؤلاء﴾ أي تشهد على هذه

الأمم وتشهد لهم، وقيل: على أمتك،

وقد تقدم مثل هذا في البقرة/١٤٣،
والنساء/٣٣.



عَلَى هَؤُلَاءِ وَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ
وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ * إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ
بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾
وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ
تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ
مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزَاهَا مِنْ
بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ
تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ
وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ
وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَنُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

﴿ونزلنا عليك الكتاب﴾ أي القرآن
﴿تبياناً لكل شيء﴾ فيه البيان لكثير من
الأحكام، وفيه الأمر لهم باتباع رسوله ﷺ
فيما يأتي به من الأحكام. وقيل: في القرآن
نفسه بيان كل الأحكام. وأخرج ابن
جرير وابن أبي حاتم عن ابن مسعود
قال: إن الله أنزل هذا الكتاب تبياناً
لكل شيء، ولكن علمنا يقصر عما بُيِّنَ
لنا في القرآن ﴿وهدي﴾ للعباد ﴿ورحمة﴾
لهم ﴿وبشري للمسلمين﴾ خاصة دون
غيرهم لأنهم المنتفعون بذلك.

٩٠ ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾
العدل الإنصاف والتوسط بين طرفي
الإفراط والتفريط، والإحسان التفضل بما
لم يجب، كصدقة التطوع وما يثاب عليه
العبد مما لم يوجبه الله عليه في العبادات
وغيرها ﴿وإيتاء ذي القربى﴾ أي إعطاء
القرباة ما تدعو إليه حاجتهم ﴿وينهى عن
الفحشاء﴾ هي الخصلة المتزايدة في القبح
من قول أو فعل كالزنى والبخل
﴿والمنكر﴾ ما أنكره الشرع بالنهي عنه،
وهو يعم جميع المعاصي ﴿والبغي﴾ هو
الكبر والظلم ﴿يعظكم لعلكم تذكرون﴾
بما ذكره في هذه الآية مما أمركم به
ونهاكم عنه، فتعظون بما وعظكم الله به.
٩١ ﴿وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم﴾

﴿تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم﴾
الدخل: المكر والخديعة والغش ﴿أن
تكون أمة هي أربى من أمة﴾ أي: أكثر
عدداً منها وأوفر مالا، قيل: هو تحذير
للمؤمنين أن يفتروا بكثرة قريش وسعة
أموالهم، فينقضوا بيعة النبي ﷺ وعن
مجاهد قال: كانوا يحالفون الحلفاء
فيجدون أكثر منهم وأعز، فينقضون حلف
هؤلاء ويحالفون هؤلاء الذين هم أعز،
فنهوا عن ذلك ﴿إنما يبلوكم الله به﴾
أي: يختبركم هل تمسكون بحبل الوفاء،
أم تنقضون اغتراراً بالكثرة ﴿وليبينن لكم
يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون﴾
فيوضح الحق والمحقين ويرفع درجاتهم،
ويبين الباطل والمبطلين فينزل بهم من
العذاب ما يستحقونه.
٩٣ ﴿ولو شاء الله لجعلكم أمة
واحدة﴾ متفقة على الحق ﴿ولكن﴾
بحكم الإلهية ﴿يضل من يشاء﴾ بخذلانه
إياهم عدلاً منه فيهم حتى يستسهلوا
النكث والنقض للمواثيق ﴿وهدي من
يشاء﴾ بتوفيقه إياهم فضلاً منه عليهم
﴿ولنسألن عما كنتم تعملون﴾ من
الأعمال في الدنيا.

كل عهد يقع من الإنسان كمعهد البيعة
وغيره ﴿ولا تنقضوا الأيمان بعد
توكيدها﴾ أي: بعد تشديدها وتغليظها
وتوثيقها ﴿وقد جعلتم الله عليكم
كفيلاً﴾ أي: شهيداً، وقيل: ضامناً ﴿إن
الله يعلم ما تفعلون﴾ فيجازيكم به.

٩٢ ﴿ولا تكونوا كالأتي نقضت غزها﴾
أي ما غزله ﴿من بعد قوة﴾ أي من بعد
إبرام الغزل وإحكامه ﴿أنكاثاً﴾ أي
فإنكم إن فعلتم ذلك كنتم مثل امرأة
غزلت غزلاً وأحكمته، ثم جعلته أنكاثاً
أي: محلولاً كما كان قبل أن تغزله

وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا
وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمَّ عَذَابٌ
عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَسْتُرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ تَمَنَّا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ
اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ
وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ
مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّى
وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ
بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ فَاسْتَعِذْ
بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطٰنٌ عَلَى
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطٰنُهُ
عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا
بَدَّلْنَا ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا

٩٤ ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا﴾ وهو عذاب الآخرة.

بينكم﴾ وهي أيمان البيعة، نهي الذين بايعوا رسول الله ﷺ عن نقض العهد على الإسلام ونصرة الدين ﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ [أي فيخطيء خطأ كبيراً من نقض عهده، وقد يكون في ذلك هلاكه بعد أن كان راسخ القدم في الثبات على العهود والدوام عليها] ﴿وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فإن من نقض البيعة وارتد، اقتدى به غيره في ذلك، فكان فعله سنة سيئة، عليه وزرها ووزر من عمل بها ﴿وَلَكُمْ

٩٥ ﴿وَلَا تَسْتُرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ تَمَنَّا قَلِيلًا﴾ عوضاً يسيراً حقيراً وهو كل عرض دنيوي وإن كان في الصورة كثيراً ﴿إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أي ما عنده من النصر في الدنيا والغنائم والرزق الواسع، وما عنده في الآخرة من نعيم الجنة ﴿إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي إن كنتم من أهل العلم والتمييز.

٩٦ ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ﴾ يزول وإن بلغ في الكثرة أي مبلغ، وأما نعيم الآخرة فهو الباقي الذي لا ينقطع ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُ الَّذِينَ

صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: لنجزينهم بسبب صبرهم على الثبات على عهدهم مع النبي ﷺ واستمرارهم على القيام بمشاق التكليف، وجهاد الكافرين، والصبر على ما ينالهم منهم من الإيذاء، بأحسن ما كانوا يعملون من الطاعات.

٩٧ ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ لأن عمل الكافر لا اعتداد به ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾ بالرزق الحلال، وبالتوفيق إلى حلاوة الطاعة. وقيل: هي حياة الجنة ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ قلنا تفسيره قريباً.

٩٨ ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ﴾ إذا أردت أن تقرأ القرآن ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ أي: أسأله سبحانه أن يعيذك من وساوس الشيطان الرجيم.

٩٩ ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطٰنٌ﴾ أي: ليس للشيطان تسلط ﴿عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ يفوضون أمورهم إليه في كل قول وفعل، فإن الإيمان بالله والتوكل عليه يمنعان الشيطان من وسوسته لهم، وإن وسوس لأحد منهم لا تؤثر فيه وسوسته.

١٠٠ ﴿إِنَّمَا سُلْطٰنُهُ﴾ أي: تسلطه بالإغواء ﴿عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ﴾ أي: يتخذونه ولياً، ويطيعونه في وساوسه، ويعصون الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ الذين هم من أجله وبسبب وسوسته مشركون بالله.

١٠١ ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ﴾ وهو نسخها بآية سواها. وقد تقدم الكلام في النسخ في سورة البقرة ١٠٦ ﴿قَالُوا﴾ أي: كفار قريش الجاهلون للحكمة في النسخ ﴿إِنَّمَا أَنْتَ بِمُحَمَّدٍ مُّفْتَرٍ﴾ أي: كاذب مختلق على الله متقول عليه بما لم يقل، حيث تزعم أنه أمرك بشيء، ثم تزعم أنه أمرك بخلافه.

إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُ
 رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا
 وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ
 إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي
 وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِعَايَتِ
 اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِي
 الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ
 الْكَذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا
 مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ
 بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ
 عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى
 الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٧﴾

﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ بالحكمة في
 النسخ، فقد يكون في شرع هذا الشيء
 مصلحة مؤقتة بوقت، ثم تكون المصلحة
 بعد ذلك الوقت في شرع غيره.

١٠٢ ﴿قل نزل﴾ أي القرآن ﴿روح
 القدس﴾ أي: جبريل المطهر من أدناس
 البشرية ﴿من ربك﴾ تنزيله من عنده
 سبحانه ﴿بالحق﴾ الذي لا خطأ فيه،
 لحكمة بالغة ﴿ليثبت الذين آمنوا﴾ على
 الإيمان ﴿وهدى وبشرى للمسلمين﴾
 [يهدىهم إلى الأحكام الناسخة، ويبشرهم
 على إيمانهم بالناسخ والمنسوخ وغيرها من
 كتاب الله].

١٠٣ ﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما
 يعلمه بشر﴾ أي: ولقد نعلم أن هؤلاء
 الكفار يقولون: إنما يعلم عمدا القرآن
 بشر من بني آدم غير ملك. وهذا البشر
 الذي زعموا عليه ما زعموا قيل: هو غلام
 الفاكه بن المغيرة، واسمه جبر، وكان
 نصرانيا فأسلم ﴿لسان الذي يلحدون
 إليه أعجمي﴾ أي: لغة الذين يميلون إليه
 ويزعمون أنه يعلمك أعجمية، فليس هو
 من الفصاحة في شيء ﴿وهذا﴾ القرآن
 ﴿لسان عربي مبين﴾ ذو بلاغة عربية
 وبيان واضح، فكيف تزعمون أن بشرا
 يعلمه من العجم، وقد عجزتم أنتم عن
 معارضة سورة منه، وأنتم أهل الفصاحة
 وقادة البلاغة؟

١٠٤ ﴿إن الذين لا يؤمنون بآيات
 الله﴾ أي لا يصدقون بها ﴿لا يهديهم
 الله﴾ إلى الحق الذي هو سبيل النجاة لما
 علم من شقاوتهم ﴿ولهم عذاب أليم﴾
 بسبب ما هم عليه من الكفر والتكذيب.
 ١٠٥ ﴿إنما يفتري الكذب الذين لا
 يؤمنون بآيات الله﴾ فكيف يقع الافتراء
 من رسول الله ﷺ وهو رأس المؤمنين بها
 ﴿وأولئك﴾ المتصفون بذلك ﴿هم
 الكاذبون﴾ أي: إن الكذب نعت لازم

في الفعل فلا رخصة. وأما من ارتد مختارا
 عامدا و﴿شرح بالكفر صدرا﴾ أي:
 رضي به واطمأن إليه، فعليه غضب الله
 وعذابه. وأخرج عبد الرزاق وابن سعد
 وابن جرير: أخذ المشركون عمار بن ياسر
 فلم يتركوه حتى سب: النبي ﷺ وذكر
 آهتهم بخير فتركوه، فلما أتى النبي ﷺ
 قال: ما وراءك؟ قال: شر، قال: إن
 عادوا فعد، فنزلت.

١٠٧ ﴿ذلك﴾ الكفر بعد الإيمان ﴿بأنهم
 استحبوا الحياة الدنيا﴾ أي بسبب
 إشارهم للحياة الدنيا ﴿على الآخرة وأن

لهم وعادة من عادتهم.

١٠٦ ﴿من كفر بالله من بعد إيمانه﴾
 هذه الآية فيمن يرتد بأن ينطق بقول
 الكفر، أو بفعله، بعد أن يكون قد دخل
 في الإسلام، فله حالتان: أما من أكره
 على الكفر حتى خشي على نفسه القتل،
 فإنه لا إثم عليه بقول يقوله، أو فعل
 يفعله، كالسجود لغير الله، إن صدر منه
 ذلك وقلبه مطمئن بالإيمان، ولا يحكم
 عليه بحكم الكفر. وذهب الحسن
 والأوزاعي والشافعي وسحنون إلى أن
 هذه الرخصة إنما جاءت في القول، وأما

أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ
 وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ
 هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا
 مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ
 بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٠﴾ * يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ
 تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ
 لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً
 مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ
 بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا
 كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ
 فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا
 مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ

حتى انشرفت له صدورهم، إن تابوا إلى
 الله تعالى، وهاجروا إلى رسوله، وجاهدوا
 معه.

١١١ ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ
نَفْسِهَا﴾ يأتي كل إنسان يجادل عن ذاته
 لينجو، ولا يهيم غيرها.

١١٢ ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً﴾ [هو
 مثل ضربه الله لأهل مكة بقرية من
 القرى الظالمة، لتتعض قريش فلا تستمر
 على ضلالها]. وقيل القرية هنا: هي
 مكة نفسها، ضربها الله مثلاً لغيرها،
 وذلك لما دعا عليهم رسول الله ﷺ وقال:
 اللهم اشدد وطأتك على مضر، واجعلها
 عليهم سنين كسني يوسف، فابتلوا
 بالقحط حتى أكلوا العظام، والمثل إنذار
 لغير مكة من مثل عاقبتها **﴿كَانَتْ آمِنَةً**
مُطْمَئِنَّةً﴾ أي لا يخاف أهلها ولا
 ينزعجون **﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا﴾** واسعا
﴿مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ من الأمكنة التي
 يجلب ما فيها إليها **﴿فَكَفَرَتْ﴾** أي كفر
 أهلها **﴿بِأَنْعَمِ اللَّهِ﴾** التي أنعم بها عليهم،
 وهذا الكفر منهم هو كفرهم بالله سبحانه
 وتكذيب رسوله **﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ**
الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ ما يظهر به عليهم من
 الهزال وشحوبة اللون وسوء الحال.

١١٣ ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ﴾ يعني أهل مكة
 [أو القرية المثل بها] **﴿رَسُولٌ مِنْهُمْ﴾** من
 جنسهم يعرفونه ويعرفون نبيه **﴿فَكَذَّبُوهُ﴾**
 فيما جاء به **﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾** النازل
 بهم من الله سبحانه **﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾**
 لأنفسهم بإيقاعها في العذاب الأبدي.
١١٤ ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا
طَيِّبًا﴾ أي فكلوا الحلال الطيب واتركوا
 الحباث وهو الميتة والدم **﴿وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ**
اللَّهِ﴾ التي أنعم بها عليكم واعرفوا حقها
﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ ولا تعبدون
 غيره.

١١٠ ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا﴾
 من دار الكفر إلى دار الإسلام **﴿مِنْ بَعْدِ**
مَا فُتِنُوا﴾ أي فتنهم الكفار بتعذيبهم لهم
 فرجعوا في الكفر وسكنوا إليه **﴿ثُمَّ**
جَاهَدُوا﴾ في سبيل الله **﴿وَصَبَرُوا﴾** على
 الجهاد، وعلى ما يلحقونه من مشاق
 التكليف **﴿لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾** لهؤلاء المفتونين
 الذين تكلموا بكلمة الكفر مكرهين،
 وصدورهم غير منشرحة للكفر، إذا
 صلحت أعمالهم، وجاهدوا في الله
 وصبروا، وقيل المعنى: إنه غفور رحيم
 للذين افتتنوا، فنطقوا بكلمة الكفر خوفاً،

الله لا يهدي القوم الكافرين﴾ إلى
 الإيمان به.
١٠٨ ﴿أُولَئِكَ﴾ المرتدون المؤثرون للدنيا
 على أمر الله والإيمان به، هم **﴿الَّذِينَ**
طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ
وَأَبْصَارِهِمْ﴾ فلم يفهموا المواعظ، ولا
 سمعوها، ولا أبصروا الآيات التي يستدل
 بها على الحق **﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾**
 عما يراد بهم، لا غفلة مثل غفلتهم هذه.
١٠٩ ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ
الْخَاسِرُونَ﴾ أي الكاملون في الخسران،
 البالغون إلى غاية منه ليس فوقها غاية.



إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ
وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۖ فَمَنِ اضْطُرَّ
غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَا
تَصِفُ السِّتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا
عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ
لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَّعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾
وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ
وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ
إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ
ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾
إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ
الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى

١١٥ ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ

ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به﴾

تقدم تفسيره في سورة البقرة / ١٧٣

١١٦ ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ

الكذب﴾ معناه: لا تحرموا ولا تحللوا

لأجل قول تنطق به ألسنتكم من غير

حجة، فتقول ﴿هذا حلال وهذا حرام

لتفتروا على الله الكذب﴾ أي فيكون

من ذلك افتراءكم على الله الكذب

بالتحليل والتحريم، وإسناد ذلك إليه من

غير أن يكون منه [فإن التحليل والتحريم

وشرع أحكام الدين من حق الله تعالى

وحده، فليس لأحد من البشر أن يشرع

دينًا من عند نفسه. وإذا شرعه من عند

نفسه ثم نسبه إلى الله تعالى كان في ذلك

إثم الافتراء والكذب على الله بالإضافة

إلى إثم التحليل والتحريم] ﴿إِنَّ الَّذِينَ

يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾

الفلاح: هو الفوز بالمطلوب. عن أبي نضرة

قال: «قرأت هذه الآية من سورة

النحل، فلم أزل أخاف الفتيا.»

وصدق، فإن هذه الآية تتناول بعموم

لفظها فتيا من أفتى بخلاف ما في كتاب

الله وسنة رسوله ﷺ، كما يقع كثيرا من

المؤثرين للرأي المقدمين له على الرواية،

أو الجاهلين لعلم الكتاب والسنة. وإنهم

لحقيقون أن يحال بينهم وبين فتاويهم،

ويُمنعوا من جهالاتهم، فإنهم أفتوا بغير

علم من الله، ولا هدى ولا كتاب منير،

فضلوا وأضلوا.

١١٧ ﴿مَتَّاعٌ قَلِيلٌ﴾ أي لهم متاع قليل

[بهذا القول الذي يحرمون به ويحللون

بأهوائهم] ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يردون

إليه في الآخرة.

١١٨ ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا﴾ أي

حرمنا عليهم خاصة دون غيرهم ﴿مَا

قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾ بقولنا ﴿وعلى الذين

هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر

ذلك﴾ أي من بعد عملهم للسوء

﴿وَأَصْلَحُوا﴾ أفعالهم التي كان فيها فساد

﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ أي من بعد

التوبة ﴿لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

١٢٠ ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ أي كان

معلما للخير أو جامعاً لخصال الخير، أو

علما بما علمه الله من الشرائع، والقانت:

المطيع الذي ملأت خشية الله جوانحه،

وحكمت جوارحه. والحنيف: المائل عن

الأديان الباطلة إلى دين الحق ﴿وَلَمْ يَكُ

مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ بالله كما تزعمه كفار

قريش أنه كان على دينهم الباطل.

والغنم حرمنا عليهم شحومها) الآية ١٤٦

من سورة الأنعام. أي فهذه دون غيرها

هي المحرمات من الأطعمة التي حرّمها الله

تعالى في القرآن وفي التوراة فمن أين أتيت

بتحريم ما تحرمونه من ذلك؟ ﴿وَمَا

ظَلَمْنَاهُمْ﴾ بذلك التحريم بل جزيناها

ببغيتهم ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾

حيث فعلوا أسباب ذلك فحرّمنا عليهم

تلك الأشياء عقوبة لهم.

١١٩ ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ

بِجَهَالَةٍ﴾ تقدم تفسير هذه الآية في سورة

النساء (الآية ١٧) ﴿ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ

صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّا
فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ
اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾
إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ
لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾
أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ
وَجَدِ لَهُمُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ
ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ
فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ۖ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ
لِّلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ
عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ
الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

ودينا على إبراهيم ولا على بنيه **﴿وإن ربك ليحكم بينهم﴾** أي بين المختلفين فيه **﴿يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾** فيجازي كلا فيه بما يستحقه ثوابا وعقابا.

١٢٥ **﴿ادع إلى سبيل ربك﴾** وسبيل الله هو الإسلام **﴿بالحكمة﴾** أي بالمقالة المحكمة الصحيحة، قيل: وهي الحجج المفيدة لليقين **﴿والموعظة الحسنة﴾** وهي المقالة التي يستحسنها السامع وتبلغ من نفسه مبلغاً حتى يقتنع بها ويعمل بما فيها، وتكون في نفسها حسنة باعتبار انتفاع السامع بها، قيل: وهي الحجج الظنية الإقناعية الموجبة للتصديق بمقدمات مقبولة **﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾** أي بالطريق التي هي أحسن طرق المجادلة **﴿إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله﴾** بين أن الرشد والهداية ليس إلى النبي ﷺ وإنما ذلك إليه تعالى **﴿وهو أعلم بالمهتدين﴾** أي بمن يبصر الحق فيقصده غير متعنت.

١٢٦ **﴿وإن عاقبتهم﴾** أي أردتم المعاقبة **﴿فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به﴾** أي بمثل ما فعل بكم لا تتجاوزوا ذلك **﴿ولئن صبرتم﴾** [عن أخذ حقكم من ظلمكم متى قدرتم عليه] **﴿هو خير للصابرين﴾** فالصبر خير لكم من الانتصاف.

١٢٧ **﴿واصبر﴾** على ما أصابك من صنوف الأذى **﴿وما صبرك إلا بالله﴾** أي بتوفيقه وتشييته **﴿ولا تحزن عليهم﴾** أي على الكافرين في إعراضهم عنك **﴿ولا تك في ضيق﴾** أي ضيق صدر **﴿مما يَمْكُرُونَ﴾** من مكروهم لك فيما يستقبل من الزمان.

١٢٨ **﴿إن الله مع الذين اتقوا﴾** أي اتقوا المعاصي **﴿والذين هم محسنون﴾** بتأدية الطاعات، والقيام بما أمروا بها منها، فهؤلاء هم الذين ينصرهم الله.

شريعته إلا ما نسخ منها. ١٢٤ **﴿إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه﴾** أي: إنما جعل وبال السبت - وهو المسخ - على الذين اختلفوا فيه، أو إنما جعل فرض تعظيم السبت على الذين اختلفوا فيه، أي على الذين اختلفوا في إبراهيم وهم اليهود والنصارى؛ أو على الذين اختلفوا في السبت، وهم اليهود، كانوا يزعمون أن السبت من شرائع إبراهيم، فأخبر الله سبحانه أنه إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه، ولم يجعل الالتزام به فرضاً

١٢١ **﴿شاكراً لأنعمه﴾** التي أنعم الله بها عليه **﴿اجتباها﴾** أي اختاره للنسوة، واختص بها **﴿وهدها إلى صراط مستقيم﴾** وهو ملة الإسلام ودين الحق.

١٢٢ **﴿وآتيناه في الدنيا حسنة﴾** أي خصلة حسنة، قيل: هي الولد الصالح، وقيل: النبوة، وقيل: هي أنه يتولاه جميع أهل الأديان.

١٢٣ **﴿ثم أوحينا إليك﴾** يا محمد مع علو درجتك **﴿أن اتبع ملة إبراهيم﴾** في التوحيد والدعوة إليه، وفي التبري من الأوثان والتدين بدين الإسلام، وفي جميع

سُورَةُ الْاِنْبِرَاءِ

وتسمى سورة بني إسرائيل.

١ «سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً» ستر عبده، يعني محمداً ﷺ ليلاً. وقال بعبده، ولم يقل بنبيه، أو رسوله، أو بمحمد، تشريفاً له ﷺ في هذا المقام العظيم «من المسجد الحرام» أسرى برسول الله ﷺ من دار أم هانئ بجوار المسجد الحرام. وقد يطلق المسجد الحرام على مكة، أو الحرم، لإحاطة كل واحد منها بالمسجد الحرام «إلى المسجد الأقصى» وهو مسجد بيت المقدس، وسمي الأقصى: لبعده المسافة بينه وبين المسجد الحرام، ولم يكن حينئذ وراءه مسجد «الذي باركنا حوله» بالثمار والأنهار ومنازل الأنبياء والصالحين. وفيه من بركات الدنيا والآخرة «لنريه من آياتنا» أي ما أراه الله سبحانه في تلك الليلة من العجائب «إنه» سبحانه «هو السميع» بكل مسموع «البصير» بكل مبصر، ومن جملة ذلك ذات رسوله وأفعاله. وكان الإسراء بجسده ﷺ مع روحه، وقيل بروحه فقط. والإسراء كان قبل الهجرة إلى المدينة بسنة، وقيل: كان قبل الهجرة بأعوام.

٢ «وأتينا موسى الكتاب» أي التوراة «وجعلناه» أي ذلك الكتاب «هدى لبني إسرائيل» يهتدون به «ألا تتخذوا من دوني وكيلاً» كفيلاً بأموالهم.

٣ «ذرية من حملنا مع نوح» أي: يا ذرية من أنجيناهم في السفينة مع نوح من أولاده، ذكّرهم الله بتلك الحال حيث لم يكن العون إلا من الله، ولا ناصر إلا هو «إنه كان عبداً شكوراً» وصف الله نوحاً بكثرة الشكر حثاً لذريته على شكر الله سبحانه.

٤ «وقضينا إلى بني إسرائيل في

(١٧) سُورَةُ الْاِنْبِرَاءِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّانَهَا الْخَلْدُ عَشْرَةٌ وَمِائَتَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا
إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ
وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي
وَكِيلاً ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا
شَكُورًا ﴿٣﴾ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ
لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقَ كَبِيرًا ﴿٤﴾
فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ

٥ «فإذا جاء وعد أولاهما» أي أولي المرتين المذكورتين «بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد» أي قوة في الحروب وبطش عند اللقاء، قيل: هو بختنصر وجنوده من أهل بابل «فجاسوا خلال الديار» أي عاثوا وترددوا وتخللوا، وطافوا بين الديار يطلبونهم ويقتلونهم ذاهبين وجائين «وكان» ذلك «وعداً مفعولاً» أي كائناً لا محالة.

٦ «ثم رددنا لكم الكرة عليهم» أي الدولة والغلبة، وذلك عند توبتكم «وأمددناكم بأموال وبنين» بعد نهب

الكتاب» أي حكماً وأخبرنا، والمراد بالكتاب: التوراة «لتفسدن في الأرض» هي الأرض المقدسة التي بها المسجد الأقصى، وهي أرض بيت المقدس «مرتين» قيل المرة الأولى: قتل أشعياء، أو حبس أرمياء، أو مخالفة أحكام التوراة، والثانية: قتل يحيى بن زكريا، والعزم على قتل عيسى [ويقال: وقعت الأولى ولم تأت الثانية] «ولتعلمن علواً كبيراً» لتستعلمن على الناس، وليظهرن أمركم ودولتكم بالظلم والبغي مجاوزين للحد في ذلك.



شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَلِ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٦﴾
 ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ
 وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٧﴾ إِنَّ أَحْسَنَ مَا أَحْسَنَتْمُ لَأَنفُسِكُمْ
 وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَعْمُوا
 وجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ
 وَلِيُتَبَرَّوْا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٨﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ
 وَإِنْ عُثِمَ عُذْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٩﴾
 إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ
 الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّ
 الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١١﴾
 وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ
 عَجُولًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحْوَا آيَةٍ

وجوهكم المهزومة والحزبي والعار بعد التكبر
 والافتخار **﴿وليدخلوا المسجد كما دخلوه
 أول مرة وليتبرأوا﴾** أي يدمروا ويهلكوا
﴿ما علوا﴾ أي ما غلبوا عليه من بلادكم
 أو مدة عدوهم **﴿تتبرأ﴾** أي تدميرا
 [ويقول بعض العلماء: إن المرة الثانية
 هي هذه التي حصلت في هذا العصر.
 وأن التتبرأت بوسائل من جهة العدو
 كالتطائرات وغيرها والله أعلم].

٨ **﴿عسى ربكم أن يرحمكم﴾** يا بني
 إسرائيل بعد انتقامه منكم في المرة الثانية
﴿وإن عذمت﴾ للشالشة **﴿عدنا﴾** إلى

أموالكم، وسبي أبنائكم **﴿وجعلناكم
 أكثر نفيرا﴾** أكثر من عدوكم في عدد
 رجال الحرب الذين يخرجون للقتال.

٧ **﴿إن أحسنتم﴾** أي أفعالكم وأقوالكم
 على الوجه المطلوب منكم **﴿أحسنتم
 لأنفسكم﴾** لأن ثواب ذلك عائد إليكم
﴿وإن أسأتم﴾ أفعالكم وأقوالكم **﴿فلها﴾**
 أي فقد أسأتم لأنفسكم لا لغيرها **﴿فإذا
 جاء وعد الآخرة﴾** أي حضر وقت ما
 وعدوا من عقوبة المرة الثانية **﴿ليسوءوا
 وجوهكم﴾** نقوهم عليكم ليفعلوا بكم ما
 تظهر به عليكم آثار المساءة، ويتبين في

عقوبتكم **﴿وجعلنا جهنم للكافرين
 حصيرا﴾** الحصار المحبس، فيحصرون فيها
 ولا يتخلصون عنها أبدا.

٩ **﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي
 أقوم﴾** وهي ملة الإسلام التي هي أقوم
 الحالات، وهي توحيد الله والإيمان برسله
﴿ويبشر المؤمنين﴾ بما اشتمل عليه من
 الوعد بالخير آجلا وعاجلا **﴿الذين
 يعملون الصالحات﴾** التي أرشد إلى
 عملها القرآن **﴿أن لهم أجرا كبيرا﴾**.

١٠ **﴿وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾**
 وأحكامها المبينة في القرآن **﴿أعدنا لهم
 عذابا أليما﴾** وهو عذاب النار.

١١ **﴿ويدع الإنسان بالشر﴾** وهو دعاء
 الرجل على نفسه وولده عند الضرر بما
 لا يحب أن يستجاب له **﴿دعاه بالخير﴾**
 أي مثل دعائه لربه بالخير لنفسه ولأهله،
 كطلب العافية والرزق ونحوهما، فلو
 استجاب الله دعاه على نفسه بالشر
 هلك، لكنه لم يستجب تفضلا منه ورحمة
﴿وكان الإنسان عجولا﴾ أي مطبوعا
 على العجلة، ومن عجلته أنه يسأل الشر
 كما يسأل الخير.

١٢ **﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين﴾** لا
 فيها من [الاختلاف بالطول والقصر، من
 يوم في السنة إلى يوم، ومن مكان على
 الأرض إلى مكان، واختلافها بالحرارة
 والبرودة] والإظلام والإنارة، مع تعاقبها،
 فها لمن تفكر في عجب صنعهما يدلان
 على وجود الصانع وقدرته **﴿فمحوا آية
 الليل﴾** أي الآية التي هي الليل نفسه.
 وقيل: آية الليل هي القمر. أي طمسنا
 نورها، والمراد أنه خلقها محموة الضوء
 مطموسة **﴿وجعلنا آية النهار عبسرة﴾** أي
 جعل سبحانه النهار مضيئا تبصر فيه
 الأشياء **﴿لتبتغوا فضلا من ربكم﴾** أي
 لتتوصلوا بضيء النهار إلى التصرف في
 وجوه المعاش، أي وجعل الليل ليسكنوا فيه.

الَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ
وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ
تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَبْعَهُ فِي عُنُقِهِ
وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ أَقْرَأْ
كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مِّنْ أَهْتَدَىٰ
فَلِئَنَّمَا يَهْتَدِيَ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَلِئَنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا
وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ
رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا
فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾
وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ
عِبَادِهِ ۖ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ جُمِعْنَا
لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا

﴿ولتعلموا عدد السنين والحساب﴾ إذ لا يكون علم عدد السنين وحساب الشهور والأيام، إلا باختلاف الليل والنهار [فقلنا القول الأول في تفسير آية الليل لا يكون للقمر ذكر، وتكون السنون هي الشمسية. وعلى الثاني هي القمرية] **﴿وكل شيء فصلناه تفصيلاً﴾** أي كل [ما أراد الله بيانه لكم من أمر دينكم].

١٣ ﴿وكل إنسان أزرناه طبعه﴾ الطائر عند العرب: الحظ، ويقال له البخت [وأصله أنهم كانوا يتطيطرون، بمرور الطيور، ويزعمون أنهم يعرفون الخير والشر منها. فيبين الله تعالى في هذه الآية أن حظ الإنسان معه بصلاح قلبه وفعله أو فسادهما، ولا علم للطير بذلك] **﴿ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً﴾** فيه ذكر أعماله الصالحة وأعماله الخبيثة، تعجيلاً للبشرى بالحسنة وللتوبيخ على السيئة.

١٤ ﴿اقرأ كتابك﴾ قيل: يقرأ ذلك الكتاب من كان قارئاً، ومن لم يكن قارئاً **﴿كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾** الحسيب بمعنى المحاسب [أي كل إنسان يستطيع بالنظر في ذلك الكتاب أن يعرف النتيجة وبحسبها، ولا يحتاج إلى من يعينه في ذلك].

١٥ ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ لا تحمل نفس حاملة للوزر وزر نفس أخرى، بل يحمل كل إنسان وزر نفسه لا يحمله عنه أحد **﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾** وهذا من عدل الله تعالى، ثم قد قيل: من مات من أهل الفترة أو مات صغيراً يختبر في عرصات القيامة، فلا يعذب الله عباده إلا بعد الإعذار إليهم بإرسال رسله، وإنزال كتبه، ولا يؤاخذهم قبل إقامة الحجة عليهم.

١٦ ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها﴾ أي أمرناهم بالطاعة والخير فعصوا وفعلوا الشر، وقيل: معنى أمرنا مترفيها: أكثرنا فساقها **﴿مترفيها﴾** المترفين هم المنعمون الذين قد أبطرتهم النعمة وسعة العيش، وهم الجبارون المتسلطون، والملوك الجائرون [والأغنياء الفاجرون].

١٧ ﴿وكم أهلكنا من القرون﴾ أي الأمم **﴿من بعد نوح﴾** كعاد وثمود **﴿خبيراً بصيراً﴾** لا تخفى عليه منها خافية.

١٨ ﴿من كان يريد العاجلة﴾ المنفعة العاجلة أو الدار العاجلة، أي: من كان يريد بأعمال البر أو بأعمال الآخرة ذلك **﴿عجلنا له فيها﴾** أي في تلك العاجلة **﴿مانشأ﴾** نحن، لا ما يشاءه ذلك المريد **﴿لمن نريد﴾** أي لمن نريد التعجيل له منهم، فلا يحصل لمن أراد العاجلة ما يشاءه إلا إذا أراد الله له ذلك [فكم من عامل لها ناصب يموت بحسرتة عليها] **﴿ثم جعلنا له جهنم﴾** بسبب تركه لما أمر به من العمل للآخرة وإخلاصه عن الشوائب **﴿بصلاها﴾** أي يدخلها **﴿مذموماً مدحوراً﴾** أي مطروداً من رحمة الله مبعداً عنها.



مَذْمُومًا مَذْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا
سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾
كُلًّا نُمِدُّ هُتُولَاءَ وَهَؤُلَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ
عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ
عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾
لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ۚ آخَرَ فَتَقَعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾
* وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا
إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ
لَهُمَا آفٌ وَلَا تُنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾
وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا
كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ
إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾

جامعا بين الأمرين: الذم لك من الله
ومن ملائكته، ومن صالحى عباده،
والخذلان لك منه سبحانه.

٢٣ ﴿وقضى ربك﴾ أي أمر أمرا جزما
بإفراده بالعبادة ﴿وبالوالدين إحسانا﴾
أي وقضى بأن تحسنوا بالوالدين إحسانا،
ثم خص سبحانه حالة الكبر بالذكر،
لكونها إلى البر من الولد أحوج من غيرها
فقال ﴿إما يبلغن﴾ أي إن بلغ ﴿عندك
الكبر أحدهما أو كلاهما﴾ عندك أي في
كنفك وكفالتك ﴿فلا تقل لهما أف﴾
وهي كلمة تنبئ عن التضجر
والاستثقال، أو صوت ينبئ عن ذلك،
فنهى الولد عن التضجر من أبويه، أو
الاستثقال لهما ﴿ولا تنهرهما﴾ النهر: الزجر
والغلظة. أي لا تكلمهما ضجرا صائحا في
وجوههما ﴿وقل لهما﴾ بدل التأنيف والنهر
﴿قولا كريما﴾ أي: لينا لطيفا، أحسن ما
يمكن التعبير عنه من لطف القول
وكرامته، مع التأدب والحياء
والاحتشام.

٢٤ ﴿واخفض لهما جناح الذل من
الرحمة﴾ أصله أن الطائر إذا أراد ضم
فراخه إليه للتربية خفض لهما جناحه،
فكانه قال للولد: اكفل والدك بأن
تضمهما إلى نفسك، كما فعلا ذلك بك في
حال صغرك ﴿وقل رب ارحمهما كما
ربياني صغيرا﴾ أي رحمة مثل تربيتها لي
أو لأجل تربيتها لي.
٢٥ ﴿ربكم أعلم بما في نفوسكم﴾ أي
بما في ضمائركم من الإخلاص وعدمه في
كل الطاعات، ومن البر بالوالدين
والعقوق لهما ﴿إن تكونوا صالحين﴾ فلا
يضركم ما وقع من الذنب الذي تبتم
عنه ﴿فإنه كان للأوابين غفورا﴾ أي
الرجاعين عن الذنوب إلى التوبة، فن
تاب تاب الله عليه.

عطاء ربك﴾ بمحض التفضل ﴿وما كان
عطاء ربك محظورا﴾ أي ممنوعا.
٢١ ﴿انظر كيف فضلنا بعضهم على
بعض﴾ فن غني وفقير، وقوي وضعيف،
وصحيح ومريض، وذلك لحكمة بالغة
تقصر العقول عن إدراكها ﴿وللآخرة
أكبر درجات وأكبر تفضيلا﴾ أي إن
التفاضل في الآخرة ودرجاتها بين المؤمنين
والكفار - فوق التفاضل في الدنيا
ومراتب أهلها فيها من بسط وقبض
ونحوهما.
٢٢ ﴿فتقعد مذموما مخذولا﴾ أي فتصير

١٩ ﴿ومن أراد الآخرة﴾ أي أراد
بأعماله الدار الآخرة ﴿وسعى لها سعيها﴾
أي السعي اللائق بطالها على القانون
الشرعي، من دون ابتداء ولا هوى ﴿وهو
مؤمن﴾ بالله إيمانا صحيحا ﴿فأولئك
كان سعيهم مشكورا﴾ عند الله: أي
مقبولا غير مردود.
٢٠ ﴿كلا نمد هؤلاء وهؤلاء﴾ أي كل
واحد من الفريقين نزيده من عطائنا على
تلاحق من غير انقطاع، نرزق المؤمنين
والكفار، وأهل الطاعة وأهل المعصية، لا
تؤثر معصية العاصي في قطع رزقه ﴿ومن

وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ
تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ
الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تَعْرِضْ عَنْهُمْ أَبْتِغَاءَ
رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا ﴿٢٨﴾
وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ
الْبَسِطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ
لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾
وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا لَكُمْ تَنْحُنُّ نَزْقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ
إِنْ قَتَلْتُمْ كَانَتْ خَطَاةً كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ إِنَّهُ
كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي
حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ
سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿٣٣﴾

٢٦ ﴿وَأَتِذَا الْقُرْبَى﴾ أي أعط قريبك من النسب حقه، وهو صلة الرحم التي أمر الله بها، بما تبلغ إليه القدرة وحسبها يقتضيه الحال **﴿والمسكين﴾** هو الفقير العاجز عن الكسب **﴿وابن السبيل﴾** هو المنقطع في سفره. والمراد التصدق عليهم من صدقة النفل، أو من صدقة الفرض **﴿ولا تبذر تبذيرا﴾** وهو الإسراف المذموم في الحلال لمجاوزته للحد المستحسن شرعا في الإنفاق، ومنه الإنفاق في غير الحق وإن كان يسيرا.

٢٧ ﴿إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين﴾ والإسراف في الإنفاق من الشيطان، فإذا فعله أحد فقد أطاع الشيطان واقتدى به **﴿وكان الشيطان لربه كفورا﴾** لا يعمل إلا شرا، ولا يأمر إلا بعمل الشر، فالمبذر كفور.

٢٨ ﴿وإما تعرضن عنهم﴾ عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل لأمر اضطررك إلى ذلك الإعراض **﴿ابتغاء رحمة من ربك﴾** أي لفقد رزق من ربك، وترجو أن يفتح الله به عليك **﴿فقل لهم قولا ميسورا﴾** أي قولا سهلا لينا، كالوعد الجميل، أو الاعتذار المقبول.

٢٩ ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط﴾ حال الشحيح كحال من كانت يده مربوطة في رقبته لا يستطيع التصرف بها **﴿فتقعده ملوما﴾** عند الناس بسبب ما أنت عليه من الشح، أو **﴿محسورا﴾** بسبب ما فعلته من الإسراف: أي منقطعا عن المقاصد بسبب الفقر، [وفي الآية رد على كل من قال: ينفق الإنسان كل ماله، ولا يدخر شيئا لغدا].

٣٠ ﴿إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ أي يوسع على بعض ويضيقه على بعض لحكمة بالغة **﴿خبيرا بصيرا﴾** لا يخفى عليه من ذلك خافية.

٣١ ﴿خشية إملاق﴾ نهاهم سبحانه أن

يقتلوا أولادهم خشية الفقر، وقد كانوا يفعلون ذلك **﴿نحن نرزقهم وإياكم﴾** ولستم لهم برازقين حتى تصنعوا بهم هذا الصنع **﴿خطئا كبيرا﴾** أي إثما كبيرا. **٣٢ ﴿ولا تقربوا الزنى﴾** بمباشرة مقدماته، وهو نهى عنه بالأولى **﴿إنه كان فاحشة﴾** أي متبالغا في القبح مجاوزا للحد **﴿وساء سبيلا﴾** لأنه يؤدي إلى النار، ويفضي إلى اختلاط الأنساب. **٣٣ ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله﴾** التي جعلها معصومة بعصمة الدين، أو عصمة العهد **﴿إلا بالحق﴾** وهو ما يباح به قتل الأنفس، كالردة، والزنى من المحسن، وكالقصاص من القاتل عمدا عدوانا **﴿ومن قتل مظلوما﴾** لا بسبب من الأسباب المسوغة لقتله شرعا **﴿فقد جعلنا لولييه﴾** أي لمن يلي أمره من ورثته، والسلطان: التسلط على القاتل: إن شاء قتل، وإن شاء عفا، وإن شاء أخذ الدية **﴿فلا يسرف في القتل﴾** يمثل بالقاتل أو يعذبه [أو يقتل غير القاتل] **﴿إنه كان منصورا﴾** أي مؤيدا معانا، يعني الولي، فإن الله أمر أهل الولايات بمعونته والقيام بحقه حتى يستوفيه.

وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ
 أَشُدَّهُ ۖ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۖ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾
 وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ
 خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ
 عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ
 مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۚ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ
 الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ
 سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ
 رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ۚ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُنَلِّقَ
 فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ
 وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾
 وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ

٣٤ ﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن﴾ النهي عن قربان مال اليتيم مبالغة في النهي عن المباشرة له بإتلافه، أو بما يفسده، ولكن يباشره الولي بالخصلة ﴿التي هي أحسن﴾ وهي حفظه وطلب الربح فيه [والإنفاق على اليتيم منه دون إسراف] ﴿حتى يبلغ أشده﴾ فإذا بلغ اليتيم أشده ورشد، كان لكم أن تدفعوه إليه، أو تتصرفوا فيه بإذنه ﴿وأوفوا بالعهد﴾ قوموا بحفظه على الوجه الشرعي، والقانون المرضي، إلا إذا دل دليل خاص على جواز النقص.

٣٥ ﴿وأوفوا الكيل إذا كلتم﴾ أي أتموا الكيل ولا تخسروه ﴿وزنوا بالقسطاس المستقيم﴾ القسطاس: هو الميزان الذي توزن به البضائع، ومنه القبان وموازين الذهب وغيرها، والمستقيم: الذي لا يخس ولا يزيد، وقيل: هو العدل نفسه، وهي لغة الروم ﴿ذلك﴾ وهو إيفاء الكيل والوزن ﴿خير﴾ لكم عند الله وعند الناس، ينتج عنه حسن الذكر، وترغيب الناس في معاملة من كان كذلك ﴿وأحسن تأويلاً﴾ أي أحسن عاقبة.

٣٦ ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾

نهي عن أن يقول الإنسان ما لا يعلم، أو يعمل بما لا علم له به، كذم الناس بغير علم، وقذفهم، واتباع الحدس والظنون ﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا﴾ يسأل صاحبها عما استعملها فيه، لأنها آلات، فإن استعملها في الخير استحق الثواب، وإن استعملها في الشر استحق العقاب، وقيل: إن الله سبحانه يُنطق الأعضاء هذه عند سؤالها، فتخبر عما فعله صاحبها.

٣٧ ﴿ولا تمش في الأرض مرحاً﴾ المرح: الخيلاء والفخر ﴿إنك لن تخرق الأرض﴾ بمشيك عليها تكبراً، وفيه تهكم بالمختال المتكبر ﴿ولن تبلغ الجبال طولا﴾ أي ولن تبلغ قدرتك إلى أن تطاول الجبال حتى يكون عظم جثتك حاملاً لك على الكبر والاختيال.

٣٨ ﴿كل ذلك كان سيئاً عند ربك مكروهاً﴾ أي إن المنهي عنه من الخصال المتقدم ذكرها، فإن الله يكرهه ويبغضه ولا يرضاه.

٣٩ ﴿ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة﴾ الإشارة إلى ماتقدم ذكره وهي خمسة وعشرون تكليفاً، مما أوحى إليك ربك من الأحكام المحكمة التي لا يتطرق إليها الفساد ﴿ولا تجعل مع الله إلهاً آخر﴾ كسر النهي عن الشرك تأكيداً وتقريراً، وتنبيهاً على أن التوحيد رأس خصال الدين وعمدته ﴿فتلق في جهنم ملوماً مدحوراً﴾ موبخاً مطروداً.

٤٠ ﴿أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثاً﴾ وهو خطاب للكفار القائلين بأن الملائكة بنات الله. أي: هل فضلكم على نفسه فخصكم بالذكور من الأولاد، وجعل لنفسه الإناث منهم ﴿إنكم لتقولون قولا عظيماً﴾ بالغاً في العظم والجراءة على الله إلى مكان لا يقادر قدره.

إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ إِيَّاهُ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا
لَا يَبْتَغُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ
عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ
وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ
وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾
وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً
أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ
فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ
بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ
إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٤٧﴾
أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ

٤١ ﴿ولقد صرفنا في هذا القرآن﴾ أي بينا ضروب القول فيه من الأمثال وغيرها، أو كررنا فيه ﴿ليذكروا﴾ أي ليتعظوا ويتدبروا بعقولهم ويتفكروا فيه حتى يقفوا على بطلان ما يقولونه ﴿وما يزيدهم إلا نفورا﴾ تباعدا عن الحق، وغفلة عن النظر في الصواب.

٤٢ ﴿قل لو كان معه آله كما يقولون﴾ الخطاب للقائلين بأن مع الله آله أخرى ﴿إذن لا بتغوا إلى ذي العرش﴾ وهو الله سبحانه ﴿سبيلا﴾ طريقا للمغالبة والممانعة، كما تفعل الملوك بعضهم مع البعض من المقاتلة والمصالحة.

٤٣ ﴿سبحانه﴾ التسبيح التنزيه ﴿وتعالى﴾ تباعد ﴿عما يقولون﴾ من الأقوال الشنيعة والفرية العظيمة ﴿علوا﴾ أي تعاليا.

٤٤ ﴿تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن﴾ من مخلوقاته الذين لهم عقول، وهم الملائكة والإنس والجن، وغيرهم من الأشياء التي لا تعقل ﴿وان من شيء إلا يسبح بحمده﴾ فشم كل ما يسمى شيئا، كائنا ما كان، لأن كل مخلوق يشهد بأن الله خالق قادر. وقالت طائفة: هذا التسبيح على حقيقته، تنطق به الأشياء، ولكن البشر لا يسمعون ذلك ولا يفهمونه. أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «قرصت نملة نبيا من الأنبياء، فأمر بقريته النمل فأحرقت، فأوحى الله إليه: من أجل نملة واحدة أحرقت أمة من الأمم تسبح؟» ﴿ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ لا تفهمون ما تقول الجمادات، وقيل: الخطاب للكفار الذين يعرضون عن الاعتبار ﴿إنه كان حلما غفورا﴾ فن حلمه الإمهال لكم، ومن مغفرته لكم أنه لا يؤاخذ من تاب منكم.

٤٥ ﴿حجابا مستورا﴾ أي: إنهم لإعراضهم عن قراءتك وتغافلهم عنك كمن بينك وبينه حجاب ساتر يمنعهم من السماع.

٤٦ ﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة﴾ أغطية ﴿أن يفقهوه﴾ أي لشلا يفقهوه ﴿وفي آذانهم وقرا﴾ أي صمما وثقلا ﴿وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده﴾ غير مشفوع بذكر آلهتهم ﴿ولوا على أدبارهم نفورا﴾ أعطوك ظهورهم لئلا يسموا.

٤٧ ﴿نحن أعلم بما يستمعون به﴾ من الاستخفاف بك وبالقرآن واللغو في ذكرك لربك وحده ﴿وإذ هم نجوى﴾ ونحن أعلم بما يتناجون به فيما بينهم وقت تناجيهم، بالكذب والاستهزاء ﴿إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا﴾ مسحورا سحر فاختلط عقله، وزال عن حد الاعتدال.

٤٨ ﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال﴾ أي قالوا تارة إنك كاهن، وتارة ساحر، وتارة شاعر، وتارة مجنون ﴿فضلوا﴾ عن طريق الصواب في جميع ذلك ﴿فلا يستطيعون سبيلا﴾ إلى الهدى، أو إلى الطعن الذي تقبله العقول ويقع التصديق له.



سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرَفَتًا أَوْنَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ * قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ ۖ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ﴿٥٣﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِنَّ يَسَاءَ يَرْحَمُكُمْ أَوْ إِنَّ يَسَاءَ يُعَذِّبُكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ

﴿فتستجيبون بحمده﴾ أي متقادين له حامدين ﴿وتظنون إن لبثتم﴾ في قبوركم ﴿إلا﴾ زمنا ﴿قليلًا﴾ تحققت الدنيا في أعينهم، وقلت حين رأوا أهوال يوم القيامة.

٥٣ ﴿وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن﴾ أي: قل يا محمد لعبادي المؤمنين أمراً لهم أن يقولوا عند محاورتهم للمشركين الكلمة التي هي أحسن من غيرها من الكلام الحسن - لأن الخاشنة لهم ربما تنفر عن الإجابة، وقيل: يقول بعض المؤمنين لبعض أحسن الكلام ولا يقولون سيئه ﴿إن الشيطان ينزع بينهم﴾ إذا قيلت الكلمة السيئة، أي بالفساد وإلقاء العداوة والإغراء ﴿إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبيناً﴾ أي متظاهراً بالعداوة مكاشفاً بها.

٥٤ ﴿ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم أو إن يشأ يعذبكم﴾ قيل: هذا خطاب للمشركين، والمعنى: إن يشأ الله يوفقكم للإسلام فيرحمكم، أو يمتكهم على الشرك فيعذبكم ﴿وما أرسلناك عليهم وكيلاً﴾ أي ما وكلناك في منعهم من الكفر، وقسرهم على الإيمان.

٥٥ ﴿وربك أعلم بمن في السماوات والأرض﴾ أعلم بهم ذاتاً وحالاً واستحقاقاً ﴿ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض﴾ كما اتخذ الله إبراهيم خليلاً، وموسى كليلاً، وجعل عيسى كلمته وروحه، وجعل لسليمان ملكاً عظيماً، وغفر لمحمد ﷺ ما تقدم من ذنبه وما تأخر ﴿وآتينا داود زبوراً﴾ هو الكتاب الذي أعطاه الله داود، ويسمى: مزامير داود، وكله كان مواعظ وأذكارا. عن قتادة قال: كنا نحدث أنه دعاء غُلَّمة داود، وتحميد وتمجيد لله عز وجل، ليس فيه حلال ولا حرام ولا حدود.

٤٩ ﴿وقالوا أنذا كنا عظاما ورفاتا﴾ الرفات: ما تكسر وبلى من كل شيء، فيكونون رفاتاً بعد موتهم وبلى أجسادهم، وقيل: الرفات هو التراب ﴿أأننا لمبعوثون﴾ خلقاً جديداً الاستفهام: للاستنكار والاستبعاد.

٥٠ ﴿قل كونوا حجارة أو حديدا﴾ معناه: لو كنتم حجارة أو حديدا لأعادكم الله كما بدأكم، ولأماتكم ثم أحياكم كما خلقكم أول مرة.

٥١ ﴿أو خلقا مما يكبر في صدوركم﴾ أي يعظم عندكم، مما هو أكبر من

الحجارة والحديد مبالغة للحياة، فإنكم مبعوثون لا محالة ﴿فسيقولون من يعيدنا﴾ إلى الحياة بعد أن نصير رفاتاً، أو حجارة، أو حديداً ﴿قل الذي فطركم أول مرة﴾ أي يعيدكم الذي خلقكم واختراعكم عند ابتداء خلقكم من غير مثال سابق ولا صورة متقدمة ﴿فسينغضون إليك رؤوسهم﴾ أي: يحركونها استهزاء ﴿ويقولون متى هو﴾ أي البعث والإعادة ﴿قل عسى أن يكون قريبا﴾ أي هو قريب، وكل ما هو آت قريب.

٥٢ ﴿يوم يدعوكم﴾ الله إلى المحشر

زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ ۚ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا
تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمْ
الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ
إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ
مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ
كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ
بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ۚ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ
مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾
وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا
الرَّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ
فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾
وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ

٥٦ ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه﴾ أي ادعوا الذين زعمتم أنهم آلهة من دون الله ﴿فلا يملكون كشف الضر عنكم﴾ أي لا يستطيعون تحويله من حال إلى حال، وليس من عجز عن ذلك إلهاً. ٥٧ ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب﴾ أي: إن تلك المعبودات التي تدعونها من دون الله من الملائكة والمسيح ونحوهم، هم أنفسهم يرغبون إلى الله في طلب ما يقربهم إلى ربهم، ويتقربون إليه بالعمل الصالح، ويتنافسون ليعلموا أيهم أقرب إليه سبحانه بالطاعة والعبادة ﴿ويرجون رحمته﴾ كما يرجوها غيرهم ﴿ويخافون عذابه﴾ كما يخافه غيرهم ﴿إن عذاب ربك كان محذورا﴾ حقيق بأن يحذره العباد من الملائكة والأنبياء وغيرهم.

٥٨ ﴿وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة﴾ أي ما من قرية، أي قرية كانت من قرى الكفار، إلا سيهلكون: إما بموت، وإما بعذاب يستأصلهم قبل يوم القيامة ﴿كان ذلك﴾ المذكور من الإهلاك والتعذيب ﴿في الكتاب﴾ أي اللوح المحفوظ ﴿مسطورا﴾ أي مكتوبا.

٥٩ ﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون﴾ سأل أهل مكة رسول الله ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً، وأن ينحني عنهم جبال مكة، فأتاه جبريل، فقال: إن شئت كان ما سألتهم قومك، ولكنهم إن لم يؤمنوا لم يمهلوا، وإن شئت استأنيت بهم، فأنزل الله هذه الآية، أي: فإن أرسلناها وكذب بها هؤلاء عوجلوا ولم يمهلوا، كما هو سنة الله سبحانه في عباده ﴿وآتينا ثمود الناقة مبصرة﴾ [دالة على صدق صالح رأي العين] ﴿فظلموا بها﴾ أي فجحدها بها ﴿وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً﴾ أي:

وما نرسل المعجزات مع الرسل إلا تخويفاً للمكذبين لعلهم يؤمنون. ٦٠ ﴿وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس﴾ أي: إنهم في قبضته وتحت قدرته، وقيل: المراد بالناس أهل مكة، وإحاطته بهم: أن الله قادر عليهم، وسوف يمكنك من رقابهم فلا تستعجل لهم ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس﴾ هذه الرؤيا هي رؤيا عين وهي الإسراء، وهي المذكورة في صدر السورة. وسماها رؤيا لأنها وقعت بالليل، وكانت الفتنة ارتداد قوم كانوا أسلموا حين أخبرهم النبي ﷺ أنه أسري به، وقيل: كانت رؤيا نوم، وقيل: إن الله سبحانه أراه في المنام مصارع قريش في بدر ﴿والشجرة الملعونة في القرآن﴾ وهي شجرة الزقوم. والفتنة فيها أن أبا جهل وغيره قالوا: زعم صاحبكم أن نار جهنم تحرق الحجر، ثم يقول ينبت فيها الشجر. وروي أن أبا جهل أمر جارية فأحضرت تمراً وزبداء، وقال لأصحابه: تزقوا ﴿ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً﴾ أي نخوفهم بالآيات، فما يفيدهم إرسال الآيات إلا الزيادة في الكفر.

قَالَ أَتَجِدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا
الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَىٰ لَيْلٍ آخَرَتَيْنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا حَتَنَكَنَّ
ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ
فَلِإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَأَسْتَفْزِرُ مِنْ
أَسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِخَبْلِكَ وَرَجِلَكَ
وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ
الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ
سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ رَبُّكُمْ الَّذِي يُرْجِي
لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهٗ كَانَ بِكُمْ
رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ
إِلَّا إِلَٰهَهُ فَلَمَّا نَجَّيْكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ
كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنْتُمْ أَن يُخَسِّفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ

في غير حق، كالغصب والسرقة والربا. والمشاركة في الأولاد: دعوى الولد بغير سبب شرعي، وتحصيله بالزنى، وتسميتهم بعبد اللات وعبد العزى، ويدخل فيه ما قتلوا من أولادهم خشية إملاق، وواد البنات، وتصيير أولادهم على الملة الكفرية التي هم عليها **﴿وعدهم﴾** قال الفراء: قل لهم: لا جنة ولا نار، فاصنعوا ما بدالكُم، وعدهم بأنهم لا يعيشون.

٦٥ ﴿إِنْ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ يعني عباده المؤمنين **﴿وكفى ربك وكيلا﴾** يتوكلون عليه، فيدفع عنهم كيد الشيطان ويعصمهم من إغوائه.

٦٦ ﴿يُزْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ﴾ يسوق السفن ويسيرها **﴿لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾** لتتمكنوا من السفر في البلاد، وتحميل البضائع، فيحصل لكم من رزقه الذي تفضل به على عباده، أو من الربح بالتجارة **﴿إِنَّهٗ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾** فهذاكم إلى مصالح دنياكم.

٦٧ ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ﴾ يعني خوف الغرق **﴿ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ﴾** من الآلهة وذهب عن خواطرهم، ولم يوجد لإغاثتكم ما كنتم تدعون من دونه من صنم، أو جن، أو ملك، أو بشر **﴿إِلَّا إِلَٰهَهُ﴾** وحده، فإن كل واحد منهم يعلم بالفطرة علما لا يقدر على مدافعة أن الأصنام ونحوها لا فعل لها ولا تنفعه في تلك الحال **﴿فَلَمَّا نَجَّيْكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾** عن الإخلاص لله وتوحيده ورجعتم إلى دعاء أصنامكم والاستغاثة بها **﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾** أي كثير الكفران لنعمة الله.

٦٨ ﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَن يُخَسِّفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ﴾ والخسف أن تنهار الأرض بالشيء فحذرهم ما آمنوه من البحر.

أطاعك **﴿فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ﴾** أي جزاء إبليس ومن أطاعه **﴿جزاء موفورا﴾** أي وافرا مكملا.

٦٤ ﴿وَأَسْتَغْفِرُ مِنْ أَسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾ والمعنى: استخيفهم بصوتك داعيا لهم إلى معصية الله **﴿وأجلب عليهم بخيلك ورجلك﴾** أي صح عليهم بالفرسان [من قبيلك والمشاة ليعينوك على بني آدم] **﴿وشاركهم في الأموال والأولاد﴾** أما المشاركة في الأموال، فهي كل تصرف فيها يخالف وجه الشرع، سواء كان أخذا من غير حق، أو وضعا

٦٢ ﴿أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَيْلٍ آخَرَتَيْنِ﴾ أي: أخبرني عن هذا الذي فضله علي: لم فضله؟ وأنت قد خلقتني من نار وخلقته من طين **﴿لَا حَتَنَكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾** أي: لأستولين عليهم بالإغواء والإضلال كما يحثك الفرس، إذا جعل في فيه الرمن، أقسم اللعين هذا القسم لما ظنه من قوة نفوذ كيده في بني آدم، وأنه يجري منهم في مجاري الدم **﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾** وهم الذين عصمهم الله منه بقوله: (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان).

٦٣ ﴿قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ أي

﴿أَوْ يَرْسَلْ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ أي ريحا شديدة حاصبة، وهي التي ترمي بالحصى الصفار ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾ أي حافظا ونصيرا يمنعكم من بأس الله. ٦٩ ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى﴾ أي في البحر مرة أخرى بأن يقوي دواعيكم إلى ركوبه ﴿فَيُرْسِلْ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ﴾ القاصف: الريح الشديدة التي لها قصيف: أي صوت شديد ﴿فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ﴾ أي بسبب كفركم ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾ أي ثائرا يطالبنا بما فعلنا [بكم، فيأخذ بثأركم منا].

٧٠ ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ خلقهم على هذه الهيئة الحسنة، وميزهم بالنطق والعقل والتميز، وخصهم بما خصهم به من المطاعم والمشارب والملابس على وجه لا يوجد لسائر أنواع الحيوان مثله، وأكرمهم بتسليطهم على سائر الخلق، وتسخير سائر الخلق لهم، وأكرمهم بالكلام والخط والفهم، وأعظم خصال التكريم العقل ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرْ﴾ على الدواب وما يصنعونه من المراكب ﴿وَو﴾ في البحر ﴿على السفن﴾ و﴿رَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ أي لذيذ المطاعم والمشارب ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ فعلى بنى آدم أن يتلقوه بالشكر، ويحذروا من كفرانه. ٧١ ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ الإمام: هو الكتاب المنزل عليهم، فيدعى أهل التوراة بالتوراة، وأهل الإنجيل بالإنجيل، وأهل القرآن بالقرآن، فيقال: يا أهل التوراة. يا أهل الإنجيل. يا أهل القرآن ﴿فَنُ أَوْتِي كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ من أولئك المدعوين ﴿فَأُولَئِكَ يَفْرَهُونَ كِتَابَهُمْ﴾ الذي أوتوه ﴿وَلَا يَظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ أي لا ينقصون من أجورهم قدر فتيل، وهو القشرة التي في شق النواة.

عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلْ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ * وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أَوَّتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ

٧٢ ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ﴾ الدنيا ﴿أَعْمَى﴾ فاقد البصيرة، أي: أعمى القلب ﴿فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾ أعمى البصر. يعاقب بعمى البصر على عمى القلب، ويحتمل أن يراد أعمى القلب عن الحجة يوم القيامة. ٧٣ ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ﴾ قاربوا أن يخدعوك فقالوا: تعال فتمسح آهتنا، وندخل معك في دينك، فأوحى الله إليه (وإن كادوا ليفتنونك) الآية، وذلك لأن في إعطائهم ما سألوه مخالفة لحكم القرآن، واقتراء على الله سبحانه من ٧٤ ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ﴾ الدنيا ﴿أَعْمَى﴾ فاقد البصيرة، أي: أعمى القلب ﴿فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾ أعمى البصر. يعاقب بعمى البصر على عمى القلب، ويحتمل أن يراد أعمى القلب عن الحجة يوم القيامة. ٧٣ ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ﴾ قاربوا أن يخدعوك فقالوا: تعال فتمسح آهتنا، وندخل معك في دينك، فأوحى الله إليه (وإن كادوا ليفتنونك) الآية، وذلك لأن في إعطائهم ما سألوه مخالفة لحكم القرآن، واقتراء على الله سبحانه من ٧٤ ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ﴾ الدنيا ﴿أَعْمَى﴾ فاقد البصيرة، أي: أعمى القلب ﴿فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾ أعمى البصر. يعاقب بعمى البصر على عمى القلب، ويحتمل أن يراد أعمى القلب عن الحجة يوم القيامة.



الْحَيَوَةُ وَضَعَفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْهَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾
وَأِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا
وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَنْ قَدْ
أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾
أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ
الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ
فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا
مَحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مَدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي
مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴿٨٠﴾
وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ
زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ
وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى

٧٩ ﴿ومن الليل فتجد به﴾ التهجد:

الصلاة بالليل بعد النوم ﴿نافلة لك﴾
زائدة على الفرائض، قيل: كانت صلاة
الليل فريضة في حقه ﷺ ولأمته تطوع
﴿عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودا﴾
هو المقام الذي يقومه النبي ﷺ للشفاعة
يوم القيامة للناس ليرحمهم ربهم سبحانه
بما هم فيه، فيحمده على ذلك المقام أهل
المحشر، ويبيده لواء الحمد.

٨٠ ﴿وقل رب أدخلني مدخل صدق

وأخرجني مخرج صدق﴾ قيل: نزلت

حين أمر النبي ﷺ بالهجرة، يريد: إدخال

المدينة والإخراج من مكة، إدخال عز

وإخراج نصر ﴿واجعل لي من لَدُنْكَ

سلطانا نصيرًا﴾ أي حجة ظاهرة قاهرة

تنصرفي بها على جميع من خالفني، وقيل

أمر أن يسأل ربه سلطة ودولة دنيوية

قوية يكون له بها عز [ليرفع شأن الدين

وينصره، فجعل له دولة بالمدينة].

٨١ ﴿وقل جاء الحق﴾ ما وعد الله نبيه

من ظهور وانتصار الإسلام ﴿وزهق

الباطل﴾ بقل الشرك واضمحَلَّ. وأخرج

البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود

قال «دخل النبي ﷺ مكة وحول البيت

ستون وثلاثمائة نصب فجعل يطعن بها يعود

في يده ويقول ﴿جاء الحق وزهق

الباطل إن الباطل كان زهوقا﴾.

٨٢ ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء

للقلوب بزوال الجهل عنها وذهاب الريب

والشبه والضلال ﴿ورحمة للمؤمنين﴾ لما

فيه من العلوم النافعة المشتملة على ما فيه

صلاح الدين والدنيا، ولما في تلاوته

وتدبره من الأجر العظيم، ومغفرة الله

ورضوانه ﴿ولا يزيد﴾ القرآن ﴿الظالمين﴾

الذين وضعوا التكذيب موضع التصديق

﴿إلا خساراً﴾ أي هلاكاً، لأن سماع

القرآن يغيظهم ويحنقهم، ويدعوهم إلى

زيادة ارتكاب القبائح تمرداً فيهلكون.

﴿ثم لا تجد لك علينا نصيرًا﴾ ينصرك
فيدفع عنك هذا العذاب.

٧٦ ﴿وإن كادوا ليستفزونك﴾ قاربوا

أن يزججوك من أرض مكة لتخرج عنها،

ولكنه لم يقع ذلك منهم، بل منعهم الله

منه حتى هاجر بأمر ربه بعد أن هموا به

﴿وإذا لا يلبثون خلافاً﴾ أي لا يبقون

بعد إخراجك ﴿إلا﴾ زمناً ﴿قليلاً﴾

٧٧ ﴿سنة من قد أرسلنا قبلك من

رسلنا﴾ أنهم إذا أخرجوا نبيهم من بين

أظهرهم أو قتلوه ينزل العذاب بهم ﴿ولا

تجد لسنننا تحويلاً﴾ أي ما أجرى الله به

العادة لم يتمكن أحد من تحويله ولا يقدر

على تغييره.

٧٨ ﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس﴾

أي عند زوال الشمس عن كبد السماء،

وهي صلاة الظهر ﴿إلى غسق الليل﴾

الغسق: اجتماع الليل وظلمته، والمراد:

صلاتا المغرب والعشاء ﴿وقرآن الفجر﴾

أي وأقم قرآن الفجر، والمراد: صلاة

الصبح، والصبح تطول فيها القراءة ﴿إن

قرآن الفجر كان مشهودا﴾ أي تشهد

ملائكة الليل وملائكة النهار، كما ورد

ذلك في الحديث الصحيح.

الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَعَا بِجَانِبِهِ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ
يَئُوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ ۖ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ
بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ
الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾
وَلَيْنِ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ
بِهِ ۖ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُ
كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُلْ لَّيْنِ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ
عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ
بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا
الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾
وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴿٩٠﴾
أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ

٨٣ ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ بالنعم التي توجب الشكر، كالصحة والغنى
﴿أَعْرَضَ﴾ عن الشكر لله والذكر له
﴿وَنَعَا بِجَانِبِهِ﴾ يلوي عنه عطفه، ويولي ظهره، فلا يكون منه إلا التكبر والبعد بنفسه عن القيام بحقوق النعم ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ من مرض أو فقر ﴿كَانَ يَئُوسًا﴾ شديد القنوط من رحمة الله: إن ظفِرَ بالمقصود نسي المعبود، وإن فاته استولى عليه الأسف، وغلب عليه القنوط، وكلتا الخصلتين قبيحة.

٨٤ ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ كل إنسان يعمل على ما يشاكل أخلاقه التي ألفها ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾ أي فهو الذي يميز بين المؤمن الذي لا يعرض عند النعمة ولا يياس عند المحنة، وبين الكافر الذي شأنه البطر للنعم والقنوط عند النقم.

٨٥ ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ أي: عن حقيقتها وكيفية، وهي الروح التي يعيش بها الإنسان، خَلَقَهَا اللهُ ولم يطلع على حقيقتها أحداً ﴿مَنْ أَمْرُ رَبِّي﴾ قد استأثر بعلمها، ولم يطلع عليها أنبياءه ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي إن علمكم الذي علمكم الله قليل.

٨٦ ﴿وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ معناه: لو شئنا لمحوناه من القلوب ومن الكتب، حتى لا يوجد له أثر ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ﴾ أي بالقرآن إذا ذهبنا به عنك وأنسيناك إياه ﴿عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾ أي لا تجد من يتوكل علينا في رد شيء منه.

٨٧ ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ لكن لا نشاء ذلك رحمة من ربك ﴿إِنْ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾ حيث جعلك رسولا، وأنزل عليك الكتاب، وصيرك سيد ولد آدم، وأعطاك المقام المحمود، وغير ذلك مما أنعم به عليه.

٨٨ ﴿بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ﴾ المنزل من عند

الله في كمال البلاغة وحسن النظم وجزالة اللفظ ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ لأن المخلوق يعجز عن مثل ما يأتي به الخالق ﴿وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ أي عوناً ونصيراً.

٨٩ ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ أي رددنا القول فيه بكل مثل يوجب الاعتبار من الآيات والعبر، والترغيب والترهيب، والأوامر والنواهي، وأقاصيص الأولين، والجنة والنار والقيامة [وكررتنا معانيه على وجوه مختلفة متباينة لعلهم يؤمنون، فيؤثر في

الكافر بعض الوجوه إن لم يؤثر فيه البعض الآخر] ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ بل جحدوا وأنكروا كون القرآن كلام الله بعد قيام الحجة عليهم.

٩٠ ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ﴾ أي قال رؤساء مكة ﴿حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ أي ينبوع: عين الماء إذا كانت غزيرة من شأنها النبع من غير انقطاع.

٩١ ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ﴾ أي بستان تستر أشجاره أرضه ﴿فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ﴾ أي تجريها بقوة ﴿خِلَافًا﴾ أي وسطها ﴿تَفْجِيرًا﴾ كثيراً.

خَلَّلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا
كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ
بَيْتٌ مِّن زُخْرِفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ
حَتَّى تُنْزَلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرُؤُهُ ۚ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ
كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ
جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٤﴾
قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا
عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا
بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾
وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۖ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ
أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ ۚ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ
عُتْمًا وَّيُبَكِّمُهُمْ وَيُصَمِّمُهُم مَّا وَنَهُم جَهَنَّمَ كُلًّا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ

قولهم **«أبعث الله بشراً رسولا»** وهو إنكار أن يكون الرسول من جنس البشر.

٩٥ «قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين» أي: لو وجد في الأرض بدل من فيها من البشر ملائكة يمشون على الأقدام كما يمشى الإنس مطمئنين مستقرين فيها **«لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا»** حتى يكون من جنسهم [أي وليس من الحكمة أن نرسل إليهم حينئذ بشرا].

٩٦ «قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم» على إبلاغي إليكم ما أمرني به من أمور الرسالة، وقيل المراد: أن إظهار المعجزة على وفق دعوى النبي شهادة من الله له على الصدق **«إنه كان بعباده خبيرا بصيرا»** أي عالما بجميع أحوالهم، محيطا بظواهرها وبواطنها.

٩٧ «ومن يهد الله فهو المهتد» إلى الحق **«ومن يضلل»** أي يرد إضلاله **«فلن تجد لهم أولياء»** ينصرونهم **«من دونه»** سبحانه، ويهدونهم إلى الحق الذي أضلهم الله عنه **«ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم»** عبارة عن الإسراع بهم إلى جهنم، وقيل: إنهم يسحبون يوم القيامة على وجوههم حقيقة، كما يفعل في الدنيا بمن يبالغ في إهائته وتعذيبه **«وعصيا وبكا وصها»** يبعثون في أقبح صورة، وأشنع منظر، قد جمع الله لهم بين عمى البصر، وعدم النطق، وعدم السمع. أخرج البخاري ومسلم وغيرها عن أنس قال: «قيل يا رسول الله: كيف يحشر الناس على وجوههم؟ قال: الذي الذي أمشاهم على أرجلهم قادر أن يمشيهم على وجوههم» **«وأواهم جهنم»** أي المكان الذي يأوون إليه **«كلما خبت زدناهم سعيرا»** أي كلما سكن لها تزداد ما به يعلو لها ويتسع.

٩٢ «أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا» أي قطعاً **«أو تأتي بالله والملائكة قبيلة»** أي معاينة حتى نراهم بأعيننا مقابلين لنا، وقيل: المعنى: تأتي بأصناف الملائكة قبيلة قبيلة.

٩٣ «أو يكون لك بيت من زخرف» أي من ذهب، وقيل المراد: مزين كثير الزخارف على عادة الأغنياء والمترفين من اتخاذ البيوت المزخرفة **«أو ترق في السماء»** أي تصعد في معارجها **«ولن نؤمن لرقبك»** [أي ولن نصدق لك بالرسالة إن رأيناك تصعد في السماء]

٩٤ «أو أن قالوا» أي: ما منعهم إلا



سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا
أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرَفْتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾
* أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ
فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ قُلْ لَّوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ
خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ
الْإِنْسَانُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ
بَيِّنَاتٍ فَسَعَلَ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ
إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَى مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ
مَا أَتَزَلُ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَاحِرٍ
وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفْزِمَهُمْ
مِّنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَّعَهُ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا

٩٨ ﴿ذلك﴾ أي العذاب ﴿جزاؤهم﴾
بأنهم كفروا بآياتنا أي بسبب كفرهم
بها، فلم يصدقوا بالآيات التنزيلية، ولا
تفكروا في الآيات التكوينية ﴿وقالوا﴾
أنذا كنا عظاما ورفاتا تقدم تفسيرها
(الآية ٤٩)

٩٩ ﴿قادر على أن يخلق مثلهم﴾ أي:
من هو قادر على خلق هذا، فهو على
إعادة ما هو أدون منه أقدر ﴿وجعل لهم﴾
أجلا لا ريب فيه وهو الموت، أو
القيامة ﴿فأبى الظالمون إلا كفورا﴾ أي:
أبى المشركون إلا جحودا.

١٠٠ ﴿قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة﴾
ربي لو ملكوا خزائن الأرزاق لأمسكوا
شحا وبخلا ﴿وكان الإنسان قتورا﴾ أي
بخيلا مضيقاً على نفسه وعلى غيره في
النفقة.

١٠١ ﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات﴾:
أي علامات دالة على نبوته، كأنها
مساوية لتلك الأمور التي اقترحها كفار
قريش، بل أقوى منها، أي: فلم يؤمن
بها فرعون وقومه مع ظهور إعجازها، بل
أدت بهم إلى الهلاك، فكذلك ما تطلبون
يا أهل مكة. والآيات التسع هي:
الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع،
والدم، والعصا، واليد، والسنين، ونقص
الثمرات. وقد مرّ تفسير أكثرها في سورة
الأعراف (الآية ١٣٣) وقيل: هي
الوصايا التسع وهي التي في التوراة:
أخرج أحمد والترمذي وصححه عن
صفوان ابن عسال أن يهوديين قال
أحدهما لصاحبه: انطلق بنا إلى هذا النبي
نسأله، فأتياه فسألاه عن قول الله ﴿ولقد﴾
آتيناه موسى تسع آيات بينات فقال:
«لا تشركوا بالله شيئا، ولا تزنوا، ولا
تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق،
ولا تسرقوا، ولا تسحروا، ولا تمشوا

١٠٢ ف ﴿قال لقد علمت ما أنزل﴾
هؤلاء يعني: الآيات التي أظهرها ﴿إلا﴾
رب السماوات والأرض بصائر أي
دلالات يستدل بها على قدرته ووحدانيته
﴿وإني لأظنك يا فرعون مثبورا﴾ الظن:
هنا بمعنى اليقين، والشبور الهلاك
والخسران.
١٠٣ ﴿فأراد أن يستفزمهم من﴾
الأرض أي: أراد فرعون أن يخرج
بني إسرائيل وموسى ويزعجهم من أرض
مصر بإبعادهم عنها ﴿فأغرقناه ومن معه﴾
جميعا يعني جيشه الذي لحق بموسى.
بصريء إلى سلطان فيقتله، ولا تأكلوا
الربا، ولا تقذفوا محصنة، وعليكم يا يهود
خاصة ألا تعتدوا في السبت» فقلا يديه
ورجليه، وقالا نشهد إنك نبي الله. قال:
فا يمنعكما أن تسلما؟ قالوا: إن داود دعا
الله ألا يزال في ذريته نبي، وإنا نخاف
إن أسلمنا أن يقتلنا اليهود ﴿فأسأل بني﴾
إسرائيل سؤال استشهاد لمزيد الطمأنينة
والإيقان، والمسئولون مؤمنو بني إسرائيل
كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿فقال له﴾
فرعون إني لأظنك يا موسى مسحورا
والمسحور: الذي سُجِرَ فخلوط عقله.



مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَءِيلَ أَكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ
الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلْنَاهُ
وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ
لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴿١٠٦﴾
قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ
إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ
رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ
يَسْكُونُ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا
الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرْ
بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾
وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ
فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكَبِيرُهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾

يزيده ذلك ولا ينقصه **﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا
العلم من قبله﴾** أي: إن العلماء الذين
قرأوا الكتب السابقة قبل إنزال القرآن،
وعرفوا حقيقة الوحي، وأمارات النبوة،
كزيد بن عمرو بن نفيل، وورقة بن
نوفل، وعبدالله بن سلام **﴿إذا يتلى
عليهم﴾** أي: القرآن **﴿يخرون للأذقان
سجدا﴾** أي: يسقطون على وجوههم
ساجدين لله سبحانه لأن الحق لا يخفى
عليهم **﴿ويقولون سبحان ربنا إن كان
وعد ربنا لمفعولا﴾** [أي: قد كان وعده
بنصر المؤمنين آتيا لا شك فيه].

١٠٩ ﴿ويخرون للأذقان يكون﴾ كرر
ذكر الخرو للأذقان لتأثير مواظ القرآن
في قلوبهم ومزيد خشوعهم **﴿ويزيدهم﴾**
القرآن بسماعهم له **﴿خشوعا﴾** أي لين
قلب ورطوبة عين.

**١١٠ ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا
الرحمن﴾** عن ابن عباس، قال: «صلى
رسول الله ﷺ بمكة ذات يوم، فقال في
دعائه: يا الله يا رحمن، فقال المشركون:
انظروا إلى هذا الصابئ، ينهانا أن ندعو
إلهين، وهو يدعو إلهين، فأنزل الله (قل
ادعوا الله أودعوا الرحمن الآية) ومعناه
أنها مستويان في جواز الإطلاق، وحسن
الدعاء بهما **﴿أيأ ما تدعوا﴾** المعنى: أي
اسم من أسمائه الحسنى دعوتوه به فقد
أصبتم **﴿فله الأسماء الحسنى﴾** ومعنى
حسن الأسماء استقلالها بنعوت الجلال
والإكرام **﴿ولا تجهر بصلاتك ولا
تخافت بها﴾** أي بقراءة صلاتك **﴿وابتغ
بين ذلك﴾** أي بين الجهر والخفاطة
﴿سبيلا﴾ أي طريقا متوسطا بين
الأمرين، فلا تكن مجهورة ولا مخافتا بها.
وهذا للمنفرد، أما الإمام فيجهر في
الصبح والمغرب والعشاء في الركعتين
الأوليين من كل منها، وفي الجمعة،
لكي يسمع منه من خلفه.

أطاع بالجنة **﴿ونذيرا﴾** مخوفا لمن عصى
بالنار.

١٠٦ ﴿وقرأنا فرقناه﴾ أي أنزلناه شيئا
بعد شيء، لا جملة واحدة **﴿لتقرأه على
الناس على مكث﴾** أي: على تطاول في
المدة شيئا بعد شيء على ترسل وتمهل،
فإن ذلك أقرب إلى الفهم وأسهل للحفظ
﴿ونزلناه تنزيلا﴾ أي أنزلناه منجما مفرقا
لما في ذلك من المصلحة، ولو أخذوا
بجميع الفرائض في وقت واحد لنفروا ولم
يطبقوا.

١٠٧ ﴿قل آمنوا به أو لا تؤمنوا﴾ لا

**١٠٤ ﴿وقلنا من بعده لبني إسرائيل
اسكنوا الأرض﴾** [أي أرض بيت
المقدس] **﴿فإذا جاء وعد الآخرة﴾** أي
الدار الآخرة وهو القيامة، أو الكرة
الآخرة التي ذكرت في أول السورة **﴿جئنا
بكم لفيفا﴾** جئنا بكم من قبوركم
مختلطين من كل موضع، قد اختلط
المؤمن بالكافر، وقيل: جئنا بكم من
قبائل وبلدان شتى إلى الأرض المقدسة.

١٠٥ ﴿وبالحق أنزلناه وبحق نزل﴾
أي ما أنزلنا القرآن إلا بالحق، وقد نزل
وفيه الحق **﴿وما أرسلناك إلا مبشرا﴾** لمن

(١٨) سُورَةُ الْكَافِرَاتِ وَإِنِّي أَنَا عَشِيرَةٌ وَمِنْهَا نَسَبُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ
لَهُ عِوَجًا ۝ قِيمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ
الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا
حَسَنًا ۝ مَّكَثِينَ فِيهِ أَبَدًا ۝ وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ
اللَّهُ وَلَدًا ۝ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ
كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝
فَلَعَلَّكَ بَخْعُ نَفْسِكَ عَلَيْهِ إِثْرُهُمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا
الْحَدِيثِ أَسَفًا ۝ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا

١١١ «وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا» كما تقوله اليهود والنصارى، ومن قال من المشركين إن الملائكة بنات الله «ولم يكن له شريك في الملك» كما تزعمه الثنوية ونحوهم من الفرق القائلين بتعدد الآلهة «ولم يكن له ولي من الدن» أي لم يحتج إلى مولاة أحد لذل يلحقه، فهو مستغن عن الولي والنصير «وكبره تكبرا» أي عظمه تعظيما، وصفه بأنه أعظم من كل شيء. أخرج أحد والطبراني عن معاذ بن أنس قال «قال رسول الله ﷺ: آية العز: الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ... الآية كلها».

سُورَةُ الْكَافِرَاتِ

١ «الذي أنزل على عبده» محمد ﷺ علم الله عباده أن يحمده على إفاضة نعمه عليهم، ومنها إنزال «الكتاب» وهو القرآن نعمة عليهم، أنزله على رسول الله ﷺ أطلعه بواسطتها على أسرار التوحيد، وأحوال الملائكة والأنبياء، وعلى الأحكام الشرعية التي تعبد الله وتعبد أمته بها «ولم يجعل له عوجا» أي: لم يجعل فيه شيئا من الاختلال في اللفظ أو المعنى، ولم يجعل فيه اختلافا.

٢ «قيما» القيم هو المستقيم الذي لا ميل فيه، أو القيم على ما قبله من الكتب السماوية مهيمنا عليها «لينذر» الكافرين «بأسا شديدا» والبأس العذاب «من لدنه» نازلا من عنده «ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا» وهو الجنة حسن كل ما فيها.

٣ «ما كثر فيه» أي في ذلك الأجر «أبدا» أي: مكثا دائما لا انقطاع له.

٤ «وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا» وهم اليهود والنصارى، وبعض كفار قريش القائلون بأن الملائكة بنات الله.

ونسبة الولد إلى الله سبحانه أقبح أنواع الكفر.

٥ «ما لهم به من علم» أي بالولد، أو اتخاذ الله إياه «ولا لآبائهم» أي وليس عند المتقدمين منهم دليل صحيح على أن الله اتخذ ولدا، بل كانوا في زعمهم هذا على ضلالة، وقلدهم أبناؤهم فضلوا جميعا «كبرت كلمة تخرج من أفواههم» لاستعظام اجترائهم على التفوه بها «إن يقولون إلا كذبا» لا مجال للصدق فيه بحال.

٦ «فلعلك باخع نفسك» أي مهلكها بما يصلح أن يكون زينة لها من الحيوانات والنبات والجماد، وما يلهم

«على آثارهم» أي من بعد توليهم وإعراضهم «إن لم يؤمنوا بهذا الحديث» أي القرآن «أسفا» أي: غيظا أو حزنا على قولهم هذا، وسائر ما يكفرون به، أي: فهوّن عليك الأمر يا محمد، فإن مهمتك التي بُعثت لها أن تبليهم الرسالة التي حتمك الله إياها، ولست مكلفا بأن تدخل الإيمان في قلوبهم، فلا تتلف نفسك حسرة على كفرهم.

٧ «إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها» مما يصلح أن يكون زينة لها من



لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِئُوا أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَدْعُوهُ مِنْ دُونِهِ ۚ إِلَٰهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ۚ إِلَٰهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾

آياتنا فقط؟ لا تحسب ذلك، فإن آياتنا كلها عجب كذلك، وفوق ذلك. والرقيم اسم الوادي أو القرية، أو اللوح الذي كتبت أسماؤهم فيه.

١٠ ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ﴾ هم أصحاب الكهف ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾ أي: من عندك رحمة مختصة بأنهم من خزائن رحمتك، وهي المغفرة في الآخرة، والأمن من الأعداء، والرزق في الدنيا ﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ أي: وأصلح لنا الأمر الذي نحن عليه وهو المفارقة للكفار.

الله البشر أن يصنعه عليها من المباني والرياش ﴿لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ لنتحنهم أهذا أحسن عملاً أم ذاك؟ وأهم أصلح فيما أوتي من المال [والمنصب والقدرة وغير ذلك].

٨ ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا﴾ من هذه الزينة عند تنامي عمر الدنيا ﴿صَعِيدًا﴾ تراباً ﴿جُرُزًا﴾ لا زرع ولا زينة فيه، كالزرع الذي أكله الجراد.

٩ ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ أي: بل أظننت يا محمد أنهم كانوا عجباً من

١١ ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ﴾ سددنا آذانهم بالنوم الغالب عن سماع الأصوات ﴿سِنِينَ عَدَدًا﴾ أي كثيرة [معلومة العدد، ويأتي بيانه في نهاية القصة].

١٢ ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ﴾ أي: أيقظناهم من تلك النوم ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ﴾ هما الفريقان من المؤمنين والكافرين المختلفين في مدة لبثهم ﴿أَحْصَى﴾ أضبط ﴿لِمَا لَبِئُوا﴾ لمدة بقائهم نومي في الكهف.

١٣ ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾ هذا شروع في تفصيل ما أجل الله من خبر أصحاب الكهف: أي نحن نخبرك بخبرهم بالحق لا كالأخبار المشوشة غير المنضبطة، عند أهل الكتاب ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ﴾ أي أحداث شبان [قليل عددهم] ﴿آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [زدناهم علماً بالحق مما كان فيه أهل زمنهم يختلفون، بالتبني والتوفيق].

١٤ ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ أي قويناها بالصبر على هجر الأهل والأوطان ﴿إِذْ قَامُوا﴾ اجتمعوا وراء المدينة ليتواثقوا على الصبر على دينهم واعتزال قومهم ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قيل: كان لهم ملك جبار يقال له: دقلديانوس، وكان يدعو الناس إلى عبادة الطواغيت، فشئت الله هؤلاء الفتية وعصمهم حتى قاموا، فقالوا ربنا رب السماوات والأرض ﴿لَن نَدْعُوهُ مِنْ دُونِهِ إِلَٰهًا﴾ معبوداً آخر غير الله، لا اشتراكاً ولا استقلالاً ﴿لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾ الشطط الغلو ومجاوزة الحد في البعد عن الحق.

١٥ ﴿لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾ أي هلا يأتون على إلهيتهم بحجة ظاهرة تصلح للتمسك بها ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ فزعم أن له شريكاً في العبادة، أي: لا أحد أظلم منه.

وَإِذَا عَزَلْتَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْدًا إِلَى الْكَهْفِ
يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ
مَرْفَقًا ﴿١٦﴾ * وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ
كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ
الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ
يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا
مُرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقِلْتُمْ ذَاتَ
الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ
لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِثْتَ مِنْهُمْ
رُغْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ
مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ
أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ

١٦ ﴿وَإِذَا عَزَلْتَهُمْ﴾ أي: فارقتموهم وتنحيتم عنهم جانبا، أي: عن العابدين للأصنام ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ أي: واعتزلتم عبادة أصنامهم ﴿فَأَوْدًا إِلَى الْكَهْفِ﴾ أي: صيروا إليه واجعلوه مأواكم. أي: إذا اعتزلتموهم اعتزالا اعتقاديا، فاعتزلوهم أيضا اعتزالا جسمانيا بالالتجاء إلى الكهف ﴿يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ أي ييسر ويوسع ﴿وَيَهَيِّ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا﴾ يسهل وييسر لكم من أمركم الذي أنتم بصدد ما ترتفقون به، وتنتفعون بمصوله.

١٧ ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ﴾ تميل وتتحنى ﴿عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ﴾ أي ناحية اليمين بالنسبة إلى باب الكهف ﴿وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ﴾ تعدل عنهم وتتركهم ﴿ذَاتَ الشِّمَالِ﴾ أي شمال الكهف لا تصيبه، بل تعدل عن سمته إلى الجهتين ﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ﴾ في مكان منفتح انفتاحا واسعا، قيل: المعنى أنهم كانوا في ظل جميع نهارهم، لا تصيبهم الشمس في طلوعها ولا في غروبها، وقيل: إن باب ذلك الكهف كان مفتوحا إلى جانب الشمال، فإذا طلعت الشمس كانت عن يمين الكهف، وإذا غربت كانت عن يساره ﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ [في حفظ أبدانهم من التلف تلك المدة المتطاولة].

١٨ ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ أي نيام. قيل: إن عيونهم كانت مفتحة، وهم نيام. وقيل: لكثرة تقلبهم ﴿وَنُقِلْتُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ نقلهم في رقبتهم إلى الجهتين، لئلا تأكل الأرض أجسادهم ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ هو فناء الباب، وقيل: العتبة ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾ هربا ﴿وَلَمَلِثْتَ مِنْهُمْ رُغْبًا﴾ أي خوفا يملأ

سبحانه ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ﴾ الورق الفضة مضروبة، أو غير مضروبة، والمدينة قيل: هي إفسوس مدينتهم التي كانوا فيها، ويقال لها اليوم طرسوس كذا قال الواحدي ﴿فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا﴾ أي: ينظر أي أهلها أطيب طعاما، وأحل مكسبا، وقيل المراد: أيهم أطهر ذبيحة، وكان غالب أهلها كفارا يذبحون للطواغيت ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ أي يدقق النظر حتى لا يعرف أو لا يغبن ﴿وَلَا يَشْعُرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ لا يدع أحدا يعلم بمكانكم.

الصدر، قيل: سبب الرعب الهيبة التي ألبسهم الله إياها، وقيل: لطول أظفارهم وشعورهم. ١٩ ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ﴾ في مدة اللبث ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ أي في النوم، قالوا ذلك لأنهم رأوا أنفسهم على غير ما يعهدونه في العادة ﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ قال المفسرون: دخلوا الكهف غدوة، وبعثهم الله سبحانه آخر النهار، فلذلك قالوا يوما ﴿قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ أي: إنكم لا تعلمون مدة لبثكم، وإنما يعلمها الله

فَلْيَنْظُرْ آيَاهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ
وَلَا يُسْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ
يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا ﴿٢٠﴾
وَكَذَلِكَ أَعِزَّنَا عَلَيْهِمْ لِیَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ
السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا
أَبْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ
أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ
رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا
بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ
بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِفِهِمْ إِلَّا مَرَاءً
ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ
لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ

في أمر البعث **﴿فقالوا ابنوا عليهم بنيانا﴾** وذلك أن الملك وأصحابه لما وقفوا عليهم وهم أحياء أَمَاتَ اللهُ الفتية **﴿ربهم أعلم بهم﴾** من هؤلاء المتنازعين فيهم **﴿قال الذين غلبوا على أمرهم لتتخذن عليهم مسجدا﴾** ذكر اتخاذ المسجد يشمر بأن هؤلاء الذين غلبوا على أمرهم، هم المسلمون، [وفي الستة ذم الذين اتخذوا من الأولين المساجد على القبور، فيظهر أن هذا كان من البدع التي ظهرت في النصرانية بعد طول الأمد].

٢٢ **﴿سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم﴾** هؤلاء القائلون بأنهم ثلاثة أو خمسة أو سبعة، هم المتنازعون في عددهم في زمن رسول الله ﷺ من أهل الكتاب والمسلمين **﴿ويقولون﴾** أي ويقول بعض آخر **﴿خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب﴾** والرجم بالغيب: هو القول بالظن والحدس من غير يقين **﴿ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم﴾** كان قول هذه الفرقة أقرب إلى الصواب بدلالة عدم إدخالهم في سلك الراجين بالغيب **﴿قل رب أعلم بعدتهم﴾** منكم أيها المختلفون **﴿ما يعلمهم﴾** أي: لا يعلم ذواتهم فضلا عن عددهم **﴿إلا قليل﴾** من الناس **﴿فلا تمارفهم﴾** المراء في اللغة: الجدل **﴿إلا مراء ظاهرا﴾** أي: غير متعمق فيه، وهو أن يقص عليهم ما أوحى الله إليه فحسب **﴿ولا تستفت فيهم منهم أحدا﴾** ففما قص الله عليك في ذلك ما يغنيك عن سؤال من لا علم له.

٢٣، ٢٤ **﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا﴾** لما سألت اليهود النبي ﷺ عن خبر الفتية، فقال أخبركم غدا، ولم يقل إن شاء الله، فاحتبس الوحي عنه حتى شق عليه، فأنزل الله هذه الآية يقول: إذا قلت لشيء إني فاعل ذلك غدا، فقل إن شاء الله.

عليهم أن ذلك الرجل الذي بعثوه بالورق - وكانت من ضرب دقلديانوس - إلى السوق، فلما اطلع عليها أهل السوق اتهموه بأنه وجد كنزا، فذهبوا به إلى الملك [وكانت النصرانية قد ظهرت في تلك البلاد وآمن بها ملوكها] ثم قص عليه القصة، فركب الملك، وركب أصحابه معه حتى وصلوا إلى الكهف **﴿وأن الساعة لا رب فيها﴾** أي: وليعلموا أن القيامة لا شك في حصولها **﴿إذ يتنازعون بينهم أمرهم﴾** وقع التنازع والاختلاف بين أولئك الذين أعثرهم الله

٢٠ **﴿إنهم إن يظهروا عليكم﴾** أي يطلعوا عليكم ويعلموا بمكانكم **﴿يرجموكم﴾** يقتلوكم بالرجم **﴿أو يعيدوكم في ملتهم﴾** التي كنتم عليها قبل أن يهديكم الله **﴿ولن تفلحوا إذا أبدا﴾** إن رجعت إلى دينهم، لا في الدنيا ولا في الآخرة.

٢١ **﴿وكذلك أعثرنا عليهم﴾** أي: أطلعنا الناس عليهم **﴿ليعلموا أن وعد الله﴾** بالبعث **﴿حق﴾** قيل: وكان ملك ذلك العصر ممن ينكر البعث، فأراه الله هذه الآية. قيل: وسبب الإعثار

وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ^ط وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي
لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ
مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا
لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ
مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾
وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ
وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ
يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ
عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ
أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾
وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ
فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا

﴿واذكر ربك﴾ بالاستغفار والتهلل **﴿إذا نسيت﴾** أي إذا نسيت أن تقول إن شاء الله ثم تذكرت فقلها **﴿وقل عسى أن يهدين ربِّي لأقرب من هذا رشدا﴾** عسى أن يعطيني ربِّي من الآيات والدلالات على النبوة ما يكون أقرب في الرشد وأدك من قصة أصحاب الكهف. **﴿٢٥﴾ ولَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسْعًا﴾** لبثوا ثلاثمائة سنة وتسع سنين في كونهم نياما.

﴿٢٦﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ قال ابن عطية: يريد بعد الإغثار عليهم إلى مدة محمد ﷺ أو إلى أن ماتوا، وعن الزجاج: أن المراد ٣٠٠ سنة شمسية أو ٣٠٩ قرية **﴿لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾** أي: ما خفي فيها وغاب من أحوالها، ليس لغيره من ذلك شيء **﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾** فأفاد هذا التعجب من علمه بالمبصرات والسموعات، فإنه يستوي في علمه الغائب والحاضر، والحق والظاهر، والصغير والكبير **﴿مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾** الضمير لأهل السماوات والأرض **﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾** يقضي ما يريد ويبرمه، ولا يدخل في ذلك أحداً يستشير أو يستأمره.

﴿٢٧﴾ وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ﴾ أمره الله سبحانه أن يواظب على تلاوة القرآن، وقيل المراد: اتبع ما تقرأ **﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾** أي: ما أخبر الله به وما أمر به ولا مبدل له، فلا مبدل لحكم كلماته **﴿وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾** الملتحذ: الملتجأ، المعنى أنك إن لم تتبع القرآن، وتتلّه، وتعمل بأحكامه لن تجد معدلاً تعدل إليه، ومكاناً تميل إليه، ليحميك من عذاب الله.

﴿٢٨﴾ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ أمره سبحانه بأن يحبس نفسه معهم بالاستمرار على الدعاء في جميع

الأوقات، وقيل: في طرفي النهار **﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾** يريدون بدعائهم رضى الله سبحانه **﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾** أي: لا تتجاوزهم عينك إلى غيرهم من ذوي الهيئات والزينة، وقيل: معناه لا تحتقرهم عينك **﴿تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾** أي: مجالسة أهل الشرف والغنى أو تريد تحصيل الزينة **﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾** أي: جعلناه غافلاً بالحنم عليه، كأولئك الذين طلبوا منه أن ينحى الفقراء عن مجلسه **﴿وَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾** أي: مادام هذا هو الحق، فإن من كفر لا يضل ولا يظلم إلا نفسه **﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ﴾** الذين اختاروا الكفر بالله

الحق، فاختار الشرك على التوحيد **﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾** هو من التفريط، وهو التقصير والتضييع في أمر الله بالجهالة.

﴿٢٩﴾ وَقُلْ﴾ لأولئك الغافلين **﴿الحق من ربكم﴾** لا من جهة غيره، حتى يمكن فيه التبديل والتغيير، يعني لم آتكم به من قبل نفسي إنما أتيتكم به من الله **﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾** أي



وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ
بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾
أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ
فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ
سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعَمَ
الْثَوَابِ وَحَسَنَتِ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ * وَأَصْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا
رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمَا
بِخَلِّ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ﴿٣٢﴾ كُلَّتَا الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أَكْلَهَا
وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ
ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا
وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ

والإستبرق: ما ثخن من الحرير كذلك، وهو الديباج، وخص الأخصر لأنه الموافق للبصر ولكونه أحسن الألوان **﴿متكئين﴾** فيها على الأرائك **﴿الأسرة عليها الكلل﴾** [أو الكرسي ذات الوسائد] **﴿نعم الثواب﴾** ذلك الذي أثابهم الله به **﴿وحسنت﴾** تلك الأرائك **﴿مرتفقا﴾** أي متكأ.

٣٢ ﴿واضرب لهم مثلاً﴾ لمن يتعزز بالدنيا، ويستكف عن مجالسة الفقراء **﴿رجلين﴾** مؤمن وكافر، قيل: كانا أخوين من بني إسرائيل، وقيل: هما أخوان مغزوميان من أهل مكة **﴿جعلنا لأحدهما﴾** وهو الكافر **﴿جنتين من أعناب﴾** من كروم متنوعة **﴿وحففناهما بنخل﴾** جعلنا النخل مطيفا بالجنتين من جميع جوانبها **﴿وجعلنا بينهما زرعاً﴾** أي: بين الجنتين.

٣٣ ﴿كلتا الجنتين آتت أكلها﴾ وأكلها: هو ثمرها **﴿ولم تظلم منه شيئاً﴾** أي: لم تنقص من أكلها شيئاً، على خلاف ما يعتاد في سائر البساتين، فإنها في الغالب تكثر في عام وتقل في عام **﴿وفجّرنا خلالها نهراً﴾** أي أجرينا وشققنا وسط الجنتين نهراً ليسقيها دائماً من غير انقطاع.

٣٤ ﴿وكان له﴾ أي لصاحب الجنتين **﴿ثمر﴾** [أي من سائر الثمار غير ثمار العنب والنخيل] وقيل: الثمر هنا المال من الذهب والفضة **﴿فقال لصاحبه﴾** المؤمن **﴿وهو يحاوره﴾** يراجعه الكلام ويجاوبه **﴿وأعز نفراً﴾** [أي أمتع منك] جانباً لكثرة من يقوم معي في المطالبة بما أريد.

٣٥ ﴿ودخل جنته﴾ قال المفسرون: أخذ بيد أخيه المسلم، فأدخله جنته يطوف به فيها، ويريه عجائبها **﴿وهو ظالم لنفسه﴾** بكفره وعجبه.

لمن يؤثر المناصب والمرافق وهوى النفوس من الأشربة ونحوها على طاعة الله.

٣١ ﴿أولئك لهم جنات عدن﴾ العدن: الإقامة، أي: يقيمون فيها على الدوام **﴿تجري من تحتهم الأنهار﴾** أي: من تحت غرفها وتحت أشجارها **﴿يحلون فيها من أساور من ذهب﴾** السوار: زينة تلبس في الزند من اليد، وهي من زينة الملوك [في الدنيا، وزينة النساء يزتن بها الرجال في الجنة] **﴿ويلبسون ثياباً خضراً من سندس وإستبرق﴾** السندس: الرقيق من الحرير،

والجحد له والإنكار لأنبيائه **﴿نارا﴾** عظيمة **﴿أحاط بهم سرادقها﴾** السرادق: البيت المصنوع من القماش، فالآية على تشبيه ما يحيط بهم من النار بالسرادق المحيط بمن فيه **﴿وإن يستغيثوا﴾** من حر النار **﴿يفاثوا بماء كالمهل﴾** هو كل ما أذيب بالنار من معادن الأرض من حديد ورمصاص ونحاس، وقيل: المهل عكر الزيت **﴿يشوي الوجوه﴾** لحرارته **﴿بئس الشراب﴾** شراهم هذا **﴿وساءت﴾** النار **﴿مرتفقا﴾** أي: منزلاً يتخذونه للراحة، ويرتفقون فيه. وكان في هذه الآية تنبيه

﴿قال ما أظن أن تبید هذه أبدا﴾
أي: قال الكافر لفرط غفلته وطول أمله:
ما أظن أن تنفي هذه الجنة التي
تشاهدها.

٣٦ ﴿وما أظن الساعة قائمة﴾ أنكر
البعث وأخبر أخاه بكفره بفناء الدنيا
وقيام الساعة **﴿ولئن رددت إلى ربي
لأجدن خيرا منها منقلباً﴾** زعم أنه إن
يرد إلى ربه فرضا وتقديرا كما زعم
صاحبه، ليكون له يومئذ خير من هذه
الجنة، قال هذا قياسا للغائب على
الحاضر، وأنه لما كان غنيا في الدنيا،
سيكون غنيا في الأخرى، اغترارا منه بما
صار فيه من الغنى الذي هو استدراج له
من الله.

٣٧ ﴿قال له صاحبه﴾ المؤمن **﴿أكفرت
بالذي خلقك من تراب﴾** حيث خلق
أباك آدم منه، وهو أصلك **﴿ثم من
نطفة﴾** وهي المنى **﴿ثم سواك رجلا﴾**
صيرك إنسانا ذكرا، وعدل أعضائك
وكثلك. وفي هذا تلويح بالدليل على
البعث، فإن القادر على الابتداء قادر على
الإعادة.

٣٨ ﴿لكننا هو الله ربي﴾ أي: لكن أنا
هو الله ربي **﴿ولا أشرك بربي أحدا﴾**
أي: كما فعلت أنت.

**٣٩ ﴿ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما
شاء الله﴾** أي: هلا قلت عند ما دخلتها
هذا القول «لا قوة إلا بالله» تحضيضا له
على الاعتراف بأنها وما فيها بمشيئة الله،
إن شاء أبقاها وإن شاء أفناها **﴿لا قوة
إلا بالله﴾** تحضيض على الاعتراف
بالعجز، وأن ما تيسر له من عمارتها إنما
هو بمعونة الله، لا بقوته وقدرته، ولا يقوى
أحد على ما في يده من ملك ونعمة إلا
بالله، ولا يكون إلا ما شاء الله، وقد
ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال لأبي
موسى «ألا أدلك على كنز من كنوز

مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٦﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً
وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٧﴾
قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ
تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴿٣٨﴾ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ
رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٩﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ
قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنَّ تَرْنًا أَقْلَ مِنْكَ
مَالًا وَوَلَدًا ﴿٤٠﴾ فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ
وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤١﴾
أَوْ يُصْبِحَ مَاءً وَهًا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿٤٢﴾
وَأَحِيطَ بِثَمَرِهِ ۚ فَأَصْبَحَ يُغْلِبُ كَفِّهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا
وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي
أَحَدًا ﴿٤٣﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُ رِيشَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ

عليه بحيلة من الحيل.

الجنة: لا حول ولا قوة إلا بالله».

**٤٠ ﴿فعسى ربي أن يؤتين خيرا من
جنتك﴾** أي: إن ترني أفقر منك، فانا
أرجو أن يرزقني الله سبحانه جنة خيرا
من جنتك في الدنيا أو في الآخرة
﴿ويرسل عليها حسباناً﴾ أي: ويرسل
على جنتك مقدارا قدره الله عليها، وقيل
الحسبان: الصواعق **﴿فتصبح صعيدا
زلقا﴾** أي: فتصبح جنة الكافر أرضا لا
نبات بها تزل فيها الأقدام للاستها.
٤١ ﴿أو يصبح ماءها غورا﴾ غائرا في
الأرض **﴿فلن تستطيع له طلبا﴾** لا تقدر

٤٢ ﴿وأحيط بثمره﴾ عبارة عن إهلاكه
وإفناؤه لثمار ذلك الكافر **﴿فأصبح يقلب
كفيه﴾** أي: [يقلبها ظهرا لبطن] تحسرا
﴿على ما أنفق فيها﴾ أي: في عمارتها
وإصلاحها من الأموال **﴿وهي خاوية
على عروشها﴾** وتلك الجنة ساقطة على
دعائمتها التي تعتمد بها الكروم، أو ساقطة
بعض تلك الجنة على بعض **﴿ويقول
باليتني لم أشرك بربي أحدا﴾** تمنى عند
مشاهدته هلاك جنته بأنه لم يشرك بالله
حتى تسلم جنته من الهلاك، أو كان هذا

مقتدرا يحويه ويفنيه بقدرته لا يعجز عن شيء.

٤٦ المال والبنون زينة الحياة الدنيا

مما يتزين به في الدنيا لا مما ينفع في الآخرة إذا لم ينفق في مرضاة الله **والباقيات الصالحات** أي: أعمال الخير، وما يفعله المسلمون في دنياهم من الطاعة، وكل أعمال الخير، ماله أو بدنية، فيبقى محفوظاً عند الله **خير عند ربك ثواب** أي: أفضل - من هذه الزينة بالمال والبنين - ثواب، وأكثر عائدة ومنفعة لأهلها **وخير أملاً** أفضل مما يؤمله أهل المال والبنين. أخرج أحمد وابن حبان عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال «استكثروا من الباقيات الصالحات. قيل: وما هن يا رسول الله؟ قال: التكبير، والتهليل، والتسبيح، والتحميد، ولا حول ولا قوة إلا بالله».

٤٧ وبوم نسير الجبال تسير الجبال

إزالتها من أماكنها، وتسيرها كما تسير السحاب، وذلك يوم القيامة كما في الآية الأخرى (ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً. فيذرها قاعاً صافصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً) **وترى الأرض بارزة** بروزها ظهورها وزوال ما يسترها من الجبال والشجر والبنين

وحشرناهم أي: الخلائق بعد بعثهم، أي: جمعناهم إلى الموقف من كل مكان **فلم تغادر منهم أحداً** فلم نترك منهم أحداً إلا حشرناه إلى هناك.

٤٨ وعرضوا على ربك صفاءً أي

مصنفين **لقد جثتمونا** أي: قلنا لهم: ها قد جثتمونا **كما خلقناكم أول مرة** أي: حفاة عراة كما ورد في الحديث **بل زعم أن لن نجعل لكم موعداً** أي: زعم في الدنيا أن لن تبعثوا، وأن لن نجعل لكم موعداً نجازيكم بأعمالكم.

وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنْزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسِيرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُبَوِّلُنَا مَالٍ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا

القول منه لقصد التوبة من الشرك.

٤٣ ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله ما نفعه النفر الذين افتخروا بهم فيما سبق **وما كان منتصراً** أي ممتنعاً بقوته عن إهلاك الله لجنته، وانتقامه منه.

٤٤ هنالك الولاية لله الحق أي: في ذلك المقام: النصرة لله وحده لا يقدر عليها غيره **هو خير ثواباً** لأوليائه في الدنيا والآخرة **وخير عقباً** أي: وخير عاقبة وختاماً.

٤٥ واضرب لهم مثل الحياة الدنيا

أي: اذكر لهم ما يشبه الحياة الدنيا في حسنها ونضارتها وسرعة زوالها **فاختلط به نبات الأرض** المعنى: أن النبات اختلط بعضه ببعض حين نزل عليه الماء، أي: نبت بسبب الماء وكثر [حتى تم وأينع] **فأصبح** النبات **هشياً** وهو من النبات ما تكسر وتفتت [بعد يسه وجفافه] **تذروه الرياح** تفرقه وتنتشر أجزاء النبات في نواحي الأرض، وتعود الأرض كما كانت، أي: وهكذا شأن الحياة الدنيا لا بقاء لها، وشأنها إلى زوال **وكان الله على كل شيء**

٤٩ «ووضع الكتاب» الكتاب: صحائف الأعمال. يوضع صحيفة كل واحد في يده: السعيد في يمينه، والشقي في شماله «فترى المجرمين مشفقين بما فيه». أي: خائفين وجلين لما يتعقب ذلك من الافتضاح في ذلك الجمع، والمجازاة بالعذاب الأليم «ويقولون يا ويلتنا» يدعون على أنفسهم بالهلاك «ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها» لا يترك معصية صغيرة ولا معصية كبيرة إلا حواها وضبطها وأثبتها، وهذا للذين فعلوا الكبائر ولم يتوبوا منها، يجدون في كتابهم الصغائر أيضاً. أما من تجنب الكبائر فيجد الصغائر قد محيت كما دلت عليه الآية ٣١ من سورة النساء «ووجدوا ما عملوا» في الدنيا من المعاصي «حاضراً» مكتوباً مثبتاً «ولا يظلم ربك أحداً» أي لا يعاقب أحداً من عباده بغير ذنب، ولا ينقص فاعل الطاعة من أجره الذي يستحقه.

٥٠ «إلا إبليس» فإنه أبى واستكبر ولم يسجد «كان من الجن» فلماذا عصي «فسق عن أمر ربه» خرج عن طاعة ربه «أفتتخذونه وذريته أولياء» أي: بعد الإيلاء والفسق تتخذونه وتتخذون ذريته أولياء «من دوني» فتطيعونهم بدل طاعتي وتستبدلونهم بي «وهم لكم عدو» أي: أعداء، أي: كيف تصنعون هذا الصنع وتستبدلون بمن خلقكم وأنعم عليكم بجميع ما أنتم فيه من النعم من لم يكن لكم منه منفعة قط؟ بل هو عدو لكم يترقب حصول ما يضركم في كل وقت «بئس للظالمين بدلاً» عن موالاة ربهم موالاة الشيطان.

٥١ «ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض» ما كانوا شركاء لي في تدبير العالم بدليل أني ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض «ولا خلق

حاضراً ولا يظلم ربك أحداً ﴿٤٩﴾ وإذ قلنا للملائكة أنجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه ﴿٥٠﴾ أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلاً ﴿٥١﴾ * ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضداً ﴿٥٢﴾ ويقول نادوا شركاؤى الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقاً ﴿٥٣﴾ ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفاً ﴿٥٤﴾ ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان للإنس إنبس أكثر شئياً جدلاً ﴿٥٥﴾ وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم

٥٣ «ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها» أي: علموا وتيقنوا أنهم سيخالطونها بالوقوع فيها «ولم يجدوا عنها مصرفاً» أي: معدلاً يعدلون إليه، أو ملجأ يلجئون إليه.

٥٤ «ولقد صرفنا» كثرنا ورددنا

٥٥ «في هذا القرآن للناس» أي لأجلهم،

ولرعاية مصلحتهم ومنفعتهم «من كل مثل» من الأمثال المذكورة في هذه

السورة «وكان الإنسان أكثر شئياً

جدلاً» أي: أكثر الأشياء التي يتأق منها

الجدال جدلاً.

أنفسهم» وما اعتضدت بهم [في خلق ذواتهم] بل هم كسائر الخلق، وهذا استدلال واضح كالشمس، فإنهم يقرون أن الله خالق كل شيء «وما كنت متخذ المضلين عضداً» أي: وما كنت متخذ الشياطين أو الكافرين أعواناً.

٥٢ «ويوم يقول نادوا شركاؤى الذين

زعمتم» أنهم شركاء لي ينفعونكم

ويشفعون لكم [وذلك يوم القيامة]

«وجعلنا بينهم موبقاً» وهو واد عميق

فرق الله به تعالى بينهم. والموبق: المهلك.



سَنَةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ
الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا
بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا
هُزُوعًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ
عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً
أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى
فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ
لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ
مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ الْقُرَى
أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴿٥٩﴾
وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَا أُبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ
أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا

وقرأ ثقلًا يمنع من استماعه **«وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا»** لأن الله قد طبع على قلوبهم بسبب كفرهم ومعاصيهم.

٥٨ «وربك الغفور ذو الرحمة» أي: كثير المغفرة، وصاحب الرحمة التي وسعت كل شيء، فلم يعاجلهم بالعقوبة **«لو يؤاخذهم بما كسبوا»** من المعاصي التي من جملتها الكفر والمجادلة والإعراض **«لعمجل لهم العذاب»** لاستحقاقهم لذلك **«بل لهم موعد»** أي: أجل مقدر لعذابهم **«لن يجدوا من دونه موئلا»** أي ملجأ يلجئون إليه.

٥٩ «وتلك القرى» أي قرى عاد وثمود وأمثالها **«أهلكناهم لما ظلموا»** بالكفر والمعاصي **«وجعلنا لمهلكهم موعدا»** أي: وقتا معيناً.

٦٠ «وإذ قال موسى» هو موسى بن عمران النبي المرسل إلى فرعون **«لفتاه»** هو يوشع بن نون كان ملازماً لموسى يأخذ عنه العلم ويخدمه **«لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين»** أي: لا أزال أسير إلى أن أبلغه، ومجمع البحرين ملتقاهما، قيل: المراد بالبحرين: بحر الأردن وبحر القلزم [أي ملتحق خليج السويس بخليج العقبة] وقيل: مجمع البحرين عند طنجة **«أو أمضي حقباً»** أي: أسير زماناً طويلاً. روي أنه سئل موسى: من أعلم الناس؟ فقال: أنا، فأوحى الله إليه: إن أعلم منك عبد لي عند مجمع البحرين.

٦١ «فلما بلغا» أي موسى وفتاه **«مجمع بينهما»** أي بين البحرين، وقيل: هما موسى والخضر، أي: وصلا الموضع الذي فيه اجتماع شملها **«نسيا حوتها»** قال المفسرون: إنها تزودا حوتا مملحاً في زنبيل، وكان قد جعل الله فقدها أمانة لها على وجدان المطلوب.

أي: ليزيلوا بالجدال بالباطل الحق ويبتلوهم بقولهم للرسول — ما أنتم إلا بشر مثلنا — ونحو ذلك **«واتخذوا آياتي»** أي: القرآن **«وما أنذروا»** به من الوعيد والتهديد **«هزوا»** أي لعباً وباطلاً.

٥٧ «ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها» ولم يتدبرها حق التدبر، ويتفكر فيها حق التفكير **«ونسي ما قدمت يده»** من الكفر والمعاصي، فلم يتب عنها **«إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه»** أي: أغطية تحول بين قلوبهم وبين وصول الفهم إليها **«وفي آذانهم**

٥٥ «إلا أن تأتيهم سنة الأولين» سنتهم: أي العادة التي لازمت أولئك الأقوام، من أنهم لا يؤمنون ولا يستغفرون إلا عند نزول عذاب الدنيا المستأصل لهم، أو عند إتيان أصناف عذاب الآخرة أو معاينته.

٥٦ «وما نرسل المرسلين» من رسلنا إلى الأمم **«إلا مبشرين»** للمؤمنين **«ومنذرين»** للكافرين، أي: فلا يتمكنون من الأخذ بقلوبهم إلى الهداية بل ذلك إلى الله وحده **«ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق»**

﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ أي أحياء الله الحوت، حتى وثب ونزل في البحر وذهب فيه، فشبه مسلك الحوت في البحر بالسرب الذي هو الكوة المحفورة في الأرض.

٦٢ ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ مجمع البحرين الذي جعل موعدا للملاقاة ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿لِفَتْنَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا﴾ وأراد موسى أن يأتيه بالحوت الذي حملاه معها ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ أي تعباً وإعياء.

٦٣ ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ﴾ وتلك الصخرة كانت عند مجمع البحرين، ذكرها لكونها متضمنة لزيادة تعيين المكان ﴿وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ﴾ بما يقع منه من الوسوسة ﴿أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ أي: أن أخبرك بخبر الحوت العجيب ﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ موضع التعجب أن يحيا حوت قد مات، وأكل منه، ثم يشب إلى البحر، ويبقى أثر جريته في الماء.

٦٤ ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ﴾ أي: ذلك الذي ذكرت من فقد الحوت في ذلك الموضع هو الذي كنا نطلبه، فإن الرجل الذي نريده هو هنالك ﴿فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ أي: رجعا على الطريق التي جاءا منها يقصان أثرهما لئلا يخطئا طريقهما.

٦٥ ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا﴾ هو الخضر، وعلى ذلك دلت الأحاديث الصحيحة ﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا﴾ قيل: الرحمة هي النبوة، وقيل: النعمة التي أنعم الله بها عليه ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ علمه الله سبحانه أشياء من علم الغيب الذي استأثر به. وفيما فعل موسى وهو من جلة الأنبياء من طلب العلم والرحلة في ذلك ما لا ينبغي لأحد

فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ ءَاتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٤﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٥﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٦﴾ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَني مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٨﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ ءَخْبَرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٧٠﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ وَحَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧١﴾

علمي، لأن علمك لا يوافق ذلك. أن يترك طلب العلم، وإن كان قد بلغ نهايته، وأن يتواضع لمن هو أعلم منه. ٦٦ ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَني مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾ استأذنه أن يكون تابعا له على أن يعلمه مما علمه الله من العلم، وقد يأخذ الفاضل عن المفضول إذا اختص أحدهما بعلم لا يعلمه الآخر، فقد كان علم موسى علم الأحكام الشرعية، وكان علم الخضر علم بعض الغيب. ٦٧ ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ لا تطيق أن تصبر على ما تراه من

٦٨ ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ وكيف تصبر على علم لم تُحِطْ بحقيقته؟ ٦٩ ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا﴾ أي: قال موسى للخضر ستجدني صابراً معك، ملتزماً طاعتك. ٧٠ ﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ﴾ مما تشاهده من أفعالي المخالفة ﴿حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ حتى أكون أنا المبتدئ لك ببيان وجهه وما يؤول إليه.



فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نَكِرًا ﴿٧٤﴾ * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَ هَذَا فَلَا تُصَحِّحْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلُهَا فَأَتَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ ﴿٧٧﴾ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٨﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٩﴾

موسى «أقتلت نفساً زكية» الزكية: البريئة من الذنوب «بغير نفس» أي: بغير قتل نفس محرمة حتى يكون قتل هذه قصاصاً «لقد جئت شيئاً نكراً» أي: فظيماً منكراً.

٧٥ «قال» الخضر «ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً» زاد هنا لفظ لك، لأن سبب العتاب أكثر، وموجه أقوى لتكرار المخالفة.

٧٦ «قال» موسى «إن سألتك عن شيء بعدها» أي بعد هذه المرة «فلا تصاحبني» أي: لا تجعلني صاحباً لك «قد بلغت من لدني عذراً» يريد أنك قد أعذرت حيث أكون قد خالفتك ثلاث مرات، وهذا كلام نادم شديد الندامة.

٧٧ «فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية» قيل: هي أيلة «استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما» أي: أبوا أن يعطوهما ما هو حق واجب عليهم من ضيافتها «فوجدوا فيها» أي: في القرية «جداراً يريد أن ينقض» أي: أن هيئه السقوط قد ظهرت فيه «فأقامه» أي: فسواه، وجده مائلاً فردّه كما كان. في الحديث الصحيح أنه مسح بيده فإذا هو قد استقام «قال» موسى «لو شئت لاتخذت عليه أجراً» على إقامته وإصلاحه.

٧٨ «قال» الخضر «هذا فراق بيني وبينك» أي: هذا الكلام والإنكار منك على تركي أخذ الأجر، هو المفرق بيننا «سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً» التأويل تفسير وبيان الوجه الذي فعل بسببه تلك الأفعال التي أنكرها موسى، وذلك

٧٩ «أما السفينة» يعني: التي خرقتها «فكانت لمساكين» لضعفاء لا يقدرّون على دفع من أراد ظلمهم.

شيئاً إمرأ» أي: لقد أتيت إمرأ عظيماً. ٧٢ «قال» أي الخضر «ألم أقل لك لن تستطيع معي صبراً» أدكره ما تقدم من قوله له سابقاً «إنك لن تستطيع معي صبراً». ٧٣ «قال» له موسى «لا تؤاخذني بما نسيت» أي: لا تؤاخذني بنسياني «ولا ترهقني من أمري عسراً» عاملني باليسر لا بالعسر.

٧٤ «فانطلقا حتى إذا لقيَا غلاماً فقتله» أي: الخضر، كان الغلام يلعب مع الصبيان فاقتلع الخضر رأسه «قال»

٧١ «فانطلقا» فرت بهم سفينة فكلّمهم أن يحملوهم فحملوهم «حتى إذا ركبنا في السفينة خرقتها» قيل: خرقت جدار السفينة ليعيبها ولم يجعل الخرق مما يلي الماء، لئلا يتسارع الفرق إلى أهلها «قال» موسى للخضر «أخرقتها لتغرق أهلها» [فأنكر عليه ما صنعه بالسفينة. لأنه بادي الرأي سيؤدي إلى هلاك الأرواح والأموال] وفي بعض الروايات أن أصحاب السفينة أركبوها معهم من غير نؤل: أي أجر، ولذلك كان استنكار موسى أعظم «لقد جئت

أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ
 أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾
 وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا
 طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِمَّا
 زَكَّوْهُ وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ
 يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا
 صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا
 رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ
 تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ
 قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّالَهُ فِي الْأَرْضِ
 وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَاتَّبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰ
 إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ

﴿يعملون في البحر﴾ ولم يكن لهم مال غير تلك السفينة، يكرونها من الذين يركبون البحر وياخذون الأجرة ﴿فأردت أن أعيبها﴾ بنزع ما نزعته منها ﴿وكان وراءهم ملك﴾ يعني: أمامهم وقيل: أراد خلفهم ﴿يأخذ كل سفينة غصباً﴾ أي: كل سفينة صالحة لا معيبة.

٨٠ ﴿وأما الغلام﴾ يعني الذي قتله ﴿فكان أبواه مؤمنين﴾ أي: ولم يكن هو كذلك ﴿فخشينا أن يرهبهما﴾ المعنى: فخشينا أن يرهب الوالدين طغيانا عليها وكفرا لنعمتها بعقوبه، وقيل: إن الخضر علم بإعلام الله له أنه طبع يوم طبع كافراً، وسوف يتسبب عن كفره إضلال أبويه وكفرهما.

٨١ ﴿فأردنا أن يبدلها ربها خيراً منه﴾ أردنا أن يرزقها الله بدل هذا الولد ولداً خيراً منه ﴿زكاة﴾ أي: ديناً وصلاً وطهارة من الذنوب ﴿واقرب رحماً﴾ رحمة لوالديه.

٨٢ ﴿وأما الجدار﴾ يعني الذي أصلحه ﴿فكان لغلامين يتيمين في المدينة﴾ هي القرية المذكورة سابقاً ﴿وكان تحته كنزهما﴾ كان مالا جسيماً، والكنز: المال المدفون ﴿وكان أبوهما صالحاً﴾ فكان صلاحه مقتضياً لرعاية ولديه وحفظ مالهما ﴿فأراد ربك أن يبلغا أشدهما﴾ أي:

كسالمهما وتما نمؤهما ﴿ويستخرجا كنزهما﴾ من ذلك الموضع الذي عليه الجدار، ولو انقض الخرج الكنز من تحته ﴿رحمة من ربك﴾ أي كان هذا التدبير من الله تعالى رحمة لهما، بصلاح أبيهما ﴿وما فعلته عن أمري﴾ أي: عن اجتهادي ورأيي ﴿ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً﴾ أي ذلك المذكور هو تفسير ما ضاق صبرك عنه، ولم تطق السكوت عليه. عن ابن عباس عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ

«رحمة الله علينا وعلى موسى، لو صبر لقص الله علينا من خبره، ولكن (قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني)».

٨٣ ﴿ويسألونك عن ذي القرنين﴾ السائلون هنا هم اليهود، وذو القرنين قيل: هو الإسكندر بن فيليبوس - الذي ملك الدنيا بأسرها - اليوناني، باني الإسكندرية، وهذا مشكل لأنه كان كافراً وهو تلميذ أرسطو، وقيل: هو أبو كرب الحميري، وقيل، هو ملك من الملائكة، وإنما سمي ذا القرنين، لأنه

بلغ قرن الشمس من مطلعها، وقرن الشمس من مغربها ﴿قل سأتلوا عليكم منه ذكراً﴾ وذلك بطريق الوحي المتلوق.

٨٤ ﴿إنا مكننا له في الأرض﴾ أي أقدرناه بما مهدنا له من الأسباب حتى تمكن منها أين شاء وكيف شاء ﴿وآتيناه من كل شيء﴾ مما يتعلق بمطلوبه ﴿سبباً﴾ أي: طريقاً يتوصل بها إلى ما يريده.

٨٥ ﴿فاتبع سبباً﴾ طريقاً تؤديه إلى مغرب الشمس.

٨٦ ﴿حق إذا بلغ مغرب الشمس﴾

الطريق الأولى .

٩٠ ﴿حَقِّ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ﴾

أي: الموضع الذي تطلع عليه الشمس أولاً من معمور الأرض ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا﴾ يستترهم، لا من البيوت ولا من اللباس، بل هم حفاة عراة لا يأوون إلى شيء من العمارة [أولاً يحول بينهم وبينها إلا البحر. ويقال إنه ربما بلغ الأرض التي تبقى الشمس فيها طالعة عشرات الأيام لا تغيب، ولا تستتر، وذلك في شمال الكرة الأرضية].

٩١ ﴿كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ

خَبْرًا﴾ أي: وقد علمنا حين ملكناه ما عنده من الصلاحية لذلك الملك والاستقلال به.

٩٢ ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ أي: طريقاً ثالثاً

معتزلاً بين المشرق والمغرب .

٩٣ ﴿حَقِّ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدِّينِ﴾

جبلان من قبل أرمينية وأذربيجان ﴿وَجَدَ مِنْ دُونِهَا﴾ أي: من ورائها ﴿قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ لا يفهمون كلام غيرهم.

٩٤ ﴿قَالُوا﴾ قيل: إن فهم ذي القرنين

لكلامهم من جملة الأسباب التي أعطاه الله له، وقيل إنهم قالوا ذلك لترجمانهم

﴿بِذَا الْقَرْنَيْنِ إِنْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ

مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ هما قبيلان من الناس. قيل: هم من الترك. وإفسادهم في الأرض، قيل: هو الظلم، والفسح، والقتل، وسائر وجوه الإفساد ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ أي ضريبة لك من أموالنا ﴿عَلَى أَنْ نَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ أي ردماً حاجزاً بيننا وبينهم.

٩٥ ﴿قَالَ مَا مَكْنِي فِيهِ رَبِّي﴾ ما بسطه

الله لي من القدرة والملك ﴿خَيْرٌ﴾ من خراجكم، ثم طلب منهم المعاونة له فقال:

وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَبْدَأُ الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ

وَإِمَّا أَنْ نَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ

نُعَذِّبُهُ، ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا

مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ

لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا

بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ

لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا

لَدَيْهِ خَبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ

السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ

قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا يَبْدَأُ الْقَرْنَيْنِ إِنْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ

مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ نَجْعَلَ

بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكْنِي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ

نفسه بالإصرار على الشرك، ولم يقبل دعوتي ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ﴾ بالقتل في الدنيا ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ﴾ في الآخرة ﴿فَيُعَذِّبُهُ﴾ فيها ﴿عَذَابًا نُكْرًا﴾ أي منكراً فظيماً.

٨٨ ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ﴾ بالله وصدق دعوتي ﴿وَعَمِلَ﴾ عملاً ﴿صَالِحًا﴾ مما يقتضيه الإيمان ﴿فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ وهي الجنة. ويجوز أن يكون هذا الجزاء من ذي القرنين، أي: أعطيه وأنفضل عليه ﴿وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ ذا يسر ليس بالصعب الشاق.

٨٩ ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ أي طريقاً غير

أي: نهاية الأرض من جهة المغرب ليس بعدها إلا البحر المحيط ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ فِي عَيْنِ حَمَّةٍ﴾ أي كثيرة الحمأة، وهي الطينة السوداء. قيل: ولعل ذا القرنين لما بلغ ساحل البحر المحيط رآها كذلك في نظره ﴿وَوَجَدَ عِنْدَهَا﴾ أي عند مغربها ﴿قَوْمًا﴾ وكانوا كفاراً ﴿إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ أي: إما أن تعذبهم بالقتل من أول الأمر وإما تحسن إليهم بدعوتهم إلى الحق وتعليمهم الشرائع.

٨٧ ﴿قَالَ﴾ ذو القرنين ﴿أَمَّا مَنْ ظَلَمَ﴾

﴿فَاعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ أي: برجال منكم يعملون بأيديهم، أو أعينوني بآلات البناء
﴿اجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ والرمد: هو السد.

٩٦ ﴿آتُونِي زَبَرَ الْحَدِيدِ﴾ أي قطع الحديد ﴿حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾ الصدفتين: والصدفان: جانبا الجبل. ومعنى الآية: أنهم أعطوه زبر الحديد، فجعل بيني بها بين الجبلين حتى ساواهما
﴿قَالَ انفخُوا﴾ أي: قال للعملة انفخوا على هذه الزبر بالكيران ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا﴾ قيل: كان يأمر بوضع طاقة من الزبر والحجارة، يوقد عليها الحطب والفحم بالمنافخ حتى تحمى، والحديد إذا أوقد عليه صار كالنار المحمرة، ثم يؤتى بالنحاس المذاب فيفرغه على تلك الطاقة
﴿قَالَ آتُونِي أَفْرِغْ عَلَيْهِ قَطْرًا﴾ القطر: النحاس الذائب.

٩٧ ﴿فَاسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾ أي: فاستطاع ياجوج ومأجوج أن يعلوا على ذلك الرمد لارتفاعه وملاسته ﴿وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ وما استطاعوا أن ينقبوه من أسفله لشدة وصلابته.

٩٨ ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي﴾ أي: قال ذو القرنين: هذا، أي تمكني من بناء السد، من آثار رحمة هؤلاء القوم، أو بالناس، لكونه يحول بين ياجوج ومأجوج وبين الفساد في الأرض ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ أي أجل ربّي أن يخرجوا منه قبيل يوم القيامة ﴿جَعَلَهُ دَكَاةً﴾ أي مستويا بالأرض ﴿وَوَكَانَ وَعْدُ رَبِّي﴾ أي: وعده [بخراب السد وخروج ياجوج قبل يوم القيامة] ﴿حَقًّا﴾ ثابتا لا يتخلف. وهذا آخر قول ذي القرنين.

٩٩ ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ﴾ بعض الناس ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم خروج ياجوج ومأجوج ﴿يَمُوجٌ فِي بَعْضٍ﴾ المعنى: أنهم يضطربون ويحتلطون يوم القيامة، فإن خروج ياجوج

فَاعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ آتُونِي زَبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أَفْرِغْ عَلَيْهِ قَطْرًا ﴿٩٦﴾ فَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَلَمَّا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَاةً وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ * وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فُجِعَتْنَهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾

لتعاميمهم عن المشاهدة بالأبصار، وإعراضهم عن الأدلة السمعية.

١٠٢ ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي﴾ وهم الملائكة والمسيح والشياطين ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ أي معبودين ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾ أي: هيأناها لهم نزلا يتمتعون به عند ورودهم، كما يعدّ النزل للضيف.

١٠٣ ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ أي: هل نخبركم أيها الناس بأشد الناس خسرانا لأعمالهم؟ هم:

١٠٤ ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَبِيلَهُمْ فِي الْحَيَاةِ

ومأجوج من علامات قرب الساعة ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ قيل: هي النفخة الثانية، بدليل قوله بعد ﴿فُجِعَتْنَهُمْ جَمْعًا﴾ أي أحييناهم بعد تلاشي أبدانهم ومصيرها ترابا ثم أتيناهم إلى المحشر جميعا.

١٠٠ ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾ أي: أظهرناها لهم حتى شاهدوها يوم جمعنا لهم.

١٠١ ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي﴾ وهو الآيات التي يشاهدها من له تفكر واعتبار، فيذكر الله بالتوحيد والتمجيد ﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾

الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ
يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٨﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَتِ رَبِّهِمْ
وَلِقَائِهِ، فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
وِزْنًَا ﴿١٠٩﴾ ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا
ءَايَتِي وَرُسُلِي هُزُوءًا ﴿١١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١١١﴾
خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١١٢﴾ قُلْ لَوْ كَانَتِ
الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ
كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١١٣﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا
بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَنَ
كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ، فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ
بِعِبَادَةِ رَبِّهِ ۚ أَحَدًا ﴿١١٤﴾

معدا لهم مبالغة في إكرامهم.

١٠٨ ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ أي: لا يطلبون تحولا عنها، إذ هي أعز من أن يطلبوا غيرها. أخرج أحمد والترمذي عن عبادة بن الصامت أن النبي ﷺ قال «إن في الجنة مائة درجة، كل درجة منها ما بين السماء والأرض، والفردوس أعلاها درجة، ومن فوقها يكون العرش، ومنه تفجر أنهار الجنة الأربعة، فإذا سألت الله فاسأله الفردوس».

١٠٩ ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا

لِكَلِمَاتِ رَبِّي﴾ لو كتبت كلمات علم الله وحكمته، وكان ماء البحر حبرا للقلم، والقلم يكتب، لنفد البحر قبل نفاد الكلمات، ولوجئنا بمثل البحر مدادا لنفد أيضا، فيستفاد من الآية: كثرة كلمات الله بحيث لا تضبطها الأقلام والكتب.

١١٠ ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ أي:

إن حالي مقصور على البشرية لا يتخطاها إلى الملكية أو الإلهية **﴿يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾** وكفى بهذا الوصف فارقا بينه وبين سائر أنواع البشر **﴿أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾** لا شريك له في ألوهيته **﴿فَنَ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾** من كان له هذا الرجاء الذي هو شأن المؤمنين **﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾**

وهو ما دلّ الشرع على أنه عمل خير يثاب عليه فاعله **﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾** من خلقه سواء كان صالحا، أو طالحا، حيوانا أو جادا، ويدخل في النهي الشرك الخفي الذي هو الرياء. وأخرج أحمد وابن سعد عن أبي سعيد بن أبي فضالة الأنصاري، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم لا ريب فيه نادى مناد: من كان أشرك في عمل عملة لله أحدا، فليطلب ثوابه من عند غير الله، فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك».

١٠٦ ﴿ذَلِكَ﴾ من أنواع الوعيد **﴿جَزَاءُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا﴾** أي: بسبب كفرهم. وقد اختلف السلف في تعيين هؤلاء الأخسرين أعمالا، فقيل: اليهود والنصارى، وقيل: كفار مكة، وقيل: الرهبان أصحاب الصوامع.

١٠٧ ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ضد صفة من قبلهم **﴿كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ﴾** الفردوس في كلام العرب: الشجر الملتف، والأغلب عليه العنب، والفردوس البستان باللغة الرومية **﴿نُزُلًا﴾**

الدنيا، ضلال السعي بطلانه وضياعه **﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾** مخدوعون بما هم عليه يظنون أنهم محسنون في ذلك منتفعون بآثاره.

١٠٥ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ بدلائل توحيده من الآيات التكوينية والتنزيلية. وكفرهم بلفاقه: كفرهم بالبعث وما بعده من أمور الآخرة **﴿فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾** أي: التي عملوها بما يظنونها حسنا، وإنما حبطت لكفرهم **﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًَا﴾** أي: لا يكون لهم عندنا قدر ولا نعبأ بهم.

(١٩) سُورَةُ مَرْيَمَ وَأَنبِيَآئِهَا مَكَانٌ وَتَسْمَعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كَهَيْعَصَ ① ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ②
إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ③ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ
الْعَظْمُ مِنِّي وَآسْتَعْلَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ
رَبِّ شَقِيًّا ④ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ
أُمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ⑤ يَرِثُنِي وَيَرِثُ
مِنْ عَالِي يَعْقُوبَ ⑥ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ⑦ يَزَكَرِيَّا إِنَّا
نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ⑧
قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ أُمْرَأَتِي عَاقِرًا

سُورَةُ مَرْيَمَ

١ ﴿كهيعص﴾ تقدم الكلام في الحروف الواقعة في فواتح السورة مستوفى في أوائل سورة البقرة.

٢ ﴿ذكر رحمة ربك﴾ أي: هذا ذكر رحمة ربك ﴿عبدته زكريا﴾ [وهو من أنبياء بني إسرائيل وزوجته خالة عيسى عليها السلام].

٣ ﴿إذ نادى ربه نداء خفياً﴾ قيل: جعل نداءه لله خفياً، لأنه أبعد عن الرياء، وقيل: لكونه قد صار ضعيفاً هرماً لا يقدر على الجهر.

٤ ﴿قال رب إني وهن العظم مني﴾ أراد أن عظامه فترت وضعفت قوته ﴿واشتعل الرأس شيباً﴾ كثر شيبه جداً، وهذا كناية عن الهرم ﴿ولم أكن بدعائك رب شقياً﴾ أي: لم أكن خائباً، بل كلما دعوتك استجبت لي.

٥ ﴿وإني خفت الموالى من ورائي﴾ الموالى هنا هم الأقارب وسائر العصابات من بني العم ونحوهم، كانوا - يعني أقاربه وبني عمه - مهملين لأمر الدين، أي قلوا وضعفوا عن حمل الدين، أو انشغلوا بالدنيا عن إقامة أمر الدين لبني إسرائيل. فخاف أن يضيع الدين بموته، فطلب ولياً يقوم به بعد موته يكون حريصاً على الدين ﴿وكانت امرأتى عاقراً﴾ العاقر: هي التي لا تلد لكبر سنها ﴿فهب لي من لدنك ولياً﴾ ولم يصرح بطلب الولد لما علم من نفسه بأنه قد صار هو وامراته في حالة لا يجوز فيها حدوث الولد بينها وحصوله منها، وقيل: بل أراد الولد.

٦ ﴿يرثني ويرث من آل يعقوب﴾ الوراثة هنا: هي وراثة العلم والنبوة على

ما هو الراجح لا وراثة المال، لقول النبي ﷺ «نحن معاشر الأنبياء لا نورث»، أي يرث ما عندهم من العلم ويقوم برعاية أمورهم في الدين ﴿واجعله رب رضيعاً﴾ أي مرضياً في أخلاقه وأفعاله، ترضاه أنت ويرضاه عبادك، ليكون أهلاً لحمل علم الدين وتعليمه وتبليغه وليقيم لهم شعائر دينهم.

٧ ﴿يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى﴾ استجاب له الله دعاءه فوجه إليه هذا النداء من جهة الملائكة ﴿لم نجعل له من قبل سمياً﴾ معناه: لم نسم أحداً قبله

٨ ﴿قال رب أنى يكون لي غلام﴾ معناه التعجب من قدرة الله وبديع صنعته، حيث يخرج ولداً من امرأة عاقر وشيخ كبير ﴿وقد بلغت من الكبر عتياً﴾ انتهى سنه وكبر.

٩ ﴿قال كذلك قال ربك هو على هين﴾ أي: هو مع بعده عندك على هين، أي سهل ميسور ﴿وقد خلقناك من قبل ولم تك شيئاً﴾ خلقه ابتداءً، وأوجده من عدم المحض، فإيجاد الولد له

٧ ﴿يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى﴾ استجاب له الله دعاءه فوجه إليه هذا النداء من جهة الملائكة ﴿لم نجعل له من قبل سمياً﴾ معناه: لم نسم أحداً قبله

وَقَدْ بَلَغْتَ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ
هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴿٩﴾
قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ ءَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ
ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ
فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ يَبْحِثُ خِذِ
الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّنْ
لَّدُنَّا وَزَكَاةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ
جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَّمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ
يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ
مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ
حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾
قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ ۖ إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا ﴿١٨﴾

من عندنا. والحنان الرحمة والشفقة والعطف والمحبة، وقيل: المعنى أعطيناها رحمة من لدنا كائنة في قلبه يتحنن بها على الناس، ومنهم أبواه وقربته حتى يخلصهم من الكفر والمعاصي **﴿وزكاة﴾** الزكاة: التطهير والبركة، أي جعلناه مباركاً للناس يهديهم إلى الخير **﴿وكان تقياً﴾** أي: متجنباً لمعاصي الله مطيعاً له. **١٤ ﴿وبراً بوالديه﴾** لطيفاً بها محسناً إليها **﴿ولم يكن جبّاراً عصياً﴾** أي لم يكن متكبراً ولا عاصياً لوالديه أو لربه. **١٥ ﴿وسلام عليه﴾** أمان عليه من الله، وقيل: يسلم الله عليه **﴿يوم ولد﴾** أمن من الشيطان في ذلك اليوم **﴿ويوم يموت ويوم يبعث حياً﴾** قيل: أوحش ما يكون الإنسان في ثلاثة مواطن: يوم يولد، لأنه يخرج مما كان فيه، ويوم يموت لأنه يرى قوماً لم يكن قد عرفهم، وأحكاماً ليس له بها عهد، ويوم يبعث لأنه يرى هول يوم القيامة. **١٦ ﴿واذكر في الكتاب﴾** يا محمد للناس في هذه السورة قصة **﴿مريم إذ انتبذت﴾** تنحت وتباعدت فقيل: انفردت لأجل أن تعبد الله سبحانه **﴿مكاناً شرقياً﴾** أي: مكاناً من جانب الشرق من بيت المقدس.

١٧ ﴿فاتخذت من دونهم حجاباً﴾ أي: حجاباً يستترها عنهم لئلا يروها حال العبادة، والحجاب: الستر والحاجز **﴿فأرسلنا إليها روحنا﴾** هو جبريل عليه السلام **﴿فتمثل لها بشراً سوياً﴾** أي: تمثل جبريل لها إنساناً مستوي الخلق لم يفقد من نعوت بني آدم شيئاً، فظنت أنه يريد بها بسوء.

١٨ ﴿قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً﴾ أي: ممن يتقي الله ويخافه فإنني أستعيز بالله منك فاخرج من وراء الحجاب.

يستطع أن يكلمهم بذلك. وقيل: كتب لهم كتاباً وأمرهم فيه بصلاة الفجر والمصر، وقيل: هو قولهم: سبحان الله، في الوقتين.

١٢ ﴿يا يحيى خذ الكتاب بقوة﴾ أي: فولد له مولود، فبلغ المبلغ الذي يخاطب فيه، فقلنا له: يا يحيى، والكتاب: التوراة **﴿بقوة﴾** أي: بجد وعزيمة واجتهاد **﴿وآتيناها الحكم صبياً﴾** الحكم: الحكمة، وهي الفهم للكتاب، وقيل: النبوة أعطيا ولما يخرج بعد عن حد الصبا. **١٣ ﴿وحناناً من لدنا﴾** أي رحمناه رحمة

بطريق التوالد المعتاد أهون من ذلك وأسهل منه.

١٠ ﴿قال رب اجعل لي آية﴾ أي: علامة تدلني على وقوع المستول، وحصول البشرى من الله سبحانه بحمل امرأته بابنها يحيى **﴿قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليالٍ سوياً﴾** ألا تقدر على الكلام وأنت سوتي الخلق، ليس بك آفة تمنعك منه.

١١ ﴿فخرج على قومه من المحراب﴾ وهو مصلاه **﴿فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشياً﴾** أي: أشار إليهم إشارة ولم

١٩ ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكَ لِأَهَبَ لَكَ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ أي: لست أريد بك سوءاً، ولكن أنا رسول إليك من ربك الذي استعذت به، ولست ممن يتوقع منه سوء **﴿لأهب لك غلاماً زكياً﴾** الزكي: الطاهر من الذنوب الذي ينمو على النزاهة والعفة.

٢٠ ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ أي: لم يقربني زوج ولا غيره **﴿ولم أك بغياً﴾** البغي: هي الزانية التي تبغي الرجال بالأجر.

٢١ ﴿وَلَنَجْجِله آيَةً لِلنَّاسِ﴾ أي: ولنجعل هذا الغلام، أو خلقه من غير أب، آية للناس يستدلون بها على كمال القدرة **﴿ورحمة منا﴾** لما ينالونه منه من الهداية والخير الكثير، لأن كل نبي رحمة لأمته **﴿وكان أمراً مقضياً﴾** مقدراً قد قدره الله وجف به القلم [أي فلا بد لك من الصبر على هذا الاختيار لك من الله، وعلى ما يستتبعه ذلك من افتراء المفتريين وأذى المؤذنين].

٢٢ ﴿فحملته﴾ أي: فنفع في جيب درعها، فوصلت النفخة إلى بطنها فحملته **﴿فانتبذت به مكاناً قصياً﴾** اعتزلت إلى مكان بعيد.

٢٣ ﴿فأجاءها المخاض﴾ المخاض: حالة الولادة **﴿إلى جذع النخلة﴾** أي: ألجأها واضطرها إلى ساق النخلة اليابسة، كأنها طلبت شيئاً تستند إليه وتعلق به، كما تتعلق الحامل لشدة وجع الطلق **﴿قالت يا ليتني مت قبل هذا﴾** تمت الموت، لأنها خافت أن يظن بها سوء في دينها **﴿وكننت نسياً﴾** النسي: الشيء الحقير الذي من شأنه أن ينسى ولا يذكر، ولا يتألم لفقده كالوتد والحبل.

٢٤ ﴿فناداها من تحتها﴾ أي: جبريل لما سمع قولها، وكان تحت الأكمة،

قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكَ لِأَهَبَ لَكَ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾
قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَلَنَجْجِله
آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾
* فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَاءَهَا
الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا
وَكَنتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا نَحْزَنِي
قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهَزَيْتُ إِلَيْكِ بِجِذْعِ
النَّخْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي
وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرِينَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ
لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ أَنْسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِ
قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَمْرُؤٌ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾

من البشر أحداً﴾ أي: إن رأيت إنساناً **﴿فقلولي إني نذرت للرحمن صوماً﴾** الصوم هنا: الصمت عن الكلام **﴿فلن أكلم اليوم أنسياً﴾** المراد أنها لا تكلم أحداً من الإنس بعد إخبارهم بهذا الخبر، قيل: إنها لم تخبرهم هنا باللفظ، بل بالإشارة المفيدة.

٢٧ ﴿فأتت به﴾ أي بعيسى **﴿تحمله﴾** من المكان القصي الذي انتبذت فيه، فلما رأوا الولد **﴿قالوا﴾** منكرين لذلك **﴿يامريم لقد جئت شيئاً فرياً﴾** عجيباً نادراً [منكراً].

وقيل: تحت النخلة، وقيل: المنادي هو عيسى **﴿قد جعل ربك تحتك سرياً﴾** السري: النهر الصغير أجراه الله لها لتشرب منه، وقيل: المراد بالسري هنا عيسى، والسري: العظيم من الرجال.

٢٥ ﴿وهزيت إليك بجذع النخلة﴾ أي: أمسكي به وهزيه **﴿تساقط عليك رطبا جنياً﴾** هو ما طاب وصلاح للاجتماع، أي: رطبا طرياً طيباً.

٢٦ ﴿فكلي واشربي﴾ أي: من ذلك الرطب وذلك الماء **﴿وقري عيناً﴾** طيبي نفساً وارضي عنك الحزن **﴿فإما ترين﴾**



يَتَّخِذَ هَٰؤُلَاءِ مَا كَانَ آبُوكَ أَمْرًا سَوْءًا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ
بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ
فِي الْأَمْتِدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ
وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي
بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ
يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ
أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ
الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ
سُبْحَنَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾
وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾
فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ
مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا

شقيًّا الجبار: المتعظم الشقي العاصي
لربه، وقيل: الخائب، وقيل: العاق.

٣٣ **والسلام عليّ يوم ولدت ويوم**
أموت ويوم أبعث حيا أي: السلامة
عليّ يوم ولدت فلم يضرني الشيطان في
ذلك الوقت، ولا أغواني عند الموت، ولا
عند البعث.

٣٤ **ذلك** المتصف بالأوصاف
السابقة الذي قال إني عبد الله هو **عيسى**
ابن مريم قوله الحق أي هذا الكلام
هو قول الحق في حقيقة عيسى بن مريم
لا ما يقوله الضالون ولا المغضوب عليهم
الذي فيه يمترون يختلفون.

٣٥ **ما كان لله أن يتخذ من ولد**
أي: ما صنع ولا استقام ذلك **سبحانه**
أي تنزهه وتقدس عن مقالاتهم هذه **إذا**
قضى أمرا فإنا يقول له **كن فيكون**
فن كان هذا شأنه كيف يتوهم أن
يكون له ولد؟

٣٦ **وان الله ربي وربكم فاعبدوه**
هذا صراط مستقيم أي: هذا الذي
ذكرته لكم من أنه ربي وربكم، هو
الطريق القيم الذي لا اعوجاج فيه، ولا
يضلّ سالكه.

٣٧ **فاختلف الأحزاب من بينهم**
أي: فاختلفت الفرق من أهل الكتاب
في أمر عيسى، فاليهود قالوا: إنه ساحر،
وقالوا: إنه ابن يوسف النجار، والنصارى
اختلفت فرقتهم فيه، فقالت النسطورية
منهم: هو ابن الله، وقالت الملكية: هو
ثالث ثلاثة، وقالت اليعقوبية: هو الله
تعالى **فويل للذين كفروا** وهم
المتخلفون في أمره **من مشهد يوم عظيم**
أي: من شهود يوم القيامة، وما يجري
فيه من الحساب والعقاب.

٣٨ **أسمع بهم وأبصر** أي ما أقوى
سمعهم وأبصارهم **يوم يأتوننا** أي:
للحساب والجزاء.

من الربوبية] **آتاني الكتاب** أي:
الإنجيل: أي قدر لي في الأزل أن أكون
نبيًا ذا كتاب. أي: حكم لي بإيتاني
الكتاب والنبوة، ولم يكن قد نزل عليه
في تلك الحال، ولا قد صار نبيًا.

٣١ **وجعلني مباركا أينما كنت**
المبارك: النقا للعباد، والمعلم للخير
وأوصاني بالصلاة أي أمرني بها
والزكاة زكاة المال، أو تطهير النفس
مادمت حيا أي مدة دوام حياتي.

٣٢ **وبرأ بوالدتي** علم في تلك الحال
أنه لم يكن له أب **ولم يجعلني جبارا**

٢٨ **يا أخت هارون** هارون هذا
رجل صالح في ذلك الوقت، وقيل المعنى:
يا من نظنها مثل هارون في العبادة،
كيف تأتين بمثل هذا؟ **ما كان أبوك**
امرا سوء وما كانت أمك بغيا فن
أين يأتيك سوء؟

٢٩ **فأشارت إليه** أي: إلى عيسى،
اكتفت بالإشارة ولم تأمره بالنطق، لأنها
نذرت للرحمن صوما عن الكلام.

٣٠ **قال** عيسى **إني عبد الله** فكان
أول ما نطق به الاعتراف بالعبودية لله
[إيذانًا للنصارى بضلالتهم فيما ادعوه له

﴿لَكِنَّ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ﴾ أي في الدنيا
﴿فِي هَلَالٍ مَبِينٍ﴾ [صم بكم عمي عن
الحق يحسبون أنهم على شيء].

٣٩ ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ أي: يوم
يتحسرون جميعاً، فالمسيء يتحسر على
إساءته، والمحسن على عدم استكثاره من
الخير ﴿إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ أي: فرغ من
الحساب، وطويت الصحف، وصار أهل
الجنة في الجنة، وأهل النار في النار
﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ أي هم الآن في الدنيا
مفترون بها غافلون عما يعمل بهم يوم
القيامة، وما أعد لهم من العذاب، ولو
علموا وعقلوا لكان لهم شأن آخر ﴿وَهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

٤٠ ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ
عَلَيْهَا﴾ فلا يبقى بها أحد من أهلها يرث
الأموات ما خلفوه من الديار والمتاع
﴿وَالْبَنَّا بَرْجِعُون﴾ أي يردون إلينا يوم
القيامة، فنجازي كلا بعمله.

٤١ ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ﴾
أي: اذكر خبره على الناس ﴿إِنَّهُ كَانَ
صَدِيقًا نَبِيًّا﴾ الصديق: الكثير الصدق،
أو هو القوي التصديق لآيات الله.

٤٢ ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾ أبو إبراهيم هو آزر
على ما تقدم في سورة الأنعام — ٧٤ ﴿لِمَ
تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ﴾ دعاءك إياه ﴿وَلَا
يُبْصِرُ﴾ ما تفعله من عبادته ﴿وَلَا يَغْنِي
عَنْكَ شَيْئًا﴾ فلا يجلب لك نفعاً، ولا
يدفع عنك ضرراً، وهي الأصنام التي
كان يعبدها آزر.

٤٣ ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ
مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾ يخبر إبراهيم أباه أنه قد
وصل إليه نصيب من العلم بالوحي من
قِبَلِ اللَّهِ سبحانه، لم يصل إلى أبيه، وأنه
قد تجدد له حصول ما يتوصل به منه إلى
الحق. ويقتدر به على إرشاد الضال،

لَكِنَّ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنْذِرْهُمْ
يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا
وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ
إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَأْتِ بِكَ تَعْبُدُ
مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَأْتِ بِكَ
إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا
سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَأْتِ بِكَ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ
كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَأْتِ بِكَ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ
عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ
أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَلْبِسُ إِبْرَاهِيمَ لِنَ لَمْ تَنْتَ لَأَرْجَمَنَّكَ
وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي

ولذلك قال: ﴿فاتبعني أهدك صراطا
سويا﴾ مستويا موصلا إلى المطلوب
منجيا من المكروه.

٤٤ ﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾ أي لا
تطعه، فإن عبادة الأصنام: هي من طاعة
الشيطان ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ
عَصِيًّا﴾ حين ترك ما أمره به من السجود
لآدم، والمعاصي حقيق بأن تسلب عنه
النعم وتحل به النقم.

٤٥ ﴿فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ تكون
بسبب مولاته في العذاب معه.

٤٦ ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَا
إِبْرَاهِيمَ﴾ أعرض أنت عن تلك الأصنام
ومنصرف إلى غيرها؟ ﴿لَنْ لَمْ تَنْتَ
لَأَرْجَمَنَّكَ﴾ أي: بالحجارة، وقيل: معناه
لأشتمنك ﴿واهجرتني مليا﴾ أي: فارقني
زمانا طويلا.

٤٧ ﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ﴾ أي: تحية
توديع ومتاركة كقوله (وإذا خاطبهم
الجاهلون قالوا سلاما) ﴿سَأَسْتَغْفِرُكَ
رَبِّي﴾ وعده بأن يطلب له المغفرة من الله
سبحانه تألفا له وطمعا في لينه وذهاب
قسوته، وكان منه هذا الوعد قبل أن
يعلم أنه يموت على الكفر.



عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ
وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا
إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾
* نَخْلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا
الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ
وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ
شَيْئًا ﴿٦٠﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ
إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا
وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي
نُورِثُ مِنَ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا
بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ
وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ أي: من ذرية
من حملنا معه، وهم من عدا إدريس
﴿وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ وهم الباقون
﴿وَإِسْرَءِيلَ﴾ أي ومن ذرية إسرائيل،
وهو يعقوب ومنهم موسى وهارون وزكريا
وعيسى وعيسى ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا﴾ أي من
جملة من هدينا إلى الإسلام ﴿وَاجْتَبَيْنَا﴾
[أي اصطفينا من العباد حتى جعلناهم
أنبياء] ﴿إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ﴾
﴿خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ كانوا إذا سمعوا
آيات الله بكوا وسجدوا.

٥٩ ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ أي
عقب سوء من أمهم يتسمون بالإيمان
والاتباع للأنبياء ولكنهم في أفعالهم
مقصرون ومخالفون، ولذلك: ﴿أَضَاعُوا
الصَّلَاةَ﴾ قيل: لم يأتوا بها على الوجه
المشروع، والظاهر أن من أخر الصلاة عن
وقتها، أو ترك فرضاً من فروضها، أو
شرطاً من شروطها، أو ركناً من أركانها،
فقد أضاعها. وأشدُّ منهم إضاعة لها من
تركها بالكليّة، أو جحد وجوبها ﴿وَاتَّبَعُوا
الشَّهَوَاتِ﴾ أي: فعلوا ما تشتهيه أنفسهم
من المحرمات، كشرب الخمر والزنى
﴿فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾ الغي: هو الشر،
وقيل: الخيبة.

٦٠ ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ
صَالِحًا﴾ أي: تاب مما فرط منه من
تضييع الصلوات، واتباع الشهوات، فرجع
إلى طاعة الله وآمن به وعمل عملاً صالحاً
﴿وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ أي: لا ينقص من
أجورهم شيء وإن كان قليلاً.

٦١ ﴿الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ﴾
آمنوا بها ولم يروها ﴿إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ
مَأْتِيًّا﴾ مواعيده آتية، ومنها الجنة يأتيها
أهلها.

٦٢ ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ هو الهذر
من الكلام الذي لا طائل تحته، وقيل:
اللغو كل ما لم يكن فيه ذكر الله ﴿إِلَّا

ما تنزل عليه إلا بأمر الله ﴿إِلَّا بِأَمْرِ
رَبِّكَ﴾ بالتنزيل. روى البخاري وغيره
أن النبي ﷺ قال لجبريل: ما يمنعك أن
تزورنا أكثر مما تزورنا؟ فنزلت هذه الآية
﴿لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ
ذَلِكَ﴾ أي من الجهات والأماكن، أو
من الأزمنة الماضية والمستقبلية، فلا نقدم
على أمر إلا بإذنه ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ
نَسِيًّا﴾ أي لم ينسك وإن تأخر عنك
الوحي، ولا ينسى شيئاً.

٦٥ ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا
بَيْنَهُمَا﴾ أي: خالقها ومالكها وما بينها.

سلاماً﴾ أي: ولكن يسمعون سلام
بعضهم على بعض. أو سلام الملائكة
عليهم ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾
يأتيهم ما يشتهون من الطعام على مقدار
ما يعرفون من الغداء والعشاء.

٦٣ ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنَ عِبَادِنَا
مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ نجعلها لأهل التقوى
[بعد أن نحرمها على غيرهم]

٦٤ ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ أي:
قل يا جبريل: وما ننزل، وذلك أن
رسول الله ﷺ استبطأ نزول جبريل
عليه، فأمر جبريل أن يخبره بأن الملائكة

وَمَا يَنْبَغُ مَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ
 سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِذَا مَاتَ لَسَوْفَ أُنْخَرَجُ
 حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ
 وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ
 لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ
 شِيعَةٍ أَهْبَئًا أَشَدَّ عَلَى الرَّحْمَنِ عَنِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَنْحُنَّ أَعْلَمُ
 بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ
 عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُخْجِي الَّذِينَ أَتَقَوْا وَنَذَرُ
 الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا نُتِلَّىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا بَيِّنَاتٍ
 قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا
 وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ
 أَحْسَنُ أَثْنًا وَرِءْيَا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ

ينزع من كل طائفة من طوائف النفي
 والفساد أعصاهم وأعتاهم، وهم قادتهم
 ورؤساؤهم في الشر.

٧٠ ﴿ثُمَّ لَنَنْحُنَّ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾ أي: إن هؤلاء الذين هم أشد
 على الرحمن عتياً هم أولى بحريق النار.

٧١ ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ أي: ما
 من الناس أحد إلا سوف يرد إلى النار،
 والورود: هو المرور على الصراط ﴿كَانَ
 عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ أمراً محتوماً قد
 قضى سبحانه أنه لا بد من وقوعه لا
 محالة.

٧٢ ﴿ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ أي: اتقوا
 ما يوجب النار، وهو الكفر بالله
 ومعاصيه. فالذين يتقون الله ينجيهم الله
 من الوقوع في النار، فيمرون على الصراط
 بإيمانهم وأعمالهم ﴿وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا
 جِثِيًّا﴾ يبقون فيها جاثين على ركبهم لا
 يستطيعون الخروج.

٧٣ ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا﴾ المراد
 بالفريقين: المؤمنون والكافرون، كأنهم
 قالوا: أفريقنا خير أم فريقكم منزلاً
 ومسكناً، وأكبر جاهاً، وأكثر أنصاراً
 وأعواناً ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ والندي
 والنادي: مجلس القوم ومجتمعهم.

٧٤ ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ﴾
 القرن: الأمة والجماعة ﴿هُمْ أَحْسَنُ
 أَثْنًا﴾ الأثاث: المال أجمع، من الإبل
 والغنم، والبقر، والعييد والمتاع، وقيل:
 هو متاع البيت خاصة من الفرش
 واللباس والستائر والبسط والأثاث
 والسرر ﴿وَرِءْيَا﴾ أي: أحسن منظراً لدى
 الناس من جهة حسن اللباس، أو حسن
 الأبدان وتنعمها.

٧٥ ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ
 لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ أي: من كان يخبط في
 الدنيا على هواه، فإن الله تعالى جعل
 جزاءه أن يتركه في ضلالته ويمده فيها.

بك شيئاً﴾ أي: قبل خلقه كان معدوماً
 بالكلية، ومع ذلك أوجدناه.

٦٨ ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ إلى المحشر بعد
 إخراجهم من قبورهم أحياء
 ﴿وَالشَّيَاطِينَ﴾ أي: يحشرهم الله مع
 شياطينهم الذين أغووههم وأضلوههم ﴿ثُمَّ
 لَنَحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ أي:
 جاثين على ركبهم لما يصيبهم من هول
 الموقف وروعة الحساب.

٦٩ ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ﴾
 الشيعة: الفرقة التي تبعت ديناً من
 الأديان ﴿أَهْبَئًا أَشَدَّ عَلَى الرَّحْمَنِ عَنِيًّا﴾

﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ اثبت على
 ذلك ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ أي ليس له
 مثل ولا نظير حتى يشاركه في العبادة،
 وقيل: ليس له شريك في اسمه وهو الله.
 أي: لم يسم شيء من الأصنام ولا غيرها
 بالله قط.

٦٦ ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ﴾ والمراد بالإنسان
 هنا الكافر ﴿أَخْرَجُ﴾ أي: من القبر.

٦٧ ﴿أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ
 مِنْ قَبْلُ﴾ أي: ألا يتفكر هذا الجاحد في
 أول خلقه فيستدل بالابتداء على الإعادة،
 والابتداء أعجب وأغرب من الإعادة ﴿وَلَمْ

لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ
وَأَمَّا السَّاعَةَ فَيَسْئَلُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ
جُنْدًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَقِيَّةُ
الْصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾
أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِعَاقِبَتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾
أُطْلِعَ الْغَيْبَ أَمْ آتَاهُ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا
سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾
وَنَزِدُّهُ مَائِقُولَ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ
إِلَٰهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ
وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ
عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا
نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ

﴿إِذَا الْعَذَابُ﴾ في الدنيا بالقتل والأسر،
وأما يوم القيامة وما يحل بهم حينئذ من
العذاب الأخروي ﴿فَيَسْئَلُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾ أي: هؤلاء
الذين افتخروا على المؤمنين بأنهم خير
مقاماً وأحسن ندياً، سيعلمون يوم القيامة
أنهم شرّ مكاناً، لا خير مكاناً، وأضعف
جنداً، لا أقوى ولا أحسن من فريق
المؤمنين.

٧٦ ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾
وذلك أن الخير يدعو إلى الخير، والله يجعل
جزاء المؤمنين أن يزيدهم يقيناً، كما
جعل جزاء الكافرين أن يمدّهم في
ضلالتهم ﴿وَالْبَقِيَّاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ
عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ أي إن الطاعات
المؤدية إلى السعادة الأبدية أنفع عائدة مما
يتمتع به الكفار من النعم الدنيوية
﴿وَأَخْبِرْ مَرَدًّا﴾ المرد: المرجع والعاقبة.

٧٧ ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا﴾ أي:
ألا أخبرك بقصة هذا الكافر الذي قال
﴿لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ أخرج البخاري
ومسلم وغيرهما في قوله ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي
كَفَرَ﴾ من حديث خباب بن الأرت،
قال: كنت رجلاً قيناً: أي حدّاداً،
وكان لي على العاص بن وائل دين،
فأتيت أتعاضاه، فقال: لا والله لا أقضيك

حتى تكفر بمحمد، فقلت: والله لا أكفر
بمحمد حتى تموت ثم تبعث، قال: فإني
إذا مت، ثم بعثت، جئتني ولي ثم مال
وولد فأعطيك، فأنزل الله فيه هذه الآية.

٧٨ ﴿أُطْلِعَ الْغَيْبَ﴾ على ﴿الغيب﴾ حتى يعلم
أنه في الجنة ﴿أَمْ آتَاهُ عِنْدَ الرَّحْمَنِ
عَهْدًا﴾ أقال: لا إله إلا الله فأرحمه بها؟
وقدم عملاً صالحاً فهو يرجوه [فإن العهد
عند الله أن يدخل المؤمن الجنة إذا عمل
الصالحات].

٧٩ ﴿كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾ أي:
ليس الأمر على ما قال، بل سنحفظ عليه

ما يقوله فنجازيه به في الآخرة ﴿وَعَدُّ لَهُ
مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ أي: نزيده عذاباً
فوق عذابه مكان ما يدعيه.

٨٠ ﴿وَنَزِدُّهُ مَائِقُولَ﴾ أي: نغيثه فقرته
المال والولد الذي يقول إنه يؤتاه ﴿وَيَأْتِينَا
فَرْدًا﴾ أي: يوم القيامة لا مال له ولا
ولد، بل نسلبه ذلك، فكيف يطمع في
أن نعطيه؟

٨١ ﴿لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ ليكونوا لهم
أعواناً، أو ليكونوا لهم شفعاء في الآخرة.

٨٢ ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾ أي:
ليس الأمر كما ظنوا، بل ستجحد هذه

الأصنام عبادة الكفار لها يوم ينطقها الله
سبحانه ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ أي
تكون هذه الآلهة التي ظنوها عزّاً لهم ضداً
عليهم وأعداء، بعد أن كانوا يحبونها
ويعلمون بها.

٨٣ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى
الْكَافِرِينَ﴾ أي: سلطناهم عليهم
﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ أي: إن الشياطين تحرك
الكافرين إلى فعل المعاصي وتهيجهم
وتغويهم.

٨٤ ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾ بأن تطلب من
الله التعجيل بإهلاكهم بسبب تصميمهم

وَقَدْآ ٨٥ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِدًا ٨٦
لَّا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ٨٧
وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ٨٨ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ٨٩
تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ
الْجِبَالُ هَدًّا ٩٠ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ٩١ وَمَا يَنْبَغِي
لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ٩٢ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ٩٣ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ
وَعَدَّهُمْ عَدًّا ٩٤ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا ٩٥
إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ
وُدًّا ٩٦ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ
بِهِ قَوْمًا لَّدَا ٩٧ وَكَرَّ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هَلْ يُحْسِنُ
مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ٩٨

لأجل غضب الله عليهم لعظم ما قالوا إن الله اتخذ ولداً.

٩٢ ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ أي: لا يصلح له ولا يليق به، فإن هذا نقص يتعالى الله ويتنزه عنه.

٩٣ ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ أي:

كل واحد من الخلق لابد له أن يأتي إلى الله يوم القيامة مقرباً بالعبودية خاضعاً ذليلاً، فكيف يكون واحد منهم ولداً له؟

٩٤ ﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ﴾ أي: حصرهم وعلم عددهم ﴿وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ أي: عدّ أشخاصهم بعد أن حصرهم فلا يخفى عليه أحد منهم، ولا يتخلف أحد عن الحضور بين يديه.

٩٥ ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا﴾ أي: كل واحد منهم يأتيه يوم القيامة وحده لا ناصر له ولا مال معه.

٩٦ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾

وفي الحديث الصحيح: «إذا أحب الله عبداً نادى جبريل: إني قد أحببت فلاناً فأحبه، فينادي في السماء. ثم ينزل له المحبة في أهل الأرض. وإذا أبغض الله عبداً نادى جبريل: إني قد أبغضت فلاناً، فينادي في أهل السماء. ثم ينزل له البغضاء في الأرض».

٩٧ ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾ أي: يسرنا القرآن بإنزالنا له على لسانك، وفصلناه وسهلناه ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ﴾ أي:

المتلبسين بالتقوى، المتصفين بها ﴿وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدَا﴾ ذوي خصومة شديدة.

٩٨ ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ﴾

أي: من أمة وجماعة من الناس ﴿هَلْ يُحْسِنُ﴾ أي: هل تشعر بأحد منهم أو تراه ﴿أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾

الركز: الصوت الحق، وقيل: الركز مالا يفهم من صوت أو حركة.

٨٨ ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ هو قول اليهود والنصارى، ومن يزعم من العرب أن الملائكة بنات الله.

٨٩ ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾ ردة لهذه المقالة الشنعاء، والإد: الداهية والأمر الفظيع، أي: قلتم قولاً عظيماً.

٩٠ ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾ التفطر: التشقق ﴿وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ﴾ أي: وتكاد أن تنشق الأرض ﴿وَتَخِرُّ الْجِبَالُ﴾ تسقط وتهدم ﴿هَدًّا﴾ أي: وتنهد هذا، أي: تتضعض وتهدم.

٩١ ﴿أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ [أي:

على الكفر وعنادهم ﴿إِنَّمَا نَعِدُهُمْ عَدًّا﴾ يعني نعد الأيام والليالي والشهور والسنين من أعمارهم إلى انتهاء آجالهم.

٨٥ ﴿وَيَوْمَ نَخْرِقُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ أي وافدين إلى جنته ودار كرامته.

٨٦ ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ﴾ نخشهم على السير طرداً ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِدًا﴾ الورد: المشاة العطاش، كالإبل ترد الماء.

٨٧ ﴿لَّا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ أي: لا يملك المتقون أن يشفعوا لغيرهم، إلا لمن قال لا إله إلا الله مؤمناً بها لا يشرك بالله شيئاً.

سُورَةُ طه

(٢٠) سُورَةُ طه مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّانَهَا خَمْسٌ وَثَلَاثُونَ وَمِائَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طه ﴿١﴾ مَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ أَنْ لَتَشْقَىٰ ﴿٢﴾ إِلَّا
تَذَكُّرَةً لِّمَنْ يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ
وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَىٰ ﴿٤﴾ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴿٥﴾
لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ
الْأَرْنَىٰ ﴿٦﴾ وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَىٰ ﴿٧﴾
اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ وَهَلْ أَتَاكَ
حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿٩﴾ إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي
ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ

١ ﴿طه﴾ تقدم الكلام على الحروف المقطعة التي في أوائل السور في سورة البقرة، ومن جملة تلك الحروف ﴿طه﴾ وقيل: ليس هذا منها، ولكن معناها: طأ الأرض يا محمد. قال ابن الأنباري: وذلك أن النبي ﷺ كان يتحمل مشقة الصلاة حتى كادت قدماه تتورمان.

٢ ﴿ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾ أي: لتتعب بفرط تأسفك عليهم، وعلى كفرهم وتحسرك على أن يؤمنوا، فإن إيمانهم ليس إليك.

٣ ﴿إلا تذكرة﴾ أي: ما أنزلناه إلا تذكرة لتذكر به من يوفقه الله للتقوى، وليس عليك جبرهم على الإيمان.

٤ ﴿تنزيلًا ممن خلق الأرض والسماوات العلى﴾ معنى الآية: إخبار العباد عن كمال عظمة منزل القرآن وعظيم جلاله [ليقدروا القرآن حق قدره].

٥ ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [علا وارتفع على العرش] ولا يعلم البشر كيف ذلك، بل نؤمن به على طريقة السلف الصالح الذين يَمُرُّون الصفات كما وردت من دون تحريف ولا تأويل، ومن دون تشبيه ولا تمثيل. [روى عن الإمام مالك أنه سئل: الله استوى، كيف استوى فقال: الاستواء معلوم والكيف غير معقول، والإيمان به واجب].

٦ ﴿له ما في السماوات وما في الأرض﴾ أي: إنه مالك كل شيء ومدبره ﴿وما بينها﴾ من الموجودات ﴿وما تحت الثرى﴾ أي: ما تحت التراب من شيء.

٧ ﴿وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى﴾ أي: إنه مالك كل شيء ومدبره ﴿وما بينها﴾ من الموجودات ﴿وما تحت الثرى﴾ أي: ما تحت التراب من شيء.

٨ ﴿له الأسماء الحسنی﴾ [أي التي هي أحسن الأسماء لدلالاتها على كل الكمال والجلال] وهي التسعة والتسعون التي ورد بها الحديث الصحيح، وقد تقدم بيانها في سورة الأعراف (الآية ١٨٠)

٩ ﴿وهل أتاك حديث موسى﴾ أي: قصته مع فرعون وملئه، وفي سياق هذه

وأسرته إليه، والأخفى من السر: هو ما حدث به الإنسان نفسه وأخطره بباله، والمعنى: إن تجهر بذكر الله ودعائه، فاعلم أنه غني عن ذلك، فإنه يعلم السر وما هو أخفى من السر.

١٠ ﴿إذ رأى ناراً﴾ كانت رؤيته للنار في ليلة مظلمة لما خرج مسافراً من مدين إلى مصر ﴿ف﴾ لما رآها ﴿قال لأهله امكثوا﴾ أقيموا مكانكم ﴿إني آنست ناراً﴾ أي: رأيته من بعيد ﴿لعلِّي آتيكم منها بقبس﴾ القبس: شعلة من النار [يأخذها الرجل ليوقد به ناراً أخرى] ﴿أو أجده على النار هدى﴾ أي: هادياً يهديني إلى الطريق ويدلني عليها.

١١ ﴿فلما أتاه نودي﴾ أي فلما أتى النار

١٢ ﴿فلما أتاه نودي﴾ أي فلما أتى النار



هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَمْوَسَىٰ ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تَلَكَ بِبَيْمِينِكَ يَمْوَسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَمْوَسَىٰ ﴿١٩﴾ فَالْقَهَا فَإِذَا هِيَ حَبَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيكَ مِنْ

المعنى: أكاد أظهرها ﴿لتجزي كل نفس بما تسعى﴾ أي: بما تسعى فيه من أعمالها.

١٦ ﴿فلا يصدنك عنها﴾ أي: لا يصرفنك عن الإيمان بالساعة، والتصديق بها ﴿من لا يؤمن بها﴾ من الكفرة ﴿وانتبع هواه﴾ بالانهماك [في المحرم من] اللذات الحسية الفانية ﴿فتردى﴾ أي: فتهلك.

١٧ ﴿وما تملك بيمينك يا موسى﴾ سؤال عن العصا، للتنبيه له عليها، لتقع المعجزة بها بعد التثبيت فيها، والتأمل لها، والتأكد من أنها هي عصاه الحقيقية التي يعرفها، وإلا فقد علم الله ما هي.

١٨ ﴿أتوكأ عليها﴾ أي: أتحامل عليها في المشي عند الإعياء ﴿وأهش بها على غنمي﴾ أخطب بها الشجر ليسقط منه الورق [لتأكله الغنم] وقيل: هي لزجر الغنم ﴿ولي فيها مآرب أخرى﴾ أي: حوائج، ومنافع العصا كثيرة معلومة.

٢٠ ﴿فألقها﴾ موسى على الأرض ﴿فإذا هي حبة تسعى﴾ وذلك بقلب الله سبحانه لأوصافها وأعراضها حتى صارت حبة تسعى: أي تمشي بسرعة وخفة، فلما رآها كذلك خاف وفرغ وولى مدبراً ولم يعقب.

هو الله ﴿فاعبدني﴾ لأن اختصاص الإلهية به سبحانه موجب لتخصيصه بالعبادة ﴿واقم الصلاة﴾ خص الصلاة بالذكر لكونها أشرف طاعة وأفضل عبادة ﴿لذكرى﴾ أي: لتذكيري، أو المعنى: أقم الصلاة متى تذكرت أن عليك صلاة.

١٥ ﴿إن الساعة آتية﴾ أي: فاعمل لها الخير من عبادة الله والصلاة ﴿أكاد أخفيها﴾ أي: أكاد أخفيها من نفسي، أي: إن الله بالغ في إخفاء الساعة، فذكره بأبلغ ما تعرفه العرب، وقيل

التي رآها ﴿نودي﴾ أي ناداه الله تعالى قائلاً: ﴿يا موسى﴾.

١٢ ﴿إني أنا ربك فاخلع نعليك﴾ أمره بنزعهما ليكون حافياً، وذلك أبلغ في التواضع، وأقرب إلى التشریف والتكريم وحسن التأدب ﴿إنك بالوادي المقدس طوى﴾ المقدس: المطهر، وطوى: اسم الوادي، وهو من أرض سيناء.

١٣ ﴿وأنا اخترتك﴾ للرسالة ﴿فاستمع لما يوحى﴾ [سماع قبول واستعداد ووعي].

١٤ ﴿إني أنا الله﴾ أي: الذي يناديك

٢١ ﴿قال﴾ سبحانه ﴿خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى﴾ سنعيدها بعد أخذك لها إلى حالتها الأولى.

٢٢ ﴿واضمم يدك إلى جناحك﴾ جناح الإنسان جنبه تحت العضد ﴿تخرج بيضاء﴾ [مع أن جلد موسى كان أسمر] ﴿من غير سوء﴾ السوء: العيب، كفى به عن البرص ﴿آية أخرى﴾ أي: معجزة أخرى غير العصا.

٢٣ ﴿لنريك من آياتنا الكبرى﴾ لنريك بهاتين الآيتين [بعض دلائل قدرتنا على كل شيء].

٢٤ **«اذهب إلى فرعون»** [رسولا منا إليه] **«إنه طغى»** كفر وتجاوز الحد.
 ٢٥ **«قال رب اشرح لي صدري»** [وشعه ليحتمل أذى الناس وأعباء الرسالة].
 ٢٧ **«واحلل عقدة من لساني»** أي: أطلق عن لساني العقدة التي فيه بالقدر الذي أستطيع إفهامهم به، قيل: لم تذهب العقدة كلها، بل سال حل عقدة تمنع الإفهام، لقوله حكاية عن فرعون (ولا يكاد يبين).
 ٢٨ **«يفقهوا قولي»** أي يفهموا كلامي.
 ٢٩ **«واجعل لي وزيراً من أهلي»** شخصاً يكون معيناً لي في بعض أموري.
 ٣١ **«أشدد به أزرى»** أي يارب أحكم به قوتي.
 ٣٢ **«وأشركه في أمري»** واجعله شريكاً في أمر الرسالة، شفع له كي يكون نبياً مثله ليعينه.
 ٣٦ **«قال قد أوتيت سؤالك يا موسى»** أي: أعطيتك ما سألت [من شرح الصدر، وتيسير الأمر، وحل العقدة، ونبوة هارون].
 ٣٧ **«ولقد مننا عليك مرة أخرى»** كلام مستأنف بتذكيره نعم الله عليه، والمن: الإحسان والإفضال.
 ٣٨ **«إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى»** والمراد بالإيحاء إليها: إما مجرد الإلهام لها، أو في النوم بأن أراها ذلك لا على طريق النبوة كالوحي إلى الأنبياء.
 ٣٩ **«أن أقذفه في التابوت»** اطرحه فيه، والتابوت: هو صندوق من خشب أو غيره يطفو على الماء **«فأقذفه في اليم»** أي: اطرحه في البحر، واليم البحر أو النهر الكبير، وهو هنا نهر النيل **«فليلقه اليم بالساحل»** [أمر الله تعالى النيل بإلقاء موسى على الشط قبالة منزل فرعون] **«بأخذه عدو لي وعدو له»**

فأخذه فرعون **«والقيت عليك حبة مني»** ألقى الله على موسى حبة كائنة منه تعالى في قلوب عباده، لا يراه أحد إلا أحبه، وقيل: أحبه الله فيحبه الناس **«ولتصنع على عيني»** أي ولتتربى بمرأى مني [ورعاية خاصة بك].
 ٤٠ **«إذ تمشي أختك»** خرجت تمشي على الشاطئ تسير بسير التابوت، تتابعه بنظرها لترى أين يستقر، فوجدت فرعون وامرأته يطلبان له مرضعة، فقالت لها **«هل أدلكم على من يكفله»** أي: يربيه، فجاءت الأم فقبل ثديها، وكان لا يقبل ثدي مرضعة غيرها **«فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها»** والمراد بقرة العين: السرور برجوع ولدها إليها بعد أن طرحته في البحر وعظم عليها فراقه **«ولا تحزن»** بسبب يطرأ بعد ذلك **«وقلت نفساً»** نفس القبطي الذي وكزه موسى فقضى عليه، وكان قتله له خطأ **«فنجيناك من الغم»** أي: الغم الحاصل معك من قتله خوفاً من العقوبة **«وفتناك فتونا»** أي: خلصناك مرة بعد مرة مما وقعت فيه من المحن التي سبق ذكرها قبل أن يصطفيه الله لرسالته، وقيل

٣٩ **«أن أقذفه في التابوت»** اطرحه فيه، والتابوت: هو صندوق من خشب أو غيره يطفو على الماء **«فأقذفه في اليم»** أي: اطرحه في البحر، واليم البحر أو النهر الكبير، وهو هنا نهر النيل **«فليلقه اليم بالساحل»** [أمر الله تعالى النيل بإلقاء موسى على الشط قبالة منزل فرعون] **«بأخذه عدو لي وعدو له»**

فيه، ويخشى عقاب الله الموعود به على لسانها. وقد أخرج النسائي وابن جرير عن ابن عباس أثرا طويلا في تفسير الآية، فمن أحب استيفاء ذلك فلينظر في كتاب التفسير من سنن النسائي [أو في تفسير ابن كثير].

٤٥ ﴿قَالَ رَبُّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا﴾ أن يعجل ويبادر بعقوبتنا ويشط في أذيتنا.

٤٦ ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا﴾ أي: بالنصر لهما، والمعونة على فرعون ﴿أَسْمِعْ وَأَرَى﴾ ما يجري بينهما وبينه وليس بغافل عنها.

٤٧ ﴿فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ أرسلنا الله إليك ﴿فَارْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي خلّ عنهم، وأطلقهم من الأسر ﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾ كانوا عند فرعون في عذاب شديد: يذبح أبناءهم، ويستحيي نساءهم، ويكلفهم مالا يطيقونه ﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ﴾ هي العصا واليد ﴿وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ أي: من اتبع الهدى سلم من سخط الله عز وجل ومن عذابه، وليس بتحية.

٤٨ ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا﴾ من جهة الله سبحانه ﴿أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَبَ وَتَوَلَّى﴾ من جهة الله ونولي ﴿الْهَلَكَ وَالْدَّمَارَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ في النار جزاء التكذيب بآيات الله وبرسله، والإعراض عن قبولها، وعن الإيمان بها.

٤٩ ﴿قَالَ فَن رَّبُّكَأَ مَا مَوْسَى﴾ فأضاف الرب إليها ولم يصفه إلى نفسه لعدم تصديقه لهما، ولجده للربوبية.

٥٠ ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ أعطى كل شيء صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المتوقعة به المطابقة له كالأيد للبطش، والرجل للمشي، واللسان للنطق، والعين للنظر، والأذن للسمع، وقيل المعنى: أعطى خلقه كل شيء يحتاجون إليه، ويرتفعون به.

كَي تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَمْوَسَّى ۖ وَأَصْطَنَعْنَاكَ لِنَفْسِي ۖ أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَتِي وَلَا تَنبَأُ فِي ذِكْرِي ۖ أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ۖ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ۖ قَالَ رَبُّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ۖ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمِعُ وَأَرَى ۖ فَاتَّبَعَاهُ فَفَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى ۖ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ۖ قَالَ فَمَنْ رَّبُّكُمَا يَمْوَسَّى ۖ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ

معناه: ابتليناك ابتلاء ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ أي: فخرجت إلى أهل مدين فلبثت سنين، ومدين بأرض العرب على ثمانين مراحلا من مصر، هرب إليها موسى، فأقام بها عشر سنين كانت مهر امرأته ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَمْوَسَّى﴾ أي: في وقت سبق في قضائي وقدري أن أكلمك وأجعلك نبيا.

٤١ ﴿وَأَصْطَنَعْنَاكَ لِنَفْسِي﴾ أي: اخترتك لإقامة حجتي، وجعلتك بيني وبين خلقي.

٤٢ ﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ﴾ هارون

﴿بِآيَاتِي﴾ بمعجزاتي التي جعلتها لك آية، وهي التسع الآيات ﴿وَلَا تَنبَأُ فِي ذِكْرِي﴾ أي: لا تضعفا ولا تفترا عن ذكر الله.

٤٣ ﴿أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ أي جاوز الحد في الكفر والتمرد.

٤٤ ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا﴾ اللين: هو الذي لا خشونة فيه، والمراد: تركها للتعنيف، كقولها: (هل لك إلى أن تزكى) ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ أي خاطباه بالقول اللين، فذلك أحرى به أن يمعن النظر فيما تبلفانه من الذكر والفكر

خَلَقَهُ، ثُمَّ هَدَى ﴿٥١﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ﴿٥٢﴾ قَالَ
عَلَيْهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴿٥٣﴾
الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا
سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ
نَبَاتٍ شَتَّى ﴿٥٤﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٥٥﴾ * مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا
نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴿٥٦﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ
آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى ﴿٥٧﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِنُخْرِجَنَا مِنْ
أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَمْوَسَّى ﴿٥٨﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ
فَأَجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلَفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ
مَكَانًا سُوًى ﴿٥٩﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخَشَرَ
النَّاسُ ضُحًى ﴿٦٠﴾ فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ جَمْعَ كَيْدِهِ ثُمَّ أَتَى ﴿٦١﴾

﴿ثم هدى﴾ هداهم إلى طرق الانتفاع بما
أعطاهم فانتفعوا بكل شيء فيها خلق له .
٥١ ﴿قال فما بال القرون الأولى﴾ فإنها
لم تقرر بالرب الذي تدعو إليه يا موسى ،
بل عبدت الأوثان ونحوها من المخلوقات .
٥٢ ﴿قال علمها عند ربي﴾ المعنى : أن
كل أعمالهم محفوظة عند الله مثبتة عنده
في اللوح المحفوظ ، يجازي بها ﴿لا يضل
ربي ولا ينسى﴾ لا يخطئ في علم شيء
من الأشياء ، ولا ينسى ما علمه منها .
٥٣ ﴿الذي جعل لكم الأرض مهدياً﴾
كالفرش ممهدة تعيشون عليها يسير
وسهولة فيها لكم كل المرافق ﴿وسلك
لكم فيها سبلاً﴾ طرقا تسلكونها وسهلاً
لكم ﴿وانزل من السماء ماء﴾ هو ماء
المطر ﴿فأخرجنا به أزواجا من نبات
شتى﴾ أي : ضروبا وأشباها من أصناف
النبات المختلفة .
٥٤ ﴿كلوا وارعوا أنعامكم﴾ يمتن الله
تعالى بأن خلق ذلك النبات بأصنافه
صالحا للإنسان والأنعام المسخرة له ﴿إن
في ذلك لآيات لأولي النباه﴾ أصحاب
العقول الراجحة .

٥٥ ﴿منها خلقناكم﴾ أي من تراب
الأرض خلقناكم في ضمن خلق آدم
﴿وفيها﴾ أي : في الأرض ﴿نعيدكم﴾
بعد الموت فتدفنون فيها ، وتنفرد أجزاءكم
حق تصوير من جنس الأرض ﴿ومنها﴾
أي : من الأرض ﴿نخرجكم تارة
أخرى﴾ أي : بالبعث والنشور .
٥٦ ﴿ولقد أريناه آياتنا كلها﴾ هي
الآيات التسع المذكورة ، وقيل : المراد
بالآيات حجج الله سبحانه الدالة على
توحيده ﴿فكذب وأبى﴾ أي : كذب
فرعون موسى وأبى عليه أن يجيبه إلى
الإيمان .

٥٧ ﴿قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا
بسحرك يا موسى﴾ أي : جئت يا موسى

بقلب العصا حية ، وذلك نوع من السحر ،
توهم الناس بأنك نبي نجيح عليهم
اتباعك حتى تتوصل بذلك إلى أن تغلب
على أرضنا وتخرجنا منها ، وإنما ذكر
الملعون الإخراج من الأرض لتنفير قومه
عن إجابة موسى .
٥٨ ﴿فلنأتينك بسحر مثله﴾ لنعارضنك
بمثل ما جئت به من السحر ﴿فاجعل
بيننا وبينك موعداً﴾ يوما معلوما ومكانا
معلوما ﴿لا نخلفه﴾ أي : لا نخلف ذلك
الوعد ﴿نحن ولا أنت﴾ وفوض تعيين
الموعد إلى موسى ، إظهاراً لكمال اقتداره
﴿مكانا سوى﴾ [أي : مستويا ظاهراً
ليظهر فيه الحق] وقيل : معناه مكانا
وسطا بين الفريقين .
٥٩ ﴿قال موعدكم يوم الزينة﴾ كان
ذلك يوم عيد يتزينون فيه ، [وإنما قصد
موسى ذلك ليكون الناس فارغين من
أعمالهم ، فيجتمعوا جميعاً ، فتظهر الدعوة]
﴿وأن يحشر الناس ضحى﴾ [ليكون
الضوء غالباً فلا يشكوا في المعجزة] .
٦٠ ﴿فجمع كيدته﴾ أي : جمع ما يكيد
به من سحره وحيله ، وجمع السحرة ﴿ثم
أتى﴾ أي : أتى الموعد .



قَالَ لَهُمُ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ
بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى ۝٦١ فَتَنَزَّعُوا أَمْرَهُمُ
بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى ۝٦٢ قَالُوا إِنَّ هَٰذَا نَسِجْرٌ
يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا
بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى ۝٦٣ فَأَجْمَعُوا كَيْدَ كُرْثُمَ اثْنَوَا صَفًّا
وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى ۝٦٤ قَالُوا يَمْوَسِيٰٓءُ إِنَّمَا أَنْ
تُلْقِي وَإِنَّمَا أَنْ نَكُونُ أَوَّلَ مَنِ الْقَىٰ ۝٦٥ قَالَ بَلَّ الْقَوَا
فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا
تَسْعَىٰ ۝٦٦ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةُ مُوسَىٰ ۝٦٧ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ ۝٦٨ وَالْقَىٰ مَا فِي يَمِينِكَ
تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٌ وَلَا يُفْلِحُ
السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ۝٦٩ فَالْقَى السَّحَرَةُ سَجْدًا قَالُوا آمَنَّا

السحرة كانوا بسبب سحرهم معظمين،
ولهم أموال ومكاسب وأعطيات
يتناولونها، خافوا أن تنقطع عنهم].

٦٤ ﴿فَأَجْمَعُوا كَيْدَكُمْ﴾ ليكن عزمكم
كلكم كالكيدهم مجعاً عليه ﴿ثُمَّ اثْنُوا
صَفًّا﴾ أي مصطفين مجتمعين ليكون أنظم
لأمورهم وأشد لهيبهم ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ
مَنِ اسْتَعْلَى﴾ أي: من غلب. وهذا كله
من قول السحرة بعضهم لبعض، وقيل:
من قول فرعون لهم.

٦٥ ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّمَا أَنْ تُلْقِي﴾ أنت
أولا ﴿وَأِنَّمَا أَنْ نَكُونُ﴾ نحن ﴿أَوَّلَ مَنِ
الْقَى﴾ ما يلقيه، والمراد إلقاء العصي على
الأرض.

٦٦ ﴿قَالَ﴾ لهم موسى ﴿بَلَّ الْقَوَا﴾
أمرهم بالإلقاء أولا لتكون معجزته أظهر
إذا ألقوا هم ما معهم، ثم يلقى هو عصاه
فتبتلع ما ألقوه كله، وإظهاراً لعدم المبالاة
بسحرهم ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ
إِلَيْهِ﴾ [توهم هو، وكذلك يتوهم من
رآها أنها ﴿تَسْعَى﴾ أي: تتحرك بسرعة
كالأفاعي].

٦٧ ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةُ مُوسَى﴾
أي: أحس بالخوف من أن يغلب، وقيل
خاف لما يعرض من الطباع البشرية عند
مشاهدة ما يخشى منه.

٦٨ ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾
أي المستعلي عليهم بالظفر والغلبة.
٦٩ ﴿وَالْقَىٰ مَا فِي يَمِينِكَ﴾ يعني العصا
﴿تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا﴾ أي: تبتلع الذي
صنعوه من الحبال والعصي ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا
كَيْدٌ سَاحِرٌ﴾ أي: ليس إلا خيالا.

٧٠ ﴿فَالْقَى السَّحَرَةُ سَجْدًا﴾ [أي: فلما
ألقى موسى عصاه وابتلعت عصاهم
وحبالهم فلم ترجع إليهم، علموا أن فعل
موسى ليس من قبيل السحر، بل هو عن
أمر الله القادر على كل شيء] فسجدوا
لله وآمنوا برسالة موسى.

٦١ ﴿قَالَ لَهُمُ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا
عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [أي قال لفرعون وملكه:
لا تدعوا الربوبية كذبا وتشركوا بالله
افتراء] ﴿فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ﴾ أي:
ليستأصلكم به ﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾
أي: خسر وهلك من افتري على الله أي
كذب كان.

٦٢ ﴿فَتَنَزَّعُوا أَمْرَهُمُ بَيْنَهُمْ﴾ أي
السحرة لما سمعوا كلام موسى تناظروا
وتشاوروا وتجادبوا أطراف الكلام فيما
بينهم في ذلك ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى﴾ أي:
تناجوا فيما بينهم سرا من موسى قائلين:

٦٣ ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرَانِ﴾ أي: إنها
لساحران ﴿يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ
أَرْضِكُمْ﴾ [قالوا ذلك متأثرين بما قاله
فرعون، ومرددتين لإذاعته] وهي أرض
مصر ﴿بِسِحْرِهِمَا﴾ الذي أظهره ﴿وَيَذْهَبَا
بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى﴾ أي: إنها إن غلبا
بسحرهما مال إليهما السادة والاشراف
وتابعوهما على أمرهما، ومآل ذلك أن
تنقضي سنتكم في الحياة [التي هي أعلى
وأمثل وأرق من حياة سائر الأمم،
بزعمهم. ويحتمل أنهم يريدون بطريقتهما
المثلى ما هم عليه من السحر، فإن

رَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ
لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا قِطْعَنَ
أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا صُلْبَنَكُمْ فِي جُذُوعِ
النَّخْلِ وَلِتَعْلَمُنَّ أَيْنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴿٧١﴾ قَالُوا لَنْ
نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ
مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾
إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ
مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿٧٣﴾ إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ
مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴿٧٤﴾
وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ
الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴿٧٥﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴿٧٦﴾

٧١ ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾ أي: هل صدقتم قوله واتبعتموه على دينه من غير إذن مني لكم بذلك ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ أي هو أسحركم وأعلاكم درجة في صناعة السحر، أو معلمكم وأستاذكم (الذي علمكم السحر) أراد فرعون بهذا القول أن يدخل الشبهة على الناس حتى لا يؤمنوا، وإلا فقد علم أنهم لم يتعلموا من موسى، ولا كان رئيسا لهم، ولا بينه وبينهم مواصلة ﴿فَلَا قِطْعَنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ﴾ من خلاف: هو قطع اليد اليمنى والرجل اليسرى، أو عكسه ﴿وَلَا صُلْبَنَكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ أي: على جذوعها، وإنما اختارها لخشونتها وأذاها ﴿وَلِتَعْلَمُنَّ أَيْنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ أراد لتعلمن هل أنا أشد عذابا لكم أم رب موسى.

٧٢ ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾ أي: لن نختارك على ما جاءنا به موسى من البينات الواضحة من عند الله سبحانه ﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾ أي: لن نختارك على البينات وعلى الذي فطرنا: أي خلقنا، وقيل هو قسم، أي: والله الذي فطرنا لن نؤثرك ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ أي: فاصنع ما أنت صانع ﴿إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أي: إنما سلطانك علينا ونفوذ أمرك فينا في هذه الدنيا بما تريد من أنواع القتل، ولا سبيل لك علينا فيما بعدها.

٧٣ ﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا﴾ التي سلفت منا من الكفر وغيره ﴿وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ﴾ ويغفر لنا الذي أكرهتنا عليه من عمل السحر في معارضة موسى ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ أي: خير منك ثوابا وأبقى منك عقابا.

٧٤ ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ لا يموت ميتة مريخة، ولا يحيا حياة ممتعة، فهو يالم

كما يالم الحي، ويبلغ به الحال الموت في المكروه، إلا أنه لا يبطل فيها عن إحساس الألم. وأخرج أحمد ومسلم عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ خطب، فأتى على هذه الآية فقال «أما أهلها الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، وأما الذين ليسوا بأهلها فإن النار تميمهم إماتة، ثم يقوم الشفعاء فيشفعون، فيؤتى بهم ضبائر على نهر يقال له نهر الحياة أو الحيوان، فينبتون كما ينبت الغطاء في حميل السيل».

٧٥ ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ﴾ الصالحات: مصدقا به قد عمل الطاعات ﴿فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾ المنازل الرفيعة.

٧٦ ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ وذلك الأجر ﴿جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾ تطهر من الكفر والمعاصي الموجبة للنار.

٧٧ ﴿أَنْ أَسْرِبَعْبَادِي﴾ أي سر بهم من مصر ليلأ دون أن يشعر بكم أحد ﴿فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا﴾ أي اجعل لهم طريقا في وسط البحر، وهو بحر القلزم (السويس) يابسا، وذلك أن الله تعالى أيبس لهم تلك الطريق حتى

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ
طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفُ دَرَكًا وَلَا تُخْشَى ٧٧
فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ ۖ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ٧٨
وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى ٧٩ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ
قَدْ أَنجَيْنَاكَ مِنَ عَدُوِّكَ ۖ وَوَعَدْنَاكَ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ
وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى ٨٠ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ
مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ۖ وَمَنْ
يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى ٨١ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ
وَأَمِنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ٨٢ * وَمَا أَجَلَكَ عَنْ
قَوْمِكَ يَا مُوسَى ٨٣ قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَيَّ أَتْرَى وَجِئْتُ
إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ٨٤ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ
بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ٨٥ فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ

الحلال **﴿ولا تطغوا فيه﴾** لا تتجاوزوا ما
هو جائز إلى ما لا يجوز، وقيل المعنى: لا
تجحدوا نعمة الله فتكونوا طاغين **﴿فيحل﴾**
عليكم غضبي﴾ أي: ينزل بكم **﴿ومن
يحل عليه غضبي فقد هوى﴾** أي صار
إلى الهاوية، وهي قعر النار.

**٨٢ ﴿وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل
صالحا﴾** لمن تاب من الذنوب، وآمن
بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم
الآخر، وعمل عملا صالحا مما ندب إليه
الشرع وحسنه **﴿ثم اهتدى﴾** أي استقام على
ذلك حتى يموت، وقيل تعلم العلم ليهتدي به.

**٨٣ ﴿وما أعجلك عن قومك يا
موسى﴾** كانت المواعدة أن يوافي موسى
وجاعة من وجوه قومه، فسار موسى بهم،
ثم عجل من بينهم شوقا إلى ربه، فقال
الله له ما أعجلك؟ أي ما الذي حملك
على العجلة، حتى تركت قومك وخرجت
من بينهم.

٨٤ ﴿قال هم أولاء على أترى﴾ أي:
هم بالقرب مني، واصلون بعدي
﴿وعجلت إليك رب لترضى﴾ أي:
لترضي عني بمسارعتي إلى الوصول إلى
مكان الموعد لتزداد رضا عني بذلك.

**٨٥ ﴿قال فإننا قد فتنا قومك من
بعدك﴾** أي ابتليناهم واختبرناهم
وألقيناهم في فتنة وعنة **﴿وأضلهم
السامري﴾** أي: جعلهم في ضلالة عن
الحق بما أوقعهم فيه من عبادة عجل
الذهب، وكان من قبيلة تعرف
بالسامرة، قال لمن معه من بني إسرائيل:
إنما تخلف موسى عن الميعاد الذي بينكم
وبينه لما صار معكم من الحلي، وهي
حرام عليكم، وأمرهم بإلقائها في النار،
فكان من أمر العجل ما كان.

**٨٦ ﴿فرجع موسى إلى قومه غضبان
أسفا﴾** الأسف الشديد: هو أشد
الغضب.

عدوكم﴾ قلنا لهم بعد إنجائهم: يا بني
إسرائيل **﴿وواعدناكم جانب الطور
الأيمن﴾** أمرنا موسى بإخراجكم معه
لنكلمه بحضرتكم فتسمعوا الكلام الذي
يخاطبه به رب العزة. والمراد: أن يخرج
معه جماعة مختارة منهم. وكان مكان
الموعد جانب الطور الأيمن وهو جبل في
سيناء **﴿ونزلنا عليكم المن والسلوى﴾**
قد تقدم تفسير المن والسلوى في سورة
البقرة (الآية ٥٧)

٨١ ﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾
والمراد بالطيبات المستلذات من الأطعمة

لم يكن فيها ماء ولا طين **﴿لا تخاف
دركا﴾** أي: آمنا من أن يدرككم العدو
﴿ولا﴾ أنت **﴿تخشى﴾** من فرعون أو من البحر.
٧٨ ﴿فاتبعهم فرعون بجنوده﴾ تبعهم
فرعون ومعه جنوده **﴿فغشيهم من اليم ما
غشيهم﴾** التكرير للتعظيم والتحويل. وقيل
المعنى: غشيهم ما سمعت قصته.

٧٩ ﴿وأضل فرعون قومه﴾ عن الرشد،
وما هداهم إلى طريق النجاة عندما سلك
بهم في الطريق الذي سلكه بنو إسرائيل
في وسط البحر.

٨٠ ﴿يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من



غَضِبْنَا أَسْفًا قَالَ يَقَوْمُ الرَّبِّ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا
أَفْطَالَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبُ
مَنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ
بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حُمِلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا
فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا
لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾
أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا
وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَقَوْمُ
إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا
أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا
مُوسَى ﴿٩١﴾ قَالَ يَهْرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾
أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ

﴿قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا﴾ وعدهم بالجنة إذا أقاموا على طاعته، ووعدهم أن يسمعهم كلامه في التوراة على لسان موسى ليعملوا بما فيها، فيستحقوا ثواب عملهم ﴿أفطال عليكم العهد﴾ أي: هل طال عليكم الزمان فنسيتم، أي: ولم يمض على ذلك غير شهر وأيام؟ ﴿أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم﴾ أي: يلزمكم وينزل بكم العقوبة والنقمة ﴿فأخلفتم موعدي﴾ وعده أن يقيموا على طاعة الله عز وجل إلى أن يرجع إليهم من الطور، وقيل: وعده أن يأتوا على أثره إلى الميقات، فتوقفوا وتخلّفوا عن اللحاق به.

٨٧ ﴿قالوا ما أخلفنا موعدا﴾ الذي وعدناك ﴿بملكنا﴾ أي باختيارنا، بل كنا مضطرين إلى الخطأ ﴿ولكننا حملنا أوزارا من زينة القوم﴾ فإنهم كانوا استعادوا من أهل مصر حلي الذهب حين أرادوا الخروج مع موسى، وأومسوهم أنهم يجتمعون في عيد لهم أو وليمة، وسميت أوزارا: أي آثاما، لأنه لا يحل لهم أخذها ﴿فقذفناها﴾ أي: طرحناها في النار طلبا للخلاص من إثمها ﴿فكذلك ألقى السامري﴾ أي: فثل ذلك قذف السامري ما معه، وصاغ لهم منه عجلا، ثم ألقى عليه قبضة من أثر الرسول، وهو جبريل.

٨٨ ﴿عجلا جسدا له خوار﴾ أي: يخور كما يخور الحي من العجل، والخوار صوت البقر، وقيل: خواره كان بالريح، لأنه كان عمل فيه خروقا، إذا دخلت الريح في جوفه خار، ولم يكن فيه حياة ﴿فقالوا هذا إلهكم وإله موسى﴾ أي قال السامري ومن وافقه هذه المقالة ﴿فنسي﴾ أي: فضل موسى ولم يعلم مكان إلهه هذا، وذهب يطلبه في الطور، وقيل: المعنى فنسي موسى أن يذكر لكم أن هذا

عبادة الله، ولا تتبعوا السامري في أمره لكم بعبادة العجل، وأطيعوا أمري لا أمره.

٩١ ﴿قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى﴾ أي لن نزال مقيمين على عبادة هذا العجل، حتى يرجع إلينا موسى، فينظر هل يقررنا على عبادته، أو ينهانا عنها. فعند ذلك اعتزلهم هارون.

٩٢، ٩٣ ﴿قال﴾ موسى ﴿يا هرون ما منعك﴾ من اتباعي واللحوق بي عند أن وقعوا في هذه الضلالة ودخلوا في الفتنة ﴿أف عصيت أمري﴾ كيف خالفت أمري

إله وإلهكم.

٨٩ ﴿أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا﴾ أي: أفلا يعتبرون ويتفكرون في أن هذا العجل لا يرد عليهم جوابا، ولا يكلمهم إذا كلموه، فكيف يتوهمون أنه إله.

٩٠ ﴿ولقد قال لهم هارون من قبل﴾ أي من قبل أن يأتي موسى ويرجع إليهم ﴿يا قوم إنما فتنتم به﴾ أي: وقعتم في الفتنة بسبب العجل وابتليتم به وضلتم عن طريق الحق لأجله ﴿وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري﴾ أي: ربكم الرحمن، لا العجل، فاتبعوني في

بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ۖ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ
بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ
يَسْمُرِي ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ ۖ فَقَبَضْتُ
قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي
نَفْسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَوةِ أَنْ تَقُولَ
لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ تُخْلَفَهُ ۖ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ
الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ
نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ
كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ
سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَنْ أَعْرَضَ
عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَلِدِينَ فِيهِ
وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ

فألقى في ذهنه أن يقبض قبضة من أثر
فرسه، وأن ذلك الأثر لا يقع على جاد
إلا صار حيا **﴿فنبذتها﴾** فطرحها في
الحلي المذابة المسبوكة على صورة العجل
﴿وكذلك سولت لي نفسي﴾ أي:
زينت.

٩٧ ﴿قال فاذهب﴾ أي: فاذهب من
بيننا، واخرج عنا، فإن لك ما دمت
حيا **﴿أن تقول لا مساس﴾** أي لا يمك
أحد ولا تمس أحدا، أي: أمر موسى أن
ينفي السامري عن قومه، وأمر بني إسرائيل
ألا يخالطوه ولا يقربوه ولا يكلموه عقوبة
له **﴿وإن لك موعدا لن تخلفه﴾** أي:
لن يخلفك الله ذلك الموعد، وهو يوم
القيامة **﴿وانظر إلى إلهك الذي ظلت
عليه عاكفا﴾** الذي دمت وأقت على
عبادته **﴿لنحرقنه﴾** أي بالنار. وقيل
معناه: لنبردنه بالمبارد **﴿ثم لنسفنّه في
اليمّ نسفا﴾** لنذرينه في البحر ليذهب به
الريح.

**٩٨ ﴿إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا
هو﴾** لا هذا العجل الذي فتنكم به
السامري **﴿وسع كل شيء علما﴾** وسع
علمه كل شيء.

٩٩ ﴿كذلك نقص عليك﴾ أي: كما
قصصنا عليك خبر موسى كذلك نقص
عليك **﴿من أنباء ما قد سبق﴾** أي: من
أخبار الحوادث الماضية في الأمم الخالية
لتكون تسليّة لك ودلالة على صدقك
﴿وقد آتيناك من لدنا ذكرا﴾ المراد
بالذكر: القرآن.

**١٠٠ ﴿من أعرض عنه فإنه يحمل يوم
القيامة وزرا﴾** أي: كل من أعرض عنه
فلم يؤمن به ولا عمل بما فيه، يحمل إثما
عظيما وعقوبة ثقيلة بسبب إعراضه.

١٠١ ﴿خالدين فيه﴾ في جزائه وهو
النار **﴿وساء لهم يوم القيامة حملا﴾** أي:
بشس الحمل يوم القيامة.

عند العجل آخرون، وربما أفضى ذلك إلى
القتال بينهم **﴿ولم ترقب قولي﴾** ولم تعمل
بوصيتي لك فيهم وتحفظها، وهي قوله
(اخلفني في قومي وأصلح) واعتذر إليه
أيضا في سورة الأعراف (الآية ١٥٠)
بقوله (إن القوم استضعفوني وكادوا
يقتلونني).

٩٥ ﴿قال فخطبك يا سامري﴾ أي:
ما شأنك؟ أي: ما الذي حملك على ما
صنعت؟

٩٦ ﴿قال بصرت بما لم يبصروا به﴾
قيل: أراد أنه رأى جبريل على فرس

لك بالقيام لله، ومناذرة من خالف دينه،
وأقت بين هؤلاء الذين اتخذوا العجل
إلهًا.

**٩٤ ﴿قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي
ولا برأسي﴾** أي: لا تفعل هذا بي عقوبة
منك لي، أي: وكان موسى قد أخذ
برأس أخيه يجره إليه، فإن لي عذرا هو
**﴿إني خشيت أن تقول فرقت بين بني
إسرائيل﴾** خشيت أن خرجت عنهم
وتركتهم أن يتفرقوا فتقول إني فرقت
جماعتهم، وذلك لأن هارون لو خرج
لتبعه جماعة منهم، وتخلف مع السامري

وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَخْخَفُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ
لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ ثُمَّ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ
أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَيَسْأَلُونَكَ
عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا
قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٠٧﴾
يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ
لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ
الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾
يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ
بِهِ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ
وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ
الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾

١٠٢ ﴿يَوْمَ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ [المراد نفخة البعث التي يحشر الناس بعدها للحساب] ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ﴾ هم المشركون والعصاة المأخوذون بذنوبهم التي لم يغفرها الله لهم ﴿زُرْقًا﴾ زرق العيون، أي: عطاشا لأن سواد العين يتغير بالعطش إلى الزرقة [ويحتمل أن المراد زرق الأبدان من الغيظ والندامة].

١٠٣ ﴿يَخْخَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ يتساررون، أي: يقول بعضهم لبعض سرا ﴿إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾ أي: ما لبثتم في الدنيا إلا عشر ليال، يستقصرون مدة مقامهم في الدنيا، أو في القبور.

١٠٤ ﴿ثُمَّ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾ أي: أغدلتهم قولا، وأكملهم رأيا، وأعلمهم عند نفسه ﴿إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ أي: ما لبثتم إلا يوما واحداً، ونسبة هذا القول إلى أمثلهم، لكونه أدل على شدة الهول، لا لكونه أقرب إلى الصدق.

١٠٥ ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ﴾ أي: عن حال الجبال يوم القيامة ﴿فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ يقلعها قلعا من أصولها، بتفجيرها حتى تطير هكذا وهكذا.

١٠٦ ﴿فَيَذَرُهَا﴾ أي [فيجعلها] أو المعنى: فيترك مواضعها بعد نسف ما كان عليها من الجبال ﴿قَاعًا صَفْصَفًا﴾ القاع الصفصف: الأرض المساء بلا نبات ولا بناء.

١٠٧ ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا﴾ والعوج هنا: ما انخفض من وجه الأرض كالوادي ونحوه، والأمت: المكان المرتفع نحو التلال الصفار.

١٠٨ ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ﴾ يتبع الناس داعي الله إلى المحشر ﴿لَا عِوَجَ لَهُ﴾ أي: لا معدل لهم عن دعائه، فلا يقدرون على أن يزيغوا عنه، أو ينحرفوا

منه، بل يسرعون إليه ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾ سكنت رهبة وخشية وإنصاتا لما يسمعونه من قوله تعالى ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ الهمس: الصوت الخفي.

١٠٩ ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ﴾ من شافع كائنا من كان ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ أي: إلا شفاعته من أذن له الرحمن أن يشفع له ﴿وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ أي: رضي قوله في الشفاعته، أو رضي لأجله قول الشافع.

١١٠ ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من أمر

الساعة ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من أمر الدنيا ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ لا تحيط علومهم بذاته، ولا بصفاته، ولا بمعلوماته.

١١١ ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ أي: ذلت وخضعت ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ أي: خسر من حمل شيئا من الظلم، وقيل: هو الشرك.

١١٢ ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾ أي: الأعمال الصالحة ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ بالله ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا﴾ من أن يعاقب بغير ذنب ﴿وَلَا هَضْمًا﴾ الهضم: النقص من ثواب حسنة.



وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ
لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا ۖ فَتَعَلَّى
اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ
يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ۚ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ۝
وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنسَىٰ وَلَمْ يُجِدْ لَهُ
عِزْمًا ۝ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا
إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ ۝ فَقُلْنَا يَسْأَدُمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ
وَلِرِزْوَجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ۝ إِنَّ
لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۝ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا
وَلَا تَصْحَىٰ ۝ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَسْأَدُمُ
هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ۝ فَأَكَلَا
مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا

ووصيناه، وهو نهي عن الأكل من
الشجرة **﴿فَنسَى﴾** ترك العمل بما وقع به
العهد إليه فيه، ونسي ما عهد الله به إليه
فأكل من تلك الشجرة بعينها **﴿وَلَمْ يُجِدْ لَهُ
عِزْمًا﴾** العزم في اللغة: توطين النفس على
الفعل والتصميم عليه، والمضي على المعتقد
في أي شيء كان، وقد كان آدم عليه
السلام قد وطن نفسه على ألا يأكل من
الشجرة وصمم على ذلك، فلما وسوس
إليه إبليس لانت عريته، وقر عزمه،
وأدركه ضعف البشر، فلم يصبر عن أكل
الشجرة.

**١١٦ ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا
لِآدَمَ﴾** تقدم تفسير الآية في سورة البقرة
(الآية ٣٤)

١١٧ ﴿فَتَشْقَى﴾ فتتعب في حياتك الدنيا
في الأرض في تحصيل مالا بد منه في
المعاش كالحرث والزرع.

**١١٨ ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا
تَعْرَى﴾** المعنى: إن لك في الجنة تمتعا
بأنواع المعاش، وتنعم بأصناف النعم من
المأكل الشهية والملابس البهية.

**١١٩ ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا
تَصْحَى﴾** لا تعطش في الجنة، ولا يؤذيك
الحر، كما يكون لسكان الأرض، وأصول
المتاعب في الدنيا هي: تحصيل الشبع،
والري، والكسوة، والسكن.

١٢٠ ﴿فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾ أي:
قال لها بنوع من الخفية **﴿شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾**
أي: هي الشجرة التي من أكل منها لم
يمت أصلا **﴿وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾** أي: لا
يزول ولا ينتضي. وكان ذلك كذبا من
إبليس ليستدرجها إلى معصية الله.

١٢١ ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهَا سَوَاتُهَا﴾
قد تقدم تفسير هذا وما بعده في
الأعراف.

١١٣ ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ﴾ أي: القرآن
﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ أي: بلغة العرب ليفهموه
﴿وَصَرَفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ﴾ بينا فيه
ضروبا من الوعيد تخويفا وتهديدا، أو
كررنا فيه بعضا منه على أوجه مختلفة
﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ كي يخافوا الله، فيتجنبوا
معاصيه، ويحذروا عقابه **﴿أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ
ذِكْرًا﴾** أي: تنشئ مواعظ القرآن في
قلوبهم اعتبارا واتعاظا، وقيل: ورعا.
١١٤ ﴿فَتَعَلَّى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ جل
الله عن إلحاد الملحدين، وعما يقول
المشركون في صفاته، فإنه الملك حقا،
الذي بيده الثواب والعقاب **﴿وَلَا تَعْجَلْ
بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ
وَحْيُهُ﴾** كان النبي ﷺ يبادر جبريل،
فيقرأ قبل أن يفرغ جبريل من الوحي،
حرصا منه على ما كان ينزل عليه منه.
فناه الله عن ذلك، ومثله قوله تبارك
وتعالى في سورة القيامة (لا تحرك به
لسانك لتعجل به) وقيل المعنى: ولا تلقه
إلى الناس قبل أن يأتيك بيان تأويله
﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ أي: سل ربك
زيادة العلم.
١١٥ ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ﴾ أمرناه

مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَلَمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ

﴿وطبقاً يَخْصِفَانِ عَلَيْهَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ أي: يَخْطِطَانِ لِيَسْتَرَا عَوْرَاتِهَا، قِيلَ: جَعَلَا يَلْصِقَانِ عَلَيْهَا مِنْ وَرَقِ التِّينِ ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ أي: عَصَاهُ بِالْأَكْلِ مِنَ الشَّجَرَةِ فَضَلَّ عَنِ الصَّوَابِ، وَقِيلَ: فَسَدَ عَلَيْهِ عَيْشُهُ بِنَزْوَلِهِ إِلَى الدُّنْيَا.

١٢٢ ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ﴾ أي: اصْطَفَاهُ وَقَرَّبَهُ، بَعْدَ أَنْ تَابَ مِنَ الْمَعْصِيَةِ وَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ مِنْهَا، وَأَعْلَنَ أَنَّهُ قَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ أي: تَابَ عَلَيْهِ مِنْ مَعْصِيَتِهِ، وَهَدَاهُ إِلَى التَّوْبَةِ.

١٢٣ ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ أي: فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لآدَمَ وَحَوَّاءَ: انْزِلَا مِنَ الْجَنَّةِ إِلَى الْأَرْضِ ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ أي: بَعْضُكُمْ بِأَمْعَشِ الْبَشَرِ فِي الدُّنْيَا عَدُوٌّ لِبَعْضٍ فِي أَمْرِ الْمَعَاشِ وَنَحْوِهِ، فَيَحْدُثُ بِسَبَبِ ذَلِكَ الْقِتَالُ وَالْخِصَامُ ﴿فَلَمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ بِإِرْسَالِ الرِّسْلِ وَإِنْزَالِ الْكُتُبِ ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ﴾ فِي الدُّنْيَا ﴿وَلَا يَشْقَىٰ﴾ فِي الْآخِرَةِ.

١٢٤ ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي﴾ أي: عَن دِينِي، وَتِلَاوَةِ كِتَابِي، وَالْعَمَلِ بِمَا فِيهِ ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ أي: فَإِنَّ لَهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا عَيْشًا ضَيْقًا ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ أي: مُسْلُوبَ الْبَصَرِ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ الْعَمَى عَنِ الْحُجَّةِ.

١٢٥ ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾ أي: فِي الدُّنْيَا.

١٢٦ ﴿قَالَ كَذَلِكَ﴾ أي: مِثْلَ ذَلِكَ فَعَلْتَ أَنْتَ ﴿أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا﴾ أي: أَعْرَضْتَ عَنْهَا، وَتَرَكْتَهَا، وَلَمْ تَنْظُرْ فِيهَا ﴿وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ تَتْرَكَ فِي الْعَمَى وَالْعَذَابِ فِي النَّارِ.

١٢٧ ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ﴾ الْإِسْرَافُ: الْإِنْهَمَاقُ فِي الشَّهَوَاتِ الْمَحْرَمَةِ ﴿وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾ بَلْ كَذَبَ بِهَا ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ﴾ أي: أَظْفَعُ مِنْ

المعيشة الضنك ﴿وَأَبْقَى﴾ أي: أَدُومَ وَثَبَّتَ لِأَنَّهُ لَا يَنْقُطُ. انتهى أربابها عن القبيح.

١٢٨ ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ أَفَلَمْ يَتَبَيَّنْ لَأَهْلِ مَكَّةَ خَيْرٌ مِنْ ﴿أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ﴾ يَتَقَلَّبُونَ فِي دِيَارِهِمْ، أَوْ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِ الْقُرُونِ الَّذِينَ أَهْلَكْنَاهُمْ، وَذَلِكَ عِنْدَ خُرُوجِهِمْ لِلتَّجَارَةِ وَطَلَبِ الْمَعِيشَةِ، فَيُرُونَ بِلَادَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ خَاوِيَةً خَارِبَةً مِنْ أَصْحَابِ الْحَجَرِ وَثُمُودٍ وَقُرَى قَوْمِ لُوطٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يُوْجِبُ اعْتِبَارَهُمْ، لِشَلَا يَحِلُّ بِهِمْ مِثْلُ مَا حَلَّ بِأَوْلَئِكَ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى﴾

١٢٩ ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ وَهِيَ وَعْدُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ بِتَأْخِيرِ عَذَابِ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَى الدَّارِ الْآخِرَةِ ﴿لَكَانَ﴾ عِقَابُ ذُنُوبِهِمْ ﴿لِزَامًا﴾ أي: لِأَزْمًا لَهُمْ، لَا يَنْفَكُ عَنْهُمْ بِحَالٍ وَلَا يَتَأَخَّرُ ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ أي: وَلَوْلَا الْأَجَلُ الْمُسَمًّى عِنْدَنَا لَكَانَ الْأَجَلُ الْعَاجِلُ.

١٣٠ ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ مِنْ أَنَّكَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ، وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنْ مَطَاعِنِهِمُ الْبَاطِلَةِ. لَا تَحْتَفِلْ بِهِمْ، فَإِنَّ لِعَذَابِهِمْ وَقْتًا

الله لك من الرزق في الدنيا، وثواب الله وما ادخر لك في الآخرة خير مما رزقهم في الدنيا على كل حال.

١٣٢ «وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ» والمراد بهم: أهل بيته، وقيل: جميع أمته **«وَاصْطِرْ عَلَيْهَا»** أي: اصبر على الصلاة **«لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا»** أي لا نسألك أن ترزق نفسك ولا أهلك **«غَنَ نَرْزُقُكَ»** ونرزقهم **«وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى»** أي: العاقبة المحمودة، وهي الجنة لأهل التقوى.

١٣٣ «وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ» كما كان يأتي بها من قبله من الأنبياء، أي: من الآيات التي قد اقترحناها عليه **«أَوَّلُ تَأْتِيهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى»** التوراة والإنجيل والزبور وسائر الكتب المنزلة، وفيها التصريح بنبوته والتبشير به، فإن هذه الكتب المنزلة هم معترفون بصحتها وصحتها، وفيها ما يدفع إنكارهم لنبوته، ويبطل تعنتاتهم وتعسفاتهم. وقيل المعنى: أول يأتيهم خبر إهلاكنا للأمم الذين كفروا واقترحوا الآيات.

١٣٤ «وَلَوْ أَنَا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ» أي: من قبل بعثة محمد **«لَقَالُوا»** يوم القيامة **«رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا»** أي: هلا كنت أرسلت إلينا رسولاً في الدنيا **«فَتَتَّبِعَ آيَاتِكَ»** التي يأتي بها الرسول **«مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذَلَكَ»** بالعذاب في الدنيا **«وَنُخْزِي»** بدخول النار.

١٣٥ «قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا» أي: قل لهم يا محمد: كل واحد منا ومنكم متربص، أي: منتظر لما يثول إليه الأمر، فتربصوا أنتم **«فَسَتَعْلَمُونَ»** عن قريب **«مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ»** أي: فستعلمون في العاقبة من هو على الحق مني ومنكم **«وَمَنْ اهْتَدَى»** من الضلالة ونزع عن الغواية.

مُسَمَّى ﴿١٣١﴾ فَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴿١٣٢﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٣٣﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴿١٣٤﴾ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٣٥﴾ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذَلَ وَنُخْزَى ﴿١٣٦﴾ قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنْ اهْتَدَى ﴿١٣٧﴾

«لعلك ترضى» رجاء أن تنال عند الله سبحانه ما ترضى به نفسك.

١٣١ «وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ» قد تقدم تفسير هذه الآية في سورة الحجر (الآية ٨٨) والمعنى: لا تطل نظر عينيك [إلى ما أمددناهم به من متع الحياة واجعل همتك فيما عند الله] **«زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا»** زينتها وهبتها [من المال والمباني والرياش والمراكب وغيرها] **«لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ»** أي: لنجعل ذلك فتنة لهم وابتلاء منا لهم **«وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى»** أي: ما يسره

مضروباً لا يتقدم **«وسبح بحمد ربك»** المراد: الصلوات الخمس **«قبل طلوع الشمس»** إشارة إلى صلاة الفجر **«وقبل غروبها»** فإنه إشارة إلى صلاة العصر **«ومن آناء الليل»** العشاء **«فسبح»** أي: فصل **«وأطراف النهار»** أي: المغرب والظهر، وقيل: إن الإشارة إلى صلاة الظهر هي بقوله وقبل غروبها، لأنها هي وصلاة العصر قبل غروب الشمس، وقيل المراد بالآية: صلاة التطوع، وقيل المراد: التسبيح في هذه الأوقات: أي قول القائل: سبحان الله

سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ

(٢١) سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ مَكِّيَّةٌ
وَأَنْبِئَانَهَا اثْنَتَا عَشْرَةَ وَمِائَتَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾
مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا أَسْتَمِعُوهُ وَهُمْ
يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَا هِيَ قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأَ النَّجْوَى الَّذِينَ
ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ
تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قُلْ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلْ
أَفْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأُولُونَ ﴿٥﴾
مَاءَ أَمْنَةٍ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾

٦ «مَا أَمْنَت قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا» فيه بيان أن سنة الله في الأمم السالفة أن المقترحين إذا أعطوا ما اقترحوه، ثم لم يؤمنوا نزل بهم عذاب الاستئصال لا محالة، فكيف نعطيهم ما يقترحون؟ «أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ» والمعنى: إن لم تؤمن أمة من الأمم المهلكة عند إعطاء ما اقترحوا، فكيف يؤمن هؤلاء لو أعطوا ما اقترحوا؟ [وكان الله تعالى يشير بهذا إلى رحمته بهذه الأمة من أنه لا يريد لها عذاب الاستئصال ولذلك لم يجيهم إلى ما اقترحوه من الآيات].

٧ «وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رَجُلًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ» أي لم نرسل قبلك إلى الأمم السابقة إلا رجلاً من البشر، ولم نرسل إليهم ملائكة «فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» وأهل الذكر: هم أهل العلم بهذا الأمر، وهم أهل الكتابين: اليهود والنصارى، فاسألوهم إن كنتم لا تعلمون أن رسل الله كانوا من البشر [وكذلك في كل أمر يجهله الإنسان يسأل أهل الذكر وهم أهل العلم بذلك الأمر].

٨ «وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَا يَأْكُلُونَ

١ «أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ» أي: وقت يوم القيامة، فما بقي من الدنيا أقل مما مضى «وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ» في غفلة، وذلك لاشتغالهم بمتع حياتهم ومالهم عنه غفياً، فهم لذلك منشغلون بالدنيا عن الآخرة، غير متاهبين لها.

٢ «مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ» الذكر هنا: هو القرآن، محدث تنزيله.

٣ «لَا هِيَ قُلُوبُهُمْ» لم تلتفت إلى ذلك الأمر المهم حق الالتفات «وَأَسْرَأَ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا» بالغوا في إخفاء ما يتناجون به، قائلين: «هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ» لا يتميز عنكم بشيء، أي: بل هو يأكل ويشرب مثلكم، وولد ويموت، فكيف يكون نبياً؟ «أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصِرُونَ» المعنى: إذا كان بشراً مثلكم، وكان الذي جاء به سحراً، فكيف تحيونه إليه وتتبعونه؟

٤ «قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ» أي: قال محمد: ربِّي يعلم القول في أي مكان تكلم به صاحبه من جوانب السماوات والأرض، فهو عالم بما تناجيتم به «وَهُوَ السَّمِيعُ» لكل ما يسمع «الْعَلِيمُ» بكل معلوم.

٥ «بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ» أي: قالوا: إن الذي تأتي به هو من الرؤيا الكاذبة، والأضغاث: ما لم يكن له تأويل «بَلْ افْتَرَاهُ» من تلقاء نفسه من غير أن يكون له أصل «بَلْ هُوَ شَاعِرٌ» وما أتى به من جنس الشعر. وفي هذا التردد دليل أنهم جاهلون بحقيقة ما جاء به، لا يدرون ما هو ولا يعرفون كنهه. أو كانوا قد علموا أنه حق من عند الله، ولكن أرادوا التويه على الأتباع «فَلْيَأْتِنَا بآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأُولُونَ» أي: كما أرسل موسى بالعصا وغيرها، وصالح بالناقة.



وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَسَلُّوا أَهْلَ
الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا
لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمْ
الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾
لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾
وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا
قَوْمًا آخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسْنَانَا إِذَا هُمْ مِنْهَا
يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ
وَمَسْكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَسْأَلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا
ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ
حَصِيدًا خَالِدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ
وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَآتَخَذْنَاهُ

مكذبين بآياته **﴿وأنشأنا بعدها قوما آخرين﴾** أي: أحدثنا بعد إهلاك أهلها قوما ليسوا منهم.

١٢ **﴿فلما أحسوا بأسنا﴾** أي: أدركوا، أو رأوا عذابنا **﴿إذا هم منها يركضون﴾** الركض: الفرار والهرب والانهمام، ففعل لهم:

١٣ **﴿لا تركضوا﴾** أي: لا تهربوا **﴿وارجعوا إلى ما أترفتم فيه﴾** أي: إلى نعمكم التي كانت سبب بطركم وكفركم **﴿ومساكنكم﴾** أي: وارجعوا إلى مساكنكم التي كنتم تسكنونها وتفتخرون بها **﴿لعلكم تسألون﴾** أي: تُقصدون للسؤال والتشاور والتدبير في المهمات، وهذا على طريقة التهكم بهم والتوبيخ لهم.

١٤ **﴿قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين﴾** اعترفوا على أنفسهم بالظلم الموجب للعذاب، في ذلك الموقف العظيم، ولكن ماذا يُجديهم الاعتراف حينئذ؟!

١٥ **﴿فما زالت تلك دعواهم﴾** أي: ما زالت دعوتهم قولهم يا ويلنا، أي: يدعون بها ويرددونها **﴿حتى جعلناهم حصيداً﴾** كما يحصد الزرع بالمنجل **﴿خالدين﴾** المراد: أنهم ميتون لا حراك بهم.

١٦ **﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين﴾** أي: لم نخلقها عبثاً ولا باطلاً.

١٧ **﴿لو أردنا أن نتخذ لهوا﴾** اللهو: ما يتلهى به، قيل: اللهو الزوجة والولد **﴿لا نتخذناه من لدنا﴾** أي: من عندنا ومن جهة قدرتنا لا من عندكم. قيل: أراد الرد على من قال: الأصنام أو الملائكة بنات الله **﴿إن كنا فاعلين﴾** أي: لو كنا ممن يرغب في أن يفعل ذلك لاتخذناه من لدنا أي: ولكن نحن أجل من أن نلهو، بل كل أفعالنا حق لا عبث فيه.

الطعام **﴿﴾** أي: إن الرسل أسوة سائر أفراد بني آدم في حكم الطبيعة: يأكلون، كما يأكلون، ويشربون كما يشربون، فإن جسد كل إنسان لا يستغني عن الطعام والشراب فالأنبياء كذلك لا يستغنون عنه

٩ **﴿ثم صدقناهم الوعد﴾** أي: أنجزنا وعدهم الذي وعدناهم بأنجائهم وإهلاك من كذبهم **﴿فأنجيناهم ومن نشاء﴾** من عبادنا المؤمنين من العذاب، وأهلكنا من أردنا إهلاكه من الذين كفروا بالعذاب

١٠ **﴿لقد أنزلنا إليكم كتاباً﴾** يعني القرآن **﴿فيه ذكركم﴾** أي: فيه شرفكم، وقيل: مكارم أخلاقكم، ومحاسن أعمالكم **﴿أفلا تعقلون﴾** أي: أفلا تعقلون أن الأمر كذلك فتؤمنون به تحصيلاً لذلك الفضل.

١١ **﴿وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة﴾** أي: قد أهلكنا كثيراً من القرى الظالم أهلها، [مع ما كانت عليه من القوة والسطوة] كانوا كافرين بالله

الدينوي **﴿المسرفين﴾** المجاوزون للحد في الكفر والمعاصي، وهم المشركون.

١٠ **﴿لقد أنزلنا إليكم كتاباً﴾** يعني القرآن **﴿فيه ذكركم﴾** أي: فيه شرفكم، وقيل: مكارم أخلاقكم، ومحاسن أعمالكم **﴿أفلا تعقلون﴾** أي: أفلا تعقلون أن الأمر كذلك فتؤمنون به تحصيلاً لذلك الفضل.

مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَعَلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى
الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا
تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ
عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾
يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا
مِنْ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ
لَفَسَدَتَا فَسُبْحَنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾
لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ
دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ
مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ
فَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ
إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا

١٨ ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ﴾

أي: إن ما قالوا كذب وباطل، بل شأننا أن نرمي بالحق على الباطل ﴿فَيَدْمَغُهُ﴾ أي: يقهره، وأصل الدمع شج الرأس حتى يبلغ الدماغ وهي ضربة قاتلة. قيل أراد بالحق الحجة، وبالباطل شبههم ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ أي: زائل ذاهب، وقيل: هالك تالف ﴿وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ أي: العذاب في الآخرة بسبب وصفكم لله بما يتقدس عنه.

١٩ ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

عبيدا وملكاء، وهو خالقهم ورازقهم ومالكهم، فكيف يكون له بعض مخلوقاته شريكا يعبد كما يعبد ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ﴾ يعني: الملائكة ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ لا يتعاضمون ولا يأنفون عن عبادة الله سبحانه والتذلل له ﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ أي: لا يتعبون.

٢٠ ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾

أي: هم مواظبون على التسبيح دائما لا يضعفون عن ذلك ولا يسأمون.

٢١ ﴿أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِنَ الْأَرْضِ﴾

أي: بل هل اتخذوا آلهة من الأرض هم مع حقارتهم ينشرون الموق؟ أي: ليس الأمر كذلك، فإن ما اتخذوها آلهة بم عزل عن ذلك لا تستطيع إحياء أحد ولا إماتة أحد.

٢٢ ﴿لَوْ كَانَ فِيهَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ

لَفَسَدَتَا﴾ أي: لو كان في السماوات والأرض آلهة معبودون [بحق] غير الله لفسدتا: أي لبطلتا. ووجه الفساد أن ذلك يستلزم أن يكون كل واحد منها قادرا على الاستبداد بالتصرف، فيقع عند ذلك التنازع والاختلاف، ويحدث بسببه الفساد.

٢٣ ﴿لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ لقوة سلطانه

وعظيم جلاله لا يسأله أحد من خلقه عن

شيء من قضائه وقدره ﴿وَهُمْ﴾ أي

العباد ﴿يُسْأَلُونَ﴾ عما يفعلون، أي:

يسألهم الله عن ذلك لأنهم عبيده، وكذلك يؤاخذ على أعماله كل من ادعيت ألوهيته من المخلوقات، كالنبي والملائكة، فلا تصلح لأن تكون آلهة.

٢٤ ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ على دعوى

أنها آلهة، ولا سبيل لهم إلى شيء من ذلك، لا من عقل ولا من نقل، لأن دليل العقل قد مر بيانه، وأما دليل النقل

فقد أشار إليه بقوله ﴿هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ

وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي﴾ أي: هذا الوحي الوارد

إلي وهذه الكتب التي أنزلت قبلي، فانظروا هل في واحد منها أن الله أمر باتخاذ إله سواه ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ﴾ لكونهم جاهلين للحق، لا يميزون بينه وبين الباطل ﴿فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ عن قبول الحق، مستمرين على الإعراض عن التوحيد واتباع الرسول، فلا يتأملون حجة، ولا يتدبرون في برهان، ولا يتفكرون في دليل.

٢٥ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ

إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ وفي

هذا تقرير لأمر التوحيد.



أَتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾
لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ ۖ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ
أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَسْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ
خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ * وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِنْ
دُونِهِ ۚ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾
أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا
رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۚ
أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًا أَنْ تَمِيدَ
بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾
وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا
مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ
وَالْقَمَرَ ۚ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِلْبَشَرِ مِنْ

القاتل، على سبيل الغرض والتقدير،
نجزيه جهنم بسبب هذا القول الذي قاله،
كما نجزي غيره من المجرمين.

٣٠ ﴿أولم ير الذين كفروا﴾ أي: ألم
يتفكروا ولم يعلموا ﴿أن السماوات
والأرض كانتا رتقا﴾ قيل: المراد كانت
السماوات سماء واحدة ففتقت، وكانت
الأرضون أرضا واحدة ففتقت، وقيل:
كانتا شيئا واحدا ملتزقتين ﴿ففتقناهما﴾
أي: فصلنا بعضهما من بعض ﴿وجعلنا
من الماء كل شيء حي﴾ أي: أحيينا
بالماء الذي ننزله من السماء كل شيء
حي، فيشمل الحيوان والنبات، والمعنى:
أن الماء سبب حياة كل شيء حي في
الأرض ﴿أفلا يؤمنون﴾ مع وجود ما
يقتضيه من الآيات الربانية.

٣١ ﴿وجعلنا في الأرض رواسي﴾ أي:
جبالا ثوابت ﴿أن تميد بهم﴾ أي: لتلا
تتحرك وتضطرب بهم ﴿وجعلنا فيها﴾
أي: في السرواسي، أو في الأرض
﴿فججاجا﴾ هي المسالك، وقال الزجاج:
كل غترق بين جبلين فهو فج و﴿سبلا﴾
طرقا نافذة ﴿لعلهم يهتدون﴾ إلى مصالح
معاشهم.

٣٢ ﴿وجعلنا السماء سقفا محفوظا﴾ أي
محفوظا عن أن يقع ويسقط على الأرض.
وقال الفراء: محفوظا بالنجوم من الشيطان
﴿وهم عن آياتها معرضون﴾ آياتها
كالشمس والقمر ونحوهما لا يتدبرون
فيها.

٣٣ ﴿كل في فلك يسبحون﴾ أي: كل
واحد من الشمس والقمر والنجوم [يجري
في الفضاء في فلك خاص به، وفلكه خط
سيره على شكل دائرة] فهو يسير في فلكه
كالسباح في الماء.

٣٤ ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد﴾
أي: دوام البقاء في الدنيا.

فلم يعملوا عملا ولم يقولوا قولا إلا بعلمه
﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾ أن يشفع
الشافعون له، وهو من رضي الله تعالى
عنه، وهم أهل لا إله إلا الله ﴿وهم من
خشيتهم مشفقون﴾ الخشية: الخوف مع
التعظيم، والإشفاق: الخوف مع التوقع
والحذر، أي إن الملائكة لمعرفتهم بالله
تعالى يخشونه حق خشية لا يزالون منه
خائفين.

٢٩ ﴿ومن يقل منهم إني إله من دونه﴾
أي: من يقل من الملائكة إني إله من
دون الله ﴿فذلك نجزيه جهنم﴾ أي فذلك

٢٦ ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدا﴾ هؤلاء
القاتلون هم خزاعة، فإنهم قالوا الملائكة
بنات الله ﴿سبحانه﴾ أي: تنزهها له عن
ذلك ﴿بل عباد مكرمون﴾ أي: ليسوا
كما قالوا، بل الملائكة عبيد لله سبحانه
مكرمون بكرامته لهم، مقربون عنده.

٢٧ ﴿لا يسبقونه بالقول﴾ أي: لا
يقولون شيئا حتى يقوله، أو يأمرهم به
﴿وهم بأمره يعملون﴾ أي: هم العاملون
بما يأمرهم الله به.

٢٨ ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾
أي: يعلم ما عملوا وما سوف يعملون،

قَبْلَكَ الْخُلْدُ أَفَلَا يَنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَخِذُّونَكَ إِلَّا هُزُوعًا هَذَا الَّذِي يَذْكُرُ الْهَيْتَكَ وَهُمْ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئُ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَخَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَنْ يَكْلَأُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ

﴿أَفَلَا يَنْ مِتَّ﴾ بأجلتك المحتوم **﴿فَهُم الْخَالِدُونَ﴾** أي: إن مت فهم يموتون أيضا، فلا شماتة في الموت.

﴿٣٥﴾ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ أي: ذائقة مفارقة جسدها، فلا يبقى أحد من ذوات الأنفس المخلوقة كائنا ما كان **﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾** عن ابن عباس قال: نختبركم بالشدة والرخاء، والصحة والسقم، والغنى والفقر، والحلال والحرام، والطاعة والمعصية، والهدى والضلالة، أي لننظر كيف شكركم وصبركم **﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾** لا إلى غيرنا فنجازيكم بأعمالكم.

﴿٣٦﴾ ﴿وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: المستهزئين من المشركين **﴿إِنْ يَخِذُّونَكَ إِلَّا هُزُوعًا﴾** الهزوع: السخرية **﴿هَذَا الَّذِي يَذْكُرُ الْهَيْتَكَ﴾** أي: يقولون أهذا الذي يعيب الآلهة **﴿وَهُمْ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ هُمْ كَافِرُونَ﴾** يعيبون على النبي ﷺ أن يذكر آلهتهم التي لا تضر ولا تنفع بالسوء، والحال أنهم يذكرون الله سبحانه بما يليق به من التوحيد كافرين، فهم أحق بالعيب لهم.

﴿٣٧﴾ ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ أي: من طبعه التعجل في الأمور، قيل: نزلت في قريش لأنهم استعجلوا العذاب **﴿سَأُورِيكُمْ آيَاتِي﴾** أي ستحل بكم نعماتي منكم بعذاب النار **﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾** أي فلا تستعجلوني في الإتيان به قبل أوانه فإنه نازل بكم لا محالة، وقيل المراد بالآيات ما دل على صدق محمد ﷺ من المعجزات، وما جعله الله له من العاقبة المحمودة.

﴿٣٨﴾ ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي: إن كنتم يا معشر المسلمين صادقين في وعدكم، أي الوعد الذي تتلونه في القرآن، وتخبروننا به أنه من عند الله.

﴿٣٩﴾ ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ أي: لو علموه علم اليقين لعلموا أن الساعة آتية. **﴿٤٠﴾ ﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً﴾** أي: لا يعلمونها، بل تأتيتهم النار، أو الساعة بغتة: أي: فجأة **﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾** أي: تحيرهم، وقيل فتفجؤهم **﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا﴾** أي: صرفها عن وجوههم ولا عن ظهورهم **﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾** أي: لا يمهلون ويؤخرون لتوبة واعتذار.

﴿٤١﴾ ﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئُ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ **﴿٤٢﴾ ﴿قُلْ مَنْ يَكْلَأُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾** من يحفظكم مما يريد الرحمن إنزاله بكم من عقوبات الدنيا والآخرة **﴿بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ﴾** فلا

أي: إن استهزا بك هؤلاء فقد فعلت الأمم ذلك بمن قبلك من الرسل على كثرة عددهم وخطر شأنهم **﴿فَخَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ﴾** أي: أحاط ودار بسبب ذلك بالذين سخروا من أولئك الرسل وهزئوا بهم **﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾** أي: أحاط بهم جزاء استهزائهم، فلم يجدوا مهربا.

﴿٤٢﴾ ﴿قُلْ مَنْ يَكْلَأُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ من يحفظكم مما يريد الرحمن إنزاله بكم من عقوبات الدنيا والآخرة **﴿بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ﴾** فلا

بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنْنَا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصَّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يُوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنْ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ

يذكرونه ولا يخطرونه ببالهم، بل يعرضون عنه. **٤٣ ﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا﴾** المعنى: بل لهم آلهة تمنعهم من عذابنا **﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ﴾** أي: هم عاجزون عن نصر أنفسهم فكيف يستطيعون أن ينصروا غيرهم **﴿وَلَا هُمْ مِنْنَا يُصْحَبُونَ﴾** أي: ولا هم يجارون من عذابنا. **٤٤ ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ﴾** يعني أهل مكة تمتعهم الله بما أنعم عليهم **﴿حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾** فآغثوا بذلك **٤٥ ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾** أي:

أخوفكم وأحذركم بالقرآن وذلك شأني وما بعثني الله به **﴿وَلَا يَسْمَعُ الصَّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾** المعنى: أن من أصم الله سمعه لا يسمع الدعاء، [ومن ينذره الوقوع في الخطر، فكذلك هؤلاء القوم هم صم عما تحذروهم منه].

٤٦ ﴿وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ﴾ أي: ولئن مسهم أقل شيء من العذاب **﴿لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾** أي فإنهم سوف يولولون ويدعون على أنفسهم بالويل والهلاك ويعترفون عليها بالظلم.

٤٧ ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ أي: الموازين العادلة لوزن أعمال العباد في يوم القيامة **﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾** أي: إنها موازين عادلة عدلا مطلقا، فلا ينقص من إحسان محسن، ولا يزداد في إساءة مسيء **﴿وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ﴾** أي: وإن كان العمل غاية الخفة والحقارة كحبة الخردل في الصغر **﴿أَتَيْنَا بِهَا﴾** أي أحضرناها من حيث كانت في ملك الله، للمجازاة عليها **﴿وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾** نتقن الحساب فلا يفوتنا شيء.

٤٨ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾ الفرقان: التوراة، لأن فيها الفرق بين الحلال والحرام، وقيل الفرقان هنا هو النصر على الأعداء **﴿وَضِيَاءً﴾** أي فيها الهداية، فإن أخذوا بها استضاءوا بها في ظلمات الجهل والغواية **﴿وَذِكْرًا﴾** يتعظون بما فيها.

٤٩ ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ لأن هذه الخشية تلازم التقوى، أي: يخشون عذابه وهو غائب عنهم **﴿وَهُمْ مِنْ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾** خائفون وجلون.

٥٠ ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ﴾ المعنى: وهذا القرآن ذكر لمن تذكر به، وموعظة لمن اتعظ به، كثير البركة والخير.

أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٠﴾ * وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ
مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ
مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا
آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ
فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنْ
اللَّعِينِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾
وَتَاللَّهِ لَا أَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدِيرِينَ ﴿٥٧﴾
فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾
قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾
قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَاتُوا
بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَنْتَ

﴿أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ أي: كيف تنكرون
كونه منزلاً من عند الله مع اعترافكم بأن
التوراة منزلة من عنده؟

٥١ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ﴾ أي:
الرشد اللائق به وبأمثاله من الرسل،
ومعنى ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ قبل إيتاء موسى
وهارون التوراة. وقيل: المراد أعطيناه
الرشد قبل النبوة أي وفقناه للنظر
والاستدلال لما جئ عليه الليل فرأى
الشمس والقمر والنجم ﴿وَكُنَّا بِهِ
عَالِمِينَ﴾ أنه موضع لإيتاء الرشد، وأنه
يصلح لذلك.

٥٢ ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾ وأبوه هو آزر
﴿وَقَوْمِهِ﴾ غمروا ومن اتبعه ﴿التَّمَاثِيلُ﴾
الأصنام، وأصل التمثال الشيء المصنوع
مشابهاً لشيء من مخلوقات الله سبحانه
أنكر عليهم عبادتها بقوله ﴿مَا هَذِهِ
التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ أي: ما
هذه الأصنام التي أنتم مقيمون على
عبادتها؟

٥٣ ﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾
أي: وجدنا آبائنا يعبدونها، فعبدناها
اقتداء بهم، ومشيا على طريقتهم.

٥٤ ﴿قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي
ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ في زيغ عن طريق الحق،
واضح لا يخفى على ذي عقل وبصيرة.
وفي المقلدين من أهل الإسلام شبه هؤلاء
[إن كانوا قادرين على الاستدلال على
الشرائع من الكتاب والسنة واكتفوا
بمتابعة من قبلهم على غير دليل] ورفضوا
لذلك قول من جاءهم بالحكم عليه
الدليل واضح المنار.

٥٥ ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنْ
اللَّعِينِينَ﴾ أي: أجاد أنت فيما تقول، أم
أنت لاعب مازح؟

٥٦ ﴿الَّذِي فَطَرَهُنَّ﴾ أي: خلقهن
وأبدعهن ﴿وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ﴾ أي: على
ذلك الأمر الذي ذكرته لكم من كون

ربكم هو رب السماوات والأرض دون
ما عداه ﴿مِنْ الشَّاهِدِينَ﴾ أي: العالين
به المبرهين عليه.

٥٧ ﴿وَتَاللَّهِ لَا أَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾ أقسم
لهم أنه سينتقل من الحاجة باللسان إلى
تغيير المنكر بالفعل ثقة بالله سبحانه
ومحاماة على دينه، قال ذلك سرا، وقيل
سمعه رجل منهم ﴿بَعْدَ أَنْ تُولُوا﴾ أي
بعد أن ترجعوا من عبادتها.

٥٨ ﴿فَجَعَلَهُمْ جُودًا﴾ قطعاً، بتكسر
تلك الأصنام ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ﴾ أي:
للأصنام ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ﴾ أي: إلى إبراهيم
٥٩ ﴿مِنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا﴾ أي: فلما
رجعوا من عيدهم، ورأوا ما حدث
بآلهتهم، قالوا هذه المقالة.

٦٠ ﴿سَمِعْنَا فَتًى﴾ قال بهذا بعضهم مجيباً
للمستفهمين ﴿يَذْكُرُهُمْ﴾ يعيهم ﴿يُقَالُ﴾
له إبراهيم أي هذا اسمه.

فَعَلَتْ هَذَا بِإِلَهَيْنَا إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَعَوْهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَنْارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ﴿٧٢﴾ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٣﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ

رجعوا إلى جهلهم وعنادهم **﴿لقد علمت ما هؤلاء ينطقون﴾** أي: قائلين لإبراهيم: لقد علمت أن النطق ليس من شأن هذه الأصنام.

٦٧ ﴿أف لكم ولما تعبدون من دون الله﴾ تحقير لهم ولعبوداتهم، والتأفف: صوت يدل على التضجر والاستخفاف **﴿أفلا تعقلون﴾** فتعلمون قبح هذا الصنع. **٦٨ ﴿قالوا حرقوه﴾** أي: حرقوا إبراهيم، قالوا هذا ميلا منهم إلى إظهار الغلبة بأي وجه كان **﴿وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين﴾** أي: انصروها بالانتقام من هذا الذي فعل بها ما فعل.

٦٩ ﴿قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم﴾ أي: فأضرموا النار، وألقوا إبراهيم فيها فكانت عليه بردا وسلاما، فلم تضره. وأخرج أبوداود والترمذي عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ «لم يكذب إبراهيم في شيء قط إلا في ثلاث، كلهن في الله: قوله: إني سقيم، ولم يكن سقيا؛ وقوله لسارة: أختي؛ وقوله: بل فعله كبيرهم هذا».

٧١ ﴿وَجَعَلْنَاهُ وَلُوطًا﴾ من أرض العراق، ولوط ابن أخي إبراهيم **﴿إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين﴾** وهي أرض بيت المقدس، مباركة لكثرة خصبها وثمارها وأنهارها، ولأنها معادن الأنبياء، منها بعث الله أكثر الأنبياء.

٧٢ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ النافلة: الزيادة، وكان سأل الله أن يهب له ولدا، فوهب له إسحاق، ثم وهب لإسحاق يعقوب من غير دعاء، فكان ذلك نافلة، أي: زيادة على ما دعا به **﴿وكلا جعلنا صالحين﴾** أي: وكل واحد من هؤلاء الأربعة: إبراهيم ولوط وإسحاق ويعقوب، جعلناه صالحا عاملا بطاعة الله تاركا لمعاصيه.

٧٣ ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾

تعبدون من يعجز عن النطق؟ **٦٤ ﴿فرجعوا إلى أنفسهم﴾** أي رجع بعضهم إلى بعض رجوع المنقطع عن حجته، وفهموا أن من لا يقدر على دفع المضرة عن نفسه، ولا على الإضرار بمن فعل به ما فعله إبراهيم بتلك الأصنام، يستحيل أن يكون مستحقا للعبادة **﴿فقالوا إنكم أنتم الظالمون﴾** أي الظالمون لأنفسكم بعبادة هذه الجمادات وليس الظالم هو ذلك الذي كسر هذه الأشياء التي تسمونها آلهة.

٦٥ ﴿ثم نكسوا على رؤوسهم﴾ أي:

٦١ ﴿قالوا فأتوا به على أعين الناس﴾ ليكون ذلك حجة عليه يستحلون بها منه ما قد عزموا على أن يفعلوه به **﴿لعلهم يشهدون﴾** لعلهم يحضرون عقابه، وقيل: لعلهم يشهدون عليه.

٦٢ ، ٦٣ ﴿قالوا أنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم. قال بل فعله كبيرهم هذا﴾ مشيرا إلى الصنم الذي تركه ولم يكسره **﴿فاسألوهم إن كانوا ينطقون﴾** أي: إن كانوا ممن يمكنه النطق، ويقدر على الكلام، ويفهم ما يقال له، لأنهم إذا قالوا إنهم لا ينطقون، قال لهم فكيف

الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا
عَبِيدِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَوْ طَاءَ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ
الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَاتِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ
سَوْءٍ فَاسِقِينَ ﴿٧٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ
الصَّالِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ
فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٧﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنْ
الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايَتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ
فَآغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٨﴾ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ
فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَمُّ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ
شَاهِدِينَ ﴿٧٩﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا
حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَحْنُ نَعْلَمُ مَا يَكُونُ لَكُمْ لِكُرِّ لِحُكْمِكُمْ
وَكُنَّا فَعَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِيَتَّخِذَكُمْ

أي: رؤساء يقتدى بهم في الخيرات، وأعمال الطاعات، بما أنزلنا عليهم من الوحي ﴿وأوحينا إليهم فعل الخيرات﴾ أي: أن يفعلوا الطاعات ﴿وكانوا لنا عابدين﴾ فاعلين لما نأمرهم به، تاركين ما نهاهم عنه.

٧٤ ﴿ولوطا آتيناه حكما وعلما﴾ الحكم: النبوة، والعلم المعرفة بأمر الدين، وقيل الحكم: هو فصل الخصومات بالحق ﴿ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث﴾ القرية: هي سدوم كما تقدم، يعمل أهلها الخبائث، وهي اللواط والفساد في مجالسهم ﴿إنهم كانوا قوم سوء فاسقين﴾ أي: خارجين عن طاعة الله.

٧٥ ﴿وأدخلناه في رحمتنا﴾ بإخراجنا إياه من القوم المذكورين ﴿إنه من الصالحين﴾ الذين سبقت لهم منا الحسن.

٧٦ ﴿ونوحا إذ نادى من قبل﴾ أي من قبل هؤلاء الأنبياء المذكورين، دعا الله بإهلاك الظالمين من قومه ﴿فاستجبنا له﴾ دعاءه ﴿فنجيناه وأهله من الكرب العظيم﴾ أي من الفرق بالطوفان، والمراد بأهله: المؤمنون منهم، وقد أنجاه الله تعالى في السفينة، وقصتها أيضا في سورة هود (الآية ٣٦ وما بعدها).

٧٧ ﴿ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾ منعه من القوم أن ينالوه بشيء من الأذى ﴿إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين﴾ أي لم نترك منهم أحدا، بل أغرقنا كبيرهم وصغيرهم بسبب إصرارهم على الذنب.

٧٨ ﴿وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث﴾ قيل: كان زعرا، وقيل: كرما ﴿إذ نفشت فيه﴾ أي: تفرقت وانتشرت فيه، أي: فأكلت الشجر وأتلفته ﴿غم القوم﴾ والنفش: أن تنتشر الغم بالليل

من غير راع ﴿وكنا لحكمهم شاهدين﴾ أي: لحكم الحاكمين، ومعنى شاهدين: حاضرين. فيه، دفع هؤلاء إلى هؤلاء غنمهم، ودفع هؤلاء إلى هؤلاء كرمهم. فقال داود: القضاء ما قضيت، وحكم بذلك. أما في شرعنا فقد ثبت عن النبي ﷺ من حديث البراء، أنه شرع لأمته: أن على أهل الماشية حفظها بالليل، وعلى أصحاب الحوائط حفظها بالنهار، وأن ما أفسدت المواشي بالليل مضمون على أهلها، وهذا الضمان هو مقدار الذهاب عينا أو قيمة ﴿وكلا آتينا حكما وعلما﴾ أي: وكل واحد منها أعطيناه حكما وعلما كثيرا، لا سليمان وحده [وهذا لئلا يُظنَّ

من غير راع ﴿وكنا لحكمهم شاهدين﴾

٧٩ ﴿ففهمناها سليمان﴾ قال المفسرون: دخل على داود صاحب حرث وصاحب غنم، فقال صاحب الحرث: إن هذا انفلتت غنمه ليلا، فوقع في حرثي، فلم تبق منه شيئا، فقال: لك رقاب الغنم، فقال سليمان: أو غير ذلك: ينطلق أصحاب الكرم بالغنم، فيصيبون من ألبانها ومنافعها، ويقوم أصحاب الغنم على الكرم، حتى إذا كان كليلة نفشت



مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسْلِمَنْ الرِّيحَ
عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا
وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ
يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ
حَافِظِينَ ﴿٨٢﴾ * وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ
الضَّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا
مَا بِهِ مِنْ ضِرٍّ وَعَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ
عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَاسْمِعِلْ وَأَذْرِ لِرَبِّ
وَذَا الْكِفْلِ كُلِّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي
رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ
مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ
لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾

حافظا ﴿وكنا لهم حافظين﴾ أي :
لأعمالهم، أو حافظين لهم من أن يهربوا
أو يتمنعوا.

٨٣ ﴿وأيوب إذ نادى ربه أني مسني
الضر﴾ شدة المرض في بدنه وهلاك أهله
﴿وانت أرحم الراحمين﴾ فأخبر الله
سبحانه باستجابته لدعائه.

٨٤ ﴿فاستجبنا له فكشفنا ما به من
ضر﴾ أي : شفاء الله مما كان به ﴿وآتيناه
أهله ومثلهم معهم﴾ قيل : تركهم الله
عز وجل له، وأعطاه مثلهم في الدنيا،
وقد كان مات أهله جميعا إلا امرأته،
فأحياهم الله في أقل من طرف البصر.
وقيل : ولد له ضعف الذين أماتهم الله
﴿رحمة من عندنا﴾ أي : آتيناه ذلك
لرحمتنا له ﴿وذكرى للعابدين﴾ ليصبروا
كما صبر.

٨٥ ﴿وذا الكفل﴾ الصحيح أنه رجل
من بني إسرائيل، كان لا يتورع عن شيء
من المعاصي، فتأب فغفر الله له، ليس
بني، وقال جماعة هو نبي ﴿كل من
الصابرين﴾ أي كل واحد من هؤلاء من
الصابرين على القيام بما كلفهم الله به.
٨٦ ﴿وآدخلناهم في رحمتنا﴾ أي : في
الجنة، أو في النبوة.

٨٧ ﴿وذا النون﴾ وهو يونس ابن متى
وهو الذي أرسل إلى أهل نينوى من
أرض الموصل ﴿إذ ذهب مغاضبا﴾ أي :
ذهب مغاضبا لربه، وقيل : مغاضبا لقومه
﴿فظن أن لن نقدر عليه﴾ قيل : معناها
أنه وقع في ظنه أن الله تعالى لا يقدر على
معاقبته، وقيل المعنى : ظن أن الله لن
يقدر عليه العقوبة ﴿فنادى في
الظلمات﴾ ظلمة الليل، وظلمة البحر،
وظلمة بطن الحوت، وكان نداؤه : هو
قوله ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني
كنت من الظالمين﴾ اعتراف بذنبه وتوبة
من خطيئته.

الريح ﴿عاصفة﴾ أي : شديدة الهبوب
﴿تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا
فيها﴾ وهي أرض الشام.

٨٢ ﴿ومن الشياطين﴾ أي : وسخرنا من
الشياطين ﴿من يغوصون له﴾ في البحار،
ويستخرجون منها ما يطلبه منهم،
والغواص : الذي يغوص في البحر على
اللؤلؤ ﴿ويعملون عملا دون ذلك﴾ أي :
سوى ذلك، يراد بذلك المحاريب
والتماثيل، وغير ذلك مما يسخرهم فيه.
ويحتمل أن المراد يغوصون ويعملون له
تحت الماء ما يطلبه، وكان الله لهم

القصور بعلم داود ﴿وسخرنا مع داود
الجبال يسبحن﴾ كان إذا سبح سبحت
الجبال معه ﴿والطير﴾ أي : والطير
مسخرات [يسبحن معه كذلك] ﴿وكنا
فاعلين﴾ يعني ما ذكر من التفهيم، وإيتاء
الحكم والتسخير.

٨٠ ﴿وعلمناه صنعة لبوس لكم﴾ وهي
الدروع ﴿لتحصنكم من بأسكم﴾ من
حربكم، أو من وقع السلاح فيكم
﴿فهل أنتم شاكرون﴾ لهذه النعمة التي
أنعمنا بها عليكم ؟

٨١ ﴿ولسليمان الريح﴾ أي : وسخرنا له

فَاسْتَجِبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُجَيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾
 وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ
 خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجِبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ
 وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ
 وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾ وَالَّتِي
 أَحْصَيْنَا فَرجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا
 وَأَبْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً
 وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ
 كُلُّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ
 وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ﴿٩٤﴾
 وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا
 فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿٩٦﴾

٨٨ ﴿وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ﴾ بإخراجنا له من بطن الحوت، قذفه إلى الساحل ﴿وَكَذَلِكَ نُجَيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: نخلصهم من همهم بما سبق من عملهم، وما أعددناه لهم من الرحمة.

٨٩ ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾ أي: منفردا وحيدا لا ولد لي ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ فأنت حسبي إن لم ترزقني ولدا فإني أعلم أنك لا تضع دينك، وأنه سيقوم بذلك من عبادك من تختاره للتبليغ.

٩٠ ﴿فَاسْتَجِبْنَا لَهُ﴾ دعاءه ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى﴾ وقد تقدم في سورة مريم ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ كانت عاقراً فجعلها الله ولوداً، وقيل: كانت سيئة الخلق فجعلها الله سبحانه حسنة الخلق ﴿وَرَغَبًا وَرَهَبًا﴾ أي: يتضرعون إليه طلباً للخير، ودفعاً للشر، في حال الرخاء، وحال الشدة ﴿وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ أي: متواضعين متضرعين.

٩١ ﴿وَالَّتِي أَحْصَيْنَا فَرجَهَا﴾ أي: واذكر خبرها، وهي مريم: فإنها أحصنت فرجها ولم يمسهما بشر ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾ يريد روح عيسى ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَأَبْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ الآية فيها واحدة، لأنها ولدته من غير فعل.

٩٢ ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي: إن هذا دينكم دين واحد لا خلاف بين الأمم المختلفة في التوحيد، وهي ملة الإسلام ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ خاصة، لا تعبدوا غيري كائناً ما كان.

٩٣ ﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ أي: تفرقوا فرقا في الدين حتى صار كالقطع المتفرقة، فهذا موحد، وهذا يهودي، وهذا نصراني، وكان عليهم أن يكونوا على ملة الإسلام ﴿كُلُّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾ أي: كل واحد من هذه الفرق راجع إلينا بالبعث.

٩٤ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾ بعض الأعمال الصالحة ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ بالله

ورسله واليوم الآخر ﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾ الأرض [إلى حيث قدر لهم. وخروجهم أي: لا جحود لعمله، ولا تضييع لجرائه من علامات الساعة].

٩٧ ﴿وَاقْتَرِبِ الْوَعْدِ الْحَقِّ﴾ والمعنى: ﴿وَأَنَا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ أي: لسعيه حافظون.

٩٥ ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ أي: ممتنع على أهل كل قرية قدرنا إهلاكها أن يرجعوا بعد الهلاك إلى الدنيا، وقيل: لا يتوبون.

٩٦ ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ والمراد: فتح السد الذي عليهم

﴿وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ أي: إن يأجوج ومأجوج من كل مرتفع من الأرض يخرجون يسرعون المشي في

الأرض [إلى حيث قدر لهم. وخروجهم من علامات الساعة]. ٩٧ ﴿وَاقْتَرِبِ الْوَعْدِ الْحَقِّ﴾ والمعنى: حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج اقترب الوعد الحق، وهو القيامة [فإن خروجهم من أسرار الساعة] ﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [لشدة الهول المقبل عليهم شخصت عيونهم إلى ما ذهبتهم] يقولون: ﴿يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا﴾ البعث والحساب فلم نستعد له ﴿بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ أضربوا عن وصف أنفسهم بالغفلة، أي: لم نكن

وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ
كَفَرُوا يُؤْيَلْنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾
إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا
وَرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءَ إِلَهًا مَّا وُردُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا
خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ
الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾
لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ
خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ
هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِي
السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُمْ
وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن
بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾

غافلين، بل كنا ظالمين بالكذب وعدم الانقياد للرسول.

٩٨ ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾

وهي الأصنام ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ وقود جهنم وحطبها ﴿أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ والمراد بالورود هنا: الدخول، ولا يدخل في هذه الآية عيسى وعزير والملائكة، لأن ما لمن لا يعقل، ولأن المخاطبين بهذه الآية مشركو مكة دون غيرهم.

٩٩ ﴿لَوْ كَانَ هَؤُلَاءَ إِلَهًا مَّا وُردُوهَا﴾

أي: لو كانت هذه الأصنام آلهة كما تزعمون لامتنعوا من دخول النار لكنهم

وردوها فلم يكونوا آلهة ﴿وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ أي: كل العابدين والمعبودين في النار خالدون لا يخرجون منها.

١٠٠ ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾ الزفير: صوت نفس المغموم ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ أي لا يسمع بعضهم زفير بعض لشدة الهول، وقيل: لا يسمعون شيئاً.

١٠١ ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا

الحُسْنَىٰ﴾ أي: الخصلة الحسنى، وهي

السعادة، فعملوا بعمل أهل الجنة

﴿أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ أي: عن جهنم.

لما نزل ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ الآية أتى ابن

الزبعرى إلى رسول الله ﷺ فقال يا محمد: ألسنت تزعم أن عزيراً رجل صالح، وأن عيسى رجل صالح، وأن مريم صالحة؟ قال: بلى. فقال: فإن الملائكة، وعيسى، وعزير، ومريم يُعبدون من دون الله، فهؤلاء في النار، فأنزل الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا

الحُسْنَىٰ﴾ الآية.

١٠٢ ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ الحس

والحسيس: الصوت تسمعه من الشيء يمر

قريباً منك ﴿وَهُمْ فِيهَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ

خَالِدُونَ﴾ أي: دائمون، وفي الجنة ما تشتهيه الأنفس وتلذ به الأعين.

١٠٣ ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ أهوال

يوم القيامة ﴿وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ على

أبواب الجنة يهنئهم ويقولون لهم ﴿هَذَا

يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ به في

الدنيا وتبشرون بما فيه.

١٠٤ ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ

السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ والسجل الصحيفة،

أي: طياً كطي الصحيفة على ما يكتب

فيها [ولم تكن الكتب بشكلها الحالي

معروفة عند نزول القرآن، بل كانت

تلف لفا] ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾

أي: كما بدأناهم في بطون أمهاتهم،

وأخرجناهم إلى الأرض حفاة عراة غرلاً،

كذلك نعيدهم يوم القيامة ﴿وَعَدَا عَلَيْنَا

إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ أي: وعدنا وعدا علينا

إنجازاً والوفاء به، وهو الإعادة، إنا كنا

قادرين على ما نشاء.

١٠٥ ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ﴾ الزبور

كتاب داود، وهو كتاب المزامير ﴿مِن

بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ هو التوراة ﴿أَنَّ الْأَرْضَ

يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ قيل المراد

أرض الجنة، لقوله سبحانه (وقالوا الحمد لله

الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض) وقيل:

هي الأرض المقدسة. وقيل: هذا تبشير لآمة

محمد ﷺ بوراثنة أرض الكافرين.

إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَٰهُ وَاحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۖ وَإِنِ أَدْرَىٰ أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنِ أَدْرَىٰ لَعَلَّهُ فِتْنَةً لَّكُمْ وَمَتَّعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قُلْ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ ۖ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

(٢٢) سُورَةُ الْحَجِّ فَلَنَتَّبِعُنَّ وَأَنبِيَاءَنَا مَبِإِينَ وَشَكَّيْنًا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ ۖ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ

١٠٦ ﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا﴾ أي: فيما جرى ذكره في هذه السورة من الوعظ والتنبيه ﴿لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ أي: مشغولين بعبادة الله مهتمين بها، ورأس العبادة الصلاة.

١٠٧ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾ يا محمد بالشرائع والأحكام ﴿إِلَّا رَحْمَةً﴾ لجميع الناس. ومعنى كونه رحمة للكفار، أنهم أمنوا به من الخسف والمسخ والاستئصال.

١٠٨ ﴿فَهَلْ أَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ منقادون مخلصون لعبادة ولتوحيد الله سبحانه، أي: كونوا كذلك.

١٠٩ ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أي: أعرضوا عن الإسلام ﴿فَقُلْ﴾ لم ﴿أَذَنُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ أي: أعلمتكم أنا وإياكم حرب، لا صلح بيننا، كائنين على سواء في الإعلام، لم أخص به بعضكم دون بعض، لا أظهر لأحد شيئاً كتمته على غيره ﴿وَإِنِ أَدْرَىٰ أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ وهو غلبة الإسلام وأهله على الكفر وأهله، وقيل المراد بما توعدون: القيامة. فإنه لا علم لي بذلك، إنما علمه إلى الله سبحانه.

١١٠ ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ ما تجاهرون به من الكفر والظلم على الإسلام وأهله، وما تكتُمونه من ذلك وتخفونه، [فإن الله يعلم المستور كما يعلم الظاهر، وعلمها عنده سواء في الوضوح].

١١١ ﴿وَإِنِ أَدْرَىٰ لَعَلَّهُ فِتْنَةً لَّكُمْ﴾ أي: ما أدري لعل الإمهال فتنة لكم واختبار ليري كيف صنعكم ﴿وَمَتَّعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي وتمتيع إلى وقت مقدر تقتضيه حكمته.

١١٢ ﴿قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ﴾ أي: قال محمد ﷺ يا رب احكم بيني وبين هؤلاء المكذبين بما هو الحق عندك، ففوض الأمر إليه سبحانه ﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ

المستعان على ما تصفون﴾ ما تقولون من الكفر والتكذيب [به نستعين على تكذيبكم، وهو الذي سوف ينصر الحق على الباطل بقدرته وحكمته].

سُورَةُ الْحَجِّ

٢ ﴿يَوْمَ تَرَوْهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ أي: في وقت رؤيتكم لها تغفل كل ذات رضاع عن رضيعها وتنسأه، حتى كأنها لا رضيع لها، وذلك من شدة الهول ﴿وتضع كل ذات حمل حملها﴾ تلقي جنينها لغير تمام من شدة الهول ﴿وترى الناس سكارى﴾ أي: يراهم الراي كأنهم سكارى ﴿وما هم بسكارى﴾ حقيقة ﴿ولكن عذاب الله

١ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ أي: احذروا عقابه، فاستروا منه بطاعته، أي بفعل الواجبات، وترك المحرمات ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ وهي الزلزلة التي هي أحد أشراط الساعة، تكون في



عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلُّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ
وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ
بِسُكَرَىٰ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ
يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾
كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ
السَّعِيرِ ﴿٤﴾ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ
فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ
مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ
مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا
أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ
الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ
هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأُنْبِتَتْ

شديد فبسبب هذه الشدة والهول العظيم طاشت عقولهم، واضطربت أفهامهم، فصاروا كالسكارى.

٣ **ومن الناس من يجادل في الله بغير علم** يخاصم في قدرة الله، فيزعم أنه غير قادر على البعث، بغير علم يعلمه، ولا حجة يدلي بها، وإنما هي مجرد أوهام وخيالات يرد بها أخبار الله التي يرسلها إلى البشر على السنة أنبيائه **ويبتغ** فيما يقول ويتعاطاه ويحتج به ويجادل عنه **كل شيطان مرید** أي متمرد على الله وهو العاقي، والمراد: إبليس وجنوده،

ورؤساء الكفار الذين يدعون أشياءهم إلى الكفر بزخرف القول، قيل: نزلت في الوليد بن المغيرة، وعتبة بن ربيعة.

٤ **كتب عليه أنه من تولاه** أي: كتب على الشيطان، سواء شيطان الجن وشيطان الإنس، أن من اتبعه وصدق قوله وترك تصديق الأنبياء والكتب السماوية، فاتخذة وليا **فأنه يضل** أي: فشان الشيطان أن يضل عن طريق الحق **ويهديه إلى عذاب السعير** يحمله على ما يصير به في عذاب السعير.

٥ **يا أيها الناس إن كنتم في ريب**

من البعث [أي: إن كان لديكم شك في إمكان البعث ودخوله في قدرتنا فانظروا في خلق أنفسكم] **فإننا خلقناكم من تراب** في ضمن خلق أبيكم آدم **ثم** خلقناكم **من نطفة** أي: من مني **ثم من علقه** العلقه: الدم الجامد المتكون من المنى **ثم من مضغة** وهي: القطعة من اللحم تتكون من العلقه **مخلقة** مستبينة الخلق ظاهرة التصوير **وغير مخلقة** وهو طور قبل التخليق تكون المضغة فيه لم يستبين خلقها، ولا ظهر تصويرها **لنبيين لكم** كمال قدرتنا بتصريفنا أطوار خلقكم **ونقر في الأرحام ما نشاء** فلا يكون سقطا، أي: ونسقط بعضها فلا يتم حمله **إلى أجل** وهو وقت الولادة **مسمى** أي: محدد معين قدره الله، وهو تسعة أشهر للمرأة، ولكل جنس من الحيوان أجل للحمل محدد **ثم نخرجكم طفلا** أي: نخرجكم من بطون أمهاتكم أطفالا **ثم لتبلغوا أشدكم** والأشد: هو كمال العقل، وكمال القوة والتمييز، قيل: وهو ما بين الثلاثين إلى الأربعين **ومنكم من يتوفى** يعني قبل بلوغ الأشد **ومنكم من يرد إلى أرذل العمر** أي أخسه وأدونه، وهو الهرم والخرف حتى لا يعقل، [ويكون في حال أسوأ من حال الصغير الذي لم يميز] **لكيلا يعلم من بعد علم شيئا** يصير من بعد أن كان ذا علم بالأشياء وفهم لها، لا علم له ولا فهم **وترى الأرض هامدة** لا تنبت شيئا ميتة يابسة كالنار إذا طفت **فإذا أنزلنا عليها الماء** ماء المطر **اهتزت** اهتز نباتها لكثرت وقوته **وربت** ارتفعت، وقيل: انتفخت **وانبتت** أي أخرجت **من كل زوج بهيج** أي: من كل صنف حسن، ولون مستحسن، والبهجة: الحسن.

مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٌ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِي عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَمَا لَا يَضُرُّهُمْ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا لِمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ

٦ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ الحق هو الموجود الذي لا يتغير ولا يزول ﴿وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى﴾ كما أحيا الأرض الهامدة ﴿وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ كما قدر على عجائب إحياء النبات.

٧ ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ﴾ أي: في مستقبل الزمان ﴿لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ لا شك فيها ولا تردد ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ فيجازيهم بأعمالهم، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر.

٨ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ﴾ أي: في شأن الله. وهي في كل من يتصدى لإغواء الناس وإضلالهم عن شرائعه الواضحة ﴿وَلَا كِتَابَ مُنِيرٍ﴾ الكتاب المنير: البين الحجة، الواضح البرهان [آتيا من قبل الله تعالى].

٩ ﴿ثَانِي عِطْفِهِ﴾ عطف الرجل: جانبه من يمين وشمال، والمراد به: من يلوي عنقه مرحا وتكبرا. وقيل: أي معرضا عن الذكر ﴿لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي إن غرضه هو الإضلال عن السبيل، وإن لم يعترف بذلك ﴿لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ الخزي: الذل [الذي ينال المستكبر] وذلك بما يناله من العقوبة في الدنيا من العذاب المعجل، وسوء الذكر على ألسن الناس ﴿وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ أي: عذاب النار المحرقة.

١٠ ﴿ذَلِكَ﴾ العذاب ﴿بِمَا قَدَّمْتَ يَدَكَ﴾ أي: بسبب ما قدمته يداك من الكفر والمعاصي ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ أي: والأمر أنه سبحانه لا يعذب عباده بغير ذنب.

١١ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ شاك في دينه على غير ثبات وطمأنينة، كالذي هو على حرف الجبل يضطرب اضطرابا ويضعف قيامه، بخلاف المؤمن، لأنه يعبد على يقين وبصيرة ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ﴾ أي: خير

دنيوي من رخاء وعافية وخصب وكثرة مال ﴿اطْمَأَنَّ بِهِ﴾ ثبت على دينه واستمر على عبادته ﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾ مكروه في أهله، أو ماله، أو نفسه ﴿انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾ أي: ارتد ورجع إلى الكفر ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾ أي: ذهب منه وفقدهما، فلا حظ له في الدنيا من الغنيمة والثناء الحسن، ولا في الآخرة من الأجر وما أعد الله للصالحين من عباده ﴿ذَلِكَ﴾ خسران الدنيا والآخرة ﴿هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ أي: الواضح الظاهر الذي لا خسران مثله.

١٢ ﴿يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ﴾ أي: هذا الذي انقلب على وجهه ورجع إلى الكفر يعبد الأصنام وهي لا تضره إن ترك عبادتها، ولا تنفعه إن عبدها، فذلك المعبود جاد لا يقدر على ضر ولا نفع ﴿ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ أي: عن الحق والرشد، وقال الفراء: البعيد الطويل.

١٣ ﴿يَدْعُوا لِمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾ فالأصنام لا نفع فيها بحال من الأحوال، بل هي ضرر بحت لمن يعبدوها، لأنه يدخل النار بسبب عبادتها ﴿وَلِبَاسُ الْمَوْتِ

مِنْ نَفْعِهِ ۚ لِبِئْسَ الْمَوْلَىٰ وَلِبِئْسَ الْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ إِنَّ اللَّهَ
يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَنْ كَانَ يَظُنُّ
أَن لَّنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى
السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾
وَكَذَٰلِكَ أَنْزَلْنَاهُ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِيَ مَن
يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغِينَ
وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ
بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ ۖ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ
وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ
وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ۚ وَمَنْ يُهِنِ

ولبئس العشير أي: إن المعبود الذي
عبادته تضر عابديه، بئس الناصر هو له،
وبئس الصاحب.

١٤ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ فيشيب من
يشاء ويعذب من يشاء.

١٥ ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَن لَّنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ من كان يظن أن
لن ينصر الله محمدا ﷺ وأنه يتبها له أن
يقطع النصر الذي أوتيته ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ
إِلَى السَّمَاءِ﴾ أي: فليطلب حيلة يصل بها
إلى السماء ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ أي ثم ليقطع
النصر إن تبها له ﴿فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ

كيدُهُ﴾ وحيلته ﴿مَا يَغِيظُ﴾ أي ما يغضبه
ويُخْزِيهِ من نصر الله النبي ﷺ وقيل
المعنى: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ﴾ أي
فليشد حبلًا في سقف بيته ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾
أي ثم ليمد الحبل حتى ينقطع فيموت
مختنقا، فليتنظر هل يذهبن صنيعه وحيلته
ما يغيظه.

١٦ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾
واضحات ظاهرة الدلالة على مدلولاتها
﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ﴾ أي يهدي
من يريد هدايته ابتداء، أو زيادة فيها لمن
كان مهديا من قبل.

١٧ ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي بالله
وبرسوله وهم المسلمون ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾
وهو اليهود المنتسبون إلى ملة موسى
﴿وَالصَّابِغِينَ﴾ فرقة معروفة لا ترجع إلى
ملة من الملل المنتسبة إلى الأنبياء
﴿وَالنَّصَارَى﴾ هم المنتسبون إلى ملة
عيسى ﴿وَالْمَجُوسَ﴾ هم الذين يعبدون
النار، ويقولون إن للعالم أصليين: النور
والظلمة قيل: كان لهم كتاب فرغ
﴿وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ الذين يعبدون
الأصنام ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ
الْقِيَمَةِ﴾ يقضي بينهم، فيدخل المؤمنين
منهم الجنة، والكافرين منهم النار. وقيل
الفصل هو أن يميز الحق من المبطل ﴿إِنَّ
اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ على كل
شيء من أفعال خلقه وأقوالهم وغيرها
شاهد، لا يعزب عنه شيء منها ولذلك
كان قضاؤه بينهم عن علم.

١٨ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي
السَّمَاوَاتِ﴾ وهم الملائكة ﴿وَمَن فِي
الْأَرْضِ﴾ من مؤمني الإنس والجن والمراد
بالسجود هنا: سجد الطاعة الخاصة
بالعقلاء ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ
وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ﴾ وسجودها
سجود الانقياد الكامل ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ
النَّاسِ﴾ أي: ويسجد له كثير من الناس
سجود الطاعة ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ
الْعَذَابُ﴾ أي: وكثير منهم يأبى ذلك
فحق عليه العذاب ﴿وَمَن يَهِينُ اللَّهُ فَآلَهُ
مِنْ مَّكْرَمٍ﴾ أي: من أهانه الله، بأن
جعله كافرا شقيا، فالله من مكرم
يكرمه، فيصير سعيدا عزيزا [أي فإن
الذين يرفضون السجود لله إنما يرونه هوانا
وذلة، وهو في الحقيقة الكرامة لمن هداه
الله، وتركته تكبرا هو الذلة، يذل الله
تعالى بها من يشاء] ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا
يُشَاءُ﴾ من الأشياء التي من جملتها
الإكرام والإهانة.



اللَّهُ فَمَّا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾
 * هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا
 قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ
 الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾
 وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا
 مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾
 إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ
 تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ
 وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوءًا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ
 الْقَوْلِ وَهُدُوءًا إِلَى صِرَاطٍ الْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
 وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ
 لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ

١٩ ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ﴾ أحدهما: اليهود والنصارى والصابئون والمجوس والذين أشركوا، والخصم الآخر المسلمون، فهما فريقان مختصمان. وقيل المراد بالخصمين هم الذين برزوا يوم بدر، فن المؤمنين حمزة وعلي وعبيدة، ومن الكافرين عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة ﴿اختصموا في ربهم﴾ في شأن ربهم: أي في دينه، أو في ذاته، أو في صفاته، أو في شريعته لعباده ﴿فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار﴾ أي: سويت وجعلت لبوسا لهم ﴿يصب من فوق رؤوسهم الحميم﴾ والحميم: هو الماء الحار المغلي بنار جهنم.

٢٠ ﴿يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ﴾ الصهر: الإذابة بشدة الحرارة كما يصهر الحديد والنحاس. والمعنى أنه يذاب بذلك الحميم ما في بطونهم من الأمعاء والأحشاء ﴿والجلود﴾ أي ويصهر به الجلد.

٢١ ﴿ولهم مقامع من حديد﴾ المقامع: قطع من الحديد [مهياة للضرب بها].

٢٢ ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾ أي من النار و﴿من غم﴾ لأجل غم شديد من غموم النار ﴿أُعِيدُوا فِيهَا﴾ أي: في النار بالضرب بالمقامع ﴿وذوقوا عذاب الحريق﴾ أي أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق.

٢٣ ﴿يُحَلَّونَ فِيهَا﴾ أي: يحلبهم الله. أو الملائكة بأمره ﴿ولؤلؤًا﴾ أي: ويحلون لؤلؤًا. واللؤلؤ: ما يستخرج من البحر من جوف الصدف، قال القشيري: والمراد ترصيع السوار باللؤلؤ، ولا يبعد أن يكون في الجنة سوار من لؤلؤ مصمت، كما أن فيها أساور من ذهب ﴿ولباسهم فيها حرير﴾ أن هذا النوع من اللباس الذي كان محرما عليهم حلال لهم في الآخرة.

٢٤ ﴿وهودوا إلى الطيب من القول﴾ أي: أرشدوا إليه، قيل: هو لا إله إلا

الله، وقيل الحمد لله، وقيل: القرآن ﴿وهودوا إلى صراط الحميد﴾ أنهم أرشدوا إلى الصراط المحمود، أو صراط الله الذي هو دينه القويم، وهو الإسلام. ٢٥ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: يمتنعون من أراد الدخول في دين الله ﴿و﴾ يصدون عن ﴿المسجد الحرام﴾ قيل: المراد به المسجد نفسه، وقيل: الحرم كله، لأن المشركين صدوا رسول الله ﷺ وأصحابه عنه يوم الحديبية، وقيل: المراد به مكة ﴿الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه﴾

والبادي: أي: جعلناه للناس على العموم يصلون فيه، ويطوفون به، مستويا فيه العاكف، وهو المقيم فيه الملازم له، والبادي: أي الواصل من البادية، والمراد به الطاريء عليه من أهل البادية أو من غيرهم. قال مالك: إن دور مكة ومنازلها يستوي فيها المقيم والطارىء، وذهب جماعة إلى أن للمقام أن ينزل حيث وجد، وعلى رب المنزل أن يؤويه شاء أم أبى، وذهب الجمهور إلى أن دور مكة ومنازلها ليست كالمسجد الحرام، ولأهلها منع الطاريء من النزول فيها.

بِظُلْمٍ نُّذِقُهُ مِنْ عَذَابِ الْيَمِّ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ
مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ
وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأِذْنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ
يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾
لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ
عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَاكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا
أَمْرَ الْبَاسِ الْفَقِيرِ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لَبِقُوا تَفْثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ
وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ
اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ۚ وَأَحَلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامَ
إِلَّا مَا يَتَلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ
وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ۚ
وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ

والضامر البعير المهزول الذي أتعبه السفر
﴿يأتين﴾ أي: تأتي الإبل بالركبان للحج
﴿من كل فج عميق﴾ أي: طريق بعيد.

٢٨ ﴿ليشهدوا منافع لهم﴾ قيل: المراد
بها المناسك، وقيل: التجارة والذبائح
﴿ويذكروا اسم الله في أيام معلومات﴾
أي: يذكروا عند ذبح الهدايا والضحايا
اسم الله، والأيام المعلومات هي أيام
النحر ﴿على ما رزقهم من بهيمة
الأنعام﴾ وهي الإبل والبقر والغنم
﴿فاكلوا منها﴾ فيسن الأكل من الهدى
والأضحية. وقيل: يجب ﴿وأطعموا
البائس الفقير﴾ البؤس: شدة الفقر
فينبغي إطعام الفقراء من الهدى.

٢٩ ﴿ثم لبقوا تفثهم﴾ أي: ليؤدوا
إزالة وسخهم من طول الشعر والأظفار
وذلك يوم العيد ﴿وليوفوا نذورهم﴾ أي:
ما يندرونه من البر في حجهم ﴿وليطوفوا
بالبیت العتيق﴾ هذا الطواف هو طواف
الإفاضة. وقد سمي العتيق، لأن الله
أعتقه من أن يتسلط عليه جبار، وقيل
العتيق الكريم.

٣٠ ﴿ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو
خير له عند ربه﴾ الحرمات: ما وجب
القيام به، وحرم التفريط فيه، في الحج
وغيره، وتعظيمها ترك ملابتها ﴿فهو خير
له﴾ أي: فالتعظيم خير له ﴿عند ربه﴾
يعني في الآخرة من التهاون بشيء منها
﴿وأحلت لكم الأنعام﴾ وهي الإبل
والبقر والغنم ﴿إلا ما يتلى عليكم﴾ من
الحرمات، وهي الميتة وما ذكر معها في
سورة المائدة ﴿فاجتنبوا الرجس من
الأوثان﴾ الرجس: النجس، ولا تزول
نجاسة الشرك عن المشرك إلا بالإيمان،
كما أنها لا تزول النجاسة الحسية إلا
بالماء ﴿واجتنبوا قول الزور﴾ الباطل،
والشرك بالله بأي لفظ كان.

كان الشرط على أبيكم فن بعده، وأنتم
فلم تفوا بل أشركتم [وجعلتم فيه الأصنام
فدنستموه بها] ﴿للطائفين﴾ بالبيت
﴿والقائمين﴾ فيه للصلاة ﴿والركع
السجود﴾ أي الراكعين الساجدين.

٢٧ ﴿وأذن في الناس بالحج﴾ قال
جماعة المفسرين: لما فرغ إبراهيم من بناء
البيت جاءه جبريل، فأمره أن يؤذن في
الناس بالحج. فعلا المقام، وقال: يا أيها
الناس، كتب عليكم الحج إلى البيت
فأجيبوا ربكم، ليك اللهم ليك ﴿يأتوك
رجالا﴾ مشاة ﴿وعلى كل ضامر﴾

﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من
عذاب أليم﴾ الإلحاد: الميل عن الحق،
قيل: المراد من ارتكب جرما خارج
الحرم والتجأ إليه، وقيل: هو الشرك
والقتل، وقيل المراد المعاصي فيه على
العموم.

٢٦ ﴿وإذ بوأنا لإبراهيم﴾ بينا له
﴿مكان البيت﴾ ليبنيه للعبادة وأنزلناه
فيه ﴿ألا تشرك بي شيئا﴾ كأنه قيل له
وحدني في هذا البيت ﴿وطهر بي﴾ من
الشرك وعبادة الأوثان، وفي الآية طعن
على من أشرك من قطان البيت: أي هذا

أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ
 شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا
 مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾
 وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ
 مِنْ بَهِيمَةٍ أَلَّا يَنْعَمُوا بِهَا لَهُمْ وَاللَّهُ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا
 وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ
 وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا
 رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَالْبَدَنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعِيرِ
 اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَأَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ
 فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْقَانِعَ
 وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَنْ
 يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ

٣١ ﴿حنفاء لله﴾ مائلين إليه [عن كل ما يعبد من دونه] ﴿غير مشركين به﴾ شيئا من الأشياء ﴿ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء﴾ سقط إلى الأرض: أي انحط من رفيع الإيمان إلى حضيض الكفر ﴿فتخطفه الطير﴾ أي: تخطف لحمه وتقطعه بمخالبها ﴿أو تهوي به الريح﴾ أي تقذفه وترمي به ﴿في مكان سحيق﴾ أي: بعيد [عميق]. فإنه إن حصل ذلك اندقت عظامه وتقطع لحمه وتلف، فكذلك من أشرك بالله حبطت أعماله الصالحة وحلت به نقمة الله.

٣٢ ﴿ذلك ومن يعظم شعائر الله﴾ أعلام دينه، ويدخل الهدي في الحج ومناسك الحج ومشاعره كلها في ذلك، وتدخل المساجد والعبادات أيضا ﴿فإنها من تقوى القلوب﴾ أي: فإن تعظيمها من تقوى القلوب.

٣٣ ﴿لكم فيها منافع﴾ أي: في الشعائر على الخصوص، وهي البدن، ومن منافعها الركوب والدر والنسل والصوف وغير ذلك ﴿إلى أجل مسمى﴾ وهو وقت نحرها ﴿ثم محلها إلى البيت العتيق﴾ أي: حيث يحل نحرها. المعنى: أنها تنتهي إلى ما يلي البيت من الحرم [فتذبح هناك].

٣٤ ﴿ولكل أمة جعلنا منسكاً﴾ [عيداً أو مكاناً لذبح القرابين لله] ﴿ليذكروا اسم الله﴾ وحده ويجعلوا نسكهم خاصاً به ﴿على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ أي: على ذبح ما رزقهم منها ﴿فإنها لله واحد﴾ [هو الذي أنزل الديانات السماوية جميعاً] ﴿فله أسلموا﴾ بالانقياد لطاعته وعبادته ﴿وبشر المخبتين﴾ أي: المتواضعين الخاشعين المخلصين. بشرهم يا محمد بما أعد الله لهم من جزيل ثوابه وجيل عطائه.

٣٥ ﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ أي: خافت أشد الخوف

وحذرت مخالفته، لكمال يقينهم وقوة إيمانهم ﴿والصابرين على ما أصابهم﴾ من البلاء والمحن في طاعة الله ﴿وما رزقناهم ينفقون﴾ أي: يتصدقون به وينفقونه في وجوه البر، ويضعونه في مواضع الخير.

٣٦ ﴿والبدن﴾ هي الإبل المهداة إلى البيت، واختلفوا في صحة إطلاق البدنة على البقرة ﴿لكم فيها خير﴾ أي: منافع دينية ودنيوية كما تقدم ﴿فأذكروا اسم الله عليها﴾ أي: على نحرها ﴿صواف﴾ أي قائمة قد صفت قوائمها، لأنها تنحر قائمة معقولة، قد رفعت إحدى يديها

بالمقل لثلا تضطرب ﴿فإذا وجبت جنوبها﴾ أي: فإذا سقطت على جنبها بعد نحرها، وذلك عند خروج روحها ﴿وأطعموا القانع والمعتر﴾ القانع: الذي يرضى بما عنده ولا يسأل. والمعتر: الذي يتعرض لك لتعطيه ﴿كذلك سخرناها لكم﴾ فصارت تنقاد لكم إلى مواضع نحرها، فتنحرونها وتنتفعون بها، بعد أن كانت مسخرة للحمل عليها والركوب على ظهرها والحلب لها، ونحو ذلك ﴿لعلكم تشكرون﴾. هذه النعمة التي أنعم الله بها عليكم.



كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتُمْ وَبَشِّرِ
 الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ * إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا
 إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أَذِنَ لِلَّذِينَ يَقْتُلُونَ
 بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ
 أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ
 وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَهْذَمَتْ صَوَامِعُ
 وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا
 وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾
 الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا
 الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
 بِالْأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ
 نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾

٣٧ ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا﴾

كان مشركو مكة يؤذون أصحاب رسول الله ﷺ بالسنتهم وأيديهم، فيشكون ذلك إلى رسول الله ﷺ فيقول لهم: اصبروا فإنني لم أؤمر بالقتال، حتى هاجر، فأنزل الله سبحانه هذه الآية بالمدينة، وهي أول آية نزلت في القتال، وإباحة القتال لهم هي من جملة دفع الله عنهم.

٤٠ ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾

المراد بالديار مكة ﴿إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ أي: لكن أخرجوا منها لقولهم ربنا الله ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ﴾ المعنى لولا ما شرعه الله للأنبياء والمؤمنين من قتال الأعداء لاستولى أهل الشرك، وذهبت مواضع العبادة من الأرض، فالصوامع: هي صوامع الرهبان، والبيع: كنائس النصارى واحدها بيعة النصارى، والصلوات: هي كنائس اليهود، والمساجد: هي مساجد المسلمين. وقيل المعنى: لولا هذا الدفع لهدمت في زمن موسى الكنائس، وفي زمن عيسى الصوامع والبيع، وفي زمن محمد ﷺ المساجد ﴿يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ أي فقاتلوا لإقامة ذكر الله ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ والمراد بمن ينصر الله: من ينصر دينه وأوليائه.

٤١ ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾

فيه إيجاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على من مكّنه الله في الأرض وأقدره على القيام بذلك ﴿وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ أن مرجعها إلى حكمه وتدبيره دون غيره.

٤٢ ﴿وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾

تسلياً لرسول الله ﷺ وتعزية له، متضمنة للوعد له بإهلاك المكذبين له من الملأ من قريش، الذين نصبوا العداوة له، كما أهلك المكذبين من أمم الأنبياء المذكورين.

المحسنين ﴿كل من يصدر منه الخير لوجه الله يصح إطلاق اسم المحسن عليه. وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس قال: كان المشركون إذا ذبحوا استقبلوا الكعبة بالدماء، فينضحون بها نحو الكعبة، فأراد المسلمون أن يفعلوا ذلك، فأنزل الله ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُمَهَا وَلَا دَمَآؤَهَا﴾.

٣٨ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾

يدافع عن المؤمنين غوائل المشركين، وقيل يعلي حجتهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ بل إن الكافرين والخائنين هم مبغضون إلى الله غير محبوبين له.

٣٧ ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُمَهَا﴾ أي: لن

يصعد إليه ولا يبلغ رضاه لحوم هذه الإبل التي تتصدقون بها ﴿وَلَا دَمَآؤَهَا﴾ التي تنصب عند نحرها من حيث إنها لحوم ودماء ﴿وَلَكِنْ يَنَالُهُ﴾ أي: يبلغ إليه تقوى قلوبكم، فإن ذلك هو الذي يقبله الله ويمجزي عليه ﴿كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ﴾ هو قول الناحر «الله أكبر» عند النحر، للدلالة على مشروعية الجمع بين التسمية والتكبير ﴿عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾ على ما أرشدكم إليه من علمكم بكيفية التقرب بها ﴿وَبَشِّرِ

وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ
 ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّنْ مِنْ
 قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا
 وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ
 فَتَكُونَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا
 فَلَيْسَ بَأْسٌ لَهَا لَنْ تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي
 فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ
 وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾
 وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أُمَلِّتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا
 وَإِلَى الْمَصِيرِ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا كُرَّ
 نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ
 مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ

٤٤ ﴿فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ﴾ أي: أخرت عنهم العقوبة وأمهلتهم ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ بالعذاب بعد انقضاء مدة الإمهال ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ أي: فانظر كيف كان إنكاري عليهم، وتغيير ما كانوا فيه من النعم وإهلاكهم.

٤٥ ﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ أي: على سقوفها، وذلك بسبب تعطل سكانها حتى تهدمت فسقطت حيطانها فوق سقوفها ﴿وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ﴾ هي الخالية عن أهلها لهلاكهم، وقيل معطلة: من الدلاء والأرشية ﴿وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾ هو المرفوع البنيان، وقيل: المراد بالمشيد المخصص، والمعنى: وكم من قصر مشيد معطل من أهله، أو من آلاته، أو نحو ذلك.

٤٦ ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ حث للناس على السفر في نواحي الأرض ليروا مصارع تلك الأمم فيعتبروا، ومعنى ﴿فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ أنهم بسبب ما شاهدوا من العبر تكون لهم قلوب يعقلون بها ما يجب أن يتعقلوه ﴿أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ ما يجب أن يسمعه مما تلاه عليهم أنبياءهم من كلام الله ﴿فَلَيْسَ بِأَسْأَفَ الْأَبْصَارِ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ أي: ليس الخلل في مشاعرهم، وإنما هو في عقولهم، أي: لا تدرك عقولهم مواطن الحق ومواقع الاعتبار.

٤٧ ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ لأنهم كانوا منكربين لمجيئه أشد إنكار، فاستعجلوهم على طريقة الاستهزاء والسخرية ﴿وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ وقد سبق الوعد فلا بد من مجيئه حتماً ﴿وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مَّا تَعُدُّونَ﴾ أي: إن المدة القصيرة عنده كالمدة الطويلة، فالיום الواحد وألف سنة بالنسبة إلى قدرته سواء. ولذلك يمهلهم. وقيل المعنى: وإن يوما من الخوف والشدة

في الآخرة كألف سنة من سني الدنيا فيها خوف وشدة.

٤٨ ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أُمَلِّتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ﴾ أي: وكم من أهل قرية كانوا مثلكم ظالمين قد أمهلتهم حيناً، ثم أخذتهم بالعذاب، ومرجع الكل إلى حكمي.

٥١ ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا﴾ أي: سعوا فيها بالكذب لها ﴿مُعْجِزِينَ﴾ أي: ظانين ومقدرين أن يعجزوا الله سبحانه ويفوتوه فلا يعذبهم.

٥٢ ﴿مَنْ رَسُولٌ وَلَا نَبِيٌّ﴾ قيل الرسول:

الذي أرسل إلى الخلق بإرسال جبريل إليه عياناً ومحاورته شفاهاً، والنبي: الذي يكون الوحي إليه إلهاماً أو مناماً، وقيل: الرسول من بعث بشرع وأمر بتبليغه، والنبي من أمر أن يدعو إلى شريعة من قبله، ولم ينزل عليه كتاب ﴿إِلَّا إِذَا تَمَنَّى﴾ ألقى الشيطان في أمنيته قال جماعة المفسرين في سبب نزول هذه الآية: إن النبي محمداً ﷺ لما شقَّ عليه إعراض قومه عنه تمنى في نفسه ألا ينزل عليه شيء ينفرهم عنه لحرصه على إيمانهم، فكان ذات يوم جالساً في ناد من

أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِلَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ

من المرسلين والأنبياء، فالمعنى: أنه إذا حدث نفسه بشيء تكلم به الشيطان وألقاه في مسامع الناس من دون أن يتكلم به رسول الله ﷺ ولا جرى على لسانه ﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ أي يبطله ويجعله ذاهبا غير ثابت ﴿ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ﴾ أي: يشبها ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ أي: كثير العلم والحكمة في كل أقواله وأفعاله.

٥٣ ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً﴾ أي: ذلك الإلقاء الذي يلقيه الشيطان فتنة، أي: ضلالة ﴿لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ أي شك ونفاق ﴿وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ هم المشركون ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ أي: عداوة شديدة.

٥٤ ﴿وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي الحق النازل من عنده ﴿فَيُؤْمِنُوا بِهِ﴾ أي: يشبوا على الإيمان به ﴿فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: تخشع وتسكن وتنقاد، فإن الإيمان به وإخبات القلوب له، لا يمكن أن يكونا لتمكين من الشيطان، بل للقرآن ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ في أمور دينهم ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أي طريق صحيح لا عوج به.

٥٥ ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ﴾ أي في شك من القرآن، وقيل: في الدين ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ﴾ أي: القيامة ﴿بَغْتَةً﴾ أي: فجأة ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ وهو يوم القيامة، لأنه لا يوم بعده، وقيل: لأنه لا رحمة لهم فيه، فلا يأتيهم بخير، وقيل: هو يوم حرب يقتلون فيه، كيوم بدر.

٥٦ ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ أي: الملك يومئذ الله ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ﴾ أي: عذابهم في جهنم.

عن الله، فحزن رسول الله ﷺ وخاف خوفا شديدا، فأنزل الله هذه الآية، هكذا قالوا. ولم يصح شيء من هذا، وقال البيهقي: هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل وقال ابن خزيمة: إن هذه القصة من وضع الزنادقة، ومعنى تمنى: تلا وقرأ كتاب الله ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ أي: في تلاوته وقراءته، أي إن الشيطان أوقع في مسامع المشركين ذلك من دون أن يتكلم به رسول الله ﷺ ولا جرى على لسانه أي لا يهولنك ذلك ولا يحزنك، فقد أصاب مثل هذا من قبلك

أنديتهم، وقد نزل عليه سورة — والنجم إذا هوى — فأخذ يقرأها عليهم حتى بلغ قوله (أفرايتم اللات والعزى. ومناة الثالثة الأخرى) فجرى على لسانه مما ألقاه الشيطان عليه «تلك الفرائيق العلى، وإن شفاعتها لترتجى» فلما سمعت قريش ذلك فرحوا، فلما سجد في آخرها سجد معه جميع من في النادي من المسلمين والمشركين، فتفرقت قريش مسرورين بذلك، وقالوا: قد ذكر محمد آلهتنا بأحسن الذكر، فأتاه جبريل، فقال ما صنعت؟ تلوت على الناس ما لم آتكم به

٥٧ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾

أي جمعوا بين الكفر بالله والتكذيب بآياته ﴿فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ للمعذبين بالغ منهم المبلغ العظيم في الإهانة.

٥٨ ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾

هم الذين هاجروا من مكة إلى المدينة ﴿ثُمَّ قَتَلُوا أَوْ مَاتُوا﴾ أي: في حال المهاجرة ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ يأكلون في الجنة، ويشربون في الجنة، ويتمتعون بنعيمها الذي لا ينقطع، والمراد بهذا أنه يكون بعد قتلهم مباشرة، وذلك قبل أن تقوم الساعة لأنهم أحياء عند ربهم يُرزقون. وفي الحديث «أرواح الشهداء في أجواف طير خضر تاكل من ثمار الجنة» ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ يرزق بغير حساب.

٥٩ ﴿لَيَدْخُلَنَّهُمْ مَدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ﴾ هو الأوفق لنفوسهم، والأقرب إلى مطلبهم، على أنهم يرون في الجنة مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ﴾ بدرجات العاملين ومراتب استحقاقهم ﴿حَلِيمٌ﴾ عن تفريط المفرطين منهم لا يعاجلهم بالعقوبة.

٦٠ ﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ﴾

من جازى الظالم بمثل ما ظلمه ولم يزد عليه ﴿ثُمَّ بَغَىٰ عَلَيْهِ﴾ أي: الظالم له في الابتداء عاوده بالمظلمة بعد تلك المظلمة الأولى ﴿لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ﴾ أي: لينصره الله المبغى عليه على الباغي ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ غَفُورٌ﴾ أي: كثير العفو والغفران للمؤمنين.

٦١ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي

النَّهَارِ﴾ نصر الله سبحانه للمبغى عليه بسبب أنه سبحانه قادر، ومن كمال قدرته إيلاج الليل في النهار، والنهار في الليل، لأن زيادة أحدهما تستلزم نقصان الآخر.

٦٢ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ فدينه

مُهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قَتَلُوا أَوْ مَاتُوا

لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٥٨﴾

لَيَدْخُلَنَّهُمْ مَدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾

* ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بَغَىٰ عَلَيْهِ

لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ

يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ

سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ

مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ

مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ

وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ

تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي

علمه إلى كل دقيق وجليل ﴿خبير﴾ بتدبير عباده وما يصلح لهم.

٦٤ ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ خلقا وملكا وتصرفا، وكلهم محتاجون إلى رزقه ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ الْغَنِيُّ﴾

فلا يحتاج إلى شيء ﴿الحميد﴾ المستوجب للحمد في كل حال.

٦٥ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ﴾ من الدواب والشجر والأنهار وجعله لمنافعهم ﴿والفلك﴾ أي: وسخر لكم الفلك في حال جريها في البحر.

﴿وبمسك السماء أن تقع على الأرض﴾

حق، وعبادته حق، ونصره لأوليائه على أعدائه حق، ووعدته حق ﴿وَأَنَّ مَا

يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ وهي الأصنام، هو الباطل الذي لا ثبوت له ولا لكونه لها ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ﴾

أي: العالي على كل شيء، المتقدس عن الأشباه والأنداد، المنتزه عما يقول الظالمون

﴿الكبير﴾ أي: ذو الكبرياء والعظمة والجلال.

٦٣ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ [بما ينبت فيها من النبات] ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ﴾ يصل

من النبات [بما ينبت فيها من النبات]



فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۚ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ الَّذِي أَحْبَبَ كُتْمٌ ثَمَّ يُبَيِّنُكُمْ ثُمَّ يُبْحِكُكُمْ ۚ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسْكَاهُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنْزِعُ عَنْكَ فِي الْأَمْرِ وَاذْعُ إِلَى رَبِّكَ ۚ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ ۚ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ ۚ سُلْطَنًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ ۚ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا

﴿فلا ينزعك في الأمر﴾ وذلك موجب لعدم منازعة من بقي منهم لرسول الله ﷺ ومستلزم لطاعتهم إياه في أمر الدين [فإن الإسلام شريعة الوقت منذ بعثة محمد ﷺ] **﴿وادع إلى ربك﴾** أي: وادع هؤلاء المنازعين، أو ادع الناس إلى دين الله وتوحيده والإيمان به **﴿إنك لعل هدى مستقيم﴾** أي: طريق لا اعوجاج فيه.

٦٨ ﴿وإن جادلوك﴾ أي: وإن أبوا إلا الجدل بعد ظهور الحجة عليهم **﴿فقل الله أعلم بما تعملون﴾** أي: فوكل أمرهم إلى الله، وقل لهم هذا القول المشتمل على الوعيد.

٦٩ ﴿الله يحكم بينكم يوم القيامة﴾ أي: بين المسلمين والكافرين **﴿فما كنتم فيه تختلفون﴾** من أمر الدين، فيتبين حينئذ الحق من الباطل.

٧٠ ﴿ألم تعلم﴾ أي: قد علمت يا محمد وتيقنت **﴿أن الله يعلم ما في السماء والأرض﴾** ومن جملة ذلك ما أنتم فيه تختلفون **﴿إن ذلك﴾** الذي في السماء والأرض من معلوماته **﴿في كتاب﴾** أي مكتوب عنده **﴿إن ذلك على الله يسير﴾** أي: إن إحاطة علمه بما في السماء والأرض يسير عليه. [في الحديث: «أول ما خلق الله القلم، قال له: اكتب. قال: وما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن، فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة.»]

٧١ ﴿ويعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطاناً﴾ يعبدون أصناماً لم يتمسكوا في عبادتها بحجة نيرة من الله سبحانه **﴿وما ليس لهم به علم﴾** من دليل عقل يدل على جواز ذلك بوجه من الوجوه، أو بنقل يأترونه عن الله أو عن رسله **﴿وما للظالمين من نصير﴾** ينصرهم، ويدفع عنهم عذاب الله.

وذلك بأنه خلقها على صفة مستلزمة للإمساك **﴿إن الله بالناس لرءوف رحيم﴾** أي كثير الرأفة والرحمة حيث سخر هذه الأمور لعباده.

٦٦ ﴿وهو الذي أحباكم﴾ بعد أن كنتم جماداً **﴿ثم يبينكم﴾** عند انقضاء أعماركم **﴿ثم يحبيكم﴾** عند البعث للحساب والعقاب **﴿إن الإنسان لكفور﴾** أي: كثير الجحود لنعم الله عليه مع كونها ظاهرة غير مستترة، [ومن ذلك إنكاره لقدرة الله على الإحياء بعد الموت، مع أنه يعرف كيف كان عدماً فخلقه الله بشراً

سويّاً، ثم نشأ ورباه بنعمه]. **٦٧ ﴿لكل أمة جعلنا منسكاً﴾** أي لكل قرن من القرون الماضية وضعنا شريعة خاصة بحيث لا تتخطى كل أمة شريعتها الخاصة بها إلى غير شريعتها **﴿هم ناسكوه﴾** أي تلك الأمة هي العاملة به لا غيرها، فكانت التوراة منسك الأمة التي كانت من مبعث موسى إلى مبعث عيسى، والإنجيل منسك الأمة التي من مبعث عيسى إلى مبعث محمد ﷺ والقرآن منسك المسلمين، وقيل المنسك: موضع أداء الطاعة، وقيل هو الذبائح

الْمُنْكَرُ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا
 قُلْ أَفَأَنْتُمْ بِشِرِّ مَن ذَلِكُمْ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ
 كَفَرُوا وَبَشِّرِ الْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ ضَرْبَ مَثَلٍ
 فَاسْتَمِعُوا لَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن
 يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ۚ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا
 لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾
 مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ اللَّهُ
 يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ
 بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۚ وَإِلَى اللَّهِ
 تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا
 وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾
 وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ

٧٢ ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا

الْمُنْكَرُ﴾ وهو غضبهم وعبوسهم عند سماعها، وقيل: هو التجبر والترفع ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا﴾ أي: يبطشون بضرب، أو شتم، أو أخذ باليد. وأصل السطو القهر ﴿قُلْ أَفَأَنْتُمْ بِشِرِّ مَن ذَلِكُمْ﴾ أي: أخبركم ﴿بَشِّرِ مَن ذَلِكُمْ﴾ الذي فيكم من الغيظ على من يتلو عليكم آيات الله. وهو ﴿النار﴾ التي أعدها الله لكم ﴿وَبَشِّرِ الْمَصِيرُ﴾ أي: الموضع الذي تصيرون إليه، وهو النار.

٧٣ ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ ضَرْبَ مَثَلٍ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ كأنه قال: جعلوا لي شها في عبادتي، فاستمعوا خبر هذا الشبه ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ وهي الأصنام ﴿لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾ لن يقدرُوا على خلقه مع كونه صغير الجسم حقير الذات ﴿وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ أي ولو اجتمع العابدون والمعبودون، فلن يستطيعوا خلق ذبابة واحدة ﴿وَالَّذِينَ يَسْلُبُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ﴾ أي: إذا أخذ منهم الذباب شيئا من الأشياء [التي يأكلها من طعامهم] لا يقدرُون على تخليصه منه، وإذا عجزوا عن خلق هذا الحيوان الضعيف، وعن استنقاذ ما أخذه عليهم، فهم عن غيره، مما هو أكبر منه جرما، وأشد منه قوة، أعجز وأضعف ﴿ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ فالصنم كالطالب من حيث أنه يطلب خلق الذباب، أو يطلب استنقاذ ما سلبه منه، والمطلوب الذباب [ويحتمل أن المراد: المطلوب وهي الأصنام عاجزة، فأعجز منها الطالب منها، وهم الذين يدعونها من المشركين].

٧٤ ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ أي: ما عظموه حق تعظيمه، ولا عرفوه حق معرفته، حيث جعلوا هذه الأصنام شركاء له مع كون حالها هذا الحال ﴿وَالَّذِينَ

لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ بخلاف آلهة المشركين، فإنها جماد لا تنفع ولا تضر، ولا تقدر على شيء.

٧٥ ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾ كجبريل وإسرافيل وميكائيل وعزرائيل ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ وهم الأنبياء، فيختار من الملائكة ملكاً يختصه بإرساله إلى الأنبياء المصطفين من البشر، فيرسل الملك إلى النبي، والنبي إلى الناس؛ أو يرسل الملك لقبض أرواح مخلوقاته، أو لتحصيل ما ينفعكم.

٧٦ ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾

٧٧ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ أي: صلوا الصلاة التي شرعها الله لكم ﴿وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ أي: افعلوا جميع أنواع العبادة التي أمركم الله بها ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ﴾ أي: ما هو خير، وأهمه الفرائض، ثم النوافل، [ومن خير الخير نفع الناس] ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ أي



عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرْجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ
الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا
عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ
وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى
وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

(٢٣) سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا ثَمَانِي عَشْرَةٌ وَمِائَتَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ
خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾
وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ



تكونوا من الفائزين برحمة الله ورضوانه يوم القيامة.

٧٨ ﴿وجاهدوا في الله﴾ أي في سبيله وهو الغزو للكفار، ومدافعهم إذا غزوا بلاد المسلمين، وامتنال ما أمرهم الله به ونهى عنه على العموم ﴿حق جهاده﴾ أي جهاداً خالصاً لله لا تخافوا في الله لومة لائم ﴿هو اجتباكم﴾ أي اختاركم لدينه أيها المسلمون ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ أي: من ضيق وشدة، فرخص لكم في النساء مثنى وثلاث ورباع وملك اليمين، وقصر

الصلاة، والإفطار للمسافر، والصلاة بالإيماء على من لا يقدر على غيره، وما جعل عليهم حرجاً بتكليف ما يشق عليهم، وجعل لهم من الذنب مخرجاً بفتح باب التوبة، وقبول الاستغفار، والتكفير فيما شرع فيه الكفارة والأرش، وغير ذلك من الرخص ﴿ملة أبيكم إبراهيم﴾ أي: وسع عليكم دينكم توسعة ملة أبيكم إبراهيم، وقال الزجاج المعنى: اتبعوا ملة أبيكم إبراهيم ﴿هو﴾ أي: إن الله ﴿سماكم المسلمين من قبل﴾ أي: في الكتب المتقدمة وقيل المراد: سماهم

بذلك إبراهيم بقوله (ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) ﴿وفي هذا﴾ أي: سميت المسلمين في القرآن ﴿ليكون الرسول شهيداً عليكم﴾ أي: بتبليغه إليكم ﴿وتكونوا شهداء على الناس﴾ أن رسلهم قد بلغتهم، أو المراد: تكونون شهداء يوم القيامة على الأمم التي تبلفونها شريعة الله ﴿فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ وتخصيص الخصلتين بالذكر لمزيد شرفها ﴿واعتصموا بالله﴾ أي: اجعلوه عصمة لكم مما تحذرون، والتجئوا إليه في جميع أموركم ﴿هو مولاكم﴾ أي ناصركم ومتولي أموركم ﴿فنعم المولى ونعم النصير﴾ أي لا مماثل له في الولاية لأموالكم والنصرة على أعدائكم.

سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ

١ - ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ أي فاز المؤمنون الجامعون للصفات التالية وأنجحوا.

٢ ﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ الخشوع: التواضع والخوف والتذلل، وقيل: السكون وترك الالتفات والعبث.

٣ ﴿والذين هم عن اللغو معرضون﴾ اللغو: هو كل باطل وهو وهزل ومعصية، وما لا يجمل من القول والفعل، وقيل: هو الشرك والمعاصي كلها، وإعراضهم عنه: تجنبهم له وعدم التفاتهم إليه.

٤ ﴿والذين هم للزكاة فاعلون﴾ المراد بالزكاة هنا الصدقات وكل ما نفقت به مسلماً.

٥ ﴿والذين هم لفروجهم حافظون﴾ مسكون لها بالعفاف عما لا يحل لهم.

٦ ﴿إلا على أزواجهم﴾ المعنى أنهم يلامون في إطلاق ما حظر عليهم، فأمرُوا بحفظه إلا على أزواجهم، فلا يلامون على الاسترسال معهن، وليس عليهم حفظ فروجهم عنهن.

حَفِظُونَا ❶ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ
 أَيْمَانُهُمْ فَلِإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ❷ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ
 فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ❸ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ
 رَاعُونَ ❹ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ❺
 أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ❻ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ
 فِيهَا خَالِدُونَ ❼ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ
 مِنْ طِينٍ ❷ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ❸ ثُمَّ
 خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا
 الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا
 آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ❶ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ
 ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ❷ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ❸
 وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ

﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ [من الإماء ملكاً خالصاً، أي: فيحل لهم التسري بهن ما لم يمنع من ذلك مانع شرعي، كأن تكون أخته من الرضاة] ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ في عدم حفظ فروجهم عن أزواجهم، ولا عما ملكت أيمانهم، و يلامون إن انطلقوا فيما عدا ذلك.

٧ ﴿فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ الإشارة إلى الزوجات وملك اليمين، والعادون: المجاوزون إلى ما لا يحل لهم، فمن تجاوز زوجته أو مملوكته إلى غيرها فهو معتد ظالم آثم.

٨ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ الأمانة: ما يؤتمنون عليه [بما لا إثبات فيه ولا حجة عليه إلا شهادة الله تعالى، فالمستودع مؤتمن، والمدين الذي ليس عليه حجة مؤتمن، والأب والولي في صفاره مؤتمن، وأولياء الأمور في رعاياهم مؤتمنون، والمؤمن في صلاته وصيامه وطهارته مؤتمن.] والعهد: ما يعاهدون عليه من جهة الله سبحانه، أو جهة عباده. ومعنى راعون: أي حافظون.

٩ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ بإقامتها في أوقاتها، وإتمام ركوعها وسجودها وقراءتها، والمشروع من أذكارها.

١٠ ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ أي الأحقاء بأن يكونوا الوارثين.

١١ ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ﴾ وهو أوسط الجنة، يرثونه: أي يستحقونه، وقيل المعنى أنهم يرثون من الكفار منازلهم، لأنه سبحانه خلق لكل إنسان منزلاً في الجنة، ومنزلاً في النار ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ يدومون فيها لا يخرجون منها ولا يموتون فيها.

١٢ ﴿مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ أي: من نطفة مستخرجة من الإنسان، وأصله من الطين الذي خلق منه آدم أبو البشر،

والسلالة: من السل، وهو استخراج الشيء من الشيء، فالنطفة سلالة، والولد سليل، وسلالة أيضاً.

١٣ ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ﴾ باعتبار أفرادهم الذين هم بنو آدم ﴿نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ هو الرحم.

١٤ ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ أحوال النطفة البيضاء علقه حمراء ﴿فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ أي: قطعة لحم غير مخلقة، ثم تكون مخلقة في طور لاحق

﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا﴾ متصلة لتكون عموداً للبدن على أشكال مخصوصة

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ من قبوركم إلى المحشر للحساب والعقاب.

﴿فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾ أي: أنبت الله سبحانه على كل عظم لحماً على المقدار الذي يليق به ويناسبه ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ أي: نفخنا فيه الروح بعد أن كان جماداً، وأخرجناه إلى الدنيا مع تكميل القوى المخلوقة فيه ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ أي: استحق التعظيم والثناء بأنه أتقن الصانعين المقدرين.

١٥ ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾ بعد تلك الأمور صائرون إلى الموت لا محالة.

١٦ ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ من قبوركم إلى المحشر للحساب والعقاب.

إدام.

٢٠ ﴿وشجرة﴾ المراد شجرة الزيتون، وهي أكرم الشجر وأعمها نفعا وأكثرها بركة ﴿تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن﴾ أي تنبت ثمرها وفيه الدهن، وهو زيت الزيتون ﴿وصبغ للأكلين﴾ وهو زيت الزيتون نفسه لأنه يصطبغ به، وكل إدام يؤتد به فهو صبغ وصباغ.

٢١ ﴿وان لكم في الأنعام لعبرة﴾ يستدل بخلقها وأفعالها على عظيم القدرة الإلهية ﴿نسفيكم بما في بطونها﴾ اللبن المتكون في بطونها المنصب إلى ضروعها، فإن في انعقاد ما تأكله من العلف إلى هذا الغذاء اللذيذ، والمشروب النفيس، أعظم عبرة للمعتبرين، وأكبر موعظة للمتعطين ﴿ولكم فيها منافع كثيرة﴾ في ظهورها وألبانها وأولادها وأصوافها وأشعارها.

٢٢ ﴿وعليها﴾ وهي الإبل خاصة من دون باقي الأنعام من البقر والغنم، وهي غالب ما يكون الركوب عليه في البر [في أيام نزول القرآن] ﴿وعلى الفلك تحملون﴾ تنمي للنعمة وتكفيل للمنة.

٢٤ ﴿فقال الملأ الذين كفروا من قومه﴾ أي: قال أشرف قومه الذين كفروا به ﴿ما هذا إلا بشر مثلكم﴾ أي: من جنسكم في البشرية، لا فرق بينكم وبينه ﴿يريد أن يتفضل عليكم﴾ أي: يطلب أن يسودكم حتى تكونوا تابعين له منقادين لأمره قالوا ذلك لتنفير قوم نوح من دعوته حتى لا يتسارعوا في الاستجابة له ﴿ولو شاء الله لآنزل ملائكة﴾ أي: لو شاء الله إرسال رسول لأرسل ملائكة ﴿ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين﴾ أي: بمثل دعوى هذا المدعي للنبوة من البشر.

غَفِيلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَبْنَا لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهَ كَثِيرَةً وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبْغٍ لِلْأَكْلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْفِيكُمْ بِمَا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مَالَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا

وقت حاجتهم إليه كالماء الذي يبقى في [الينابيع والمياه الجوفية] والغدران ونحوها ﴿وانا على ذهاب به لقادرون﴾ أي: كما قدرنا على إنزاله فنحن قادرون على أن نذهب به بوجه من الوجوه.

١٩ ﴿فأنشأنا لكم به جنات﴾ أي: بساتين ملتفة أشجارها لقوتها تُجَنُّ ما تحتها، أي تسترته ﴿لكم فيها﴾ أي: في هذه الجنات ﴿فواكه كثيرة﴾ تتفكهون بها وتطعمون منها، والفاكهة الثمرات التي يأكلها الناس من الرمان والتين والتفاح ونحوها، وليست بقوت لهم ولا طعام ولا

١٧ ﴿ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق﴾ هي السماوات طروق بعضها فوق بعض ﴿وما كنا عن هذه السبع الطرائق وحفظها بغافلين، وحفظنا من في الأرض أن تسقط السماء عليهم فتهلكهم، أو تميد بهم الأرض.

١٨ ﴿وانزلنا من السماء ماء﴾ ماء المطر، فإن به حياة الأرض وما فيها من الحيوان ﴿بقدر﴾ بتقدير منا، أي بمقدار يكون به صلاح الزرائع والثمار، فإنه لو كثر لكان به هلاك ذلك ﴿فأسكناه في الأرض﴾ جعلناه مستقرا فيها ينتفعون به

٢٥ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ﴾ أي: جنون، فهو لا يدري ما يقول **﴿فَتَرَبَّصُوا﴾** أي: انتظروا به حتى يستبين أمره، بأن يفيق من جنونه فيترك هذه الدعوى، أو حتى يموت فتستريحوا منه. فلما سمع ذلك نوح عليه السلام كلام قومه وعرف تماديهم على الكفر وإصرارهم عليه، طلب من الله إهلاكهم، وكان الله تعالى قد أوحى إليه أنه (لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن).

٢٦ ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي﴾ عليهم فانتقم منهم بما تشاء وكيف تريد **﴿بِمَا كَذَّبُون﴾** أي: بسبب تكذيبهم إياي.

٢٧ ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ﴾ وهو السفينة **﴿بِأَعْيُنِنَا﴾** بحفظنا وكلاءتنا **﴿وَوَحَيْنَا﴾** تعليمنا إياك لكيفية صنعها **﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾** بالعذاب **﴿وَفَارَ التَّنُورُ﴾** [والتنور بيت النار الذي ينضج فيه الخبز، جعل فوران الماء فيه علامة بدء الطوفان] أي: إذا وقع ذلك **﴿فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَازِيٍّ﴾** أي: أدخل في السفينة من كل أمة من أمم الحيوان زوجين ذكر وأنثى [وإنما قيل له ذلك لتعود الحياة إلى الأرض، وتشكاث الحيوانات فيها بعد غرق الأرض بالطوفان] **﴿وَأَهْلَكَ﴾** أي واسلك أهلك

﴿إِلَّا مِنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾ أي: القول من الله تعالى بإهلاكه منهم **﴿وَلَا تَخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾** بالدعاء لهم بإنجائهم **﴿إِنَّهُمْ مَفْرُقُونَ﴾** إنهم مقضي عليهم بالإغراق لظلمهم.

٢٨ ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ﴾ علوت **﴿أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ﴾** من أهلك وأتباعك **﴿عَلَى الْفُلْكَ﴾** راكبين عليه **﴿فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾** أي: حال بيتنا وبينهم، وخلصنا من ظلمهم وشرودهم فأهلكهم بقدرته وعزته.

رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَازِيٍّ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُفْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكَ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُلْ رَبِّ انزِلْنِي مُنزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنَ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِلْقَاءِ الْآخِرَةِ وَأُتْرَفْنَاهُمْ

٢٩ ﴿وقل رب أنزلني منزلا مباركا﴾ أي: أنزلني في السفينة. أمره الله سبحانه بأن يقول هذا القول عند دخوله السفينة، وقيل عند خروجه منها **﴿وأنت خير المنزلين﴾** هذا ثناء منه على الله عز وجل إثر دعائه له.

٣٠ ﴿إن في ذلك﴾ مما قصه الله علينا من أمر نوح عليه السلام **﴿آيات﴾** لدلالات على كمال قدرته سبحانه **﴿وان كنا لمبتلين﴾** أي: لختبرين لهم بإرسال الرسل إليهم، ليظهر المطيع والعاصي للناس.

٣١ ﴿ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين﴾ أي: من بعد إهلاكهم. قال أكثر المفسرين: هم عاد قوم هود. **٣٢ ﴿فأرسلنا فيهم رسولا منهم﴾** نشأ فيهم بين أظهرهم، ليكون سكونهم إلى قوله أكثر من سكونهم إلى من يأتيهم من غير مكانهم **﴿أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾** أي دعاهم إلى رأس ما دعا إليه الرسل أقوامهم من عبادة الله وتوحيده وإخلاص الدين له **﴿أفلا تتقون﴾** أي أفلا تحافون الله تعالى فتركوا عبادة غيره والإشراك به الذي يؤدي بكم

فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا
تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ
بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيْعِدُكُمْ أَنْكُمْ
إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْكُمْ تُخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾
* هِيَاتَ هِيَاتَ لِمَا تُوْعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا
الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا
رَجُلٌ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾
قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ
نَدِيمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذْتُهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً
فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا
ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَفْخِرُونَ ﴿٤٣﴾
ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلًّا مَا جَاءَ أُمَّةً رُسُلُهَُا كَذَّبُوهُ

ما الحياة إلا حياتنا الدنيا، لا الحياة
الآخرة التي تعدنا بها ﴿نموت ونحيا﴾ أي:
في الدنيا لا غير.

٣٨ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ
كَذِبًا﴾ أي: ما هو فيما يدعيه إلا مفتر
للكذب [لا أصل لما يقول].

٣٩ ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي﴾ أي قال نبيهم
داعياً ربه عليهم بعد أن علم أنهم لا
يصدقونه ألبتة: رب انصُرني عليهم،
وانتقم لي منهم بسبب تكذيبهم إياي.

٤٠ ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ﴾ أي بعد مدة قليلة
من الزمان ﴿لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ﴾ على ما
وقع منهم من التكذيب والعناد والإصرار
على الكفر.

٤١ ﴿فَأَخَذْتُهُمُ الصَّيْحَةَ﴾ صاح بهم
جبريل صيحة واحدة مع الريح التي
أهلكهم الله بها فاتوا جميعاً ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ
غُثَاءً﴾ أي: كغشاء السيل، وهو الزبد
والرغوة الذي يحمله السيل على ظاهر
الماء، صيرهم هلكي فيسوا كما يبس
الغشاء ﴿فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [أي
هلاكا لهم].

٤٢ ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي: من
بعد إهلاكهم ﴿قُرُونًا آخَرِينَ﴾ قيل هم
قوم صالح ولوط وشعيب. وقيل: هم بنو
إسرائيل [ويحتمل أنهم أمم أخرى غير من
قص الله تعالى علينا أخبارهم من
الأنبياء، كما قال تعالى في سورة إبراهيم
(الآية ٩) بعد ذكر قوم نوح وعاد وثمود،
قال (والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا
الله)].

٤٣ ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا
يَسْتَأْخِرُونَ﴾ أي: ما تتقدم كل طائفة
مجتمعة في قرن آجالها المكتوبة لها في
الهلاك، ولا تتأخر عنها.

٤٤ ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا﴾ تتواتر
واحداً بعد واحد، ويتبع بعضهم بعضاً
مرسلين إلى تلك الأمم.

إياه من غير فضيلة له عليكم، ولم يروا
أنه بالإمكان أن يكون الرسول المرسل
إليهم بشراً مثلهم [وهذا من ضلالهم إذ لو
سألوا أنفسهم ما المانع من ذلك لما كان
لديهم جواب لذلك].

٣٥ ﴿أَنْكُمْ تُخْرَجُونَ﴾ أي: من قبوركم
أحياء كما كنتم بعد أن كان بعض
أجزاءكم تراباً، وبعضها عظماً نخرة لا
لحم فيها ولا أعصاب.

٣٦ ﴿هِيَاتَ هِيَاتَ لِمَا تُوْعَدُونَ﴾ أي
بَعْدَ إخراجكم للوعد الذي توعدون.

٣٧ ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ أي:

إلى عذابه.

٣٣ ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ﴾ أي أشرافهم
وقادتهم ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ
الْآخِرَةِ﴾ بما في الآخرة من الحساب
والعقاب ﴿وَأُتْرَفْنَاهُمْ﴾ أي وسعنا لهم نعم
الدنيا فبطروا ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ من
كثرة الأموال ورفاهة العيش ﴿يَأْكُلُ مِمَّا
تَأْكُلُونَ مِنْهُ﴾ وذلك يستلزم عندهم أنه لا
فضل له عليهم.

٣٤ ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ﴾ فيما ذكر
من الأوصاف ﴿إِنَّكُمْ لَخَاسِرُونَ﴾
أي: مغبونون بترككم آلهتكم واتباعكم



فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعْدًا لِقَوْمٍ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا
وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا
قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوا أَنْتُمْ لِبَشَرِينَ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا
لَنَا عِبْدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾
وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا
ابْنَ مَرْيَمَ وَآمَهُ وَآيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ
وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا
إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً
وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ
زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرَهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ
حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيْحَسِبُونَ أَنَّمَا نُنَادُهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ

﴿فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا﴾ أي: في الهلاك
بما نزل بهم من العذاب ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ
أَحَادِيثَ﴾ وهي ما يتحدث به الناس
[ليس لهم وجود في الدنيا إلا تلك
الأحاديث عنهم] ﴿فَبَعْدًا لِقَوْمٍ لَا
يُؤْمِنُونَ﴾ [أي هلاكاً لهم بلا عودة].

٤٥ ﴿بِآيَاتِنَا﴾ هي التسع المتقدم ذكرها
غير مرة، والسلطان المبين: الحجة
الواضحة البينة.

٤٦ ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾: هم الأشراف
منهم ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾ أي: طلبوا الكبر
وتكلفوه فلم ينقادوا للحق ﴿وَكَانُوا قَوْمًا
عَالِينَ﴾ قاهرين للناس بالبغي والظلم،
مستعدين عليهم.

٤٧ ﴿فَقَالُوا أَنْتُمْ لِبَشَرِينَ مِثْلِنَا﴾ [أي
أنسلم لها ما يقولان وتتبعها] ﴿وَقَوْمُهُمَا
لَنَا عَابِدُونَ﴾ مطيعون لهم منقادون لما
يأمرونهم به كأنقياد العبيد. وقيل:
يحتمل أنه كان يدّعي الإلهية فدعي
الناس إلى عبادته فأطاعوه.

٤٨ ﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾ أي فأصروا على
تكذيبها ﴿فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾ بالفرق
في البحر.

٤٩ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ يعني
التوراة ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ أي: لعل قوم
موسى يهتدون بها إلى الحق، ويعملون بما
فيها من الشرائع.

٥٠ ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَآمَهُ آيَةً﴾ أي:
علامة تدل على عظيم قدرتنا، وبديع
صنعنا ﴿وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ﴾ إلى مكان
مرتفع: قيل هي في أرض دمشق، وقيل:
في بيت المقدس ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾ أي ذات
مستقر يستقر عليه ساكنوه ﴿وَمَعِينٍ﴾ أي:
هو الماء الجاري في العيون.

٥١ ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ
الطَّيِّبَاتِ﴾ المعنى: وقلنا يا أيها الرسل،
والطيبات: ما يستطاب ويستلذ من
الحلال ﴿وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ موافقا للشرع

﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ لا يخفى على شيء
منه، وإني مجازيكم على حسب
أعمالكم.

٥٢ ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾
أي إن هذه ملتكم أيها الرسل ملة
واحدة، وهو دعاء جميع الأنبياء إلى عبادة
الله وحده لا شريك له، فالزموه
﴿فَاتَّقُونِ﴾ أي: لا تفعلوا ما يوجب
العقوبة عليكم مني، بأن تشركوا بي
غيري.

٥٣ ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا﴾ أي
جعل أتباع الأنبياء دينهم مع اتحادهم قطعاً

٥٤ ﴿فَذَرَهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾

٥٥ ﴿أَيْحَسِبُونَ أَنَّمَا نُنَادُهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ

متفرقة مختلفة، فأصبحوا طوائف. فاتبعت
فرقة التوراة، وفرقة الزبور، وفرقة
الإنجيل، ثم حرفوا وبدلوا ﴿كُلَّ حِزْبٍ
بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ أي كل فريق من هؤلاء
المختلفين بما لديهم من الدين ﴿فَرِحُونَ﴾
أي معجبون به [أي وكان الواجب اتباع
آخر الأنبياء].

٥٤ ﴿فَذَرَهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾
أي اتركهم في جهلهم وحيرتهم، ولا
يضق صدرك بتأخير العذاب عنهم، أو
حتى يموتوا فيعذبوا في النار.

٥٥ ﴿أَيْحَسِبُونَ أَنَّمَا نُنَادُهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ

وَبَيْنَ ۚ ۝٥٦ تُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٥٧
 إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ۝٥٨ وَالَّذِينَ
 هُمْ بِعَائِتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۝٥٩ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ
 لَا يَشْرِكُونَ ۝٦٠ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ
 أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ۝٦١ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ
 فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ۝٦٢ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا
 وُسْعَهَا ۚ وَلَدَيْنَا مَكْتُبٌ بِالْحَقِّ ۝٦٣ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝٦٤
 بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَلٌ مِنْ دُونِ
 ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ۝٦٥ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ
 بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْعَرُونَ ۝٦٦ لَا تَجْعَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ
 مِنَّا لَا تَنْصُرُونَ ۝٦٧ قَدْ كَانَتْ آيَتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ
 عَلَىٰٰ أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ ۝٦٨ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا

وبين: أي: أيحسبون أن الذي نعطيهم في هذه الدنيا من الأموال والبنين. ٥٦ ﴿تسارع﴾ به ﴿لهم﴾ فيما فيه خيرهم وإكرامهم ﴿بل لا يشعرون﴾ أي: كلا لا نفعل ذلك، بل إنما هو استدراج لهم ليزدادوا إثماً. ٥٧ ﴿إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون﴾ [أي هم لشدة خوفهم من الله تعالى على وجل دائم]. ٥٨ ﴿والذين هم بآيات ربهم المنزلة إليهم يؤمنون﴾. ٦٠ ﴿والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم

وجلة أنهم إلى ربهم راجعون﴾ أي: يتصدقون وقلوبهم خائفة يظنون أن ذلك لا ينجيهم من عذاب الله لأنهم إلى ربهم راجعون، وسبب الوجل هو أنهم يخافون ألا يقبل منهم ذلك على الوجه المطلوب. ٦١ ﴿يسارعون في الخيرات﴾ يبادرون بها ﴿وهم لها سابقون﴾ وهم يسبقون الناس إلى فعلها. ٦٢ ﴿ولا نكلف نفساً إلا وسعها﴾ فن لم يستطع السجود في الصلاة فليوم إيماء، ومن لم يستطع الصوم فليفطر، وهذا للتحريض على ما وصف به السابقون من

فعل الطاعات، المؤدى إلى نيل الكرامات، ببيان سهولته، وكونه غير خارج عن حد الوسع والطاقة ﴿ولدينا كتاب﴾ قد أثبت فيه أعمال كل واحد من المكلفين على ما هي عليه ﴿ينطق بالحق﴾ يظهر به الحق المطابق للواقع من دون زيادة ولا نقص ﴿وهم لا يظلمون﴾ بنقص ثواب أو بزيادة عقاب.

٦٣ ﴿بل قلوبهم في غمرة من هذا﴾ أي: بل قلوب الكفار في غفلة عن هذا الكتاب الذي ينطق بالحق، أو عن الأمر الذي عليه المؤمنون ﴿ولهم أعمال من دون ذلك﴾ المعنى: ولهم أعمال رديئة لم يعملوها من دون ما هم عليه لابد أن يعملوها فيدخلون بها النار، لما سبق لهم من الشقاوة لا يحصى لهم عن ذلك.

٦٤ ﴿حق إذا أخذنا مترفهم﴾ المتنعمين منهم ﴿بالعذاب﴾ عذاب الآخرة ﴿إذا هم يجأرون﴾ بالصراخ يستغيثون ويؤلولون، ويقال لهم حينئذ: ٦٥ ﴿لا تجأروا اليوم﴾ لتبكيهم وإقناطهم وقطع أطماعهم ﴿إنكم منا لا تنصرون﴾ إنكم من عذابنا لا تمنعون ولا ينفعكم جزعكم.

٦٦ ﴿قد كانت آياتي تتلى عليكم﴾ أي: في الدنيا، وهي آيات القرآن ﴿فكنتم على أعقابكم تنكصون﴾ أي: ترجعون وراءكم معرضين عن سماع القرآن.

٦٧ ﴿مستكبرين به﴾ أي: بحرم البيت الحرام، اشتهر أهل مكة بالاستكبار به، وافتخارهم بولايته والقيام به، وكانوا يقولون: لا يظهر علينا أحد، لأننا أهل الحرم وخدامه ﴿سامراً تهجرون﴾ لأنهم كانوا يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون، وكان عاقبة سمرهم ذكر القرآن والظعن فيه، والهجر — بالفتح — الهذيان، أي: تهذون في شأن القرآن.

تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَذَرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ
 آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ
 مُنْكَرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ
 وَكَثُرَهُمُ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ
 لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ
 بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ
 خُرْجًا فخرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ
 لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
 بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَيِّبُونَ ﴿٧٤﴾ * وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ
 وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلْجُودُ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ
 أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِربِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾
 حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ

٦٨ ﴿أَفَلَمْ يَذَرُوا الْقَوْلَ﴾ بين سبحانه أن سبب إقدامهم على الكفر هو أحد هذه الأمور الخمسة [وكل منها ما كان ينبغي أن يكون لهم صارفاً عن الإيمان] الأول: عدم التدبر في القرآن، فإنهم لو تدبروا معانيه لظهر لهم صدقه وآمنوا به وبما فيه، والثاني: قوله ﴿أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ فكان ذلك سبباً لاستنكارهم للقرآن؟ [ولو عقلوا لعلموا أن ذلك لخير يراد بهم اختصوا به دون آبائهم] والثالث قوله:

٦٩ ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ أي: بل ألم يعرفوه بالأمانة والصدق فأنكروه، ومعلوم أنهم قد عرفوه بذلك، وأنهم لم يجربوا عليه كذباً قط، والرابع قوله:

٧٠ ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ﴾ أي: جنون، مع أنهم قد علموا أنه أرجح الناس عقلاً ﴿بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ﴾ هو الدين القويم ﴿وَكَثُرَهُمُ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ لما جبلوا عليه من التعصب، أي: وأقلهم كانوا لا يكرهون الحق، ولكنهم لم يظهروا الإيمان خوفاً من الكارهين له.

٧١ ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ﴾ لو جاء الحق على ما يهونه ويريدونه ﴿لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ المعنى:

فلو جعل مع نفسه كما يحبون شريكاً لفسدت السماوات والأرض، وقيل: المعنى لو كان الحق ما يقولون من اتخاذ الآلهة مع الله لاختلفت الآلهة، ومثل ذلك قوله (لو كان فيها آلهة إلا الله لفسدتا) ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ﴾ أي: بالكتاب الذي هو فخرهم وشرفهم، وقيل: الذكر هو الوعظ والتحذير ﴿فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ أي مهملون للأمر الذي لهم فيه أعظم الشرف والأمر الخمس قوله:

٧٢ ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خُرْجًا﴾ أم هل الأمر

الذي يصدهم عن الإيمان بك أنهم يزعمون أنك تسألهم أجراً تأخذه على الرسالة، فتركوا الإيمان بك وبما جئت به لأجل ذلك، مع أنهم يعلمون أنك لم تسألهم ذلك ولا طلبته منهم [حتى الصدقة حرّمها الله تعالى على رسوله لثلاثين قولاً قائل: إنه ادعى الرسالة لتحصيل المال] ﴿فخرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾ أي: فرزق ربك الذي يرزقك في الدنيا، وأجره الذي يعطيكه في الآخرة، خير لك مما ذكر.

٧٥ ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ﴾ أي: من قحط وجذب ﴿لَلْجُودُ فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ أي: لتمادوا في طغيانهم وضلالهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يترددون ويخطئون.

٧٦ ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ﴾ قيل: هو الجوع الذي أصابهم في سني القحط ﴿فَمَا اسْتَكَانُوا لِربِّهِمْ﴾ أي: ما خضعوا ولا تذللوا، بل أقاموا على التمرد على الله

٧٤ ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ



مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ
وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ
فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي
وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾
بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا
وَعِظْمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا
هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُلْ لِمَنِ
الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ
قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّعْيِ وَرَبُّ
الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾
قُلْ مَنْ مِنْ بَيْدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ
عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى

بعد يوم، وليلة بعد ليلة ﴿أفلا تعقلون﴾
كنه قدرته، وتنفكرون في ذلك.

٨١ ﴿بل قالوا مثل ما قال الأولون﴾

أي: آباؤهم والموافقون لهم في دينهم، أو
المراد الأمم السابقة.

٨٢ ﴿قالوا أنذا ميتنا وكنا ترابا وعظاما

أننا لمبعوثون﴾ مجرد استبعاد لم يتعلقوا
فيه بشيء من الشبه، [وإلا فلا العلم
يمنع ذلك، ولا العقل يأباه].

٨٣ ﴿لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من

قبل﴾ أي: وعدنا هذا البعث، ووعدنا

آباؤنا [فلم نرهم بعثوا] ﴿إن هذا إلا

أساطير الأولين﴾ أي: ما هذا إلا

أكاذيب الأولين التي سطوروها في
الكتب.

٨٤ ﴿قل لمن الأرض ومن فيها﴾ أي:

قل يا محمد لأهل مكة هذه المقالة،

سائلا لهم عن يملك هذه الأرض ومن

عليها، والمراد بمن في الأرض الخلق جميعا

﴿إن كنتم تعلمون﴾ شيئا من العلم أي:

فأخبروني.

٨٥ ﴿سيقولون لله﴾ أي: لا بد لهم أن

يقولوا ذلك ﴿قل أفلا تذكرون﴾ [أي

إن كنتم مقرين أنها لله تعالى وأنه الخالق

لها. المتصرف فيها فلم تعبدون معه آلهة

أخرى تعلمون أنها لا تملك شيئا؟].

٨٧ ﴿سيقولون لله﴾ [أي السماوات

كلها لله وهو ربها] ﴿قل﴾ يا محمد

﴿أفلا نتقون﴾ [أي مادمت تعلمون أن

آلهتكم ليس لها ملك شيء مما في

السماوات فلم تصرفون إليها العبادة التي

يستحقها الله وحده].

٨٨ ﴿قل من بيده ملكوت كل

شيء﴾ الملكوت: الملك ﴿وهو يجبر﴾

يفيئث غيره إذا شاء ويمتعه ﴿ولا يجار

عليه﴾ أي: لا يمنع أحد أحدا من عذاب

الله، ولا يقدر على نصره وإغاثته من

الله.

العبر، ويتفكروا بالأفئدة، فلم ينتفخوا

بشيء من ذلك ﴿قليلا ما تشكرون﴾

قيل: المعنى أنهم لا يشكرونه ألبتة، لا

أن للكفار شكراً قليلا.

٧٩ ﴿وهو الذي ذرأكم في الأرض﴾

أي بشكم فيها كما تبث الحبوب لتنبث

﴿واليه تحشرون﴾ أي: تجتمعون يوم

القيامة بعد تفرقكم.

٨٠ ﴿وهو الذي يحيي ويميت﴾ على

جهة الانفراد والاستقلال ﴿وله اختلاف

الليل والنهار﴾ يتعاقبان ويختلفان في

الإضاءة والإظلام، وقيل تكررها يوماً

﴿وما يتضرعون﴾ وما يخشعون لله في

الشدائد.

٧٧ ﴿حقى إذا فتحنا عليهم بابا ذا

عذاب شديد﴾ قيل: هو عذاب الآخرة،

وقيل: قتلهم يوم بدر بالسيف ﴿إذا هم

فيه مبلسون﴾ أي: متحIRON لا يدرون

ما يصنعون، والإيلاس: الإياس من كل

خير.

٧٨ ﴿وهو الذي أنشأ لكم السمع

والأبصار﴾ امتن الله عليهم بنعمة السمع

والبصر ﴿والأفئدة﴾ وهي قلوبهم التي

يفقهون بها ليسمعوا المواعظ، وينظروا

تُسَحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾
مَا آتَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ
كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ
اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّى
عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيْنِي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾
رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَى أَنْ
نُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ ﴿٩٥﴾ أَدْفَعْ بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ
السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ
هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾
حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾
لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا
وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَلِذَا نُفِخَ

٨٩ ﴿قُلْ فَإِنْ نَسَحَرُونَ﴾ كيف يخيل
لكم الحق باطلا، والصحيح فاسداً،
[فعبدتُم غير الله، مع وضوح الحق، كان
ساحراً سحركم فأخذ عقولكم].

٩٠ ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ﴾ الذي يحق
اتباعه ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ فيما ينسبونه إلى
الله من الولد والشريك.

٩١ ﴿إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾
أي: لو كان مع الله آلهة لانفرد كل إله
بخلقه واستبد به، وامتاز ملكه عن ملك
الآخر، ووقع بينهم التطالب والتحارب
والتغالب ﴿وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾
أي: غلب القوي على الضعيف وقهره،
وأخذ ملكه كعادة الملوك من بني آدم.
وحينئذ فذلك الضعيف المغلوب لا يصلح
أن يكون إلهاً. وإذا تقرّر عدم إمكان
المشاركة في الربوبية، وأنه لا يقوم بها
إلا واحد، تعيّن أن يكون هذا الواحد هو
الله تعالى. وهذا الدليل كما دلّ على نفي
الشريك، فإنه يدلّ على نفي الولد، لأنه
الولد ينزع أباه في ملكه ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ
عَمَّا يَصِفُونَ﴾ أي: من الشريك والولد.

٩٢ ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أي: هو
مختص بعلم الغيب والشهادة، وأما غيره
فهو وإن علم الشهادة لا يعلم الغيب
﴿فَتَعَلَّى﴾ الله ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ والمعنى أنه
سبحانه متعال عن أن يكون له شريك في
الملك.

٩٣ ﴿قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيْنِي مَا يُوعَدُونَ﴾
أي إن كان ولا بد يا رب أن تجعلني
أرى ما تعدّهم به من العذاب الذي
يهلكهم.

٩٤ ﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ
الظَّالِمِينَ﴾ أي: إن أنزلت بهم النعمة يا
رب فاجعلني خارجاً عنهم، [أرى عذابهم
من بعيد ولكن لا ينالني منه شيء لأنني
مؤمن بك مصدق بمواعيدك].

٩٥ ﴿وَإِنَّا عَلَى أَنْ نُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ

لِقَادِرُونَ﴾ أي: إن الله قادر على أن

يرى رسوله عذابهم، ولكنه يؤخره لعلهم
بأن بعضهم سيؤمن.

٩٦ ﴿أَدْفَعْ بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ﴾
أي ادفع بالخصلة التي هي أحسن من
غيرها، وهي الصفح والإعراض عما يفعله
الكفار ﴿وَنَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ أي: ما
يصفونك به مما أمت على خلافه، أو بما
يصفون من الشرك والتكذيب.

٩٧ ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ
الشَّيَاطِينِ﴾ همزات الشياطين: نزعاتهم
ووساوسهم، وسورات الغضب التي لا

يملك الإنسان فيها نفسه.
أمره أن يتعوّذ بالله من حضور الشياطين
بعد ما أمره أن يتعوّذ من همزاتهم، فإنهم
إذا حضروا الإنسان لم يكن لهم عمل إلا
الوسوسة والإغراء على الشر والصرف عن
الخير.
٩٨ ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ أي قال
أرجعني أرجعني أرجعني.
٩٩ ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ في الدنيا
إذا رجعت إليها من الإيمان وما يتبعه من
أعمال الخير ﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾

فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾
 فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾
 وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ
 فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا
 كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ أَتِنَىٰ عَلَيْهِمْ فَكُنْتُمْ بِهَِا
 تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا
 ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾
 قَالِ أَخْسِئُوا فِيهَا وَلَا تَكْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ
 عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ
 الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرَ بِأَحْتَىٰ أَنْسَوَكُم ذِكْرِي وَكُنْتُمْ
 مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ
 هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿١١١﴾ قُلْ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾

موزوناته من الأعمال الصالحة في مقابلة
 ماله من السيئات **﴿فأولئك الذين
 خسروا أنفسهم﴾** أي ضيعوها وتركوا ما
 ينفعها.

١٠٤ ﴿تلفح وجوههم النار﴾ اللفح:
 الإحراق. وخص الوجوه لأنها أشرف
 الأعضاء **﴿وهم فيها كالحون﴾** الكالح:
 الذي قد تشمرت شفتاه وبدت أسنانه،
 من التعب والألم؟

١٠٦ ﴿قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا﴾
 أي: غلبت علينا لذاتنا وشهواتنا، فسمى
 ذلك شقوة، لأنه يؤول إلى الشقاء **﴿وكنَّا
 قوماً ضالين﴾** بتلك الشقوة.

١٠٧ ﴿ربنا أخرجنا منها فإن عدنا﴾
 إلى ما كنا عليه من الكفر **﴿فإننا
 ظالمون﴾** لأنفسنا بالعود إلى ذلك. [طلبوا
 الرجوع إلى الدنيا بعد دخول النار كما
 طلبوه عند الموت].

١٠٨ ﴿قال اخسئوا فيها﴾ تباعدوا
 تباعد سخط، وابتعدوا بعد الكلب، كما
 يقال للكلب، إذا اقترب من الأشياء
 الطاهرة: اخسأ.

١٠٩ ﴿إنه كان فريق من عبادي﴾
 وهم المؤمنون يدعون الله بالرحمة والمغفرة
 ويعترفون بصفاته العلى.

١١٠ ﴿فاتخذتموهم سخرياً﴾ أي هزواً
 بالقول **﴿حتى أنسوكم ذكري﴾** أي
 نسيت ذكر الله لشدة اشتغالكم بالاستهزاء
﴿وكنتم منهم تضحكون﴾ في الدنيا.

**١١١ ﴿إني جزيتهم اليوم بما صبروا
 أنهم هم الفائزون﴾** أي جازيتهم على
 صبرهم بفوزهم اليوم.

**١١٢ ﴿قال كم لبثتم في الأرض عدد
 سنين﴾** لما سألوا الرجوع إلى الدنيا
 [سألهم ذلك ليبين لهم أنهم قد عتروا
 فيها ما يتذكر فيه من تذكر وإن كان
 قليلاً بالنسبة إلى الآخرة].

الأحياء من الخلائق. انظر سورة الزمر
 (الآية ٦٨) **﴿فلا أنساب بينهم يومئذ﴾**
 أي: لا يتفاخرون بالأنساب، ولا
 يذكرونها، ولن تفيدهم يومئذ شيئاً **﴿ولا
 يتساءلون﴾** أي: لا يسأل بعضهم بعضاً،
 فإن لكل واحد منهم إذ ذاك شغلا
 شاغلاً.

١٠٢ ﴿فن ثقلت موازينه﴾ أي:
 موزوناته من أعماله الصالحة **﴿فأولئك
 هم المفلحون﴾** أي: الفائزون بمطالبهم
 المحبوبة، الناجون من الأمور التي يخافونها.
١٠٣ ﴿ومن خفت موازينه﴾ أي خفت

[أي مجرد كلمة يقولها] ولو أجيب إلى
 ذلك لما حصل منه الوفاء **﴿ومن ورائهم
 برزخ﴾** أي: من أمامهم وبين أيديهم
 حاجز بين الموت والبعث **﴿إلى يوم
 يبعثون﴾** هو يوم القيامة، [فهم في هذه
 الفترة البرزخية مُرجأون لأمر الله في
 قبورهم لا يستدركون ما فاتهم من العمل
 ولا أن يصلحوا ما أفسدوه].

١٠١ ﴿فإذا نفخ في الصور﴾ هي
 النفخة الثانية، والصور: هو القرن الذي
 ينفخ فيه لقيام الساعة، وأما النفخة
 الأولى فهي نفخة الصعق التي تميمت

قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَعَلَ الْعَادِينَ ﴿١١٣﴾ قُلْ إِنْ
لَبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَحَسِبْتُمْ أَنَّ مَا
خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْتُمْ لَا تَرْجِعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ
الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾
وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا
حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾
وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٨﴾

(٢٤) سُورَةُ الْبُورَةِ وَأَنبِئَانَهَا أَنْبِجُ وَشَيْئُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةٌ أُنزِلَتْهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأُنزِلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ

١١٣ ﴿قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾

استقصوا مدة لبثهم في الدنيا لما هم فيه من العذاب الشديد ﴿فَسَعَلَ الْعَادِينَ﴾ أي: المتمكنين من معرفة العدد، نسوا عدد السنين لما نالهم من الهول.

١١٤ ﴿قَالَ إِنْ لَبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي:

ما لبثتم في الأرض إلا لبثًا قليلًا ﴿لَوْ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ شيئًا من العلم لعلمتم اليوم قلة لبثكم في الأرض، أي: ولشغلتم أنفسكم بطاعة الله استعدادًا ليوم القيامة.

١١٥ ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّ مَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾

أي: للإهمال، كما خلقت البهائم، ولا ثواب ولا عقاب؟ ﴿وَأَنْتُمْ إِلَيْنَا لَا تَرْجِعُونَ﴾ بالبعث والنشور فنجازيكم بأعمالكم.

١١٦ ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ﴾ أي: تنزه عن أن

يخلق شيئًا عبثًا ﴿الْمَلِكُ﴾ الذي يحق له الملك على الإطلاق ﴿الْحَقُّ﴾ وملك غيره زائل فان ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ فكيف لا يكون إلهاً ورباً لما هو دون العرش الكريم من المخلوقات.

١١٧ ﴿لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ البرهان:

الحجة الواضحة والدليل الواضح، وليس هناك رب آخر غير الله عليه برهان.

١١٨ ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ

الرَّاحِمِينَ﴾ أمره سبحانه بالاستغفار لتقتدي به أمته.

سُورَةُ الْبُورَةِ

١ ﴿سُورَةٌ﴾ أي: هذه سورة ﴿أُنزِلَتْهَا﴾

والسورة: عبارة عن آيات مسرودة لها مبدأ ونختم ﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾ أوجبناها وألزمناكم العمل بها ﴿وَأُنزِلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ أي أنزلنا في غرضها وتضاعيفها، وتكرير أنزلنا لكمال العناية بإنزال هذه السورة، لما اشتملت عليه من الأحكام.

٢ ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلَدُوا كُلَّ وَاحِدٍ

منها﴾ والزنى: هو وطء الرجل للمرأة من غير عقد زواج بينهما. والزانية: هي المرأة المطاوعة للزنى، الممكنة منه، لا المكروهة ﴿فَاجْلِدُوا﴾ الجلد: الضرب بالسوط أو العصا، يقال: جلده إذا ضرب جلده ﴿مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ هو حد الزاني الحر البالغ البكر، وكذلك الزانية، وثبت بالسنة زيادة على هذا الجلد، وهي تغريب عام، وأما من كان محصناً من الأحرار فعليه الرجم بالسنة الصحيحة المتواترة. وهذه الآية ناسخة لآية الحبس، وآية الأذى، اللتين في سورة النساء (الآيتان ١٥، ١٦) والخطاب في هذه الآية للأئمة، ومن قام مقامهم. وقيل: للمسلمين أجمعين، والإمام ينوب عنهم ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ الرأفة: الرقة والرحمة، وقيل: هي أرق الرحمة ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ أي: إن كنتم تصدقون بالتوحيد والبعث الذي فيه جزاء الأعمال فلا تعطلوا الحدود ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: ليحضره فرقة من المسلمين زيادة في التنكيل بهما، وشيوع العار عليهما، وإشهار فضيحتهما، [وليستم الثكال والزُّدع عن



لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ
مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ
كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ
مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً
وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا
بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ
شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ
تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾
وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا
أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ
الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ

الفاحشة باشتار الأمر].

٣ ﴿الزاني لا ينكح إلا زانية أو
مشركة﴾ أي: إن غالب الزناة أن الواحد
منهم لا يرغب إلا في الزواج بزانية مثله،
وغالب الزواني لا ترغب الواحدة منهم إلا
في الزواج بزنان مثلهما، والمقصود: زجر
المؤمنين عن نكاح الزواني بعد زجرهم
عن الزنى، وهذا أرجح الأقوال ﴿وحرم
ذلك على المؤمنين﴾ أي نكاح الزواني
والمشركات، لما فيه من التشبه بالفسقة،
والتعرض للتهمة، واحتمال أن تدخل
عليه ولذا ليس منه. فلا يحل للمسلم

العفيف أن يتزوج امرأة غير عفيفة وهو
يعلم، ولا يحل للمرأة العفيفة أن تتزوج
رجلاً فاجراً وهي تعلم.

٤ ﴿والذين يرمون المحصنات﴾
ويسمى هذا الشتم بهذه الفاحشة الخاصة
قذفاً، والمراد بالمحصنات: النساء
العفيفات المؤمنات. وخصهن بالذكر لأن
قذفهن أشنع، والعارفين أعظم. ويلحق
الرجال بالنساء في هذا الحكم بلا
خلاف بين علماء هذه الأمة. والمراد
بالمحصنات هنا العفاف. وللعلماء في
الشروط المعتبرة في المقذوف والقاذف

أبحاث مطولة مستوفاة في كتب الفقه.
ولاحد على من قذف كافراً أو كافرة ﴿ثم
لم يأتوا بأربعة شهداء﴾ أي: يشهدون
عليهن بوقوع الزنى منهن. ويجوز أن يكون
الشهود مجتمعين ومفترقين. وإذا لم تكمل
الشهود أربعة كانوا قذفة يحدون حد
القذف، وقد وقع في خلافة عمر رضي
الله عنه أنه جلد الثلاثة الذين شهدوا
على المغيرة بالزنى ﴿فاجلدوهم ثمانين
جلدة﴾ [أي اجلدوا كل واحد منهم هذا
العدد] ﴿ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا﴾
أي: فاجمعوا لهم بين الأمرين: الجلد،
وترك قبول الشهادة، لأنهم قد صاروا
بالقذف غير عدول، بل فسقة كما حكم
الله به عليهم في آخر هذه الآية. ومعنى
أبداً: أي ما داموا في الحياة ﴿وأولئك
هم الفاسقون﴾ والفسق: هو الخروج عن
طاعة الله، ومجاوزة الحد بالمعصية.

٥ ﴿إلا الذين تابوا من بعد ذلك﴾ من
بعد اقترافهم لذنوب القذف ﴿وأصلحوا﴾
أعمالهم التي من جملتها ذنب القذف،
وتداركوا ذلك بالتوبة والانقياد للحد.
فإذا تاب القاذف قبلت شهادته وزال
عنه الفسق، [ولا يرتفع الحد بالتوبة]
وتوبة القاذف لا تكون إلا بأن يكذب
نفسه في ذلك القذف الذي وقع منه وأقيم
عليه الحد بسببه ﴿فإن الله غفور
رحيم﴾ ولذلك لم يؤخذ بالقاذف بعد
التوبة، ورضي لكم قبول شهادته.

٦، ٧ ﴿والذين يرمون أزواجهم ولم
يكن لهم شهداء إلا أنفسهم﴾ يشهدون بما
رموهن به من الزنى ﴿فشهادة أحدهم
أربع شهادات﴾ أي: فشهادة أحدهم
التي تزيل عنه حد القذف أن يشهد أربع
مرات ﴿بالله إنه لمن الصادقين﴾ فيما
رماها به من الزنى. ثم يشهد ﴿الخامسة
أن لعنة الله عليه إن كان من
الكاذبين﴾ أي فيما رماها به من الزنى.

٨ «وبدراً عنها» أي عن المرأة
«العذاب» وهو الحد «أن تشهد أربع
شهادات بالله» والمعنى أنه يدفع عن
المرأة الحد شهادتها أربع شهادات بالله:
إن الزوج «لمن الكاذبين».

٩ «والخامسة» أي: وتشهد الخامسة
«أن غضب الله عليها إن كان» الزوج
«من الصادقين» فيما رماها به من
الزنى. وتخصيص الغضب بالمرأة للتغليظ
عليها لكون الإغراء بالزنى من جهتها في
الغالب، ولأن النساء يكثرن اللعن في
العادة، ومع استكثارهن منه لا يكون له
في قلوبهن كبير موقع، بخلاف الغضب.

١٠ «ولولا فضل الله عليكم ورحمته»
لنال الكاذب منها عذاب عظيم «وأن
الله ثواب» يعود على من تاب إليه،
ورجع عن معاصيه بالتوبة عليه، والمغفرة
له «حكيم» فيما شرع لعباده من اللعان،
وفرض عليهم من الحدود.

١١ «إن الذين جاءوا بالإفك» هو
الكذب والبهتان، والمراد به هنا: ما وقع
من الإفك على عائشة أم المؤمنين، أخرج
البخارى ومسلم وأهل السنن وغيرهم
حديث عائشة الطويل في سبب نزول
هذه الآيات، وحاصله: أنها خرجت من
هودجها تلتمس عقدا لها انقطع، فرحلوها
وهم يظنون أنها في هودجها، فرجعت وقد
إرتحل الجيش والهودج معهم، فأقامت في
ذلك المكان، ومر بها صفوان بن المعطل،
وكان متأخرا عن الجيش، فأناخ راحلته
وحملها عليها، فلما رأى ذلك أهل الإفك
اتهموها بالفاحشة، وقالوا ما قالوا، فبرأها
الله مما قالوه «عصبة منكم» وهم عبد
الله بن أبي رأس المنافقين، وزيد بن
رفاعة، وحسان بن ثابت، ومسطح بن
أثالة، وحننة بنت جحش، ومن ساعدهم
«لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير
لكم» يحصل لكم به الثواب العظيم مع

مِنَ الْكَذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ
أَرْبَعَ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَامِسَةَ
أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾
وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ
حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ
لَا تحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لِّكُم لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ
مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ
عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ
بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَوْلَا جَاءُوا
عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ
عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ

بيان براءة أم المؤمنين، وصيرورة قصتها
هذه شرعا عاما «لكل امرئ منهم ما
اكتسب من الإثم» أي: بسبب تكلمه
بالإفك «والذي تولى كبره منهم» هو
عبد الله بن أبي، وقيل: هو حسان. وقد
روى محمد بن إسحاق وغيره أن النبي ﷺ
جلد في الإفك رجلين وامرأة، وهم
مسطح بن أثالة، وحسان بن ثابت،
وحننة بنت جحش، وقيل: وجلد عبدالله
ابن أبي.
١٢ «لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون
والمؤمنات بأنفسهم خيرا» أي: كان
١٣ «لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء»

ينبغي للمؤمنين حين سمعوا مقالة أهل
الإفك أن يقيسوا ذلك على أنفسهم، فإن
كان ذلك يبعد منهم، فهو من أم المؤمنين
أبعد. روي أن امرأة أبي أيوب الأنصاري
قالت له حين قال أهل الإفك ما قالوا:
ألا تسمع ما يقول الناس في عائشة؟
قال: بلى، وذلك الكذب، أكنت أنت
فاعلة ذلك يا أم أيوب؟ قالت: لا والله.
قال: فعائشة والله خير منك وأطيب، إنما
هذا كذب وإفك باطل «وقالوا هذا

عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالسِّنِّكِمْ وَتَقُولُونَ
بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ
اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ
نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمْ
اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ
اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنْ الَّذِينَ
يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾
وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ
رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾ * يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ
الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ
بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ



لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا ﴿١٤﴾ هذا عتاب لجميع
الذين خاضوا في إشاعة الإفك من
المؤمنين: أي هلا إذ سمعتم حديث
الإفك قلتم تكذيبا للخائضين فيه،
المفترين له: ما ينبغي لنا ولا يمكننا أن
نتكلم بهذا الحديث، ولا أن يصدر ذلك
منا بوجه من الوجوه ﴿سبحانك﴾
للتعجب من أولئك الذين جاءوا بالإفك
﴿هذا بهتان عظيم﴾ والبهتان: هو أن
يقال في الإنسان ما ليس فيه.

١٧ ﴿يعظكم الله أن تعودوا لمثله
أبدا﴾ أي: ينصحكم الله، أو يحرم
عليكم أن تعودوا لمثل هذا القذف مدة
حياتكم ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ فإن الإيمان
يقتضي عدم الوقوع في مثله.

١٨ ﴿ويبين الله لكم الآيات﴾ لتعملوا
بذلك، وتتأدبوا بآداب الله ﴿والله عليم﴾ بما
تبدونه وتحفونه ﴿حكيم﴾ في تدبيراته لخلقه.

١٩ ﴿إن الذين يحبون أن تشيع
الفاحشة﴾ أن يفشو الزنا وينتشر في
الذين آمنوا﴾ هم المحضون العفيفون من
أهل الإيمان ﴿لهم عذاب أليم في
الدنيا﴾ بإقامة الحد عليهم ﴿والآخرة﴾
بعذاب النار ﴿والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾
إلا ما علمكم به وكشفه لكم من أمر هؤلاء
الذين لا ييغون لكن إلا السوء.

٢٠ ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته
وأن الله رؤوف رحيم﴾ أي: لعاجلكم
بالعقوبة.

٢١ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا
خطوات الشيطان﴾ لا تتبعوا مسالك
الشيطان ومذاهبه، ولا تسلكوا طرائقه
التي يدعوكم إليها ﴿ومن يتبع خطوات
الشيطان فإنه﴾ أي: الشيطان ﴿يأمر
بالفحشاء والمنكر﴾ والفحشاء: ما أفرط
قبحه، والمنكر: ما ينكره الشرع، ومن
اتبع الشيطان صار مقتديا به، يطيعه فيما
يأمر به.

الآخرة من أناه ثابا.
١٥ ﴿إذ تلقونه بالسنتكم﴾ يرويه
بعضكم عن بعض. وذلك أن الرجل
منهم يلقي الرجل فيقول: بلغني كذا
وكذا، ويتلقونه تلقيا عن غير تحقق
﴿وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به
علم﴾ أي إن قولهم هذا يختص بالأفواه،
من غير أن يكون واقعا في الخارج،
معتقدا في القلوب ﴿وتحسبونه هينا﴾ أي:
شيئا يسيرا لا يلحقكم فيه إثم ﴿وهو عند
الله عظيم﴾ أي: عظيم ذنبه وعقابه.
١٦ ﴿ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون

هلا جاء الخائضون بأربعة شهداء
يشهدون على ما قالوا ﴿فإذ لم يأتوا
بالشهداء فأولئك﴾ أي: الخائضون في
الإفك ﴿عند الله هم الكاذبون﴾ أي في
حكم الله تعالى: هم الكاذبون الكاملون
في الكذب.
١٤ ﴿فيا أفضم فيه﴾ أي: لولا أي
قضيت عليكم بالفضل في الدنيا بالنعم
التي من جملتها الإمهال، والرحمة في
الآخرة بالعفو، لعاجلتكم بالعقاب على ما
خضتم فيه من حديث الإفك، ولكن
برحمته ستر عليكم في الدنيا، ويرحم في

مَا زَكَّيْنَا مِنْكُمْ مَنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ
وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتِلِ أَوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ
وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ
اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ
الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعْنُوا فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ
أَلْسِنُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾
يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ
الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ
لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ
مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾

﴿ما زكا منكم من أحد أبدا﴾ ما طهر أحد منكم نفسه من دنسها ما دام حيا ﴿ولكن الله يزكي من يشاء﴾ أي من عباده بالتفضل عليهم والرحمة لهم ﴿والله سميع﴾ لما يقولونه ﴿عليم﴾ بجميع المعلومات، ومنها من يزكي نفسه ومن يوبقها.

٢٢ ﴿ولا يأتل﴾ أي: لا يحلف ﴿أولو الفضل منكم والسعة﴾ [المراتب العالية والغنى] أخرج ابن المنذر عن عائشة قالت: كان مسطح بن أثانة ممن تولى كبره من أهل الإفك، وكان قريبا لأبي بكر، وكان في عياله، فحلف أبو بكر ألا ينيله خيرا أبدا، فأنزل الله هذه الآية، قالت: فأعاده أبو بكر إلى عياله وكفر عن يمينه ﴿أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين﴾ [أي: وكان مسطح قرابة لأبي بكر، مهاجرا، مسكينا، وكل من هذه الأوصاف الثلاثة تستدعي المعونة، وإن وقع منه ما وقع] ﴿وليصفحوا﴾ عن ذنبهم الذي أذنبوه عليهم وجناباتهم التي اقترفوها ﴿وليصفحوا﴾ بالإغضاء عن الجاني، والإغماض عن جانيته ﴿ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾ بسبب عفوكم وصفحكم عن الفاعلين للإساءة عليكم ﴿والله غفور رحيم﴾ فكيف لا يقتدي العباد بربهم في العفو والصفح عن المسيئين إليهم.

٢٣ ﴿إن الذين يرمون المحصنات الغافلات﴾ أي: اللاتي لا تخطر الفاحشة ببالهن، ولا يفطن لها، ومنهن عائشة رضي الله عنها وسائر أزواج النبي ﷺ فن قذف إحدى أزواج النبي ﷺ فهو من أهل هذه الآية ﴿لعنوا في الدنيا والآخرة﴾ المراد باللعنة: الإبعاد عن رحمة الله، وضرب الحد، وهجر سائر المؤمنين لهم، وزوالهم عن رتبة العدالة، والبعد عن الثناء الحسن على السنة المؤمنين.

٢٤ ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم﴾ في ذلك اليوم بما تكلموا به ﴿وأيديهم وأرجلهم﴾ بما عملوا بها في الدنيا، الله سبحانه ينطقها بالشهادة عليهم ﴿بما كانوا يعملون﴾ بذنوبهم التي اقترفوها.
٢٥ ﴿يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق﴾ يعطيهم الله جزاءهم عليها موفرا لاشك في ثبوتها ﴿ويعلمون أن الله هو الحق المبين﴾ في ذاته وصفاته وأفعاله.
٢٦ ﴿الخبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾ أي: الخبيثات من النساء للخبِيثِينَ من الرجال، أي: مختصة بهم لا تتجاوزهم، كذا ﴿الخبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ﴾ لا يتجاوزونهن، وهكذا قوله ﴿والطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ وكان رسول الله ﷺ طيبا فكان أولى أن تكون له الطيبة، وكانت عائشة الطيبة، وكانت أولى بأن يكون لها الطيب ﴿أولئك﴾ الطيبون والطيبات ﴿مُبرَّءُونَ﴾ مما يقوله الخبيثون والخبِيثَاتُ، وهذا برئت عائشة أم المؤمنين بهذه الآية ﴿لهم مغفرة ورزق كريم﴾ وهو رزق الجنة.
٢٧ ﴿بأبها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا﴾ حتى

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ قُلِ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنْ أَلَّاهُ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُلِ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءَ بُعُولَتِهِنَّ

أي: ما تظهرون وما تحفون، وفيه وعيد لمن لم يتأدب بآداب الله في دخول بيوت الغير.

٣٠ ﴿قُلِ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ لما ذكر حكم الاستئذان، أتبعه بذكر حكم النظر على العموم، وغض البصر من المستأذن لقطع ذرائع الزنى التي منها النظر، لهم أحق من غيرهم بها وأولى بذلك ممن سواهم. وغض البصر: أن يخفض بعض بصره بحيث تمتنع الرؤية، قيل: وجه التبعض أنه يعنى للناظر عن أول نظرة تقع من غير قصد **﴿ويحفظوا فروجهم﴾** عما يحرم عليهم **﴿ذلك﴾** الغض والحفظ **﴿أزكى لهم﴾** أظهر من دنس الريّة وأطيب من التلبس بهذه الدنيّة **﴿إن الله خير بما يصنعون﴾** وعيد لمن لم يغض بصره أو لم يحفظ فرجه.

٣١ ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن﴾ يستدلّ به على تحريم نظر النساء إلى ما يحرم عليهنّ، ومحب عليهنّ حفظ فروجهن على الوجه الذي تقدّم في حفظ الرجال لفروجهم **﴿ولا يبدن زينتهن﴾** من الحلية وغيرها، وهذا نهي عن إبداء مواضعها من أبدانهنّ بالأولى **﴿إلا ما ظهر منها﴾** هو الثياب والوجه والكفان، وقال ابن عباس وقتادة: «ظاهر الزينة هو الكحل والسوار والخضاب والخاتم ونحو ذلك، فإنه يجوز للمرأة أن تبديه» وعن ابن عمر وابن عباس: «الوجه والكفان» **﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾** الخمر: جمع خمر، وهو ما تغطي به المرأة رأسها، والجيوب: جمع جيب، وهو موضع القطع من الدرع والقميص من حيث يدخل الرأس **﴿ولا يبدن زينتهن﴾** أي: زينتهن الباطنة كالتي في الشعر أو على الصدر **﴿إلا لبعولتهن﴾** أي أزواجهن.

أزكى لكم﴾ أي: أفضل وأظهر من التدنس بالإلحاح على الدخول، لما في ذلك من سلامة الصدر، والبعد من الرية، والفرار من الدناءة.

٢٩ ﴿ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة﴾ هي الفنادق والخوانيت ونحوها من المباني العامة لأن أصحابها جاءوا ببيوعهم فجعلوها فيها فذلك بدرجة الإذن للناس جميعا. وقال عطاء: المراد بها الخرب **﴿فيها متاع لكم﴾** والمتاع: المنفعة والأعيان التي تباع **﴿والله يعلم ما تبدون وما تكتمون﴾**

تعلموا أن صاحب البيت قد علم بكم، وتعلموا أنه قد أذن بدخولكم، فإذا علمتم ذلك دخلتم **﴿وتسلموا على أهلها﴾** يقول: السلام عليكم أدخل؟ مرة أو مرتين أو ثلاثا **﴿ذلكم خير لكم﴾** من الدخول بغتة **﴿لعلكم تذكرون﴾** والمراد بالتذكّر الاتعاظ، والعمل بما أمروا به.

٢٨ ﴿حتى يؤذن لكم﴾ بدخولها من جهة من يملك الإذن **﴿وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا﴾** أي: إن قال لكم أهل البيت ارجعوا فارجعوا، ولا تعاودوهم بالاستئذان مرة أخرى **﴿هو﴾**

أَوْ أَبْنَائِهِمْ أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِمْ أَوْ إِخْوَانِهِمْ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِمْ
 أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِمْ أَوْ نِسَائِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ أَوْ
 التَّبَعِينَ غَيْرِ أُولَى الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الطِّفْلِ الَّذِينَ
 لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ
 لِيُعْلَمَ مَا يَخْفَيْنَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ
 الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ
 وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ
 يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَغْفِرِ
 الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ
 وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ
 إِنْ عِلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۚ وَآتُوهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي
 آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ

ويدخل في قوله **﴿أو أبنائهم﴾** أولاد أبنائهم وإن سفلوا، وأولاد بناتهم وإن سفلن، وكذا آباء البعولة وآباء الآباء وآباء الأمهات وإن علوا، وكذلك أبناء البعولة وإن سفلوا، وكذلك أبناء الإخوة والأخوات، والعَمُّ والخالُ كسائر المحارم في جواز النظر إلى ما يجوز لهم، والرضاع كالنسب **﴿أو نسائهم﴾** هن المختصات بهن الملابس لهن بالخدمة أو الصحبة، ويدخل في ذلك الإماء، قيل: ويخرج من ذلك نساء الكفار من أهل الذمة وغيرهم [وعند الحنابلة تنظر الكافرة من المسلمة ما تنظره منها المرأة المسلمة] **﴿أو ما ملكت أيمانهم﴾** يشمل العبيد والإماء مسلمين أو كافرين **﴿أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال﴾** وهم من يتبع أهل البيت [من خادم أو أجير أو خصي أو غنث أو أمق ممن لا حاجة له في النساء] **﴿أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء﴾** يقال: للإنسان طفل ما لم يراهق، ولم يبلغ حد الشهوة للجماع، ولا يلتفت إلى مفاتن المرأة **﴿ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن﴾** أي: لا تضرب المرأة برجلها إذا مشت لسمع صوت خلخالها، قال الزجاج: وسماع هذه الزينة أشد تحريكا للشهوة من إبدائها **﴿وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون﴾** فيه الأمر بالتوبة، ولا خلاف في وجوبها، وأنها فرض من فرائض الدين **﴿لعلكم تفلحون﴾** أي تفوزون بسعادة الدنيا والآخرة.

٣٢ ﴿وأنكحوا الأيما منكم﴾ الأيم: الرجل الذي لا زوجة له، والمرأة التي لا زوج لها، بكرا كانت أو ثيبا، والنكاح سنة من السنن المؤكدة لقوله ﷺ «ومن رغب عن سنتي فليس مني» ولكن مع القدرة عليه وعلى مؤنه **﴿والصالحين من عبادكم﴾** عبيدكم **﴿وإمائكم﴾**

مملوكاتكم، والصالح: هو الإيمان **﴿إن يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله﴾** أي: لا تمتنعوا من تزويج الأحرار بسبب فقر الرجل أو المرأة. فمن تزوج بغنيته الله، يغنيه بغنى النفس [وغنى المال] **﴿والله واسع﴾** ذو سعة لا ينقص من سعة ملكه غنى من يغنيه من عباده **﴿عليم﴾** بمصالح خلقه.

٣٣ ﴿وليستغف الذين لا يجدون نكاحا﴾ أي: ليطلب العفة عن الزنى والحرام من لا يجد تكلفة النكاح من المهر والنفقة أو لم يجد زوجاً مناسباً **﴿حتى**

يغنيهم الله من فضله﴾ أي: يرزقهم رزقا يستغنون به، ويتمكنون بسببه من النكاح **﴿والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم﴾** الكتاب أن يكتب الرجل عبده على مال يؤديه منجما، فإذا أذاه فهو حر **﴿إن علمتم فيهم خيرا﴾** والخير هو القدرة على الأداء **﴿وآتوهم من مال الله الذي آتاكم﴾** بأن يحطوا عنهم بما كوتبوا عليه، وذلك إذا أدوا ما كوتبوا عليه من المال **﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء﴾** المراد بالفتيات هنا: الإماء، والبغاء: الزنى بأجر، وهذا مختص بزنى



تَحْصِنَا لَتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْمُنَّ
فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِمْ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا
إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ
وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ * اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
مِثْلُ نُورِهِ كَمِثْكَوَةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ
الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَرَكَةٍ
زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ
تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ
وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾
فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكِّرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ
لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ
وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ

النساء **﴿إن أردن تحصنا﴾** كانوا يكرهونهم وهم يردن التعفف **﴿لتبتغوا عرض الحياة الدنيا﴾** وهو ما تكسبه الأمة بفرجها باعتبار أن عاداتهم كانت كذلك **﴿ومن يكرههم فإن الله من بعد إكراههم غفور رحيم﴾** لهم، فربما لا تخلو في تضاعيف الزنى عن شائبة مطاوعة بحكم الجبلية البشرية.

٣٤ **﴿ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات﴾** واضحات **﴿ومثلا من الذين خلوا من قبلكم﴾** أي مثلا كأمثال الذين مضوا من القصص العجيبة المضروبة

لهم في الكتب السابقة **﴿وموعظة للمتقين﴾** ينتفع بها المتقون خاصة.

٣٥ **﴿الله نور السماوات والأرض﴾** النور في اللغة: الضياء، وهو الذي يبين الأشياء بانعكاسه عنها ودخوله العيون والله جعل السماوات والأرض منيرتين باستقامة أحوال أهلها، وكمال تدبيره عز وجل لمن فيها **﴿مثل نوره﴾** نوره الفائض عنه، والذي جعله في قلب عبده المؤمن **﴿كمشكاة﴾** وهي: الكوة في الحائط غير النافذة، فهي أجمع للضوء الذي يكون فيها من مصباح أو غيره

﴿فيها مصباح﴾ وهو السراج **﴿المصباح في زجاجة﴾** [أي فهو لذلك أشد إضاءة] **﴿الزجاجة كأنها كوكب دري﴾** أي: يشابه الدر، وقال الضحاك: الكوكب الدرّي: الزهرة **﴿يوقد﴾** المصباح **﴿من﴾** زيت **﴿شجرة مباركة زيتونة﴾** قيل: ومن بركتها أن ثمرتها إدام، ودهان، ودباغ، ووقود، وليس فيها شيء إلا وفيه منفعة **﴿لا شرقية ولا غربية﴾** لا يسترها عن الشمس شيء لافي حال شروقها ولا في حال غروبها **﴿يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسه نار﴾** لصفاته وجودته. عن ابن عباس قال: كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل أن تمسه النار، فإذا مسته النار ازداد ضوءا على ضوءه، كذلك يكون قلب المؤمن يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم، فإذا جاءه العلم ازداد هدى على هدى، ونورا على نور **﴿نور على نور﴾** المصباح نور، والزجاجة نور [وانعكاسه من المشكاة نور] **﴿ويضرب الله الأمثال للناس﴾** أي: يبين الأشياء بأشباها ونظائرها تقريبا لها إلى الأفهام.

٣٦ **﴿في بيوت﴾** وهي المساجد **﴿أذن الله أن ترفع﴾** تبنى [عالية] وتعظم، ويرفع شأنها وتنزه عن الأنجاس والأقذار **﴿ويذكر فيها اسمه﴾** بالأذان والتسبيح وسائر الأذكار. فهي خير بيوت في الأرض **﴿يسبح له فيها بالغدو والآصال﴾** بأوائل النهار وأواخره، وذلك في صلاة الصبح والعصر.

٣٧ **﴿لا تلهيهم تجارة ولا بيع﴾** عن ابن عباس قال: كانوا رجالا يبتغون من فضل الله يشترون ويبيعون، فإذا سمعوا النداء بالصلاة ألقوا ما في أيديهم وقاموا إلى المسجد فصلوا **﴿عن ذكر الله﴾** بأسمائه الحسنى **﴿واقام الصلاة﴾** إقامتها لمواقيتها من غير تأخير **﴿وإيتاء الزكاة﴾** المفروضة.

يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهمُ
 اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ
 مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُم
 كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ
 يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ
 الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ
 مِّن فَوْقِهِ ۚ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ ۚ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ
 بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرَهَا ۚ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ
 لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن
 فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّيْتُ كُلَّ قَدْ عَلِمَ
 صَلَاتَهُ ۚ وَتَسْبِيحَهُ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾
 وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾

﴿يَخَافُونَ يَوْمًا﴾ أي: يوم القيامة ﴿تَتَقَلَّبُ﴾
 فيه القلوب ﴿تكون متقلبة بين الطمع في
 النجاة والخوف من الهلاك، وأما تقلب
 ﴿الأبصار﴾ فهو نظرها من أي ناحية
 يؤخذون، وإلى أي ناحية يصيرون.
 ٣٨ ﴿لِيَجْزِيَهمُ الله أحسن ما عملوا﴾
 حسبما وعدهم من تضعيف ذلك إلى عشرة
 أمثاله، وإلى سبعمائة ضعف ﴿ويزيدهم
 من فضله﴾ بما فوق الجزاء الموعود به.
 ٣٩ ﴿والذين كفروا أعماهم كسراب
 بقية﴾ هي أعمال الخير إن عملوها،
 كالصدقة، والصلة، وعمارة البيت،
 وسقاية الحاج. والسراب: ما يرى في
 المفاوز عند اشتداد حرّ النهار على صورة
 الماء في ظنّ من يراه، والقيعة: جمع قاع،
 وهو الموضع المنخفض الذي يستقرّ فيه
 الماء ﴿حتى إذا جاءه لم يجده شيئا﴾
 وهكذا الكفار يقولون على أعمالهم التي
 يظنونها من الخير ويطمعون في ثوابها،
 فإذا قدموا على الله سبحانه لم يجدوا منها
 شيئا، لأن الكفر أحبطها وعما أثرها
 ﴿ووجد الله عنده فوفاه حسابه﴾ عمل
 الكافر كذلك السراب، إذا أتاه الموت لم
 يجد عمله يغني عنه شيئا، ولا ينفعه إلا
 كما نفع السراب العطشان.

٤٠ ﴿أو كظلمات﴾ ضرب الله مثلا
 آخر لأعمال الكفار، فهي أيضا تشبه
 الظلمات ﴿في بحر لجي﴾ وهو الذي لا
 يدرك لعمقه ﴿يغشاه موج﴾ أي: يعلو
 هذا البحر موج فيستره ويغطيه بالكلية
 ﴿من فوقه موج﴾ أي: من فوق هذا
 الموج موج آخر ﴿من فوقه سحب﴾
 فيجتمع عليهم خوف البحر وأمواجه،
 والسحاب المرتفعة فوقه، لأنها تستر النجوم
 التي يهتدي بها من في البحر ﴿ظلمات
 بعضها فوق بعض﴾ من الجهل والشك
 والحيرة، والرين، والختم، والطبع على
 قلبه ﴿إذا أخرج﴾ المبلى بهذه الظلمات

في البحر ﴿يده لم يكد يراها﴾ لم يرها
 إلا من بعد الجهد ﴿ومن لم يجعل الله له
 نوراً فما له من نور﴾ ومن لم يجعل الله له
 هداية فما له من هداية [وهذه الظلمات
 على قلب الكافر ضد الأنوار التي في قلب
 المؤمن والتي تقدم بيانها في قوله (مثل
 نوره كمشكاة - الآية)].
 ٤١ ﴿ألم تر أن الله يسبح له﴾ التسبيح
 التنزيه لله عن كل ما لا يليق به ﴿من
 في السماوات والأرض﴾ من العقلاء
 وغيرهم، وتسبيح غير العقلاء ما يسمع من
 أصواتها، ويشاهد من أثر الصنعة البديعة
 فيها ﴿والطير صافات﴾ أي: صافات
 لأجنحتها، وهذه الحالة هي أغرب
 أحوالها، فإن استقرارها في الهواء مسبحة
 من دون تحريك لأجنحتها، ولا استقرار
 على الأرض، من أعظم صنع الله الذي
 أتقن كل شيء ﴿كل قد علم صلاته
 وتسبيحه﴾ قد علمها الله ذلك وألمها
 إليه، لا أن صدوره منها على طريقة
 الاتفاق بلا روية.
 ٤٢ ﴿والله ملك السماوات والأرض﴾
 أي: له لا لغيره ﴿وإلى الله المصير﴾ لا
 إلى غيره، والمصير: الرجوع بعد الموت.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَرْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا
فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ
جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ
مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ
اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾
وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى
بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى
أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾
لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ
إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ
وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ
بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ

زائدة في الموضعين، أي: ينزل من السماء
برداً يكون كالجبال **﴿فَيُصِيبُ بِهِ﴾** بما
ينزل من البرد **﴿مَنْ يَشَاءُ﴾** أن يصيبه
من عباده **﴿وَيَصْرِفُهُ عَمَّنْ يَشَاءُ﴾** منهم
﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ أي
يكاد ضوء البرق الذي في السحاب من
شدة بريقه وزيادة لمعانه يخطف
أبصارهم.

٤٤ **﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾** أي:
يعاقب بينها، وقيل: بالحر والبرد **﴿إِنْ فِي
ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ﴾** العبرة الدلالة الواضحة التي
يكون بها الاعتبار **﴿لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾**

٤٣ **﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَرْجِي سَحَابًا﴾**
يسوق السحاب سوقاً رفيقاً إلى حيث
يشاء **﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾** أي: بين أجزائه
فيضم بعضه إلى بعض، ويجمعه بعد
تفرقه ليقوى ويتصل ويكشف **﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ
رُكَامًا﴾** أي: متراكماً يركب بعضه بعضاً
﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾ الودق: المطر **﴿مِنْ
خِلَالِهِ﴾** أي: من داخل السحاب
﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ من جهة العلو
﴿مِنْ جِبَالٍ﴾ من قطع عظام تشبه الجبال
﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ أي: ينزل من تلك القطع
العظام برداً، وقال الأخفش: (من)

كل من له بصر يبصر به فيعقل آيات
الله.

٤٥ **﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ﴾**
الدابة: كل ما دب على الأرض من
الحيوان **﴿مِنْ مَّاءٍ﴾** من نطفة، وهي التي
﴿فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ﴾ وهي
الحيات والحوت والدود ونحو ذلك
﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ﴾ الإنسان
والطير **﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾**
سائر الحيوانات **﴿يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾** مما
ذكره ها هنا، ومما لم يذكره مما يمشي
على أكثر من أربع، كالسرطان
والعناكب وكثير من الحشرات
وكالجمادات، مركبها وبسيطها، ناميا
وغير ناميا.

٤٦ **﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ﴾** وما
فرطنا في الكتاب من شيء **﴿وَاللَّهُ يَهْدِي
مَنْ يَشَاءُ﴾** بتوفيقه للنظر الصحيح
وإرشاده إلى التأمل الصادق **﴿إِلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ﴾** إلى طريق مستوي لا عوج فيه،
فيتوصل بذلك إلى نعيم الجنة.

٤٧ **﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ
وَأَطَعْنَا﴾** يظهرون الإيمان ويبطنون
الكفر، ويقولون بأفواههم ما ليس في
قلوبهم ويلتزمون الطاعة لله ورسوله بمجرد
اللسان، لا عن اعتقاد صحيح **﴿ثُمَّ يَتَوَلَّى
فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾** من هؤلاء المنافقين، فلا
يطيعون رسول الله ﷺ فيما يأمرهم به من
الجهاد وغيره **﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾** أي: من
بعد ما صدر عنهم ما نسبوه إلى أنفسهم
من دعوى الإيمان والطاعة **﴿وَمَا أُولَئِكَ
بِالْمُؤْمِنِينَ﴾** الإشارة بقوله أولئك راجع إلى
من تولى.

٤٨ **﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ
لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾** أي ليحكم الرسول بينهم
﴿وَإِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ عن المحاكمة
إلى الرسول إذا كان الحق عليهم، وذلك
من نفاقهم.

بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ
الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَمْ
أَرْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ
أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا
دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا
وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾
* وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنْ أُمرَّتْهُمْ لِيُخْرِجَنَّ قُلُوبَهُمْ
لَا تُقْسِمُوا طَاعَةً مَّعْرُوفَةً إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلُوبُهُمْ
أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ
وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ
إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ

٤٩ ﴿وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ أي: مظهرين الخضوع لأنهم يعلمون أنه سيحكم لهم.

٥٠ ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ أي: أكان الإعراض منهم عن التحاكم إلى النبي ﷺ بسبب النفاق الكائن في قلوبهم ﴿أَمْ أَرْتَابُوا﴾ وشكوا في أمر نبوته ﷺ وعدله في الحكم ﴿أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ﴾ والحيف: الميل في الحكم ﴿بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ أي: ليس ذلك لشيء مما ذكر، بل لظلمهم وعنادهم. ويجب على كل مسلم إذا دعي الإجابة إلى القاضي العالم بحكم الله، العادل في حكمه، لأن العلماء ورثة الأنبياء، والحكم من قضاة الإسلام العالمين بحكم الله، العارفين بالكتاب والسنة، العادلين في القضاء، هو حكم بحكم الله وحكم رسوله.

٥١ ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ المعنى: أنه ينبغي للمؤمنين أن يكونوا هكذا، بحيث إذا سمعوا الدعاء المذكور قبلوه بالطاعة والإذعان، فهم يقولون سمعنا قول النبي ﷺ وأطعنا أمره، وإن كان ذلك فيما يكرهونه ويضرهم ﴿وَأُولَئِكَ﴾ أي:

المؤمنون الذين قالوا هذا القول ﴿هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون بخير الدنيا والآخرة. ٥٢ ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ بالنعم الدنيوي والأخروي لا من عداهم.

٥٣ ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنْ أُمرَّتْهُمْ﴾ أي: لن أمرتهم بالخروج إلى الجهاد ﴿لِيُخْرِجَنَّ﴾ ومعنى جهد أيمانهم طاقة ما قدروا أن يحلفوا، وكانت مقاتلتهم هذه كاذبة، وأيمانهم فاجرة، فرد الله عليهم، فقال ﴿قُلْ لَا تُقْسِمُوا﴾ أي: لا تحلفوا على ما تزعمونه من الطاعة والخروج

إلى الجهاد إن أمرتم به ﴿طَاعَةً مَّعْرُوفَةً﴾ أي طاعة معروفة أولى بكم من أيمانكم ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من الأعمال، أي فلماذا تقسمون إن كنتم صادقين؟ ٥٤ ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ طاعة ظاهرة وباطنة بخلوص اعتقاد وصحة نية ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ خطاب للمأمورين، أصله فإن تتولوا ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ﴾ أي فاعلموا أنما على النبي ﷺ ما حمل مما أمر به من التبليغ، وقد فعل ﴿وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ﴾ أي: ما أمرتم به من الطاعة ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ﴾ فيما أمركم به

ونهاكم عنه ﴿تَهْتَدُوا﴾ إلى الحق وترشدوا إلى الخير وتفوزوا بالأجر ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ فلا يقدر على حمل قلوبكم على الإيمان، فبادروا إليه بعمل من عندكم]. ٥٥ ﴿لِيُخْرِجَنَّكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ ليجعلهم فيها خلفاء يتصرفون فيها تصرف الملوك في ممالكهم ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من بني إسرائيل وغيرهم ﴿وَلِيُكِنَّ لَهُمْ دِينُ اللَّهِ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾ أي: يجعله الله ثابتاً مقرراً، ويوسع لهم في البلاد، ويظهر دينهم وهو الإسلام



وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لِيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ
 الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلِيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ
 وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي
 شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾
 وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاطِيعُوا الرُّسُولَ لَعَلَّكُمْ
 تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ
 وَمَا لَهُمْ مِنَ النَّارِ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا
 لِيَسْتَفْذِنَكَ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا
 الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ
 تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ
 ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ
 طَوَفُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ

البلاد، ومهد لهم في الأرض ومكنهم
 منها، فله الحمد **﴿يعبدونني لا يشركون
 بي شيئاً﴾** أي: هذا ما يلزمهم فعله لكي
 أوفي لهم بالوعد المذكور **﴿ومن كفر بعد
 ذلك﴾** أي: من كفر هذه النعم بعد
 ذلك الوعد الصحيح **﴿فأولئك﴾** الكافرون
﴿هم الفاسقون﴾ أي: الكاملون في
 الفسق، وهو الخروج عن الطاعة،
 والطفيان في الكفر.

﴿٥٦﴾ لعلكم ترحمون﴾ أي افعلوا ما ذكر
 راجين أن يرحمكم الله سبحانه.

﴿٥٧﴾ لا تحسبن الذين كفروا معجزين

على جميع الأديان، يكون الملك لهم
 ولعقبهم من بعدهم ما داموا على ذلك
﴿وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً﴾ يجعل
 لهم مكان ما كانوا فيه من الخوف من
 الأعداء أمناً، بحيث لا يخشون إلا الله
 سبحانه ولا يرجون غيره. وقد كان
 المسلمون قبل الهجرة وبعدها بقليل في
 خوف شديد من المشركين، لا يخرجون
 إلا في السلاح، ولا يمسون ويصبحون إلا
 على ترقب لنزول المضرة بهم من الكفار.
 ثم صاروا في غاية الأمن والدعة، وأذل
 الله لهم شياطين المشركين، وفتح عليهم

في الأرض﴾ أي: لا تظن أنهم يفوتونني
 إذا أردت أن أوقع بهم العذاب.

**٥٨﴾ يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم
 الذين ملكت أيمانكم﴾** وهم العبيد
 والإماء **﴿والذين لم يبلغوا الحلم منكم﴾**
 وهم الأطفال الذكور والإناث **﴿ثلاث
 مرات﴾** ثلاث أوقات في اليوم والليلة،
 وقيل المراد: ثلاثة استئذانات كلما
 استأذنوا، أي لا يزيد على ثلاث **﴿من
 قبل صلاة الفجر﴾** لأنه وقت القيام عن
 المضاجع، وطرح ثياب النوم، ولبس
 ثياب اليقظة، وربما يبيت عريانا، أو على
 حال لا يحب أن يراه غيره فيها **﴿وحين
 تضعون ثيابكم من الظهيرة﴾** وذلك عند
 انتصاف النهار، فإنهم قد يتجردون عن
 الثياب لأجل القيلولة **﴿ومن بعد صلاة
 العشاء﴾** وذلك لأنه وقت التجرد عن
 الثياب والخلوة بالأهل **﴿ثلاث عورات
 لكم﴾** والعورات: الساعات التي تكون
 فيها العورة، أي هي ثلاث أوقات يختل
 فيها السر. وقد قيل: حكم هذه الآية
 منسوخ، وكان ذلك حين لم يكن للبيوت
 أبواب، فلما صار للناس أبواب زالت
 الحاجة إلى الاستئذان، وقيل: بل حكمها
 ثابت في حق الرجال والنساء، يجب
 عليهم أن يأمرؤا صبيانهم ومماليكهم
 بالاستئذان في تلك الأوقات إذا دخلوا
 عليهم، وليس لهم أن يدخلوا دون إذن
**﴿ليس عليكم ولا عليهم جناح
 بعدهن﴾** أي: إثم في الدخول بغير
 استئذان بعد كل واحدة من هذه
 العورات الثلاث **﴿طوافون عليكم﴾** أي:
 هم خدمكم فلا بأس أن يدخلوا عليكم
 في غير هذه الأوقات بغير إذن **﴿بعضكم
 على بعض﴾** بعضكم يطوف على بعض
﴿كذلك بين الله لكم الآيات﴾ الدالة
 على ما شرعه لكم من الأحكام **﴿والله
 عليم حكيم﴾** كثير العلم بالغ الحكمة.

الْأَيَّتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَعِذُوا كَمَا اسْتَعِذَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْكُمْ مَفَاتِحُهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ

٥٩ ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ﴾

بَيْنَ سَبْحَانِهِ هَاهُنَا حُكْمُ الْأَطْفَالِ الَّذِينَ يَبْلُغُونَ الْحُلُمَ ﴿كَمَا اسْتَعِذَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يَسْتَأْذِنُونَ فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْكِبَارِ الَّذِينَ أَمَرُوا بِالْإِسْتِذَانِ فِي أَوْقَاتِ الْعَوْرَاتِ وَغَيْرِهَا.

٦٠ ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ الْعَجَائِزُ اللَّاتِي قَعْدَنَ عَنِ الْحَيْضِ وَالْوَلَدِ مِنَ الْكِبَرِ ﴿الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾ أَيِ: لَا يَطْمَعْنَ فِيهِ لِكِبَرِهِمْ ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ إِذْ لَا رَغْبَةَ لِلرِّجَالِ فِيهِمْ أَيِ فَتَضَعُ الثِّيَابَ الَّتِي تَكُونُ عَلَى ظَاهِرِ الْبَدَنِ كَالْجُلُبَابِ وَنَحْوِهِ، لَا الثِّيَابَ الَّتِي عَلَى الْعَوْرَةِ ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾ أَيِ غَيْرَ مُظْهِرَاتٍ لِلزَّيْنَةِ الَّتِي أَمَرَهُنَّ بِإِخْفَائِهَا فِي قَوْلِهِ (وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ) وَالْمَعْنَى: مَنْ غَيْرَ أَنْ يَرْدَنَ بَوَاضِعَ الْجُلَابِيبِ إِظْهَارَ زِينَتِهِنَّ، وَلَا مُتَعَرِّضَاتٍ بِالتَّزْيِينِ لِيَنْظُرَ إِلَيْهِنَّ الرِّجَالُ ﴿وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ﴾ أَيِ: وَأَنْ يَتَرَكْنَ وَضْعَ الثِّيَابِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُنَّ مِنْ وَضْعِهَا ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ كَثِيرُ السَّمَاعِ وَالْعِلْمِ بِلَيْفِهَا.

٦١ ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾

قِيلَ: إِنْ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا إِذَا غَزَوْا خَلَفُوا زَمَانَهُمْ — أَيِ أَصْحَابُ الْأَمْرَاضِ الْمَزْمَنَةِ — وَكَانُوا يَدْفَعُونَ إِلَيْهِمْ مَفَاتِيحَ أَبْوَابِهِمْ، وَيَقُولُونَ لَهُمْ: قَدْ أَحْلَلْنَا لَكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِمَّا فِي بُيُوتِنَا، فَكَانُوا يَتَحَرَّجُونَ مِنْ ذَلِكَ، وَقَالُوا لَا نَدْخُلُهَا وَهُمْ غُثِّبَ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ رَخِصَةً لَهُمْ. وَقِيلَ الْمُرَادُ: لَا حَرَجَ عَلَى هَؤُلَاءِ فِي تَأْخِرِهِمْ عَنِ الْغَزْوِ ﴿وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ عَلَيْكُمْ وَعَلَى مَنْ يَمِثْلُكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿أَنْ تَأْكُلُوا﴾ أَنْتُمْ وَمَنْ مَعَكُمْ ﴿مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾ الْبُيُوتِ الَّتِي فِيهَا مُتَاعُهُمْ وَأَهْلُهُمْ، فَيَدْخُلُ بُيُوتَ الْأَوْلَادِ كَذَا قَالَ الْمَفْسُورُونَ: وَبَيْتُ ابْنِ الرَّجُلِ بَيْتُهُ لِحَدِيثِ: «أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَبِيكَ» ﴿أَوْ

بُيُوتِ آبَائِكُمْ﴾ | ذَكَرَ الْأَقْرَابَ الْأَدْنَى، لِأَنَّ الْقَرَابَةَ مِظَنَّةُ الْإِذْنِ [﴿أَوْ مَا مَلَكَتْكُمْ مَفَاتِحُهُ﴾ أَيِ: الْبُيُوتِ الَّتِي تَمْلِكُونَ التَّصَرُّفَ فِيهَا بِإِذْنِ أَرْبَابِهَا، وَذَلِكَ كَالْوَكَلَاءِ وَالْعَبِيدِ وَالْخَزَانِ، فَإِنَّهُمْ يَمْلِكُونَ التَّصَرُّفَ فِي بُيُوتِ مَنْ أَذْنُ لَهُمْ بِدُخُولِ بَيْتِهِ، وَأَعْطَاهُمْ مَفَاتِحَهُ. وَمِثْلُهُ حَارِسُ الْبُسْتَانِ لَهُ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ ثَمَرِهِ، قِيلَ: وَهَذَا إِذَا كَانَ الطَّعَامُ مَبْذُولًا، فَإِنْ كَانَ مُحَرَّرًا دُونَهُمْ لَمْ يَحْزَرْ لَهُمْ أَكْلُهُ ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ فَإِنَّ الصَّدِيقَ فِي الْغَالِبِ يَسْمَحُ لَصَدِيقِهِ بِذَلِكَ، وَتَطْيِيبُ بِهِ نَفْسِهِ

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا﴾ | مِنْ هَذِهِ الْبُيُوتِ الْمَذْكُورَةِ [﴿جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾] مَجْتَمِعِينَ أَوْ مُفْتَرِقِينَ. وَقَدْ كَانَ بَعْضُ الْعَرَبِ يَتَحَرَّجُ أَنْ يَأْكُلَ وَحْدَهُ حَتَّى يَجِدَ لَهُ أَكِيلًا يُوَاكِلُهُ فَيَأْكُلُ مَعَهُ ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا﴾ | أَيِ مِنْ هَذِهِ الْبُيُوتِ الَّتِي تَقْدَمُ ذِكْرُهَا أَوْ غَيْرِهَا [﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾] أَيِ: عَلَى أَهْلِهَا وَمَنْ فِيهَا مِنْ صَنْفِكُمْ. قِيلَ الْمُرَادُ بِالْبُيُوتِ هُنَا: هِيَ كُلُّ الْبُيُوتِ الْمَسْكُونَةِ وَغَيْرِهَا، فَيَسْلِمُ عَلَى أَهْلِ الْمَسْكُونَةِ، وَأَمَّا غَيْرُ الْمَسْكُونَةِ فَيَسْلِمُ عَلَى نَفْسِهِ. عَنْ عُمَرَ وَابْنِ عَبَّاسٍ: إِذَا

يُوتَا فَسَلِمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَرَكَةٌ طَيِّبَةٌ
كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾
إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ء وَإِذَا كَانُوا
مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ ء إِنَّ الَّذِينَ
يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ء فَإِذَا
أَسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذِنَ لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرَ
لَهُمُ اللَّهُ ء إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ
بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ
مِنْكُمْ لِيُؤَاذِنُوا الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ء أَنْ تُصِيبَهُمْ
فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ
فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا ء وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٤﴾

الرأي والتجارب ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ
أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾
تأكيد لما في أول الآية، أي إن
المستأذنين: هم المؤمنون بالله ورسوله
﴿فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾ لبعض
الأمور التي تهمهم ﴿فَأَذِنَ لِمَن شِئْتَ
مِنْهُمْ﴾ وله أن يمنع من شاء، على حسب
ما تقتضيه المصلحة التي يراها ﴿وَاسْتَغْفِرَ
لَهُمُ اللَّهُ﴾ فيه إشارة إلى أن الاستئذان
وإن كان لعذر مسوغ، فلا يخلو عن
شائبة إيثار أمر الدنيا على الآخرة.

٦٣ ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ
كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ أي: لا تجعلوا
نداءه لكم كالدعاء من بعضكم لبعض
في التساهل في بعض الأحوال عن
الإجابة، أو الرجوع بغير استئذان، أو رفع
الصوت. وقيل: قولوا: يا رسول الله، في
رفق ولين، ولا تقولوا: يا محمد، بتجهم،
أمرهم أن يشرفوه ويفخموه. وقيل المعنى:
لا تتعرضوا لدعاء الرسول عليكم
بإسقاطه، فإن دعوته موجبة ﴿قَدْ يَعْلَمُ
اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذَأ﴾ هم
المنافقون فإنهم كانوا يتسللون عن صلاة
الجمعة متلاوذين، ينضم بعضهم إلى
بعض استتارا من رسول الله ﷺ [وكذا
عن الاجتماع لشأن الجهاد أو نحوه]

واللواذ: الزوغان خفية ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ
يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ يخالفون أمر النبي ﷺ
بترك العمل بمقتضاه، ويتسللون ليتجنبوا
العمل بطاعته ﴿أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ
يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ الفتنه: القتل
والزلازل، وقيل: الطبع على قلوبهم.

٦٤ ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ﴾ المخلوقات بأسرها ﴿قَدْ يَعْلَمُ
مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ أيها العباد، من الأحوال،
فيجازيكم بحسب ذلك ﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ
إِلَيْهِ﴾ أي: ويعلم يوم يرجعون إليه،
فيجازيهم فيه بما عملوا.

الجمعة والنحر والفطر والجهاد وأشباه
ذلك ﴿لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ﴾ قال
المفسرون: كان رسول الله ﷺ إذا صعد
المنبر يوم الجمعة، وأراد الرجل أن يخرج
من المسجد لحاجة أو عذر، لم يخرج حتى
يقوم بحيال النبي ﷺ بحيث يراه، فيعرف
أنه إنما قام ليستأذن، فيأذن لمن يشاء
منهم. وكذلك ينبغي أن يكونوا مع الإمام
لا يخالفونه، ولا يرجعون عنه في جمع من
جموعهم إلا بإذنه. وللإمام أن يأذن، وله
ألا يأذن، على ما يرى. وقيل: هو الأمر
الجليل الذي يحتاج إلى اجتماع أهل

دخلت المسجد أو البيت غير المسكون
فقل: السلام علينا وعلى عباد الله
الصالحين ﴿تَحِيَّةٌ﴾ معناه: فحيوا، أي:
تحية ثابتة ﴿مَنْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: إن الله
حياكم بها لما أمركم أن تفعلوها طاعة
له ﴿مُبَارَكَةٌ﴾ أي: كثيرة البركة والخير
دائمها ﴿طَيِّبَةٌ﴾ أي تطيب بها نفس
المستمع ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي لأجل أن يحصل
لكم تعقل آيات الله سبحانه وفهم معانيها.

٦٢ ﴿وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ﴾
أي: على أمر طاعة يجتمعون عليها، نحو

سُورَةُ الْفِرْقَانِ

(٢٥) سُورَةُ الْفِرْقَانِ مَكِّيَّةٌ
وَأَنبَأَهَا سَبْعٌ وَسَبْعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ
نَذِيرًا ﴿١﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ
وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ
فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَأَنَّا نَحْنُ وَإِلَهُهُ لَا يَخْلُقُونَ
شَيْعًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا
وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ
كَفَرُوا إِنَّا هَذَا إِلَّا آفَاكُ أَفْتَرْتَهُ وَآعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ
فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوا أُسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ

١ «تبارك الذي نزل الفرقان» البركة: الكثرة من كل خير، وقال الفراء: إن «تبارك» و «تقدس» في العربية واحد، ومعناها: العظمة. والفرقان: القرآن، يفرق بين الحق والباطل [ويميز الهدى من الضلال والحلال من الحرام. وتنزيله إنزاله مرة بعد مرة، وفي حال بعد حال، منجماً على حسب الحوادث، ليكون البيان به أبلغ، والتأثير به أعظم] **«على عبده»** والمراد بعبده نبينا محمد ﷺ [وصفه بالعبودية تكريماً له وتشريفاً في مقام الامتنان عليه بتنزيل القرآن] **«ليكون للعالمين نذيراً»** أي: ليكون محمد ﷺ منذراً للإنس والجن [عن بعثهم بعد الموت، وحشرهم إلى الله، ليجزيهم بأعمالهم].

٢ **«الذي له ملك السماوات والأرض»** دون غيره، فهو المتصرف فيها، ويفتقر الكل إليه في الوجود والبقاء **«ولم يتخذ ولداً»** فيه رد على النصارى واليهود **«ولم يكن له شريك في الملك»** رد على طوائف المشركين من الوثنية والثنوية وأهل الشرك الحقي **«وخلق كل شيء»** من الموجودات **«فقدرة تقديره»** بحكمته على ما أراد، وهياً لما يصلح له وقدر له تقديراً من الأجل والرزق، فجرت المقادير على ما خلق وقدر.

٣ **«واتخذوا من دونه آلهة»** أي: اتخذ المشركون لأنفسهم آلهة غير الله تعالى **«لا يخلقون شيئاً»** أي: لا يقدر على خلق شيء من الأشياء **«وهم يخلقون»** أي: يخلقهم الله سبحانه **«ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً»** فكيف يملكون ذلك لمن يعبدونهم؟ **«ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً»** أي: لا يقدر على إماتة الأحياء، ولا إحياء الموتى، ولا بعثهم من القبور.

٤ **«وقال الذين كفروا إن هذا إلا آفك افتراه»** أي قالوا: ليس هذا القرآن إلا نوعاً من الكذب اختلقه محمد من عند نفسه **«وآعانه عليه»** أي: على الاختلاق والافتراء **«قوم آخرون»** يعنون بعض اليهود والنصارى **«فقد جاءوا ظلماً وزوراً»** أي: فقد قالوا ظلماً هائلاً عظيماً وكذباً ظاهراً.

٥ **«وقالوا أساطير الأولين»** أي قالوا: إن هذا القرآن أحاديث الأولين وما سطره من الأخبار والخرافات **«اكتبها»** أي: استكتبها من أناس آخرين، أو: كتبها لنفسه **«فهى تلى عليه»** أي: تلقى عليه تلك الأساطير بعد ما اكتتبها ليحفظها من أفواه من يملها عليه، لكونه أمياً لا يقدر على أن يقرأها من ذلك المكتوب بنفسه **«بكرة وأصيل»** غدوة وعشياً، كأنهم قالوا: إن هؤلاء يعلمون محمداً طرفي النهار، وقيل المعنى: دائماً في جميع الأوقات.

٦ **«قل أنزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض»** أي: ليس ذلك مما يفترى أو يُقتل بإعانة قوم وكتابة آخرين من الأحاديث الملفقة وأخبار



اَكْتَتَبَهَا فِيهِ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٦﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ
الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا
رَحِيمًا ﴿٧﴾ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ
وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ
نَذِيرًا ﴿٨﴾ أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ رَجَنَةٌ يَأْكُلُ
مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٩﴾
أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلِ فَضْلُوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ
سَبِيلًا ﴿١٠﴾ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ﴿١١﴾
بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١٢﴾
إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا ﴿١٣﴾
وَإِذَا أَلْقَا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٤﴾

ليتوصلوا بها إلى تكذيبك، والأمثال: هي
الأقوال النادرة، والاقتراحات الغريبة،
وهي ما ذكره ها هنا **«فضلوا»** عن
الصواب **«فلا يستطيعون سبيلا»** إلى
القدح في نبوة هذا النبي الكريم.

١٠ **«تبارك الذي إن شاء جعل لك
خييرا من ذلك»** الذي اقترحوه **«جنان
تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك
قصورا»** القصر: البيت من الحجارة،
وبيت الطين.

١١ **«بل كذبوا بالساعة»** أي بل أتوا
بأعجب من ذلك كله، وهو تكذيبهم
بالساعة، فلماذا لا ينتفعون بالدلائل ولا
يتأملون فيها **«وأعتدنا لمن كذب
بالساعة سعيرا»** أي نارا مشتعلة متسعة
يعذب فيها.

١٢ **«إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا
لها تغيظا وزفيرا»** معنى التغيظ: أن لها
صوتا يدل على التغيظ على الكفار،
والزفير: هو الصوت الذي يسمع من
الجوف عند شدة الحنق.

١٣ **«وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا»**
وصف المكان بالضيق للدلالة على زيادة
الشدة وتناهي البلاء **«مقرنين»** قد قرنت
أيديهم إلى أعناقهم بالجوامع مصفدين
بالحديد، وقيل قرنوا مع الشياطين: أي
قرن كل واحد منهم إلى شيطانه **«دعوا
هنالك»** أي: في ذلك المكان الضيق
«ثبورا» أي: هلاكًا، يتمنون هنالك
الهلاك، لأنفسهم، وينادونه لما حل بهم
من البلاء.

١٤ **«وادعوا ثبورا كثيرا»** أي: لا
تدعوا على أنفسكم بالثبور دعاء واحدا،
وادعوه أدعية كثيرة، فإن ما أنتم فيه من
العذاب أشد من ذلك، لطول مدته،
وعدم تناهيه، والمراد: إقناطهم عن
حصول ما يتمنونه من الهلاك المنجي لهم
مما هم فيه.

عن الطعام والكسب **«لولا أنزل إليه
ملك فيكون معه نذيرا»** طلبوا أن يكون
مصحوبا بملك يعضده ويساعده ويصدقه
ويشهد له بالرسالة.

٨ **«أو يلقى إليه كنز»** اقترحوا أن يكون
معه كنز يلقى إليه من السماء، ليستغني به
عن طلب الرزق **«أو تكون له جنة
ياكل منها»** أي: بستان يأكل منه
ليكون له بذلك مزية علينا **«وقال
الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا»**
مغلوبا على عقله بالسحر.

٩ **«انظر كيف ضربوا لك الأمثال»**

الأولين، بل هو أمر سماوي أنزله الذي
يعلم كل شيء، لا يغيب عنه شيء من
لأشياء، فلماذا عجزتم عن معارضته، ولم
تأتوا بسورة من مثله **«إنه كان غفورا
رحيما»** لا يعجل عليكم بالعقوبة، لأنه
كثير المغفرة والرحمة.

٧ **«وقالوا ما لهذا الرسول»** سموه رسولا
استهزاء وسخرية **«ياكل الطعام ويمشي
في الأسواق»** أي: ما باله يأكل الطعام
كما نأكل، ويتردد في الأسواق لطلب
المعاش كما نتردد؟ زعموا أنه إن كان
رسولا حقًا يجب أن يكون ملكا مستغنيا

١٥ ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ﴾ أي أهلك الحال المذكورة، في السعير الدائم عذابها، خير، أم جنة الخلد الدائم نعيمها لا انقطاع له.

١٦ ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾ من النعيم وضروب الملاذ **﴿كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا﴾** يسألونه الوفاء به وهو مجيبهم إليه.

١٧ ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ من الأصنام والأوثان والملائكة والجن والسيح وعزير، وقيل: المراد الأصنام خاصة **﴿فَيَقُولُ أَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾** أكان ضلالهم بدعوتكم لهم إلى عبادتكم، أم هم ضلوا عن سبيل الحق بأنفسهم إذ عبدوكم.

١٨ ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾ للتعجب مما قيل لهم لكونهم ملائكة أو أنبياء مكرمين، أو جمادات لا تعقل **﴿مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾** أي: ما صح ولا استقام لنا أن نتخذ من دونك أولياء فنعبدهم، فكيف ندعو عبادك إلى أن يعبدونا، ويتركوا عبادتك، مع كوننا لا نعبد غيرك **﴿وَلَكِنْ مَتَّعْتُمْ آبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ﴾** أي: ولكنك يا رب متعتهم ومتعت آباءهم بالنعم، ووسعت عليهم الرزق، وأطلت لهم العمر، حتى غفلوا عن ذكرك، ونسوا موعظتك، والتدبر لكتابك، والنظر في عجائب صنعك، وغرائب مخلوقاتك **﴿وَكَانُوا قَوْمًا بَوْرًا﴾** أي: باثرين، والمعنى: أنهم صاروا بنسيانهم لذكرك هالكين.

١٩ ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ﴾ فقال الله عند تبري المعبودين مخاطبا للمشركين العابدين لغير الله: ها قد كذبكم المعبودون في قولكم إنهم آلهة **﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا﴾** أي: فما يستطيع هؤلاء الكفار لما كذبهم المعبودون صرفا

لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا **﴿١٥﴾** قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءٌ وَمَصِيرًا **﴿١٦﴾** لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا **﴿١٧﴾** وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ **﴿١٨﴾** قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتُمْ وَأَبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا **﴿١٩﴾** فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمِ مَنكُم نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا **﴿٢٠﴾** وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَبَاءَكُلُونِ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا **﴿٢١﴾**

أسلم بعده، فيكون له علي السابعة والفضل، فيقيم على كفره **﴿أَتَصْبِرُونَ﴾** على الحق على ما ترون من هذه الحال الشديدة والابتلاء العظيم **﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾** أي بكل من يصبر ومن لا يصبر.

٢١ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ لا يأملون لقاء ما وعدنا على الطاعة من الشواب **﴿لَوْلَا أَنْزَلْ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةَ﴾** فيخبرونا أن محمدا صادق، أو: هلا أنزلوا علينا رسلا يرسلهم الله **﴿أَوْ نَرَى رَبَّنَا﴾** عيانا، فيخبرنا بأن محمدا رسول من عنده **﴿لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾**

للعذاب الذي عذبهم الله به **﴿وَلَا نَصْرًا﴾** ولا يجدون أحدا ينصرهم من عذاب الله.

٢٠ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَبَاءَكُلُونِ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ أي: لأنهم بشر لا يستغنون عن حاجاتهم البشرية، أي: فكذلك أنت يا محمد، فليس ذلك مانعا من أن تكون رسولا من عند الله، فلماذا يقولون: ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق **﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾** كان إذا أراد الشريف أن يسلم، ورأى الوضع قد أسلم قبله أئف، وقال: لا



* وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَيِّكَةُ
أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوً
كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَيِّكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ
وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ
فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ
مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ وَيَوْمَ تَشَقُّ السَّمَاءُ بِالسَّعْمِ
وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا ﴿٢٥﴾ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ
وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ
عَنْ يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيِّنَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾
يَوَيْلَ لِي لَيْتَنِي لَمْ أَخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي
عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ
خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا

وإغاثة الملهوف، وإطعام الطعام وأمثالها،
إلا أن الله سبحانه أحبط أعمالهم بسبب
كفرهم وشركهم حتى صارت بمنزلة الهباء
المنثور.

٢٤ ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ

مُسْتَقَرًّا﴾ أي: أفضل منزلا في الجنة

﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ القيلولة عند العرب:

الاستراحة نصف النهار إذا اشتد الحر،
وإن لم يكن مع ذلك نوم، والمراد: مكان
اضطجاعهم في الجنان.

٢٥ ﴿وَيَوْمَ تَشَقُّ السَّمَاءُ بِالسَّعْمِ﴾ يوم

القيامة تشقق السماء وعليها غمام، وقيل

إنها تشقق لنزول الملائكة ﴿وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ

تَنْزِيلًا﴾ أنزل جماعة منهم بعد جماعة.

٢٦ ﴿وَالْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾ وأما

في أيام الدنيا فلفيره مُلْكٌ في الصورة وإن

لم يكن حقيقيا ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى

الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ لما يصابون به فيه من

العقاب بعد تحقيق الحساب، وأما على

المؤمنين فهو يسير غير عسير، لما ينالهم فيه

من الكرامة والبشرى العظيمة.

٢٧ ﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾

غيطا وحسرة وندما ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي

أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ وهو طريق

الحق، أي ليتني مشيت فيه حتى أخلص

من هذه الأمور المضلة. والمراد اتباع النبي

ﷺ فيما جاء به.

٢٨ ﴿يَا وَيْلَ لِي لَيْتَنِي لَمْ أَخِذْ فَلَانًا

خَلِيلًا﴾ دعاء على نفسه بالويل والثبور

على مخاللة الكافر الذي أضله في الدنيا.

٢٩ ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ

جَاءَنِي﴾ لقد أضلني هذا الذي اتخذته

خليلا عن القرآن، بعد أن جاءني،

وتمكنت من الإيمان به، وقدرت عليه

﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾

سمى خليله شيطانا بعد أن جعله مضلا،

أو أراد بالشيطان إبليس لكونه الذي حمله

على مخاللة المضلين.

الحشر ﴿لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾

فأعلم سبحانه بأن الوقت الذي يرون فيه

الملائكة، وهو وقت الموت، أو يوم القيامة

قد حرمهم الله فيه البشرى ﴿وَيَقُولُونَ

حِجْرًا مَحْجُورًا﴾ وهذه كلمة كانوا

يتكلمون بها عند لقاء عدو أو هجوم نازلة

يستعيذون بها منه [أي: فما يطلبون رؤية

الملائكة إلا استعجالا لعذاب أنفسهم لو

كانوا يعلمون].

٢٣ ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ

فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ كانوا يعملون

أعمالا لها صورة الخير: من صلة الرحم،

واعتوا عتوا كبيرا﴾ أي: أضمروا

الاستكبار عن الحق والعدا في قلوبهم،

فإنهم لم يكتفوا بإرسال البشر حتى طلبوا

إرسال الملائكة إليهم، بل جاوزوا ذلك

إلى التخيير بينه وبين مخاطبة الله

سبحانه، ورؤيته في الدنيا، من دون أن

يكون بينهم وبينه ترجمان.

٢٢ ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ﴾ أي إنهم

سوف يرون الملائكة، لكنها رؤية ليست

على الوجه الذي طلبوه، والصورة التي

اقترحوها، بل على وجه آخر، وهو يوم

ظهور الملائكة لهم عند الموت، أو عند

الْقُرْآنَ أَن مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ۖ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ۖ كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايَتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرِّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ

٣٠ ﴿اتخذوا هذا القرآن مهجورا﴾

متروكا لم يؤمنوا به، ولا قبلوه بوجه من الوجوه. وقيل المعنى: أنهم اتخذوه لهجرا وهديانا.

٣١ ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا

من المجرمين﴾ من مجرمي قومه، أي: فلا تجزع يا محمد فإن هذا دأب الأنبياء قبلك، واصبر كما صبروا ﴿وكفى بربك هاديا ونصيرا﴾ يهدي عباده إلى مصالح الدين والدنيا، وينصرهم على الأعداء، أي فكذلك سوف يصنع الله لك.

٣٢ ﴿كذلك لنثبت به فؤادك﴾ أي

نزلنا القرآن كذلك مفرقا منجها بحسب الحوادث، لنقوي بهذا التنزيل — على هذه الصفة — فؤادك، فإن إنزاله مفرقا منجها على حسب الحوادث أقرب [إلى أن يقوى قلبك في كل أمر يحدث، مما قد يجابهونك به من المكاييد وأساليب المكر، فلا تتردد ولا تتراجع] وهو أقرب إلى حفظك له وفهمك لمعانيه، لأنهم لا يسألونك عن شيء إلا أجيبوا عنه ﴿ورتلناه ترتيلا﴾ آية بعد آية وبعضه في إثر بعض، محققا مبينا.

٣٣ ﴿ولا يأتونك بمثل إلا جئناك

بالحق﴾ أي: لا يأتيك المشركون يا محمد بمثل من أمثالهم التي من جللتها اقتراحاتهم المعنية، إلا جئناك في مقابلة مثلهم بالجواب الحق الثابت الذي يبطل ما جاءوا به من المثل، ويدمغه ويدفعه ﴿وأحسن تفسيرا﴾ أحسن إيضاحا لمشكل ما جاءوك به.

٣٤ ﴿أولئك شر مكانا﴾ أي: منزلا

ومصيرا ﴿وأضل سبيلا﴾ ذم لهم لدعواهم على رسول الله — الضلال.

٣٥ ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾

التوراة ﴿وزيرا﴾ معينا وناصرا ومشيئا لأخيه، مع كونه نبيا أيضا.

٣٦ ﴿فقلنا اذهبا إلى القوم الذين

كذبوا بآياتنا﴾ وهم فرعون وقومه.

والآيات: هي التسع التي تقدم ذكرها، وإن لم يكونوا قد كذبوا بها عند أمر الله لموسى وهارون بالذهاب، بل كان التكذيب بعد ذلك، فالمراد: إلى القوم الذين آل حالهم إلى أن كذبوا ﴿فدمرناهم تدميرا﴾ أي: فذهبا إليهم فكذبوها فدمرناهم، أي: أهلكناهم إثر ذلك التكذيب إهلاكا عظيما.

٣٧ ﴿وقوم نوح لما كذبوا الرسل

أغرقناهم﴾ كذبوا نوحا وكذبوا من قبله من رسل الله. ومن كذب نبيا فقد

كذب جميع الأنبياء. وكان إغراقهم بالطوفان كما تقدم في سورة هود ﴿وجعلناهم للناس آية﴾ أي جعلنا إغراقهم، أو قصتهم عبرة لكل الناس ﴿وأعتدنا للظالمين﴾ قوم نوح وكل من سلك مسلكهم في التكذيب.

٣٨ ﴿وأصحاب الرس﴾ الرس في كلام

العرب: البئر التي تكون غير مطوية.

قيل: هي بئر بأنطاكية، قتلوا فيها حبيبا

النجار، فنسبوا إليها ﴿وقرونا بين ذلك

كثيرا﴾ أي: أخرى بين تلك الأمم.

٣٩ ﴿وكلا ضربنا له الأمثال﴾

الْأَمْثَلُ وَكُلًّا تَبَرْنَا نَبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا عَلَى الْقَرْيَةِ
الَّتِي أَمْطَرَتْ مَطَرَ السَّوَاءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا
لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِذَا يَخْذُونَكَ إِلَّا هُزُوعًا
أَهْذًا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ
ءَالِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ
الْعَذَابَ مَنْ أَضَلَّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهَهُ
هُوَ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ
أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَمِ بَلْ
هُمْ أَضَلَّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ
شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾
ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
الَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ

٤٣ ﴿أَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ أطاع
هواه طاعة كطاعة الإله، لا يهوى شيئاً
إلا اتبعه ﴿أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾
حفيظاً وكفيلاً حتى تدره إلى الإيمان
وتخرجه من الكفر، ولست تقدر على ذلك
ولا تطيقه، وإنما عليك البلاغ.

٤٤ ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾ كالبهائم
التي هي مسلووبة الفهم والعقل، فلا
تطمع فيهم ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ أي:
أضل من الأنعام طريقاً: فالبهائم تعرف
ربها، وتهتدي إلى مراعيها، وتنقاد
لأربابها، وهؤلاء لا ينقادون، ولا يعرفون
ربهم الذي خلقهم ورزقهم، ولأن البهائم
إذا لم تعقل صحة التوحيد والنبوة لم تعتقد
بطلان ذلك، بخلاف هؤلاء، فإنهم
اعتقدوا البطلان، عنادا ومكابرة وتعصبا
وغمطا للحق.

٤٥ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾
ألم تبصر إلى صنع ربك في الظل كيف
مدّه من وقت الإسفار إلى طلوع الشمس،
وهو ظل لا شمس معه، ثم تطلع، فتكون
ظلال الأشياء الشاخصة طويلة ممتدة إلى
جهة الغرب ﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾
بسكون الشمس ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ
عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ علامة يستدل بأحوالها على
أحواله، وذلك لأن الظل يزيد بها
وينقص، ويمتد ويتقلص.

٤٦ ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا﴾ إذا طلعت
الشمس صار الظل مقبوضاً وخلفه في الجو
شعاع الشمس ﴿قَبْضًا يَسِيرًا﴾ على
تدرج، قليلاً قليلاً بقدر ارتفاع الشمس.
٤٧ ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ
لِبَاسًا﴾ يستر الأشياء ويغشاها ﴿وَالنَّوْمَ
سُبَاتًا﴾ راحة لكم، لأنكم تنقطعون عن
الاشتغال، وليكمل الإجمام والراحة
﴿وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ شبه اليقظة
بالحياة، كما شبه النوم بالسبات الشبيه
بالمات.

خوفناهم وقصصنا عليهم أخبار المكذبين
﴿وَكُلًّا تَبَرْنَا نَبِيرًا﴾ دمرناهم تدميراً.
٤٠ ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي
أَمْطَرَتْ مَطَرَ السَّوَاءِ﴾ المعنى: ولقد أنزلنا
أي مشركو مكة، على قرية قوم لوط التي
هلكت بالحجارة التي أمطروا بها ﴿أَفَلَمْ
يَكُونُوا يَرَوْنَهَا﴾ عند سفرهم إلى الشام
للتجارة، فإنهم يرون بها ﴿بَلْ كَانُوا لَا
يَرْجُونَ نُشُورًا﴾ أي الحق أنهم لا يخافون
البعث للجزاء، فذلك هو السبب في عدم
اتعاظهم.
٤١ ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِذَا يَخْذُونَكَ إِلَّا هُزُوعًا﴾
أي بدل الإيمان بك والتفكير فيما جنتهم به
ينصرفون إلى السخرية قائلين ﴿أَهَذَا
الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾.
٤٢ ﴿إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ آهَتِنَا﴾ أي:
إنه قد كاد أن يصرفنا عن آهتنا فترك
عبادتها ﴿لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ أي:
حبسنا أنفسنا على عبادتها، ولم نُطِغْ في
اجتنابها ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ
الْعَذَابَ﴾ الذي يستحقونه ويستوجبونه
بسبب كفرهم ﴿مَنْ﴾ هو ﴿أَضَلَّ
سَبِيلًا﴾ أي: أبعد طريقاً عن الحق
والهدى، أهم أم المؤمنون؟

٤١ ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِذَا يَخْذُونَكَ إِلَّا هُزُوعًا﴾

٤٨ ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾

الطهور الطاهر المطهر. لا يأتي ماء السماء على شيء متنجس أو قذر إلا طهره.

٤٩ ﴿لِنُحْيِيَ بِهِ﴾ أي: بالماء المنزل من

السماء ﴿بِلَدَّةٍ مِّمَّنَا﴾ بإخراج النبات من

المكان الذي لا نبات فيه ﴿وَنُسْقِيَهُ مِمَّا

خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْعَامِي كَثِيرًا﴾ أي نسقي

ذلك الماء. والأناسي: جمع إنسان، مثل

سرحان وسراحين، فجعلوا الباء عوضا من

النون.

٥٠ ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَكَّرُوا﴾

كررنا ذكر أحوال الإِظلال، وذكر إنشاء

السحاب، وذكر إنزال المطر في القرآن،

وفي سائر الكتب السماوية، ليتفكروا

ويعتبروا. وقيل المعنى: صرفنا المطر بينهم

في البلدان المختلفة، فتزيد منه في بعض

البلدان، وننقص في بعض آخر منها،

ليذكروا به ويعتبروا ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ

النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ كفران النعمة

جحدوها. رفضوا الاعتراف بنعمة الله

عليهم في إنزال المطر فلم يحمدوا الله

عليه، ولكن نسبوه إلى الأنداد أو الأنواء،

فقالوا مطرنا بنوء كذا، ولم يقولوا مطرنا

بفضل الله ورحمته.

٥١ ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ

نَذِيرًا﴾ أي: رسولا ينذرهم، كما قسمنا

المطر بينهم، ولكننا لم نفعل ذلك، بل

جعلنا نذيرا واحدا، وهو أنت يا محمد.

٥٢ ﴿فَلَا تَطْعُ الْكَافِرِينَ﴾ بل اجتهد في

الدعوة واثبت فيها ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا

كَبِيرًا﴾ أي: جاهدهم بالقرآن، واتل

عليهم ما فيه.

٥٣ ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾

أرسلهما وأفاض أحدهما إلى الآخر ﴿هَذَا

عَذَابُ فِرَاتٍ﴾ الفرات الماء الشديد

العذوبة ﴿وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٍ﴾ أي بليغ

الملوحة ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ البرزخ

الحاجز والحائل الذي جعله الله بينهما من

الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۚ وَأَنْزَلْنَا مِنَ

السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مِّمَّنَّا وَنُسْقِيَهُ

مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْعَامِي كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ

بَيْنَهُمْ لِيَذَكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ

شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تَطْعُ الْكَافِرِينَ

وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ * وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ

الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ

بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَجِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ

الْمَاءِ بَشَرًا لِّجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ۖ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾

وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۚ وَكَانَ

الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا

وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَا شَاءَ



وصهرا [النسب الولادة وما نشأ عنها

من علاقة الأبوة، والأمومة، والجدودة،

والبنوة، والأخوة، والعمومة، والختولة،

وأولادهم. والصهر العلاقة الناشئة من

الزواج بين الزوج وأهل زوجته، وبين

المرأة وأهل زوجها، وبين أهله وأهلها].

فقرابة الزوجة هم الأختان، وقربة الزوج

هم الأعمام، وعلاقة الأصهار تعمهما

﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ ومن جملة قدرته

الباهرة خلق الإنسان وتقسيمه إلى

القسمين المذكورين.

قدرته، يفصل بينها ومنعها التمازج

﴿وَجِجْرًا مَحْجُورًا﴾ سترًا مستورا يمنع

أحدهما من الاختلاط بالآخر، فلا يعذب

هذا المالح بالعذب، أو يملح هذا العذب

بالمالح [ولعل المراد أنه يخلطهما في مكان

التقائهما عند مصبات الأنهار مثلا، ومع

ذلك لا يطفئ المالح على العذب بحيث

يبطله، ولا العذب على المالح، ويبقى

النوعان موجودين على حالهما بتقدير الله

تعالى، لحاجة البشر إليهما جميعا].

٥٤ ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا﴾

خلق من ماء النطفة إنسانا ﴿فَجَعَلَهُ نَسَبًا

٥٥ ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا



أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ ۚ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَلِّ بِهِ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۚ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾

الرحمن إلا رحمان اليمامة، يعنون مسيلمة، فلما سمعوه أنكروا، فقالوا وما الرحمن **﴿أنسجد لما تأمرنا﴾** للرحمن الذي تأمرنا بالسجود له **﴿وزادهم نفورا﴾** أي: زادهم الأمر بالسجود نفورا عن الدين وبعدا عنه.

٦١ ﴿تبارك الذي جعل في السماء بروجا﴾ المراد بالبروج: بروج النجوم، أي منازلها الاثنا عشر. وسميت بروجا، وهي القصور العالية، لأنها للكواكب كالمنازل الرفيعة لمن يسكنها **﴿وجعل فيها سراجا﴾** أي شمساً متقدة **﴿وقرأ منيراً﴾** ينير الأرض إذا طلع، لكنه غير متقد.

٦٢ ﴿وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة﴾ أحدهما يخلف الآخر ويأتي بعده، ثم يذهب هذا ويحيى هذا، يتعاقبان في الإضاءة والظلام، والزيادة والنقصان **﴿لمن أراد أن يذكر﴾** معنى الآية أن المتذكر المعتبر إذا نظر في اختلاف الليل والنهار يعلم أنه لا بد في انتقالها من حال إلى حال من ناقل **﴿أو أراد شكورا﴾** أي: أراد أن يشكر الله على ما أودعه في الليل والنهار من النعم العظيمة والألطف الكثيرة.

٦٣ ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا﴾ الهون: السكينة والوقار دون تكبر **﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾** يتحملون ما يرد عليهم من أذى أهل الجهل والسفه، فلا يجهلون مع من يجهل، ويقولون **﴿سلاما﴾** وليس هو سلام التحية، ولكن سلام المたركة، لا خير فيها ولا شر.

٦٤ ﴿والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما﴾ أي: إنهم يقضون ليلهم سجدا على وجوههم، وقياما على أقدامهم، في الصلاة والتهجد.

٦٥ ﴿والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما﴾ الغرام اللازم الدائم.

سبحانه **﴿وسبح بحمده﴾** أي: نزهه عن صفات النقصان **﴿وكفى به بذنوب عباده خبيرا﴾** الخبير المطلع على الأمور، لا يخفى عليه منها شيء.

٥٩ ﴿ثم استوى على العرش﴾ علا عليه وارتفع **﴿فأسأل به خبيرا﴾** أي: هو الرحمن، فأسأل الله الخبير عن تفاصيل ما أجهلناه لك في هذه الآيات، من خلق السماوات والأرض والاستواء على العرش.

٦٠ ﴿وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن﴾ قالوا: ما نعرف

بنفعهم **﴿إن عبدوه﴾** ولا يضرهم **﴿إن تركوه﴾** وكان الكافر على ربه ظهيرا **﴿يتابع الشيطان ويعاونه على معصية الله﴾**.

٥٧ ﴿قل ما أسألكم عليه من أجر﴾ أي: قل لهم يا محمد: ما أسألكم على القرآن من أجر، أو على تبليغ الرسالة **﴿إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا﴾** أي: لكن من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا فليفعل.

٥٨ ﴿وتوكل على الحي الذي لا يموت﴾ الحي هو الذي يوثق به في المصالح، ولا حياة على الدوام إلا الله

إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ
يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَالَّذِينَ
لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي
حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ
أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ
مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا
فَأُولَئِكَ يَبْدِلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا
رَحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ
مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ
مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا
عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ
أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾

٦٦ ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ أي: بشس المستقر النار، وبشس مكان الإقامة هي، ونعوذ بالله.

٦٧ ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يَسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ الإسراف: الخروج عن الحد بكثرة الإنفاق، إحتى ولو كان ما أنفق فيه حلالاً. والإقتار: التضييق في الإنفاق ﴿وَوَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ القوام هو الإنفاق باعتدال. وهو الذي لا يجمع ولا يعري، ولا ينفق نفقة يقول الناس قد أسرف [بل ينفق نفقة معتدلة، ويوسع إن وسع الله عليه، ويبذل ويتصدق، ولكن يذخر لوقت الحاجة].

٦٨ ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ لا يصرفون الدعاء لغير الله، فيتخذوه ربا من الأرباب. عن ابن عباس: أن ناسا من أهل الشرك قد قتلوا فأكثروا، وزنوا فأكثروا، ثم أتوا محمدا ﷺ فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه حسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة، فنزلت: (والذين لا يدعون... الآية) ﴿وَالَّذِينَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾ أي حرم قتلها ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أي: بما يحق أن تقتل به النفوس وهي: كفر بعد إيمان، أو زنى بعد إحصان، أو قتل نفس بغير نفس ﴿وَالَّذِينَ يَزْنُونَ﴾ لا يستحلون الفروج المحرمة بغير زواج، ولا ملك يمين ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ أي: شيئا مما ذكر ﴿يَلْقَ فِي الْآخِرَةِ أَثَامًا﴾ والأثم العقاب.

٦٩ ﴿وَيُخْلَدُ فِيهِ﴾ أي: يخلد في العذاب المضاعف ﴿مُهَانًا﴾ ذليلا حقيرا.

٧٠ ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ أي: فهذا لا يكون عليه عذاب

﴿فَأُولَئِكَ يَبْدِلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ يحو عنهم المعاصي ويثبت لهم مكانها طاعات [بحسن طاعتهم وإنابتهم إلى الله وما يعملون من صالح الأعمال]. عن ابن عباس قال: هم المؤمنون: كانوا من

التوبة بفعله، فليست تلك التوبة نافعة، بل من تاب وعمل صالحا، فحقق توبته بالأعمال الصالحة، فهو الذي تاب إلى الله حق التوبة، وهي النصوح.

٧٢ ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ أي لا يشهدون الشهادة الكاذبة، أو لا يحضرون الزور، ولا يشاهدونه، والزور هو الكذب والباطل، ولا كذب فوق الشرك بالله فهو أعظم الزور [ومن الزور حضور المحافل المبتدعة، فإنها كذب على دين الله، ليست من دينه] ﴿وإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ أي: معرضين عنه، واللغو

قبل إيمانهم على السيئات، فرغب الله بهم عن ذلك، فحوهم إلى الحسنات، فأبدلهم مكان السيئات الحسنات. والتبديل في الدنيا: يبدل الله لهم إيمانا مكان الشرك، وإخلاصا من الشك، وإحصانا من الفجور. أي: ويوفقهم لصالح العمل مع حسن التوبة.

٧١ ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ أي: من تاب عما اقترف، وعمل عملا صالحا بعد ذلك، فإنه يرجع إلى الله رجوعا صحيحا قويا. وقيل المعنى: من تاب بلسانه، ولم يحقق

تحبيهم وتسلم عليهم، وتدعو لهم بالسلامة من الآفات.

٧٦ ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ مقيمين فيها من غير موت ﴿حَسَنَتْ مَسَاقِرُهُمْ وَمَقَامُهُمْ﴾ أي: حسنت الغرفة مستقرا يستقرون فيه، ومقاما يقيمون به، وهذا في مقابل ما تقدم من قوله: ساءت مستقرا ومقاما.

٧٧ ﴿قُلْ مَا يَعْذِبُكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ بين سبحانه أنه غني عن طاعة الكل. أي: أي مبالاة بيالي بكم، لولا أنكم تدعونني وتعبدونني ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ بالتوحيد ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ أي فسوف يكون جزاء التكذيب لازما لكم. والمراد: ما لزم المشركين يوم بدر، وقيل: هو عذاب الآخرة.

سُورَةُ الشَّجَرَةِ

٢ الإشارة بقوله ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ إلى آيات هذه السورة، والكتاب: القرآن البين الظاهرة معانيه.

٣ ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسًا﴾ أي: قاتل نفسك ومهلكها ﴿أَلَا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ أي: تأسفا وحزنا على عدم إيمان قومك بما جئت به، وفي هذا تسلية لرسول الله ﷺ لأنه كان حريصا على إيمان قومه، شديد الأسف لما يراه من إعراضهم.

٤ ﴿إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ﴾ أي: معجزة تلجثهم إلى الإيمان ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ أي: فيصيروا منقادين لها بالكره منهم.

٥ ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحدثٌ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ بين سبحانه أنه يأتيهم بالقرآن حالا بعد حال [ونجما بعد نجم، موعظة لهم وتذكيرا، ليؤمنوا عن تبصر وتعقل لا عن إكراه وإلجاء، فكل نجم من القرآن يكون حديث عهد بمثله، وهو الله تعالى].

أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا نَجْوَةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا حَسَنَتْ مَسَاقِرُهُمْ وَمَقَامُهُمْ ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْذِبُكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾

(٢٦) سُورَةُ الشَّجَرَةِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّانَهَا سِتُّعَ وَعَشْرُونَ وَمِائَتَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَمَ ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسًا أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحدثٌ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ

دليل الحزن والغم ﴿وَجَعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ أي: قدوة يقتدى بنا في الخير. وفي هذه الآية دلالة على أن الرئاسة الدينية مما يجب أن تطلب ويرغب فيها [لا للفخر بها، ولكن لعظم النفع بها في الناس، ولتحصيل أجرها العظيم].

٧٥ ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ﴾ الغرفة: الدرجة الرفيعة، وهي أعلى منازل الجنة وأفضلها ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ بسبب صبرهم على مشاق التكليف ﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا نَجْوَةً وَسَلَامًا﴾ يحييي بعضهم بعضا، ويرسل إليهم الرب سبحانه بالسلام، والملائكة

كل ساقط من قول أو فعل. أي: يتنزه ويكرم نفسه عن الدخول في اللغو، والاختلاط بأهله.

٧٣ ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ أي: بالقرآن، أو بما فيه موعظة وعبرة ﴿لَمْ يَخْرُجُوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ ولكنهم أكبوا عليها، سامعين مبصرين، وانتفعوا بها.

٧٤ ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [أي اجعلهم لنا موضع سرور بتوفيقنا وإياهم لطاعتك]. وقرة العين برد دمعها، لأنه دليل السرور والضحك، كما أن حره



مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَاتِهِمْ أَنْبَتُوا مَا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا
مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾
وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ أَنْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾
قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ
يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسَلْ
إِلَى هَارُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾
قَالَ كَلَّا فَادْهَبَا بِأَيْتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأَتِيَا
فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسَلْ
مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ
فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ

٦ ﴿فقد كذبوا﴾ أي بالذكر الذي يأتيهم، تكذبا صريحا، ولم يكتفوا بمجرد الإعراض. ثم انتقلوا عن التكذيب إلى ما هو أشد منه، وهو الاستهزاء كما يدل عليه قوله ﴿فسياتهم أنباء ما كانوا به يستهزئون﴾ والأنباء: هي ما يستحقونه من العقوبة آجلا وعاجلا، جزاء استهزائهم.

٧ ﴿من كل زوج كريم﴾ أي: من كل صنف نافع لا يقدر على إنباته إلا رب العالمين.

٨ ﴿إن في ذلك لآية﴾ أي: إن فيما ذكر من الإنبيات في الأرض لدلالة بينة على كمال قدرة الله سبحانه، وبديع صنعته

٩ ﴿وما كان أكثرهم مؤمناً﴾ أي سبق علمي فيهم أنهم سيكونون هكذا.

٩ ﴿وإن ربك هو العزيز الرحيم﴾ أي: الغالب القاهر لهؤلاء، بالانتقام منهم، مع كونه كثير الرحمة، ولذلك أمهلهم ولم يعاجلهم بالعقوبة.

١٠ ﴿وإذ نادى ربك موسى أن أنت القوم الظالمين﴾ جمعوا بين الكفر الذي ظلموا به أنفسهم، وبين المعاصي التي ظلموا بها غيرهم، كاستعباد بني إسرائيل، وذبح أبنائهم.

١١ ﴿ألا يتقون﴾ ألا يخافون عقاب الله سبحانه.

١٢ ﴿قال رب إنني أخاف أن يكذبون﴾ أي: أخاف أن يكذبوني في الرسالة.

١٣ ﴿ويضيق صدري﴾ غمًا لتكذيبهم إياي ﴿ولا ينطلق لساني﴾ بتأدية الرسالة [وكان في لسان موسى حُبسة] ﴿فأرسل إلى هارون﴾ أي: أرسل إليه جبريل بالوحي ليكون معي رسولا موازرا معاونا.

١٤ ﴿ولهم عليّ ذنب فأخاف أن يقتلوني﴾ الذنب هو قتله للقبطي، فخاف موسى أن يقتلوه به، والخوف قد يحصل من الأنبياء فضلا عن الفضلاء.

١٥ ﴿قال كلا فاذهبا بآياتنا﴾ وفي ضمن هذا الجواب إجابة موسى إلى ما طلبه من ضم أخيه إليه. أي: فاذهب أنت ومن استدعيته، ولا تخف من القبط ﴿إنا معكم مستمعون﴾ أراد بذلك تقوية قلوبها وأنه متول لحفظها وكلاءتها ونصرهما.

١٦ ﴿فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين﴾ الواحد رسول، والاثنان رسول، والثلاثة كذلك. وقيل معناه: إن كل واحد منا رسول رب العالمين.

١٧ ﴿أن أرسل معنا بني إسرائيل﴾ هذا مضمون الرسالة. أي: أطلقهم من خدمتك وحصرك ليخرجوا معي من مصر.

١٨ ﴿قال ألم نربك فينا وليدا﴾ أي: قال فرعون لموسى بعد أن أتياه وقال له ما أمرهما الله به: ربيناك لدينا صغيرا، ولم نقتلك فيمن قتلنا من الأطفال ﴿ولبثت فينا من عمرك سنين﴾ أي: فتي كان هذا الذي تدعيه من أمر النبوة.

١٩ ﴿وفعلت فعلتك التي فعلت﴾ عدد عليه النعم، ثم ذكر له ذنوبه، وأراد بالفعللة قتل القبطي ﴿وأنت من الكافرين﴾ للنعمة، حيث قتلت رجلا

وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ
الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي
حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا
عَلَى أَنْ عَبَّدتَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ
الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا
إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾
قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ
الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ
وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنْ
اتَّخَذَتِ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾
قَالَ أَوْ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ
كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ

٢٤ ﴿قال﴾ موسى هو ﴿رب السماوات والأرض وما بينهما﴾ فعين له ما أراد بالعالمين، وترك جواب ما سأل عنه فرعون، لأنه سأل عن جنس رب العالمين، فأجابه بما يدل على عظيم القدرة الإلهية ﴿إن كنتم موقنين﴾ بشيء من الأشياء، فهذا أولى بالإيقان.

٢٥ ﴿قال﴾ فرعون ﴿لمن حوله ألا تستمعون﴾ أي: لمن حوله من الأشراف: ألا تستمعون ما قاله موسى؟ معجباً لهم من ضعف المقالة. وهذا من اللعين مغالطة.

٢٦ ﴿قال ربكم ورب آبائكم الأولين﴾ فأوضح لهم أن فرعون مربوب لا رب كما يدعيه، أي: فكيف تعبدون من هو واحد منكم، مخلوق كخلقكم، وله آباء قد فنوا كآبائكم.

٢٧ ﴿قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون﴾ قاصداً بذلك المغالطة وإيقاعهم في الحيرة مظهراً أنه مستخف بما قاله موسى مستهزئ به، كأنه يقول لهم: أنا أسأله عن شيء وهو يجيبني بغيره.

٢٨ ﴿قال رب المشرق والمغرب وما بينهما﴾ ولم يشتغل موسى بدفع ما نسب إليه من الجنون، بل بإسناد تغيير أحواله وأوضاعها تارة بالنور، وتارة بالظلمة، إلى الله سبحانه ﴿إن كنتم تعقلون﴾ أي: إن كنتم يا فرعون ومن معك من أهل العقول.

٢٩ ﴿قال لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين﴾ رجع اللعين إلى استعمال القوة لإكراه موسى على ترك رسالته.

٣٠ ﴿قال أولو جئتك بشيء مبين﴾ أي: أتجعلني من المسجونين ولو جئتك بشيء يتبين به صدقي، ويظهر عنده صحة دعواي.

٣١ ﴿قال فأت به إن كنت من الصادقين﴾ في دعواك.

بالتوراة التي فيها حكم الله ﴿وجعلني من المرسلين﴾ أي: أكرمني بأن جعلني أحد أنبيائه المرسلين.

٢٢ ﴿وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل﴾ أي: وهل تلك نعمة؟ أتمن علي بأن ربيتني وليداً وأنت قد استعبدت بني إسرائيل وقتلتهم وهم قومي. أي: فلو كنت لا تقتل أبناء بني إسرائيل لكانت أمني مستغنية عن قذفي في اليم، فلا تمن علي ما كان بلاؤك سبباً له.

٢٣ ﴿قال فرعون وما رب العالمين﴾ أي: أي شيء هو؟

من أصحابي. وقيل: من الكافرين بالله في زعمه، لأنه كان معهم [يرونه] على دينهم.

٢٠ ﴿قال فعلتها إذن وأنا من الضالين﴾ أي قال موسى: فعلت قتل القبطي وأنا من الجاهلين، فنفي عليه السلام عن نفسه الكفر، وأخبر أنه فعل ذلك على الجهل قبل أن يأتيه العلم الذي علمه الله.

٢١ ﴿ففررت منكم لما خفتكم﴾ إلى مدين كما في سورة القصص ﴿فوهب لي ربي حكماً﴾ أي: نبوة، أو علماً وفهماً

مُبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَتَزَعُ يَدُهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ ﴿٣٣﴾
 قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرُ عَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَنْ
 يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوا
 أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ
 بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ جُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ
 مَعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا
 نَتَّبِعَ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ
 قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَأْجُرُكَ إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٤١﴾
 قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَى
 الْقُوا مَا أَنْتُمْ مَلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا حِبَاهُمْ وَعَصِيَّهُمْ وَقَالُوا
 بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَى مُوسَى
 عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ

٣٥ ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ ما رأيكم فيه وما مشورتكم في مثله؟ أظهر لهم الميل إلى ما يقولونه تألفاً لهم واستجلاباً لمودتهم، لأنه قد أشرف ما كان فيه من دعوى الربوبية على الزوال، وإلا فهو أكبر تهاً وأعظم كبراً من أن يخاطبهم مثل هذه المخاطبة المشعرة بأنه فرد من أفرادهم، مع كونه قبل هذا الوقت يدعي أنه إلههم، ويدعون له بذلك.

٣٦ ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ أي: أخر أمرهما ﴿وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ وهم الشرط الذين يحشرون الناس، أي يجمعونهم.

٣٧ ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ﴾ السحار: العلم الفائق في معرفة السحر وصنعه.

٣٨ ﴿جُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ هو يوم الزينة، أي يوم عيدهم.

٣٩ ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ﴾ حثاً لهم على الاجتماع، ليشهدوا ما يكون من موسى والسحرة، ولمن تكون الغلبة، وكان ذلك ثقة من فرعون بالظهور، وطلباً أن يكون بمجمع من الناس حتى لا يؤمن بموسى أحد منهم [خفية]. فوقع ذلك من موسى الموقع الذي يريده، لأنه يعلم أن حجة الله هي الغالبة، وحجة الكافرين هي الداحضة، فكان ذلك من عناية الله تهيئة لكي تظهر دعوة موسى، ويعلم بها أهل مصر وبنو إسرائيل.

٤٠ ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعَ السَّحَرَةَ﴾ نتبعهم في دينهم ﴿إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾ أظهروا كأنهم على الحياد، استخفافاً بعقول قومهم.

٤١ ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَتِنَّا لَنَا أَجْرًا﴾ أي: جزاء تجزينا به من مال أو جاه ﴿إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ فوافقهم فرعون على ذلك.

٤٢ ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذْنٌ لِمَنْ

المقربين﴾ أي: نعم لكم ذلك عندي مع زيادة عليه، وهي كونكم من المقربين لدي [أغراهم بالمناصب].

٤٣ ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مَلْقُونَ﴾ أراد أن يقهرهم بالحجة، ويظهر لهم أن الذي جاء به ليس هو من الجنس الذي أرادوا معارضته.

٤٤ ﴿فَأَلْقَوْا حِبَاهُمْ وَعَصِيَّهُمْ وَقَالُوا﴾ عند الإلقاء ﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾ أي: نغلب بسبب عزته، والمراد بالعزة العظمة.

٤٥ ﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ

تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ تلقف ما صدر منهم من [التدجيل والتخييل] بإخراج الشيء عن صورته الحقيقية [في الظاهر لا في الحقيقة].

٤٦ ﴿فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾ أي: لما شاهدوا ذلك علموا أنه صنع صانع حكيم، ليس من صنع البشر، ولا من تمويه السحرة، فأمنوا بالله وسجدوا له، وأجابوا دعوة موسى وقبلوا نبوته.

٤٧، ٤٨ ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ فيه تبكيت لفرعون بأنه ليس برّب، وأن الرب في الحقيقة هو

سَجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَى
وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ
لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَيْكُمُ السِّحْرُ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَا قِطْعَنُ
أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا صَلْبَنَكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾
قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ
أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾
* وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ ﴿٥٢﴾
فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَآئِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنْ هَؤُلَاءِ
لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَاظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ
حَاذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾
وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي
إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ

هذا، وأنه رب كل العالمين، أي: ومنهم
فرعون نفسه.

٤٩ ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ
لَكُمْ﴾ أي: بغير إذن مني، ثم قال مغالطا
للسحرة الذين آمنوا، وموهما للناس أن
فعل موسى سحر من جنس ذلك السحر:
﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾
وإنما اعترف له بكونه كبيرهم مع كونه
لا يحب الاعتراف بشيء يرتفع به شأن
موسى [لأنه قد علّم كل من حضر أن
ما جاء به موسى أبهر مما جاء به السحرة]
فأراد أن يشكك على الناس بأن هذا

الذي شاهدتم، وإن كان قد فاق على
ما فعله هؤلاء السحرة، فهو فعل
كبيرهم، ومن هو أستاذهم الذي أخذوا
عنه هذه الصناعة، فلا تظنوا أنه فعل لا
يقدر عليه البشر، ولا أنه من فعل الرب
الذي يدعو إليه موسى ﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ
وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ﴾ أي اليد اليمنى
مع الرجل اليسرى أو عكسه
﴿وَلَأَصْلَبَنَكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [التصليب أن
يُخْمَل المراد قتله على الصليب، وهو
خشبة قائمة، مثبت على أعلاها خشبة
معتزلة. ويثبت فيه ويترك حتى يموت.

أما فرعون فقد أراد صَلْبَهُمْ في جذوع
النخل ليكون أشد لايلاهمهم].

٥٠ ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا
مُنْقَلِبُونَ﴾ أي: لا ضرر علينا فيما يلحقنا
من عقاب الدنيا، فإن ذلك يزول،
وننقلب بعده إلى ربنا، فيعطينا من النعم
الدائم مالا يحسد ولا يوصف، بإيماننا
وصبرنا على عقوبتك لنا وثباتنا على
توحيده والبراءة من الكفر.

٥٢ ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ
بِعِبَادِي﴾ أمر الله سبحانه موسى أن يخرج
بني إسرائيل ليلا، وسماهم عباده لأنهم
آمنوا بموسى وبما جاء به ﴿إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ﴾
أي: يتبعكم فرعون وقومه ليردوكم.

٥٣ ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَآئِنِ
حَاشِرِينَ﴾ وذلك حين بلغه مسيرهم من
الأمكنة التي فيها أتباع فرعون.

٥٤ ﴿إِنْ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ قال
هذا يريد أن يقلل من شأن بني إسرائيل.
٥٥ ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَاظُونَ﴾ أي: غاظونا
بخروجهم من غير إذن منا.

٥٦ ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ﴾ الحاذر:
المستعد المتيقظ، كأنه أمر أتباعه جميعا
بالتنبه لحركة بني إسرائيل والعمل على
إحباط خروجهم.

٥٧، ٥٨ ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ
وَعُيُونٍ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ يعني:
فرعون وجنده أخرجهم الله من أرض
مصر، وفيها الجنات والعيون والكنوز،
والمقام الكريم: المنازل الحسان، وقيل:
مجالس الرؤساء والأمراء.

٦٠ ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ﴾ أي: فلحقوهم
حال كونهم في وقت الشروق، وقيل:
داخلين نحو المشرق.

٦١ ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ﴾ تقابلا بحيث
يرى كل فريق صاحبه ﴿قَالَ أَصْحَابُ
مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ أي: سيلحقنا جمع
فرعون، ولا طاقة لنا بهم.

قَالَ أَصْحَبُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ
رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ
الْبَحْرَ فَأَنْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾
وَأَزَلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ
أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً
وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ
الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ
وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُ لَهَا
عَافِيَةً ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾
أَوْ يَنْفَعُونَكَ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا
كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾
أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ

٦٢ ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ
رَبِّي﴾ إن معي ربي بالنصر والهداية
﴿سَيَهْدِينِ﴾ أي يدلني على طريق النجاة.
٦٣ ﴿فَانْفَلَقَ﴾ أي: فضرب فانفلق حتى
بدا قاع البحر يابساً يمكن للمشاة المرور
فيه، قيل إنه صار اثني عشر فلماً بعدد
الأسباط، وقام الماء عن يمين الطريق
وعن يساره كالجبل العظيم ﴿فَكَانَ كُلُّ
فِرْقٍ﴾ الفرق القطعة من البحر ﴿كَالطَّوْدِ
الْعَظِيمِ﴾ والطود: الجبل.

٦٤ ﴿وَأَزَلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ﴾ أي:
قربناهم إلى البحر، والآخرون: فرعون
وقومه.

٦٥ ﴿وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ﴾
بمرورهم في البحر بعد أن جعله الله طرقات
يمشون فيها.

٦٦ ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾ يعني فرعون
وقومه، أغرقهم الله بإطباق البحر عليهم
بعد أن دخلوا فيه متبعين موسى وقومه.

٦٧ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ ما تقدم ذكره مما
وقع بين موسى وفرعون إلى هذه الغاية،
ففي ذلك آية عظيمة على قدرة باهرة،
فهي من أدلة العلامات على قدرة الله
سبحانه وعظيم سلطانه ﴿وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي: ما كان أكثر
هؤلاء الذين مع فرعون مؤمنين، فإنه لم
يؤمن منهم إلا القليل، كآسية امرأة
فرعون.

٦٨ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾
أي: المنتقم من أعدائه الرحيم بأوليائه.

٧٠ ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾
كان يعلم أنهم يعبدون الأصنام، ولكنه
أراد إلزامهم بالحجة.

٧١ ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُ لَهَا
عَافِيَةً﴾ أي: فنقيم على عبادتها مستمرا
لا في وقت معين، والعكوف لها: الإقامة
على عبادتها.

٧٣ ﴿أَوْ يَنْفَعُونَكَ﴾ بوجه من وجوه

النفع ﴿أَوْ يَضُرُّونَ﴾ أي يضرّونكم إذا
تركتم عبادتهم، فإنها إذا كانت لا تسمع
ولا تنفع ولا تضر فلا وجه لعبادتها.

٧٤ ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ
يَفْعَلُونَ﴾ لم يجدوا لها جواباً إلا رجوعهم
إلى التقليد البحت، وأقروا أنها بحال من
العجز لا تنفع ولا تضر ولا تسمع ولا
تبصر.

٧٧ ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي﴾ أي: هم أعدائي،
وأنا أيضاً قد اتخذت عداوتي لهم طريقاً
ومنهجاً في حياتي، أعاديهم لكي أقتلع
عبادتهم من الأرض ﴿إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾

٨٠، ٨١ ﴿وَإِذَا مَرَضْتَ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾

أي: لكن رب العالمين ليس كذلك، بل
هو وليي في الدنيا والآخرة.

٧٨ ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ يرشدني
إلى مصالح الدين والدنيا. وقد وصف
الخليل ربه بما يستحق العبادة لأجله،
فإن الخلق، والهداية، والرزق الذي يدل
عليه قوله:

٧٩ ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾
ودفع ضر المرض، وجلب نفع الشفاء،
والإماتة، والإحياء، الذي يدل على
قوله:

الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ
يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾
وَالَّذِي يُمَيِّتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي
خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقْنِي
بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾
وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَأَغْفِرْ لَائِي إِنَّهُ
كَانَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾
يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ
سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرُزَتِ
الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ آيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾
مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُفُّوا
فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾

والذي يميتني ثم يحييني، والمغفرة للذنوب، كلها نعم يجب أن يشكر النعم بها بجميع أنواع الشكر التي أعلاها وأولاها العبادة. وأسند المرض إلى نفسه دون غيره من هذه الأفعال المذكورة رعاية للأدب مع الرب، وإلا فالمرض وغيره من الله سبحانه. **٨٢ ﴿والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين﴾** قال مجاهد: يعني بخطيئته قوله (بل فعله كبيرهم هذا) وقوله (إني سقيم) وقوله (إن سارة أخته) زاد الحسن، وقوله للكوكب (هذا ربي) قال الزجاج: الأنبياء بشر، ويجوز أن تقع عليهم الخطيئة، إلا أنهم لا تكون منهم الكبيرة لأنهم معصومون. **٨٣ ﴿رب هب لي حكماً﴾** والمراد بالحكم: العلم والفهم، وقيل: النبوة والرسالة، وقيل: المعرفة بمحدود الله وأحكامه إلى غير ذلك **﴿والحقني بالصالحين﴾** يعني: الحقني بالنبیین من قبلي في الجنة. **٨٤ ﴿واجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾** أي اجعل لي ثناء حسناً في الآخرين الذين يأتون بعدي إلى يوم القيامة. وقد أعطى الله سبحانه إبراهيم

ذلك، فإن كل أمة تتمسك به وتعظمه. **٨٦ ﴿واغفر لائي إنه كان من الضالين﴾** استغفر له فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه.

٨٧ ﴿ولا تخزني يوم يبعثون﴾ أي: لا تفضحني على رموس الأشهاد بمعاقبتي، أولاً تعذبي يوم القيامة. وأخرج البخاري وغيره من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: يلقي إبراهيم أباه آزر يوم القيامة، وعلى وجه آزر قفرة وغبرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك: لا تعصني؟ فيقول أبوه: فاليوم لا أعصيك، فيقول إبراهيم: رب إنك وعدتني ألا تخزني يوم يبعثون، فأني خزي أخزى من أبي الأ بعد؟ فيقول الله: إني حرمت الجنة على الكافرين، ثم يقول: يا إبراهيم، ما تحت رجلك؟ فإذا هو بذيخ متلطح، فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار. والذبيخ: هو الذكر من الضباع، فكانه حوّل آزر إلى صورة ذبيخ.

٨٩ ﴿إلا من أتى الله بقلب سليم﴾ أي: لا ينفع الإنسان عند الله ماله ولا قرابته، ولكن ينفعه سلامة قلبه. والقلب السليم: الصحيح، وهو قلب المؤمن، لأن قلب الكافر والمنافق مريضان.

٩٠ ﴿وأزلفت الجنة للمتقين﴾ أي: قربت وأدنت لهم ليدخلوها.

٩١ ﴿وبرزت الجحيم للغاوين﴾ أي: جعلت بارزة لهم. أظهر الله الجنة للمؤمنين قبل أن يدخلوها، وأظهر النار للكفار قبل أن يدخلوها، ليشتد حزن الكافرين، ويكثر سرور المؤمنين.

٩٤ ﴿فكفكبوا فيها هم والغاوين﴾ أي: ألقوا في جهنم هم: يعني المعبودين، والغاوين: يعني العابدين لهم، قلبوا جميعاً على رؤوسهم.

٩٥ ﴿وجنود إبليس أجمعون﴾ شياطينه الذين يغوون العباد، وقيل: ذريته، وقيل: كل من يدعو إلى عبادة الأصنام.

قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَنَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ قَالَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ كَذَبَتْ قَوْمٌ نُوحٌ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِن أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا * قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴿١٠٩﴾ قَالَ وَمَا عَلَيَّ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٠﴾ إِنَّ حِسَابَهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَو تَشْعُرُونَ ﴿١١١﴾

٩٦ ﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾

[يخاصم العابدون يوم القيامة معبوديهم وينقلبون عليهم بعد ما كانوا يتفانون في حبه في الدنيا ويوقعون العقوبة على كل من عارضهم في ذلك، كما فعل بإبراهيم قومه] فيقول العابدون للمعبودين:

٩٧ ﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَنَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾

أقسموا أنهم كانوا على الضلالة الواضحة.

٩٨ ﴿إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

فنعبدكم كما نعبد.

٩٩ ﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾

شياطين الإنس والجن الذين بارزوا الله بالعداوة.

١٠٠ ﴿قَالَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾

يشفعون لنا من العذاب كما للمؤمنين شفعاء بإذن ربهم.

١٠١ ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾

أي: صديق ذي قرابة يعميتنا وينقذنا من بأس الله وعذابه، والحميم: القريب الذي تودّه ويؤدك أشد الود.

١٠٢ ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

المعنى: فليت لنا كرة أي: رجعة إلى الدنيا، فنكون من المؤمنين، أي: نصير من جملتهم.

١٠٣ ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

أي: أكثر هؤلاء الذين يتلو عليهم رسول الله ﷺ نبأ إبراهيم، وهم قريش، ومن دان بدينهم ليس أكثرهم مؤمنين [أو المراد: قوم إبراهيم].

١٠٤ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾

القاهر لأعدائه، الرحيم بأوليائه.

١٠٥ ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ نُوحٌ﴾

أي: أخوهم [الذي أبوه وأبوهما واحد، أي هو من قبيلتهم] لا أخوهم في الدين ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ أي: ألا تتقون الله بترك عبادة الأصنام، وتجيّبون رسوله الذي أرسله إليكم.

١٠٦ ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ﴾

رسول من الله

أجري إلا عليه، فنه أرجو الثواب جزاء علي دعوتي لكم [لأنه هو الذي كلّفني بإبلاغ الرسالة].

١٠٧ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا﴾

أجعلوا طاعة الله وقاية لكم من عذابه، وأطيعوني فيما أمركم به عن الله من الإيمان به، وترك الشرك، والقيام بفرائض الدين وشرائعه.

١٠٨ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا﴾

أي: ما أطلب منكم أجراً على تبليغ هذه الرسالة [على عظم ما فيها من النفع لكم]، ولا أطمع في ذلك منكم ﴿إِن أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّي لَو تَشْعُرُونَ﴾

أي: ما

أجري إلا على رب العالمين ﴿إِن أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّي لَو تَشْعُرُونَ﴾

أي: ما



وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٥﴾ إِنَّ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾
 قَالُوا لَيْن لَّمْ تَنْتَهِ يَنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾
 قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَبُونَ ﴿١١٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا
 وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ
 فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾
 إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾
 وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ كَذَبَتْ عَادٌ
 الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾
 إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا
 وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنِّي أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ
 الْعَالَمِينَ ﴿١٢٦﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٧﴾
 وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٨﴾ وَإِذَا بَطَشْتُمْ

الفتح: حكم القاضي بين الخصمين،
 أي: احكم بيني وبينهم حكما يبين الحق
 من المبطل **﴿ونجني ومن معي من
 المؤمنين﴾** فلما دعا ربه بهذا الدعاء
 استجاب له، فقال:

**١١٩ ﴿فأنجيناه ومن معه في الفلك
 المشحون﴾** أي: السفينة المملوءة، والشحن
 ملء السفينة بالناس والدواب والمتاع.

١٢٠ ﴿ثم أغرقنا بعد الباقين﴾ أي: ثم
 أغرقنا بعد إنجائهم الباقين من قومه.

١٢١ ﴿إن في ذلك لآية﴾ أي: [في
 نجاة نوح والمؤمنين معه على هذه الصفة
 العجيبة، وهلاك الكافرين له من قومه]

علامة وعبرة عظيمة **﴿وما كان أكثرهم
 مؤمنين﴾**

١٢٢ ﴿وإن ربك هو العزيز الرحيم﴾
 أي: القاهر لأعدائه، الرحيم بأوليائه.

**١٢٣، ١٢٤ ﴿كذبت عاد المرسلين.
 إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون﴾**
 الكلام فيه كالكلام في قول نوح المتقدم
 قريبا.

**١٢٥ - ١٢٧ ﴿إني لكم رسول أمين.
 فاتقوا الله وأطيعون. وما أسألكم عليه
 من أجر إن أجري إلا على رب
 العالمين﴾** الكلام فيه كالذي قبله سواء.

١٢٨ ﴿أتبنون بكل ريع آية تعبثون﴾
 الريع: المكان المرتفع من الأرض،
 وقيل: الريع الجبل، وقال مجاهد: هو
 الفج بين الجبلين، أو الشنية الصغيرة،
 ومعنى الآية: أنكم تبثون بكل مكان
 مرتفع علما تعبثون ببنائه إذ ليس فيه نفع
 حقيقي غير المباهاة والفخر والأذى،
 فتؤذون المارة وتسخرون منهم.

١٢٩ ﴿وتتخذون مصانع﴾ المصانع:
 هي الأبنية التي يتخذها الناس منازل.
 وقيل: هي الحصون المشيدة **﴿لعلكم
 تخلصون﴾** كأنكم باقون مخلصون لا
 يدرككم الموت.

بإبلاغه إليكم، أي وهم من جملة من
 أميئت بإنذاره، فكيف أطردهم.

**١١٦ ﴿قالوا لن لم تنته يا نوح لتكون
 من المرجومين﴾** أي: إن لم تترك عيب
 ديننا وسب آلهتنا لتكون من المرجومين
 بالحجارة، وقيل المعنى: لتكون من
 المشتمين. هددوه بمعاملته بالسيء من
 القول، من الشتم والإهانة.

١١٧ ﴿قال رب إن قومي كذبون﴾
 أي: أصروا على تكذبي، ولم يسمعوا
 قولي، ولا أجابوا دعائي.

١١٨ ﴿فافتح بيني وبينهم فتحا﴾

أي: لم أكلف العلم بأعمالهم، إنما
 كلفت أن أدعوهم إلى الإيمان، والاعتبار
 به، لا بالحرف والصنائع والفقر والغنى.

**١١٣ ﴿إن حسابهم إلا على رب
 لي﴾** أي: ما حسابهم والتفتيش عن
 ضمائرهم وأعمالهم إلا على الله، ولو
 كنتم من أهل الشعور والفهم لفهمتم ذلك
 وآمنتم به.

١١٤ ﴿وما أنا بطارد المؤمنين﴾ هذا
 جواب من نوح على طلب الطرد لهم.

١١٥ ﴿إن أنا إلا نذير مبين﴾ أي: ما
 أنا إلا نذير موضح لما أمرني الله سبحانه

بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا
الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُمْ بِالنَّعْمِ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾
وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ
عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ
الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ
بِمُعَذِّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً
وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ
الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَبَتْ ثُمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ
أَخُوهُمْ صَلِّحْ أَلَّا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ
إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هُمْنَا
ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَحْلٍ

١٣٠ ﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾

البطش: السطوة والأخذ بالعنف. وإنما أنكر عليهم ذلك لأنه ظلم، وأما في الحق فالبطش بالسوط والسيف وغيرهما جائز.

١٣٤ ﴿وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ أي: بساتين وأنهار وأبيار.

١٣٥ ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾

إن كفرتم وأصررتم على ما أنتم فيه من عبادة غير الله تعالى، ولم تشكروا هذه النعم.

١٣٦ ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ

تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾ أي: وعظك وعدمه

سواء عندنا، لا نبالي بشيء منه، ولا نلتفت إلى ما نقوله، ولا نرجع عن شيء مما نحن عليه. قالوا ذلك تعجيزاً له وتيئيساً لئلا يستمر على دعوتهم.

١٣٧ ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾

أي: ما هذا الذي نحن عليه إلا عادة الأولين وفعلهم. أي فإن آبائنا وأجدادنا والأقدمين مثا كانوا على هذا الدين الذي نحن عليه، وقد كانت أحوالهم مستقيمة وأمورهم على حال مرضية، فنحن تبع لهم، وسوف نستمر على ذلك، لا نريد تبديله بشيء آخر. [ويحتمل أن هذا معترض في الكلام من قوله تعالى، والمعنى: أن تكذيبهم كتكذيب سائر المترفين الذين كذبوا رسلهم قبل عاد

كقوله تعالى (تشابهت قلوبهم)]

١٣٨ ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ على ما نفعل

من البطش ونحوه مما نحن عليه الآن.

١٣٩ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾ أي

أهلكهم الله جزاء على تكذيبهم. وكان

هلاكهم بالريح العقيم، كما بيّن في غير

هذه الآية، كقوله (وأما عاد فأهلكوا

بريح صرصرة عاتية. سخرها عليهم سبع

ليالٍ وثمانية أيام حسوماً فترى القوم فيها

صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية. فهل

نرى لهم من باقية.)

كانوا ينحتون بيوتهم في الجبال لتبقى على الدهور، لما طالت أعمارهم وتهدم بناؤهم من المدر ﴿فارهمين﴾ حاذقين بنحتها، وقيل: متجبرين، وقيل: معجبين ناعمين آمنين [وقيل المعنى: تنحتونها أشيرين بطيرين. أي فكانوا يبسونها للفخر والخيلاء، وينفقون عليها الأموال الطائلة من غير حاجة منهم لسكنائها ويتفتنون في ذلك، كما يشاهد ذلك في آثارهم الماثلة حتى اليوم].

١٥٠ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ [أي اتقوا

الله بأداء حقه عليكم من توحيده وإفراده

١٤١ - ١٤٥ ﴿كَذَبَتْ ثُمُودُ﴾ إلى

قوله ﴿إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قد تقدم

تفسيره في قصة هود المذكورة قبل هذه القصة.

١٤٦ ﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هُمْنَا آمِنِينَ﴾ أي:

أتركون في هذه النعم التي أعطاكم الله

آمنين من الموت والعذاب، باقين في الدنيا

١٤٨ ﴿وَزُرُوعٍ وَنَحْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾

الهضم: النضيج الرخص اللين اللطيف

[ويحتمل أن يراد بالهضم: المسترخي في

عذوقه لامتلأه ونضجه.] والطلع: ما

يطلع من [الأكمام من عذوق التمر.]

١٤٩ ﴿وَتَنَحْتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾

طَلَعَهَا هَٰضِمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَخْتُونُ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ ﴿١٤٩﴾
 فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾
 الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوا إِنَّمَا
 أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ
 بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةُ لَهَا
 شَرِبٌ وَلَكُمْ شَرِبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ
 فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا
 نَدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ
 أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾
 كَذَبَتْ قَوْمٌ لُوطَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ
 أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ
 وَأَطِيعُوا ﴿١٦٣﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا

بالعبادة، والإيمان برسائلي إليكم،
 وأطيعوني فيما أمركم به وأنهاكم عنه.]
١٥١ ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾ أي:
 المشركين [الذين يدعونكم إلى عبادة غير
 الله تعالى، ويكيدون لي ولدعوة الله،
 ويأمرونكم بتكذيب الرسالة] وقيل: هم
 الذين عقروا الناقة. ثم وصف هؤلاء
 المسرفين بقوله:

**١٥٢ ﴿الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا
 يُصْلِحُونَ﴾** أي: ذلك دأبهم: يفعلون
 الفساد في الأرض بالكيد لصالح والمؤمنين
 معه، ولا يصدر منهم الصلاح البتة.

١٥٣ ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾
 أي: الذين أصيبوا بالسحر [كأنهم يقولون
 له: إنَّ ساحراً سَحَرَك، حتى أخذت
 تتخيل أموراً من الباطل حقاً، وحتى
 أخذت تنكر علينا ما استقامت عليه
 حياتنا، وجرى عليه آباؤنا وأجدادنا]
 وقيل المسحَّر: هو المعلل بالطعام
 والشراب. فكأنهم قالوا: إنما أنت بشر
 مثلنا تأكل وتشرب.

١٥٤ ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ [فأروا
 أن كونه بشراً مثلهم يكذِّبه في دعوى
 النبوة] **﴿فَاتِّبِئْ بِآيَةٍ﴾** [أي بعلامة نستيقن

عند رؤيتها أنك رسول من رب العالمين إن
 كانت مما لا يقدر عليه البشر] **﴿إِنْ
 كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾** في قولك ودعواك.
١٥٥ ﴿قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ﴾ أخرج الله تعالى
 لهم بعد طلبهم الآية: ناقة من الجبل،
 حية يرونها ويلمسونها بأيديهم، لتكون
 حجة على نبوة نبيه صالح، كما طلبوا
﴿لَهَا شَرِبٌ وَلَكُمْ شَرِبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾
 أي: لها نصيب من الماء، ولكم نصيب
 منه معلوم، ليس لكم أن تشربوا في اليوم
 الذي هو نصيبها، ولا هي تشرب في اليوم
 الذي هو نصيبكم.

**١٥٦ ﴿وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ
 عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾** أي: لا تمسوها بعقر،
 أو ضرب، أو شيء مما يسوؤها.

١٥٧ ﴿فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَادِمِينَ﴾ على
 عقرها، لما عرفوا أن العذاب نازل بهم،
 وذلك أنه أنظرهم ثلاثاً، فظهرت عليهم
 العلامة في كل يوم، وندموا حيث لا
 ينفع الندم، لأن ذلك لا يجدي عند
 معاينة العذاب وظهور آثاره. فقلوه
﴿فَاصْبَحُوا نَادِمِينَ﴾ [المراد به ندمهم
 حيناً رأوا علامات العذاب القادم عليهم،
 وذلك قبل مجيء العذاب نفسه بأيام]
 وارجع إلى بيان ذلك في سورة هود
 (الآيات من ٦٤ - ٦٨)

١٥٨ ﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾ الذي
 وعدهم به. والعذاب الذي أخذ قوم صالح
 أن الأرض رجفت بهم، أي زلزلت
 زلزلاً شديداً، ثم جاءتهم الصيحة فخلعت
 قلوبهم (فأصبحوا في ديارهم جاثمين)
 وقد تقدم تفسير قوله **﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ
 وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾**

١٦٠ ﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ لُوطَ الْمُرْسَلِينَ﴾ وقد
 تقدم تفسير قوله **﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ﴾** إلى قول
﴿إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ في هذه السورة
 وتقدم أيضاً تفسير قصة لوط مستوفى في
 الأعراف.

عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾
وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ
قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا لَنْ لَمْ تَنْتَه يَنْلُوطُ لَنَكُونَنَّ مِنَ
الْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ
نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَجَنَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾
إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِبَ
وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٢﴾ إِنْ فِي
ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ
الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٧٤﴾ كَذَبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٥﴾
إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ
أَمِينٌ ﴿١٧٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَوْفُوا الْكَيْلَ ﴿١٧٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ
عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾

١٦٥ ﴿أتأتون الذكران من العالمين﴾

أي: أتسكنون الذكور من الناس؟ وهي الفاحشة التي لم يفعلها أحد من الناس قبلهم، وقد كانوا يفعلون ذلك بالغرباء على ما تقدم في سورة الأعراف.

١٦٦ ﴿وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم﴾

أي: وتركون ما خلقه الله لأجل استمتاعكم به من النساء، وأراد بالأزواج جنس الإناث [إذ المراد دعوتهم إلى اتخاذ الزوجات] **﴿بل أنتم قوم عادون﴾** أي: مجاوزون للحد في جميع المعاصي، ومن جعلها هذه المعصية.

١٦٧ ﴿قالوا لن لم تنته يا لوط﴾ أي

عن الإنكار علينا وتقبيح أمرنا **﴿لنكون من المخرجين﴾** من بلدنا المنفيين عنها.

١٦٨ ﴿قال إني لعملكم﴾ وهو ما أنتم

فيه من إتيان الذكران [وسائر ما كانوا يفعلونه من القبائح]. **﴿من القالين﴾** أي المبغضين له.

١٦٩ ﴿رب نجني وأهلي مما يعملون﴾

أي: [إن لوطاً توجه إلى الله تعالى أن يحفظه ويحفظ أهله من أن ينالهم شيء من سيئات قومهم، وأن يخرجهم من ذلك البلد] لينجو من عملهم الخبيث، أو من عقوبته التي ستصيبهم.

١٧٠ ﴿فجنيناه وأهله أجمعين﴾ أي:

أهل بيته، ومن تابعه على دينه [إذ أمرهم الله تعالى بالخروج في تلك الليلة التي حق عليهم العذاب في صبيحتها].

١٧١ ﴿إلا عجوزاً﴾ هي امرأة لوط،

كانت **﴿في الغابرين﴾** الباقيين في العذاب [فإنها خرجت مع لوط وسائر أهله، وأمرهم الله تعالى ألا يلتفتوا إلى الظالمين عند نزول العذاب بهم، فلم يلتفت منهم أحد إلا امرأة لوط، فأخذها من العذاب ما أخذ الظالمين، ففبرت في أرضها مع الغابرين].

١٧٢ ﴿ثم دمرنا الآخرين﴾ أي

أهلكناهم بالخنس والحصب.

١٧٣ ﴿وأمطرنا عليهم مطراً﴾ يعني

الحجارة، رموا بها من السماء **﴿فساء مطر المنذرين﴾**.

١٧٤ ﴿كذب أصحاب الأيكة

المرسلين﴾ قيل: إن الأيكة اسم البلد كله. قال ابن عباس: كانوا أصحاب غيضة من ساحل البحر إلى مدين، وقال الخليل: الأيكة غيضة تنبت السدر والأراك ونحوهما من ناعم الشجر.

١٧٧ ﴿إذ قال لهم شعيب ألا تتقون﴾

لم يقل «أخوهم» لأنه لم يكن من

أصحاب الأيكة في النسب، بخلاف قصة إرساله إلى مدين فإنه قال فيها (أخاهم شعيباً) لأنه كان منهم، وقد مضى تحقيق نسبه في الأعراف. وقد تقدم تفسير قوله:

١٧٨ - ١٨٠ ﴿إني لكم رسول أمين﴾ إلى قوله تعالى **﴿إلا على رب العالمين﴾** في هذه السورة.

١٨١ ﴿أوفوا الكيل﴾ أي: أتموا الكيل

لمن أراده وعاملكم به **﴿ولا تكونوا من**

المخسرين﴾ الناقصين للكيل.

١٨٢ ﴿وزنوا بالقسطاس المستقيم﴾ أي

وزنوا بالعدل.

* أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾
 وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ
 أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعَثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَاتَّقُوا
 الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأُولَى ﴿١٨٤﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ
 الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ
 لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ
 كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾
 فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ
 يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ
 مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ وَإِنَّهُ
 لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾
 عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ

وأصروا على ذلك **﴿فأخذهم عذاب يوم
 الظلة﴾** الظلة السحاب، أقامها الله فوق
 رؤوسهم، فأمطرت عليهم نارا فهلكوا،
 فقد أصابهم الله بما اقترحوا **﴿إنه كان
 عذاب يوم عظيم﴾** لما فيه من الشدة
 عليهم التي لا يقادر قدرها. وعن ابن
 عباس قال: أرسل الله إليهم سموما من
 جهنم، فاطاف بهم سبعة أيام حتى
 أنضجهم الحر، فحميت بيوتهم، وغلت
 مياههم في الآبار والعيون، فخرجوا من
 منازلهم ومحلهم هاربين، والسموم معهم،
 فسلط الله عليهم الشمس من فوق
 رؤوسهم فغشيتهم، وسلط الله عليهم
 الرمضاء من تحت أرجلهم حتى تساقطت
 لحوم أرجلهم، ثم نشأت لهم ظلة
 كالسحابة السوداء، فلما رأوها ابتدروها
 يستغيثون بظلها، حتى إذا كانوا جميعا
 تحتها أطبقت عليهم، فهلكوا ونجى الله
 شعبا والذين آمنوا معه. وقد تقدم تفسير قوله:
 ١٩٠، ١٩١ **﴿إن في ذلك لآية وما
 كان أكثرهم مؤمنين. وإن ربك هو
 العزيز الرحيم﴾** في هذه السورة.

١٩٢ **﴿وانه لتنزيل رب العالمين﴾**
 أي: وإن القرآن، ومنه هذه الأخبار التي
 تنزل عليكم، منزل من الله رب العالمين.
 ١٩٣ **﴿نزل به الروح الأمين﴾** الروح
 الأمين: جبريل، كما في قوله: (قل من
 كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك).
 ١٩٤ **﴿على قلبك﴾** تلاه على قلبه لأنه
 أول مدرك من الحواس الباطنة، حتى
 حفظه وفهمه **﴿لتكون من المنذرين﴾**
 أي: أنزله عليك لتنذرهم بما تضمنه من
 التحذيرات والإنذارات والعقوبات.
 ١٩٥ **﴿بلسان عربي مبين﴾** جعل الله
 سبحانه القرآن عربيا بلسان الرسول
 العربي، لئلا يقول مشركو العرب: لنا
 نفهم ما تقوله بغير لساننا، فقطع بذلك
 حجتهم ودفع معذرتهم.

١٨٣ **﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾**
 أي: لا تنقصوا الناس حقوقهم التي لهم.
 وقد تقدم تفسيره في سورة هود، وتقدم
 أيضا تفسير **﴿ولا تعثوا في الأرض
 مفسدين﴾** فيها وفي غيرها.
 ١٨٤ **﴿واتقوا الذي خلقكم والجبل
 الأولين﴾** يعني الأمم المتقدمة.
 ١٨٥، ١٨٦ **﴿قالوا إنما أنت من
 المسحرين. وما أنت إلا بشر مثللنا﴾** قد
 تقدم تفسيره مستوفى في هذه السورة (الآية
 ١٥٣) **﴿وإن نظنك لمن الكاذبين﴾**
 أي: حقا إننا ليغلب على ظننا أنك
 كاذب فيما تدعيه على الله.
 ١٨٧ **﴿فأسقط علينا كسفا من
 السماء﴾** قالوا له هذا القول تعنتا
 واستبعادا وتعجيزا، والكسف: القطع من
 النار أو غيرها مما يعذب به **﴿إن كنت
 من الصادقين﴾** في دعواك.
 ١٨٨ **﴿قال ربني أعلم بما تعملون﴾** من
 الشرك والمعاصي، فهو مجازيكم على ذلك إن
 شاء، وليس في وسعي أن آتيكم به من عندي.
 ١٨٩ **﴿فكذبوه﴾** استمروا على تكذيبه

أعطوا الحق بالميزان السوي دون أن تعثوا
 به سرا لتنقصوا حق المشتري.
 ١٨٣ **﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾**
 أي: لا تنقصوا الناس حقوقهم التي لهم.
 وقد تقدم تفسيره في سورة هود، وتقدم
 أيضا تفسير **﴿ولا تعثوا في الأرض
 مفسدين﴾** فيها وفي غيرها.
 ١٨٤ **﴿واتقوا الذي خلقكم والجبل
 الأولين﴾** يعني الأمم المتقدمة.
 ١٨٥، ١٨٦ **﴿قالوا إنما أنت من
 المسحرين. وما أنت إلا بشر مثللنا﴾** قد
 تقدم تفسيره مستوفى في هذه السورة (الآية

مُبِينٌ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُ لَنِي ذُرِّ الْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ
 آيَةٌ أَن يَعْلَمَهُ، عَلَّمُوا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ
 عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ
 مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾
 لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ، حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيهِمْ
 بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾
 أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ
 سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَا أَغْنَى
 عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا هَا
 مُنْذَرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا نَنْزِلُ بِهِ
 الشَّيْطَانُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾
 إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ

١٩٦ ﴿وَإِنَّهُ لَنِي ذُرِّ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: أن هذا القرآن مذكور ومبشر به في التوراة والإنجيل.

١٩٧ ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَن يَعْلَمَهُ علماء بني إسرائيل﴾ أي: من آمن منهم كعبد الله بن سلام، وصارت شهادة أهل الكتاب حجة على المشركين لأنهم كانوا يرجعون إليهم ويصدقونهم.

١٩٨ ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ﴾ أي: لو نزلنا القرآن على الصفة التي هو عليها على رجل من الأعجمين الذي لا يقدر على التكلم بالعربية،

١٩٩ ﴿فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ﴾ قراءة عربية صحيحة ﴿مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ مع انضمام إعجاز القراءة من الأعجمي للكلام العربي إلى إعجاز القرآن.

٢٠٠ ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي: أدخلنا الشرك والتكذيب في قلوب المجرمين.

٢٠٢ ﴿فَيَأْتِيهِمْ﴾ العذاب ﴿بَغْتَةً﴾ أي فجأة ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أي لا يشعرون بأنهم لا يشعرون بأنهم لا يشعرون.

٢٠٣ ﴿فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ﴾ أي: مؤخرون وممهلون لنؤمن ونعمل الصالحات. قالوا هذا تحسراً على ما فات من الإيمان، وتمنياً للرجعة إلى الدنيا لاستدراك ما فرط منهم.

٢٠٤ ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ بقولهم: أمطر علينا حجارة من السماء أو آتتنا بعذاب أليم.

٢٠٥ ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾ أي أخبرني إن متعناهم سنين في الدنيا متطاولة، وطولنا لهم الأعمار.

٢٠٦ ﴿ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ من العذاب والهلاك.

٢٠٧ ﴿مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَعُونَ﴾ أي شيء يغني عنهم كونهم

ممتعين ذلك التمتع الطويل؟ فإن متاع الدنيا إذا انقضى فكانه لم يكن، ولا ينفع أصحابه في الآخرة. بالقرآن، وهذا رد لما زعمه الكفرة في القرآن أنه من قبيل ما يلقيه الشياطين على الكهنة.

٢٠٨ ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا هَا مُنْذَرُونَ﴾ المعنى: ما أهلكنا قرية من القرى إلا بعد الإنذار إليهم، والإعذار بإرسال الرسل، وإنزال الكتب.

٢٠٩ ﴿ذِكْرَى﴾ أي: هذا الخبر عن الآخرة تذكير للناس ماداموا في دار العمل ﴿وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ في تعذيبهم، فقد قدمنا الحجة إليهم وأعذرنا إليهم.

٢١٠ ﴿وَمَا نَنْزِلُ بِهِ الشَّيْطَانُ﴾ أي: يا محمد: أنت أكرم الخلق علي، وأعزهم

٢١١ ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ﴾ ذلك، ولا يصح منهم ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ما نسب الكفار إليهم أصلاً.

٢١٢ ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ﴾ للقرآن، أو لكلام الملائكة ﴿لَمَعْزُولُونَ﴾ محجوبون مرجومون بالشهب.

٢١٣ ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمَعْذُوبِينَ﴾ كأنه قال: يا محمد: أنت أكرم الخلق علي، وأعزهم

إِلَهَاءٍ آخَرَ فَتَكُونُ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ ﴿٢١٢﴾ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ
الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٤﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرَبِّكُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٢١٥﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٦﴾ الَّذِي
يَرْبُكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٧﴾ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجْدِينَ ﴿٢١٨﴾
إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢١٩﴾ هَلْ أَنْبَيْتُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنْزَلُ
الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢٠﴾ تَنْزَلُ عَلَىٰ كُلِّ آفَاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢١﴾ يُلْقُونَ
السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَذِبُونَ ﴿٢٢٢﴾ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ
الْغَاوُونَ ﴿٢٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٤﴾
وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا
وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٢٦﴾

ليسترقوا منهم شيئا [ثم يلقونه إلى الكهنة
ويكذبون مع الكلمة الحق مائة كذبة]
﴿وأكثرهم كاذبون﴾ أي: وأكثر هؤلاء
الكهنة كاذبون فيما يلقونه من الشياطين،
لأنهم يضمون إلى ما يسمعون كثيراً من
أكاذيبهم المختلفة.

٢٢٤ ﴿والشعراء يتبعهم الغاؤون﴾ أي
بجاريهم ويسلك مسلكهم، ويكون من
جملتهم الغاؤون، وهم ضلال الجن
والإنس.

٢٢٥ ﴿في كل واد يهيمون﴾ في كل
قرية من فنون الكذب يخوضون، وفي كل
شعب من شباب الزور يتكلمون، فتارة
يمزقون الأعراض بالهجاء، وتارة يأتون
المجون، كما تسمعه في أشعارهم من مدح
الخمر والزنى واللواط، ونحو هذه الرذائل
الملعونة.

٢٢٦ ﴿وأنهم يقولون ما لا يفعلون﴾
أي: يقولون فعلنا وفعلنا، وهم كذبة في
ذلك، فقد يدلون بكلامهم على الكرم
والخير ولا يفعلونه، وقد ينسبون إلى
أنفسهم الدعاوى الكاذبة والزور الخالص
المتضمن لقذف المحصنات، وأنهم فعلوا
بهن كذا وكذا، وذلك كذب محض
وافتراء بحت.

٢٢٧ ﴿إلا الذين آمنوا﴾ أي من
الشعراء ﴿وعملوا الصالحات﴾ أي دخلوا
في حزب المؤمنين وعملوا بأعمالهم
الصالحة ﴿وذكروا الله كثيراً﴾ في
أشعارهم ﴿وانتصروا من بعد ما ظلموا﴾
كمن يهجو منهم من هجاه، أو ينتصر
لعالم أو فاضل، كما كان يقع من شعراء
النبي ﷺ فإنهم كانوا يهجون من يهجوهم،
ويحمون عنه، ويذبون عن عرضه،
ويكافحون شعراء المشركين وينافحونهم
﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب
ينقلبون﴾ أي: وسيعلم كذبة الشعراء
ونحوهم عند لقاء الله سوء مرجعهم.

ويراك إن صليت في الجماعة راكعاً
وساجداً وقائماً.

٢٢١ ﴿هل أنبئكم على من تنزل
الشياطين﴾ فيه بيان استحالة تنزل
الشياطين على رسول الله ﷺ، لأنها:
٢٢٢ ﴿تنزل على كل آفاك أثيم﴾
الآفاك: الكذاب، والأثيم الكثير الإثم،
والمراد بهم كل من كان كاهناً، فإن
الشياطين كانت تسترق السمع ثم يأتون
إليهم فيلقونه إليهم.

٢٢٣ ﴿يلقون السمع﴾ الشياطين يلقون
السمع: أي ينصتون إلى الملائكة الأعلى

عندي، ولو اتخذت معي إلهاً لعذبتك،
فكيف بغيرك من العباد؟

٢١٤ ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾
خص الأقربين، لأن الاهتمام بشأنهم
أولى. لما نزلت دعا النبي ﷺ قريشاً،
فاجتمعوا فعمّ وخص، فحذرهم وأنذرهم.
٢١٥ ﴿واخفض جناحك لمن اتبعك
من المؤمنين﴾ أي: أظهر لهم المحبة
والكرامة، وتجاوز عنهم.

٢١٨ ﴿الذي يراك حين تقوم﴾ أي:
حين تقوم إلى الصلاة وحدك.

٢١٩ ﴿وتقلبك في الساجدين﴾ أي:

سُورَةُ الْفُلِّ

(٢٧) سُورَةُ الْفُلِّ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّانَهَا ثَلَاثٌ وَتَسْتَعِينُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَّ تِلْكَ ءَايَتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ۝ هُدًى
وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ
الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِالْآخِرَةِ زِينَتُهُمْ أَعْمَلُهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ۝
أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ
الْأَخْسَرُونَ ۝ وَإِنَّكَ لَتُلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ
عَلِيمٍ ۝ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِيهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا
سَعَاتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ بَأْتِيكُمْ بِهِ شِهَابٍ قَبَسَ لَعَلَّكُمْ

١ الإشارة بقوله **تلك** إلى نفس السورة **آيات القرآن وكتاب مبين** المراد بالكتاب المبين: القرآن نفسه، فقد وصف الآيات بالوصفين: القرآنية الدالة على كونه مقروءا عربيا معجزا، والكتابية الدالة على كونه مكتوبا مع الإبانة لمعانيه لمن يقرؤه، أو هو بمعنى بآن معناه واتضح إعجازه بما اشتمل عليه من البلاغة.

٢ **هدى وبشرى للمؤمنين** أي: تلك آيات هادية ومبشرة.

٣ **الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة** المراد بالصلاة: الصلوات الخمس، والمراد بالزكاة: الصدقة المفروضة **وهم بالآخرة هم يوقنون** كرر للدلالة على الحصر: أي لا يوقن بالآخرة حق الإيقان إلا هؤلاء الجامعون بين الإيمان والعمل الصالح.

٤ **إن الذين لا يؤمنون بالآخرة وهم الكفار، أي: لا يصدقون بالبعث** **زينا لهم أعمالهم** زين الله لهم أعمالهم السيئة حتى رأوها حسنة، وقيل: المراد أن الله زين لهم الأعمال الحسنة، وذكر لهم ما فيها من خيري الدنيا والآخرة، فلم يقبلوا ذلك **فهم يعمهون** أي: يترددون فيها متحيرين، لا يهتدون إلى طريقة، ولا يقفون على حقيقة.

٥ **أولئك لهم سوء العذاب** في الدنيا كالقتل والأسر **وهم في الآخرة هم الأخسرون** أشد الناس خسرانا وأعظمهم خيبة.

٦ **وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم** أي: يلقي عليك فتلقاه، وتأخذه من لدن كثير الحكمة والعلم [وهو الله جلّت حكمته وتعالى مجده].

٧ **إذ قال موسى لأهله** امرأته في فيه.

٨ **فلما جاءها** أي وصل إلى موضع سيره من مدين إلى مصر، قيل: ولم يكن معه إذ ذاك إلا زوجته **إني آنست نارا** أبصرتها **سأتىكم منها بخبر** السين تدل على قرب مسافة النار **أو أتىكم بشهاب قبس** أتىكم بشعلة نار مقبوسة: أي مأخوذة من أصلها [والقبس ما أخذته من النار من مكان لتشعل به نارا أخرى] **لعلكم تصطلون** أي رجاء أن توقدوا بها نارا، فتستدفئوا بها من البرد، وقال ثعلب: أصل الشهاب عود في أحد طرفيه جرة، والآخر لا نار فيه.

٨ **فلما جاءها** أي وصل إلى موضع النار موسى **نودي أن بورك من في النار** النار هنا هي مجرد نور، ولكنه ظن موسى أنها نار، وحكي عن الحسن وسعيد ابن جبير أن المراد بمن في النار هو الله سبحانه: أي نوره، وقد أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس: يعني تبارك وتعالى نفسه كان نور رب العالمين في الشجرة **ومن حولها** يعني الملائكة. أن بورك: معناه أن الله تقدّس **وسبحان الله رب العالمين** وفيه تعجيب لموسى



تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مِنْ فِي النَّارِ
وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾ يَمْوَسِي
إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَالْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا
رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْوَسِي
لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ
ثُمَّ بَدَّلْ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ
يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ
آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١٢﴾
فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾
وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُلوًّا فَانْظُرْ
كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ
وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ

﴿تخرج بيضاء من غير سوء﴾ أي: من غير برص أو نحوه من الآفات، فأدخلها ثم أخرجها فإذا هي تبرق كالبرق ﴿في تسع آيات﴾ المعنى فيها آياتان من تسع، يعني العصا واليد، والبقية: الفلق، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والطمسة، والجذب في بواديهم، والنقصان في مزارعهم ﴿إلى فرعون وقومه﴾ أي: إنك مبعوث، أو مرسل [بهن] إلى فرعون وقومه ﴿إنهم كانوا قوما فاسقين﴾.

١٣ ﴿فلما جاءتهم آياتنا مبصرة﴾ أي: بلغت إليهم آياتنا التي تدل على صحة نبوة موسى حال كونها واضحة بينة، كأنها لفرط وضوحها تبصر نفسها، وقيل المعنى: أنها لوضوحها منظورة ﴿قالوا هذا سحر مبين﴾ ادعوا أن كونه سحراً أمراً واضح لا شبهة عندهم فيه.

١٤ ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم﴾ أي: كذبوا بها حال كون أنفسهم مستيقنة لها ﴿ظلمًا وعلوًّا﴾ شركاً وتكبراً عن أن يؤمنوا بما جاء به موسى وهم يعلمون أنها من عند الله ﴿فانظر﴾ يا محمد ﴿كيف كان عاقبة المفسدين﴾ أي تفكر في ذلك، فإن فيه معتبراً للمعتبرين، وقد كان عاقبة أمرهم الإغراق لهم في البحر على تلك الصفة الهائلة.

١٥ ﴿ولقد آتينا داود وسليمان علماً﴾ أي: علماً كثيراً ﴿وقالا الحمد لله﴾ أي: فعلاً به وقالوا الحمد لله ﴿الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين﴾ أي: فضلنا بالعلم والنبوة، وتسخير الطير والجن والإنس، ولم يفضلوا أنفسهم على الكل تواضعاً منهم. وفي الآية دليل على شرف العلم، وأن نعمة العلم من أجل النعم، وأن من أوتيها فقد أوتي فضلاً على كثير من العباد، ومنح شرفاً جليلاً.

﴿يا موسى لا تخف﴾ أي من الحية

وضررها ﴿إني لا يخاف لدي المرسلون﴾ أي: لا يخاف عندي من أرسلته برسالي، فلا تخف أنت.

١١ ﴿إلا من ظلم﴾ أي لكن الذي يخاف هو من أذنب في ظلم نفسه بالمعصية ﴿ثم بدل حسناً﴾ أي توبة وندماً ﴿بعد سوء﴾ أي بعد عمل سوء ﴿فإني غفور رحيم﴾ أي فإني أغفر لمن خاف مقام الله بعد ما وقع منه الذنب.

١٢ ﴿وأدخل يدك في جيبك﴾ الجيب فتحة القميص حيث يدخل الرأس

من ذلك.

٩ ﴿يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم﴾ العزيز الغالب القاهر، والحكيم في أمره وفعله. قيل إن موسى قال: يا رب من الذي ناداني؟ فأجابه الله سبحانه بقوله: إنه أنا الله.

١٠ ﴿والق عصاك﴾ فألقاها من يده فصارت حية ﴿فلما رآها تهتز كأنها جان﴾ تتحرك كما يتحرك الجان، هو الحية البيضاء، شبهها بالجان في خفة حركتها ﴿ولي مدبراً﴾ من الخوف ﴿ولم يعقب﴾ أي: لم يرجع، فقال الله سبحانه

مَنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ
يَتَائِبُهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مِنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ
إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ
جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾
حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَتَائِبُهَا النَّمْلُ
أَدْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ
لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي
أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدِي وَأَنْ أَعْمَلَ
صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾
وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ
الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ
أَوْ لِيَأْتِنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢١﴾ فَكَثَّ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ

١٦ ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ أي: ورثه العلم والنبوة [وليس المال، فإن الأنبياء لا يورثون كما صح به الحديث] ولو كان المراد وراثته المال لما خص سليمان بالذكر لأن جميع أولاده في ذلك سواء ﴿وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مِنْطِقَ الطَّيْرِ﴾ أي قال سليمان هذا القول تحذيراً بما أنعم الله به عليه وشكراً للنعمة التي خصه بها. وقدم منطق الطير لأنها نعمة خاصة به لا يشاركه فيها غيره. ومنطق الطير: كلام الطير، أي: فهُمَنِي الله ما يقول الطير ﴿وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ كل شيء تدعو إليه الحاجة: كالعلم، والنبوة، والحكمة، والمال، وتسخير الجن والإنس، والطير، والرياح، والوحش، والدواب، وكل ما بين السماء والأرض ﴿إِنْ هَذَا﴾ ما تقدم ذكره من التعليم والإيتاء ﴿لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ أي: الظاهر الواضح الذي لا يخفى على أحد.

١٧ ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ﴾ أي: جمع له جنوده من هذه الأجناس ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ الوازع في الحرب: الموكل بالصفوف يزع من تقدم منهم، أي يرده [إلى مكانه في الصف لتكون الصفوف منتظمة].

١٨ ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾ كأنها لما رأتهم متوجهين إلى الوادي فرّت ونهت سائر النمل منادية لها قائلة ﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾ جعل خطاب النمل كخطاب العقلاء لفهمها لذلك الخطاب ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ﴾ أي: حاذروا أن يبطأكم سليمان وجنوده بأرجلهم وحوافر دوابهم، فيحطموا أعضاءكم ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: قَدَّرْتُهُمْ قَبْلَ أَنْ يَفْعَلُوا، أي: لا يشعرون بحطمتكم، ولا يعلمون بمكانكم.

١٩ ﴿فَتَبَسَّمَ﴾ سليمان ﴿ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا﴾ والتبسم: أول الضحك، وكان

ما فقد من الطير وتعرف حال ما غاب منها، وكانت الطير تصحبه في سفره، وتظله بأجنحتها ﴿فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْهَدَ﴾ هل ذلك لسائر يستره عني، أو لشيء آخر؟ ثم ظهر له أنه غائب، فقال ﴿أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ أي: بل هل هو غائب.

٢١ ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ﴾ قيل: العذاب الشديد أن ينتف ريشه، وقيل: هو أن يمنعه من خدمته ﴿أَوْ لِيَأْتِنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ هو الحجة البينة على أن له عذراً في غيبته.

ضحك سليمان تعجباً من قولها وفهمها واهتدائها إلى تحذير النمل ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾ أي: ألهمني ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدِي﴾ فإن الإنعام عليها إنعام عليه، وذلك يستوجب الشكر منه لله سبحانه ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ أي: عملاً صالحاً ترضاه مني ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ أدخلني في جملتهم، وأثبت اسمي في أسمائهم، واحشرنِي في زميرهم إلى دار الصالحين وهي الجنة. ٢٠ ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ﴾ أي: تطلّب سليمان

لهم ما هم فيه لئلا يسجدوا لله **الذي يخرج الخبء في السماوات والأرض** أي: يظهر ما هو مخبوء ومخفي فيها: القطر من السماء، والنبات من الأرض، وقيل: خبء الأرض كنوزها ونباتها، وقيل: الخبء السر **ويعلم ما تخفون وما تعلنون** المعنى أن الله سبحانه يخرج ما في ضمائر هذا العالم الإنساني من الخفاء بعلمه له، كما يخرج ما يخرج مما خفي في السماوات والأرض.

٢٦ ﴿الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم﴾ خص العرش بالذكر لأنه أعظم المخلوقات كما ثبت ذلك في المرفوع إلى رسول الله ﷺ.

٢٧ ﴿قال﴾ سليمان للهدد «سننظر» فيما أخبرتنا به من هذه القصة **«أصدققت»** فيما قلت **«أم كنت من الكاذبين»** وفيه إرشاد إلى البحث عن الأخبار والكشف عن الحقائق، وعدم قبول خبر المخبرين تقليدا لهم واعتمادا عليهم إذا تمكن من ذلك بوجه من الوجوه.

٢٨ ﴿أذهب بكتابي هذا فألقه إليهم﴾ أي: إلى أهل سبأ **«ثم تول عنهم»** أي: تنح عنهم إلى مكان يسمع فيه حديثهم حتى يخبر سليمان بما سمع **«فانظر ماذا يرجعون»** استمع إلى ما يتراجعونه بينهم من الكلام، فذهب الهدد فألقاه إليهم وتنحى، فسمعها عندما:

٢٩ ﴿قالت﴾ أي: بلقيس «يا أيها الملأ إني أتى إلي كتاب كريم» عظمت إجلالا لسليمان، ولاشتماله على كلام حسن. **٣٠ ﴿إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم﴾** مفتتح بالتسمية، وبعد التسمية:

٣١ ﴿أن لا تعملوا علي﴾ أي لا تتكبروا كما يفعله جبابرة الملوك **«وأتوني مسلمين»** أي: منقادين للدين مؤمنين بما جئت به.

أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ، وَجِئْتُكَ مِنْ سَبِيلٍ يَنْبَغِي يَقِينٌ ﴿٢٦﴾
إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٧﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٨﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٩﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٣٠﴾
* قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣١﴾
أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظَرُ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٣٢﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٤﴾ أَلَّا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٥﴾

٢٢ ﴿فكث غير بعيد﴾ أي: الهدد كرسى الملك، قيل: كان من ذهب.

٢٤ ﴿وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله﴾ أي يعبدونها متجاوزين عبادة الله سبحانه، قيل: كانوا مجوسا **«وزين لهم الشيطان أعمالهم»** التي يعملونها، وهي عبادة الشمس وسائر أعمال الكفر **«فصدّهم عن السبيل»** أي صدّهم الشيطان بسبب ذلك التزيين عن الطريق الواضح، وهو الإيمان بالله وتوحيده **«فهم لا يهتدون»** إلى الحق من أمر الدين. **٢٥ ﴿ألا يسجدوا﴾** المعنى: زين لهم الشيطان ألا يسجدوا، وقيل: أي زين

مكث زمانا غير طويل، وقيل: بقي سليمان بعد التفقد والتوعد زمانا غير طويل فجاء **«فقال أحطت بما لم تحط به»** أي: علمت ما لم تعلمه من الأمر **«وجئتك من سبأ بنبا يقين»** سبأ: اسم لمدينة باليمن كانت فيها بلقيس ملكة. والنبأ: هو الخبر الخطير الشأن.

٢٣ ﴿إني وجدت امرأة تملكهم﴾ وهي بلقيس بنت شرجيل **«وأوتيت من كل شيء»** أوتيت من كل شيء في زمانها شيئا **«ولها عرش عظيم»** أي: العرش



قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُوْنَ ﴿٣٢﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوَّلُوا قُوَّةً وَأَوَّلُوا بَاسًا شَدِيدًا وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنُ قَالَ أُمِّدُونَنِي بِمَالٍ فَأَتَيْنَا اللَّهَ خَيْرَ مِمَّا أَتَيْتُكُمْ بِهِ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّاقِبِلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيْتُ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾

٣٢ «قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري» المعنى: يا أيها الأشراف أشيروا عليّ، وبينوا لي الصواب في هذا الأمر، وأجيبوني بما يقتضيه الحزم «ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون» أي ما كنت مبرمة أمرا من الأمور حتى تحضروا عندي وتشيروا عليّ.

٣٣ ف «قالوا» مجيبين لها «نحن أولو قوة» في العدد والعدة «وأولو بأس شديد» عند الحرب واللقاء، لنا من الشجاعة والنجدة ما نمنع به أنفسنا وبلدنا ومملكتنا «والأمر إليك» أي: التدبير موكل إلى رأيك ونظرك «فانظري ماذا تأمرين» أي: تأملي ماذا تأمريننا به، فنحن سامعون لأمرك مطيعون له.

٣٤ «قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها» أي: إذا دخلوا قرية من القرى خربوا مبانيها، وأتلفوا أموالها، وفرقوا شمل أهلها «وجعلوا أعزة أهلها أذلة» أي: أهانوا أشرافها وحطوا مراتبهم، فصاروا عند ذلك أذلة، وإنما يفعلون ذلك لأجل أن يتم لهم الملك، وتستحكم لهم الوطأة، وتتقرر لهم في قلوب الناس المهابة. وقد صدقها الله فقال سبحانه «وكذلك يفعلون».

٣٥ «وإني مرسله إليهم بهدية» فإن كان ملكا أرضيناه بذلك وكفينا أمره، وإن كان نبيا لم يرضه ذلك، لأن غاية مطلبه ومنتهى أربه هو الدعاء إلى الدين، فلا يرضى منا إلا بإجابته ومتابعته والتدين بدينه وسلوك طريقته، ولهذا قالت «فناظرة بم يرجع المرسلون» ثم أفكر وأدبر تبعا لما يرجع به رسل المرسلون بالهدية من قبول أو رد، فأعمل بما يقتضيه ذلك..

٣٦ «فلما جاء سليمان» أي: فلما جاء رسولها المرسل بالهدية إلى سليمان «قال أتمدونن بمال» أي: قال منكرا لإمدادهم

له بالمال مع علو سلطانه وكثرة ماله «فأأتاني الله» من النبوة والملك العظيم والأموال الكثيرة «خير مما آتاكم» من المال الذي هذه الهدية من جلته «بل أنتم بهديتكم تفرحون» وأما أنا فلا أفرح بها، وليست الدنيا من حاجتي. قال سليمان للرسول:

٣٧ «ارجع إليهم» إلى بلقيس وقومها «فلنأتيهم بجنود لا قبل لهم بها» لا طاقة لهم بها، فيدفعوا عن أنفسهم ويحموا ملكهم «ولنخرجنهم منها» من أرضهم التي هم فيها «أذلة» بعد ما كانوا أعزة

«وهم صاغرون» الصغار هو الذلة، وقيل الصغار هنا الأسر والاستعباد. ٣٨ «قال» سليمان «يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها» أي عرش بلقيس الذي تقدم وصفه بالعظم «قبل أن يأتوني مسلمين» أخبر بوحي من الله أنهم سيسلمون، [أو قدّر ذلك تقديرا بسبب معرفته بالحال]. قيل: أراد سليمان أخذ عرشها ليربها القدرة التي هي من عند الله، ويجعله دليلا على نبوته.

٣٩ «قال عفریت من الجن أنا آتیک به قبل أن تقوم من مقامك» قبل أن

قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ
 أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا
 مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَلَا يَمُنَّ
 بِشُكْرِ نَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾
 قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرُ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ
 لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ
 كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾
 وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ
 كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ
 لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقِيهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّنَ
 قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ
 لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمُ

انضمامها، كما تقول لصاحبك: افعل ذلك في لحظة **﴿فلما رآه مستقرا عنده﴾** أي فأذن له سليمان فدعا الله فأتى به، فلما رأى سليمان العرش حاضرا لديه **﴿قال هذا من فضل ربي ليبلوني أشكر أم أكفر﴾** أي: ليختبرني أشكره بذلك واعترف انه من فضله، أم أكفر بترك الشكر وعدم القيام به.

﴿٤١﴾ قال نكروا لها عرشها﴾ غيروا سريرها إلى حال تنكره إذا رآته، قيل: غير بزيادة ونقصان. وقيل: إنهم قالوا له إن في عقلها شيئا، فأراد أن يمتحنها

يقوم من مجلسه الذي يجلس فيه للحكومة بين الناس **﴿وإني عليه لقوي أمين﴾** إني لقوي على حمله أمين على ما فيه.

﴿٤٠﴾ قال الذي عنده علم من الكتاب﴾ قال أكثر المفسرين: اسم هذا الذي عنده علم من الكتاب آصف بن برخيا، من بني إسرائيل، وكان وزيراً لسليمان. وقيل هو سليمان نفسه، كان سليمان استبطأ ما قاله العفريت، فقال له تحقيرا لمقدرته: أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك، والمراد بالطرف تحريك الأجفان وفتحها للنظر، وارتداده

﴿ننظر أتهدي﴾ إلى معرفته، أو إلى الإيمان بالله **﴿أم تكون من الذين لا يهتدون﴾** إلى ذلك.

﴿٤٢﴾ ﴿فلما جاءت﴾ أي: بلقيس إلى سليمان **﴿قيل﴾** لها، والقاتل هو سليمان، أو غيره بأمره **﴿أهكذا عرشك قالت كأنه هو﴾** جعلت تعرف وتنكر، وتعجب من حضوره عند سليمان، فقالت: كأنه هو. قال عكرمة: كانت حكيمة: قالت إن قلت: هو هو، خشيت أن أكذب، وإن قلت: لا، خشيت أن أكذب، فقالت: كأنه هو **﴿وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين﴾** قيل هو من قول سليمان: أي أوتينا العلم بقدرة الله من قبل بلقيس، وقيل: أوتينا العلم بإسلامها وعيبتها طاعة من قبلها.

﴿٤٣﴾ ﴿وصدها﴾ أي عن الإيمان **﴿ما كانت تعبد من دون الله﴾** [تعلقها بعبادة الشمس التي نشأت عليها].

﴿٤٤﴾ ﴿قيل لها ادخلي الصرح﴾ الصرح: القصر. وقال ابن قتيبة: الصرح بلاط اتخذ لها من زجاج: وجعل تحته ماء وسمك **﴿فلما رآته حسبته لجة﴾** أي: ظننته بحراً. واللجة: معظم الماء، فلذلك **﴿كشفت عن ساقها﴾** لتخوض الماء، فلما فعلت ذلك **﴿قال﴾** سليمان **﴿إنه صرح ممرد من قوارير﴾** الممرد: المحكوك المملس. والممرد أيضا: المطول. فلما سمعت بلقيس ذلك أذعنت واستسلمت **﴿قالت رب إني ظلمت نفسي﴾** أي: بما كنت عليه من عبادة غيرك **﴿وأسلمت مع سليمان﴾** متابعة له داخله في دينه **﴿لله رب العالمين﴾** وأخرج ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم عن ابن عباس في أثر طويل أن سليمان تزوجها بعد ذلك. والأرجح أن زواجه بها من أخبار أهل الكتاب التي لا تصدق ولا تكذب.

٤٥ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ

صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ تفسير للرسالة،

أي: بأن اعبدوا الله ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ﴾

الفريقان المؤمنون منهم والكافرون، كل

فريق بخاصم على ما هو فيه، ويزعم أن

الحق معه. وقيل: إن الخصومة بينهم في

صالح: هل هو مرسل أم لا؟

٤٦ ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ

قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ بالعذاب قبل الرحمة. لم

تؤخروا الإيمان الذي يجلب إليكم

الثواب، وتقدمون الكفر الذي يجلب

إليكم العقوبة؟ وقد كانوا لفرط كفرهم

يقولون: اثنا يا صالح بالعذاب ﴿لَوْلَا

تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ﴾ هلا تستغفرون الله،

وتتوبون إليه من الشرك ﴿لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ﴾

كي ترحموا فلا تعذبوا.

٤٧ ﴿قَالُوا أَطِيرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ﴾

أصله تطيرنا، أي تشاء منا بك وبمن معك

ممن أجابك ودخل في دينك، قيل:

أصابهم قحط فتشاءموا بصالح ﴿قَالَ﴾ لهم

صالح ﴿طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي ليس

ذلك بسبب الطير الذي تشاءمون به، بل

سبب ذلك عند الله [فكل أموركم

بيده، يصنع ما يشاء ولا علم للطير

بذلك] ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ أي:

تمتحنون وتختبرون. وقيل: يفتنكم

الشیطان بما تقعون فيه من الطيرة، أو بما

لأجله تتطيطرون.

٤٨ ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ التي فيها صالح

وهي الحجر ﴿تِسْعَةَ رَهْطٍ﴾ أي: تسعة

رجال من أبناء الأشراف. وهؤلاء التسعة

هم أصحاب قُذَارٍ عَاقِرٍ النَاقَةِ ﴿يُفْسِدُونَ

فِي الْأَرْضِ وَلَا يَصْلَحُونَ﴾ أي: شأنهم

وعملهم الفساد في الأرض الذي لا

يخالطه صلاح.

٤٩ ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ﴾ أي: قال

بعضهم لبعض: [تعالوا يحلف كل منا

للآخرين مثلاً] ﴿لِنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾ جواب

صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾

قَالَ يَخْتَصِمُونَ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا

تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا أَطِيرْنَا بِكَ وَبِمَنْ

مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾

وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا

يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ

لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾

وَمَكْرُؤًا مَكْرًا وَمَكْرُؤًا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾

فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِهِمْ أَنَّا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ

أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّا فِي ذَلِكَ

لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا

يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ

فأهلكتناهم ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بمكر الله.

٥١ ﴿أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ دمر

التسعة الرهط المذكورين، ودمر قومهم

الذين لم يكونوا معهم عند مباشرتهم

لذلك، ولم يسلم من العقوبة فرد من

أفرادهم.

٥٢ ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ﴾ أي خالية

عن أهلها خراباً ليس بها ساكن ﴿بِمَا

ظَلَمُوا﴾ أي بسبب ظلمهم.

٥٣ ﴿وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وهم صالح

ومن آمن به ﴿وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ الله ويخافون

عذابه.

القسم: أي لثأينه بغته في وقت البيات،

فنقتله وأهله ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ﴾ لقريبه

المطالب بدمه ﴿مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ﴾

تحالفوا أن يبيتوا صالحاً وأهله، ثم ينكروا

عند أوليائه أنهم ما فعلوا ذلك. [بقولهم

ما شهدنا: أي ما رأينا مقتله أصلاً،

إيهاماً منهم بأنهم ما قتلوه ولا حضروا

مقتله] ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [أي: في قولنا

ما شهدنا مهلك أهله، فإنهم لو قتلوه في

الظلام لم يروه حال القتل].

٥٠ ﴿وَمَكْرُؤًا مَكْرًا﴾ أي: بهذه الطريقة

﴿وَمَكْرُؤًا مَكْرًا﴾ جازيناهم بفعالهم



تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَتَنْكُرُونَ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ
النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ * فَا كَانَ جَوَابَ
قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ أَلْ لَّوِطَ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ
أُنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ
قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ
مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ ﴿٥٨﴾ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ
الَّذِينَ اصْطَفَى ؕ اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا
بِهِ حَدَاقٍ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا
أَوَلَمْ يَكُنْ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّنْ جَعَلَ
الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ
وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ؕ أَوَلَمْ يَكُنْ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ

أي: الذين اختارهم، وهم صفوة
البشرية: أمة محمد ﷺ، والأنبياء
وأتباعهم ﴿الله خير أما يشركون﴾
الأصنام، وقيل المعنى: أثواب الله خير،
أم عقاب ما تشركون به؟

٦٠ ﴿أمن خلق السماوات والأرض﴾
تقديره آلهتكم خير أم من خلق
السماوات والأرض، وقدر على خلقهن
﴿وانزل لكم من السماء ماء﴾ أي: نوعا
من الماء، وهو المطر ﴿فأنبتنا به حدائق﴾
الحديقة: البستان الذي عليه حائط
﴿ذات بهجة﴾ أي: ذات حسن ورونق
يبتهج به من رآه ﴿ما كان لكم أن
تنبتوا شجرها﴾ أي: ما كان للبشر ولا
يتيأ لهم ذلك، ولا يدخل تحت مقدرتهم،
لعجزهم عن إخراج الشيء من العدم إلى
الوجود ﴿إله مع الله﴾ [أي: أقفل ذلك
كله إله مع الله حتى تعبدوه، أم الذي
صنعه هو الله وحده؟] وقيل المعنى: هل
معبود مع الله الذي تقدم ذكر بعض
أفعاله، حتى يقرن به ويجعل شريكا له في
العبادة؟ ﴿بل هم قوم يعدلون﴾ أي:
يعدلون بالله غيره، أو يعدلون عن الحق
إلى الباطل.

٦١ ﴿أمن جعل الأرض قرارا﴾ أي:
دحاها وسواها بحيث يمكن الاستقرار
عليها ﴿وجعل لها رواسي﴾ أي: جبالا
ثوابت تمسكها وتمنعها من أن تضطرب
بالبحر الذين عليها ﴿وجعل بين البحرين
حاجزا﴾ البحرين: هما العذب والمالح،
فلا يختلط أحدهما بالآخر، فلا هذا يغير
ذاك ولا ذاك يدخل في هذا، وقد مر
بيانه في سورة الفرقان ﴿إله مع الله﴾
أي: إذا ثبت أنه لا يقدر على ذلك إلا
الله، فهل في الوجود إله يصنع صنعه،
ويخلق مثل خلقه؟ فكيف يشركون به
مالا يضر ولا ينفع؟ ﴿بل أكثرهم لا
يعلمون﴾ توحيد ربهم وسلطان قدرته.

العقوبة على هذه المعصية.
٥٦ ﴿إنهم أناس يتطهرون﴾ أي يتنزهون
عن أدبار الرجال، قالوا ذلك استهزاء بهم.
٥٧ ﴿فأنجيناه وأهله﴾ من العذاب ﴿إلا
امرأته قدرناها من الغابرين﴾ أي قدرنا
أنها من الباقيين في العذاب.
٥٨ ﴿فساء مطر المنذرين﴾ المراد:
بالمنذرين الذين أنذروا فلم يقبلوا،
أمطروا بالحجارة حتى ماتوا.
٥٩ ﴿قل الحمد لله﴾ أي: قل يا محمد
الحمد لله على هلاك كفار الأمم الخالية
﴿وسلام على عباده الذين اصطفى﴾

٥٤ ﴿ولوطا﴾ أي: وأرسلنا لوطا ﴿إذ
قال لقومه أتأتون الفاحشة﴾ أي: الفعلة
المتناهية في القبح والشناعة، وهم أهل
سدوم ﴿وأنتم تبصرون﴾ بمعنى النظر،
لأنهم كانوا لا يستترون حال فعل
الفاحشة عتوا وتمردا، وقد تقدم تفسير هذه
القصة في سورة الأعراف مستوفى.
٥٥ ﴿أتئنكم لتأتون الرجال شهوة﴾ فيه
تكرير للتوبيخ مع التصريح بأن تلك
الفاحشة هي اللواط ﴿من دون النساء﴾
أي متجاوزين النساء اللاتي هن محل
لذلك ﴿بل أنتم قوم تجهلون﴾ مقدار عظم

لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ
السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۚ أُولَٰئِكَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا
مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيْحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۚ أُولَٰئِكَ مَعَ اللَّهِ
تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ
وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ أُولَٰئِكَ مَعَ اللَّهِ قُلْ
هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ
فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ
أَيَّانَ يَبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلْ أَدَارِكُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلَلَهُمْ
فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلَلٌ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءَابَاؤُنَا إِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ
وَعَدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ

٦٢ ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾

المضطّر: هو المكروب المجهد الذي لا حول له ولا قوة، الذي عراه ضر من فقر أو مرض، فأجاءه إلى التضرع إلى الله سبحانه، الذي هو يجيب دعاء المضطر إذا دعاه مخلصاً له الدين ﴿ويكشف السوء﴾ يرفع كل ما يسوء العبد، ومنه الضر، والمرض، والفقر ﴿ويجعلكم خلفاء الأرض﴾ يهلك قرناً وينشئ آخرين، وقيل: يجعل المسلمين خلفاً من الكفار، ينزلون أرضهم وديارهم ﴿إله مع الله﴾ يوليكم هذه النعم الجسام، أم هو الله وحده ﴿قليلًا ما تذكرون﴾ فترجعون إلى الحق، وهو الاعتراف لله تعالى بنعمه، وتخصيصه بالعبادة دون سائر المعبودات.

٦٣ ﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ

وَالْبَحْرِ﴾ أي: يرشدكم في الليالي المظلمات إذا سافرتكم في مفاوز البر التي لا أعلام لها، ولجج البحار. وشبهها بالظلمات لعدم ما يهتدون به فيها إلا بما وضعه الله تعالى من العلامات، وما هداهم إليه من الآلات ﴿ومن يرسل الرياح بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ يرسل الرياح بين يدي المطر مبشرات بقرب نزوله ﴿إله مع الله﴾ يفعل ذلك ويوجده ﴿تعالى الله عما يشركون﴾ أي تنزهه

وتقدس عن أن يكون له شريك مما يجعلونه شريكاً له.

٦٤ ﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾

كانوا يقولون بأن الله سبحانه هو الخالق فألزمهم الإعادة ﴿ومن يرزقكم من السماء والأرض﴾ بالمطر والنبات والأنعام ﴿إله مع الله﴾ يصنع شيئاً من ذلك حتى تجعلوه شريكاً له ﴿قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾ أي: اثبتوني بحجتكم على أن الله سبحانه شريكاً، أو هاتوا حجتكم أن ثم صانعاً يصنع كصنعه [فإنكم لو كنتم صادقين فيما تدعون أن مع الله

شريكاً يصنع مثل صنعه لأمكنكم البرهنة على ذلك].

٦٥ ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ أي لا يعلم أحد من المخلوقات الغيب الذي استأثر الله بعلمه ﴿وما يشعرون أيان يبعثون﴾ أي: لا يشعرون متى ينشرون من القبور.

٦٦ ﴿بَلْ أَدَارِكُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾

تكامل علمهم في الآخرة، لأنهم رأوا كل ما وعدوا به وعاینوه، وذلك حين لا ينفعهم العلم، لأنهم كانوا في الدنيا مكذبين ﴿بل هم في شك منها﴾ أي:

بل هم اليوم في الدنيا في شك من الآخرة، ثم أضرب عن ذلك إلى ما هو

أشد منه فقال ﴿بل هم منها عمون﴾ فلا يدركون شيئاً من دلائلها لاختلال بصائرهم التي يكون بها الإدراك.

٦٧ ﴿وقال الذين كفروا أنذا كنا تراباً وأباؤنا أنما لمخرجون﴾ استنكروا واستبعدوا أن يخرجوا من قبورهم أحياء بعد أن قد صاروا تراباً.

٦٨ ﴿لقد وعدنا هذا﴾ يعنون البعث

﴿نحن وأباؤنا من قبل﴾ أي: من قبل وعد محمد لنا [وما نرى أحداً من آبائنا

الْأُولَٰئِكَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ
فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ رَدِفَ
لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ
عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾
وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ
مُبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أَنْ يَقُصَّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ
أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُ لَهْدَىٰ وَرَحْمَةٌ
لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾

بقربه، قيل: هو عذابهم بالقتل يوم بدر،
وقيل: هو عذاب القبر.

٧٣ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى
النَّاسِ﴾ في تأخير العقوبة وغيره من
أفضاله سبحانه وإنعامه ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ
لَا يَشْكُرُونَ﴾ فضله وإنعامه، ولا يعرفون
حق إحسانه.

٧٤ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ
صُدُورُهُمْ﴾ أي ما تخفيه ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾
وما يظهرون من أقوالهم وأفعالهم.

٧٥ ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ الغائبة جميع ما
أخفى الله عن خلقه وغيبه عنهم، فهو
مبين في اللوح المحفوظ، فكيف يخفى عليه
شيء من ذلك، ومن جملة ذلك ما
يستعجلونه من العذاب، فإنه موقت
بوقت، ومؤجل بأجل علمه عند الله،
فكيف يستعجلونه قبل أجله المضروب له؟

٧٦ ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقْصُّ عَلَىٰ بَنِي
إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾
نزل القرآن مبينا لما اختلفوا فيه من
الحق، فلو أخذوا به لوجدوا فيه ما يرفع
اختلافهم ويدفع تفرقهم.

٧٧ ﴿وَإِنَّهُ لَهْدَىٰ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي:
وإن القرآن هدى ورحمة لمن آمن بالله
وتابع رسوله.

٧٨ ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِ﴾
أي: يقضي بين المختلفين من بني إسرائيل
بما يحكم به من الحق، فيجازي الحق
ويعاقب المبطل، وقيل: يقضي بينهم في
الدنيا فيظهر ما حرفوه ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْعَلِيمُ﴾ العزيز الذي لا يغالب، والعليم
بما يحكم به.

٧٩ ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ فوض إليه
أمرك، واعتمد عليه فإنه ناصر، ولا
تبال بمن يعاندك من المشركين ﴿إِنَّكَ عَلَى
الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ أي: الظاهر كونه حقا لا
ينبغي أن يشك فيه بوجه من الوجوه.

٧٠ ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ لما وقع منهم من
الإصرار على الكفر ﴿وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ﴾
وهو ما تضيق عنه الصدور ﴿مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾
أي: لا يضيق صدرك بدعوة الله لما ترى
من مكر هؤلاء بك.

٧١ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ﴾ أي:
بالعذاب الذي تعدنا به ﴿إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ﴾ في ذلك.

٧٢ ﴿قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ
بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ أي: عسى أن
يكون قد قرب ودنا وأزف بعض
ما تستعجلونه من العذاب وأنتم لا تشعرون

عاد بعد موته] ﴿إِنَّ هَذَا﴾ أي قالوا:
ليس هذا الوعد بالبعث ﴿إِلَّا أَسَاطِيرُ
الْأُولَٰئِكَ﴾ أحاديثهم وأكاذيبهم الملفقة
المسطورة في الكتب المتقدمة وليس وحيا
من عند الله.

٦٩ ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ وشاهدوا
عظيم آثار من قبلكم ﴿فَانظُرُوا﴾
بأبصاركم وبصائركم لتروا ﴿كَيْفَ كَانَ
عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي: كيف كانت
نهاية الأمر، وخاتمة حال الذين كذبوا بما
جاءت به الأنبياء من الإخبار بالبعث،
فإن في المشاهدة زيادة اعتبار.

٨٠ ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا الصَّمَّ الدُّعَاءَ﴾ شبه الكفار بالموتى الذين لا حس لهم ولا عقل وبالصم، لأنهم لا يسمعون المواعظ ولا يجيبون الدعاء إلى الله ﴿إِذَا وَلَوْ مَدْبَرِينَ﴾ أي: إذا عرضوا عن الحق إعراضاً تاماً، فإن الأصم لا يسمع الدعاء إذا كان مقبلاً، فكيف إذا كان معرضاً عنه مولياً مدبراً.

٨١ ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعَمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ﴾ أي: ما أنت بمُرشد من أعماه الله عن الحق إرشاداً يوصله إلى المطلوب منه وهو الإيمان، وليس في وسعك ذلك ﴿إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُوْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ أي: ما تسمع إلا من يصدق بالقرآن لا من يكفر به ﴿فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ أي: فهم منقادون مخلصون.

٨٢ ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ حق العذاب عليهم، وذلك عند اقتراب الساعة، وما فيها من فنون الأهوال التي كانوا يستعجلونها ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ﴾ الله أعلم بوصف تلك الدابة، وعلى أي هيئة تكون، فهي من علامات الساعة ﴿تَكَلِّمُهُمْ﴾ أي: تحدث الناس ﴿أَنْ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يَوْقِنُونَ﴾ أي: فتخبر الناس أن فلاناً مؤمن وفلاناً كافر. روى مسلم عن ابن عمر مرفوعاً «أن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى».

٨٣ ﴿فَهُمْ يَوْزَعُونَ﴾ أي: اذكر يا محمد: يوم نجتمع من كل أمة من الأمم جماعة مكذبين بآياتنا، فهم عند ذلك الحشر يرد أولهم على آخرهم.

٨٤ ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوا﴾ إلى موقف الحساب ﴿قَالَ﴾ الله لهم ﴿أَكْذَبْتُمْ بآيَاتِي﴾ التي أنزلتها على رسلي، وأمرتهم بإبلاغها إليكم ﴿وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا﴾ بل كذبتهم بها مُبَادِرِينَ قبل التصور الصحيح

إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَوْ مَدْبَرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعَمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُوْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ * وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَخْشِرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ أَكْذَبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَا ذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَالْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنَا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصَرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ

٨٦ ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنَا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصَرًا﴾ أي: جعلنا الليل للسكون والاستقرار والنوم، بسبب ما فيه من الظلمة [والبرودة]، فإنهم لا يسمعون فيه للمعاش، وجعلنا النهار ليُبصروا فيه ما يسمعون له من المعاش الذي لا بد لهم منه.

٨٧ ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ الصور: قرن ينفخ فيه إسرافيل. والنفخات في الصور ثلاث: الأولى: نفخة الفزع، والثانية: نفخة الصعق، والثالثة: نفخة البعث. وقيل إنها نفختان، وإن نفخة

لها ومعرفة معانيها ودلالاتها، وكل من فعل ذلك فهو مستحق لأن تنزل به قارعة من قوارع العقوبة التي تزجره عن جهله وضلاله وطمعه على ما لا يعرفه ولا يعلم به، ولا يحيط بكنهه ﴿أَمْ مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ حتى شغلكم ذلك عن النظر فيها والتفكير في معانيها.

٨٥ ﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا﴾ أي: وجب القول عليهم بإنزال العقوبة بسبب الظلم الذي أعظم أنواعه الشرك بالله ﴿فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ﴾ عند وقوع القول عليهم: أي ليس لهم عذر ينطقون به.



إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى
 الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ
 اللَّهِ الَّذِي أَتَقَنَ كُلُّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾
 مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ
 ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ
 فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾
 إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا
 وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾
 وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ فَمَنْ أَهْتَدَى فَأِنَّمَا يَهْتَدِ لِنَفْسِهِ
 وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرَ يَكْرُمُ آيَتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ
 عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

فزع جميع ذلك اليوم. وقيل المراد: الفزع
 الأكبر المذكور في قوله (لا يحزنهم الفزع
 الأكبر)

٩٠ ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ المراد بالسيئة
 هنا: الشرك ﴿فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾
 أي كُتِبُوا فيها على وجوههم، وألقوا فيها
 وطرحوا عليها ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ
 تَعْمَلُونَ﴾ أي: يقول لهم خزنة جهنم: ما
 تجزون إلا جزاء عملكم السيء.

٩١ ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ
 الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا﴾ أي قل يا محمد:
 إنما أمرت أن أخص الله بالعبادة وحده
 لا شريك له، رب مكة التي فيها بيت
 الله الحرام. ومعنى حرَّمها: جعلها حرما
 آمنا لا يسفك فيها دم، ولا يظلم فيها
 أحد، ولا يصطاد صيدها ﴿وَلَهُ كُلُّ
 شَيْءٍ﴾ خلقا، وملكا، وتصرفا ﴿وَأُمِرْتُ
 أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ أي المنقادين
 لأمر الله المستسلمين له بالطاعة، وامثال
 أمره، واجتناب نهيه.

٩٢ ﴿وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ﴾ المراد: تلاوة
 الدعوة إلى الإيمان، أي: أن أقرأ عليكم
 القرآن لأنذركم به، وأدعوكم به إلى
 طاعة الله ﴿فَمَنْ أَهْتَدَى فَأِنَّمَا يَهْتَدِ
 لِنَفْسِهِ﴾ لأن نفع ذلك راجع إليه ﴿وَمَنْ
 ضَلَّ﴾ بالكفر، وأعرض عن الهداية،
 فوبال ضلاله عليه ﴿فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ
 الْمُنذِرِينَ﴾ وقد فعلت، بإبلاغ ذلك
 إليكم، وليس عليّ غير ذلك.

٩٣ ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على نعمه من
 النبوة والعلم وغير ذلك ﴿سِيرَ يَكْرُمُ آيَاتِهِ﴾
 في أنفسكم وفي غيركم ﴿فَتَعْرِفُونَهَا﴾ أي:
 تعرفون آياته، ودلائل قدرته ووحدانيته،
 وهذه المعرفة لا تنفع الكفار، لأنهم
 عرفوها حين لا يقبل منهم الإيمان، وذلك
 عند حضور الموت ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا
 تَعْمَلُونَ﴾ ترهيب وتهديد.

تسير سيرا حثيثا كسير السحاب التي
 تسيرها الرياح. وهذا يوم القيامة
 [ويمحتمل أن ذلك في الدنيا، ويكون
 إشارة إلى دوران الأرض، يحسبها أهلها
 ساكنة وهي متحركة، ولقوله فيما بعد:]
 ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتَقَنَ كُلُّ شَيْءٍ﴾
 [فإن الصنع والإتقان غير النسف، فإن
 الله ينسف الجبال يوم القيامة نسفا] ﴿إِنَّهُ
 خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ فلأجل خبرته صنع ما
 صنع، وأتقن كل شيء، والخبير: المطلع
 على الظواهر والضمائر.

٨٩ ﴿وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ من

الفزع هذه إما أن تكون هي نفخة
 الصعق أو نفخة البعث ﴿فَفَزَعٌ مِنْ فِي
 السَّمَاوَاتِ وَمِنْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي:
 خافوا وانزعجوا لشدة ما سمعوا ﴿إِلَّا مَنْ
 شَاءَ اللَّهُ﴾ ألا يفزع عند تلك النفخة.
 قيل: هم الشهداء والأنبياء والمؤمنون
 كافة، بدليل قوله فيما بعد (من جاء
 بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ
 آمنون) ﴿وَكُلُّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ صاغرين
 أذلاء.

٨٨ ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ أي
 قائمة ساكنة ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾

سُورَةُ الْقَصَصِ

(٢٨) سُورَةُ الْقَصَصِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا ثَمَانِينَ وَمِائَتَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَمَ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُو
عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾
إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ
طَائِفَةً مِنْهُمْ يَذِخُّ أبنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ
مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا
فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾
وَنُكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا
مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ

٣ ﴿نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: نوحى إليك من خبرهما في هذه السورة الكريمة، متصفاً بالحق، ليكون ما فيها من الحق وأخبار الأنبياء هداية للمؤمنين وعبرة لهم، أما من يكفر به فلا ينتفع بما فيه.

٤ ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي تكبر وتجبّر بسلطانه في أرض مصر، وادعى الربوبية، واستعبد أهلها ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ أي: فرقاً وأصنافاً في خدمته، يشايعونه على ما يريد، ويطيعونه، فيقهر بعض شيعهم ببعض ﴿يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ﴾ الطائفة: هم بنو إسرائيل ﴿يَذِخُّ أبنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾ كان فرعون يذبح أبناءهم ويترك البنات، قيل: لأن المنجمين في ذلك العصر أخبروه أنه يذهب ملكه على يد مولود من بني إسرائيل. قال الزجاج: والعجب من حق فرعون، فإن الكاهن الذي أخبره بذلك إن كان صادقاً فما ينفع القتل، وإن كان كاذباً فلا معنى للقتل [وفي تصديق هذا القول ما فيه، إذ المنجمون لا يعلمون من الغيب شيئاً، ولا يجوز شرعاً التصديق بمثل هذه الأخبار. ولعل قتله لأبنائهم لمجرد الاستعداد، أو لأخبار تناقلها الإسرائيليون عن أنبيائهم بظهور موسى. والله أعلم] ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ في الأرض بالمعاصي والتجبر والقتل وغيرها من فعل أهل الإفساد.

٥ ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أي نريد بتدبيرنا الحكيم أن نتفضل عليهم بعد استضعافهم [ولذلك هيأ الله تعالى ما هيأه من اصطفاء موسى، وبعثه رسولاً، وما أعطاه من الآيات حتى أخرج بني إسرائيل من مصر، وأهلك فرعون وجنده،

على ما يأتي تفصيل خبره بعد هذا الإجمال]. ﴿وَنَجْعَلُهُمْ أَئِمَّةً﴾ قادة في الخير، ودعاة إليه، وولاة على الناس وملوكاً فيهم ﴿وَنَجْعَلُهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ أي للأرض المقدسة، وهي أرض بيت المقدس، كما قال الله تعالى (وأورثنا القوم الذين كانوا يُستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها).

٦ ﴿وَنُكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: نجعلهم مقتدرين عليها يتصرفون كيف شاءوا ﴿وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا﴾ أي: ويرى الله فرعون

٧ ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ أي ألهناها وقذفنا في قلبها، وليس ذلك هو الوحي الذي يوحى إلى الرسل ﴿فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ﴾ من فرعون بأن يبلغ خبره إليه ﴿فَأَلْقَاهُ فِي الْيَمِّ﴾ وهو بحر النيل، وقد تقدم بيان الكيفية التي ألقته عليها في اليم في سورة طه (الآية ٣٩) ﴿وَلَا تَخَافِ وَلَا تَحْزَنِ﴾ أي: لا تخافي عليه الفرق أو

أَرْضِيهِ ۖ فَإِذَا خَفِيَ عَلَيْهِ فَالِقِهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا
تَحْزَنِي ۚ إِنَّا رَأَدُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾
فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۖ إِنَّ فِرْعَوْنَ
وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ
فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا
أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أَمِّ
مُوسَىٰ قَرِيغًا ۖ إِنَّ كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ ۖ لَوْلَا أَنَّ رَبَّنَا عَلَىٰ
قَلْبِهَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتِ لِأُخْتِهِ
قُصِّصِي قِصَّتِي ۖ فَبَصُرَتْ بِهِ ۖ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾
* وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ
عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾
فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ ۖ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَلِنَعْلَمَ أَنَّ

سمعت بوقوعه في يد فرعون **﴿إن كادت لتبدي به﴾** كادت أن تقول إنه ابنها من فرط ما دهمها من الدهش والخوف والحزن **﴿لولا أن ربطنا على قلبها﴾** أي لولا أن الله عز وجل شد قلبها وقواه بالسكينة والطمأنينة والثقة بوعده الله تعالى أنه سيرد إليها ابنها ولولا أن أهمها الله الصبر والأناة **﴿لتكون من المؤمنين﴾** من المصلقين بوعده الله برده إليها.

١١ **﴿وقالت لأخته قصيه﴾** تنبهي أثره واعرفي خبره **﴿فبصرت به عن جنب﴾** رآته وهي متجاففة غاتلة **﴿وهم لا يشعرون﴾** أنها تقصه وتتبع خبره وأنها أخته.

١٢ **﴿وحرمنا عليه المراضع﴾** أي: منعناه أن يرضع من المرضعات **﴿من قبل﴾** من قبل أن نرده إلى أمه، وقد كانت امرأة فرعون طلبت لموسى المرضعات ليرضعه، فلم يرضع من واحدة منهم **﴿ف﴾** عند ذلك **﴿قالت﴾** أي: أخته لما رأت امتناعه من الرضاع **﴿هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم﴾** أي: يضمنون لكم القيام به وإرضاعه **﴿وهم له ناصحون﴾** أي: مشفقون عليه لا يقصرون في إرضاعه وتربيته.

١٣ **﴿فرددناه إلى أمه﴾** أي: فدلتهم على أم موسى فدفعوه إليها، فقبل ثديها، ورضع منه **﴿كي تقر عينها﴾** بولدها **﴿ولولا تحزن﴾** على فراقه. وفيما يؤثر عن ابن عباس: إنها لما قالت أخته (وهم له ناصحون) شگوا في أمرها وقالوا: وما يدريك بنصحهم له وشفقتهم عليه، فقالت: لرغبتهم في سرور الملك. فأطلقوها. فلما قبل ثديها أحسنت إليها امرأة الملك وأجرت عليها النفقة والكساوي. أي فكانت ترضع ولدها وتأخذ عليه الأجر من عدوه. وهذا تدبير الحكيم العليم.

﴿خاطئين﴾ عاصين آثمين في كل أفعالهم وأقوالهم.

٩ **﴿قرة عين لي ولك﴾** أي: قالت امرأة فرعون لفرعون، هذا الطفل سيكون مصدر سرور لي ولك **﴿لا تقتلوه عسى أن ينفعنا﴾** فنصيب منه خيراً **﴿أو نتخذه ولدا﴾** وكانت لا تلد، فاستوهبت من فرعون فوهبه لها **﴿وهم لا يشعرون﴾** أي لا يشعرون أن هلاكهم على يده.

١٠ **﴿وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً﴾** أي: فارغاً من كل شيء إلا من أمر موسى، كأنها لم تهتم بشيء سواه لما

الضيعة، ولا تحزني لفراقه **﴿إنا رآدوه إليك﴾** عن قريب على وجه تكون به نجاته **﴿وجاعلوه من المرسلين﴾** الذين نرسلهم إلى العباد.

٨ **﴿فالتقطه آل فرعون﴾** أخذوا التابوت الذي فيه موسى من البحر **﴿ليكون لهم عدواً وحزناً﴾** أخذوه ليكون لهم ولدا وقرة عين، لا ليكون عدواً، فكان عاقبة ذلك أنه كان لهم عدواً وحزناً. فاعجبوا لتدبير الله وعظيم حكمته إذ ربي موسى في حجر فرعون فكان هلاكه على يده **﴿إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا**



وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ ۖ فَاسْتَغْنَىٰ الَّذِي مِّنْ شِيعَتِهِ عَلَىٰ الَّذِي مِّنْ عَدُوِّهِ ۖ فَوَكَّرَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ۖ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَن أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ ۖ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا أَنِ ارَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَمْوَسَىٰ

﴿ولتعلم أن وعد الله﴾ أي: جميع وعده، ومن جملة ذلك أن الله وفاها بوعده عندما وعدها بقوله: ﴿إنا رآدوه إليك﴾ ﴿حق﴾ لا خلف فيه واقع لا محالة ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ بل هم في غفلة عن القدر وسر القضاء، أو أكثر الناس لا يعلمون بذلك.

١٤ ﴿ولما بلغ أشده﴾ قيل الأشد ما بين الثمانية عشر إلى الثلاثين، والاستواء إشارة إلى كمال الخلقة ﴿آتيناها حكما وعلماً﴾ الحكم: الحكمة على العموم، وقيل النبوة، وقيل: الفقه في الدين، والعلم معرفته بدينه ودين آبائه ﴿وكذلك نجزي المحسنين﴾ أي: مثل ذلك الجزاء الذي جزيينا أم موسى نجزي المحسنين على إحسانهم.

١٥ ﴿ودخل المدينة﴾ أي: ودخل موسى مدينة مصر الكبرى ﴿على حين غفلة من أهلها﴾ أي: مستخفيا، قيل: لما عرف موسى ما هو عليه من الحق في دينه عاب ما عليه قوم فرعون، وفشا ذلك منه فأخافوه فخافهم، فكان لا يدخل المدينة إلا مستخفيا ﴿فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته﴾ أي: ممن شايعه على دينه، وهم بنو إسرائيل ﴿وهذا من عدوه﴾ وهم قوم فرعون ﴿فاستغاثه الذي من شيعته﴾ أي: طلب منه أن ينصره ويعينه ﴿على الذي من عدوه﴾ فأغاثه، قيل: أراد القبطي أن يسخر الإسرائيلي ليحمل حطباً لمطبخ فرعون، فأبى عليه، واستغاث بموسى ﴿فوكزه موسى﴾ الوكز: الضرب بجمع الكف على القلب، وقيل: ضربه بعصاه ﴿فقضى عليه﴾ أي: قتله، وكل شيء أتيت عليه وفرغت منه، فقد قضيت عليه، قيل: لم يقصد موسى قتل القبطي، وإنما قصد دفعه فأقى ذلك على نفسه، ولهذا ﴿قال هذا من عمل الشيطان﴾ لأنه لم يكن مأموراً بقتله،

وقيل: إن تلك الحالة حالة كف عن القتال لكونه مأموناً عندهم، فلم يكن له أن يفتلهم ﴿إنه عدو مضل مبين﴾ أي: عدو للإنسان يسعى في إضلاله، ظاهر العداوة والإضلال.

١٦ ﴿قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر﴾ الله ﴿له﴾ ذلك ﴿إنه هو الغفور الرحيم﴾ ووجه استغفاره أنه لم يكن لنبى أن يقتل حتى يؤمر.

١٧ ﴿قال رب بما أنعمت عليّ فلن أكون ظهيراً للمجرمين﴾ أي: بسبب ما أنعمت به عليّ من العلم والحكمة

والمغفرة فلن أعين مجرماً على إجرامه.

١٨ ﴿فأصبح في المدينة خائفاً يترقب﴾

أي: دخل في وقت الصباح في المدينة التي قتل فيها القبطي يترقب المكروه أو يترقب الفرج ﴿فإذا الذي استنصره

بالأمس يستصرخه﴾ أي: فإذا صاحبه

الإسرائيلي الذي استغاثه بالأمس يقاتل

قبطياً آخر أراد أن يسخره ويظلمه ﴿قال

له موسى إنك لغوي مبين﴾ أي: بين

الغواية، وذلك لأنه تسبب بالأمس لقتل

رجل، ويريد اليوم أن يتسبب لقتل

آخر.

من القوم الظالمين.

٢٢ ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ﴾ أي نحو ديار قبيلة مدين قاصدا لها، أي: سلك في الطريق الذي يوصل إلى مدين **﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾** إلى مدين فلا أضلّ عن الطريق

٢٣ ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾ أي: وصل إليه، وهو الماء الذي يستقون منه **﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أَمَةٌ مِّنَ النَّاسِ يَقْسُونَ﴾** وجد على الماء جماعة كثيرة من الناس يسقون مواشيهم **﴿وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾** تحبسان أغنامهما عن الماء حتى يفرغ الناس، ويخلّوا بينها وبين الماء **﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾** أي: قال موسى للمرأتين ما شأنكما لا تسقيان غنمكما مع الناس؟ **﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يَصْدُرَ الرَّعَاءُ﴾** عادتنا التأتى حتى يصدر الناس عن الماء، وينصرفوا منه، حذراً من مخالطتهم، أو عجزاً عن السقي معهم **﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾** عالي السن، أي: لا يقدر أن يسقي ماشيته من الكبر، فلذلك احتجنا ونحن امرأتان ضعيفتان أن نسقي الغنم.

٢٤ ﴿فَ﴾ لما سمع موسى كلامهما **﴿سَقِي لَهَا﴾** أي: سقى أغنامهما لأجلهما **﴿ثُمَّ﴾** لما فرغ من السقي لهما **﴿تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ﴾** أي: انصرف إليه، فجلس فيه **﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ﴾** أي: محتاج إلى ذلك.

٢٥ ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَىٰ اسْتِحْبَاءٍ﴾ أي: فذهبتا إلى أبيهما سريعتين، فحدثته بما كان من الرجل الذي سقى لهما، فأمر إحدى بنتيه أن تدعوه له فجاءته. وذهب أكثر المفسرين إلى أنها ابنتا شعيب [وليس في القرآن أو السنة ما يدل على أنه شعيب].

أُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ۖ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَمُْوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أَمَةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَىٰ

العواقب، ولا يدفع بالتي هي أحسن **﴿وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾** بين الناس.

٢٠ ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى﴾ أقصى المدينة: آخرها وأبعدها **﴿قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾** أي يتشاورون في قتلك، ويتآمرون بسبك **﴿فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾**.

٢١ ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ فخرج موسى من المدينة خائفاً من الظالمين مترقباً لحوقهم به وإدراكهم **﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي﴾**

١٩ ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾ أي: يبطش بالقبطي الذي هو عدو لموسى وللإسرائيلي حيث كان ظالماً لقومهما **﴿قَالَ يَا مُوسَى﴾** القاتل: هو الإسرائيلي، ظن أنه يريد أن يبطش به فقال لموسى: **﴿أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾** فلما سمع القبطي ذلك أفشاه، ولم يكن قد علم أحد، وقيل: إن القاتل هو القبطي، وكان قد بلغه الخبر **﴿إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ﴾** الجبار: الذي يفعل ما يريد من الضرب والقتل، ولا ينظر في

﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ

مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ أي جزاء سقيك لنا

﴿فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ﴾

أخبره بجميع ما اتفق له من عند قتله

القبطي إلى عند وصوله إلى ماء مدين

﴿قَالَ﴾ أبوهم ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ

الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي: فرعون وأصحابه،

لأن فرعون لا سلطان له على مدين.

٢٦ ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ

اسْتَأْجِرْهُ لِيرْعَى لَنَا الْغَنَمَ﴾ إن خير من

استأجرت القوي الأمين﴾ أي: إنه

حقيق باستجارك له لكونه جامعاً بين

خصليتي القوة والأمانة [وهاتان الصفتان

إذا اجتمعتا في إنسان فهو أولى الناس

بالقيام بذلك العمل، سواء أكان أجيلاً

أم وكيلاً أم موظفاً أم ناظراً إلى غير

ذلك. وأولها الأمانة، فلا يخون فيها وكيل

إليه مما يملكه غيره، والثانية: القوة على

ذلك العمل، وتشمل الخبرة فيه، والهمة

الدافعة لأدائه، والقدرة البدنية] وكل

ذلك كان في موسى عليه السلام.

٢٧ ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكَحَكَ

إِحْدَى ابْنَتَي هَاتَيْنِ﴾ فيه مشروعية

عرض ولي المرأة لها على الرجل الكفء

الصالح، وهذه سنة ثابتة في الإسلام،

كما ثبت من عرض عمر لابنته حفصة

على أبي بكر وعثمان رضي الله عنهم

جميعاً وأرضاهم، والقصة معروفة، وغير

ذلك مما وقع في أيام النبوة وأيام الصحابة

﴿عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حِجْجَ﴾ أي:

على أن يكون مهر ابنتي أن تعمل عندي

ثمانين سنين ترعى غنمي ﴿فَإِنْ أَتَمَمْتَ

عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ﴾ أي: إن أتمت ما

استأجرتك عليه من الرعي عشر سنين

بدل ثمان، بأن زدتي سنتين على الثمان،

فمن عندك: أي تفضلاً منك لا إلزاماً مني

لك، جعل ما زاد موكولاً إلى المروءة

﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾ بإلزامك

أَسْتَحْيَا قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ

لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ

نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَتَأْتِ

أَسْتَجِرُّهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَعَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾

قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكَحَكَ إِحْدَى ابْنَتَي هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ

تَأْجُرَنِي ثَمْنِي حِجْجَ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا

أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ

الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجْلَيْنِ

فَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾

* فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ

جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا

لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ

إتمام العشرة الأعوام ﴿ستجدني إن شاء

الله من الصالحين﴾ في حسن الصحبة

والوفاء.

٢٨ ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾

الإشارة إلى ما تعاقدنا عليه ﴿أَيُّمَا الْأَجْلَيْنِ

فَضَيْتُ﴾ ثمانياً أو عشراً ﴿فَلَا عُدْوَانَ

عَلَيَّ﴾ فلا ظلم عليّ بطلب الزيادة على

ما قضيته من الأجلين، جمعها ليجمع

الأول كالأتم في الوفاء ﴿وَاللَّهُ عَلَى

مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ أي: على ما نقول من

هذه الشروط الجارية بيننا شاهد وحفيظ،

فلا سبيل لأحدنا إلى الخروج عن شيء

٢٩ ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ﴾ هو

أكملها وأوفاهما، وهو العشرة الأعوام

﴿وسار بأهله﴾ إلى مصر، وفيه دليل على

أن الرجل يذهب بأهله حيث شاء

﴿آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا﴾ وقد تقدم

تفسير هذا في سورة طه مستوفى ﴿قَالَ

لَأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي

آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ﴾ وهذا تقدم تفسيره

أيضاً في سورة طه وفي سورة النمل ﴿أَوْ

جَذْوَةٍ﴾ الجذوة: قطعة من الجمر

﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ أي تستدفئون بالنار.



تَصْطَلُونَ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ
فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوِسَىٰ إِلَىٰ أَنَا اللَّهُ
رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣١﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهْتَزُّ كَانَهَا
جَانٌّ وَلَّىٰ مُدِرِبًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْوِسَىٰ أَقْبَلَ وَلَا تَخَفْ
إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴿٣٢﴾ أَسْلَكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخَرُّجَ
بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ
فَذَنِكَ بُرْهَانًا مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا
قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا
فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿٣٤﴾ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي
لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ
يُكَذِّبُونِ ﴿٣٥﴾ قَالَ سَنُنْشِئُ عُصْدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكَ
سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكَ بِأَيِّتِنَا أَنْتَ وَمَنِ اتَّبَعَكَ

أي منهزما ﴿ولم يعقب﴾ أي لم يرجع ﴿يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين﴾ قد تقدم تفسير ما ذكر هنا مستوف.

٣٢ ﴿اسلك يدك في جيبك﴾ أي أدخلها إلى صدرك من فتحة قميصك [تخرج بيضاء من غير سوء] أي: من غير داء يكون بها] وكان موسى كما في الحديث عند البخاري آدم (أي أسمر اللون) ﴿واضمم إليك جناحك﴾ أي: اضمم إليك يديك المبسوطتين لتقي بها الحية ﴿من الرهب﴾ من أجل الخوف ﴿فذانك﴾ إشارة إلى العصا واليد ﴿برهانان من ربك إلى فرعون وملائه﴾ أي حجتان نيرتان ودليان واضحان ﴿إنهم كانوا قوما فاسقين﴾ خارجين عن طاعة الله.

٣٣ ﴿قال رب إنني قتلته منهم نفسا﴾ القبطي الذي وكزه ففضى عليه ﴿فأخاف أن يقتلوني﴾ أي أخاف أن يقتلوني بها.

٣٤ ﴿وأخي هارون هو أفصح مني لسانا﴾ كان في لسان موسى حبة ﴿فأرسله معي ردءا﴾ الردء: المعين، شفع موسى لأخيه هارون في أن يكون رسولا مثله ليعينه على أداء المهمة ﴿يصدقني إنني أخاف أن يكذبون﴾ إذا لم يكن معي هارون لعدم انطلاق لساني بالحاجة.

٣٥ ﴿قال سنشد عضدك بأخيك﴾ أجاب الله تعالى طلبه [وجعل هارون رسولا] وقواه به ﴿ونجعل لك سلطانا﴾ أي: حجة وبرهانا، أو تسلطا على فرعون وعلى قومه ﴿فلا يصلون إليك﴾ بالأذى ولا يقدرون على غلبتكما بالحجة ﴿بآياتنا﴾ أي: تمتنعان منهم بآياتنا، أو اذهبا بآياتنا ﴿أننا ومن اتبعكما الغالبون﴾ تبشير لها وتقوية لقلوبها.

سمة خضراء ترف، فصليت على النبي ﷺ وسلمت، فأهوى إليها بعيري وهو جائع، فأخذ منها ملء فيه فلاكه، فلم يستطع أن يسيغه، فلفظه، فصليت على النبي وسلمت، ثم انصرفت.

٣١ ﴿وأن ألق عصاك﴾ أي قال الله تعالى له هذا في موقفه ذاك، وقد تقدم تفسير هذا وما بعده في سورتي طه والنمل، فآلقها فصارت ثعبانا فاهتزت ﴿فلما رآها تهتز كأنها جان﴾ الجان نوع من الأفاعي أبيض، أي صارت مثل الجان في سرعة حركتها مع عظم جسمها ﴿ولي مدبر﴾

٣٠ ﴿فلما أتاه﴾ أي: أتى النار التي أبصرها ﴿نودي من شاطئ الواد الأيمن﴾ والأيمن صفة للشاطئ، من جهة اليمين المقابل لليسار بالنسبة إلى موسى [أو بالنسبة إلى اتجاه الماء إذا سال الوادي] ﴿في البقعة المباركة﴾ وقد سماه الله في موضع آخر: الوادي المقدس ﴿ومن الشجرة﴾ كانت نابتة على الشاطئ. وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن عبد الله بن مسعود قال: ذكرت لي الشجرة التي آوى إليها موسى، فسرت إليها يومي وليلتي حتى صبحتها، فإذا هي

الْغَالِبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ
 قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرٍ وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا
 الْأُولِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى
 مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ
 الظَّالِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَأْتِيهَا الْمَلَائِكَةُ لَعَلَّكُمْ
 مِنْ إِلَهِ غَيْرِي فَاتَّقِدْ لِي يَهْمَنْ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِي
 صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأظنه من
 الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَاسْتَكْبَرَهُ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ
 الْحَقِّ وَظَنُوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ
 وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
 الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ
 الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً

٣٦ ﴿فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا إلا سحر مفترى﴾ أي: مُخْتَلَقٌ مكذوب اختلقه من قبل نفسك ﴿وما سمعنا بهذا﴾ الذي جئت به من دعوى النبوة، أو ما سمعنا بهذا السحر ﴿في آبائنا الأولين﴾ أي: لم يكن واقعا [في عهد أجدادنا، وهم أهل الحضارة، فهو حري أن يكون كذبا].

٣٧ ﴿وقال موسى ربّي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده﴾ يريد نفسه، جاء بهذه العبارة لئلا يصرح لهم بما يريد قبل أن يوضح لهم الحجة. والله أعلم ﴿ومن تكون له عاقبة الدار﴾ أي: الله أعلم بمن سيكون له النصر في آخر الأمر ﴿إنه لا يفلح الظالمون﴾ أي: لا يفوزون بمطلب خير.

٣٨ ﴿وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري﴾ تمسك اللعين بمجرّد الدعوى الباطلة مغالطة لقومه، وقد كان يعلم أن ربه الله، ثم رجع إلى تكبره وتجبّره وإيهام قومه بكمال اقتداره، فقال ﴿فأوقد لي يا هامان على الطين﴾ أي: اطبخ لي الطين حتى يصير أجراً ﴿فاجعل لي صرحاً﴾ أي قصراً عاليا ﴿لعلّي أطلع إلى إله موسى﴾ أي: أصدد إليه ﴿وإني لأظنه من الكاذبين﴾ [يوهم قومه أنه مجرد ناظر يطلب الحق].

٣٩ ﴿واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق﴾ المراد بالأرض أرض مصر، والاستكبار التعظم بغير استحقاق، بل بالعدوان، لأنه لم يكن له حجة يدفع بها ما جاء به موسى، ولا شبهة ينصبها في مقابلة ما أظهره من المعجزات ﴿وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون﴾ المراد بالرجوع البعث والمعاد.

٤٠ ﴿فأخذناه وجنوده﴾ بعد أن عتوا في الكفر وجاوزوا الحد فيه ﴿فنبدناهم في اليم﴾ أي: طرحناهم في البحر، وقد

تقدم بيان الكلام في هذا ﴿فانظر كيف كان عاقبة الظالمين﴾ أي انظر يا محمد كيف كان آخر أمر الكافرين حين صاروا إلى الهلاك.

٤١ ﴿وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار﴾ أي: صيرناهم رؤساء متبوعين مطاعين في الكافرين يدعون أتباعهم إلى النار، لأنهم اقتدوا وسلكوا طريقهم تقليدا لهم ﴿ويوم القيامة لا ينصرون﴾ أي: لا ينصرهم أحد ولا يمنعهم مانع من عذاب الله.

٤٢ ﴿واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة﴾ أي طردوا وإبعادا، أو أمرنا العباد بلعنهم، فكل من يذكرهم بلعنهم ﴿ويوم القيامة هم من المقبوحين﴾ المقبوح: المطرود المبعد المقنوت، وقيل المقبوح: المشوه الخلقة.

٤٣ ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ يعني التوراة ﴿من بعد ما أهلكنا القرون الأولى﴾ أي: من بعد قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم، وقيل: من بعد ما أهلكنا فرعون وقومه وخسفنا بقارون ﴿بصائر للناس﴾ أي: آتيناه الكتاب لأجل أن يتبصر به الناس الحق، ويبتعدوا إليه، وينقذوا أنفسهم من الضلالة بالاهتداء

وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا
مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى
بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾
وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا
كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ
عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ
ءَايَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ
إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مِمَّا أَتَتْهُمْ مِنْ
نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ
مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ
إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾
فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ

سبحانه بوحى منه إلى رسوله.

٤٥ ﴿وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا﴾ أي: خلقنا
أما بين زمان موسى وزمانك يا محمد
﴿فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ طالت عليهم
المهلة، وتمادى عليهم الأمد، فتغيرت
الشرائع والأحكام، وتنوسيت الأديان،
فتركوا أمر الله ونسوا عهده. وقد استدل
بهذا الكلام على أن الله سبحانه قد عهد
إلى موسى عهداً في محمد ﷺ وفي الإيمان
به، فلما طال عليهم العمر ومضت القرون
بعد القرون نسوا تلك العهد وتركوا الوفاء
بها ﴿وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾

به ﴿وَرَحْمَةً﴾ من الله رحمهم بها ﴿لَعَلَّهُمْ
يَتَذَكَّرُونَ﴾ هذه النعم فيشكرون الله
و يؤمنون به ويحييون داعيه إلى ما فيه خيرهم.
٤٤ ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ﴾ أي:
وما كنت يا محمد بالجانب الغربي للوادي
في سيناء، أي: حيث ناجى موسى ربه
﴿إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ﴾ أي:
عهدنا إليه وأحكنا الأمر معه بالرسالة إلى
فرعون وقومه ﴿وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾
لذلك حتى تقف على حقيقته وتحكيه
لقومك وتقص عليهم خبره من جهة
نفسك، فبذلك يتبين أنه من عند الله

أي: مقياً بينهم كما أقام موسى، حتى
تقرأ على أهل مكة خبرهم، وتقص عليهم
من جهة نفسك ﴿تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ أي:
تقرأ على أهل مدين آياتنا وتعلم منهم.
وقيل: بل هو مبتدأ كلام، أي كأنه
قيل: وما أنت تتلو على أمتك ﴿وَلَكِنَّا
كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ أي: أرسلناك إلى أهل
مكة، وأنزلنا عليك هذه الأخبار، ولولا
ذلك لما علمتها.

٤٦ ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ
نَادَيْنَا﴾ أي: وما كنت يا محمد بجانب
الجبل المسمى بالطور إذ نادينا موسى
﴿وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ أي: ولكن
[أوحينا إليك القرآن، وقصصنا عليك خبر
موسى وكلام الله تعالى له، رحمة من
ربك] ﴿لِتُنْذِرَ قَوْمًا مِمَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ
مِنْ قَبْلِكَ﴾ والقوم هم أهل مكة، فإنه لم
يأتهم نذير ينذرهم قبله ﴿لَعَلَّهُمْ
يَتَذَكَّرُونَ﴾ أي يتعظون بإنذارك.

٤٧ ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا
قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ
إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ أي هلا أرسلت إلينا رسولا
من عندك ﴿فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ﴾ التنزيلية
الظاهرة الواضحة ﴿وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾
بهذه الآيات. ومعنى الآية: أنا لو
عذبناهم قبل بعثتك لقالوا: طال العهد
بالرسل، ولم يرسل الله إلينا رسولا،
ويعتدون أن ذلك عذر لهم. ولكننا أكملنا
الحجة وأزحنا العلة، وأتممنا البيان
بإرسالك يا محمد إليهم.

٤٨ ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا
لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى﴾ أي: فلما
جاء أهل مكة الحق من عند الله وهو
محمد ﷺ وما أنزل عليه من القرآن،
قالوا تعنتا منهم: هلا أوتي هذا الرسول
مثل ما أوتي موسى من الآيات التي من
جلتها التوراة المنزلة عليه جملة واحدة،
فأجاب الله عن سؤالهم بقوله:

مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوْ لَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ
 قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ
 فَأَتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ
 كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا
 يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ
 هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾
 * وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾
 الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾
 وَإِذَا بُدئَ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ آمَنُوا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا
 إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ
 مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا
 رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ

﴿أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل﴾
 أي: قد كفر كفار قريش بآيات موسى،
 كما كفروا بآيات محمد ﴿قالوا سحران
 نظاهرا﴾ أي تعاونا على الكذب وشهد
 أحدهما للآخر، يعنون التوراة والقرآن، أو
 نبوة محمد ونبوة موسى ﴿وقالوا إنا بكل
 كافرون﴾ أي: بكل من موسى ومحمد،
 أو التوراة والقرآن.

٤٩ ﴿قل فاتوا بكتاب من عند الله هو
 أهدى منها﴾ من التوراة والقرآن ﴿إن
 كنتم صادقين﴾ إن كنتم - فيما وصفتم
 به الرسولين أو الكتابين - صادقين.

٥٠ ﴿فإن لم يستجيبوا لك﴾ أي: لم
 يفعلوا ما كلفتهم به من الإتيان بكتاب
 إلهي هو أهدى من الكتابين. وقيل المعنى:
 فإن لم يستجيبوا لك بالإيمان بما جئت به
 ﴿فاعلم أنما يتبعون أهواءهم﴾ أي:
 آراءهم الزائفة، واستحساناتهم الزائفة،
 بلا حجة ولا برهان ﴿ومن أضل ممن
 اتبع هواه بغير هدى من الله﴾ أي: لا
 أحد أضل منه.

٥١ ﴿ولقد وصلنا لهم القول﴾ أتبعنا
 بعضه بعضاً، وبعثنا رسولا بعد رسول،
 يصلق كل منهم من قبله من الرسل
 ﴿لعلهم يتذكرون﴾ عفاة أن ينزل بهم
 ما نزل من قبلهم.

٥٢ ﴿الذين آتيناهم الكتاب من قبله﴾
 أي من قبل القرآن ﴿هم به يؤمنون﴾
 أخبر سبحانه أن [الذين أوتوا الكتاب
 حق الإيتاء، بأن كانوا مصدقين به تمام
 التصديق] وهم طائفة من بني إسرائيل
 فإنهم يؤمنون بالقرآن، كعبد الله بن سلام
 وسائر من أسلم من أهل الكتاب.

٥٣ ﴿إنه الحق من ربنا﴾ أي الحق
 الذي نعرفه، المنزل من ربنا ﴿إنا كنا
 من قبله مسلمين﴾ أي: مخلصين لله
 بالتوحيد، أو مؤمنين بمحمد وبما جاء به
 لما نعلمه من ذكره في التوراة والإنجيل

الآخر، وبالنبي الأول والنبي الآخر
 ﴿وبدراون بالحسنة السيئة﴾ أي يدفعون
 بالاحتمال والكلام الحسن ما يلاقونه من
 الأذى من مثل ما يتعرض لهم به سائر
 قومهم ممن لم يؤمن بالقرآن، وقيل يدفعون
 بالطاعة المعصية ﴿وما رزقناهم ينفقون﴾
 ينفقون أموالهم في الطاعات، وفيما أمر به
 الشرع.

٥٥ ﴿وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه﴾
 تكزوا وتنزها وتأدبا بآداب الشرع. واللغو
 هنا هو ما يسمعون من المشركين من
 الشتم لهم ولدينهم، والاستهزاء بهم

من التبشير به، وأنه سيبيث آخر الزمان
 وينزل عليه القرآن.

٥٤ ﴿أولئك يؤتون أجرهم مرتين﴾
 أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي
 موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ
 «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من
 أهل الكتاب آمن بالكتاب الأول
 والآخر، ورجل كانت له أمة فأدبها
 فأحسن تأديبها، ثم أعطاها وتزوجها، وعبد
 مملوك أحسن عبادة ربه ونصح لسيده»
 ﴿بما صبروا﴾ أي: بسبب صبرهم وثباتهم
 على الإيمان بالكتاب الأول والكتاب



وَقَالُوا لَنَّا أَعْمَلْنَا وَلَكُمُ أَعْمَلُكُمْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي
الْجَاهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ
يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوا إِنْ
تَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُخْطِفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَرْتُمْكِنَ هُمْ
حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ وَرِزْقًا مِنْ لَدُنَّا
وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَرَّ أَهْلُكَا مِنْ قَرْيَةٍ
بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَنِكَ مَسْكِنُهُمْ لَمْ تُسْكِنْ مِنْ بَعْدِهِمْ
إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ
الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا
وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا أَوْتِيتُمْ
مِنْ شَيْءٍ فَتَنَعُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ
وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَن وَعَدْنَاهُ وَعَدًا حَسَنًا

فأنتم في أمن من أن يتخطفكم الناس [**يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ** أي تجمع إليه الثمرات على اختلاف أنواعها من الأراضي المختلفة وتحمل إليه **«ولكن أكثرهم لا يعلمون»** لفرط جهلهم، ومزيد غفلتهم، وعدم تفكيرهم في أمر معادهم ورشادهم.

٥٨ «وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها» كانوا في خفض عيش ودعة ورخاء، فبطروا النعمة، فأهلكوا. وقال عطاء: عاشوا في البطر، فأكلوا رزق الله وعبدوا الأصنام **«فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً»** أي: لم يسكنها أحد بعدهم إلا زمناً قليلاً كالذي يمر بها مسافراً، فإنه يلبث فيها يوماً أو بعض يوم، وأكثرها خراب **«وكنا نحن الوارثين»** لهم، لأنهم لم يبق منهم أحد يرث منازلهم وأموالهم.

٥٩ «حق يبعث في أمم رسولاً يتلو عليهم آياتنا» يذرهم ويتلو عليهم آيات الله الناطقة بما أوجبه الله عليهم، وما أعده من الشواب للمطيع والعقاب للعاصي، قيل: المراد بأم القرى هنا مكة **«وما كنا مهلكي القرى»** بعد أن نبعث إلى أمم رسولاً **«إلا وأهلها ظالمون»** قد استحقوا الإهلاك بظلمهم وكفرهم بالله ورسله.

٦٠ «وما أوتيتم من شيء فتناع الحياة الدنيا وزينتها» تتمتعون به مدة حياتكم ثم تزولون عنه أو يزول عنكم **«وما عند الله»** من ثوابه جزائه **«خير»** من ذلك الزائل الفاني، لأنه لذة خالصة عن شوب الكدر **«وأبقى»** لأنه يدوم أبداً، وهذا ينقضي بسرعة **«أفلا تعقلون»** أن الباقي أفضل من الفاني.

٦١ «أفمن وعدناه وعداً حسناً» أي وعدناه بالجنة وما فيها من النعم التي لا تحصى.

المستعدين لها. وهذه الآية نزلت في أبي طالب لما امتنع عن الإسلام مع شدة حرص النبي ﷺ على إيمانه، فأت على دين عبدالمطلب، كما ثبت في الصحيحين وغيرهما.

٥٧ «وقالوا إن تتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا» أي: قال مشركو قريش ومن تابعهم: إن ندخل في دينك يا محمد يتخطفنا العرب من أرضنا، يعنون مكة، ولا طاقة لنا بهم **«أولم نمكن لهم حرماً آمناً»** ألم نجعل لهم حرماً ذا أمن [لا يعتدي أحد من الناس على أهله،

«وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم» لا يلحقنا من ضرر كفركم شيء، ولا يلحقكم من نفع إيماننا شيء **«سلام عليكم»** المراد به سلام التاركة، ومعناه: أمانة لكم منا وسلامة، لا نجابوكم بالسوء، ولا نجاريكم فيما أنتم فيه. قال الزجاج: وهذا قبل الأمر بالقتال **«لا نبتغي الجاهلين»** أي لا نطلب صحبتهم. **٥٦ «إنك لا تهدي من أحببت»** من الناس، وليس ذلك إليك **«ولكن الله يهدي من يشاء»** هدايته **«وهو أعلم بالمهتدين»** أي: القابلين للهداية

فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ
شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ
الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا
تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ادْعُوا
شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ
لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا
أَجَبْتُمْ أَلْمُسْلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ
فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ
صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ
مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى
عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ

﴿فهو لاقيه﴾ أي مدركه لا محالة، فإن الله لا يخلف الميعاد، هل هو ﴿كمن﴾ متعناه متاع الحياة الدنيا، فأعطي منها بعض ما أراد، مع سرعة زواله وتنغيصه ﴿ثم هو يوم القيامة من المحضرين﴾ الذين أحضروا للعذاب. أي هو صائر إلى النار، فهل يستويان؟

٦٢ ﴿ويوم يناديهم﴾ ينادي الله سبحانه هؤلاء المشركين ﴿فيقول﴾ لهم: ﴿أين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾ أنهم ينصرونكم ويشفعون لكم؟

٦٣ ﴿قال الذين حق عليهم القول﴾ أي: في يوم الحشر يقول الذين حقت عليهم كلمة العذاب، وهم رؤساء الضلال الذين اتخذهم الكافرون أربابا من دون الله: ﴿ربنا هؤلاء الذين أغوينا﴾ أي: دعوناهم إلى الضلالة، يعنون الأتباع ﴿أغويناهم كما غوينا﴾ أي: أضللناهم كما ضللنا ﴿تبرأنا إليك﴾ منهم، والمعنى أن رؤساء الضلال، أو الشياطين، تبرءوا ممن أطاعهم ﴿ما كانوا إيانا يعبدون﴾ أي: وإنما كانوا يعبدون أهواءهم.

٦٤ ﴿وقيل ادعوا شركاءكم﴾ قيل للكفار من بني آدم: استغيثوا بأهلتكم التي كنتم تعبدونهم من دون الله في الدنيا لينصروكم ويدفعوا عنكم ﴿فدعوهم﴾ عند ذلك ﴿فلم يستجيبوا لهم﴾ ولا نفعوهم بوجه من وجوه النفع ﴿ورأوا العذاب﴾ أي التابع والمتبوع يرون العذاب إذا أقبل عليهم وقد غشيهم ﴿لو أنهم كانوا يهتدون﴾ المعنى: لو أنهم كانوا يهتدون لأنجأهم ذلك ولم يروا العذاب.

٦٥ ﴿ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبت المرسلين﴾ أي: ما كان جوابكم لمن أرسل إليكم من النبيين لما بلغوكم رسالاتي؟

٦٦ ﴿فعميت عليهم الأنباء يومئذ﴾

٦٨ ﴿وربك يخلق ما يشاء﴾ أن يخلقه ﴿ويختار﴾ ما يشاء أن يختاره ﴿ما كان لهم الخيرة﴾ بل الاختيار هو إلى الله عز وجل. قيل إن هذه الآية جواب عن قولهم (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) وقيل: هذه الآية جواب عن اليهود حيث قالوا: لو كان الرسول إلى محمد غير جبريل لآمنا به. أي قد خلقهم الله تعالى على الصورة التي شاءها هو، لا كما شاءوا هم، واختار من الرسل من شاء ﴿سبحان الله﴾ أي: تنزهه أن ينازعه منازع أو يشاركه مشارك

أي: خفيت عليهم الحجج، حتى صاروا كالعمي الذين لا يهتدون [إلى طريقهم ولا يجدون من يدهم عليه ولا يوصلهم إلى مكان النجاة] ﴿فهم لا يتساءلون﴾ لا يسأل بعضهم بعضا، ولا ينطقون بحجة، ولا يدرون بما يجيبون، لأن الله قد أعذر إليهم في الدنيا، فلا يكون لهم عذر ولا حجة يوم القيامة.

٦٧ ﴿فأما من تاب﴾ من الشرك والمعاصي ﴿وآمن وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفlichen﴾ الفائزين بمطالبتهم من سعادة الدارين.

وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ
 فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾
 قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ
 الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾
 قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ
 الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ
 أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ
 لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾
 وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾
 وَتَزَعَّنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا
 أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ * إِنَّ
 قَرُونَكُمْ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ



تحتاجون إليه وتصلح به ثماركم، وتنمو
 عنده زرائعكم، وتعيش فيه دوابكم
﴿أفلا تسمعون﴾ سماع فهم وقبول وتدبر
 وتفكر؟

**٧٢ ﴿قل أرأيتم إن جعل الله عليكم
 النهار سرمدًا إلى يوم القيامة﴾** أي:
 جعل جميع الدهر الذي تعيشون فيه نهارًا
 دائمًا مستمرًا إلى يوم القيامة **﴿من إله غير
 الله يأتاكم بليل تسكنون فيه﴾** أي:
 تستقرون فيه من النصب والتعب
 وتستريحون مما تزاولون من طلب المعاش
 والكسب **﴿أفلا تبصرون﴾** هذه المنفعة
 العظيمة إيصار متعيط متيقظ، حتى
 تنزجروا عما أنتم فيه من عبادة غير الله.

**٧٣ ﴿ومن رحمته جعل لكم الليل
 والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله﴾**
 أي جمع لكم في الخلق بين هذين الخلقين
 العظيمين وهما النهار والليل، لكي يمكنكم
 الجمع بين الكسب والسعي وبين الراحة
 والسكون، وبذلك تستقيم حياتكم
﴿ولعلكم تشكرون﴾ أي: ولكي تشكروا
 نعمة الله عليكم.

٧٥ ﴿ونزعنا من كل أمة شهيدًا﴾ يشهد
 عليهم يوم القيامة، وهم الأنبياء، وقيل
 عدول كل أمة **﴿فقلنا هاتوا برهانكم﴾**
 أي حجتكم ودليلكم بأن معي شركاء،
 فعند ذلك اعترفوا وخرسوا عن إقامة
 البرهان **﴿فعلّموا أن الحق لله﴾** في
 الإلهية، وأنه وحده لا شريك له **﴿وضل
 عنهم ما كانوا يفترون﴾** أي غاب عنهم
 وبطل وذهب ما كانوا يخترعونه من
 الكذب في الدنيا بأن الله شركاء
 يستحقون العبادة.

٧٦ ﴿إن قارون كان من قوم موسى﴾
 قال النخعي وقتادة وغيرهما: كان قارون
 ابن عم موسى **﴿فبغى عليهم﴾** أي: جاوز
 الحد في التجبر والتكبر عليهم وخرج عن
 طاعة موسى وكفر بالله.

٧١ ﴿قل أرأيتم﴾ أي: أخبروني **﴿إن
 جعل الله عليكم الليل سرمدًا﴾** أي
 مستمرًا دائمًا من دون نهار يأتي بعده،
 أي: لو كان الدهر الذي تعيشون فيه
 ليلاً دائمًا إلى يوم القيامة، لم يتمكنوا من
 الحركة فيه، وطلب ما لا بد لهم منه، مما
 يقوم به العيش من الطعام والمشارب
 والملابس **﴿من إله غير الله يأتاكم
 بضياء﴾** أي: هل لكم إله من الآلهة
 التي تعبدونها يقدر على أن يرفع هذه
 الظلمة الدائمة عنكم بضياء: أي بنور
 تطلبون فيه المعيشة، وتبصرون فيه ما

﴿وتعالى عما يشركون﴾ أي: عن الذين
 يجعلونهم شركاء له، أو عن إشراكهم
﴿وربك يعلم ما تكن صدورهم﴾ أي:
 تخفيه من الشرك، أو من عداوة رسول
 الله ﷺ **﴿وما يعلنون﴾** أي: ما يظهرونه
 من ذلك.

**٧٠ ﴿وهو الله لا إله إلا هو له الحمد
 في الأولى﴾** أي الدنيا **﴿والآخرة﴾** أي
 الدار الآخرة **﴿وله الحكم﴾** يقضي بين
 عباده بما شاء من غير مشارك **﴿وإليه
 ترجعون﴾** بالبعث، فيجازي المحسن
 بإحسانه، والمسيء بإساءته.

مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ
إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾
وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ
مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ
الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْهِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ
إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ
أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ قُوَّةً وَأَكْثَرُ
جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَى
قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا
يَلْبِثَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾
وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ
وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ

﴿وَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ﴾ الكنز هو المال
المدخر ﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ﴾ أي: مفاتيح
خزائن ماله وصناديقه المقلدة ﴿لَتَنُوءَ﴾
بالعصبة أولي القوة تميل بالمجموعة من
الرجال إذا أرادوا حملها. فكيف يكون
مقدار تلك الكنوز نفسها؟ والمراد بالعصبة
الجماعة التي يتعصب بعضها لبعض
ويعين بعضهم بعضاً كأنهم يد واحدة،
قيل: هي من الثلاثة إلى العشرة ﴿إِذْ
قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ﴾ لا تبطر ولا تأثر
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ البطرين
الأشرين الذين لا يشكرون الله على ما
أعطاهم.

٧٧ ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾
فأنفق فيما يرضاه الله لا في التجبر والبنى
﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ لا تضيع
حظك من دنياك في تمتعك بالحلال
وطلبك إياه ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ
إِلَيْكَ﴾ أي: أحسن إلى عباد الله كما
أحسن الله إليك بما أنعم به عليك من
نعم الدنيا ﴿وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي
الْأَرْضِ﴾ أي: لا تعمل فيها بمعاصي الله
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْهِدِينَ﴾ في
الأرض.

٧٨ ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾
هو علمه بوجوه المكاسب والتجارات،
وقيل: معرفة الكنوز والدفائن. وقيل
المعنى على علم من الله باستحقاق إياها
لفضل عليمته مني ﴿أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ
أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ
مِنَهُ قُوَّةً﴾ المراد بالقرون الأمم الخالية
﴿وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ للمال، ولو كان المال أو
القوة يدلان على فضيلة لما أهلكهم الله
﴿وَلَا يَسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ لا
تسأل الملائكة غداً عن المجرمين، لأنهم
يعرفون بسيماهم، فإنهم يحشرون سود
الوجوه زرقاً.

٧٩ ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ أي

خرج قارون في زينة انبهر لها من رآها،
ولهذا تمى الناظرون إليه أن يكون لهم
مثلها ﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ
الدُّنْيَا﴾ وزينتها ﴿يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا
أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ أي:
[هو محظوظ حيث كان له] نصيب وافر
من الدنيا. واختلف في هؤلاء القائلين،
فقيل: هم من مؤمني ذلك الوقت،
وقيل: هم قوم من الكفار.

٨٠ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ وهم
أحبار بني إسرائيل، قالوا للذين تمنوا مثل
أموال قارون: ﴿وَبَلَّغْكُمْ ثَوَابَ اللَّهِ خَيْرٌ﴾
أي: ثواب الله في الآخرة خير مما تتمنونه
﴿لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [فيما آتاه الله
من المال قليلاً كان أو كثيراً] ﴿وَلَا
يُلْقَاهَا﴾ أي: لا يدخل هذه الكلمة التي
تكلم بها الأحبار في قلبه فيعمل بها ﴿إِلَّا
الصَّابِرُونَ﴾ على طاعة الله، والمصابرون
أنفسهم عن الشهوات. أي فلا تتمنوا
عرض الدنيا الزائل الذي لا يدوم [تكثرأ
وابتغاء للعلو في الأرض والإفساد فيها].

٨١ ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾
غيبه وغيب داره حتى ساء وزهد في
الأرض ﴿فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ

وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ
 دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ
 تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَآنَ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ
 لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا
 لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَآنَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ
 الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ
 وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ
 فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا
 السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ
 عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ
 بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو
 أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ

من دون الله أي: ما كان له جماعة يستعين بهم يدفعون عنه ذلك الأمر الذي عذبه الله به ﴿وما كان﴾ هو في نفسه ﴿من المنتصرين﴾ من المتعينين مما نزل به من الخسف، ولم يتمكن من أن ينجي نفسه على كثرة ما كان لديه من الأموال.

٨٢ ﴿وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس﴾ أي: منذ زمان قريب ﴿يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر﴾ أي: يقول كل واحد منهم متندماً على ما فرط منه من التقيي [بدا لي وظهر ما لم يكن جلياً: أن الأمر

بيد الله يعطي من يشاء فيوسع له، ويضيق على من يشاء اختصاراً وإبشلاء] ﴿لولا أن من الله علينا﴾ برحمته وعصمنا من مثل ما كان عليه قارون من البطر والبغي، ولم يؤاخذنا بما وقع منا من ذلك التمني ﴿لخسف بنا﴾ كما خسف به ﴿ويكأنه لا يفلح الكافرون﴾ أي: لا يفوزون بمطلب من مطالبهم.

٨٣ ﴿تلك الدار الآخرة﴾ أي [العرز والمكانة والمتاع فيها] هو ما يكون في الجنة، والإشارة إليها لقصد التعظيم لها والتفخيم لسانها في مقابل التحقير لما أوتيته

قارون وأمثاله من متاع الدنيا ﴿فعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض﴾ أي: رفعة وتكبراً على المؤمنين ﴿ولا فساداً﴾ أي عملاً بمعاصي الله سبحانه فيها، أما الفساد فظاهر أنه لا يجوز شيء منه كائناً ما كان، وأما العلو فالممنوع منه ما كان على طريق التكبر على الغير، والتطاول على الناس، وليس منه طلب العلو في الحق، والرئاسة في الدين، ولا محبة اللباس الحسن، والمركوب الحسن، والمنزل الحسن.

٨٤ ﴿من جاء بالحسنة فله خير منها﴾ وهو أن الله يجازيه بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ﴿إلا ما كانوا يعملون﴾ أي إلا مثل ما كانوا يعملون دون زيادة أو تضعيف، [وقد يغفوا الله ويغفر برحمته وفضله]

٨٥ ﴿إن الذي فرض عليك القرآن﴾ أي: أنزل عليك القرآن، وفرض عليك العمل بأحكام القرآن وفرائضه ﴿لراذك إلى معاد﴾ أي إلى مكة فاتحاً ظافراً منصوراً [وقد وفى الله تعالى لنبئه ﷺ بهذا الوعد الذي قطعه على نفسه، فعاد ﷺ إلى مكة فاتحاً لها بعد ثماني سنين من خروجه منها، وقد أعزه الله، ونصر جنده، وأظهر دين الإسلام]، وقال مجاهد: لراذك إلي يوم القيامة، لأن الناس يعودون فيه أحياء ﴿قل رب أعلّم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين﴾ هذا جواب لكفار مكة، لما قالوا للنبي ﷺ إنك في ضلال، والمراد بمن جاء بالهدى هو النبي ﷺ ومن هو في ضلال مبين المشركون.

٨٦ ﴿وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب﴾ أي: ما كنت ترجو [قبل أن يختصك الله بالنبوة والرسالة] أنا نرسلك إلى العباد، وننزل عليك القرآن ﴿إلا رحمة من ربك﴾ أي: لكن كان إلقاؤه إليك رحمة من ربك [وفضلاً دون عمل منك ولا استحقاق].

ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ
بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ
الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا
هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ
تَرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

(٢٩) سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا السَّمْعُ وَسِتُّونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَ ﴿١﴾ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا
وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾

﴿فلا تكونن ظهيراً للكافرين﴾ أي:

عوننا لهم [بمداھنتهم ومولاتهم ومداراتهم
على حساب تبليغ الدعوة والضدع بها].

٨٧ ﴿ولا يصدك عن آيات الله بعد

إذ أنزلت إليك﴾ أي لا يصدك يا محمد

الكافرون وأقوالهم وكذبهم وأذاهم عن

تلاوة آيات الله والعمل بها بعد إذ أنزلها

الله إليك وفرضت عليك ﴿وادع إلى

ربك﴾ أي: ادع الناس إلى الله وإلى

توحيده، والعمل بفرائضه، واجتناب

معاصيه ﴿ولا تكونن من المشركين﴾

وفيه تعريض بغيره، وكذلك قوله:

٨٨ ﴿ولا تدع مع الله إلهاً آخر﴾ فإنه

تعريض لغيره ﴿لا إله إلا هو﴾ أي فإنه

الإله الواحد القادر على كل شيء، وغيره

لا يضرك ولا ينفعك ﴿كل شيء﴾ من

الأشياء كائناً ما كان ﴿هالك إلا

وجهه﴾ أي: إلا ذاته ﴿له الحكم﴾ أي:

القضاء النافذ يقضي بما شاء، ويحكم بما

أراد ﴿وإليه ترجعون﴾ عند البعث،

ليجزى المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته،

لا إلى غيره سبحانه وتعالى.

سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ

٢ ﴿أحسب الناس أن يتركوا﴾ معنى

الآية: أن الناس لا يتركون بغير اختبار

ولا ابتلاء [فلا ينبغي لأحد أن يظنّ

خلاف هذا] يقولون: ﴿آمنّا وهم لا

يُفْتَنُونَ﴾ أي: وهم لا يبتلون في أموالهم

وأَنْفُسِهِمْ، وليس الأمر كما حسبوا، بل

لابد أن نختبرهم بالجهاد أو الفقر أو

الضرر أو غير ذلك، حتى يتبين الخالص

من المنافق، والصادق من الكاذب.

٣ ﴿ولقد فتنا الذين من قبلهم﴾ أي:

هذه سنة الله في عباده، وأنه يختبر مؤمني

هذه الأمة، كما اختبر من قبلهم من

الأمم، كما جاء به القرآن في قصص

الأنبياء، وما اختبر الله به أتباعهم ومن

آمن بهم، من الأمور التي نزلت بهم

﴿فليعلمن الله الذين صدقوا﴾ في

قولهم: آمنا ﴿وليعلمن الكاذبين﴾ منهم،

أي: ليظهرن الله الصادق منهم، ولسوف

يتميز بينه وبين الكاذب.

٤ ﴿أم حسب الذين يعملون

السيئات﴾ وهم العصاة الذين لا يبالون

بمعصية الله ﴿أن يسبقونا﴾ أي: يفوتونا

ويعجزونا قبل أن نؤاخذهم بما يعملون

﴿ساء ما يحكمون﴾ أي: بشس ما

يعتقدون أن يعتقدوا أنهم يفوتون قدرتنا.

٥ ﴿من كان يرجو لقاء الله﴾ أي: من

كان يطمع في أن يلقى الله تعالى، فيعمل

في حياته ليلقاه بصالح القول أو العمل،

فلن يضيع أجره ﴿فإن أجل الله لآت﴾

أي: الأجل المضروب للبعث آت لا

محالة، والمعنى: فليعمل لذلك اليوم ﴿وهو

السميع﴾ لأقوال عباده ﴿العليم﴾ بما

يسرونه وما يعلنونه [فلن يضيع عليهم شيء

من أعمالهم الصالحة].

٦ ﴿ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه﴾

أي: من جاهد الكفار، وجاهد نفسه



أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٦١﴾ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٢﴾ وَمَنْ جَاهَدَ فَلِنَا مَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٤﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكَ فَانْبِئْهُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٥﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ

منها سائر معاصي الله سبحانه، فلا طاعة لها فيما هو معصية لله [فإن أمراك بما هو محرم فاعصها وأطع الله، ولا يمنعك هذا الأمر بالمعصية منها من أن تحسن إليهما] صخ ذلك عن رسول الله ﷺ **﴿فانبئكم بما كنتم تعملون﴾** أي: أخبركم بصلاح أعمالكم وطالحها، فأجازي كلا منكم بما يستحقه.

٩ **﴿لندخلنهم في الصالحين﴾** أي: في زمرة الراسخين في الصلاح.

١٠ **﴿فإذا أُوذِيَ في الله﴾** أي: في شأن الله ولأجله كما يفعله أهل الكفر مع أهل الإيمان، وكما يفعله أهل المعاصي مع أهل الطاعات، من إيقاع الأذى عليهم لأجل الإيمان بالله والعمل بما أمر به **﴿جعل فتنة الناس﴾** التي هي ما يوقعونه عليه من الأذى **﴿كعذاب الله﴾** أي: جزع من أذاهم، فلم يصبر عليه، وجعله في الشدة والعظم كعذاب الله، فأطاع الناس كما يطيع الله، وقيل: هو المنافق إذا أُوذِيَ في الله رجع عن الدين فكفر. فينبغي للمؤمن أن يصبر على الأذى في الله ولا يرتد عن الحق لأجل ذلك، [ولا يمنعه ذلك من موافقة الكفار ظاهراً على سبيل التقية، وقلبه مطمئن بالإيمان]

﴿ولئن جاء نصر من ربك﴾ أي نصر من الله للمؤمنين وفتح وغلبة للأعداء، وغنيمة يغنمونها منهم **﴿ليقولنَّ إنا كنا معكم﴾** أي: داخلون معكم في دينكم، ومعاونون لكم على عدوكم. فكذبهم الله، فقال **﴿أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين﴾** من خير وشر، فكيف يدعون هذه الدعوى الكاذبة؟ وهؤلاء هم قوم ممن كان في إيمانهم ضعف، كانوا إذا مسهم الأذى من الكفار واقفوه، وإذا ظهرت قوة الإسلام ونصر الله المؤمنين في موطن من المواطن قالوا إنا كنا معكم.

ويعطيهم أكثر مما عملوا وأحسن منه، كما في قوله: (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها).

٨ **﴿ووصينا الإنسان بوالديه حسناً﴾** معناه: ووصينا الإنسان أن يفعل بوالديه ما هو حسن، مما يرضيانه وتطيب به أنفسهما بالبر بها والعطف عليهما **﴿وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما﴾** أي: طلبا منك وألزاماك أن تشرك بي إلهاً ليس لك علم بكونه إلهاً فلا تطعهما في ذلك، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ويلحق بطلب الشرك

بالصبر على الطاعات، فإنما يجاهد لنفسه، أي: ثواب ذلك له لا لغيره، ولا يرجع إلى الله سبحانه من نفع ذلك شيء **﴿إن الله لغني عن العالمين﴾** فلا يحتاج إلى طاعتهم كما لا تضره معاصيهم.

٧ **﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم﴾** أي لنغطيها عنهم بالمغفرة، [ونحجب عنهم آثارها من الغضب والعذاب] بسبب ما عملوا من الصالحات **﴿ولنجزيهم أحسن الذي كانوا يعملون﴾** أي: بأحسن جزاء أعمالهم، وقيل: بجزاء أحسن أعمالهم،

اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ
 ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ
 ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطِيئَتَكُمْ وَمَاهُمْ بِحَامِلِينَ
 مِنْ خَطِيئَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ
 أَثْقَاهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَمَّا
 كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ
 فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ
 ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً
 لِلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ
 ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ
 مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ
 مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ

١١ ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا

وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ أي: يميز الله بين
 الطائفتين، ويظهر إخلاص المخلصين،
 ونفاق المنافقين، فالخلص هو الذي لا
 يتزلزل بما يصيبه من الأذى، ويصبر في
 الله حق الصبر. والمنافق هو الذي يميل
 هكذا وهكذا، فإن أصابه أذى من
 الكافرين وافقهم وتابعهم وكفر بالله عز
 وجل، وإن خفت ريح الإسلام وطلع
 نصره ولاح فتحه رجع إلى الإسلام،
 وزعم أنه من المسلمين.

١٢ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا

اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا﴾ اسلكوا طريقتنا وادخلوا
 في ديننا ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ﴾ أي: إن
 كان اتباع سبيلنا خطيئة تؤاخذون بها
 عند البعث والنشور — كما تقولون —
 فلنحمل ذلك عنكم، فنؤاخذ به دونكم
 ﴿وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ
 شَيْءٍ﴾ أي: وما هم بحاملين شيئا من
 الخطيئة التي التزموا بها وضمنوا لهم حلها.

١٣ ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾ أي: أوزارهم

التي عملوها ﴿وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ أي
 أوزارا مع أوزارهم، وهي أوزار من
 أضلوههم وأخرجوهم عن الهدى إلى
 الضلالة ﴿وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ تقريرا
 وتوبيخا ﴿عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ أي:

يخلقونه من الأكاذيب التي كانوا يأتون
 بها في الدنيا.

١٤ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ

فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ فيه
 تثبيت للنبي ﷺ، كأنه قيل له: إن
 نوحاً لبث ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعو
 قومه ولم يؤمن منهم إلا قليل، فأنت أولى
 بالصبر لقلّة مدة لبثك، وكثرة عدد أمتك
 ﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ﴾ عقب تمام المدة
 المذكورة، والطوفان: الماء الغالب نزل
 عليهم من السماء ونبع من الأرض حتى
 أغرقهم جميعاً ﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ أي:

بالعبادة وخصوه بها، واتقوا أن تشركوا به
 شيئا ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ أي: عبادة الله
 وتقواه خير لكم من الشرك، ولا خير في
 الشرك أبداً، ولكنه خاطبهم باعتبار
 اعتقادهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ شيئا من
 العلم، أو تعلمون علماً تميزون به بين ماهو
 خير وما هو شر.

١٧ ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا﴾

يتبن لهم إبراهيم أنهم يعبدون مالا ينفع
 ولا يضر، ولا يسمع ولا يبصر.
 والأوثان: هي الأصنام، وقيل: الصنم ما
 يتخذ من ذهب أو فضة أو نحاس،

مستمرّون على الظلم ولم ينجع فيهم
 ما وعظهم به نوح، وذكرهم هذه المدة
 بطولها.

١٥ ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ﴾ أي:

أنجينا نوحاً، وأنجينا من معه في السفينة
 من أولاده وأتباعه. واختلف في عددهم
 على أقوال ﴿وَجَعَلْنَاهَا﴾ أي: السفينة
 ﴿آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ أي: عبرة عظيمة لهم،
 فقد كانت باقية على الجوديّ مدة مديدة،
 وقيل جعلناها — أي: الواقعة، أو
 النجاة، أو العقوبة بالفرق — آية.

١٦ ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ﴾ أي: أفردوه

الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ
تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا
الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ
الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۚ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا
فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ
الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ
وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ ۚ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ
فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ
وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ ۚ
أُولَٰئِكَ يَنسَوْنَ مِن رَّحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾
فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ ۚ إِلَّا أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ
اللَّهُ مِنَ النَّارِ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾

ذلك على الله يسير. لأنه إذا أراد أمراً قال له كن فيكون.

٢٠ ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ على كثرتهم واختلاف ألوانهم وطبائعهم وألسنتهم ﴿ثُمَّ اللَّهُ يَنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ ينشئها نشأة ثانية عند البعث.

٢١ ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ تعذيبه وهم الكفار والعصاة ﴿وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ﴾ رحمته، وهم المؤمنون به المصدقون لرسله العاملون بأوامره ونواهيه ﴿وَالِلَّهِ تُقْلَبُونَ﴾ أي: ترجعون وتردّون لا إلى غيره.

٢٢ ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ لا يعجزه سبحانه أهل الأرض في الأرض، ولا أهل السماء في السماء، إن عصوه. وقال قطرب: معنى الآية: ولا في السماء لو كنتم فيها ﴿وَمَا لَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ﴾ يواليكم ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ ينصركم ويدفع عنكم عذاب الله.

٢٣ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ التنزيلية أو التكوينية أو جميعها، وكفروا بلقاء الله: أي: أنكروا البعث وما بعده ولم يعملوا بما أخبرتهم به رسل الله سبحانه ﴿أُولَٰئِكَ يَنسَوْنَ مِن رَّحْمَتِي﴾ أي: إنهم في الدنيا آيسون من رحمة الله لم ينجع فيهم ما نزل من كتب الله، ولا ما أخبرتهم به رسله، ويأيسون يوم القيامة من رحمة الله وهي الجنة.

٢٤ ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾ هذا رجوع إلى قصة إبراهيم بعد الاعتراض بما تقدم من خطاب محمد ﷺ ﴿فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾ وجعلها عليه برداً وسلاماً ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ أي في إنجاء الله لإبراهيم ﴿لَآيَاتٍ﴾ حيث أضرّموا تلك النار العظيمة وألقوه فيها ولم تحرقه ولا أثرت فيه أثراً.

وقيل: هو من قول الله سبحانه: أي وإن تكذبوا محمداً فذلك عادة الكفار مع من سلف ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ لقومه الذي أرسل إليهم، وليس عليه هدايتهم، وليس ذلك في وسعه.

١٩ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ المعنى: ألم يروا كيف يخلق الله الواحد منهم ابتداء نطفة، ثم يخرجهم إلى الدنيا، ثم يتوفاه بعد ذلك، وكذلك سائر الحيوانات وسائر النباتات، فإذا رأيتم قدرة الله سبحانه على الابتداء والإيجاد فهو القادر على الإعادة ﴿إِنَّ

والوثن: ما يتخذ من جص أو حجارة ﴿وَتَخْلُقُونَ أَفْكَاءَ﴾ أي: إنما تعبدون أوثاناً وأنتم تصنعونها كاذبين في قولكم إنها آلهة تعبد ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُم رِزْقاً﴾ أي: لا يقدرّون على أن يرزقوكم شيئاً من الرزق ﴿فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾ أي: اصرفوا رغبتكم في أرزاقكم إلى الله، فهو الذي عنده الرزق كله، فاسألوه من فضله، ووجدوه دون غيره.

١٨ ﴿وَإِنْ تَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ قيل هذا من قول إبراهيم،

وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ
وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن
نَّاصِرِينَ ﴿٢٥﴾ * فَعَامَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ
إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ
وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ
أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾
وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ
بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ أُنِمْكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ
وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ
جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ
كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ

٢٥ ﴿وقال﴾ إبراهيم لقومه ﴿إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا﴾ أي: للتوادد بينكم والتواصل لاجتماعكم على عبادتها، وللخشية من ذهاب المودة فيما بينكم إن تركتم عبادتها، والمعنى أن المودة هي التي جمعتكم على عبادة الأوثان واتخاذها ﴿ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض﴾ [أي وتنقضي تلك المودة المؤسسة على الباطل] وقيل المعنى: ويتبرأ العابدون للأوثان من الأوثان، وتتبرأ الأوثان من العابدين لها ﴿ويلعن بعضكم بعضا﴾ أي: يلعن كل فريق الآخر ﴿ومأواكم النار﴾ أي: هي منزلكم الذي تأوون إليه ﴿وما لكم من ناصرين﴾ يخلصونكم منها بنصرتهم لكم. ٢٦ ﴿فأمن له لوط﴾ أي: آمن لإبراهيم لوط فصداقه في جميع ما جاء به، وكان لوط ابن أخي إبراهيم ﴿وقال﴾ إبراهيم ﴿إني مهاجر إلى ربي﴾ هاجر من كوث، وهي قرية من سواد الكوفة بالعراق إلى حران، ثم إلى الشام، ومعه ابن أخيه لوط، وامراته سارة، والمعنى: إني مهاجر عن دار قومي إلى حيث أعبد ربي ﴿إنه هو العزيز الحكيم﴾ أي الغالب الذي أفعاله جارية على مقتضى الحكمة.

٢٧ ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب﴾ من الله عليه بالأولاد، فوهب له إسماعيل بكره، ووهب له إسحاق ولدا له، ويعقوب ولدا لولده إسحاق، وجعل في ذريته النبوة والكتاب، فلم يبعث الله نبيا بعد إبراهيم إلا من صلبه، والكتاب: التوراة، والإنجيل، والزبور، والقرآن ﴿وآتيناها أجره في الدنيا﴾ أعطي في الدنيا الأولاد، وأخبره الله باستمرار النبوة فيهم، وأهل الملل كلها تدعيه وتقول هو منهم، وأعطاه في الدنيا عملا صالحا وعاقبة حسنة ﴿وإنه في الآخرة

من الصالحين﴾ أي: الكاملين في الصلاح المستحقين لتوفير الأجر، وكثرة العطاء، من الرب سبحانه. ٢٨ ﴿ولوطا إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة﴾ الفاحشة الخصلة المتناهية في القبح ﴿ما سبقكم بها من أحد من العالمين﴾ لم يسبقهم إلى عملها أحد من الناس على اختلاف أجناسهم. ٢٩ ﴿أنكم لتأتون الرجال﴾ أي تلوطون بهم ﴿وتقطعون السبيل﴾ قيل: إنهم كانوا يفعلون الفاحشة بمن يمر بهم من المسافرين، فقطعوا السبيل بهذا السبب. ٣٠ ﴿قال رب انصُرني على القوم

وقيل: كانوا يقطعون الطريق على المارة بقتلهم ونهبهم ﴿وتأتون في ناديتكم المنكر﴾ قيل: كانوا يحذفون الناس بالحصباء، ويستخفون بالغريب، وقيل: كانوا يتضارطون في مجالسهم، وقيل: كانوا يأتون الرجال في مجالسهم وبعضهم يرى بعضا. وقيل: غير ذلك ﴿فما كان جواب قومه إلا أن قالوا آتينا بعذاب الله إن كنت من الصادقين﴾ فاجابوا بشيء إلا بهذا القول رجوعا منهم إلى التكذيب واللجاج والعناد.

٣٠ ﴿قال رب انصُرني على القوم



الْمُفْسِدِينَ ﴿٣١﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرًا نَكُنُّ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرًا تَكُنْ كَانَتْ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٦﴾ وَإِلَى مَدِينِ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَنْقُومَ عَبْدُوا اللَّهَ وَآرْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٧﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثَمِينَ ﴿٣٨﴾ وَعَادًا وَثَمُودًا

المفسدين﴾ بإنزال عذابك عليهم، وإفسادهم: هو بما سبق من إتيان الرجال وعمل المنكر في ناديم، فبعث لعذابهم ملائكته، وأمرهم بتبشير إبراهيم قبل عذابهم، ولهذا قال:

٣١ ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى﴾ أي: بالبشارة بالولد، وهو إسحاق، وولد الولد وهو يعقوب ﴿قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ أي: قالوا لإبراهيم هذه المقالة، والقرية: هي قرية سدوم التي كان فيها قوم لوط.

٣٢ ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾ فكيف

تهلكونها؟ ﴿قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا﴾ من الأخيار والأشرار، ونحن أعلم من غيرنا بمكان لوط ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾ من العذاب ﴿إِلَّا أَمْرًا نَكُنُّ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ أي الباقين في العذاب، فتعذب من جلتهم ولا تنجو فيمن نجا وإنما قضى الله تعالى بأن تكون امرأة لوط من الباقين في العذاب المالكين به لأنها كانت تعين قومها على بغيهم وضلالهم وآثامهم فاستحققت مثل جزائهم.

٣٣ ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ﴾ جاءه ما ساءه وخاف منه، لأنه

ظنهم من البشر، فخاف عليهم من قومه لكونهم في أحسن صورة من الصور البشرية ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ أي: عجز عن تدبيرهم وحزن وضاق صدره ﴿وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ﴾ أي: لا تخف علينا من قومك ولا تحزن فإنهم لا يقدرُونَ علينا ﴿إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ﴾ من العذاب الذي أمرنا الله بأن ننزله بهم ﴿إِلَّا أَمْرًا تَكُنُّ كَانَتْ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ أخبروا لوطاً بما جاءوا به من إهلاك قومه وتنجيته وأهله إلا أمرته كما أخبروا بذلك إبراهيم.

٣٤ ﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ وهو الرمي بالحجارة، وقيل: إحراقهم بنيران نازلة من السماء، وقيل: هو الخسف والحصب كما في غير هذا الموضع ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ أي بسبب فسقهم.

٣٥ ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً﴾ أي: أبقينا من القرية بعد إهلاكها علامة ودلالة بيينة، وهي الآثار التي بها من الحجارة التي رجوا بها وخراب الديار، وآثار انقلاب الأرض بهم سافلها عاليها، يعتبر بها أهل العقول النيرة.

٣٦ ﴿وَإِلَى مَدِينِ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ أي وأرسلناه إليهم ﴿فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ أي: أفردوه بالعبادة وخصوه بها ﴿وَآرْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ أي: توقعوه وافعلوا اليوم من الأعمال ما يدفع عذابه عنكم ﴿وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ العثو والمعنى أشد الفساد.

٣٧ ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ أي: الزلزلة بصيحة جبريل، وهي سبب الرجفة ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثَمِينَ﴾ أي: في بلدتهم أو منازلهم جاثمين على الركب ميتين.

٣٨ ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ﴾ التقدير وأهلكنا عاداً وثمود ﴿وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ﴾ أي: وقد ظهر لكم بالججر والأحقاف آيات بينات تتعظون بها وتتفكرون فيها ﴿وَزَيْنَ لِمِ الشَّيْطَانِ أَعْمَالَهُمْ﴾ التي يعملونها من الكفر ومعاصي الله.

وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسْكِنِهِمْ ^ط وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ
أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾
وَقَرُونِ وَفِرْعَوْنَ وَهَمَزْنِ ^ط وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ
فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكَلَّا
أُخَذْنَا بِذَنبِهِ ^ط فَفَنَّهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ
أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ
أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ
يُظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ
كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ
الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ
مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ
الْأَمْثَلُ نُضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾

﴿فصدهم﴾ بهذا التزيين ﴿عن السبيل﴾ أي: الطريق الواضح الموصل إلى الحق
﴿وكانوا مستبصرين﴾ أي: أهل بصائر يتمكنون بها من معرفة الحق بالاستدلال.
كانوا عقلاء ذوي بصائر فلم تنفعهم بصائرهم.

٣٩ ﴿وقارون وفرعون وهامان﴾ أهلكنا هؤلاء بعد أن جاءتهم الرسل ﴿فاستكبروا في الأرض﴾ عن عبادة الله ﴿وما كانوا سابقين﴾ أي: فائتين.

٤٠ ﴿فكلا أخذنا بذنبه﴾ أي: عاقبنا بكفره وتكذيبه ﴿فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا﴾ أي: ريحا تأتي بالحصباء وهم قوم لوط ﴿ومنهم من أخذته الصيحة﴾ وهم ثمود وأهل مدين ﴿ومنهم من خسفنا به الأرض﴾ وهو قارون وأصحابه ﴿ومنهم من أغرقنا﴾ وهم قوم نوح وقوم فرعون ﴿وما كان الله ليظلمهم﴾ بما فعل بهم، لأنه قد أرسل إليهم رسله وأنزل عليهم كتبه ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ باستمرارهم على الكفر وتكذيبهم للرسل وعملهم بمعاصي الله.

٤١ ﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء﴾ يوالونهم ويتكلمون عليهم في حاجاتهم من دون الله، سواء كانوا من الجماد أو الحيوان، من الأحياء أو من الأموات ﴿كمثل العنكبوت اتخذت بيتا﴾ فإن بيتها لا يغني عنها شيئا لا في حر ولا قمر ولا مطر، ولا يحفظها من عدو، كذلك ما اتخذوه وليا من دون الله، فإنه لا ينفعهم بوجه من وجوه النفع، ولا يغني عنهم شيئا ﴿وإن أوهن البيوت لبیت العنكبوت﴾ لا بيت أضعف منه مما يتخذه الهوام بيتا، ولا يدانيه في الوهي والوهن شيء من ذلك.

٤٢ ﴿إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء﴾ إن الله يعلم أنهم لا يدعون

من دونه من شيء: يعني ما يدعونه ليس بشيء ينفع أو يضر ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ الغالب المصدر أفعاله على غاية الإحكام والإتقان.

٤٣ ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس﴾ أي: هذا المثل وغيره من الأمثال التي في القرآن نضربها للناس تنبيها لهم وتقريبا لما بعد من أفهامهم ﴿وما يعقلها﴾ أي يفهمها ويتعقل الأمر الذي ضربناها لأجله ﴿إلا العالمون﴾ بالله الراسخون في العلم المتدبرون المتفكرون لما يتلى عليهم وما يشاهدونه.

٤٤ ﴿خلق الله السماوات والأرض بالحق﴾ أي: بالعدل والقسط مراعيًا في خلقها مصالح عباده.

٤٥ ﴿اتل ما أوحى إليك من الكتاب﴾ أي: القرآن مع التدبر لآياته والتفكر في معانيه ﴿تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ أي دم على إقامتها واستمر على أدائها كما أمرت بذلك، والفحشاء: ما قبح من العمل، والمنكر: ما لا يعرف في الشريعة. ومعنى نهيا عن ذلك: أن فعلها يكون سببا للانتفاء عن المعاصي، لما فيها من مراقبة الله وتدبر آياته



خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً
لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ أَتُلُّ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ
الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ * وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ
الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ
وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا
وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَلِكَ أُنزِلْنَا
إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ
بِهِ ۖ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ ۖ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا
الْكَاْفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا
تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذْ لَا رَتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ آيَاتٌ
بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا

أمة محمد مطيعون له خاصة. وأخرج البخاري والنسائي عن أبي هريرة قال: كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب، ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون». وأخرج البيهقي في الشعب عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء، فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا، إما أن تصدقوا بباطل، أو تكذبوا بحق، والله لو كان موسى حياً بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعني».

٤٧ ﴿وَكَذَلِكَ أُنزِلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾

أي: ومثل ذلك الإنزال البديع أنزلنا إليك القرآن ﴿فَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ يعني مؤمني أهل الكتاب كعبد الله بن سلام ﴿وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ أي بالقرآن وقيل الإشارة إلى جميع العرب ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا﴾ أي آيات القرآن ﴿إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾ المصممون على كفرهم من المشركين وأهل الكتاب.

٤٨ ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ

كِتَابٍ﴾ أي: ما كنت يا محمد تقرأ قبل القرآن كتاباً، ولا تقدر على ذلك، لأنك أمي لا تقرأ ولا تكتب ﴿وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ﴾ أي: ولا تكتبه لأنك لا تقدر على الكتابة ﴿إِذْ لَا رَتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ أي: لو كنت ممن يقدر على التلاوة والخط لقالوا: لعله وجد ما يتلوه علينا من كتب الله السابقة، أو من الكتب المدونة في أخبار الأمم، فلما كنت أمياً لا تقرأ ولا تكتب لم يكن هناك موضع للريبة ولا محل للشك أبداً.

الإسلام، لا على طريق الإغلاظ والمخاشنة ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ بأن أفرطوا في المجادلة ولم يتأدبوا مع المسلمين، فلا بأس بالإغلاظ عليهم والتخشين في مجادلتهم ﴿وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ من القرآن ﴿وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ من التوراة والإنجيل: أي آمنا بأنها منزلان من عند الله، وأنها شريعة ثابتة إلى قيام الشريعة الإسلامية والبعثة المحمدية، ولا يدخل في ذلك ما حرفوه وبدلوه ﴿وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ﴾ لا شريك له ولا ضد ولا ند ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ أي: ونحن معاصر

﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أي أكبر من كل شيء: أي أفضل من العبادات كلها بغير ذكر. أي هو الذي ينهي عن الفحشاء والمنكر، لأن الانتهاء لا يكون إلا من ذكر الله، مراقب له، وإن ما في الصلاة من الذكر هو العمدة في تفضيلها على سائر الطاعات ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ فهو مجازيكم بالخير خيراً وبالشر شراً.

٤٦ ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا

بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ بالخصلة التي هي أحسن، وذلك على سبيل التنبيه لهم على حجج الله وبراهينه رجاء إجابتهم إلى

إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ
 قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ
 يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ
 لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي
 وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ
 ءَامَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٢﴾
 وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ
 الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ
 بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ
 يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ
 ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ يَعْبادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ
 أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعِبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ

٤٩ ﴿بل هو آيات بينات﴾ يعني القرآن
 ﴿في صدور الذين أوتوا العلم﴾ يعني
 المؤمنين الذين حفظوا القرآن على عهد
 ﷺ وحفظوه بعده ﴿وما يحسد باياتنا إلا
 الظالمون﴾ أي المجاوزون للحد في الظلم.
 ٥٠ ﴿وقالوا لولا أنزل عليه آيات من
 ربه﴾ كآيات موسى، وناقة صالح،
 وإحياء المسيح للموتى ﴿قل إنما الآيات
 عند الله﴾ ينزلها على من يشاء من
 عباده، ولا قدرة لأحد على ذلك ﴿وانما
 أنا نذير مبين﴾ أنذركم كما أمرت،
 وأبين لكم كما ينبغي، ليس في قدرتي
 غير ذلك.

٥١ ﴿أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك
 الكتاب يتلى عليهم﴾ أي أولم يكف
 المشركين من الآيات التي اقترحوها هذا
 الكتاب المعجز الذي قد تحدتهم بأن يأتوا
 بمثله، أو بسورة منه، فعجزوا، ولو أتيتهم
 بآيات موسى وآيات غيره من الأنبياء لما
 آمنوا، كما لم يؤمنوا بالقرآن ﴿إن في
 ذلك لرحمة﴾ عظيمة في الدنيا والآخرة
 ﴿وذكري﴾ في الدنيا يتذكرون بها
 وترشداهم إلى الحق ﴿لقوم يؤمنون﴾
 يصدقون بما جئت به من عند الله.

٥٢ ﴿قل كفى بالله بيني وبينكم
 شهيداً﴾ بما وقع بيني وبينكم ﴿يعلم ما
 في السماوات والأرض﴾ لا تخفى عليه
 من ذلك خافية ﴿والذين آمنوا بالباطل
 وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون﴾
 أي: آمنوا بما يعبدونه من دون الله،
 وكفروا بالحق وهو الله سبحانه.

٥٣ ﴿ويستعجلونك بالعذاب﴾ استهزاء
 وتكديبا منهم ﴿ولولا أجل مسمى﴾ قد
 جعله الله لعذابهم وعيته، وهو القيامة
 ﴿لجاءهم العذاب﴾ الذي يستحقونه
 بذنوبهم ﴿وليأتينهم بغتة﴾ فجأة ﴿وهم لا
 يشعرون﴾ أي يكون قبل مجيئه غافلين
 عنه، لا يحسبون به وهو مقبل عليهم.

٥٤ ﴿يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم
 لمحيطة بالكافرين﴾ أي: سيحيط بهم عن
 قرب، فإن ما هو آت قريب.
 ٥٥ ﴿يوم يغشاهم العذاب من فوقهم
 ومن تحت أرجلهم﴾ أي: من جميع
 جهاتهم، فإذا غشاهم العذاب على هذه
 الصفة فقد أحاطت بهم جهنم ﴿ويقول
 ذوقوا ما كنتم تعملون﴾ القائل هو الله
 سبحانه، أو بعض ملائكته بأمره، أي:
 ذوقوا جزاء ما كنتم تعملون من الكفر
 والمعاصي.
 ٥٦ ﴿يعبادي الذين آمنوا إن أرضي
 واسعة فأياي فاعبدون﴾ أي إن كنتم في
 ضيق بمكة من إظهار الإيمان، [والعمل
 بشرائع الإسلام جهاراً، لا تخشون في
 ذلك أحداً، ولكنكم خوفاً من أذى
 المشركين تضطرون لاتقاء أذاهم،
 فتستخفون بدينكم، فإن بلاد الله واسعة
 فاذهبوا فيها واخرجوا من مكان الضيق
 والعسر] لتيسر لكم عبادتي وحدي،
 وتسهل عليكم وتظهروا شعائر دينكم.
 ٥٧ ﴿كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا
 ترجعون﴾ أي كل نفس من النفوس
 سوف تجد في يوم من الأيام مرارة الموت

٥٦ ﴿يعبادي الذين آمنوا إن أرضي

يتوكلون على الله مع قوتهم وقدرتهم على أسباب العيش، كتوكلها على الله مع ضعفها وعجزها. وفيه تقوية لغزم من أراد الهجرة وصدّه عنها خوف الفقر.

٦١ ﴿وَلْتَن سَأَلْتَهُمْ مِنْ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾ أي: خلقها، لا يقدرُونَ على إنكار ذلك، ولا يتمكنون من جحوده ﴿فَأَنِّي يُؤْفَكُونَ﴾ أي: فكيف يصرفون عن الإقرار بتفردّه بالإلهية، وأنه وحده لا شريك له؟

٦٢ ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ أي: التوسيع في الرزق والتقتير له هو من الله الباسط القابض، يبسطه لمن يشاء، ويضيّقه على من يشاء، على حسب ما تقتضيه حكمته ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ يعلم ما فيه صلاح عباده وفسادهم.

٦٣ ﴿وَلْتَن سَأَلْتَهُمْ مِنْ نَزْلِ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لِيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾ أي: الذي نزلّه وأحيا به الأرض هو الله، اعترفوا هذا الاعتراف، وهو يقتضي بطلان ما هم عليه من الشرك وعدم إفراد الله سبحانه بالعبادة ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي: أحمد الله على أن جعل الحق معك، وأظهر حجتك عليهم ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ فلذلك لا يعملون بمقتضى ما اعترفوا به.

٦٤ ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا هُوَ وَلَعِبٌ﴾ من جنس ما يلهو به الصبيان ويلعبون به ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ أي وإن الدار الآخرة هي دار الحيوان، أي دار الحياة الباقية التي لا تزول، ولا ينقصها موت ولا مرض، ولا هم ولا غم ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ شيئا من العلم لما آثروا عليها الدار الفانية المنقصة.

ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرَ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَأَنِّي يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ

لا محالة، فلا يصعب عليكم ترك الأوطان، ومفارقة الإخوان والخلان، ثم إلى الله المرجع، فكل حي في سفر إلى دار القرار، وإن طال لبثه في هذه الدار. ٥٨ ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا﴾ في هذا الترغيب إلى الهجرة، أي: لتنزلهم غرف الجنة، وهي علالها [أي: فليكن هيئاً عليكم مفارقة دياركم في سبيل الله هرباً بدينكم، فعند الله العوض]. ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي: من تحت الغرف ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أي: في الغرف لا يموتون أبداً، أو في الجنة ﴿نِعَمَ أَجْرَ الْعَامِلِينَ﴾ أي: نعم أجر العاملين للأعمال الصالحة أجروهم. ٥٩ ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على مشاق التكليف، وعلى أذية المشركين لهم ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ أي: يفوضون أمورهم إليه في كل إقدام وإحجام. ٦٠ ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ المعنى: وفي الدنيا كثير من الدواب التي لا تطيق حمل رزقها لضعفها ولا تلخره، وإنما يرزقها الله من فضله ويرزقكم، فكيف لا

دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّيْنَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

(٣٠) سُورَةُ الرُّومِ فَكَيْتَرُ
وَأَيُّهَا سِتُّ ثَوْنُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْم ﴿١﴾ غَلَبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ

٦٥ ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفَلَكِ دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ أي: إذا انقطع رجاؤهم عندما يركبون في السفن في البحر، فإنهم إذا اشتدت الرياح وعظم الموج وخافوا الفرق، رجعوا إلى الفطرة، فدعوا الله وحده، مع تركهم عند ذلك لدعاء الأصنام، لعلمهم أنه لا يكشف هذه الشدة العظيمة النازلة بهم غير الله سبحانه ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ أي: فاجأوا المعاودة إلى الشرك، ودعوا غير الله سبحانه.

٦٦ ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ من نعمة الله ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا﴾ [ينعم الله على الوجه الذي لا يرضاه الله] ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة ذلك وما فيه من الوبال عليهم.

٦٧ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا﴾ يعني: يعلم كفار قريش، أنا جعلنا حرمهم هذا حرمًا آمناً، يأمن فيه ساكنه من الغارة والقتل والسبي والنهب ﴿وَيُخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ أي: فصاروا في سلامة وعافية مما صار فيه غيرهم من العرب، فإنهم في كل حين تطرقهم الغارات، وتحتاج أموالهم الغزاة، وتسفك دماءهم الجنود، وتستبيح حرمهم وأموالهم شطار العرب وشياطينها ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ وهو الشرك بعد ظهور حجة الله عليهم ﴿وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ يجعلون كفرها مكان شكرها.

٦٨ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ أي: لا أحد أظلم منه، وهو من زعم أن الله شريكاً أو اختلق وكذب وادعى على الله ما لم يقله ﴿أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ﴾ أي: كذب بالرسول والكتاب وبالتوحيد ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ أي مكان يستقرون فيه.

٦٩ ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾ أي: جاهدوا [أنفسهم وأنصبوا أبدانهم في

الدعوة إلى الله لطلب مرضاته ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ أي: [طرق الخير الموصلة إلى رضوان الله] ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ بالنصر والعون، ومن كان معه لم يخذل.

سُورَةُ الرُّومِ

٢ ﴿غَلَبَتِ الرُّومُ﴾ قال أهل التفسير: غَلَبَتْ فارسُ الروم، [وكان ذلك قبل هجرة النبي ﷺ بأعوام] ففرح بذلك كفار مكة، وقالوا: الذين ليس لهم كتاب غلبوا الذين لهم كتاب. وافخروا على المسلمين. وكان المسلمون يحبون أن

تظهر الروم على فارس، لأنهم أهل كتاب. فذكروه لأبي بكر، فذكره أبو بكر لرسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «أما أنهم سغليون» فذكره أبو بكر لهم، فقالوا: اجعل بيننا وبينك أجلاً، فإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا، وإن ظهرتم كان لكم كذا وكذا، فجعل بينهم أجلاً خمس سنين، فلم يظهروا، فذكر ذلك أبو بكر لرسول الله ﷺ فقال ألا جعلته — أراه قال دون العشر، فظهرت الروم بعد ذلك.

٣ ﴿فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾ في أقرب أرضهم



مَنْ بَعْدَ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٤﴾ فِي بَضْعِ سِنِينَ ۖ لِلَّهِ الْأَمْرُ
 مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥﴾ بِنَصْرِ
 اللَّهِ ۚ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ وَعَدَ اللَّهُ
 لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧﴾
 يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ
 غَافِلُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ ۚ مَا خَلَقَ اللَّهُ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ
 وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴿٩﴾ أَوَلَمْ
 يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن
 قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا
 أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ۚ فَمَا كَانَ اللَّهُ
 لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ

أي يعلمون ظاهر ما يشاهدونه من زخارف
 الدنيا وملأها، وأمر معاشهم، وأسباب
 تحصيل فوائدهم الدنيوية **﴿وهم عن
 الآخرة﴾** التي هي النعمة الدائمة، واللذة
 الخالصة **﴿هم غافلون﴾** لا يلتفتون إليها
 ولا يُعَدُّون لها ما يحتاج إليه.

٨ **﴿أولم يتفكروا في أنفسهم﴾** المعنى: أن
 أسباب التفكير حاصلة لهم، وهي
 أنفسهم، فلو تفكروا فيها كما ينبغي
 لعلموا وحدانية الله وصدق أنبيائه،
 والمعنى: أولم يتفكروا في خلق الله إياهم
 ولم يكونوا شيئاً **﴿ما خلق الله السماوات
 والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾** بالعدل،
 وقيل بالحكمة **﴿وأجل مسمى﴾** أي:
 وبأجل مسمى للسماوات والأرض وما
 بينها تنتهي إليه، وهو يوم القيامة **﴿وإن
 كثيراً من الناس بقاء ربهم لكافرون﴾**
 أي: لكافرون بالبعث بعد الموت.

٩ **﴿أولم يسيرا في الأرض فينظروا﴾**
 والمعنى أنهم قد ساروا وشاهدوا **﴿كيف
 كان عاقبة الذين من قبلهم﴾** من
 طوائف الكفار الذين أهلكهم الله بسبب
 كفرهم بالله، وجحودهم للحق،
 وتكذيبهم للرسل **﴿كانوا أشد منهم قوة﴾**
 كانوا أقدر من كفار مكة ومن تابعهم
 على الأمور الدنيوية **﴿وأثاروا الأرض﴾**
 حرثوها وقلبوها للزراعة وزاولوا أسباب
 ذلك **﴿وعمروها أكثر مما عمروها﴾** أي
 عمرتها الأمم السابقة [بالبنيان والزراعة]
 عمارة أكثر مما عمرها هؤلاء، لأن أولئك
 كانوا أطول منهم أعماراً، وأقوى
 أجساماً، وأكثر تحصيلاً لأسباب المعاش
﴿وجاءتهم رسلهم بالبينات﴾ أي
 المعجزات [ومع ذلك لم يؤمنوا بالرسل وما
 جاءوا به من التوحيد فأهلكهم الله] **﴿فما
 كان الله ليظلمهم﴾** بتعذيبهم على غير
 ذنب **﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾**
 بالكفر والتكذيب.

الله للروم لكونهم أهل كتاب. وهذه
 الآية من معجزات النبي ﷺ لأنها إخبار
 بما سيكون، وقد كانت الغلبة للروم بعد
 ذلك ببضع سنوات إن شاء بما سيكون
﴿ينصر من يشاء﴾ أن ينصره **﴿وهو
 العزيز﴾** الغالب القاهر **﴿الرحيم﴾** الكثير
 الرحمة لعباده المؤمنين.

٦ **﴿وعد الله لا يخلف الله وعده﴾** أي
 وعد الله بذلك وعداً لا يخلفه، وهو ظهور الروم
 على فارس **﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾** أن
 الله لا يخلف وعده، وهم الكفار.

٧ **﴿يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا﴾**

من أرض العرب، قيل: هي أرض
 الجزيرة، وقيل: أذرعات **﴿وهم من بعد
 غلبهم سيفليون﴾** أي: والروم من بعد
 غلب فارس إياهم سيفليون أهل فارس.

٤ **﴿في بضع سنين﴾** البضع بين الثلاثة
 إلى العشرة **﴿لله الأمر من قبل ومن
 بعد﴾** أي من قبل الغلب وبعده، أي هو
 المنفرد بالقدرة وإنفاذ الأحكام، فكل
 ذلك بأمر الله سبحانه وقضائه **﴿ويومئذ
 يفرح المؤمنون﴾**

٥ **﴿ينصر الله﴾** أي: يوم أن تغلب الروم
 فارس في بضع سنين يفرح المؤمنون بنصر

الَّذِينَ اسْتَفْهَأُوا السَّوْأَى أَنْ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا
بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ
تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾
وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ
كَافِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُؤْمِدُ يُتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾
فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ
يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ
الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبْحَنَ
اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ
فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾
يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي
الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَاتِهِ

١٠ ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أَصَاءُوا السَّوْأَى﴾ أي: كان عاقبتهم العقوبة التي هي أسوأ العقوبات، وقيل: هي اسم الجهنم، كما أن الحسنی اسم للجنة ﴿أَنْ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ أي: لأنهم كذبوا بآيات الله التي أنزلها على رسله. وقيل المعنى: ثم كان التكذيب والاستهزاء عاقبة الذين عملوا أسوأ الأعمال وهو الشرك بالله تعالى ﴿وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

١١ ﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ أي يخلقهم أولاً، ثم يعيدهم بعد الموت أحياء كما كانوا ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تَرْجَعُونَ﴾ إلى موقف الحساب، فيجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته.

١٢ ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾ أي ييبأس المشركون من كل خير حين يعاينون العذاب.

١٣ ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ﴾ الذين عبدوهم من دون الله ﴿شُفَعَاءُ﴾ أي: شفعاء يجيرونهم من عذاب الله ﴿وَكَانُوا﴾ في ذلك الوقت ﴿بِشُرَكَائِهِمْ﴾ أي: بآلهتهم الذين جعلوهم شركاء لله ﴿كَافِرِينَ﴾ أي: جاحدين لكونهم آلهة، لأنهم علموا إذ ذاك أنهم لا ينفعون ولا يضرّون.

١٤ ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُؤْمِدُ يُتَفَرَّقُونَ﴾ فالمؤمنون يصيرون إلى الجنة، والكافرون إلى النار.

١٥ ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ أي: فهم في رياض الجنة في حبور وسرور ينعمون وَيُكْرَمُونَ، وقيل: هو السماع، أي: الغناء الذي يسمعون في الجنة.

١٦ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالله ﴿وَكَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي بالقرآن ﴿وَكَذَبُوا بِـ﴾ لِقَاءِ الْآخِرَةِ أي البعث والجنة والنار ﴿فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ أي:

مقيمون فيه، وقيل المعنى: أنهم لا بد أن يُخْضَرُوا وَيُجْتَمَعُوا إِلَيْهِ.

١٧ ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ أي: فإذا علمتم ذلك فسبحوا الله، أي: نزهوه عما لا يليق به قائلين سبحان الله، في وقت الصباح والمساء، وفي العشي وفي وقت الظهر، وقيل المراد بالتسبيح هنا الصلوات الخمس، فقوله: حين تُمْسُونَ، صلاة المغرب والعشاء، وقوله: حين تُصْبِحُونَ صلاة الفجر، وقوله: وعشيًّا، صلاة العصر، وقوله: وحين تُظْهِرُونَ: صلاة الظهر.

١٩ ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ كالإنسان من النطفة، والطيور من البيضة ﴿وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ كالنطفة والبيضة من الحيوان ﴿وَيُخْرِجُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي: يحييها بالنبات بعد موتها باليباس ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ من قبوركم.

٢٠ ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ﴾ الباهرة الدالة على البعث ﴿أَنْ خَلَقَكُمْ﴾ أي: خلق أباكم آدم ﴿مِنْ تُرَابٍ﴾ وخلقكم في ضمن خلقه ﴿ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ [أي ثم تناسلت من آدم، على الوجه الذي قدره الله تعالى، حتى نشركم في الأرض

أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾
وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا
إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ وَاخْتَلَفَ أَلْسِنَتَكُمْ وَالْوَنُكْرَ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ
يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا
وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ
أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً
مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ

موتكم، وينشركم من قبوركم
﴿واختلاف ألسنتكم﴾ أي: لغاتكم من
عرب، وعجم، وترك، وروم، وغير ذلك
من اللغات ﴿والوانكم﴾ من البياض
والسواد، والحمرة، والصفرة، والزرقة،
والخضرة، مع كونكم أولاد رجل واحد،
وأم واحدة، وبجمعكم نوع واحد، وهو
الإنسانية، بل في كل فرد من أفرادكم
ما يميزه عن غيره من الأفراد ﴿إن في
ذلك آيات للعالمين﴾ أولي العلم
والبصائر.

٢٣ ﴿ومن آياته منامكم بالليل والنهار
وابتغاؤكم من فضله﴾ تنامون بالليل،
وتنامون بالنهار في بعض الأحوال
للاستراحة، كوقت القيلولة، وابتغاؤكم
من فضله فيها، فإن كل واحد منها يقع
فيه ذلك، والنوم شبيه بالموت، والتصرف
في الحاجات، والسعي في المكاسب شبيه
بالحياة بعد الموت ﴿إن في ذلك آيات
لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ أي: يسمعون الآيات
والمواعظ سماع تفكر، فيستدلون بذلك
على البعث.

٢٤ ﴿ومن آياته بربكم البرق خوفاً
وطمعا﴾ خوفاً من الصواعق، وطمعاً في
الغيث، وخوفاً من البرد أن يهلك الزرع،
وطمعاً في المطر أن يحيي الزرع ﴿ويُنْزِلُ
مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ
مَوْتِهَا﴾ أي: يحييها بالنبات بعد موتها
بالبياض ﴿إن في ذلك آيات لِقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ﴾ يستدلون بها على القدرة الباهرة.
٢٥ ﴿ومن آياته أن تقوم السماء
والأرض بأمره﴾ أي: قيامها
واستمساكها بإرادته سبحانه وقدرته بلا
عمد يعمدها، ولا مستقر يستقران عليه
﴿ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا
أنتم تخرجون﴾ من غير تلبث ولا توقف،
كما يجيب المدعو المطيع دعوة الداعي
المطاع.

النكاح، يعطف به بعضكم على بعض،
من غير أن يكون بينكم قبل ذلك معرفة،
فضلاً عن مودة ورحمة، وقال مجاهد:
المودة الجماع، والرحمة الولد ﴿إن في
ذلك﴾ المذكور سابقاً ﴿آيات﴾ عظيمة
الشأن بديعة البيان على قدرته سبحانه
وحكمته.

٢٢ ﴿ومن آياته خلق السماوات
والأرض﴾ فإن من خلق هذه الأجرام
العظيمة، وخلق فيها من عجائب الصنع،
وغرائب التكوين، ما هو عبوة
للمعتبرين، قادر على أن يخلقكم بعد

كلها].
٢١ ﴿ومن آياته أن خلق لكم من
أنفسكم أزواجاً﴾ أي: ومن علاماته
ودلالاته الدالة على البعث أن خلق لكم
من أنفسكم أي من جنسكم في البشرية
والإنسانية نساء تتزوجون بهن. وقيل المراد
حواء، فإنه خلقها من ضلع آدم
﴿لتسكنوا إليها﴾ أي: تألفوها وتميلوا
إليها، أي: قدر لكم ما فيه سكنكم
وراحة نفوسكم فيهن ﴿وجعل بينكم
مودة ورحمة﴾ أي: وداداً وتراحماً وشفقة
وحبا بين الرجل وزوجته في ظل عصمة

وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهَا قَلَنْتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ
ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ
أَنفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّن شُرَكَاءَ
فِي مَا رَزَقْنَكُمْ فَآنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ
كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ اتَّبَعَ
الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ
وَمَا لَهُمْ مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا
فَطَرَأَ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ
ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾
* مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ
الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا

﴿٢٦﴾ **وله من في السماوات والأرض** من جميع المخلوقات : ملكاً، وتصرفاً، وخلقاً، ليس لغيره في ذلك شيء ﴿كل له قانتون﴾ أي : مطيعون طاعة انقياد، مقرون بالعبودية .

﴿٢٧﴾ **وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده** بعد الموت، فيحييه الحياة الدائمة **وهو أهون عليه** قال مجاهد : الإعادة أهون عليه : أي على الله، من البداية، أي أيسر، وإن كان جميعه على الله هيناً، وقيل : المراد أن الإعادة، فيما بين الخلق، أهون من البداية **﴿وله المثل الأعلى﴾** الوصف الأعلى **﴿في السماوات والأرض﴾** أي قوله «وهو أهون عليه» قد ضربه لكم مثلاً فيما يصعب ويسهل، وليس كمثله شيء **﴿وهو العزيز﴾** في ملكه القادر الذي لا يغالب **﴿الحكيم﴾** في أقواله وأفعاله .

﴿٢٨﴾ **ضرب لكم مثلاً من أنفسكم** أي : مثلاً منتزعا ومأخوذاً من أنفسكم، فإنها أقرب شيء منكم، على بطلان الشرك **﴿فأنتم فيه سواء﴾** أي : هل ترضون لأنفسكم — والحال أن عبيدكم وإماءكم أمثالكم في البشرية — أن يساووكم في التصرف فيما رزقناكم من الأموال، ويشاركوكم فيها من غير فرق بينكم وبينهم، بحيث **﴿تخافونهم كخيفتكم أنفسكم﴾** كما تخافون الأحرار المشاركين لكم في الأموال ؟ فإنهم لابد أن يقولوا : لا نرضى بذلك، فإذا بطلت الشركة بين العبيد وساداتهم فيما يملكه السادة بطلت الشركة بين الله وبين أحد من خلقه، لأن الكل عبيده .

﴿٢٩﴾ **بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم** أي فلم يعقلوا الآيات **﴿بغير علم﴾** أي : جاهلين بأنهم على ضلالة **﴿فمن يهدي من أضل الله﴾** أي : لا أحد يقدر على هدايته إن لم يقدر الله له الهداية **﴿وما**

لهم من ناصرين﴾ يحولون بينهم وبين عذاب الله سبحانه .

﴿٣٠﴾ **فأقم وجهك للدين حنيفاً** مائلاً إليه، مستقيماً عليه، غير ملتفت إلى غيره من الأديان الباطلة **﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾** فطرهم الله على الإسلام لولا عوارض تعرض لهم فيبقون بسببها على الكفر، كما في حديث أبي هريرة الثابت في الصحيح قال : قال رسول الله ﷺ «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، ولكن أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه» وفي المسند عن عياض أن رسول الله ﷺ

خطب يوماً، فقال في خطبته حاكياً عن الله سبحانه : «إني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فأفصلتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم» **﴿لا تبدل خلق الله﴾** أي : لا تبدلوا خلق الله، بعبادة غير الله بل ابقوا على فطرة الإسلام والتوحيد **﴿ذلك الدين القيم﴾** أي : لزوم الفطرة هو الدين المستقيم **﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾** ذلك حتى يفعلوه ويعملوا به .

﴿٣١﴾ **منيبين إليه﴾** المعنى : فأقم وجهك ومن معك منيبين إلى الله **﴿واتقوه﴾** أي



فسوف تعلمون ما يتعقب هذا التمتع الزائل من العذاب الأليم .

٣٥ ﴿أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾ المعنى: بل هل أنزلنا عليهم برهاناً ظاهراً **﴿فهو يتكلم بما كانوا به يشركون﴾** أي: ينطق بإشراكهم بالله سبحانه، أي يدل على أن إشراكهم حق.

٣٦ ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً﴾ أي: خصبنا ونعمة وسعة وعافية **﴿فرحوا بها﴾** فرح بطر وأشر، لا فرح شكر بها وابتهاج بوصولها إليهم **﴿وإن تصبهم سيئة﴾** شدة على أي صفة **﴿بما قدمت أيديهم﴾** أي بسبب ذنوبهم **﴿إذا هم يقنطون﴾** القنوط: الإياس من الرحمة.

٣٧ ﴿أُولَئِكَ يَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ من عباده ويوسع له **﴿ويقدر﴾** أي يضيق على من يشاء **﴿إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾** فيستدلون على الحق لدلالاتها على كمال القدرة.

٣٨ ﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ بالإحسان إليهم بالصدقة والصلة والبر **﴿والمسكين وابن السبيل﴾** أي وآت المسكين وابن السبيل حقها الذي يستحقانه، وحق المسكين أن يتصدق عليه ويعان، وحق ابن السبيل الضيافة **﴿ذلك خير للذين يريدون وجه الله﴾** أي: ذلك الإيتاء أفضل من الإمساك لمن يريد التقرب إلى الله سبحانه **﴿وأولئك هم المفلحون﴾** أي: الفائزون بمطلوبهم حيث أنفقوا لوجه الله امتثالاً لأمره.

٣٩ ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبًّا﴾ أي من مال طلباً لزيادة خالية عن العوض **﴿ليربو في أموال الناس﴾** أي: ليزيد وينمو في أموالهم **﴿فلا يربو عند الله﴾** أي: لا يبارك الله فيه، وقيل: ليس تأويل الآية هكذا، بل قال أكثر المفسرين: الربا في هذا الموضع ما يفعله بعض الناس من

كُلِّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٦﴾ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٧﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يَشْرِكُونَ ﴿٣٩﴾ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٤٢﴾ وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبًّا لِّيرَبُّوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرَبُّوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ

وشدة **﴿دعوا ربهم﴾** أن يرفع ذلك عنهم واستغاثوا به **﴿منيبين إليه﴾** أي راجعين إليه ملتجئين به لا يعولون على غيره **﴿ثم إذا أذاقهم منه رحمة﴾** بإجابة دعائهم ورفع تلك الشدائد **﴿إذا فريق منهم برهم يشركون﴾** [رجعوا إلى عبادة غير الله وهم يعلمون أنه ما رفع الضر عنهم إلا الله] وهذا الكلام مسوق للتعجيب من أحوالهم وما صاروا عليه من الاعتراف بوحداية الله سبحانه عند نزول الشدائد والرجوع إلى الشرك عند رفعها.

٣٤ ﴿ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا

باجتناب معاصيه **﴿واقموا الصلاة﴾** التي أمرتم بها **﴿ولا تكونوا من المشركين﴾** بالله.

٣٢ ﴿من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا﴾ تفرقوا فرقا في الدين يشايح بعضهم بعضا من أهل البدع والأهواء واليهود والنصارى **﴿كل حزب بما لديهم فرحون﴾** أي: كل فريق بما لديهم من الدين المبني على غير الصواب مسرورون مبتهجون يظنون أنهم على الحق وليس بأيديهم منه شيء.

٣٣ ﴿وإذا مسَّ الناس ضر﴾ أي قحط

فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٤٠﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَٰلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٢﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ﴿٤٣﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يُصَدِّعُونَ ﴿٤٤﴾ مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٥﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ

المهدية يهديها الرجل لأخيه يطلب المكافأة، فإن ذلك لا يربو عند الله، فلا يؤجر عليه صاحبه، ولا إثم عليه، يعني دفع الإنسان الشيء ليعوض أكثر منه، وما خدم به الإنسان أحدا لينتفع به في دنياه، فإن ذلك النفع الذي يجزى به من الخدمة، لا يربو عند الله، وكان حراما على النبي ﷺ على الخصوص لقوله سبحانه: (ولا تمنن تستكثر) قال عكرمة: الربا ربوان: فربا حلال، وربا حرام، فأما الربا الحلال فهو الذي يهدي يلتبس ما هو أفضل منه، يعني: كما في هذه الآية ﴿وما آتيتكم من زكاة تريدون وجه الله﴾ أي: وما أعطيتكم من صدقة لا تطلبون بها المكافأة، وإنما تقصدون بها ما عند الله ﴿فأولئك هم المضعفون﴾ يعطون بالحسنة عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف.

٤٠ ﴿هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء﴾ ومعلوم أنهم يقولون ليس فيهم من يفعل شيئا من ذلك، فتقوم عليهم الحجة ﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ أي: تزوهو تنزيها عن إشراك المشركين.

٤١ ﴿ظهر الفساد في البر والبحر﴾ المراد بالبحر المدن والقرى التي على الأنهار والبحار، والبر المدن والقرى التي ليست على بحر أو نهر ﴿بما كسبت أيدي الناس﴾ بين سبحانه أن الشرك والمعاصي سبب لظهور الفساد في العالم، وظهور الفساد هو القحط وعدم النبات، ونقصان الرزق، وكثرة الخوف وكساد الأسعار، وقلة المعاش، وقطع السبل، والظلم، وغير ذلك ﴿ليذيقهم بعض الذي عملوا﴾ أي: ليذيقهم عقاب بعض عملهم ﴿لعلهم يرجعون﴾ عما هم فيه من المعاصي ويتوبون إلى الله.

٤٢ ﴿قل سيروا في الأرض فانظروا

كيف كان عاقبة الذين من قبل﴾ المستقيم ﴿من قبل أن يأتي يوم﴾ يعني أمرهم بأن يسيروا لينظروا آثارهم ويشاهدوا كيف كانت عاقبتهم، فإن منازلهم خاوية، وأراضيهم مقفرة موحشة، كعاد وشمود ونحوهم من طوائف الكفار ﴿كان أكثرهم مشركين﴾ إيضاح للسبب الذي صارت عاقبتهم به إلى ما صارت إليه.

٤٣ ﴿فأقم وجهك للدين القيم﴾ المعنى: إذا ظهر لك أن الفساد بالسبب المتقدم فأقم وجهك يا محمد، أي اجعل جهتك اتباع الدين القيم، وهو الإسلام

٤٤ ﴿من كفر فعليه كفره﴾ أي جزء كفره، وهو النار ﴿ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون﴾ أي: يوظفون لأنفسهم منازل في الجنة بالفعل الصالح.

٤٥ ﴿ليجزى الذين آمنوا﴾ أي:

مِنْ رَحْمَتِهِ ۖ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ ۖ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ۚ
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى
قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ۖ
وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ
الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ
وَيَجْعَلُهُ كَسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ۚ فَلَإِذَا
أَصَابَ بِهِ ۖ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾
وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ قَبْلِهِ لُمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾
فَانْظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ
إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾
وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ ۚ
يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمَعُ الصُّمُّ

﴿فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ تارة
سائراً وتارة واقفاً، وتارة مطبقاً، وتارة غير
مطبق، وتارة إلى مسافة بعيدة، وتارة إلى
مسافة قريبة ﴿وَيَجْعَلُهُ كَسَفًا﴾ قطعاً
متفرقة ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾
الودق: المطر، من خلاله: من وسطه
﴿فَإِذَا أَصَابَ بِهِ﴾ أي بالمطر ﴿مَنْ يَشَاءُ
مِنْ عِبَادِهِ﴾ أي: بلادهم وأرضهم ﴿إِذَا
هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ الاستبشار: الفرح.

٤٩ ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ
عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لُمُبْلِسِينَ﴾ أي: كانوا من
قبل تنزيل الغيث عليهم، أو من قبل
الزرع والمطر، آيسين أو بائسين.

٥٠ ﴿فَانْظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ الناشئة
عن إنزال المطر، من النباتات والثمار
والزرائع التي بها يكون الخصب ورخاء
العيش، لتستدل بذلك على توحيد الله
وتفردّه بهذا الصنع العجيب ﴿كَيْفَ يُحْيِي
الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي: انظر إلى
كيفية هذا الإحياء البديع للأرض ﴿وَإِنْ
ذَٰلِكَ﴾ أي: إن المخترع لهذه الأشياء
المذكورة ﴿لَمُحْيِ الْمَوْتَى﴾ أي: لقادر على
إحيائهم في الآخرة، وبعثهم ومجازاتهم،
كما أحيا الأرض الميتة بالمطر ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: عظيم القدرة كثيرها.

٥١ ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ
زَرْعُهُمْ وَنَبَاتُهُمْ مُصْفَرًّا﴾ من البرد
الناشئ عن الريح التي أرسلها الله بعد
اخضرارها ﴿لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾
بالله ويحسدون نعمه، وفي هذا دليل على
سرعة تقلبهم وعدم صبرهم وضعف
قلوبهم، وليس كذا حال أهل الإيمان.

٥٢ ﴿فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى﴾ إذا
دعوتهم، فكذا هؤلاء، لعدم فهمهم
للحقائق ومعرفتهم للصواب ﴿وَلَا تَسْمَعُ
الصُّمُّ الدُّعَاءَ﴾ إذا دعوتهم إلى الحق
ووعظتهم بمواعظ الله ﴿وَإِذَا لَوْ لَا مُدَبِّرِينَ﴾
عن الحق.

السفن ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ هذه النعم
فتفردوا الله بالعبادة، وتستكثروا من
الطاعة.

٤٧ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ
قَوْمِهِمْ﴾ كما أرسلنا إلى قومك
﴿فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي: بالمعجزات
والحجج النيرات، فكفروا ﴿فَأَنْتَقَمْنَا مِنْ
الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ أي: فعلوا الإجمام،
وهي الآثام ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ
الْمُؤْمِنِينَ﴾ وهو صادق الوعد لا يخلف الميعاد.

٤٨ ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ
سَحَابًا﴾ ترفعه [من بخار مياه البحار]

يتفرقون ليجزي الله المؤمنين بما يستحقونه
﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ [أي مما يفضل أي يزيد
على استحقاقهم أضعافاً لا يقدر قدرها إلا
الله] ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ كناية
عن بغضه لهم الموجب لغضبه سبحانه،
وغضبه يستتبع عقوبته.

٤٦ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ
مُبَشِّرَاتٍ﴾ بالمطر لأنها تتقدمه
﴿وَلِيَذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ يعني الغيث
والخصب ﴿وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ﴾ في
البحر عند هبوبها ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾
أي: تبتغوا الرزق بالتجارة التي تحملها

الْذِّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمِّيَّ عَنْ
ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِعَاقِبَتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾
* اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ
ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ
مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ
الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾
وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ
اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ
لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ
وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا
الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى

٥٣ ﴿وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم﴾ لفقدهم للانتفاع بالأبصار كما ينبغي، أو لفقدهم للبصائر ﴿إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا﴾ لكونهم أهل التفكير والتدبر والاستدلال بالآثار على المؤثر ﴿فهم مسلمون﴾ أي: منقادون للحق متبعون له.

٥٤ ﴿الله الذي خلقكم من ضعف﴾ هذا مثل آخر ضربه الله استدلالاً على كمال قدرته، وهو خلق الإنسان نفسه على أطوار مختلفة. ومعنى من ضعف: من نطفة، وقيل: المراد حال الطفولية والصغر ﴿ثم جعل من بعد ضعف قوة﴾ وهي قوة الشباب، فإنه إذ ذاك تستحكم القوة، وتشتد الخلقة، إلى بلوغ النهاية ﴿ثم جعل من بعد قوة ضعفاً﴾ أي: عند الكبر والهرم ﴿وشيبة﴾ الشيبة: هي تمام الضعف ﴿بخلق ما يشاء﴾ من جميع الأشياء، ومن جعلها القوة والضعف في بني آدم ﴿وهو العليم﴾ بتدبيره ﴿القدير﴾ على خلق ما يريد.

٥٥ ﴿ويوم تقوم الساعة﴾ أي القيامة، قيل سميت ساعة لأنها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا ﴿يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة﴾ أي: يحلفون ما لبثوا في الدنيا، أو في قبورهم، غير ساعة، استقلوا مدة لبثهم، واستقر ذلك في أذهانهم، فحلفوا عليه، وقيل: كذبوا في هذا الوقت كما كانوا يكذبون من قبل ﴿كذلك كانوا يؤفكون﴾ مثل ذلك الصرف كانوا يصرفون عن الحق، وهو دليل على أن حلفهم كان كذباً.

٥٦ ﴿وقال الذين أوتوا العلم والإيمان﴾ قيل: هم الملائكة، وقيل: الأنبياء، وقيل: وعلماء الأمم، ومؤمنو هذه الأمة ﴿لقد لبثتم﴾ في حياتكم وفي قبوركم ﴿في كتاب الله﴾ أي: في علم الله المثبت في اللوح المحفوظ ﴿إلى يوم

٥٨ ﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل﴾ من الأمثال التي تدلهم على توحيد الله وصدق رسله، واحتججنا عليهم بكل حجة تدل على بطلان الشرك، [كما عرّضه الله تعالى في هذه السورة عرّضاً من وجوه كثيرة، وعلى صور متعددة، وبأدلة وأمثلة مختلفة] ﴿ولئن جئتهم بآية﴾ من آيات القرآن الناطقة بذلك ﴿ليقولن الذين كفروا إن أنتم إلا مبطلون﴾ أي: ما أنت يا محمد وأصحابك إلا أصحاب أباطيل، تتبعون السحر وما هو مشاكل له في البطلان.

البعث فهذا﴾ الوقت الذي صاروا فيه هو ﴿يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون﴾ أنه حق، بل كنتم تستعجلونه تكديبا واستهزاء.

٥٧ ﴿فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم﴾ أي: لا ينفعهم الاعتذار يومئذ، ولا يفيدهم علمهم بالقيامة ﴿ولا هم يستعبدون﴾ لا يدعون إلى إزالة عتبهم من التوبة والطاعة، كما دُعوا إلى ذلك في الدنيا، والاستعتاب الاسترضاء وطلب الموافقة، تقول: استعتبت فاعتبني، أي استرضيته فأرضاني وذلك إذا كنت جانياً عليه.

قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ
وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾

(٣١) سُورَةُ لُقْمَانَ مَكِّيَّةٌ
وَأَنبَأَ أَنَّهَا رَجُلٌ وَثَلَاثُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَ ﴿٥٩﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٦٠﴾ هُدًى
وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ ﴿٦١﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ
الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٦٢﴾ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى
مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٦٣﴾ وَمِنَ النَّاسِ
مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ
عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦٤﴾

العامل للחסنات، أو من يعبد الله كأنه يراه. [كما في حديث جبريل عليه السلام أنه سأل النبي ﷺ «ما الإحسان؟ فقال: الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه. فإن لم تكن تراه فإنه يراك» وذلك أن من راقب الله تعالى وعلم أنه مطلع عليه حين يعمل، عبد الله فأحسن عبادته، فأتى بالأعمال الصالحة في أفضل أوقاتها، وعلى خير الكيفيات التي هداه إليها رسوله ﷺ فكان إحسانه سبباً لمزيد الهداية له، وذلك سبب لتوالي الرحمت.]

٤ «الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون» خص هذه العبادات الثلاث لأنها عمدة العبادات، وضم إليها الإيمان بالآخرة عن يقين لأنه هو الذي يحمل صاحبه على تقوى الله واتباع هداه.

٥ «أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون» قد تقدم تفسير هذا في أول سورة البقرة.

٦ «ومن الناس من يشتري لهو الحديث» هو الحديث: كل ما يلهو به الناس من الغناء والملاهي والأحاديث والقصص «ليضل عن سبيل الله» أي: أي يتبع هذه الملاهي قاصداً أن يضل غيره عن طريق الهدى ومنهج الحق، فهو يدعوهم إلى اللهو لئلا يستمعوا القرآن ويتدبروه، وإنما يستحق الذم من اشترى لهو الحديث لهذا المقصد «بغير علم» أي: حال كونه غير عالم بحال ما يشتريه، أو بحال ما ينفع من التجارة وما يضر، فلهذا استبدل بالخير ما هو شر محض «ويتخذها هزواً» يشتري لهو الحديث للإضلال عن سبيل الله، ولأجل السخرية بكتاب الله «أولئك هم عذاب مهين» والعذاب المهين: هو الشديد الذي يصير به من وقع عليه مهيناً.

بالنصر عليهم، وإعلاء حجتك، وإظهار دعوتك، ووعدك حق لا خلف فيه «ولا يستخفك» أي: لا يحملتك على الخفة، ولا يستفزرك عن دينك وما أنت عليه «الذين لا يوقنون» بالله ولا يصدقون أنبياءه ولا يؤمنون بكلمته.

سُورَةُ لُقْمَانَ

١، ٢ «آم نلك آيات الكتاب» تقدم الكلام على أمثال فاتحة هذه السورة فلا نعيده «الحكيم» ذو الحكمة البالغة.

٣ «هدى ورحمة للمحسنين» المحسن

٥٩ «كذلك» أي: إن هذه الدعوى منهم ببطلان قولك وبطلان ما جنتهم به من الآيات، هو تكذيب منشؤه أن الله تعالى طبع على قلوبهم حتى عارضوا الحق وعاندوه ولم يخضعوا له [ومثل هذا الطبع «يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون» الفاقدين للعلم النافع الذي يهتدون به إلى الحق وينجون به من الباطل.

٦٠ «فاصبر» على ما تسمعه منهم من الأذى وتنظره من الأفعال الكفرية «إن وعد الله حق» أي: فإن الله قد وعدك

وَإِذَا نُتِلَ عَلَيْهِ ءَايَتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ
فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَالِدِينَ فِيهَا
وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ
بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَآلَتِى فِي الْأَرْضِ رَوَاسٍ أَن تَمِيدَ بِكُمْ
وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا
فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا
خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾
وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ
فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾
وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ
إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ

٧ «وَإِذَا نُتِلَ عَلَيْهِ آيَاتُنَا» أي: وإذا
تتل آيات القرآن على هذا المستهزئ
«وَلَّى مُسْتَكْبِرًا» أي: أعرض عنها مبالغاً
في التكبر «كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا» مع أنه قد
سمعها «كَأَن فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا» الوقر
الشقل أو الصّتم «فَبَشَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ»
أخبره بأن له العذاب البليغ في الألم.
٨ «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ» أي: نعم الجنات.
٩ «خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا» أي:
وعد الله وعداً، وحق ذلك حقاً، ولا
خلف فيه «وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» الذي لا يغلبه
غالب «الْحَكِيمُ» في كل أفعاله وأقواله.
١٠ «خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ
تَرَوْنَهَا» فيمكن أن تكون ثم عمد، ولكن
لا ترى. ويجوز أن يكون المعنى: ولا عمد
ألبتة «وَأَلَتِى فِي الْأَرْضِ رَوَاسٍ» أي
جبالاً ثوابت «أَن تَمِيدَ بِكُمْ» جعلها
مستقرة ثابتة لا تتحرك بجبال جعلها عليها
وأرسلها على ظهرها «وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ
دَابَّةٍ» أي: من كل نوع من أنواع
الدواب «وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا
فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ» أي: من كل
صنف، ووصفه بكونه كريماً لحسن لونه
وكثرة منافعه.

١١ «هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ
الَّذِينَ مِن دُونِهِ» من ألهتكم التي
تعبدونها، فأروني أي شيء خلقوا مما
يحاكى خلق الله أو يقاربه «بَلِ
الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» فقرّر ظلمهم أولاً
وضلالهم ثانياً.

١٢ «وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ
اشْكُرْ لِلَّهِ» لقمان ذهب أكثر أهل العلم
إلى أنه ليس بنبي، والحكمة التي آتاه الله
هي الفقه والعقل والإصابة في القول «أَن
اشْكُرْ لِلَّهِ» فشكر، فكان حكماً بشكره
«وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ» لأن
نفع ذلك راجع إليه، وفائدته حاصلة له،

لله تعالى وحده لا يستحقها غيره، لأن
الخلق خلقه والأمر أمره، فصرف شيء
من العبادة عن الله تعالى إلى غيره وضع
للحق في غير موضعه، فيكون أعظم
الظلم، وإن كان الله تعالى لا يبلغ أحد
ضره، بل هو الغني الحميد.

١٤ «وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ» في
جعل الشكر لها مقترناً بالشكر لله دلالة
على أن حقها من أعظم الحقوق على
الولد وأكبرها وأشدّها وجوباً «حَمَلَتْهُ أُمُّهُ
وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ» حملته في بطنها وهي
تزداد كل يوم ضعفاً على ضعف، وقيل

إذ به تستبقي النعمة، وبسببه يستجلب
المزيد منها من الله سبحانه «وَمَن كَفَرَ»
أي: من جعل كفر النعم، وإنكار فضل
الله وعظيم منته فيها، مكان شكرها «فَإِن
اللَّهُ غَنِيٌّ» عن شكره غير محتاج إليه
«حَمِيدٌ» مستحق للحمد من خلقه.

١٣ «وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ
يَعِظُهُ» يخاطبه بالمواعظ التي ترغبه في
التوحيد، وتصدّه عن الشرك «يَا بُنَيَّ لَا
تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ» بل
هو أعظم الظلم، لأن حقيقة الظلم
صرف الحق عن أهله، والحق في العبادة

حَمَلَتْهُ أُمُّهُ، وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلُهُ، فِي عَامَيْنِ أَنْ أَشْكُرَ لِي
وَلَوْلَا دَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ
بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا
مَعْرُوفٌ وَأَتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ
فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَبْنِيْ إِنَّهَا إِنْ تَكُ
مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ
أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾
يَبْنِيْ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَامْرُءٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾
وَلَا تُصْعِرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا
إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ
وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ

وأحزره ﴿أو في السماوات أو في الأرض﴾ أي: أو حيث كانت من بقاع السماوات أو من بقاع الأرض ﴿يأت بها﴾ أي: يحضرها ويحاسب فاعلها عليها ﴿إن الله لطيف﴾ لا تخفى عليه خافية، بل يصل علمه إلى كل خفي ﴿خير﴾ بكل شيء لا يغيب عنه شيء.

١٧ ﴿يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك﴾ وجه تخصيص هذه الطاعات أنها أمهات العبادات وعماد الخير ﴿إن ذلك﴾ أي: الطاعات المذكورة ﴿من عزم الأمور﴾ أي: مما جعله الله عزيمة وأوجبه على عباده، ويحتمل أن المراد أن ذلك من مكارم أهل الأخلاق، وعزائم أهل الحزم السالكين طريق النجاة.

١٨ ﴿ولا تصعر خدك للناس﴾ المعنى: لا تعرض عن الناس تكبرا عليهم، وقيل المعنى: ولا تلو شذقك إذا ذكر الرجل عندك كأنك تحتقره ﴿ولا تمس في الأرض مرحاً﴾ أي: خيلاء وفرحاً، والمعنى: النهي عن التكبر والتجبر ﴿إن الله لا يحب كل مختال فخور﴾ الاختيال: هو المرح والكبرياء، والفخور: هو الذي يفتخر على الناس بماله من المال، أو الشرف، أو القوة، وليس منه التحدث بنعم الله، فإن الله يقول (وأما بنعمة ربك فحدث)

١٩ ﴿واقصد في مشيك﴾ ثبت أن رسول الله ﷺ كان إذا مشى أسرع، فعناه: لا تختل في مشيتك. وقال عطاء: امش بالوقار والسكينة ﴿واغضض من صوتك﴾ أي: انقص منه واخفضه ولا تتكلف رفعه، فإن الجهر بأكثر من الحاجة يؤذي السامع ﴿إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾ أي: أوحشها وأقبحها، أوله زفير وآخره هيق.

﴿التي﴾ أي: اتبع سبيل من رجع إلي من عبادي الصالحين بالتوبة والإخلاص ﴿ثم التي مرجعكم﴾ جميعاً لا إلى غيري ﴿فأنبئكم﴾ أي: أخبركم عند رجوعكم ﴿بما كنتم تعملون﴾ من خير وشر فأجازي كل عامل بعمله. ثم شرع سبحانه في بقية كلام لقمان في وعظه لابنه فقال:

١٦ ﴿يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل﴾ أي: إن الخطيئة إن تكن بوزن الخردلة أصغر الجيوب، ولا يدرك بالحس ثقلها، ولا ترجع ميزاناً ﴿فتكن في صخرة﴾ قد صارت في أخفى مكان

المعنى: أن المرأة ضعيفة الخلقة، ثم يضعفها الحمل ﴿وفصّاله في عامين﴾ الفصال: الفطام ﴿أن أشكر لي ولوالديك﴾ هذا مضمون وصية الله بها ﴿إلى المصير﴾ أي: الرجوع إلي لا إلى غيري، فانظر هل قت بحق وصيتي.

١٥ ﴿وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم﴾ أي: ما لا علم لك بكونه شريكاً لله ﴿فلا تطعها﴾ في ذلك ﴿وصاحبها في الدنيا معروف﴾ أي: بالبرّ بها، والإحسان إليها، ولو جاهداك لتشرك بالله ﴿واتبع سبيل من أناب

٢٠ ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ﴾ تسخيرها للآدميين : تمكينهم من الانتفاع بها ، فمن مخلوقات السماوات المسخرة لبني آدم : الشمس ، والقمر ، والنجوم ، ونحو ذلك ، ومن جملة ذلك : الملائكة ، فإنهم حفظة لبني آدم بأمر الله سبحانه ، ومن مخلوقات الأرض : الأحجار والتراب ، والزرع والشجر ، والثمار والحيوانات التي ينتفعون بها ، والعشب وغير ذلك ، فالمراد بالتسخير جعل المسخر بحيث ينتفع به المسخر له سواء كان متقادا له وداخلا تحت تصرفه أم لا ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَهُ وَبَاطِنَهُ﴾ أي : أتم وأكمل عليكم نعمه . والنعم الظاهرة : ما يدرك بالعقل أو الحس ، ويعرفه من يتعرفه : كالصحة ، وكمال الخلق ، والمال ، والجاه ، والجمال ، وفعل الطاعات ؛ والنعم الباطنة : المعرفة ، والعقل ، وما يجده المرء في نفسه من العلم بالله وحسن اليقين ، وما يدفعه الله عن العبد من الآفات ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَجَادِلُ فِي اللَّهِ﴾ في توحيده وصفاته مكابرة وعنادا بعد ظهور الحق له ، وقيام الحجة عليه ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ من عقل ولا نقل ﴿وَلَا هُدًى﴾ يهتدي به إلى طريق الصواب ﴿وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ أنزله الله سبحانه ، بل مجرد تعنت ومحض عناد .

٢١ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ أي ما أنزله على رسوله من الكتاب تمسكوا بمجرد التقليد البحت ، و ﴿قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءُنَا﴾ فنعبد ما كانوا يعبدونه من الأصنام ، وفشي في الطريق التي كانوا يمشون بها في دينهم ﴿أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ كأنه تعالى يقول : أيتبعون آباءهم في الشرك ولو كان الشيطان هو الذي سؤل لآبائهم ما كانوا عليه حتى أوقعهم في الشرك ، فأوردهم

الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ ﴿٢٠﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٢١﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءُنَا أَوْ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢٢﴾ وَمَن يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٣﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ ۖ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٥﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾

بذلك عذاب جهنم المستمر ، فما معنى اتباع الآباء والحال هذه ؟

٢٢ ﴿وَمَن يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾ أي : يفوض إليه أمره ، ويخلص له عبادته ، ويقبل عليه بكلية ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ في أعماله ، والإحسان «أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ أي اعتصم بالعهد الأوثق وتعلق به ، وهو تمثيل لحال من أسلم وجهه إلى الله بحال من أراد أن يترقى إلى شاطئ جبل ، فتمسك بأوثق عرى جبل متدك منه ﴿وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ

الأمور﴾ أي : مصيرها إليه ، لا إلى غيره . ٢٣ ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ﴾ فإن كفره لا يضرك ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا﴾ أي : نخبرهم بقبائح أعمالهم ونجازيهم عليها ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ لا تخفى عليه من ذلك خافية ، فالسرّ عنده كالعلانية .

٢٤ ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا﴾ أي : نبي الكفار في الدنيا مدة قليلة يتمتعون بها ، فإن النعيم الزائل هو أقل قليل بالنسبة إلى النعيم الدائم ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ أي : نلجئهم إلى عذاب النار .



غالب لا يعجزه شيء، ولا يخرج عن حكمته وعلمه فرد من أفراد مخلوقاته.

٢٨ ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بِعَنُكُم إِلَّا كُنُفُسٌ وَاحِدَةً﴾ أي: قدرة الله على بعث الخلق كلهم. وعلى خلقهم كقدرته على خلق نفس واحدة وبعث نفس واحدة، لقدرة على كل شيء **﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾** لكل ما يسمع **﴿بَصِيرٌ﴾** بكل ما يبصر.

٢٩ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ أي: يدخل كل واحد منها في الآخر **﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾** أي: ذللها وجعلها منقادين بالطلوع والأفول تقديراً للأجال، وتنميًا للمنافع **﴿كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾** قيل: الأجل هو يوم القيامة، وقيل: وقت الطلوع ووقت الأفول **﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾** لا تخفى عليه منها خافية لأن من قدر على مثل هذه الأمور العظيمة فقدرة على العلم بما تعملونه بالأولى.

٣٠ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ أي: فعل ذلك ليعلموا أنه الحق **﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ﴾** هو الشيطان وما أشركوا به من صنم أو غيره **﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ﴾** على عرشه فوق سماواته العلية بقدره وجلاله **﴿الْكَبِيرُ﴾** ذو الكبرياء في ربوبيته وسلطانه.

٣١ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ﴾ أي بلطفه بكم ورحمته لكم، لأنها تمكنكم من السير على الماء برفق عند أسفاركم في البحر لطلب الرزق **﴿لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ﴾** ما يشاهدونه من آثار قدرة الله، وما يرزقهم الله في البحر **﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾** من له صبر بليغ، وشكر كثير، يصبر عن معاصي الله، ويشكر نعمه.

لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَتَمْنَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمْدُهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بِعَنُكُمْ إِلَّا كُنُفُسٌ وَاحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ

أي: المستحق للحمد.

٢٧ ﴿مَا نَفَدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ المعنى: [أن الأشجار التي في الدنيا لو كانت كلها أقلاماً، وكان ماء البحار مداداً، فكتب بها كلمات الله التي يتكلم بها إذا شاء، عبارة عن علمه وأمره، لنفد ماء البحر وانتهى، ولم تنته كلمات الله، ولو كان وراء البحر سبعة أبحر تمده] قيل: إنها لما نزلت (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) في اليهود، قالوا: كيف وقد أوتينا التوراة، فيها كلام الله وأحكامه، فنزلت هذه الآية **﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾** أي:

٢٥ ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ أي: يعترفون بأن الله هو خالقها، لا جواب لهم غير ذلك **﴿قُلْ يَا مُحَمَّدُ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾** على اعترافكم، فكيف تعبدون غيره وتجعلونه شريكاً له؟ **﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾** أي: لا ينظرون ولا يتدبرون حتى يعلموا أن خالق هذه الأشياء هو الذي تجب له العبادة دون غيره.

٢٦ ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً، فلا يستحق العبادة غيره **﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾** عن غيره **﴿الْحَمِيدُ﴾**

مُقْتَصِدٌ ۖ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ يَأْتِيهَا
النَّاسُ أَتَقُوا رَبَّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ
وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا ۚ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا
تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ اللَّهَ
عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ
وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۚ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ
أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾

(٣٢) سُورَةُ السَّجْدَةِ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا ثَلَاثُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْم ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ

٣٢ ﴿وإذا غشيم موج كالظلل﴾ شبه الموج لكبره بما يظلل الإنسان من جبل أو سحاب أو غيرها ﴿دعوا الله مخلصين له الدين﴾ لا يعولون على غير الله في خلاصهم من موج البحر إذا هاج، لأنهم يعلمون أنه لا يضر ولا ينفع سواه فلا يدعون أصنامهم، بل ينسونها في تلك الحال ﴿فلا نخاهم إلى البر﴾ صاروا على قسمين: فقسم ﴿مقتصد﴾ أي: يوفي بما عاهد عليه الله في البحر من إخلاص الدين له، ويبقى على ذلك بعد أن أخرجه إلى البر سالما، ومنهم كافر ﴿وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور﴾ الختار: كثير الخثر وهو الغدر وعدم الوفاء بالمعهد.

٣٣ ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده﴾ لا ينفعه بوجه من وجوه النفع لاشتغاله بنفسه ﴿ولا مولود هو جاز عن والده شيئا﴾ فإعدادهما من القربات لا يجزي بالأولى، فكيف بالأجانب. اللهم اجعلنا ممن لا يرجو سواك، ولا يقول على غيرك ﴿إن وعد الله حق﴾ لا يتخلف، فإعداد به من الخير وأوعد به من الشر فهو كائن لا محالة ﴿فلا تغرركم الحياة الدنيا﴾ وزخارفها فإنها زائلة ذاهبة ﴿ولا يغرركم بالله الغرور﴾ الغرور هو الشيطان، يغر الخلق ويمنيهم بالأمانى الباطلة، ويلهمهم عن الآخرة.

٣٤ ﴿إن الله عنده علم الساعة﴾ أي: علم وقتها، لا يعلمه أحد إلا الله عز وجل ﴿ويُنزل الغيث﴾ في الأوقات التي جعلها معينة لإنزاله ﴿وبعلم ما في الأرحام﴾ من الذكور والإناث والصلاح والفساد ﴿وما تدري نفس﴾ من النفوس حتى الملائكة والأنبياء والجن والإنس ﴿ماذا تكسب غدا﴾ من كسب دين أو كسب دنيا ﴿وما تدري نفس بأي

أرض تموت﴾ أي لا يدري أحد من الأحياء في أي مكان يقضي الله عليه بالموت. أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن مجاهد قال: «جاء رجل من أهل البادية إلى النبي ﷺ فقال: إن امرأتي حبلى، فأخبرني ماتلد؟ وبلادنا مجدبة، فأخبرني متى ينزل الغيث؟ وقد علمت متى ولدت، فأخبرني متى أموت؟ فأنزل الله عز وجل (إن الله عنده علم الساعة.... الآية) وأخرج البخاري ومسلم عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا

سُورَةُ السَّجْدَةِ

٢ ﴿لا ريب فيه﴾ أي: لا شك أنه منزل من رب العالمين، وأنه ليس بكذب ولا سحر ولا كهانة ولا أساطير الأولين. ٣ ﴿أم يقولون افتراه﴾ افتعله محمد من عند نفسه واختلقه ﴿بل هو الحق من

التدبير إليه سبحانه في يوم مقداره ألف سنة، وقيل: يدبر أمر الحوادث اليومية بإثباتها في اللوح المحفوظ فتُنزل بها الملائكة، ثم تعرج إليه في زمان هو كآلف سنة من أيام الدنيا، وقيل المراد: تصعد إليه الملائكة بأخبار العباد وأعمالهم. والله أعلم.

٧ ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾
أتقن وأحكم خلق مخلوقاته، وبعض المخلوقات، وإن لم تكن حسنة المنظر في نفسها، فهي متقنة محكمة ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ يعني: آدم خلقه من طين فصار على صورة بديعة وشكل حسن.

٨ ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ﴾ أي ذريته ﴿مِنْ سَلَالَةٍ﴾ سميت الذرية سلالة، لأنها تسال من الأصل، وتنفصل عنه ﴿مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾ من ماء حقير، وهو المنى.

٩ ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ﴾ أي: الإنسان الذي بدأ خلقه من طين، وهو آدم، عدل خلقه، وسوى شكله، وناسب بين أعضائه ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوْحِهِ﴾ نسب الله تعالى الروح إلى نفسه تكريماً لها وتشريفاً ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ تكميلاً لنعمته عليكم، وتتمياً لتسويته لخلقكم، حتى تجتمع لكم النعم، فتسمعون كل مسموع، وتبصرون كل مبصر، وتتعلقون كل متعلق، وتفهمون كل ما يفهم ﴿قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ بيان لكفرهم لنعم الله، وتركهم لشكرها إلا فيما ندر من الأحوال.

١٠ ﴿وَقَالُوا إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾ ذهبنا وضعنا وصرنا تراباً، وغبنا عن الأعين ﴿إِنَّا لَنِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي: أنبعث ونصير أحياء ﴿ذُبِّلَ لَهُمْ بَلَاءٌ رَهِيمٌ كَافِرُونَ﴾ أي: جاحدون له مكابرة وعناداً.

الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لَتُنذِرَنَّهُمْ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ ۚ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ ۚ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ وَقَالُوا إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۚ بَلْ هُمْ

عنكم عذابه ولا شفيع يشفع لكم عنده ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ تذكر تدبر وتفكر، وتسمعون هذه المواعظ سماع من يفهم ويعقل حتى تنتفعوا بها.

٥ ﴿يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ أي: يُحكم الأمر بقضائه وقدره من السماء إلى الأرض، وقيل المعنى: يدبر أمر الدنيا بأسباب سماوية، من الملائكة وغيرها، نازلة أحكامها وآثارها إلى الأرض ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ أي: ثم يرجع ذلك الأمر ويصعد ذلك

ربك﴾ كذبهم سبحانه في دعوى الافتراء ﴿لَتُنذِرَنَّهُمْ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ وهم العرب، وكانوا أمة أمية، لم يأتهم رسول ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ أي لأجل أن يهتدوا.

٤ ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ الله أعلم بتلك الأيام ما طولها ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ وقد تقدم تفسير هذا مستوفى ﴿مَّا لَكُم مِّن دُونِهِ ۚ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ أي: ليس لكم من دون الله أو من دون عذابه من ولي يواليكم ويرد

يَلْقَاءَ رَبِّهِمْ كَغَيْرُونَ ﴿١٠﴾ * قُلْ يَتَوَفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ
الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ
الْمُجْرِمُونَ نَاكِسَ أُرُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا
فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا
كُلَّ نَفْسٍ هُدًىٰ وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ
مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ
يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا
سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ
جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا
رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّنْ
قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا

١١ ﴿قُلْ يَتَوَفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ﴾ هو عزرائيل ﴿وَكُلَّ بِكُمْ﴾ وكل بقبض أرواحكم عند حضور آجالكم ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ أي تصيرون إليه أحياء بالبعث والنشور، لا إلى غيره، فيجازيكم بأعمالكم.

١٢ ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ﴾ هم القائلون إذا ضللنا ﴿نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ﴾ مطأطئوها حياء ونداما على ما فرط منهم في الدنيا من الشرك بالله والعصيان له ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ عند محاسبته لهم لرأيت العجب: يقولون ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا﴾ الآن ما كنا نكذب به ﴿وَسَمِعْنَا﴾ ما كنا ننكره، وقيل: أبصرنا صدق وعيدك، وسمعنا تصديق رسلك. أبصروا حين لم ينفعهم البصر، وسمعوا حين لم ينفعهم السمع ﴿فَارْجِعْنَا﴾ إلى الدنيا ﴿نَعْمَلْ﴾ عملا ﴿صَالِحًا﴾ كما أمرتنا ﴿إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ أي: مصدقون بالذي جاء به محمد ﷺ، وصفوا أنفسهم بالإيقان الآن طمعا فيما طلبوه من إرجاعهم إلى الدنيا، وأنى لهم ذلك؟ ولورثوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون.

١٣ ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًىٰ﴾ فهدينا الناس جميعا، فلم يكفر منهم أحد ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ أي: سبقت كلمتي، وقضيت قضائي ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ هذا هو القول الذي وجب من الله وحق على عباده، ونفذ فيه قضاؤه، لأنه سبحانه قد علم أنهم من أهل الشقاوة.

١٤ ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ أي: عذاب لقاء يومكم هذا، بسبب ترككم لما أمرتكم به ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: ذوقوا العذاب الدائم الذي لا ينقطع أبدا بما كنتم تعملونه في الدنيا من الكفر

والمعاصي. يستكبرون خاضعين لله، متذللين له.

١٥ ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ يصدق بها وينتفع ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا﴾ أي: خافوا من الله فقاموا يصلون له، أي الصلوات الخمس، وقيل النوافل، تعظيما لآيات الله، وخوفا من سطوته وعذابه ﴿وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ أي: نزهوه عن كل مالا يليق به، وحمدوه على نعمه التي أجلها وأكملها الهداية إلى الإيمان، والمعنى قالوا في سجودهم: سبحان الله وبحمده، أو: سبحان ربي الأعلى وبحمده ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ خاضعين لله، متذللين له.

١٦ ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ أي: ترتفع وتنبو، قيل المعنى: فلا ينامون حتى يصلوا العشاء. وقيل: هم المتكبرون الذين يقومون عن الفراش للصلاة بالليل ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ حال كونهم داعين ربهم خوفا من عذابه وطمعا في رحمته ﴿وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ وذلك الصدقة الواجبة، وقيل: صدقة النفل.

١٧ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ أي: لا تعلم نفس من النفوس، أي نفس كانت، ما أخفاه الله

٢١ ﴿وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى﴾

وهو عذاب الدنيا من مصائبها وأسقامها، وقيل: القتل بالسيف يوم بدر ﴿دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾ وهو عذاب الآخرة ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عما هم فيه من الشرك والمعاصي بسبب ما ينزل بهم من العذاب إلى الإيمان والطاعة، ويتوبون عما كانوا فيه.

٢٢ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَكَرَ آيَاتِ رَبِّهِ

ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾ أي لا أحد أظلم منه، لكونه سمع من آيات الله ما يوجب الإقبال على الإيمان والطاعة، فجعل الإعراض مكان ذلك ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ يدخل فيه من أعرض عن آيات الله.

٢٣ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ أي:

التوراة ﴿فَلَا تَكُنْ﴾ يا محمد ﴿فِي مِثْلِهِ﴾ أي: شك وريبة ﴿مَنْ لَقَاهُ﴾ هذا وعد من الله لرسوله ﷺ أنه سيلقى موسى قبل أن يموت، ثم لقيه في السماء أو في بيت المقدس حين أسري به، وقيل: فلا تكن في شك من لقاء موسى في القيامة وستلقاه فيها ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي: جعلنا التوراة هدى لبني إسرائيل.

٢٤ ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً﴾ أي: قاده

يقتدون به في دينهم ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾

أي: يدعونهم إلى الهداية، بما يُلقونه إليهم من أحكام التوراة ومواعظها بأمرنا لهم بذلك ﴿لَمَّا صَبَرُوا﴾ أي: جعلناهم أئمة لصبرهم على مشاق التكليف والهداية للناس، وقيل: صبروا عن الدنيا ﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا﴾ التنزيلية ﴿يُوقِنُونَ﴾ أي يصدقونها ويعلمون أنها حق، وأنها من عند الله، لكثرة تدبرهم.

٢٥ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ أي:

يقضي بينهم ويحكم بين المؤمنين والكفار ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي: كانوا فيه يختلفون ﴿وَقِيلَ﴾ يقضي بين الأنبياء وأمهم.

كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾

وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا

مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ

بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ

الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ

ذَكَرَ بَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ

مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ

فِي مِثْلِهِ مَنْ لَقِيَاهُ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٣﴾

وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا

بَيِّنَاتٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوْلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كُرَّ

١٩ ﴿أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ﴾

والمأوى: هو الذي يأوون إليه، فالجنان هي المأوى الحقيقي ﴿نُزُلًا﴾ معدة لهم عند نزولهم.

٢٠ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا﴾ عن طاعة الله

وتمرّدوا عليه وعلى رسله ﴿فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾

أي: منزلهم الذي يصيرون إليه

ويستقرون فيه هو النار ﴿وَقِيلَ لَهُمْ

ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِ

تُكَذِّبُونَ﴾ القائل: هو خزنة جهنم من

الملائكة، أو القائل لهم هو الله عز وجل.

سبحانه لا أولئك الذين تقدم ذكرهم بما

تَقَرَّرَ بِهِ أَعْيُنُهُمْ. أخرج البخاري ومسلم

عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال:

قال الله تعالى: «أعددت لعبادي

الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن

سمعت، ولا خطر على قلب بشر. قال

أبو هريرة: واقروا إن شئتم (فلا تعلم

نفس ما أخفي لهم من قرّة أعين)

١٨ ﴿أَفَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ

فَاسِقًا﴾ أي: ليس المؤمن كالفاسق، فقد

ظهر ما بينها من التفاوت ﴿لَا

يَسْتَوُونَ﴾.

أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ
 إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا
 نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ
 مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى
 هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ
 لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٢٩﴾
 فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ ﴿٣٠﴾

(٣٣) سُورَةُ الْأَنْعَامِ مَدَنِيَّةٌ
 وَأَيُّهَا ثَلَاثُ وَسَبْعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ

٢٦ ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ أي: أولم يبين لهم
 ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ﴾
 عاد وثمود ونحوهم ﴿يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ﴾
 ويساهدونها، وينظرون
 ما فيها من العبر، وآثار العذاب، ولا
 يعتبرون بذلك ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور
 ﴿لَآيَاتٍ﴾ عظيمة ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ لها
 ولا يتعظون بها.

٢٧ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى
 الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ أي: التي لا تنبت إلا
 بسوق الماء إليها ﴿فَنُخْرِجُ بِهِ﴾ أي: بالماء
 ﴿زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ﴾ أي: من
 الزرع، كالتبن والحب والورق، ونحوها مما
 لا يأكله الناس ﴿وَأَنْفُسُهُمْ﴾ أي:
 يأكلون الحبوب الخارجة في الزرع مما
 يقتاتونه ﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ هذه النعم،
 ويشكرون المنعم ويوحدونه.

٢٨ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ
 كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ القائلون هم الكفار على
 العموم، أو كفار مكة على الخصوص،
 أي: متى الفتح الذي تعدوننا به، وهو يوم
 البعث الذي يقضي الله فيه بين عباده؟

٢٩ ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ
 كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ﴾ أي: إن آمنوا ﴿وَلَا هُمْ
 يُنْظَرُونَ﴾ لا يمهلون ولا يؤخرون.

٣٠ ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ أي: عن سفهم
 وتكذيبهم، ولا تحيهم إلا بما أمرت به
 ﴿وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ﴾ أي: وانتظر يوم
 الفتح، وهو يوم القيامة، إنهم منتظرون
 بك حوادث الزمان من موت أو غلبة.

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

١ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ أي: دم على
 تقوى الله وازدد منها ﴿وَلَا تُطِعِ
 الْكَافِرِينَ﴾ من أهل مكة، ومن هو على
 مثل كفرهم ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾ أي: الذين
 يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر، وذلك
 أنهم قالوا للنبي ﷺ: اترك سب آلهتنا ولا

تذكرها بسوء، وقل إن لها شفاعة لمن
 عبدها. فأمره الله بالألن لكلامهم.

٢ ﴿وَاتَّبِعْ مَا يوحى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾
 أي: اتبع الوحي في كل أمورك، ولا تتبع
 شيئا مما عداه من مشورات الكافرين
 والمنافقين.

٣ ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكُنْ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾
 أي: اعتمد عليه، وفوض أمورك إليه،
 وكفى به حافظا يحفظ من توكل عليه.

٤ ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي
 جُوفِهِ﴾ كان الواحد من المنافقين يقول:
 لي قلب يأمرني بكذا، وقلب بكذا، فبين

الله تعالى أنه لا يكون للإنسان إلا قلب
 واحد، ليس فيه إلا إسلام أو كفر أو
 نفاق ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ اللَّائِي
 نَظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ الظهار أن
 يقول الرجل لامرأته: أنت علي كظهر
 أمي، وكان هذا في الجاهلية طلاقا.
 فبين الله تعالى أن الزوجة ليست أما،
 وأن هذا القول منكر ممن قاله وزور
 وإثم. وجعل على من قاله كفارة [انظر
 أول سورة المجادلة] ﴿وَمَا جَعَلَ﴾ الأدياء
 الذين تدعونهم ﴿أَبْنَاءَكُمْ﴾ أبناء لكم،
 والأدياء هم الأبناء بالتبني



لم يكن عليك بأس.

٦ «النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم»

أي: هو أحق بهم في كل أمور الدين والدنيا، وأولى بهم من أنفسهم، فضلاً عن أن يكون أولى بهم من غيرهم، فيجب عليهم أن يطيعوه فوق طاعتهم لأنفسهم، ويقدموا طاعته على ما تميل إليه أنفسهم وتطلبه خواطرهم، وقيل: المراد بأنفسهم في الآية بعضهم، فيكون المعنى: أن النبي أولى بالمؤمنين من بعضهم ببعض، وقيل: هي خاصة بالقضاء، أي: هو أولى بهم من أنفسهم فيما قضى به بينهم، وقيل: أولى بهم في الجهاد بين يديه وبذل النفس دونه. أخرج البخاري وغيره عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال «ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة. اقرأوا إن شئتم: (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) فأما مؤمن ترك مالا فليتره عصيته من كانوا، فإن ترك ديناً أو ضياعاً فليأتني فأنا مولا»

«وأزواجه أمهاتهم»

أي: مثل أمهاتهم في الحكم بالتحريم، ومنزلات منزلتهن في استحقاق التعظيم، فلا يحل لأحد أن يتزوج بواحدة من أمهات المؤمنين زوجات النبي ﷺ بعده، كما لا يحل له أن يتزوج بأمه، وهن أمهات للمؤمنين رجالاً ونساءً «وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض» المراد بأولى الأرحام القرباب: أي بعضكم أحق بمرث بعض. وقد تقدم تفسير هذه الآية في آخر سورة الأنفال، وهي ناسخة لما كان في صدر الإسلام من التوارث بالمهجرة والمالاة «في كتاب الله» القرآن، أو آية الموارث «من المؤمنين» المعنى: أن ذوي القرباب من المؤمنين «والمهاجرين» بعضهم أولى ببعض من المؤمنين والمهاجرين الذين هم أجانب ولو كان بينهم حلف أو صداقة.

إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً ﴿١﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٤﴾ أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ ۚ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥﴾ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۚ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ

«ذلكم» أي: ما تقدم من ذكر الظهار والادعاء «قولكم بأفواهكم» أي: ليس ذلك إلا مجرد قول بالأفواه ولا تأثير له، فلا تصير المرأة به أما، ولا يصير ابن الغير به ابناً، ولا يترتب على ذلك شيء من أحكام الأمومة والبنوة «والله يقول الحق» الذي يحق اتباعه لكونه حقاً في نفسه لا باطلاً، فيدخل تحته نسبة الأبناء لأبائهم «وهو يهدي السبيل» أي: يدل على الطريق الموصلة إلى الحق.

«ادعواهم لأبائهم» للصُّلب، انسبواهم إليهم ولا تنسبواهم إلى غيرهم «وهو أقسط عند الله» أي: أعدل من قولكم هو ابن فلان ولم يكن ابنه «فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم» فقولوا: أخي وموالي، ولا تقولوا ابن فلان، حيث لم تعلموا آباءهم على الحقيقة «وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به» أي: لا إثم عليكم فيما وقع منكم من ذلك خطأ من غير عمد «ولكن» الإثم في «ما تعمدت قلوبكم» من نسبة الأبناء إلى غير آبائهم مع علمكم بذلك. قال قتادة: ولو دعوت رجلاً لغير أبيه وأنت ترى أنه أبوه

تَفْعَلُوا إِلَىٰ أُولِيَٰكُمْ مَّعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ
مَسْطُورًا ﴿٦﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ
وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا
مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لَيْسَ لِلصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ
وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾
إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ
الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ
الظُّنُونًا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا
شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ
مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَتْ

﴿إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أُولِيَٰكُمْ مَّعْرُوفًا﴾
من صدقة أو وصية فإن ذلك جائز، فلما
نسخ التوارث بالحلف والهجرة أباح أن
يوصى لهم ﴿كَانَ ذَٰلِكَ﴾ أي: كان نسخ
الميراث بالهجرة والمخالفة والمعاقدة، ورده
إلى ذوي الأرحام من القربات ﴿فِي
الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ أي: في اللوح
المحفوظ، أو في القرآن مكتوبا [أي:
فيجب عليكم العمل به].

٧ ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾
على أن يعبدوا الله، ويدعوا إلى عبادة
الله، وأن يصدق بعضهم بعضاً، وأن
ينصحوا لقومهم ﴿وَمِنْكُمْ وَمِنْ نُوحٍ
وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ بْنِ مَرْيَمَ﴾
خصهم لكونهم أولي العزم من الرسل،
وتقديم ذكر نبينا ﷺ مع تأخر زمانه فيه
من التشريف له والتعظيم ما لا يخفى
﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ أي: عهداً
شديداً على الوفاء بما حملوا وما أخذ الله
عليهم.

٨ ﴿لَيْسَ لِلصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ﴾ في
الوفاء بهذا الميثاق، ومنه تبليغ الرسالة إلى
قومهم، وإذا كانوا يسألون عن ذلك
فكيف غيرهم؟ ﴿وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا
أَلِيمًا﴾ أي: ويسأل الكافرين عما أجابوا
به رسلهم، وأعد لهم عذاباً أليماً.

٩ ﴿إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ هم جنود
الأحزاب الذين تحزبوا على رسول الله ﷺ
وغزوهُ إلى المدينة، وهي الغزوة المسماة
«غزوة الخندق أو غزوة الأحزاب» وهم:
أبو سفيان بن حرب بقريش، وعيينة بن
حصن الفزاري وقومه غطفان، وبنو
قريظة والنضير من اليهود، في شوال سنة
خمس من الهجرة ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا﴾
حتى ألقت قدورهم ونزعت فساطيطهم
﴿وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ الملائكة، بعث الله
عليهم الملائكة فقلعت الأوتاد، وقطعت
أطناب الفساطيط، وأطفأت النيران،

وأكفأت القدور، وجالت الخيل بعضها
في بعض، وأرسل الله عليهم الرعب.

١٠ ﴿إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ من
أعلى الوادي، وهو من جهة المشرق
﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ من أسفل الوادي
من جهة المغرب ﴿وَإِذْ زَاغَتِ
الْأَبْصَارُ﴾ شخصت دهشا من فرط الهول

والحيرة ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ أي:
ارتفعت القلوب عن مكانها، ووصلت من
الفرع والخوف إلى الحناجر، وهو على
طريق المبالغة. والمعنى: أنهم جبنوا وجزع
أكثرهم ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾
١١ ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ بالخوف
والقتال والجوع والحصر والنزال، ليتبين
المؤمن من المنافق ﴿وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا
شَدِيدًا﴾ اضطربوا، فمنهم من اضطرب في
نفسه، ومنهم من اضطرب في دينه.

١٢ ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي
قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ هم أهل الشك
والاضطراب ﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾
من النصر والظفر ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾ اعترضتهم
في حفر الخندق صخرة، فضرها النبي ﷺ

هم مسرعون إليها، ولا يتعللون عن الإجابة بأن بيوتهم في هذه الحالة عورة.

١٥ ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلِ لَا يُؤْلُونَ الْأُدْبَارَ﴾ غابوا عن بدر ورأوا ما أعطى الله أهل بدر من الكرامة والنصر، فقالوا: لئن أشهدنا الله قتالا لنقاتلن، قيل: هم بنو حارثة وبنو سلمة **﴿وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾** مطلوباً صاحبه بالوفاء به، ومجازى على ترك الوفاء به [يذكركم الله تعالى عهدهم مع رسوله بنصرته وحمايته عندما هاجر إليهم]

١٦ ﴿وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: تمتعاً قليلاً أو زماناً قليلاً بعد فرارهم إلى أن تنقضي آجالهم «وكل ما هو آت فهو قريب».

١٧ ﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ * قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا **﴿١٨﴾** أَشْحَةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ

١٨ ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ﴾ هؤلاء قوم من المنافقين كانوا يشبطون أنصار النبي ﷺ قالوا لهم: ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس، أي: جماعة قليلة سيغلبهم أبوسفیان وحزبه **﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾** أي: يقولون لأقاربهم من الأنصار تخلّوا عن محمد وأصحابه وانضمّوا إلينا **﴿وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ﴾** أي: الحرب **﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾** خوفاً من الموت، يحضرون القتال من غير احتساب.

١٩ ﴿أَشْحَةً عَلَيْكُمْ﴾ أي: بخلاء عليكم لا يعاونونكم بحفر الخندق ولا بالنفقة في سبيل الله.

طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَتَأَمَّلُ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا **﴿١٣﴾** وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَبَلُوا الْفِتْنَةَ لَا تَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا بَسِيرًا **﴿١٤﴾** وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤْلُونَ إِلَّا ذَبْرًا وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا **﴿١٥﴾** قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا **﴿١٦﴾** قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا **﴿١٧﴾** * قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا **﴿١٨﴾** أَشْحَةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ

﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ أي: ضائعة سائبة ليست بحصينة، نخشى عليها العدو، ولا نأمن على أهلنا **﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾** فكذبهم الله سبحانه فيما ذكروه **﴿إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾** أي: ما يريدون إلا الحرب من القتال.

١٤ ﴿وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا﴾ لو دخلت عليهم بيوتهم، أو المدينة من جوانبها **﴿ثُمَّ سَبَلُوا الْفِتْنَةَ﴾** إختيانه المؤمنين وفتح الطريق للعدو [وقيل: هي القتال للعصية **﴿لَا تَوْهَا﴾** أي: لجاءوها أو أعطوها **﴿وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا بَسِيرًا﴾** بل

بالفأس فطارت منها قطعة، فقال: إن الله أعطاني ملك فارس، ثم ضربها أخرى فطارت قطعة فقال: إن الله أعطاني ملك الروم. فقال بعض المنافقين: يعلّنا ملك كسرى وقيصر وأحدنا يخاف أن يذهب ليقضي حاجته.

١٣ ﴿وَإِذَا قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾ أي: من المنافقين **﴿يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾** ها هنا في العسكر **﴿فَارْجِعُوا﴾** أمروهم بالهرب من عسكر النبي ﷺ إلى منازلهم بالمدينة **﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ﴾** أي: فريق آخر من ضعاف الإيمان



يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ
 الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْحَافُونَ سَلَقُوكُمْ بِالسِّنَةِ حَدَادٍ أَشْحَةً
 عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ
 ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا
 وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوِائِهِمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ
 يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَاءِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قُتِلُوا إِلَّا
 قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ
 لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾
 وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ
 وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا
 وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ
 عَلَيْهِ فَنَهُم مِّن قَضَىٰ نَحْبِهِ وَمِنْهُمْ مَّن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا

﴿فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم﴾ يمينا وشمالا، وذلك وضع الجبان إذا شاهد ما يخافه ﴿كالذي يغشى عليه من الموت﴾ أي كعين الذي نزل به الموت يشخص بصره فلا يطرف ﴿فإذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد﴾ أي: آذوكم بالكلام في الأمن بالسنة سليطة ذرية، فهم عند الحرب أشح قوم وأبسطهم لسانا، ووقت البأس أجبن قوم وأخوفهم ﴿أشحة على الخير﴾ على الغنيمة يشاحون المسلمين عند القسمة، وقيل: على المال أن ينفقوه في سبيل الله ﴿أولئك لم يؤمنوا﴾ بل هم منافقون ﴿فأحبط الله أعمالهم﴾ أبطل جهادهم لأنه لم يكن في إيمانهم ﴿وكان ذلك على الله يسيرا﴾ كان نفاقهم على الله هينا.

٢٠ ﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا﴾ أي: يحسب هؤلاء المنافقون لجبنهم أن الأحزاب باقون في معسكرهم لم يذهبوا إلى ديارهم ﴿وإن يأت الأحزاب﴾ مرة أخرى بعد هذه المرة ﴿يودوا لو أنهم بادون في الأعراب﴾ أي: يتمنى هؤلاء المنافقون أنهم في غير المدينة، بل في بادية الأعراب لما حل بهم من الرهبة ﴿يسألون عن أنباءكم﴾ أي: يسألون عن أخباركم وما جرى لكم كل قادم عليهم من جهتكم، من غير مشاهدة للقتال لفرط جبنهم وضعف نياتهم ﴿ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا﴾ خوفا من العار وحمية على الديار.

٢١ ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ أي: قدوة صالحة، حيث بذل نفسه للقتال، وخرج إلى الخندق لنصرة دين الله، وللمؤمنين جميعا أسوة برسول الله ﷺ في جميع أحواله ﴿لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾ يرجون ثواب الله أو لقاءه، ويرجون رحمة الله

٢٣ ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ وفوا بما عاهدوا عليه رسول الله ﷺ ليلة العقبة من الثبات معه، والمقاتلة لمن قاتله، بخلاف من كذب في عهده وخان الله ورسوله وهم المنافقون ﴿فمنهم من قضى نحبه﴾ كانوا يوم بدر نذروا إن لقوا العدو أن يقاتلوا حتى يقتلوا أو يفتح الله لهم، ففي غزوة الأحزاب أدركوا أمانيهم، وقضوا حاجتهم ووفوا بنذرهم، واستشهدوا ﴿ومنهم من ينتظر﴾ قضاء نحبه حتى يحضر أجله، فإنهم مستمرون على الثبات والقتال

يوم القيامة، أو يصدقون بحصوله وأنه كائن لا محالة ﴿وذكر الله كثيرا﴾ فإن بذلك تتحقق الأسوة الحسنة برسول الله. ٢٢ ﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله﴾ قالوه استبشارا بحصول ما وعدهم الله ورسوله من مجيء هذه الجنود، وأنه يتعقب مجيئهم إليهم نزول النصر والظفر من عند الله ﴿وصدق الله ورسوله﴾ أي ظهر صدق خبر الله ورسوله ﴿وما زادهم إلا إيمانا وتسليما﴾ ما زادهم النظر إلى الأحزاب إلا إيمانا بالله وتسليما لأمره.

تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ
الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا
رَحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا
وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾
وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ
وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ
فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ
تَطْعُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ
قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا
فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِنْ كُنْتُنَّ
تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ
مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يٰنِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ

عاونوا الأحزاب، ونقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله ﷺ وصاروا يدا واحدة مع الأحزاب **«من صياصيصهم»** وهي الحصون **«وقذف في قلوبهم الرعب»** أي: الخوف الشديد حتى سلموا أنفسهم للقتل، وأولادهم ونساءهم للسبي **«فريقا تقتلون وتأسرون»** فالفريق الأول هم الرجال، والفريق الثاني هم النساء والذرية.

٢٧ **«وأورثكم أرضهم»** العقار والنخيل **«وديارهم»** هي المنازل والحصون **«وأموالهم»** هي الحلي والأثاث والمواشي والسلاح والدراهم والدنانير **«وأرضا لم تطأوها»** هي خير، ولم يكونوا إذ ذاك قد نالوها، فوعدهم الله بها، وقيل: هي كل أرض تفتح إلى يوم القيامة.

٢٨ **«يا أيها النبي قل لأزواجك»** قال المفسرون: إن زوجات النبي ﷺ سألنه الزيادة في النفقة، وأذينه بغيرة بعضهن على بعض، فألَى رسول الله ﷺ منهن شهرا، وأنزل الله آية التخيير هذه **«إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها»** سعتها ونضارتها ورفاهيتها والتنعيم فيها **«فتعالين»** أي أقبلن إلي **«أمتعنكن»** أي: أعطكن المتعة **«و»** كذا **«أسرحكن سراحا جميلا»** أي: أطلقكن من غير ضرار، بل على مقتضى السنة ليكون لكن من زينة الدنيا ما شئتن.

٢٩ **«وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة»** أي: الجنة ونعيمها **«فإن الله أعد للمحسنات منكن»** أي: اللاتي عملن عملا صالحا **«أجرا عظيما»** وبعد نزول هذه الآية دعا النبي ﷺ نساءه وقرأها عليهن واحدة واحدة فاخترن البقاء. قالت عائشة: «خيرنا رسول الله ﷺ فاخترناه، فلم يعده طلاقا».

الأحزاب **«بغیظهم لم ينالوا خيرا»** ردهم بغیظهم لم يشف صدورهم ولا نالوا خيرا في اعتقادهم، وهو الظفر بالمسلمين، بل رجعوا خاسرين لم يرجعوا إلا عناء السفر وغرم النفقة **«وكفى الله المؤمنين القتال»** بما أرسله من الريح والجنود من الملائكة **«وكان الله قويا»** على كل ما يريد **«عزیزا»** غالبا قاهرا، لا يعارضه معارض في سلطانه.

٢٦ **«وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب»** أي: عاضدوهم وعاونوهم على رسول الله ﷺ وهم بنو قريظة، فإنهم

ومنتظرون لقضاء حاجتهم، وحصول أمنيتهم بالقتل وإدراك فضل الشهادة **«وما بدّلوا تبديلا»** أي ما غيروا عهدهم الذي عاهدوا الله ورسوله عليه كما غير المنافقون عهدهم.

٢٤ **«وبيعذب المنافقين»** بما صدر عنهم من التغير والتبديل إن شاء تعذيبهم، إذا أقاموا على النفاق ولم يتركوه ويتوبوا عنه **«أو يتوب عليهم»** إن شاء **«وإن الله كان غفورا رحيما»** أي لمن تاب منهم وأقلع عن النفاق.

٢٥ **«ورد الله الذين كفروا»** وهم

بِفَحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَعَّفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ
ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ * وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنْ لِلَّهِ
وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا
رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَنْسَاءَ النَّبِيُّ لَسْتَنْ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ
إِنْ أَتَقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ
مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا
تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ
الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ
عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾
وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ
وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنَتِينَ وَالْقَنَتَاتِ وَالصَّادِقِينَ

٣٠ ﴿بِفاحشة مبينة﴾ أي: ظاهرة القبح واضحة الفحش، وقد عصمهن الله عن ذلك، وبرأهن وطهرهن ﴿بضايف لها العذاب ضعفين﴾ أي: يعذبهن مثل عذاب غيرهن من النساء إذا أتين بمثل تلك الفاحشة، وذلك لمكانة النبي ﷺ وعلو درجتهن ﴿وكان ذلك على الله يسيرًا﴾ لا يتعاضمه ولا يصعب عليه.

٣١ ﴿ومن يقنت منكن لله ورسوله﴾ أي: من يلزم منكن الطاعة الكاملة لله ورسوله ﴿نؤتها أجرها مرتين﴾ أي ضعف ما يستحقه غيرهن من النساء إذا فعلن تلك الطاعة.

٣٢ ﴿يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن﴾ فبين سبحانه أن هذه الفضيلة لمن تكون بملامتهن للتقوى، لا بمجرد اتصالهن بالنبي ﷺ وقد وقعت منهن لله الحمد التقوى البينة، والإيمان الخالص، والمشي على طريقة رسول الله ﷺ في حياته وبعد مماته ﴿فلا تخضعن بالقول﴾ لا تليقن القول عند مخاطبة الرجال، كما تفعله المرييات من النساء ﴿فيطمع الذي في قلبه مرض﴾ أي: فجور، أو نفاق ﴿وقلن قولا معروفا﴾ عند الناس، بعيدا من الريبة، على سنن الشرع، لا ينكر منه سامعه شيئا.

٣٣ ﴿وقرن في بيوتكن﴾ معناه الأمر لمن بالقرار والسكون في بيوتهن وألا يخرجن ﴿ولا تبرزن تبرج الجاهلية الأولى﴾ التبرج: أن تبدي المرأة من زينتها ومحاسنها ما يجب عليها ستره مما تستدعي به شهوة الرجل ﴿وأطعن الله ورسوله﴾ في كل ما هو شرع [وأطعن رسول الله ﷺ] فيما يأمركن به من شئون الدنيا [إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت] أوصاكن الله بما أوصاكن من التقوى والطاعة، ليذهب عنكم يا أهل بيت النبوة الإثم والذنب المدنسين

القرآنية [والسنة النبوية] التي تتلى في بيوتكن وتتبع منه، فحافظن على تلاوتها وتعلمها وتعليمها.

٣٥ ﴿إن المسلمين والمسلمات...﴾ الإسلام الدخول في الدين والانقياد له مع العمل، ثم عطف على المسلمين المسلمات تشريفا لمن بالذكر، وهكذا فيما بعد، وإن كن داخلات في لفظ المسلمين والمؤمنين ونحو ذلك؛ والمؤمنون والمؤمنات هم من يؤمن بالله وملائكته ورسوله وكتبه واليوم الآخر والقدر خيره وشره؛ والقانت العابد المطيع، وكذا القانته، وقيل

للأعراض، الحاصلين بسبب ترك ما أمر الله به، وفعل ما نهى عنه ﴿ويطهركم تطهيرا﴾ من الأرجاس والأدران. وأهل البيت المذكورون في الآية، قال ابن عباس وعكرمة وعطاء وسعيد بن جبيرة: هن زوجات النبي ﷺ خاصة، وهو الحق، لأن الآية نازلة فيهن، وما قبلها وما بعدها هو فيهن أيضا، وليس في شيء من ذلك ذكر لولي وزوجته وأولاده رضي الله عنهم.

٣٤ ﴿واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة﴾ أي تذكرن الآيات

وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ
وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّالِمِينَ
وَالصَّالِمَاتِ وَالْخَافِضِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ
وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً
وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمْمِنَةٍ إِذَا قَضَى
اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ
وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴿٣٧﴾
وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ
عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ
وَتُخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا
وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ
فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ

﴿فقد ضل ضللاً مبيناً﴾ أي: ضل عن طريق الحق ضللاً ظاهراً واضحاً لا يخفى. نزلت هذه الآية في زينب بنت جحش ابنة عمه النبي ﷺ، قال رسول الله ﷺ لزينب: «إني أريد أن أزوجه زيد بن حارثة، فإني قد رضيت لك» قالت: يا رسول الله: لكني لا أرضاه لنفسي، وأنا أيم قومي، وبنت عمك، فلم أكن لأفعل. فنزلت هذه الآية. قالت: قد أطعته فاصنع ما شئت، فزوجها زيدا فدخل عليها.

٣٧ ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ وهو زيد بن حارثة، أنعم الله عليه بالإسلام، وأنعم عليه رسول الله ﷺ بأن أعتقه من الرق، وكان من سبي الجاهلية، اشتراه رسول الله ﷺ في الجاهلية، وأعتقه وتبناه، وزوجه امرأة من قريش، هي بنت عمته زينب بنت جحش ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ يعني زينب ﴿وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ في أمرها ولا تعجل بطلاقها ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ وهو نكاحها إن طلقها زيد [وكان الله تعالى قد أوحى إليه أن زيدا سيطلقها، وأنك ستزوجها بعده لتبطل عادة التبني وآثارها]

﴿وَتُخْشَى النَّاسَ﴾ أي: تستحيهم، أو تخاف من تعبيرهم بأن يقولوا: أمر مولاه بطلاق امرأته ثم تزوجه ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ في كل حال وتخاف منه وتستحيه ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا﴾ قضى وطره منها بنكاحها والدخول بها، بحيث لم يبق له فيها حاجة ﴿زَوَّجْنَاكَهَا﴾ فلما أعلمه الله بذلك [كان ذلك تزويجاً من الله له] ولذلك دخل عليها بغير إذن ولا عقد ولا تقدير صداق ولا شيء مما هو معتبر في النكاح في حق أمته، وبه جاءت الأخبار الصحيحة.

هما من يذكر الله على كل أحواله ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ على طاعاتهم التي فعلوها من الإسلام والإيمان والقنوت وما بعدها. ٣٦ ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ أي: لا يحل لمن يؤمن بالله إذا أمر الله أو النبي ﷺ أمراً أن يختار من أمر نفسه ما شاء، بل يجب عليه أن يفعل ما طلب منه ويوقف نفسه تحت أمر الله عليه الذي اختاره له ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في أمر من الأمور

المدامين على العبادة والطاعة؛ والصادق والصادقة هما من يتكلم بالصدق، ويتجنب الكذب، وبني بما عاهد عليه؛ والصابر والصابرة هما من يصبر عن الشهوات وعلى مشاق التكليف؛ والخاشع والخاشعة هما المتواضعان لله الخائفان منه الخاضعان في عباداتهم لله؛ والمتصدق والمتصدقة هما من تصدق من ماله بما أوجبه الله عليه وما ندبه إليه؛ وكذلك الصائم والصائمة؛ والحافظ والحافظة لفرجيهما عن الحرام بالتعفف والتزهر والاقتصار على الحلال؛ والذاكر والذاكرة

اللَّهُ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ
 اللَّهُ لَهُ، سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ
 قَدَرًا مَقْدُورًا ﴿٣٨﴾ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ
 وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾
 مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ
 وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ يَأَيُّهَا
 الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً
 وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم
 مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾
 تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾
 يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾
 وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ

«لكيلا يكون على المؤمنين حرج» أي ضيق ومشقة **«في أزواج أدعيائهم»** أي: في التزويج بأزواج من يجعلونهم أبناء، كما كانت تفعله العرب ويعتقدون أنه يحرم عليهم نساء من تبنوه، كما تحرم عليهم نساء أبنائهم حقيقة، فأخبرهم الله أن نساء الأدعياء حلال لهم **«إذا قضوا منهن وطرا»** بخلاف ابن الصلب، فإن امرأته تحرم على أبيه بنفس العقد عليها

٣٨ «سنة الله في الذين خلوا من قبل» أي: إن هذا هو السنن الأقدم في الأنبياء والأمم الماضية، أن ينالوا ما أحله الله لهم من أمر النكاح وغيره.

٣٩ «الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله» [أي فكذلك أنت يا محمد، لا تبال بما يقول الناس فيك بسبب تبليغك آيات الله] **«وكفى بالله حسيبا»** محاسبا لهم في كل شيء. ولما تزوج ﷺ زينب قال بعض الناس: تزوج امرأة ابنه، فأنزل الله تعالى:

٤٠ «ما كان محمد أبا أحد من رجالكم» أي: ليس هو بأب لزيد بن حارثة على الحقيقة، حتى تحرم عليه زوجته، ولا هو أب لأحد لم يلد، وقد وُلد له من الذكور إبراهيم، والقاسم، والطيب، والمطهر، ولكن لم يعيش له ابن حتى يصير رجلا **«ولكن»** كان **«رسول الله وخاتم النبيين»** خاتم الشيء آخره، فلا نبي من بعده وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ «مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل ابنتي دارا، فأكملها وأحسنها، إلا موضع لبنة. فكان من دخلها فنظر إليها قال: ما أحسنها، إلا موضع اللبنة. فأنا موضع اللبنة، حتى ختم بي الأنبياء».

٤٣ «هو الذي يصلي عليكم وملائكته» الصلاة من الله على العباد

٤٥ «يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا» أي على أمته يشهد لمن صدقه وآمن به، وعلى من كذبه وكفر به.

٤٦ «وداعيا إلى الله» يدعو عباد الله إلى التوحيد والإيمان بما جاء به، والعمل بما شرعه لهم **«بإذنه»** بأمره له بذلك وتقديره **«وسراجا منيرا»** أي: يستضاء بهديه في ظلمات الضلالة، كما يستضاء بالمصباح في الظلمة.

٤٨ «ولا تطع الكافرين والمنافقين» فيما يشيرون به عليك من المداينة في الدين **«ودع أذاهم»** أي: لا تبال بما

رحمته لهم وبركته عليهم، ومن الملائكة الدعاء لهم والاستغفار **«ليخرجكم من الظلمات إلى النور»** من ظلمات المعاصي إلى نور الطاعات، ومن ظلمة الضلالة إلى نور الهدى.

٤٤ «تحييتهم يوم يلقونه سلام» أي: تحية المؤمنين من الله سبحانه يوم لقائهم له عند الموت، أو عند البعث، أو عند دخول الجنة، هي التسليم عليهم منه عز وجل. وقيل المعنى: فيسلمهم الله من الآفات، ويبشرهم بالأمن من المخافات يوم يلقونه.

بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تَطْعِ الْكَافِرِينَ
وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذُنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ
وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ
ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ
عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَعَهُنَّ وَسِرْحُونَهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾
يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَاتَيْتَ
أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ
عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَتِكَ
الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا
لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ
دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ
وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ

يصدر منهم إليك من الأذى، بسبب دعوتك إلى دين الله، وشلتك على أعدائه.

٤٩ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ أي: تعاقدتم معهن عقد الزواج ﴿ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ﴾ من قبل أن تجامعهن، فكفى عن ذلك بلفظ المس ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا﴾ وهذا مجمع عليه، وإسناد ذلك إلى الرجال للدلالة على أن العدة حق لهم [بحاسبونهن عليه ويلزمنهن به] ﴿فَمَعَهُنَّ﴾ فالمطلقة قبل

الدخول مع التسمية للصداق تستحق نصف المسمى، ومع عدم التسمية تستحق المتعة عملاً بهذه الآية، وأما المتوفى عنها زوجها، إذا مات بعد العقد عليها، وقبل الدخول بها، كان الموت كالدخول، فتعتد أربعة أشهر وعشراً بالإجماع ﴿وَسِرْحُونَهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ أي: ائذنوا لهن بالخروج من منازلكن إن كن دخلن، إذ ليس لكن عليهن عدة، والسراح الجميل الذي لا إيذاء معه.

٥٠ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ ذكر

سبحانه في هذه الآية أنواع الأنكحة التي أحلها لرسوله، وبدأ بأزواجه اللاتي قد أعطاهن مهورهن لأنهن قد اخترنه على الدنيا وزينتها ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾ مما رده الله عليك من الكفار بالغنيمه، من نسائهم المأخوذات على وجه القهر والغلبة، وتحل له السرية المشتراة والموهوبة ونحوهما ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ [أي هنّ حلال أن تخطب منهن من شئت فتتزوجها] ولا تحل له من لم تهاجر من هؤلاء ﴿وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ إن وهبت نفسها منك بغير صداق. وأما من لم تكن مؤمنة فلا تحل لك بمجرد هبتها نفسها لك ﴿إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا﴾ أي: يصيرها منكوبة له، ويتملك بضعها بتلك الهبة بلا مهر ﴿خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: هذا الإحلال الخاص للمرأة الواهبة نفسها بلا مهر، هو خاص بك دون غيرك من المؤمنين، ولا يجوز لغيره ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ﴾ أي: ما فرضه الله سبحانه على المؤمنين في حق زوجاتهم من شرائط العقد وحقوقه، لا يحل لهم الإخلال به، ولا الاقتداء برسول الله ﷺ فيما خصه الله به توسعة عليه وتكريماً له، فلا يتزوجوا إلا بمهر وشهود وولّي، ولا يزيد الواحد منهم عن أربع زوجات ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ أي: وعلمنا ما فرضنا عليهم فيما ملكت أيمانهم من كونهن ممن يجوز سببه وحره، لا من كان لا يجوز سببه، أو كان له عهد من المسلمين ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ أي: وسعنا عليك في التحليل لك، لئلا يضيق صدرك فتظن أنك قد أثمت في بعض المنكوحات.

غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥١﴾ * تَرْجِي مَنْ نَسَاءُ مِنْهُنَّ وَتُقْوَى
إِلَيْكَ مَنْ نَسَاءُ وَمِنْ أَبْتَغَيْتِ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ
عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقْرَأُ عَيْنَهُنَّ وَلَا يُحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ
بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلَّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ
عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥٢﴾ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ
بَيْنَ مَنْ أَزْوَاجَ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ
وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ﴿٥٣﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ
غَيْرِ نَظَرٍ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ
فَانْتَشَرُوا وَلَا مُسْتَنْسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ
يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مَنْ
الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ

٥١ ﴿ترجي من نساء منهن وتؤوي إليك من نساء﴾ كان القسم واجبا عليه، حتى نزلت هذه الآية، فارتفع الوجوب، وصار الخيار إليه، فكان ﴿وَمِنْ أَبْتَغَيْتِ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ المعنى: إنه إن أراد أن يؤوي إليه امرأة ممن قد عزلته عن القسمة، ويضمها إليه، فلا حرج عليه في ذلك ﴿ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقْرَأُ عَيْنَهُنَّ﴾ أي: ذلك التخيير الذي خيرناك في صحبتهن أدنى إلى رضاهن، إذ كان من عندنا، لأنهن إذا علمن أنه من الله قرت أعينهن ﴿وَلَا يُحْزَنَ﴾ أي: بإيثارك بعضهن دون بعض ﴿وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلَّهُنَّ﴾ أي بما أعطيتهن، من تقريب وإرجاء، وعزل وإيواء ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ من كل ما تضررونه، ومن ذلك ما تضررونه من أمور النساء.

٥٢ ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءَ مِنْ بَعْدُ﴾ حرم الله بهذه الآية على رسوله ﷺ أن يتزوج على نسائه، مكافأة لمن بما فعلن حين اخترن الله ورسوله والدار الآخرة على الحياة الدنيا وزينتها ﴿وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بَيْنَ مَنْ أَزْوَاجَ﴾ أي: ليس لك أن تطلق واحدة منهن أو أكثر، وتتزوج بدل من طلقت منهن ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾ ولو أعجبك حسن التي أردت أن تجعلها بدلا من إحداهن ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ أي: فيجوز لك أن تستبدل بمن عندك من الإماء وتستزيد منهن [وقد قالت عائشة وبعض الصحابة: ما مات النبي ﷺ حتى أحل الله له أن يتزوج من النساء ما شاء، إلا ذات محرم].

٥٣ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ﴾ هذا نهي عام لكل واحد من الصحابة أن يدخل بيتاً من بيوت

رسول الله ﷺ إلا بإذن ﴿إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ﴾ أي إلا أن يؤذن لكم مدعوين إلى طعام ﴿غَيْرِ نَظَرٍ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا﴾ أي: غير منتظرين نضجه وإدراكه دعيت وأذن لكم فادخلوا، وإلا فنفس الدعوة لا تكون إذنا كافيا في الدخول ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشَرُوا﴾ المراد الإلزام بالخروج من المنزل الذي وقعت الدعوة إليه، عند انقضاء المقصود من تناول الطعام ﴿وَلَا مُسْتَنْسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ المراد النهي لهم عن أن يجلسوا بعد الطعام

يتحدثون مستأنسين بالحديث ﴿إِنْ ذَلِكُمْ﴾ الدخول بغير إذن، أو الدخول بإذن مع الانتظار والاستئناس للحديث ﴿كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ﴾ لأنهم كانوا يضيقون المنزل عليه وعلى أهله، ويتحدثون بما لا يريده، وكان النبي ﷺ يحتمل إطالهم كرما منه، فيصبر على الأذى في ذلك، فعلم الله من يحضره الأدب، فصار أدبا لهم ولمن بعدهم ﴿فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ﴾ أي يستحي أن يقول لكم قوموا أو اخرجوا ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ أي: لا يترك أن



ذَلِكَ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِمْ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِنْ تَبَدُّوا شَيْعًا أَوْ تُخَفُّوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ ۚ وَاتَّقِينَ اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ إِنْ اللَّهُ وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ أَحْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴿٥٨﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ

الاحتجاب منهم ﴿ولا نساتهن﴾ [أي من قرباتهن أو جاراتهن أو من له بلقائهن حاجة من النساء] ﴿ولا ما ملكت﴾ أي ما ملكت أي من العبيد ﴿واتقين الله﴾ في كل الأمور التي من جملتها ما هو مذكور هنا. أخرج البخاري ومسلم عن أنس قال: قال عمر بن الخطاب: يا رسول الله إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو حجبتن، فأنزل الله آية الحجاب.

٥٦ ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ﴾ أخبر الله عباده بمنزلة نبيه عنده في الملأ الأعلى، بأنه يشي عليه عند ملائكته، وأن الملائكة تصلي عليه، وأمر عباده بأن يقتدوا بذلك ويصلوا عليه. وقد اتفق العلماء على أن الصلاة عليه فرض على كل مسلم، وأقلها في العمر مرة. ولفظ الصلاة والسلام على رسول الله شعار له، فلا ينبغي أن يقال: صلى الله على فلان، أو فلان عليه السلام [استقلالاً، ويجوز تبعاً].

٥٧ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ هم المشركون واليهود والنصارى، وصفوا الله بالولد. [ويدخل في هذا كل من سب الله، تعالى وتقدس، أو نسب إليه ما فيه إهانة بأي طريق كان] والذين يؤذون رسول الله هم الذين كذبوا رسول الله، وشجوا وجهه، وكسروا رباعيته، وقالوا: مجنون أو شاعر أو كذاب أو ساحر، وكذا كل ما يؤذيه من الأقوال والأفعال.

٥٨ ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ بوجه من وجوه الأذى من قول أو فعل ﴿بغیر ما اكتسبوا﴾ أي بغير حق، وذلك كأن يشتم المؤمن أحداً، أو يضربه، أو يقتله، فيجوز أن يفعل به ذلك قصاصاً، وإن أتلّف مالا فعليه غرامة مثله، وربّما فعل معصية فيُغزّر.

﴿ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا﴾ بعد وفاته، لأنهن أمهات المؤمنين، ولا يحل للأولاد نكاح الأمهات ﴿إن ذلكم﴾ أي نكاح زوجاته من بعده ﴿كان عند الله عظيماً﴾ أي ذنباً عظيماً وخطباً هائلاً شديداً.

٥٤ ﴿إن تبدوا شيئا أو تخفوه فإن الله كان بكل شيء عليماً﴾ قيل: نزلت لما قال بعض الصحابة: إن مات رسول الله ﷺ تزوجت فلانة من زوجاته.

٥٥ ﴿لا جناح عليهن في آبائهن﴾ فهؤلاء لا يجب على نساء رسول الله ﷺ

يبين لكم ما هو الحق ﴿وإذا سألتهم﴾ أي سألت زوجات النبي ﷺ ﴿متاعاً﴾ من الماعون وغيره يعني: أو كلمتموهن ﴿فاسألوهن من وراء حجاب﴾ أي من وراء ستر بينكم وبينهن ﴿ذلكم﴾ أي: سؤال المتاع من وراء حجاب ﴿أطهر لقلوبكم وقلوبهن﴾ أي: أكثر تطهيرا لها من الريبة، وخواطر السوء التي تعرض للرجال في أمر النساء، وللنساء في أمر الرجال ﴿وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله﴾ أي: ما صح لكم ولا استقام أن تؤذوه بشيء من الأشياء كائنا ما كان

لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ
جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ وَكَانَ اللَّهُ
غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٩﴾ * لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ
فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ
ثُمَّ لَا يَجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا
أُخِذُوا وَقُتِلُوا تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ
وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ
السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عَلَيْهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ
تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ
سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا
نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا
أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا

٥٩ ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ﴾

الجلباب: الملحفة، وهو ثوب يستر جميع بدن المرأة، وإدناؤه أن تقربه وتلمسه حتى يغطي زينتها التي أمر الله بسترها **﴿ذلك﴾** أي: إدناء الجلابيب **﴿أدنى أن يعرفن﴾** أي: أقرب أن يعرفهن من يراهن فيتميزن عن الإماء، ويظهر للناس أنهن حرائر [كريمات طاهرات] **﴿فلا يؤذين﴾** من جهة أهل الريبة بالتعرض لهن **﴿وكان الله غفورا﴾** لما سلف منهن من ترك إدناء الجلابيب **﴿رحيما﴾** بهن.

٦٠ ﴿لئن لم ينته المنافقون﴾ عما هم عليه من النفاق **﴿والذين في قلوبهم مرض﴾** أي شك وريبة في أمر الدين **﴿والمرجعفون في المدينة﴾** بذكر الأخبار الكاذبة المتضمنة لتوهين جانب المسلمين، وظهور المشركين عليهم، وذلك بأن هؤلاء المرجفين كانوا يخبرون عن سرايا المسلمين بأنهم هزموا، وتارة بأنهم قتلوا، وتارة بأنهم غلبوا، ونحو ذلك مما تنكسر له قلوب المسلمين من الأخبار، فتوعدهم الله سبحانه بقوله **﴿لنغرينك بهم﴾** أي: لنسلطنك عليهم فتستأصلهم بالقتل والتشريد بأمرنا لك بذلك **﴿ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا﴾** أي بأمرنا لك بنفيهم وتشريدهم عن المدينة.

٦١ ﴿ملعونين﴾ مطرودين **﴿أينما ثُقِفُوا﴾** وجدوا وأدركوا **﴿أخذوا وقتلوا تقيلا﴾** [لن يجدا أحدا يؤذيهم، بل يتخطفهم الناس أسرا وقتلا لغضب الله ورسوله عليهم].

٦٢ ﴿سنة الله في الذين خلوا من قبل﴾ أي سن الله ذلك في الأمم الماضية، وهو لعن المنافقين وأخذهم وتقتيلهم، وكذا حكم المرجفين **﴿ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾** أي: تحويلا وتغييرا، بل هي ثابتة دائمة في أمثال هؤلاء من الخلف والسلف.

٦٣ ﴿يسألك الناس عن الساعة﴾ أي: **﴿لا يجدون وليا﴾** يواليهم ويحفظهم من عذابها **﴿ولا نصيرا﴾** ينصرهم ويخلصهم منها.

يا محمد **﴿لعل الساعة تكون قريبا﴾** أي في زمان قريب، والخطاب لرسول الله ﷺ لبيان أنها إذا كانت محجوبة عنه لا يعلم وقتها، وهو رسول الله، فكيف بغيره من الناس؟

٦٤ ﴿إن الله لعن الكافرين﴾ أي طردهم وأبعدهم من رحمته **﴿وأعد لهم﴾** في الآخرة مع ذلك اللعن منه لهم في الدنيا **﴿سعيরা﴾** أي نارا شديدة التسعر.

٦٥ ﴿خالدين فيها أبدا﴾ بلا انقطاع

٦٦ ﴿يوم تقلب وجوههم في النار﴾ وهذا الثقل هو ثقلها تارة على جهة منها، وتارة على جهة أخرى، ظهرا لبطن، أو تغير ألوانهم بلفح النار، فتسود تارة وتخضر أخرى **﴿يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا﴾** تمنوا أنهم أطاعوا الله والرسول، وآمنوا بما جاء به، لينجوا مما هم فيه من العذاب كما نجح المؤمنون.



سَادَتَنَا وَكِبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ
 ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمُ لَعْنَا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ يَأْتِيهَا
 الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَاذُوا مُوسَىٰ فَبَرَّاهُ اللَّهُ
 مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ
 أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
 فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ
 مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾
 لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ
 وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
 وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٣﴾

ويدخل فيه القول في شأن زيد وزينب،
 ولا تنسبوا النبي ﷺ إلى مالا يحل،
 ويدخل فيه قول لا إله إلا الله،
 والإصلاح بين الناس.

٧١ ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ أي:
 يجعلها صالحة لا فاسدة، بما يهديهم إليه
 ويوفقهم فيه **﴿ويغفر لكم ذنوبكم﴾**
 أي: يجعلها مكفرة مغفورة.

**٧٢ ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ
 وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾** الأمانة: منها الطاعة
 والفرائض التي يتعلق بأدائها الثواب
 وبتضييعها العقاب [مما وُكِّلَ أداؤه إلى
 الإنسان لا يطلع عليه إذا تركه إلا الله]
 ومنها: أمانة الأموال كالودائع وغيرها مما
 لا بينة عليه. وغسل الجنابة أمانة،
 والفرج أمانة، والأذن أمانة، والعين
 أمانة، واللسان أمانة، والبطن أمانة،
 واليد أمانة، والرجل أمانة **﴿فأبين أن
 يحملها وأشفقن منها﴾** أي: إن
 السماوات والأرض والجبال، على كبر
 أجرامها، لو كانت بحيث يجوز تكليفها
 لشغل عليها تقلد الشرائع [الموكولة إلى
 الإنسان مما لا يطلع عليه إذا قصر فيه غير
 الله تعالى] لما فيها من الثواب والعقاب،
 وقد كُلف بها الإنسان فتحملها وهو ظلم
 جهول لو عقل **﴿وحملها الإنسان إنه كان
 ظلوماً جهولاً﴾** أي: التزم بحقها، وهو في
 ذلك ظلم لنفسه، جهول لقدر ما دخل
 فيه. وقيل: معنى حملها: صار مستعداً لها
 بالفطرة، أو حملها عند عرضها عليه في
 عالم الذر.

**٧٣ ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ
 وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ﴾** أي: حملها
 الإنسان ليعذبهم بما خانوا من الأمانة،
 وكذبوا من الرسل، ونقضوا من الميثاق
﴿ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات﴾
 الذين آذوا ما حملوه من الأمانات من
 العبادة وغيرها.

أبي شيبه وابن جرير وابن المنذر عن ابن
 عباس قال: قال لموسى قومه: إنه آدر،
 فخرج ذات يوم ليغتسل، فوضع ثيابه على
 حجر، فخرجت الصخرة تشد بثيابه،
 فخرج موسى يتبعها عريانا، حتى انتهت
 به إلى مجالس بني إسرائيل، فأروه وليس
 بأدر **﴿وكان عند الله وجيهاً﴾** وكان
 موسى عند الله عظيماً ذا وجهة، حتى إنه
 كلمه تكليماً.

٧٠ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾
 أي في كل الأمور **﴿وقولوا قولا سديدا﴾**
 صواباً وحقا في كل أمر من أموركم،

**٦٧ ﴿وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا
 وكبراءنا﴾** هم الرؤساء والقادة الذين
 كانوا يمثلون أمرهم في الدنيا ويقتدون
 بهم **﴿فأضلونا السبيلا﴾** بما زينوا لنا من
 الكفر بالله ورسوله.

٦٨ ﴿ربنا آتهم ضعفين من العذاب﴾
 أي: مثل عذابنا مرتين، عذاب الكفر
 وعذاب الإضلال **﴿والعنه لعنا كبيرا﴾**
 أي: لعنا عظيم القدر شديد الموقع.

٦٩ ﴿لا تكونوا كالذين آذوا موسى﴾
 وعظ الله المؤمنين ألا يؤذوا محمداً ﷺ
 كما آذى بنو إسرائيل موسى. وأخرج ابن

(٣٤) سُورَةُ سَبَأٍ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا الزَّجْرُ وَخَمْسُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ
مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ
وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ
كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ
الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا
فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ
مُبِينٍ ﴿٣﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

سُورَةُ سَبَأٍ

١ ﴿الحمد لله﴾ تعريف الحمد: ما قدم تحقيقه في فاتحة الكتاب [وهو الثناء على المحمود بجميل صفاته وأفعاله] ﴿وله ما في السماوات وما في الأرض﴾ أي إن جميع ما هو فيها في ملكه، وتحت تصرفه، يفعل به ما يشاء، ويحكم فيه بما يريد. فحمده على ما في السماوات والأرض هو حمد له على النعم التي أنعم بها على خلقه مما خلقه لهم [كما أنه حمد له على صفات الكمال، من القدرة والحكمة، والعلم والخبرة، التي يعلمها العباد باستلزام خلق الله السماوات والأرض لها]. ﴿وله الحمد في الآخرة﴾ أي: له حمد عباده الذين يحمدهون في الدار الآخرة إذا دخلوا الجنة، كما في قوله: (وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده) فهو المحمود في الآخرة، كما أنه المحمود في الدنيا، وهو المالك للآخرة، كما أنه المالك للدنيا ﴿وهو الحكيم﴾ أحكم أمر الدارين ﴿الخبير﴾ بأمر خلقه فيها.

٢ ﴿يعلم ما يلج في الأرض﴾ من ماء أو كثر أو دفين ﴿وما يخرج منها﴾ من زرع ونبات وحيوان ﴿وما ينزل من السماء﴾ من الأمطار والثلوج والبرد والصواعق والبركات، وما ينزل منها من ملائكته وكتبه إلى أنبيائه. ﴿وما يعرج فيها﴾ من الملائكة وأعمال العباد ﴿وهو الرحيم﴾ بعباده ﴿الغفور﴾ لذنوبهم.

٣ ﴿وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة﴾ وهي القيامة والبعث، قالوا ذلك إنكاراً منهم لوجودها [وجحوداً للأخبار الواردة إليهم من ربهم على السنة أنبيائه، والتي تضمنتها كتبه وما فيها من الحجج والبيّنات] ﴿قل بل وربي

لتأتينكم﴾ [أمر الله تعالى نبيه أن يُخبرهم ويقسم بالله على صحة خبره تقويةً وتأكيذاً، أن القيامة لا بد آتية] ﴿عالم الغيب لا يعزب﴾ لا يغيب عنه ولا يستتر عليه ولا يبعد ﴿عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك﴾ المثقال ﴿ولا أكبر﴾ منه ﴿إلا في كتاب مبين﴾ المعنى إلا وهو مثبت في اللوح المحفوظ.

٤ ﴿ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أي إن إتيان الساعة فائدته جزاء المؤمنين بالثواب والكافرين بالعقاب ﴿أولئك هم مغفرة﴾ [الذنوبهم، أي مَحْوُهَا من قبل الله تعالى بسبب غلبة إيمانهم وأعمالهم الصالحة، على ذنوبهم] ﴿ورزق كريم﴾ [هو ما يقيض لهم من ملاذ الأطعمة] في الجنة بسبب إيمانهم وعملهم الصالح مع التفضل عليهم من الله سبحانه.

٥ ﴿والذين سعوا في آياتنا معاجزين﴾ أي: سعوا في إبطال آياتنا المنزلة على الرسل، يحسبون أنهم يفوتونها ولا يدركون، وذلك باعتقادهم أنهم لا يبعثون ﴿أولئك هم عذاب

أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا
فِيءِ آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن
رَّجْزِ أَلِيمٍ ﴿٦﴾ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ
إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ
الْحَمِيدِ ﴿٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ
يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُرِّقْتُمْ كُلَّ مُمْرِقٍ إِنَّا كُنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٨﴾
أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿٩﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى
مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِن نَّشَاءُ
نَحْشِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطَ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا
دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجْبَالُ أَوْبَىٰ مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَالنَّالُ

أي قالوا: أهو كاذب فيما قاله، أم به جنون بحيث لا يعقل ما يقوله؟ **﴿٥﴾** **الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد** أي: ليس الأمر كما زعموا، بل حقيقة الأمر أن الذين ضلوا عن الفهم وإدراك الحقائق، فكفروا بالآخرة، ولم يؤمنوا بما جاءهم به، صاروا بسبب ذلك في العذاب الدائم في الآخرة، وهم اليوم في الضلال البعيد عن الحق غاية البعد.

٩ ﴿أفلم يروا﴾ وبخهم مبينا لهم أن ذلك لم يصدر منهم إلا لعدم التفكير والتدبر في خلق السماء والأرض، ومعنى **﴿إلى ما بين أيديهم وما خلفهم﴾** أنهم إذا نظروا رأوا السماء خلفهم وقدامهم [وكلها عجائب تدل على قدرة الله تعالى ووحدانيتها]، وكذلك إذا نظروا في الأرض رأوها خلفهم وقدامهم، [تنطق بمثل ما تنطق به السماء من الدلالة] فلو نظروا إليها لعلموا أن خالقها قادر على تعجيل العذاب لهم **﴿إن نشأ نخسف بهم الأرض﴾** كما خسف بقارون **﴿أو نسقط عليهم كسفا﴾** أي قطعاً **﴿من السماء﴾** كما أسقطها على أصحاب الأيكة، فكيف يأمنون **﴿إن في ذلك﴾** المذكور من خلق السماء والأرض **﴿آية﴾** واضحة ودلالة بينة **﴿لكل عبد منيب﴾** أي: راجع إلى ربه بالتوبة والإخلاص.

١٠ ﴿ولقد آتينا داود منا فضلا﴾ هو النبوة والزبور، وقيل: القوة إلانة الحديد، والأولى أن يقال: هو ما ذكره الله بعده من قوله: يا جبال إلى آخر الآية **﴿يا جبال أوبي معه﴾** أي: قلنا يا جبال سبّحي معه بتسبيحه **﴿والطير﴾** المعنى: وسخرنا له الطير تسبح معه **﴿والنّال﴾** الحديد **﴿أي جعلناه لينا﴾** لي عمل به ماشاء، قيل: صار الحديد كالشمع يعمل به من غير نار.

بعض الكفار لبعض **﴿هل ندلكم على رجل﴾** يعنون محمداً ﷺ **﴿ينبئكم﴾** أي: يخبركم بأمر عجيب، ونبأ غريب، هو أنكم **﴿إذا مرّقتكم كل ممزق﴾** أي: فرّقتكم كل تفريق، وقطعتم كل تقطيع، وصرتم بعد موتكم رفاتاً وتراباً متفرق الأجزاء، مبدّذ الذرات **﴿إنكم لفي خلق جديد﴾** أي: تُخلَقون خلقاً جديداً، وتبعثون من قبوركم أحياء، وتعودون إلى الصور التي كنتم عليها؟ قالوا ذلك استهزاء بما وعدهم الله على لسان رسوله من البعث.

٨ ﴿أفترى على الله كذباً أم به جنة﴾

من رجزه الرجز: هو أسوأ العذاب وأشدّه **﴿أليم﴾** الأليم: الشديد الألم.

٦ ﴿ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق﴾ أي: ويعلم أهل العلم الذين هم على الحق أن ما أنزل إليك من الله هو الحق، وهم الصحابة، وقيل: هم مؤمنو أهل الكتاب **﴿ويهدي إلى صراط العزيز الحميد﴾** أي ويعلم العلماء بكتاب الله أن هذا الكتاب يهدي إلى دين الله وهو التوحيد.

٧ ﴿وقال الذين كفروا﴾ أي: قال



الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنْ أَعْمَلَ سَبِغَتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا
صَلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلِسْلِيمَانَ الرِّيحِ
غُدُوها شَهْرٌ وَرَوَّاحُها شَهْرٌ وَأَسْلَنَّا لَهُ عَيْنَ الْقَطْرِ وَمِنْ
الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغُ مِنْهُمْ
عَنْ أَمْرِنَا نَذْقُهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ
مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ
رَاسِيَتٍ أَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ
الشَّاكِرُونَ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى
مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتْ
الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ
الْمُهِينِ ﴿١٤﴾ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ
عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُّوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلَدَةٌ

١١ ﴿أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ﴾ أي : دروعا
سابغات، والسابغات الكوامل الواسعات
التي تغطي البدن كله ﴿وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ﴾
السرد : نسج الدروع، ويقال : السرد
والزرد، أي لا تعملها صغيرة فتضعف
ولا يقوى الدرع على الدفاع، ولا تعملها
كبيرة فتثقل على لابسها.

١٢ ﴿وَلِسْلِيمَانَ الرِّيحِ﴾ التقدير وسخرنا
لسليمان الريح ﴿غُدُوها شَهْرٌ وَرَوَّاحُها
شَهْرٌ﴾ أي : تسير بالغداة مسيرة شهر،
وتسير بالعشي كذلك ﴿وَأَسْلَنَّا لَهُ عَيْنَ
الْقَطْرِ﴾ أسلنا له عين النحاس كما أسلنا
الحديد لداود ﴿وَمِنْ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ
يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ المعنى : وسخرنا له من
الجن من يعمل بين يديه ما يأتي ذكره،
من المحاريب وغيرها، بأمر الله وتسخيره
إياهم لسليمان ﴿وَمَنْ يَزِغُ مِنْهُمْ عَنْ
أَمْرِنَا﴾ الذي أمرناه به : وهو طاعة
سليمان ﴿نَذْقُهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾
وذلك في الآخرة، وقيل في الدنيا.

١٣ ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ﴾
وهي الأبنية الرفيعة والقصور العالية،
وقيل المراد بالمحاريب هنا المساجد
﴿وَتَمَثِيلٍ﴾ التمثيل : كل شيء مجسم
صوّره بصورة الحيوان من نحاس أو زجاج
أو رخام أو غير ذلك، قيل : كانت هذه
التمثيلات صور الأنبياء والملائكة والعلماء
والصلحاء، وقد قيل : إن التصوير كان
مباحا في شرع سليمان ثم نسخ ذلك في
شرع نبيينا محمد ﷺ ﴿وَجِفَانٍ
كَالْجَوَابِ﴾ أي : قصاعا في المعظم
كحياض الإبل، يجتمع على القصعة
الواحدة جمع كبير يأكلون منها، والجواني :
الحياض التي يجبي فيها الماء للإبل
﴿وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ﴾ أي : ثابتات لا تحمل
ولا تحرك لعظمها ﴿أَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ
شُكْرًا﴾ أي : وقلنا لهم اعملوا بطاعة الله
يا آل داود، شكرا له على ما آتاكم.

١٤ ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ﴾ أي
حكنا عليه به، وألزمناه إياه، مات وهو
قائم متكئا على عصاه، فلم تعلم الجن
بموته، وبقوا يعملون خوفا منه ﴿مَا دَلَّهُمْ
عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ﴾ يعني
الأرضة ﴿تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ﴾ أي : تأكل
عصاه التي كان متكئا عليها ﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾
أي سقط بعد ما وقعت عصاه ﴿تَبَيَّنَتْ
الْجِنُّ﴾ أي ظهر لهم ﴿أَنْ لَوْ كَانُوا
يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا﴾ أي : لو صح
ما يزعمونه من أنهم يعلمون الغيب لعلموا
بموته ولم يلبثوا بعد موته مدة طويلة ﴿فِي
الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ في العمل الذي
سخرهم فيه والطاعة له وهو إذ ذاك
ميت، حتى أكلت الأرضة عصاه فخر
ميتا، فعلموا بموته، وعلم الناس أن الجن
لا تعلم الغيب.

١٥ ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾ سبأ قبيلة كانت
باليمن، وكان منها ملوك اليمن ﴿فِي
مَسْكِنِهِمْ﴾ هو مأرب، وبينها وبين صنعاء
مسيرة ثلاث ليال ﴿آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ
وَشِمَالٍ﴾ عن يمين واديهم وشماله،
وكانت مساكنهم في الوادي، وفي الجنتين
من جميع الثمار، والآية هي الجنتان ﴿كُلُّوا

طَيِّبَةً وَرَبُّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ
الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ
وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا
وَهَلْ نُجْزِي إِلَّا الْكَافِرَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ
الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ
سَيَرُوا فِيهَا لَيَالِيًّ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ
أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَرَّقْنَاهُمْ
كُلَّ مُمَرِّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾
وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ
الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ
مَنْ يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ حَفِیْظٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ

من أرضهم التي هي مأرب إلى الشام،
وكانوا يبيتون بقرية ويقبلون بأخرى حتى
يرجعوا **﴿وقدّرنا فيها السير﴾** قال
المفسرون: المقيّل في قرية، والمبيت في
أخرى، إلى أن يصل إلى الشام **﴿سيروا
فيها﴾** أي: وقلنا لهم سيروا في تلك
القرى المتصلة **﴿ليالي وأياما آمنين﴾** مما
يخافونه، قال قتادة: كانوا يسيرون غير
خائفين ولا جوع ولا ظمأ، فلم يشكروا
النعمة: بل طلبوا التعب والكد.

١٩ ﴿فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا﴾
سثموا النعمة ولم يصبروا على العافية،
فتمنوا طول الأسفار والتباعد بين الديار
﴿فجعلناهم أحاديث﴾ يتحدث الناس
بأخبارهم من بعدهم، تعجبا من فعلهم
واعتبارا بما لهم وعاقبتهم **﴿ومرّقناهم كل
ممّرّق﴾** أي: فرّقناهم في كل وجه من
البلاد كل التفريق، فصارت العرب
تضرب بهم الأمثال، فتقول: «تفرّق
القوم أيدي سبا» فلحقت الأوس
والخزرج بيثرب، وغسان بالشام، والأزد
بعمان، وخزاعة بتهامة **﴿إن في ذلك
لآيات﴾** بينات، ودلالات واضحات
﴿لكل صبار شكور﴾ أي: لكل من هو
كثير الصبر عند البلاء، كثير الشكر عند
الرخاء.

الذي لا يطاق لقوته وشدة **﴿وبدلناهم
بجنتيهم جنتين﴾** أعطيناهم بدلها جنتين
لا خير فيها، ولا فائدة لهم فيها هو نابت
فيها **﴿ذواتي أكل خمط﴾** الخمط كل
شجرة مرة ذات شوك **﴿وأثل﴾** الأثل:
هو الشجر المعروف الشبيه بالطرفاء، ولا
ثمر للأثل **﴿وشيء من سدر قليل﴾**
أهلك أشجارهم المشمرة، وأثبت بدلها
الأراك والطرفاء والسدر.

**١٨ ﴿وجعلنا بينهم وبين القرى التي
باركنا فيها﴾** وهي قرى الشام **﴿قرى
ظاهرة﴾** أي: متواصلة، وكان متجرهم

من رزق ربكم **﴿﴾** أي: قيل لهم ذلك،
والمراد بالرزق: ثمار الجنتين **﴿واشكروا
له﴾** على ما رزقكم من هذه النعم،
واعملوا بطاعته، واجتنبوا معاصيه **﴿بلدة
طيبة﴾** لكثرة أشجارها، وطيب ثمارها
﴿ورب غفور﴾ أي إن المنعم عليهم رب
غفور لذنوبهم.

١٦ ﴿فأعرضوا﴾ عن الشكر وكفروا
بالله **﴿فأرسلنا عليهم سيل العرم﴾** فتق
الله عليهم سد مأرب حتى انتفض، فدخل
الماء جنتهم ففزعها، ودفن السيل بيوتهم،
فهذا هو سيل العرم، والعرم: السيل

٢٠ ﴿ولقد صدق عليهم إبليس ظنه﴾
ظن بهم أنه إذا أغواهم اتبعوه **﴿فاتبعوه﴾**
قال الحسن: ما ضربتهم بسوط ولا
بعضى، وإنما ظنّ ظنا فكان كما ظنّ
بوسوسته.

٢١ ﴿وما كان له عليهم من سلطان﴾
أي: لم يقهرهم على الكفر، وإنما كان
منه الدعاء والوسوسة والتزيين **﴿إلا لنعلم
من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في
شك﴾** أي: ولكن ابتليناهم بوسوسته
لنعلم ذلك علم ظهور، وإلا فالله بكل
شيء عليم.

لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ
وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾
وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا
فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ
الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ * قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ
مُبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أُجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا
تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ
وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أُحَقِّقُ بِهِ
شُرَكَاءَ كُلًّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ
إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ

﴿٢٢﴾ **قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله** هذا أمر للنبي ﷺ بأن يقول لكفار قريش: هؤلاء الأصنام الذين زعمتموهم آلهة من دون الله ادعوهم ليكشفوا عنكم الضر الذي نزل بكم في سنين الجوع، ثم أجاب سبحانه عنهم، فقال: **﴿لا يملكون مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾** أي ليس لهم قدرة على خير ولا شر في أمر من الأمور **﴿وما لهم فيها من شرك﴾** أي: ليس للأصنام في السماوات والأرض مشاركة، لا بالخلق، ولا بالملك، ولا بالتصرف **﴿وما له منهم من ظهير﴾** من معين يعينه على شيء من أمر السماوات والأرض ومن فيها.

﴿٢٣﴾ **﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾** أي: لا تنفع الشفاعة في حال من الأحوال إلا لمن أذن الله له أن يشفع، من الملائكة والنبیین ونحوهم من أهل العلم والعمل، وهؤلاء لا يشفعون إلا لمن يستحق الشفاعة، لا للكافرين **﴿حتى إذا فزع عن قلوبهم﴾** هذا الفزع يكون للملائكة في كل أمر يأمر به الرب، والمراد أن الملائكة، وهذا فزعهم، من أمر الله، كيف يشفعون لديه لمن لا يرضاه؟ وأخرج البخاري وأبو داود، من حديث أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله، كأنه سلسلة على صفوان، ينفذهم ذلك، فإذا فُزع عن قلوبهم، قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: الحق، وهو العلي الكبير».

﴿٢٤﴾ **﴿قل من يرزقكم من السماوات والأرض﴾** فإن آلهتكم لا يملكون مِثْقَالَ ذَرَّةٍ، والرزق من السماء: هو المطر، والرزق من الأرض: هو النبات والمعادن ونحو ذلك **﴿قل الله﴾** أي: هو الذي يرزقكم من السماوات والأرض **﴿وإنا**

أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾ والمعنى: أن أجد الفريقين من الذين يوحدون الله الخالق الرازق ويخصونه بالعبادة، والذين يعبدون الجمادات التي لا تقدر على خلق ولا رزق، ولا نفع ولا ضرر، لعلّى أحد الأمرين: من الهدى والضلالة، ومعلوم أن من عبد الذي يخلق ويرزق وينفع ويضر، هو الذي على الهدى، ومن عبد الذي لا يقدر على خلق ولا رزق ولا نفع ولا ضرر، هو الذي على الضلالة.

﴿٢٥﴾ **﴿قل لا تسألون عما أجرمنا﴾** أي: إن كانت عبادتنا لله وطاعتنا له جريمة فلستم مسئولين عنا **﴿ولا نسأل عما نعملون﴾** أي لا ينالني من كفركم وترككم لإجابتي ضرر.

﴿٢٦﴾ **﴿قل يجمع بيننا ربنا﴾** أي يوم القيامة **﴿ثم يفتح بيننا بالحق﴾** أي يحكم ويقضي بيننا بالحق، فيثيب المطيع، ويعاقب العاصي **﴿وهو الفتاح﴾** أي: الحاكم بالحق، القاضي بالصواب **﴿العليم﴾** بما يتعلق بحكمه وقضائه من المصالح.

﴿٢٧﴾ **﴿قل أروني الذين أحقتم به**



صَادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَخِرُونَ عَنْهُ
سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ
بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ
مَوْفُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ
يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا
مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا
أَنْتُمْ صَدَدْتُمْ عَنْ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ
مُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا
بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ
وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَاداً وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ
وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ
إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ

الكتب القديمة: كالتوراة والإنجيل،
والرسل المتقدمون ﴿ولو ترى إذ الظالمون
موقوفون عند ربهم﴾ محبسون في موقف
الحساب ﴿يرجع بعضهم إلى بعض
القول﴾ أي يتراجعون الكلام فيما بينهم
باللوم والعتاب، بعد أن كانوا في الدنيا
متعاضدين متناصرين متحابين ﴿يقول
الذين استضعفوا﴾ وهم الأتباع ﴿للذين
استكبروا﴾ وهم الرؤساء المتبوعون ﴿لولا
أنتم﴾ صددتمونا عن الإيمان بالله والاتباع
لرسوله ﴿لكننا مؤمنين﴾ بالله مصدقين
لرسوله وكتابه.

٣٢ ﴿قال الذين استكبروا للذين
استضعفوا﴾ مجيبين عليهم، مستكبرين لما
قالوه ﴿أنتم صددناكم عن الهدى﴾ أي
منعناكم عن الإيمان ﴿بعد إذ جاءكم﴾
الهدى ﴿بل كنتم مجرمين﴾ أي مصرين
على الكفر، كثيري الإجرام، عظيمي
الآثام.

٣٣ ﴿وقال الذين استضعفوا للذين
استكبروا﴾ رداً لما أجابوا به عليهم،
ودفعاً لما نسبوه إليهم من صدهم لأنفسهم
﴿بل مكر الليل والنهار﴾ المكر: الخديعة
والحيللة، والمعنى: بل مكركم بنا الليل
والنهار ودعوتكم المستمرة المدبرة دوماً،
لنا إلى الكفر، هو الذي حملنا على هذا
﴿إذ تأمرونا أن نكفر بالله ونجعل له
أنداداً﴾ أي: أشباها وأمثالا ﴿وأسرُوا
الندامة لما رأوا العذاب﴾ راجع إلى
الفريقين: أي أضمر الفريقان الندامة
على ما فعلوا من الكفر، وأخفوها عن
غيرهم، أو أخفاها كل منهم عن الآخر
مخافة الشماتة. وتبينت الندامة في
وجوههم ﴿وجعلنا الأغلال في أعناق
الذين كفروا﴾ أي: جعلت الأغلال من
الحديد في أعناق هؤلاء في النار ﴿هل
يجزون إلا ما كانوا يعملون﴾ من الشرك
بالله.

شركاء﴾ أي أروني الذين الحقتموهم
بالله شركاء له حتى أراهم وأرى ما
يقدر عليهم ﴿كلأ بل هو الله العزيز
الحكيم﴾ أي ارتدعوا عن دعوى
المشاركة، بل المنفرد بالإلهية هو الله،
القاهر الغالب الحكيم بالحكمة الباهرة.
٢٨ ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس﴾
أي: وما أرسلناك إلا للناس جميعاً عربهم
وعجمهم ﴿بشيراً ونذيراً﴾ أي مبشراً لهم
بالجنة، ومنذراً لهم من النار ﴿ولكن
أكثر الناس لا يعلمون﴾ ما عند الله وما
لهم من النفع في إرسال الرسل.

٢٩ ﴿ويقولون متى هذا الوعد إن
كنتم صادقين﴾ أي: متى يكون هذا
الوعد الذي تعدونا به وهو قيام الساعة،
أخبرونا به إن كنتم صادقين.
٣٠ ﴿قل لكم ميعاد يوم﴾ وهو يوم
البعث ﴿لا تستأخرون عنه ساعة ولا
تستقدمون﴾ أي هذا الميعاد المضروب
لكم لا تتأخرون عنه ولا تتقدمون عليه،
بل يكون لا محالة في الوقت الذي قدر
الله وقوعه فيه.
٣١ ﴿وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا
القرآن ولا بالذي بين يديه﴾ وهي

نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٤﴾
 وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿٣٥﴾
 قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا
 أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ
 صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الْوَعْدِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ
 فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي ءَايَاتِنَا
 مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنْ
 رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ
 وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٩﴾
 وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْتُولَاءُ بِأَيِّكُمْ
 كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ

٣٤ ﴿وما أرسلنا في قرية﴾ من القرى
 ﴿من نذير﴾ ينذرهم، ويحذرهم عقاب
 الله ﴿إلا قال مترفوها﴾ أغنياؤها
 وجبابرتها قادة الشر لرسلمهم ﴿إنا بما
 أرسلتم به كافرون﴾ أي: مكذبون لكم
 بما أرسلتم به من التوحيد والإيمان.
 ٣٥ ﴿وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا
 وما نحن بمعذبين﴾ أي: قالوا إن الله
 فضلنا عليكم بالأموال والأولاد في
 الدنيا، وذلك يدل على أنه قد رضي ما
 نحن عليه من الدين، فما نحن بمعذبين في
 الآخرة بعد إحسانه إلينا في الدنيا ورضاه
 عنا.

٣٦ ﴿قل إن ربي يبسط الرزق لمن
 يشاء﴾ أن يبسطه له ﴿ويقدر﴾ أي:
 يضيق على من يشاء أن يضيقه عليه،
 وليس مجرد بسط الرزق لمن يبسطه له يدل
 على أنه قد رضي عنه ورضي عمله، ولا
 قبضه عمن قبضه عنه يدل على أنه لم
 يرضه ولا رضي عمله، فقياس الدار
 الآخرة على الدار الأولى في مثل هذا من
 الغلط البين، أو المغالطة الواضحة.

٣٧ ﴿وما أموالكم ولا أولادكم بالتي
 تقربكم عندنا زلفى﴾ أي: وليست كثرة
 أموالكم وأولادكم هي مما يقربكم إلى
 رحمتنا وفضلنا، فإنما أموالكم وأولادكم
 فتنة واختبار لنعلم من يستبها في طاعة
 الله، ممن يعصي الله فيها ﴿إلا من آمن
 وعمل صالحا﴾ أي: لكن من آمن
 وعمل صالحا [واستعمل أمواله التي أعطاه
 الله إياها في طاعته، وكان مؤمناً، فإنها
 تقربه لدينا. وكذلك الولد لمن رباه على
 طاعة الله] ﴿فأولئك لهم جزاء الضعف
 بما عملوا﴾ أي الجزاء المضاعف
 للحسنات ﴿وهم في الغرفات آمنون﴾
 من جميع ما يكرهون، والمراد غرفات
 الجنة.

٣٨ ﴿والذين يسعون في آياتنا﴾ بالردة

لها، والطمع فيها، حال كونهم
 ﴿معاجزين﴾ أي: مسابقين لنا، زاعمين
 أنهم يفوتوننا بأنفسهم ﴿أولئك في
 العذاب محضرون﴾ تحضرهم الزبانية
 إليها، لا يجدون عنها محيصا.
 ٣٩ ﴿وما أنفقتم من شيء﴾ أي في فعل
 الخيرات التي أمر الله بها في كتابه وبيئها
 رسوله صلى الله عليه وسلم ﴿فهو يخلفه﴾
 أي: يخلفه عليكم، وذلك البذل إما في
 الدنيا وإما في الآخرة ﴿وهو خير
 الرازقين﴾ فإن رزق العباد لبعضهم
 البعض إنما هو بتيسير الله وتقديره، وليسوا
 برازقين على الحقيقة.
 ٤٠ ﴿ويوم يحشرهم جميعا﴾ للحساب:
 العابد والمعبود، والمستكبر والمستضعف
 يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا
 يعبدون ﴿تقريبا للمشركين، وتوبيخا لمن
 عبد غير الله عز وجل.
 ٤١ ﴿قالوا سبحانك أنت ولينا من
 دونهم﴾ أي: تنزيها لك أنت الذي نتولاه
 ونطيعه ونعبده من دونهم، ما اتخذناهم
 عابدين، ولا توليناهم، وليس لنا غيرك
 وليا ﴿بل كانوا يعبدون الجن﴾ أي:
 الشياطين وهم إبليس وجنوده، ويزعمون

من القرآن والمعجزات **«إن هذا إلا سحر مبين»** أي ليس هذا إلا من جنس السحر.

٤٤ «وما آتيناكم من كتب يدرسونها» أي: ما أنزلنا على العرب كتباً سماوية يدرسون فيها **«وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير»** يدعوههم إلى الحق وينذرهم بالعذاب، فليس لتكذيبهم بالقرآن وبالرسول وجه، ولا شبهة يتشبثون بها، أي: فن أين كذبوك؟ ولم يأتهم كتاب ولا نذير بهذا الذي فعلوه؟

٤٥ «وكذب الذين من قبلهم» من القرون الخالية **«وما بلغوا معشار ما آتيناكم»** أي: إن أهل مكة من مشركي قريش وغيرهم من العرب على ما آتيناكم من القوة وكثرة المال، لم يبلغوا عُشر ما آتينا من قبلهم من القوة، وكثرة المال، فأهلكهم الله، كعاد وثمود وأمثالهم. وقيل المعشار: عُشر العُشر **«فكيف كان نكير»** أي فكيف كان إنكارهم عليهم بالعذاب والعقوبة؟

٤٦ «قل إنما أعظكم بواحدة» أي أحذركم وأنذركم سوء عاقبة ما أنتم فيه، وأوصيكم بخصلة واحدة، وهي **«أن تقوموا لله مثنى وفردى»** أي: هي قيامكم في طلب الحق بالفكرة الصادقة، متفرقين اثنين اثنين، أو واحداً واحداً، لأن الاجتماع يشوش الفكر **«ثم تنفكروا»** وينصح بعضكم بعضاً بإخلاص أن تنظروا في حقيقة أمر النبي وما جاء به من الكتاب، فإنكم عند ذلك تعلمون أنه **«ما بصاحبكم من جنة»** لا ساحر ولا مجنون [فليس في أحواله ولا تصرفاته ما يدل على أنه كذلك. وما جاء به من الوحي دلائل الصديق عليه ظاهرة]

بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَا آتَيْنَهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ * قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَىٰ شِئْنِي وَفِرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ

كنتم بها تكذبون في الدنيا.

٤٣ «وإذا تتلى عليهم آياتنا» أي الآيات القرآنية **«بينات»** واضحات الدلالات، ظاهرات المعاني **«قالوا ما هذا»** التالي لها، وهو النبي ﷺ **«إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم»** أي أسلافكم من الأصنام التي كانوا يعبدونها **«وقالوا»** ثانياً **«ما هذا»** يعنون القرآن الكريم **«إلا إفك مفترى»** أي كذب مخلق **«وقال الذين كفروا»** ثالثاً **«للحق لما جاءهم»** أي: لأمر الدين الذي جاءهم به رسول الله ﷺ

أنهم يرونهم، وأنهم ملائكة، وأنهم بنات الله **«أكثرهم بهم مؤمنون»** أي: أكثر المشركين بالجنّ مؤمنون، يصدقون ما يلقونه إليهم من الوسائس والأكاذيب، ومنها أمرهم بعبادة الأصنام.

٤٢ «فالיום لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا» يعني: العابدين والمعبودين، لا يملك بعضهم — وهم المعبودون — لبعض — وهم العابدون — نفعا: أي شفاعة ونجاة، ولا عذاباً وهلاكاً **«ونقول للذين ظلموا»** أنفسهم بعبادة غير الله **«ذوقوا عذاب النار التي**



إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾
 قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ
 وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ
 بِالْحَقِّ عَلَٰمُ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِي
 الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ
 عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحَىٰ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ
 قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فِرْعَوْنُ فَلَا فُوتَ وَأَخَذُوا
 مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّىٰ لَهُمُ
 التَّنَٰوُشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ
 وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ
 وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ
 كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ بين يدي الساعة ، وقد علموا أنه أرجح الناس عقلا ، وأنهم ما جربوا عليه كذبا مدة عمره وعمرهم .

٤٧ ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ أي : ما طلبت منكم من مال تجعلونه لي مقابل الرسالة فهو لكم إن سألتكموه ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ لا على غيره ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ أي مطلع لا يغيب عنه منه شيء [أي فهو شاهد على أنني لم أطلب منكم على دعوتي لكم إلى الإسلام أجراً ، وأن كل أجر طلبته فسوف أرجعه إليكم] .

٤٨ ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾ يتكلم بالحق ، وهو القرآن والوحي : أي يلقيه إلى أنبيائه . وقيل : يرمي الباطل بالحق فيدمغه ﴿عَلَامُ الْغُيُوبِ﴾ والغيب : هو ما غاب عن أبصار بني آدم وإدراكهم .

٤٩ ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾ أي الإسلام والتوحيد ، والقرآن الذي فيه البراهين والحجج [فقوته ودولته آتية لا ريب] ﴿وَمَا يُبْدِي الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ أي ذهب الباطل ذهاباً لم يبق منه إقبال ولا إدبار ، ولا إبداء ولا إعادة .

٥٠ ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ﴾ عن الطريق الحقة الواضحة ﴿فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي﴾ أي إثم ضلالي يكون على نفسي ﴿وَإِنْ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّي﴾ الحكمة والموعظة والبيان بالقرآن ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ مني ومنكم ، يعلم الهدى والضلالة .

٥١ ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فِرْعَوْنُ﴾ عند نزول الموت بهم . وقال قتادة : هو فزعهم إذا خرجوا من قبورهم ، أي : لرأيت أمراً هائلاً ﴿فَلَا فُوتَ﴾ فلا يفوتني أحد منهم ، ولا ينجو منهم ناج ﴿وَأَخَذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ من ظهر الأرض ، أو من

الوقت ﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ﴾ أي : يرمون بالظن ، فيقولون : لا بعث ولا نشور ، ولا جنة ولا نار ﴿مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ أي : من جهة بعيدة ، ليس فيها مستند لظنهم الباطل . وفيه تمثيل لحالهم بحال من يرمي شيئاً لا يراه ، من مكان بعيد لا مجال للوهم في لحوقه .

٥٤ ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ في الدنيا ، من أموالهم وأهلهم ، أو من الرجوع إلى الدنيا ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ﴾ أي : بأمثالهم ونظرائهم من كفار الأمم الماضية ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ

القبور ، أو من موقف الحساب ، فهم من الله قريب لا يبعدون عنه ، ولا يفوتونه .

٥٢ ﴿وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ﴾ أي بمحمد ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَٰوُشُ﴾ التناوش التناول ، أي : كيف لهم أن يتناولوا الإيمان من بُعد ، يعني في الآخرة ، وقد تركوه في الدنيا ، وهو معنى ﴿مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ أو هو تمثيل لحالهم في طلب الخلاص بعد ما فات عنهم [فهو بعيد بالنسبة إليهم] .

٥٣ ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾ أي : والحال أن ما آمنوا به الآن قد كفروا به في دار الدنيا ، دار الابتلاء ، من قبل هذا

(٣٥) سُورَةُ فَاطِرٍ مَكِّيَّةٌ
وَأَنبَأْنَاهَا خَمْسِينَ وَارْبَعِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكَةِ
رُسُلًا أُولَى أَجْنَحَةٍ مَّثْنَى وَثُلُثَ وَرُبْعٍ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ
مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ
لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ
لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ
أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ
مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾
وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ

مريب أي في شك موقع في الريبة من أمر الرسل، والبعث والجنة والنار، أو في التوحيد وما جاءتهم به الرسل من شأن الدين.

سُورَةُ فَاطِرٍ

١ الحمد لله فاطر السماوات والأرض ٢ بحمد الله تعالى نفسه على عظيم قدرته وعلمه وحكمته التي يشهد عليها فطره للسماوات والأرض، أي ابتداء خلقها من العدم واختراعها على

غير مثال. عن ابن عباس قال: «كنت لا أدري ما قوله (فاطر السماوات والأرض) حتى أتاني أعربيان يختصمان في بر، فقال أحدهما لصاحبه: هذه بشري وأنا فطرتها» [والمقصود من هذا أن من قدر على ابتداء هذا الخلق العظيم فهو قادر على الإعادة] **جاعل الملائكة رسلا** والرسل من الملائكة هم: جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل **أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع** قال قتادة: بعضهم له جناحان، وبعضهم له ثلاثة، وبعضهم له أربعة، ينزلون بها من السماء

إلى الأرض، ويعرجون بها من الأرض إلى السماء **يزيد في الخلق ما يشاء** يزيد في خلق الملائكة أجنحة أخرى ما يشاء، ويزيد في خلق غيرهم ما يشاء، من الملائكة في العينين، والحسن في الأنف، والحلاوة في الفم، وقيل: الوجه الحسن، وقيل: الخط الحسن، وقيل: الشعر الجمعد، وقيل: العقل والتمييز، وقيل: العلوم والصنائع **إن الله على كل شيء قدير** فبقدرته يزيد ما يشاء. ٢ **ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها** أي ما يأتيهم الله به من مطر ورزق لا يقدر أحد أن يمسكه **وما يمسك** من ذلك لا يقدر أحد أن يرسله من بعد إمساكه. [عن المغيرة بن شعبة أن رسول الله ﷺ كان إذا انصرف من الصلاة تشهد ثم قال «اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد»] وقيل المعنى: أن الرسل بُعثوا رحمة للناس، فلا يقدر على إرسالهم غير الله، وقيل: التوبة، وقيل: التوفيق والهداية **وهو العزيز الحكيم** فهو يتصرف في ملكه كما يشاء، يعطي ويمنع، ويخفض ويرفع، ويكرم ويهين، لا يعقب على حكمه أحد، وكل ما يفعله من ذلك فهو لحكمة بالغة.

٣ **يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم** لاستدامتها وطلب المزيد منها **هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء** بالمطر **والأرض** بالنبات وغير ذلك **فأني تؤفكون** أي فكيف تصرفون عن الحق، وهو توحيد الله وشكره؟ ثم عزى نبيه ﷺ فقال: ٤ **وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك** ليتأسى بمن قبله من الأنبياء، ويتسلى عن تكذيب كفار العرب له **وإلى الله ترجع الأمور** فيجازي كلا بما يستحقه.

تَرْجِعُ الْأُمُورُ ﴿١٠﴾ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿١١﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٣﴾ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنْ لَمْ يَضِلُّ مِنْ يَشَاءُ وَيَهْدَى مِنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتَثِيرُ سَحَابًا فُسْقَنَهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَاهُ بِالْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴿١٥﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ

٥ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ أي: وعده بالبعث والنشور، والحساب والعقاب، والجنة والنار ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ بزخرفها ونعيمها ولذاتها عن عمل الآخرة ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ لا يغرنكم الشيطان بالله، فيقول لكم إن الله يتجاوز عنكم، ويغفر لكم لفضلكم، أو لسعة رحمته لكم، [فتسرعوا في المعاصي].

٦ ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ أي: فعادوه بطاعة الله، ولا تطيعوه في معاصي الله ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ يدعو أشياعه وأتباعه والطيعين له إلى معاصي الله سبحانه، لأجل أن يكونوا من أهل النار، وذلك لعداوته لآدم وبنيه.

٧ ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ أي يغفر الله لهم بسبب الإيمان والعمل الصالح، ويعطيهم أجراً كبيراً وهو الجنة.

٨ ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾ بتزيين الشيطان ذلك له حتى أضله، واستمر على أعماله الفاجرة وهو يظنها صالحة، كمن هو على الهدى يعلم أنه على الحق؟ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾ أن يضلّه ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ أن يهديه ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ﴾ لا تقتل نفسك حزناً على استمرارهم على الضلال، فإن الله هو الذي شاء أن يضلهم لسوء أفعالهم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ لا يخفى عليه من أفعالهم وأقوالهم خافية.

٩ ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتَثِيرُ سَحَابًا﴾ تزعجه من حيث هو [أي من بخار ماء البحر] وتحركه ليسير إلى حيث يريد الله تعالى ﴿فُسْقَنَهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ﴾ [قد مات نباته وظمى أهله وحيوانه] ﴿فَأَحْيَيْنَاهُ بِالْأَرْضِ﴾ أي أحيينا بالمطر الأرض بإنبات ما ينبت فيها ﴿بَعْدَ

موتها﴾ أي بعد يبسها وذهاب ما كان عليها من نبات ﴿كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ أي كذلك يحيي الله العباد بعد موتهم، كما أحيا الأرض بعد موتها.

١٠ ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ﴾ قال الفراء: معناه من كان يريد علم العزة لمن هي، فإنها لله جميعاً. وقال قتادة: من كان يريد الوصول إلى العزة، فليتعزز بطاعة الله ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ أي فليطلبها منه لا من غيره، ليس لغيره منها شيء، وهو يهب منها لمن يشاء ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ يصعد الكلمة من

الملائكة بما يكتبونه من الصحف. والكلم الطيب: كل كلام طيب من ذكر الله، وأمر بمعروف، ونهي عن منكر، وتلاوة وغير ذلك ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ أي إن العمل الصالح يرفع الكلم الطيب، كما لا يقبل الكلم الطيب إلا مع العمل الصالح ﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ هم الذين يعملون السيئات في الدنيا ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ لهم عذاب بالغ الغاية في الشدة ﴿وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورٌ﴾ أي: يبطل ويهلك. والمكر في الأصل: الخديعة والاحتيال.

الْسَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يُبَوَّرُ ﴿١٠﴾
وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا ۚ
وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ
مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ
عَلَىٰ اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ
فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ ۖ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِنْ كُلِّ تَاكُلُونَ
لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ
فِيهِ مَوَآخِرَ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾
يُولِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ
وَالْقَمَرَ كُلَّ يَجْرَى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ
وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾
إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا

فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ۖ فالمراد بالبحرين: العذب والمالح ۖ ومن كل ۖ منها ۖ تأكلون لحما طريا ۖ وهو ما يصاد منها من حيواناتها التي تؤكل ۖ وتستخرجون حلية تلبسونها ۖ عن الزجاج أنه قال: إنما تستخرج الحلية منها إذا اختلطا، لا من كل واحد منها على انفراده، والحلية كالحاتم في الأصبع، والسوار في الذراع، والقلادة في العنق، والخلخال في الرجل ۖ وترى الفلك فيه مواخير ۖ وترى السفن في البحر شائعة للماء، بعضها مقبلة، وبعضها مدبرة ۖ لتبتغوا من فضله ۖ الفضل: هو التجارة في البحر إلى البلدان البعيدة في مدة قريبة، كما تقدم في سورة البقرة (الآية ١٦٤) ۖ ولعلكم تشكرون ۖ الله على ما أنعم عليكم به من ذلك.

١٣ ۖ يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ۖ فيزيد في كل منها بالنقص من الآخر ۖ وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ۖ قدره الله لجريانها، وهو يوم القيامة. وقيل: هو المدة التي يقطعان في مثلها الفلك، وهو سنة للشمس، وشهر للقمر. وقيل: المراد به جرى الشمس في اليوم، والقمر في الليلة ۖ ذلکم ۖ الفاعل لهذه الأفعال ۖ الله ربکم له الملك ۖ أي: هذا الذي من صنعته ما تقدم: هو الخالق المقتدر، والقادر المقتدر المالك للعالم، والمتصرف فيه ۖ والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ۖ القطمير: القشرة الرقيقة التي تكون بين القمرة والنواة، وتصير على النواة كاللغافة لها.

١٤ ۖ إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ۖ لكونها جمادات لا تدرك شيئا ۖ ولو سمعوا ۖ على طريقة الفرض ۖ وما استجابوا لكم ۖ لعجزهم عن ذلك.

١١ ۖ والله خلقكم من تراب ۖ في ضمن خلق أبيكم آدم من تراب ۖ ثم من نطفة ۖ أخرجها من ظهور آبائكم ۖ ثم جعلكم أزواجا ۖ أي: زوج بعضكم ببعض، فالذكر والأنثى زوجان ۖ وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه ۖ فلا يخرج شيء عن علمه وتدبيره ۖ وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره ۖ أي: ما يطول عمر أحد، ولا ينقص من عمر معمر آخر ۖ (إلا في كتاب) ۖ أي: في اللوح المحفوظ. قال سعيد بن جبیر: فما مضى من أجله فهو النقصان، وما يستقبل، فهو الذي يعمره. وقيل المعنى: وما يعمر من معمر إلى الهرم، ولا ينقص آخر من عمر الهرم، إلا في كتاب، أي بقضاء الله. وتطويل العمر وتقصيره هما بقضاء الله وقدره، لأسباب تقتضي التطويل، وأسباب تقتضي التقصير، فمن أسباب التطويل: صلة الرحم، ومن أسباب التقصير الاستكثار من معاصي الله عز وجل ۖ (إن ذلك على الله يسير) ۖ لا يصعب عليه منه شيء، ولا يعزب عنه كثير ولا قليل، ولا كبير ولا صغير.

١٢ ۖ وما يستوي البحران هذا عذب

لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكُمْ^{١٤} وَلَا يَنْبِئُكَ مِثْلُ
خَبِيرٍ * يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ^{١٥}
وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ^{١٥} إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ
بِخَلْقٍ جَدِيدٍ^{١٦} وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ^{١٧} وَلَا تَزِرُ
وِازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى^{١٨} وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ
مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ^{١٩} إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ
رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ^{٢٠} وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ
لِنَفْسِهِ^{٢١} وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ^{٢٢} وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ
وَالْبَصِيرُ^{٢٣} وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ^{٢٤} وَلَا الظِّلُّ
وَلَا الْحَرُورُ^{٢٥} وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ^{٢٦}
إِنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ مَنْ يَشَاءُ^{٢٧} وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ
فِي الْقُبُورِ^{٢٨} إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ^{٢٩} إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ

﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكُمْ﴾ أي
يتبرأون من عبادتكم لهم، ويحذون أن
يكون ما فعلتموه حقاً، وينكرون أنهم
أمروكم بعبادتهم ﴿وَلَا يَنْبِئُكَ مِثْلُ
خَبِيرٍ﴾ أي: لا يخبرك أحداً مثل من هو
خبير بالأشياء عالم بها، وهو الله سبحانه.
١٥ ﴿أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾ أي:
المحتاجون إليه في جميع أمور الدين
والدنيا، فتحن الفقراء إليه على الإطلاق
﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ على الإطلاق
﴿الْحَمِيدُ﴾ أي: المستحق للحمد من
عباده بإحسانه إليهم.

١٦ ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ
جَدِيدٍ﴾ إن يشأ يفيكم ويأت بدلكم
بخلق جديد من جنس البشر، أو من
جنس آخر غيرهم، يطيعونه ولا يعصونه،
أو يأت بنوع من أنواع الخلق من عالم غير
ما تعرفون.

١٧ ﴿وَمَا ذَلِكَ﴾ الإذهاب لكم،
والإتيان بآخرين ﴿عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ أي
بمتمكن ولا متعسر.

١٨ ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ أي:
لا تحمل نفس حمل نفس أخرى: أي
إنما، بل كل نفس تحمل وزرها ﴿وَإِنْ
تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا﴾ معنى الآية: وإن
تدع نفس مثقلة بالذنوب نفساً أخرى،
لتحمل عنها بعض الذنوب التي تحملها،
لم تحمل تلك المدعوة من تلك الذنوب
شيئاً، ولو كانت قريبة لها في النسب،
فكيف بغيرها مما لا قرابة بينها وبين
الداعية لها ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ

رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ أي: إن إنذارك لا ينفع
إلا الذين يخافون الله، حال كونهم غائبين
عن عذابه، أو يخشون عذابه وهو غائب
عنهم، أو يخشونه في الخلوات عن الناس
﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ احتفلوا بأمرها، ولم
يشتغلوا عنها بشيء مما يلهيهم ﴿وَمَنْ
تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ﴾ من تطهر

بترك المعاصي، واستكثر من العمل
الصالح، فإنما يتطهر لنفسه، لأن نفع
ذلك مختص به، كما أن وزر من تدنس
لا يكون إلا عليه لا على غيره.

١٩ ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى﴾ أي:
المسلوب حاسة البصر ﴿وَالْبَصِيرُ﴾ الذي
له ملكة البصر، فشبه الكافر بالأعمى،
وشبه المؤمن بالبصير.

٢٠ ﴿وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ﴾ أي: ولا
تستوي الظلمات ولا النور، فشبه الباطل
بالظلمات، وشبه الحق بالنور.

٢١ ﴿وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ﴾ لا يستوي

٢٢ ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا
الْأَمْوَاتُ﴾ فشبه المؤمنين بالأحياء، وشبه
الكافرين بالأموات، وقيل: أراد تمثيل
العلماء والجهلة ﴿إِنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ مَنْ
يَشَاءُ﴾ أن يسمعه من أوليائه الذين
خلقهم لجنته ووقفهم لطاعته ﴿وَمَا أَنْتَ
بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ يعني الكفار الذين
أما الكفر قلوبهم.



بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾
وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ
رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾
ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ أَلَمْ
تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ
مُتَخَلِّفًا لَوْنُهَا وَمِنْ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ
أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنْ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ
وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ
مَنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾
الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا
رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ ﴿٢٩﴾
لِيُوفِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ

أحمر، وبعضها أصفر، وبعضها أخضر،
وبعضها أسود ﴿ومن الجبال جدد﴾
طرائق وخطوط تكون في الجبال
كالعروق، بيض وسود وحمر ﴿بيض وحمر
مختلف ألوانها وغرابيب سود﴾
الغريب: الشديد السواد الذي يشبه لونه
لون الغراب.

٢٨ ﴿ومن الناس والدواب والأنعام
مختلف ألوانه﴾ أي: خلق مختلف ألوانه،
كاختلاف الثمرات والجبال. وإنما ذكر
سبحانه اختلاف الألوان في هذه
الأشياء، لأن هذا الاختلاف من أعظم
الأدلة على قدرة الله وبديع صنعه، فذكر
أولا اختلاف الألوان في ثمار النبات، ثم
ذكر اختلاف الألوان في الجمادات، ثم
في الناس والحيوان ﴿إنما يخشى الله من
عباده العلماء﴾ المعنى: إنما يخشاه سبحانه
بالغيب العالمون به، وبما يليق به من
صفاته الجليلة وأفعاله الجميلة، فمن كان
أعلم بالله كان أحشاهم له، ومن لم
يخش الله فليس بعالم [والمراد بالعلم هنا:
العلم بكيفية اختلاف الألوان ونحوها من
أفعال الله تعالى، فإن خشية من يعلم
ذلك وهو مؤمن أعظم من خشية غيره].

٢٩ ﴿إن الذين يتلون كتاب الله﴾ أي
يستمرزون على تلاوة القرآن الكريم
﴿وأقاموا الصلاة﴾ في أوقاتها، مع كمال
أركانها وأذكارها ﴿وأنفقوا مما رزقناهم
سرًّا وعلانية﴾ فيه حث على الإنفاق
كيفما تهيأ، فإن تهيأ سرًّا فهو أفضل،
وإلا فعلانية، ولا يمنعه ظنه أن يكون
رياء ﴿يرجون تجارة﴾ هي ثواب الطاعة
﴿لن تبور﴾ لن تكسد ولن تهلك.

٣٠ ﴿ليوفيهم أجورهم﴾ أي: إنها لن
تكسد، لأجل أن الله يوفيهم أجور
أعمالهم الصالحة ﴿ويزيدهم من فضله﴾
يتفضل عليهم بزيادة على أجورهم التي
هي جزاء أعمالهم.

﴿جاءتهم رسلهم بالبينات﴾ أي:
بالمعجزات الواضحة، والدلالات الظاهرة
﴿وبالزبر﴾ أي: الكتب المكتوبة،
كصحف إبراهيم ﴿وبالكتاب المنير﴾
كالتوراة والإنجيل، وقيل: البينات
المعجزات، والزبر الكتب التي فيها
مواعظ، والكتاب: ما فيه شرائع
وأحكام.

٢٦ ﴿فكيف كان نكير﴾ أي فكيف
كان نكيري عليهم، وعقوبي لهم؟

٢٧ ﴿فأخرجنا به ثمرات مختلفا
ألوانها﴾ أي: بعضها أبيض، وبعضها

٢٣ ﴿إن أنت إلا نذير﴾ أي ما أنت
إلا رسول منذر، ليس عليك إلا الإنذار
والتبليغ، أما الهدى والضلالة فإنها بيد
الله عز وجل.

٢٤ ﴿إنا أرسلناك بالحق﴾ أي: بشيراً
بالوعد الحق، ونذيراً بالوعد الحق
﴿بشيراً﴾ لأهل الطاعة ﴿ونذيراً﴾ لأهل
المعصية ﴿وإن من أمة إلا خلا فيها
نذير﴾ أي: ما من أمة من الأمم الماضية
إلا مضى فيها نذير من الأنبياء ينذرهم.

٢٥ ﴿وإن يكذبوك فقد كذب الذين
من قبلهم﴾ من الأمم الماضية أنبياءهم

شُكُورٌ ﴿٣٠﴾ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ
الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ
بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا
فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ۚ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ
بِالْخَيْرَاتِ ۖ بإِذْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾
جَنَّتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ
وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ ۚ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي
أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ ۚ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا
يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ
لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا
كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا

٣١ ﴿والذي أوحينا إليك من الكتاب﴾ يعني القرآن ﴿هو الحق مصدقا لما بين يديه﴾ أي: موافقا لما تقدمه من الكتب ﴿إن الله بعباده خبير بصير﴾ أي: محيط بجميع أمورهم.

٣٢ ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا﴾ أي قضينا وقدرنا بأن نورث العلماء من أمتك يا محمد هذا الكتاب الذي أنزلناه عليك، وورثناهم [في ضمنه] كل كتاب منزل، فإن هذا الكتاب مصدق لها مهيمن عليها. ولا شك أن علماء هذه الأمة، من الصحابة فمن بعدهم، قد شرفهم الله على سائر العباد، وجعلهم أمة وسطا ليكونوا شهداء على الناس، وأكرمهم بكونهم أمة خير الأنبياء وسيد ولد آدم. ثم قسم هؤلاء إلى ثلاثة أقسام، فقال ﴿فمنهم ظالم

لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات﴾ قال مقاتل: الظالم لنفسه أصحاب الكبائر من أهل التوحيد، والمقتصد الذي لم يصب كبيرة، والسابق الذي سبق إلى الأعمال الصالحة. ولا شك أن الظالم لنفسه هو المقصر عن أداء الواجبات، أو يفعل المحرمات. والمقتصد هو من يتوسط في أمر الدين، ولا يميل إلى جانب الإفراط ولا إلى جانب التفريط، وهذا من أهل الجنة، وأما السابق فهو الذي سبق غيره في أمور الدين، وهو خير الثلاثة. والإشارة بقوله ﴿ذلك﴾ إلى توريث الكتاب، والاصطفاء، وقيل إلى السبق بالخيرات ﴿هو الفضل الكبير﴾.

٣٣ ﴿جنات عدن يدخلونها﴾ وعد للسابقين، أو هو للمصطفين جميعا ﴿يجلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير﴾ قد تقدم تفسير الآية مستوفى في سورة الحج (الآية ٢٣)

٣٤ ﴿وقالوا الحمد لله الذي أذهب

عنا الحزن﴾ حزن السيئات والذنوب، وخوف رد الطاعات، وحزن أهوال يوم القيامة. وقيل: هم المعيشة. وقال الزجاج: أذهب الله عن أهل الجنة كل الأحزان، ما كان منها لمعاش أو معاد، فأهل الإيمان لا يزالون وجلين من عذاب الله، خائفين مضطربي القلوب في كل، هل تقبل أعمالهم أو ترد، حذرين من عاقبة السوء وخاتمة الشر، ثم لا تزال همومهم وأحزانهم حتى يدخلوا الجنة ﴿إن ربنا لغفور﴾ لمن عصاه ثم تاب إليه ﴿شكور﴾ لمن أطاعة.

٣٥ ﴿الذي أحلنا دار المقامة من فضله﴾ أي: دار الإقامة التي يقام فيها أبدا، ولا يُثقل عنها، تفضلا منه ورحمة ﴿لا يمسنا فيها نصب﴾ عناء ولا تعب ولا مشقة ﴿ولا يمسنا فيها لغوب﴾ وهو الإعياء من التعب، والكلال من النصب.

٣٦ ﴿لا يقضى عليهم﴾ بالموت ﴿فيموتوا﴾ ويستريحوا من العذاب ﴿ولا يخفف عنهم من عذابها﴾ بل (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب) ﴿كذلك نجزي كل

أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۖ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ ۖ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ۖ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَ كُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُم كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَبْدُوَ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أُمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ

لِعَادُوا لِمَا نَهَوْا عَنْهُ) **﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾** لأنه إذا كان يعلم مضمرات الصدور علم ما فوقها بالأولى.

٣٩ ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: جعلكم أمة خالفة لمن قبلها. وقال قتادة: خلفا بعد خلف، وقرنا بعد قرن **﴿فَن كُفْرُهُ﴾** منكم هذه النعمة **﴿فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾** أي: عليه ضرر كفره، لا يتعداه إلى غيره **﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا﴾** أي: غضبا وبغضا **﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾** أي: نقصا وهلاكًا.

٤٠ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَ كُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ اتخذتموهم آلهة وعبدتموهم من دون الله **﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾** حتى عبدتموهم **﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ﴾** أي: بل لهم شركة مع الله في خلقها، أو في ملكها، أو في التصرف فيها، حتى يستحقوا بذلك الشركة في الإلهية؟ **﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا﴾** أي: بل أنزلنا عليهم كتابا بالشركة **﴿فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْهُ﴾** قال مقاتل: يقول هل أعطينا كفار مكة كتاباً، فهم على بيان منه بأن مع الله شريكاً **﴿بَلْ إِن يَبْدُوَ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾** كما يفعل الرؤساء والقادة، من المواعيد لأتباعهم، يغرونهم به، ويزينونه لهم، وهو الأباطيل التي تغر ولا حقيقة لها، وذلك قولهم: إن هذه الآلهة تنفعهم وتقرّبهم إلى الله، وتشفع لهم عنده.

٤١ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ مستأنفة لبيان قدرة الله سبحانه، وبديع صنعه، بعد بيان ضعف الأصنام، وعدم قدرتها على شيء **﴿وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أُمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾** أي: لا يقدر أحدٌ غيره تعالى على إمساكها لو قُدِّرَ إشرافها على الزوال.

عشر عاما، وقيل: هو ستون سنة، وقيل: أربعون **﴿وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾** قال جمهور المفسرين: هو النبي ﷺ وقيل: هو الشيب **﴿فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾** أي: فذوقوا عذاب جهنم، لأنكم لم تعتبروا ولم تتعظوا، فإلّا لكم ناصر يمنعكم من عذاب الله، ويحول بينكم وبينه.

٣٨ ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: يعلم كل أمر خفي فيها، ومن جملة ذلك الأعمال، لا تخفى عليه منها خافية، فلو ردّكم إلى الدنيا لم تعملوا صالحاً، كما قال سبحانه (ولو ردّوا

كفوراً أي: مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي كل من هو مبالغ في الكفر.

٣٧ ﴿وَهُمْ بِصُطُرِخُونٍ فِيهَا﴾ من الصراخ أي: وهم يستغيثون في النار، رافعين أصواتهم، ينادون: **﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾** من الشرك والمعاصي، فنجعل الإيمان منا بدل ما كنا عليه من الكفر، والطاعة بدل المعصية **﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾** أي: ألم نعمركم عمراً يتمكن فيه من التذكّر من أراد أن يتذكر، قيل: هو [سن الرشد] ثمانية



مِنْ بَعْدِهِ ۖ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ
 أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى
 الْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ اسْتَكْبَارًا
 فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ۚ
 فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ
 تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا
 فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
 وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ
 فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾
 وَلَوْ يَوَازِغُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِنْ
 دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ
 فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾

﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ أي : وذلك سبب إمساكه تعالى للسموات والأرض .
 ٤٢ ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ﴾ المراد قريش : أقسموا قبل أن يبعث الله محمداً ﷺ بهذا القسم ، حين بلغهم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم . وكانت العرب تتمنى أن يكون منهم رسول ، كما كان الرسل في بني إسرائيل ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ أي : أتاهم ما تمنوه ، وهو رسول الله ﷺ الذي هو أشرف نذير وأكرم مرسل ، وكان من أنفسهم ﴿مَا زَادَهُمْ﴾ بجته ﴿إِلَّا نُفُورًا﴾ منهم عنه ، وتباعدا عن إجابته .

٤٣ ﴿اسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ أي [إنهم ما نفروا عن محمد ﷺ ، ولا كذبوا برسالته لاعتقاد كذبه ، إنما فعلوا ذلك لأجل الاستكبار عن أن يكونوا له أتباعا ، ولأجل العتو وهو التجبر والمضي في الفساد] ﴿و﴾ لأجل ﴿مَكْرِ السَّيِّئِ﴾ أي مكر العمل السيئ . والمكر هو الحيلة والخداع والعمل القبيح ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ أي تنزل عاقبة السوء بمن أساء ، قبل أن تنزل بمن أسىء إليه ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ﴾ أي : فهل ينتظرون إلا سنة الله في الأولين بأن ينزل بهؤلاء العذاب ، كما نزل [بالأمم السابقة ، عندما كذبوا الأنبياء الذين أرسلوا إليهم ، ومكروا بهم المكر السيئ ، أي دبّروا لقتل أولئك الأنبياء ، أو إخراجهم] ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ أي : لا يقدر أحد أن يبدل سنة الله التي سنّها في الأمم المكذبة ، من إنزال عذابه بهم ، بأن يضع موضعه غيره بدلا عنه ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ بأن يحول ما جرت به سنة الله من العذاب ، فيدفعه عنهم ، ويضعه على غيرهم .

٤٤ ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ كما أنزلنا بعباد وثمود ومدين وأمثالهم ، من العذاب ، لما كذبوا الرسل ، فإن ذلك هو من سنة الله في المكذبين التي لا تبدل ولا تحول ، وآثار عذابهم وما أنزل الله بهم موجودة في مساكنهم ظاهرة في منازلهم [قد سار فيها قومك يا محمد في أسفارهم . فهلا تفكروا في مصارع الظالمين ، وهلا خافوا من مثلها] ﴿و﴾ الحال أن أولئك ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ وأطول أعمارا ، وأكثر أموالا ، وأقوى أبدانا ، من أهل مكة
 ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي : ما كان ليسبقه ويفوته من شيء من الأشياء [إذا أراد الله أن يدركه] كائن ما كان فيها ﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ لا يخفى عليه شيء ، ولا يصعب عليه أمر .
 ٤٥ ﴿وَلَوْ يَوَازِغُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا﴾ من الذنوب ، وعملوا من الخطايا ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا﴾ أي [على ظهر الأرض من الأحياء] ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾ من الدواب التي تدب ، كائنة ما كانت ، أما بنو آدم فلذنوبهم ، وأما غيرهم فلهشوم

(٣٦) سُورَةُ يَسْ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّاتُهَا ثَلَاثٌ وَشِتَاوُنْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَس ١ وَالْقُرْءَانِ الْحَكِيمِ ٢ إِنَّكَ لَمِنَ
الْمُرْسَلِينَ ٣ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٤ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ
الرَّحِيمِ ٥ لِنُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ
غَافِلُونَ ٦ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ٧ إِنَّا جَعَلْنَا فِيْ أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى
الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُّقْمَحُونَ ٨ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا
وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ٩
وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ١٠

محمد ﷺ بالقرآن المتمثلة فيه الحكمة،
على أن محمدا رسول من عند الله، لثلا
يشك أحد في كونه مرسلا.

٣ «إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ» قيل هذا ردة على
من أنكر رسالته من الكفار بقولهم: لست
مرسلا.

٤ «عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» الصراط
المستقيم: الطريق [الذي هو على استقامة
واحدة ليس فيه التواء ولا اعوجاج] بل
هو الموصل إلى المطلوب. أي: أنت يا
محمد على طريقة الأنبياء الذين تقدموك.

٥ «تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ» المعنى: أن

معاصي بني آدم. وقيل أراد بالدابة هنا
الناس وحدهم دون غيرهم «وَلَكِنْ
يُؤْخِرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى» وهو يوم
القيامة «فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ
كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا» أي: بمن يستحق
منهم الثواب، ومن يستحق منهم العقاب.

سُورَةُ يَسْ

١ «يَس» تقدّم في أول سورة البقرة
الكلام في الحروف المقطعة.

٢ «وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ» يقسم الله تعالى

القرآن تنزيل العزيز الرحيم.

٦ «لِنُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ» أي:
أرسلناك لتنذر قوماً لم يُنذَرِ آبَاؤُهُمْ
الأقربون لتطاول مدة الفترة «فَهُمْ
غَافِلُونَ» عن الشرائع والأحكام.

٧ «لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ»
أي: أكثر أهل مكة، أو أكثر كفار
العرب، وهم من مات على الكفر، وأصرّ
عليه طول حياته «فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ» أي:
لأن الله سبحانه قد علم منهم الإصرار
على ما هم فيه من الكفر، والموت عليه.

٨ «إِنَّا جَعَلْنَا فِيْ أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا
فَهِيَ» أي: الأغلال منتهية «إِلَى
الْأَذْقَانِ» فلا يقدرّون عند ذلك على
الالتفات، ولا يتمكنون من عطفها
«فَهُمْ مُّقْمَحُونَ» أي: رافعون رؤوسهم،
غاضون أبصارهم، وقيل المعنى: جعلنا في
أعناقهم أغللاً رُبِطَتْ إليها الأيدي،
وهو مثل ضربه الله لهم في امتناعهم عن
الهدى كامتناع المغلول، وقيل: الآية
إشارة إلى ما يفعل بقوم في النار من وضع
الأغلال في أعناقهم وفي أيديهم.

٩ «وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ
خَلْفِهِمْ سَدًّا» أي: منعناهم عن الإيمان
بموانع، فهم لا يستطيعون الخروج من
الكفر إلى الإيمان، كالمضروب أمامه
وخلفه بالأسداد، [وما تلك الأسداد إلا
استكبارهم وعتوهم وعنادهم عن قبول
الحق والخضوع له] «فَأَغْشَيْنَاهُمْ» أي:
غطينا أبصارهم «فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ» أي:
لا يقدرّون على إبطار
سبيل الهدى، عموا عن البعث، وعموا
عن قبول الشرائع في الدنيا.

١٠ «وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ
تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ» أي: إنذارك إياهم
وعدمه سواء، فلا ينفعهم الإنذار،
[ماداموا لا يقبلون الحق، ولا يخضعون
لله].

إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ ط
فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى
وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ
فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ
جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا
فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنْتُمْ
إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا
تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾
وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوا إِنَّا تَطِيرُنَا بِكُمْ
لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾
قَالُوا طَائِفُكُمْ مَعَكُمْ أِنْ أُرْكَبْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾
وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْقُومُ آتِبِعُوا

١١ ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ﴾ أي: اتبع القرآن، وخشي الله في السر والعلانية.

١٢ ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى﴾ أي: نبعثهم بعد الموت، وقيل: نحْيِيهم بالإيمان بعد الكفر، والعلم بعد الجهل ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا﴾ أي، أسلفوا من الأعمال الصالحة والطالحة ﴿وَأَنْتَاهُمْ﴾ أي: ما أبقوه من الحسنات التي لا ينقطع نفعها بعد الموت، كمن سنَّ سنة حسنة، أو السيئات التي تبقى بعد موت فاعلها، كمن سنَّ سنة سيئة، ومن آثار الخير: تعليم العلم وتصنيفه، والوقف على القرب، وعمارة المساجد، والقناطر. ومن آثار الشر: ابتداء المظالم، وإحداث ما يضر بالناس، ويقتدى به أهل الجور ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ﴾ أي: كل شيء من أعمال العباد وغيرها ﴿فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ أي: في كتاب مقتدى به موضح لكل شيء، قيل: أراد اللوح المحفوظ، وقيل: صحائف الأعمال.

١٣ ﴿وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾ أي: قل لهم: لست أنا بدعاً من الرسل، فإن قبلي جاء أصحاب القرية مرسلون، وأنذروهم بما أنذرتكم، وذكروا التوحيد، وخوفوا بالقيامة، وبشروا بنعيم دار الإقامة. قال القرطبي: هذه القرية، هي أنطاكية في قول جميع المفسرين، وقوله ﴿إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ هم أصحاب عيسى، بعثهم إلى أهل أنطاكية للدعوة إلى الله.

١٤ ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ﴾ لأن عيسى أرسلهم بأمر الله سبحانه ﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾ في الرسالة، وقيل ضربوهما وسجنوهما ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ أي: قوينا وشددنا أمر الاثنين بمرسلي ثالث.

١٥ ﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ أي: مشاركون لنا في البشرية، فليس لكم

مزية علينا تختصون بها ﴿وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ﴾ وما يدعيه غيركم ممن قبلكم من الرسل وأتباعهم ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾ أي في دعوى ما تدعون من ذلك.

١٦ ﴿قَالُوا رَبَّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ فأكدوا الجواب بالقسم.

١٧ ﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ أي: لا يجب علينا من جهة ربنا إلا تبليغ رسالته على وجه الظهور والوضوح، وليس علينا غير ذلك.

١٨ ﴿قَالُوا إِنَّا تَطِيرُنَا بِكُمْ﴾ أي: إنا

١٩ ﴿قَالُوا طَائِفُكُمْ مَعَكُمْ﴾ أي: شؤمكم معكم من جهة أنفسكم، لازم في أعناقكم بسبب تكذيبكم، فهو سبب الشؤم لا نحن ﴿أَنْتُمْ ذُكِّرْتُمْ﴾ أي: أثن ذكرناكم بالله ادعيتم أن فينا الشؤم عليكم ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ أي

تشاءمنا بكم ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا﴾ تتركوا هذه الدعوة، وتعرضوا عن هذه المقالة ﴿لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾ بالحجارة ﴿وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: شديد فظيع، قيل: القتل، وقيل: الشتم، وقيل: هو التعذيب المؤلم.

أرادوا قتله، تصلباً في الدين، وتشدداً في الحق. فلما قال هذا القول، وصرح بالآيمان، وثبوا عليه فقتلوه، وقيل: وطئوه بأرجلهم، وقيل: حرقوه، وقيل: نشروه بالمنشار.

٢٦، ٢٧ ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ تكريماً له بدخولها بعد قتله، كما هي سنة الله في شهداء عباده، فلما دخلها وشاهدها ﴿قَالَ يَا بَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين ﴿تَنَىٰ أَن يَعْلَمُوا بِحَالِهِ لِيَعْلَمُوا حَسَنَ مَا لَهُ، وَحَمِيدَ عَاقِبَتِهِ، إِرْغَامًا لَهُمْ، أَوْ لِيُؤْمِنُوا مِثْلَ إِيمَانِهِ، فَيَصِيرُوا إِلَىٰ مِثْلِ حَالِهِ.

٢٨ ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ﴾ أي: على قوم حبيب النجار من بعد قتلهم له، أو من بعد رفع الله له إلى السماوات ﴿مِن جُنْدٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ لإهلاكهم ولانتقام منهم ﴿وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾ إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون ﴿يَحْسِرَةُ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ألا كانوا به يهزئون ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ وإن كلُّ لَمَّا

٢٩ ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ صاح بها جبريل فأهلكهم ﴿فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ ميتون لا يسمع لهم حس، كالنار إذا طففت.

٣٠ ﴿يَا حَسْرَةَ عَلَى الْعِبَادِ﴾ والتقدير يا هؤلاء تحسروا حسرة، وقيل: إنها حسرة الملائكة على الكفار حين كذبوا الرسل ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ذلك هو سبب التحسر عليهم، حيث لم يعتبروا بأمثالهم من الأمم الخالية.

٣١ ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ﴾ من الأمم الخالية ﴿أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ بعد هلاكهم.

الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ أَتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَالِيَ لَّا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّي إِذًا لَّنِي ضَلَّلٌ مُّبِينٌ ﴿٢٤﴾ إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ * وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِن جُنْدٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَحْسِرَةُ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلُّ لَمَّا

أَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً، فَأَعْبُدُهَا وَأَتْرَكَ عِبَادَةَ مَنْ يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ، وَهُوَ الَّذِي فَطَرَنِي ﴿إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا﴾ أي: شيئاً من النفع كائن ما كان ﴿وَلَا يُنْقِذُونِ﴾ من ذلك الضر الذي أرادني الرحمن به.

٢٤ ﴿إِنِّي إِذًا﴾ أي: إذا اتخذت من دونه آلهة ﴿لَنِي ضَلَالٌ مُّبِينٌ﴾ واضح. وهذا تعريض بهم. ثم صرح بإيمانه تصريحاً لا يبق بعده شك فقال:

٢٥ ﴿إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾ قيل: إنه خاطب بهذا الكلام قومه لما

مجاوزون الحد في مخالفة الحق.

٢٠ ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْمَى﴾ هو حبيب بن موسى النجار، قال قتادة: كان يعبد الله في غار، فلما سمع بخبر الرسل جاء يسمي.

٢٢ ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدَ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ أي: أي مانع من جانبي يمنعني من عبادة الذي خلقتني؟ [أي: وكذلك أنتم ما لكم لا تعبدون الله الذي فطركم] ﴿وَالِيهِ تَرْجِعُونَ﴾ فتحاسبون على ما أجبتمونا إذ دعوناكم.

٢٣ ﴿أَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾ أي: لن



بِجَمِيعٍ لَدَيْنَا مُحَضَّرُونَ ﴿٣٢﴾ وَءَايَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ
أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَنَّهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا
جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾
لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾
سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ
وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ
نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ
تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾
وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾
لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ
النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ وَءَايَةٌ لَهُمُ أَنَّا حَمَلْنَا
ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُمُ مِن مِّثْلِهِ

٣٢ ﴿وَإِنْ كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا

محضرون﴾ أي: ليسوا إلا محضرين لدينا للحساب جميعاً.

٣٣ ﴿وَءَايَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا﴾

بالنبات، فأخرج منها الحبوب التي يأكلونها ويتغذون بها، وهو معنى قوله ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَنَّهُ يَأْكُلُونَ﴾

والحب معظم ما يؤكل، وأكثر ما يقوم به المعاش.

٣٥ ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾ أي ثمر

الجنات والنخيل ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾

أي: ليأكلوا من ثمره، ويأكلوا مما عملته أيديهم، كالعصير والدبس ونحوهما، وقيل المعنى: لم يعملوه، بل العامل له هو الله.

٣٦ ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ

كُلَّهَا﴾ الأزواج: الأنواع والأصناف،

لأن كل جنس، كالنخيل مختلف الألوان والطعوم والأشكال [أو المراد بالأزواج: الذكور والإناث من الأحياء جميعاً]

﴿وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: وخلق الأزواج

من أنفسهم، وهم الذكور والإناث من بني آدم ﴿وَمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾ من أصناف خلقه في البر والبحر، والسماء والأرض.

٣٧ ﴿وَءَايَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾

المعنى أن ذلك علامة دالة على توحيد الله وقدرته ووجوب إلهيته، والسُّلْخُ: إذهاب

الضوء، ومجيء الظلمة ﴿فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ أي: داخلون في الظلام مفاجأة وبغته.

٣٨ ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ آية

مستقلة، قيل: مستقرها نهاية ارتفاعها في الصيف، ونهاية هبوطها في الشتاء، وقيل: مستقرها تحت العرش.

٣٩ ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾ المنازل:

هي الثمانية والعشرون التي ينزل القمر في كل ليلة في واحد منها، وهي معروفة، فإذا صار القمر في آخرها عاد إلى أولها ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ أي:

سار في منازلها، فإذا كان في آخرها دق واستقوس وصغر، حتى صار كالعرجون القديم، والعرجون أصل العذق، وهو الفصن الذي عليه طلع النخلة، وهو أصفر عريض يعوج ويقطع منه الشماريح، فيبقى على النخل يابساً.

٤٠ ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ

القمر﴾ لأن لكل واحد منها مسلكاً على

انفراد، فلا يتمكن أحدهما من الدخول على الآخر [وإن كان في نظر العين تسبق الشمس القمر في كل شهر مرة] ﴿وَلَا

الليل سابق النهار﴾ أي: لا يسبقه

فيقفوته، ولكن يعاقبه، ويجيء كل واحد منها في وقته، ولا يسبق صاحبه ﴿وَكُلٌّ

من الشمس والقمر، والليل والنهار﴾ في

فلك يسبحون﴾ والفلك مسار الكوكب على شكل دائرة.

٤١ ﴿وَءَايَةٌ لَهُمُ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي

الفلك المشحون﴾ أي: على السفن في

البحار، فامتتن الله عليهم بذلك، وقيل المعنى: أن الله حمل آباء هؤلاء وأجدادهم في سفينة نوح.

٤٢ ﴿وَخَلَقْنَا لَهُمُ مِن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾

قيل: هو الإبل، خلقها لهم للركوب في

مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا يَوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا

فكانهم حاولوا بهذا القول الإلزام للمسلمين قالوا: نحن نوافق مشيئة الله، فلا نطعم من لم يطعمه الله، وهذا غلط منهم، ومكابرة ومجادلة بالباطل، فإن الله سبحانه أغنى بعض خلقه، وأفقر بعضا، وأمر الغني أن يطعم الفقير، وابتلاه به فيما فرض له من ماله من الصدقة.

٤٨ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ﴾ الذي تعدوننا به من العذاب والقيامة، والمصير إلى الجنة أو النار ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيما تقولونه وتعدوننا به. قالوا ذلك استهزاء منهم، وسخرية بالمؤمنين.

٤٩ ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ وهي نفخة إسرافيل في الصور ﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ أي: يختصمون فيما بينهم في البيع والشراء ونحوها من أمور الدنيا. ٥٠ ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ أي:

لا يستطيع بعضهم أن يوصي إلى بعض بما له وما عليه، أو لا يستطيع أن يوصيه بالتوبة والإقلاع عن المعاصي، بل يموتون في أسواقهم ومواقعهم ﴿وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: إلى منازلهم التي ماتوا خارجين عنها. أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «لَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلَانِ ثَوْبَهُمَا، فَلَا يَتَبَايَعَانِهِ وَلَا يَطْوِيَانِهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهُوَ يَلِيطُ حَوْضَهُ فَلَا يَسْتَقِي فِيهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بِلْبَنٍ لَقَحْتَهُ فَلَا يَطْعَمُهُ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أَكْلَتَهُ إِلَىٰ فِيهِ فَلَا يَطْعَمُهَا».

٥١ ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ وهي النفخة التي يبعثون بها من قبورهم ﴿فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ أي القبور ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ أي يسرعون.

٥٢ ﴿مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ ظنوا لاختلاط عقولهم بما شاهدوا من الهول، وما داخلهم من الفرع، أنهم كانوا نياما.

من الآفات والنوازل ﴿وَمَا خَلَفَكُمْ﴾ منها في الآخرة، إذا قيل لهم ذلك أعرضوا.

٤٦ ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ المعنى: ما تأتيتهم من آية من آيات القرآن إلا أعرضوا عنها ولم يلتفتوا إليها.

٤٧ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ أي تصدقوا على الفقراء من أموالكم ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ استهزاء بهم، وتهكما بقولهم ﴿أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾ وقد كانوا سمعوا المسلمين يقولون: إن الرزاق هو الله،

وإنه يغني من يشاء، ويفقر من يشاء،

البر، مثل السفن المركوبة في البحر. أو: لعله إشارة إلى المركبات والقطارات والطائرات المستحدثة.

٤٣ ﴿وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ﴾ أي: فلا مغيث لهم يغيثهم إن شئنا إغراقهم ﴿وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ﴾

٤٤ ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا﴾ أي: ولا أحد ينقذهم، وقد نأذن بإنقاذهم لرحمة منا لهم ﴿وَمَتَاعًا﴾ أي: نمتعهم بالحياة الدنيا ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ وهو الموت.

٤٥ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ أي: احذروا ما هو قدامكم



مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَالْيَوْمَ لَا تُظَلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِئُونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَأَمْتَزُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمَجْرُمُونَ ﴿٥٩﴾ * أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَإِنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ أَصَلُّوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ

﴿هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون﴾ [رجعوا إلى أنفسهم فاعترفوا أنهم كانوا في الموت وبعثوا] وأقروا بصدق الرسل يوم لا ينفع التصديق.

٥٣ ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ صاحبها إسرافيل بنفخة في الصور ﴿فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ أي: فإذا هم مجموعون لدينا بسرعة للحساب والعقاب.

٥٥ ﴿إِنْ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ﴾ بما هم فيه من اللذات، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، اشتغلوا بذلك عن الاهتمام بأمر الكفار، ومصيرهم إلى النار، وإن كانوا من قراباتهم ﴿فَاكِهُونَ﴾ أي: متنعمون.

٥٦ ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِئُونَ﴾ المراد: الستور التي تظللهم، كالخيام والحجالات، والأرائك: الأسيرة التي في الحجالات.

٥٧ ﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ﴾ من كل نوع من أنواع الفواكه ﴿وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ﴾ أي: ما يدعوه أهل الجنة بأنهم، وقيل المعنى: من ادعى منهم شيئا فهو له.

٥٨ ﴿سَلَامٌ﴾ أي: ولهم أن يسلم الله عليهم، وهذا منى أهل الجنة ﴿قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ أي: من جهته، يقول لهم: سلام عليكم يا أهل الجنة، وقيل الملائكة تدخل على أهل الجنة من كل باب يقولون: سلام عليكم يا أهل الجنة من رب رحيم.

٥٩ ﴿وَأَمْتَزُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمَجْرُمُونَ﴾ أي: ويقال للمجرمين: اعتزلوا اليوم، يعني في الآخرة، من الصالحين، أو المراد: يمتاز المجرمون بعضهم من بعض، فيمتاز اليهود فرقة، والنصارى فرقة، والمجوس فرقة، والصابئون فرقة، وعبدة الأوثان فرقة.

٦٠ ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنَىءَ آدَمَ أَلَا

تعبدوا الشيطان﴾ المعنى: ألم أتقدم إليكم على لسان الرسل يا بني آدم؟ وقيل المراد بالعهد هنا: الميثاق المأخوذ عليهم حين أخرجوا من ظهر آدم، وقيل: هو ما نصبه الله لهم من الدلائل العقلية التي في سماواته وأرضه.

٦١ ﴿وَأَنْ أَعْبُدُونِي﴾ أي: ألم أعهد إليكم بترك عبادة الشيطان وعبادتي ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ الإشارة إلى دين الإسلام.

٦٢ ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا﴾ أي إن الشيطان قد أغوى خلقا كثيرا

﴿أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾ عداوة الشيطان لكم.

٦٣ ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ بها في الدنيا على ألسنة الرسل.

٦٤ ﴿أَصَلُّوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ أي: قاسوا حرها اليوم، وادخلوها، وذوقوا أنواع العذاب فيها بسبب كفركم بالله في الدنيا، وطاعتكم للشيطان، وعبادتكم للأوثان.

٦٥ ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ﴾ ختم لا

يقدرُونَ معه على الكلام ﴿وَنُكَلِّمُنَا أَيْدِيَهُمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلَهُمْ بِمَا كَانُوا



يصح له الشعر، ولا يتأتى منه، ولا يسهل عليه لو طلبه، كما جعله الله أمياً لا يقرأ ولا يكتب **﴿إن هو إلا ذكر﴾** أي: ما القرآن إلا ذكر من الأذكار، وموعظة من المواعظ **﴿وقرآن مبين﴾** أي: كتاب من كتب الله السماوية، مشتمل على الأحكام الشرعية.

٧٠ **﴿لينذر﴾** القرآن **﴿من كان حياً﴾**

أي: قلبه صحيح يقبل الحق ويأبى الباطل **﴿ويحق القول على الكافرين﴾** أي: وتجب كلمة العذاب على المصيرين على الكفر، الممتنعين من الإيمان بالله وبرسله.

٧١ **﴿أولم يروا أنا خلقناهم مما عملت**

أيدينا أنعاماً﴾ أي: أولم يعلموا بالتفكر والاعتبار أنا خلقنا لأجلهم مما أبدعناه وعملناه من غير واسطة ولا شركة، البقر والغنم والابل **﴿فهم لها مالكون﴾** أي: ضابطون قاهرون، يتصرفون بها كيف شاءوا، ولو خلقناها وحشية لنفرت عنهم، ولم يقدروا على ضبطها.

٧٢ **﴿وذللناها لهم﴾** أي جعلناها لهم

مسخرة، لا تمتنع مما يريدون منها من منافعهم، حتى الذبح، ويقودها الصبي فتتقاد له، ويزجرها فتزجر **﴿فنها ركوبهم﴾** أي فنها مركوبهم الذي يركبونه **﴿ومنها يأكلون﴾** أي: من لحمها.

٧٣ **﴿ولهم فيها منافع﴾** من أصوافها

وأوبارها وأشعارها وكذلك الحمل عليها والحراثة بها **﴿ومشارب﴾** أي ويشربون منها لبناً حليماً، ولبناً رائباً، وغير ذلك مما يحصل من ألبانها.

٧٤ **﴿واتخذوا من دون الله آلهة﴾** من

الأصنام ونحوها يعبدونها، ولا قدرة لها على شيء، ولم يحصل لهم منها فائدة، ولا عاد عليهم من عبادتها عائدة.

تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ

لأقعدناهم فلا يستطيعون أن يمضوا أمامهم ولا يرجعوا وراءهم، وقيل المعنى: لو نشاء لمسخناهم في المكان الذي فعلوا فيه المعصية.

٦٨ **﴿ومن نعمه ننكسه في الخلق﴾** أي من نطل عمره نغير خلقه، ونجعله على عكس ما كان عليه أولاً من القوة والطراوة، فصار بدل القوة الضعف، وبديل الشباب الهرم.

٦٩ **﴿وما علمناه الشعر﴾** نفى كون القرآن شعراً، ثم نفى أن يكون النبي شاعراً، فقال **﴿وما ينبغي له﴾** أي: لا

يكسبون﴾ ليعلموا أن أعضاءهم التي كانت أعواناً لهم في معاصي الله صارت شهوداً عليهم.

٦٦ **﴿ولو نشاء لطمسنا على أعينهم﴾**

أي: أذهبنا أعينهم، وجعلناها بحيث لا يبدو لها شق ولا جفن، فتركناهم عمياً يترددون، لا يبصرون طريق الهدى **﴿فاستبقوا الصراط﴾** أي: تبادروا إلى الطريق ليجوزوه ويمضوا فيه.

٦٧ **﴿ولو نشاء لمسخناهم على**

مكانتهم﴾ أي: لو شئنا لبذلنا خلقهم على المكان الذي هم فيه، قال الحسن أي:

يُنْصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ
مُحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنََّّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ
وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ
نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا
وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾
قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ
عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا
أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ
الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ
كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ
شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

٧٥ ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾ أي: ولكن الثابت بطلان ما رجوه منها وأملوه من نفعها ﴿وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ﴾ أي: والكفار جند للأصنام محضرون، أي يحضرونهم في الدنيا ينتصرون للأصنام، أما هي فلا تستطيع نصرهم.

٧٦ ﴿فَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ﴾ فإنهم لا بد أن يقولوا: هؤلاء آلهتنا، وإنها شركاء الله في العبودية، ونحو ذلك ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ أي: سوف نجزيهم بذلك.

٧٧ ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ أي: ألم ير الإنسان أنا خلقناه من أضعف الأشياء، ففاجأ خصومتنا في أمر قد قامت فيه عليه حجج الله وبراهينه.

٧٨ ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ أي: أورد في شأننا قصة غريبة كالمثل: وهي إنكاره إحياءنا للعظام، ونسي خلقنا إياه فـ ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ قاس قدرة الله على قدرة العبد، فأنكر أن الله يحيي العظام البالية، حيث لم يكن ذلك في مقدور البشر.

٧٩ ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي ابتدأها وخلقها أول مرة من غير شيء ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ لا يخفى عليه خافية، ولا يخرج عن علمه خارج كائنا ما كان.

٨٠ ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا﴾ نبتة سبحانه على وحدانيته، ودل على قدرته على إحياء الموتى، بما يشاهدونه من إخراج النار المحرقة من العود الندي الرطب، وذلك أن الشجر المعروف بالمرخ، والشجر المعروف بالقار، إذا قطع منها عودان، وضرب أحدهما على الآخر، انقدحت منها النار، وهما أخضران | ويحتمل أن المعنى أن الله تعالى يستر لكم الانتفاع

على ذلك، وهو الكثير الخلق، البالغ العلم، على أكمل وجه وأتمه.

٨٢ ﴿أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ أي: إنما شأنه سبحانه إذا تعلقت إرادته بشيء من الأشياء أن يقول له ﴿كُنْ﴾ فإذا هو كائن، من غير توقف على شيء آخر أصلاً.

٨٣ ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ ملكية الأشياء كلها له، وعنده القدرة على التصرف فيها كما يريد وبإيده مفاتيح كل شيء ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ لا إلى غيره وذلك في الدار الآخرة بعد البعث.

بالحطب، تحرقونه للطبخ والدفء، وقد كان أخضر رطباً] ﴿فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾ أي تقدحون منه النار، وتوقدونها من ذلك الشجر [بعد أن كان أخضر].

٨١ ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ أي: إن من قدر على خلق السماوات والأرض، وهما في غاية العظم وكبر الأجزاء، يقدر على إعادة خلق البشر الذي هو صغير الشكل ضعيف القوة ﴿بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ أي: بلى هو قادر

واحد.

٦ ﴿إِنَّا زِينَا السَّاءَ الدُّنْيَا﴾ وهي أقرب السماوات إلى الأرض ﴿بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾ أي جلنا السماء الدنيا لنظر العباد بزينة جميلة هي الكواكب فإنها في أعين الناظرين لها كالجواهر المتلألئة.

٧ ﴿وَحَفَظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ﴾ أي متمرد خارج عن الطاعة يُرمى بالكواكب.

٨، ٩ ﴿لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى﴾ الملائكة الأعلى: أهل السماء الدنيا فافوقها، لا تقدر الشياطين أن يسمعو حديثهم لأنهم يرمون بالشهب ﴿وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُحُورًا﴾ أي: يُرمون من كل جانب من جوانب السماء بالشهب إذا أرادوا الصعود لاستراق السمع [طردا لهم عما يقصدون إليه] ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ دائم لا ينقطع، وقيل الواصب: المؤلم الشديد الوجع، وهو في الآخرة غير العذاب الذي لهم في الدنيا من الرمي بالشهب.

١٠ ﴿إِلَّا مَنْ خُطِفَ الْخَطْفَةَ﴾ يخطف الواحد منهم خطفة مما يتفاوض فيه الملائكة ويدور بينهم، مما سيكون في العالم قبل أن يعلمه أهل الأرض ﴿فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ نجم مضيء فيحرقه، وربما لا يحرقه، فيلقي إلى إخوانه الكهان ما خطفه.

١١ ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهْمُ أَشَدَّ خَلْقًا أَمْ مِنْ خَلْقِنَا﴾ أي: أسأل الكفار المنكرين للبعث: أهم أشد خلقا وأقوى أجساما وأعظم أعضاء أم من خلقنا من السماوات والأرض والملائكة؟ ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾ اللزب: اللزج الذي يلصق باليد، أي: كيف يستبعدون المعاد وهم مخلوقون من هذا الخلق الضعيف؟ ولم ينكره من هو مخلوق خلقا أقوى منهم وأعظم وأكمل وأتم.

(٣٧) سُورَةُ الصَّافَّاتِ مَكِّيَّةٌ وَأَنبَأَتْهَا ثِنْتَانِ وَثَمَانُونَ وَمِائَتَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ۝ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ۝ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ۝ إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ ۝ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ۝ إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ۝ وَحِفَظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ۝ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ۝ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝ إِلَّا مَنْ خُطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۝ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهْمُ أَشَدَّ خَلْقًا أَمْ مِنْ خَلْقِنَا ۝ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ

٣ ﴿فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾ الملائكة التي تتلو القرآن.

٤ ﴿إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ يُقسم الله بهذه الأقسام على أنه واحد ليس له شريك.

٥ ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ المعنى في الآية أن وجود هذه المخلوقات على هذا الشكل البديع من أوضح الدلائل على وجود الصانع وقدرته، وأنه رب ذلك كله، أي: خالقه ومالكه ﴿وَرَبُّ

الْمَشَارِقِ﴾ مشارق الشمس، فللشمس كل يوم مشرق ومغرب بعدد أيام السنة، تطلع كل يوم من واحد منها، وتغرب من

سُورَةُ الصَّافَّاتِ

١ ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾ هي الملائكة التي تصف في السماء كصفوف الخلق في الصلاة في الدنيا، وقيل: إنها تصف أجنتها في الهواء كالطيور، واقفة فيه حتى يأمرها الله بما يريد.

٢ ﴿فَالزَّاجِرَاتِ﴾ الملائكة، إما لأنها تزجر السحاب، تقول: زجرت الإبل والغنم: إذا أفرعتها بصوتك.

لَا زِيْبَ ۝ (١١) بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ۝ (١٢) وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ۝ (١٣) وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخَرُونَ ۝ (١٤) وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝ (١٥) أَوْ إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَعْنَا لَمَبْعُوثُونَ ۝ (١٦) أَوْ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ۝ (١٧) قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ۝ (١٨) فَلَمَّا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ۝ (١٩) وَقَالُوا يَوَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ ۝ (٢٠) هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِءُ تَكْذِبُونَ ۝ (٢١) * أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ۝ (٢٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ۝ (٢٣) وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ۝ (٢٤) مَا لَكُمْ لَا تَنْصَرُونَ ۝ (٢٥) بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ۝ (٢٦) وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝ (٢٧) قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ۝ (٢٨) قَالُوا بَلْ لَمْ

١٢ ﴿بل عجبت﴾ يا محمد من قدرة الله سبحانه ﴿ويسخرون﴾ منك بسبب تعجبك، أو: ويسخرون منك بما تقوله من إثبات المعاد.

١٣ ﴿وإذا ذكروا لا يذكرون﴾ أي: وإذا وعظوا بموعظة من مواعظ الله أو مواعظ رسوله، لا يتعظون بها ولا ينتفعون بها فيها.

١٤ ﴿وإذا رأوا آية﴾ أي: معجزة من معجزات رسول الله ﷺ ﴿يستسخرون﴾ أي: يبالغون في السخرية. وقيل معنى يستسخرون: يستدعون السخرية من غيرهم.

١٥ ﴿وقالوا إن هذا إلا سحر مبين﴾ أي: ما هذا الذي تأتينا به إلا سحر واضح ظاهر.

١٦ ﴿أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما﴾ أي: أتبعث إذا متنا؟

١٧ ﴿أو آباؤنا الأولون﴾ أي: أو آباؤنا الأولون مبعوثون؟

١٨ ﴿قل نعم وأنتم داخرون﴾ أي: نعم تبعثون وأنتم صاغرون ذليلون.

١٩ ﴿فإنما هي زجرة واحدة﴾ أي: إنما البعث صيحة واحدة من إسرافيل بنفخه في الصور ﴿فإذا هم ينظرون﴾ أي: يبصرون ما يفعل الله بهم من العذاب.

٢٠ ﴿وقالوا يا ويلنا﴾ أي: سيقول أولئك المكذبون إذا عاينوا البعث الذي كانوا يكذبون به في الدنيا: يا ويلنا، دعوا بالويل على أنفسهم ﴿هذا يوم الدين﴾ تجاوز في أفعالنا من الكفر والتكذيب للرسول. فأجابهم الملائكة بقولهم:

٢١ ﴿هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون﴾ الفصل: الحكم والقضاء، لأنه يفصل فيه بين المحسن والمسيء.

٢٢، ٢٣ ﴿أحشروا الذين ظلموا وأزواجهم﴾ هو أمر من الله سبحانه

بعد ذلك.

٢٥ ﴿ما لكم لا تنصرون﴾ أي يقال لهم: ما بالكم لا ينصر بعضكم بعضا كما كنتم في الدنيا؟

٢٦ ﴿بل هم اليوم مستسلمون﴾ أي: لعجزهم عن الحيلة.

٢٧ ﴿وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾ قيل: هم الأتباع والرؤساء يسأل بعضهم بعضا سؤال توبيخ وتقريع ومخاصمة.

٢٨ ﴿قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين﴾ أي: توهمونا أن الدين والحق هو

للملائكة بأن يحشروا المشركين، وأزواجهم وهم أشباههم في الشرك، والمتابعون لهم في الكفر، والمشايعون لهم في تكذيب الرسل. وقال الضحاك: أزواجهم قرناؤهم من الشياطين، يحشر كل كافر مع شيطانه ﴿وما كانوا يعبدون من دون الله﴾ من الأصنام والشياطين ﴿فاهدوهم إلى صراط الجحيم﴾ أي عرفوا هؤلاء المحشورين طريق النار وسوقوهم إليها.

٢٤ ﴿وقفوهم إنهم مسئولون﴾ أي احبسوهم للحساب، ثم سوقوهم إلى النار



تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ
بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَافِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا
لَذَاقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ
يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ
بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ إِنَّا لِلنَّارِ كَوَاةٌ إِلَيْنَا لَشَاعِرٍ
مُجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾
إِنَّكُمْ لَذَاقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمَ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ
رِزْقٌ مَعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَكِهٌ وَهُمْ مُكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتٍ
الْنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ
مِنْ مَعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيضَاءُ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ

ما تذلوننا به .

٢٩ ﴿قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ أي :

٣٠ ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾
من تسلط بقهر وغلبة، حتى ندخلكم في
الإيمان، ونخرجكم من الكفر ﴿بَلْ كُنْتُمْ
قَوْمًا طَافِينَ﴾ أي : متجاوزين الحد في
الكفر والضلال .

٣١ ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا
لَذَاقُونَ﴾ أي : وجب علينا وعليكم
ولزمنا قول ربنا، يعنون قوله : (لأملأن
جهنم منكم ومن تبعك منهم أجمعين)،

فلتذوقن ما وعدنا به .

٣٢ ﴿فَأَغْوَيْنَاكُمْ﴾ أي : أضللناكم عن
الهدى، ودعوناكم إلى ما كنا فيه من
الغنى والكفر ﴿إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ﴾ فأقروا
ها هنا بأنهم تسبوا لأغوائهم، ونفوا عن
أنفسهم أنهم قهروهم وغلبوهم، وقالوا
(وما كان لنا عليكم من سلطان) .

٣٣ ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ
مُشْتَرِكُونَ﴾ أي : التابعون والمتبعون
اشتركوا في العذاب، ولم ينف بعضهم عن
بعض شيئا، كما كانوا مشتركين في
الغواية .

٣٤ ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ وهم
المشركون .

٣٥ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن القبول
والاتباع .

٣٧ ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ﴾ بالقرآن المشتمل
على التوحيد والوعد والوعيد ﴿وَصَدَّقَ
الْمُرْسَلِينَ﴾ فيما جاءوا به من التوحيد
والوعد، وإثبات الدار الآخرة، ولم
يخالفهم، ولا جاء بشيء لم تأت به
الرسالة قبله .

٣٩ ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾
من الكفر والمعاصي .

٤٠ ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ أي الذين
أخلصهم الله لطاعته وتوحيده، لا يذوقون
العذاب .

٤١ ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ﴾ أي :
لهؤلاء المخلصين رزق يرزقهم الله إياه،
معلوم في حسنه وطيبه وعدم انقطاعه في
الجنة، وهو أن يعطوا منه بكرة وعشية .

٤٢ ﴿فَوَاكِهَ﴾ الفواكه : الثمار كلها لأنها
أطيب ما يأكلونه وألذ ما تشتهي أنفسهم
﴿وَهُمْ مُكْرَمُونَ﴾ أي : ولهم من الله
عز وجل إكرام عظيم برفع درجاتهم عنده،
وسماع كلامه ولقائه في الجنة .

٤٤ ﴿عَلَى سُرُرٍ﴾ أي : أسرة يتكئون عليها
﴿مُتَقَابِلِينَ﴾ ينظر بعضهم إلى وجوه
بعض، كل منهم مسرور بقاء أخيه، لا
ينظر بعضهم في قفا بعض .

٤٥ ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾
أي : من خمر تجري كما تجري العيون على
وجه الأرض . والمعين الماء الجاري .

٤٦ ﴿بَيضَاءُ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ لذة : أي
لذيذة . قال الحسن : خمر الجنة أشد بياضا
من اللبن، له لذة لذيدة .

٤٧ ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ أي : لا تغتال
عقولهم فتذهب بها، ولا يصيبهم منها
مرض ولا صداع .

وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِنْدَهُمْ قَصِرَاتُ الطَّرَفِ
عَيْنٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى
بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي
قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَأِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَإِذَا مِتْنَا
وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذْنَا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ
مُطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءٍ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ
تَاللَّهِ إِن كِدْتَ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ
مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَأَنْخُبُ بِمِيتَيْنِ لَا مَوْتَنَا
الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَوْزُ
الْعَظِيمُ ﴿٥٩﴾ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَذَلِكَ
خَيْرٌ زُلًّا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُومِ ﴿٦١﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً
لِّلظَّالِمِينَ ﴿٦٢﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٣﴾

﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾ فنفى الله عز وجل
عن خمر الجنة الآفات التي تلحق في الدنيا
من خمرها من الصداق والسكر.

٤٨ ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرَفِ﴾ أي :
نساء قصرن طرفهن على أزواجهن، فلا
يردن غيرهم ﴿عَيْنٌ﴾ كبار الأعين
جسائنها.

٤٩ ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ شبهن
ببيض النعام، تكتنن النعامة بالريش من
الريح والغبار، فلو أنه أبيض في صفة،
وهو أحسن ألوان النساء.

٥٠ ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ
يَتَسَاءَلُونَ﴾ أي : يسأل هذا ذاك، وذاك
هذا، حال شربهم، عن أحوالهم التي
كانت في الدنيا، وذلك من تمام نعيم
الجنة.

٥١ ﴿إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾ أي : صاحب
لي في الدنيا كافر بالبعث منكر له.

٥٢ ﴿إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا
لَمُدِينُونَ﴾ أي مجزيون بأعمالنا، ومحاسبون
بها بعد أن صرنا ترابا وعظاما؟

٥٣ ﴿قَالَ﴾ المؤمن ﴿هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ﴾
أي : اطلعوا معي إلى أهل النار لأريكم
ذلك القرين الذي قال لي تلك المقالة،
كيف منزلته في النار؟

٥٤ ﴿فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءٍ الْجَحِيمِ﴾
أي : فاططلع على النار ذلك المؤمن، فرأى
قرينه في وسط الجحيم.

٥٥ ﴿قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدْتَ لَتُرْدِينِ﴾ أي
قد كدت تهلكني بالإغواء، وقيل :
لتردين : أي لتوقعني في النار.

٥٦ ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ
الْمُحْضَرِينَ﴾ أي : لولا رحمة ربي وإنعامه

عليّ بالإسلام، وهدايتي إلى الحق،
وعصمتي عن الضلال، لكنت من
المحضرين معك في النار. ثم عاد إلى
مخاطبة جلسائه من أهل الجنة فقال :

٥٧ ﴿أَفَأَنْخُبُ بِمِيتَيْنِ﴾ أي : أنخب

٦١ ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ فإن

هذه هي التجارة الراجعة، لا العمل للدنيا
الزائلة.

٦٢ ﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ زُلًّا﴾ أي كرامة
وضيافة ﴿أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُومِ﴾ هي شجرة
لها ثمر مرّ كربه يكره أهل النار على
تناوله فهم يتزقونه، هو تزقونهم وضياقتهم.

٦٣ ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ﴾ حين
افتتنوا بها وكذبوا بوجودها فقالوا : كيف
تكون في النار شجرة؟

٦٤ ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ
الْجَحِيمِ﴾ أي في قعرها، وأغصانها ترفع

مخلدون منعمون فما نحن بميتين؟

٥٩ ﴿إِنَّا مَوْتَنَا الْأُولَى﴾ التي في الدنيا
وقوله هذا كان على طريقة الابتهاج

والسرور بما أنعم الله عليهم من نعيم الجنة
الذي لا ينقطع، وأنهم مخلدون لا يموتون
أبدا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ كما يعذب
الكفار.

٦٠ ﴿إِن هَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ أي :
إن هذا الأمر العظيم، والنعيم المقيم،
والخلود الدائم الذي نحن فيه، هو الفوز
العظيم الذي لا يقادر قدره، ولا يمكن
الإحاطة بوصفه.

طَلَعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَأَكْلُونَ مِنْهَا
 فَأَكُلُونِ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ
 حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ
 أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰ آثَرِهِمْ
 يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾
 وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُّنْذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
 الْمُنْذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمَخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ
 نَادَيْنَا نُوحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ
 الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾
 وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ نُوحٍ فِي
 الْعُلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُ
 مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٨٢﴾

إلى دركاتها.

٦٥ ﴿طَلَعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾

أي: ثمرها وما تحمله كأنه في تنامي قبحه وشناعة منظره رؤوس الشياطين، فشبه المحسوس بالمتخيل، وإن كان غير مرئي، للدلالة على أنه غاية في القبح.

٦٦ ﴿فَإِنَّهُمْ لَأَكْلُونَ مِنْهَا﴾

الشجرة، أو من طلوعها ﴿فَالثُّونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ يكرهون على أكلها حتى تمتلئ بطونهم، فهذا طعامهم وفاكهتهم بدل رزق أهل الجنة.

٦٧ ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا﴾ بعد الأكل منها

﴿لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ﴾ يُخَلِّطُ لَهُمْ طَعَامَهُمْ

من تلك الشجرة بالماء الحار ليكون أقطع لعذابهم وأشنع لحاقهم.

٦٨ ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾

أي: مرجعهم بعد شرب الحميم وأكل الزقوم إلى الجحيم، وذلك أنهم يوردون الحميم لشربه، ثم يردون إلى الجحيم.

٦٩ ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ﴾

أي: صادفهم كذلك، فاقتدوا بهم تقليدا وضلالة، لا لحجة أصلا.

٧٠ ﴿فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾ يتبعون

آباءهم في سرعة كأنهم يُرْعَجُونَ إلى اتباع

آبائهم.

٧١ ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ﴾

من الأمم الماضية.

٧٢ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُّنْذِرِينَ﴾ أي:

أرسلنا في هؤلاء الأولين رسلا أنذروهم العذاب، وبينوا لهم الحق، فلم ينجع ذلك فيهم.

٧٣ ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ

الْمُنْذَرِينَ﴾ أي: الذين أنذرتهم الرسل، فإنهم صاروا إلى النار.

٧٤ ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمَخْلَصِينَ﴾ أي: إلا

من أخلصهم الله بتوفيقهم إلى الإيمان والتوحيد.

٧٥ ﴿فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ أي: نحن، المراد

أن نوحا دعا ربه على قومه لما عصوه، فأجاب الله دعاءه، وأهلك قومه بالطوفان.

٧٦ ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ

الْعَظِيمِ﴾ المراد بأهله أهل دينه، وهم من آمن معه، قيل: وكانوا ثمانين، والكرب العظيم: هو الفرق.

٧٧ ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾

وحدهم دون غيرهم، لأن الله أهلك الكفرة بدعائه، ولم يبق منهم باقية، ومن كان معه في السفينة من المؤمنين ماتوا كما قيل، ولم يبق إلا أولاده وذريته.

٧٨ ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ يعني

في الذين يأتون بعده إلى يوم القيامة من الأمم، والمتروك هذا هو قوله:

٧٩ ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ﴾ أي يشنون عليه

ثناء حسنا ويدعون له ويترحمون عليه، وإذا ذكروه قالوا: (نوح عليه السلام).

٨٠ ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ أي:

إننا كذلك نجزي من كان محسنا في أقواله وأفعاله، راسخا في الإحسان معروفا به.

٨١ ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ كان

عبدا مؤمنا مخلصا لله.

* وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ
 سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾
 أَتُفَكِّكُمُ هَاهُنَا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ
 الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي
 سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِتِهِمْ
 فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ
 عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ
 أَتَعْبُدُونَ مَا تَحْتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾
 قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِ
 كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ
 رَبِّي سَيَّهِدُكُمْ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾
 فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ

٨٣ ﴿وإن من شيعته لإبراهيم﴾ أي: من أهل دينه، ومن شايعه ووافقه على الدعاء إلى الله، وإلى توحيده والإيمان به.

٨٤ ﴿إذ جاء ربه بقلب سليم﴾ القلب السليم: المخلص من الشرك والشك، الناصح لله في خلقه.

٨٦ ﴿أتفككوا آلهة دون الله تريدون﴾ أتريدون آلهة من دون الله للإفك، والإفك أسوأ الكذب.

٨٧ ﴿فما ظنكم برب العالمين﴾ إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره، وما ترونه يصنع بكم؟

٨٨، ٨٩ ﴿فنظر نظرة في النجوم﴾ فقال إني سقيم﴾ قيل كانوا يتعاطون علم النجوم، فعاملهم بذلك لئلا ينكروا عليه، وذلك أنه أراد أن يكايدهم في أصنامهم لتلزمهم الحجة في أنها غير معبودة، وكان لهم من الغد يوم عيد يخرجون إليه، وأراد أن يتخلف عنهم، فاعتل بالسقم.

٩٠ ﴿فتولوا عنه مدبرين﴾ أي تركوه وذهبوا إلى عيدهم.

٩١ ﴿فراغ إلى آلهتهم﴾ انحراف إليهم ﴿فقال ألا تأكلون﴾ أي: فقال إبراهيم للأصنام التي راغ إليها، استهزاء وسخرية: ألا تأكلون؟ أي من الطعام الذي كانوا يصنعونه لها.

٩٢ ﴿ما لكم لا تنطقون﴾ قد علم أنها جمادات لا تنطق.

٩٣ ﴿فراغ عليهم ضرباً باليمين﴾ أي: قال عليهم بيده اليمنى يضربهم بها.

٩٤ ﴿فأقبلوا إليه يزفون﴾ أي: أقبل إليه عبدة تلك الأصنام يسرعون، لما علموا بما صنعه بها.

٩٥ ﴿قال أتعبدون ما تحتون﴾ أي: أتعبدون أصناماً أنتم تحتونها؟

٩٦ ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ أي: وخلق الذي تصنعونه على العموم، ويدخل فيها الأصنام التي ينحتونها،

ويكون معنى العمل هنا: التصوير والنحت ونحوهما. لرسله، إلى حيث أمرني بالمهاجرة إليه، أو إلى حيث أتمكن من عبادته.

٩٧ ﴿قالوا ابنوا له بنياناً فألقوه في الجحيم﴾ تشاوروا فيما بينهم أن يبنيوا له حائطاً من حجارة، ويملاؤه حطباً، ويضرموه، ثم يلقوه فيه.

٩٨ ﴿فأرادوا به كيداً فجعلناهم الأسفلين﴾ فإن النار صارت بعد إلقائه عليها برداً وسلاماً، ولم تؤثر فيه أقل تأثير.

٩٩ ﴿وقال إني ذاهب إلى ربي﴾ أي: مهاجر من بلد قومي الذين فعلوا ما فعلوا تعصبا للأصنام، وكفراً بالله، وتكذيباً

١٠٠ ﴿رب هب لي من الصالحين﴾ أي: ولداً صالحاً يعينني على طاعتك، ويؤنسني في الغربة.

١٠١ ﴿فبشرناه بغلام حليم﴾ يكبر ويصير حليماً. فهذه البشارة تدل على أنه مبشر بابن ذكر، وأنه يبقى حتى ينتهي في السن ويوصف بالحلم.

١٠٢ ﴿فلما بلغ معه السعي﴾ أي شب وأدرك سعيه سعي إبراهيم. وقال مقاتل: لما مشى معه. قال الفراء: كان يومئذ

يَبْنِيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى^ج
 قَالَ يَتَأَبَّتُ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ
 الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَدَيْنَاهُ
 أَنْ يَلْإِبرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي
 الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾
 وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾
 سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾
 إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنْ
 الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا
 مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَى مُوسَى
 وَهَارُونَ ﴿١١٤﴾ وَجَعَلْنَاهُمَا قَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾
 وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَاهُمَا

١٠٤، ١٠٥ ﴿ونادينا أن يا إبراهيم

قد صدقت الرؤيا﴾ لما أضجعه للذبح
 نودي من الجبل: يا إبراهيم قد صدقت
 الرؤيا، وجعله مصدقا بمجرد العزم وإن لم
 يذبحه، لأنه قد أتى بما أمكنه ﴿إنا
 كذلك نجزي المحسنين﴾ بالخلاص من
 الشدائد، والسلامة من المحن.

١٠٦ ﴿إن هذا هو البلاء المبين﴾ إن

هذا هو الاختبار الظاهر نجاح إبراهيم
 فيه، حيث اختبره الله في طاعته بذبح
 ولده.

١٠٧ ﴿وفدينا بذبح عظيم﴾ أنزل عليه

كبشاً فذبحه إبراهيم فداء عن ابنه.

١٠٨، ١٠٩ ﴿وتركنا عليه في الآخرين

الآخرين. سلام على إبراهيم﴾ أي: في
 الأمم الآخرة التي تأتي بعده، والسلام:
 الثناء الجميل.

١١١ ﴿إنه من عبادنا المؤمنين﴾ أي

الذين أعطوا العبودية حقها، ورسخوا في
 الإيمان بالله وتوحيده.

١١٢ ﴿وبشرناه بإسحاق نبيا من

الصالحين﴾ أي بشره بولد آخر يكون نبياً
 جزاء على طاعته لله في ذبح وحيدته
 إسماعيل.

١١٣ ﴿وباركنا عليه وعلى إسحاق﴾

بمرادفة نعم الله عليها، وقيل: كثرنا
 ولدهما ﴿ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه
 مبين﴾ بين أن كون الذرية من هذا
 العنصر الشريف، والمحتد المبارك، ليس
 بنافع لهم، بل إنما ينتفعون بأعمالهم، لا
 بآبائهم، فإن اليهود والنصارى وإن كانوا
 من ولد إسحاق صاروا إلى ماصاروا إليه
 من الضلال البين.

١١٥ ﴿وجعلناهما قومه من الكرب

العظيم﴾ هو ما كانوا فيه من استعباد
 فرعون إياهم، وقيل: هو الفرق الذي
 أهلك فرعون وقومه.

آخر هو إسحاق] ﴿فانظر ماذا ترى﴾
 وإنما شاوره ليعلم صبره لأمر الله، وإلا
 فرؤيا الأنبياء وحي، وامتنالها لازم ﴿قال
 يا أبت افعل ما تؤمر﴾ مما أوحى إليك
 من ذبحي.

١٠٣ ﴿فلما أسلما﴾ أي: استسلما لأمر
 الله وأطاعاه وانقادا له وفوضا أمرهما إلى
 الله: أسلم أحدهما نفسه لله، وأسلم
 الآخر ابنه ﴿وتله للجبين﴾ كبه على
 وجهه كيلا يرى منه ما يؤثر الرقة لقلبه.
 والموضع الذي أراد ذبحه فيه هو المنحر
 بنى عند الجمار، وقيل بالشام.

ابن ثلاث عشرة سنة ﴿قال يا بني إني
 أرى في المنام أني أذبحك﴾ المأمور بذبحه
 هو ابنه إسماعيل، فإنه ذكر البشارة
 بالغلام الحليم، وذكر أنه الذبيح، وقال:
 بعد ذلك (وبشرناه بإسحاق نبيا من
 الصالحين) [ومما يدل على ذلك أن في
 التوراة «اذبح بكرك وحيدك إسحاق»
 فكلمة إسحاق من زياداتهم وتحريفهم
 لكتاب الله، وإلا فإن (إسحاق) لم يكن
 بكر إبراهيم، ولم يكن وحيداً، بل الذي
 كان كذلك هو إسماعيل. ثم لما بدّل
 إبراهيم ابنه للذبح وأطاع، أعطاه الله ولداً

الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَهُمَا الصِّرَاطَ
الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَّمَ عَلَى
مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾
إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنْ إِلَاسَ لِمَنْ
الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تُتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ
بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ
آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾
إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾
سَلَّمَ عَلَى آلِ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي
الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنْ
لَوْطَا لِمَنْ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾
إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخِرِينَ ﴿١٣٦﴾

١١٧ ﴿وَاتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ﴾
المراد بالكتاب التوراة، والمستبين البين
الظاهر.

١١٨ ﴿وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾
وهو دين الإسلام، فإنه الطريق الموصلة
إلى المطلوب.

١١٩، ١٢٠ ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي
الْآخِرِينَ. سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾
أي أبقينا عليهما في الأمم المتأخرة الثناء
الجميل.

١٢١، ١٢٢ وقد قدمنا تفسير ﴿إِنَّا
كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا
الْمُؤْمِنِينَ﴾ في هذه السورة.

١٢٣ ﴿وَإِنْ إِلَاسَ لِمَنْ الْمُرْسَلِينَ﴾ هو
نبي من أنبياء بني إسرائيل.

١٢٤ ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تُتَّقُونَ﴾ أي:
هلا اتقيتم الله فعبدتموه وتركتم ما ينهاكم
الله عنه من الشرك والمعاصي.

١٢٥ ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ هم اسم لصنم
كانوا يعبدونه، وقيل: البعل بمعنى الرب،
أي: أتدعون صنما عملتموه ربا؟ ﴿وَتَذَرُونَ
أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾ أي: وتركتم عبادة
[الله تعالى الذي صنوكم وهو أحسن
المصورين].

١٢٦ ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ
الْأَوَّلِينَ﴾ [أي هو الذي يربيكم بنعمه
بعد أن أوجدكم من العدم أنتم
وأجدادكم.] فهو الذي تحقق له العبادة.

١٢٧ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ أي:
فإنهم بسبب تكذيبه لمحضرون في العذاب.

١٢٨ ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ أي:
من كان مؤمنا به من قومه، [عابداً لله
قد أخلص له العبادة، فأولئك ينجون من
العذاب].

١٢٩، ١٣٠ ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي
الْآخِرِينَ. سَلَامٌ عَلَى آلِ يَاسِينَ﴾
المراد: إلياس، فأضيفت إليه ياء ونون
لأنه أعجمي، نظيره طور سيناء وطور

الصباح.

سينين.

١٣٨ ﴿وَبِاللَّيْلِ﴾ تَمْرُونَ على منازلهم في
ذهابكم إلى الشام ورجوعكم منه ليلاً
كما تَمْرُونَ بها نهاراً ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ بما
تشاهدونه في ديارهم من آثار عقوبة الله
النازلة بهم، فتخافوا من مثل مصيرهم.

١٣٩ ﴿وَإِنْ يُونُسَ لِمَنْ الْمُرْسَلِينَ﴾
يونس: هو ذو النون، وهو ابن متى. قال
المفسرون: كان يونس قد وعد قومه
العذاب، فلما تأخر عنهم العذاب خرج
عنهم وقصد البحر، وركب السفينة،
فكان كالفار من مولاه، فوصف بالإباق.

١٣١، ١٣٢ وقد تقدم تفسير ﴿إِنَّا
كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا
الْمُؤْمِنِينَ﴾ مستوفى.

١٣٥ ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾ إلا
عجوزا بقيت في الباقيين في العذاب، وهي
زوجة لوط.

١٣٦ ﴿ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخِرِينَ﴾ أي: أهلكنا
بالعقوبة الباقيين من قومه الذين لم يؤمنوا به.

١٣٧ ﴿وَإِنَّا لَنَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ﴾
خاطب بهذا أهل مكة، أي: تَمْرُونَ على
منازلهم التي فيها آثار العذاب في وقت



وَأَنكُرَ لَنَمُوتَنَ عَلَيْهِمْ مُّصِيبِينَ ۖ ﴿١٤٧﴾ وَيَالَيْلٍ ۖ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ ۚ ﴿١٤٨﴾ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۚ ﴿١٤٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى
الْفُكِّ الْمَشْحُونِ ۚ ﴿١٥٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ۚ ﴿١٥١﴾
فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ۚ ﴿١٥٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ
الْمُسَبِّحِينَ ۚ ﴿١٥٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۚ ﴿١٥٤﴾
* فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ۚ ﴿١٥٥﴾ وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً
مِّنْ يَقْطِينٍ ۚ ﴿١٥٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ۚ ﴿١٥٧﴾
فَعَامَنُوا فَتَعَنَّاهُمْ إِلَى حِينٍ ۚ ﴿١٥٨﴾ فَاسْتَفْتِهِمُ الرِّيبُ
الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ۚ ﴿١٥٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا وَهُمْ
شَاهِدُونَ ۚ ﴿١٦٠﴾ أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ۚ ﴿١٦١﴾ وَلَدَّ اللَّهُ
وَأَنَّهُمْ لَكَذِبُونَ ۚ ﴿١٦٢﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ۚ ﴿١٦٣﴾
مَّا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۚ ﴿١٦٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۚ ﴿١٦٥﴾ أَمْ لَكُمْ

قومه الذين هرب منهم إلى البحر، وجرى
له ما جرى بعد هربه، كما قصه الله
علينا في هذه السورة، وهم أهل نينوى
من أرض الموصل **﴿أو يزيدون﴾** أي بل
هم أكثر من مائة ألف، فكان رسولا
قبل أن يذهب إلى البحر وبعد ذهابه.

١٤٨ ﴿فآمنوا فتنعناهم إلى حين﴾ أي:
وقع منهم الإيمان بعد ما شاهدوا أعلام
نبوته، فتعهم الله في الدنيا إلى حين
انقضاء آجالهم ومنتهى أعمارهم.

١٤٩ ﴿فاستفتهم﴾ يا محمد: أي:
استخبرهم **﴿الربك البنات وهم
البنون﴾** أي: كيف يجعلون لله على تقدير
صدق ما زعموه من الولد أدنى الجنسين
وأوضحهما، وهو الإناث، وهم أعلاهما
وأرفعهما، وهم الذكور؟

**١٥٠ ﴿أم خلقنا الملائكة إناثا وهم
شاهدون﴾** فأضرب عن الكلام الأول
إلى ما هو أشد منه، أي: كيف جعلوهم
إناثا وهم لم يحضروا عند خلقنا لهم،
فبين سبحانه أن مثل ذلك لا يعلم إلا
بالمشاهدة، ولم يشهدوا، فلم يدل دليل
على قولهم من السمع، ولا هو مما يدرك
بالعقل، حتى ينسبوا إدراكه إلى عقولهم.

**١٥١، ١٥٢ ﴿ألا إنهم من إفكهم
ليقولون. ولد الله وإنهم لكاذبون﴾**

فبين سبحانه أن قولهم هذا هو من الإفك
والافتراء، من دون دليل ولا شبهة دليل،
فإنه لم يلد ولم يولد.

**١٥٣، ١٥٤ ﴿أصطفى البنات على
البنين. مالكم كيف تحكمون﴾** أي: هل
اختار البنات وفضلهن على البنين
الذكور، مع أن البنين هم أفضل
الجنسين، فكان سيختارهم لو كان له
ولد [لأنه القادر على ما يريد] سبحانه
عما يقولون.

١٥٥ ﴿أفلا تذكرون﴾ ألا تعتبرون
وتتفكرون فتذكروا بطلان قولكم؟

أي: الذاكرين لله، أو المصلين له.
١٤٤ ﴿للبث في بطنه إلى يوم يبعثون﴾
أي: لصار بطن الحوت له قبرا إلى يوم
القيامة.

١٤٥ ﴿فنبدناه بالعراء وهو سقيم﴾ أمر
الله الحوت فقذفه من فمه، فخرج مريضا
قد تلف جلده.

١٤٦ ﴿وأنبتنا عليه شجرة من يقطين﴾
أي: شجرة فوقه تظل عليه، واليقطين:
هي شجرة الدباء، وهي المسماة (القرع)
حتى اشتد لحمه ونبت شعره.

١٤٧ ﴿وأرسلناه إلى مائة ألف﴾ هم

١٤٠ ﴿إذ أبق إلى الفلك المشحون﴾
وأصل الإباق: هرب العبد من السيد،
لكن لما كان هربه من قومه بغير إذن
ربه وصف به.

١٤١ ﴿فساهم﴾ أي: ضربت القرعة
بين الراكبين ليلقوا بعضهم في البحر خوفا
من غرق السفينة **﴿فكان من
المدحضين﴾** من المغلوبين أي: غلب في
القرعة فألقوه في البحر.

١٤٢ ﴿فالتقمه الحوت وهو مليم﴾ لما
ألقى نفسه في الماء أخذه الحوت.

١٤٣ ﴿فلولا أنه كان من المسبحين﴾

١٥٦ ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ﴾ أي: حجة واضحة ظاهرة على هذا الذي تقولونه.

١٥٧ ﴿فَاتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فاتوا بالكتاب الذي يثبت لكم الحجة ويشتمل عليها.

١٥٨ ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِيبًا﴾ الجنة هم الجن. وقال مجاهد: هم بطن من بطون الملائكة يقال لهم: الجنة، وقال قتادة والكلبي: قالوا لعنهم الله: إن الله صاهر الجن، فكانت الملائكة من أولادهم، والقائل بهذه المقالة اليهود، وقيل: إن القائل بذلك كنانة وخزاعة، قالوا: إن الله خطب إلى سادات الجن فزوجه من سروات بناتهم، فالملائكة بنات الله من سروات بنات الجن تعالى الله عما يقولون **﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الْجَنَّةَ إِنْ كُنْتُمْ مُحْضَرُونَ﴾** أي علموا أن هؤلاء الكفار الذين قالوا هذا القول يحضرون النار ويعذبون فيها، لكذبهم وافتراءهم، ومحتمل أن المراد أن الجن يعلمون أن الله سيحضرهم للحساب ولو كان بينه وبينهم نسب ما، ما أحضرهم لذلك.

١٦٠ ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ أي: لكن عباد الله المخلصين بريئون عن أن يصفوا الله بشيء من ذلك.

١٦١ - ١٦٣ ﴿فَإِنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ. إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾ أي: فإنكم وآلهتكم التي تعبدون من دون الله لستم بمضلين أحدا إلا من قدر الله له أن يصلح الجحيم، وهم المصرون على الكفر.

١٦٤ ﴿وَمَا مَنَا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ هذا من الله تعالى يحكي ما تقوله الملائكة، أي: وما منا ملك إلا له مقام معلوم في عبادة الله.

١٦٥ ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾ ثبت في الصحيح وغيره أن النبي ﷺ «أمر

سُلْطَانٌ مُبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَاتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِيبًا وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الْجَنَّةَ إِنْ كُنْتُمْ مُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴿١٦١﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴿١٦٢﴾ وَمَا مَنَا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴿١٦٣﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١٦٦﴾ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأُولِينَ ﴿١٦٧﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٨﴾ فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٠﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧١﴾ وَإِنْ جُنَدُنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٢﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ﴿١٧٣﴾ وَأَبْصَرَهُمْ فَسَوْفَ يُبْصَرُونَ ﴿١٧٤﴾

المشركين كانوا قبل المبعث المحمدي إذا غيروا بالجهل قالوا:

١٦٨ ﴿لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأُولِينَ﴾ أي: كتابا من كتب الأولين كالنور والإنجيل.

١٦٩ ﴿لَكِنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ أي: لأخلصنا العبادة له، ولم نكفر به. فجاءهم محمد بالذکر،

١٧٠ ﴿فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة كفرهم ومغبتهم.

١٧١ ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ المراد: بالكلمة ما وعدهم الله

الصحابه أن يصفوا كما تصف الملائكة عند ربهم، فقالوا: وكيف تصف الملائكة عند ربهم؟ قال: يقيمون الصفوف المقدمة، ويتراصون في الصف. «فصفوف الملائكة في السماء كصفوف أهل الدنيا في الأرض.

١٦٦ ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ المسبحون باللسان وبالصلاة، والمقصود أن هذه الصفات هي صفات الملائكة وهي التذلل والعبادة لله، وليسوا كما وصفهم به الكفار من أنهم بنات الله.

١٦٧ ﴿وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ﴾ أي: إن

صباح الذين أنذروا بالعذاب. والصُّبَّاح عند العرب الغارة التي تكون عند الصبح.

١٨٠ ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ المراد تنزيهه تعالى عن كل ما يصفونه به مما لا يليق بجنابه الشريف.

١٨١ ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ أمن لهم وسلامة من المكارة.

١٨٢ ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ على إرسال رسله إليهم مبشرين ومنذرين. وقيل: إنه الحمد على هلاك المشركين، ونصر الرسل عليهم وعلى كل ما أنعم به على خلقه أجمعين.

سُورَةُ ص

١ ﴿ص﴾ فاتحة السورة، وهو مما استأثر الله بعلمه ﴿وَالْقُرْآنُ ذِي الذِّكْرِ﴾ يقسم الله تعالى بالقرآن، والإقسام بالقرآن فيه تنبيه على شرف قدره وعلو محله، ومعنى: ذي الذكر، أنه المشتمل على الذكر الذي فيه بيان كل شيء. وقيل معناه: ذو الشرف.

٢ ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ كأنه قال: لا ريب فيه قطعا، ولم يكن عدم قبول المشركين له لما يوجب الريب فيه، بل هم في تكبر وتجب وشقاق، أي: وامتناع عن قبول الحق.

٣ ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ أي: قد أهلكنا قبلهم كثيرا من الأمم الخالية الذين كانوا أمنع من هؤلاء وأشد قوة وأكثر أموالا ﴿فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ هو نداء الاستغاثة منهم عند نزول العذاب بهم، وليس ذلك الوقت وقت خلاص.

٤ ﴿وَعَجَبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾ رسول من أنفسهم ينذرهم بالعذاب إن استمروا على الكفر.

أعرض عنهم إلى مدة معلومة عند الله سبحانه، وهي مدة الكف عن القتال حتى تأمر بالقتال.

١٧٥ ﴿وَأَبْصَرَهُمْ﴾ إذا نزل بهم العذاب بالقتل والأسر ﴿فَسَوْفَ يَبْصُرُونَ﴾ حين لا ينفعهم الإبصار.

١٧٦ ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ كانوا يقولون من فرط تكذيبهم: متى هذا العذاب؟

١٧٧ ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ﴾ قيل المراد به نزول رسول الله ﷺ بساحتهم يوم فتح مكة ﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾ أي بش

به من النصر والظفر على الكفار.

١٧٣، ١٧٢ ﴿إِنَّهُمْ لَمُتَّصِرُونَ﴾

﴿وَأَنْتَ أَهْلِكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾

﴿وَأَنْتَ أَهْلِكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾

﴿وَأَنْتَ أَهْلِكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾

﴿وَأَنْتَ أَهْلِكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾

﴿وَأَنْتَ أَهْلِكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾

﴿وَأَنْتَ أَهْلِكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾

﴿وَأَنْتَ أَهْلِكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾

﴿وَأَنْتَ أَهْلِكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾

﴿وَأَنْتَ أَهْلِكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾

﴿وَأَنْتَ أَهْلِكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾

﴿وَأَنْتَ أَهْلِكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾

﴿وَأَنْتَ أَهْلِكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾

﴿وَأَنْتَ أَهْلِكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾

﴿وقال الكافرون هذا ساحر كذاب﴾
قالوا هذا القول لما شاهدوا ما جاء به من
المعجزات الخارجة عن قدرة البشر.

٥ ﴿أجعل الآلهة إلها واحدا﴾ أي:
أصيرها إلها واحدا، وقصر الألوهية على
الله سبحانه ﴿إن هذا لشيء عجاب﴾
بالغ في العجب إلى الغاية [وإنما تعجبوا
لأنه كان لكل قبيلة إله، وكانوا يقولون
إنما نعبدهم ليقربونا زلفى إلى الله، والله
يملكهم، فأى ضيق في هذا؟ وادعوا
العجب ممن يفض الآلهة المتعددة].

٦ ﴿وانطلق الملأ منهم﴾ الأشراف، فإن
النبي ﷺ طلب منهم كلمة يقولونها تدين
لهم بها العرب والعجم، قالوا: فإي؟
قال: لا إله إلا الله، فقاموا فزعين
ينفضون ثيابهم، وهم يقولون: أجعل
الآلهة إلها واحدا؟ ﴿أن امشوا﴾ أي
امضوا على ما كنتم عليه، ولا تدخلوا في
دينه، وقالوا ذلك للأتباع ﴿واصبروا على
أهنتكم﴾ أي اثبتوا على عبادتها ﴿إن هذا
لشيء يراد﴾ أي: يريده محمد بننا
وبأهتنا ويؤدّ تمامه، ليعلو علينا، ونكون
له أتباعا، فيتحكم فينا بما يريد.

٧ ﴿ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة﴾
هي النصرانية ﴿إن هذا إلا اختلاق﴾
كذب اختلقه محمد وافتراه.

٨ ﴿أنزل عليه الذكر من بيننا﴾ ونحن
الرؤساء والأشراف، أكبر منه سنا،
وأعظم منه شرفا ﴿بل هم في شك من
ذكرى﴾ أي: من القرآن، أو الوحي
﴿بل لما يذوقوا عذاب﴾ فاغثروا بطول
المهلة.

٩ ﴿أم عندهم خزائن رحمة ربك
العزیز الوهاب﴾ أي: مفاتيح نعم ربك
حتى يعطوا نعمة النبوة لمن يشاءون؟

١٠ ﴿أم لهم ملك السماوات والأرض
وما بينهما﴾ حتى يعطوا من شاءوا ويمنعوا
من شاءوا ﴿فليترقوا في الأسباب﴾ أي:

وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَابٌ ﴿٥﴾ أَجْعَلِ الْآلِهَةَ
إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ﴿٦﴾ وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ
مِنْهُمْ أَنْ أَمْشُوا وَأَصْبِرُوا عَلَىٰ اهْتِنَاكُمُ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ
يُرَادُ ﴿٧﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا
أَخْتِلَاقٌ ﴿٨﴾ أَهْ نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ
مِّنْ ذِكْرِي بَلْ لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابٍ ﴿٩﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ
رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿١٠﴾ أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴿١١﴾
جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ ﴿١٢﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ
قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٣﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ
لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٤﴾ إِنْ كُلُّ
إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٥﴾ وَمَا يَنْظُرُ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا

الموصوفون بالقوة والكثرة، كقولهم: فلان
هو الرجل.

١٤ ﴿إن كل كذب الرسل﴾ أي:
ما كل أحد من الأحزاب إلا وقع منه
تكذيب الرسل ﴿فحق عقاب﴾ أي:
فحق عليهم عقابي بتكذيبهم، وإن تأخر،
فكانه واقع بهم، وكل ما هو آت قريب.

١٥ ﴿وما ينظر هؤلاء إلا صيحة
واحدة﴾ أي: أي ليس بينهم وبين
حلول ما أعد الله لهم من عذاب النار إلا
أن ينفخ في الصور النفخة الثانية ﴿وما لها
من فوق﴾ الفواق من الزمن: مقدار ما

التي توصلهم إلى السماء، حتى يحكموا بما
يريدون من عطاء ومنع، ويدبروا أمر
العالم بما يشتهون.

١١ ﴿جند ما هنالك مهزوم من
الأحزاب﴾ أي: فلا تحزن لعزتهم
وشقاقهم، فإني أسلب عزهم وأهزم
جمعهم، وقد وقع ذلك يوم بدر.

١٢ ﴿وفرعون ذو الأوتاد﴾ ذو الأبنية
الحكمة [ولعل المراد الأهرامات].

١٣ ﴿وأصحاب الأيكة﴾ الأيكة:
الغيضة، وقد تقدم تفسيرها في سورة
الشعراء ﴿أولئك الأحزاب﴾ أي

الكثير في اللفظ القليل.

٢١ ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ بعث الله إلى داود مَلَكَيْنِ لينبئه على التوبة، أتوه من أعلى سوره ونزلوا إليه في محرابه حيث يصلي. عن ابن عباس أن داود رأى امرأة أوريا تغتسل فأعجبته فقدم زوجها في الحرب حتى قُتِل فلما انقضت عدتها خطبها داود وتزوجها. فتسور عليه الملكان المحراب، وكان شأنها ما قص الله في كتابه، وخر داود ساجدا فغفر الله له وتاب عليه. وبعض العلماء ينكر هذه القصة في حق امرأة أوريا، ويقول: لم يكونا ملكين، بل كانا بشرين اختصما في النعاج حقيقة.

٢٢ ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ دخلوا عليه بغير إذنه، ولم يدخلوا من الباب الذي يدخل منه الناس **﴿وَلَا تَشْطُطْ﴾** أي لا تجز في حكمك **﴿وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾** أرشدنا إلى الحق، واحملنا عليه. ثم قال أحدهما:

٢٣ ﴿إِنْ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْمَةً﴾ النعمة الأنثى من الضأن، وقد يقال لبقر الوحش نعمة **﴿وَلِي نَعْمَةٌ وَاحِدَةٌ﴾** والعرب تكني عن المرأة بها، وتشبه النساء بالنعاج من البقر **﴿فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا﴾** أي أعطني نعجتك حتى أضممها إلى نعاجي وتكون كفلي ونصيبي **﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾** أي غلبنى.

٢٤ ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْمَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ﴾ حكم ببطلان ما سمعه من طلب صاحب النعاج التسع والتسعين أن يضم إليه النعمة الواحدة التي مع صاحبه ولم يكن معه غيرها. قال النحاس: ويقال: إن خطيئة داود هي قوله «لقد ظلمك» لأنه قال ذلك قبل أن يتثبت فرما كان صاحب النعمة الواحدة هو الظالم **﴿وَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ﴾** وهم الشركاء في المال؛

صَبِيحَةً وَاحِدَةً مَّا هَا مِنْ فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْنَا قَطَنًا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾ أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ ﴿١٧﴾ إِنَّهُ وَأَوَّابٌ ﴿١٨﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٩﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ وَأَوَّابٌ ﴿٢٠﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَءَاثَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴿٢١﴾ * وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢٢﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُسْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٣﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْمَةً وَلِي نَعْمَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٤﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْمَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ ﴿٢٥﴾ وَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ

١٨ ﴿بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ قال مقاتل: كان داود إذ ذكر الله ذكرت الجبال معه، وكان يفقه تسبيح الجبال.

١٩ ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾ تسبح الله معه **﴿كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ﴾** أي: لأجل تسبيح داود تسبح الجبال والطيور معه.

٢٠ ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾ قويناه وثبتناه بالنصر في المواطن على أعدائه، وإلقاء الرعب منه في قلوبهم **﴿وَأَثَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ﴾** أي: النبوة والمعرفة بكل ما يحكم به **﴿وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾** أي: الفصل في القضاء، وقيل: هو الإيجاز بجمل المعنى

بين حلبي الناقة، أي: إذا جاءت الصبيحة لا تتوقف مقدار فواق ناقة، وقيل: المراد أنها لا يفيقون منها كما قد يفيق المريض والمغشي عليه.

١٦ ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْنَا قَطَنًا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ أي: نصيبنا من خير أو شر، ولا تؤخره إلى يوم القيامة.

١٧ ﴿وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ﴾ الأيد: القوة **﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾** الأواب: الرجاء عن كل ما يكرهه الله سبحانه إلى ما يحبه، ولا يستطيع ذلك إلا من كان قويا في دينه.





لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ
فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ
وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّعَآبٍ ﴿٢٥﴾ يَدَاوُدُ إِنَّا
جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ
وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ
يُضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نُسُوا يَوْمَ
الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا
بِطُلًّا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ
النَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾
كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا ءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ

﴿ليبغى بعضهم على بعض﴾ يظلمه غير
مراع لحقه ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا
الصالحات﴾ فإنهم يتحامون ذلك، ولا
يظلمون خليطا ولا غيره ﴿وقليل ما هم﴾
أي: وقليل هم ﴿وظنَّ داود أنما فتناه﴾
أيقن أننا ابتليناه، علم عند ذلك أنه هو
المراد، وأن مقصودهما التعريض به
إذ استغل سلطته على صاحبه حتى
يتزوج امرأته. وقيل استغفر ربه من أنه
حكم بين الخصمين في النعاج قبل أن
يسمع بينة الخصم الآخر وكان الحق له
﴿فاستغفر ربه﴾ لذنبه ﴿وخر راكعا﴾
أي: ساجدا، وعبر بالركوع عن السجود
﴿وأنا﴾ أي: رجع إلى الله بالتوبة من
ذنبه، وذنب داود الذي استغفر له وتاب
منه، أنه قدّم زوج المرأة الواحدة في الحرب
ليقتل فقتل، فتزوجها هو، ونبهه الله على
ذلك، وعرض له بإرسال ملائكته إليه
حتى يستغفر لذنبه ويتوب منه، فاستغفر
وتاب.

٢٥ ﴿فغفرنا له ذلك﴾ أي ذلك الذنب
الذي استغفر منه ﴿وإن له عندنا لزلفى
وحسن مآب﴾ الزلفى: القربة والكرامة
بعد المغفرة لذنبه، وحسن المآب: حسن
المرجع، وهو الجنة.

٢٦ ﴿ياداوود إِنَّا جعلناك خليفة﴾ أي:
وقلنا له: استخلفناك على الأرض، أو
جعلناك خليفة لمن قبلك من الأنبياء،
لتأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر
﴿فاحكم بين الناس بالحق﴾ أي:
بالعدل الذي هو حكم الله بين عباده
﴿ولا تتبع الهوى﴾ في الحكم بين العباد
﴿فيضلك عن سبيل الله﴾ هو طريق
الحق، أو طريق الجنة ﴿بما نسوا يوم
الحساب﴾ أي: بسبب تركهم العمل
لذلك اليوم، ومنه القضاء بالعدل.

٢٧ ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما
بينها باطلا﴾ بل خلقها الله للدلالة على

قدرته، وليعمل فيها بطاعته ﴿ذلك ظنُّ
الذين كفروا﴾ فإنهم يظنون أن هذه
الأشياء خلقت لا لغرض، ويقولون: إنه
لا قيامة ولا حساب. وذلك يستلزم أن يكون
خلق هذه المخلوقات باطلا ﴿فويل للذين
كفروا من النار﴾ لكفرهم وظنهم الباطل.

٢٨ ﴿أَمْ نجعل الذين آمنوا وعملوا
الصالحات كالمفسدين في الأرض﴾
أي: بل أنجعل الذين آمنوا بالله وصدقوا
رسله وعملوا بفرائضه كالمفسدين في
الأرض بالمعاصي ﴿أَمْ نجعل المتقين
كالفجار﴾ أي: بل أنجعل أتقياء المؤمنين

كأشقياء الكافرين والمنافقين والمنهمكين
في معاصي الله سبحانه من المسلمين،
فليس ذلك إن فعلناه عدلا [أي ولولا
البعث والحساب والجزاء لكانوا سواء].

٢٩ ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك﴾
القرآن كتاب أنزلناه إليك يا محمد كثير
الخير والبركة ﴿ليدبروا آياته﴾ أي أنزلناه
للتدبر والتفكر في معانيه، لا مجرد التلاوة
بدون تدبر ﴿وليتذكر أولو الألباب﴾
أي: ليتعظ أهل العقول الراجعة.

٣٠ ﴿ووهبنا لداود سليمان﴾ وهب له
سليمان ولدا، ثم مدح سليمان، فقال

٢٩ ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك﴾
القرآن كتاب أنزلناه إليك يا محمد كثير
الخير والبركة ﴿ليدبروا آياته﴾ أي أنزلناه
للتدبر والتفكر في معانيه، لا مجرد التلاوة
بدون تدبر ﴿وليتذكر أولو الألباب﴾
أي: ليتعظ أهل العقول الراجعة.

٣٠ ﴿ووهبنا لداود سليمان﴾ وهب له
سليمان ولدا، ثم مدح سليمان، فقال

أُولَئِكَ الْأَلْبَابُ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ
 إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشيِّ الصَّفِيفَتُ
 الْحِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ
 رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوَهَا عَلَيَّ فَنُفِثَ مَسْحًا
 بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى
 كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي
 مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾
 فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾
 وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ
 فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ
 حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّا لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنُ مَّحَافٍ ﴿٤٠﴾
 وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ

الحديث الصحيح أنه قال: لأطوفن الليلة على تسعين امرأة، تأتي كل واحدة بفارس يقاتل في سبيل الله، ولم يقل: إن شاء الله، فلم تلد منهم إلا امرأة واحدة، ولدت نصف إنسان **﴿وألقينا على كرسيه جسداً﴾** والجسد هو نصف الإنسان الذي ولدته امرأته **﴿ثم أناب﴾** أي: رجع إلى الله بالتوبة من ذنبه.

٣٥ ﴿قال رب اغفر لي﴾ ما صدر عني من الذنب الذي ابتليتني لأجله **﴿وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي﴾** لا يكون لأحد من بعدي أن يملك مثله **﴿إنك أنت الوهاب﴾** أي: فإنك كثير الهبات عظيم الموهوبات.

٣٦ ﴿فسخرنا له الريح﴾ جعلناها منقادة لأمره **﴿تجري بأمره رخاء﴾** المعنى أنها ريح لينة لا تزعزع ولا تعصف، مع قوة هبوبها وسرعة جريها **﴿حيث أصاب﴾** المعنى: حيث أصاب خيراً وقصده [أي فإن الريح تحمله إليه] وانظر: سورة سبأ (الآية ١٢)

٣٧ ﴿والشياطين﴾ أي: وسخرنا له الشياطين **﴿كل بناء وغواص﴾** يبنون له ما يشاء من المباني، ويغوصون في البحر فيستخرجون له الدر منه.

٣٨ ﴿وآخرين مقرنين في الأصفاة﴾ وهم مردة الشياطين، سُخِّرُوا له حتى قرنهم في السلاسل.

٣٩ ﴿هذا عطاؤنا﴾ الذي أعطيناكه من الملك العظيم الذي طلبته، من السيطرة على الريح والشياطين وتسخيرهم **﴿فامنن أو أمسك﴾** أي فأعط من شئت، وامنع من شئت **﴿بغير حساب﴾** لا حساب عليك في ذلك الإعطاء أو الإمساك، أي فلا يقال لك: كم أعطيت ولم تمنع؟

٤٠ ﴿وإن له عندنا لزلفى﴾ أي قرباً في الآخرة **﴿وحسن مآب﴾** وحسن مرجع، وهو الجنة.

٣٢ ﴿فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي﴾ إني آثرت حب الخيل على ذكر ربي: يعني صلاة العصر **﴿حتى توارت بالحجاب﴾** يعني: حتى غابت الشمس، وقيل المراد: حتى توارت الخيل في المسابقة عن الأعين.

٣٣ ﴿فطفق مسحاً بالسوق والأعناق﴾ أخذ يعقرها بالسيف، ويضرب سوقها وأعناقها، غضبا لله، لأنها كانت سبب فوت صلاته وقيل المراد: المسح على نواصيها بيده.

٣٤ ﴿ولقد فتنا سليمان﴾ ثبت في

﴿نعم العبد﴾ أي: سليمان **﴿إنه أواب﴾** والأواب: التواب ثم ذكر الله واقعتين من وقائع توبته فقال:

٣١ ﴿إذ عرض عليه﴾ على سليمان **﴿بالعشي﴾** المعنى: من الظهر أو العصر إلى آخر النهار **﴿الصافيات﴾** جمع صافن، وهي من صفات الخيل، فالصافن هو الذي يقف على إحدى اليدين ويرفع الأخرى، ويجعل على الأرض طرف الحافر منها، ويقوم على ثلاث، وهي علامة الفراهة **﴿الحبياد﴾** جمع الجواد، يقال للفارس إذا كان شديد العدو.

يُنْصَبُ وَعَذَابٌ ﴿٤١﴾ أَرْكُضِ بِرَجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ
بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ وَأَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ
رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَى لَأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ
ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ إِنََّّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ
الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ
وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ
بِخَالِصَةِ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ
الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ
وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّا لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنُ
مَقَابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّاتٍ عِدْنٍ مِّمَّنْ هُمْ أَتَاوُا۟ بِهَا
مُتَكِّينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾
وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرَفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَذَا

٤١ ﴿يُنْصَبُ وَعَذَابٌ﴾ أي يهلك أهله وماله، وبأوجاع وأمراض، وإنما نسبها إلى الشيطان، لأنه السبب في ذلك البلاء، فقد قيل: إنه أعجب بكثرة ماله، وقيل: استغاثه مظلوم فلم يقته.

٤٢ ﴿أَرْكُضِ بِرَجْلِكَ﴾ أي: قلنا له: اركض برجلك، أي: اضرب بها الأرض ﴿هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ أي فركض فنبعت عين جارية، فاغتسل فيها، فخرج صحيحا، ثم نبعت عين أخرى فشرب منها ماء عذبا باردا.

٤٣ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ﴾ قيل: أحياهم الله بعد أن أماتهم، وقيل جمعهم بعد تفرقهم ﴿وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾ زادهم فكانوا مثلي ما كانوا من قبل ابتلائه.

٤٤ ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾ الضغث: الحزمة الكبيرة من القصبان ﴿فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ﴾ أي: اضرب بذلك الضغث ولا تحنث فييمينك، وكان أيوب قد حلف في مرضه أن يضرب امرأته مائة جلدة، لذنب جثته، فجعل الله له هذا مخرجا له من يمينه. ثم أثنى الله سبحانه على أيوب، فقال ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا﴾ أي: على البلاء الذي ابتليناه به، فإنه ابتلي بالداء العظيم في جسده، وذهاب ماله وأهله وولده، فصبر ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ﴾ أي أيوب ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ أي: رجع إلى الله بالاستغفار والتوبة.

٤٥ ﴿أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ أي: أصحاب النعم على الناس والإحسان إليهم، لأنهم قد أحسنوا وقدموا خيرا، والأبصار البصائر في العلم والدين.

٤٦ ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةِ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ أي خصصناهم من دون أهل زمانهم بتذكر الدار الآخرة والإيمان بها، وذلك من شأن الأنبياء.

٤٧ ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾ المختارين من أبناء جنسهم من الأخيار.

٤٨ ﴿وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ﴾ قد تقدم ذكر اليسع، والكلام فيه، في سورة الأنعام (الآية ٨٦) وتقدم ذكر ذي الكفل في سورة الأنبياء (الآية ٨٥)

٤٩ ﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾ أي: هذا ذكر جميل في الدنيا، وشرف يذكرون به أبدا ﴿وَإِنَّا لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنُ مَقَابٍ﴾ أي: يرجعون في الآخرة إلى مغفرة الله ورضوانه ونعيم جنته.

٥٠ ﴿مِفْتَاحَهُ لِمَنِ الْأَبْوَابُ﴾ قيل: تفتح لهم الملائكة الأبواب في الجنة ليدخلوها مكرمين.

٥١ ﴿يَدْعُونَ فِيهَا﴾ أي: يدعون في الجنات حال كونهم متكئين فيها على الأرائك ﴿بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾ أي: بألوان متنوعة متكررة من الفواكه ﴿وَشَرَابٍ﴾ كثير.

٥٢ ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرَفِ أَتْرَابٌ﴾ أي: زوجات لهم قاصرات طرفهن على أزواجهن، لا ينظرن إلى غيرهم، والأتراب: المتحدثات في السن، أو المتساويات في الحسن. وقال مجاهد: أتراب متواخيات لا يتباغضن ولا يتفايرن.

٥٣ ﴿هَذَا مَا تَوْعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾



مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَالٌ مِنْ
نَفَادٍ ﴿٥٤﴾ هَذَا وَإِنَّ لِلطَّالِفِينَ لَشَرَّ مَقَابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمُ
يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ
وَعَسَاقٌ ﴿٥٧﴾ وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴿٥٨﴾ هَذَا فَوْجٌ
مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴿٥٩﴾
قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدْ مَتَمَمْتُمْ لَنَا فَبِئْسَ
الْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا
ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ
مِنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتُخَذْنَ لَهُمْ سَخَرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ
الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلْ
إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾
رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٦٦﴾

والرؤساء، والمعنى: لا كرامة لهم، وهذا
إخبار من الله سبحانه بانقطاع المودة بين
الكفار، وأن المودة التي كانت بينهم تصير
عداوة ﴿إنهم صالوا النار﴾ كما صليناها،
ومستحقون لها كما استحققناها.

٦٠ ﴿قَالُوا﴾ أي: قال الأتباع للرؤساء
﴿بل أنتم لا مرحبا بكم﴾ أي: لا كرامة
لكم ﴿أنتم قد متموه لنا﴾ وأوقعتمونا فيه،
ودعوتمونا إليه بما كنتم تقولون لنا من أن
الحق ما أنتم عليه، وأن الأنبياء غير
صادقين فيما جاءوا به ﴿فبئس القرار﴾
أي: بشس المقر جهنم لنا ولكم.

٦١ ﴿قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ
عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾ أي عذاباً بكفره،
وعذاباً بدعائه إيانا.

٦٢ ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا
نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ﴾ يعنون فقراء
المؤمنين، كعقار وخباب وصهيب وبلال
وسالم وسلمان.

٦٣ ﴿أَتُخَذْنَ لَهُمْ سَخَرِيًّا﴾ في الدنيا،
وكانوا أهل الكرامة، فأخطأنا ﴿أم
زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ﴾ فلم نعلم مكانهم
في النار؟ وقال الحسن: كل ذلك قد
فعلوه: اتخذوهم سخرى، وزاغت عنهم
أبصارهم أي وهم في الجنة.

٦٤ ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ
النَّارِ﴾ المعنى: أن ذلك الذي حكاه الله
عنهم لحق لابد أن يتكلموا به، وهو
تخاصم أهل النار فيها، وما قالته الرؤساء
للأتباع، وما قالته الأتباع لهم، فهذا أمر
لا بد أنه سيكون يوم القيامة.

٦٥ ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ﴾ أي مخوف لكم
من عقاب الله وعذابه ﴿وما من إله﴾
يستحق العبادة ﴿إلا الله الواحد﴾ الذي
لا شريك له ﴿القهار﴾ لكل شيء سواه.

٦٦ ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا
بَيْنَهُمَا﴾ من المخلوقات ﴿العزیز﴾ الذي لا
يغالبه مغالب ﴿الغفار﴾ لمن أطاعه.

٧٥ ﴿هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ﴾
الحميم: الماء الحار الذي قد تناهى حره،
والعساق ما سال من جلود أهل النار من
القيح والصدید، وقيل: العساق ما قتل
ببرده.

٥٨ ﴿وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ﴾ المعنى أن
لأهل النار حميا وعساقا وأنواعا أخرى من
العذاب من مثل الحميم والعساق.

٥٩ ﴿هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ﴾ أي:
إذا دخلوا النار قالت الحزنة للقادة: هذا
فوج، يعنون الأتباع، داخل معكم إلى
النار ﴿لا مرحبا بهم﴾ من قول القادة

أي: يقال لهم: هذا الجزء الذي وعدم
به، وأجله يوم الحساب.

٥٤ ﴿إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا﴾ الذي أنعمنا به
عليكم ﴿ماله من نفاذ﴾ أي: لا انقطاع
له ولا يفتنى أبدا.

٥٥ ﴿هَذَا﴾ أي: الأمر هذا كما ذكر
﴿وإن للطالغين لشر مآب﴾ أي: للذين
طغوا وتمردوا عن طاعة الله، وكذبوا
رسله، لشر منقلب ينقلبون إليه.

٥٦ ﴿فبئس المهاد﴾ أي: بشس ما
مهدوا لأنفسهم، وهو الفراش، شبه الله
سبحانه ما تحتهم من نار جهنم بالمهاد.

قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِنْ يُوحَىٰ إِلَىٰ إِلَّا أُنْمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَبْنَابِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَانْخَرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يَبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ

٦٧ ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ أي ما أنذرتكم به من العقاب، وما بينته لكم من التوحيد: هو خبر عظيم ونبا جليل، فعظموه ولا تستخفوا به.

٦٨ ﴿أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ توبيخ لهم وتقريع لكونهم أعرضوا عنه، ولم يتفكروا فيه فيعلموا صدقه.

٦٩ ﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ أي ما كان لي، قبل أن يوحى إلي، علم بما اختصم فيه الملائكة. والخصومة الكائنة بينهم: هي في أمر آدم، كما يفيد ما سيأتي قريبا.

٧١ ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾ هذه هي خصومة الملائكة إجمالا فيما تقدم، ذكرها هنا تفصيلا. والبشر هم آدم وذريته، وقد كانت خصومة الملائكة في شأن من يستخلف في الأرض.

٧٢ ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾ صورته على صورة البشر، وصارت أجزاؤه مستوية ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ أي: من الروح الذي أملكه ولا يملكه غيره، فأجعله حيا بعد أن كان جمادا لا حياة فيه ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ هو أمر بسجود التحية، لا سجود العبادة.

٧٣ ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ﴾ أي: فخلقه فسواه، ونفخ فيه من روحه فسجد له الملائكة ﴿كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ سجدوا عن آخرهم ما بقي منهم ملك إلا سجد.

٧٤ ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ كان متصفا بصفات الملائكة داخلا في عدادهم ﴿اسْتَكْبَرَ﴾ أي: أنفت من السجود، جهلا منه بأنه طاعة لله ﴿وَوَ﴾ كان استكباره استكبار كفر، فلذلك ﴿كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ بمخالفته لأمر الله واستكباره عن طاعته.

٧٥ ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي﴾ أي: ما صرفك وصدك عن السجود لآدم، وأنا

الذي توليتُ خلقه [بيدي] من غير واسطة ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ المعنى: هل استكبرت عن السجود الآن، أم لم تزل من القوم الذين يتكبرون عن ذلك.

٧٧ ﴿قَالَ فَانْخَرِجْ مِنْهَا﴾ من الجنة، أو من زمرة الملائكة ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ أي مرجوم بالكواكب مطرود من كل خير.

٧٨ ﴿وَإِنْ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ﴾ أي: مستمرة له دائمة عليه ما دامت الدنيا، ثم في الآخرة يلقى من أنواع عذاب الله وعقوبته وسخطه ما هو به حقيق.

٧٦ ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ ادعى اللعين لنفسه أنه خير من آدم، وفي ضمن كلامه هذا أن سجود الفاضل للمفضول لا يحسن ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ وفي زعمه أن عنصر النار أشرف من عنصر الطين، وفي ذلك ما فيه. وعلى كل حال فقد شرف الله آدم بشرف

من جنسك من الشياطين **﴿ومن تبعك منهم أجمعين﴾** أي من ذرية آدم، فأطاعوك إذ دعوتهم إلى الضلال والغواية.

٨٦ ﴿قل ما أسألكم عليه من أجر﴾ ما أطلب منكم من جعل تعطونه على الدعاء إلى الله بالقرآن وغيره من الوحي **﴿وما أنا من المتكلفين﴾** حتى أقول مالا أعلم، أو أدعوكم إلى غير ما أمرني الله بالدعوة إليه. والتكلف: التصنع.

٨٧ ﴿إن هو إلا ذكر للعالمين﴾ أي: ما هذا القرآن، أو ما أدعوكم إليه، إلا موعظة للخلق أجمعين.

٨٨ ﴿ولتعلمن﴾ أيها الكفار **﴿نبأه﴾** أي ما أنبيء عنه، وأخبر به، من الدعاء إلى الله وتوحيده، والترغيب في الجنة، والتحذير من النار **﴿بعد حين﴾** أي: بعد زمان، قيل: بعد الموت، وقيل: من بقي علم ذلك لما ظهر أمر النبي ﷺ وعلا، ومن مات علمه بعد الموت.

سورة الزمر

١ ﴿تنزيل الكتاب﴾ أي: هذا تنزيل الكتاب، وهو القرآن.

٢ ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق﴾ أي: ملتبسا بالحق، والمراد كل ما فيه حق، من إثبات التوحيد والنبوة والمعاد وأنواع التكاليف. يقول: لم ننزله باطلا لغير شيء **﴿فاعبد الله مخلصا له الدين﴾** والإخلاص: أن يقصد العبد بعمله وجه الله سبحانه ولا يقصد شيئا آخر، والدين: العبادة والطاعة، ورأسها توحيد الله واعتقاد أنه لا شريك له.

٣ ﴿ألا لله الدين الخالص﴾ أي: التبعّد الخالص من شوائب الشرك وغيره هو الله، وما سواه من الأديان فليس بدين الله الخالص الذي أمر به **﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء﴾** والواو غيره تعالى، وهي الأصنام التي عبدوها من دونه،

الْمَعْلُومُ ٨١ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ٨٣ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ٨٤ لَا مَلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ٨٥ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ٨٦ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ٨٧ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ٨٨

(٣٩) سُورَةُ الزُّمَرِ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا خَيْرُ سَبْعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ١ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ٢ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ٣ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ

٧٩ ﴿قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون﴾ أي: أمهلني ولا تعجلني بالإماتة إلى غاية هي يوم يبعثون: يعني آدم وذريته، بعد موتهم.

٨٠ ﴿قال فإنك من المنظرين﴾ أي المهلين.

٨١ ﴿إلى يوم الوقت المعلوم﴾ الذي قدره الله لفناء الخلائق، هو عند النفخة الأولى، قيل إنما طلب إبليس الإنظار إلى يوم البعث ليتخلص من الموت، لأنه إذا أنظر إلى يوم البعث لم يمت فأنظره الله لكن لا إلى البعث بل إلى الصعق.

٨٢ ﴿قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين﴾ فأقسم بعزة الله أنه يضل بني آدم بتزيين الشهوات لهم، وإدخال الشبه عليهم.

٨٣ ﴿إلا عبادك منهم المخلصين﴾ أي الذين أخلصتهم لطاعتك، وعصمتهم من الشيطان الرجيم، أي: فهو لا يقدر على إضلالهم وإغوائهم.

٨٤، ٨٥ ﴿قال فالحق والحق أقول. لأملأن جهنم﴾ أي فالحق مني ملاء جهنم من إبليس وأتباعه، وأنا أقول الحق: يقسم الله تعالى لإبليس أنه سيدخله النار وأتباعه حتى تمتلئ منهم **﴿منك﴾** أي:

مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ
فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ
كَفَّارٌ ﴿٤﴾ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ
مَا يَشَاءُ سُبْحَنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٥﴾ خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ
وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ
يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٦﴾ خَلَقَكُمْ
مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنْ
الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةً أَزْوَاجًا يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا
مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ
الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٧﴾ إِنْ تَكْفُرُوا
فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ

﴿ما نعبدهم إلا ليقرّبونا إلى الله زلفى﴾
كانوا إذا قيل لهم: من ربكم وخالفكم،
ومن خلق السماوات والأرض، وأنزل
من السماء ماء؟ قالوا: الله، فيقال لهم:
ما معنى عبادتكم للأصنام؟ قالوا:
ليقرّبونا إلى الله، ويشفعوا لنا عنده **﴿إن
الله يحكم بينهم﴾** أي: بين أهل الأديان
يوم القيامة، وقيل: بين المخلصين للدين،
وبين الذين لم يخلصوا **﴿فيا هم فيه
يختلفون﴾** في الذي اختلفوا فيه من الدين
بالتوحيد والشرك، فإن كل طائفة تدعي
أن الحق معها **﴿إن الله لا يهدي من هو
كاذب كفار﴾** أي: لا يرشد لدينه، ولا
يوفق للاهتداء إلى الحق، من هو كاذب
في زعمه أن الآلهة تقربه إلى الله، وكفر
باتخاذها آلهة، وجعلها شركاء لله.

**﴿لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى
مما يخلق ما يشاء﴾** أي يختار من جملة
خلقه ما يشاء أن يصطفيه [فلا يحتاج
للولد، وأيضاً] لا موجود سواه إلا وهو
مخلوق له، ولا يصح أن يكون المخلوق ولداً
للخالق، فلم يبق إلا أن يصطفيه عبداً.

﴿خلق السماوات والأرض بالحق﴾
أي: لم يخلقها باطلاً، ومن كان هذا
الخلق العظيم خلقه استحالة أن يكون له
شريك أو صاحبة أو ولد **﴿يكوّر الليل
على النهار ويكوّر النهار على الليل﴾**

تكوير الليل على النهار تغشيته إياه حتى
يذهب ضوءه، وتكوير النهار على الليل
تغشيته إياه حتى تذهب ظلمته **﴿وسخر
الشمس والقمر﴾** أي: جعلها منقادين
لأمره بالطلوع والغروب لمنافع العباد
﴿كل يجري لأجل مسمى﴾ أي: يجري
في فلكه إلى أن تنصرم الدنيا، وذلك يوم
القيامة **﴿ألا هو العزيز الغفار﴾** الغالب
الساير لذنوب خلقه بالمغفرة.

﴿خلقكم من نفس واحدة﴾ وهي
نفس آدم **﴿ثم جعل منها زوجها﴾** خلق

إظلام موضعه أن نحسن خلقه **﴿له
الملك﴾** الحقيقي في الدنيا والآخرة، لا
شركة لغيره فيه **﴿فأني تصرفون﴾** أي:
فكيف تصرفون عن عبادته وتقبلون عنها
إلى عبادة غيره.

﴿ولا يرضى لعباده الكفر﴾ لا يحبه
ولا يأمر به، وهو مع ذلك سبحانه يضل
من يشاء ويهدي من يشاء، وما تشاءون
إلا أن يشاء الله، فشيئته شيء وحبه
شيء آخر **﴿وإن تشكروا يرضه لكم﴾**
وإنما رضي لهم سبحانه الشكر لأنه سبب
سعادتهم في الدنيا والآخرة **﴿ولا تنزل**

حواء من ضلع آدم، ولم يخلق سبحانه
أنثى من ضلع رجل غيرها، وقد تقدم
تفسير هذه الآية مستوفى في أواخر سورة
الأعراف **﴿وأُنزل لكم من الأنعام ثمانية
أزواج﴾** هي ما في قوله: (من الإبل
اثنتين ومن البقر اثنتين) (ومن الضأن
اثنتين ومن المعز اثنتين) راجع سورة الأنعام
(الآية ١٤٣) **﴿يخلقكم في بطون
أمهاتكم خلقاً من بعد خلق﴾** نطفة ثم
علقة ثم مضغة ثم عظاماً ثم لحماً **﴿في
ظلمات ثلاث﴾** ظلمة البطن، وظلمة
الرحم، وظلمة المشيمة. [أي فلم يمنعنا



تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ * وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَلِيتُ ۚ أَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَٰؤُلَاءِ اللَّبِيبِ ﴿٩﴾ قُلْ يَعْبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ۚ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا

قليلا، فتنازع الدنيا قليل **﴿إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾** أي: مصيرك إليها عن قريب.

٩ ﴿أَمَّنْ هُوَ قَلِيتُ أَنَاءَ اللَّيْلِ﴾ المعنى: أذللك الكافر أحسن حالا ومآلا، أم المؤمن بالله، الذي هو قائم يصلي لله في ساعات الليل، مستمر على ذلك، غير مقتصر على دعاء الله سبحانه عند نزول الضرر به، بل يذكر الله ويدعوه وحده في كل حال **﴿سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾** في صلاة الليل، أي: جامعا بين السجود والقيام **﴿يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾** فيجمع بين الرجاء والخوف، وما اجتمعا في قلب رجل إلا فاز. قيل: وفي الكلام حذف، والتقدير: أهو كمن لا يفعل شيئا من ذلك؟ **﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾** المراد: العلماء والجهال.

١٠ ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ المعنى: قل لهم قولي هذا بعينه **﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾** وهي الجنة، أو حسنة في الدنيا بالصحة والعافية والظفر والغنيمة **﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ﴾** أي فليهاجر إلى حيث يمكنه طاعة الله، والعمل بما أمر به، والترك لما نهى عنه **﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾** أي: يوفيهم الله أجرهم في مقابلة صبرهم بغير حساب: أي بما لا يقدر على حصره حاصر، ولا يستطيع حسابه حاسب. وغير الصابر قد نزل به القضاء شاء أم أبى، ومع ذلك فاته من الأجر ما لا يقادر قدره ولا يبلغ مداه، فضم إلى مصيبتة مصيبة أخرى، ولم يظفر بغير الجزع.

١١ ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ أي: أعبدته عبادة خالصة من الشرك والرياء وغير ذلك.

منه﴾ أي أعطاه وملكه، يقال: خوله الشيء أي ملكه إياه **﴿نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ﴾** أي: نسي الضر الذي كان يدعو الله إلى كشفه عنه من قبل أن يخوله ما خوله، وقيل: نسي ربه الذي كان يدعو ويتضرع إليه، ثم جاوز ذلك إلى الشرك بالله، وهو معنى قوله **﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾** أي: شركاء من الأصنام أو غيرها يعبدونها **﴿لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾** أي: ليضل الناس عن طريق الله التي هي الإسلام والتوحيد **﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾** أي: تمتع قليلا، أو زمانا

وازره وزر أخرى﴾ أي لا تحمل نفس حاملة للآثام ذنب نفس أخرى **﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ﴾** يوم القيامة **﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾** من خير وشر **﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾** أي بما تضره القلوب وتستره، فكيف بما تظهره وتبديه؟ **٨ ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ﴾** أي ضرر كان، من مرض أو فقر أو خوف **﴿دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾** أي: راجعا إليه مستغيثا به في دفع ما نزل به، تاركا لما كان يدعوه ويستغيث به من ميت أو حي أو صنم أو غير ذلك **﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً﴾**

لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأَمَرْتُ لِأَن أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾
 قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾
 قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿١٤﴾ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ
 دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ
 يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُمْ
 مَنْ فَوْقَهُمْ ظُلُلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلُلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ
 اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَعْبَادُونَ فَاتَّقُونَ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا
 الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ
 عِبَادَ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ
 أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾
 أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ﴿١٩﴾
 لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ

١٢ ﴿وَأَمَرْتُ لِأَن أَكُونَ أَوَّلَ

المسلمين﴾ أي: من هذه الأمة، وكذلك كان ﷺ فإنه أول من خالف دين آبائه ودعا إلى التوحيد.

١٣ ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ

رَبِّي﴾ أي: بترك إخلاص العبادة له وتوحيده، وترك الدعوة المعادية للشرك وتضليل أهله ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ وهو يوم القيامة.

١٤ ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ﴾ أي: لا أعبد

غيره، لا استقلالاً، ولا على جهة الشراكة ﴿مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ أي: إن تعبدني خالص لله، غير مشوب بشرك ولا رياء ولا غيرهما.

١٥ ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ﴾ أن تعبدوه

﴿مَنْ دُونَهُ﴾ هذا الأمر للتهديد والتفريع والتوبيخ ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾

أي: إن الكاملين في الخسران هم هؤلاء، لأن من دخل النار فقد خسر نفسه وأهله ﴿أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ قد بلغ من العظم إلى غاية ليس فوقها غاية.

١٦ ﴿لَهُمْ مَنْ فَوْقَهُمْ ظُلُلٌ مِنَ النَّارِ﴾

الظلل: عبارة عن أطباق النار تلتهم عليهم ﴿وَمَنْ تَحْتِهِمْ ظُلُلٌ﴾ أي: أطباق من النار، وسمي ما تحتهم ظللاً لأنها تظلل من تحتها من أهل النار، لأن طبقات النار صار في كل طبقة منها طائفة من طوائف الكفار.

١٧ ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن

يعبدوها﴾ أعرضوا عن عبادة الأوثان والشیطان، وخصوا عبادتهم بالله عز وجل ﴿وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ﴾ رجعوا إليه وأقبلوا على عبادته معرضين عما سواه ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى﴾

بالشواب الجزيل، وهو الجنة، وهذه البشرية إما على السنة الرسل، أو عند حضور الموت، أو عند البعث.

١٨ ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ

أَحْسَنَهُ﴾ يستمعون القول الحق، من كتاب الله وسنة رسوله، فيتبعون أحسن ما يؤمرون به، فيعملون بما فيه؛ وقيل: هو الرجل يسمع الحسن والقبيح، فيتحدث بالحسن، وينكف عن القبيح فلا يتحدث به ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ أي: هم الذين أوصلهم الله إلى الحق، وهم أصحاب العقول الصحيحة.

١٩ ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾

كلمة العذاب هنا هي قوله تعالى لإبليس

(لأملأن جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين) ومعنى الآية التسلية لرسول الله ﷺ لأنه كان حريصاً على إيمان قومه، فأعلمه الله أن من سبق عليه القضاء، وحقت عليه كلمة الله، لا يقدر رسول الله ﷺ أن ينقذه من النار بأن يجعله مؤمناً [في الدنيا، أو يخرج من النار يوم القيامة]، أي: فلا داعي لأن تذهب نفسك عليهم حسرات.

٢٠ ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ

من فوقها غرف مبنية﴾ وذلك لأن الجنة درجات بعضها فوق بعض، مبنية بناء

مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ
الْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ
يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ
يَهْبِجُ فَتَرَاهُ مَصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا
لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ
فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِمْ مِنْ ذِكْرِ
اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٢﴾ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ
الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ
يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ
ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا
لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَنْ يَتَّبِعِ بَوَجهَهُ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾

ونضارتها، ولم يبق معهم شك في أن الله
قادر على البعث والحشر.

٢٢ ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾
وسع الله صدره للإسلام فقبله واهتدى
بهديه ﴿فهو﴾ بسبب ذلك الشرح ﴿على
نور من ربه﴾ يفيض عليه، أهو كمن
قسا قلبه لسوء اختياره، فصار في ظلمات
الضلالة، وبلبيات الجهالة ﴿فويل
للقاسية قلوبهم من ذكر الله﴾ وهم كل
من غلظ قلبه، وجفا عن قبول ذكر الله،
الذي حقه أن تشرح له الصدور.

٢٣ ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾
القرآن، وسماه حديثا لأن النبي ﷺ
كان يحدث به قومه، ويخبرهم بما ينزل
عليه منه [وهو أحسن الأحاديث لما فيه
من البركات] ﴿كتابا متشابها﴾ أي:
يشبه بعضه بعضا في الحسن والإحكام
وصحة المعاني، وقوة المباني، وبلوغه إلى
أعلى درجات البلاغة ﴿مثنائي﴾ أي تثنى
فيه القصص، وتكرر فيه المواعظ
والأحكام، ويثنى في التلاوة فلا يمل
سامعه ولا يسأم قارئه ﴿تقشعر منه جلود
الذين يخشون ربهم﴾ يقال اقشعر جلده
إذا تقبض وتجمّع من الخوف [أو
البرد]. قال الزجاج: إذا ذكرت آيات
العذاب اقشعرت جلود الخائفين لله ﴿ثم
تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾

إلى ذكر الله: رحمته وثوابه وجنته، قال
قتادة: هذا نعت أولياء الله، نعتهم بأنها
تقشعر جلودهم ثم تطمئن قلوبهم إلى ذكر الله،
ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم،
إنما ذلك في أهل البدع، وهو من الشيطان.

٢٤ ﴿أَفَمَنْ يَتَّبِعِ بَوَجهَهُ سُوءَ الْعَذَابِ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ يعني أهو كمن هو آثم لا
يعتريه شيء من ذلك، ولا يحتاج إلى
الاتقاء بل هو سالم من كل سوء،
مطمئن في جنة الله ﴿وقيل للظالمين
ذوقوا ما كنتم تكسبون﴾.

وأخضر وأبيض وأحمر، أو من برّ وشعر
وغيرهما، إذا كان المراد بالألوان
الأصناف ﴿ثم يهيج﴾ ييبس ويجف
﴿فتراه مصفرا﴾ أي: تراه بعد خضرته
ونضارته وحسن رونقه مصفرا قد ذهبت
خضرته ونضارته ﴿ثم يجعله حطاما﴾ أي:
متفتتا متكسرا ﴿إن في ذلك لذكرى
لأولي الأبواب﴾ أي فيما تقدم ذكره
موعظة ينتفع بها أهل العقول الصحيحة،
يعلمون بأن الحياة الدنيا حالها كحال
هذا الزرع في سرعة التصرم وقرب
التقضي، وذهاب بهجتها، وزوال رونقها

المنازل في إحكام أساسها وقوة بنائها،
وإن كانت منازل الدنيا ليست بشيء
بالنسبة إليها ﴿تجري من تحتها الأنهار﴾
أي: من تحت تلك الغرف، وفي ذلك
كمال لبهجتها وزيادة لرونقها.

٢١ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ
مَاءً﴾ أي: من السحاب مطرا ﴿فسلكه
ينابيع في الأرض﴾ أي: فأدخله وأسكنه
فيها، والينبوع عين الماء، والأمكنة التي
ينبع منها الماء ﴿ثم يخرج به زرعاً مختلفاً
ألوانه﴾ أي: يخرج بذلك الماء من
الأرض زرعاً مختلفاً ألوانه، من أصفر

كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتْنَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرِ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّا نَكُرُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكَ تَحْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ * فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالْصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ۖ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِي جَاءَ بِالْصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾

٢٥ ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: من قبل الكفار المعاصرين لمحمد ﷺ كذبوا رسلهم ﴿فَأَتْنَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: من جهة لا يحتسبون إتيان العذاب منها، وذلك عند أمنهم وغفلتهم.

٢٦ ﴿فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ﴾ أي: الذل والهوان ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بالمسخ والخسف والقتل والأسر وغير ذلك ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ لكونه في غاية الشدة مع دوامه ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لو كانوا ممن يعلم ويتفكر ويعمل بمقتضى علمه.

٢٧ ﴿مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ أي: من كل مثل يحتاجون إليه في أمر دينهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون فيعتبرون.

٢٨ ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [أي: بلسان عربي مبين] ﴿غَيْرِ ذِي عِوَجٍ﴾ لا اختلاف فيه بوجه من الوجوه، ولا تضاد، ولا شك، ولا لبس فيه، وقيل غير ذي لحن، واللحن الخطأ من حيث اللغة.

٢٩ ﴿رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ﴾ أي: ضرب للمشارك الذي يعبد أكثر من إله: رجلا، أي: عبدا مملوكا يملكه عدد من الرجال مختلفون فيما بينهم متشاكسون، أي متعاسرون ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ﴾ أي: وضرب للموحد مثلاً: عبداً لرجل واحد يملكه ملكا خالصا لا شريك له فيه ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ المعنى: هل هذا الذي يخدم جماعة شركاء، أخلاقهم مختلفة، ونياتهم متباينة، يستخدمه كل واحد منهم، فيتعب وينصب مع كون كل واحد منهم غير راض بخدمته، هل يستوى وهذا الذي يخدم واحدا لا ينازعه غيره، إذا أطاعه رضي عنه، وإذا عصاه عفا عنه. فَإِنَّ بَيْنَ هَذَيْنِ مِنَ الْاِخْتِلَافِ الظَّاهِرِ الْوَاضِحِ مَا لَا يَقْدِرُ عَاقِلٌ أَنْ يَتَفَوَّهَ

بأستوائهما، فهذا مثل من يعبد الله وحده، ومثل من يعبد آلهة متعددة. وتحتج عليهم بأنك قد بلغتهم وأنذرتهم، وهم يخاصمونك. أو يخاصم المؤمن الكافر، والظالم المظلوم.

٣٠ ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ نُعِيَتْ إلى النبي ﷺ نفسه، ونعيت إليهم أنفسهم، ففي الآية الإعلام للصحابة بأنه يموت، فقد كان بعضهم يعتقد أنه لا يموت [وفيها حثٌ لكفار قريش على انتهاز الفرصة، والمصارعة إلى الإيمان، والأخذ عن النبي ﷺ لأن إقامته فيهم قليلة، وليس خالداً بينهم].

٣١ ﴿ثُمَّ إِنَّا نَكُرُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكَ تَحْتَصِمُونَ﴾ أي: إنك تخاصمهم يا محمد، بالبعث والنشور ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ المشوى: مكان الإقامة

٣٢ ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾ أي لا أحد أظلم ممن كذب على الله، فزعم أن له ولداً أو شريكاً أو صاحبة ﴿وَكَذَّبَ بِالْصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ﴾ وهو ما جاء به رسول الله ﷺ من دعاء الناس إلى التوحيد، وأمرهم بالقيام بفرائض الشرع، ونهيهم عن محرّماته، وإخبارهم بالشورى والنشور ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ المشوى: مكان الإقامة



آلهم وجنودها، فإن الله يحميك مما يضررك، وليس عند آلهم نفع ولا ضرر **﴿ومن يضل الله فإله من هاد﴾** أي: من حق عليه القضاء بضلاله فإله من هاد يهديه إلى الرشد ويخرجه من الضلالة.

٣٧ ﴿ومن يهد الله فإله من مضل﴾

يخرجه من الهداية، ويوقعه في الضلالة **﴿اليس الله بعزیز﴾** أي: غالب لكل شيء، قاهر له **﴿ذي انتقام﴾** ينتقم من عصاته بما يصبه عليهم من عذابه، وما ينزله بهم من سوط عقابه.

٣٨ ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله﴾ ذكر سبحانه

اعترافهم إذا سئلوا عن الخالق بأنه هو الله سبحانه، مع عبادتهم للأوثان، فكيف استحسنت عقولهم عبادة غير خالق الكل، وتشريك مخلوق مع خالقه في

العبادة **﴿قل أفرأيت ما تدعون من دون**

الله إن أرادني الله بضر هل هن

كاشفات ضره﴾ هل تقدر على كشف

ما أراد الله بي من الشدة **﴿أو أرادني**

برحمة هل هن ممسكات رحمته﴾ عني

بحيث لا تصل إليّ، والرحمة: النعمة

والرخاء **﴿قل حسبي الله﴾** في جميع

أموري في جلب النفع ودفع الضرر **﴿عليه**

يتوكل المتوكلون﴾ أي: عليه لا على

غيره يعتمد المعتمدون.

٣٩ ﴿قل يا قوم اعملوا على

مكانتكم﴾ أي: على حالتكم التي أنتم

عليها **﴿إني عامل﴾** أي: على حالي التي

أنا عليها **﴿فسوف تعلمون﴾**

٤٠ ﴿من يأتيه عذاب يخزيه﴾ أي يهينه ويذله

في الدنيا بعد افتخاره واستكباره، فيظهر عند

ذلك أنه المبطل وخصمه الحق **﴿وعمل عليه**

عذاب مقيم﴾ أي دائم مستمر في الدار الآخرة،

وهو عذاب النار.

لهم ما يشاءون عند ربهم ^ج ذلك جزاء المحسنين ^{٣٤}

ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم

بأحسن الذي كانوا يعملون ^{٣٥} اليس الله بكاف

عبده ^ط ويخوفونك بالذين من دونه ^ج ومن يضل الله

فإله من هاد ^{٣٦} ومن يهد الله فإله من مضل ^ط

اليس الله بعزیز ^{٣٧} ذي انتقام ^{٣٨} ولئن سألتهم من خلق

السموات والأرض ليقولن الله ^ج قل أفرأيت ما تدعون

من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات

ضره ^ط أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته ^ج قل

حسبي الله ^ط عليه يتوكل المتوكلون ^{٣٩} قل ينقوم

اعملوا على مكانتكم ^ط إني عامل ^ط فسوف تعلمون ^{٣٩}

من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم ^{٤٠}

والسكنى.

٣٣ ﴿والذي جاء بالصدق﴾ وهو عبارة

عن رسول الله ﷺ **﴿وصدق به﴾** عبارة

عن تابعه **﴿أولئك هم المتقون﴾** وقيل

الذي جاء بالصدق رسول الله ﷺ والذي

صدق به أبو بكر، وقيل: إن ذلك في

كل من دعا إلى توحيد الله، وأرشد إلى

ما شرعه لعباده.

٣٤ ﴿لهم ما يشاءون عند ربهم﴾ من

رفع الدرجات، ودفع المضرات، وتكفير

السيئات **﴿ذلك جزاء المحسنين﴾** أي:

الذين أحسنوا في أعمالهم. وقد ثبت في

الصحيح عن رسول الله ﷺ قال

«الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن

لم تكن تراه فإنه يراك».

٣٥ ﴿ليكفر الله عنهم أسوأ الذي

عملوا﴾ وإذا غفر لهم ما هو الأسوأ من

أعمالهم غفر لهم ما دونه بطريقة الأولى

﴿ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا

يعملون﴾ يجزيهم بالمحسن من أعمالهم،

ولا يجزيهم بالمساوي.

٣٦ ﴿اليس الله بكاف عبده﴾ المراد:

النبى ﷺ **﴿ويخوفونك بالذين من**

دونه﴾ أي: فلا تخف مما يخوفونك به من

٤١ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّٰ فَلِنَافْسِهِ ۚ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِرَءِيفٍ ۝٤١﴾ أي لأجلهم، ولبيان ما كلفوا به ﴿فمن اهتدى﴾ عرف طريق الحق وسلوكها ﴿فلنفسه ومن ضل﴾ عنها ﴿فإنما يضل عليها﴾ أي على نفسه، فضرر ذلك عليه لا يتعدى إلى غيره ﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾ أي: لست بمكلف بهدایتهم ولا بمخاطب بها، بل عليك البلاغ، وقد فعلت. وهذه الآيات منسوخة بآية السيف، فقد أمر الله رسوله بعد هذا أن يقتلهم حتى يقولوا لا إله إلا الله، ويعملوا بأحكام الإسلام.

٤٢ ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ۖ آي: يقبضها عند حضور أجلها ويخرجها من الأبدان ﴿والتي لم تمت في منامها﴾ أي: ويتوفى الأنفس التي لم تمت، أي لم يحضر أجلها، يتوفاها في منامها ﴿فيمسك التي قضى عليها الموت﴾ ولا يردها إلى الجسد الذي كانت فيه ﴿وبرسل الأخرى﴾ وهي النائمة، بأن يعيد عليها إحساسها، وقد اختلف العقلاء في النفس والروح هل هما شيء واحد أو شيان ﴿إن في ذلك﴾ التوفي والإمساك والإرسال للنفوس ﴿آيات﴾ عجيبة بديعة دالة على القدرة الباهرة ﴿لقوم يتفكرون﴾ في ذلك ويتدبرونه،

ويستدلون به على توحيد الله وكمال قدرته، فإن في هذا التوفي والإمساك والإرسال موعظة للمتعظين، وتذكرة للمتذكرين. أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفضه بداخله إزاره، فإنه لا يدري ما خلفه عليه، ثم ليقل: باسمك ربي وضعت جنبي، وباسمك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين».

٤٣ ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ ۖ

إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّٰ فَلِنَافْسِهِ ۚ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِرَءِيفٍ ۝٤١﴾ الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ۝٤٢﴾ أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون ۝٤٣﴾ قل لله الشفاعة جميعا له، ملك السموات والأرض ثم إليه ترجعون ۝٤٤﴾ وإذا ذكر الله وحده أشمزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون ۝٤٥﴾ قل اللهم فاطر السموات والأرض عليم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا

أي: بل هل اتخذوا من دون الله آلهة شفعاء تشفع لهم عند الله ﴿قل أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون﴾ [أي: كيف تتخذونهم شفعاء لكم عند الله وهم لا يملكون شفاعا ولا غيرها، حتى وهم لا يعقلون شيئا من شفاعا أو غيرها] ولا يعقلون شيئا من الأشياء لأنها جمادات لا عقل لها.

٤٤ ﴿قل لله الشفاعة جميعا﴾ فليس لأحد منها شيء إلا أن يكون الشافع ممن يرضاه الله، والشفوع له ممن يأذن الله بالشفاعة له.

٤٥ ﴿وإذا ذكر الله وحده أشمزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ إذا قيل لهم لا إله إلا الله انقبضوا ونفروا، ثم ذكر سبحانه استبشارهم بذكر أصنامهم، فقال ﴿وإذا ذكر الذين من دونه﴾ وهم الآلهة المزعومة كالكالات والعزى ﴿إذا هم يستبشرون﴾ أي: يفرحون بذلك ويتهجون به.

٤٦ ﴿أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا يختلفون﴾ تجازي المحسن بإحسانه، وتعاقب المسيء بإساءته، فإنه بذلك يظهر من هو الحق ومن هو المبتطل، ويرتفع

من الإنذار الذي كان ينذرهم به رسول الله ﷺ .

فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ
جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَالٌ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾
وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا
خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ
فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِهِمْ قَالَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ
سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ
سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ
اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ * قُلْ يَعْبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ

٤٩ ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا﴾
شأن الإنسان أنه إذا مسه ضرر من مرض
أو فقر أو غيرها، دعا الله وتضرع إليه في
رفعه ودفعه ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا﴾
أي أعطيناه نعمة من عندنا ﴿قَالَ إِنَّمَا
أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ أي على علم مني بوجوه
المكاسب، أو على خير عندي، أو على
علم من الله بفضلي ﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾
أي: ليس ذلك الذي أعطيناك لما
ذكرت، بل هو محنة لك، واختبار لحالك
أتشكر أم تكفر؟ ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرَهُمْ لَا
يَعْلَمُونَ﴾ أن ذلك استدراج لهم من الله،
وامتحان لما عندهم من الشكر أو الكفر،
ولذلك يخوضون في نعم الله بالباطل دون
مراقبة للمنع بها.

٥٠ ﴿قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي:
قال هذه الكلمة، وهي قولهم: إنما أُوتِيتُهُ
على علم، الذين من قبلهم، كقارون
وغیره ﴿فَالَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا
يَكْسِبُونَ﴾ لم يغن عنهم ما كسبوا من
متاع الدنيا شيئاً.

٥١ ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾
أي: جزاء سيئات كسبهم ﴿وَالَّذِينَ
ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ﴾ الموجودين من الكفار
﴿سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ كما
أصاب من قبلهم، من القحط والقتل
والأسر والقهر ﴿وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ أي
بفائتين على الله، بل مرجعهم إليه، يصنع
بهم ما شاء من العقوبة.

٥٢ ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ
لِمَنْ يَشَاءُ﴾ أي: يوسع الرزق لمن يشاء
أن يوسعه له ﴿وَيَقْدِرُ﴾ أي: يقبضه لمن
يشاء أن يقبضه ويضيقه عليه ﴿إِنْ فِي
ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ لدلالات عظيمة وعلامات
جليلة ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

من الأموال والذخائر ﴿وَمِثْلَهُ مَعَهُ﴾ أي
منضمًا إليه ﴿لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ
الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي: من سوء
عذاب الله تعالى لهم جزاء ظلمهم ذلك
اليوم ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا
يَحْتَسِبُونَ﴾ أي: ظهر لهم من عقوبات
الله وسخطه وشدة عذابه ما لم يكن في
حسابهم، وقال مجاهد: عملوا أعمالاً
توهوا أنها حسنات فإذا هي سيئات.

٤٨ ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ أي
مساوي أعمالهم، من الشرك وظلم أولياء
الله ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾

عنده خلاف المختلفين وتخاصم
المتخاصمين أخرج مسلم وأبو داود عن
عائشة قالت «كان رسول الله ﷺ إذا
قام من الليل افتتح صلاته: اللهم رب
جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر
السموات والأرض، عالم الغيب
والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما
كانوا فيه يختلفون، اهديني لما اختلف فيه
من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء
إلى صراط مستقيم».

٤٧ ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي
الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ أي جميع ما في الدنيا



أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ
 جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ
 وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ ﴿٥٤﴾
 وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ
 يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَنْ تَقُولَ
 نَفْسٌ يَحْسَرُنِي عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ
 لِمَنِ السَّخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ
 مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي
 كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي
 فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾
 وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُسْوَدَّةٌ
 أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ

٥٣ ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى
 أَنْفُسِهِمْ﴾ المراد بالإسراف: الإفراط في
 المعاصي والاستكثار منها ﴿لَا تَقْنَطُوا﴾
 أي لا تيأسوا ﴿مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ أي من
 مغفرته. وهذه الآية أرجى آية في كتاب
 الله، لاشتغالها على أعظم بشارة، فإنه
 أولا أضاف العباد إلى نفسه لقصد
 تشريفهم ومزيد تبشيرهم، ثم وصفهم
 بالإسراف في المعاصي والاستكثار من
 الذنوب، ثم عقب ذلك بالنهي عن القنوط
 من الرحمة لهؤلاء المستكثرين من الذنوب،
 فالنهي عن القنوط للمذنبين غير المسرفين
 من باب الأول وبفحوى الخطاب، ثم
 جاء بما لا يبقى بعده شك ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ
 الذُّنُوبَ﴾ يغفر كل ذنب كائنا ما كان
 إن شاء، إلا الشرك الذي لم يتب منه
 صاحبه لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ
 يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾
 ثم أكد ذلك بقوله ﴿جَمِيعًا﴾ فيا لها من
 بشارة ترتاح لها قلوب المؤمنين المحسنين
 ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ أي: كثير
 المغفرة والرحمة عظيمها بليغها واسعها،
 فمن ظن أن تقنيط عباد الله وتأييسهم من
 رحمته أولى بهم مما بشرهم الله به، فقد
 ركب أعظم الشطط، وغلط أقبح الغلط.

٥٤ ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ لما
 بشرهم سبحانه بأنه يغفر الذنوب جميعا،
 أمرهم بالرجوع إليه، بفعل الطاعات
 واجتناب المعاصي، والاستسلام لأمره،
 والخضوع لحكمه ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ
 الْعَذَابُ﴾ أي عذاب الدنيا.

٥٥ ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ
 رَبِّكُمْ﴾ يعني القرآن، أحلوا حلاله
 وحرّموا حرامه، والتزموا طاعته واجتنبوا
 معاصيه. والقرآن كله حسن. وقيل المراد
 بأحسنه المحكمات دون المتشابهات، وقيل:
 العفو دون الانتقام بما يحق فيه الانتقام،
 فالانتقام جائز، والعفو جائز، والآية تحت

على العفو] وكذا كل أمر فيه فاضل
 وأفضل منه من عبادة وغيرها] ﴿مِنْ قَبْلِ
 أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا
 تَشْعُرُونَ﴾ أي: من قبل أن يفاجئكم
 العذاب وأنتم غافلون عنه لا تشعرون به،
 وقيل: أراد أنهم يموتون بغتة فيقعون في
 العذاب.

٥٦ ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا
 فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ أي: حذرا أن
 تقول النفس الكافرة يا حسرتي على ما
 فرطت في طاعة الله، وما فرطت في
 الإيمان بالله، وبالقرآن والعمل به. وقال

٥٧ ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ
 مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ أي: لو أن الله أرشدني إلى
 دينه لكنت ممن يتقى الشرك والمعاصي.

٥٨ ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ
 أَنَّ لِي كَرَّةً﴾ أي: رجعة إلى الدنيا
 ﴿فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ المؤمنين بالله
 الموحدين له، المحسنين في أعمالهم.

٥٩ ﴿بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا

الفراء: في قرب الله وجواره ﴿وَإِنْ كُنْتُ
 لِمَنِ السَّخِرِينَ﴾ المستهزئين بدين الله في
 الدنيا، لم يكفه أن ضيع طاعة الله حتى
 سخر من أهلها.

٥٧ ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ
 مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ أي: لو أن الله أرشدني إلى
 دينه لكنت ممن يتقى الشرك والمعاصي.

٥٨ ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ
 أَنَّ لِي كَرَّةً﴾ أي: رجعة إلى الدنيا
 ﴿فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ المؤمنين بالله
 الموحدين له، المحسنين في أعمالهم.

٥٩ ﴿بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا

وهي مفاتيح السماوات والأرض والرزق والرحمة [أو هي عبارة عن تصريحها وتدير الأمور فيها، لا يفتات عليه أحد فيها].

٦٤ ﴿قُلْ أَغْفِرِ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ أمره الله سبحانه أن يقول هذا للكفار لما دعوه إلى ما هم عليه من عبادة الأصنام، وقالوا: هو دين آبائك.

٦٥ ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ أي: من الرسل، أي: قيل لكل واحد منهم: ﴿لَنْ أَشْرَكَ

لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلِتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ والشرك إذا كان موجبا لإحباط عمل الأنبياء، على الفرض والتقدير، فهو محبط لعمل غيرهم من أمهم بطريق الأولى.

٦٦ ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ﴾ أي: اعبد وحده، ولا تعبد معه أحدا سواه.

٦٧ ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ أي: ما عظموه حق تعظيمه ﴿وَالسَّمَوَاتِ مَطْوِيَّاتٍ بِيَمِينِهِ﴾ وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي هريرة، سمعت رسول الله ﷺ يقول «يقبض الله الأرض يوم القيامة، ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض؟»

٦٨ ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ هذه هي النفخة الأولى، والصور: هو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل فأتت من الفزع وشدة الصوت أهل السماوات والأرض.

والصعق الموت في الحال ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [قيل المستثنى هو إسرافيل نفسه، ثم يموت بعد ذلك] ﴿ثُمَّ نَفِخَ فِيهِ أُخْرَى﴾ أي نفخة أخرى ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ يعني الخلق كلهم قيام على أرجلهم ينظرون ما يقال لهم أو ينتظرون ذلك.

أَتَّقُوا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَغْفِرِ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلِتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نَفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا

ثبت في الحديث الصحيح.

٦١ ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْهُ﴾ أي اتقوا الشرك ومعاصي الله ﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾ ينجيهم الله بفوزهم: أي بنجاتهم من النار وفوزهم بالجنة ﴿لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أي ينفي السوء والحزن عنهم.

٦٢ ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من الأشياء الموجودة في الدنيا والآخرة، كائنا ما كان، من غير فرق بين شيء وشيء ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ فهو القائم بحفظها وتديرها من غير مشارك له.

٦٣ ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

واستكبرت وكنت من الكافرين﴾ المراد الآيات التنزيلية وهي القرآن [أي: وقد كنت متمكنا من التصديق والمتابعة، فلماذا تطلب الرجعة إلى الدنيا الآن؟]

٦٠ ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ﴾ حين ادَّعَوْا بأن له شركاء وصاحبة وولدا ﴿وُجُوهُهُمْ مَسْوَدَةٌ﴾ لما أحاط بهم من العذاب، وشاهدوه من غضب الله ونقمته ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ أي: إن في جهنم مسكنا ومقاما للمتكبرين عن طاعة الله، والكبر: هو بطل الحق وغمط الناس، كما

وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءُ وَقُضِيَ
بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّتَ كُلُّ نَفْسٍ
مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا
إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ
لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ
رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِن
حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا
أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾
وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا
جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ
طِبِّتُمْ فَأَدْخَلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
صَدَقْنَا وَعَدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ

٦٩ ﴿وَأُشْرِقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ فإن الله نور السماوات والأرض. وقيل المعنى: أن الأرض أضاءت وأنارت بما أقامه الله من العدل بين أهلها، وما قضى به من الحق بين عباده ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ يعني الكتب والصحف التي فيها أعمال بني آدم، فأخذ بيمينه، وأخذ بشماله. وقيل: وضع الكتاب للحساب ﴿وَجِئَءَ بِالنَّبِيِّينَ﴾ أي: جيء بهم إلى الموقف فستلوا عما أجابتهم به أمهم ﴿وَالشُّهَدَاءُ﴾ الذين يشهدون على الأمم من أمة محمد ﷺ وبالشهداء الذين استشهدوا في سبيل الله، فيشهدون يوم القيامة بالبلاغ على من بلغوه فكذب بالحق ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾ أي: وقضى بين العباد بالعدل والصدق ﴿لَا يُظْلَمُونَ﴾ أي: لا ينقصون من ثوابهم، ولا يزداد على ما يستحقونه من عقابهم، وجزاؤهم على قدر أعمالهم.

٧٠ ﴿وَوُفِّتَ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ﴾ من خير وشر ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ في الدنيا، لا يحتاج إلى كاتب ولا حاسب ولا شاهد، وإنما وضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء لتكميل الحجة، وقطع المذرة.

٧١ ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ أي: سيق الكافرون إلى النار، جماعات متفرقة، بعضها يتلو بعضها لكل جماعة قائد، هو رأسهم في الكفر، وداعيتهم إليه ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ ليَدْخُلُوهَا، وهي سبعة أبواب ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ من الملائكة حفظة النار والقائمين عليها ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ أي: من أنفسكم ﴿يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُم﴾ التي أنزلها عليهم ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ أي: يخوفونكم لقاء هذا اليوم الذي صرتم فيه ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾ أي: قد أتتنا الرسل بآيات الله، وأنذرونا بما سنلقاه ﴿وَلَٰكِن حَقَّتْ

كلمة العذاب على الكافرين﴾ فلما اعترفوا هذا الاعتراف: ٧٢ ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ﴾ التي قد فتحت لكم لتَدْخُلُوهَا ﴿خَالِدِينَ﴾ مقدراً لكم فيها من قبل الله الخلود ﴿فَبِئْسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ أي: بشئ المثوى لهم، أي: المسكن الدائم، جهنم. ٧٣ ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ أي ساقتهم الملائكة سوق إعزاز وتشريف وتكريم ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ لاستقبالهم ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي: سلامة لكم من كل آفة ﴿طِبِّتُمْ﴾ في الدنيا فلم تتدنسوا بالشرك والمعاصي ﴿فَادْخُلُوهَا﴾ أي: ادخلوا الجنة ﴿خَالِدِينَ﴾ لا يلحقكم موت فيها ولا فناء. ٧٤ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ﴾ بالسبعث والشواب بالجنة ﴿وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ﴾ أي: أرض الجنة، كأنها صارت من غيرهم إليهم فلكوها وتصرفوا فيها، [فيرث أهل الجنة عن أهل النار مقاعدهم في الجنة، ويرث أهل النار عن أهل الجنة مقاعدهم في النار] ﴿نَتَّبِعُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾ أي: نتخذ فيها من

٢ ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ

الْعَلِيمِ ﴿ المعنى : أن القرآن منزل من عند الله ليس بكذب عليه، والعزیز: الغالب القاهر، والعليم: البالغ العلم بخلقه وما يقولونه ويفعلونه.

٣ ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ

الْعِقَابِ ﴿ المعنى : أنه تعالى غافر الذنب لأوليائه وقابل توبتهم وشديد العقاب لأعدائه ﴿ذي الطول﴾ أي ذي الإنعام على عباده والتفضل عليهم بما لم يكن حقا لهم، بل بمحض إحسانه تعالى ﴿لا إله إلا هو إليه المصير﴾ أي الرجوع، لا إلى غيره، وذلك في اليوم الآخر.

٤ ﴿مَا يَجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ

كَفَرُوا ﴿ أي ما يخاصم في دفع آيات الله وتكذيبها إلا الذين كفروا، والمراد الجدل بالباطل والقصد إلى دحض الحق، فأما الجدل لاستيضاح الحق ورفع اللبس، وردّهم بالجدال إلى الحق، فهو من أعظم ما يتقرب به المتقربون، قال تعالى (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن) ﴿فلا يفرّك قلوبهم في البلاد﴾ نهي رسوله ﷺ عن أن يغتر بشيء من حظوظهم الدنيوية، كالتجارة في البلاد، وما يحصلونه من الأرباح، ويجمعونه من الأموال، فإنهم معاقبون عما قليل، وإن أمهلوا فإنهم لا يمهلون.

٥ ﴿كَذَبَتْ قُلُوبُهُمْ قَوْمَ نوحَ وَالْأَحْزَابِ

مِنْ بَعْدِهِمْ ﴿ أي وكذبت الأحزاب الذين تحزبوا على الرسل من بعد قوم نوح كعاد وثمود ﴿وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه﴾ أي: همت كل أمة من تلك الأمم المكذبة برسولهم الذي أرسل إليهم ليتمكنوا منه فيحبسوه ويعذبوه ويصيبوا منه ما أرادوا ﴿وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق﴾ أي: خاصموا رسولهم بالباطل من القول ليدحضوا به الحق ليزيلوه وليبطلوا الإيمان.

نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾

(٤) سُورَةُ غَافِرٍ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا الْخَيْرُ وَثَمَانُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ ﴿٣﴾ مَا يَجْدُلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقْلُبُهُمْ فِي الْبِلَادِ ﴿٤﴾ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ

المنازل ما نشاء حيث نشاء ﴿فنعم أجر العاملين﴾ أي: فنعم أجر العاملين الجنة. ٧٥ ﴿وترى الملائكة حافين من حول العرش﴾ أي: محيطين محققين به ﴿يسبحون بحمد ربهم﴾ أي حال كونهم مسبحين لله، ملتبسين بحمده ﴿وقضي بينهم بالحق﴾ أي بين العباد بإدخال بعضهم الجنة، وبعضهم النار، وقيل المعنى: قضي بين النبيين الذين جيء بهم مع الشهداء وبين أممهم بالحق ﴿وقيل الحمد لله رب العالمين﴾ القائلون: هم

سُورَةُ غَافِرٍ

وتسمى أيضا سورة المؤمن ١ ﴿حم﴾ هذا من الحروف المقطعة في فواتح السور وتقدم الكلام فيها في أول سورة البقرة.



كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا
 بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٦﴾ وَكَذَلِكَ
 حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ
 النَّارِ ﴿٧﴾ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ
 بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا
 رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا
 وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٨﴾ رَبَّنَا
 وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتُهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ
 آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ
 الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ
 فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ
 كَفَرُوا يُنَادُونَ لِمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ

﴿فأخذتهم﴾ أي: فأخذت هؤلاء
 المجادلين بالباطل ﴿فكيف كان عقاب﴾
 أي عقابي الذي عاقبتهم به.

٦ ﴿وكذلك حقت كلمة ربك على
 الذين كفروا﴾ المعنى: وكما حقت كلمة
 العذاب على الأمم المكذبة لرسولهم حقت
 على الذين كفروا بك يا محمد، وجادلوك
 بالباطل، وتخربوا عليك ﴿أنهم أصحاب
 النار﴾ أي: وتلك الكلمة هي أنهم
 مستحقون للنار.

٧ ﴿الذين يحملون العرش ومن حوله
 يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به
 ويستغفرون للذين آمنوا﴾ أي إن
 الملائكة الذين هم حملة العرش وهم أعلى
 طبقات الملائكة، وكذلك الملائكة الذين
 هم حول العرش، ينزهون الله ملتبسين
 بحمده على نعمه، ويؤمنون بالله
 ويستغفرون الله لعباده المؤمنين به،
 يقولون ﴿ربنا وسعت كل شيء رحمة
 وعلم﴾ أي: وسعت رحمتك وعلمك كل
 شيء ﴿فاغفر للذين تابوا واتبعوا
 سبيلك﴾ أي الذين أوقعوا التوبة عن
 الذنوب واتبعوا سبيل الله، وهو دين
 الإسلام ﴿وقههم عذاب الجحيم﴾ أي
 احفظهم منه.

٨ ﴿ربنا وأدخلهم جنات عدن التي
 وعدتهم﴾ إياها ﴿ومن صلح من آبائهم
 وأزواجهم وذرياتهم﴾ أي وأدخل معهم
 من صلح من هؤلاء بأن كان مؤمناً
 موحداً قد عمل الصالحات، تكميلاً
 لنعمتك عليهم، وتماماً لسرورهم.

٩ ﴿وقههم السيئات﴾ أي احفظهم من
 العذاب على ما عملوا من الأعمال
 السيئة، بأن تغفرها لهم ولا تؤاخذهم
 بشيء منها، وقههم ما يسوؤهم من العذاب
 ﴿ومن تق السيئات يومئذ﴾ أي يوم
 القيامة ﴿فقد رحمته﴾ من عذابك وأدخلته
 جنتك.

١٠ ﴿إن الذين كفروا ينادون لمقت
 الله أكبر من مقتكم أنفسكم﴾ أي يقول
 كل إنسان من أهل النار لنفسه: مقتك
 يا نفس، فتقول الملائكة لهم وهم في
 النار: لمقت الله إياكم في الدنيا ﴿إذ
 تدعون إلى الإيمان فتكفرون﴾ أكبر من
 مقتكم لأنفسكم إذ عابتم النار.

١١ ﴿قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا
 اثنتين﴾ المراد بالإماتتين: أنهم كانوا نطفة
 لا حياة لهم، في أصلاب آبائهم، ثم
 أماتهم بعد أن صاروا أحياء في الدنيا.
 والمراد بالإحياءتين: أنه أحياهم الحياة

الأولى في الدنيا ثم أحياهم عند البعث
 ﴿فاعترفنا بذنوبنا﴾ التي أسلفناها في
 الدنيا من تكذيب الرسل، والإشراك بالله
 وترك توحيده. فاعترفوا حيث لا ينفعهم
 الاعتراف، وندموا حيث لا ينفعهم الندم
 ﴿فهل إلى خروج من سبيل﴾ أي هل
 تُيسر لنا طريقاً كيفما كانت لنتمكّن من
 الخروج من النار والرجوع إلى الدنيا؟

١٢ ﴿ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده
 كفرتم﴾ أي ذلك الذي أنتم فيه من
 العذاب بسبب أنكم كنتم إذا دعي الله
 في الدنيا وحده دون غيره كفرتم به

إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَكْفَرُوا ﴿١٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا أُمَتَّنَا
 اثْنَتَيْنِ وَأُحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ
 مِنْ سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ
 وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾
 هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ آيَاتِهِ وَيُنَزِّل لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا
 وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ
 لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ
 ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
 لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ
 مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾
 الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ
 اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ

وتركتم توحيدَهُ ﴿وإن يشرك به﴾ غيره من الأصنام أو غيرها ﴿تؤمنوا﴾ بالإشراك به وتجبوا الداعي إليه ﴿فالحكم لله﴾ وحده دون غيره، وهو الذي حكم عليكم بالخلود في النار وعدم الخروج منها ﴿والعلي﴾ المتعالي عن أن يكون له مماثل في ذاته ولا صفاته ﴿الكبير﴾ الذي كبر عن أن يكون له مثل أو صاحبة أو ولد أو شريك.

١٣ ﴿هو الذي يريكم آياته﴾ أي دلائل توحيدِهِ وعلامات قدرته ﴿وينزل لكم من السماء رزقاً﴾ يعني المطر، فإنه سبب

الأرزاق. جمع سبحانه بين إظهار الآيات، وإنزال الأرزاق، لأن بإظهار الآيات قوام الأديان، وبالأرزاق قوام الأبدان ﴿وما يتذكر إلا من ينيب﴾ أي ما يتذكر ويتعظ بتلك الآيات الباهرة إلا من يرجع إلى طاعة الله، بما يستفيده من النظر في آيات الله.

١٤ ﴿فادعوا الله. مخلصين له الدين﴾ أي مخلصين له العبادة التي أمركم بها ﴿ولو كره الكافرون﴾ ذلك، فلا تلتفتوا إلى كراهتهم، ودعوهم يموتوا بغيبظهم ويهلكوا بحسرتهم.

١٥ ﴿رفيع الدرجات﴾ أي هو الذي يريكم آياته، وهو رفيع الدرجات. والمعنى: رفيع الصفات ﴿ذو العرش﴾ أي صاحب العرش مالكة وخالقه والمتصرف فيه، وذلك يقتضي علو شأنه وعظم سلطانه ﴿يلقي الروح من أمره﴾ سمي الوحي روحاً، لأن الناس يحبون به من موت الكفر، كما تحيا الأبدان بالأرواح ﴿على من يشاء من عباده﴾ وهم الأنبياء: يختارهم ممن يصطفى من عباده. ومعنى ﴿من أمره﴾ [أي من شرائعه التي يوحى بها إلى أنبيائه ليمثلوا ويسيروا في حياتهم بموجبها] ﴿لينذر يوم التلاق﴾ أي: لينذر العذاب يوم يلتقي أهل السماوات والأرض في المحشر، ويلتقي الأولون والآخرين.

١٦ ﴿يوم هم بارزون﴾ خارجون من قبورهم في العراء لا يسترهم شيء. ﴿لا يخفى على الله منهم شيء﴾ من أعمالهم التي عملوها في الدنيا، ولا يخفى عليه ما تكن صدورهم وما يعلنون ﴿لمن الملك اليوم﴾ أي: إذا حضر كل من في السماوات والأرض، يقول الرب تبارك وتعالى (لمن الملك اليوم) يعني يوم القيامة، فلا يجيبه أحد، فيجيب تعالى نفسه، فيقول ﴿الله الواحد القهار﴾ وقال الحسن: هو السائل تعالى، وهو المجيب حين لا أحد يجيبه، فيجيب نفسه.

١٧ ﴿اليوم تجزى كل نفس بما كسبت﴾ من خير وشر ﴿لا ظلم اليوم﴾ على أحد منهم بنقص من ثوابه أو بزيادة في عقابه ﴿إن الله سريع الحساب﴾ أي سريع حسابه، لأنه سبحانه لا يحتاج إلى تفكر في ذلك كما يحتاجه غيره، لإحاطة علمه بكل شيء، فلا يعزب عنه مثقال ذرة.

١٨ ﴿وأنذرهم يوم الآزفة﴾ أي يوم القيامة سميت بذلك لقربها.

الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظْمِينَ^ج مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ
وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ۝ (١٨) يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي
الْصُّدُورُ ۝ (١٩) وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ
دُونِهِ لَا يَقْضُونَ شَيْئًا ۖ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝ (٢٠)
* أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا
فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ
مِنْ وَاقٍ ۝ (٢١) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ
فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝ (٢٢)
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ۝ (٢٣) إِلَى فِرْعَوْنَ
وَهَمَمَنَ وَقُرُونَفَقَالُوا سِحْرٌ كَذَابٌ ۝ (٢٤) فَلَمَّا جَاءَهُمْ
بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ

﴿إِذ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾ كأنها تزول
عن مواضعها من الخوف حتى تصير إلى
الحنجرة ﴿كَظْمِينَ﴾ مغمومين مكروبين
ممتلئين غما ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ﴾ أي
قريب ينفعهم ﴿وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ في
شفاعته لهم.

١٩ ﴿يَعْلَمُ﴾ الله ﴿خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾ وهي
مسارقة النظر إلى ما لا يحل النظر إليه.
وقال قتادة: خائنة الأعين الهمز بالعين
فيما لا يجب الله ﴿وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ أي
ما تسره الضمائر من معاصي الله.

٢٠ ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾ فيجازي كل
أحد بما يستحقه من خير وشر ﴿وَالَّذِينَ
يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ أي [الأصنام
والمعبودات التي يرفع إليها المشركون
أكفهم بالدعاء] من دون الله ﴿لَا
يَقْضُونَ شَيْئًا﴾ لأنهم لا يعلمون شيئاً،
ولا يقدرون على شيء.

٢١ ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا
كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ
قَبْلِهِمْ﴾ أرشدهم سبحانه إلى الاعتبار
بغيرهم، فإن الذين مضوا من الكفار
﴿كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ أي أشد
من هؤلاء الحاضرين من الكفار وأقوى
﴿وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ بما عمروا فيها من
الحصون والقصور ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ
بِذُنُوبِهِمْ﴾ أي بسبب ذنوبهم ﴿وَمَا كَانَ
لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ أي من دافع
يدفع عنهم العذاب.

٢٢ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ
بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي الحجج الواضحة
﴿فَكَفَرُوا﴾ بما جاءهم به ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ
إِنَّهُ قَوِيٌّ﴾ يفعل كل ما يريد لا يعجزه
شيء ﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لمن عصاه ولم
يرجع إليه.

٢٣ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا﴾ هي
التسع الآيات التي قد تقدم ذكرها في غير
موضع ﴿وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ أي حجة بيّنة

٢٦ ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى﴾

اتركوني أقتله ﴿وَلِيدِعْ رَبَّهُ﴾ أي الذي
يزعم أنه أرسله إلينا، فليمنعه من القتل
إن قدر على ذلك، فإنه لا رب له
حقيقة، بل أنا ربكم الأعلى ﴿إِنِّي
أَخَافُ أَنْ يَبْدُلَ دِينَكُمْ﴾ الذي أنتم
عليه من عبادة غير الله، ويدخلهم في
دينه الذي هو عبادة الله وحده ﴿أَوْ أَنْ
يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ أي يوقع بين
الناس الخلاف والفتنة.

٢٧ ﴿وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي
وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ

٢٤ ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ
فَقَالُوا﴾ إنه ﴿سَاحِرٌ كَذَابٌ﴾ أي فيما
جاء به، وخصهم بالذكر لأنهم رؤساء
المكذبين بموسى.

٢٥ ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا﴾
وهي معجزاته الظاهرة الواضحة ﴿قَالُوا
اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا
نِسَاءَهُمْ﴾ لما بعث الله موسى أعاد فرعون
القتل على بني إسرائيل، فكان يأمر بقتل
الذكور وترك النساء، [لما يريد بهن،
وكلا الأمرين بلاء مبين]



إلى قتله.

٢٩ ﴿يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ

فِي الْأَرْضِ﴾ ذكرهم ذلك الرجل المؤمن

ليشكروا الله ولا يتمادوا في كفرهم،

والظهور على الناس: الغلبة لهم

والاستعلاء عليهم، والأرض أرض مصر

﴿فَنُيْصِرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا﴾

أي من يمنعنا من عذابه ويحول بيننا

وبينه عند مجيئه. فلما سمع فرعون ما قاله

هذا الرجل من النصيح الصحيح جاء

بمراوغة يوهم بها قومه أنه لهم من

النصيحة والرعاية بمكان مكين، وأنه لا

يسلك بهم إلا مسلكا يكون فيه جلب

النفع لهم ودفع الضرر عنهم، ولهذا قال

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى﴾

أي ما أشير عليكم إلا بما أرى لنفسي

﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ أي

ما أهداكم بهذا الرأي إلا طريق الصواب

الذي إذا اتبعتموه لم تضلوا. وأخرج أبو

نعيم في فضائل الصحابة والبخاري عن علي

ابن أبي طالب أنه قال: أيها الناس

أخبروني من أشجع الناس؟ قالوا أنت.

قال أما أنا ما بارزت أحدا إلا انتصفت

منه، ولكن أخبروني بأشجع الناس؟

قالوا لا نعلم فن؟ قال: أبو بكر، رأيت

رسول الله ﷺ وأخذته قريش، فهذا

يجئ، وهذا يتلته، وهم يقولون: أنت

الذي جعلت الآلهة إلها واحدا؟ قال:

فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر يضرب

هذا، ويَجِيئُ هذا، ويتلته هذا، وهو

يقول: ويلكم، أتقتلون رجلا أن يقول

ربي الله؟ ثم رفع [علي] برودة كانت

عليه، فبكى حتى اخضلت لحيته، ثم

قال: أنشدكم، أمؤمن آل فرعون خير أم

أبو بكر؟ فسكت القوم، فقال: ألا

تجيئون؟ فوالله لساعة من أبي بكر خير

من مثل مؤمن آل فرعون، ذاك رجل

يكنم إيمانه، وهذا رجل أعلن إيمانه.

وَأَسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذُرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ

أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾

وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ

لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ

فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ

وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ

كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ

اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَقُومُ لَكُمْ

الْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ

اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا

أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقُومُ

بك كاذبا فعليه كذبه وإن بك

صادقا يصيبكم بعض الذي يعدكم﴾

ولم يكن قوله هذا لشك منه، فإنه كان

مؤمنا كما وصفه الله. ومعنى (يصيبكم

بعض الذي يعدكم) أنه إذا لم يصيبكم

كله فلا أقل من أن يصيبكم بعضه، وفي

بعض ذلك هلاككم **﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي**

مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ هذا من تمام

كلام الرجل المؤمن، أي لو كان موسى

مُسْرِفًا كَذَّابًا لما هداه الله إلى البينات،

ولا أيده بالمعجزات، ولو كان كاذبًا على

الله خذله الله وأهلكه، فلا حاجة لكم

الحساب﴾ استعاذ بالله عز وجل من كل

متعظم عن الإيمان بالله، غير مؤمن

بالبعث والنشور. ويدخل فرعون في هذا

العموم دخولا أوليا.

٢٨ ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ

يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾ قال الحسن: كان قبطيا

وهو ابن عم فرعون **﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ**

يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ

مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي والحال أنه قد جاءكم

بالمعجزات الواضحات، والدلالات

الظاهرات، على نبوته وصحة رسالته، ثم

تلفظ لهم في الدفع عنه، فقال **﴿وَأَنْ**

إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ
نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلَمًا
لِلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَقُومُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٢﴾
يَوْمَ تُولُونُ مَذِيرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ
يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ
مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ ۖ حَتَّىٰ
إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ
يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي
آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ كِبْرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ
الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُنْكَبِرٍ
جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ ابْنُ لِي صَرَحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ
الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلَعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى

٣٠ ﴿مثل يوم الأحزاب﴾ أي مثل يوم عذاب الأمم الماضية الذين تحزبوا على أنبيائهم.

٣١ ﴿مثل داب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم﴾ أي مثل حالهم في العذاب، أو مثل عادتهم في الإقامة على التكذيب ﴿وما الله يريد ظلماً للعباد﴾ أي لا يعذبهم بغير ذنب.

٣٢ ﴿ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد﴾ المعنى: يوم ينادي بعضهم بعضاً، يستغيث بعضهم بعضاً، أو ينادي أهل النار أهل الجنة، وأهل الجنة أهل النار. ٣٣ ﴿يوم تولون مذبذبين﴾ أي منصرفين عن الموقف إلى النار، أو فازين منها ﴿ما لكم من الله من عاصم﴾ يعصمكم من عذاب الله ويمنعكم منه.

٣٤ ﴿ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات﴾ أي يوسف بن يعقوب عليه السلام جاءهم بالمعجزات والآيات الواضحات المبيّنة لدين الله وشرائعه، من قبل محيي موسى إليهم، أي جاء إلى آبائكم ﴿فما زلتم في شك مما جاءكم به﴾ من البينات ولم تؤمنوا به ﴿حتى إذا هلك﴾ يوسف ﴿قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا﴾ فكفروا به في حياته، وكفروا بمن بعده من الرسل بعد موته

﴿كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب﴾ مسرف في معاصي الله مستكثر منها، مرتاب في دين الله، شك في وحدانيته ووعدته ووعيده.

٣٥ ﴿الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان آتاهم﴾ أي يجادلون في آيات الله ليبطلوها، بغير حجة واضحة ولا دليل بيتن ﴿كبر مقتاً عند الله وعند الذين آمنوا﴾ أي ما أكبر ما يمقت الله والمؤمنون جدالهم هذا، لأنه جدال بالباطل لا يستندون فيه إلى أصل، [ولأنهم يرومون به إبطال دعوة الله، والتلبيس على من

أنظر إليه، وكان موسى أخبره أن الله في السماء ﴿واني لأظنه كاذباً﴾ في ادعائه بأن له إلهاً، أو فيما يدعيه من الرسالة [أظهر الخبيث أنه غير مستيقن بوجود الله، وأنه بزعمه في سبيل البحث عن صحة ذلك، وأنه يظن ألا وجود لله، وسيرى ماهي الحقيقة، كل ذلك ليستخف بعقول قومه، ويوهمهم بما يريد]

﴿وكذلك زين لفرعون سوء عمله﴾ من الشرك والتكذيب، فتمادى في الغي واستمر على الطغيان ﴿ووضد عن السبيل﴾ أي سبيل الرشاد، أي زين له

يريد الإيمان] ﴿كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار﴾ أي كما طبع على قلوب هؤلاء المجادلين فكذلك يحتم على قلوب جميع المتكبرين الجبارين.

٣٦ ﴿وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً﴾ أي قصراً مشيداً ﴿لعلني أبلغ الأسباب﴾ أي الطرق. وقال قتادة هي الأبواب.

٣٧ ﴿أسباب السماوات﴾ أي أصعد في الصرح [فأصل إلى السماء، فإذا وصلت إليها بحثت عن الإله الذي يدعي موسى أنه هناك] ﴿فأطلع إلى إله موسى﴾ أي

بغير تقدير أو محاسبة. وقال مقاتل: يقول: لا تبعه عليهم فيما يعطون في الجنة من الخير.

٤١ ﴿وَبَا قَوْمِ مَالِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النِّجَاةِ﴾ كثر ذلك الرجل المؤمن دعاءهم إلى الله، وصرح بإيمانه، ولم يسلك المسالك المتقدمة من إيهامه لهم أنه منهم. أي: أخبروني عنكم كيف أدعوكم إلى النجاة من النار ودخول الجنة بالإيمان بالله وإجابة رسله **﴿وتدعونني إلى النار﴾** بما تريدونه مني من الشرك. ثم فسر الدعوتين فقال:

٤٢ ﴿تَدْعُونِي لَأُكْفِرَ بِاللَّهِ وَأَشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ أي مالا علم لي بكونه شريكا لله **﴿وأنا أدعوكم إلى العزيز﴾** [أي أدعوكم إلى الله تعالى خالق كل شيء لتؤمنوا به فيغفر لكم ويعزكم] فهو **﴿العزيز﴾** في انتقامه من كفر **﴿الفقار﴾** لذنب من آمن به.

٤٣ ﴿لَا جُرمَ﴾ أي ليس الأمر كما تزعمون، بل قد حق وثبت ما أذكره لكم **﴿أنما تدعونني إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة﴾** أي حق ووجب بطلان دعوة [كل من يدعى من دون الله، فإن كل من يرفع إليه الدعاء، من الأصنام والموتى، لا يقدر أن يستجيب لداعيه بأن يصنع له شيئا مما يطلبه، أو ينفع داعيه بشيء من وجوه النفع]. وقيل المعنى: ليس له دعوة توجب له الألوهية في الدنيا ولا في الآخرة **﴿وأن مردنا إلى الله﴾** أي مرجعنا ومصيرنا إليه بالموت أولا، وبالبعث آخرا **﴿وأن المسرفين هم أصحاب النار﴾** أي المستكثرين من معاصي الله هم أهل النار الذين يصيرون إليها.

٤٤ ﴿فستذكرون ما أقول لكم﴾ إذا نزل بكم العذاب، وتعلمون أنني قد بالغت في نصحكم وتذكيركم.

وَأِنِّي لَا أَظُنُّهُ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ
وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾
وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾
يَقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ * وَيَقَوْمِ مَالِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونِي لَأُكْفِرَ بِاللَّهِ وَأَشْرِكَ بِهِ ؕ مَا لِي بِهِ ؕ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَّرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ

الشیطان عمله فصدّه عن سبیل الرشاد **﴿وما کید فرعون إلا فی تباب﴾** کیده هو تدبیره الذی دبّره لیصرف الناس عن الإیمان بموسی علیه السلام، والتباب: الخسار والهلاك.

٣٨ ﴿وقال الذی آمن یا قوم اتبعون اهدکم سبیل الرشاد﴾ أي اقتدوا بی فی الدین [فإن فعلتم عرفتم الطریق الذی یوصل إلى الخیر حقیقة، وینجوا من سلکة] وهو الجنة.

٣٩ ﴿یا قوم إنما هذه الحیاة الدنیا متاع﴾ یتمتع بها آیاما ثم تنقطع وتزول

﴿وإن الآخرة هی دار القرار﴾ لکونها دائمة لا تنقطع، ومستمرة لا تزول.

٤٠ ﴿من عمل سیئة فلا یجزي إلا مثلها﴾ أي من عمل فی دار الدنیا معصية من المعاصي — کائنة ما کانت — فلا یجزي إلا مثلها، ولا یعذب إلا بقدرها **﴿ومن عمل صالحا من ذکر أو أنى وهو مؤمن﴾** أي من عمل عملا صالحا مع کونه مؤمنا بالله وبما جاءت به رسله **﴿فأولئک﴾** الذین جمعوا بین العمل الصالح والإیمان **﴿یدخلون الجنة یرزقون فیها بغير حساب﴾** أي رزقا حسنا وافرًا



«وأفوض أمري إلى الله» أي: أتوكل عليه، وأسلم أمري إليه، قيل إنه قال هذا لما أرادوا الإيقاع به. قال مقاتل: هرب هذا المؤمن إلى الجبل فلم يقدرُوا عليه.

٤٥ «فوقاه الله سيئات ما مكروا» أي وقاه الله ما أرادوا به من المكر السيء، وما أرادوه به من الشر «وحاق بال فرعون سوء العذاب» أي أحاط بهم ونزل عليهم سوء العذاب، وقد عذبوا في الدنيا جميعا بالفرق، وسيعذبون في الآخرة بالنار.

٤٦ «النار يعرضون عليها غدوا وعشيا» ذهب الجمهور أن هذا العرض هو في البرزخ، أي بعد موتهم وقبل مجيء القيامة، أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال له هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة» «ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب» أي يقال للملائكة: أدخلوا آل فرعون في جهنم إلى المكان الذي العذاب فيه أشد من غيره.

٤٧ «وإذ يتحاجون في النار» يتخاصم أهل النار فيها «فيقول الضعفاء للذين استكبروا» عن الاتقياء للأنبياء والاتباع لهم، ومكروا لصدة الناس عن الإيمان بهم، وهم رؤساء الكفر «إنا كنا لكم تبعاء» أي تابعين لكم، وكنتم قادتنا ورؤساءنا، وقد صدقنا ما كنتم تقولونه لنا، فباتبعنا لكم دخلنا النار «فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار» أي هل تدفعون عنا نصيبا منها أو تحملونه معنا.

٤٨ «قال الذين استكبروا إنا كل فيها» والمعنى: إنا نحن وأنتم جميعا في

لَكُمْ وَأَفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾
فَوقَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَّامَكُرُوا وَحَاقَ بِعَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ
الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ
تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾
وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا
إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾
قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ
الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخِزْنَةِ جَهَنَّمَ أَدْعُوا
رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوا أَوْ لَمْ تَكُنْ
تَأْتِيَكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا
دَعَاؤُا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا
وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾

جهنم، فكيف نفني عنكم «إن الله قد حكم بين العباد» أي قضى بينهم بأن فريقا في الجنة، وفريقا في السعير.

٤٩ «وقال الذين في النار» من الأمم الكافرة، مستكبرهم وضعيفهم «لخزنة جهنم» وهم الملائكة القائمون عليها بتعذيب أهل النار «ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب» طلبوا من الملائكة أن يشفعوا لهم لدى الله تعالى لتخفيف يسير.

٥٠ «قالوا أولم تكن تأتيناكم رسلكم بالبينات قالوا بلى» أي أتونا بها

٥١ «إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا» أي نجعلهم الغالبين لأعدائهم القاهرين

فكذبناهم، ولم تؤمن بهم ولا بما جاءوا به من الحجج. فلما اعترفوا «قالوا» أي قال لهم الملائكة الذين هم خزنة جهنم «فادعوا» أي إذا كان الأمر كذلك فادعوا أنتم، فإننا لا ندعولن كفر بالله وكذب رسله بعد مجيئهم بالحجج الواضحة. ثم أخبروهم بأن دعاءهم لا يفيد شيئا، فقالوا «وما دعاء الكافرين إلا في ضلال» أي في ضياع وبطلان، فلن يستجاب.

يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ
سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا
بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي
الْأَلْبَابِ ﴿٥٤﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ
وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ
يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ
إِلَّا كِبَرٌ مَا هُمْ بِبَلِّغِيهِ فَاستَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
الْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ نَخْلُقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ
النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِي
الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا
الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ
فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ

من ذنبه وما تأخر ﴿وسبح بحمد ربك
بالعشي والإبكار﴾ أي دم على تنزيه الله
ملتبسا بحمده، وقيل المراد صل في الوقتين
صلاة العصر وصلاة الفجر.

٥٦ ﴿إن الذين يجادلون في آيات الله
بغير سلطان أناهم﴾ أي بغير حجة ظاهرة
واضحة جاءتهم من جهة الله سبحانه
﴿إن في صدورهم إلا كبر﴾ تكبر عن
الحق يحملهم على تكذيبك ﴿ما هم
ببالغيه﴾ أي تكبر على محمد ﷺ وطمع
أن يغلبوه، وما هم ببالغي ذلك، أو
يطلبون أمرا كبيرا يصلون به إليك من
القتل ونحوه، ولا يبلغون ذلك ﴿فاستعذ
بالله إنه هو السميع البصير﴾ أي
فالتجىء إليه من شرهم وكيدهم وبغيهم
عليك، إنه السميع لأقوالهم البصير
بأفعالهم، لا تحق عليه من ذلك خافية.

٥٧ ﴿خلق السماوات والأرض أكبر
من خلق الناس﴾ أي أعظم في
النفوس، وأجل في الصدور، لعظم
أجرامها، واستقرارها من غير عمد،
وجريان الأفلاك بالكواكب، أي:
فكيف ينكرون البعث وإحياء ما هو
دونها من كل وجه، كما في قوله
(أوليس الذي خلق السماوات والأرض
بقادر على أن يخلق مثلهم) ﴿ولكن أكثر
الناس لا يعلمون﴾ بعظيم قدرة الله.

٥٨ ﴿وما يستوي الأعمى والبصير﴾ أي
الذي يجادل بالباطل، والذي يجادل
بالحق ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات
ولا المسيء﴾ أي ولا يستوي المحسن
بالإيمان والعمل الصالح والمسيء بالكفر
والمعاصي ﴿قليلًا ما تتذكرون﴾.

٥٩ ﴿إن الساعة لآتية لا ريب فيها﴾
أي لاشك في مجيئها وحصولها ﴿ولكن
أكثر الناس لا يؤمنون﴾ بذلك ولا
يصدقونه، لقصور أفهامهم وضعف عقولهم
عن إدراك الحجة.

٥٣ ﴿ولقد آتينا موسى الهدى﴾ أي
آتيناه التوراة والنبوة، قال مقاتل: الهدى
من الضلالة: يعني التوراة ﴿وأورثنا بني
إسرائيل الكتاب﴾ التوراة، بقيت بعد
موسى فيهم، وتوارثوها خلفا عن سلف.
٥٤ ﴿هدى وذكرى لأولي الألباب﴾
أي هاديا ومذكرا لأهل العقول السليمة.
٥٥ ﴿فاصبر﴾ على أذى المشركين كما
صبر من قبلك من الرسل ﴿إن وعد الله﴾
الذي وعد به رسله ﴿حق﴾ لا خلف فيه
ولاشك في وقوعه ﴿واستغفر لذنبك﴾
لزيادة الثواب، وقد غفر الله له ما تقدم

لهم ﴿في الحياة الدنيا﴾ بما عودهم الله
من الانتقام منهم بالقتل والسلب والأسر
والقهر ﴿ويوم يقوم الأشهاد﴾ وهو يوم
القيامة. والأشهاد الملائكة، تشهد
للأنبياء بالإبلاغ. ومعنى نصرهم أن الله
يجازيهم بأعمالهم فيدخلهم الجنة
ويكرمهم بكراماته، ويجازي الكفار
بأعمالهم فيلعنهم ويدخلهم النار.

٥٢ ﴿يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم﴾
لأنها معذرة باطلة، وتعللة داحضة، وشبهة
زائغة ﴿ولهم اللعنة﴾ أي البعد عن الرحمة
﴿ولهم سوء الدار﴾ أي النار.

٦٠ ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم﴾

﴿لكم﴾ المراد بالدعاء السؤال بجلب النفع ودفع الضر. والدعاء في نفسه عبادة، بل هو مخ العبادة، كما ورد بذلك الحديث الصحيح. [وهذه الآية ذاتها هي الحجة في ذلك، فإن الله تبارك وتعالى قال (ادعوني أستجب لكم) ثم قال (إن الذين يستكبرون عن عبادتي) أي عن دعائي. وعلى هذا فن طلب من الموقى قضاء الحوائج وجلب النفع ودفع الضر، كان قد عبدهم بدعائه ذلك، وصرف إليهم مالا يجوز صرفه إلا لله تعالى] ثم إن دعاء غير الله لا يفيد الداعي شيئا، والقادر على إجابة الدعاء هو الله، فالله سبحانه قد أمر عباده بدعائه ووعدهم بالإجابة ووعد الحق ﴿إن الذين يستكبرون عن عبادتي﴾ أي عن دعائي ﴿سيدخلون جهنم داخرين﴾ هذا وعيد شديد لمن استكبر عن دعاء الله، فيا عباد الله وجهوا رغباتكم وعولوا في كل طلباتكم على من أمركم بتوجيهها إليه، وكفل لكم الإجابة به، فهو الكريم يجب دعوة الداعي إذا دعاه، ويغضب على من لم يطلب من فضله العظيم وملكه الواسع ما يحتاجه من أمور الدنيا والدين.

٦١ ﴿الله الذي جعل لكم الليل

لتسكنوا فيه﴾ من الحركات في طلب الكسب، لكونه جعله مظلا باردا تناسبه الراحة بالسكون والنوم ﴿والنهار مبصرا﴾ أي مضيئا لتبصروا فيه حوائجكم، وتتصرفوا في طلب معاشكم ﴿إن الله لذو فضل على الناس﴾ بتفضل عليهم بنعمه التي لا تحصى ﴿ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾ النعم ولا يعترفون بها، إما لجهودهم لها، أو لإغفالهم للنظر وإهمالهم لما يجب من شكر النعم.

٦٢ ﴿فأني توفكون﴾ أي فكيف تنقلبون عن عبادته وتنصرفون عن توحيده.

أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ أَلِيلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا إِلَهًا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانَُوا بِعَايَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ * قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أُعْبَدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ

أي المستلذات ﴿ذلكم﴾ المنعوت بهذه النعوت الجليلة ﴿الله ربكم فتبارك الله رب العالمين﴾ أي كثر خيره وبركته.

٦٥ ﴿هو الحي لا إله إلا هو﴾ أي الباقي الذي لا يفنى المنفرد بالألوهية ﴿فادعوه مخلصين له الدين﴾ أي أخلصوا له الطاعة والعبادة ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ عن ابن عباس قال: من قال لا إله إلا الله، فليقل على أثرها: الحمد لله رب العالمين، وذلك قوله ﴿فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين﴾.

٦٣ ﴿كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون﴾ أي مثل هذا الأفك يؤفك الجاحدون لآيات الله المنكرون لتوحيده، أي يصرفون عن اتباع الصراط القويم.

٦٤ ﴿الله الذي جعل لكم الأرض قرارا﴾ أي موضع قرار، تستقرون عليها، وتستقر عليها مبانيكم وأمتعتكم وهي ثابتة بكم] وفيها تحيون وفيها تموتون ﴿والسما بناء﴾ أي سقفا قائما ثابتا ﴿وصوركم فأحسن صوركم﴾ أي خلقكم في أحسن صورة: خلقكم أحسن الحيوان كله ﴿ورزقكم من الطيبات﴾.



على الإحياء والإماتة **﴿فإذا قضى أمراً﴾**
من الأمور التي يريد لها **﴿فإنما يقول له
كن فيكون﴾** من غير توقف.

٦٩ **﴿ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات
الله أنى يصرفون﴾** أي كيف يصرفون
عن الإيمان بها مع قيام الأدلة الدالة على
صحتها، وأنها في أنفسها موجبة للتوحيد:
وهم المشركون.

٧٠ **﴿الذين كذبوا بالكتاب﴾** بالقرآن
أو جنس الكتب المنزلة من عند الله
﴿وبما أرسلنا به رسلاً﴾ ما يوحى إلى
الرسل من غير كتاب **﴿فسوف يعلمون﴾**
عاقبة أمرهم ووبال كفرهم.

٧١، ٧٢ **﴿إذ الأغلال في أعناقهم
والسلاسل﴾** في أعناقهم **﴿يسحبون في
الحميم﴾** أي: أعناقهم في الأغلال
والسلاسل يسحبون بها في الحميم،
والحميم: هو الماء المتناهي في الحرارة **﴿ثم
في النار يسجرون﴾** توقد بهم النار،
فصاروا وقودها.

٧٣، ٧٤ **﴿ثم قيل لهم﴾** تقول لهم
الملائكة تقرعاً لهم وتوبيخاً **﴿أين ما
كنتم تشركون﴾** من دون الله أي أين
الشركاء الذين كنتم تعبدونهم من دون
الله، ما لهم لا ينقذونكم مما أنتم فيه؟
﴿قالوا ضلوا عناه﴾ أي ذهبوا وفقدناهم
فلا نراهم **﴿بل لم نكن ندعو من قبل
شيئاً﴾** أي لم نكن نعبد شيئاً، قالوا هذا
لما تبين لهم ما كانوا فيه من الضلالة
والجهالة، وأنهم كانوا يعبدون مالا يبصر
ولا يسمع، ولا يضر ولا ينفع، وذاك
الذي صدر عنهم اعتراف منهم بأن
عبادتهم إياها كانت باطلة **﴿كذلك
يضل الله الكافرين﴾** أي مثل ذلك
الضلال يضل الله الكافرين حيث عبدوا
هذه الأصنام التي أوصلتهم إلى النار.

الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ
ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ
لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يَتَوَفَّى مِنْ قَبْلٍ وَلِتَبْلُغُوا
أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ
فَإِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ
تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصَرَّفُونَ ﴿٦٩﴾
الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ
يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ
يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾
ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا
ضَلُّوا عَنْ بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ
يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَلِكَ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ

يخرج كل واحد منكم طفلاً **﴿ثم لتبلغوا
أشدكم﴾** وهي الحالة التي تجتمع فيها
القوة والعقل، وقد سبق بيان الأشد
مستوفى في الأنعام (الآية ١٥٢) **﴿ثم
لتكونوا شيوخاً﴾** الشيخ من جاوز أربعين
سنة **﴿ومنكم من يتوفى من قبل﴾** أي
من قبل الشيخوخة **﴿ولتبلغوا أجلاً
مسمى﴾** أي وقت الموت أو يوم القيامة
﴿ولعلكم تعقلون﴾ أي لكي تعقلوا توحيد
ربكم، وتعلموا عظم قدرته البالغة في
خلقكم على هذه الأطوار المختلفة.

٦٨ **﴿هو الذي يحيى ويميت﴾** أي يقدر

٦٦ **﴿قل إني نهييت أن أعبد الذين
تدعون من دون الله﴾** وهي الأصنام **﴿لما
جاءني البينات من ربي﴾** وهي الأدلة
العقلية والنقلية، فإنها توجب التوحيد
﴿وأمرت أن أسلم لرب العالمين﴾ أي
أستسلم له بالانقياد والخضوع.

٦٧ **﴿هو الذي خلقكم من تراب﴾** أي
خلق أباكم الأول، وهو آدم، وخلق من
تراب يستلزم خلق ذريته منه **﴿ثم من
نطفة ثم من علقه﴾** قد تقدم تفسير هذا
في أول سورتي الحج والمؤمنون **﴿ثم
يخرجكم طفلاً﴾** أي أطفالاً، على معنى

٧٥ ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي ذلك العذاب سببه ما كنتم تظهرون في الدنيا من الفرح بمعاصي الله والسرور بمخالفة رسله وكتبه ﴿وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ أي تبطرون وتأشرون. والمرح: البطر والخيلاء.

٧٦ ﴿ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [أي يقال لهم هذا بعدما يدخلونها، تبكيئاً لهم وتوبيخاً، وتبيساً لهم من إمكانية تفادي العذاب أو الخلاص منه] ﴿فَبئس مثوى المتكبرين﴾ عن قبول الحق جهنم.

٧٧ ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ أي وعده بالانتقام منهم كائن لا محالة، إما في الدنيا، أو في الآخرة ﴿فَإِذَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ﴾ من العذاب في الدنيا بالقتل والأسر والقهر ﴿أَوْ نَتُوفِّيَنَّكَ﴾ قبل إنزال العذاب بهم [فلا تشك في أنه آت لا محالة، وأن النصر في العاقبة لدعوة الإسلام] ﴿فَإِلَيْنَا يَرْجِعُونَ﴾ يوم القيامة فنعذبهم.

٧٨ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مِنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾ أي أنبأناك بأخبارهم، وما لقوه من قومهم ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ خبره ولا أوصلنا إليك علم ما كان بينه وبين قومه [والذين ذكرهم الله في القرآن من الرسل قريب من خمسة وعشرين رسولا، أما الذين لم يذكر فيه فأكثر من ذلك، وفي بعض الأحاديث أن الرسل كلهم أكثر من ثلاثمئة رسول] ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ لامن قبل نفسه، والمراد بالآية المعجزة الدالة على نبوته ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ أي إذا جاء الوقت المعين لعذابهم في الدنيا أو في الآخرة ﴿قُضِيَ بِالْحَقِّ﴾ فيما بينهم فينجي الله بقضائه الحق عباده المحقين ﴿وَيُخْسِرُ هُنَالِكَ﴾ أي في ذلك الوقت ﴿الْمُبْطِلُونَ﴾

فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ أَدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبئسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ أَوْ نَتُوفِّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يَرْجِعُونَ ﴿٧٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لَتَرَكِبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ

الركوب والأكل، من الوبر والصوف والشعر والزبد والسمن والجن وغير ذلك ﴿وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ﴾ تحمل أثقالكم من بلد إلى بلد فتقصون حاجاتكم في البلاد البعيدة بيسر وسهولة ﴿وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ أي على الإبل في البر، وعلى السفن في البحر.

٨١ ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ أي دلالاته الدالة على كمال قدرته ووحدانيته ﴿فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾ فإنها كلها من الظهور وعدم الخفاء بحيث لا ينكرها ذو بصيرة نيرة إن كان منصفاً

الذين يتبعون الباطل ويعملون به [أي فعليك بالصبر يا محمد، تأشياً بالأنبياء قبلك، وإذا جاء أمر الله بالفصل بينك وبين قومك قضى بينكم بالحق، فتصيرت وخسر المبطلون من ملأ قريش الذين يصدون عن دعوتك].

٧٩ ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ﴾ أي خلقها لأجلكم، وهي الأزواج الثمانية المذكورة في سورة الأنعام (الآية ١٤٣) ﴿لَتَرَكِبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ والمعنى: لتركبوا بعضها وتأكلوا بعضها.

٨٠ ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ آخر غير

يستهنئون أي أحاط بهم جزاء

استهزائهم .

٨٤ ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ أي عاينوا عذابنا

النازل بهم **﴿قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ**

وَكُفِرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ وهي

الأصنام التي كانوا يعبدونها .

٨٥ ﴿فَلَمَّ بِكَ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا

بَأْسَنَا﴾ أي عند معاينة عذابنا، لأن ذلك

الإيمان ليس بالإيمان النافع لصاحبه، فإنه

إنما ينفع الإيمان الاختياري لا الإيمان

الاضطراري [فإنه عند معاينة الحق لا

يبقى للتكليف مجال، فالكل يؤمن حينئذ

وهكذا في الآخرة لا ينفع الإيمان لمن

آمن عند قيام الساعة ولم يكن آمن في

الدنيا] **﴿سَنَةِ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي**

عِبَادِهِ﴾ والمعنى: أن الله سبحانه سن هذه

السنة في الأمم كلها: أنه لا ينفعهم

الإيمان إذا رأوا العذاب **﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ**

الْكَافِرُونَ﴾ أي وقت رؤيتهم بأس الله

ومعاينتهم لعذابه، والكافر خاسر في كل

وقت، ولكنه يتبين لهم خسرانهم إذا رأوا

العذاب .

سورة فصلت

وتسمى أيضا سورة حم السجدة .

٢ ﴿تَنْزِيلَ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ أي هذا

القرآن تنزيل منه تبارك وتعالى .

٣ ﴿كِتَابَ فَصَّلْتَ آيَاتِهِ﴾ المراد: بينت

أحكام حلاله من حرامه، وطاعته من

معصيته وجعلت معانيه مبيّنة مُحْكَمَةً تفهم

بيسر وسهولة **﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾** أي فصلت

آياته حال كونه قرآنا عربيا، أي بلغة

العرب، ليكون لهم ذكرا، ويكون عليهم

حجة، وليكون لهم نعمة **﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾**

أي يعلمون أن القرآن منزل من عند الله

[ويوقنون بذلك. أما الذين لا يوقنون فلا

يكون لهم نعمة بل هو عليهم عسى] .

والمكر، ولا نفعهم ذلك في ردة أمر الله

عنهم ومؤاخذتهم على ما تجنيه أيديهم من

الظلم ومخالفة أمر الله .

٨٣ ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي

بالحجج الواضحات والمعجزات الظاهرات

﴿فَرَحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ أي

أظهروا الفرح بما عندهم مما يدعون أنه

من العلم، [وهو في حقيقته] من الشبه

الداخضة والدعاوي الزائفة. وقيل المراد:

ما عندهم من علم أحوال الدنيا لا أحوال

الدين كما في قوله (يعلمون ظاهرا من

الحياة الدنيا) **﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ**

٨٢ ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا

كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾

من الأمم التي عصت الله، وكذبت

رسلها، فإن الآثار الموجودة في ديارهم

تدل على ما نزل بهم من عقوبة وما

صاروا إليه من سوء العاقبة **﴿كَانُوا أَكْثَرَ**

مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً﴾ أي أكثر منهم عددا،

وأقوى منهم أجسادا، وأوسع منهم أموالا

﴿وَبِأَظْهَرٍ مِنْهُمْ آثَارًا فِي الْأَرْضِ﴾

بالعمائر والمصانع والحرث **﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ**

مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي لم يغن عنهم كل

ما عملوه في دنياهم من الشرك والكيد

(٤١) سُورَةُ فَصَّلَتْ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّاهَا ٤٤ نَزَلَتْ بَعْدَ غَافِرٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ١ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٢ كِتَابٌ

فَصَلَّتْ عَائِشَةُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٤﴾
 بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٥﴾
 وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا
 وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَاغْمِلْ إِنَّا عَمِلُونَ ﴿٦﴾
 قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ
 وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۚ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ﴿٧﴾
 الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٨﴾
 إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ
 مَمْنُونٍ ﴿٩﴾ * قُلْ إِنَّا نَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ
 فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ ۚ أَنْدَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾
 وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا
 أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١١﴾ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ

٤ ﴿بَشِيرًا﴾ لأولياء الله ﴿ونذيرًا﴾ لأعدائه ﴿فأعرض أكثرهم﴾ أي فأعرض أكثر الكفار عما اشتمل عليه من النذارة ﴿فهم لا يسمعون﴾ سماعًا ينتفعون به، لإعراضهم عنه.

٥ ﴿وقالوا قلوبنا في أكنة﴾ أي في أغشية، فهي لا تفقه ما تقول، ولا يصل إليها قولك ﴿وفي آذاننا وقور﴾ أي صمم ﴿ومن بيننا وبينك حجاب﴾ أي ساتر يستر عنا رؤيتك، أو يستر صوتك حتى لا نعلم ما تقول. هذه تمثيلات منهم لنبو قلوبهم عن إدراك الحق، ومع أسماعهم له، وامتناع المواصلات بينهم وبين رسول الله ﷺ ﴿فاعمل إننا عاملون﴾ أي اعمل على دينك، إننا عاملون على ديننا. وقيل المراد: اعمل لآخرتك فإننا عاملون لدنيانا.

٦ ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إليكم إله واحد﴾ أي إنما أنا كواحد منكم لولا الوحي، ولم أكن من جنس مغاير لكم حتى تكون قلوبكم في أكنة، ولم أدعكم إلى ما يخالف العقل، وإنما أدعوكم إلى التوحيد. وقد أوحى إلي دونكم، فصررت بالوحي نبيًا ووجب عليكم اتباعي ﴿فاستقيموا إليه﴾ بالطاعة ولا تميلوا عن سبيله ﴿واستغفروه﴾ لما فرط منكم من الذنوب ﴿وويل للمشركين﴾.

٧ ﴿الذين لا يؤتون الزكاة﴾ أي هم يمنعونها ولا يخرجونها إلى الفقراء، ولا ينفقون في الطاعة ﴿وهم بالآخرة هم كافرون﴾ جاحدون لها.

٨ ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم أجر غير ممنون﴾ أي غير مقطوع عنهم. وقيل معنى الآية: لا يُتم عليهم به، لأنه إنما يمتن بالفضل، فأما الأجر فحق أدائه.

٩ ﴿قل أنكم لتكفرون بالذي خلق

الأرض في يومين﴾ قيل اليومان هما يوم الأحد ويوم الإثنين. وقيل المراد مقدار يومين، لأن اليوم الحقيقي إنما يتحقق بعد وجود الأرض والسماء ﴿وتجعلون له أنداداً﴾ أي أضداداً مساوين له في القدر عندكم ﴿ذلك﴾ المتصف بما ذكر هو ﴿رب العالمين﴾ ومن جملة العالمين ما تجعلونها أنداداً لله، فكيف تجعلون بعض مخلوقاته شركاء له في عبادته؟
 ١٠ ﴿وجعل فيها رواسي﴾ أي جبالاً ثوابت ﴿من فوقها﴾ مرتفعة عليها لأنها من أجزاء الأرض ﴿وبارك فيها﴾ أي: من أجزاء الأرض مباركة إلى السماء﴾ أي عمدة جعل الأرض مباركة كثيرة الخير، بما خلق فيها من المنافع للعباد ﴿وقدر فيها أقواتها﴾ أرزاق أهلها وما يصلح لمعايشهم من الأشجار والمنافع، وجعل في كل بلد ما لم يجعله في الأخرى ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة والأسفار من بلد إلى بلد ﴿في أربعة أيام﴾ أي في تنمة أربعة أيام باليومين المتقدمين ﴿سواء للسائلين﴾ كأنه قيل: هذا الحصر جواب للذين يسألون قائلين: في كم خلقت الأرض وما فيها؟
 ١١ ﴿ثم استوى إلى السماء﴾ أي عمدة



إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا
أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَيْنَ سَبْعَ
سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنَا
السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْصِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ
الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً
مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ
بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ
شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾
فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ
أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ
أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا
عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنَنْذِقَهُمْ عَذَابَ

﴿وزينا السماء الدنيا بمصاييح﴾ أي
بكواكب مضيئة متلألئة عليها كتلاؤ
المصاييح ﴿وحفظاً﴾ أي وخلقنا المصاييح
زينة وحفظاً، والمراد حفظها من الشياطين
الذين يسترقون السمع ﴿ذلك تقدير
العزیز العليم﴾ [أي هذا النظام البديع
هو من ترتيب الله القادر على صنع كل
شيء، الذي يعلم كل شيء].

١٣ ﴿فإن أعرضوا﴾ أي عن التدبر
والتفكر في هذه المخلوقات، أو عن طاعة
هذه الآيات التنزيلية والإيمان بها ﴿فقل﴾
لهم يا محمد ﴿أنذرتكم﴾ خوفاً منكم
﴿صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود﴾
المراد بالصاعقة: التي تقتل في الحال.

١٤ ﴿إذ جاءتهم الرسل من بين
أيديهم ومن خلفهم﴾ أي جاءتهم الرسل
المتقدمون والمتأخرون، أما المتأخرون فقد
رأوهم بأنفسهم، وأما المتقدمون فقد بلغ
كلامهم، فكان الرسل قد جاءوهم
وخاطبوهم بقولهم: ﴿أن لا تعبدوا إلا
الله قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة﴾
لأرسلهم إلينا ولم يرسل إلينا بشراً من
جنسنا ﴿فإننا بما أرسلتم به كافرون﴾ أي
كافرون بما ترعّمونه من أن الله أرسلكم
إلينا.

١٥ ﴿فأما عاد فاستكبروا في الأرض
بغير الحق﴾ أي تكبروا عن الإيمان بالله
وتصديق رسله واستعلوا على من في
الأرض بغير استحقاق ﴿وقالوا من أشد
منا قوة﴾ وكانوا ذوي أجسام طوال وقوة
شديدة، فاغترّوا بأجسامهم حين تهدّدهم
هود بالعذاب، ومرادهم بهذا القول أنهم
قادرون على دفع ما ينزل بهم من العذاب
﴿أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو
أشد منهم قوة﴾ فهو قادر على أن ينزل
بهم من أنواع عقابه ما شاء بقوله كن
فيكون ﴿وكانوا بآياتنا يجحدون﴾ أي
بمعجزات الرسل.

منها وتأثير القدرة الربانية فيها.
١٢ ﴿فقضاهن سبع سموات﴾ أي
خلقهن وأحكمهن وفرغ منهن ﴿في يومين﴾
فالجملة ستة أيام. قال مجاهد: ويوم من
الستة الأيام كالف سنة مما تعدّون
﴿وأوحى في كل سماء أمرها﴾ [أي
جعل فيها النظام الذي تجري عليه الأمور
فيها] قال قتادة: أي خلق فيها شمسها
وقمرها ونجومها وأفلاكها وما فيها من
الملائكة والبحار والبرد والثلوج، والأرض
بعد ذلك دحاها [أي كوّرها] فالأرض
متقدمة خلقاً متأخرة دحواً [والله أعلم]

وقصد نحوها قصداً سوياً، من قولهم:
استوى إلى مكان كذا إذا توجه إليه
توجهها لا يلتفت معه إلى عمل آخر
﴿وهي دخان﴾ الدخان ما ارتفع من
لهب النار ﴿فقال لها وللأرض ائتيا
طوعاً أو كرها﴾ قال المفسرون: قيل
لها: أما أنت يا سماء فأطلمي شمسك
وقرك ونجومك، وأما أنت يا أرض فشقي
أنهارك وأخرجي ثمارك ونباتك ﴿قالتا
أتينا طائعين﴾ أي أتينا أمرك منقادين،
خلق فيها الكلام فتكلمتا كما أراد
سبحانه، وقيل هو تمثيل لظهور الطاعة

أَلْخَزِي فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ
وَهُمْ لَا يَنْصُرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا
الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ
بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا
يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ
يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ
وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا
لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقْنَا اللَّهَ الَّذِي أَنْطَقَ
كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تَرْجَعُونَ ﴿٢١﴾
وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ
وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا
تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ

١٦ ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾

الصَرْصَر: الريح الشديدة الصوت، وقيل: هي الريح الشديدة البرد، التي تحرق الزروع والأشجار كما تحرقها النار ﴿فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ﴾ أي مشؤومات ذوات نحوس، وكانت سبع ليال وثمانية أيام حسوما، كما ذكر الله تعالى في سورة الحاقة ﴿لَنَذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ الخزي: هو الذل والهوان بسبب ذلك الاستكبار ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ﴾ أي أشد إهانة وإذلالاً ﴿وَهُمْ لَا يَنْصُرُونَ﴾ لا يدفعه عنهم دافع.

١٧ ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ بيّنا لهم سبيل النجاة، ودللناهم على طريق الحق، بإرسال الرسل إليهم، ونصب الدلالات لهم من مخلوقات الله ﴿فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ أي اختاروا الكفر على الإيمان، واختاروا المعصية على الطاعة ﴿فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ﴾ [الصاعقة النار التي تقتل من أصابته فوراً] وعذاب الهون هو العذاب المهين ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي بسبب كسبهم ولم يظلمهم الله تعالى.

١٨ ﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ وهم صالح ومن معه من المؤمنين.

١٩ ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ﴾ أي يساقون جميعاً إليها بعنف [وأعداء الله تعالى كل من كذب رسله واستكبر عن عبادته] ﴿فَهُمْ يوزَعُونَ﴾ أي يحبس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا ويجمعوا.

٢٠ ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ في الدنيا من المعاصي، تنطق جوارحهم بما كتمت الألسن من عملهم بالشرك، والجلود هي جلودهم المعروفة، وقيل هي كناية عن الفروج.

٢١ ﴿وَقَالُوا لَجُلُودُهُمْ لَمْ شَهِدَتْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقْنَا اللَّهَ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ

شَيْءٍ﴾ أي أنطق كل شيء مما ينطق من مخلوقاته، فإنه كما أنطق الألسن في الدنيا، فكذلك أنطقنا في الآخرة، فشهدنا عليكم بما عملتم من القبائح ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تَرْجَعُونَ﴾ المعنى أن من قدر على خلقكم وإنشاءكم ابتداء قدر على إعادتكم ورجعكم إليه.

٢٢ ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ قيل هذا من كلام الله سبحانه، أو من كلام الجلود: أي ما كنتم تستخفون عند الأعمال القبيحة

حذراً من شهادة الجوارح عليكم. ولما كان الإنسان لا يقدر على أن يستخفي من جوارحه عند مباشرة المعصية كان معنى الاستخفاء هنا ترك المعصية خوفاً من هذه الشهادة ﴿وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من المعاصي فاجترأتم على فعلها.

٢٣ ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَسْخَبَ اللَّهُ لَكُمُ الْعَمَلُ﴾ المعنى أن ظنكم بأن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون جرأكم على المعصية، فتسارعتم فيها، وذلك أهلككم وطرحكم في النار.



فَأَصْبَحَتْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ
مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾
* وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا
خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّ قَدْ خَلَتْ مِنْ
قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٥﴾
وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ
لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا
شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾
ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ
بِمَا كَانُوا بِعَآيِنَتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أُضْلَلْنَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لِنَجْعَلَهُمَا
تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ

أصواتكم ليتشوش القارىء له، أو الغوا فيه بالمكاء والتصديق والتصفيق والتخليط في الكلام حتى يصير لغوا غير مفهوم **﴿لعلكم تغلبون﴾** لكي تغلبوهم فيسكتوا.

٢٧ ﴿فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا﴾ وهذا وعيد لجميع الكفار **﴿ولنجزيهم أسوأ الذي كانوا يعملون﴾** أي ولنجزينهم في الآخرة جزاء أقبح أعمالهم التي عملوها في الدنيا وهو الشرك. وقيل المعنى يجازيهم بمساوي أعمالهم لا بمحاسنها كما يقع منهم من صلة الأرحام وإكرام الضيف، لأن ذلك باطل لا أجر له فيه مع كفرهم.

٢٨ ﴿هم فيها دار الخلد﴾ دار الإقامة المستمرة التي لا انقطاع لها **﴿جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون﴾** أي يجزون جزاء بسبب جحدهم القرآن، يجحدون أنه من عند الله.

٢٩ ﴿وقال الذين كفروا ربنا أرونا الذين أضلانا من الجن والإنس﴾ طلبوا من الله سبحانه أن يريهم من أضلهم من فرقي الجن والإنس من الشياطين الذين كانوا يسؤلون لهم الكفر ويزينون لهم المعاصي، ومن الرؤساء الذين كانوا يزينون لهم الكفر **﴿نجعلها تحت أقدامنا﴾** أي لكي ندوسها بأقدامنا لنشتفي منهم **﴿ليكونا من الأسفلين﴾** فيها مكانا، أو ليكونا من الأذلين المهانين.

٣٠ ﴿إن الذين قالوا ربنا الله﴾ أي وحده لا شريك له **﴿ثم استقاموا﴾** على التوحيد، ولم يلتفتوا إلى إله غير الله، واستقاموا على أمر الله، فعملوا بطاعته، واجتنبوا معصيته، حتى ماتوا **﴿تنزل عليهم الملائكة﴾** من عند الله سبحانه بالبشرى التي يريدونها. قال مجاهد: ذلك عند الموت. وقال قتادة: إذا قاموا من قبورهم للبعث.

بأنها كهم فيها، وزينوا لهم ما خلفهم من أمور الآخرة، فقالوا لابعث ولا حساب، ولا جنة ولا نار **﴿وحق عليهم القول﴾** ثبت عليهم العذاب **﴿في أمم﴾** من الأمم الكافرة التي **﴿قد خلت﴾** ومضت **﴿من قبلهم من الجن والإنس﴾** على الكفر **﴿إنهم كانوا خاسرين﴾** [بتكذيبهم وسوء أفعالهم، ولم يرجحوا شيئا].

٢٦ ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن﴾ أي قال بعضهم لبعض لا تنصتوا له، وقيل لا تطيعوا **﴿والغوا فيه﴾** أي عارضوه باللغو والباطل، أو ارفعوا

٢٤ ﴿فإن يصبروا فالنار مثوى لهم﴾ أي محل استقرارهم وإقامتهم لا خروج لهم منها **﴿وإن يستعتبوا فاهم من المعتبين﴾** المعنى أنهم إن يسألوا أن يرجع بهم إلى ما يحبون لم يرجع، لأنهم لا يستحقون ذلك، وإن يطلبوا الرضى لم يقع الرضى عنهم، بل لابد لهم من النار. **٢٥ ﴿وقيضنا لهم قرناء﴾** سلطنا عليهم قرناء من الشياطين بمنزلة الأخلاء لهم حتى أضلوهم **﴿فزينا لهم ما بين أيديهم﴾** من أمور الدنيا وشهواتها، وحملوهم على الوقوع في معاصي الله

قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا نَتَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا
تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾
نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ
فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلَا
مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا
إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾
وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ
أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ
حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا
ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّمَا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ
فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ
الَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ

﴿أَلَّا تَخَافُوا﴾ مما تقدمون عليه من أمور
الآخرة ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ على ما فاتكم من
أمور الدنيا، من أهل وولد ومال
﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ بها
في الدنيا، فإنكم واصلون إليها مستقرون
بها، خالدون في نعيمها.

٣١ ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَفِي الْآخِرَةِ﴾ أي نحن المتولون لحفظكم
ومعونتكم في أمور الدنيا وأمور الآخرة،
ومن كان الله وليه فاز بكل مطلب، ونجا
من كل مخافة. وقيل تقول الملائكة: نحن
الحفظة لأعمالكم في الدنيا، وأوليائكم
في الآخرة، يشفعون لهم في الآخرة
ويتلقونهم بالكرامة ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا
تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ﴾ من صنوف اللذات
والنعم ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾ أي ما
تطلبون مما تشتهي أنفسكم.

٣٢ ﴿نَزَّلَا مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ﴾ النزل ما
يعد لهم حال نزولهم من الرزق والضيافة.

٣٣ ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى
اللَّهِ﴾ إلى توحيد الله وطاعته، فذلك خير
ما يقوله إنسان لإنسان ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا
وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ لربي، فكل
من جمع بين دعاء العباد إلى ما شرعه
الله، وعمل عملاً صالحاً، وهو تأدية ما
فرض الله عليه، مع اجتناب ما حرّمه
عليه، وكان من المسلمين ديناً لآمن
غيرهم، فلا شيء أحسن منه قولاً، ولا
أوضح من طريقة، ولا أكثر من عمله
ثواباً.

٣٤ ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾
أي لا تستوي الحسنة التي يرضى الله بها
ويشيب عليها، ولا السيئة التي يكرهها
الله ويعاقب عليها. وقيل الحسنة هنا
المدارة، والسيئة الغلظة ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي
هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي ادفع السيئة إذا جاءتك
من المسيء بأحسن ما يمكن دفعها به من
الكلام الطيب، ومنه مقابلة الإساءة

٣٥ ﴿وَمَا يُلْقَاهَا﴾ أي لا يؤتي القدرة
على هذه الخصلة، وهي دفع السيئة
بالحسنة ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على كظم
الغضب، واحتمال المكروه ﴿وَمَا يُلْقَاهَا
إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ﴾ في الثواب والخير
فإنها هبة من الله.

٣٦ ﴿وَأِنَّمَا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ
فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ النزغ شبيه النخس، شبه
به الوسوسة، لأنها تبعث على الشر،
والمعنى: وإن صرفك الشيطان عن الدفع
بالتّي هي أحسن [وزيّن لك أن تقابل
السيئة بمثلها في السوء أو أشد منها]
بالإحسان، والذنب بالعفو، والغضب
بالصبر، والإغضاء عن المفوات،
والاحتمال للمكروهات ﴿فَإِذَا الَّذِي
بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾
المعنى أنك إذا فعلت ذلك الدفع صار
العدوّ كالصديق. قال مقاتل: نزلت في
أبي سفيان بن حرب كان معادياً للنبي
ﷺ فصار له ولياً بالمصاهرة التي وقعت
بينه وبينه، ثم أسلم، فصار ولياً في
الإسلام حمياً بالمصاهرة. [وهذا الأدب في
الآية موجه إلى الدعاة إلى الله. وهو لعامة
الناس كذلك.]



وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ
تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ
يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿٣٨﴾
وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا
عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُخَيِّ
الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ
فِي آيَاتِنَا لَا يَحْفَظُونَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ
مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا
تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ
وَإِنَّهُمْ لَكِثَبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ
وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَا يُقَالُ
لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ

الاسجد لله، فهوا عن ذلك.

فاستعد بالله من شره.

٣٨ ﴿فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ
يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا
يَسْأَمُونَ﴾ أي إن استكبر هؤلاء عن
الامتثال، فالملائكة لا يستكبرون عن
عبادته تعالى، بل يديمون التسبيح لله
سبحانه بالليل والنهار وهم لا يملون ولا
يفترون.

٣٩ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ
خَاشِعَةً﴾ إذا يبت الأرض ولم تمطر قيل
قد خشعت ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ
اهْتَزَّتْ﴾ تحركت بالنبات، أي اهتز

٣٧ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالشَّمْسُ
وَالْقَمَرُ﴾ أي هي من العلامات الدالة
على قدرة الله وعظمته وحكمته ﴿لَا
تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ لأنها
مخلوقات من مخلوقاته، فلا يصح أن يكونا
شريكين له في ربوبيته ﴿وَاسْجُدُوا لِلَّهِ
الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ أي خلق هذه الأربعة
المذكورة ﴿إِنْ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ قيل:
كان ناس يسجدون للشمس والقمر
كالصابئين في عبادتهم الكواكب،
ويزعمون أنهم يقصدون بالسجود لها

النبات عليها ﴿وَرَبَّتْ﴾ انتفخت وعلت
قبل أن تنبت [وقيل ربوها أنها زادت بما
عليها من النبات. ومعنى الكلمتين تصوير
الأرض المنبئة بصورة الحي المتحرك]
﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُخَيِّ الْمَوْتِ﴾
بالبعث والنشور ﴿إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ﴾ لا يعجزه شيء كائن ما كان.

٤٠ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ أي
يميلون عن الحق، فيحرفون كلام الله،
ويضعونه على غير مواضعه ﴿لَا يَحْفَظُونَ
عَلَيْنَا﴾ بل نحن نعلمهم فنجازيهم بما
يعملون ﴿أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ
يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ المراد أن الملحدون
في الآيات يلقون في النار، وأن المؤمنين
بها يأتون آمنين يوم القيامة فاحكموا أي
الحالين أفضل ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا
تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فهو مجازيكم على كل ما
تعملون. قال الزجاج: لفظ — اعملوا —
لفظ الأمر، ومعناه الوعيد.

٤١ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا
جَاءَهُمْ﴾ أي إن الذين كفروا بالقرآن لما
جاءهم يجازون بكفرهم ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ
عَزِيزٌ﴾ أي القرآن الذي كانوا يلحدون
فيه عزيز عن أن يعارض، أو يطعن فيه
الطاعنون، منيع عن كل عيب.

٤٢ ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا
مِنْ خَلْفِهِ﴾ محفوظ من أن ينقص منه أو
يزاد فيه، ولا يأتيه التكذيب من الكتب
التي قبله، ولا يجيء من بعده كتاب
فيبطله ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ أي
فكيف يأتيه الباطل والذي أنزله له
كمال الحكمة، وأعلى الصفات.

٤٣ ﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ
لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ﴾ أي ما يقال لك من
هؤلاء الكفار من وصفك بالسحر
والكذب والجنون إلا مثل ما قيل للرسل
من قبلك، فإن قومهم كانوا يقولون لهم
مثل ما يقول لك هؤلاء.

وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ أَلَا نَجْمِي وَعَرَبِي ۚ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۖ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَآخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ * إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْثَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ قَالُوا أَاذْنُكَ مَآمِنًا مِّنْ شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنَّوْا مَا هُمْ مِنْ مَّجِيسٍ ﴿٤٨﴾ لَا يَسْتَعْمِلُ

﴿٤٤﴾ «ولو جعلناه قرآنا أعجميا» أي لو جعلنا هذا القرآن بغير لغة العرب «لقالوا لولا فصلت آياته» أي هلا بينت بلغتنا، فإننا عرب لا نفهم لغة العجم «أأعجمي وعربي» هو من جملة قولهم أي لقالوا: أكلام أعجمي ورسول عربي؟ وقيل المراد: هلا فصلت آياته فجعل بعضها أعجميا لإفهام العجم، وبعضها عربيا لإفهام العرب، ولو فعلنا ذلك لقالوا هذا كلام مختلط «قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء» أي يهتدون به إلى الحق ويشتفون به من كل شك وشبهة «والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر» أي صمم عن سماعه وفهم معانيه، ولهذا تواصلوا باللغو فيه «وهو عليهم عمى» يهر عيونهم فلا يستطيعون رؤية الحق فقد عموا عن القرآن وصموا عنه «أولئك ينادون من مكان بعيد» كحال من ينادى من مسافة بعيدة يسمع صوت من يناديه منها ولا يفقه ما يقال له.

﴿٤٥﴾ «ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه» أي فهذه عادة قديمة في أمم الرسل، فإنهم يختلفون في الكتب المنزلة إليهم «ولولا كلمة سبقت من ربك» في تأخير العذاب عن المكذبين من أمتك «لقضي بينهم» بتعجيل العذاب لمن كذب منهم.

﴿٤٦﴾ «وما ربك بظلام للعبيد» فلا يعذب أحدا إلا بذنبه.

﴿٤٧﴾ «إليه يرد علم الساعة» علمها إليه لا إلى غيره «وما تخرج من ثمرات من أكمامها» أكمامها: أوعيتها [التي تخلق الثمار فيها، فكل ثمرة تخلق في كتم يحمها إلى أن تزهر فتفتتح أو تنضج] «وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه» أي ما يحدث شيء من خروج ثمرة، ولا حمل حامل، ولا وضع واضح إلا بعلم الله،

فإليه يرد علم الساعة كما إليه يرد علم

هذه الأمور «ويوم ينادي» أي ينادي الله سبحانه المشركين، وذلك يوم القيامة «أين شركائي» الذين كنتم تزعمون من الأصنام وغيرها، فادعوه الآن فليشفعوا لكم أو يدفعوا عنكم العذاب «قالوا أذنك ما منا من شهيد» أعلمناك ما منا أحد يشهد بأن لك شريكا.

﴿٤٨﴾ «وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل» أي زال وبطل في الآخرة ما كانوا يعبدون في الدنيا من الأصنام ونحوها «وظنوا ما هم من مجيس» أي أيقنوا

﴿٤٩﴾ «لا يسأم الإنسان من دعاء الخير» أي لا يمل من دعاء الخير لنفسه وجلبه إليها، والخير هنا: المال والصحة والسلطان والرفعة «وإن مسه الشر فيئس قنوط» أي وإن مسه البلاء والشدة والفقر والمرض، كان بالغ اليأس من روح الله، قنوطاً من رحمته، حتى يظن عدم زوال ما به من المكروه.

﴿٥٠﴾ «ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته» أي ولئن آتيناه خيرا وعافية وغنى من بعد شدة ومرض وفقر



الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَعْوِضْ
 قَنُوطٌ ﴿٥١﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتهُ
 لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ
 إِلَىٰ رَبِّي إِنْ لِيٰ عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
 بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا
 أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَسَا بِجَانِبِهِ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ
 الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ
 عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ ۖ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ
 بَعِيدٍ ﴿٥٤﴾ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ
 يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ
 شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٥﴾ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِئَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ
 أَلَّا يَهْدِيَهُ رَبُّكَ إِلَىٰ سَبِيلٍ مُّخِيطٍ ﴿٥٦﴾

إلى الله واستغاث به، أن يكشف عنه ما
 نزل به واستكثر من ذلك، فذكره في
 الشدة ونسيه في الرخاء، واستغاث به
 عند نزول النعمة وتركه عند حصول
 النعمة، وهذا صنيع الكافرين ومن كان
 غير ثابت القدم من المسلمين.

٥٢ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أي أخبروني **﴿إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾** أي القرآن **﴿ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ﴾** أي كذبتم به ولم تقبلوه ولا عملتم بما فيه **﴿مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾** أي لا أحد أضل منكم لشدة عداوتكم.

٥٣ ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا﴾ أي سنريهم دلائل صدق القرآن، وعلامات كونه من عند الله **﴿فِي الْآفَاقِ﴾** يعني أقطار السماوات والأرض من الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والرياح والأمطار والرعد والبرق والصواعق والنبات والأشجار والجبال والبحار وغير ذلك **﴿فِي أَنْفُسِهِمْ﴾** من لطيف الصنعة وبديع الحكمة [في صنعة تعالى لأبدان بني آدم وتركيبهم النفسي] وقيل: في الآفاق: القرى التي يسر الله فتحها لرسوله وللائمة بعده. وفي أنفسهم: فتح مكة نفسها **﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾** أي يتبين لهم بجلاء أن القرآن ومن أنزله ومن جاء به حق **﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾** شاهد على أعمال الكفار، وشاهد على أن القرآن منزل من عنده.

٥٤ ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِئَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ بالبعث والحساب والثواب والعقاب **﴿أَلَّا يَهْدِيَهُ رَبُّكَ إِلَىٰ سَبِيلٍ مُّخِيطٍ﴾** أحاط علمه بجميع المعلومات، وأحاطت قدرته بجميع المقدورات، فالهم يتمارون في البعث والنشور، وقد علموا أن الله خلقهم أول مرة.

وحصول البعث والنشور **﴿إِنْ لِيٰ عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ﴾** الكرامة، فظن أنه استحق خير الدنيا بما فيه من الخير، واستحق خير الآخرة بذلك **﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا﴾** أي لنخبرهم بها يوم القيامة.

٥١ ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ أي هذا طبعه من حيث هو إنسان باعتبار غالب أفراده **﴿أَعْرَضَ﴾** عن الشكر **﴿وَنَسَىٰ بِجَانِبِهِ﴾** أي ترفع عن الانقياد للحق وتكبر وتجبر **﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾** أي البلاء والجهد والفقر والمرض **﴿فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾** أي كثير، فإذا مسه الشر تضرع

﴿لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾ أي هذا شيء أستحقه على الله لرضاه بعمل، فظن أن تلك النعمة التي صار فيها وصلت إليه باستحقاقه لها، ولم يعلم أن الله يبطل عبادته بالخير والشر ليتبين له الشاكر من الجاحد، والصابر من الجزع **﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾** كما يخبرنا به الأنبياء، والشك في البعث لا يكون إلا من الكافرين، أو المتزلزلين في الدين، المتظهرين بالإسلام المبطنين للكفر **﴿وَلَنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي﴾** على تقدير صدق ما يخبرنا به الأنبياء من قيام الساعة

سُورَةُ الشُّورَى

(٤٢) سُورَةُ الشُّورَى بِكِتَابَةِ
وَأَيُّهَا ثَلَاثُ وَخَمْسُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ۝ عَسَى ۝ كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ ۝ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ۝ تَكَادُ السَّمَوَاتُ
يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ
وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ ۝ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ
الرَّحِيمُ ۝ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِظُ
عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ۝ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا
إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا

١، ٢ ﴿حَمْدٌ. عَسَى﴾ قد تقدم الكلام في أمثال هذه الحروف المقطعة التي في أوائل السور.

٣ ﴿كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أي مثل ذلك الإيحاء الذي أوحى إلى سائر الأنبياء من كتب الله المنزلة عليهم المشتملة على الدعوة إلى التوحيد والبعث، يوحى إليك يا محمد في هذه السورة.

٤ ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ ذكر سبحانه لنفسه هذا لدلالته على كمال قدرته، ونفوذ تصرفه في جميع مخلوقاته.

٥ ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾ يتفطرن: يتشققن من عظمة الله وجلاله من فوقهن [ويحتمل أن المراد لكثرة ما عليهن من الملائكة. وفي الحديث: «أظلت السماء، وحق لها أن تظط، ما فيها موضع قدم إلا وفيه ملك رাকع أو ساجد» رواه أحمد والترمذي] وقيل المراد: كدن يتفطرن من قول المشركين اتخذ الله ولدا ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ أي ينزهونه عما لا يليق به ولا يجوز عليه متلبسين بحمده

﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ من عباد الله المؤمنين، وطمعا في إيمان الكافر وتوبة الفاسق ﴿أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ أي كثير المغفرة والرحمة.

٦ ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ أي أصناما يعبدونها ﴿اللَّهُ حَفِظُ عَلَيْهِمْ﴾ أي يحفظ أعمالهم ليجازيهم بها ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ أي لم يوكلك بهم حتى تؤاخذ بذنوبهم، ولا وكل إليك هدايتهم، وإنما عليك البلاغ.

٧ ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾

بلسان قومك كما أرسلنا كل رسول بلسان قومه ﴿لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ﴾ وهي مكة، والمراد أهلها ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ من الناس: أي لتنذرهم العذاب ﴿وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ﴾ يوم القيامة، لأنه مجمع الخلائق، ويجمع الأرواح بالأجساد ﴿لَا رَبَّ فِيهِ﴾ أي لا شك فيه ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ أي يجتمعون في المحشر، ثم يفرقون إلى مصائرهم.

٨ ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أهل دين واحد: إما على هدى، وإما على ضلالة، ولكنهم افترقوا على أديان مختلفة بالمشيئة الأزلية ﴿وَلَكِنْ يَدْخُلُ مِنْ

يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ في الدين الحق: وهو الإسلام ﴿وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ أي المشركون ما لهم من ولي يدفع عنهم العذاب، ولا نصير ينصرهم في ذلك المقام.

٩ ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ أي بل اتخذ الكافرون من دون الله أولياء من الأصنام يعبدونها لتنصرهم ﴿فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ﴾ أي هو الحقيق بأن يتخذوه وليا، فإنه الخالق الرازق الضار النافع الناصر لمن أراد ﴿وَهُوَ﴾ أي ومن شأنه أنه ﴿يُعِيبِي

وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ
 فِي السَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ
 يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ
 وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَأَلَّهُ هُوَ
 الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾
 وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ
 رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ
 أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَبَسَ كَمَثَلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ
 الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ
 الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾
 * شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا

وهي الثمانية التي ذكرها في الأنعام
﴿يَذُرُّكُمْ فِيهِ﴾ أي ييثكم ويكثركم به :
 أي يكثركم يجعلكم أزواجا لأن ذلك
 سبب النسل **﴿ليس كمثله شيء﴾** [أي
 لا يبلغ شيء من مخلوقاته تعالى، أن يكون
 مثله في حكمته وقدرته وعلمه. أثنى على
 نفسه تعالى بذلك للدلالة على مدى
 الحكمة في بث الأحياء في الأرض
 باستخدام طريقة الزوجية والتزاوج]
﴿وهو السميع﴾ لكل الأصوات
﴿البصير﴾ [بالأمور فيصنعها على وجه
 الحكمة، ويبصر المخلوقات صغيرها
 وكبيرها ظاهرها وخفيها].

١٢ ﴿له مقاليد السماوات والأرض﴾
 أي خزائنها أو مفاتيحها **﴿يبسط الرزق**
لمن يشاء ويقدر﴾ أي يوسع له من يشاء
 من خلقه، ويضيقه على ما يشاء.

١٣ ﴿شرع لكم من الدين﴾ لأمة محمد
 ﷺ أي بيّن وأوضح لكم من الدين **﴿وما**
وصى به نوحا﴾ من التوحيد وأصول
 الشرائع التي لم يختلف فيها الرسل
 وتوافقت عليها الكتب **﴿والذي أوحينا**
إلىك﴾ من القرآن وشرائع الإسلام
 والبراءة من الشرك **﴿وما وصينا به**
إبراهيم وموسى وعيسى﴾ مما تطابقت عليه
 الشرائع **﴿أن أقيموا الدين﴾** أي توحيد
 الله والإيمان به وطاعة رسله وقبول
 شرائعه، قال مجاهد: لم يبعث الله نبيا
 قط إلا وصاه بإقامة الصلاة، وإيتاء
 الزكاة، والإقرار لله بالطاعة، فذلك دينه
 الذي شرع لهم **﴿ولا تفرقوا فيه﴾** أي لا
 تختلفوا في التوحيد والإيمان بالله وطاعة
 رسله وقبول شرائعه، فلا ينبغي الخلاف
 في مثلها، [وليس من هذا الشعائر
 الفرعية وأنواع العبادات وتفصيلها فإنها
 تختلف من شريعة إلى أخرى، لقوله
 تعالى: لكل جعلنا منكم شرعة
 ومنهاجا].

الموت وهو على كل شيء قدير﴾ أي
 يقدر على كل مقدور، فهو الحقيق
 بتخصيصه بالالوهية وإفراده بالعبادة
 وإفراده باتخاذ وليا.

١٠ ﴿وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه
إلى الله﴾ كل ما اختلف فيه العباد من
 أمر الدين، فإن حكمه ومرجه إلى الله،
 وسوف يحكم فيه يوم القيامة بحكمه،
 ويفصل خصومة المتخاصمين فيه، وعند
 ذلك يظهر الحق من المبطل، ويتميز
 فريق أهل الجنة وفريق أهل النار
﴿ذلكم﴾ الحاكم بهذا الحكم **﴿الله ربى**



إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا
الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ
إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ
يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ
بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ
مُسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكُتُبَ مِنْ
بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٌ ﴿١٤﴾ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ
كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا
أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا
وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا
وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ وَالَّذِينَ
يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُ رُجَّتْهُمْ دَاحِضَةٌ

﴿كبر على المشركين ما تدعوهم إليه﴾
أي عظم وشق عليهم ما تدعوهم إليه من
التوحيد ورفض الأوثان، واشتد عليهم
شهادة أن لا إله إلا الله وحده، وضاق
بها إبليس وجنوده، فأبى الله إلا أن
ينصرها ويعليها ويظهرها ويظهرها ﴿الله
يجتبي إليه من يشاء﴾ يختار لتوحيده
والدخول في دينه من يشاء من عباده
﴿ويهدي إليه من ينيب﴾ أي يوفق
لدينه، ويستخلص لعبادته، من يرجع
إلى طاعته ويقبل إلى عبادته.

١٤ ﴿وما تفرقوا إلا من بعد ما
جاءهم العلم﴾ أي ما تفرقوا إلا عن
علم بأن الفرقة ضلالة، لكن كان منهم
التفرق للبغي بينهم بطلب الرياسة وشدة
الحمية، يعني أمم الأنبياء المتقدمين،
وأنهم اختلفوا لما طال بهم المدى، فأمن
قوم وكفر قوم، ولم يكفر الكافرون إلا
تكبرا وحسدا. وهذا تحذير لهذه الأمة من
أن تفترق فيما بينها بغيا وحسدا ﴿ولولا
كلمة سبقت من ربك﴾ وهي تأخير
العقوبة ﴿إلى أجل مسمى﴾ وهو يوم
القيامة ﴿لقضي بينهم﴾ أي لوقع القضاء
بينهم بإنزال العقوبة بهم معجلة
بالكافرين ونجاة المؤمنين ﴿وإن الذين
أورثوا الكتاب﴾ من اليهود والنصارى

﴿من بعدهم﴾ من بعد الأمم قبلهم ﴿لفي
شك منه﴾ أي من القرآن، أو من محمد
﴿مريب﴾ موقع في الريب، ولذلك لم
يؤمنوا، وقيل المراد كفار المشركين من
العرب أورثوا القرآن من بعد ما أورث
أهل الكتاب كتابهم، في شك من القرآن
مريب.

١٥ ﴿فلذلك فادع واستقم﴾ أي
فلأجل ما ذكر من التفرق والشك، أو
فلأجل أنه شرع من الدين ما شرع، فادع
إلى الله وإلى توحيده، واستقم على ما
دعوت إليه، واستمر على تبليغ الرسالة

﴿كما أمرت﴾ بذلك من جهة الله ﴿ولا
تتبع أهواءهم﴾ الباطلة، وتعصباتهم
الزائفة، ولا تنظر إلى خلاف من خالفك
في ذكر الله ﴿وقل آمنت بما أنزل الله
من كتاب﴾ أي بجميع الكتب التي أنزلها
الله على رسله، لا كالذين آمنوا ببعض
منها وكفروا ببعض ﴿وأمرت لأعدل
بينكم﴾ في أحكام الله إذا ترافعتم إلي،
ولا أحيف عليكم ﴿الله ربنا وربكم﴾
أي إلهنا وإلهكم، وخالقنا وخالقكم ﴿لنا
أعمالنا﴾ أي ثوابها وعقابها خاص بنا
﴿ولكم أعمالكم﴾ أي ثوابها وعقابها

١٦ ﴿والذين يحاجون في الله من بعد
ما استجيب له﴾ أي يخاضعون في دين
الله من بعدما استجاب الناس له ودخلوا
فيه. قال مجاهد: وهؤلاء قوم توهوا أن
الجاهلية تعود فجادلوا الذين استجابوا
للإسلام لعلهم يردونهم إلى الجاهلية.
وقال قتادة: هم اليهود والنصارى،

خاص بكم ﴿لاحجة بيننا وبينكم﴾ أي
لاخصومة بيننا وبينكم، لأن الحق قد
ظهر ووضح ﴿الله يجمع بيننا﴾ في المحشر
﴿وإليه المصير﴾ أي المرجع يوم القيامة،
فيجازي كلا بعمله.

عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾
 اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ
 لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
 بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ
 أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾
 اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ ۖ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ
 الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي
 حَرْثِهِ ۖ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ
 فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ
 مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ
 بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى الظَّالِمِينَ
 مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ ۚ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا

ضلال بعيد عن الحق، ولو تفكروا
 لعلموا أن الذي خلقهم ابتداء قادر على
 الإعادة.

١٩ **الله لطيف بعباده** أي كثير
 اللطف بهم، بالغ الرأفة لهم، يجري لطفه
 على عباده في كل أمورهم، ومن جملة
 ذلك الرزق الذي يعيشون به في الدنيا
يرزق من يشاء منهم كيف يشاء،
 فيوسع على هذا ويضيق على هذا **وهو**
القوي العظيم القوة، الباهر القدرة
العزیز الذي يغلب كل شيء، ولا
 يغلبه شيء.

٢٠ **من كان يريد حرث الآخرة نزد**
له في حرثه من كان يريد بأعماله
 وكسبه ثواب الآخرة، يضاعف الله له
 ذلك: الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمائة
 ضعف. وقيل: معناه يزيد في توفيقه
 وإعانتة وتسهيل سبل الخير له **ومن كان**
يريد حرث الدنيا نؤته منها ما قضت
 به مشيئتنا، وقسم له في قضائنا **وما له**
في الآخرة من نصيب لأنه لم يعمل
 للآخرة، فلا نصيب له فيها.

٢١ **أم لهم شركاء شرعوا لهم من**
الدين ما لم يأذن به الله من الشرك
 والمعاصي [فأوقعوا الأتباع في الحيرة من
 شأن الأديان] **ولولا كلمة الفصل**
 وهي تأخير الفصل في شأن اختلاف
 المختلفين إلى يوم القيامة **لفضي بينهم**
 أي بين المؤمنين والمشركين، أو المشركين
 وشركائهم، فعاجل أئمة الشرك بالعقوبة
 في الدنيا.

٢٢ **ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا**
 أي خائفين وجلين مما عملوا من
 السيئات، وذلك الخوف والوجل يوم
 القيامة **وهو واقع بهم** أي جزاء ما
 كسبوا واقع بهم نازل عليهم لا محالة،
 أشفقوا أو لم يشفقوا.

هو خير وما هو شر] وقيل المراد: علم الله
 الناس الوزن بالموازين لئلا تضيع الحقوق
 فيما بينهم ويقع بينهم النظام **وما**
يدريك لعل الساعة قريب.

١٨ **يستعجل بها الذين لا يؤمنون**
بها استعجال استهزاء منهم بها وتكذيب
 بمجيئها **والذين آمنوا مشفقون منها**
 أي خائفون وجلون من مجيئها، لأنهم
 يعلمون أنهم محاسبون ومجزيون **ويعلمون**
أنها الحق أي أنها آتية لا ريب فيها
ألا إن الذين يمارون في الساعة أي
 يخاصمون فيها مخاصمة شك وريبة **ولفي**

ومحاجتهم قولهم: نبينا قبل نبیکم،
 وكتابنا قبل کتابکم **وحجتهم داحضة**
عند ربهم أي لا ثبات لها، كالشيء
 الذي يزول عن موضعه **وعليهم غضب**
 عظيم من الله لمجادلتهم بالباطل **وهلم**
عذاب شديد في الآخرة.

١٧ **الله الذي أنزل الكتاب بالحق**
 فيشمل جميع الكتب المنزلة على الرسل
والميزان العدل، وسمي العدل ميزانا
 لأن الميزان آلة الإنصاف، والتسوية بين
 الخلق فيما يبيعون ويشترون. وقيل:
 الميزان ما في الكتب المنزلة [من بيان ما

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ
عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَلِكَ الَّذِي
يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ
لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن
يَقْتِرِفْ حَسَنَةً نَّزِدَ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِن
يَشَأِ اللَّهُ يَحْمِلْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ
الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ
الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ
وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ ؕ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ
عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ * وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي

رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ﴾ الروضة: الموضع النزه
الكثير الخضرة، قيل: وروضة الجنة:
أطيب مساكنها كما أنها في الدنيا لأحسن
أمكنها ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ من
صنوف النعم وأنواع المستلذات ﴿ذَلِكَ
هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ أي الذي لا يوصف
ولا تهدي العقول إلى معرفة حقيقته.

٢٣ ﴿ذَلِكَ الَّذِي يَبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أي:
فهؤلاء الجامعون بين الإيمان، والعمل بما
أمر الله به، وترك ما نهى عنه، هم
المبشرون بتلك البشارة ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ
عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ أي قل يا محمد: لا أطلب
منكم على تبليغ الرسالة جُثْلًا ولا نفعا
﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ أي ولكن
أسألكم المودة في القرابة التي بيني
وبينكم، فأرغبوني فيها، ولا تعجلوا عليّ،
ودعوني والناس. قال ابن عباس: إن
النبي ﷺ لم يكن بطن من قريش إلا
كان له فيهم قرابة، فقال: إلا أن تصلوا
ما بيني وبينكم من القرابة. وقال: كان
لرسول الله ﷺ قرابة من جميع قريش،
فلما كذبوه وأبوا أن يتابعوه يقول: يا قوم
إذا أبيتم أن تتابعوني فاحفظوا قرابتي
فيكم، ولا يكون غيركم من العرب أولى
بمحفظي ونصري منكم. فهو ﷺ لم يسأل
على التبليغ أجرا على الإطلاق ﴿وَمَن
يَقْتِرِفْ حَسَنَةً نَّزِدَ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ أي:
من يكتسب حسنة نزل له هذه الحسنة
حسنا بمضاعفة ثوابها.

٢٤ ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾
أي: بل يقولون افترى محمد على الله
كذبا بدعوى النبوة ﴿فَإِن يَشَأِ اللَّهُ يَحْمِلْ
عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ المعنى لو حدثتك نفسك أن
تفتري على الله كذبا لطبع على قلبك إن
شاء، فلم تقدر عليه ﴿وَيَمْحُو اللَّهُ
الْبَاطِلَ﴾ أي لو كان ما أتى به النبي ﷺ

باطلا لمحاه، كما جرت به عادته في
المفتريين ﴿وَيُحِقُّ الْحَقَّ﴾ أي الإسلام
فبيّنه ﴿بِكَلِمَاتِهِ﴾ أي بما أنزله من القرآن
﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي: عالم بما
في قلوب العباد.

٢٥ ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ
عِبَادِهِ﴾ أي يقبل من المذنبين من عباده
توبتهم إليه مما عملوا من المعاصي.

٢٦ ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ﴾ أي يستجيب الله للذين
آمَنوا ويعطيهم ما طلبوه منه ﴿وَيَزِيدُهُم
مِّن فَضْلِهِ﴾ أي يزيدهم على ما طلبوه

٢٧ ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ﴾ أي
لو وسع الله لهم رزقهم ﴿لَبَغَوْا فِي
الْأَرْضِ﴾ لعصوا فيها ويطروا النعمة،
وتكبروا، وطلبوا ما ليس لهم طلبه
﴿وَلَكِن يَنْزِلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ﴾ أي ينزل
من الرزق لعباده بتقدير محسوب، على
حسب مشيئته، وما تقتضيه حكمته البالغة
﴿إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ﴾ بأحوالهم ﴿بَصِيرٌ﴾ بما
يصلحهم من توسيع الرزق وتضييقه.

٢٨ ﴿وَهُوَ الَّذِي يَنْزِلُ الْغَيْثَ﴾ أي المطر

٢٩ ﴿وَهُوَ الَّذِي يَنْزِلُ الْغَيْثَ﴾ أي المطر



لَبَغَوَا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزَّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ
بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ
بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾
وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا
مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَا
أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ
كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ
مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ
الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ ﴿٣٢﴾ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ
فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ
صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ
كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ

تصابون بها عقوبة لكم، بسبب ما
كسبت أيديكم من المعاصي ﴿ويعفو عن
كثير﴾ من المعاصي التي يفعلها العباد،
فلا يعاقب عليها. ويكفر عن العبد بما
يصيبه من المصائب، ويعفو عن كثير من
الذنوب [وقد تصيب المؤمن المصيبة لا
لذنب فعله، ويؤجر على ذلك] وقيل
الآية مختصة بالكافرين: يصابون بسبب
ذنوبهم، من غير أن يكون ذلك مكفراً
عنهم لذنب، ولا محضاً لثواب، ويترك
عقوبتهم عن كثير من ذنوبهم، فلا
يعاجلهم في الدنيا، بل يمهلهم إلى الدار
الآخرة.

٣١ ﴿وما أنتم بمعجزين في الأرض﴾
أي بفائتين عليه هرباً في الأرض، بل
ما قضاه عليهم من المصائب، واقع عليهم
نازل بهم ﴿وما لكم من دون الله من
ولي﴾ أي يواليكم فيمنع عنكم ما قضاه الله
﴿ولا نصير﴾ ينصركم من عذاب الله.
٣٢ ﴿ومن آياته الجوار﴾ وهي السفن
الجارية: أي السائرة ﴿في البحر
كالأعلام﴾ أي: الجبال. وقال مجاهد:
الأعلام: القصور.

٣٣ ﴿إن يشأ يسكن الريح﴾ التي تجري
بها السفن ﴿فيظللن﴾ أي السفن
﴿رواكده﴾ أي سواكن ثوابت ﴿على
ظهره﴾ أي ظهر البحر ﴿إن في ذلك﴾
الذي ذكر من أمر السفن ﴿آيات﴾
دلالات عظيمة ﴿لكل صبار شكور﴾
كثير الصبر على البلوى، كثير الشكر على
النعماء.

٣٤ ﴿أوبقهن بما كسبن﴾ أي [وإن
يشأ] يهلكهن بالفرق، بما كسبن من
الذنوب ﴿ويعفو عن كثير﴾ من أهلها
بالتجاوز عن ذنوبهم، فينجيهم من
الفرق.

٣٥ ﴿ويعلم الذين يجادلون في آياتنا
ما لهم من محيص﴾ من فرار ولا مهرب.

الذي هو أنفع أنواع الرزق، وأعمها
فائدة، وأكثرها مصلحة ﴿من بعد ما
قنطوا﴾ أي من بعد ما أيسوا من ذلك،
فيعرفون بهذا الإنزال للمطر بعد القنوط
مقدار رحمته لهم، ويشكرون له ما يجب
الشكر عليه ﴿وهو الولي﴾ للصالحين من
عباده بالإحسان إليهم، وجلب المنافع
لهم، ودفع الشرور عنهم ﴿الحميد﴾
المستحق للحمد منهم على إنعامه.

٢٩ ﴿ومن آياته خلق السماوات
والأرض﴾ على هذه الكيفية العجيبة،
والصنعة الغريبة ﴿وما بث فيها من

٣٠ ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما
كسبت أيديكم﴾ أي ما أصابكم من
المصائب، كائنة ما كانت، فإنكم

مَنْ مَّحِصٌ ﴿٣٥﴾ فَاَوْتَيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَنَعُ الْحَيَاةُ
الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ
يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ
وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا
لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا
رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ
يَنْتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا
وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنْ
أَنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤١﴾
إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ
فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾
وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾

٣٦ ﴿فَاَوْتَيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَنَعُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أي ما أعطيتكم من الغنى والسعة في الرزق فإنما هو متاع قليل في أيام قليلة ينقضي ويذهب ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ من ثواب الطاعات والجزاء عليها بالجنات ﴿خَيْرٌ﴾ من متاع الدنيا ﴿وَأَبْقَى﴾ لأنه دائم لا ينقطع، ومتاع الدنيا ينقطع بسرعة ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ أي يفوضون إليه أمورهم، ويعتمدون عليه في كل شئوهم.

٣٧ ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ﴾ هي الكبائر من الذنوب وقد قدّمنا تحقيقها في سورة النساء (الآية ٣١) ﴿وَالْفَوَاحِشَ﴾ هي من الكبائر ولكنها كأنها فوقها، وذلك كالقتل والزنى ونحو ذلك ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ أي يتجاوزون عن الذنب الذي أغضبهم، ويكظمون الغيظ، ويحلمون عمن ظلمهم، [وفي الصحيح «ما انتقم النبي ﷺ لنفسه قط، إلا أن تُنتَهَكَ حرمت الله»]

٣٨ ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ أي أجابوه إلى ما دعاهم إليه وأطاعوا الرسل ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ لمواقيتها بشروطها وهيئاتها [وإنما خصها بالذكر لأنها أعلى أنواع العبادات، وهي الصلة بين العبد وبين ربه] ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ أي يتشاورون فيما بينهم ولا يعجلون، ولا ينفردون بالرأي في كل أمر يعرض لهم، فلا يستأثر بعضهم على بعض برأي [وهذا في الشؤون العامة، كتولية الخلافة، وشؤون تدبير الدولة، وإدارة مصالحها، وتولية الولاة، وأحكام القضاء، وكذلك الاستشارة في الشؤون الخاصة.] ﴿وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ أي ينفقونه في سبيل الخير ويتصدقون به على المحاييج، وفي سبيل الله.

٣٩ ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ أي أصابهم بغي من بغي

عليهم بغير الحق، لأن التذلل لمن بغي ليس من صفات من جعل الله له العزة حيث قال (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) فالانتصار عند البغي فضيلة [وليس العجز من صفات المؤمنين، والمهانة والذلة ليست لهم بل لأعدائهم أهل الكفر بالله والجهل به].

٤٠ ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ فبين سبحانه أن العدل في الانتصار هو الاقتصار على المساواة، وقال مجاهد والسدي. هو جواب القبيح إذا قال أخزأك الله يقول أخزأك الله من غير أن

٤١ ﴿وَلَمَنْ أَنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ﴾ أي بعد

يعتدي ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ أي من عفا عمن ظلمه وأصلح بالعفو بينه وبين ظالمه [متى قدر عليه وتمكن من الانتقام. أما العجز والذلة فليسا من الفضائل، بل هي من المخازي أي فإن الله سبحانه يأجره على العفو إن قدر على أخذ حقه والانتقام ممن ظلمه وترك ذلك لله.] ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ المبتدئين بالظلم ولا يحب من يتعدى في الاقتصاص ويجاوز الحد فيه لأن المجاوزة ظلم.

الدنيا من طريق؟

٤٥ ﴿وَنَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذَّلِيلِ﴾ أي ساكنين متواضعين لما لحقهم من الذل والهوان ﴿يَنْظُرُونَ مِنْ طَرَفٍ خَفِيِّ﴾ أي ذليل يسارقون النظر من شدة الخوف ﴿وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ أي إن الكاملين في الخسران: هم هؤلاء، أما خسرانهم لأنفسهم فلكونهم صاروا في النار معذبين بها قد أسلموا للعذاب دون أدنى أمل في النجاة، وأما خسرانهم لأهلهم فلأنهم إن كانوا معهم في النار فلا ينتفعون بهم، وإن كانوا في الجنة فقد حيل بينهم وبينهم ﴿أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ﴾ أي دائم لا ينتهي ولا يخرجون منه.

٤٦ ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءٍ يَنْصُرُوهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي لم يكن لهم أعوان يدفعون عنهم العذاب في ذلك الموطن من دون الله ﴿وَمَنْ يَضِلَّ اللَّهُ فَهُوَ مِنْ سَبِيلٍ﴾ أي من طريق يسلكها إلى النجاة.

٤٧ ﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ﴾ أي استجيبوا لدعوته لكم إلى الإيمان به وبكتبه ورسوله ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ لَا مَرَدَ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ أي من قبل أن يأتي من الله يوم عذاب لا يردّه أحد، أو لا يردّه الله بعد أن حكم به. والمراد به يوم القيامة، أو يوم الموت ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ﴾ تلجأون إليه ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾ أي لا تجدون يومئذ منكراً لما ينزل بكم من العذاب.

٤٨ ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ أي حافظاً تحفظ أعمالهم حتى تحاسبهم عليها، ولا موكلأ بهم رقيباً عليهم ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ لما أمرت بإبلاغه، وليس عليك غير ذلك.

وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ ۖ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٥﴾ وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذَّلِيلِ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرَفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءٍ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٧﴾ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ ﴿٤٨﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا ۖ إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ ۖ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرَحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ

٤٣ ﴿وَلَنْ صَبْرٍ﴾ على الأذى ﴿وَعَفْرٍ﴾ لمن ظلمه [بعد أن انتصر لنفسه وتمكن من أخذ حقه] ﴿إِنْ ذَلِكَ﴾ الصبر والمغفرة ﴿لِمَنْ عَزَمَ الْأُمُورَ﴾ [أي الثبات فيها والرسوخ وعدم الانطلاق وراء شهوة الانتقام].

٤٤ ﴿وَمَنْ يَضِلَّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي فاما له من أحد يلي هدايته وينصره ﴿وَتَرَى الظَّالِمِينَ﴾ أي المشركين المكذبين بالبعث ﴿لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ﴾ أي حين نظروا النار ﴿يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾ أي هل إلى الرجعة إلى

أن ظلمه الظالم له ﴿فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ بمؤاخذه أو عقوبة، [فإن حق القصاص في الجنايات المتعمدة ثابت للمجني عليه شرعاً، وكذلك الضمان في الجنايات غير المتعمدة والإتلافات. وفي الشتم والسب يجوز القصاص دون اعتداء] ٤٢ ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾ أي يتعمدون عليهم ابتداء ﴿وَيَسْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ أي يتعمدون على النفوس والأموال بغير الحق يتكبرون ويتجبرون بظلم الناس واقتطاع حقوقهم.

﴿بما قدمت أيديهم﴾ من الذنوب ﴿فإن الإنسان كفور﴾ لما أنعم به عليه من نعمه، ينسى كل النعم السابقة بسبب الضر الواقع عليه.

٤٩ ﴿الله ملك السماوات والأرض﴾ أي له التصرف فيها بما يريد، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع ﴿يخلق ما يشاء﴾ من الخلق ﴿يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور﴾ يهب لمن يشاء إناثا لا ذكور معهم، ويهب لمن يشاء ذكورا لا إناث معهم.

٥٠ ﴿أوبزوجهم ذكرا وإناثا﴾ أي يقرن بين الإناث والذكور فيهما جميعا لبعض خلقه، فالتزويج هنا هو الجمع بين البنين والبنات ﴿ويجعل من يشاء عقيما﴾ لا يولد له ذكر ولا أنثى ﴿إنه عليم قدير﴾ أي بليغ العلم عظيم القدرة [فهذا من تمام قدرته تعالى، أن يهب من شاء ما شاء هو سبحانه من أصناف الذرية.]

٥١ ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا﴾ يوحى إليه فيلهمه، ويقذف ذلك في قلبه، كما أوحى إلى أم موسى، وإلى إبراهيم في ذبح ولده [والوحي هو الإخبار بسرعة على وجه الخفية] ﴿أو من وراء حجاب﴾ كما كلم موسى عليه السلام، يريد أن كلامه يُسمع من حيث لا يُرى ﴿أويرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء﴾ أي يرسل ملكا، فيوحي ذلك الملك إلى الرسول من البشر بأمر الله وتيسيره ما يشاء أن يوحى إليه ﴿إنه عليّ حكيم﴾ أي متعال عن صفات النقص، حكيم في كل أحكامه. قال المفسرون: سبب نزول هذه الآية أن اليهود قالوا للنبي ﷺ ألا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت نبيا كما كلمه موسى؟

أَيَدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يَزْوِجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ * وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يَرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ ﴿٥١﴾ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

فنزلت [ثم إن هذه الأنواع من الوحي كلها قد حصلت للنبي ﷺ].
٥٢ ﴿وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا﴾ أي أوحينا إليك القرآن، وهو من أمر الله، وهو روح. أي لأنه يهتدى به، ففيه حياة من موت الكفر ﴿ما كنت تدري ما الكتاب﴾ أي أي شيء هو، لأنه ﷺ كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ﴿ولا الإيمان﴾ كان ﷺ لا يعرف معنى الإيمان، ولا تفاصيل الشرائع، ولا يهتدي إلى معالمها، وخص الإيمان لأنه رأسها وأساسها ﴿ولكن جعلناه نورا نهدي به﴾ فنزلت [ثم إن هذه الأنواع من الوحي كلها قد حصلت للنبي ﷺ].
٥٣ ﴿صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض﴾ وفي هذه الإضافة للصراط إلى الاسم الشريف من التعظيم له والتفخيم لشأنه ما لا يخفى ﴿ألا إلى الله تصير الأمور﴾ يوم القيامة لا إلى غيره ترجع جميع أمور الخلائق.



أن هذا القرآن رُفِعَ حين رُدِّته أوائل هذه الأمة لهلكوا، عاد بعائده ورحمته، فكَرَّره عليهم، ودعاهم إليه عشرين سنة، أو ما شاء الله من ذلك، أهـ. قال ابن كثير: ومعنى ما قال قتادة لطيف جداً: وحاصله أنه يقول: إنه تعالى، من لطفه ورحمته بهذه الأمة، لم يترك دعاءهم إلى الخير وإلى الذكر الحكيم وهو القرآن، وإن كانوا مسرفين معرضين عنه، بل أمر به ليهتدي به من قَدَّرَ الله هدايته، وتقوم الحجة على من قَدَّرَ عليه الشقاوة.]

٦ ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ﴾ أي ما أكثر ما أرسلنا من الأنبياء في الأمم السابقة.

٧ ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيِّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ كاستهزاء قومك بك.

٨ ﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾ أي أهلكنا قوماً أشد قوة وأقوى بطشاً من هؤلاء القوم ﴿وَمَضَىٰ مِثْلَ الْأَوَّلِينَ﴾ أي سلف في القرآن ذكرهم غير مرة. [أي فقد علمتم أخبارهم فاحذروا مثل مصائرهم].

٩ ﴿وَلَنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ أي: لن سألت هؤلاء الكفار من قومك: من خلق هذه الأجرام العلوية والسفلية؟ أقروا بأن الله خالقهن ولم ينكروا ذلك [وهم لم يكونوا ينكرون انفراد الله بخلق العالم، كالدهرين، ولكن كانوا يعبدون الصالحين والأصنام لتكون لهم وسائط بينهم وبين الله خالق الكل، وكانت دعوة النبي ﷺ لإبطال هذه الوسائط وتحقيق التوحيد.]

١٠ ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ المهاد الفراش والبساط ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ فِيهَا سَبِيلًا﴾ أي طرقاً تسلكونها إلى حيث تريدون ﴿لَعَلَّكُمْ يَهْتَدُونَ﴾ بسلوكها إلى مقاصدكم ومنافعكم.

(٤٣) سُورَةُ الزَّخْرَفِ مَكِّيَّةٌ وَأَنبِئَانَهَا سِتُّعٌ وَثَمَانُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ ۝ أَفَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ ۝ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ ۝ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَىٰ مِثْلُ الْأَوَّلِينَ ۝ وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۝ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ

سُورَةُ الزَّخْرَفِ

١، ٢ ﴿حَمْدٌ. وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ يقسم الله تعالى بالقرآن نفسه على أن القرآن هداية.

٣ ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ أي أنزل بلسان العرب، لأن كل نبي أنزل كتابه بلسان قومه ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي جعلناه قرآنًا عربيًا لكي تفهموه يا معشر العرب وتتأملوا معانيه وتحيطوا بما فيه [فإنه في أعلى درجات البلاغة والبيان والفصاحة، مبين عن المراد، مبشر للفهم].

٤ ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ﴾ في اللوح

المحفوظ ﴿لَدَيْنَا﴾ أي عندنا ﴿لَعَلِيَّ حَكِيمٌ﴾ رفيع القدر محكم النظم لا يوجد فيه اختلاف ولا تناقض.

٥ ﴿أَفَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا﴾ من قولهم: صفحت عنه إذا عرضت عنه، وذلك أنك توليه صفحة وجهك وعنقك. قال الكسائي: المعنى أفنضرب عنكم الذكر طياً فلا توعظون ولا تؤمرون ﴿أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ﴾ أي لأن كنتم قوماً منهكين في الإسراف مصرين عليه؟ [قال قتادة: في تفسير قوله تعالى (أفنضرب عنكم الذكر صفحاً) والله لو

لَكَرَّ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ
السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيِّتًا كَذَلِكَ
تُخْرِجُونَ ﴿١١﴾ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ
الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ
ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ
الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَى
رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنْ
الْإِنْسَانُ لَكَفُورٌ مِّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ
وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ
لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾
أَوْ مِنْ يَنْشَأُ فِي الْحُلِيِّهِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾
وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا

١١ ﴿والذي نزل من السماء ماء بقدر﴾ أي بقدر الحاجة وحسب مقتضيه المصلحة، ولم ينزل عليكم منه فوق حاجتكم حتى يهلك زرائعكم ويهدم منازلكم ويهلككم بالفرق، ولا دونها حتى تحتاجوا إلى الزيادة ﴿فأنشأنا به بلدة ميتة﴾ أي أحيينا بذلك الماء بلدة مقفرة من النبات ﴿كذلك تخرجون﴾ تبعثون من قبوركم أحياء.

١٢ ﴿والذي خلق الأزواج كلها﴾ الأصناف كلها. وقيل أزواج الحيوان من ذكر وأنثى والأزواج من النبات الذكر والأنثى من كل صنف كذلك.

١٣ ﴿لستقوا على ظهوره﴾ أي لستعلوا على ظهور ما تركبون من الفلك والأنعام ﴿ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه﴾ أي هذه النعمة التي أنعم بها عليكم من تسخير ذلك المركب في البحر والبر ﴿وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا﴾ أي ذلل لنا هذا المركب ﴿وما كنا له مقرنين﴾ ما كنا مطيقين لتسخيره لولا أن سخره الله لنا.

١٤ ﴿وانا إلى ربنا لمنقلبون﴾ راجعون إليه. عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ كان إذا سافر ركب راحلته، ثم كبر ثلاثاً، ثم قال (سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون).

١٥ ﴿وجعلوا له من عباده جزءا﴾ المراد بالجزء هنا الملائكة، فإنهم جعلوهم بنات لله سبحانه فإن الولد جزء أبيه ﴿إن الإنسان لكفور مبين﴾ فإنه يجحد نعم الله عليه جحوداً بيناً إذ لما كانت النعم من الله شديدة الوضوح، كان جحودها من أبين الكذب، كما فعل هؤلاء الجهلة إذ نسبوا إليه الولد وخصوه بأضعف الأولاد.

١٦ ﴿وأصفاكم بالبنيين﴾ فجعل لنفسه

١٨ ﴿أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين﴾ أي لما جعلوا له البنات فقد جعلوا له سبحانه من شأنه أن يربي في الزينة، وهو عاجز عن أن يقوم بأمر نفسه، وإذا خوصم لا يقدر على إقامة حجته، ودفع ما يجادل به خصمه، لنقصان عقله وضعف رأيه. وهكذا البنات غالباً.

١٩ ﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً﴾ أي إن قولهم السابق الملائكة بنات الله يتضمن فساداً آخر، وهو أن الملائكة إناث ﴿أشهدوا خلقهم﴾

المفضول من الصنفين ولكم الفاضل منها، فكيف يستقيم هذا مع أنه هو الخالق، والقول قوله، والأمر أمره؟

١٧ ﴿وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلاً﴾ لأن الولد يكون ماثلاً لوالده. المعنى أنه إذا بشر أحدهم بأنها ولدت له بنت اغتم لذلك، وظهر عليه أثره، وهو معنى قوله ﴿ظل وجهه مسوداً﴾ أي صار وجهه أسود حزناً وألماً بسبب حدوث الأنثى له حيث لم يكن الحادث له ذكراً مكانها ﴿وهو كظيم﴾ أي شديد الحزن كثير الكرب مملوء منه.

خَلَقَهُمْ سَتَكْتُبُ شَهَادَتَهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا لَوْ
شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَّا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ
إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ
مُتَمَسِّكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ
وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا
مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا
آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾
* قُلْ أُولَٰئِكَ جُنُودُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءُكُمْ
قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ
فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ
لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي
فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ

بذلك من علم وزعموا أنه إذا شاء
فقد رضي **إن هم إلا يخرصون** أي ما
هم إلا يكذبون فيما قالوا، ويتمحلون
تمحلاً باطلاً، فإن الله خلق المؤمن
والكافر، وهو يحب المؤمن ويبغض
الكافر، [والله يأمر بالحق والإيمان والخير،
ولا يرضى لعباده الكفر.]

أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ أي
بل أعطيناهم كتاباً من قبل القرآن
مكتوباً إليهم فيه: اعبدوا غير الله؟
فهم به متمسكون يأخذون بما فيه،
ويحتجون به، ويجعلونه لهم دليلاً.

أي هل حضروا خلق الله إياهم حتى
يشهدوا بأنهم إناث. [أو المعنى: هل رأوا
خلقة الملائكة حتى يشهدوا أنهم إناث؟]
ستكتب شهادتهم في ديوان أعمالهم
لنجازيهم على ذلك **ويسألون** عنها يوم
القيامة.

**وقالوا لو شاء الرحمن ما
عبدناهم** معناه أن الكفار قالوا: لو
شاء الرحمن، في زعمكم أيها المؤمنون، ما
عبدنا هذه الملائكة. وهذا كلام حق يراد
به باطل، لأنهم يريدون بذلك أن الله
راض عن عبادتهم للأصنام **ما لهم**

٢٢ **بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ**
أُمَّةٍ [أي على عادة تعودوها وطريقة
ساروا عليها في عبادتهم لهذه الأصنام]
وإننا على آثارهم مهتدون فاعترفوا
بأنه لا مستند لهم ولا حجة بأيديهم ولا
شبهة، ولكنهم اتبعوا آباءهم في الضلالة.
٢٣ **مُقْتَدُونَ** متبعون، وخصص
المتفرين تنبيهاً على أن التمتع هو سبب
إهمال النظر وترك التفكر فيما حوته
الرسالة.

٢٤ **قَالَ أَوْ لَوْ جِئْتُمْ بِأَهْدَىٰ**
وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ أي قال لهم
رسولهم: أتتبعون آباءكم ولو جئتمكم بدين
أهدى من دين آبائكم **قالوا إننا بما**
أرسلتم به كافرين أي قالوا: لا نعمل
بهذا، ولا سمع لك ولا طاعة.

٢٥ **فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ** بما أوقعه الله بهم،
كما أوقعه بقوم نوح وعاد وثمود **فانظر**
كيف كان عاقبة المكذبين من تلك
الأمم، فإن آثارهم موجودة، عرضة
لنظار المتأمل.

٢٦ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ**
الذين قلدوا آباءهم وعبدوا الأصنام
إِنِّي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ [أي بريء من
هذه الأصنام، لا أعبدها، ولا أدعوها،
ولا أتخذها آلهة، بل أكفر بها وأعاديها.]

٢٧ **إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي** أي خلقتني
[فإنني أعترف بربوبيته وأصرف إليه عبادتي
وأدعوه دون غيره] **فإنه سيهدين** سيرشدني
لدينه، ويثبتني على الحق.

٢٨ **وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ**
وجعل كلمة التوحيد باقية في عقب
إبراهيم، وهم ذريته، فلا يزال فيهم من
يوحد الله سبحانه. قال مجاهد وقتادة:
الكلمة لا إله إلا الله، لا يزال من عقبه
من يعبد الله إلى يوم القيامة **لعلهم**
يرجعون أي جعلها باقية رجاء أن يرجع
إليها من يشرك منهم بدعوة من يوحد.



لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى
جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ
قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ
هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيبَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ
يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ
لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا
يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا
لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ
عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرَرًا عَلَيْهَا
يَتَكُونُونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرَفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعُ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ وَمَن يَعِشْ عَنِ

٢٩ ﴿بل تمتعت هؤلاء وآباءهم﴾
فاغترزوا بالمهلة وأكبوا على الشهوات
﴿حق جاءهم الحق﴾ يعني القرآن
﴿ورسول مبين﴾ يعني محمدا ﷺ

٣١ ﴿وقالوا لولا نزل هذا القرآن على
رجل من القريتين عظيم﴾ أي عظيم في
الجاه والمال، سيد في قومه. والمراد
بالقريتين مكة والطائف، وبالرجلين
الوليد بن المغيرة من مكة، وعروة بن
مسعود الشقي من الطائف، كذا قال
قتادة وغيره، والمعنى أنه لو كان قرآنا
لنزل على رجل عظيم من عطاء القريتين.

٣٢ ﴿أهم يقسمون رحمة ربك﴾ يعني
النبوة ﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم في
الحياة الدنيا﴾ فكيف لا يقتعون بقسمته
في أمر النبوة، وتفويضها إلى من يشاء
من خلقه ﴿ورفعنا بعضهم فوق بعض
درجات﴾ بالرزق والرياسة والقوة والحرية
والعقل والعلم ﴿ليتخذ بعضهم بعضا
سخرياً﴾ أي ليستخدم بعضهم بعضا
فيكون بعضهم سببا لمعاش بعض ﴿ورحمة
ربك﴾ وهي ما أعده الله لعباده
الصالحين في الدار الآخرة، خير مما
يجمعونه من الأموال وسائر متاع الدنيا.

٣٣ ﴿ولولا أن يكون الناس أمة
واحدة﴾ أي لولا أن يجتمعوا على الكفر
ميلا إلى الدنيا وزخرفها [فلا يبق في
الأرض مؤمن] ﴿لجعلنا لمن يكفر
بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة﴾
لأعطيناهم في الدنيا ما وصفناه، لهوان
الدنيا عند الله، لكي نستدرج الكافرين
من حيث لا يعلمون ﴿ومعارج﴾ أي
سلام ومصاعد من فضة ﴿عليها
يظهرون﴾ أي على المعارج يرتقون
ويصعدون إلى الغرف والمباني العالية.

٣٤ ﴿ولبيوتهم أبوابا وسررا﴾ أي وجعلنا
لبيوتهم أبوابا من فضة وسررا من فضة
﴿عليها يتكئون﴾

٣٥ ﴿وزخرفا﴾ أي وجعلنا لهم مع ذلك
زخرفا في السُّقُف والأبواب والسرر
وغيرها. والزخرف: الذهب، وقيل الزينة
والنقوش، يقال زخرفت الدار: أي زينتها
﴿وإن كل ذلك لمتاع الحياة
الدنيا﴾ أي ليس كل ذلك إلا شيئا
يتمتع به في الدنيا ﴿والآخرة عند ربك
للمتقين﴾ أي لمن اتق الشك والمعاصي،
وآمن بالله وحده، وعمل بطاعته، فإنها
الباقية التي لا تفتى، ونعيمها الدائم الذي
لا يزول.

٣٦ ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن﴾ أي
ومن تغلظ عينه، والأعشى: هو الذي لا
يبصر بالليل، ويبصر بالنهار ﴿نقبض له
شيطانا﴾ أي نهيته له. وقيل المعنى غير
ذلك. أخرج ابن أبي حاتم أن قريشا
قالت: قُبِضُوا لكل رجل من أصحاب
محمد رجلا يأخذه، فقبضوا لأبي بكر
طلحة بن عبيد الله، فأتاه وهو في القوم،
فقال أبو بكر: إلام تدعوني؟ قال:
أدعوك إلى عبادة اللات والعزى. قال أبو
بكر: وما اللات؟ قال: أولاد الله.
قال: وما العزى؟ قال: بنات الله. قال
أبو بكر: فن أهم؟ فسكت طلحة فلم

ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾
 حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ
 فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَنْ يَنْفَعَكَ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ
 أَنْتُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصَّمَّ
 أَوْ تَهْدِي الْعُمْى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا
 نَذَهَبَ بِكَ فَأَنَا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ آلَٰدِي
 وَعَدَنَّهُمْ فَأَنَا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي
 أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ
 لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا
 مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ ءَالِهَةً
 يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ

اليوم اشتراككم في العذاب [أي بخلاف الحال في الدنيا فإن المصيبة فيها إذا عمت هانت].

٤٠ ﴿أَفَأَنْتَ تَسْمَعُ الصَّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْى﴾ أي ليس لك ذلك، فلا يضيق صدرك أن كفروا ﴿وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ أي إنك لا تهدي من كان كذلك وهؤلاء الكفار بمنزلة الصم الذين لا يسمعون ما جئت به، ومنزلة العمى الذين لا يبصرونه، لإفراطهم في الضلالة وتمكنهم من الجهالة.

٤١ ﴿فَلَمَّا نَذَهَبَ بِكَ﴾ بالموت قبل أن ينزل العذاب بهم ﴿فَأَنَا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾ إما في الدنيا أو في الآخرة.

٤٢ ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ﴾ من العذاب قبل موتك ﴿فَأَنَا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ﴾ متى شئنا عذبناهم. وقد أراه الله ذلك يوم بدر.

٤٣ ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ أي من القرآن، وإن كذب به من كذب.

٤٤ ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ أي وإن القرآن لشرف لك ولقومك من قریش، إذ نزل عليك وأنت منهم، بلغتك ولغتهم. وقيل: تذكرة تذكرون بها أمر الدين وتعملون به ﴿وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ عما جعله الله لكم من الشرف، يسألون عما يلزمهم من القيام بما فيه والعمل به.

٤٥ ﴿وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ المراد سؤال الأنبياء ليلة الإسراء عند ملاقاته لهم. وقيل: وأسأل أمم من قد أرسلنا: هل أذن الله بعبادة الأوثان في ملة من الملل؟ وهل سوغ ذلك لأحد منهم؟

٤٦ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾ وهي التسع التي تقدم بيانها في سورة الإسراء (الآية ١٠١)

﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ بحسب الكفار بسبب تلك الوسوسة أنهم في أنفسهم مهتدون.

٣٨ ﴿يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ يتمنى الكافر أن بينه وبين الشيطان المقارن له من البعد ما بين المشرق والمغرب ﴿فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾ أي: بش صاحب الملازم للإنسان شيطانه.

٣٩ ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكَ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ﴾ هذا يقال لهم يوم القيامة ﴿إِذْ ظَلَمْتُمْ﴾ أي لأجل ظلمكم أنفسكم في الدنيا ﴿وَأَنْتُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ أي لن ينفعكم

يحييه. فقال لأصحابه: أجيئوا الرجل. فسكت القوم. فقال طلحة: قم يا أبا بكر، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. فأنزل الله الآية ﴿فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ ملازم للشيطان لا يفارقه، بل يتبعه في جميع أموره، ويطيعه في كل ما يوسوس به إليه.

٣٧ ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ أي وإن الشياطين الذين يقبضهم الله لكل أحد ممن يعيشون عن ذكر الرحمن يحولون بينهم وبين سبل الحق، ومنعونهم منه، ويوسوسون لهم أنهم على الهدى

وَمَلَايَهُ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا
جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِمْ
مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا يَا أَيُّهَ السَّاحِرِ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ
بِمَا عَاهَدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا
عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ
فِي قَوْمِهِ قَالَ يَقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِمَّنْ هَذَا
الَّذِي هُوَ مِهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أَلْقَىٰ عَلَيْهِ
أَسُورَةُ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَايِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾
فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٤﴾
فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾

﴿إلى فرعون وملائه﴾ الملأ: الأشراف
﴿فقال إني رسول رب العالمين﴾ أرسلني
إليكم.

٤٧ ﴿فلما جاءهم بآياتنا إذا هم منها
يضحكون﴾ استهزاء وسخرية.

٤٨ ﴿وما نريهم من آية إلا هي أكبر
من أختها﴾ أي كل واحدة من آيات
موسى أكبر مما قبلها وأعظم قدرا، مع
كون التي قبلها عظيمة في نفسها. وقيل
المعنى إنه إذا ضمت الثانية إلى الأولى
ازداد الوضوح ﴿وأخذناهم بالعذاب
لعلهم يرجعون﴾ أي بسبب تكذيبهم
بتلك الآيات.

٤٩ ﴿وقالوا يا أيها الساحر﴾ وكانوا
يسمون العلماء سحرة، ويوقرون السحرة
ويعظمونهم ﴿ادع لنا ربك بما عهد
عندك﴾ أي بما أخبرتنا من عهده إليك
أنا إذا آمنا كشف عنا العذاب ﴿إننا
لمهتدون﴾ فيما يستقبل من الزمان،
ومؤمنون بما جئت به.

٥٠ ﴿فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم
ينكثون﴾ التقدير: فدعا موسى ربه
فكشف عنهم العذاب، فلما كشف عنهم
العذاب نقضوا عهدهم.

٥١ ﴿ونادى فرعون في قومه﴾ خاف
ميل القوم إلى موسى، فجمعهم ونادى
بصوته فيما بينهم، أو أمر مناديا ينادي
بقوله ﴿يا قوم أليس لي ملك مصر﴾ لا
ينازعني فيه أحد، ولا يخالفني مخالف
﴿وهذه الأنهار تجري من تحتي﴾ أي من
تحت قصري، والمراد أنهار النيل ﴿أفلا
تبصرون﴾ ذلك وتستدلون به على قوة
ملكي، وعظيم قدرتي، وضعف موسى عن
مقاومتي.

٥٢ ﴿أم أنا خير من هذا الذي هو
مهين﴾ أي: بل أنا خير من موسى الذي
هو ضعيف حقير ممتن في نفسه لا عز له
﴿ولا يكاد يبين﴾ الكلام لما في لسانه

من العقدة. وقد تقدم بيانه في سورة طه.
٥٣ ﴿فلولا ألقى عليه أسورة من
ذهب﴾ أي فهلا حلي بأساور الذهب إن

كان عظيما ﴿أو جاء معه الملائكة
مقترنين﴾ متتابعين متقارنين إن كان

صادقا، يعينونه على أمره، ويشهدون له
بالنبوة، فأوهم اللعين قومه أن الرسل لا
بد أن يكونوا على هيئة الجبابرة، ومحفوظين
بالملائكة.

٥٤ ﴿فاستخف قومه فأطاعوه﴾ أي
حملهم على خفة الجهل والسفه بقوله
وكيده وغروره، فأطاعوه فيما أمرهم به،
وقبلوا قوله، وكذبوا موسى ﴿إنهم كانوا
قوما فاسقين﴾ أي خارجين عن طاعة
الله.

٥٥ ﴿فلما آسفونا انتقمنا منهم﴾ أغضبونا
﴿فأغرقناهم أجمعين﴾ في البحر.

٥٦ ﴿فجعلناهم سلفا﴾ أي قدوة لمن
عمل بعملهم من الكفار في استحقاق
العذاب ﴿ومثلا للآخرين﴾ أي عبرة
وموعظة لمن يأتي بعدهم، أو قصة عجيبة
تجري مجرى الأمثال.

٥٧ ﴿ولما ضرب ابن مريم مثلا﴾ نزلت
في مجادلة ابن الزبيري مع النبي ﷺ لما



جَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَمَّا ضُرِبَ
أَبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا
ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ
خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ
مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً
فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُمْ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ
بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ
الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى
بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ
الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا لِي ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ
رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾
فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ

لبنی اسرائیل ﴿٥٦﴾ أي آية وعبرة لهم يعرفون به قدرة الله سبحانه، فإنه كان من غير أب، وكان يحيي الموتى، ويبرئ الأكمه والأبرص وكل مريض.

٦٠ ﴿ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون﴾ أي لو نشاء أهلكناكم وجعلنا بدلا منكم ملائكة في الأرض يعمرونها يخلفونكم فيها.

٦١ ﴿وانه لعلم للساعة﴾ المراد المسيح، وإن خروجه مما يعلم به قيام الساعة، لكونه من أشراطها، لأن الله سبحانه ينزله من السماء قبيل قيام الساعة، كما أن خروج الدجال من علامات الساعة ﴿فلا تمترن بها﴾ أي فلا تشكوا في وقوعها ولا تكذبن بها، فإنها كائنه لا محالة ﴿واتبعون هذا صراط مستقيم﴾ أي اتبعوني فيما أمركم به من التوحيد، وبطлан الشرك، وهذا الذي أمركم به وأدعوكم إليه طريق قيم موصل إلى الحق.

٦٢ ﴿ولا يصدنكم الشيطان﴾ أي لا تغتروا بوساوسه وشبهه التي يوقعها في قلوبكم، فيمنعكم ذلك من اتباعي ﴿إنه لكم عدو مبين﴾ أي مظهر لعداوته لكم غير متحاش عن ذلك ولا متكتم به.

٦٣ ﴿ولما جاء عيسى بالبينات﴾ بالمعجزات الواضحة، والشرائع وهي الإنجيل ﴿قال قد جئتكم بالحكمة﴾ أي النبوة، وقيل: ما يرغب في الجميل ويكف عن القبيح ﴿ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه﴾ من أحكام التوراة ﴿فاتقوا الله﴾ أي اتقوا معاصيه ﴿وأطيعوا﴾ فيما أمركم به من التوحيد والشرائع.

٦٤ ﴿إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه﴾ هذا بيان لما أمرهم بأن يطيعوه فيه ﴿هذا صراط مستقيم﴾ أي عبادة الله وحده والعمل بشرائعه.

نزل قوله تعالى (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) فقال ابن الزبيري: خصمتك ورب الكعبة، أليست النصارى يعبدون المسيح، واليهود عزيرا، وبنو مليح الملائكة؟ ففرح بذلك من قوله، فأنزل الله (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) ونزلت هذه الآية المذكورة هنا ﴿إذا قومك منه يصدون﴾ أي يضجون ويصيحون فرحا بذلك المثل المضروب.

٥٨ ﴿وقالوا آلهتنا خير أم هو﴾ أي آلهتنا خير أم المسيح؟ خاصموه وقالوا: ٥٩ ﴿إن هو إلا عبد أنعمنا عليه﴾ أكرمناه بإنعامنا عليه ﴿وجعلناه مثلا

إن كان كل من عُبد غير الله في النار، فنحن نرضى أن تكون آلهتنا مع عيسى وعزير والملائكة ﴿ما ضربوه لك إلا جدلا﴾ أي ما ضربوا لك هذا المثل في عيسى إلا ليجادلوك [أي: ولم يريدوا الحق، فإن عيسى عليه السلام جاء بالتوحيد وأوصى به قومه قائلا: الربُّ إلَٰهنا إلَٰه واحد] ﴿بل هم قوم خصمون﴾ شديدا الخصومة، كثير اللدد، عظيمو الجدل.

٦٥ ﴿فاختلف الأحزاب من بينهم﴾

اختلفوا من بين من بعث إليهم من اليهود والنصارى، والأحزاب هي الفرق المتحزبة **﴿فويل للذين ظلموا﴾** من هؤلاء المختلفين، وهم الذين أشركوا بالله ولم يعملوا بشرائعه **﴿من عذاب يوم أليم﴾** أي أليم عذابه، وهو يوم القيامة.

٦٦ ﴿هل ينظرون﴾ أي هل يرتقب هؤلاء الأحزاب و ينتظرون **﴿إلا الساعة أن تأتيهم بغتة﴾** أي فجأة **﴿وهم لا يشعرون﴾** أي لا يفطنون بذلك.

٦٧ ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو﴾ أي الأخلاء في الدنيا المتحابون فيها يوم تأتيهم الساعة يعادي بعضهم بعضا، ووجدوا تلك الأمور التي كانوا فيها أخلاء أسبابا للعذاب، فصاروا أعداء **﴿إلا المتقين﴾** فإنهم أخلاء في الدنيا والآخرة.

٦٨ ﴿يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون﴾ أي يقال هؤلاء المتقين المتحابين في الله هذه المقالة، فيذهب عند ذلك خوفهم ويرتفع حزنهم.

٦٩ ﴿الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين﴾ أي ليس قول «يا عبادي....» لجميع العباد بل للمؤمنين المسلمين.

٧٠ ﴿ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم﴾ المراد بالأزواج نساؤهم المؤمنات، وقيل قرناؤهم من المؤمنين، وقيل زوجاتهم من الحور العين **﴿تحبرون﴾** تكرمون، وتنعمون وقيل تلهذون بالسمع.

٧١ ﴿يطاف عليهم بصحاف من ذهب﴾ لهم في الجنة أطعمة يطاف عليهم بها في صحاف الذهب **﴿و﴾** لهم فيها أشربة يطاف عليهم بها في **﴿أكواب﴾** أي من ذهب **﴿وفيهما ما تشبه الأنفس وتلذ الأعين﴾** من فنون الأطعمة والأشربة ونحوهما مما تطلبه النفس وتهواه

عَذَابِ يَوْمِ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ إِلَّا خِلَاءَ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٦٩﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَائِشَتُهُمْ مِنَ الْأَنْفُسِ تَتَلَذَّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧٠﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٣﴾ لَا يَفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٥﴾ وَنَادَوْا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِثُونَ ﴿٧٦﴾

٧٤ ﴿إن المجرمين﴾ أي أهل الجرائم الكفرية **﴿في عذاب جهنم خالدون﴾** لا ينقطع عنهم العذاب أبدا.

٧٥ ﴿لا يفتقر عنهم﴾ أي لا يخفف عنهم ذلك العذاب فترة ليستريحوا منه **﴿وهم فيه مبلسون﴾** أي آيسون من النجاة.

٧٦ ﴿وما ظلمناهم﴾ أي ما عذبناهم بغير ذنب ولا بزيادة على ما يستحقونه **﴿ولكن كانوا هم الظالمين﴾** لأنفسهم بما فعلوا من الذنوب.

٧٧ ﴿ونادوا يا مالك﴾ أي نادى المجرمون هذا النداء، ومالك هو خازن

كائنا ما كان، وتلذ الأعين من كل المستلذات التي تستلذ بها وتطلب مشاهدتها **﴿وأنتم فيها خالدون﴾** لا تموتون ولا تخرجون منها.

٧٢ ﴿وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون﴾ صارت إليكم كما يصير الميراث إلى الوارث، بما كنتم تعملونه في الدنيا من الأعمال الصالحة.

٧٣ ﴿لكم فيها فاكهة كثيرة﴾ أي لهم في الجنة سوى الطعام والشراب فاكهة كثيرة الأنواع والأصناف **﴿منها تأكلون﴾**.

لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٨﴾
 أَمْ أَمْرُؤًا مَرًّا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسُبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ
 سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ
 إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَنَ
 رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾
 فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي
 يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ
 إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ
 وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ
 الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِنْ
 سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾

٨٢ ﴿سبحان رب السماوات والأرض رب العرش عما يصفون﴾ أي تنزيها له وتقديسا عما يقولون من الكذب بأن له ولدا، ويفترون عليه سبحانه ما لا يليق بجناحه.

٨٣ ﴿فذرهم يخوضوا ويلعبوا﴾ يخوضوا في أباطيلهم، ويلعبوا في دنياهم ﴿حق﴾ يلاقوا يومهم الذي يوعدون وهو يوم القيامة.

٨٤ ﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾ أي هو الله الذي هو معبود في السماء، ومعبود في الأرض، أو: مستحق للعبادة في السماء والعبادة في الأرض. قال قتادة: يُعبَدُ في السماء والأرض ﴿وهو الحكيم العليم﴾ أي البليغ الحكمة الكثير العلم.

٨٥ ﴿وتبارك الذي له ملك السماوات والأرض وما بينها﴾ البركة: كثرة الخيرات، والمراد بما بينها الفضاء والهواء وما فيه من الحيوانات ﴿وعنده علم الساعة﴾ أي علم الوقت الذي يكون قيامها فيه ﴿والله ترجعون﴾ فيجازي كل أحد بما يستحقه من خير وشر.

٨٦ ﴿ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة﴾ أي ولا تملك الأصنام وكل من يدعى من دون الله الشفاعة عند الله كما يزعمون أنهم يشفعون لهم ﴿إلا من شهد بالحق﴾ أي التوحيد ﴿وهم يعلمون﴾ أي وهم على علم وبصيرة بما شهدوا به، لكن من شهد بالحق وشهد بالوحدانية فإن الشافعين يشفعون له إن أذن الله تبارك وتعالى.

٨٧ ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولنَّ الله﴾ أقرّوا واعترفوا بأن خالقهم الله ولا يقدرّون على الإنكار ﴿فأني يؤفكون﴾ أي فكيف يتقلبون عن عبادة الله إلى عبادة غيره وينصرفون عنها مع هذا الاعتراف.

٨٠ ﴿أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم﴾ أي ما يتحادثون به سرا في أماكنهم الخالية إلا منهم، وما يتناجون به فيما بينهم ﴿بلى﴾ نسمع ذلك ونعلم به ﴿ورسلنا لديهم يكتبون﴾ أي الحفظة عندهم يكتبون جميع ما يصدر عنهم من قول أو فعل.

٨١ ﴿قل إن محمداً للرحمن ولد فأنا أول العابدين﴾ المعنى قل يا محمد: إن ثبت لله ولد فأنا أول من يعبد هذا الولد الذي تزعمون ثبوته، ولكنه يستحيل أن يكون له ولد.

النار ﴿ليقض علينا ربك﴾ بالموت توسلوا بمالك إلى الله سبحانه ليسأله لهم أن يقضي عليهم بالموت ليستريحوا من العذاب ﴿قال إنكم ما كنون﴾ أي مقيمون في العذاب.

٧٨ ﴿لقد جئناكم بالحق﴾ أرسلنا إليكم الرسل، وأنزلنا عليهم الكتب، فدعوكم فلم تقبلوا ولم تصدقوا ﴿ولكن أكثركم للحق كارهون﴾ لا يقبلونه.

٧٩ ﴿أم أبرموا أمراً فإنا مبرمون﴾ أحكموا كيداً للنبي ﷺ فإنا محكمون لهم كيدا.

وَقِيلَ يَرْبِّ إِنَّا هَنُؤَلَاءُ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَاصْفَحْ
عَنَّهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

(٤٤) سُورَةُ الدُّخَانِ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا تِسْعٌ وَخَمْسُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ
مُبَارَكَةٍ ﴿٣﴾ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٤﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ
حَكِيمٍ ﴿٥﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٦﴾ رَحْمَةً
مِّنْ رَبِّكَ ﴿٧﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٨﴾ رَبِّ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴿٩﴾ إِن كُنتُمْ مُوقِنِينَ ﴿١٠﴾ لَا إِلَهَ إِلَّا
هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١١﴾

٨٨ ﴿وقيله﴾ أي: عند الله علم الساعة، وعلم قبله، أي قول النبي: **﴿يا رب إن هؤلاء﴾** الذي أرسلتني إليهم **﴿قوم لا يؤمنون﴾** [أي فإن الله يستمع لشكوى الرسول ﷺ إلى الله من إعراض قومه عن دعوته لهم، وعنادهم وإصرارهم على الكفر، ولا يخفى ذلك على الله تعالى].

٨٩ ﴿فاصفح عنهم﴾ أي أعرض عما يقولون وما يرمونك به من السحر والكهانة واصبر على دعوتهم إلى أن يأتي أمر الله **﴿وقل سلام﴾** أي أمري تسليم منكم ومشاركة لكم **﴿فسوف يعلمون﴾** فيه تهديد ووعد عظيم من الله عز وجل.

سُورَةُ الدُّخَانِ

١، ٢ ﴿حم والكتاب المبين﴾ قد تقدم الكلام على معنى هذا.

٣ ﴿إنا أنزلناه﴾ أي القرآن **﴿في ليلة مباركة﴾** هي ليلة القدر **﴿إنا كنا منذرين﴾** [أي أنزلناه لكي ننذر به البشر عن الشرك والمعاصي] قال قتادة: أنزل القرآن كله في ليلة القدر من أم الكتاب، وهو اللوح المحفوظ، إلى بيت العزة في سماء الدنيا، ثم أنزله الله سبحانه على نبيه ﷺ في الليالي والأيام في ثلاث وعشرين سنة أهد.

٤ ﴿فيها يفرق كل أمر حكيم﴾ يفرق: أي يفصل ويبين، والأمر الحكيم: الحكم، وذلك أن الله سبحانه يكتب فيها ما يكون في السنة من حياة وموت، وبسط وقبض، وخير وشر، وغير ذلك، كذا قال مجاهد وقتادة والحسن.

٥ ﴿أمرًا من عندنا﴾ [أي أنزل الله القرآن متضمنًا وحيه وشرعه] **﴿إنا كنا مرسلين﴾** المعنى إنا فعلنا ذلك الإنذار

١٠ ﴿فارتقب﴾ المعنى: فانتظر لهم يا محمد **﴿يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾** وهذا الدخان المذكور في الآية قيل إنه من أشراط الساعة، يمكث في الأرض أربعين يوما، وقيل إنه أمر قد مضى، وهو ما أصاب قريشا بدعاء النبي ﷺ حتى كان الرجل يرى بين السماء والأرض دخانا. أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود: أن قريشا لما استعصت على رسول الله ﷺ وأبطأوا عن الإسلام، قال: «اللهم أعني عليهم بسبع كسب يوسف» فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا

لأجل أنا كنا مرسلين للأنبياء.

٦ ﴿رحمة من ربك﴾ أي إنا كنا مرسلين الرحمة إلى البشر، وهي رسالة الرسل.

٧ ﴿رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين﴾ بأنه رب السماوات والأرض وما بينهما، وقد أقرؤا بذلك.

٨ ﴿ربكم ورب آبائكم الأولين﴾ أي هو ربكم وربهم.

٩ ﴿بل هم في شك﴾ من التوحيد والبعث **﴿يلعبون﴾** في إقرارهم بأن الله خالقهم وخالق سائر المخلوقات، وأن ذلك منهم على طريقة اللعب والهزؤ.



بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿١٠﴾ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي
السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿١٢﴾ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾
أَتَى لَهُمُ الدِّكْرُ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٤﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا
عَنهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٥﴾ إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا
إِنْ كُنْتُمْ عَادُونَ ﴿١٦﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا
مُنْتَقِمُونَ ﴿١٧﴾ * وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ
رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ أَنْ أَذُوا إِلَىٰ عِبَادِ اللَّهِ إِنِّي لَكَ رَسُولٌ
أَمِينٌ ﴿١٩﴾ وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي ءَاتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ
مُّبِينٍ ﴿٢٠﴾ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ﴿٢١﴾
وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَرِلُونِ ﴿٢٢﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هَبْ لَاءَ
قَوْمٍ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٣﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ ﴿٢٤﴾

الذكرى؟

١٥ ﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا﴾ أي
إنا سنرفعه عنهم زماناً ﴿إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾
أي إلى ما كنتم عليه من الشرك. وقد
كان: رجعوا إلى ما كانوا عليه من الكفر
والعناد.

١٦ ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾ قيل
هي يوم بدر، لما عادوا إلى التكذيب
والكفر بعد رفع العذاب عنهم، انتقم الله
منهم بوقعة بدر. وقيل المراد: عذاب
النار.

١٧ ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ أي
ابتليناهم، أرسل الله إليهم رسلاً،
وأمرهم بما شرعه لهم فكذبوهم، أو وسع
عليهم الأرزاق فطغوا وبغوا ﴿وَجَاءَهُمْ
رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ أي كريم على الله، كريم
في قومه، وهو موسى عليه السلام.

١٨ ﴿أَنْ أَذُوا إِلَىٰ عِبَادِ اللَّهِ﴾ أي
أرسلوا معي عباد الله وهم بنو إسرائيل
وأطلقوهم من العذاب ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ
أَمِينٌ﴾ أمين على الرسالة غير متهم.

١٩ ﴿وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ﴾ أي لا
تتجبروا وتتكبروا عليه بترفكم عن
طاعته ومتابعة رسله ﴿إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ
مُّبِينٍ﴾ أي بحجة واضحة لا سبيل إلى
إنكارها، وهي معجزات العصا واليد
وسائر الآيات التسع.

٢٠ ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ
تَرْجُمُونِ﴾ استعاذ بالله سبحانه لما توعدوه
بالقتل بالحجارة.

٢١ ﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَرِلُونِ﴾ أي
إن لم تصدقوني وتقرؤا بنبوتي فاتركوني،
ولا تتعرضوا لي بأذى إلى أن يحكم الله
بيننا.

٢٢ ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا﴾ أجاب الله
سبحانه دعاءه، فأمره أن يسري ببني
إسرائيل ليلاً ﴿إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ﴾ أي
يتبعكم فرعون وجنوده.

الله عنا هذا العذاب أسلمنا، والمراد
بالعذاب الجوع الذي كان بسببه ما يروونه
من الدخان.

١٣ ﴿أَتَى لَهُمُ الدِّكْرُ﴾ أي كيف
يتذكرون ويتعظون بما نزل بهم ﴿و﴾
الحال أن ﴿قَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾
يبين لهم كل شيء يحتاجون إليه من أمر
الدين.

١٤ ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنهُ﴾ أي أعرضوا عن
ذلك الرسول ﴿وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾ أي
قالوا: إنما يعلمه القرآن بشر، وقالوا: إنه
مجنون، فكيف يتذكر هؤلاء وأنى لهم

العظام، فجعل الرجل ينظر إلى السماء
فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من
الجوع، فأنزل الله ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي
السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ الآية، فأتي النبي
ﷺ فقيل يا رسول الله: استسق الله لمصر،
فاستسق لهم فسقوا.

١١ ﴿يَغْشَى النَّاسَ﴾ أي يشملهم ويحيط
بهم ﴿هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي يقولون: هذا
عذاب أليم، أو يقول الله لهم ذلك.

١٢ ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا
مُؤْمِنُونَ﴾ أي يقولون ذلك، وقد روي
أنهم أتوا النبي ﷺ وقالوا: إن كشف

وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا
مِنِ الْجَنَّةِ وَعُيُونٍ ۖ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٥﴾
وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَيْهِنَ ﴿٢٦﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا
آخَرِينَ ﴿٢٧﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ
وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٨﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ
الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٢٩﴾ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِّنَ
الْمُسْرِفِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَقَدْ أَخَّرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣١﴾
وَمَا أَتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ مَّا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ إِنَّ
هَؤُلَاءَ لَيَقُولُونَ ﴿٣٣﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ
بِمُنشَرِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَتُوا بِعَابِدِنَا أَنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٥﴾ أَهْمُ
خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبْعِ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ
كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا

٢٤ ﴿وَاتْرَكَ الْبَحْرَ رَهْوًا﴾ أي ساكنًا لا يتحرك ﴿إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ﴾ أخبر سبحانه موسى بذلك ليسكن قلبه ويطمئن جاشه.

٢٧ ﴿وَنَعْمَةً﴾ وهي المال والخير الواسع ﴿كَانُوا فِيهَا فَكَيْهِنَ﴾ أي ناعمين. والفاكه هو المستمتع بأنواع اللذة، كما يتمتع الرجل بأنواع الفاكهة.

٢٨ ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ أي سلبناهم إياها وأهلكناهم وأورثناها بني إسرائيل.

٢٩ ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ لم يكونوا يعملون على الأرض عملاً صالحاً تبكي عليهم بسببه، ولم يصعد لهم إلى السماء عمل طيب تبكي عليهم به، فما بكى عليهم أهل السماء والأرض من الملائكة والناس [ويحتمل أن المراد أن الكافر الأشر البطر لا يرى شيئاً في الدنيا قدر نفسه، فهي أعظم شيء في عينه، فأخبر الله تعالى أنهم ذهبوا فلم يكن شيء، وبقيت الدنيا على حالها] ﴿وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ بل عوجلوا بالعقوبة لفرط كفرهم وشدة عنادهم.

٣٠ ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ أي خلصناهم بإهلاك عدوهم مما كانوا فيه من الاستعباد وقتل الأبناء واستحياء النساء وتكليفهم للأعمال الشاقة.

٣١ ﴿مِنْ فِرْعَوْنَ﴾ أي من عذاب فرعون ﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ أي عالياً في التكبر والتجبر، من المسرفين في الكفر بالله وارتكاب معاصيه.

٣٢ ﴿وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ أي اختارهم الله على الناس على علم منه باستحقاقهم لذلك لكثرة الأنبياء فيهم [ولصبرهم مع موسى وجهادهم في سبيل الله. فلما غيروا غير الله عليهم].

٣٣ ﴿وَأَتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ﴾ أي معجزات موسى ﴿مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ﴾ أي اختبار ظاهر وامتحان واضح للنظر كيف يعملون، ومن الآيات إنجائهم من الغرق وفلق البحر لهم وتظليل الغمام عليهم وإنزال المن والسلوى لهم.

٣٤، ٣٥ ﴿إِنْ هَؤُلَاءَ﴾ أي كفار قريش ﴿لَيَقُولُونَ. إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَىٰ﴾ ولا حياة بعدها ولا بعث ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾ أي بمبعوثين.

٣٦ ﴿فَأَتُوا بِآبَائِنَا﴾ أي أرجعهم بعد موتهم إلى الدنيا ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيما

تقولونه وتخبروننا به من البعث.

٣٧ ﴿أَهْمُ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبْعِ﴾ أي أهم خير في القوة والمنعة أم قوم تبع الحميري الذي دار في الدنيا بجيوشه وغلب أهلها وقهرهم ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ عاد وثمود ونحوهم ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ فإهلاكهم لمن هودونهم بسبب كونه مجرماً مع ضعفه وقصور قدرته بالأولى.

٣٩ ﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا﴾ أي وما بينهما ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ إلا لإقامة الحق وإظهاره ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن الأمر كذلك

بَيْنَهُمَا لَاعِينٌ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾
يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾
إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ
شَجَرَتِ الزَّقُومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي
فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلِيِّ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خَذُوهُ فَأَعْيَلُوهُ إِلَى
سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صَبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ
الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ
هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ
أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ
وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ
بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ﴿٥٥﴾

أي الأثيم، فاعتلوه، أي: فجرؤوه [أو
احملوه] ﴿إلى سواء الجحيم﴾ أي إلى
وسط النار.

٤٨ ﴿ثم صبوا فوق رأسه من عذاب
الجحيم﴾ وهو الماء الشديد الحرارة كما
تقدم.

٤٩ ﴿ذوق إنك أنت العزيز الكريم﴾
أي وقولوا له تهكما وتقريعا وتوبيخا: ذق
العذاب أيها المتعزز المتكرم في زعمك،
وفيما كنت تقوله. أخرج الأموي في
مغازيه عن عكرمة، قال: لقي رسول الله
ﷺ أبا جهل، فقال «إن الله أمرني أن
أقول لك (أولى لك فأولى. ثم أولى لك
فأولى) قال فنزع يده من يده، وقال ما
تستطيع لي أنت ولا صاحبك من شيء،
لقد علمت أني أمتع أهل البطحاء، وأنا
العزيز الكريم. فقتله الله يوم بدر، وأذله
وعيره بكلمته، وأنزل (ذوق إنك أنت
الكريم).

٥٠ ﴿إن هذا﴾ العذاب ﴿ما كنتم به تمترون﴾
أي تشكون فيه حين كنتم في الدنيا.

٥١ ﴿إن المتقين في مقام أمين﴾
صاحبه من جميع المخاوف.

٥٣ ﴿يلبسون من سندس وإستبرق﴾
السندس مارق من الدياج، والإستبرق
ما غلظ منه ﴿متقابلين﴾ في مجالسهم ينظر
بعضهم إلى بعض.

٥٤ ﴿وزوجناهم بحور عين﴾ أي
أكرمناهم بأن قرناهم بنساء حور عين
أحللتناهم لهم، لكل منهم ما شاء منها.
والحور جمع حوراء وهي البيضاء. وقيل هو
من حور العين، وهو شدة بياض العين في
شدة سوادها. والعين: الواسعات الأعين،
الواحدة عيناء.

٥٥ ﴿يدعون فيها بكل فاكهة آمنين﴾
آمنين من التخم والأسقام والآلام وآمنين
من الموت والوصب والشيطان ومن انقطاع
ما هم فيه من النعيم.

المؤمنين.

٤٣، ٤٤ ﴿إن شجرة الزقوم﴾، هي
الشجرة التي خلقها الله في جهنم، وسماها
الشجرة الملعونة، فإذا جاع أهل النار
التجأوا إليها فأكلوا منها ﴿طعام الأثيم﴾
الأثيم: الكثير الإثم.

٤٥ ﴿كالهمل﴾ وهو دردي الزيت وعكر
القطران، وقيل هو النحاس المذاب.

٤٦ ﴿كغلي الحميم﴾ هو الماء الشديد
الحرارة.

٤٧ ﴿خذوه فاعتلوه﴾ أي يقال
للملائكة الذين هم خزنة النار: خذوه،

وهم المشركون.

٤٠ ﴿إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين﴾
أي الوقت المجمعول لتمييز المحسن من
المسيء، والحق من المبطل.

٤١ ﴿يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا﴾
لا ينفع في ذلك اليوم قريب قريبا، ولا
يدفع عنه شيئا ﴿ولا هم ينصرون﴾ أي
ولا هم يمنعون من عذاب الله.

٤٢ ﴿إلا من رحم الله﴾ أي لكن من
رحمه الله [فإنه ينتصر وينجو] ﴿إنه هو
العزيز الرحيم﴾ أي الغالب الذي لا
ينصر أحد من أراد عذابه، الرحيم لعباده

لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّهُمْ
عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ
الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾
فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾

(٤٥) سُورَةُ الْجَاثِيَةِ مَكِّيَّةٌ
إِلَّا آيَةَ ١٤ فَمَدَنِيَّةٌ
وَأَيَّاهَا ٣٧ نَزَلَتْ بَعْدَ الدَّخَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾
إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾
وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ ؕ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾
وَإِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن

٥٦ ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ أي لا يموتون فيها أبداً، لكن الموتة التي ذاقوها في الدنيا [قد ذاقوها وانتهى أمرها. أي فهؤلاء المؤمنون هم الذين لا يذوقون الموت إلا الموتة الأولى بخلاف الكفار الذين قالوا: إن هي إلا موتتنا الأولى وما نحن بمنشرين، فإنهم يلقون من العذاب ما هو أشد من الموت] ﴿وَوَقَّاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ أي صرفه عنهم وحماهم منه.

٥٧ ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ﴾ أي لأجل الفضل منه، أو أعطاهم ذلك عطاء فضلاً منه ﴿ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ أي ذلك الذي تقدم ذكره هو الفوز الذي لا فوز بعده، المتناهي في العظم.

٥٨ ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ أي إنما أنزلنا القرآن بلغتك التي هي لغتهم، وجعلناه ميسراً للفهم، كي يفهمه قومك، فيتذكروا ويعتبروا ويعملوا بما فيه.

٥٩ ﴿فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ﴾ أي فانتظر ما وعدناك من النصر عليهم وإهلاكهم على يدك إن استمروا على الكفر بدعوة الله، والمشاقة لله ورسوله، فإنهم منتظرون ما ينزل بك من موت أو غيره.

سُورَةُ الْجَاثِيَةِ

١ ﴿حَمْدٌ﴾ قد تقدم الكلام في الحروف المقطعة التي في أوائل السور في أول تفسير سورة البقرة.

٣ ﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي فيها نفسها، فإنها من فنون الآيات، أو في خلقها.

٤ ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ﴾ أي في خلق الله لكم على أطوار مختلفة، من تراب ثم من نطفة، إلى أن يصير إنساناً [وفي تشكيل

والحرارة والبرودة، والضياء والظلمة، آيات وعبر كذلك ﴿وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ﴾ الرزق: المطر، لأنه سبب لكل ما يرزق الله العباد به. وإحياء الأرض: إخراج نباتها ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ خلقتها عن النبات ﴿وَتَنْصَرِفُ الرِّيحُ﴾ تهب تارة من جهة، وتارة من أخرى، وتارة تكون حارة، وتارة تكون باردة، وتارة نافعة، وتارة ضارة ﴿آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [أي إن هذه الآيات العظيمة الدالة على وحدانية الله وقدرته إنما هي لأهل العقول الراجحة، ولا ينتفع

أعضائكم، وما جعل فيكم من القوى العجيبة البدنية والنفسية] ﴿وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ﴾ أي وفي خلق ما يبعث من دابة [في نواحي الأرض، حارّها ومعتدلاً وباردها، وفي الأراضي الرطبة والجافة. وفي كل موضع من الأرض، جعل فيه ما يناسبه من الحيوان]. ﴿آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [دلائل شديدة الظهور، تدل على قدرة الصانع العظيم وحكمته يعتبر بها أهل اليقين الذين يقبلون الحق].

٥ ﴿وَإِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أي في تعاقبها، أو تفاوتها في الطول والقصر،

رَزَقَ فَأَحْيَاهُ الْآرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ
 ءَايَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦﴾ تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ
 بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾
 وَيَلِّ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٨﴾ يَسْمَعُ ءَايَاتِ اللَّهِ تُتْلَى
 عَلَيْهِ ثُمَّ يَصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ
 أَلِيمٍ ﴿٩﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا
 وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٠﴾ مَن وَّرَايَهُم جَهَنَّمُ وَلَا
 يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ
 أَوْلِيَاءَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ هَٰذَا هُدًى وَالَّذِينَ
 كَفَرُوا بِءَايَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزِ أَلِيمٍ ﴿١٢﴾
 * اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لَتَجْرِيَ أَلْفُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ
 وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَسَخَّرَ

٩ ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا﴾ أي إذا وصل إليه علم شيء من آيات الله ﴿اتَّخَذَهَا﴾ أي الآيات ﴿هُزُوًا﴾ اتخذها موضوعا للسخرية والتندر مما أشارت إليه من المعاني ﴿أُولَئِكَ﴾ الأفّاكون الذين تلك صفاتهم ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ بسبب ما فعلوا من الإصرار والاستكبار عن سماع آيات الله واتخاذها هزوا. والعذاب المهين: هو المشتمل على الإذلال والفضيحة.

١٠ ﴿مَن وَّرَايَهُم جَهَنَّمُ﴾ أي من وراء ما هم فيه من التعرّز بالدنيا، والتكبر عن الحق، جهنم، فإنها خلفهم وستدركهم. وقيل: من ورائهم: يعني من قدامهم، لأنهم متوجهون إليها ﴿وَلَا يَغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا﴾ أي لا يدفع عنهم ما كسبوا من أموالهم وأولادهم شيئا من عذاب الله، ولا ينفعهم بوجه من وجوه النفع ﴿وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ﴾ [أي لا تنفعهم أيضا الأصنام والآلهة التي اتخذوها يعبدونها من دون الله يرجون منها النفع ودفع الضرر] ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في جهنم التي هي من ورائهم.

١١ ﴿هَٰذَا هُدًى﴾ يعني أن هذه الآيات التي تقدم ذكرها في هذه السورة، هي هدى للمهتدين بالقرآن العظيم، الذين يقبلون ما فيه ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ القرآنية ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزِ أَلِيمٍ﴾ الرّجز أشد العذاب.

١٢ ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ﴾ أي جعله على صفة تتمكنون بها من الرّكوب عليه في السفن التي علمكم صنعها ﴿لَتَجْرِيَ أَلْفُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ﴾ أي بإذنه وإقداره لكم ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ بالتجارة تارة، والغوص للدرّ، والمعالجة للصيد، وغير ذلك ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ النعم التي تحصل لكم بسبب هذا التسخير للبحر.

٨ ﴿يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يَصِرُّ﴾ أي يبقى مصرا على كفره وقيم على ما كان عليه، لا يتعظ بما يسمع من كلام الله ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾ أي يتمادى على كفره متعظا في نفسه عن الانقياد للحق [الذي هو كلام ربه وخالقه عز اسمه وتعالى سلطانه] ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ أي مشبها حاله حال من لم يسمع في عدم الالتفات إليها ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي أخبره بأن له عند الله عذابا شديدا لا يلام جزاء إصراره واستكباره وعدم استماعه إلى الآيات.

بها أهل الجهل والعناد].
 ٦ ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ﴾ أي هذه الآيات المذكورة هي حجج الله وبراهينه ﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ أي [محققين صادقين فيما ننزله عليك من القرآن المتلق] ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ أي بعد حديث الله وبعد آياته [أي فالله تعالى أصدق الصادقين فإن لم يصدقوه فن يصدقون؟ وإن لم يصدقوا آيات كتابه فكتاب من يصدقون؟]
 ٧ ﴿وَيَلِّ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ أي لكل كذاب، كثير الإثم، مرتكب لما يوجب.



لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ
 فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ قُلِ الَّذِينَ آمَنُوا
 يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا
 يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ
 فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكَ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي
 إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ
 الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَآتَيْنَاهُمْ
 بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ
 الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
 فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ
 الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾
 إِنَّهُمْ لَن يَغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَبَعْضُهُمْ

١٣ ﴿وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه﴾ أي سخر لعباده جميع ما خلقه في السماوات: الشمس، والقمر، والنجوم النيرات، والمطر، والسحاب، والرياح، وما في الأرض، وكل ذلك رحمة منه لعباده نعمة وتفضلاً ﴿إن في ذلك﴾ التسخير ﴿آيات لقوم يتفكرون﴾ فيصلون بالفكر إلى الاستدلال بها على التوحيد، أما الذين لا يتفكرون فإنهم لا يهتدون بها.

١٤ ﴿قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله﴾ المعنى: قل لهم أن يتجاوزوا عن الذين لا يرجون وقائع الله بأعدائه، أي لا يتوقعونها، ولا يخشون على أنفسهم مثل عذاب الله للأمم الخالية، وذلك أنهم لا يؤمنون به، ولا يأملون نصر الله لأوليائه ﴿ليجزى قوما بما كانوا يكسبون﴾ والمراد بالقوم المؤمنون، أمروا بالمغفرة ليجزيهم الله يوم القيامة بما كسبوا في الدنيا من الأعمال الحسنة، التي من جملتها الصبر على أذية الكفار، والإغضاء عنهم بكظم الغيظ واحتمال المكروه. وقيل المعنى: ليجزي الله الكفار بما عملوا من السيئات، كأنه قال: لا تكافئوهم أنتم لنكافئهم نحن.

١٦ ﴿ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب﴾ التوراة ﴿والحكم﴾ الفهم والفقهاء الذين يكون بها الحكم بين الناس، وفصل خصوماتهم ﴿والنُّبُوَّةَ﴾ أي من بعثه الله من الأنبياء فيهم ﴿ورزقناهم من الطيبات﴾ أي المستلذات التي أحلها الله لهم، ومن ذلك المن والسلوى ﴿وفضلناهم على العالمين﴾ حيث آتيناهم ما لم تؤت من عداهم، من فلق البحر، والتوراة، والإيمان.

١٧ ﴿وآتيناهم بينات من الأمر﴾ أي شرائع واضحة في الحلال والحرام، أو معجزات ظاهرات، وقيل العلم بمبعث

النبي ﷺ وشواهد نبوته ﴿فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم﴾ أي فما وقع الاختلاف بينهم في ذلك الأمر إلا بعد مجيء العلم إليهم ببيانه وإيضاح معناه، فجعلوا ما يوجب زوال الخلاف موجبا لشبوته ﴿بغيا بينهم﴾ أي من بعضهم على بعض بطلب الرئاسة ﴿إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ من أمر الدين، فيجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، ويبيّن أهل الحق من أهل الباطل.

١٩ ﴿إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا﴾ أي لا يدفعون عنك شيئا مما أَرَادَهُ الله بك إن اتبعت أهواءهم ﴿وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض﴾ ينصر بعضهم بعضا، فالمنافقون أولياء اليهود، والله ولي المتقين، أي ناصرهم،

١٨ ﴿ثم جعلناك على شريعة من

يحكمون أي: ساء حكمهم هذا الذي حكموا به.

٢٢ «وخلق الله السماوات والأرض بالحق» أي بالحق المقتضي للعدل بين العباد **«ولتجزى كل نفس بما كسبت»** أي: خلق الله السماوات والأرض ليدل بها على قدرته ولكي تجزى **«وهم لا يظلمون»** بنقص ثواب أو زيادة عقاب.

٢٣ «أفرأيت من اتخذ إلهه هواه» الكافر اتخذ دينه ما يهواه، فلا يهوى شيئاً إلا تبعه، دون مراعاة لمحبة الله ورضاه، أو لكرهاته وغضبه، أو المراد: يعبد ما يهواه أو يستحسنه **«وأضله الله على علم»** أي إنه على علم بالحق، ويعلم الهدى من الضلال، ولكن يترك الحق اتباعاً لشهوة نفسه **«وختم على سمعه وقلبه»** أي طبع على سمعه حتى لا يسمع الوعظ، وطبع على قلبه حتى لا يفقه الهدى **«وجعل على بصره غشاوة»** أي: غطاء حتى لا يبصر الرشيد **«فمن يهديه من بعد الله»** أي: من بعد إضلال الله له **«أفلا تذكرون»** تذكر اعتبار حتى تعلموا حقيقة الحال.

٢٤ «وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا» أي ما الحياة إلا الحياة التي نحن فيها **«نموت ونحيا»** أي: يصيبنا الموت والحياة فيها، وليس وراء ذلك حياة، وقيل: نموت نحن ونحيا فيها أولادنا، ثم يموتون ونحيا أولادهم، وهكذا **«وما يهلكنا إلا الدهر»** أي: إلا مرور الأيام والليالي **«وما لهم بذلك من علم»** أي: ما قالوا هذه المقالة إلا شاكين غير عالمين بالحقيقة **«إن هم إلا يظنون»** غاية ما عندهم الظن، ولا يستندون إلا إليه.

٢٥ «وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات» ظاهرة المعنى والدلالة على البعث **«ما كان حجتهم إلا أن قالوا آتوا بآبائنا إن كنتم صادقين»**

أُولِيَاءَ بَعْضٌ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَذَا بَصِيرَتُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ أَفَرَأَيْتَ مِنْ أَتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصِيرِهِ غِشَاةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٌ مَّا كَانَ حُجَّتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا آتُوا بِءَابَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾

السيئات فعلوها عمداً واكتسبوا إثمها **«أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات»** أي: نسوي بينهم مع اجتراحهم السيئات، وبين أهل الحسنات **«سواء محياهم ومماتهم»** في دار الدنيا وفي الآخرة؟ كلا لا يستون، فإن حال أهل السعادة في الآخرة غير حال أهل الشقاوة [أي فإن حال الفريقين قد يستوي في الدنيا، وقد يكون أهل السيئات في الدنيا أوفر حظاً منها، فلو استنوا في الآخرة أيضاً لما كان ذلك عدلاً، فلا تظنوا ذلك واقعاً] **«ساء ما**

والمراد بالمتقين الذين اتقوا الشرك والمعاصي.

٢٠ «هذا» [أي هذا الإعلان على لسانك للناس باتباع شرائع الله وأن الله ولي متبعيها، والشرعة نفسها] **«بصائر للناس»** أي: براهين ودلائل لهم فيما يحتاجون إليه من أحكام الدين **«وهدى»** يؤدي إلى الجنة لمن عمل به **«ورحمة»** من الله في الآخرة **«لقوم يوقنون»** أي: من شأنهم الإيقان وعدم الشك والتزلزل بالشبه.

٢١ «أم حسب الذين اجتروحوا

قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ
لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ
مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِضُ
يُخَسِّرُ الْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى
إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَذَا كِتَابُنَا
يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾
فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ
فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا
أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا
مُجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ
فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ
بِمُتَّبِعِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ

٢٦ ﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ﴾ أي: في الدنيا
﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عند انقضاء آجالكم ﴿ثُمَّ
يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ بالبعث
والنشور والحشر إلى موقف الحساب ﴿لَا
رَيْبَ فِيهِ﴾ أي في جمعكم ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ
النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ بذلك، فلهذا حصل
معهم الشك في البعث. وأخرج ابن
جرير وابن أبي حاتم عن أبي هريرة قال:
«كان أهل الجاهلية يقولون: إنما يهلكنا
الليل والنهار، فقال الله في كتابه (وقالوا)
ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما
يهلكنا إلا الدهر» قال الله: «يؤذيني ابن
آدم، يَسُبُّ الدهر، وأنا الدهر، بيدي
الأمر، أقلب الليل والنهار» وأصله عند
البخاري ومسلم [وهذه الآية رذ على
الذهرية، وهم قوم من العرب كانوا
يقولون: إنما يهلكنا الليل والنهار ودورة
الزمان. وينسبون الحياة والموت إلى
الدهر. وإذا أصابهم مكروه سبوا الدهر.
ووجد من غيرهم من الطوائف من
يوافقهم على ذلك: منهم جمهور الفلاسفة
الدهريين، والملاحدة في كل زمان،
حيث ينسبون الحياة وتنوع أشكالها إلى
التطور الذي استمر ملايين السنين، وفي
اعتقادهم أن ليس وراء ذلك قوة مدبرة
مبدعة خلقة، وأن الأمر لا يعدو أن
يكون صدفة. ومنهم من ينتسب إلى
الإسلام، لكنه في كتاباته - العلمية -
يجاري هؤلاء، ويخجل أن يذكر نسبة
الخلق إلى خالق مبدع، وربما قال:
الطبيعة هي التي أبدعت وصنعت. ولو
سئل عن الطبيعة: آلتها فكر؟ لما كان
لديه جواب. وهم كما قال الله تعالى:
(وما لهم بذلك من علم إن هم إلا
يظنون) وإلا فأين - الأسلوب العلمي
- في نسبة حدوث هذه المخلوقات
العجيبة، بما فيها من الأجهزة العلمية
الدقيقة، التي تتكامل لتؤدي وظائف
معينة على أكمل ما يكون، كيف تنسب

إلى الصدفة أو الطبيعة غير العاقلة؟
سبحان الله! كيف يُعْمَى الهوى الأبصار
والبصائر.]
٢٧ ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾
أي: هو المتصرف فيها وحده لا يشاركه
أحد من عباده ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾
يومئذ يخسر المبطلون أي المكذبون
الكافرون المتعلقون بالباطل، يظهر في
ذلك اليوم خسراهم، لأنهم يصيرون إلى
النار.
٢٨ ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ﴾ الأمة أصحاب
الملة الواحدة ﴿جَائِيَةً﴾ مستوفزة، والجثو
جلسة معينة هي جلسة الذي لا يصيب
الأرض منه إلا ركبته وأطراف أنامله.
والناس لشدة الأمر يبحثون بين يدي الله
كذلك عند الحساب. وقال الحسن:
باركة على الركب ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى
كِتَابِهَا﴾ الكتاب المنزل عليها، وقيل إلى
صحيفة أعمالها ﴿الْيَوْمَ تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ
تَعْمَلُونَ﴾ أي يجزيكم الله في الدار
الآخرة بما عملتم في الدنيا من خير وشر.
٢٩ ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾
أي: يشهد عليكم، يقرأونه فيذكرون ما
عملوا ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ

نحن بمستيقنين﴾ أي: لم يكن لنا يقين، ولم يكن معنا إلا مجرد الظن أن الساعة آتية.

٣٣ ﴿وبدا لهم سيئات ما عملوا﴾

أي: ظهر لهم سيئات أعمالهم على الصورة التي هي عليها ﴿وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون﴾ أي: أحاط بهم ونزل عليهم جزاء أعمالهم بدخولهم النار.

٣٤ ﴿وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم

لقاء يومكم هذا﴾ أي نترككم في النار كما تركتم العمل لهذا اليوم وتجاهلتم ما

جاء عنه في كتب الله ﴿ومأواكم النار﴾ أي مسكنكم ومستقركم الذي تأوون إليه ﴿ومالكم من ناصرين﴾ ينصرونكم فيمنعون عنكم العذاب.

٣٥ ﴿ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله

هزوا﴾ أي: ذلكم العذاب إنما يقع بكم بسبب أنكم اتخذتم القرآن هزوا ولعباً

﴿وغرتكم الحياة الدنيا﴾ أي: خدعتكم بزخارفها وأباطيلها، فظننتم أنه لا دار

غيرها، ولا بعث ولا نشور، وعشتم حياتكم على أساس ذلك ﴿فاليوم لا

يخرجون منها﴾ أي: من النار ﴿ولا هم يستعتبون﴾ أي لا يُسترضون، ولا يطلب

منهم الرجوع إلى طاعة الله، لأنه يوم لا تقبل فيه توبة، ولا تنفع فيه معذرة.

٣٦ ﴿فله الحمد رب السماوات ورب

الأرض رب العالمين﴾ لا يستحق الحمد سواه على خلقها وإصلاح حال من فيها.

٣٧ ﴿وله الكبرياء في السماوات

والأرض﴾ أي الجلال والعظمة والسلطان ﴿وهو العزيز﴾ في سلطانه فلا يغالبه

مغالب ﴿الحكيم﴾ في كل أفعاله وأقواله وجميع أفضيته.

سورة الأحقاف

١، ٢ ﴿حم. تنزيل الكتاب من الله

العزيز الحكيم﴾ قد تقدم الكلام على مثل

هذه الفاتحة في أول سورة غافر.

مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِيكُمْ كَمَا

نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَالَكُمْ مِنْ

نَاصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَلِكُمْ بِأَنكُمْ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا

وَوَغَرَّتْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُمْخِرُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ

يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ

رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

(٤٦) سُورَةُ الْأَحْقَافِ مَكِّيَّةٌ

وَأَيُّهَا خَمْسُونَ وَثَلَاثُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حم ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾

أي تكبرتم عن قبولها وعن الإيمان بها، وكنتم من أهل الإجمام، وهي الآثام بفعل المعاصي.

٣٢ ﴿وإذا قيل إن وعد الله حق﴾

أي: لهؤلاء الكفار، إذا أخبرهم الرسول ﷺ عن الله بوعده بالبعث والحساب، أو

بجميع ما وعد به من الأمور المستقبلية، وأن ذلك واقع لا محالة ﴿والساعة﴾ أي:

القيامة ﴿لا ريب فيها﴾ أي: في وقوعها

﴿قلتم ما ندري ما الساعة﴾ أي: أي شيء هي؟ ﴿إن نظن إلا ظناً﴾ أي

نحس حسداً ونتوهم توها لا علماً ﴿وما

تعملون﴾ أي: نأمر الملائكة بنسخ أعمالكم، أي بكتبا وتبيتها، وقيل: إن الملائكة إذا رفعت أعمال العباد إلى الله سبحانه، أمر عز وجل أن يثبت عنده منها ما فيه ثواب وعقاب، ويسقط منها ما لا ثواب فيه ولا عقاب.

٣٠ ﴿في رحمته﴾ أي الجنة ﴿ذلك﴾ الإدخال في رحمته ﴿هو الفوز المبين﴾ أي الفلاح والنجاح الظاهر الواضح.

٣١ ﴿وأما الذين كفروا أفلم تكن

آياتي تتلى عليكم﴾ أي: فيقال لهم ذلك توبيخاً ﴿فاستكبرتم وكنتم قوماً مجرمين﴾



مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ
وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ ﴿٤﴾
قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ
الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ ۚ أَتُنُونِي بِكِتَابٍ مِنْ
قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَنْ
أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ ۚ إِلَى
يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٦﴾ وَإِذَا حُشِرَ
النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٧﴾
وَإِذَا نُتِيَ عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ
لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٨﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ
إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا
تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ وَهُوَ الْغَفُورُ

٣ ﴿ما خلقنا السماوات والأرض وما
بينها﴾ من المخلوقات بأسرها ﴿إلا بالحق﴾
الذي تقتضيه المشيئة الإلهية، وليس عبثاً
ولا باطلاً ﴿وأجل مسمى﴾ هو يوم
القيامة، فإنها تنتهي فيه السماوات
والأرض وما بينهما، وتبدل الأرض غير
الأرض والسماوات ﴿والذين كفروا عما
أنذروا﴾ أي عما خوفوا به في القرآن من
البعث والحساب والجزاء ﴿معرضون﴾
مولون عنه غير مستعدين له.

٤ ﴿قل أرايتم ما تدعون من دون الله﴾
من الأصنام وأصحاب القبور والطواغيت
﴿أروني ماذا خلقوا من الأرض﴾ أي
أتي شيء خلقوا منها ﴿أم لهم شرك في
السماوات﴾ أي هل يملكون جزءاً منها
﴿أتتوني بكتاب من قبل هذا﴾ القرآن،
فإنه قد صرح ببطلان الشرك، وبأن الله
واحد لا شريك له، وأن الساعة حق لا
ريب فيها، فهل للمشركين من كتاب
يخالف هذا الكتاب، أو حجة تنافي هذه
الحجة؟ ﴿أو أثارة من علم﴾ أي بقية
من علم، أو شيء تأثرونه عن نبي كان
قبل محمد ﷺ وقال ابن عباس: الأثارة
الخط، أي الشيء المكتوب المأثور.

٥ ﴿ومن أضل ممن يدعو من دون الله
من لا يستجيب له﴾ أي لا أحد أضل
منه ولا أجهل، فإنه دعا من لا يسمع،
فكيف يطمع في الإجابة، فضلاً عن
جلب نفع أو دفع ضرر، ولو دعاه ﴿إلى
يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون﴾
المعنى: والأصنام التي يدعونها عن دعائهم
إياها غافلون لا يسمعون ولا يعقلون،
لكونهم جمادات.

٦ ﴿وإذا حشر الناس كانوا لهم
أعداء﴾ أي إذا حشر الناس العابدون
للأصنام كانت الأصنام لهم أعداء، تتبرأ
منهم وتلعنهم. وقد قيل: إن الله يخلق
الحياة في الأصنام فتكذبهم، وأما الملائكة

والمسيح وعزير والشياطين فإنهم يتبرءون
ممن عبدتهم يوم القيامة ﴿وكانوا بعبادتهم
كافرين﴾ أي كان المعبودون بعبادة
المشركين إياهم كافرين: أي جاحدين
مكذبين.
٨ ﴿أم يقولون افتراه﴾ اخترعه من عند
نفسه كذباً على الله ﴿قل إن افتريته﴾
على سبيل الفرض والتقدير كما تدعون
فلا تقدرين على أن تردوا عني عقاب
الله، فكيف أفترى على الله لأجلكم وأنتم
لا تقدرين على دفع عقابه عني؟ ﴿هو
أعلم بما تفيضون فيه﴾ أي الله أعلم بما

تقولون في القرآن، وتخوضون فيه، من
التكذيب له، والقول بأنه سحر وكهانة
﴿كفى به شهيداً بيني وبينكم﴾ فإنه
يشهد لي بأن القرآن من عنده وأني قد
بلغتكم، ويشهد عليكم بالتكذيب
والجحود ﴿وهو الغفور الرحيم﴾ لمن تاب
وآمن، وصدق بالقرآن، وعمل بما فيه.
٩ ﴿قل ما كنت بدعاً من الرسل﴾
أي ما أنا بأول رسول، قد بعث الله قبلي
كثيراً من الرسل ﴿وما أدري ما يفعل
بي ولا بكم﴾ فيما يستقبل من الزمان،
هل أبقى في مكة أو أخرج منها؟ وهل

رسله، وهذا الشاهد من بني إسرائيل هو عبد الله بن سلام، كان إسلامه بعد الهجرة **﴿واستكبرتم﴾** عن الإيمان.

١١ ﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا﴾ أي قالوا عنهم **﴿لو كان خيرا﴾** ما جاء به محمد من القرآن والنبوة **﴿ما سبقونا إليه﴾** أي إلى الإيمان به. ظنوا أنهم عند أنفسهم المستحقون للسبق إلى كل مكرمة، ولم يعلموا أن الله سبحانه يختص برحمته من يشاء، ويصطفي لدينه من يشاء. أخرج ابن المنذر قال: كانت لعمر بن الخطاب أمة أسلمت قبله، يقال لها زنيرة، وكان عمر يضربها على الإسلام، وكان كفار قريش يقولون: لو كان خيرا ما سبقتنا إليه زنيرة، فأنزل الله في شأنها (وقال الذين كفروا) **﴿وإذ لم يهتدوا به﴾** أي بالقرآن **﴿فسيقولون هذا إفك قديم﴾** كذب قديم كما قالوا: أساطير الأولين.

١٢ ﴿ومن قبله كتاب موسى﴾ قد تقدم القرآن كتاب موسى، وهو التوراة، وتوافقا في أصول الشرائع، وهذا يدل على أنه حق وأنه من عند الله **﴿إماما ورحمة﴾** أي يقتدى به في الدين، وهو رحمة من الله لمن آمن به **﴿وهذا كتاب مصدق﴾** يعني القرآن، فإنه مصدق لكتاب موسى الذي هو إمام ورحمة، ولغيره من كتب الله **﴿لسانا عربيا﴾** أي حال كونه بلغة عربية يفهمونها **﴿لينذر الذين ظلموا﴾** [عذاب الله، فلا يكون لهم عذر] **﴿وبشرى للمحسنين﴾** [أن مآلهم النصر والجنة جزاء إحسانهم].

١٣ ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾ أي جمعوا بين التوحيد والاستقامة على الشريعة **﴿فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾** لا يخافون من وقوع مكروه بهم، ولا يحزنون من فوات محبوب، وذلك مستمر دائم.

الرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ ۖ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ ۖ فَقَامَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ ۖ فَسَيَقُولُونَ هَذَا أَفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِنْ قَبْلِهِ ۖ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّنُذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

أدري — وأنا رسول الله — ما يفعل بي ولا بكم. قالت أم العلاء: فوالله لا أزكي بعده أحداً.

١٠ ﴿قل أرايتم﴾ أخبروني **﴿إن كان﴾** ذلك في الحقيقة **﴿من عند الله﴾** والحال أنكم قد كفرتم به **﴿وشهد شاهد من بني إسرائيل﴾** العالمين بما أنزل الله في التوراة **﴿على مثله﴾** أي القرآن من المعاني الموجودة في التوراة المطابقة له من إثبات التوحيد والبعث والنشور وغير ذلك **﴿فأمن﴾** الشاهد بالقرآن لما تبين له أنه من كلام الله ومن جنس ما ينزله على

أموت أو أقتل؟ وهل تعجل لكم العقوبة أم تمهلون؟ **﴿إن أتبع إلا ما يوحى﴾** أي أتبع القرآن ولا أبتدع من عندي شيئا **﴿وما أنا إلا نذير مبين﴾** أنذركم عقاب الله وأخوفكم عذابه على وجه الإيضاح. في صحيح البخاري وغيره من حديث أم العلاء قالت «لما مات عثمان بن مظعون قلت: رحمك الله أبا السائب، شهادتي عليك لقد أكرمك الله. فقال رسول الله ﷺ: وما يدريك أن الله أكرمهم؟ أما هو فقد جاءه اليقين من ربه، وإني لأرجو له الخير، والله ما

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا
وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا
بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ
نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا
تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي
مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ
مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ
الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ
أُفٍّ لَّكُمَا اتَّعَدَانِي أَنْ أَخْرَجَ وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ
قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ ءَأَمِنَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ
فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ
حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مَنَ

١٥ ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ أي وصيناه أن يحسن إليهما إحساناً ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ أي حملته في بطنها بمشقة، وعندما ولدته ولدته بمشقة كذلك ﴿وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ أي مدتها هذه المدة، من عند ابتداء حمله إلى أن يفصل من الرضاع، أي يفطم عنه. وفي هذه الآية إشارة إلى أن حق الأم أكد من حق الأب، لأنها حملته بمشقة ووضعت بمشقة، وأرضعته وحضنته، وقامت بشأنه هذه المدة، بتعب ونصب، ولم يشاركها الأب في شيء من ذلك [وإن كان تعب في الكسب والإنفاق، فليس مثل تعب الأم] ﴿حَقٌّ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ أي بلغ استحكام قوته وعقله ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ وهذا يفيد أن بلوغ الأربعين هو شيء وراء بلوغ الأشد ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾ أي ألهمني ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ﴾ أي ألهمني شكر ما أنعمت به علي من الهداية، وعلى والدي من التحنن علي منها، حين ربياني صغيراً ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ أي وألهمني أن أعمل عملاً صالحاً ترضاه مني ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ أي اجعل ذريتي صالحين راسخين في الصلاح متمكنين منه. روي أنها نزلت في أبي بكر رضي الله عنه وأرضاه ﴿إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ من ذنوبي ﴿وَأِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ أي المستسلمين لك المنقادين لطاعتك المخلصين لتوحيدك. ١٦ ﴿أُولَٰئِكَ﴾ الذين هذه طريقته، هم ﴿الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ من أعمال الخير في الدنيا ﴿وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ فلا نعاقبهم عليها. والتجاوز: الغفران ﴿فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾ في عدادهم منتظمون في سلوكهم ﴿وَعَدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ به على ألسن الرسل في الدنيا.

عند ذلك مكذبا لما قاله. ﴿مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: ما هذا الذي تقولونه من البعث إلا أحاديث الأولين وأباطيلهم التي سطروها في الكتب، يعني بقوله هذا أن البعث في الحقيقة أمر باطل لا يقبله العقل.

١٨ ﴿أُولَٰئِكَ﴾ القائلون هذه المقالات هم ﴿الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ أي وجب عليهم العذاب. ولعل المراد بالقول هنا: قوله سبحانه لا إله إلا الله: «لأملأن جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين» ﴿فِي أُمِّ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مَنَ﴾

١٧ ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا﴾ أف: كلمة تصدر عن قائلها عند تضرجه من شيء يرد عليه ﴿أَتَعَدَانِي أَنْ أَخْرَجَ﴾ أي أنتما تخبرانني أنني سأبعث من قبوري بعد الموت لموعد الله، وهذا أمر مستبعد مستنكر: أبغث بعد الموت؟! ﴿وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي﴾ فاتوا ولم يبعث منهم أحد ﴿وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ﴾ يستغيثان الله له، ويطلبان منه أن يوفق ولدهما إلى الإيمان ﴿وَيَلِكُ﴾ أي: يقولان لولدهما، ويلك ﴿أَمِنْ﴾ بالبعث ﴿إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ لا خلف فيه ﴿فَيَقُولُ﴾



الْجَنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ
مَّا عَمِلُوا وَلِيُوفيَهُمْ أَعْمَلُهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾
وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ
فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ
أَهْلُونَ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ
وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ * وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ
قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ الْنُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ
خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ
يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا
بِمَا تَعِدُّنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ
عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرِيتُكُمْ قَوْمًا
تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا

والإنس] أي وجب عليهم العذاب فهم منضمون في ذلك إلى الأمم الكافرة المتقدمة.

١٩ ﴿ولكل درجات مما عملوا﴾ أي لكل فريق من الفريقين المؤمنين والكافرين من الجن والإنس مراتب عند الله يوم القيامة ﴿وليوفيهم أعمالهم﴾ أي جزاء أعمالهم.

٢٠ ﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار﴾ يوم ينكشف الغطاء فينظرون إلى النار ويقربون منها، وقيل المعنى: تعرض النار عليهم ﴿أذهبتم طيباتكم في

حياتكم الدنيا﴾ اتبعوا الشهوات واللذات في معاصي الله سبحانه، ولم يبالوا بالذنوب، تكذيباً منهم لما جاءت به الرسل من الوعد بالحساب والعقاب والشواب ﴿فالיום تجزون عذاب الهون﴾ أي العذاب الذي فيه ذل لكم وخزي عليكم ﴿بما كنتم تستكبرون في الأرض﴾ بغير الحق أي بسبب تكبركم عن عبادة الله والإيمان به وتوحيده ﴿وبما كنتم تفسقون﴾ أي: تخرجون عن طاعة الله، وتعملون بمعاصيه.

٢١ ﴿واذكر﴾ يا محمد لقومك ليتعظوا لهم.

ويخافوا. أو المراد: تذكّر في نفسك قصة هود وصبره مع قومه، لتقتدي به، ويهون عليك ما تلقى من تكذيب قومك لك ﴿أخا عاد﴾ وهو هود، كان أخاهم في النسب، لافي الدين ﴿إذ أنذر قومه بالأحقاف﴾ وهي ديار عاد، والحقف: هو كثيب الرمل العظيم المستطيل الموعج، والأحقاف: رمال بلاد الشعر باليمن في حضرموت ﴿وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه﴾ المعنى: أعلمهم أن الرسل الذين بعثوا قبله، والذين بعثوا بعده، كلهم أنذروا نحو إنذاره ﴿إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾.

٢٢ ﴿قالوا أجئنا لتأفكنا عن آلهتنا﴾ أي: لتصرفنا عن عبادتها ﴿فأتنا بما تعدنا﴾ من العذاب العظيم ﴿إن كنت من الصادقين﴾ في وعدك لنا به.

٢٣ ﴿قال إنما العلم عند الله﴾ أي: إنما العلم بوقت مجيئه عند الله لا عندي، لأنه هو الذي قدره لا أنا، ولم يخبرني متى سيأتي به ﴿وأبلغكم ما أرسلت به﴾ إليكم من ربكم من الإنذار والإعذار، فأما العلم بوقت مجيء العذاب فما أوحاه إلي ﴿ولكني أراكم قوما تجهلون﴾ حيث بقيتم مصرين على كفركم ولم تهتدوا بما جئتكم به، بل اقترحتم علي ما ليس من وظائف الرسل.

٢٤ ﴿فلما رأوه عارضاً﴾ أي: فلما رأوا السحاب عارضاً يعترض في الأفق ﴿مستقبل أوديتهم﴾ أي متوجها نحو أوديتهم. قال المفسرون: كانت عاد قد حبس عنهم المطر، ثم ساق الله إليهم سحابة سوداء، فلما رأوه مستقبل أوديتهم استبشروا و ﴿قالوا هذا عارض ممطرنا﴾ أي غيم فيه مطر. فلما قالوا ذلك أجابهم هود، فقال ﴿بل هو ما استعجلتم به﴾ يعني من العذاب، حيث قالوا «فأتنا بما تعدنا» ويحتمل أن هذا من قول الله لهم.

هَذَا عَارِضٌ مُّطَرْنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا
لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾
وَلَقَدْ مَكَنَّاهُمْ فِيْمَا إِنْ مَكَنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا
وَأَبْصَارًا وَأَفْعِدَّةً فَأَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا
أَفْعِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ
بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ
مِنَ الْقُرَى وَصَرَفْنَا آيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾
فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً
بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾
وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ
فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ

﴿ريح فيها عذاب أليم﴾ نشأت من ذلك السحاب الذي رآوه. أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن عائشة، قالت: «ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعا ضاحكا حتى أرى منه لهواته، إنما كان يتبسم، وكان إذا رأى غيا أو ريحا عُرف ذلك في وجهه. قلت يا رسول الله: الناس إذا رأوا الغيم فرحوا أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيتَه عرفت في وجهك الكراهية؟ قال: يا عائشة، وما يؤقني أن يكون فيه عذاب؟ قد عذب قوم بالريح، وقد رأى قوم العذاب، فقالوا: هذا عارض مطرنا».

٢٥ ﴿تدمر كل شيء﴾ تهلك كل شيء مرت به من نفوس عاد وأموالها ﴿بأمر ربها﴾ بقضائه وقدره ﴿فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم﴾ أي فجاءتهم الريح فدمرتهم، فأصبحوا لا يرى من أموالهم وأجسامهم شيء، لكن ترى مساكنهم.

٢٦ ﴿ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه﴾ مكناهم في المال وطول العمر وقوة الأبدان، بمقدار لم نجعل لكم مثله، فقد كانوا أشد منكم يا أهل مكة، وأقوى تمكينا في الأرض وأبنية وتسلطا ﴿وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة﴾ أي: إنهم أعرضوا عن قبول الحجة والتذكر مع ما أعطاهم الله من الحواس التي بها تدرك الأدلة ﴿فأغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء﴾ أي: فما نفعهم ما أعطاهم الله من ذلك حيث لم يتوصلوا به إلى التوحيد وصحة الوعد والوعيد ﴿إذ كانوا يجحدون بآيات الله﴾ أي: لأنهم كانوا يجحدون ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أي: أحاط بهم العذاب الذي كانوا يستعجلونه بطريق الاستهزاء حيث قالوا «فأنتنا بما تعدنا».

٢٧ ﴿ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى﴾ قرى ثمود، وقرى قوم لوط، ونحوهما

مما كان مجاورا لبلاد الحجاز، وكانت أخبارهم متواترة عندهم ﴿وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون﴾ أي بيتا الحج ونوعناها لكي يرجعوا عن كفرهم فلم يرجعوا. ٢٨ ﴿فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة﴾ أي: فهلا نصرتهم آلهتهم التي تقربوا إليها بزعمهم لتشفع لهم، ومنعتهم من الهلاك الواقع بهم ﴿بل ضلوا عنهم﴾ أي: غابوا عن نصرهم، ولم يحضروا عند الحاجة إليهم ﴿وذلك﴾ الضلال والضياع سببه ﴿إفكهم﴾ الذي هو اتخاذهم إياها آلهة، وزعمهم الكاذب أنها تقربهم إلى الله، وتشفع ﴿وما كانوا يفترون﴾ أي يكذبون بقولهم إنها آلهة. ٢٩ ﴿وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن﴾ أي وجهنا إليك يا محمد نفرا من الجن وبعثناهم إليك لما أردناه بقومهم من الهداية ﴿فلما حضروه﴾ أي: حضروا القرآن عند تلاوته ﴿قالوا أنصتوا﴾ أمروا بعضهم بعضا بذلك لأجل أن يسمعوا ﴿فلما قضى﴾ أي: فرغ من تلاوته ﴿ولوا إلى قومهم منذرين﴾ أي: انصرفوا قاصدين إلى من وراءهم من قومهم

اتخاذهم إياها آلهة، وزعمهم الكاذب أنها تقربهم إلى الله، وتشفع ﴿وما كانوا يفترون﴾ أي يكذبون بقولهم إنها آلهة. ٢٩ ﴿وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن﴾ أي وجهنا إليك يا محمد نفرا من الجن وبعثناهم إليك لما أردناه بقومهم من الهداية ﴿فلما حضروه﴾ أي: حضروا القرآن عند تلاوته ﴿قالوا أنصتوا﴾ أمروا بعضهم بعضا بذلك لأجل أن يسمعوا ﴿فلما قضى﴾ أي: فرغ من تلاوته ﴿ولوا إلى قومهم منذرين﴾ أي: انصرفوا قاصدين إلى من وراءهم من قومهم

مُنْذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَنْقُومَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ
بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى
طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَنْقُومَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا
بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾
وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ
لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٢﴾
أُولَئِكَ يَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ
يَعْنِ بِخَلْقِهِنَّ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى
النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبَّنَا قَالَ فَذُوقُوا
الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا
الْعِزِّ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ

منذرين لهم عن مخالفة القرآن، ومخذرين لهم، وهذه الآية تبين أنه ﷺ كان مرسلًا إلى الجن والإنس.

٣٠ ﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾ أي: فوصلوا إلى قومهم، فقالوا يا قومنا. قال عطاء: كانوا يهودا فأسلموا ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي لما قبله من الكتب المنزلة ﴿يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ أي إلى الدين الحق ﴿وإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أي: إلى طريق الله القويم.

٣١ ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ﴾ يعنون محمدًا ﷺ أو القرآن ﴿يَغْفِرْ﴾

لكم من ذنوبكم﴾ أي: بعضها ﴿وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ وهو عذاب النار، ويدخل مؤمنهم الجنة، لقول الله تعالى: (ولمن خاف مقام ربه جنتان). فبأي آلاء ربكما تكذبان).

٣٢ ﴿وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: لا يفوت الله ولا يسبقه، ولا يقدر على الهرب منه، لأنه وإن هرب كل مهرب فهو في الأرض، لا سبيل له إلى الخروج منها ﴿وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ﴾ أي: أنصار يمنعونه من عذاب الله ﴿أُولَئِكَ﴾ أي: من

لا يجيب داعي الله ﴿فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ أي: ظاهر واضح. وأخرج أحمد ومسلم عن علقمة، قال: «قلت لابن مسعود: هل صحب رسول الله ﷺ منكم أحد ليلة الجن؟ قال: ما صحبه منا أحد، ولكننا فقدناه ذات ليلة، فقلنا: اغتيل، استطير، ما فعل؟ قال: فبتنا بشر ليلة بات بها قوم. فلما كان في وجه الصبح إذا نحن به يجيء من قبل حراء، فأخبرناه، فقال: إنه أتاني داعي الجن، فأتيتهم، فقرأت عليهم القرآن. فانطلق، فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم».

٣٣ ﴿أُولَئِكَ يَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْنِ بِخَلْقِهِنَّ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ أي: لم يعجز عن ذلك ولا ضعف عنه ﴿بَلَى﴾ أي: بل هو قادر على ذلك كله ﴿إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ لا يعجزه شيء.

٣٤ ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ أي: يقال ذلك اليوم للذين كفروا ﴿أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ﴾ أي وقد أخبرناكم به سابقا فأنكرتم ﴿قَالُوا بَلَى وَرَبَّنَا﴾ اعترفوا حين لا ينفعهم الاعتراف ﴿قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ أي: بسبب كفركم بهذا في الدنيا وإنكاركم له.

٣٥ ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعِزِّ مِنَ الرُّسُلِ﴾ أولو العزم هم أرباب الثبات والحزم، فإنك منهم. وأولو العزم من الرسل خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ، وهم أصحاب الشرائع. وقيل: نوح وهود وصالح وشعيب ولوط وموسى. وليس منهم يونس [وآدم] ﴿وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ أي لا تستعجل العذاب يا محمد للكفار ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ﴾ من العذاب،

مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلَّغٌ فُهِلَّ يَهْلِكُ
إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٥﴾

(٤٧) سُورَةُ مُحَمَّدٍ مَلِكُنِيَّةٌ
وَأَيُّهَا شَائِنٌ وَثَلَاثُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ ﴿١﴾
وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَرَتْ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ
بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ
الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ
لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ

﴿لم يلبثوا إلا ساعة من نهار﴾ أي: كأنهم يوم يشاهدونه في الآخرة لم يلبثوا في الدنيا إلا قدر ساعة من ساعات الأيام، لما يشاهدونه من الهول العظيم والبلاء المقيم ﴿بلاغ﴾ أي: هذا الذي وعظتهم به بلاغ يقطع حجة الكافرين ﴿فهل يهلك إلا القوم الفاسقون﴾ المعنى: أنه لا يهلك بعذاب الله إلا القوم الخارجون عن الطاعة والواقعون في معاصي الله

سُورَةُ مُحَمَّدٍ

وتسمى سورة القتال.

١ ﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله﴾ هم كفار قريش، كفروا بالله وصدوا أنفسهم وغيرهم عن دين الإسلام بنهيهم عن الدخول فيه ﴿أضل أعمالهم﴾ أي: أبطلها وجعلها ضائعة، وجعل الدائرة عليهم في كفرهم. وقيل: أبطل ما عملوه في الكفر مما كانوا يسمونه مكارم أخلاق، من صلة الأرحام، وفك الأسارى، وقرى الأضياف، فإنها مع الكفر والصد لا تقبل.

٢ ﴿وآمنوا بما نزل على محمد﴾ قيل نزلت في الأنصار، وقيل في مؤمني أهل الكتاب. وخص سبحانه الإيمان بما أنزل على محمد ﷺ بالذكر، مع اندراجه تحت مطلق الإيمان المذكور قبله، تنبيها على شرفه وعلو مكانه ﴿وهو الحق من ربهم﴾ آمنوا أنه حق وآمنوا بأنه كلام الله ﴿كفر عنهم سيئاتهم﴾ التي عملوها فيما مضى، فإنه غفرها لهم بالإيمان والعمل الصالح ﴿وأصلح بالهم﴾ أي: شأنهم وحالهم، عصمهم عن المعاصي في حياتهم، وأرشدتهم إلى أعمال الخير، وأصلح نياتهم فيها.

٣ ﴿ذلك به﴾ سبب ﴿أن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم﴾ المعنى: أن ذلك الإضلال لأعمال الكافرين بسبب اتباعهم الباطل، من الشرك بالله،

والعمل بمعاصيه، وذلك التكفير لسيئات المؤمنين وإصلاح بالهم بسبب اتباعهم للحق الذي أمر الله باتباعه من التوحيد والإيمان وعمل الطاعات ﴿كذلك يضرب الله للناس أمثالهم﴾ أي: أحوال الفريقين الجارية مجرى الأمثال في الغرابة.

٤ ﴿فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب﴾ أمر بجهاد الكفار، وهم من لم يكن له عهد من المشركين وأهل الكتاب. أي: فاضربوا الرقاب ضربا، لأن القتل أكثر ما يكون بحز العنق، وإطارة العضو الذي هو رأس البدن وعلوه وأحسن أعضائه [فالآية حث على التصميم وعدم الهوادة مع العدو الكافر الحربي] ﴿حق إذا أنختهموهم﴾ أكثرتم القتل فيهم [وأفنيتم قوتهم الضاربة، حق عادوا بلا قوة كالرجل المشخن بالجراح] ﴿فشذوا الوثاق﴾ لشلا ينفلتوا، أي: فأيسروهم وأحيطوهم بالوثاق ﴿فإما منا بعد وإما فداء﴾ أي: إما أن تمنوا عليهم بعد الأسر مثلاً، أو تغدوا فداءً، والمن الإطلاق بغير عوض، والفداء المال يفدي به الأسير نفسه من الأسر، ولم يذكر

الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا ائْتَمَتُوهُمْ فُشِدُوا الْوَرَاقَ فَمِمَّا مَنَّا
بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ
يَشَاءُ اللَّهُ لَا تَنْصَرِمُنَّهُمْ وَلَكِنَّ لِّبَنِي آدَمَ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ
وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَلَهُمْ ﴿٦﴾
سَيِّدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٧﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا
لَهُمْ ﴿٨﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ
وَيُخْرِجْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمُ الْوُضَلُ
أَعْمَلَهُمْ ﴿١٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَاحْبَطُوا
أَعْمَلَهُمْ ﴿١١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا
كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
وَلِلْكَافِرِينَ أَمَثَلُهَا ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ
ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴿١٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ

﴿ويصلح بالهم﴾ أي: حالهم وشأنهم وأمرهم.

٦ ﴿ويدخلهم الجنة عرفها لهم﴾ أي: بيّنها لهم حتى عرفوها من غير استدلال، وذلك أنهم إذا دخلوا الجنة تفرقوا إلى منازلهم، وقيل معنى عرفها لهم: طيبها بأطيب الرائحة.

٧ ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله﴾ أي: إن تنصروا دين الله ﴿ينصركم﴾ على الكفار ويفتح لكم ﴿ويثبت أقدامكم﴾ أي: عند القتال في مواطن الحرب، وقيل على الصراط.

٨ ﴿والذين كفروا فتعسا لهم﴾ خيبة لهم، وقيل: قبحا لهم، أو: شقوة لهم ﴿وأضل أعمالهم﴾ [أي لم تصل أعمالهم إلى الخير الذي أريد بها في الآخرة، ولم توصلهم في الدنيا إلى غرضهم منها].

٩ ﴿ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله﴾ على رسوله من القرآن ﴿فأحبط أعمالهم﴾ بذلك السبب، والمراد بالأعمال ما كانوا عملوا من أعمال الخير لأن عمل الكافر لا يقبل قبل إسلامه.

١٠ ﴿أفلم يسيروا في الأرض﴾ في أرض عاد وثمود وقوم لوط وغيرهم ليعتبروا ﴿فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ أي: ما آل إليه أمر الكافرين قبلهم، فإن آثار العذاب في ديارهم باقية ﴿دمر الله عليهم﴾ [أي هدم عليهم ديارهم] أو أهلكهم واستأصلهم ﴿وللكافرين أمثالها﴾ أي لهؤلاء الكافرين مثل عاقبة من قبلهم من الأمم الكافرة. ولجميع الأمم الكافرة كذلك.

١١ ﴿ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا﴾ أي: بسبب أن الله ناصرهم ﴿وأن الكافرين لا مولى لهم﴾ أي لا ناصر يدفع عنهم، فلذلك تقع بهم عقوبة الله.

منهم﴾ أي: ذلك هو الحكم في الكفار، والله قادر على الانتصار منهم بالانتقام منهم وإهلاكهم وتعذيبهم بما شاء من أنواع العذاب [دون قتال يكون منكم أيها المؤمنون] ﴿ولكن﴾ أمركم بحربهم ﴿ليبلو بعضكم ببعض﴾ فيعلم المجاهدين في سبيله، والصابرين على ابتلائه، ويجزل ثوابهم، ويعذب الكفار بأيديهم ﴿والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم﴾ أي: إن المقتولين في سبيل الله لا يضع الله سبحانه أجرهم. ٥ ﴿سيديهم﴾ أي إلى طريق الجنة

القتل هنا اكتفاء بما تقدم ﴿حتى تضع الحرب أوزارها﴾ هي ألا يكون حرب مع الكفار، وقيل المعنى: حتى يضع الأعداء المحاربون أوزارهم، وهو سلاحهم بالهزيمة أو المودعة. والآية محكمة. والإمام [مُلزَم قبل الإثخان بالقتل فقط، وبعد الإثخان هو مخير بين القتل والأسر، وبعد الأسر مخير بين المَن والفداء] ويجوز القتل للمصلحة [ولكن لا يكون فداء ولا أسر إلا بعد الإثخان، لقوله تعالى: (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض)﴾ ذلك ولو يشاء الله لانتصر

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ
الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ
أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا
نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ
لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٤﴾ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي
وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ
لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ
مِنْ عَسَلٍ مُصَنًّى وَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ
رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ
أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٥﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا
مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ

١٢ ﴿إِنْ اللَّهُ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ قد تقدم تفسير الآية في غير موضع ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾ أي يتمتعون بمتاع الدنيا، ويتمتعون به كأنهم أنعام، ليس لهم همة إلا بطونهم وفروجهم، ساهون عن العاقبة، لاهون بما هم فيه ﴿وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ أي مقام يقيمون به، ومنزل ينزلونه ويستقرون فيه.

١٣ ﴿وَكَايِنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ أي [كثير من أهل المدن، والأمم ذات الإمكانات والنفوذ] كانوا أشد قوة من أهل مكة الذين أخرجوك منها، فأهلكناهم ﴿فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ فبالأول من هو أضعف منهم وهم قريش.

١٤ ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ المعنى أنه من كان على يقين من ربه لا يسوي ولا يكون كمن زين له سوء عمله، وهو عبادة الأوثان والإشراك بالله، والعمل بمعاصي الله، واتبعوا أهواءهم في عبادتها، وانهمكوا في أنواع الضلالات، بلا شبهة توجب الشك، فضلا عن حجة نيرة.

١٥ ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ مثل الجنة: وصفها العجيب الشأن ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ الآسن: المتغير، ومثله الآجن ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ﴾ أي لم يحمض كما تتغير ألبان الدنيا ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ أي لذيذة لهم طيبة الشرب لا يتكرهها الشاربون ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَنًّى﴾ أي مصفى مما يخالطه شيء من الشمع والقذى والعكر والكدر ﴿وَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ أي من كل صنف من أصنافها

﴿ومغفرة من ربهم﴾ لذنوبهم ﴿كمن هو خالد في النار﴾ التقدير: أمن هو في نعيم الجنة على هذه الصفة خالدا فيها كمن هو خالد في النار؟ فليس أهل الجنة التي فيها الثمار والأنهار، كأهل النار التي فيها الحميم في العذاب الأليم ﴿وسقوا ماء حميا﴾ الحميم الماء الحار الشديد الغليان ﴿فقطع أمعاءهم﴾ لفرط حرارته.

١٦ ﴿ومنها من يستمع إليك﴾ أي من هؤلاء الكفار الذين يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام من يستمع إليك وهم المنافقون ﴿حتى إذا خرجوا من عندك﴾ كان المنافقون يحضرون مواقف وعظ رسول الله ﷺ ومواطن خطبه التي يلقيها على المسلمين حتى إذا خرجوا من عنده ﴿قالوا للذين أوتوا العلم﴾ وهم علماء الصحابة: أي سألو أهل العلم، فقالوا لهم ﴿ماذا قال آنفا﴾ أي: ماذا قال النبي الساعة؟ على طريقة الاستهزاء، والمعنى: أنا لم نلتفت إلى قوله ﴿أولئك﴾ المنافقون هم ﴿الذين طيع الله على قلوبهم﴾ فلم يؤمنوا، ولا توجهت قلوبهم إلى شيء من الخير ﴿واتبعوا أهواءهم﴾ في الكفر والعناد.

لهم بالمغفرة عما فرط من ذنوبهم **«والله يعلم متقلبكم»** في أعمالكم **«ومثواكم»** في الدار الآخرة، وقيل متقلبكم: في أعمالكم نهاراً، ومثواكم: في ليلكم نياماً.

٢٠ **«ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة»** سأل المؤمنون ربهم عز وجل أن ينزل على رسوله ﷺ سورة يأمرهم فيها بقتال الكفار، حرصاً منهم على الجهاد ونيل ما أعد الله للمجاهدين من جزيل الثواب **«فإذا أنزلت سورة محكمة»** أي غير منسوخة **«وذكر فيها القتال»** أي فرض الجهاد، قال قتادة: كل سورة ذكر فيها الجهاد فهي محكمة، وهي أشد القرآن على المنافقين **«رأيت الذين في قلوبهم مرض»** أي شك، وهم المنافقون **«ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت»** أي ينظرون إليك نظر من شخص بصره عند الموت، لجنبهم عن القتال، وميلهم إلى الكفار **«فأولى لهم»** أي وليهم وقاربهم ما يكرهون. وقيل المعنى: ويل لهم.

٢١ **«طاعة وقول معروف»** المعنى: طاعة وقول معروف أحسن وأمثل لهم من غيرهما **«فإذا عزم الأمر»** أي جد القتال **«فلو صدقوا الله»** في إظهار الإيمان والطاعة **«لكان خيراً لهم»** من المعصية والمخالفة.

٢٢ **«فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم»** أي فهل عسيتم إن توليتم أمر الأمة أن تفسدوا في الأرض بالظلم بقتل بعضكم بعضاً، وبسفك الدماء، وتقطعوا أرحامكم؟ وقيل إن توليتم عن الطاعة أعرضتم عن القتال وفارقتم أحكامه.

الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۖ ﴿١٦﴾
وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ۖ ﴿١٧﴾
فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَاءَ
أَشْرَاطُهَا ۖ فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرُهُمْ ۖ ﴿١٨﴾ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ۖ وَاسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَالْمُؤْمِنَاتِ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ۖ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا
لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۚ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا
الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ
نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ طَاعَةٌ
وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ
خَيْرًا لَهُمْ ۖ ﴿٢٠﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا
فِي الْأَرْضِ وَتَقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۖ ﴿٢١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ

الساعة في الصحيحين وغيرهما من حديث أنس، قال: قال رسول الله ﷺ «بعثت أنا والساعة كهاتين، وأشار بالوسطى والسبابة» **«فأني لهم إذا جاءتهم ذكراهم»** أي من أين لهم التذكر إذا جاءتهم الساعة؟ [حينئذ يكون قد فات الوقت للتذكير].

١٩ **«فاعلم أنه لا إله إلا الله»** أي فاعلم أنه لا إله غيره ولا رب سواه، والمعنى: اثبت على ذلك واستمر عليه **«واستغفر لذنوبك»** استغفره مما قد يصدر منك **«وللمؤمنين والمؤمنات»** بالدعاء

١٧ **«والذين اهتدوا»** إلى طريق الخير، فأمنوا بالله وعملوا بما أمرهم به **«زادهم الله هدى»** بالتوفيق. أو: وزادهم إعراض المنافقين واستهزاؤهم هدى وثباتاً، وإيماناً وعلماً وبصيرة في الدين **«وآتاهم تقواهم»** أي ألهمهم إياها وأعانهم عليها، بالتوفيق للعمل الذي يرضاه.

١٨ **«فهل ينظرون إلا الساعة»** أي القيامة **«أن تأتيهم بغتة»** أي فجأة **«فقد جاء أشراطها»** أي أماراتها وعلاماتها. وكانوا قد قرأوا في كتبهم أن النبي ﷺ آخر الأنبياء، فبعثته من أشراط

اللَّهُ فَاصْمِهِمْ وَأَعْمَى أَبْصَرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ إِنْ
 أَمَّ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾ إِنْ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ
 مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ
 لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ
 سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأُمْرِ ۖ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾
 فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ
 وَأَدْبَارَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَتَّخَذَ اللَّهُ وَكَرِهُوا
 رِضْوَانَهُ ۖ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ
 مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَنَتَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ
 لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِمَتِهِمْ ۖ وَلَنَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ
 الْقَوْلِ ۖ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ
 الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ ۖ وَنَبْلُوَنَّكُمْ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنْ

٢٣ ﴿أولئك﴾ الظالمون وسافكو الدماء
 بغير حق، هم ﴿الذين لعنهم الله﴾ أي
 أبعدهم من رحمته وطردهم عنها
 ﴿فاصمهم﴾ عن استماع الحق ﴿وأعمى
 أبصارهم﴾ عن مشاهدة ما يستدلون به
 على رعاية حق الله في عبادته، وعدم
 الخوض في دمائهم وأموالهم بغير حق.
 ٢٤ ﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾ فيعملون بما
 اشتمل عليه من المواعظ الزاجرة والحجج
 الظاهرة والبراهين القاطعة ﴿أم على
 قلوب أقفالها﴾ أي: بل أعلى قلوبهم
 أقفال، فهم لا يفهمون ولا يعقلون ولا
 تفتح قلوبهم للحق.

٢٥ ﴿إن الذين ارتدوا على أدبارهم﴾
 أي رجعوا كفارا كما كانوا ﴿من بعد ما
 تبين لهم الهدى﴾ بما جاءهم به رسول
 الله ﷺ من المعجزات الظاهرة والدلائل
 الواضحة ﴿الشيطان سول لهم﴾ أي زين
 لهم خطاياهم، وسهل لهم الوقوع فيها
 ﴿وأمل لهم﴾ مد لهم في الأمل، ووعدهم
 طول العمر.

٢٦ ﴿ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما
 نزل الله﴾ أي بسبب أن هؤلاء المنافقين
 الذين ارتدوا على أدبارهم قالوا للذين
 كرهوا ما نزل الله، وهم المشركون أو
 اليهود: ﴿سنطيعكم في بعض الأمر﴾
 وهذا البعض هو عداوة رسول الله ﷺ
 ومخالفة ما جاء به ﴿والله يعلم
 إسرارهم﴾ وهو ما تأمروا به سرا مع
 أعداء الله.

٢٧ ﴿فكيف إذا توفتهم الملائكة﴾ أي
 فكيف علمه بأسرارهم إذا توفتهم
 الملائكة، وقيل المعنى: فكيف يصنعون
 ﴿يضربون وجوههم وأدبارهم﴾ المعنى
 أنه إذا تأخر عنهم العذاب فيكون حالهم
 هذا، وقيل: ذلك عند القتال، نصرة من
 الملائكة لرسول الله ﷺ

٢٨ ﴿ذلك﴾ التوفي المذكور على الصفة
 المذكورة ﴿بأنهم اتبعوا ما أسخط الله﴾

ويصبرون مفضوحين بذلك].

٣٠ ﴿ولو نشاء لأريناكم﴾ أي
 لأعلمناكم وعرفناكم بأعيانهم معرفة
 تقوم مقام الرؤية ﴿فلعرفتهم بسيماهم﴾
 أي بعلامتهم الخاصة بهم التي يتميزون بها
 ﴿ولتعرفنهم في لحن القول﴾ لحن القول:
 فحواه ومقصده ومغزاه، وهو هنا: ما
 يعرضون به من تهجين أمرك وأمر
 المسلمين، قيل: كان بعد هذا لا يتكلم
 منافق عند النبي ﷺ إلا عرفه ﴿والله
 يعلم أعمالكم﴾ لا تخفى عليه منها
 خافية، فيجازيكم بها.

أي بسبب اتباعهم ما يسخط الله من
 الكفر والمعاصي [وتأمرهم مع أعداء الله
 على شقاق النبي ﷺ وأصحابه]
 ﴿وكرهوا رضوانه﴾ أي كرهوا ما يرضاه
 الله من الإيمان والتوحيد والطاعة
 ﴿فأحبط الله أعمالهم﴾ بهذا السبب،
 ومنها ما قد عملوا من الخير قبل الردة.

٢٩ ﴿أم حسب الذين في قلوبهم
 مرض﴾ يعني المنافقين ﴿أن لن يخرج
 الله أضغانهم﴾ [هددهم بأن يظهر ما
 يكنونه من العداوات والأحقاد، حتى
 يكون ذلك معلوما للنبي ﷺ والمؤمنين،

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ
بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِطُّ
أَعْمَلُهُمْ ﴿٣٢﴾ * يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ
يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ
الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا
الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَلَهُوَ الْبَاقُ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ
أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلَكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِنْ يَسْأَلْكُمْوهَا
فِيْحِفْكُمْ تَبْخُلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَنْكُمْ ﴿٣٧﴾ هَآؤُلَآءِ
تَدْعُونَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ
وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَنْ نَفْسِهِ ۗ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمْ

الشرائع المذكورة في كتاب الله وسنة
رسوله **﴿ولا تبطلوا أعمالكم﴾** أي لا
تبطلوا حسناتكم بالمعاصي: الكبائر،
وبالرياء والسمعة والمن.

﴿٣٤﴾ **﴿إن الذين كفروا وصدوا عن
سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر
الله لهم﴾** أي فلا مغفرة لمن ختم له
بالموت على الكفر.

﴿٣٥﴾ **﴿فلا تهنوا﴾** أي لا تضعفوا عن
القتال، والوهن الضعف **﴿وتدعوا إلى
السلم﴾** أي ولا تدعوا الكفار إلى الصلح
ابتداء منكم، فإن ذلك لا يكون إلا عند
الضعف. وأمرهم بحربهم حتى يسلموا،
ولم ينه عن قبول السلم إذا جنح إليه
المشركون **﴿وأنتم الأعلون﴾** أي الغالبون
بالسيف والحجة، أي إن آخر الأمر النصر
لكم، وإن غلبوكم في بعض الأوقات
﴿والله معكم﴾ بالنصر والمعونة عليهم
﴿ولن يترككم أعمالكم﴾ أي لن
ينقصكم شيئاً من ثواب أعمالكم.

﴿٣٦﴾ **﴿إنما الحياة الدنيا لعب ولهو﴾** أي
باطل وغرور، لا ثبات له ولا اعتداد به
﴿وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم﴾
في الآخرة، والأجر الثواب على الطاعة
﴿ولا يسألكم أموالكم﴾ أي لا يأمركم
بإخراجها جميعاً في الزكاة وسائر وجوه
الطاعات، بل أمركم بإخراج القليل
منها.

﴿٣٧﴾ **﴿إن يسألكموها﴾** أي أموالكم كلها
﴿فيحففكم﴾ قال المفسرون: معناه:
يجهدكم ويلحف عليكم **﴿تبخلوا﴾**
وتمتنعوا من الامتثال **﴿ويخرج أضغانكم﴾**
الأضغان الأحقاد، والمعنى أنها تظهر عند
ذلك.

﴿٣٨﴾ **﴿ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في
سبيل الله﴾** في الجهاد وفي طريق الخير
﴿فمنكم من يبخل﴾ باليسير من المال،
فكيف لا تبخلون بالكثير وهو جميع
الأموال؟

وخالفوه **﴿من بعد ما تبين لهم الهدى﴾**
أي علموا أنه نبي من عند الله بما شاهدوا
من المعجزات الواضحة والحجج القاطعة
﴿لن يضرروا الله شيئاً﴾ بتركهم الإيمان
وإصرارهم على الكفر، وما ضرروا إلا
أنفسهم **﴿وسيحبط أعمالهم﴾** أي
يبطلها، لكفرهم، وقيل: المراد
بالأعمال: المكائد التي نصبوها لإبطال
دين الله، والفوائل التي كانوا يبغونها
برسول الله ﷺ

﴿٣٩﴾ **﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله
وأطيعوا الرسول﴾** فيما أمرتم به من

**﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين
منكم والصابرين﴾** وذلك بأن نأمركم
بالجهاد، حتى نعلم من امتثل الأمر
بالجهاد، وصبر على دينه ومشاق ما كلف
به **﴿ونبلوا أخباركم﴾** نظهرها ونكشفها
امتحاناً لكم ليظهر للناس من أطاع ما
أمره الله به، ومن عصى ولم يمتثل.

﴿٤٠﴾ **﴿إن الذين كفروا وصدوا عن
سبيل الله﴾** المراد هؤلاء هم المنافقون،
وقيل: أهل الكتاب، وصددهم عن سبيل
الله منعهم للناس عن الإسلام واتباع
الرسول ﷺ **﴿وشاقوا الرسول﴾** عادوه

الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا
أَمْثَلَكُمْ ﴿٢٨﴾

(٤٨) سُورَةُ الْفَتْحِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا السَّابِقُ وَعَشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ
ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا
مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَينصرك الله نصراً عزيزاً ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي
أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ
إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ
عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ

﴿ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه﴾ أي يمنعها الأجر والثواب ببخله [وإذا بخلتم بالإنفاق تغلب العدو عليكم فذهب عزكم وأموالكم وربما أنفسكم] ﴿والله الغني﴾ المطلق المتنزه عن الحاجة إلى أموالكم ﴿وأنتم الفقراء﴾ إلى الله، وإلى ما عنده من الخير والرحمة ﴿وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم﴾ المعنى: وإن تعرضوا عن الإيمان والتقوى يستبدل قوماً آخرين يكونون مكانكم هم أطوع لله منكم ﴿ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ في التولي عن الإيمان والتقوى، وفي البخل بالإنفاق في سبيل الله.

سُورَةُ الْفَتْحِ

[هذه السورة العظيمة نزلت عقب انصراف النبي ﷺ إلى المدينة المنورة بعد أن عقد مع قريش عقد صلح الحديبية. وكان ذلك سنة ست من الهجرة، وكان قد سار إلى مكة للعمرة، فصدته قريش. وانتشر الخبر بأن قريشا قتل عثمان بن عفان، فبايع النبي ﷺ أصحابه على القتال، وتسمى بيعة الشجرة، بايعهم على أن لا يفروا. وكان هذا الصلح هو الفتح، وبعد رجوعه إلى المدينة فتح الله عليه خيبر، فقسمها على أهل الحديبية لم يشركهم أحد غيرهم، وكانوا ألفاً وخمسمائة منهم ثلاثمائة فارس. قال الزهري: لم يكن فتح أعظم من صلح الحديبية، وذلك أن المشركين اختلطوا بالمسلمين، فسمعوا كلامهم، فتمكن الإسلام في قلوبهم، وأسلم في ثلاث سنين خلق كثير، وكثر بهم سواد الإسلام].

٢ ﴿ليغفر لك الله﴾ أي: لكي يجتمع لك مع المغفرة: تمام النعمة في الفتح، وهداية الصراط المستقيم، والنصر العزيز، لنجمع لك بين عز الدارين، وأغراض

العاجل والآجل ﴿ما تقدم من ذنبك﴾ قبل الفتح ﴿وما تأخر﴾ بعده، وقيل: ما تقدم من ذنبك قبل الرسالة، وما تأخر بعدها ﴿ويتم نعمته عليك﴾ بإظهار دينك على الدين كله، وقيل: بفتح مكة والطائف [فيما بعد، فإن فتح الحديبية تيسر به فتح ما بعده، وكان تمام النعمة بفتح مكة] ﴿ويهديك﴾ يثبتك على الهدى إلى أن يقبضك إليه.

٣ ﴿وينصرك الله نصراً عزيزاً﴾ أي غالباً منيعاً لا يتبعه ذل.

٤ ﴿هو الذي أنزل السكينة في قلوب

المؤمنين﴾ أي السكون والطمأنينة بما يسره لهم من الفتح، لئلا تنزعج نفوسهم لما يرد عليهم ﴿ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم﴾ أي ليزيدهم الله بسبب تلك السكينة إيماناً منضماً إلى إيمانهم الحاصل لهم من قبل ﴿والله جنود السماوات والأرض﴾ يعني الملائكة والإنس والجن والشياطين يدبر أمرهم كيف يشاء ﴿وكان الله عليماً حكيماً﴾.

٥ ﴿ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ تقديره: يبتلى بتلك الجنود من شاء، فيقبل الخير من

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ
 سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبُ
 الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ
 الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنُّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ
 اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾
 وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا
 حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾
 لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَزَّوهُ وَتُوقِرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً
 وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ
 اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَلَمَّا يَنْكُثْ عَلَى نَفْسِهِ
 وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُوتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾
 سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلْفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا

به أعداءه] **«وكان الله عزيزاً حكيماً»**
 وقيل: المراد بالجنود هنا جنود العذاب.
 ٨ **«إنا أرسلناك شاهداً»** أي: تشهد
 على أمتك بتبليغ الرسالة إليهم **«ومبشراً»**
 بالجنة للمطيعين **«ونذيراً»** لأهل
 المعصية.

٩ **«لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه»** أي تعظموا النبي ﷺ
 وتفخموه. وقال قتادة: لتعزروه وتمنوه
 من كل من يريد به أذى **«وتسبحوه»**
 أي: تسبحوا الله عز وجل **«بكرة**
وأصيلاً» أي: غداً وعشية.

١٠ **«إن الذين يبايعونك»** يعني: بيعة
 الرضوان بالحديبية، فإنهم بايعوه تحت
 الشجرة على قتال قريش [بايعوه على
 الموت، وقيل بايعوه على أن لا يفروا،
 ومآل القولين واحد] **«إنما يبايعون الله»**
 وذلك لأنهم باعوا أنفسهم من الله بالجنة
«يد الله فوق أيديهم» المعنى: أن عقد
 الميثاق مع رسول الله ﷺ كعقده مع الله
 سبحانه من غير تفاوت. **«فمن نكث**
فإنما ينكث على نفسه» أي فمن نقض ما
 عقد من البيعة فإنما ينقض على نفسه،
 لأن ضرر ذلك راجع إليه لا يجاوزه إلى
 غيره **«ومن أوفى بما عاهد عليه الله»** أي
 ثبت على الوفاء بما عاهد الله عليه في
 البيعة لرسوله **«فميسوتيه أجراً عظيماً»** وهو
 الجنة.

١١ **«سيقول لك المخلفون من**
الأعراب» هم الذين خلفهم الله عن
 صحبة رسوله حين خرج عام الحديبية،
 وهم الأعراب الذين كانوا حول المدينة،
 وقيل: تخلفوا حين سافر إلى مكة عام
 الفتح بعد أن كان قد استنفرهم ليخرجوا
 معه **«شغلنا أموالنا وأهلونا»** أي متقنا
 عن الخروج معك ما لنا من الأموال
 والنساء والذراري، وليس لنا من يقوم
 بهم ويحلفنا عليهم.

له، وما يصابون به من القهر والقتل
 والأسر، وفي الآخرة بمعذاب جهنم
«الظالمين بالله ظن السوء» وهو ظنهم
 أن النبي ﷺ يُغلب، وأن كلمة الكفر
 تعلو كلمة الإسلام **«عليهم دائرة**
السوء» أي: ما يظنونونه ويتربصونه
 بالمؤمنين دائر عليهم حائق بهم **«وغضب**
الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم
وساءت مصيراً».

٧ **«ولله جنود السماوات والأرض»**
 من الملائكة والإنس والجن والشياطين
 [وكل شيء فيه قوة، وغير ذلك مما يقهر

أهله، والشر ممن قضي له به، ليدخل
 ويعذب **«ويكفر عنهم سيئاتهم»** أي:
 يسترها ولا يظهرها ولا يعذبهم بها
«وكان ذلك عند الله فوزاً عظيماً» أي:
 وكان ذلك الوعد بإدخالهم الجنة وتكفير
 سيئاتهم عند الله وفي حكمه فوزاً عظيماً.
 عن جابر قال: قال النبي ﷺ «لا يدخل
 النار أحد بايع تحت الشجرة».

٦ **«ويعذب المنافقين والمنافقات**
والمشركين والمشركات» بما يصل إليهم
 من المموم والغموم بسبب ما يشاهدونه
 من ظهور كلمة الإسلام، وقهر المخالفين

وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِالسِّنْتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ
 قُلْ مَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ
 أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ
 ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ
 أَبَدًا وَزَيْنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنًّا سَوْءًا وَكُنْتُمْ
 قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا
 لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
 يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا
 رَحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَاتِمِ
 لِتَأْخُذُوهَا ذُرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ
 قُلْ لَنْ نَتَّبِعُونَكَ كَذَلِكَ قَالِ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَيَقُولُونَ
 بَلْ نَحْسَدُونَكَ بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ قُلْ

﴿فاستغفر لنا﴾ ليغفر الله لنا ما وقع منا
 من التخلف عنك بهذا السبب ﴿يقولون
 بالسنتهم ما ليس في قلوبهم﴾ صنع
 المنافقين ﴿قل فن يملك لكم من الله
 شيئاً﴾ أي فن يمنعكم مما أَرَادَهُ اللهُ بكم
 من خير وشر ﴿إن أراد بكم ضراً﴾ أي:
 إنزال ما يضركم من ضياع الأموال
 وهلاك الأهل ﴿أو أراد بكم نفعاً﴾ أي
 نصراً وغنيمة ﴿بل كان الله بما تعملون
 خبيراً﴾ أي: إن تخلفكم ليس لما زعمتم،
 بل كان الله خبيراً بجميع ما تعملونه من
 الأعمال التي من جملتها تخلفكم، وقد علم
 أن تخلفكم لم يكن لذلك، بل للشك
 والنفاق وما خطر لكم من الظنون
 الفاسدة الناشئة عن عدم الثقة بالله.

١٢ ﴿بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول
 والمؤمنون إلى أهلهم أبداً﴾ أي: بل
 ظننتم أن العدو يستأصل المؤمنين بالمرّة
 فلا يرجع منهم أحد إلى أهله، فلأجل
 ذلك تخلفتم، لا لما ذكرتم من المعاذير
 الباطلة ﴿وزين ذلك في قلوبكم﴾ أي:
 وزين الشيطان ذلك الظن في قلوبكم
 فقبلتموه ﴿وظننتم ظنّ السوء﴾ ظنوا أن
 الله سبحانه لا ينصر رسوله ﴿وكنتم قوماً
 بوراً﴾ أي: هالكين عند الله.

١٣ ﴿ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإننا
 أعتدنا للكافرين سعيراً﴾ أي: ومن لم
 يؤمن بها كما صنع هؤلاء المخلفون،
 فجزاؤهم ما أعدّه الله لهم من عذاب
 السعير.

١٤ ﴿ولله ملك السماوات والأرض﴾
 يتصرف فيها كيف يشاء، لا يحتاج إلى
 أحد من خلقه ﴿يفغر لمن يشاء﴾ أن يغفر
 له ﴿ويعذب من يشاء﴾ أن يعذبه
 ﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾ يخص بمغفرته
 ورحمته من يشاء من عباده.

١٥ ﴿سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى
 مغانم لتأخذوها﴾ سيقولون عند انطلاقكم

الحديبية ﴿قل لن تبعونا كذلك قال
 الله من قبل﴾ أي: إن الله تعالى قد
 أخبرنا من قبل رجوعنا من الحديبية أن
 غنيمة خير لمن شهد الحديبية خاصة ليس
 لغيرهم فيها نصيب ﴿فسيقولون﴾ يعني:
 المنافقين عند سماع هذا القول ﴿بل
 تحسدوننا﴾ أي: بل ما يمنعكم من الإذن
 لنا في الخروج معكم إلا الحسد، لئلا
 نشارككم في الغنيمة ﴿بل كانوا لا
 يفقهون إلا قليلاً﴾ أي: لا يعلمون إلا
 علماً قليلاً، وهو علمهم بأمر الدنيا [أما
 قصد القتال لله، وإصلاح النية له،

أيها المسلمون إلى مغانم خير لتأخذوها
 ولتحوزوها ﴿ذرونا نتبعكم﴾ ونشهد
 معكم غزو خير. وأصل القصة أنه لما
 انصرف النبي ﷺ ومن معه من المسلمين
 من الحديبية وعدهم الله فتح خير،
 وخص بغنائمها من شهد الحديبية، فلما
 انطلقوا إليها قال هؤلاء المخلفون: ذرونا
 نتبعكم ﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾
 والمراد بهذا الكلام الذي أرادوا أن يبدلوه
 هو مواعيد الله لأهل الحديبية خاصة
 بغنيمة خير. يعني: أمر الله لرسوله ألا
 يسير معه إلى خير أحد من غير أهل

استطاعتهم **«ومن يطع الله ورسوله»** فيما أمره به ونهاه عنه **«يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار ومن يتولّ يعذبه عذابا أليما»** أي: ومن يعرض عن الطاعة يعذبه الله عذابا شديدا أليما.

١٨ **«لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة»** أي: رضي الله عنهم وقت تلك البيعة، وهي بيعة الرضوان، وكانت بالحدبية، وكانت البيعة على أن يقاتلوا قريشا ولا يفروا، وروي أنه بايعهم على الموت، والقصة مبسطة في كتب الحديث والسير **«فعلم ما في قلوبهم»** من الصدق والوفاء **«فأنزل السكينة عليهم»** السكينة: الطمأنينة وسكون النفس كما تقدم **«وأنابهم فتحا قريبا»** هو فتح خيبر عند انصرافهم من الحديبية. وقيل فتح مكة.

١٩ **«ومغانم كثيرة باخذونها»** أي وأثابكم مغانم كثيرة، وهي غنائم خيبر **«وكان الله عزيزا حكيما»** أي: غالبا مقيدا أفعاله وأقواله على أسلوب الحكمة.

٢٠ **«وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها»** بما سيفتحه عليهم من الغنائم إلى يوم القيامة يأخذونها في أوقاتها التي قدر وقوعها فيها **«فجعل لكم هذه»** أي: غنائم خيبر **«وكف أيدي الناس عنكم»** أي: وكف أيدي قريش عنكم يوم الحديبية بالصلح، وقيل كف أيدي أهل خيبر وأنصارهم عن قتالكم وقذف في قلوبهم الرعب، وكف أيدي عبيدة ابن حصن الفزاري، وعوف بن مالك النضري ومن كان معها، إذ جاءوا لينصروا أهل خيبر عند حصار النبي ﷺ لهم **«ولتكون آية للمؤمنين»** يعلمون بها صدق رسول الله ﷺ في جميع ما يعدهم به **«ويهدىكم صراطا مستقيما»** أي: يزيدكم بتلك الآية هدى، أو يثبتكم على الهداية إلى طريق الحق.

لِلْمُخْلَفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدُّعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ * لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ، وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا

الذين لا تؤخذ منهم الجزية، فقد شرع أخذ الجزية من غير العرب **«فإن تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا»** وهو الغنيمة في الدنيا والجنة في الآخرة **«وإن تتولوا»** أي تعرضوا **«كما توليتم من قبل»** وذلك عام الحديبية **«يعذبكم عذابا أليما»** بالقتل والأسر والقهر في الدنيا، وبعذاب النار في الآخرة، لتضاعف جرمكم.

١٧ **«ليس على الأعشى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج»** أي: ليس على هؤلاء المعذورين بهذه الأعذار حرج في التخلف عن الغزو لعدم

وصدق الإيمان به فذلك شيء لا يفقهونه.]

١٦ **«قل للمخلفين من الأعراب»** هم المذكورون سابقا **«سددعون إلى قوم أولى بأس شديد»** هم: هوازن وغطفان يوم حنين. [وكان قتالهم بعد فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة] وقال الزهري: هم بنو حنيفة أهل الإمامة أصحاب مسيلمة، وكان قتالهم بعد ذلك أيام أبي بكر الصديق **«تقاتلونهم أو يسلمون»** أي: يكون أحد الأمرين: إما المقاتلة، أو الإسلام لا ثالث لهما، وهذا حكم الكفار



مُسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَآخَرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا
وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ
كَفَرُوا لَوْلَا الْأَدْبَرُ ثُمَّ لَا يُجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾
سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ
تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ
عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ
عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلُّهُ
وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ
تَطُغُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيَدْخُلَ اللَّهُ
فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا
مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمْ

٢١ ﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا﴾ قال ابن عباس ومجاهد: هي الفتوح التي فتحها الله على المسلمين من بعد. وقيل: بل هي مكة نفسها ﴿قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾ أحاط الله بها لكم حتى تفتحوها وتأخذوها، فهم وإن لم يقدرُوا عليها في الحال فهي محبوسة لهم لا تفوتهم، وعلم أنها ستكون لهم ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ لا يعجزه شيء.

٢٢ ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا الْأَدْبَارُ﴾ يعني: كفار قريش بالحديبية ﴿ثُمَّ لَا يُجِدُونَ وَلِيًّا﴾ يوالهم على قتالكم ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ ينصرهم عليكم.

٢٣ ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ من نصر أوليائه على أعدائه ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ بل هي مستمرة ثابتة.

٢٤ ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ أي كف أيدي المشركين عن المسلمين، وأيدي المسلمين عن المشركين، لما جاءوا يصدون رسول الله ﷺ ومن معه عن البيت عام الحديبية، وهي المراد ببطن مكة، فإن ثمانين رجلا من أهل مكة هبطوا على النبي ﷺ من قبل جبل التنعيم، متسلحين، يريدون غيرة النبي ﷺ فأخذهم المسلمون ثم تركوهم ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ لا يخفى عليه من ذلك شيء.

٢٥ ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ يعني: كفار مكة منعوا المسلمين أن يطوفوا به ويحلوا عن عمرتهم ﴿وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ﴾ أي: وصدوا الهدي عن أن يبلغ محله، ومحله منحره، وهو حيث يحل نحره من الحرم، وكان الهدي سبعين بدنة، فرخص الله سبحانه لهم يجعل ذلك الموضع الذي وصلوا إليه وهو الحديبية محلا للنحر، وكانوا خارج الحرم ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ

مؤمنون ونساء مؤمنات﴾ يعني: المستضعفين من المؤمنين بمكة ﴿لَمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ لم تعرفوهم، وقيل لم تعلموا أنهم مؤمنون ﴿أَنْ تَطَاوَهُمْ﴾ بالقتل والإيقاع بهم، وذلك أنهم لو كبسوا مكة وأخذوها عنوة بالسيف لم يتميز المؤمنون الذين هم فيها من الكفار، وعند ذلك لا يأمنون أن يقتلوا المؤمنين، فتلزمهم الكفارة، وتلحقهم سبة، وهو معنى قوله ﴿فَتُصِيبُكُمْ مِنْهُمْ﴾ أي من جهتهم ﴿مَعَرَّةٌ﴾ أي مشقة من كفارة وعيب، وذلك أن المشركين سيقولون: إن المسلمين قد قتلوا أهل دينهم ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [والتقدير لولا ذلك لأذن لكم في قتالهم لينزل بهم بأسه] ﴿لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ أي: ولكن كف أيديكم ليدخل الله في رحمة بذلك من يشاء من عباده، وهم المؤمنون والمؤمنات الذين كانوا في مكة، فيتم لهم أجورهم ويفك أسرهم ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ أي: لو تميز الذين آمنوا من الذين كفروا، وانفصل بعضهم من بعض، لعذبنا الذين كفروا بالقتل.

٢٦ ﴿فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حِمَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾

الْحَمِيَّةَ حِمَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ
وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا
وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ
رَسُولَهُ الرُّءْيَا بِالْحَقِّ لَنَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ
اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ
فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾
هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى
الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ
وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ
رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ
فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ
وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْئَهُ فَكَازَرَهُ

قال المنافقون: والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا دخلنا المسجد الحرام، فأنزل الله هذه الآية **﴿لندخلن المسجد الحرام﴾** أي في العام القابل **﴿إن شاء الله﴾** تعليق للعدة بالمشيئة، لتعليم العباد لما يجب أن يقولوه. قال ثعلب: إن الله استثنى فيما يعلم ليستثنى الخلق فيما لا يعلمون، وقيل: علم أنه يموت بعض هؤلاء الذين كانوا معه في الحديبية فلا يدخلون، فوقع الاستثناء لهذا المعنى **﴿آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين﴾** أي آمنين من العدو، ومحلقا بعضكم ومقصرأ بعضكم **﴿لا تخافون﴾** أي لا يداخلكم من المشركين خوف في الصلح **﴿فجعل من دون ذلك فتحا قريبا﴾** ففتح خبير [وأخذكم ما فيها من الغنائم والأموال وأخر عنكم فتح مكة].
٢٨ ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى﴾ [فأتاكم الرسول به، ودلكم على ما فيه مرضاة ربكم] **﴿ودين الحق﴾** وهو الإسلام **﴿ليظهره على الدين كله﴾** أي يعليه على كل الأديان، وقيل: ليظهر رسوله. وقد كان ذلك بحمد الله، فإن دين الإسلام قد ظهر على جميع الأديان وغلب عليها **﴿وكفى بالله شهيدا﴾** على هذا الإظهار الذي وعد المسلمين به، وعلى صحة نبوة نبيه ﷺ.

٢٩ ﴿محمد رسول الله والذين معه﴾ قيل: هم أصحاب الحديبية **﴿أشداء على الكفار﴾** أي غلاظ عليهم كما يغلظ الأسد على فريسته **﴿رحماء بينهم﴾** أي متوادون متعاطفون، فيظهرون لمن خالف دينهم الشدة والصلابة، ولمن وافقه الرحمة والرافة **﴿تراهم ركعا سجدا﴾** أي: تشاهدكم حال كونهم راكعين ساجدين **﴿يبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾** أي يطلبون ثواب الله لهم ورضاه عنهم **﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾** قيل هو البهاء والوقار في الوجه، وظهور الأنوار عليه.

تعظيم الحرم، وترك القتال فيه، ولم يستفزههم صنيع الكفرة لينتهكوا حرمة الحرم [وكانوا أحق بها وأهلها] أي: وكان المؤمنون أحق بهذه الكلمة من الكفار، وكانوا المستأهلين لها دونهم.
٢٧ ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق﴾ قال المفسرون: إن الله سبحانه أرى نبيه ﷺ في المدينة قبل أن يخرج إلى الحديبية كأنه هو وأصحابه حلقوا وقصروا، فأخبر بذلك أصحابه، ففرحوا وحسبوا أنهم سيدخلون مكة عامهم ذلك، فلما رجعوا من الحديبية ولم يدخلوا مكة،

قال أهل مكة: قد قتلوا أبناءنا وإخواننا ويدخلون علينا في منازلنا، فتحدث العرب أنهم قد دخلوا علينا على رغم أنفسنا؟ واللات والعزى لا يدخلونها علينا. فهذه الحمية هي حمية الجاهلية التي دخلت قلوبهم **﴿فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين﴾** أنزل الطمأنينة والوقار على رسوله وعلى المؤمنين حيث لم يدخلهم ما دخل أهل الكفر من الحمية، وثبتهم على الرضى والتسليم **﴿وألزمهم كلمة التقوى﴾** وهي «لا إله إلا الله محمد رسول الله» [أو المراد: ألزمهم

فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزَّرَّاعَ لِيَغِيْظَ
بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
مِنْهُمْ مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٩﴾

(٤٩) سُورَةُ الْحُجُرَاتِ مَلِكُنِيَّةٌ
وَأَيُّهَا مَثَلُكَ إِلَى عَشْرَةٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ
بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ
لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولٍ

﴿ذلك مثلهم في التوراة﴾ أي وصفهم الذي وصفوا به في التوراة ﴿ومثلهم في الإنجيل كزراع أخرج شطاها﴾ الشَّطَاءُ فرخ النبت والشجر، ينبت من عرقه أو من جذعه ﴿فأزره﴾ أي قواه وأعانه وشده، أي: إن الزرع قوى الشَّطَاءَ لأنه تغذى منه واحتوى به ﴿فاستغلظ﴾ أي صار ذلك الشَّطَاءُ غليظا بعد أن كان دقيقا ﴿فاستوى على سوقه﴾ أي فاستقام على أعواده ﴿يعجب الزراع﴾ أي يعجب هذا الزرع زراعته لقوته وحسن منظره. وهذا مثل ضربه الله سبحانه لأصحاب النبي ﷺ وأنهم يكونون في الابتداء قليلا، ثم يزدادون ويكثرون ويقوون، كالزراع، فإن فراخه تكون في الابتداء ضعيفة، ثم تقوى حالا بعد حال حتى يغلظ ساقه [فكذلك المسلم إذا دخل في الإسلام يكون إيمانه ضعيفا، فيتقوى بصحبته وملازمته لأهل العلم والإيمان حتى يستوي ويكون مثلهم] ﴿ليغيظ بهم الكفار﴾ أي كثرتهم وقواهم ليكونوا غيظا للكافرين ﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما﴾ أن يغفر ذنوبهم ويحذف أجورهم بإدخالهم الجنة التي هي أكبر نعمة وأعظم منة.

سُورَةُ الْحُجُرَاتِ

﴿واتقوا الله﴾ في كل أموركم ﴿إن الله سميع﴾ لكل مسموع ﴿عليم﴾ بكل معلوم. ٢ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي﴾ لأن ذلك يدل على قلة الاحتشام وترك الاحترام، وخفض الصوت وعدم رفعه من التعظيم والتوقير ﴿ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض﴾ إذا كلمتموه، كما تعتادونه من الجهر بالقول إذا كلم بعضكم بعضا. أمرهم الله أن يخفضوا أصواتهم ويخاطبوه بالسكينة والوقار. وقيل المراد: لا تقولوا: يا محمد ويا أحمد، ولكن: يا نبي الله، ويا رسول الله، توقيرا له ﴿أن تحبط أعمالكم﴾ أي نهاكم الله عن الجهر خشية أن يذهب ثواب أعمالكم ﴿وأنتم لا تشعرون﴾. ٣ ﴿أولئك الذي امتحن الله قلوبهم للتقوى﴾ أخلص قلوبهم للتقوى، كما يتمنن الذهب بالنار فيخرج جوده من رديئه ويسقط خبيثه، فكذلك هؤلاء الذين يلزمون أنفسهم احترام رسول الله ﷺ ويغضون أصواتهم عنده طاعة لأمر الله تعالى، طهر الله قلوبهم من كل قبيح. ٤ ﴿إن الذين ينادونك من وراء

أخرج البخاري وغيره عن عبد الله بن الزبير، قال: «قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ فقال أبو بكر: أتمر الققعاع ابن معبد. وقال عمر: بل أتمر الأقرع بن حابس، فقال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي، فقال عمر: ما أردت خلافاك، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فأنزل هذه السورة.

١ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله﴾ المعنى لا تقطعوا أمرا دون الله ورسوله، ولا تعجلوا به بحضرته



اللَّهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ آمَنَحْنِ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ
 مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ
 الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى
 تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦﴾
 يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَ كُرٌّ فَاسِقٌ بَنِيًّا فَتَبَيَّنُوا أَنْ
 تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٧﴾
 وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ
 الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ
 فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ
 أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٨﴾ فَضَلَّأَ مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةُ
 وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩﴾ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
 اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى

٦ ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ﴾ [الفاسق: الفاجر الذي لا يبالي بالكذب] ﴿بَنِيًّا﴾ [أي خبر فيه إضرار بأحد] ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ أي فتثبتوا، ومن الثبوت الأناة وعدم العجلة، والتبصر في الأمر الواقع والخبر الوارد حتى تتضح حقيقته وتظهر ﴿أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ﴾ أي لئلا تمسوهم بضرر لا يستحقونه ﴿فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ﴾ بهم من إصابتهم بالخطأ ﴿نَادِمِينَ﴾ على ذلك مفتمين له مهتمين به.

٧ ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ﴾ فلا تقولوا قولاً باطلاً، ولا تتسرعوا عند وصول

الحجرات﴾ هم جفاة بني تميم، نادوا النبي ﷺ ليفاخروهم ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ لغلبة الجهل عليهم، وكثرة الجفاء في طباعهم.

٨ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ أصلح لهم في دينهم ودنياهم، لما في ذلك من رعاية حسن الأدب مع رسول الله ﷺ ورعاية جانبه الشريف، والعمل بما يستحقه من التعظيم والتبجيل ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لا يؤاخذ مثل هؤلاء فيما فرط منهم من إساءة الأدب.

الخبر إليكم من غير تبين ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ﴾ لو يطيعكم في كثير مما تخبرونه به من الأخبار، وتشيرون به عليه من الآراء التي ليست بصواب، لوقعتم في العنت، وهو التعب والجهد والإثم والمهلك، ولكنه لا يطيعكم في غالب ما تريدون قبل وضوح وجهه له، ولا يسارع إلى العمل بما يبلغه قبل النظر فيه ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ﴾ أي جعله أحب الأشياء إليكم، فلا يقع منكم إلا ما يوافقه ويقتضيه من الأمور الصالحة، وترك التسرع في الأخبار، وعدم الثبوت فيها ﴿وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ أي حسنه بتوفيقه ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ أي جعل كل ذلك مكروها عندكم ﴿أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ الرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب عليه.

٨ ﴿فَضَلَّأَ مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةُ﴾ أي إنه حبب إليكم ما حبب، وكره ما كره، لأجل فضله وإنعامه ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

٩ ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾ المعنى: أنه إذا تقاتل فريقان من المسلمين فعلوا المسلمين أن يسعوا بالصلح بينهم ويدعوهم إلى حكم الله. فإن حصل بعد ذلك التعدي من إحدى الطائفتين على الأخرى، ولم تقبل الصلح ولا دخلت فيه، بل طلبت ما ليس لها، كان على المسلمين أن يقاتلوا هذه الطائفة الباغية حتى ترجع إلى أمر الله وحكمه، فإن رجعت عن بغياها، وأجابت الدعوة إلى كتاب الله وحكمه، فعل المسلمين أن يعدلوا بين الطائفتين في الحكم ويتحروا الصواب المطابق لحكم الله، ويأخذوا على يد الطائفة الظالمة حتى تخرج من الظلم، وتؤدي ما يجب عليها للأخرى ﴿وَأَقْسَطُوا إِنْ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُقْسَطِينَ﴾ أي واعدلوا في الحكم بينها إن الله يحب العادلين.

الْأُخْرَى فَقَتِلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ
فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ
أَخَوَيْكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا لَا يَسْخَر قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا
مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ
وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ
الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ
الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا
مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ
بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا
فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَأَيُّهَا

١٠ **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾** أي إنهم راجعون إلى أصل واحد وهو الإيمان، فهم إخوة إذ كانوا متفقين في دينهم **﴿فأصلحوا بين أخويكم﴾** يعني كل مسلمين تحاصبا وتقاتلا، وكذا لو خرج جماعة على الإمام فإنهم يكونون طائفة باغية إن كان خروجهم بغير حق ولكنهم إخوة مع المؤمنين **﴿واتقوا الله﴾** في كل أموركم **﴿لعلكم ترحمون﴾** بسبب التقوى.

١١ **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَر قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ﴾** أي ربما يكون المسخور بهم عند الله خيرا من الساخرين بهم **﴿ولا نساء من نساء﴾** أي ولا يسخر نساء من نساء **﴿عسى أن يكن﴾** أي المسخور منهن **﴿خيرا منهن﴾** يعني خيرا من الساخرات **﴿ولا تلمزوا أنفسكم﴾** لا يظعن بعضكم على بعض **﴿ولا تنابزوا بالألقاب﴾** أي: لا يلقب بعضهم بعضا [لقب سوء يغيظ بذلك صاحبه، نهى عن ذلك لما يؤدي إليه من العداوة] كأن يقول لأخيه المسلم يا فاسق، يا منافق، أو يقول لمن أسلم: يا يهودي، يا نصراني. أو: يا كلب، يا حمار، يا خنزير، ويستثنى من ذلك أن يشهر بلقب لا يسوؤه فيجوز إطلاقه عليه كالأعمش والأعرج من رواية الحديث **﴿بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان﴾** أي ساء أن يسمى الرجل كافرا أو زانيا بعد إسلامه وتوبته **﴿ومن لم يتب﴾** عما نهى الله عنه **﴿فأولئك هم الظالمون﴾**.

١٢ **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾** هو أن يظن بأهل الخير سوءا، فأما أهل سوء والفسوق فلنا أن نظن بهم مثل الذي ظهر منهم ولا يضر الظن السيئ لمن بدت منه مخايله فلا إثم على من ظن به سوء ما لم يتكلم به، فإن تكلم بذلك الظن وأبداه أثم. والظن الغبيح بمن ظاهره الخير لا يجوز، ولا

حرج في الظن القبيح بمن ظاهره القبيح **﴿إن بعض الظن إثم﴾** هذا البعض هو ظن سوء بأهل الخير **﴿ولا تجسسوا﴾** التجسس: البحث عما ينكم عنك من عيوب المسلمين وعوراتهم **﴿ولا يفتب بعضكم بعضا﴾** أي لا يتناول بعضكم بعضا بظهر الغيب بما يسوؤه، والغيبة: أن تذكر الرجل في غيبته بما يكرهه [ولو كان ما يفتاب به ويصف به أخاه المسلم من الوصف موجودا فيه. أما إن كان ذلك الوصف مفترى وكان من تغتابه خالياً من ذلك فذلك هو البهتان]

﴿أوجب أحدكم أن ياكل لحم أخيه ميتا﴾ مثل سبحانه الغيبة بأكل الميتة [لأن الميت لا يعلم بأكل لحمه كما أن الحي لا يعلم بغيبة من اغتابه، أي فلا يستطيع الدفاع عن نفسه، كالميت إذا قُطع لحمه وأكل. أما الحاضر فقد يستطيع أن يدفع عن نفسه قالة سوء] وهذا من التنفير، فإن لحم الإنسان مما تنفر عن أكله الطباع الإنسانية، وتستكرهه الجبلة البشرية، فضلا عن كونه محرما شرعا **﴿فكرهتموه﴾** المعنى: فكما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بالسوء غائبا.



النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَكُمْ شُعُوبًا
وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَى إِنَّ اللَّهَ
عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ * قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمِنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا
وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ
وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا
إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا
بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتَعْلَمُونَ
اللَّهُ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا
قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْتَ
هَدَيْتُمْ لِلْإِيمَانِ أَنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ

معادن العرب تسألوني؟ قالوا: نعم. قال
خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام
إذا فقهوا» **﴿إن الله عليم خبير﴾**.

١٤ ﴿قل لم تؤمنوا﴾ أي لم تصدقوا
تصديقاً صحيحاً عن اعتقاد قلب وخلص
نية وطمأنينة **﴿ولكن قولوا أسلمنا﴾** أي
استسلمنا خوف القتل والسبي، أو للطمع
في الصدقة **﴿ولما يدخل الإيمان في
قلوبكم﴾** بل مجرد قول باللسان من
دون اعتقاد صحيح ولا نية خالصة **﴿لا
يلتكم من أعمالكم شيئاً﴾** لا ينقصكم
من أجور أعمالكم شيئاً.

**١٥ ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله
ورسوله﴾** يعني إيماناً صحيحاً خالصاً، عن
مواطأة القلب واللسان **﴿ثم لم يرتابوا﴾** أي
لم يدخل قلوبهم شيء من الريب، ولا
خالطهم شك من شكوك **﴿وجاهدوا
بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله﴾** أي في
طاعته وابتغاء مرضاته **﴿أولئك﴾** الجامعون
بين الأمور المذكورة **﴿هم الصادقون﴾** في
الاتصاف بصفة الإيمان والدخول في عداد
أهله، لا من عداهم ممن أظهر الإسلام،
ولم يطمئن بالإيمان قلبه.

١٦ ﴿قل أتعلمون الله بدِينكم﴾ أي
أتخبرونه ليعلم بذلك حيث قلتم آمنا
**﴿والله يعلم ما في السماوات وما في
الارض﴾** فكيف يجهل حقيقة ما تدعونه
من الإيمان؟ **﴿والله بكل شيء عليم﴾** لا
تحق عليه من ذلك خافية.

١٧ ﴿يمنون عليك أن أسلموا﴾ أي
يعدون إسلامهم منة عليك، حيث قالوا:
جئناك بالأثقال والعيال، ولم نقاتلك كما
قاتلك بنو فلان وبنو فلان **﴿قل لا تمنوا
على إسلامكم﴾** أي لا تعدوه منة علي
**﴿بل الله يمن عليكم أن هداكم
للإيمان﴾** أي أرشدكم إليه وأراكم طريقه
[ووفقكم لقبول الدين وشرح صدوركم
له] **﴿إن كنتم صادقين﴾** فيما تدعونه،
فله المنة عليكم.

لأجل التعارف لا للتفاخر بأنسابهم **﴿إن
أكرمكم عند الله أتقاكم﴾** أي إن
التفاضل بينكم إنما هو بالتقوى، فمن
تلبس بها فهو المستحق لأن يكون أكرم
وأشرف وأفضل، فدعوا التفاخر
بالأنساب. وأخرج البخاري وغيره عن
أبي هريرة قال: «سئل رسول الله ﷺ
أي الناس أكرم؟ قال: أكرمهم عند الله
أتقاهم. قالوا: ليس عن هذا نسألك.
قال: فأكرم الناس يوسف نبي الله، ابن
نبي الله، ابن نبي الله، ابن خليل الله.
قالوا: ليس عن هذا نسألك. قال: فمن

**١٣ ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من
ذكر وأنثى﴾** هما آدم وحواء، والمقصود
أنهم متساوون، لا تصالهم بنسب واحد،
يجمعهم أب واحد وأم واحدة، وأنه لا
موضع للتفاخر بينهم بالأنساب، فالكل
سواء **﴿وجعلناكم شعوباً وقبائل﴾**
الشعب: الأمة الكبيرة تجمع قبائل، مثل
مضر وربيعة، والقبائل: دونها، كبنو
بكر من ربيعة، وبنو تميم من مضر.
وقيل الشعوب بطون العجم، والقبائل
بطون العرب **﴿لتعارفوا﴾** أي لتعارفوا،
والمقصود أن الله سبحانه خلقهم كذلك

غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ بِصِيرِ مَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

(٥٠) سُورَةُ قَتْمَكِيَّةٍ
وَأَيُّهَا خَمْسٌ وَأَرْبَعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ
مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَوَإِذَا مِتْنَا
وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكْ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ
الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيزٌ ﴿٤﴾ بَلْ كَذَّبُوا
بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ﴿٥﴾ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا
إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ
فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ

١٨ ﴿إِنْ اللَّهُ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ﴾ ما غاب فيها، ومن جملة ذلك
ما يسره كل إنسان في نفسه ﴿وَاللَّهُ بِصِيرِ
مَا تَعْمَلُونَ﴾ لا يخفى عليه من ذلك
شيء، فهو مجازيكم بالخير خيرا وبالشر
شرا.

سُورَةُ قَتْمَكِيَّةٍ

أخرج مسلم وأبو داود عن أم هشام
ابنة حارثة، قالت: ما أخذت (ق
والقرآن المجيد) إلا من في رسول الله ﷺ
كان يقرأ بها في كل جمعة على المنبر إذا
خطب الناس.

١ ﴿ق﴾ تقدم في أول سورة البقرة
الكلام في هذه الحروف المقطعة في أوائل
السور ﴿والقرآن المجيد﴾ الكريم، وقيل
الرفيع القدر.

٢ ﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾
أي عجب الكفار لأن جاءهم منذر هو
واحد منهم، وهو محمد ﷺ، ولم يكتفوا
بمجرد الشك والرد، بل جعلوا ذلك من
الأمور العجيبة ﴿فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا
شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ وهو تعجبهم من كون
الرسول بشراً مثلهم، وتعجبهم من البعث.

٣ ﴿أَوَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ أي أيعتدنا
الله كما تقول، ويعيدنا إليه بعد أن
تتفرق أجزاؤنا في الأرض وتكون تراباً
﴿ذَلِكَ﴾ أي البعث ﴿رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ أي
يبعد عن العقول، فهو أمر لا يصدق
العقل لأنه غير ممكن، بزعمهم.

٤ ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ
مِنْهُمْ﴾ أي ما تأكل من أجسادهم، فلا
يفضل عنا شيء من ذلك ﴿وَعِنْدَنَا كِتَابٌ
حَفِيزٌ﴾ أي حافظ لعدتهم وأسمائهم
ولكل شيء من الأشياء، وهو اللوح
المحفوظ.

٥ ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾ تصريح منهم

الحسن والكواكب التي تنير فيها
كالمصابيح ﴿وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ أي
فتوق وشقوق وصدوع.

٧ ﴿وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا﴾ أي بسطناها
﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ أي جبالا ثوابت
﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ أي
من كل صنف حسن من النبات يبهج
الناظرين [بحسن ألوانه المختلفة، وأشكاله
العجيبة، وروائح العطرة، وثماره ذات
الطعوم الطيبة].

٨ ﴿تَبَصَّرْهُ وَذَكَرْهُ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾
فإن القادر على مثل هذه الأمور يقدر على

بالتكذيب بعد ما تقدم عنهم من
الاستبعاد، والمراد بالحق هنا القرآن،
والنبوة الثابتة بالمعجزات ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾
أي كذبوا بالقرآن بمجرد تبليغهم به، من
غير تدبر ولا تفكر ولا إمعان نظر ﴿فَهُمْ
فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ﴾ أي مختلط مضطرب،
يقولون مرة: ساحر، ومرة: شاعر، ومرة:
كاهن.

٩ ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ
كَيْفَ بَنَيْنَاهَا﴾ أي على هذه الصفة
العجيبة، فهي مرفوعة بغير عماد تعتمد
عليه ﴿وَزَيَّنَّاهَا﴾ بما جعلنا فيها من اللون

وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرًا لِكُلِّ
عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ وَزَلَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا
بِهِ جَنَّتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا
طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا
كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ
الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾
وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ
وَعِيدُ ﴿١٤﴾ أَفَعَيَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ
خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسَّوَسُ
بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾
إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾
مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ

البعث.

٩ ﴿ونزلنا من السماء ماء مباركا﴾ أي نزلنا من السحاب ماء كثير البركة لانتفاع الناس به في غالب أمورهم ﴿فأنبتنا به جنات﴾ بساكن كثيرة ﴿وحب الحصيد﴾ أي ما يحصد ويقتات من الحبوب كالبر والشعير، وكل حب يذخر للقوت.

١٠ ﴿والنخل باسقات﴾ الباسقات الطوال ﴿لها طلع نضيد﴾ الطلع هو أول ما يخرج من ثمر النخل، والنضيد المتراكب الذي نُضِدَ بعضه على بعض.

١١ ﴿رزقا للعباد﴾ أي أنبتنا هذه الأشياء للرزق ﴿وأحيينا به بلدة ميتا﴾ أي أحيينا بذلك الماء بلدة مجدبة لا ثمار فيها ولا زرع ﴿كذلك الخروج﴾ أي إن الخروج من القبور عند البعث، كمثل هذا الإحياء الذي أحيا الله به الأرض الميتة، فكما أن هذا مقدور الله، فذلك أيضا مقدور له.

١٢، ١٣ ﴿وأصحاب الرس﴾ هم قوم شعيب وقيل هم أصحاب الأخدود ﴿وثمود. وعاد وفرعون﴾ أي فرعون وقومه ﴿وإخوان لوط﴾ [أي القوم الذين

بعث فيهم، وهم أهل سدوم وعمورة، من أرض فلسطين].

١٤ ﴿وأصحاب الأيكة﴾ تقدم الكلام على الأيكة في سورة الشعراء (الآية ١٧٦) ونبيهم شعيب ﴿وقوم تبع﴾ هو تبع الحميري وكان باليمن ﴿كل كذب الرسل﴾ أي كل واحد من هؤلاء كذب رسوله الذي أرسله الله إليه ﴿فحق وعيد﴾ أي وجب عليهم وعيدي، وحقت عليهم كلمة العذاب.

١٥ ﴿أفعبينا بالخلق الأول﴾ أي أفعجزنا بالخلق حين خلقناهم أولا ولم يكونوا شيئا، فكيف نعجز عن بعثهم ﴿بل هم في لبس من خلق جديد﴾ أي في شك وحيرة واختلاط من خلق مستأنف، وهو بعث الأموات.

١٦ ﴿ونعلم ما توسوس به نفسه﴾ ما يختلج في سره وقلبه وضميره ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ الوريد هو عرق الدم الداخل إلى القلب: أي: نحن أقرب إليه من حبل وريده فكيف يخفى علينا شيء مما في قلبه.

١٧ ويذكر سبحانه أنه مع علمه بما في قلب ابن آدم وكل به ملكين يكتبان ويحفظان عليه عمله إلزاما للحجة، فقال تعالى: ﴿إذ يتلقى المتلقيان﴾ وهما الملكان الموكلان به، يتلقيان ما يلفظ به وما يعمل به، أي يأخذان ذلك ويثبتانه ﴿عن اليمين وعن الشمال قعيد﴾ المراد: عن اليمين قعيد، وعن الشمال قعيد، والقعيد: من يقعد معك.

١٩ ﴿وجاءت سكرة الموت﴾ سكرة الموت شدته وغمرته التي تغشى الإنسان وتغلب على عقله ﴿بالحق﴾ عند الموت يتضح له الحق، ويظهر له صدق ما جاءت به الرسل من الأخبار بالبعث والوعد والوعيد ﴿ذلك﴾ الموت ﴿وما كنت منه نجيد﴾ تميل عنه وتفر منه.

٢٠ «ونفخ في الصور» النفخة الآخرة للبعث **«ذلك يوم الوعيد»** أي ذلك الوقت الذي يكون فيه النفخ في الصور هو يوم الوعيد الذي أوعده الله به الكفار بالعذاب في الآخرة.

٢١ «وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد» أي جاءت كل نفس من نفوس البشر، أي البدن فيه الروح، معها من يسوقها ومن يشهد لها أو عليها. قال مجاهد: السائق والشهيد ملكان، قيل السائق كاتب السيئات، والشهيد كاتب الحسنات.

٢٢ «لقد كنت في غفلة من هذا» يقال له: لقد كنت في غفلة من هذا المصير **«فكشفنا عنك غطاءك»** الذي كان في الدنيا: يعني رفعنا الحجاب الذي كان بينك وبين أمور الآخرة **«فبصرك اليوم حديد»** أي نافذ تبصر به ما كان يخفى عليك في الدنيا.

٢٣ «وقال قرينه هذا ما لدي عتيد» أي قال الملك الموكل به: هذا ما عندي من كتاب عملك عتيد حاضر قد هيأته. وقال مجاهد: إن الملك يقول للرب سبحانه: هذا الذي وكلتني به من بني آدم قد أحضرته وأحضرت ديوان عمله.

٢٤ «القيأ في جهنم» هذا خطاب من الله عز وجل للسائق والشهيد.

٢٥ «مناع للخير» لا يبذل خيرا **«معتد»** ظالم لا يقر بتوحيد الله **«مريب»** شاك في الحق.

٢٦ «فألقياه في العذاب الشديد» تأكيد للأمر الأول.

٢٧ «قال قرينه ربنا ما أطغيته» القرين هنا الشيطان الذي قبض لهذا الكافر، أنكر أن يكون أطغاه، ثم قال **«ولكن كان في ضلال بعيد»** أي عن الحق، فدعوته فاستجاب لي، ولو كان من عبادك المخلصين لم أقدر عليه.

سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ١٩
وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ٢٠ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَاقٍ وَشَهِيدٌ ٢١ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكْشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ٢٢ وَقَالَ قَرِينُهُ هَٰذَا مَا لَدَىٰ عَتِيدٍ ٢٣ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ٢٤ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ٢٥ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ٢٦
* قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ٢٧ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ٢٨ مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَىٰ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ ٢٩ لِّلْعَبِيدِ ٣٠ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ٣١ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ٣٢

٢٨ «قال لا تختصموا لدي» يعني

الكافرين وقرناءهم، نهاهم سبحانه عن الاختصام في موقف الحساب **«وقد قدمت إليكم بالوعيد»** بإرسال الرسل وإنزال الكتب.

٢٩ «ما يبدل القول لدي» أي لا خلف لوعدي، بل هو كائن لا محالة، وقد قضيت عليكم بالعذاب فلا تبديل له، وقيل: معنى الآية أنه ما يكذب عندي بزيادة في القول ولا بنقص منه لعلمي بالغيب **«وما أنا بظلام للعبيد»** أي لا أعذبهم ظلما بغير جرم اجترموه، ولا

٣٠ «يوم نقول لجهنم هل امتلأت» أي يقول الله تعالى ذلك، وتنطق جهنم فتجيبه قائلة: **«هل من مزيد»** أي إنها تطلب الزيادة على من قد صار فيها.

٣١ «وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد» أي قُرِبت للمتقين تقريبا غير بعيد، يشاهدونها في الموقف، وينظرون ما فيها مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

٣٢ «هذا ما توعدون» هذا الذي تروونه من فنون نعم الجنة هو ما توعدون **«لكل**



هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيفٍ ﴿٣٢﴾ مَنْ خَشِيَ
الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ
ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا
مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ
بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيسٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾
وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ
وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ
بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾
وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ السُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ
يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ
بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ

ونموت وغيرهما **﴿فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ﴾** أي
ساروا وتقلبوا فيها وطاقوا بقاعها **﴿هل﴾**
﴿من محيص﴾ أي هل لهم من مهرب
يهربون إليه يتخلصون به من العذاب.

٣٧ **﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا﴾** أي في
ذكر من قصتهم تذكرة وموعظة **﴿لمن﴾**
﴿كان له قلب﴾ أي عقل. وقيل: لمن
كان له حياة ونفس مميزة **﴿أو ألقى﴾**
﴿السمع﴾ أي استمع إلى ما يتلى عليه من
الوحي **﴿وهو شهيد﴾** أي حاضر الفهم أو
حاضر القلب.

٣٨ **﴿ولقد خلقنا السماوات والأرض﴾**
﴿وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من﴾
﴿لغوب﴾ اللغوب التعب والإعياء. قيل:
إن اليهود قالوا: خلق الله السماوات
والأرض وما بينهما في ستة أيام أولها
الأحد وآخرها الجمعة، واستراح يوم
السبت، فأكذبهم الله تعالى.

٣٩ **﴿وسبح بحمد ربك قبل طلوع﴾**
﴿الشمس وقبل الغروب﴾ أي نزه الله عما
لا يليق بجناحه، قائلًا: سبحان الله
وبحمده، وقت الفجر ووقت العصر، وقيل
المراد: صلاة الفجر وصلاة العصر.

٤٠ **﴿ومن الليل فسبحه﴾** أي سبحه
بعض الليل وقيل هي صلاة الليل
﴿وأدبار السجود﴾ أي وسبحه في أعقاب
الصلوات.

٤١ **﴿واستمع يوم يناد المناد من مكان﴾**
﴿قريب﴾ وهي صيحة القيامة: أعني
النفخة الثانية في الصور من إسرافيل،
وقيل إسرافيل ينفخ، وجبريل ينادي أهل
المحشر، ويقول: هلموا للحساب **﴿ومن﴾**
﴿مكان قريب﴾ بحيث يصل النداء إلى
كل فرد من أفراد أهل المحشر.

٤٢ **﴿يوم يسمعون الصيحة بالحق﴾**
يعني أن صيحة البعث كائنة حقا **﴿ذلك﴾**
﴿يوم الخروج﴾ من القبور.

أواب حفيظ الأواب الرجاء إلى الله
نعالي بالتوبة عن المعصية، وقيل هو
المسبح، وقيل الذي يذكر ذنوبه في الخلوة
فيستغفر الله منها، والحفيظ هو الحافظ
لذنوبه حتى يتوب منها، لا يهمل ذلك.

٣٣ **﴿من خشي الرحمن بالغيب﴾** الخشية
بالغيب أن يخاف الله ولم يكن رآه،
وقيل: يعني في الخلوة حيث لا يراه أحد.
قال الحسن: إذا أرخى السر وأغلق
الباب **﴿وجاء بقلب منيب﴾** راجع إلى
الله، مخلص في طاعة الله.

٣٤ **﴿ادخلوها﴾** أي ادخلوا الجنة

﴿بسلام﴾ أي بسلامة من العذاب، أو
بسلامة من زوال النعم. وقيل: بسلام:
يسلم عليهم الله وملائكته **﴿ذلك﴾** اليوم
﴿يوم الخلود﴾ لأنه دائم أبدا.

٣٥ **﴿لهم ما يشاؤون فيها﴾** أي في الجنة
ما تشتهي أنفسهم وتلذ أعينهم من فنون
النعم وأنواع الخير بحسب رغبتهم **﴿ولدينا﴾**
﴿مزيد﴾ من النعم التي لم تخطر لهم على
بال، ولا مرت لهم في خيال.

٣٦ **﴿وكم أهلكنا قبلهم﴾** أي قبل
قريش ومن وافقهم **﴿من قرن﴾** أي أمة
﴿هم أشد منهم بطشاً﴾ أي قوة كماد

وَالْبَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَشَقُّ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا
ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿١٤﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا
أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴿١٥﴾

(٥١) سُورَةُ الذَّارِيَاتِ مَكِّيَّةٌ وآيَاتُهَا سِتُّونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالَّذَرِيَّتِ ذَرَوًا ﴿١﴾ فَالْحَمِلَتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَالْجَرِيَّتِ
يُسْرًا ﴿٣﴾ فَالْمُقْسِمَتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ
لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ
الْحُبُّكِ ﴿٧﴾ إِنَّكَ لَنِي قَوْلٍ مُتَخَلِّفٌ ﴿٨﴾ يُؤْفِكُ عَنْهُ
مَنْ أْفِكَ ﴿٩﴾ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ

٤٣ ﴿إِنَّا نَحْنُ غَنِيٌّ وَنُمِيتُ﴾ أي نحني في الدنيا والآخرة ونميت في الدنيا، لا يشاركنا في ذلك مشارك ﴿وَالْبَيْنَا الْمَصِيرُ﴾ فنجازي كل عامل بعمله.

٤٤ ﴿يَوْمَ تَشَقُّ الْأَرْضُ عَنْهُمْ﴾ تتصدع عنهم، فيخرجون ويساقون إلى المهشر ﴿سِرَاعًا﴾ أي مسرعين إلى المنادي الذي ناداهم ﴿ذَلِكَ حَشْرٌ﴾ أي بعث وجمع ﴿عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ هين.

٤٥ ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ يعني من تكذيبك فيما جئت به، ومن إنكار البعث والتوحيد ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ أي بمسلط يجبرهم ويقهرهم على الإيمان ﴿فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ أي من يخاف وعيدي للعصاة بالعذاب، وأما من عداهم فلا تشتغل بهم. ثم أمره الله سبحانه بعد ذلك بالقتال.

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

١ ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا﴾ أقسم سبحانه بالرياح التي تذر التراب وما كان مثله حتى يتطاير.

٢ ﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾ هي السحاب، تحمل الماء، كما تحمل ذوات الأربع الوقر. والوقر الحمل الثقيل [ولا يعلم إلا الله ثقل ما تحمل السحب من كميات المياه].

٣ ﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا﴾ هي السحب تسير بأثقالها من المياه على ضخامته سيرا هينا إلى حيث يريد الله لها أن تمطر.

٤ ﴿فَالْمُقْسِمَاتِ أَمْرًا﴾ هي السحب التي يقسم الله بها أرزاق العباد، وقيل إن المراد بالذاريات والحاملات والجاريات والمقسمات الرياح، فإنها توصف بجميع ذلك لأنها تذر التراب، وتحمل السحاب، وتجري في الهواء، وتقسم الأمطار.

- ٥ ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾ أي من الموت والبعث والحشر إلى الله تعالى ﴿لَصَادِقٌ﴾
- ٦ ﴿وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾ أي الشواب والعقاب لكائن لا محالة.
- ٧ ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبِّكِ﴾ ذات الخلق المستوي الحسن، والجمال البديع. وكل شيء أحكمته وأحسنه عمله فقد حبكته واحتبكته.
- ٨ ﴿لَنِي قَوْلٍ مُتَخَلِّفٌ﴾ [مضطرب غير متلائم].
- ٩ ﴿يُؤْفِكُ عَنْهُ مَنْ أْفِكَ﴾ [يصرف عن هذا القرآن من كذب به].
- ١٠ ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾ [أي: ليعن المرتابون في وعد الله ووعيده].
- ١١ ﴿فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾ [أي: في الكفر والشك لاهون غمًا هم عليه قادمون].
- ١٢ ﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ الدِّينِ﴾ تكذيبا منهم واستهزاء.
- ١٣ ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ أي يحرقون ويعذبون، يقال: فتنن الذهب، إذا أحرقت لتختبره.
- ١٤ ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾ أي: يقال لهم ذوقوا عذابكم ﴿هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ

أصابته الجائحة.

٢٠ ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾

أي: دلائل واضحة وعلامات ظاهرة للموقنين بالله، لأنهم الذين يعترفون بذلك ويتدبرون فيه فينتفعون به.

٢١ ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ﴾ أي: وفي أنفسكم

آيات تدل على توحيد الله، وصدق ما جاءت به الرسل، خلقهم على هذه الصفة العجيبة الشأن من لحم ودم وعظم وأعضاء وحواشٍ ومجارٍ ومنافس **﴿أَفَلَا تَبْصُرُونَ﴾** بعين البصيرة، فتستدلون بذلك على الخالق الرازق المتفرد بالألوهية، وقيل المراد بالأنفس الأرواح، أي: وفي نفوسكم التي بها حياتكم آيات.

٢٢ ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾

من الجنة والنار، والشواب والعقاب، مكتوب في السماء.

٢٣ ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾

أي ما أخبركم به في هذه الآيات **﴿مِثْلَ مَا أَنْكُمْ تَنْطِقُونَ﴾** كمثل نطقكم، وهذا كما تقول إنه لحق كما أنك تتكلم.

٢٤ ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾

المكرمين **﴿﴾** أي: إنهم مكرمون عند الله سبحانه، لأنهم ملائكة جاءوا إليه في صورة بني آدم، وقال مجاهد: أكرمهم إبراهيم وأحسن إليهم، وقام على رؤوسهم.

٢٥ ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا﴾

أي سلم عليك سلاما **﴿قَالَ سَلَامٌ﴾** أي قال إبراهيم: سلام **﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾** أي: أنتم قوم منكرون، أي: لم أعرفكم من قبل، فمن أنتم؟ وقيل: إنه قال هذا في نفسه ولم يخاطبهم به.

٢٦ ﴿فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ﴾ أي: عدل إلى

أهله، وقيل ذهب إليهم في خفية من ضيوفه **﴿فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ﴾** أي فجاء ضيفه بعجل قد شواه لهم كما في سورة هود (بعجل حنيذ).

سَاهُونَ ١١) يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ الدِّينِ ١٢) يَوْمَ هُمْ عَلَى

النَّارِ يُفْتَنُونَ ١٣) ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ

بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ١٤) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ١٥)

ءَاخِذِينَ مَاءً آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ

مُحْسِنِينَ ١٦) كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ١٧)

وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ١٨) وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ

وَالْمَحْرُومِ ١٩) وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ٢٠)

وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ٢١) وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ

وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢) فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ

مِثْلَ مَا أَنْكُمْ تَنْطِقُونَ ٢٣) هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ

إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ

سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ٢٥) فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ بِعَجَلٍ

تستعجلون **﴿﴾** أي: هذا ما كنتم تطلبون تعجيله استهزاء منكم.

١٥ ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ أي: هم في بساين فيها عيون جارية لا يبلغ وصفها الواصفون.

١٦ ﴿آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ من الخير والكرامة **﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ**

﴿مُحْسِنِينَ﴾ أي: لأنهم كانوا في الدنيا محسنين في أعمالهم الصالحة يراقبون الله فيها.

١٧ ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ بل يصلون أكثره وينامون

أقله. وعن ابن عباس: قلما تأتي عليهم ليلة ينامون فيها حتى يصبحوا إلا يصلون فيها.

١٨ ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ قال الحسن: مدوا الصلاة إلى الأسحار، ثم أخذوا في الأسحار بالاستغفار.

١٩ ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ السائل: هو الفقير الذي لا يجد شيئا، يتعرض لك فيطلب منك العون، والمحروم: الذي لا يقدر على الكسب، ويتعفف عن السؤال حتى يحسبه الناس

غنيا، فلا يتصدقون عليه. وقيل الذي

٢٧ ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ﴾ ووضعه بين أيديهم
فـ ﴿قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾

٢٨ ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ أي أحس
في نفسه خوفا منهم لما لم يأكلوا مما قربه
إليهم. ومن أخلاق الناس أن من أكل
من طعام إنسان صار آمنا منه، فظن
إبراهيم أنهم جاءوا للشر، ولم يأتوا للخير
﴿قَالُوا لَا تَخَفْ﴾ وأعلموه أنهم ملائكة
مرسلون إليه من جهة الله سبحانه
﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ أي: بشروه
بغلام يولد له كثير العلم عند أن يبلغ
مبالغ الرجال، وهو إسحاق.

٢٩ ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صِرَةٍ﴾ والصرة
الصيحة والضجة ﴿فَصَكَتَ وَجْهَهَا﴾ أي
ضربت بيدها على وجهها كما جرت
بذلك عادة النساء عند التعجب ﴿وَقَالَتْ
عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ أي كيف ألد وأنا عجوز
عقيم؟ استبعدت ذلك لكبر سنها، ولكونها
عقيا لا تلد، حتى عندما كانت في شبابه
لم تلد لإبراهيم.

٣٠ ﴿قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ﴾ أي:
كما قلنا لك وأخبرناك قال ربك، فلا
تشكي في ذلك، ولا تعجيبي منه.

٣١ ﴿قَالَ فَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾
المعنى: فاشأنكم وما قصتكم أيها
المرسلون من جهة الله، وما ذاك الأمر
الذي لأجله أرسلكم سوى هذه البشارة؟

٣٢ ﴿قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ مِجْرَمِينَ﴾
يريدون قوم لوط.

٣٣ ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ﴾
أي: لترجمهم بحجارة من طين متحجرة.

٣٤ ﴿مُسَوَّمَةٌ﴾ معلمة بعلامات تعرف
بها، قيل كانت مخططة بسواد وحمرة
﴿عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ المتمادين في
الضلالة، المجاوزين الحد في الفجور.

٣٥ ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: لما أردنا إهلاك قوم لوط
أخرجنا من كان في قري قوم لوط من

سَمِينٍ ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ ﴿فَأَوْجَسَ
مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾
فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صِرَةٍ فَصَكَتَ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ
عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ
الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ * قَالَ فَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾
قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ مِجْرَمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ
حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُسَوَّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾
فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا
غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ
يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى
فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سِحْرٌ
أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ

آية ﴿إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ

قومه المؤمنين به. ٣٦ ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ
المسلمين﴾ أي: غير أهل بيت واحد،
قيل وهم أهل بيت لوط.

٣٧ ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ
العذاب الأليم﴾ أي: وتركنا في تلك

القرى علامة ودلالة، تدل على ما أصابهم
من العذاب كل من يخاف عذاب الله
ويخشاه، من أهل ذلك الزمان ومن
بعدهم، وهذه الآية هي آثار العذاب في
تلك القرى، فإنها ظاهرة بينة.

٣٨ ﴿وَفِي مُوسَى﴾ أي: وجعلنا في موسى

آية ﴿إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ
مبين﴾ السلطان المبين الحجة الظاهرة
الواضحة، وهي العصا وما معها من
الآيات.

٣٩ ﴿فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ﴾ أي: أعرض عن
آياتنا بجهالة. وقال مجاهد: الركن جمعه
وجنوده الذين كان يتقوى بهم ﴿وَقَالَ
ساحر أو مجنون﴾ أي قال فرعون في حق
موسى: هو إما ساحر أو مجنون، للمغالطة
والإيهام، فإنه يعلم أن ما رآه من الخوارق
لا يتيسر على يد ساحر، ولا يفعله من به
جنون.



مَلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾
مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾
وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعْتَوْا عَنْ
أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا
اسْتَطَعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ
مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا
بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ
الْمَهْدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ
تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوْا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾
وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾
كَذَٰلِكَ مَا أَنَّىٰ لِلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ
أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا بِهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾

يقدرُوا على القيام من تلك الصرعة،
فضلا عن الحرب، بل أصبحوا في دارهم
جاثمين **﴿وما كانوا منتصرين﴾** أي:
ممتنعين من عذاب الله بغيرهم.

٤٦ ﴿وقوم نوح من قبل﴾ أي
أهلكناهم من قبل هؤلاء، فإن زمانهم
متقدم على زمن فرعون وعاد وثمرود **﴿إنهم
كانوا قوما فاسقين﴾** أي: خارجين عن
طاعة الله.

٤٧ ﴿والسما بنيناها بأيد﴾ أي: بقوة
وقدرة **﴿وإنا لموسعون﴾** أي إنا لذو
سعة بخلقها وخلق غيرها، أي قادرون لا
نعجز عن ذلك [ويحتمل أن المعنى:
وسعناها توسيعاً كبيراً].

٤٨ ﴿والأرض فرشناها﴾ بسطناها
كالفرش **﴿فنعم الماهدون﴾** أي نحن،
يقال مهدت الفراش إذا بسطته ووظأته.

٤٩ ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين﴾
من ذكر وأنثى، وحلومر، وسما وأرض،
وليل ونهار، ونور وظلمة، وخير وشر
﴿لعلكم تذكرون﴾ أي خلقنا ذلك
هكذا لتذكروا فتعرفوا أنه خالق كل
شيء وتستدلوا بذلك على توحيده.

٥٠ ﴿ففرؤا إلى الله﴾ بالتوبة من
ذنوبكم **﴿إني لكم منه نذير مبين﴾**
أي: منذر بين الإنذار.

**٥٢ ﴿كذلك ما أتى الذين من قبلهم
من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون﴾**
أي: إن هذا شأن الأمم المتقدمة، وإن
ما وقع من العرب من التكذيب لرسول
الله، ووصفه بالسحر والمجنون، قد كان
من قبلهم لرسولهم.

٥٣ ﴿أتواصوا به﴾ هذا للتعجب من
حالهم: أي كأنما أوصى أولهم آخرهم
بالتكذيب، وتواطأوا عليه **﴿بل هم قوم
طاغون﴾** أي: لم يتواصوا بذلك، بل
جمعهم الطغيان، وهو مجاوزة الحد في
الكفر.

عليه من أنفسهم وأنعامهم وأموالهم إلا
جعلته كالشيء الهالك البالي.

**٤٣ ﴿وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى
حين﴾** أي: وتركنا في قصة ثمود آية،
وقت أن قلنا لهم: عيشوا ممتنعين بالدنيا
إلى حين وقت الهلاك.

٤٤ ﴿فعتوا عن أمر ربهم﴾ أي: تكبروا
عن امتثال أمر الله **﴿فأخذتهم
الصاعقة﴾** وهي كل عذاب مهلك
﴿وهم ينظرون﴾ أي: يرونها عياناً، وقيل
المعنى: ينتظرون ما وعدوه من العذاب.

٤٥ ﴿فما استطاعوا من قيام﴾ أي: لم

**٤٠ ﴿فأخذناه وجنوده فنبذناهم في
اليم﴾** أي: طرحناهم في البحر **﴿وهو
مليم﴾** أي: أت بما يلام عليه، أي
مستحق للؤم حين ادعى الربوبية، وكفر
بالله، وطفى في عصيانه.

٤١ ﴿وفي عاد﴾ أي وتركنا في قصة عاد
آية **﴿إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم﴾**
وهي التي لا خير فيها ولا بركة، لا تلقح
شجراً ولا تحمل مطراً، إنما هي ريح
الإهلاك والعذاب.

**٤٢ ﴿ما تذر من شيء أنت عليه إلا
جعلته كالريم﴾** أي لا تترك شيئاً مرت

فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ
تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا
لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ
يُطْعَمُوا ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾
فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا
يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي
يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

(٥٢) سُورَةُ الطُّورِ مَكِّيَّةٌ وَأَنبَأَ نَهَا نِسْعَ وَارْبَعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَنشُورٍ ﴿٣﴾

٥٤ ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي أعرض عنهم وكف عن جدالهم فقد فعلت ما أمرك الله به وبلغت رسالته ﴿فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ عند الله بعد هذا لأنك قد أدبت ما عليك.

٥٥ ﴿وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: عظم بالقرآن من آمن من قومك فإن الذكرى تنفعهم. وبالموعظة بالتي هي أحسن.

٥٦ ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ عن مجاهد أنه قال: المعنى إلا لأمرهم وأنهاهم. وقيل: إلا ليخضعوا لي ويتذللوا، ومعنى العبادة في اللغة الذل والخضوع والانقياد.

٥٧ ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا﴾ أي: إنه تعالى خلقهم لا يريد منهم منفعة لنفسه كما تريده السادة من عبيدهم، بل هو الغني المطلق الرازق المعطي.

٥٨ ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾ فهو الذي يرزق مخلوقاته ويقوم بما يصلحهم، فلم يخلقهم لنفع ينفعونه به، ولذلك فعلهم أن يؤدوا ما خلقوا له من العبادة ﴿ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ﴾ الشديد القوة.

٥٩ ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ﴾ أي: نصيبا من العذاب مثل نصيب الكفار من الأمم السابقة. والذنوب في اللغة: الدلو العظيمة. ﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ أي: لا يطلبوا مني أن أعجل لهم العذاب، فإن حظهم من العذاب مقدر آت لا ريب فيه.

٦٠ ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ قيل هو يوم القيامة، وقيل يوم بدر.

سُورَةُ الطُّورِ

١ ﴿وَالطُّورِ﴾ الطور بالسريانية الجبل،

والمراد به طور سيناء [الذي كلم الله عنده موسى] أقسم الله سبحانه بهذا الجبل تشريفا له وتكريما.

٢ ﴿وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ﴾ المسطور: المكتوب، والمراد بالكتاب القرآن، وقيل هو اللوح المحفوظ، وقيل ألواح موسى.

٣ ﴿فِي رَقٍّ مَنشُورٍ﴾ أي مكتوب في رق. والرق جلد رقيق. قال المبرد: الرق ما رق من الجلد ليكتب فيه، والمنشور المبسوط. [وكانت الرقوق أكثر ما يكتب فيه قبل معرفة القراطيس الورقية].

٤ ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ في السماء السابعة

تعمره الملائكة، ويُعبد الله فيه. ٦ ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ يعني السماء، سماها سقفا لكونها كالسقف للأرض.

٥ ﴿وَالسَّعْدِ الْمَرْفُوعِ﴾ أي الموقد، من السجر، وهو إيقاد النار في التنور. وقد روي أن البحار تسجر يوم القيامة فتكون نارا.

٧ ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ هذا جواب القسم: أي كائن لا محالة لمن يستحقه.

٨ ﴿مَالَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾ يدفعه ويردّه عن أهل النار.

وَالْيَتِّ الْمَعْمُورِ ① وَالسَّفِّ الْمَرْفُوعِ ② وَالْبَحْرِ
الْمَسْجُورِ ③ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ④ مَّالَهُ مِنْ
دَافِعٍ ⑤ يَوْمَ تُمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ⑥ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ
سِيرًا ⑦ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ⑧ الَّذِينَ هُمْ فِي
خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ⑨ يَوْمَ يَدْعُونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً ⑩
هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ⑪ أَفَسِحْرُ هَذَا
أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ⑫ أَصَلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا
سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ⑬ إِنَّ
الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّتٍ وَنَعِيمٍ ⑭ فَكَيْهِنَ بِمَاءٍ أَنَّهُمْ
رَبُّهُمْ وَوَقَّهَهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ⑮ كُلُوا وَاشْرَبُوا
هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ⑯ مُتَكِبِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ
وَزَوْجَتُهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ⑰ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ

٩ «يوم تمور السماء مورا» يوج بعضها في بعض، وهو يوم القيامة.

١٠ «وتسير الجبال سيرا» أي تزول عن أماكنها، وتسير عن مواضعها، كسير السحاب، وتكون هباء منبثا.

١١ «فويل يومئذ للمكذبين» ويل كلمة تقال للهلك، أي إذا وقع ما ذكر من مور السماء وسير الجبال فويل لهم.

١٢ «الذين هم في خوض يلعبون» أي في تردد في الباطل واندفاع فيه يلهون، لا يذكرون حسابا ولا يخافون عقابا، ويخوضون في أمر محمد ﷺ

بالتكذيب والاستهزاء.

١٣ «يوم يدعون إلى نار جهنم دعا» أي: يدفعون إلى النار دفعا عنيفا شديدا.

١٤ «هذه النار التي كنتم بها تكذبون» أي يقال لهم: هذه النار التي تشاهدونها هي النار التي كنتم تكذبون بها في الدنيا.

١٥ «أفسحر هذا» الذي ترون وتشاهدون، كما كنتم تقولون لرسول الله المرسلة ولكتبه المنزلة «أم أنتم لا تبصرون» أي أم أنتم عمي عن هذا كما كنتم عميا عن الحق في الدنيا؟

١٦ «أصلوها فاصبروا أولا

تصبروا» أي إذا لم يمكنكم إنكارها، وتحققتم أن ذلك ليس بسحر، ولم يكن في أبصاركم خلل، فالآن ادخلوها وقاسوا شدتها، ثم اصبروا على العذاب أو لا تصبروا وافعلوا ما شئتم، فالأمران: «سواء عليكم» في عدم النفع «إنما تحزبون ما كنتم تعملون» فإن الجزاء بالعمل، وإذا كان واقعا حتما كان الصبر وعدمه سواء.

١٨ «فاكهين بما آتاهم ربهم» أي هم في الجنة ذوو فاكهة من فواكه الجنة، وقيل: ذوو نعمة وتلذذ بما صاروا فيه مما أعطاهم الله عز وجل، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

١٩ «كلوا واشربوا هنيئا» أي يقال لهم ذلك تهنئة لهم. والهنيء ما لا تنغيص فيه ولا نكد ولا كدر.

٢٠ «متكئين على سرر مصفوفة» المصفوفة المتصل بعضها ببعض حتي تصير صفا «وزوجناهم بحور عين» أي قرنا كل واحد منهم بنساء من نساء الجنة حور عين. والحوراء المرأة إذا كانت شديدة بياض العين شديدة سوادها، والعين كل امرأة عينا، أي واسعة العينين.

٢١ «والذين آمنوا واتبعهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم» أي إن الله سبحانه يرفع ذرية المؤمن إليه، وإن كانوا دونه في العمل، لتقر عينه وتطيب نفسه، وهذا لا يتم إلا أن يكونوا مؤمنين «وما ألتناهم من عملهم من شيء» أي وما نقصنا الآباء بإلحاق ذريتهم بهم من ثواب أعمالهم شيئا «كل امرئ بما كسب رهين» مرتين يوم القيامة بعمله، فإن قام به على الوجه الذي أمره الله به فكله وإلا أهلكه.

ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ
عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾
وَأَمَدَدْنَاهُمْ فِيكَهْ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَنْتَزِعُونَ
فِيهَا كَاسًا وَلَا لَغْوًا فِيهَا وَلَا تَأْنِيمٌ ﴿٢٣﴾ * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ
غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ
عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا
مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَّانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾
إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكَرَ
فَإِنَّكَ أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ
يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ
تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ
أَحْلَمُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ

٢٢ «وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهِة وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ» أي زدناهم على ما كان لهم من النعيم فأكهة متنوعة، ولحماً من أنواع اللحمان، مما تشبه أنفسهم ويستطيون.

٢٣ «يَنْتَازِعُونَ فِيهَا كَاسًا» أي يتعاطون ويتناولون كئوساً من خمر الجنة «لَا لَغْوًا فِيهَا وَلَا تَأْنِيمًا» لا يجري بينهم اللغو ولا ما فيه إثم، كما يجري بين الذين يشربون الخمر في الدنيا، قال ابن قتيبة: لا تذهب بعقولهم فيلغوا كما يكون من خمر الدنيا، ولا يكون منهم ما يؤثمهم.

٢٤ «وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ» أي يطوف عليهم بالكأس والفواكه والطعام وغير ذلك فتبان يخدمونهم «كَأَنَّهُمْ» في الحسن والبهاء «لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ» أي مستور مصون في الصدف لم تمسه الأيدي.

٢٥ «وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ» أي يسأل بعضهم بعضاً في الجنة عن حاله، وما كان فيه من تعب الدنيا وخوف العاقبة.

٢٦ «قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ» خائفين وجلين من عذاب الله، أو كنا خائفين من عصيان الله.

٢٧ «فَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا» بالمغفرة والرحمة، أو بالتوفيق لطاعته «وَوَقَّانَا عَذَابَ السَّمُومِ» هو عذاب النار، وسموم جهنم ما يوجد من حرها. وقيل سميت الريح الحارة سموماً لأنها تدخل المسام.

٢٨ «إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ» أي نوحده الله ونعبده، أو نسأله أن يمتن علينا بالمغفرة والرحمة «إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ» الكثير الإحسان، الكثير الرحمة لعباده.

٢٩ «فَذَكَرَ فَإِنَّكَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ» أي أثبت على ما أنت عليه من الوعظ والتذكير، فأنت بنعمة ربك التي هي النبوة بكاهن ولا مجنون. والكاهن: هو الذي يؤهم أنه

يعلم الغيب من دون وحي. أي ليس ما تقوله كهانة، فإنك إنما تنطق بالوحي الذي أمرك الله بإبلاغه.

٣٠ «أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ» ننتظر به حوادث الأيام فيموت كما مات غيره، أو يهلك كما هلك من قبله [فينقضي أمره وما جاء به من هذا الدين].

٣١ «قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُرَبِّصِينَ» أي انتظروا موتي أو هلاكي، فإنني معكم من المنتظرين لعاقبة الأمر، وأنا واثق من نصر الله تعالى.

٣٢ «أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا» أي بل تأمرهم عقولهم بهذا الكلام المتناقض، وهي دعوى أن القرآن سحر أو كهانة أو شعر. كانت عطاء قريش توصف بالأحلام والعقول فأذرى الله بحلومهم حين لم تثمر لهم معرفة الحق من الباطل «أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ» أي بل أطغوا وجاوزوا الحد في العناد، فقالوا ما قالوا.

٣٣ «أَمْ يَقُولُونَ تَقُولُهُ» أي اختلق القرآن من جهة نفسه وافتعله «بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ» أي سبب صدور هذه الأقوال



﴿أَمْ هُمُ الْمُسِيطِرُونَ﴾ أي المسلطون [على مخلوقات الله في الأرض والسماء يدبرون أمرها كما يشاؤون].

٣٨ ﴿أَمْ هُمُ سَلَمٌ يَسْتَمْعُونَ فِيهِ﴾ أي: بل أيقولون إن لهم سلماً منصوباً إلى السماء يصعدون به، ويستمعون فيه كلام الملائكة، وما يوحى إليهم، ويصلون به إلى علم الغيب كما يصل إليه محمد ﷺ بطريق الوحي ﴿فَلَيَاتٍ مَسْتَمِعُهُمْ﴾ إن ادعى ذلك ﴿بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ أي بحجة واضحة ظاهرة.

٣٩ ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ﴾ أي بل أتجعلون لله البنات، ولكم البنون، ومن كان هذا رأيه فهو بمحل سافل في الفهم والعقل، فلا يستبعد منه إنكار البعث ووجد التوحيد.

٤٠ ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾ يدفعونه إليك على تبليغ الرسالة ﴿فَهُمْ مِنْ مَّغْرَمٍ مَثْقُلُونَ﴾ أي من التزام غرامة تطلبها منهم، فهم مجهودون بحملهم ذلك المغمم الثقيل فلا يستطيعون الإسلام.

٤١ ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ أي بل أيدعون أن عندهم علم الغيب، وهو ما في اللوح المحفوظ فهم يكتبون للناس ما أرادوا من علم الغيب.

٤٢ ﴿أَمْ يَرِيدُونَ كَيْدًا﴾ أي مكرًا برسول الله ﷺ فيهلكونه بذلك المكر ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ أي لمكور بهم المحزيون بكيدهم.

٤٤ ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ﴾ المعنى: أنهم إن يروا قطعاً من النار من السماء ساقطاً عليهم لعذابهم لم ينتهوا عن كفرهم، بل يقولون هو سحب مراكم بعضه على بعض.

٤٥ ﴿فَذَرَهُمْ حَتَّى يَلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ يوم موتهم أو يوم القيامة. والصعقة: الهلاك السريع.

تَقُولُهُ، بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلَيَاتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خُلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصِيطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ هُمُ سَلَمٌ يَسْتَمْعُونَ فِيهِ فَلَيَاتٍ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَّغْرَمٍ مَثْقُلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ هُمُ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرَهُمْ حَتَّى يَلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ

الخالقون﴾ أي: بل أيقولون هم الخالقون لأنفسهم؟ [فإن أقروا بأنهم لم يُخلَقوا في هذا الكون من غير خالق، وأقروا بأنهم ليسوا هم الذين خلقوا أنفسهم، لزمهم أن يقولوا أن لهم خالقاً خلقهم وذلك هو الله تعالى].

٣٦ ﴿بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾ أي ليسوا على يقين من الأمر، بل يخبطون في ظلمات الشك في وعد الله ووعيده.

٣٧ ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ﴾ بأيديهم مفاتيح ربك بالرسالة فيضعوها حيث شاؤوا. وقيل: خزائن المطر والرزق

المتناقضة عنهم كونهم كفاراً لا يؤمنون بالله، ولا يصدقون ما جاء به رسوله.

٣٤ ﴿فَلَيَاتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ﴾ مثل القرآن في نظمه وحسن بيانه وبديع أسلوبه ﴿إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ فيما زعموا من قولهم: إن محمداً ﷺ يقول ما جاء به من جهة نفسه، مع أنه كلام عربي، وهم رؤوس العرب وفصحاؤهم والممارسون لجميع الأوضاع العربية من نظم ونثر.

٣٥ ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ أي بل أخلقوا على هذه الكيفية البديعة والصنعة المعجبية من غير خالق لهم ﴿أَمْ هُمُ

كَبَدَهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا
عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَصْبِرْ
لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ
تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾

(٥٣) سُورَةُ الْجَنَّةِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّاهَا ثَنَانٌ وَسَلْتُونُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾
وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾
عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ
بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ

٤٦ ﴿يَوْم لَا يَغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾
أي لا ينفعهم في ذلك اليوم كيدهم
الذي كادوا به رسول الله ﷺ في الدنيا
﴿وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ أي ولا يمنع عنهم
العذاب النازل بهم مانع، بل هو واقع
بهم لا محالة.

٤٧ ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ
ذَلِكَ﴾ أي قبله، وهو قتلهم يوم بدر.
وقال ابن زيد: هو مصائب الدنيا من
الأوجاع والأسقام والبلايا، وذهاب
الأموال والأولاد. وقيل: عذاب القبر.

٤٨ ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ إلى أن يقع
لهم العذاب الذي وعدناهم به ﴿فَإِنَّكَ
بِأَعْيُنِنَا﴾ أي بمراى ومنظر منا، وفي
حفظنا وحمايتنا، فلا تبال بهم ﴿وَسَبِّحْ
بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ من مجلسك.
فيقول «سبحان الله وبحمده» أو
«سبحانك اللهم وبحمدك» عند قيامه
من كل مجلس يجلسه.

٤٩ ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ أمره الله
سبحانه أن يسبحه في بعض الليل. وقال
مقاتل: أي صل المغرب والعشاء، وقيل:
ركعتي الفجر ﴿وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾ أي
وقت إدبارها من آخر الليل، وقيل:
صلاة الفجر.

- ٣ ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ أي ما ينطق
بالقرآن عن هواه.
٤ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ أي ما
ينطق به إلا بوحى من الله يوحى إليه.
٥ ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ أي علمه إياه
جبريل الذي هو شديد قواه.
٦ ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ المرة: القوة والشدة في
الخلق. وقيل: ذو حصافة عقل ومتانة
رأى ﴿فَاسْتَوَى﴾ يعني جبريل قام في
صورته التي خلقه الله عليها [فَسَدَّ الْأُفُقُ
عندما جاء بالوحي إلى النبي ﷺ أول ما
جاءه بالوحي].
٨ ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ أي استوى جبريل
بالأفق أولا ثم قرب من الأرض، فتدلى
فنزل على النبي ﷺ بالوحي.
٩ ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ أي فكان
مقدار ما بين جبريل ومحمد ﷺ من
المسافة قدر قوسين، والقاب: المقدار ﴿أَوْ
أَدْنَى﴾ أو أقل من قوسين.
١٠ ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ أي
فأوحى جبريل إلى عبد الله ورسوله محمد
ﷺ [ما أوحاه من القرآن في تلك النزلة].
١١، ١٢ ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾
أفتمارونه على ما يرى، أي إن فؤاد

سُورَةُ الْجَنَّةِ

١ ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ يقسم الله تعالى
بالنجوم عندما تميل للغروب. [أي كأنه
ينبه إلى أن هواها ينبغي أن يدل على
بطلان عبادتها].

٢ ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ أي ما ضل
محمد ﷺ عن الحق والهدى ولا عدل عنه
عندما جاءكم بهذا القرآن ﴿وَمَا غَوَى﴾
أي: ما صار غاويا، ولا تكلم بالباطل.

العظام ما لا يحيط به الوصف.

١٩ ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى﴾ اللات: اسم صنم أنثى، مأخوذ من اسم الله ﴿والعزى﴾ قال مجاهد: هي شجرة كانت بغطفان، وكانوا يعبدونها، فبعث إليها النبي ﷺ خالد بن الوليد فقطعها.

٢٠ ﴿وَمَنَاة﴾ صنم أنثى كانت للأوس والخزرج، بين مكة والمدينة، وقال عنها ﴿الثالثة الأخرى﴾ للتحقير والذم.

٢١ ﴿الْكُفْرَ الْذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى﴾ أي أخبروني عن هذه الآلهة الإناث اللاتي جعلتموهن بنات لله كيف تجعلون لله ما تكرهون؟

٢٢ ﴿تِلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾ خارجة عن الصواب جائزة عن الحق.

٢٣ ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ﴾ لأنها لا تبصر ولا تسمع، ولا تعقل ولا تفهم، ولا تضر ولا تنفع، فليست إلا مجرد أسماء سميتوها آلهة أنتم وآباؤكم، قلد الآخر فيها الأول، وتبع في ذلك الأبناء الآباء ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ من حجة ولا برهان تحتجون به على أنها آلهة ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ والظن لا يغني من الحق شيئاً ﴿وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾ أي تميل إليه وتشتهي من غير التفات إلى ما هو الحق الذي يجب الاتباع له ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾ أي البيان الواضح الظاهر بأنها ليست بآلهة، وهو هذا القرآن الذي هو الحجة والبرهان من عند الله على لسان رسوله الذي بعثه الله بين ظهرائهم وجعله من أنفسهم.

٢٤ ﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمْنَى﴾ ينكر الله تعالى عليهم أن يكون لهم ما يتمنون من كون الأصنام تنفعهم وتشفع لهم.

٢٥ ﴿فَلِللَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾ فليس للأصنام معه أمر في الدنيا ولا الآخرة.

قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴿٩﴾ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴿١١﴾ أَفَتُمَرُونَهُ عَلَى مَا يَرَى ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴿١٤﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَى مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴿١٨﴾ أَفَرَأَيْتُمْ آلَ لُتِّ وَالْعُزَّى ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ ضِيزَى ﴿٢٢﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ﴿٢٣﴾ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى ﴿٢٤﴾ أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمْنَى ﴿٢٥﴾ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى ﴿٢٦﴾ * وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي

١٥ ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ وسميت جنة المأوى، قيل: لأن أرواح المؤمنين تأوي إليها.

١٦ ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ قيل: يغشاها جراد من ذهب، وقيل طوائف من الملائكة، وقيل غشيا أمر الله.

١٧ ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ﴾ أي ما مال بصر النبي ﷺ عما رآه ﴿وَمَا طَغَى﴾ أي ما جاوز ما رأى [فهو رؤية عين وليست من خدع البصر].

١٨ ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ أي لقد رأى تلك الليلة من آيات ربه

محمد صادق، فتكون عينه أصدق، هذا هو المعتاد عند البشر، وقد رأى جبريل بعيني رأسه، فكيف تجادلونه فيما يراه].

١٣ ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ أي رأى محمد ﷺ جبريل نازلاً مرة أخرى، [على صورته التي خلقه الله عليها، وذلك ليلة الإسراء، أما في غير هاتين المرتين فكان يراه في صورة إنسان ليكون عليه أيسر].

١٤ ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ وهذه السدرة هي في السماء السادسة كما في الصحيح، قيل: إليها ينتهي علم الخلائق ولا يعلم أحد منهم ما وراءها.



شَفَعَتْهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ
وَيَرْضَى ﴿٢٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ
الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْإِنثَى ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ
إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ
شَيْئًا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ
إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ
رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ
اهْتَدَى ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَفَوْا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا
بِالْحُسْنَى ﴿٣١﴾ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ
إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ
أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ

٢٦ ﴿وَكُم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا

تَغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا﴾ أي إذا كانت الملائكة، مع كثرة عبادتها وكرامتها على الله لا تشفع إلا لمن أذن أن يشفع له، فكيف بهذه الجمادات الفاقدة للعقل والفهم ﴿إِلَّا مَنْ بَعْدَ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ﴾ لهم بالشفاعة ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ أن يشفعوا له ﴿وَيَرْضَى﴾ بالشفاعة له لكونه من أهل التوحيد، وليس للمشركين في ذلك حظ.

٢٧ ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ

لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْإِنثَى﴾ زعموا أنها بنات الله، فجعلوهم إناثا وسموهم بنات.

٢٨ ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾ فإنهم لم

يعرفوهم ولا شاهدوهم، ولا بلغ إليهم ذلك من طريق من الطرق التي يخبر عنها المخبرون، بل قالوا ذلك جهلا وضلالة وجراءة ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ وهو التوهم.

٢٩ ﴿فَأَعْرِضْ عَمَّن تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا﴾

أي أعرض عمن أعرض عن القرآن، أو ذكر الله، فترك مجادلتهم فقد بلغت إليهم ما أمرت به وليس عليك إلا البلاغ.

٣٠ ﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ أي إن

قصر الإرادة على الحياة الدنيا هو مبلغهم من العلم، ولا يلتفتون إلى سواه من أمر الدين.

٣١ ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا﴾

أي وعاقبة أمر الخلق الذين فيهم المحسن والمسيء أن يجزي الله كلا بعمله، ويحتمل أن المعنى: فأعرض عمن تولى فإن الله سيجزي الذين أساءوا والذين أحسنوا، فقد بلغت.

٣٢ ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ﴾ أي

إن الذين أحسنوا هم الذين يجتنبون كبائر الإثم. والكبائر كل ذنب توعده الله عليه بالنار ﴿وَالْفَوَاحِشَ﴾ كالزنى والشرك. قيل: كبائر الإثم كل ذنب ختم

بالنار، والفواحش كل ذنب فيه الحد ﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾ وهو صفائر الذنوب. قيل هو ما كان دون الزنى من القبلة والغمزة والنظرة. أخرج البخاري ومسلم وغيرها عن ابن عباس، قال: ما رأيت شيئا أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبي ﷺ قال «إن الله كتب على ابن آدم حفظه من الزنى، أدرك ذلك لا محالة، فزنى العين النظر، وزنى اللسان النطق، والنفس تتمنى وتشتي، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه» ﴿إِنْ رَبُّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ أي إن ذلك اللوم، وإن خرج

عن حكم المؤاخذه، فليس يخلو عن كونه ذنبا [يفغره الله ويمحوه بواسع رحمته ومغفرته] ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ أي خلقكم منها في ضمن خلق أبيكم آدم، فإنه خلقه من طين [فكان بطباعكم عالما] ﴿وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ﴾ أي وهو أعلم بأحوالكم وقت كونكم أجنة. والجنين هو الولد ما دام في البطن ﴿فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ [أي علم في تلك الأحوال أنكم لا بد أن تلموا بصغائر الذنوب] ﴿فَلَا تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أي لا تمدحوها ولا تبرئوها عن الآثام ولا

فَلَا تَرْكُوا أَنْفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ۖ (٣٢) أَفَرَأَيْتَ
الَّذِي تَوَلَّى ۖ (٣٣) وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ۖ (٣٤) أَعِنْدَهُ عِلْمُ
الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى ۖ (٣٥) أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ۖ (٣٦)
وَإِبْرَاهِيمَ ۖ (٣٧) الَّذِي وَفَّى ۖ (٣٨) أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ۖ (٣٩)
وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ۖ (٤٠) وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ
يُرَى ۖ (٤١) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوَّلَى ۖ (٤٢) وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ
الْمُنْتَهَى ۖ (٤٣) وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ۖ (٤٤) وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ
وَأَحْيَا ۖ (٤٥) وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ۖ (٤٦)
مِنْ نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى ۖ (٤٧) وَأَنْ عَلَيْهِ النَّشْأَةُ الْأُخْرَى ۖ (٤٨)
وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى ۖ (٤٩) وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى ۖ (٥٠)
وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى ۖ (٥١) وَثَمُودًا ۖ (٥٢) أَتَبَى
وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْفَى ۖ (٥٣)

منقوص، على أتم ما يكون.

٤٢ ﴿وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ أي المرجع والمصير إليه سبحانه لا إلى غيره، فيجازيهم بأعمالهم.

٤٣ ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ أضحك أهل الجنة في الجنة وأبكى أهل النار في النار، أو أضحك من شاء في الدنيا بأن سره، وأبكى من شاء بأن غمه.

٤٤ ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ أي قضى أسباب الموت والحياة، ولا يقدر على ذلك غيره.

٤٥ ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ من كل [إنسان أو حيوان].

٤٦ ﴿مِنْ نُّطْفَةٍ﴾ النطفة الماء القليل ﴿إِذَا تُمْنَى﴾ إذ تصب في الرحم، وتدفق فيه.

٤٧ ﴿وَأَنْ عَلَيْهِ النَّشْأَةُ الْأُخْرَى﴾ أي إعادة الأرواح إلى الأجسام عند البعث.

٤٨ ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى﴾ أي أعطى البعض بقدر ما يغنيه عن الناس وزاد آخرين مالا فوق الغنى.

٤٩ ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى﴾ هي كوكب خلف الجوزاء كانت خزاعة تعبدها، وقيل: إنما ذكر سبحانه أنه رب الشمرى مع كونه ربا لكل الأشياء للرد على من كان يعبدها.

٥٠ ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾ وهي أول أمة أهلك بعد نوح. قيل عاد الأولى قوم هود، وعاد الأخرى إرم.

٥١ ﴿وَتَمُودًا ۖ فَا أَتَبَى﴾ أي وأهلك ثمودا كما أهلك عادا فَا أَتَبَى أحدا من الفريقين.

٥٢ ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ﴾ أي من قبل إهلاك عاد وثمود ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْفَى﴾ أي أظلم من عاد وثمود وأطفى منهم، كانوا كذلك لأنهم عتوا على الله بالمعاصي مع طول مدة دعوة نوح لهم.

الصحف التي أعطاها الله إبراهيم الذي تم وأكمل ما أمر به، وقيل: بالغ في الوفاء بما عاهد الله عليه.

٣٨ ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ لا تؤخذ نفس بذنب غيرها.

٣٩ ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ المعنى ليس له إلا أجر سعيه وجزاء عمله [ولا يستحق أجرا عن عمل لم يعمله].

٤٠ ﴿وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يَرَى﴾ أي: سيعرض عليه ويكشف له يوم القيامة.

٤١ ﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ﴾ أي يجزي الإنسان سعيه ﴿الْجَزَاءَ الْأَوَّلَى﴾ أي كاملا غير

تشنوا عليها [بأنكم تنزهتم حتى عن الصغائر]

٣٣ ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى﴾ عن الخير وأعرض عن اتباع الحق،

٣٤ ﴿وَأَكْدَى﴾ يقال: أكدى الرجل إذا قل خيره.

٣٥ ﴿أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى﴾ المعنى: أعند هذا المكدي علم ما غاب عنه من أمر العذاب، فهو يعلم ذلك.

٣٦ ﴿بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى﴾ يعني الأسفار التي أوتيا، وهي التوراة؛

٣٧ ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ أي وما في

وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى ۝٥٣ فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى ۝٥٤ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى ۝٥٥ هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذْرِ الْأُولَى ۝٥٦ أَزِفَتِ الْأَافَاقُ ۝٥٧ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ۝٥٨ أَفِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعَجُّبُونَ ۝٥٩ وَتَضَحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۝٦٠ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ ۝٦١ فَاتَّجِدُوا لِلَّهِ وَأَعْبُدُوا ۝٦٢

(٥٤) سُورَةُ الْقَمَرِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا خَمْسُونَ وَخَمْسُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ ۝١ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ۝٢ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا ۝٣ وَيَقُولُوا سَحَرٌ مُسْتَمِرٌّ ۝٤ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۝٥

٥٣ ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى﴾ المؤتفكة مدائن قوم لوط، وسميت المؤتفكة لأنها انقلبت بهم وصار عليها سافلها، أهواها جبريل بعد أن رفعها.

٥٤ ﴿فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى﴾ أي ألبسها ما ألبسها من الحجارة التي وقعت عليها، ومن العذاب ما غشى على اختلاف أنواعه.

٥٥ ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى﴾ أي فبأي نعم ربك أيها الإنسان المكذب تشكك وتمتري

٥٦ ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذْرِ الْأُولَى﴾ أي هذا محمد رسول ليكم كالرسل المتقدمين قبله، فإنه أنذركم كما أنذروا قومهم.

٥٧ ﴿أَزِفَتِ الْأَافَاقُ﴾ أي قربت الساعة وذنت، لقرب قيامها.

٥٨ ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ أي ليس لها نفس قادرة على كشفها إذا غشيت الخلق بشدائدها وأهواها غير الله.

٥٩ ﴿أَفِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعَجُّبُونَ﴾ أي كيف تعجبون منه تكذيباً؟

٦٠ ﴿وَتَضَحَكُونَ﴾ منه استهزاء، مع كونه غير محل للتكذيب ولا موضع للاستهزاء ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾ خوفاً وانزعاجاً لما فيه من الوعيد الشديد.

٦١ ﴿وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ﴾ أي شاعون برؤوسكم تكبراً. وقيل: سامدون، أي: لاهون عنه بأنواع اللهو.

٦٢ ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ أمر بالسجود لله والعبادة له، أي فإنه المستحق لذلك منكم. وقد ورد أن النبي ﷺ سجد عند تلاوة هذه الآية، وسجد معه المسلمون والكفار.

سُورَةُ الْقَمَرِ

١ ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ قربت، أي قد صارت باعتبار نسبة ما بقي بعد النبوة

المحمدية إلى ماضى من الدنيا قريبة، أو المراد: تحقق وقوعها ﴿وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ أي وقد انشق القمر معجزة لرسول الله ﷺ وروى عثمان بن عطاء عن أبيه أنه قال: المعنى: سينشق القمر، قال ابن كثير: قد كان الانشقاق في زمان رسول الله ﷺ كما ثبت ذلك في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة، وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات. أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أنس أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم القمر شقَّتَيْنِ، حتى رأوا

حراءَ بينها. وأخرجنا عن ابن مسعود قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين، فرقة فوق الجبل، وفرقة دونه، فقال رسول الله ﷺ «اشهدوا».

٢ ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً﴾ قال المفسرون: لما انشق القمر قال المشركون: سَحَرْنَا مُحَمَّدًا، فقال الله (وَإِنْ يَرَوْا آيَةً) يعني انشقاق القمر ﴿يُعْرَضُوا﴾ عن التصديق والإيمان بها ﴿وَيَقُولُوا سَحَرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ أي قوى شديد يعملو كل سحر، من قولهم استمر الشيء إذا قوى واستحكم، وقيل مستمر أي دائم مطرد.





وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ ۝ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝ حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ ۖ فَا تُغْنِ النُّذُرُ ۝ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكْرٍ ۝ خُشْعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ۝ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ۝ فَدَعَا رَبُّهُ ۖ إِنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرْ ۝ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّثَمَرٍ ۝ وَخَرَرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۝ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ الْأَوْجِ وَدُسِّرَ ۝ تَجْرَىٰ بِأَعْيُنِنَا جَزَاءٌ لِّمَن كَانَ كُفِرَ ۝ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مَّذَكِرٍ ۝ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ

الذل والهوان] كأنهم لكثرتهم واختلاطهم جراد منبث مختلط بعضه ببعض.

٨ «مهطعين إلى الداع» مسرعين إلى الداعي، وهو إسرافيل «يقول الكافرون هذا يوم عسر» صعب شديد على الكفار، ولكنه ليس بشديد على المؤمنين. ٩ «وقالوا مجنون» نسبوا نوحا إلى الجنون «وازدجر» أي وزجر عن دعوى النبوة وعن تبليغ ما أرسل به بأنواع الزجر، وبالسب وأنواع الأذى.

١٠ «فدعا ربه أني مغلوب فانتصر» أي انتقم لي منهم. طلب النصر عليهم لما علم تمردهم وعتوهم وإصرارهم على ضلالتهم.

١١ «ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر» أي منصب انصبابا شديدا.

١٢ «وفجرنا الأرض عيونا» أي جعلنا الأرض كلها عيونا متفجرة «فالتقى الماء على أمر قد قدر» أي التقى ماء السماء وماء الأرض على أمر قد قضى عليهم. وقال قتادة: قدر لهم إذ كفروا أن يفرقوا.

١٣ «وحملناه على ذات ألواح ودسر» أي وحملنا نوحا على سفينة ذات ألواح، وهي الأخشاب العريضة، ودسر، وهي المسامير التي تشد بها الألواح.

١٤ «تجري بأعيننا» أي بمنظر ومرأى منا وحفظ لها «جزاء لمن كان كفرا» أي ثوابا لنوح عليه السلام، فإنه كان لهم نعمة كفروها.

١٥ «ولقد تركناها آية» أي السفينة أبقاها الله عبرة للمعتبرين، وقيل المعنى: ولقد تركنا هذه الفعلة التي فعلناها بهم عبرة وموعظة «فهل من مذكر» هل من متعظ ومعتبر يتعظ بهذه الآية ويعتبر بها.

١٦ «فكيف كان عذابي ونذر» أي كان على كيفية هائلة عجيبة لا يحيط بها الوصف.

الذر شيئا عن المعاندين، فإن عنادهم يصرفهم عن قبول الحق].

٦ «فتول عنهم» أي أعرض عنهم يا محمد ولا تتعب نفسك بدعوتهم، حيث لم يؤثر فيهم الإنذار «يوم يدع الداع إلى شيء نكر» أي واذكر يا محمد هذا اليوم. والداعي: هو إسرافيل، والشيء النكر: الأمر الفظيع الذي ينكرونه استعظاما له لعدم تقدم العهد لهم بمثله.

٧ «خشعا أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر» أي يخرجون من القبور [كليلة أبصارهم من

٣ «وكل أمر مستقر» منتو إلى غاية، فالخير يستقر بأهل الخير، والشر يستقر بأهل الشر. أو: لكل أمر حقيقة: ما كان منه في الدنيا فيظهر، وما كان منه في الآخرة فيعرف.

٤ «ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر» أي ولقد جاء كفار مكة من أخبار الأمم المكذبة المقصومة عليهم في القرآن ما فيه كفاية لكفهم عن سوء.

٥ «حكمة بالغة» المعنى أن القرآن حكمة قد بلغت الغاية، ليس فيها نقص ولا خلل [أي لن تغني

لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ ﴿١٧﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ
عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ
نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أُجْعَازُ نَخْلٍ
مُنْقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا
الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ
بِالنُّذْرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشْرًا مِثَّا وَاحِدًا تَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَبِئْنَا
ضَلَّلِي وَسُعْرٍ ﴿٢٤﴾ أَهْلَقِيَ الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ
كَذَّابٌ أَشِرٌّ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَّابِ الْأَشِرِّ ﴿٢٦﴾
إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾
وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾
فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي
وَنُذْرٍ ﴿٣٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيَّعَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمٍ

١٧ «ولقد يسرنا القرآن للذكر» أي سهلناه للحفظ، وأعنا عليه من أراد حفظه، وقيل هيأناه للتذكر والاتعاظ «فهل من مدكر» أي متعظ بمواعظه ومعتبر بعبره. وفي الآية الحث على درس القرآن، والاستكثار من تلاوته، والمسارة في تعلمه.

١٨ «كذبت عاد» هم قوم هود «فكيف كان عذابي ونذر» أي فاسمعوا كيف كان عذابي لهم وإنذاري لياهم.

١٩ «إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا» شديدة البرد، وقيل الصرصر شديدة الصوت «في يوم نحس مستمر» أي دائم الشؤم استمر عليهم بنحوه.

٢٠ «تنزع الناس» أي تقلمهم من الأرض من تحت أقدامهم اقتلاع النخلة من أصلها. قال مجاهد: كانت تقلمهم من الأرض فترمي بهم على رؤوسهم، فتدق أعناقهم وتبين رؤوسهم من أجسادهم، وقيل تنزع الناس من البيوت وطرحتهم على وجوههم بالنخل الساقط على الأرض التي ليست لها رؤوس.

٢٣ «كذبت ثمود بالنذر» أي كذبت بالرسول المرسل إليهم، بتكذيبهم لرسولهم وهو صالح، ومن كذب واحدا من الأنبياء فقد كذب سائرهم، لا تفاقم في الدعوة إلى كليات الشرائع.

٢٤ «فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه» أي كيف نتبع بشرا كائنا من جنسنا، منفردا وحده، لا متابع له على ما يدعو إليه «إنا إذا لقي ضلال» أي إنا إذا اتبعناه لقي خطأ وذهاب عن الحق «وسعير» أي عذاب وعناء وشدة، وقيل المراد به هنا الجنون.

٢٥ «ألقى الذكر عليه من بيننا» أي كيف خص من بيننا بالوحي والنبوة،

وفينا من هو أحق بذلك منه «بل هو كذاب أشر» والأشر: المرح والنشاط، أو البطر والتكبر.

٢٦ «سيعلمون غدا» المراد بقوله غدا وقت نزول العذاب بهم في الدنيا.

٢٧ «إنا مرسلو الناقة» أي إنا نخرجوها من الصخرة على حسب ما اقترحوه «فتنة هم» أي ابتلاء وامتحاننا «فارتقبهم» أي انتظر ما يصنعون «واصطبر» على ما يصيبك من الأذى منهم.

٢٨ «ونبئهم أن الماء قسمة بينهم» أي بين ثمود وبين الناقة، لها يوم ولهم يوم،

كما في قوله (لها شرب ولكم شرب يوم معلوم) «كل شرب محتضر» الشرب الحظ من الماء، قال مجاهد: إن ثمود يحضرون الماء يوم نوبتهم فيشربون، ويحضرون يوم نوبتها فيحتلبون.

٢٩ «فننادوا صاحبهم» أي نادى ثمود صاحبهم، وهو قدار بن سالف عاقر الناقة، يحضونه على عقرها «فتعاطى فعقر» أي تناول الناقة بالعقر فعقرها، أو اجتريا على تعاطى أسباب العقر فعقر.

قال محمد بن إسحاق: كمن لها في أصل شجرة على طريقها، فرماها بسهم فانتظم

أرادوا منه تمكينهم من أتاه من الملائكة ليفجروا بهم كما هو دأبهم **﴿فطمسنا أعينهم﴾** أي صيرنا أعينهم ممسوحة لا يرى لها شق، كما تطمس الريح الأعلام بما تسفي عليها من التراب. وقيل: أذهب الله نور أبصارهم مع بقاء الأعين على صورتها **﴿فذوقوا عذابي ونذر﴾** تقدم تفسيره.

٣٨ ﴿ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر﴾ أتاها صباحا عذاب مستقر بهم نازل عليهم لا يفارقهم ولا ينفك عنهم.

٤١ ﴿ولقد جاء آل فرعون النذر﴾ النذر موسى وهارون. ويجوز أن تكون هي الآيات التي أنذرهم بها موسى.

٤٢ ﴿كذبوا بآياتنا كلها﴾ والمراد بها الآيات التسع التي تقدم ذكرها **﴿فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر﴾** أي أخذناهم بالعذاب أخذ غالب في انتقامه، قادر على إهلاكهم، لا يعجزه شيء.

٤٣ ﴿أكفاركم خير من أولئكم﴾ أي ليس كفاركم يا أهل مكة، أو يامعشر العرب، خيراً من كفار من تقدمكم من الأمم الذين أهلكوا بسبب كفرهم، فلستم أفضل منهم حتى تكونوا بآمن مما أصابهم من العذاب عند تكذيبهم لرسولهم **﴿أم لكم براءة في الزبر﴾** المعنى إنكار أن تكون لهم براءة من عذاب الله في شيء من كتب الأنبياء.

٤٤ ﴿أم يقولون نحن جميع منتصر﴾ أي جماعة لا نطق لكثرة عددا وقوتنا، أو أمرنا مجتمع لا نغلب، بل نتصر من أعدائنا.

٤٥ ﴿سيهزم الجمع﴾ أي جمع كفار مكة، أو كفار العرب على العموم **﴿ويولون الدبر﴾** وقد هزمهم الله يوم بدر وولوا الأدبار، وقتل رؤساء الشرك وأساطين الكفر، فله الحمد.

الْمُحْتَظِرِ ٣١ ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ٣٢﴾ كَذَبَتْ قَوْمٌ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ٣٣ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ٣٤﴾ نِعْمَةٌ مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ٣٥ ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ٣٦﴾ وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ ٣٧ ﴿فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِي ٣٨﴾ وَلَقَدْ صَبَحَهمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقَرٌّ ٣٩ ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِي ٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ٤٠ ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ٤١﴾ كَذَبُوا بِعَايَتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ ٤٢ ﴿أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ ٤٤ ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ

ترميم بالحصباء، وهي الحصى **﴿إلا آل لوط نجيناهم بسحر﴾** يعني لوطا ومن تبعه، والسحر آخر الليل.

٣٥ ﴿نعمة من عندنا﴾ إنعاما منا على لوط ومن تبعه **﴿كذلك نجزي من شكر﴾** أي مثل ذلك الجزاء نجزي من شكر نعمتنا ولم يكفرها.

٣٦ ﴿ولقد أنذرهم بطشتنا﴾ أي أنذر لوط قومه بطشة الله بهم، وهي عذابه الشديد وعقوبته البالغة **﴿فتماروا بالنذر﴾** أي شكوا في الإنذار ولم يصدقوه.

٣٧ ﴿ولقد راودوه عن ضيفه﴾ أي

به عضلة ساقها، ثم شد عليها بالسيف، فكسر عرقوها، ثم نحرها.

٣١ ﴿إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة﴾ يريد صيحة جبريل **﴿فكانوا كهشيم﴾** المحتظر صاحب الحظيرة، وهو الذي يتخذ لغنمه حظيرة تمنع عنها البرد والريح، والمعنى أنهم صاروا كالعشب اليابس في الحظيرة إذا داسته الغنم بعد سقوطه.

٣٣ ﴿كذبت قوم لوط بالنذر﴾ تقدم تفسيره.

٣٤ ﴿إنا أرسلنا عليهم حاصبا﴾ أي ريحا

وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ ۝٤٦ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ
وَسُعْرٍ ۝٤٧ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا
مَسَّ سَقَرَ ۝٤٨ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩ وَمَا أَمَرْنَا
إِلَّا وَاحِدَةً كَلِمَةً بِالْبَصَرِ ۝٥٠ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ
فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ۝٥١ وَكُلَّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ۝٥٢
وَكُلَّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ ۝٥٣ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ
وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِي مَقْعَدٍ صَدِيقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ ۝٥٥

(٥٥) سُورَةُ الْاِنْشَاءِ
وَاٰيٰتُهَا ثَمَانٌ وَسِتُّعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّحْمَنُ ۝١ عِلْمَ الْقُرْآنِ ۝٢ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝٣

٤٦ **﴿بل الساعة موعدهم﴾** أي موعد عذابهم الأخروي، وليس هذا العذاب الكائن في الدنيا بالقتل والأسر والقهر هو تمام ما وعدوا به من العذاب، وإنما هو مقدمة من مقدماته، وطلبة من طلائعه **﴿والساعة أذهى﴾** أي وعذاب الساعة أعظم في الضرر وأفظع **﴿وامر﴾** أي أشد مرارة من عذاب الدنيا.

٤٧ **﴿إن المجرمين في ضلال وسعر﴾** تقدم في هذه السورة تفسيره.

٤٨ **﴿يوم يسحبون في النار على وجوههم﴾** يقال لهم: **﴿ذوقوا مس سقر﴾** أي قاسوا حرها وشدة عذابها.

٤٩ **﴿إننا كل شيء خلقناه بقدر﴾** المعنى أن كل شيء من الأشياء خلقه الله سبحانه ملتبسا بقدر قدره.

٥٠ **﴿وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر﴾** أي إلا مرة واحدة، أو كلمة واحدة، كلمح بالبصر في سرعته. ولح البصر إغماض البصر ثم فتحه.

٥١ **﴿ولقد أهلكنا أشياعكم﴾** أي أشباهكم ونظراءكم يا معشر قريش في الكفر من الأمم، وقيل أتباعكم وأعوانكم **﴿فهل من مدكر﴾** يتذكر ويتعظ بالمواعظ ويعلم أن ذلك حق، فيخاف العقوبة وأن يحل به ما حل بالأمم السالفة.

٥٢ **﴿وكل شيء فعلوه في الزبر﴾** أي جميع ما فعلته الأمم من خير أو شر مكتوب في اللوح المحفوظ، وقيل في كتب الحفظ.

٥٣ **﴿وكل صغير وكبير مستطر﴾** أي كل شيء من أعمال الخلق وأقوالهم وأفعالهم مسطور في اللوح المحفوظ صغيره وكبيره، وجليله وحقيقه.

٥٤ **﴿إن المتقين في جنات ونهر﴾** أي في بساتين مختلفة وجنان متنوعة وأنهار متدفقة [من الماء وسائر الأشربة المتعة].

٥٥ **﴿في مقعد صدق﴾** أي في مجلس حق لا لغوفيه ولا تائيم، وهو الجنة **﴿عند ملك مقتدر﴾** أي قادر على ما يشاء، لا يعجزه شيء، فهم عنده في الكرامة وشرف المنزلة.

سُورَةُ الْاِنْشَاءِ

١، ٢ **﴿الرحمن. علم القرآن﴾** لما كانت هذه السورة لتعداد نعم الله التي أنعم بها على عباده، قلّم النعمة التي هي أجلها قدرا، وأكثرها نفعا، وأتمها فائدة، وأعظمها عائدة، وهي نعمة تعليم

القرآن، فإنها مدار سعادة الدارين. ٣ ثم امتنّ بنعمة الخلق فقال **﴿خلق الإنسان﴾**. ٤ ثم امتنّ ثالثا بتعليمه البيان الذي يكون به التفاهم، ويدور عليه التخاطب، فقال: **﴿علمه البيان﴾** والمراد بالبيان أسماء كل شيء، وقيل المراد به اللغات.

٥ **﴿الشمس والقمر بحسبان﴾** أي: يجريان بحساب ومنازل لا يعدوانها، ويدلان بذلك على عدد الشهور والسنين.



الحب: هو جميع ما يقتات من الحبوب،
والعصف: هو بقل الزرع، وهو أول ما
ينبت منه، وقال الحسن: العصف
الستب، والريحان الورق، وقيل: إنه
الريحان المعروف الذي يشم.

١٣ ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾
الخطاب للجن والإنس، والآء: النعم.
عدد الله في هذه السورة نفعه،
وذكر خلقه آلاءه. ثم أتبع كل خصلة
وضعها بهذه الآية، وجعلها فاصلة بين
كل نعمتين لينبههم على النعم،
ويقرّهم بها، كما تقول لمن تتابع له
إحسانك وهو يكفره: ألم تكن فقيراً
فأغنيتك؟ أفنتكر هذا؟ ألم تكن خاملاً
فعمزتك؟ أفنتكر هذا؟ ألم تكن راجلاً
فحملتك؟ أفنتكر هذا؟ والتكرير حسن
في مثل هذا.

١٤ ﴿وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾
الصلصال الطين إذا يبس،
يسمع له صلصلة، والفخار الحرف الذي
طبخ بالنار.

١٥ ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾
المارج: الشعلة الصاعدة ذات اللهب
الشديد.

١٧ ﴿رَبِّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبِّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾
مشرقاً الشمس في الشتاء والصيف
ومغرباًها.

١٩ ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ أي
يتجاوران لا فصل بينهما في مرأى
العين، ومع ذلك فلم يختلطا.

٢٠ ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ أي: حاجز يحجز
بينهما **﴿لَا يَبْغِيَانِ﴾** أي: لا يبغني
أحدهما على الآخر، بأن يدخل ويختلط
به. وقال ابن جريج: هما البحر المالح
والأنهار العذبة.

٢٢ ﴿يَخْرُجُ مِنْهَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾
اللؤلؤ: الدر الذي يخرج من الصدف
والمرجان: الخرز الأحمر المعروف.

عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿١﴾ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٢﴾
وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٣﴾ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ
الْمِيزَانَ ﴿٤﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٥﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ
بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا
لِلْأَنَامِ ﴿٧﴾ فِيهَا فَكْهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴿٨﴾
وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴿٩﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿١٠﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴿١١﴾
وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٤﴾
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٥﴾ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ
يَلْتَقِيَانِ ﴿١٦﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ يَخْرُجُ مِنْهَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿١٩﴾

٩ ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾ أي: قوموا
وزنكم بالعدل **﴿وَلَا تَخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾**
أي لا تنقصوه: أمر سبحانه أولاً
بالتسوية، ثم نهى عن الطغيان الذي هو
المجاوزة للحد بالزيادة، ثم نهى عن
الخسران الذي هو النقص والبخس.
١١ ﴿فِيهَا فَكْهَةٌ﴾ الفاكهة كل ما
يتفكه به من أنواع الثمار **﴿وَالنَّخْلُ
ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾** الكُم بالكسر هو وعاء
الطلع من النخلة إذا أطلعت، يكون فيه
الطلع قبل أن يتفتق عنه.
١٢ ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾

٦ ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ النجم
ما لا ساق له من النبات، والشجر ماله
ساق. والمراد بسجودهما انقيادهما لله
تعالى انقياد الساجدين من المكلفين.
٧ ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا﴾ جعل السماء مرفوعة
فوق الأرض **﴿وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾** أي
وضع في الأرض العدل الذي أمر به.
٨ ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ أي لا
تجاوزوا العدل. وقال الحسن: المراد به
آلة الوزن، أمر بها ليتوصل بها إلى
الإنصاف والانتصاف، وقيل: الميزان
القرآن.

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ
 فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾
 كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ
 وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾
 يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي
 شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفْرُغُ
 لَكُمْ آيَةَ الثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾
 يَمْعَشَرُ الْجَنُّ وَالْإِنْسُ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ
 أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا
 بِسُلْطَنِ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسِلُ
 عَلَيْكُمْ شَوَاطِئَ مِّنْ نَّارٍ وَنُحَاسٍ فَلَا تَنْصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ
 آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ

﴿٢٣﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ فإن في ذلك من الآيات ما لا يستطيع أحد تكذيبه، ولا يقدر على إنكاره.

﴿٢٤﴾ وَلَهُ الْجَوَارِ السفن الجارية ﴿المنشآت﴾ المرفوعات التي رفع بعض خشبها على بعض ورُكِّب، حتى ارتفعت وطالت حتى صارت ﴿في البحر كالأعلام﴾ وهي الجبال [فهي تنتقل في البحر بالحمولات الهائلة من الأرزاق وغيرها، من بلد إلى بلد، لتجلب إلى كل بلد ما يحتاجه، وتنقل عنه ما يتوفر فيه ويزيد عن حاجة أهله].

﴿٢٦﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ أي: كل من على الأرض من الناس والحيوانات سيفنى ويهلك وتنتهي حياته يوما من الأيام.

﴿٢٧﴾ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ السوجه عبارة عن ذاته سبحانه ووجوده، والجلال العظمة والكبرياء، والإكرام أنه يكرم عن كل شيء لا يليق به.

﴿٢٨﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ أي كيف يكون منكم التكذيب يا معشر الجن والإنس بمثل هذه النعمة العظيمة [

﴿٢٩﴾ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أي: يسألونه جميعا لأنهم محتاجون إليه، لا يستغني عنه أحد منهم، فيسأله أهل السماوات المغفرة،

ولا يسألونه الرزق، وأهل الأرض يسألونه الأمرين جميعا وتسال لهم الملائكة أيضا الرزق والمغفرة، فلا

يستغني عنه أهل السماء ولا أهل الأرض ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ من شأنه أنه يحيي ويميت، ويرزق، ويُفقر،

ويغني، ويُعزِّز ويُذلِّ، ويُمرض ويشفي، ويمطي ويمنع، ويغفر ويعاقب، إلى غير ذلك مما لا يحصى.

﴿٣٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ فإن اختلاف شئونه سبحانه في تدبير عباده

نعمة لا يمكن جحدها، ولا يتيسر لمكذب تكذيبها.

﴿٣١﴾ سَنَفْرُغُ لَكُمْ آيَةَ الثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ هذا وعيد شديد من الله سبحانه للجن والإنس، أي: سنقصد لحسابكم. قيل سموا الثقلين لأنهم ثقل على الأرض أحياء وأمواتا.

﴿٣٣﴾ إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أي: إن قدرتم أن تخرجوا من جوانب السماوات والأرض ونواحيها هربا من قضاء الله وقدره ﴿فَانْفُذُوا﴾ منها وخلصوا أنفسكم

﴿٣٤﴾ يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ شَوَاطِئَ مِّنْ نَّارٍ وَنُحَاسٍ النحاس المعدن المعروف، يذاب بالنار ويصب على رؤوسهم. وقيل: النحاس هو الدخان الذي لا

لهب له، وبه قال الخليل ﴿فَلَا

﴿٣٢﴾ لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴿٣٢﴾ أي: لا

تقدرون على النفوذ إلا بقوة وقهر، ولا قوة لكم على ذلك ولا قدرة. وقيل المعنى: لا تقدرون على ذلك إلا بسلطان

من الله. وقال الضحاك معنى الآية: إن استطعتم أن تهربوا من الموت فاهربوا.

﴿٣٥﴾ يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ شَوَاطِئَ مِّنْ نَّارٍ والشواطئ: اللهب الذي لا دخان معه ﴿ونحاس﴾ النحاس المعدن المعروف، يذاب بالنار ويصب على رؤوسهم.

وقيل: النحاس هو الدخان الذي لا لهب له، وبه قال الخليل ﴿فَلَا

لا تكون.

٤٤ ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا﴾ أي: بين جهنم فتحرقهم ﴿وَبَيْنَ حِمِيمٍ﴾ فيصب على وجوههم، والحميم الماء الحار، والآتي الذي قد انتهى حره وبلغ غايته.

٤٦ ﴿وَلَمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾

مقامه سبحانه هو الموقف الذي يقف فيه العباد بين يديه للحساب. وقيل مقام ربه هو إشراف الله تعالى على أحواله واطلاعه على أفعاله وأقواله. أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي موسى الأشعري عن رسول الله ﷺ «جنتان من ذهب حليتهما وأنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة حليتهما وأنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن».

٤٨ ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ الأفنان الأغصان،

وهو الغصن المستقيم طولا، في كل غصن فنون من الفاكهة.

٥٠ ﴿فِيهَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ أي: في

كل واحدة من الجنتين عين جارية.

٥٢ ﴿فِيهَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾

الزوجان الصنفان والنوعان، ففي الجنتين من كل نوع يتفكه به ضربان يستفد بكل نوع من أنواعه، قيل أحد الصنفين رطب والآخر يابس، لا يقصر أحدهما عن الآخر في الفضل والطيب.

٥٤ ﴿مُتَكَبِّرِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ

إِسْتَبْرَقٍ﴾ أي: يتنعمون متكئين على الفُرُش، والبطائن هي التي تحت الظهائر، والإستبرق: ما غلظ من الديباج، وإذا كانت البطائن من

إستبرق، فكيف تكون الظهائر؟ ﴿وَجَنَى

الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ والجنى ما يجتنى من الثمار، قيل إن الشجرة من شجر الجنة تدور حتى يجنيها من يريد جناها.

وَرَدَّةٍ كَالْدِهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأُقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حِمِيمٍ ؕ إِنِ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾ وَلِمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَكَبِّرِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ

تنتصران﴾ أي: لا تقدران على الامتناع من عذاب الله.

٣٧ ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ أي:

انصدعت بنزول الملائكة يوم القيامة ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ أي كوردة حمراء وتصير مثل الدهن لذوبانها، وقيل الدهان: الجلد الأحمر.

٣٩ ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ

وَلَا جَانٌّ﴾ أي: يوم تنشق السماء لا يسأل أحد من الإنس ولا من الجن عن ذنبه، لأنهم يُعرفون بسيماهم عند خروجهم من قبورهم، ولأن الله سبحانه

قد أحصى الأعمال وحفظها على العباد.

٤١ ﴿يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾

سيماهم سواد الوجوه وزرقة الأعين، وقيل سيماهم ما يعلوهم من الحزن والكآبة ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأُقْدَامِ﴾ الناصية: مقلع شعر الرأس، فتجعل الأقدام مضمومة إلى النواصي، وتلقيهم الملائكة في النار.

٤٣ ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا

الْمُجْرِمُونَ﴾ أي: يقال لهم عند ذلك: هذه جهنم التي تشاهدونها وتنتظرون إليها مع أنكم كنتم تكذبون بها وتقولون إنها

رَبِّكَ تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فَبَيْنَ قَصِيرَاتِ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ
 إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾
 كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ
 تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴿٦٠﴾
 فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾
 فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدَّهَامَتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ
 آلَاءِ رَبِّكَ تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾
 فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَكِّهَةٌ وَتُحْلٌ
 وَرُمَانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فَبَيْنَ
 خَيْرَاتِ حِسَانٍ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾
 حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ
 تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٧٤﴾

٥٦ ﴿فَبَيْنَ قَاصِرَاتِ الطَّرْفِ﴾ أي: في الجنتين المذكورتين، وقيل فبين: أي: في الفرش التي بطائنها من إستبرق. وقاصرات الطرف نساء يقصرن أبصارهن على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم ﴿لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ الطمئ: الافتضاخ، وهو النكاح بالتدمية، وهو ما يكون أول مرة توطأ فيها المرأة، أي: لم يجامعهن قبلهم أحد. قال مقاتل: لأنهن خلقن في الجنة.

٥٨ ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ شبههن سبحانه في صفاء اللون مع حرته بالياقوت والمرجان، والياقوت هو الحجر المعروف، والمرجان حجر يؤخذ من البحر وهو الأحمر المعروف.

٦٠ ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ أي: ما جزاء من أحسن العمل في الدنيا إلا الإحسان إليه في الآخرة [فهاتان الجنتان لأهل الفضل السابقين لغيرهم في الإيمان وصالح الأعمال، وهم أعلى درجات أهل الجنة].

٦٢ ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ أي ومن دون تينك الجنتين الموصوفتين بالصفات المتقدمة، أي تحتها، جنتان أخريان، لمن دون أصحاب الجنتين السابقتين من أهل الجنة.

٦٤ ﴿مُدَّهَامَتَانِ﴾ من شدة خضرتهما تراهما في رأي العين قد اسودتا.

٦٦ ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ النضخ فوران الماء من العين، والمعنى أن في الجنتين المذكورتين عينين قوّارتين.

٦٨ ﴿فِيهِمَا فَكِّهَةٌ وَتُحْلٌ وَرُمَانٌ﴾ خصصتا بالذكر لمزيد حسنهما وكثرة نفعهما بالنسبة إلى سائر الفواكه.

٧٠ ﴿فَبَيْنَ خَيْرَاتِ حِسَانٍ﴾ الخيرات هن ذوات الفضل من النساء، خيرات الأخلاق، حسان الوجوه.

٧٢ ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ أي العبقرى الزرايى، والطنافس الموشية، والعبقرى عند العرب كل جليل فاضل فاخر من الرجال والنساء أو الأشياء. وعبقر موضع تزعم العرب أنه من أرض الجن. ثم نسبوا إليه كل شيء تعجبوا من حذقه وجودة صنعه وقوته.

٧٨ ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ تقدم تفسيره.

٧٤ ﴿لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ تقدم تفسيره.

٧٦ ﴿مُتَكَبِّرِينَ عَلَى رُفْرَفٍ خَضِرٍ﴾ الرُفَارِفُ البسط. وقيل ضرب من الشياح الخضري ﴿وَعَبْقَرِيَّ حَسَانٍ﴾



ثلاثة.

٨ ﴿أَصْحَابُ الْمِئْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ

المِئْمَنَةِ﴾ أي أصحاب اليمين. وهم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة، أي شيء هم في حالهم وصفتهم؟

٩ ﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ

المَشْأَمَةِ﴾ الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار.

١٠ ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ السابقون

إلى الإيمان والجهاد والتوبة وأعمال البر هم السابقون إلى رحمة الله.

١١ ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ أي المقربون

إلى جزيل ثواب الله وعظيم كرامته.

١٣ ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى﴾ الثلاثة الجماعة

التي لا يحصر عددها. والمراد بالأولى هم الأمم السابقة من لدن آدم إلى نبينا ﷺ

١٤ ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ أي من

هذه الأمة، وسموا قليلا بالنسبة إلى من كان قبلهم وهم كثيرون، لكثرة الأنبياء فيهم وكثرة من أجابهم. وقيل المراد: كثرة من أوائل أمة محمد ﷺ وقليل من أواخرها وهذا بخلاف أصحاب اليمين كما يأتي، فإنهم ثلثة من الأولين وثلثة من الآخرين، فلا يمتنع أن يكون في أصحاب اليمين من هذه الأمة من هو أكثر من أصحاب اليمين من غيرهم، فيجتمع من قليل سابق هذه الأمة، ومن ثلثة أصحاب اليمين منها من يكون نصف أهل الجنة، فقد قال النبي ﷺ لأصحابه «إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة».

١٥ ﴿عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ﴾ الموضونة

المنسوجة بقضبان الذهب، وقيل مشبكة بالدرّ والياقوت والزبرجد.

١٦ ﴿مُنْكَثِرِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ﴾

مستقرّين على سرر متكئين عليها متقابلين لا ينظر بعضهم قفا بعض.

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَكِبِّينَ عَلَى رَقَرَفٍ حُضِرِ

وَعَبَقَرِي حَسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾

تَبَرَّكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾

(٥٦) سُورَةُ الْوَاقِعَةِ مَكِّيَّةٌ وَأَنبِأَتْهَا سِتُّ وَتِسْتُ عُمُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لَوْفَعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ

رَافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ

بَسًا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ﴿٦﴾ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا

ثَلَاثَةٌ ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمِئْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمِئْمَنَةِ ﴿٨﴾

وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّابِقُونَ

سُورَةُ الْوَاقِعَةِ

الدنيا مغمورين، من أهل الإيمان.

٤ ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا﴾ ترتج كما

يرتج الصبّي في المهد حتى ينهدم كل ماعليها، وينكسر كل شيء من الجبال وغيرها.

٥ ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا﴾ البس الفت،

يقال بس الشيء إذا فته حتى يصير فتاتا.

٦ ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا﴾ أي غبارا

متفرقا منتشرا، كالذي يكون في الكوة كهيئة الغبار.

٧ ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ أي أصنافا

١ ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ الواقعة اسم للقيامة كالآزفة وغيرها.

٢ ﴿لَيْسَ لَوْفَعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ أي لا يكون

عند وقوعها تكذيب. والواقعة هنا هي النفخة الآخرة، فإذا وقعت عند البعث لم يكن هناك تكذيب بها أصلا.

٣ ﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾ خفضت أقواما

كانوا في الدنيا مرفوعين، وهم الكفرة من أهل الجاه، والفسقة من أهل المناصب والغنى، ورفعت أقواما كانوا في



السَّابِقُونَ ﴿١١﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١٢﴾ فِي جَنَّتِ
النَّعِيمِ ﴿١٣﴾ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى ﴿١٤﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿١٥﴾
عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ﴿١٦﴾ مُتَكِعِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴿١٧﴾
يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ﴿١٨﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ
وَكُأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿١٩﴾ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ ﴿٢٠﴾
وَفَكِهَةٌ مِمَّا يَتَخَبَّروْنَ ﴿٢١﴾ وَلَحْمٌ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾
وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٣﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٤﴾
جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا
تَأْثِيمًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٧﴾ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ
مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَطَلْحٍ
مَنْضُودٍ ﴿٣٠﴾ وَظِلٍّ مَمْدُودٍ ﴿٣١﴾ وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ ﴿٣٢﴾
وَفَكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٣﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ وَفُرُشٍ

١٧ ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾

المعنى: يدور حولهم للخدمة غلمان لهم، لا يهرمون ولا يتغيرون. قيل: وهم ولدان المسلمين، وقيل هم أطفال المشركين، ولا يبعد أن يكونوا مخلوقين في الجنة للقيام بهذه الخدمة.

١٨ ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ﴾

الأقداح المستديرة الأفواه التي لا آذان لها ولا عرى، والأباريق هي ذات العرى والخرطومين ﴿وَكُأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾ أي من خر جارية من العيون.

١٩ ﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾

أي لا تصدع رموسهم من شربها ﴿وَلَا يُنْزِفُونَ﴾ أي لا يسكرون فتذهب عقولهم.

٢٠ ﴿وَفَكِهَةٌ مِمَّا يَتَخَبَّروْنَ﴾

أي يختارونه وينتقون أطايبه. ﴿وَلَحْمٌ طَيْرٍ﴾ وهو أفضل من غيره من اللحوم وألذ ﴿مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ مما يتمنونه وتشبهه أنفسهم.

٢١ ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾

أي نساؤهم حور عِين. والحور في العين شدة سواد سوادها، وشدة بياض بياضها. والعِينُ واسعات الأعين.

٢٢ ﴿كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾

اللوؤلؤ المكنون، هو الذي لم تمسه الأيدي ولا وقع عليه الغبار، فهو أشد ما يكون صفاء، شبه به نساء الجنة في بياضهن وحسن ألوانهن وصفائهن.

٢٣ ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

أي يفعل بهم ذلك كله للجزاء على أعمالهم.

٢٤ ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا﴾

شتمًا ولا مائثًا، لأنها ليس فيها أحد يتكلم بما فيه إثم.

٢٥ ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾

أي إلا أن يقولوا سلاما سلاما، يحیی بعضهم بعضا بالسلام.

٢٦ ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾

[وهم أصحاب الجنة الثانية، أقل

درجة في النعيم من السابقين، لأنهم كانوا في الدنيا أضعف إيمانًا، وأقل إخلاصًا وعملاً، فأشجارهم وفواكههم وما يؤتون به من النعيم لا يبلغ درجة ما يناله أصحاب [السبق].

٢٨ ﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ﴾ السدر نوع من الشجر معروف، والمخضود الذي خضد شوكه: أي قطع فلا شوك فيه.

٢٩ ﴿وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ﴾ هو شجر الموز. وقيل ليس هو شجر الموز، ولكنه الطلح المعروف، وهو أعظم أشجار العرب. إلا أن فضله على ما في الدنيا كفضل سائر ما

٣٠ ﴿وَوَظِلٍّ مَمْدُودٍ﴾ أي دائم باق لا يزول، ولا تنسخه الشمس.

٣١ ﴿وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ﴾ أي منصبت يجري بالليل والنهار أينما شاءوا، فهو مسكوب يسكبه الله في مجاريه، فهي شرايبهم، وشراب السابقين الكأس من الخمر المعين.

٣٣ ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ﴾ في وقت من الأوقات كما تنقطع فواكه الدنيا في بعض الأوقات ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ أي لا تمتنع على من أرادها في أي وقت على أي

مَرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّا أَنْشَأْنَهُنَّ إِنْسَاءً ﴿٣٥﴾ جَعَلْنَهُنَّ
أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرْبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ
مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْحَابُ
الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سُمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾
وَضِلٍّ مِّنْ يَّحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَا بَارِدٌ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ
كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ
الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا
أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوْ أَبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّا
الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ
مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَهِيَ الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾
لَا تَكُلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِّنْ زُقُومٍ ﴿٥٢﴾ فَكُلُوا مِنَّا
الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَرِبُوا عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَرِبُوا

الأمة، وثلة من الآخرين ممن تابعهم على
الإيمان من آخر هذه الأمة.

٤٢ ﴿فِي سُمُومٍ وَحَمِيمٍ﴾ السُمُومُ حَرُّ النَّارِ،
والْحَمِيمُ الْمَاءُ الْحَارُّ الشَّدِيدُ الْحَرَارَةِ.

٤٣ ﴿وَضِلٍّ مِّنْ يَّحْمُومٍ﴾ الْمَعْنَى أَنَّهُمْ
يَنْفِرُونَ إِلَى الظِّلِّ، فَيَجِدُونَهُ ظِلًّا مِنْ
دُخَانِ جَهَنَّمَ شَدِيدِ الْحَرَارَةِ.

٤٤ ﴿لَا بَارِدٌ﴾ أَي لَيْسَ كَفِيرُهُ مِنْ
الظَّلَالِ الَّتِي تَكُونُ بَارِدَةً ﴿وَلَا كَرِيمٌ﴾ أَي
لَيْسَ فِيهِ حَسَنُ مَنْظَرٍ، وَكُلٌّ مَّالًا خَيْرٌ فِيهِ
فَلَيْسَ بِكَرِيمٍ.

٤٥ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ﴾
أَي مُنْعَمِينَ بِمَا لَا يَحِلُّ لَهُمْ.

٤٦ ﴿وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا﴾ عَلَى الذَّنْبِ الْعَظِيمِ، يَعْنِي بِهِ
الشَّرْكَ: أَي كَانُوا لَا يَتُوبُونَ عَنْهُ.

٤٧ ﴿وَكُنَّا يُقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا
تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ أَنْكَرُوا
وَأَسْتَبَعَدُوا أَنْ يَبْعَثُوا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَقَدْ
صَارُوا عِظَامًا وَتُرَابًا.

٤٨ ﴿أَوْ أَبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾ وَالْمَعْنَى أَنَّ بَعْثَ
آبَائِهِمُ الْأَوَّلِينَ أُبْعَدَ عَنْهُمْ لِتَقَدُّمِ مَوْتِهِمْ.

٤٩ ﴿قُلْ إِنَّا الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ﴾ أَي
قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ إِنَّ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْأُمَّمِ
وَالْآخِرِينَ مِنْهُمْ الَّذِينَ أَنْتُمْ مِنْ جِلَّتِهِمْ؛

٥٠ ﴿لَمَجْمُوعُونَ﴾ بَعْدَ الْبَعْثِ ﴿إِلَى
مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ.

٥٢ ﴿لَا تَكُلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِّنْ زُقُومٍ﴾ أَي
لَا تَكُلُونَ فِي الْآخِرَةِ مِنْ شَجَرِ كَرِيهِ الْمَنْظَرِ
كَرِيهِ الطَّعْمِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ تَفْسِيرُهُ فِي سُورَةِ
الصَّافَّاتِ (الآيَةُ ٦٢).

٥٣ ﴿فَالشُّونَ مِّنَا الْبُطُونَ﴾ أَي مَالَتُونَ
مِنْ شَجَرِ الزُّقُومِ بِطُونِكُمْ لَمَّا يُلْحَقْكُمْ مِنْ
شِدَّةِ الْجُوعِ.

٥٤ ﴿فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ﴾ الْمَعْنَى
أَنْكُمْ سَوْفَ تَشْرَبُونَ عَلَى الزُّقُومِ عَقَبَ
أَكْلِهِ مِنَ الْمَاءِ الْحَارِّ.

٣٧ ﴿عُرْبًا أَتْرَابًا﴾ الْعُرْبُ جَمْعُ الْعَرُوبِ،
وَهِيَ الْمُتَحَبِّبَةُ إِلَى زَوْجِهَا. قَالَ الْمُبَرِّدُ:
هِيَ الْعَاشِقَةُ لَزَوْجِهَا، الْحَسَنَةُ الْكَلَامِ.
وَالْأَتْرَابُ هُنَّ اللَّوَاتِي عَلَى مِيلَادٍ وَاحِدٍ
وَسَنٍّ وَاحِدٍ.

٣٨ ﴿لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ أَنْشَأَهُنَّ اللَّهُ
لَأَجْلِهِمْ.

٣٩، ٤٠ ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ. وَثُلَّةٌ مِنَ
الْآخِرِينَ﴾ أَي هُمْ كَثْرَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ،
وَهُمْ مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى نَبِيِّنَا ﷺ، وَكَثْرَةٌ
مِنَ الْآخِرِينَ، وَهُمْ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ
وَقِيلَ مِنَ الْأَوَّلِينَ: يَعْنِي مِنْ سَابِقِي هَذِهِ

صِفَةٍ، بَلْ هِيَ مَعْدَةٌ لِمَنْ أَرَادَهَا، أَمَّا
فَاكْهَةُ السَّابِقِينَ فَإِنَّهُمْ يَتَخَيَّرُونَهَا تَخَيَّرًا.

٣٤ ﴿وَفَرَشَ مَرْفُوعَةً﴾ مَرْفُوعَةٌ عَلَى
الْأُسْرَةِ، وَقِيلَ إِنَّ الْفَرْشَ هُنَا كُنْيَاةٌ عَنْ
نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

٣٥ ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْسَاءً﴾ أَي خَلَقْنَاهُنَّ
خَلْقًا جَدِيدًا مِنْ غَيْرِ تَوَالِدٍ، وَقِيلَ الْمُرَادُ
نِسَاءَ بَنِي آدَمَ، وَالْمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ
أَعَادَهُنَّ بَعْدَ الْكِبَرِ وَالْمَوْتِ إِلَى حَالِ
الشَّبَابِ.

٣٦ ﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا﴾ لَمْ يَطْمِثْنَهُنَّ
إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ.

شَرَبَ الْهِيمَ ﴿٥٥﴾ هَذَا نُزِّلَهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ
خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾
ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ
الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰ أَنْ تُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ
وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ
الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾
ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ
حُطَامًا فَظَلَمْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمَغْرُمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ
نَحْنُ مُحْرَرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾
ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ
لَجَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي
تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴿٧٢﴾

٥٥ ﴿فشاربون شرب الهيم﴾ الهيم الإبل العطاش التي لا تروى لداء يصيبها. أي لا يكون شربكم من الحميم شرباً معتاداً، بل يكون مثل شرب الهيم التي تعطش ولا تروى بشرب الماء.

٥٦ ﴿هذا نزلهم يوم الدين﴾ النزل ما يعد للضيف، ويكون أول ما يأكله، والمعنى: أن ما ذكر من شجر الزقوم وشراب الحميم هو الذي يعد لهم ويأكلونه يوم القيامة.

٥٧ ﴿نحن خلقناكم فلولا تصدقون﴾ خلقناكم ولم تكونوا شيئاً، وأنتم تعلمون ذلك، فهلا تصدقون بالبعث كما تقرون بالخلق.

٥٨ ﴿أفرايم ما تمنون﴾ أي ما تقذفون وتصبون في أرحام نسائكم من النطف،

٥٩ ﴿أنتم تخلقونه أم نحن الخالقون﴾ أي تقدرونه وتصورونه بشراً سوياً، أم نحن المقدرين المصورين له؟

٦٠ ﴿نحن قدرنا بينكم الموت﴾ أي قسمناه عليكم ووقتناه لكل فرد من أفرادكم، فنكم من يموت كبيراً ومنكم من يموت صغيراً، ولكن أهل الأرض فيه سواء **﴿وما نحن بمسبوقين﴾** بملوبين، بل نحن قادرون؛

٦١ ﴿على أن نبدل أمثالكم﴾ أي نأتي بديلكم بخلق مثلكم **﴿وننشئكم فيما لا**

تعلمون﴾ من الصور والهيئات. قال الحسن: أي نجعلكم قروداً وخنازير كما فعلنا بأقوام قبلكم، وقيل المعنى: ننشئكم في البعث على غير صوركم في الدنيا.

٦٢ ﴿ولقد علمنا النشأة الأولى﴾ وهي ابتداء الخلق من نقطة، ثم من علقه، ثم من مضغة، ولم تكونوا قبل ذلك شيئاً. **﴿فلولا تذكرون﴾** أي فهلا تتذكرون قدرة الله سبحانه على النشأة الأخيرة وتقيسونها على النشأة الأولى.

٦٣ ﴿أفرايم ما تحرثون﴾ أي أخبروني عما تحرثون من أرضكم فتطرحون فيه البذر.

ماله بغير عوض.

٦٧ ﴿بل نحن محرومون﴾ أي حرمتنا رزقنا بهلاك زرعنا.

٦٨ ﴿أفرايم الماء الذي تشربون﴾ فتسكنون به ما يلحقكم من العطش؛

٦٩ ﴿أنتم أنزلتموه من المزن﴾ أي السحاب **﴿أم نحن المنزلون﴾** له بقدرتنا دون غيرنا، فكيف لا تقرون بالتوحيد وتصدقون بالبعث؟

٧٠ ﴿فلولا تشكرون﴾ أي فهلا تشكرون نعمة الله الذي خلق لكم ماء عذبا

تشربون منه وتتضعون به.

٦٤ ﴿أنتم تزرعونه﴾ أي تبتونه وتجعلونه

زرعاً فيكون فيه السنبل والحب **﴿أم نحن الزارعون﴾** أي المنبتون له الجاعلون له زرعاً لا أنتم. فإذا أقررتم بهذا فكيف تنكرون البعث؟

٦٥ ﴿لو نشاء لجعلناه حطاماً﴾ أي متحطاً منكسراً، لا ينتفع به ولا يحصل منه حب ولا شيء مما يطلب من الحرث **﴿فظلمت تفكهمون﴾** أي صرتم تعجبون

[طويلاً] فيما نزل بكم في زرعكم قائلين:

٦٦ ﴿إنا لمغرمون﴾ المغرم الذي ذهب



نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ * فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٌ تَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِنْ

٧١ ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾

تستخرجونها بالقدر من الشجر الرطب؛

٧٢ ﴿أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَهَا﴾ وهي التي

كانوا يقدحون منها النار، وهي المرخ

والعفار، وقيل المراد: كل الشجر ﴿أَمْ

نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾ لها بقدرتنا دونكم.

٧٣ ﴿وَنَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً﴾ أي

تذكركم حر نار جهنم الكبرى ليتعظ بها

المؤمن ﴿وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ﴾ كالسافرين

وأهل البوادي النازلين في الأراضي

المقفرة.

٧٥ ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾

مساقتها، وهي مغاربا.

٧٧ ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ أي كرمه الله

وأعزه ورفع قدره على جميع الكتب،

وكرمه عن أن يكون سحرا أو كهانة أو

كذبا، وهو كرم لما فيه من كرم

الأخلاق ومعالي الأمور، يُكْرَمُ حافظه،

وَيُعَظَّمُ قارئه.

٧٨ ﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾ أي مستور

مصون، وقيل محفوظ عن الباطل، وهو

اللوح المحفوظ.

٧٩ ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ أي لا

يمس الكتاب المكنون إلا المطهرون، وهم

الملائكة، أما الشياطين فلا يستطيعون أن ينالوه. ومن فحوى هذه الآية يعلم أنه لا يمس القرآن كافر ولا جنب ولا محدث.

٨١ ﴿أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ﴾

الإشارة إلى القرآن المنعوت بالنعوت

السابقة، ومدهنون: ممالئون للكفار على

الكفر، وأصل المدهن الذي ظاهره

خلاف باطنه، كأنه يشبه الدهن في

سهولته.

٨٢ ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تَكْذِبُونَ﴾

أي تجعلون شكر رزقكم أنكم تكذبون

بنعمة الله، فتضعون التكذيب موضع

الشكر؟

٨٣ ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ﴾ أي

فهلا إذا بلغت الروح أو النفس الحلقوم

عند الموت؛

٨٤ ﴿وَأَنْتُمْ حِينِيذٌ تَنْظُرُونَ﴾ ترون الميت

قد صار إلى أن تخرج نفسه، وأنتم في

تلك الحال لا يمكنكم الدفع عنه، ولا

تستطيعون شيئا ينفعه أو يخفف عنه ما هو

فيه؛

٨٥ ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ﴾ أي

بالعلم والقدرة والرؤية، وقيل أراد:

ورسلنا الذين يتولون قبضه أقرب إليه

منكم ﴿وَلَكِنْ لَا تَبْصُرُونَ﴾ أي لا

تبصرون ملائكة الموت الذين يحضرون

الميت ويتولون قبضه؛

٨٦ ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ أي

فهلا إن كنتم غير مربوبين ومملوكين؛

٨٧ ﴿تَرْجِعُونَهَا﴾ أي النفس التي قد

بلغت الحلقوم، إلى مقرها الذي كانت

فيه ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ولن ترجعوها،

فبطل زعمكم أنكم غير مربوبين ولا

مملوكين.

٨٨ ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ أي

السابقين، وهم الصنف الأول من

الثلاثة الأصناف المتقدم تفصيل

أحوالهم؛

كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩٢﴾ فَتَزُلْ مِنْ حِمِيمٍ ﴿٩٣﴾
وَتَصْلِبُ بِحِمِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾
فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

(٥٧) سُورَةُ الْحَجِّ لِذِكْرِكَ فَلْيَنْتِ
وَأَيَّانَهَا شَتَّى وَعَشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي
وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ
وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى

٨٩ ﴿فروج وربحان وجنة نعم﴾ الروح
الراحة من الدنيا والاستراحة من
أحوالها، والربحان الرزق في الجنة، وقال
الحسن: هو الربحان المعروف الذي
يشم.

٩١ ﴿فسلام لك من أصحاب
اليمين﴾ المعنى سلام لك يا صاحب
اليمين من إخوانك أصحاب اليمين، وذلك
لأنك ستكون معهم فيستقبلونك بالسلام.

٩٢ ﴿وأما إن كان من المكذبين
الضالين﴾ أي المكذبين بالبعث،
الضالين عن الهدى، وهم أصحاب
الشمال المتقدم ذكرهم.

٩٣ ﴿فتزل من حميم﴾ أي فله نزل بعد
لنزوله من حميم، وهو الماء الذي قد
تناهت حرارته، وذلك بعد أن يأكل من
الزقوم، كما تقدم بيانه.

٩٤ ﴿وتصلب بحميم﴾ يقال: أصلاه
النار وصلاه: إذا جعله فيها.

٩٥ ﴿إن هذا هو حق اليقين﴾ أي
محض اليقين وخالصه.

٩٦ ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ أي
نزهه عما لا يليق بشأنه، لما علمت من
أخبار علمه وقدرته.

سُورَةُ الْحَجِّ لِذِكْرِكَ

١ ﴿سبح لله ما في السماوات
والأرض﴾ أي: نزهه ومجده بلسان
المقال، كتسبيح الملائكة والإنس
والجن، وبلسان الحال كتسبيح غيرهم،
فإن كل موجود يدل على الصانع،
وقيل: كل شيء ناطق بتسبيح خالقه
حقيقة ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴿وهو
العزیز﴾ أي: القادر الغالب ﴿الحكيم﴾
الذي يفعل أفعال الحكمة والصواب.

٢ ﴿له ملك السماوات والأرض﴾
يتصرف فيها وحده، ولا ينفذ غير تصرفه
وأمره ﴿يحیی ويُمیت﴾ يحيي في الدنيا
ويميت الأحياء، ويحيي الأموات للبعث
﴿وهو على كل شيء قدير﴾ لا يعجزه
شيء كأننا ما كان.

٣ ﴿هو الأول﴾ قبل كل شيء
﴿والآخر﴾ بعد كل شيء، أي الباقي
بعد فناء خلقه ﴿والظاهر﴾ العالي
الغالب على كل شيء ﴿والباطن﴾ أي:
العالم بما بطن، وقيل: هو المحتجب عن
الأبصار. أخرج ابن أبي شيبة ومسلم

والترمذي عن أبي هريرة قال: جاءت
فاطمة إلى رسول الله ﷺ تسأله خادماً،
فقال «قول: اللهم ربنا ورب كل
شيء، منزل التوراة والإنجيل والفرقان،
فالق الحب والنوى، أعوذ بك من شر
كل شيء أنت آخذ بناصيته، أنت
الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر
فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس
فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك
شيء، اقض عنا الدين، وأغننا من
الفقر» ﴿وهو بكل شيء عليم﴾ لا
يعزب عن علمه شيء من المعلومات.

الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٦﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٧﴾ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٨﴾ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَانْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِنُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي

يصرفوها فيما يرضيه؛ وقيل: جعلكم خلفاء من كان قبلكم ممن ترثونه، وسينتقل إلى غيركم ممن يرثكم، فلا تبخلوا به **﴿فالذين آمنوا منكم وأنفقوا هم أجر كبير﴾** أي الذين جمعوا بين الإيمان بالله ورسوله، وبين الإنفاق في سبيل الله، لهم أجر كبير، وهو الجنة.

٨ **﴿وما لكم لا تؤمنون بالله﴾** أي: أي عذر لكم، وأتي مانع من الإيمان، وقد أزيلت عنكم العلة؟ **﴿والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم﴾** يدعوكم إليه وينبهيكم عليه **﴿وقد أخذ ميثاقكم﴾** أي: والحال أن الله قد أخذ ميثاقكم حين أخرجكم من ظلمة أبيكم آدم، أو بما نصب لكم من الأدلة الدالة على التوحيد ووجوب الإيمان **﴿إن كنتم مؤمنين﴾** بما أخذ عليكم من الميثاق.

٩ **﴿هو الذي ينزل على عبده آيات بينات﴾** أي: واضحات ظاهرات، وهي الآيات القرآنية، وقيل المعجزات، والقرآن أعظمها **﴿ليخرجكم من الظلمات إلى النور﴾** أي: ليخرجكم الله بتلك الآيات من ظلمات الشرك إلى نور الإيمان، أو ليخرجكم الرسول بتلك الآيات، أو بالدعوة **﴿وإن الله بكم لرءوف رحيم﴾** أي: لكثير الرأفة والرحمة بليغها، حيث أنزل كتبه وبعث رسله لهداية عباده، فلا رأفة ولا رحمة أبلغ من هذه.

١٠ **﴿وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله﴾** المعنى: أي عذر لكم وأتي شيء يمنعكم من ذلك **﴿والله ميراث السماوات والأرض﴾** والحال أن كل ما في السماوات والأرض راجع إلى الله سبحانه بانقراض العالم، كرجوع الميراث إلى الوارث، ولا يبقى لهم منه شيء.

٦ **﴿يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل﴾** قد تقدم تفسير هذا في سورة آل عمران (الآية ٢٧) **﴿وهو عليم بذات الصدور﴾** أي بضمائر الصدور ومكنوناتها، لا يخفى عليه من ذلك خافية.

٧ **﴿آمنوا بالله ورسوله﴾** أي: صدقوا بالتوحيد وبصحة الرسالة **﴿وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه﴾** أي: ما جعلكم خلفاء في التصرف فيه من غير أن تملكوه حقيقة، فإن المال مال الله والعباد خلفاء الله في أمواله، فعليهم أن

٤ **﴿يعلم ما يلج في الأرض﴾** من مطر وغيره **﴿وما يخرج منها﴾** من نبات وغيره **﴿وما ينزل من السماء﴾** من مطر وغيره **﴿وما يعرج فيها﴾** أي يصعد إليها من الملائكة وأعمال العباد **﴿وهو معكم أينما كنتم﴾** أي بقدرته وسلطانه وعلمه، أينما داروا في الأرض من بر وبحر **﴿والله بما تعملون بصير﴾** لا يخفى عليه من أعمالكم شيء.

٥ **﴿له ملك السماوات والأرض﴾** هذا التكرير للتأكيد **﴿وإلى الله ترجع الأمور﴾** لا إلى غيره.

مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ
دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ
الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَنْ ذَا الَّذِي
يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾
يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ
أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ
يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا
نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا
فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ
مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا
بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ

﴿ لا يستوي منكم من أنفق من قبل
الفتح وقاتل ﴾ ومن أنفق من بعد الفتح
وقاتل. والفتح فتح مكة، لأن حاجة
الناس كانت إذ ذاك أكثر، وهم أقل
وأضعف، ولا يجدون ما يجودون به من
الأموال إلا قليلاً، والجود بالنفس أقصى
غاية الجود. أخرج أحمد عن أنس قال:
كان بين خالد بن الوليد وبين
عبد الرحمن بن عوف كلام، فقال خالد
لعبد الرحمن: تستطيلون علينا بأيام
سبقتمونا بها؟ فبلغ النبي ﷺ فقال:
«دعوا لي أصحابي، فوالذي نفسي بيده
لو أنفقتُم مثل أحد، أو مثل الجبال،
ذهبا، ما بلغتُم أعمالهم» **﴿وكلا وعد
الله الحسن﴾** وهي الجنة، مع تفاوت
درجاتهم فيها **﴿والله بما تعملون خبير﴾**
لا يخفى عليه من ذلك شيء.

**١١ ﴿من ذا الذي يقرض الله
قرضاً﴾** أي: من ذا الذي ينفق ماله في
سبيل الله، فإنه كمن يقرضه **﴿حسناً﴾**
أي: محسباً من قلبه بلا من ولا أذى،
طيبة به نفسه **﴿فيضاعفه له وله أجر
كريم﴾** وهو الجنة، والمضاعفة هنا هي
كون الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمائنه
ضعف، على اختلاف الأحوال
والأشخاص والأوقات.

١٢ ﴿يسعى نورهم﴾ النور هو الضياء
الذي يروونه **﴿بين أيديهم﴾** وذلك على
الصراط يوم القيامة **﴿وبأيمانهم﴾** بسبب
كتبهم التي أعطوها **﴿بشراكم اليوم
جنان تجري من تحتها الأنهار خالدين
فيها﴾** أي: يقال لهم هذا تبشيراً وتكريماً
﴿ذلك﴾ النور والبشرى **﴿هو الفوز
العظيم﴾** أي: لا يقادر قدره حتى كأنه
لا فوز غيره، ولا اعتداد بما سواه.

١٣ ﴿انظرونا﴾ أي: انتظرونا، يقولون
ذلك لما رأوا المؤمنين يسرع بهم إلى الجنة
[في النور] **﴿نقتبس من نوركم﴾** أي

نستضيء منه **﴿قيل ارجعوا وراءكم﴾**
أي: ارجعوا إلى الدنيا فاتمسوا النور بما
اتمسناه به من الإيمان والأعمال الصالحة
﴿فضرب بينهم سور﴾ السور هو الحاجز
بين الجنة والنار **﴿له باب باطنه فيه
الرحمة﴾** أي باطن ذلك السور، وهو
الجانب الذي يلي أهل الجنة، فيه الرحمة
وهي نعيم الجنة **﴿وظاهره﴾** وهو الجانب
الذي يلي أهل النار **﴿من قبله
العذاب﴾** أي: من جهته عذاب جهنم.
١٤ ﴿ينادونهم ألم نكن معكم﴾ أي:
إن المنافقين ينادون المؤمنين قائلين لهم:

ألم نكن موافقين لكم نصلي بصلاتكم
في مساجدكم ونعمل بأعمال الإسلام
مثلكم **﴿قالوا بلى﴾** أي: بلى قد كنتم
معنا في الظاهر **﴿ولكنكم فتنتم
أنفسكم﴾** بالنفاق وإيطان الكفر،
وأهلكتموها بالنفاق، وقيل بالشهوات
واللذات **﴿وتربصتم﴾** بمحمد ﷺ وبين
معه من المؤمنين حوادث الدهر، وقيل
تربصتم بالتوبة **﴿وارتبت﴾** أي شككتم
في أمر الدين، ولم تصدقوا ما نزل من
القرآن، ولا آمنتم بالمعجزات الظاهرة
﴿وغررتكم الأمانى﴾ الباطلة التي من



الْأَمَانِي حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿١٤﴾
فَالْيَوْمَ لَا يُوْخِذُ مِنْكُمْ قَدِيَّةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوِيَّتُكُمُ
النَّارُ هِيَ مَوْلَانَكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ * أَلَمْ يَأْنِ
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنْ
الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ
فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ
فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا
قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ
وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفُ لَهُمْ
وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ
هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ
وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ

من قبل نزول القرآن **﴿فطال عليهم
الأمدة﴾** أي: طال عليهم الزمان بينهم
وبين أنبيائهم **﴿فقست قلوبهم﴾** بذلك
السبب، حتى صاروا لا يفعلون لكلام
الله الذي يتلونه. فنبى الله سبحانه أمة
محمد ﷺ أن يكونوا مثلهم.

**١٧ ﴿اعلموا أن الله يحيي الأرض
بعد موتها﴾** فهو قادر على أن يعث
الأجسام بعد موتها، ويلين القلوب بعد
قسوتها **﴿قد بينا لكم الآيات﴾** التي
من جملتها هذه الآيات **﴿لعلكم
تعقلون﴾** أي: كي تعقلوا ما تضمنته
من المواعظ، وتعملوا بموجب ذلك.

**١٨ ﴿إن المصدقين والمصدقات
أي: المتصدقين والمتصدقات ﴿وأقروا
الله قرضاً حسناً﴾** القرض الحسن عبارة
عن التصدق والإنفاق في سبيل الله، مع
خلوص نية وصحة قصد واحتساب أجر
﴿يضاعف لهم﴾ ثوابهم **﴿ولهم أجر
كريم﴾** وهو الجنة، والمضاعفة هنا أن
الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف
إلى أكثر من ذلك.

١٩ ﴿والذين آمنوا بالله ورسوله﴾ جميعاً
﴿أولئك هم الصديقون﴾ قال مجاهد:
كل من آمن بالله ورسوله فهو صديق.
وقيل: هم الذين لم يشكوا في الرسل
حين أخبروهم بل صدقوهم تصديقاً
كاملاً **﴿والشهداء عند ربهم﴾** هم
الذين استشهدوا في سبيل الله. والمعنى:
أن الشهداء يفوزون بعلو الدرجة عند الله
﴿لهم أجرهم ونورهم﴾ المعنى: [كل من
الفريقين الصديقين والشهداء] لهم الأجر
والنور الموعودان لهم **﴿والذين كفروا
وكذبوا بآياتنا﴾** أي جمعوا بين الكفر
وتكذيب الآيات **﴿أولئك أصحاب
الجحيم﴾** يعذبون بها ولا أجر لهم ولا
نور، بل عذاب مقيم وظلمة دائمة.

﴿مولاكم﴾ أي: هي أولى بكم **﴿وبئس
المصير﴾** الذي تصيرون إليه وهو النار.
**١٦ ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع
قلوبهم﴾** أي: ألم يجزِ الوقت لخشوع
قلوبهم؟ قال الحسن: يستبطئهم وهم
أحب خلقه إليه **﴿لذكر الله﴾** والمعنى:
أنه ينبغي أن يورثهم الذكر خشوعاً
ورقة، ولا يكونوا كمن لا يلين قلبه
للذكر ولا يخشع له **﴿وما نزل من
الحق﴾** القرآن **﴿ولا يكونوا كالذين
أوتوا الكتاب من قبل﴾** اليهود
والنصارى الذين أوتوا التوراة والإنجيل

جملتها ما كنتم فيه من التربص، وقيل:
هي طول الأمل **﴿حتى جاء أمر الله﴾**
وهو الموت. وقال قتادة: هو إلقاؤهم في
النار **﴿وغرركم بالله الغرور﴾** أي:
خدعكم الشيطان [فلم تقدروا الله حق
قدره، ولم تعلموا قدرته عليكم، فظننتم
أنه لا يعلم كثيراً مما كنتم تعملون].
١٥ ﴿فاليوم لا يُوْخِذُ مِنْكُمْ قَدِيَّةٌ﴾
تفدون بها أنفسكم من النار أيها
المنافقون **﴿ولا من الذين كفروا﴾** بالله
ظاهراً وباطناً **﴿مأواكم النار﴾** أي:
منزلكم الذي تأوون إليه النار **﴿هي**

الْحَجِيمِ ﴿١٩﴾ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ
وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ
أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ
حُطَمًا ۖ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ
وَرِضْوَانٌ ۚ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوا
إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ
اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾
مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا
فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾
لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ
وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ

٢٠ ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب وهو﴾ واللعب هو خلاف الجد، واللهم كل شيء يتلهى به ثم يذهب. وقيل اللعب الاقتناء، واللهم النساء. والزينة التزين بمتاع الدنيا من دون عمل للآخرة ﴿وتفاخر بينكم﴾ أي: يفتخر به بعضكم على بعض، وقيل يتفاخرون بالخلقة والقوة [وما حازه كل منكم من متع الدنيا] وقيل بالأنساب والأحساب، كما كانت عليه العرب ﴿وتكاثر في الأموال والأولاد﴾ أي: يستكاثرون بأموالهم وأولادهم ﴿كمثل غيث أعجب الكفار نباته﴾ أي: كمثل مطر أعجب الزراع النبات الحاصل به، والمراد بالكفار هنا الزراع، لأنهم يتكفرون البذر، أي يغطونه بالتراب ﴿ثم يهيج﴾ أي: يجف بعد خضرته ويبس ﴿ثم يكون حطاما﴾ أي فتاتا هشا متكسرا متحطا بعد يسه. وهكذا حقارة الدنيا وسرعة زوالها بعد نصارتها [بالنسبة للأفراد والأمم والبشر جميعا] ﴿وفي الآخرة عذاب شديد﴾ لأعداء الله ﴿ومغفرة من الله ورضوان﴾ لأولائه وأهل طاعته؛ فإما هذا وإما هذا ﴿وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ لمن اغتر بها ولم يعمل لآخرته، أما من استعان على الآخرة بطلبها، فهي له متاع وبلاغ إلى ما هو خير منه.

٢١ ﴿سابقوا إلى مغفرة من ربكم﴾ أي: سارعوا مسارعة السابقين بالأعمال الصالحة التي توجب المغفرة لكم من ربكم، وسارعوا إلى التوبة مما وقع منكم من المعاصي. ومن المسابقة التكبير الأولى مع الإمام، ومنها الصف الأول ﴿وجنة عرضها كعرض السماء والأرض﴾ وإذا كان هذا قدر عرضها فما ظنك بطولها ﴿أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله﴾ ولا يستحقها إلا من عمل بما فرض الله عليه، واجتنب نهيه.

٢٢ ﴿ما أصاب من مصيبة في أناكم﴾ أي: أعطاكم منها، فإن ذلك يزول عن قريب، وكل زائل عن قريب لا يستحق أن يفرح بحصوله ولا يُعزَّن على فواته، مع أن الكل بقضاء الله وقدره، فلن يعدوا أمرا ما كتب له، وما كان حصوله كائنا لا محالة فليس بمستحق للفرح بحصوله، ولا للحزن على فوته ﴿والله لا يحب كل مختال فخور﴾ هو ذم للفرح الذي يختال فيه صاحبه ويبطر، وقيل إن من فرح بالحظوظ الدنيوية، وعظمت في نفسه، فقد اختال وافتخر بها.

٢٣ ﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم﴾ أي: أخبرناكم بذلك لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من الدنيا ﴿ولا تفرحوا بما

والفأس والإبرة وآلات الزراعة والنجارة والعمارة وغير ذلك **﴿وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب﴾** باستعمال الحديد، أي في الأسلحة في الجهاد، فنصر دين الله ورسله علمه ناصرا، ومن عصى علمه بخلاف ذلك.

٢٦ ﴿وجعلنا في ذريتها النبوة والكتاب﴾ أي: جعلنا فيهم النبوة، فكل الأنبياء من ذريتها، والكتب المنزلة لم ينزلها الله على أحد غيرهم.

٢٧ ﴿وقفينا بعيسى ابن مريم﴾ وهو من ذرية إبراهيم من جهة أمه [وإنما نسب إليه لأنه لا أب له، وإلا فالناس ينسبون إلى آبائهم] **﴿وآتيناها الإنجيل﴾** وهو الكتاب الذي أنزله الله عليه **﴿وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رافة ورحمة﴾** هم الحواريون وأتباعهم، جعل الله في قلوبهم رحمة للناس، بخلاف اليهود فإنهم ليسوا كذلك **﴿ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم﴾** لكونها مبتدعة من جهة أنفسهم لم يشرعها الله لهم، ولم يأمرهم بها، بل ساروا عليها غلوا في العبادة، وحملوا على أنفسهم المشقات في الامتناع من المطعم والمشرب والمنكح، وتعلقوا بالكهوف والصوامع، وكان أصلها أن ملوكهم

غيروا وبدلوا وبقي منهم نفر قليل فترهبوا ونسبوا **﴿إلا ابتغاء رضوان الله﴾** أي: ولكن ابتدعوها ابتغاء رضوان الله **﴿فأرعوها حق رعايتها﴾** أي: لم يرعوا هذه الرهبانية التي ابتدعوها من جهة أنفسهم، بل استعملوها كثير منهم في الفساد، ولم يبق على دين عيسى إلا قليل منهم **﴿فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم﴾** الذي يستحقونه بالإيمان **﴿وكثير منهم فاسقون﴾** [أي كثير من هؤلاء المترهبين فاسقون، بأكل أموال الناس بالباطل، وبالسلوك المنحرف]. وفي الحديث «إن

وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النَّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى عَائِثِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَافَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ

السماوية **﴿والمبران﴾** الميزان العدل. وقال ابن زيد: هو الميزان الذي يستعمله الناس، يوزن به ويتعامل به **﴿ليقوم الناس بالقسط﴾** أي ليتبعوا ما أمروا به من العدل، وتقوم حياتهم عليه، فيتعاملوا فيما بينهم بالانصاف، والقسط: العدل **﴿وأنزلنا الحديد﴾** أي: خلقناه، والمعنى أنه خلقه في المعادن، وعلم الناس صنعته **﴿فيه بأس شديد﴾** لأنه تتخذ منه آلات الحرب، للدفع وللضرب لقوة تحمله وشدة صلابته **﴿ومنافع للناس﴾** ينفعون به في كثير مما يحتاجون إليه مثل السكين

٢٤ ﴿الذين يبخلون ويأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ أي البخل بأداء حق الله وبالصدقة [ويحثون للناس أن يبخلوا بما يملكون، بقولهم وبفعلهم، إذ يفخرون بأموالهم فيحب غيرهم أن يكون مثلهم، ولذلك يبخل عن أبواب الحق] **﴿ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد﴾** أي: ومن يعرض عن الإنفاق فإن الله غني عنه، محمود عند خلقه، لا يضره ذلك.

٢٥ ﴿لقد أرسلنا رسلا بالبينات﴾ أي: بالمعجزات البينة والشرائع الظاهرة **﴿وأنزلنا معهم الكتاب﴾** أي: الكتب

ءَامِنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

(٥٨) سُورَةُ الْحَجَّارِ الْمَدَنِيَّةِ وَأَيَّاتُهَا ثِنْتَانِ وَعِشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِمَّنِ نَسَأَهُمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ

لكل أمة رهبانية، ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله» أي لأن فيه بذل النفس لله. وليس الانقطاع في الصوامع من دين الإسلام.

٢٨ ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ بترك ما نهاكم عنه ﴿وَأَمِنُوا بِرَسُولِهِ﴾ محمد ﷺ ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ أي: نصيبين من رحمته، بسبب إيمانكم برسوله بعد إيمانكم بمن قبله من الرسل، وهذا - والله أعلم - لمؤمني أهل الكتاب ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ يعني على الصراط تهتدون به ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ما سلف من ذنوبكم ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي بليغ المغفرة والرحمة.

٢٩ ﴿لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ أي: اتقوا وآمنوا يؤتكم كذا وكذا ليعلم الذين لم يتقوا ولا آمنوا من أهل الكتاب: ﴿أَنَّهُ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ المعنى ليعلم أهل الكتاب أنهم لا يقدرُونَ على أن ينالوا شيئاً من فضل الله الذي تفضل به على من آمن بمحمد ﷺ ولا يقدرُونَ على أن يدفعوا ويمنعوا ذلك الفضل الذي تفضل الله به على المستحقين له ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ﴾ ومنه النبوة والعلم والتقوى ﴿يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ كما آتَى من ذلك محمداً ﷺ وأصحابه وأمتة من ذلك نصيباً أوفر، بدين الإسلام.

سُورَةُ الْحَجَّارِ

١ ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ أي: تُراجعت الكلام في شأنه ﴿وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ عن عائشة قالت: تبارك الذي وسع سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة، ويخفى عليّ بعضه، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ وهي تقول: يا رسول الله:

أكلت شباقي، وتثرت له بطني، حتى إذا كبر سني، وانقطع ولدي، ظاهر مني. اللهم إني أشكو إليك. قالت: فابرح حتى نزل جبريل بهؤلاء الآيات (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها) وهو أوس بن الصامت أحد الأنصار ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ أي: والله يسمع ما تتراجعان به من الكلام ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ يسمع كل مسموع، ويهر كل مبصر، ومن جملة ذلك ما جادلتك به هذه المرأة.

٢ ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِمَّنِ نَسَأَهُمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ أي: الذين يظهرون منكم من نسأهم ما هنَّ أمهاتهم، معنى الظهار أن يقول الرجل لامرأته: أنت عليّ كظهر أمي. ولا خلاف في كون هذا ظهاراً ﴿مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ أي: ما نسأهم بأمهاتهم، فذلك كذب منهم. وفي هذا توبيخ للمظاهرين وتبكييت لهم ﴿إِنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ﴾ أي: ليست أمهاتهم إلا النساء اللاتي ولدنهم ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ مَنكُراً مِنَ الْقَوْلِ وَزُوراً﴾ أي: وإن المظاهرين ليقولون بقولهم هذا منكراً من القول، أي فظيماً ينكره الشرع، والزور: الكذب ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ﴾ أي:



إِنْ أُمِّهَتْهُمْ إِلَّا اللَّعْنَةُ وَلَدَنَّهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا
مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ
يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ
مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا
تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ
مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعَامُ سِتِّينَ
مِسْكِينًا ذَلِكَ لِيُتُومِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ
وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ كُتِبُوا كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَا
آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ
يَبْعَثُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ
وَنُصُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ

يَسْتَطِعُ يعني صيام شهرين متتابعين
فَاِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا أي فعلية أن
يطعم ستين مسكينا، لكل مسكين نصف
صاع من بر أو تمر أو أرز أو نحوها. ويجوز
أن يطعمهم حتى يشبعوا مرة واحدة، أو
يدفع إليهم ما يشبعهم **ذَلِكَ لِيُتُومِنُوا**
بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أي: حكنا بذلك لتصدقوا
أن الله أمر به وشرعه، وتيقنوا عند حدود
الشرع، ولا تتعدوها، ولا تعودوا إلى
الظهار الذي هو منكر من القول وزور
وَتِلْكَ الأحكام المذكورة **حُدُودُ**
اللَّهِ فلا تجاوزوا حدوده التي حدّها
لكم، فإنه قد بين لكم أن الظهار
معصية، وأن كفارته المذكورة توجب العفو
والمغفرة **وَلِلْكَافِرِينَ** الذين لا يقفون
عند حدود الله **عَذَابٌ أَلِيمٌ** وهو
عذاب جهنم.

هـ **إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**
المحادّة: المشاقة والمعاداة والخالفة **كُتِبُوا**
كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أي أذلوا
وأخزوا. والمردود بالذات يقال له مكبوت.
وذلك مثل ما وقع للمشرّكين يوم بدر،
فإن الله كتبهم بالقتل والأسر والقهر
وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فيمن حادّ
الله ورسوله من الأمم المتقدمة، وقيل هي
المعجزات **وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ**
المهين: الذي يهين صاحبه ويذله
ويذهب بعزه.

٦ **يَوْمَ يَبْعَثُ اللَّهُ جَمِيعًا** أي مجتمعين
في حالة واحدة، لا يبقى منهم أحد لم
يبعث **فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا** في الدنيا من
الأعمال القبيحة، ينبئهم بذلك على
كثرتهم واختلاف أنواعه، لتكميل الحجة
عليهم **أَحْصَاهُ اللَّهُ** أحصاه الله جميعا
ولم يفته منه شيء **وَنُصُوهُ** هم ولم
يحفظوه، بل وجدوه حاضرا مكتوبا في
صحائفهم **وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**
مطلع وناظر.

أو تزجرون به عن ارتكاب الظهار **وَاللَّهُ**
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ لا يخفى عليه شيء من
أعمالكم، فهو مجازيكم عليها.

٤ **فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ**
مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا أي: فمن لم يجد
الرقبة في ملكه، ولا تمكن من قيمتها،
[أو لم يجد رقبة يشتريها] فعليه صيام
شهرين متتابعين متواليين لا يفطر فيها،
فإن أفطر استأنف إن كان الإفطار لغير
عذر. فلو جامعها ليلا أو نهارا عمدا
استأنف. وقال الشافعي لا يستأنف إذا
وطيء ليلا لأنه ليس محلا للصوم **فَمَن لَّمْ**

بليغ العفو والمغفرة، إذ جمل الكفارة
عليهم مغلصة لهم عن هذا المنكر.

٣ **وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ**
يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا يعودون لما كانوا عليه
من إرادة الجماع **فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ** أي:
فعلهم تحرير رقبة، أي: أمة أو عبد
مملوك، من أجل ما قالوا. وقيل العود أن
يمسكها زوجة بعد الظهار، مع القدرة على
الطلاق **مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا** المراد
بالتماس هنا الجماع، فلا يجوز للمظاهر
السوط حتى يكفر **ذَلِكَ** الحكم
المذكور **تُوعَظُونَ بِهِ** أي: تؤمرون به،

مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى
ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٌ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى
مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمُ
بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ
تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ
وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا
جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحْيِكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ
لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسِبْتُمْ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا
فَإِنْ سَاءَ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ
فَلَا تَتَنَجَّوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَتَجَّوْا
بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾
إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا

٧ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: أن علمه محيط بما فيها، بحيث لا يخفى عليه شيء مما فيها ﴿مَّا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ﴾ ما يوجد من تناجي رجال ثلاثة ﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ يشاركهم في الاطلاع على تلك النجوى ﴿وَلَا خَمْسَةٌ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ لأنه سبحانه مع كل عدد، قل أو كثير، يعلم السر والجهر لا تخفى عليه خافية ﴿وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ﴾ أي ولا أقل من العدد المذكور: كالأحد، والاثنين، ولا أكثر منه: كالسنة والسبعة ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ يعلم ما يتناجون به لا يخفى عليه منه شيء ﴿يَأْتِيهَا كَانُوا﴾ في أي مكان من الأمكنة ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ﴾ أي يخبرهم ﴿بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [أي ليعلموا أن نجواهم لم تكن عليه خافية، وليكون إعلامه لمن يتناجون بالسوء] توبيخا لهم وتبكيًا وإلزاما للحجة.

٨ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ كان اليهود إذا مر بهم الرجل من المؤمنين تناجوا بينهم حتى يظن المؤمن شراً، فنهاهم الله، فلم ينتهوا، فنزلت ﴿وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ﴾ أي بغيبة المؤمنين وأذاهم ونحو ذلك، كالكذب والظلم ﴿وَالْعُدْوَانِ﴾ مافيه عدوان على المؤمنين ﴿وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ﴾ مخالفته ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحْيِكَ بِهِ اللَّهُ﴾ المراد بها اليهود، كانوا يأتون النبي ﷺ فيقولون: السلام عليك، يريدون بذلك السلام ظاهراً وهم يعنون الموت باطنياً، فيقول النبي ﷺ عليكم ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ أي فيما بينهم ﴿لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ أي يقولون: لو كان محمد نبياً لعذبنا الله بما يتضمنه قولنا من الاستخفاف به، وقيل المعنى: لو كان نبياً لاستجيب له فيما حيث يقول: عليكم، ولوقع علينا الموت عند ذلك

غيره، أي من تزيينه وتسويله ﴿لِيَحْزَنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي لأجل أن يوقعهم في الحزن بما يحصل لهم من التوهم أنها في مكيدة يكادون بها ﴿وَلَيْسَ بِضَارِهِمْ شَيْئاً﴾ أي وليس الشيطان، أو التناجي الذي يزينه الشيطان، بضار المؤمنين شيئاً من الضرر ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي بمشيئته، ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ أي يكلون أمرهم إليه، ويفوضونه في جميع شؤونهم، ويستعينون بالله من الشيطان، ولا يبالون بما يزينه من النجوى. وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود

﴿حَسِبْتُمْ جَهَنَّمَ﴾ عذاباً، أي: يكفيهم عذابها عن الموت الحاضر ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ يدخلونها ﴿فَبَشِّرْ الْمَصِيرَ﴾ أي المرجع، وهو جهنم.

٩ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ﴾ كما يفعله اليهود والمنافقون ﴿وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ أي بالطاعة وترك المعصية ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ فيجزيكم بأعمالكم.

١٠ ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى﴾ يعني بالإثم والعدوان ومَعْصِيَةِ الرَّسُولِ ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ لا من

العلم درجات أي ويرفع الذين أوتوا العلم منكم درجات عالية في الكرامة في الدنيا والشواب في الآخرة، فمن جمع الإيمان والعلم رفعه الله بإيمانه درجات، ثم رفعه بعلمه درجات، ومن جملة ذلك رفعه في المجالس.

وَلَيْسَ بِضَارِهِمْ شَيْءٌ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٢﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةٌ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٣﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقْتُمْ فِإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ

١٢ **يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ** **صدق** المعنى إذا أردتم مسارة الرسول في أمر من أموركم فقدموا قبل مساررتكم له صدقة، تصدقوا بها. أنزل الله هذه الآية فأنتهى أهل الباطل عن النجوى لأنهم لم يقدموا بين يدي نجواهم صدقة، وشق ذلك على أهل الإيمان وامتنعوا عن النجوى لضعف كثير منهم عن الصدقة، ثم خفف الله عنهم بالآية التي بعد هذه **ذلك** تقديم الصدقة بين يدي النجوى **خير لكم وأطهر** لما فيه من طاعة الله **فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم** يعني من كان منهم لا يجد تلك الصدقة فلا حرج عليه في النجوى بدون صدقة.

١٣ **ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ** **صدقات** أي أخفتم الفقر والعيلة لأن تقدموا ذلك، قال مقاتل: إنما كان ذلك عشر ليال ثم نسخ **فإذا لم تفعلوا** ما أمرتم به من الصدقة بين يدي النجوى لشغلها عليكم **وتاب الله عليكم** بأن رخص لكم في الترك **فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة** والمعنى: إذا وقع منكم التثاقل عن تقديم الصدقة بين يدي النجوى فاثبتوا على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله **والله خير بما تعملون** فهو مجازيكم.

١٤ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا** أي **وآلؤهم** هم المنافقون تولوا اليهود **غضب الله عليهم** المفضوب عليهم هم اليهود،

والأجر، سواء كان مجلس حرب، أو ذكر، أو يوم الجمعة، وكل واحد أحق بمكانه الذي يسبق إليه، ولكن يوسع لأخيه، عن النبي ﷺ أنه قال «لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه، ولكن تفسحوا وتوسعوا» **وإذا قبل انشروا فانشروا** [أي إذا طُلب من بعض الجالسين في المجلس أن ينهضوا من أماكنهم ليجلس فيها أهل الفضل في الدين وأهل العلم بالله فليقوموا] **يرفع الله الذين آمنوا منكم** في الدنيا والآخرة بتوفير نصيبهم فيها **والذين أوتوا**

قال: قال رسول الله ﷺ «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث، فإن ذلك يحزنه».

١١ **يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ** أمرهم الله سبحانه بحسن الأدب بعضهم مع بعض بالتوسعة في المجلس وعدم التضايق فيه. قال قتادة ومجاهد: كانوا يتنافسون في مجلس النبي ﷺ فأمروا أن يفسح بعضهم لبعض **فافسحوا يفسح الله لكم** أي فوسعوا يوسع الله لكم في الجنة، وهي عامة في كل مجلس اجتمع فيه المسلمون للخير



وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ
 مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا
 عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٦﴾ لَنْ تَغْنِي عَنْهُمْ
 أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ
 النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا
 فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ
 أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾ اسْتَحَوْذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ
 فَأَنسَهُمُ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ
 حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ
 اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذْلَى ﴿٢٠﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ
 أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ
 بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ

﴿ما هم منكم ولا منهم﴾ كما قال الله
 فيهم (مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء
 ولا إلى هؤلاء) (ويحتمل أنهم اليهود، أي
 يقول للمؤمنين: ليس اليهود منكم ولا
 من المنافقين، فلماذا يتولاهم المنافقون)
 ﴿ويحلفون على الكذب﴾ أي يحلفون أنهم
 مسلمون، أو يحلفون أنهم ما نقلوا الأخبار
 إلى اليهود ﴿وهم يعلمون﴾ أي يعلمون
 بطلان ما حلفوا عليه، وأنه كذب لا
 حقيقة له.

١٥ ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾
 بسبب هذا التولي والحلف على الباطل
 ﴿إنهم ساء ما كانوا يعملون﴾ من
 الأعمال القبيحة.

١٦ ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ وهي ما
 كانوا يحلفون عليه من الكذب بأنهم من
 المسلمين، توقيًا من القتل بالكفر، فجعلوا
 هذه الأيمان وقاية وسترة دون دمائهم،
 فأمنت ألسنتهم من خوف القتل، ولم
 تؤمن قلوبهم ﴿فصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾
 أي منعوا الناس عن الإسلام بسبب ما
 يصدر عنهم من التشييط، وتهوين أمر
 المسلمين، وتضعيف شوكتهم ﴿فلهم
 عذاب مهين﴾ أي يهينهم ويخزيهم.

١٧ ﴿لَنْ تَغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا
 أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أي لن تغني
 عنهم من عذابه شيئا من الإغناء
 ﴿أُولَئِكَ﴾ الموصوفون بما ذكر ﴿أَصْحَابُ
 النَّارِ﴾ لا يفارقونها ﴿هم فيها خالدون﴾
 لا يخرجون منها ولا يموتون فيها.

١٨ ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ
 كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ أي يحلفون لله يوم
 القيامة على الكذب، كما يحلفون لكم في
 الدنيا، فيقولون: والله ربنا ما فعلنا ذلك.
 وهذا من شدة شقاوتهم، فإن الحقائق يوم
 القيامة قد انكشفت، وصارت الأمور
 معلومة بضرورة المشاهدة ﴿ويحسبون أنهم
 على شيء﴾ أي يحسبون في الآخرة أنهم

بذلك الأيمان الكاذبة على شيء مما يجلب
 نفعا، أو يدفع ضررا، كما كانوا يحسبون

ذلك في الدنيا ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾
 البالغون فيه إلى حد لم يبلغ غيرهم إليه.

١٩ ﴿اسْتَحَوْذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ﴾ أي
 غلب عليهم واستعل واستولى وأحاط بهم
 ﴿فأنساهم ذكر الله﴾ أي فتركوا أوامره
 والعمل بطلعاته ﴿حزب الشيطان﴾ أي
 جنوده وأتباعه ورهطه ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ
 الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ لأنهم باعوا
 الجنة بالنار، والهدى بالضلالة، وكذبوا
 على الله وعلى نبيه، وحلفوا الأيمان

٢٠ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾
 تقدم معنى المحادة لله ولرسوله في أول هذه
 السورة ﴿أُولَئِكَ فِي الْأَذْلَى﴾ من جملة من
 أذله الله من الأمم السابقة واللاحقة،
 بالذل في الدنيا والخرى في الآخرة.

٢١ ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ أي
 قضى في سابق علمه: لأغلبن أنا ورسلي
 بالحجة والسيوف ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾
 قوى على نصر أوليائه، غالب لأعدائه، لا
 يغلبه أحد.

ابن أبي حاتم والطبراني والحاكم: جعل والد أبي عبيدة ابن الجراح يتقصد لأبي عبيدة يوم بدر، وجعل أبو عبيدة يحيد عنه، فلما أكثر قصده أبو عبيدة فقتله، فنزلت **﴿لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون...﴾** الآية.

سورة الحشر

٢ ﴿هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر﴾

هم بنو النضير، وهم رهط من اليهود من ذرية هارون، نزلوا المدينة في فتن بني إسرائيل، فغدروا بالنبي ﷺ بعد أن عاهدوه، وصاروا عليه مع المشركين، فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى رضوا بالجللاء. قال الكلبي: كانوا أول من أجلى من أهل الكتاب من جزيرة العرب، ثم أجلى آخرهم في زمن عمر بن الخطاب، فكان جلاؤهم أول حشر من المدينة، وآخر حشر إجلاء عمر لهم. وقيل إن أول الحشر إخراجهم من حصونهم إلى خيبر، وآخر الحشر إخراجهم من خيبر إلى الشام. وقيل آخر الحشر هو حشر جميع الناس إلى أرض الحشر **﴿ما ظننتم أن يخرجوا﴾** أي ما ظننتم أيها المسلمون أن بني النضير يخرجون من ديارهم، لعزتهم ومنعتهم، وكانوا أهل حصون مانعة، وعقار ونخيل واسعة، وأهل عدد وعدة **﴿وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله﴾** أي وظن بنو النضير أن حصونهم تمنعهم من بأس الله **﴿فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا﴾** أي أتاهم أمر الله من جهة لم يخطر ببالهم أنه يأتيهم أمره منها، وهو أنه سبحانه أمر نبيه ﷺ بقتالهم وإجلالهم، وكانوا لا يظنون [أن الأمر يصل إلى ذلك، بل كانوا عند أنفسهم أعز وأقوى].

كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ
أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ
وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ
حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

(٥٩) سورة الحشر مكية وآياتها أربع وعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا

أي قواهم بنصر منه على عدوهم في الدنيا. وسمى نصره لهم روحا لأن به يحيا أمرهم **﴿ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها﴾** على الأبد **﴿رضي الله عنهم﴾** أي قبل أعمالهم وأفاض عليهم آثار رحمته العاجلة والآجلة **﴿ورضوا عنه﴾** أي فرحوا بما أعطاهم عاجلا وآجلا **﴿أولئك حزب الله﴾** أي جنده الذين يمتثلون أوامره، ويقاتلون أعداءه، وينصرون أوليائه **﴿ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾** أي الفائزون بسعادة الدنيا والآخرة، أخرج

٢٢ ﴿لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله﴾ يوادون أي يحبون ويوالون من عادى الله ورسوله وشاقها **﴿ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم﴾** أي ولو كان المحادون لله ورسوله آباء المoadين الخ، فإن الإيمان يزجر عن ذلك ومنع منه، ورعايته أقوى من رعاية الأبوة والبنوة والأخوة والعشيرة **﴿أولئك﴾** يعني الذين لا يوادون من حاد الله ورسوله **﴿كتب في قلوبهم الإيمان﴾** أثبتته، وقيل جعله، وقيل جمعه **﴿وأيدهم روح منه﴾**

وَقَطُّوا أَنَّهُمْ مَا نِعْتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَتْهُمْ اللَّهُ مِنْ
حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُجْرِبُونَ بِيُوتَهُمْ
بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴿١﴾
وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا
وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ
وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٣﴾
مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَبَنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ
اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ
مِنْهُمْ قَبْلَ أَنْ وَجِفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ
يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥﴾
مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ
وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ

«وقذف في قلوبهم الرعب» الرعب الخوف الذي يرعب الصدر: أي يملؤه. قال **«نصرت بالرعب مسيرة شهر»** **«يجربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين»** وذلك أنهم لما أيقنوا بالجللاء حسدوا المسلمين أن يسكنوا منازلهم، فجعلوا يجربونها من داخل، والمسلمون من خارج. وقال الزهري وعروة بن الزبير: لما صالحهم النبي **«على أن لهم ما أقلت الإبل كانوا يستحسنون الخشب أو العمود فيهدمون بيوتهم ويحملون ذلك على إبلهم ويجرب المؤمنون باقيها»** **«فاعتبروا يا أولي الأبصار»** أي [اعلموا أن الله يفعل مثل ذلك بمن غدر وحاد الله].

٣ [ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا] أي لولا أن كتب الله عليهم الخروج من أوطانهم على ذلك الوجه، وقضى به عليهم، لعذبهم بالقتل والسبي في الدنيا كما فعل ببني قريظة.

٤ «بأنهم شاقوا الله ورسوله» بعدم الطاعة والميل مع الكفار ونقض العهد.

٥ «ما قطعتم من لبنة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله» أخذ بعض المسلمين في معركة النصير يقطع نخيل الكفار لإغاثتهم، فقال بنو النصير وهم أهل كتاب: يا محمد ألت ترعم أنك نبي تريد الصلاح؟ أفن الصلاح قطع النخل وحرق الشجر؟ وهل وجدت فيما أنزل عليك إباحة الفساد في الأرض؟ فشق ذلك على رسول الله **«ووجد المسلمون في أنفسهم، فنزلت الآية، «وليخزي الفاسقين»** أي ليزل الخارجين عن الطاعة، وهم اليهود، ويغيظهم في قطعها وتركها، فإنهم إذا رأوا المؤمنين يتحكمون في أموالهم كيف شاءوا من القطع والترك ازدادوا غيظا.

٦ «وما أفاء الله على رسوله منهم» أي

ما رده عليه من أموال الكفار **«ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى»** هذا بيان لمصارف الشيء بعد بيان أنه لرسول الله **«خاصة»** وهو حكم على كل قرية يفتحها رسول الله **«والمسلمون بعده إلى يوم القيامة بغير قتال، بل صلحا، ولم يوجف عليها المسلمون بخيل ولا ركاب»** **«فله»** يحكم فيه بما يشاء **«وللرسول»** يكون ملكا له، ثم في مصالح المسلمين **«ولذي القربى»** وهم بنو هاشم وبنو المطلب لأنهم قد منيعوا من الصدقة، فجعل لهم حقا في الشيء **«واليتامى»** وهم الصغار الذين

ما رده عليه من أموال الكفار **«ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى»** هذا بيان لمصارف الشيء بعد بيان أنه لرسول الله **«خاصة»** وهو حكم على كل قرية يفتحها رسول الله **«والمسلمون بعده إلى يوم القيامة بغير قتال، بل صلحا، ولم يوجف عليها المسلمون بخيل ولا ركاب»** **«فله»** يحكم فيه بما يشاء **«وللرسول»** يكون ملكا له، ثم في مصالح المسلمين **«ولذي القربى»** وهم بنو هاشم وبنو المطلب لأنهم قد منيعوا من الصدقة، فجعل لهم حقا في الشيء **«واليتامى»** وهم الصغار الذين

كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا أَتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَخِّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ

يُحِبُّونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً حَسَدًا أَوْ غِيظًا أَوْ حَزَاةً ﴿١٠﴾ أَوْتُوا أَي: مما أوتي المهاجرون دونهم من النية، بل طابت أنفسهم بذلك. وكان المهاجرون في دور الأنصار، فلما غم النبي ﷺ بني النضير دعا الأنصار وشكرهم فيما صنعوا مع المهاجرين من إنزالهم إياهم في منازلهم، وإشراكهم في أموالهم، ثم قال: «إن أحببتهم قسمت ما أفاء الله علي من بني النضير بينكم وبين المهاجرين، وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في مساكنكم والمشاركة لكم في أموالكم، وإن أحببتهم أعطيتهم ذلك وخرجوا من دياركم» فرضوا بقسمة ذلك في المهاجرين وطابت أنفسهم ﴿١٠﴾ **ويؤثرون** على أنفسهم، يقدمون المهاجرين على أنفسهم في حظوظ الدنيا ﴿١١﴾ **ولو كان بهم خصاصة** أي: حاجة وفقر ﴿١٢﴾ **ومن يوق شخ نفسه فأولئك هم المفلحون** أي من كفاه الله حرص نفسه وبخلها فأدى ما أوجبه الشرع عليه في مال من زكاة أو حق فقد فاز ونجح، ولم يفز من بخل بذلك وشحت به نفسه.

١٠ ﴿والذين جاءوا من بعدهم﴾ وهم التابعون لهم بإحسان إلى يوم القيامة ﴿يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان﴾ أمرهم الله أن يستغفروا لأنفسهم ولبن تقيمتهم من المهاجرين والأنصار ﴿ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا﴾ أي غشا وبغضا وحسدا. فيدخل في ذلك الصحابة دخولا أوليا لكونهم أشرف المؤمنين، ولكون السياق فيهم، فن وجد في قلبه لهم غلا فقد أصابه نزغ من الشيطان، وحل به نصيب وافر من عصيان الله بعداوة أوليائه وخير أمة نبيه ﷺ وليس له في النية حق. وكذلك من سبهم أو آذاهم أو انتقص من قدرهم.

من ديارهم﴾ من مكة اضطروهم إلى الخروج منها، فخرجوا ﴿يبتغون فضلا من الله ورضوانا﴾ بالرزق في الدنيا، وبالرضوان في الآخرة ﴿وينصرون الله ورسوله﴾ بالجهاد للكفار ﴿أولئك هم الصادقون﴾ أي: الكاملون في الصدق الراسخون فيه.

٩ ﴿والذي تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم﴾ هم الأنصار سكنوا المدينة قبل المهاجرين، وآمنوا بالله ورسوله ﴿يحبون من هاجر إليهم﴾ أحسنوا إلى المهاجرين وأشركوهم في أموالهم ومساكنهم ﴿ولا

مات آباؤهم قبل أن يدخلوا مرحلة البلوغ ﴿والمساكين﴾ الفقراء ﴿وابن السبيل﴾ الغريب الذي نفدت نفقته.

﴿كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم﴾ فيغلب الأغنياء الفقراء، فيقسمونه بينهم ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ أي ما أعطاكم من مال النبي فخذوه، وما نهاكم عن أخذه فانتهوا عنه ولا تأخذوه. وقيل معنى الآية: ما آتاكم من طاعتي فافعلوا، وما نهاكم عنه من معصيتي فاجتنبوه.

٨ ﴿للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا



لَا خَوْنَهُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ
لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ
لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا
لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ
لَيُؤْتِنَنَّ الْأَذْبَرُ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً
فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾
لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ
جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ
الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي
بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ

١١ ﴿ألم تر إلى الذين نافقوا﴾ هم عبدالله بن أبي وأصحابه، بعثوا إلى بني النضير: أن اثبتوا وتمتعوا فإننا لا نسلمكم، وإن قوتلتهم قاتلنا معكم، وإن أخرجتم خرجنا معكم، فتربصوا ذلك من نصرهم فلم يفعلوا، وقذف الله في قلوبهم الرعب، فسألوا رسول الله ﷺ أن يجلبهم ويكف عن دمائهم، ففعل، فكان الرجل منهم يهدم بيته فيضعه على ظهر بعير فينطلق به، فخرجوا إلى خيبر، ومنهم من سار إلى الشام ﴿يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم﴾ أي: والله لئن أخرجتم من دياركم ﴿لنخرجن معكم﴾ أي: لنخرجن من ديارنا في صحبتكم ﴿ولا نطيع فيكم﴾ أي: في شأنكم، ومن أجلكم ﴿أحدًا﴾ ممن يريد أن يمنعنا من الخروج معكم ﴿أبدًا﴾ وإن طال الزمان ﴿وإن قوتلتهم لننصرنكم﴾ على عدوكم. ثم كذبهم سبحانه، فقال ﴿والله يشهد إنهم لكاذبون﴾ فإيا وعدوهم به من الخروج معهم والنصرة لهم.

١٢ ﴿لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم﴾ وقد كان الأمر كذلك، فإن المنافقين لم يخرجوا مع من أخرج من اليهود، وهم بنو النضير ومن معهم، ولم ينصروا من قوتل من اليهود، وهم بنو قريظة وأهل خيبر ﴿ولئن نصرهم ليؤتينا الأذبار﴾ منهزمين ﴿ثم لا ينصرون﴾ لا يصير المنافقون منصورين بعد ذلك، بل يذلهم الله ولا ينفعهم نفاقهم.

١٣ ﴿لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله﴾ أي: لأنتم يا معاشر المسلمين أشد خوفًا وخشية في صدور المنافقين، أو صدور اليهود، من رهبة الله ﴿ذلك بأنهم قوم لا يفقهون﴾ ولو كان لهم فقه لعلموا أن الله سبحانه هو الذي سلطكم عليهم، فهو أحق بالرهبة منه دونكم.

فتوحدوا ولم يختلفوا.

١٥ ﴿كمثل الذين من قبلهم﴾ من كفار المشركين ﴿قريبًا﴾ يعني في زمان قريب ﴿ذاقوا وبال أمرهم﴾ أي: سوء عاقبة كفرهم في الدنيا بقتلهم يوم بدر، وكان ذلك قبل غزوة بني النضير بسة أشهر ﴿ولهم عذاب أليم﴾ أي: في الآخرة.

١٦ ﴿كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر﴾ أي: مثلهم في تخاذلهم وعدم تناصرهم، كمثل الشيطان للإنسان، أغراه بالكفر، وزينه له، وحله عليه ﴿فلما

١٤ ﴿لا يقاتلونكم جميعًا﴾ مجتمعين لقتالكم ﴿إلا في قرى محصنة﴾ أي في الدروب والدور ﴿أو من وراء جدر﴾ أي: من خلف الحيطان التي يستترون بها لجبنهم ورهبتهم ﴿بأسهم بينهم شديد﴾ أي: بعضهم غليظ فظ على بعض، وقلوبهم مختلفة، ونياتهم متباينة ﴿تحسبهم جميعًا وقلوبهم شتى﴾ أي: إن اجتماعهم إنما هو في الظاهر، مع تخالف قلوبهم في الباطن، مختلفة آراؤهم، مختلفة شهادتهم، مختلفة أهواؤهم ﴿ذلك بأنهم قوم لا يعقلون﴾ ولو عقلوا لعرفوا الحق واتبعوه

عَقِبَتْهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جزَاُ
الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ
نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا
تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ
أَنفُسُهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ
النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾
لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا
مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ
يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ
الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ

الرخاء فأنساهم أنفسهم في الشدائد
﴿أولئك هم الفاسقون﴾ أي الكاملون
في الخروج عن طاعة الله.

٢٠ ﴿لا يستوي أصحاب النار
وأصحاب الجنة﴾ في الفضل والرتبة
﴿أصحاب الجنة هم الفائزون﴾ أي:
الظافرون بكل مطلوب، الناجون من كل
مكروه.

٢١ ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل
لرأيت خاشعاً متصدعاً من خشية الله﴾
أي: بلغ من شأنه وعظمته وبلاغته
واشتماله على المواعظ التي تلين لها
القلوب، أنه لو أنزل على جبل من الجبال
لرأيت، مع كونه في غاية القسوة وشدّة
الصلابة وضخامة الجرم، متشقّقاً من
خشية الله، حذراً من عقابه وخوفاً من أن
لا يؤدي ما يجب عليه من تعظيم كلام
الله ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس
لعلهم يتفكرون﴾ فيما يجب عليهم التذكّر
فيه ليتعظّوا بالمواعظ، وينزجروا
بالزواجر.

٢٢ ﴿هو الله الذي لا إله إلا هو عالم
الغيب والشهادة﴾ أي: عالم ما غاب
عن الإحساس وما حضر.

٢٣ ﴿هو الله الذي لا إله إلا هو﴾
كرره للتأكيد والتقرير ﴿الملك
القدّوس﴾ أي: الطاهر من كل عيب
المنزه عن كلّ نقص ﴿السلام﴾ أي:
الذي سلم من كلّ نقص وعيب، وقيل
الذي سلم الخلق من ظلمه ﴿المؤمن﴾
أي: الذي وهب لعباده الأمن من
الظلم، وقيل: المصنّق لرسله بإظهار
المعجزات، وللمؤمنين بما وعدهم به من
الثواب ﴿المهيمن﴾ أي: الشهيد على
عباده بأعمالهم الرقيب عليهم ﴿العزّيز﴾
القاهر الغالب غير المغلوب ﴿الجبار﴾
جبروت الله عظمت، وقيل الجبار الذي
لا تطاق سطوته.

كفر قال إني بريء منك﴾ أي: فلما
كفر الإنسان مطاوعةً للشيطان، وقبلوا
لتزيينه، قال الشيطان: إني بريء منك،
وهذا يكون منه يوم القيامة ﴿إني أخاف
الله رب العالمين﴾ هذا من قول الشيطان
على وجه التبرّي من الإنسان.

١٧ ﴿فكان عاقبتهم أنها في النار﴾
فكان عاقبة الشيطان وذلك الإنسان
الذي كفر أنها صائران إلى النار
﴿خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين﴾
أي: الخلود في النار.
١٨ ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله﴾

أي: اتقوا عقابه بفعل ما أمركم به وترك
ما نهاكم عنه ﴿ولتنظر نفس ما قدمت
لغد﴾ أي: لتنظر أي شيء قدمت من
الأعمال ليوم القيامة ﴿واتقوا الله﴾
للتأكيد ﴿إن الله خبير بما تعملون﴾ لا
تحق عليه من ذلك خافية، فهو مجازيكم
بأعمالكم.

١٩ ﴿ولا تكونوا كالذين نسوا الله﴾
أي: تركوا أمره أو لم يخافوه ﴿فأنساهم
أنفسهم﴾ أي: جعلهم ناسين لها بسبب
نسيانهم له، فلم يشتغلوا بالأعمال التي
تنجيهم من العذاب، وقيل نسوا الله في

الْخَالِقُ الْبَارِي الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ
لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

(٦٠) سُورَةُ الْمُتَحَنَّنِينَ
وَأَيَّانَهَا ثَلَاثُ عَشْرَةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ
تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ
يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم
بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ
مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾ إِنْ يَشْفِقُكُمْ يُكَفِّرْكُمْ

﴿المتكبر﴾ أي: الذي تكبر عن كل نقص، وتعظم عما لا يليق به. والكبر في صفات الله مدح، وفي صفات المخلوقين ذم ﴿سبحان الله عما يشركون﴾ تنزيهاً له عن إشراكهم به.

٢٤ ﴿هو الله الخالق﴾ أي: المقتدر للأشياء على مقتضى إرادته ومشيئته ﴿الباري﴾ أي: المنشئ المخرع للأشياء الموجد لها ﴿المصور﴾ أي: الموجد للصورة المركب لها على هيئات مختلفة ﴿له الأسماء الحسنى﴾ قد تقدم بيانها في سورة الأعراف (الآية ١٨٠) ﴿يسبح له ما في السماوات والأرض﴾ أي: ينطق بتنزيهه بلسان الحال أو المقال كل ما فيها ﴿وهو العزيز﴾ الذي لا يغالبه مغالب ﴿الحكيم﴾ في كل الأمور التي يقضي بها.

سُورَةُ الْمُتَحَنَّنِينَ

١ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوِّي وعدوكم أولياء﴾ نزلت في حاطب بن أبي بلتعة حين كتب إلى مشركي قريش يخبرهم بمسير النبي ﷺ إليهم، وذلك في غزوة فتح مكة سنة ثمان من الهجرة. والآية تدل على النهي عن موالاته الكفار بوجه من الوجوه ﴿تلقون إليهم بالمودة﴾ أي: توصلون إليهم أخبار النبي بسبب المودة التي بينكم وبينهم ﴿وقد كفروا بما جاءكم من الحق﴾ أي: كفروا بالله والرسول وما جاءكم به من القرآن والهداية الإلهية ﴿يخرجون الرسول وإياكم﴾ أي: أخرجوه وإياكم من مكة، لكفرهم بما جاءكم من الحق، فكيف توادونهم؟ ﴿أن تؤمنوا بالله ربكم﴾ أي يخرجونكم لأجل إيمانكم، أو كراهة أن تؤمنوا ﴿إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء رضائي﴾ أي:

إن كنتم كذلك فلا تتخذوا عدوِّي وعدوكم أولياء ﴿تسرون إليهم بالمودة﴾ أي: تسرون إليهم الأخبار بسبب المودة ﴿وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم﴾ أي: أعلم من كل أحد بما تخفون وما تعلنون ﴿ومن يفعل منكم فقد ضلَّ سواء السبيل﴾ أخطأ طريق الحق والصواب، وضلَّ عن قصد السبيل.

٢ ﴿إن يشفقكم يكونوا لكم أعداء﴾ أي: إن يلقوكم ويصادفوكم يظهروا لكم ما في قلوبهم من العداوة ﴿ويستطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء﴾ أي: يمدوا إليكم أيديهم بالضرب ونحوه، وألسنتهم بالشتم ونحوه ﴿وودوا لو تكفرون﴾ تمنوا ارتدادهم وودوا رجوعهم إلى الكفر.

٣ ﴿لن ننفعكم أرحامكم ولا أولادكم﴾ أي إن أولادكم وأقاربكم لن ينفعوكم يوم القيامة حتى توالوا الكفار لأجلهم، كما وقع في قصة حاطب بن أبي بلتعة، بل الذي ينفعكم هو ما أمركم الله به من معاداة الكفار وترك موالاتهم ﴿يوم القيامة يفصل بينكم﴾ يفرق بينكم، فيدخل أهل طاعته الجنة،

أي : وما أَدفع عنك من عذاب الله شيئا
**﴿ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك
 المصير﴾** هذا من دعاء إبراهيم وأصحابه،
 وما فيه أسوة حسنة يقتدى به فيها.

٥ **﴿ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا﴾**
 قال مجاهد: لا تعذبنا بأيديهم، ولا
 بعذاب من عندك فيقولوا: لو كان هؤلاء
 على حق ما أصابهم هذا **﴿واغفر لنا ربنا
 إنك أنت العزيز﴾** أي: الغالب الذي لا
 يغالب **﴿الحكيم﴾** ذو الحكمة البالغة.

٦ **﴿لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة﴾**
 أي: لقد كان لكم في إبراهيم والذين
 معه قدوة حسنة **﴿لمن كان يرجو الله
 واليوم الآخر﴾** المعنى: أن هذه الأسوة
 إنما تكون لمن يطمع في الخير من الله في
 الدنيا وفي الآخرة **﴿ومن يتول﴾** أي:
 يعرض عن ذلك **﴿فإن الله هو الغني﴾**
 عن خلقه **﴿الحميد﴾** إلى أوليائه.

٧ **﴿عسى الله أن يجعل بينكم وبين
 الذين عاديتهم منهم مودة﴾** وذلك بأن
 يسلموا فيصيروا من أهل دينكم. وقد
 أسلم قوم منهم بعد فتح مكة، وحسن
 إسلامهم، ووقعت بينهم وبين من
 تقدمهم في الإسلام مودة، وجاهدوا وفعلوا
 الأفعال المقربة إلى الله. وتزوج النبي ﷺ
 بأم حبيبة بنت أبي سفيان، ولكنها لم
 تحصل المودة إلا بإسلامه يوم الفتح وما
 بعده. وترك أبو سفيان بعد ذلك ما كان
 عليه من العداوة لرسول الله ﷺ. أخرج
 ابن مردويه عن أبي هريرة قال: أول من
 قاتل أهل الردة على إقامة دين الله أبو
 سفيان بن حرب، وفيه نزلت هذه الآية
 (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين
 عاديتهم منهم مودة) **﴿والله قدير﴾** أي:
 بليغ القدرة قادر على أن يقبل بقلوب
 المعاندين ليدخلهم في مغفرته ورحمته.

لَكُمْ أَعْدَاءٌ وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَسْلَتَهُمْ بِالسُّوءِ
 وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٥﴾ لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا
 أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
 بَصِيرٌ ﴿٦﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ
 مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُكُمْ وَأَؤَامِنُكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ
 مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ
 وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ۚ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ
 لِأَبِيهِ لَا تُشْفِقْ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ۚ
 رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٧﴾
 رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَآغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا ۚ إِنَّكَ
 أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ
 حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ

وأهل معصيته النار **﴿والله بما تعملون
 بصير﴾** فهو مجازيكم على ذلك.
 ٥ **﴿قد كانت لكم أسوة حسنة﴾** أي:
 خصلة حميدة تقتدون بها **﴿في إبراهيم
 والذي معه﴾** يقول: أفلا تأسيت
 يا حاطب بإبراهيم، فتتبرأ من أهلك كما
 تبرأ إبراهيم من أبيه وقومه **﴿إذ قالوا
 لقومهم إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ﴾** أي: بريئون
 منكم: لسنا منكم ولستم منا، لكفركم
 بالله **﴿ومما تعبدون من دون الله﴾** وهي
 الأصنام **﴿كفرنا بكم﴾** أي: بما آمنتم به
 من الأوثان، أو بدينكم، أو بأفعالكم
**﴿وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء
 أبدا﴾** أي: هذا دأبنا معكم ما دمت على
 كفركم **﴿حق تؤمنوا بالله وحده﴾**
 وتتركوا ما أنتم عليه من الشرك، فإذا
 فعلتم ذلك صارت تلك العداوة موالاة،
 والبغضاء محبة **﴿إلا قول إبراهيم لأبيه
 لأستغفرن لك﴾** أي: قد كانت لكم
 أسوة حسنة في كل مقالات إبراهيم إلا
 قوله لأبيه، فلا تأتسوا به فتستغفروا
 للمشركين، فإنه كان عن موعدة وعدها
 إياه (فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه)
﴿وما أملك لك من الله من شيء﴾

فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾ * عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ
بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ
غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧﴾ لَا يَنْهَكُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ
فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا
إِلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَكُ
اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ
وظَهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ
هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ
الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاِمْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ
فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ
لَا مِنْ حِلٍّ لهنَّ وَلَا هُنَّ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُنَّ مَا أَنْفَقُوا
وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ

٨ ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ
يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ
دِيَارِكُمْ﴾ أي: لا ينهاكم عن هؤلاء
﴿أَنْ تَبَرُّوهُمْ﴾ [تفعلوا معهم ما هو من
البر، كصلة الرحم، ونفع الجار،
والضيافة] ﴿وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ وتعدلوا فيما
بينكم وبينهم [بأداء ما لهم من الحق،
كالوفاء لهم بالوعد، وإيتاء الأمانة،
وأداء أثمان ما تشترونه منهم كاملة غير
منقوصة] ﴿إِنْ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾
أي: العادلين، ومعنى الآية أن الله
سبحانه لا ينهى عن بر أهل العهد من
الكفار الذين عاهدوا المؤمنين على ترك
القتال، وعلى أن لا يظاهروا الكفار
عليهم، ولا ينهى عن معاملتهم بالعدل.

٩ ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ
فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾
وهم صناديد الكفر من قريش وأشباههم
ممن هم حرب على المسلمين ﴿وَيُظَاهَرُوا
عَلَى إِخْرَاجِكُمْ﴾ أي: عاونوا الذين
قاتلوكم وأخرجوكم على ذلك، وهم سائر
أهل مكة ومن دخل معهم في عهدهم
﴿أَنْ تَوَلَّوْهُمْ﴾ أن تتخذوهم أولياء
وتناصروهم ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ
الظَّالِمُونَ﴾ لأنهم تولوا من يستحق
العداوة، لكونه عدواً لله ولرسوله ولكتابه.

١٠ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ
الْمُؤْمِنَاتُ مِهَاجِرَاتٍ﴾ من بين الكفار،
وذلك أن النبي ﷺ لما صالح قريشا يوم
الحديبية على أن يرده عليهم من جاءهم
من المسلمين، فلما هاجر إليه النساء أبى
الله أن يرددن إلى المشركين، وأمر
بامتحانهن ﴿فَاِمْتَحِنُوهُنَّ﴾ أي:
فاختبروهن، لتعلموا مدى رغبتهن في
الإسلام. فقيل: كنّ يستحلفن بالله ما
خرجن من بغض زوج، ولا رغبة من
أرض إلى أرض، ولا لاتماس دنيا، بل
حبا لله ولرسوله ورغبة في دينه، فإذا

حلفت كذلك أعطى النبي ﷺ زوجها
مهرها وما أنفق عليها، ولم يردها إليه
﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ﴾ لبيان أن حقيقة
حالهن لا يعلمها إلا الله سبحانه، ولم
يتعبدكم بذلك، وإنما تعبدكم بامتحانهن
حتى يظهر لكم ما يدرك على صدق
دعواهن في الرغبة في الإسلام ﴿فَإِنْ
عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾ بحسب الظاهر بعد
الامتحان الذي أمرتم به ﴿فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ
إِلَى الْكُفَّارِ﴾ أي: إلى أزواجهن
الكافرين ﴿لَا مِنْ حِلٍّ لهنَّ وَلَا هُنَّ
يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ فالمؤمنة لا تحل لكافر،
وإسلام المرأة يوجب فرقتها من زوجها،
لا مجرد هجرتها ﴿وَأَتَوْهُنَّ مَا أَنْفَقُوا﴾
أي: وأعطوا أزواج هؤلاء اللاتي هاجرن
وأسلمن مثل ما أنفقوا عليهن من المهور.
قال الشافعي: وإذا طلبها غير الزوج من
قرباتها منع منها، بلا عوض ﴿وَلَا جُنَاحَ
عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾ لأنهن قد صرن
من أهل دينكم ﴿إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ
أَجُورَهُنَّ﴾ أي: مهورهن، وذلك بعد
انقضاء عدتهن ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعَصَمِ
الْكُوفَرِ﴾ والمعنى أن من كانت له امرأة
كافرة فليست له بامرأة لانقطاع عصمتها



وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا
 مَا أَنْفَقُوا ذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ بِحُكْمِ بَيْنِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
 حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ
 فَعَاقِبْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا
 وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِءُ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا
 جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا
 وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ
 بِبَهْتِنٍ يَفْتَرِيْنَهُ بَيْنَ أَيْدِيْهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعَصِيَنَّكَ
 فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
 رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوْلَوْا قَوْمًا غَضِبَ
 اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ
 أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿١٣﴾

إلى الكفار بأن ارتدت المسلمة فرجعت
 إلى دار الكفر ولو أهل كتاب **﴿فعاقبتم﴾**
 أي: كانت الغنيمة لكم حتى غنمتم
**﴿فاتوا الذين ذهب أزواجهم مثل ما
 أنفقوا﴾** أمروا أن يعطوا الذين ذهب
 أزواجهم مثل ما أنفقوا من النية
 والغنيمة إذا لم يرد عليه المشركون مهرها
﴿واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون﴾
 احذروا أن تتعرضوا لشيء مما يوجب
 العقوبة عليكم.

**١٢ ﴿يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات
 يبایعنك﴾** أي: قاصدات لمبايعتك على
 الإسلام **﴿على أن لا يشركن بالله شيئاً﴾**
 كائنا ما كان. وهذا كان يوم فتح مكة،
 فإن نساء أهل مكة أئبن رسول الله ﷺ
 يبایعنه، فأمره الله أن يأخذ عليهن أن لا
 يشركن **﴿ولا يقتلن أولادهن﴾** وهوما
 كانت تفعله الجاهلية من وأد البنات
**﴿ولا يأتين بهتان يفتريه بين أيديهن
 وأرجلهن﴾** أي: لا يلحقن بأزواجهن
 أولادا ليسوا منهم. قال الفراء: كانت
 المرأة تلتقط المولود، فتقول لزوجها: هذا
 ولدي منك. وقال ابن عباس: كانت
 المرأة تلد جارية فتجعل مكانها غلاماً.
﴿ولا يعصينك في معروف﴾ أي: من
 كل أمر هو طاعة الله، كالنهي عن النوح،
 وتمزيق الثياب، وجز الشعر، وشق
 الجيب، وخش الوجه، والدعاء بالويل
﴿فبایعن واستغفرهن الله﴾ أي: اطلب
 من الله المغفرة لهن بعد هذه المبايعة لهن
 منك.

**١٣ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً
 غضب الله عليهم﴾** هم جميع طوائف
 الكفر، وقيل اليهود خاصة **﴿قد بشوا
 من الآخرة﴾** أي: إنهم لا يوقنون بالآخرة
 البتة بسبب كفرهم **﴿كما يش الكفار
 من أصحاب القبور﴾** أي: كيأسهم من
 بعث موتاهم لاعتقادهم عدم البعث.

باختلاف الدين. وكان الكفار يزوجون
 المسلمين، والمسلمون يتزوجون المشركات،
 ثم نسخ ذلك بهذه الآية. وهذا خاص
 بالكوافر المشركات دون الكوافر من أهل
 الكتاب **﴿واسألوا ما أنفقتم﴾** أي: اطلبوا
 مهور نسائكم إذا ارتددن **﴿وليسألوا ما
 أنفقوا﴾** قال المفسرون: كان من ذهب
 من المسلمات مرتدة إلى الكفار من أهل
 العهد، يقال للكفار: هاتوا مهرها،
 ويقال للمسلمين إذا جاءت امرأة من
 الكفار إلى المسلمين وأسلمت: ردوا
 مهرها على زوجها الكافر **﴿ذلكم حكم
 الله﴾** أي: ذلكم المذكور من إرجاع
 المهور من الجهتين حكم الله أي مع
 المشركين بعد صلح الحديبية بخلاف
 المشركين الذين لا عهد لهم. قيل وقد
 نُسِخ هذا **﴿بحكم بينكم والله عليم
 حكيم﴾** أي: بليغ العلم لا تخفى عليه
 خافية، بليغ الحكمة في أقواله وأفعاله.
 قال القرطبي: وكان هذا مخصوصاً بذلك
 الزمان في تلك النازلة خاصة [أي ما
 يتعلق برد المهور، لا التفريق بين الزوجين
 إذا أسلم أحدهما].

١١ ﴿وإن فاتكم شيء من أزواجكم

سُورَةُ الصَّفِّ

(٦١) سُورَةُ الصَّفِّ مَكِّيَّةٌ
وَأَنبَأَتْهَا أَنْ يَجْعَلَ عَشِيرَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا
تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا
تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ
صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَنٌ مَرْصُوصٌ ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى
لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمِ لِمَ تُوذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ
إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي
الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي

١ «سبح لله ما في السماوات وما في الأرض» فيه الإرشاد إلى مشروعية التسبيح في كل الأوقات، ماضيها ومستقبلها وحالها «وهو العزيز» الذي لا يغالب «الحكيم» في أفعاله وأقواله.

٢ «يأتياها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون» عن ابن عباس قال: كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون: وددنا لو أن الله أخبرنا بأحب الأعمال فنعمل به، فأخبر الله نبيه ﷺ أن أحب الأعمال إليه إيمان بالله لا شك فيه، وجهاد أهل معصيته الذين خالفوا الإيمان ولم يقرؤا به، فلما أخبرهم أن أحب الأعمال إليه الجهاد كره ذلك أناس من المؤمنين وشق عليهم أمره، فقال الله (يأتياها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون) ثم ذمهم سبحانه على ذلك فقال:

٣ «كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون» أي إن الله تعالى يمقت ذلك مقتاً عظيماً. وقيل: هي في قوم كانوا يأتون إلى النبي ﷺ فيقول أحدهم: قاتلت بسيفي، وضربت كذا وكذا، وهم لم يفعلوا ذلك.

٤ «إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله» قال المفسرون: إن المؤمنين قالوا وددنا لو أن الله يخبرنا بأحب الأعمال إليه حتى نعمله، ولو ذهبت فيه أموالنا وأنفسنا. [فيبين الله تعالى لهم هنا أن القتال في سبيل الله هو أعلى ما يحبه الله من عباده. وفي الحديث «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله»]. «صفاً» أي يصفون أنفسهم صفاً «كأنهم بنيان مرصوص» ملتزق بعضه ببعض حتى يصير كقطعة واحدة [وهذا من شدتهم

قوتهم في أمر الله، ليس فيهم عن ذلك تراخ، ولا ينفذهم العدو].
٥ «وإذ قال موسى لقومه» لما ذكر سبحانه أنه يحب المقاتلين في سبيله بين أن موسى وعيسى أمرا بالتوحيد وجهادا في سبيل الله وحل العقاب بمن خالفها، لتحذر أمة محمد ﷺ أن يفعلوا مع نبيهم ما فعله قوم موسى وعيسى معها «يا قوم لم تؤذوني» بمخالفة ما أمركم به من الشرائع التي افترضها الله عليكم، أو تؤذوني بالشتم والانتقاص، وقد تقدم بيان هذا في سورة الأحزاب (الآية ٦٩) «وقد تعلمون أني رسول الله إليكم» المعنى كيف تؤذوني مع علمكم بأنني رسول الله، والرسول يحترم ويعظم، ولم يبق معكم شك في الرسالة لما قد شاهدتم من المعجزات التي توجب عليكم الاعتراف برسالتي، وتفيدكم العلم بها علماً يقينياً «فلما زاغوا أزاع الله قلوبهم» يعني أنهم لما تركوا الحق، بإيذاء نبيهم، أمال الله قلوبهم عن الحق جزاء بما ارتكبوا «والله لا يهدي القوم الفاسقين» وهؤلاء من جملتهم.
٦ «وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني

ومنع هدايته بأقوالهم الكاذبة كحال من يريد أن يطفىء النور العظيم بنفخ من فيه **«والله متم نوره»** بإظهار دين الإسلام في الآفاق، وإعلانه على غيره.

٩ **«هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله»** ليجمعه ظاهرا منتصرا على جميع الأديان عاليا عليها غالبا لها **«ولو كره المشركون»** ذلك فإنه كائن لا محالة.

١٠ **«يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم»** جعل العمل المذكور بمنزلة التجارة، لأنهم يربحون فيه كما يربحون فيها، وذلك بدخولهم الجنة ونجاتهم من النار. وهذه التجارة هي التي بينها بالآيتين التاليتين [فإن معناهما: أن الإيمان والجهاد ثمنها من الله الجنة، وذلك بيع رابح].

١١ **«ذلكم»** أي ما ذكر من الإيمان والجهاد **«خير لكم»** أي خير لكم من أموالكم وأنفسكم **«إن كنتم تعلمون»** لا إذا كنتم من أهل الجهل، فإنكم حينئذ لا تعلمون ذلك.

١٢ **«يغفر لكم ذنوبكم»** [ذكر أولا البضاعة التي يتاجرون بها، ويذكر هنا الثمن الذي وعدهم به] أي إن تؤمنوا يغفر لكم **«ومساكن طيبة في جنت عدن»** أي في جنت إقامة [دائمة لا تنقطع بموت ولا خروج منها] **«ذلك الفوز العظيم»** أي ذلك المذكور من المغفرة وإدخال الجنات هو الفوز الذي لا فوز بعده، والظفر الذي لا ظفر يمثله.

١٣ **«وأخرى تحبونها»** أي ولكم خصلة أخرى تعجبكم **«نصر من الله»** أي هي نصر من الله لكم **«وفتح قريب»** يفتحه عليكم، يعني النصر على قريش وفتح مكة. وقال عطاء: يريد فتح فارس والروم.

إِسْرَآئِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَقْوَاهِمَ وَاللَّهُ مَتِّمٌ نُورِهِ ؕ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ؕ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَدْلَكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ؕ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ

قالوا هذا الذي جاءنا به سحر واضح ظاهر، وقيل المراد محمد ﷺ أي لما جاءهم بذلك قالوا ساحر.

٧ **«ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام»** الذي هو خير الأديان وأشرفها، لأن من كان كذلك فحقه ألا يفترى على غيره الكذب، فكيف يفترى على ربه **«والله لا يهدي القوم الظالمين»** والمذكورون من جلتهم.

٨ **«يريدون ليطفئوا نور الله بأقواهم»** أي إن حالهم في محاولتهم كبت الإسلام

إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة أي إني رسول الله إليكم بالإنجيل، لم آتكم بشيء يخالف التوراة، بل هي مشتملة على التبشير بي، فكيف تنفرون عني وتخالفوني **«ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد»** وإذا كنت كذلك فلا مقتضي لتكذبي. وأحمد اسم نبينا ﷺ وتفسيره في الأصل: الذي يحمد بما فيه من خصال الخير أكثر مما يحمد غيره **«فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين»** أي لما جاءهم عيسى بالمعجزات

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ
ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَى يُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ
وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴿١٣﴾ وَيَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ
أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ
طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾

(٦٢) سُورَةُ الْجُمُعَةِ مَدَنِيَّةٌ وَأَيَّانَهَا اخْتُلِفَ فِي عَشْرَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ المعنى : وبشر يا محمد
المؤمنين بالنصر والفتح في الدنيا، وبالجنة
في الآخرة.

١٤ ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ
اللَّهِ﴾ أي دوموا على ما أنتم عليه من
نصرة الدين ﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ
لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ أي
انصروا دين الله مثل نصرة الحواريين لما
قال لهم عيسى (من أنصاري إلى الله)
فقالوا ﴿نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ والمعنى : من
منكم يتولى نصري وإعانتني فيما يقرب إلى
الله. وقيل التقدير من أنصاري متوجها
إلى نصرة الله. والحواريون هم أنصار
المسيح وخلص أصحابه، وأول من آمن
به [وكانوا اثني عشر رجلاً] ﴿فَآمَنَتْ
طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ بعيسى
﴿وَكَفَرَتْ﴾ ﴿طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ
آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ﴾ أي قويناهم المحقين
منهم على المبطلين ﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾
أي عاين غالبين. وأخرج عبدالرزاق
وعبد بن حميد عن قتادة في قوله (يأأيها
الذين آمنوا كونوا أنصار الله) قال : قد
كان ذلك بحمد الله : جاءه سبعون
رجلاً، فبايعوه عند العقبة وآووه ونصروه
حتى أظهر الله دينه. وأخرج ابن إسحاق
وابن سعد : قال رسول الله ﷺ للنفر
الذين لقوه بالعقبة «أخرجوا إلى اثني
عشر منكم يكونون كفلاء على قومهم،
كما كفلت الحواريون لعيسى ابن مريم.
ثم قال رسول الله ﷺ للنقباء : «إنكم
كفلاء على قومكم ككفالة الحواريين
لعيسى ابن مريم، وأنا كفيل قومي، قالوا
نعم».

سُورَةُ الْجُمُعَةِ

١ ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ﴾ قد تقدم تفسير هذا في أول
سورة الحديد ﴿الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ

الحكيم﴾ القدوس المنزه عن كل نقص.
٢ ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا
مِنْهُمْ﴾ المراد بالأميين : العرب، من كان
يحسن الكتابة منهم ومن لا يحسنها، لأنهم
لم يكونوا أهل كتاب، والأمي في الأصل
الذي لا يكتب ولا يقرأ المكتوب، وكان
غالب العرب كذلك، ومعنى منهم : من
أنفسهم ومن جنسهم، وذلك أقرب إلى
الموافقة، لأن الجنس أميل إلى جنسه
وأقرب إليه ﴿يُنَزِّلُ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ يعني
القرآن، مع كونه أمياً لا يقرأ ولا
يكتب، ولا تعلم ذلك من أحد
﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ أي يطهرهم من دنس الكفر
والذنوب وسوء الأخلاق، وقيل يجعلهم
أزكيا القلوب بالإيمان ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ الكتاب القرآن،
والحكمة السنة، وقيل : الكتاب الخط
بالقلم، والحكمة الفقه في الدين، كذا
قال مالك بن أنس ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ
قَبْلِ لِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ أي في شرك
وذهاب عن الحق.
٣ ﴿وَأُخْرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ أي لم
يلحقوا بهم في ذلك الوقت، وسيلحقون
بهم من بعد، أي يزكّيهم ويزكي الآخرين



الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا
مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَآخَرِينَ
مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَلِكَ
فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾
مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ
أُسْفَارًا يُنْسِ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ
لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَتَّيْبُهَا الَّذِينَ هَادُوا
إِنْ زَعَمْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا
الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا
قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنْ الْمَوْتَ
الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ

فيها ﴿ثم لم يحملوها﴾ أي لم يعملوا بموجبها، ولا أطاعوا ما أمروا به فيها ﴿كمثل الحمار يحمل أسفارا﴾ الأسفار جمع سفر، وهو الكتاب الكبير، فالحمار لا يدري أسفر على ظهره أم زبل ﴿نفس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله﴾ [أي هذا المشبه به وهو الحمار، الذي يشبه اليهود بحق، هو أقبح ما يمثل به للمكذبين، أي فلا تكونوا أيها المسلمون مثلهم. قدم هذا تحذيرا للذين تركوا رسول الله ﷺ على المنبر قائما بخطب وذهبوا إلى التجارة. وشبه به كل من أعرض عن الخطبة وهو يسمعها كما في الحديث «من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب فثله كمثل الحمار يحمل أسفارا، والذي يقول له أنصت ليست له جمعة»] ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ يعني على العموم، فيدخل فيهم اليهود دخولا أوليا.

٦ ﴿قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس﴾ المراد بالذين هادوا الذين تهودوا، وذلك أن اليهود ادعوا الفضيلة على الناس، وأنهم أولياء الله من دون الناس، وأبناء الله وأحباؤه، فأمر الله سبحانه رسوله أن يقول لهم لما ادعوا هذه الدعوى الباطلة ﴿فتمنوا الموت﴾ لتصيروا إلى الكرامة في زعمكم ﴿إن كنتم صادقين﴾ في هذا الزعم، فإن من علم أنه من أهل الجنة أحب الخلق من هذه الدار.

٧ ﴿ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم﴾ بسبب ما عملوا من الكفر والمعاصي والتحريف والتبديل ﴿والله عليم بالظالمين﴾.

٨ ﴿قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم﴾ [أي هو آت إليكم من الجهة التي أنتم فارزون إليها، وسيقابلكم وجها لوجه].

الفارسي، وقال: «والذي نفسي بيده لو كان الإيمان بالشرية لناله رجال من هؤلاء» ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ أي بليغ العزة والحكمة.

٤ ﴿ذلك﴾ الإسلام والوحي والنبوة ﴿فضل الله بؤتيه من يشاء﴾ أي يعطيه من يشاء من عباده ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ الذي لا يساويه فضل، ولا يدانيه.

٥ ﴿مثل الذين حملوا التوراة﴾ هذا المثل ضربه سبحانه لليهود الذين تركوا العمل بالتوراة، أي كلفوا القيام بها والعمل بما

منهم، وهم من جاء بعد الصحابة من مسلمي العرب خاصة إلى يوم القيامة. وقيل المراد بهم من أسلم من غير العرب، لأنهم وإن لم يكونوا من العرب، فقد صاروا بالإسلام منهم، والمسلمون كلهم أمة واحدة وإن اختلفت أجناسهم. أخرج البخاري وغيره عن أبي هريرة قال: كنا جلوسا عند النبي ﷺ حين نزلت سورة الجمعة، فتلاها، فلما بلغ ﴿وآخرين منهم لما يلحقوا بهم﴾ قال له رجل: يا رسول الله من هؤلاء الذين لم يلحقوا بنا؟ فوضع يده على سلمان

وَالشَّهَادَةُ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ
اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾
فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ
اللَّهِ وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْا
تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ
اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾

(٦٣) سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ مَدَنِيَّةٌ وَأَيَّاتُهَا إِحْدَى عَشْرَةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ

﴿ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة﴾
وذلك يوم القيامة ﴿فينبئكم بما كنتم
تعملون﴾ من الأعمال القبيحة،
وبجازيكم عليها.

٩ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ
لِلصَّلَاةِ﴾ المراد به الأذان إذا جلس
الإمام على المنبر يوم الجمعة، لأنه لم يكن
على عهد رسول الله ﷺ نداء سواه [أما
الأذان الأول للجمعة فقد زاده عثمان
رضي الله عنه بمحضر الصحابة لما اتسعت
المدينة] ﴿فاستموا إلى ذكر الله﴾ أي
فاعملوا على المضي إلى ذكر الله [وهو
الخطبة وصلاة الجمعة في المساجد
الجامعة] واشتغلوا بأسبابه من الغسل
والوضوء والتوجه إليه ﴿وذروا البيع﴾ أي
اتركوا المعاملة به، ويلحق به سائر
المعاملات. فإذا أذن المؤذن يوم الجمعة لم
يحلّ الشراء والبيع ﴿ذلكم﴾ السعي إلى
ذكر الله وترك البيع ﴿خير لكم﴾ أي خير
من فعل البيع، وترك السعي، لما في
الامتثال من الأجر والجزاء ﴿إن كنتم
تعلمون﴾ أي إن كنتم من أهل العلم،
فإنه لا يخفى عليكم أن ذلكم خير لكم.

١٠ ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ﴾ أي إذا
فعلتم الصلاة وأديتموها وفرغتم منها
﴿فانتشروا في الأرض﴾ للتجارة
والتصرف فيما تحتاجون إليه من أمر
معاشكم ﴿وابتغوا من فضل الله﴾ أي
من رزقه الذي يتفضل به على عباده،
من الأرباح في المعاملات والمكاسب
﴿واذكروا الله كثيراً﴾ [أي لا تنسوا في
أثناء بيعكم وشرائكم أن تذكروه] ذكرنا
كثيراً بالشكر له على ما هداكم إليه من
الخير الأخروي والدنيوي، وكذا اذكروه
بما يقربكم إليه من الأذكار: كالحمد
والتسبيح والتكبير والاستغفار ونحو ذلك
﴿لعلكم تفلحون﴾ أي كي تفوزوا بخير
الدارين وتظفروا به.

١١ ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا
إِلَيْهَا﴾ سبب نزول هذه الآية أنه كان
بأهل المدينة فاقة وحاجة، فأقبلت غير من
الشام والنبي ﷺ يخطب يوم الجمعة،
فانفتل الناس إليها حتى لم يبق إلا اثنا
عشر رجلاً في المسجد، وفي رواية: وسبع
نسوة. ومعنى انفضوا إليها تفرقوا خارجين
إليها ﴿وتركوك قائماً﴾ أي على المنبر ﴿قل
ما عند الله﴾ يعني من الجزاء العظيم وهو
الجنة ﴿خير من اللهو ومن التجارة﴾
الذين ذهبتم إليها وتركتم البقاء في
المسجد وسماع خطبة النبي ﷺ لأجلها

﴿والله خير الرازقين﴾ فنه اطلبوا الرزق،
وإليه توسلوا بعمل الطاعة، فإن ذلك من
أسباب تحصيل الرزق وأعظم ما يجلبه.

سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ

١ ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ أي إذا وصلوا
إليك وحضروا مجلسك ﴿قالوا نشهد أنك
لرسول الله﴾ أكدوا شهادتهم، للإشعار
بأنها صادرة من صميم قلوبهم مع خلوص
اعتقادهم. ومعنى نشهد نعلم ونحلف
﴿والله يعلم أنك لرسوله﴾ تصديق من
الله عز وجل لما تضمنه كلامهم من

وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ، وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ
لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ
اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا
ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾
* وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا
تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مُسْنَدٌ يَحْسِبُونَ كُلَّ
صَبِيحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرهُمْ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى
يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ
رَسُولُ اللَّهِ لَوْأَرَأَوْهُمْ وَسَّهَمَ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ
مُتَكَبِّرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ
تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ

الشهادة لمحمد ﷺ بالرسالة [ولئلا يفهم
عود التكذيب الآتي، إلى ذلك]. **«والله
يشهد إن المنافقين لكاذبون»** أي في
دعواهم أن شهادتهم للنبي ﷺ بالرسالة
هي من صميم القلب وخلص الاعتقاد،
لا إلى منطوق كلامهم، وهو الشهادة
بالرسالة، فإنه حق.

«اتخذوا أيمانهم جنة» أي جعلوا
حلفهم الذي حلفوا لكم به وقاية تقيهم
منكم، وسترة يستترون بها من القتل
والأسر **«فصدوا عن سبيل الله»** أي
منعوا الناس عن الإيمان والجهاد وأعمال

الطاعة بسبب ما يصدر منهم من التشكيك
والقدح في النبوة **«إنهم ساء ما كانوا
يعملون»** من النفاق والصد.

«ذلك» الكذب والصد وقبح الأعمال
«بأنهم آمنوا» أي نفاقا **«ثم كفروا»** في
الباطن، وقيل نزلت الآية في قوم آمنوا ثم
ارتدوا **«فطبع على قلوبهم»** أي ختم
عليها بسبب كفرهم [فلا يدخلها إيمان
بعد ذلك] **«فهم لا يفقهون»** مافيه
صلاحهم ورشادهم.

«وإذا رأيتم تعجبك أجسامهم» أي
هياكلهم ومناظرهم، تعجب من يراها لما

فيها من النضارة والرونق **«وان يقولوا
تسمع لقولهم»** فتحسب أن قولهم حق
وصدق لفصاحتهم وذلاقة ألسنتهم، وقد
كان عبدالله بن أبي رأس المنافقين
فصيحا جسيما جميلا **«كانهم خشب
مسندة»** شبهوا في جلوسهم في مجالس
رسول الله ﷺ مستندين بها بالخشب
المنصوبة المسندة إلى الحائط، التي لا
تفهم ولا تعلم، لخلوهم عن الفهم النافع
والعلم الذي ينتفع به صاحبه **«يحسبون
كل صبيحة عليهم»** أي يظنون كل
صبيحة يسمعونها واقعة عليهم نازلة بهم
لفرط جبنهم ورعب قلوبهم. قيل كان
المنافقون على وجل من أن ينزل فيهم
ما يهلك أستارهم ويبيح دماءهم وأموالهم
«هم العدو فاحذروهم» أن يتمكنوا من
فرصة منك، أو يطلعوا على شيء من
أسرارك، لأنهم عيون لأعدائك من الكفار
«قاتلهم الله» أي : لعنهم، أو هو تعليم
للمؤمنين أن يقولوا ذلك **«أنى يؤفكون»**
كيف يصرفون عن الحق ويميلون عنه إلى
الكفر.

**«وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم
رسول الله لتؤاؤسهم»** أي حركوها
استهزاء بذلك، ورغبة عن الاستغفار
«ورأيتم يصدون» يعرضون عن رسول
الله ﷺ **«وهم مستكبرون»** [عن
الإتيان إلى رسول الله وسؤال الاستغفار
منه، يرون أنفسهم أكبر من ذلك،
ويستحقرونها لو فعلوا].

**«سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم
تستغفر لهم»** لا ينفعهم ذلك لإصرارهم
على النفاق واستمرارهم على الكفر **«لن
يغفر الله لهم»** أي ماداموا على النفاق
«إن الله لا يهدي القوم الفاسقين» أي
الكاملين في الخروج عن الطاعة،
والانهماك في معاصي الله، ويدخل فيهم
المنافقون دخولا أوليا.



عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا^٧ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ
لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ^٨
وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ
وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ
هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ
أَنْ يَأْتِي أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي
إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾
وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا
تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

٧ «هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا» أي حتى يتفرقوا عنه ، يعنون بذلك فقراء المهاجرين «ولله خزائن السماوات والأرض» أي إنه هو الرزاق لهؤلاء المهاجرين «ولكن المنافقين لا يفقهون» أن خزائن الرزاق بيد الله فظنوا أن الله لا يوسع على المؤمنين.

٨ «يقولون لن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل» القائل هو عبدالله بن أبي رأس المنافقين، وعنى بالأعز نفسه ومن معه، وبالأذل رسول الله ﷺ ومن معه، ومراده بالرجوع رجوعهم من تلك الغزوة. أخرج الإمام أحمد عن زيد بن أرقم قال : كنت مع النبي ﷺ في غزوة تبوك، فقال عبدالله بن أبي: لن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. قال : فأتيت النبي ﷺ فأخبرته قال فحلف عبدالله بن أبي أنه لم يكن شيء من ذلك. قال زيد : فلامني قومي، وقالوا: ما أردت إلى هذا؟ قال : فانطلقت فسمتُ كثيراً حزناً. قال فأرسل إلى نبي الله ﷺ فقال : إن الله أنزل عُذْرَكَ وَصَدَّقَكَ. قال : وأنزل الله هذه الآية (هم الذين يقولون لا تنفقوا... إلى قوله : ليخرجن الأعز منها الأذل) «ولله العزة ورسوله وللمؤمنين» أي القوة والغلبة لله وحده ولن أفاضها عليه من رسله وصالحى عباده لا لغيرهم «ولكن المنافقين لا يعلمون» لفرط جهلهم ومزيد حيرتهم والطبع على قلوبهم.

٩ «يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله» يحذّر الله المؤمنين عن أخلاق المنافقين الذين ألهمتهم أموالهم وأولادهم عن ذكر الله، وهو فرائض الإسلام، وقيل : قراءة القرآن «ومن يفعل ذلك» أي يلتهى

بالدنيا عن الدين «فأولئك هم الخاسرون» أي الكاملون في الخسران. ١٠ «وأنفقوا مما رزقناكم» أي أنفقوا بعض ما رزقناكم في سبيل الخير، وقيل المراد : الزكاة المفروضة «من قبل أن يأتي أحدكم الموت» بأن تنزل به أسبابه، يشاهد حضور علاماته «فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب» أي : هلا أمهلتني وأخرت موتي إلى مدة أخرى قصيرة «فأصدق» أي فاتصدق بما لي «وأكن من الصالحين». ١١ «ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها» أي إذا حضر أجلها وانقضى عمرها «والله خير بما تعملون» لا يخفى عليه شيء منه، فهو مجازيكم بأعمالكم. أخرج الترمذي وابن جرير عن ابن عباس قال : «قال رسول الله ﷺ من كان له مال يبلغه حج بيت الله، أو تجب عليه فيه الزكاة، فلم يفعل، سأل الرجعة عند الموت. فقال له رجل : يا ابن عباس اتق الله، فإنما يسأل الرجعة الكافر، فقال سألتوا عليكم بذلك قرآنا (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم إلى آخر (السورة)»

(٦٤) سُوْرَةُ التَّغَابُنِ مَلَانِيْزَا
وَأَيَّاتُهَا ثَمَانِي عَشْرَةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ
وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي
خَلَقَكُمْ فَنفَكَكُمْ كَافِرًا وَمِنْكُمْ مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ
فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ
عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا
مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾

سُوْرَةُ التَّغَابُنِ

١ «يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ» أي ينزهه سبحانه جميع مخلوقاته التي في سماواته وأرضه عن كل نقص وعيب. وقد تقدمت الإشارة إلى أن هذا التسبيح هو بنطق لا نفقهه كما دلّ عليه قوله تعالى في سورة الإسراء (وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا يفقهون تسبيحهم) «لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ» يختصان به، ليس لغيره منها شيء، وما

كان لعباده منها فهو من فيضه وراجع إليه «وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» لا يعجزه شيء.

٢ «هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَنفَكَكُمْ كَافِرًا وَمِنْكُمْ مُّؤْمِنٌ» خلق الكافر، وكفره فعل له وكسب. وخلق المؤمن، وإيمانه فعل له وكسب، والكافر يكفر ويختار الكفر [والمؤمن يؤمن ويختار الإيمان، والكل بإذن الله: وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين] «وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» لا تخفى عليه من ذلك خافية، فهو مجازيكم بأعمالكم.

٣ «خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ»

أي بالحكمة البالغة. وقيل المعنى: خلق ذلك لإظهار الحق، وهو أن يجزي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته «وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ» أي إنه سبحانه خلقهم في أكمل صورة وأحسن تقويم وأجل شكل. [ومثل هذه الآية قوله تعالى في سورة الانفطار (يا أيها الإنسان ما غرّك بربّك الكريم. الذي خلقك فسواك فعدّلك. في أي صورة ما شاء ركبك) ولا يخفى امتياز بني آدم في حسن الصورة وجمال القامة، وأن ذلك دلالة بيّنة، لقوم يعقلون، على قدرة الخالق وحكمته وعظمته. وكذا الصورة النفسية للإنسان وقدراته العقلية الهائلة: دلالة أعظم من ذلك، كما قال الله تعالى (وفي الأرض آيات للموقنين. وفي أنفسكم أفلا تبصرون) والتصوير: التخطيط والتشكيل «وَالِلَّهِ الْمَصِيرُ» في الدار الآخرة.

٤ «يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ»

لا تخفى عليه من ذلك خافية «وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ» أي ما تخفونه وما تظهرونه «وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ» أي: بما يضره كل إنسان في نفسه.

٥ «أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ»

وهم كفار الأمم الماضية، كقوم نوح وعاد وثمود [يقول تعالى: قد جاءكم الخبر عنهم في القرآن، وكيف دعيتهم رسلهم إلى توحيد الله وعبادته وترك ما اتخذوهم أرباباً من دونه، وكيف آل أمر المكذبين إلى الهلاك، وآل أمر الرسل والمؤمنين بهم إلى النجاة] «فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ» الوبال: الثقل والشدة، وهو ما أصيبوا به من عذاب الدنيا «وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» وذلك في الآخرة وهو عذاب النار.

ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا
أَبَشِّرْهُدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَأَسْتَفْتَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ
حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّنْ يُبْعَثُوا قُلْ
بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّيُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ
يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورَ الَّذِي أُنْزِلَنَا
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ
ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا
يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ
النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبَشِّرِ الْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَا أَصَابَ مِنْ
مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ

٦ ﴿ذَلِكَ﴾ العذاب في الدارين **﴿بأنه كانت تأتيمهم رسلهم بالبينات﴾** أي بسبب أنها كانت تأتيمهم الرسل المرسله إليهم بالمعجزات الظاهرة **﴿فقالوا أبشر هودوننا﴾** أي قال كل قوم منهم هذا لرسولهم منكركين أن يكون الرسول من جنس البشر، متعجبين من ذلك **﴿فكفروا وتولوا﴾** أي كفروا بالرسول وبما جاءوا به، وأعرضوا عنهم، ولم يتدبروا فيما جاءوا به **﴿واستفتى الله﴾** عن إيمانهم وعبادتهم **﴿والله غني حميد﴾** أي غير محتاج إلى العالم ولا إلى عبادتهم له، محمود من كل مخلوقاته بلسان المقال والحال.

٧ **﴿قل بل ربِّي لتبعثن﴾** أمر الله تعالى نبيه أن يخبرهم بأن الله سيحييهم بعد الموت، وأن يحلف لهم على ذلك. أي: والله لتخرجن من قبوركم **﴿ثم لتنبؤن بما عملتم﴾** أي لتخبرن بذلك، إقامة للحجة عليكم، ثم تجزون به **﴿وذلك﴾** البعث والجزاء **﴿على الله يسير﴾**.

٨ **﴿فآمنوا بالله ورسوله﴾** أي إذا كان الأمر هكذا فصدقوا بالله ورسوله محمد ﷺ **﴿والنور الذي أنزلنا﴾** وهو القرآن، لأنه نور يهتدى به من ظلمة الضلال **﴿والله بما تعملون خبير﴾** لا يخفى عليه شيء من أقوالكم وأفعالكم، فهو مجازيكم على ذلك.

٩ **﴿يوم يجمعكم ليوم الجمع﴾** أي: ليوم القيامة، فإنه يجمع فيه أهل المحشر للجزاء، ويجمع فيه بين كل عامل وعمله، وبين كل نبي وأمة، وبين كل مظلوم وظالم، وبين الأولين والآخرين **﴿ذلك يوم التغابن﴾** يغيب فيه بعض أهل المحشر بعضاً، فيغيب فيه أهل الحق أهل الباطل، ولا يغيب أعظم من غيب أهل الجنة أهل النار، فكان أهل النار استبدلوا الخير بالشر، والجيد بالرديء،

أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبشِّرِ المصير﴾ ذكر سبحانه حال السعداء وحال الأشقياء هاهنا لبيان ما تقدم من التغابن.

١١ **﴿ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله﴾** أي بقضائه وقدره. قيل وسبب نزولها أن الكفار قالوا: لو كان ما عليه المسلمون حقاً لصانهم الله عن المصائب في الدنيا **﴿ومن يؤمن بالله يهد قلبه﴾** أي من يصدق ويعلم أنه لا يصيبه إلا ما قدره الله عليه، يهد قلبه عند المصيبة، فيعلم أنها من الله، وأن ما أصابه لم يكن

والنعيم بالمعذاب، وأهل الجنة على العكس من ذلك، يقال: غبث فلانا إذا بايسته أو شاريته فكان النقص عليه، فالمغبون من غبن أهله ومنازله في الجنة **﴿ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يكفر عنه سيئاته﴾** أي من وقع منه التصديق مع العمل الصالح استحق تكفير سيئاته **﴿ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك﴾** التكفير والإدخال **﴿الفوز العظيم﴾** أي الظفر الذي لا يساويه ظفر.

١٠ **﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا﴾**

بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ
فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾
اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنِّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوٌّ
لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ
اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ
وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ
وَأَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ
يُقِشْ نَفْسَهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِنْ
تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ
شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

احذروا الأزواج والأولاد أن تؤثروا
حبكم لهم وشفقتكم عليهم على طاعة
الله، ولا يحملكم ما ترغبونه لهم من الخير
على أن تكسبوا لهم شيئا بمعصية الله [**«وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا»** أي
تعفوا عن ذنوبهم التي ارتكبوها، وتركوا
التشريب عليها، وتستروها **«فإن الله غفور
رحيم»** لكم ولهم. قيل كان الرجل الذي
ثبطه أزواجه وأولاده عن الهجرة إذا رأى
الناس قد سبقوه إليها وفقهوا في الدين
هم أن يعاقب أزواجه وأولاده.

١٥ «إنما أموالكم وأولادكم فتنة» أي
بلاء واختبار ومحنة، يحملونكم على كسب
الحرام، ومنع حق الله **«والله عنده أجر
عظيم»** لمن أثر طاعة الله وترك معصيته
في محبة ماله وولده.

١٦ «فاتقوا الله ما استطعتم» أي ما
أطقتكم وبلغ إليه جهدكم **«واسمعوا
وأطيعوا»** أي اسمعوا ماتؤمرون به
وأطيعوا الأوامر **«وأنفقوا خيرا
لأنفسكم»** أي أنفقوا من أموالكم التي
رزقكم الله إياها في وجوه الخير، ولا
تبخلوا بها، وقدموا خيرا لأنفسكم **«ومن
يقش نفسه فأولئك هم المفلحون»**

أي من وقاه الله من داء البخل فأنفق في
سبيل الله وأبواب الخير فأولئك هم
الظافرون بكل خير الفائزون بكل مطلب.

١٧ «إن تقرضوا الله قرضا حسنا»
فتصرفون أموالكم في وجوه الخير بإخلاص
نية وطيب نفس **«يضاعفه لكم»** فيجعل
الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف
«وبغفر لكم» أي يضم لكم إلى تلك
المضاعفة غفران ذنوبكم **«والله شكور
حليم»** يشيب من أطاعه بأضعاف
مضاعفة، ولا يعاجل من عصاه بالعقوبة.

١٨ «عالم الغيب والشهادة» أي
ماغاب وما حضر **«العزیز الحكيم»** أي
الغالب القاهر ذو الحكمة الباهرة.

المستحق للعبودية دون غيره، فوحدوه ولا
تشرکوا به **«وعلى الله فليتوكل
المؤمنون»** أي ليفوضوا أمورهم إليه
ويعتمدوا عليه، لا على غيره.

١٤ «عدوا لكم» يعني أنهم يشغلونكم
عن الخير. سبب النزول أن رجلا من
مكة أسلموا وأرادوا أن يهاجروا، فلم
يدعهم أزواجهم ولا أولادهم، فأمر الله
سبحانه بأن يحذروهم فلا يطيعوهم.
وقال مجاهد: والله ما عادوهم في الدنيا
ولكن حملتهم مودتهم على أن اتخذوا لهم
الحرام فأعطوهم إياه **«فاحذروهم»** [أي

ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه،
فيسلم لقضائه، ويسترجع. وإذا ابتلي
صبر، وإذا أنعم عليه شكر **«والله بكل
شيء عليم»** أي بليغ العلم لا تخفى عليه
من ذلك خافية.

**١٢ «وأطيعوا الله وأطيعوا
الرسول»** أي: اشتغلوا بطاعة الله وطاعة
رسوله **«فإن توليتم»** أي: إن أعرضتم عن
الطاعة فإثمكم على أنفسكم، وليس على
الرسول من بأس **«فإنما على رسولنا البلاغ
المبين»** ليس عليه غير ذلك وقد فعل.

١٣ «الله لا إله إلا هو» أي هو

سُورَةُ الطَّلَاقِ

(٦٥) سُورَةُ الطَّلَاقِ مَدَنِيَّةٌ
وَإِسْمُهَا اثْنَتَا عَشْرَةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ
وَاحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ
بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ
حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ
لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغْنَ
أَجَلَهُنَّ فَامْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ
وَأَشْهِدُوا ذَوْيَ عَدْلِ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ
يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ

١ «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ» نادى النبي ﷺ أولاً تشريفاً له، ثم خاطبه مع أمته، والمعنى: إذا أردتم تطليقهنَّ وعزمتنَّ عليه **«فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ»** أي: مستقبلات لعدتهنَّ، أو في قبل عدتهنَّ، والمراد أن يطلقوهنَّ في طهر لم يقع فيه جماع، ثم يتركن حتى تنقضي عدتهنَّ، فإذا طلقوهنَّ هكذا فقد طلقوهنَّ لعدتهنَّ. أخرج البخاري ومسلم وغيرها عن ابن عمر «أنه طلق امرأته وهي حائض، فذكر ذلك عمر لرسول الله ﷺ فتغيظ رسول الله ﷺ ثم قال: ليراجعها، ثم يمسكها حتى تطهر، ثم تحيض وتطهر، فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهراً قبل أن يمسه، فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء» **«وَاحْصُوا الْعِدَّةَ»** أي: احفظوها واحفظوا الوقت الذي وقع فيه الطلاق حتى تتم العدة، وهي ثلاثة قروء. والخطاب للأزواج **«وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ»** فلا تعصوه فيما أمركم، ولا تضاروهنَّ **«لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ»** أي: التي كنَّ فيها عند الطلاق ما دمن في العدة. وأضاف البيوت إليهنَّ لبيان كمال استحقاقهنَّ للسكنى في مدة العدة. ونهى الزوجات عن الخروج أيضاً فقال **«وَلَا يَخْرُجْنَ»** أي: لا يخرجنَّ من تلك البيوت ما دمن في العدة، أي: إلا لأمر ضروري **«إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ»** أي: لا تخرجوهنَّ من بيوتهنَّ إلا إذا فعلنَّ فاحشة الزنى، وقيل: هي البذاء في اللسان، والاستطالة بها على من هو ساكن معها في ذلك البيت **«وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ»** والمعنى: أن هذه الأحكام التي بينها لعباده هي حدوده التي حدّها لهم، لا يحلّ لهم أن يتجاوزوها إلى غيرها **«وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ**

نفسه» بإيرادها مورد الهلاك **«لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا»** [أي: لعلها إذا بقيت في بيتها أن يؤلف الله بين قلوبها فيتراجعا] وقيل المعنى: التحريض على طلاق الواحدة والنهي عن الثلاث، فإنه إذا طلق ثلاثاً أضرب نفسه عند الندم على الفراق، والرغبة في الارتجاع، فلا يجد إلى المراجعة سبيلاً. ٢ **«فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ»** أي: قاربن انقضاء أجل العدة وشارفن آخرها **«فَامْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ»** أي: راجعوهنَّ بحسن معاشرة ورغبة فيهنَّ من غير قصد إلى مضارة هنَّ **«أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ»** أي: اتركوهنَّ حتى تنقضي عدتهنَّ، فيملكن نفوسهنَّ، مع إيفائهنَّ ما هو لهنَّ عليكم من الحقوق، وترك المضارة لهنَّ [أي فليس لكم عند نهاية العدة إلا الإمساك بمعروف أو التسريح بمعروف، أما الإمساك للمضارة، أو التسريح مع الأذى ومنع الحق، فإن ذلك لا يحلّ لكم] **«وَأَشْهِدُوا ذَوْيَ عَدْلِ مِنْكُمْ»** على الرجعة إن راجعتم، أو المفارقة إن فارقتنَّ، قطعاً للتنازع، وحسماً لمادة الخصومة **«وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ»** هذا أمر

اللَّهُ يَجْعَلُ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ
 وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ
 قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ وَاللَّيْئِي يَتَسَنَّ مِنْ
 الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ آرَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ
 وَاللَّيْئِي لَمْ يَحْضَنْ وَأُولَتْ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ
 حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٤﴾
 ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ ۚ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ
 سَيِّئَاتِهِ ۚ وَيُعْظِمَ لَهُ أَجْرًا ﴿٥﴾ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ
 سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ ۚ
 وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ
 فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَأَتَمُّوا بَيْنَكُمْ
 بِمَعْرُوفٍ ۚ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمْ فَمُتْرَضِعُ لَهُ ۚ وَأُخْرَى ۚ لِيُنْفِقَ

شككتم وجهلتم كيف عدتهن **﴿فعدتهن﴾**
ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن **﴿لم يحضن﴾** لصفرهن
 وعدم بلوغهن بين الحيض، أي: فعدتهن
 ثلاثة أشهر **﴿وأولات الأحمال أجلهن﴾**
أن يضعن حملهن **﴿أي إن انتهاء عدتهن﴾**
 يتم بوضع الحمل **﴿ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا﴾**
 يسهل عليه أمره في الدنيا والآخرة. وقال الضحاك: من يتق
 الله فيطلق للسنة، يجعل له من أمره يسرا
 في الرجعة.

٥ ﴿ويعظم له أجرا﴾ أي: يعطيه من
 الأجر في الآخرة أجرا عظيما وهو الجنة.
٦ ﴿أسكنوهن من حيث سكنتم﴾ هذا
 بيان ما يجب للمطلقات من السكنى،
 أي: بعض مكان سكناكم **﴿من وجدكم﴾** أي: من سعتكم وطاقتكم،
 وهذا في المطلقة الرجعية، أما التي طُلقت
 الثالثة فإنها لا نفقة لها ولا سكنى **﴿ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن﴾** في المسكن
 أو النفقة **﴿وإن كن أولات حمل﴾**
﴿فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن﴾ ولا
 خلاف بين العلماء في وجوب النفقة
 والسكنى للحامل المطلقة **﴿فإن أرضعن لكم﴾**
 أي أرضعن أولادكم بعد ذلك
﴿فآتوهن أجورهن﴾ أي: أجور إرضاعهن
﴿وأتمروا بينكم بمعروف﴾ هو خطاب

[وإنما الضيق على من خالف أحكام الله
 في الطلاق والرجعة] **﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾** أي: ومن وثق بالله فيما
 نابه كفاه ما أمه **﴿إن الله بالغ أمره﴾**
 أي: لا يفوته شيء ولا يعجزه مطلوب
﴿قد جعل الله لكل شيء قدرا﴾ جعل
 سبحانه للشدة أجلا تنتهي إليه، وللرخاء
 أجلا ينتهي إليه. وقال السدي: هو قدر
 الحيض والعدة.

٤ ﴿واللائي يتسن من الحيض من نساكنكم﴾
 وهن الكبار اللاتي قد انقطع
 حيضهن وأيسن منه **﴿إن آرتبتم﴾** أي:

للشهود بأن يأتوا بما شهدوا به تقربا إلى
 الله على الوجه الحق **﴿ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر﴾**
 خص المؤمن لأنه المنتفع بذلك دون غيره
﴿ومن يتق الله﴾ أي: من يتق الله
 بالوقوف عند حدوده التي حذاها لعباده
﴿يجعل له مخرجا﴾ مما وقع فيه.

٣ ﴿ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾
 أي: من وجه لا يخطر بباله، ولا يكون
 في حسابه. فمن طلق ثم أشهد عند
 المفارقة على انقضاء العدة، أو عند
 المراجعة، يجعل الله له مخرجا ومخلصا

للأزواج والزوجات الذين وقع بينهم
 الفراق بالطلاق، أي: تشاوروا بينكم بما
 هو معروف غير منكر، وليقبل بعضكم
 من بعض المعروف والجميل في شأن
 الولد، وهذا كما قال الله تعالى في الآية
 (٢٣٣) من سورة البقرة **﴿فإن أراد فصلا﴾**
﴿عن تراض منها وتشاور فلا جناح عليهما﴾ **﴿وإن تعاسرتم﴾** أي في
 في أجر الرضاع فأبى الزوج أن يعطي الأم
 الأجر الذي يريد، وأبت الأم أن ترضعه
 إلا بما تريد من الأجر **﴿فسترضع له أخرى﴾**
 أي يستأجر مرضعة أخرى ترضع ولده.

ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا
 ءَاتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً أَتَاهَا سَيَجْعَلُ
 اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ
 رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسِبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا
 نُّكَرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا
 خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَّوَلَّى
 الْآلِئِبِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾
 رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ
 ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَن
 يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ
 تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ
 رِزْقًا ﴿١١﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ

٧ ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾ فيه الأمر
 لأهل السعة بأن يوسعوا على المروضات
 من نسائهم على قدر سعتهم ﴿وَمَن قُدِرَ
 عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾ أي: كان مضيقاً عليه في
 الرزق فقيراً ﴿فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾ أي:
 مما أعطاه الله من الرزق، ليس عليه غير
 ذلك ﴿لَا يَكُلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا
 آتَاهَا﴾ أي: ما أعطاه من الرزق، فلا
 يكلف الفقير بأن ينفق ما ليس في وسعه
 كنفقة الغني ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ
 يُسْرًا﴾ أي: بعد ضيق وشدة سعة وغنى.

٨ ﴿وَكَايِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا
 وَرُسُلِهِ﴾ أي: وكثير من أهل القرى
 عصوا أمر الله ورسله وأعرضوا
 ﴿فَحَاسِبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾ حاسبها الله
 بأعمالها التي عملتها في الدنيا ﴿وَعَذَّبْنَاهَا
 عَذَابًا نُّكَرًا﴾ أي: عذبنا أهلها عذاباً
 عظيماً منكرًا في الآخرة، وفي الدنيا بالجوع
 والقحط والسيوف والخسف والمسخ.

٩ ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ أي: عاقبة
 ثقل العذاب الذي هو جزاء كفرها
 ﴿وَكَايِّن عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ أي:
 هلاكها في الدنيا وعذابها في الآخرة
 [فخسروا أموالهم وأهلهم وأنفسهم].

١٠، ١١ ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا
 شَدِيدًا﴾ وهو عذاب النار ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا
 أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾ أي: يا أولي العقول
 الراجحة [أي من هذه الأمة المحمدية]
 ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي أسلموا لله واتبعوا
 محمداً ﷺ، فكونوا صادقين في أيمانكم،
 ولا تكونوا مثل من عتا من الأمم
 قبلكم، فتحاسبوا أشد الحاسب، وتعذبوا
 من جنس ذلك العذاب ﴿قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ
 إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ الذكر هو القرآن العظيم
 [وقيل هو هنا الرسول نفسه]، ولذلك
 قال تعالى ﴿رَسُولًا﴾ أي: أنزل إليكم
 قرآنًا: أرسل إليكم رسولا بهذا القرآن
 ﴿يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مَبِينَاتٍ﴾ تبين

للناس ما يحتاجون إليه من الأحكام
 ﴿لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾
 أي: ليخرج الله بالآيات التي آمنوا
 وعملوا الصالحات من ظلمات الضلالة
 إلى نور الهداية، ومن ظلمات الكفر إلى
 نور الإيمان ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ
 صَالِحًا﴾ أي: يجمع بين التصديق والعمل
 بما فرضه الله عليه ﴿يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى
 مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ
 أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ أي: وسع له رزقه
 في الجنة.

١٢ ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ
 وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ أي: وخلق من
 الأرض مثلهن، يعني سبعة من الأرضين
 [وفي الحديث الصحيح المرفوع تأكيد
 ذلك، وهو ما جاء في الصحيحين من قول
 النبي ﷺ «من ظلم شبراً من الأرض
 طَوَّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ»] ﴿يُنَزِّلُ الْأَمْرَ
 بَيْنَهُنَّ﴾ أي: ينزل الأمر من السماوات
 السبع إلى الأرضين السبع. وقال قتادة:
 في كل أرض من أرضه وساء من سمائه
 خلق من خلقه، وأمر من أمره، وقضاء
 من قضائه. وقيل: هو ما يدبر فيهن من

أحله الله لك **«والله غفور رحيم»** لما فرط منك من تحريم ما أحل الله لك، قيل: وكان ذلك ذنباً من الصغائر، فلذا عاتبه الله عليه.

٢ **«قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم»** أي: شرع لكم تحليل أيمانكم بأداء الكفارة كما في سورة المائدة الآية (٨٩) وبين لكم ذلك. وليس لأحد أن يحرم ما أحل الله، فإن فعل لا ينعقد ولا يلزم صاحبه، فالتحليل والتحريم هو إلى الله سبحانه [لكن إن فعل فقد ذهب بعض الفقهاء إلى أنه إن حرم على نفسه ثوباً أو ملبساً أو طعاماً أو شرباً أو شيئاً مما أباحه الله فهو بمنزلة اليمين، فإن عاد إلى ما حرمه على نفسه فعليه كفارة يمين، فإن كفر انحلت يمينه. وهذا في كل شيء حتى الزوجة إذا حرمها على نفسه. وقال بعضهم: إن حرم الزوجة، ونوى بالتحريم الطلاق يقع الطلاق والله أعلم] **«والله مولاكم»** أي: وليكم وناصركم **«وهو العليم»** بما فيه صلاحكم وفلاحكم **«الحكيم»** في أفعاله وأقواله.

٣ **«وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً»** هي حفصة كما سبق، والحديث هو تحريم مارية، أو العسل. وقال الكلبي: أسر إليها أن أباك وأبا عائشة يكونان خليفتي على أمتي من بعدي **«فلما نbat به»** أي: أخبرت به غيرها **«وأظهره الله عليه»** أي: أطلع الله نبيه على ذلك الواقع منها من الإخبار لغيرها **«عرّف بعضه»** أي: عرّف حفصة بعض ما أخبرت به **«وأعرض عن بعض»** أي: وأعرض عن تعريف بعض ذلك **«فلما نبأها به»** أي: أخبرها بما أفشت من الحديث **«قالت من أنباك هذا»** أي: من أخبرك به **«قال نبأني العليم الخبير»** أي: أخبرني به الله الذي لا تخفى عليه خافية.

مِثْلُهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لَتَعْلَمُنَّ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾

(٣١) سُورَةُ الْفُحْمِ مِثْلُهُنَّ
وَأَنبَاَهَا اثْنَانِ عَشْرَةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ ﴿٣﴾ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَاكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ ﴿٤﴾

زينب بنت جحش، فتواطأت عائشة وحفصة أن تقولاً له إذا دخل عليها: إنا نجد منك ريحاً، فحرم العسل على نفسه. وقيل إنه أتى جاريته في بيت حفصة، وفي رواية أن الجارية هي جاريته مارية أم ولده إبراهيم، ففضبت حفصة، فحرم الجارية على نفسه، أي بقوله: هي عليّ حرام. فقالت حفصة: يا رسول الله كيف يحرم عليك الحلال؟ فحلف لها بالله لا يصيبها. وقال لحفصة: لا تخبري أحداً.

فأخبرت عائشة **«تبتغي مرضاة أزواجك»** بأن حرمتك على نفسك ما

عجيب تدبيره، فينزل المطر ويخرج النبات، ويأتي بالليل والنهار، والصيف والشتاء **«لتعلموا أن الله على كل شيء قدير»** أي: فعل ذلك لتعلموا كمال قدرته **«وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً»** فلا يخرج عن علمه شيء منها كائناً ما كان.

سُورَةُ الْفُحْمِ

١ **«يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك»** قيل: كان **«يُشْرَبُ عَسلاً»** عند



الْحَبِيرُ ﴿٤﴾ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا
وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحُ
الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةِ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٥﴾ عَسَى رَبُّهُ
إِنْ طَلَّقُكَ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ مِثْلَتْ
مُؤْمِنَتٍ قَنِيتَ تَبَيَّنَتْ عِدَّتِ سَبَّحَتْ ثَبَّتَتْ
وَأَبْكَارًا ﴿٦﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ
نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظُ شِدَادٍ
لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٧﴾
يَأَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَدُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً
نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ

٤ ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ الخطاب لعائشة وحفصة، أي: إن تتوبا إلى الله فقد مالت قلوبكما إلى التوبة من التظاهر على النبي ﷺ ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾ أي: وإن تتعاضدا وتعاونوا في الغيرة عليه منكما وإفشاء سره ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: فإن الله يتولى نصره، وكذلك جبريل ومن صلح من عباده المؤمنين، كأبي بكر وعمر، فلن يعدم ناصرا ينصره ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ أي: بعد نصر الله له ونصر جبريل وصالح المؤمنين ﴿ظَهِيرٌ﴾ أي: أعوان يظاهرونه. وقيل كان التظاهر بين عائشة وحفصة في التحكم على النبي ﷺ في النفقة.

٥ ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكَ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ﴾ أخبر الله تعالى نساء نبيه ﷺ عن قدرته على أنه إن وقع منه الطلاق لمن أبدله خيرا منهن، تخويفا لمن ﴿مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ﴾ أي: قانتات بفرائض الإسلام مصدقات بالله وملائكته وكتبه ورسله ﴿قَانِتَاتٍ﴾ مطيعات لله [ورسوله] ﴿ثَابِتَاتٍ﴾ يعني من الذنوب ﴿عَابِدَاتٍ﴾ لله متذلات له ﴿سَائِحَاتٍ﴾ أي: صائمات ﴿ثَبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾ الشيب هي المرأة التي قد تزوجت ثم طلقها زوجها أو مات عنها، والبكر: هي العذراء.

٦ ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أي حافظوا عليها بفعل ما أمركم وترك ما نهاكم عنه ﴿وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ بأمرهم بطاعة الله ونهيهم عن معاصيه ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ أي: نارا عظيمة تتوقد بالناس وبالحجارة كما يتوقد غيرها بالخطب. قال ابن جرير: فعلينا أن نعلم أولادنا الدين والخير وما لا يستغنى عنه من الأدب ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظُ

شِدَادٍ﴾ أي: على النار خزنة من الملائكة

٨ ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾ التوبة النصوح الصادقة، وقيل: الخالصة، وهي الندم بالقلب على ما مضى من الذنب، والاستغفار باللسان، والإقلاع بالبدن، والعزم على ألا يعود.

﴿نُورِهِمْ يَسْمَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَأَفْجَاءَهُمْ﴾ وقد تقدم في سورة الحديد أن النور يكون معهم حال مشيهم على الصراط ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وهذا دعاء المؤمنين

يلون أمرها وتعذيب أهلها، غلاظ على أهل النار شداد عليهم، لا يرحمهم إذا استرحمهم، إنما خلقوا للعذاب ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ﴾ أي: لا يخالفونه في أمره ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ أي: يؤدونه في وقته من غير تراخ، فلا يؤخرونه عنه ولا يقلّمونه.

٧ ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَدُوا الْيَوْمَ﴾ أي: يقال لهم هذا القول عند إدخالهم النار، تأييسا لهم وقطعا لأطماعهم ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ائْتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَآغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطَ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقَتْ بِكَلِمَتِ رَبِّهَا وَكُنِيَ ء وَكَانَتْ مِنَ الْقَتْنَيْنِ ﴿١٢﴾

أي: وقيل لها في الآخرة، أو عند موتها: ادخلا النار مع الداخلين لها من أهل الكفر والمعاصي. وقال يحيى بن سلام: هذا يحذر به عائشة وحفصة من المخالفة لرسول الله ﷺ حين تظاهرتا عليه، ببيان أنها، وإن كانتا تحت عصمة خير خلق الله، وخاتم رسله، فإن ذلك لا يغني عنها من الله شيئا. وقد عصمتها الله عن ذنب تلك المظاهرة بما وقع منها من التوبة الصحيحة الخالصة.

١١ ﴿وضرب الله مثلا للذين آمنوا

امرأة فرعون﴾ أي إن صولة الكفر لا تضرهم كما لم تضر امرأة فرعون، وقد كانت تحت أكفر الكافرين، وصارت بإيمانها بالله في جنات النعيم **﴿إذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة﴾** أي: ابن لي بيتا قريبا من رحمتك في أعلى درجات المقربين منك **﴿ونجني من فرعون وعمله﴾** أي: من ذاته ومما يصدر عنه من أعمال الشر **﴿ونجني من القوم الظالمين﴾** هم الكفار من القبط.

١٢ ﴿ومريم ابنة عمران﴾ أي: وضرب الله مثلا للذين آمنوا مريم ابنة عمران، جمع لها بين كرامة الدنيا والآخرة، واصطفاهما على نساء العالمين، مع كونها بين قوم عصاة **﴿التي أحصنت فرجها﴾**

أي: عن الفواحش **﴿فنفخنا فيه من روحنا﴾** ذلك أن جبريل نفخ في جيب درعها، فحبلت بعمسى **﴿وصدقت بكلمات ربها﴾** يعني شرائعه التي شرعها لعباده، وما خاطبها به الملك، وهو قول جبريل لها: إنما أنا رسول ربك، وما أخبرها به من البشارة بعمسى وكونه رسولا من المقربين. انظر سورة آل عمران (الآيات ٤٢ - ٤٨) **﴿وكتبه﴾** وهي الكتب المنزلة على الأنبياء **﴿وكانت من القانتين﴾** من القوم المطيعين لربهم، كان أهلها أهل بيت صلاح وطاعة.

وأنه لا يغني أحد عن أحد **﴿امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين﴾** وهما نوح ولوط، أي: كانتا في عصمة نكاحهما **﴿فخانتاهما﴾** أي: فوقعت منها الخيانة لهما. قيل كانت امرأة نوح تقول للناس إنه مجنون، وكانت امرأة لوط تخبر قومه بأضيافه **﴿فلم يغنيا عنها من الله شيئا﴾** أي: فلم ينفعها نوح ولوط بسبب كونها زوجتين لها شيئا من النفع، ولا دفعا عنها من عذاب الله، مع كرامتهما على الله، شيئا من الدفع **﴿وقيل ادخلا النار مع الداخلين﴾**

حين أطفأ الله نور المنافقين، كما تقدم بيانه وتفصيله.

٩ **﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين﴾** أي: بالسيف والحجة **﴿واغلظ عليهم﴾** أي: شدد عليهم في الدعوة، واستعمل الخشونة في أمرهم بالشرائع، وجاهد الكفار بالحرب، والمنافقين بإقامة الحدود عليهم، فإنهم كانوا يرتكبون موجبات الحدود.

١٠ **﴿ضرب الله مثلا للذين كفروا﴾** أي: جعل الله مثلا لحال هؤلاء الكفرة،

سُورَةُ الْمُلِكِ

(٦٧) سُورَةُ الْمُلِكِ مَكِّيَّةٌ
وَأَنبَاءُهَا ثَلَاثُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾
الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا
مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ فَأَرْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ
تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ أَرْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ
إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ
الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا
لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ

١ «تبارك الذي بيده الملك» تبارك أي
كثر خير الله وعظم، والملك هو ملك
السموات والأرض في الدنيا والآخرة
«وهو على كل شيء قدير» لا يعجزه
شيء، بل هو يتصرف في ملكه كيف
يريد، من إنعام وانتقام، ورفع ووضع،
وإعطاء ومنع، وهذا الأمر يعلمه المؤمنون
في الدنيا وينكره الكفار، أما في الآخرة
فلا يدعي الملك أحد غير الله، ولا ينكر
ملكه أحد، ولذا قال تعالى: (مالك يوم
الدين) وقال (يوم هم بارزون لا يخفى
على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله
الواحد القهار).

٢ «الذي خلق الموت والحياة» الموت
انقطاع تعلق الروح بالبدن، ومفارقتها له،
والحياة تعلق الروح بالبدن واتصالها به،
فالحياة تعني: خلقه إنسانا، وخلق الروح
فيه «ليبلوكم أيكم أحسن عملا» أي:
خلق الموت والحياة أي جعلكم أناس
عقلاء ليكلفكم ثم يختبركم فيجازيكم
على ذلك. والمقصد الأصلي من الابتلاء
هو ظهور كمال إحسان المحسنين «وهو
العزیز» أي: الغالب الذي لا يغالب
«الغفور» لمن تاب وأتاب.

٣ «الذي خلق سبع سماوات طباقا»
أي: بعضها فوق بعض «ما ترى في
خلق الرحمن من تفاوت» من تناقض
ولا تباين، ولا اعوجاج ولا تخالف، بل
هي مستوية مستقيمة دالة على خالقها
«فارجع البصر هل ترى من فطور»
أي: اردد طرفك في السماء، وتأمل: هل
ترى فيها — على عظمتها واتساعها — من
تشقى أو تصدع.

٤ «ثم ارجع البصر كرتين» أي مرة
بعد مرة وإن كثرت تلك المرات، فيكون
ذلك أبلغ في إقامة الحجة، وأقطع للمعذرة
«ينقلب إليك البصر خاسئا» ذليلا

صاغرا عن أن يرى شيئا من العيب في
خلق السماء «وهو حسير» أي: كليل
منقطع.

٥ «ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح»
فصارت في أحسن خلق، وأكمل صورة،
وأبهج شكل، وسميت الكواكب مصابيح
لأنها تضيء كإضاءة السراج «وجعلناها
رجوما للشياطين» أي: وجعلنا المصابيح

رجوما يرمم بها الشياطين، وهذه فائدة
أخرى غير كونها زينة للسماء الدنيا. قال
قتادة: خلق الله النجوم لثلاث: زينة
للسماء، ورجوما للشياطين، وعلامات

يهتدى بها في البر والبحر «وأعدنا لهم
عذاب السعير» أي: وأعدنا للشياطين
في الآخرة، بعد الإحراق في الدنيا
بالشهب، عذاب النار.

٦ «وللذين كفروا برهيم» من كفار بني
آدم، أو من كفار الفريقين من بني آدم
ومن الجن «عذاب جهنم وبئس
المصير» ما يصيرون إليه، وهو جهنم.

٧ «إذا ألقيوا فيها» أي: طرحوا فيها كما
يطرح الحطب في النار «سمعوا لها
شهيقا» أي: صوتا كصوت الحمير عند
أول نهيقها «وهي نفور» تغلي بهم غليان



جَهَنَّمَ وَيَبُوءُ الْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَا الْقُلُوبُ فِيهَا سَمِعُوا لَهَا
شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلِّقَ
فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَى
قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ
أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ
نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَأَعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ
فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ
بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ
أَجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ
خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ
وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾

المرجل.

٨ ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ أي: تكاد
تتقطع، وينفصل بعضها من بعض، من
شدة غضبها على الكفار ﴿كُلَّمَا أُلِّقَ فِيهَا
فَوْجٌ﴾ الفوج الجماعة من الناس ﴿سَأَلَهُمْ
خَزَنَتُهَا﴾ من الملائكة، سؤال توبيخ
وتقريع: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ في الدنيا ﴿نَذِيرٌ﴾
ينذركم هذا اليوم ويحذركم منه؟

٩ ﴿قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ﴾ رسول
من عند الله ربنا فأندرتنا وخوفنا وأخبرتنا
بهذا اليوم ﴿فَكَذَّبْنَا﴾ ذلك النذير ﴿وَقُلْنَا
مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ على ألسنتكم

﴿من أمور الغيب وأخبار الآخرة والشرائع
التي تتضمن بيان ما يريد الله منا﴾ ﴿إِنْ
أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ أي: قلنا
للرسل: إنكم في ذهاب عن الحق، وبعد
عن الصواب.

١٠ ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا
كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ لو كنا نسمع
سمع من يعي، أو نعقل عقل من يميز
وينظر، ما كنا من أهل النار [بل كنا
آمنًا بما أنزل الله واتبعنا الرسول].

١١ ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ﴾ الذي استحقوا
به عذاب النار، وهو الكفر وتكذيب

الأنبياء ﴿فسحقاً لأصحاب السعير﴾
أي: فبعداً لهم من الله ومن رحمته
[ألزمهم الله تعالى العذاب بعد أن اعترفوا
بالذنب لأن بذلك تقوم عليهم الحجة ولا
يبقى لهم عذر].

١٢ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ﴾
أي: يخشون عذابه ولم يروه، فيؤمنون به
خوفاً من عذابه ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ عظيمة
يفخر الله بها ذنوبهم ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ وهو
الجنة.

١٣ ﴿وَأَسِرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ اجْهَرُوا بِهِ﴾
المعنى إن أخفيتم كلامكم أو جهرت به في
أمر رسول الله ﷺ، فكل ذلك يعلمه
الله، لا يخفى عليه منه خافية ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ
بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ هي مضمرات القلوب.

١٤ ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ ألا يعلم السر
ومضمرات القلوب من خلق ذلك وأوجده
[فهو تعالى الذي خلق الإنسان بيده،
وأعلم شيء بالمصنوع صانعه] ﴿وَهُوَ
اللطيف الخبير﴾ الذي لطف علمه بما في
القلوب، الخبير بما تسره وتضمره من
الأمور، لا تخفى عليه من ذلك خافية.

١٥ ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ
ذُلُولًا﴾ أي: سهلة لينة تستقرون عليها،
ولم يجعلها خشنة بحيث يمتنع عليكم
السكون فيها والمشي عليها ﴿فَامْشُوا فِي
مَنَاكِبِهَا﴾ طرقها وأطرافها وجوانبها

﴿وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ أي: مما رزقكم
وخلقه لكم في الأرض، [يتمن الله على
بني آدم بتمكينهم من هذه الأرض،
وإعطائهم القدرات لتحصيل خيراتها.
ولكن عليهم أن يعلموا أنهم إليه
صائرون. ولذلك قال:] ﴿وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾

أي: البعث من قبوركم، لا إلى غيره.

١٦ ﴿وَأَمِنْتُمْ مِنْ فِي السَّمَاءِ﴾ هو الله
تعالى ﴿وَأَنْ يَخْشِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ﴾ يقلعها
بكم كما فعل بقارون، بعد ما جعلها
لكم ذلولاً تمشون في مناكبها.

﴿فإذا هي تمور﴾ أي: تضطرب وتتحرك على خلاف ما كانت عليه من السكون والتذليل.

١٧ ﴿أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً﴾ حجارة من السماء، كما أرسلها على قوم لوط وأصحاب الفيل، وقيل: ريح فيها حجارة ﴿فستعلمون﴾ كيف نذير﴾ أي: إنذاري إذا عاينتم العذاب، ولا ينفعكم هذا العلم.

١٨ ﴿فكيف كان نكير﴾ أي: فكيف كان إنكاري عليهم بما أصبهم به من العذاب الفظيع؟

١٩ ﴿أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات﴾ صافة لأجنحتها في الهواء وتبسطها عند طيرانها ﴿وبقبضن﴾ أي يضممن أجنحتهن ﴿ما يمكن﴾ في الهواء عند الطيران والقبض والبسط ﴿إلا الرحمن﴾ القادر على كل شيء [أي بما جعل في الطير من دقة الصنعة، في خفة أجسامها، وكسوتها بالريش، ونشره بطريقة معينة، إذا ضرب بها الهواء ارتفع في الجو، وتقدم إلى الأمام فسبحان خالقها] ﴿إنه بكل شيء بصير﴾ لا يخفى عليه شيء.

٢٠ ﴿أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن﴾ المعنى أنه لا جند لكم يمنعكم من عذاب الله، بل من هذا الحقير الذي هو في زعمكم جند لكم يتولى نصركم إن لم ينصركم الله برحمته وعونه ﴿إن الكافرون إلا في غرور﴾ عظيم من جهة الشيطان، يغرهم به.

٢١ ﴿أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه﴾ أي: من الذي يدرّ عليكم الأرزاق، من المطر وغيره، إن أمسك الله ذلك ومنعه عنكم؟ ﴿بل لجوا في عتو ونفور﴾ تمادوا في عناد واستكبار عن الحق، ونفور عنه، ولم يعتبروا ولا تفكروا.

الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ مَّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفْتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يَمْسُكُهُنَّ إِلَّا أَلْحَمٌ إِنَّهُ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ بِصِيرٍ ﴿١٩﴾ أَمْ أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ ۖ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ ۖ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ

سبحانه رسوله ﷺ أن يخبرهم بأن الله هو الذي أنشأهم النشأة الأولى ﴿وجعل﴾ لهم ﴿السمع﴾ لسمعوا به ﴿والأبصار﴾ ليبصروا بها ﴿والأفئدة﴾ وهي القلوب التي يتفكرون بها في مخلوقات الله ﴿قليلًا ما تشكرون﴾ يعني أنكم لا تشكرون رب هذه النعم بتوحيده إلا شكراً قليلاً.

٢٤ ﴿قل هو الذي ذراكم في الأرض﴾ خلقهم في الأرض ونشرهم فيها وفرقهم على ظهرها.

٢٥ ﴿ويقولون متى هذا الوعد﴾ الذي تذكرونه لنا من الحشر والقيامة والنار

٢٢ ﴿أمن يمشي مكباً على وجهه أهدى﴾ هو الكافر، يكب على معاصي الله في الدنيا، فيحشره الله يوم القيامة على وجهه ﴿أمن يمشي سوياً﴾ مُتَعَدِّلاً ناظراً إلى ما بين يديه ﴿على صراط مستقيم﴾ أي: على طريق مستو لا اعوجاج به ولا انحراف فيه [وهذا هو المؤمن الذي سار على منهج الله في الدنيا على هدًى وبصيرة، فيحشر في الآخرة سوياً على صراط مستقيم يؤدي به إلى الجنة].

٢٣ ﴿قل هو الذي أنشأكم﴾ أمر

لا نشرك به شيئا **﴿وعليه توكلنا﴾** لا على غيره، والتوكل تفويض الأمور إليه عز وجل **﴿فستعلمون من هو في ضلال مبين﴾** منا ومنكم.

٣٠ **﴿قل أرايت إن أصبح ماؤكم غورا﴾** أي: أخبروني إن صار ماؤكم [الذي من الله عليكم به في العيون والآبار والأنهار] غائرا في الأرض، بحيث لا يبقى له وجود فيها أصلا، أو صار ذاهبا في الأرض إلى مكان بعيد بحيث لا تناله الدلاء **﴿فإن يأتيكم بماء معين﴾** أي: بماء كثير جار لا ينقطع؟ [أي لا يأتيكم به أحد إلا الله تعالى، بالأمطار والأنهار حتى أنتم بها تنعمون]

سورة القلم

١ **﴿ن﴾** حرف من حروف الهجاء، كالفتوح الواقعة في أوائل السور المفتحة بذلك **﴿والقلم﴾** أقسم الله بالقلم لما فيه من البيان، وهو واقع على كل قلم يكتب به **﴿وما يسطرون﴾** أي ما يكتبه الناس بالقلم من العلوم.

٢ **﴿ما أنت بنعمة ربك بمجنون﴾** أي: إنك يا محمد بنعمة الله التي أنعم بها عليك، وهي النبوة والرياسة العامة، بريء من الجنون.

٣ **﴿وإن لك لأجرا﴾** أي ثوابا على ما تحملت من أثقال النبوة، وقاسيت من أنواع الشدائد **﴿غير ممنون﴾** أي غير مقطوع، أو: لا يُستَنُّ به عليك من جهة الناس.

٤ **﴿وإنك لعل خلق عظيم﴾** المعنى إنك على الخلق الذي أمرك الله به في القرآن. ثبت في الصحيح عن عائشة أنها سئلت عن خلق النبي ﷺ فقالت: كان خلقه القرآن.

صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا أَعْلِمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيَّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مَنْ عَذَابُ الْعِلْمِ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَّنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴿٣٠﴾

(٦٨) سُورَةُ الْقَلَمِ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا تَهَاتُ ثَنَانٍ وَخَمْسُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ

والعذاب **﴿إن كنتم صادقين﴾** في ذلك فأخبرونا به، أو فينبوه لنا، أو فأتونا به.

٢٦ **﴿قل إنما أعلم عند الله﴾** أي: إن وقت قيام الساعة علمه عند الله لا يعلمه غيره **﴿وإنما أنا نذير مبين﴾** أنذركم وأخوفكم عاقبة كفركم، وأبين لكم ما أمرني الله ببيانه، ولم يأمرني أن أخبركم بوقت قيام الساعة.

٢٧ **﴿فلما رآوه زلفة﴾** رآوا العذاب قريبا **﴿سَيَّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** أي: اسودت، وعلتها الكآبة، وغشيتها الذلة **﴿وقيل هذا الذي كنتم به تدعون﴾** أي الذي كنتم في الدنيا تطلبونه وتستعجلون به استهزاء.

٢٨ **﴿قل أرايت إن أهلكني الله﴾** بموت أو قتل، [كما تتمنون لي ذلك وتترصدون بي المصائب والهلاك] **﴿ومن معي﴾** من المؤمنين **﴿أو رحمتا﴾** بتأخير ذلك إلى أجل، فلو فرض أنه وقع بنا ذلك: **﴿فإن يجير الكافرين من عذاب أليم﴾** أي: لا ينجيهم من ذلك أحد، سواء أهلك الله رسوله والمؤمنين معه كما كان الكفار يتمنون، أو أمهلهم.

٢٩ **﴿قل هو الرحمن أمانا به﴾** وحده،



بِمَجْنُونٍ ١٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ١٣ وَإِنَّكَ
لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ١٤ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ١٥ بِأَيْبِكَ
الْمَفْتُونُ ١٦ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ
وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ١٧ فَلَا تَطْعُ الْمُكَذِّبِينَ ١٨
وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ١٩ وَلَا تَطْعُ كُلَّ حَلَّافٍ
مِّهِنٍ ٢٠ هَمَّازٌ مَشَاءٌ بَنِمٍ ٢١ مَنَاجٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ
أَثِيمٍ ٢٢ عُتْلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ٢٣ أَنْ كَانَ
ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ٢٤ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ
الْأَوَّلِينَ ٢٥ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرُطُومِ ٢٦ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا
بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرُنَّهَا مُصْبِحِينَ ٢٧
وَلَا يَسْتَنْوُونَ ٢٨ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ
وَهُمْ نَائِمُونَ ٢٩ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ٣٠ فَتَنَادَوْا

٥ ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾ أي ستبصر

يا محمد وبصير الكفار إذا تبين الحق وانكشف الغطاء، وذلك يوم القيامة:

٦ ﴿بِأَيْبِكُمُ الْمَفْتُونُ﴾ أي أيكم المفتون بالجنون، وهذا ردُّ على زعمهم أن محمدا ﷺ كان مفتونا ضالا، ولذا قال:

٧ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ

سَبِيلِهِ﴾ أي يعلم من هو في الحقيقة الضال، أنت أم من اتهمك بالضلال. والمعنى: بل هم الضالون، لخالفتم لما فيه نفعهم في العاجل والآجل، واختيارهم مافيه ضررهم فيها ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ إلى سبيله الموصل إلى تلك السعادة الآجلة والعاجلة.

٨ ﴿فَلَا تَطْعُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ نهاء سبحانه

عن ملاينة المشركين، وهم رؤساء كفار مكة، لأنهم كانوا يدعونه إلى دين آبائهم، فنهاء الله عن طاعتهم.

٩ ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ المعنى

ودوا لو تلين لهم فيلبسوا لك. وقيل المعنى: ودوا لو تركن إليهم، وترك ما أنت عليه من الحق، فهم يدهنون أي يظهرون لك الملاينة لتقبل معهم.

١٠ ﴿وَلَا تَطْعُ كُلَّ حَلَّافٍ﴾ أي كثير

الحلف بالباطل ﴿مِّهِنٍ﴾ هو الحقير.

١١ ﴿هَمَّازٌ مَشَاءٌ بَنِمٍ﴾ الهماز الذي

يذكر الناس بالشر في وجوههم، واللماز الذي يذكرهم في مغيبهم، والمشاء بنمٍ الذي يمشي بالتميمة بين الناس ليفسد بينهم.

١٢ ﴿عُتْلٍ﴾ هو الشديد الخلق الفاحش

الخلق. وقال الزجاج: هو الغليظ الجافي ﴿بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾ أي هو بعد ما عُذِّ من معاييه زنيم، والزنيم: الدعي الملتصق بالقوم وليس هو منهم.

١٣ ﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ والمعنى

لا تطعمه لماله وبنيه، وقيل المراد به التوبيخ والتفريع، حيث جعل مجازاة

النعم التي خوله الله من المال والبنين أن كفر به وبرسوله.

١٦ ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرُطُومِ﴾ أي سوف نجعل الوسم بالسواد على أنفه، وذلك أنه يسود وجهه بالنار قبل دخول النار [فيكون له على أنفه علامة] ونُلْحِقُ به شيئا لا يفارقه يعرف به.

١٧ ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ﴾ يعني كفار مكة، فإن الله ابتلاهم بالجوع والقحط بدعوة رسول الله ﷺ عليهم

الجنة. المعروف خبرهم عند قريش، وذلك أنها كانت بأرض اليمن على

فرسخين من صنعاء حديقة لرجل يؤدي حق الله منها، فأتت وصارت إلى أولاده، فنعوا الناس خيرها، وبخلوا بحق الله فيها، وقالوا: المال قليل، والعيال كثير، ولا يسعنا أن نفعل كما كان يفعل أبونا، وعزموا على حرمان المساكين، فصارت عاقبتهم إلى ما قص الله في كتابه ﴿إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ أي حلفوا أنهم سيقطعون ثمرها عند الصباح.

١٨ ﴿وَلَا يَسْتَنْوُونَ﴾ يعني ولا يقولون: إن شاء الله، وقيل المعنى: ولا يستشنون للمساكين من جملة ذلك القدر الذي كان

مُصْبِحِينَ ۝٢١ أَنْ أَغْدُوا عَلَى حَرِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَرِمِينَ ۝٢٢ فَأَنْطَلِقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ ۝٢٣ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ۝٢٤ وَغَدُوا عَلَى حَرِّ قَادِرِينَ ۝٢٥ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ ۝٢٦ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ۝٢٧ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ۝٢٨ قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ۝٢٩ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ ۝٣٠ قَالُوا يَتَوَلَّوْنَا إِنَّا كُنَّا طَائِفِينَ ۝٣١ عَسَى رَبَّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ ۝٣٢ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝٣٣ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ۝٣٤ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ۝٣٥ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝٣٦ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ

جنتهم، وأن الله سبحانه قد عاقبهم بإذهاب ما فيها من الثمر والزرع قالوا: ٢٧ ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ أي حرمانا الله ثمر جنتنا بسبب ما وقع منا من العزم على منع المساكين من خيرها. ٢٨ ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ أي أمثلهم وأعقلهم وخيرهم ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ [أي ألم أقول لكم إن فعلكم هذا من منعكم المساكين حقهم ظلم؟ فهلا تسبحون الله الآن بعد أن تيقنتم أنه بالمرصاد للظالمين] وتستغفرون الله من فعلكم وتوبون إليه من هذه النية التي عزمتم عليها.

٢٩ ﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ أي تنزيها له عن أن يكون ظالما فيما صنع بجنتنا، فإن ذلك بسبب ذنبنا الذي فعلناه في منعنا للمساكين. ٣٢ ﴿إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾ أي طالبون منه الخير راجعون لعفوه.

٣٣ ﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ﴾ أي مثل ذلك العذاب الذي بلوناهم به نبلوا أهل مكة بعذاب الدنيا ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أي أشد وأعظم لو كان المشركون يعلمون أنه كذلك، ولكنهم لا يعلمون.

٣٥ ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ كان ضناديد كفار قريش قالوا: إن صح ما يزعمه محمد لم يكن حالنا وحال المسلمين إلا مثل ما هي في الدنيا [فيكون لنا في الآخرة مثل ما لهم من نعم الجنة. فيخبر الله تعالى أنه ليس من العدل التسوية بين من يلتزم بطاعته وبين من هو فاجر مجرم لا يبالي بمعصيته].

٣٦ ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ هذا الحكم الأعوج، كان أمر الجزاء مفوض إليكم. ٣٧ ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾ أي تقرأون فيه فتجدون المطيع كالعاصي؟

كنتم صارمين﴾ أي قاصدين للصرم.

٢٤ ﴿أَنْ لَا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ﴾ يسر بعضهم إلى بعض هذا القول، وهو قولهم: لا يدخل هذه الجنة اليوم عليكم مسكين، فيطلب منكم أن تعطوه منها ما كان يعطيه أبوكم.

٢٥ ﴿وَوَعْدُوا عَلَى حَرِّ﴾ أي انطلقوا منفردين عن قومهم غير مخالطين لهم ﴿قَادِرِينَ﴾ على جنتهم عند أنفسهم.

٢٦ ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ﴾ أي قال بعضهم لبعض قد ضللنا طريق جنتنا وليست هذه، ثم لما تأملوا وعلموا أنها

يدفعه أبوههم إليهم.

١٩ ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ أي طاف على تلك الجنة من جهة الله سبحانه نار أحرقتها حتى صارت سوداء.

٢٠ ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِمِ﴾ أي كالبيستان الذي قد صرمت ثماره، أي قطعت.

٢١ ﴿فَتَنَادُوا مُصْبِحِينَ﴾ لما أصبحوا قال بعضهم لبعض:

٢٢ ﴿أَنْ أَغْدُوا عَلَى حَرِّكُمْ﴾ اخرجوا مبكرين في الصباح إلى الثمار والزرع ﴿إِنْ

تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ
 عَلَيْنَا بَلِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾
 سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا
 بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ
 سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَشِيعَةً
 أَبْصَرُهُمْ تَرَهِقُهُمْ ذَلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ
 وَهُمْ سَالِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ
 سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ
 إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ
 مُثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾
 فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ
 نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّنْ

٣٨ ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾ أي هل
 في ذلك الكتاب أن لكم في الآخرة
 ماتختارون وتشتبون؟

٣٩ ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَلِغَةٌ إِلَى يَوْمِ
 الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ المعنى: بل
 ألكم عهد عند الله خَلَفَ لكم عليه أيماناً
 استوثقتم بها في أن يدخلكم الجنة، ثابتة
 لكم إلى يوم القيامة لا يخرج عن عهدها
 حتى يجعل لكم حكمكم يومئذ؟

٤٠ ﴿سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ﴾ أي سل
 يا محمد الكفار موبخاً لهم ومقرعاً: أيهم
 بذلك كفيل لهم بأن لهم في الآخرة ما
 للمسلمين فيها؟

٤١ ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ
 إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ المعنى: بل ألهم
 شركاء الله بزعمهم قادرين على أن
 يجعلوهم مثل المسلمين في الآخرة؟

٤٢ ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ يكشف
 الله عز وجل عن ساقه. أخرج البخاري
 وغيره عن أبي سعيد قال: سمعت رسول
 الله ﷺ يقول «يكشف ربنا عن ساقه
 فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من
 كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة،
 فيذهب ليسجد، فيعود ظهره طبقاً
 واحداً» ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا
 يَسْتَطِيعُونَ﴾ يسجد الخلق كلهم لله سجدة

واحدة، ويبقى الكفار والمنافقون يريدون
 أن يسجدوا فلا يستطيعون، لأن أصلهم
 تيبس فلا تلين للسجود، لم يكونوا آمنوا
 بالله في الدنيا، ولا سجدوا له.

٤٣ ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ﴾ الخشوع الخضوع
 والذلة والانكسار ﴿تَرَهِقُهُمْ ذَلَّةٌ﴾ تغشاهم
 ذلة شديدة وحسرة وندامة ﴿وَقَدْ كَانُوا
 يَدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ﴾ أي في الدنيا
 ﴿وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ أي معافون عن العلل،
 متمكنون من الفعل. قال إبراهيم
 التيمي: يدعون بالأذان والإقامة فيأبون.

٤٤ ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا

الحديث﴾ ذرني، أي: خل بيني وبينه،

٤٦ ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾ أي: هل تطلب
 منهم ثواباً على ماتدعوهم إليه من الإيمان
 بالله ﴿فَهُمْ مِنْ مَّغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾ المغرم من
 يحمل غرامة ذلك الأجر، أي يتحمل عليهم
 حمله لشحهم ببذل المال، فهل طلبت
 منهم أجراً فأعرضوا عن إجابتك بهذا
 السبب؟

٤٧ ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾
 أي: بل أعندهم علم الغيب يكتبون

ما يريدون من الحجج التي يزعمون،
 وبخاصمونك بما يكتبونه من ذلك،

٤٥ ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ أي أمهلهم ليزدادوا

إثماً ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ أي قوتي شديد

وقيل ردّ إليه النبوة، وشفعه في نفسه وفي قومه، وأرسله إلى مائة ألف أو يزيدون، فآمنوا جماعاً، كما تقدم.

٥١ ﴿وَأَن يَكَادَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ﴾ قال ابن قتيبة: ليس يريد الله أنهم يصيبونك بأعينهم كما يصيب العائن بعينه ما يعجبه، وإنما أراد أنهم ينظرون إليك إذا قرأت القرآن نظراً شديداً بالعداوة والبغضاء يكاد يسقطك ﴿لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾ أي وقت سماعهم للقرآن لكرهاتهم لذلك أشد كراهة.

سورة الحاقة

١ ﴿الحاقة﴾ هي القيامة، لأن الأمر يحقّ فيها. والحاقة يوم الحق، لأنها تظهر فيها الحقائق.

٢ ﴿ما الحاقة﴾ المعنى: أي شيء هي في حالها أو صفاتها؟

٣ ﴿وما أدراك ما الحاقة﴾ يعني: أي شيء أعلمك ماهي؟ فكأنها خارجة عن دائرة علم المخلوقين.

٤ ﴿كذبت ثمود وعاد بالقارعة﴾ أي بالقيامة، وسميت بذلك لأنها تفرق الناس بأهوالها.

٥ ﴿فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية﴾ ثمود هم قوم صالح، والطاغية الصيحة التي جاوزت الحد.

٦ ﴿وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر﴾ عاد هم قوم هود، والريح الصرصر هي الشديدة البرد، والعاتية: القاسية التي جاوزت الحد لشدة هبوبها، وطول زمنها، وشدة بردها.

٧ ﴿سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام﴾ [أي أرسلها عليهم طيلة هذه المدة مستمرة لا تنقطع ولا تهدأ. وكانت تقتلهم بالحصباء] ﴿حسوما﴾ أي تحسمهم حسوماً، أي تفنيهم وتذهبهم.

رَبِّهِ لَنُبَيِّدَ بِالْعُرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَاجْتَنِبْهُ رَبُّهُ
فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا
لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ
لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾

(٦٩) سورة الحاقة مكية وآياتها ثنتان وخمسون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٣﴾
كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا
بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾
سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ
تَافِكُونَ

لقومه. وقوله (وهو مكظوم) أي مغموه مكروب. [ويحتمل أن المراد: مُقْفَل عليه في بطن الحوت]

٤٩ ﴿لولا أن تداركه نعمة من ربه﴾ وهي توفيقه للتوبة، فتاب الله عليه ﴿لنبذ بالعراء﴾ أي لألقي من بطن الحوت على وجه الأرض الخالية من النبات ﴿وهو مذموم﴾ أي يذم ويلام بالذنب الذي أذنبه ويطرد من الرحمة.

٥٠ ﴿فاجتنباه ربه﴾ أي استخلصه واصطفاه واختاره للنبوة ﴿فجعله من الصالحين﴾ أي الكاملين في الصلاح.

ويحكون لأنفسهم بما يريدون، ويستغنون بذلك عن الإجابة لك والامتثال لما تقوله؟

٤٨ ﴿ولا تكن كصاحب الحوت﴾ يونس عليه السلام، أي لا تكن مثله في الغضب والضجر ﴿إذ نادى وهو مكظوم﴾ الله يعزّي نبيه ﷺ ويأمره بالصبر، وأن لا يعجل كما عجل صاحب الحوت، وقد تقدم بيان قصته في سورة الأنبياء ويونس والصفات. وكان النداء منه بقوله (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت الظالمين) ولم يصبر على دعوته



فِيهَا صَرَخَ كَأَنَّهُمْ أَتَجَازُ نَحْلَ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ
مِنْ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ
بِالْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخَذَةً
رَآيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴿١١﴾
لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴿١٢﴾ فَلِذَا نُفِخَ
فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ
فدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾
وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَالْمَلَكُ عَلَى
أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَةٌ ﴿١٧﴾
يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ
كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَأُوا وَكِتَابِي كَذِبٌ ﴿١٩﴾
ظَنَنْتُ أَنِّي مَلَقْتُ حَسَابِيَّةً ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٢١﴾

﴿فترى القوم فيها﴾ أي في تلك الأيام والليالي [أو المراد: في ديارهم] **﴿صرعى﴾** مصروعين بالأرض موتى **﴿كانهم أعجاز نخل خاوية﴾** أي أصول نخل ساقطة، أو بالية.

٨ **﴿فهل ترى لهم من باقية﴾** أي من فرقة باقية، أو من نفس باقية، أي فلم يبق منهم أحد.

٩ **﴿وجاء فرعون ومن قبله﴾** أي من الأمم الكافرة **﴿والمؤتفكات﴾** وهي قرى قوم لوط، والمعنى وجاءت المؤتفكات **﴿بالخاطئة﴾** أي بالفعللة الخاطئة وهي الشرك والمعاصي.

١٠ **﴿فعصوا رسول ربهم﴾** أي عصت كل أمة رسولها المرسل إليها **﴿فأخذهم أخذة راية﴾** أي أخذهم الله أخذة نامية زائدة على أخذات الأمم.

١١ **﴿إننا لما طغى الماء﴾** أي تجاوز حده في الارتفاع والعلو، وذلك ما حصل من الطوفان في زمن نوح لما أصر قومه على الكفر وكذبوه **﴿حملناكم في الجارية﴾** أي في أصلاب آبائكم، والجارية سفينة نوح، لأنها تجري في الماء.

١٢ **﴿لنجعلها لكم﴾** يا أمة محمد **﴿تذكرة﴾** أي : عبرة وموعظة تستدلون بها على عظيم قدرة الله وبديع صنعه وشدة انتقامه **﴿وتعيها أذن واعية﴾** أي تحفظها بعد سماعها أذن حافظة لما سمعت.

١٣ **﴿فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة﴾** النفخة الأولى.

١٤ **﴿وحملت الأرض والجبال﴾** أي رفعت من أماكنها، وقلعت عن مقارها بالقدرة الإلهية **﴿فدكتا دكة واحدة﴾** أي فكسرتا كسرة واحدة لا زيادة عليها، وقيل: دكتا: بسطنا بسطة واحدة.

١٥ **﴿فيومئذ وقعت الواقعة﴾** أي قامت القيامة.

١٦ **﴿وانشقت السماء فهي يومئذ واهية﴾** أي انشقت بنزول ما فيها من الملائكة، فهي في ذلك اليوم ضعيفة مسترخية.

١٧ **﴿والملك على أرجائها﴾** أي تكون الملائكة على حافاتهما حتى يأمرهم الرب فينزلون إلى الأرض ويحيطون بالأرض ومن عليها **﴿ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾** أي يحمله فوق رؤوسهم يوم القيامة ثمانية أملاك، وقيل ثمانية صفوف من الملائكة، لا يعلم عددهم إلا الله عز وجل.

١٨ **﴿يومئذ تعرضون﴾** أي يعرض العباد على الله لحسابهم **﴿لا تخفى منكم خافية﴾** لا يخفى على الله سبحانه من ذواتكم، أو أقوالكم وأفعالكم، خافية كائنة ما كانت.

١٩ **﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه﴾** أي أعطي كتابه الذي كتبه الحفظة عليه من أعماله **﴿فيقول هاؤم﴾** أي خذوا **﴿اقرأوا كتابه﴾** يقول ذلك سرورا وابتهاجا.

٢٠ **﴿إني ظننت أني ملاق حسابه﴾** أي علمت وأيقنت في الدنيا أني أحاسب في الآخرة، وقيل المعنى: إني ظننت أن

شاهد من سوء عمله، وما يصير إليه من العذاب.

٢٨ ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِي﴾ أي لم يدفع عني ما جنبته من المال من عذاب الله شيئا.

٢٩ ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِي﴾ أي هلك عني حقي، وضلت عني. وقيل المراد بالسلطان: المنصب والجاه والملك. وحينئذ يقول الله عز وجل:

٣٠ ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ أي اجمعوا يده إلى عنقه بالأغلال.

٣١ ﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ أي أدخلوه الجحيم ليصل حرها.

٣٢ ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ السلسلة حلق منتظمة، وذرعها طولها. قال سفيان: بلغنا أنها تدخل في دبره حتى تخرج من فيه.

٣٥ ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ﴾ أي ليس له يوم القيامة في الآخرة قريب ينفعه أو يشفع له، لأنه يوم يفتر فيه القريب من قريبه، ويهرب عنده الحبيب من حبيبه.

٣٦ ﴿وَلَا طَعَامَ إِلَّا مِنْ غَسَلِينَ﴾ إلا من صديد أهل النار، وما ينقل من أبدانهم من القيح والصديد.

٣٧ ﴿وَلَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ أصحاب الخطايا وأرباب الذنوب.

٣٨، ٣٩ ﴿فَلَا أَقْسَمُ بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ أي: أقسم بالأشياء كلها ما يبصر منها وما لا يبصر.

٤٠ ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ أي إن القرآن لتلاوة رسول كريم، والمراد محمد ﷺ أو: إنه لقول يبلغه رسول كريم، يريد به جبريل.

٤١ ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ كما تزعمون، لأنه ليس من أصناف الشعر ﴿قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ أي إيماننا قليلا تؤمنون، وتصديقا يسيرا تصدقون.

فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۖ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۚ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ۚ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ ۖ فَيَقُولُ يَلْبِثُنِي لِأُوتَىٰ كِتَابِي ۚ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِي ۚ يَلْبِثُهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ ۚ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِي ۚ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِي ۚ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۚ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۚ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ۚ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ۚ وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۚ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ۚ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسَلِينَ ۚ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ۚ فَلَا أَقْسَمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۚ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ۚ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۚ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ۚ

ياخذني الله بسببتي، فقد تفضل علي بعفوه ولم يؤخذني.

٢١ ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ مرضية لا مكروهة.

٢٢ ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ أي مرتفعة المكان، لأنها في السماء، أو مرتفعة المنازل، رفيعة القدر.

٢٣ ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ المعنى أن ثمارها قريبة ممن يتناولها من قائم أو قاعد أو مضطجع.

٢٤ ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ أي يقال لهم: كلوا واشربوا في الجنة ﴿هَنِيئًا﴾ لا تكدير

فيه ولا تنغيص ﴿بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ أي بسبب ما قدمتم من الأعمال الصالحة في الدنيا.

٢٥ ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ﴾ حزنا وكربا لما رأى فيه من سيئاته ﴿يَلْبِثُنِي لِأُوتَىٰ كِتَابِي﴾ أي لم أعط كتابي.

٢٦ ﴿وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِي﴾ أي لم أدرك أي شيء حسابي، لأن كله عليه.

٢٧ ﴿يَلْبِثُهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ﴾ أي ليت الموتة التي منها كانت القاضية، ولم أختر بعدها: تمى دوام الموت وعدم البعث لما

وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَا تَذْكُرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ
 الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾
 لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾
 فَمَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُ لَتَذْكُرَةٌ
 لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ
 لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾
 فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

(٧٠) سُورَةُ الْمَعَارِجِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّاتُهَا اَنْبِغَ وَانْبِغُونُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ

٤٢ ﴿ولا يقول كاهن﴾ كما ترعمون، فإن الكهانة أمر آخر لا جامع بينها وبين هذا ﴿قليلًا ما تذكرون﴾ أي تذكرا قليلا تذكرون.

٤٣ ﴿تنزيل من رب العالمين﴾ والمعنى: إنه لقول رسول كرم، وهو تنزيل من رب العالمين على لسانه.

٤٤ ﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل﴾ أي ولو تقول ذلك الرسول، وهو محمد، أو جبريل على ماتقدم، لو تكلف شيئاً من ذلك وجاء به من جهة نفسه [ونسبه إلى الله]

٤٥ ﴿لأخذنا منه باليمين﴾ أي بيده اليمنى.

٤٦ ﴿ثم لقطعنا منه الوتين﴾ الوتين عرق يجري في الظهر حتى يتصل بالقلب، وهو تصوير لإهلاكه بأقطع ما يفعله الملوك بمن يفضون عليه.

٤٧ ﴿فما منكم من أحد عنه حاجزين﴾ أي ليس منكم أحد يحجزنا عنه أو ينقذه منا، فكيف يتكلف الكذب على الله لأجلكم؟

٤٨ ﴿وإنه لتذكرة للمتقين﴾ أي إن القرآن لتذكرة لأهل التقوى لأنهم المنتفعون به.

٤٩ ﴿وإننا لنعلم أن منكم مكذبين﴾ أي أن بعضكم يكذب بالقرآن، فنحن نجازيهم على ذلك.

٥٠ ﴿وإنه لحسرة على الكافرين﴾ أي وإن القرآن لحسرة وندامة على الكافرين يوم القيامة.

٥١ ﴿وإنه لحق اليقين﴾ لكونه من عند الله، فلا يحوم حوله ريبة ولا يتطرق إليه شك.

٥٢ ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ أي نزهه عما لا يليق به [بالتسبيح، وهو الذكر المعروف].

سُورَةُ الْمَعَارِجِ

٣ ﴿من الله﴾ أي واقع من جهته سبحانه ﴿ذي المعارج﴾ أي ذي المصاعد التي تصعد فيها الملائكة، وقيل المعارج العظمة.

٤ ﴿تخرج الملائكة والروح إليه﴾ أي تصعد إلى الله عز وجل في تلك المعارج التي جعلها الله لهم، والروح جبريل، وقيل الروح هنا ملك آخر عظيم غير جبريل ﴿في يوم كان مقداره خمسين

ألف سنة﴾ المراد يوم القيامة، مدة موقف العباد للحساب هي هذا المقدار من السنين، ثم يستقر بعد ذلك أهل الجنة في

١ ﴿سأل سائل بعذاب واقع﴾ السؤال مضمن معنى الدعاء، والمعنى: دعا داع على نفسه بعذاب واقع، وهذا السائل قيل هو النضر بن الحارث حين قال: (اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم).

٢ ﴿للكافرين﴾ أي كائن للكافرين ﴿ليس له دافع﴾ لا يدفع ذلك العذاب الواقع أحد.

دَافِعٌ ﴿١﴾ مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٢﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ
وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٣﴾
فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٥﴾ وَنَرَاهُ
قَرِيبًا ﴿٦﴾ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَيْلِ ﴿٧﴾ وَتَكُونُ
الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٨﴾ وَلَا يَسْأَلُ حِمِيمٌ حَمِيمًا ﴿٩﴾
يَبْصُرُونَهُ يَوْمَ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ
بِبَنِيهِ ﴿١٠﴾ وَصَحْبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١١﴾ وَفَصَّلَتْنَاهُ الَّتِي
تُغْوِيهِ ﴿١٢﴾ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴿١٣﴾ كَلَّا إِنَّهَا
لَظُلُمٌ ﴿١٤﴾ نَزَاعَةٌ لِلشَّوَى ﴿١٥﴾ تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ﴿١٦﴾
وَجَمَعَ فَأَوْعَى ﴿١٧﴾ * إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٨﴾
إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢٠﴾
إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢١﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٢﴾

١١ ﴿يَبْصُرُونَهُ﴾ أي يبصر كل حميم
حميمه، لا يخفى منهم أحد عن أحد، ولا
يتساءلون ولا يكلم بعضهم بعضا ﴿يَوْمَ
الْمُجْرِمِ﴾ كل مذنب ذنبا يستحق به النار
﴿لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ﴾ يوم
القيامة الذي نزل به ﴿بِنِيهِ﴾.

١٢ ﴿وَصَحْبَتِهِ وَأَخِيهِ﴾ فإن هؤلاء أعز
الناس عليه وأكرمهم لديه، فلو قبل منه
الفداء لفدى بهم نفسه وخلص مما نزل به
من العذاب.

١٣ ﴿وَفَصَّلَتْنَاهُ الَّتِي تُغْوِيهِ﴾ أي عشيرته
الأقربين الذين يضمونه في النسب، أو
عند الشدائد، ويأوي إليهم.

١٤ ﴿وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ أي يود
المجرم لو افتدى بمن في الأرض جميعا من
الثقلين وغيرها من الخلائق ﴿ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾
الافتداء من عذاب جهنم.

١٥ ﴿كَلَّا﴾ ردع للمجرم عن تلك
الأمنية، وبيان امتناع ما وده من
الافتداء ﴿إِنَّا لَظُلُمٌ﴾ لظي: اسم لجهنم،
واشتقاقها من التلظى في النار، وهو
التلهب.

١٦ ﴿نَزَاعَةٌ لِلشَّوَى﴾ تبرى اللحم والجلد
عن العظم حتى لا تترك فيه شيئا،
والشواة جلدة الرأس.

١٧ ﴿تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ﴾ أي إن جهنم
تنادي من أدبر عن الحق في الدنيا
﴿وَتَوَلَّى﴾ أي أعرض عنه.

١٨ ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾ أي جمع المال فجعله
في وعاء، فلم ينفق منه في سبيل الخير.

١٩ ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ الملح
أشد الحرص وأسوأ الجزع وأفحشه.

٢٠، ٢١ ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾
وإذا مسه الخير منوعا أي: إذا أصابه
الفقر والحاجة أو المرض أو نحو ذلك فهو

كثير الجزع، وإذا أصابه الخير من الغنى
والخصب والسعة ونحو ذلك فهو كثير المنع
والإمساك.

٧ ﴿وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾ أي نعلمه كائنا قريبا،
لأن ما هو آت قريب.

٨ ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَيْلِ﴾ الهل ما
أذيب من النحاس، والرصاص،
والفضة، وقيل هو دُرْدِيُّ الزيت.

٩ ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ أي
كالصوف المصبوغ، فإذا بُسَّت وطيرت في
الهواء أشبهت العهن المنفوش إذا طيرته
الريح.

١٠ ﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ أي لا يسأل
قريب قريبه عن شأنه في ذلك اليوم لما
نزل بهم من شدة الأهوال.

الجنة وأهل النار في النار، وقيل إن
مقدار يوم القيامة على الكافرين خمسون
ألف سنة، وعلى المؤمنين مقدار ما بين
الظهر والعصر.

٥ ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ أي اصبر يا
محمد على تكذيبهم لك، وكفرهم بما
جئت به، صبرا جميلا لا جزع فيه ولا
شكوى إلى غير الله، وهذا معنى الصبر
الجميل.

٦ ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا﴾ أي يرون يوم
القيامة الذي مقداره خمسون ألف سنة
بعيدا: أي مستبعدا محالا.



وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۖ (٢٤) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (٢٥)
وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّمَ الدِّينِ (٢٦) وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ
رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (٢٧) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (٢٨)
وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۖ (٢٩) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ
أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَلَهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٣٠) فَمَنْ أَبْتَغَى
وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٣١) وَالَّذِينَ هُمْ
لَأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٣٢) وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ
قَائِمُونَ (٣٣) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٣٤)
أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ (٣٥) قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
قَبْلَكَ مُهْطِعِينَ (٣٦) عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ (٣٧)
أَيُّطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ (٣٨) كَلَّا
إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ (٣٩) فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ

٢٢ ﴿إِلَّا الْمَصْلِينَ﴾ أي: المقيمين للصلاة، يعني أنهم ليسوا على تلك الصفات من الملح والجزع والمنع، وأنهم على صفات محمودة وخلال مرضية، لأن إيمانهم ودين الحق يزجرهم عن الاتصاف بتلك الصفات، ويحملهم على الاتصاف بصفات الخير.

٢٣ ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ لا يشغلهم عنها شاغل، يؤدون الصلاة المكتوبة لوقتها.

٢٤ ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾ المراد الزكاة المفروضة. وقيل صلة الرحم.

٢٥ ﴿لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ قد تقدم تفسير السائل والمحروم في سورة الذاريات.

٢٦ ﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّمَ الدِّينِ﴾ هو يوم القيامة، لا يشكون فيه ولا يجحدونه.

٢٧ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ أي: خائفون وجلون، مع ما لهم من أعمال الطاعة استحقاقاً لأعمالهم، واعترافاً بما يجب لله سبحانه عليهم.

٢٨ ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ أي لا ينبغي أن يأمنه أحد، وإن حق كل أحد أن يخافه.

٢٩ - ٣١ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ إلى قوله ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ قد تقدم تفسيره في أول سورة المؤمنين مستوفى.

٣٢ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ أي: لا يخلون بشيء من الأمانات التي يؤتمنون عليها، ولا ينقضون شيئاً من العهود التي يعقدونها على أنفسهم.

٣٣ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ﴾ أي: يقيمون الشهادة على وجهها على من كانت عليه من قريب، أو بعيد، رفيع أو وضع، ولا يكتُمونها ولا يغيرونها.

إليك.

٣٤ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ أي: على أذكارتها وأركانها وشرائطها لا يخلون بشيء من ذلك، ولا يشتغلون عنها بشيء من الشواغل، ويحافظون عليها بعد فعلها من أن يفعلوا ما يحبطها ويبطل ثوابها.

٣٥ ﴿أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ أي: مستقرون فيها مكرمون بأنواع الكرامات.

٣٦ ﴿فَأُولَٰئِكَ كَفَرُوا قَبْلَكَ مُهْطِعِينَ﴾ أي: حواليك مسرعين إلى التكذيب، ويستهنون بك. وقيل: مهطعين: مادي أعناقهم مديمي النظر

٣٧ ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾ أي: عن يمين النبي ﷺ وعن شماله جماعات مفرقة.

٣٨ ﴿أَيُّطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ كان المشركون يقولون: لن ندخل هؤلاء الجنة لندخل قبلهم، فنزلت الآية.

٣٩ ﴿كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ﴾ أي: من القدر الذي يعلمون به، فلا ينبغي لهم هذا التكبر. أخرج أحمد وابن ماجه وابن سعد أن رسول الله ﷺ قرأ

وهي القبور **«سراعا»** مسرعين **«كانهم إلى نصب»** إلى شيء منصوب علم أو راية **«يوفضون»** يسرعون يتسابقون إليه .
٤٤ «خاشعة أبصارهم» أي ذليلة لا يرفعونها لما يتوقعونه من العذاب **«ترهقهم ذلة»** أي: تغشاهم ذلة شديدة .

سورة نوح

١ **«إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه»** قد تقدم أن نوحاً أول رسول أرسله الله، وتقدم مدة لبثه في قومه، في سورة العنكبوت **«أن أنذر قومك»** أي: فقلنا له أنذر قومك **«من قبل أن يأتهم عذاب أليم»** شديد الألم، وهو عذاب النار، أو هو ما نزل بهم من الطوفان .

٢ **«قال يا قوم إني لكم نذير»** من عقاب الله وخوف لكم **«مبين»** أبين لكم ما فيه نجاتكم .

٣ **«أن اعبدوا الله»** [أدوا إليه حقه من التذلل والحب، وامتلوا ما أمركم به] ولا تشركوا به غيره **«واتقوه»** أي: اجتنبوا ما يوقعكم في عذابه **«وأطيعون»** فيما أمركم به، فإني رسول إليكم من عند الله .

٤ **«يغفر لكم من ذنوبكم»** أي: بعض ذنوبكم، وهو ما سلف منها قبل طاعة الرسول وإجابة دعوته **«ويؤخركم إلى أجل مسمى»** أي: يؤخر موتكم إلى الأمد الأقصى الذي قدره الله لكم [والمراد: يطيل أجل أمتكم واستعمارها في الأرض ما دامت مقيمة على الطاعة] **«إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر»** أي: ما قدره لكم إذا جاء وأنتم باقون على الكفر، لا يؤخر بل يقع لا محالة، فبادروا إلى الإيمان والطاعة **«لو كنتم تعلمون»** لعلمتم أن أجل الله إذا جاء لا يؤخر .

وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴿٤١﴾ عَلَى أَنْ نَبْدِلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤٢﴾ فَذَرَهُمْ يَحْضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَانَهُمْ إِلَى نُصْبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٤﴾ خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٥﴾

(٧١) سُورَةُ نُوحٍ مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا ثَمَانِينَ وَعَشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَتَقَوَّمُ إِنِّي لَكُم نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢﴾ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا لِي يَغْفِرَ

(قال الذين كفروا قبلك مهطعين... كلاً إنا خلقناهم مما يعلمون) ثم بزق رسول الله ﷺ على كفه، ووضع عليها أصبعه وقال: «يقول الله: ابن آدم، أنى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه، حتى إذا سويتك وعدلتك، مشيت بين بردين، ولأرض منك وثيد، فجمعت ومنعت، حتى إذا بلسفت التراقي أتى أوان الصدقة» .

٤٠ **«فلا أقسم»** أي: فأقسم **«برب المشارق والمغارب»** يعني مشرق كل يوم من أيام السنة ومغربه .
 ٤١ **«على أن نبذل خيراً منهم»** أي: على أن نخلق أمثلاً منهم، وأطوع لله ممن عصوه، ونهلك هؤلاء **«وما نحن بمسبوقين»** أي: بمغلوبين إن أردنا ذلك، بل نفعل ما أردنا لا يفوتنا شيء ولا يعجزنا أمر .
 ٤٢ **«فذرهم يخوضوا»** في باطلهم **«ويلعبوا»** في دنياهم، واشتغل بما أمرت به، ولا يعظم عليك ما هم فيه، فليس عليك إلا البلاغ **«حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون»** وهو يوم القيامة .
 ٤٣ **«يوم يخرجون من الأجداث»**

لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ
 اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي
 دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا
 فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَابَهُمْ
 فِيءَ أَذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا
 اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ
 لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ
 إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾
 وَيُمِدِّدُكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلُ
 لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ
 خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ
 سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ

٥ ﴿قال رب إني دعوت قومي ليلا

ونهارا﴾ إي: دعوتهم إلى ما أمرتني بأن
 أدعوهم إليه من الإيمان، دعاء دائما في
 الليل والنهار من غير تقصير.

٦ ﴿فلم يزد هم دعائي إلا فرارا﴾ عما
 دعوتهم إليه وبعدا عنه.

٧ ﴿وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم﴾ أي:

كلما دعوتهم إلى سبب المغفرة، وهو
 الإيمان بك، والطاعة لك ﴿جعلوا

أصابعهم في آذانهم﴾ لئلا يسموا صوتي

﴿واستغشوا ثيابهم﴾ أي: غطوا بها

وجوههم لئلا يروني ولئلا يسموا كلامي

﴿وأصروا﴾ أي: استمروا على الكفر

﴿واستكبروا﴾ عن قبول الحق

﴿استكبارا﴾ شديدا.

٨ ﴿ثم إني دعوتهم جهارا﴾ أي: مظهرا

لهم الدعوة مجاهرا لهم بها.

٩ ﴿ثم إني أعلنت لهم﴾ أي: دعوتهم

معلنا لهم بالدعاء ﴿وأسررت لهم﴾ الدعوة

﴿إسرارا﴾ كثيرا، يدعو الرجل، بعد

الرجل، يكلمه سرا فيما بينه وبينه،

دعاهم على وجوه متخالفة، وأساليب

متفاوتة. وقيل: معنى أسررت أنيتهم في

منازلهم فدعوتهم فيها.

١٠ ﴿فقلت استغفروا ربكم﴾ أي:

سلوه المغفرة من ذنوبكم السابقة

بإخلاص النية ﴿إنه كان غفارا﴾ أي:

كثير المغفرة للمذنبين.

١١ ﴿يرسل السماء عليكم مدرارا﴾

والمدرار الكثيرة الدور، وهو التحلب

بالمطر، وفي هذه الآية دليل على أن

الاستغفار من أعظم أسباب المطر وحصول

أنواع الأرزاق.

١٢ ﴿وعددكم بأموال وبنين ويجعل

لكم جنات﴾ بساتين ﴿ويجعل لكم

أنهارا﴾ جارية، والمعنى: يكثر أموالكم

وأولادكم، فإيمانهم بالله يجمع لهم مع

الحظ الوافر في الآخرة الخصب والغنى في
 الدنيا.

١٣ ﴿مالك لا ترجون لله وقارا﴾ أي:

مالك لا تخافون الله فتوحده وتطيعوه؟

والمدرار العظيمة.

١٤ ﴿وقد خلقكم أطوارا﴾ خلقكم على

أطوار مختلفة: نطفة، ثم مضغة، ثم علقة

إلى تمام الخلق، كما تقدم بيانه في سورة

المؤمنين، ثم تكونون صبيانا، ثم شبانا، ثم

شيوخا، فكيف تقصرون في توفير من

خلقكم على هذه الأطوار البديعة.

١٥ ﴿ألم تروا كيف خلق الله سبع

سماوات طباقا﴾ متطابقة بعضها فوق

بعض.

١٦ ﴿وجعل القمر فيهن﴾ أي في

السموات، وهو في سماء الدنيا منهن

﴿نورا﴾ أي: منورا لوجه الأرض [لا

حرارة فيه] ﴿وجعل الشمس سراجا﴾

كالمصباح لأهل الأرض ليتوصلوا بذلك

إلى التصرف فيما يحتاجون إليه من المعاش

[فيه حرارة وضياء].

١٧ ﴿والله أنبتكم من الأرض نباتا﴾

يعني آدم، خلقه الله من أديم الأرض، ثم

أنبت نبتة في الأرض بالكبر بعد الصغر،

الشمس سراجاً ١٦) وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ
نَبَاتاً ١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً ١٨) وَاللَّهُ
جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطاً ١٩) لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا
فِجَاجاً ٢٠) قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ
لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَاراً ٢١) وَمَكُرُوا مَكْرًا
كَبِيرًا ٢٢) وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا
سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا
وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ٢٤) مِمَّا خَطَبْتِهِمْ
أَغْرِقُوا فَاذْخُلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ
أَنْصَارًا ٢٥) وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ
الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ٢٦) إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ
وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ٢٧) رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدِي

وبالطول بعد القصر [وإنما نموهم بما
يستغذون به من أجزاء الأرض بعد تحولها
إلى نبات أو حيوان].

١٨) **ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا** أي في الأرض
[تموتون فتتحلل أجزاؤكم حتى تعود تراباً
وتندمج في الأرض] **وَيُخْرِجُكُمْ**
إِخْرَاجاً يعني يخرجكم منها بالبعث يوم
القيامة [أي إخراجاً دفعة واحدة لا إنباتاً
بالتدريج، كالمرّة الأولى].

١٩) **وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطاً**
أي: فرشها وبسطها لكم تتقلبون عليها
تقلبكم على بسطكم في بيوتكم.

٢٠) **لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجاً** أي:
طرقاً واسعة، والفتح المسلك بين الجبلين.

٢١) **قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي** أي
استمروا على عصياني ولم يجيبوا دعوتي،
شكاهم إلى الله عز وجل، وهو أعلم
بذلك **وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ**
إِلَّا خَسَاراً أي اتبع الأصاغر رؤساءهم،
وأهل الثروة منهم، الذين لم يزددهم كثرة
المال والولد إلا ضللاً في الدنيا وعقوبة
في الآخرة.

٢٢) **وَمَكُرُوا مَكْرًا كَبِيرًا** أي مكراً كبيراً
عظيماً، وهو تحريضهم سفلتهم على قتل نوح.

٢٣) **وَقَالُوا** أي قال الرؤساء للاتباع
يفرونهم بمعصية نوح **لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ** أي
لا تتركوا عبادة آلِهَتكم، وهي الأصنام
والصور التي كانت لهم، ثم عبثها العرب
من بعدهم **وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا**
يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا أي لا تتركوا عبادة
هذه، قال محمد بن كعب: هذه أسماء قوم
صالحين كانوا بين آدم ونوح، فنشأ بعدهم
قوم يقتدون بهم في العبادة، فقال لهم
إبليس: لو صورتم صورهم كان أنشط لكم
وأشوق إلى العبادة، ففعلوا. ثم نشأ قوم من
بعدهم، فقال إبليس: إن الذين من قبلكم
كانوا يعبدون هذه الصور فاعبدوهم، فابتداء
عبادة الأوثان كان من ذلك الوقت.

٢٤) **وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا** أي أضلَّ
كبرائهم ورؤسائهم كثيراً من الناس،
وقيل: المراد الأصنام، أضلت كثيراً من
الناس **وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا** إلا
خسراناً، وقيل ضلالاً في مكرهم.

٢٥) **مِمَّا خَطَبْتَهُمْ أَغْرِقُوا** أي من أجلها
وبسببها أغرقوا بالطوفان **فَاذْخُلُوا نَاراً**
عقب ذلك، وهي نار الآخرة، وقيل عذاب
القبر **فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا**
أي لم يجدوا أحداً يمنعهم من عذاب الله
ويدفعه عنهم.

٢٦) **وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ**
مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا لما أيس نوح من
إيمانهم دعا عليهم بعد أن أوحى إليه (أنه لن
يؤمن من قومك إلا من قد آمن) فأجاب الله
دعوتهم وأغرقهم، والدَّيَّار: من يسكن الديار.
٢٧) **إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ** عن
طريق الحق **وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا** أي إلا
فاجراً بترك طاعتك **كَفَّارًا** لنعمتك: أي
كثير الكفران لها.

٢٨) **رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدِي** وكانا
مؤمنين.

وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا
تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٧٨﴾

(٧٢) سُورَةُ الْجِنِّ مَكِينًا
وَلَا يَأْتِيَهُمْ كَيْدٌ وَغَيْرُهُمْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا
قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرَكَ
بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً
وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾
وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾
وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ

﴿ولن دخل بيتي﴾ منزله الذي هو ساكن فيه، وقيل سفينته ﴿مؤمننا﴾ فيخرج من دخله غير متصف بهذه الصفة كما مرته وولده الذي قال (ساوى إلى جبل بمصممي من الماء) ﴿وللمؤمنين والمؤمنات﴾ أي واغفر لكل متصف بالآيمان من الذكور والإناث ﴿ولا تزد الظالمين إلا تبارا﴾ هلاكنا وخسرانا ودمارنا. شمل دعاؤه هذا كل ظالم إلى يوم القيامة.

سُورَةُ الْجِنِّ

١ ﴿قل أوحى إلي﴾ المعنى: قل يا محمد لأمتك: أوحى الله إلي على لسان جبريل ﴿أنه استمع نفر من الجن﴾ [عدد منهم إلى قراءتي للقرآن، والسورة التي كان يقرأها عندما استمعوا إليه هي سورة (اقرأ باسم ربك الذي خلق)] ولم يرسل الله إليهم رسلا منهم، بل الرسل جميعا من الإنس من بني آدم ﴿فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا﴾ أي قالوا لقومهم لما رجعوا إليهم: سمعنا كلاما مقروءا عجبا في فصاحته وبلاغته، وقيل عجبا في مواعظه، وقيل في بركته.

٢ ﴿يهدي إلى الرشده﴾ أي: إلى الحق والصواب، ومعرفة الله ﴿فآمنا به﴾ أي صدقنا به أنه من عند الله ﴿ولن نشرك بربنا أحدا﴾ من خلقه، ولا نتخذ معه إلها آخر، آمنت الجن بسماع القرآن مرة واحدة، وأدركوا بعقولهم أنه كلام الله، ولم ينتفع كفار قريش، لاسيما رؤساؤهم، بسماعه مرات، مع كون الرسول منهم يتلوهم عليهم بلسانهم، لا جرم صرعهم الله أذل مصرع وقتلهم أقبح مقتل. وفي الآية أن أعظم ما في دعوة محمد ﷺ توحيد الله تعالى وخلع الشرك وأهله.

٣ ﴿وأنه تعالى جد ربنا﴾ ارتفع عظمة ربنا وجلاله، وقيل جدّه قدرته ﴿ما اتخذ

صاحبة ولا ولدا﴾ أي تعالى جلال ربنا وعظمته عن أن يتخذ صاحبة، أي زوجة، أو ولدا، كما يقول الكفار الذين ينسبون إلى الله صاحبة والولد. ٤ ﴿وأنه كان يقول سفيها على الله شططا﴾ ينكر الجن قول مشركهم وسفهاهم الكذب على الله من دعوى صاحبة والولد وغير ذلك. والشطط: الغلو في الكفر، والبعد عن القصد، ومجاوزة الحد.

٥ ﴿وأننا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذبا﴾ أي إنا حسبنا أن الإنس والجن كانوا لا يكذبون على الله عندما قالوا بأن له شريكا وصاحبة وولدا، فصدقناهم في ذلك [ولم يخطر ببالنا أن أحدا يتجرأ على الكذب على الله، كما صنع دعاة الإشراك بالله وسدنة الآلهة الزائفة] حتى سمعنا القرآن، فعلمنا بطلان قولهم وبطلان ما كنا نظنه بهم من الصدق.

٦ ﴿وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن﴾ كان العرب إذا نزل الرجل بواد قال: أعوذ بسيّد هذا الوادي من شر سفهاء قومه، فبييت في



فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ
 اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتِ حَرَسًا
 شَدِيدًا وَشُهَبًا ﴿٨﴾ وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدَ لِّلسَّمْعِ ۖ فَنَ
 يَسْمَعُ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شُهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَا لَا نَدْرِي
 أَشَرُّ أَرِيدَ يَمَنَ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾
 وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ
 قَدِّدًا ﴿١١﴾ وَأَنَا ظَنْنَا أَن لَّن نَعِجَزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن
 نُعِجِزَهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ ؕ آمَنَّا بِهِ ؕ فَمَن
 يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ ؕ فَلَا يَخَافُ بَحْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَا مِنَّا
 الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ ۖ فَمَن أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا
 رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾
 وَالْوِاسْتَقْمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ ۚ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً غَدَقًا ۖ

ابن زيد: قال إبليس: لا ندري أراد الله بهذا المنع أن ينزل على أهل الأرض عذاباً أو يرسل إليهم رسولا.

١١ ﴿وَأَنَا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي قال بعض الجن لبعض لما دعوا أصحابهم إلى الإيمان بمحمد ﷺ: كنا قبل استماع القرآن منا الموصوفون بالصلاح ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ﴾ أي قوم غير ذلك، قيل أراد بالصلحين المؤمنين، وبمن هم دون ذلك الكافرين ﴿كُنَّا طَرَائِقَ قَدِّدًا﴾ أي جماعات متفرقة، وأصنافاً مختلفة، وأهواء متباينة. وقال سعيد: كانوا مسلمين ويهوداً ونصارى ومجوساً.

١٢ ﴿وَأَنَا ظَنْنَا أَن لَّن نَعِجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: وأنا علمنا أن لن نفوته إن أراد بنا أمراً ﴿وَلَن نَعِجِزَهُ هَرَبًا﴾ أي هاربين منه.

١٣ ﴿وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى﴾ يعنون القرآن ﴿آمَنَّا بِهِ﴾ صدقنا أنه من عند الله، ولم نكذب به كما كذبت به كفرة الإنس ﴿فَمَن يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَحْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ والبخس النقصان، والرهق العدوان والظنيان.

١٤ ﴿وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾ أي الجائرون الظالمون الذين حادوا عن طريق الحق ﴿فَمَن أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ أي قصدوا طريق الحق والخير [واجتهدوا في البحث عنه حتى وفقوا له].

١٥ ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ أي وقوداً للنار توقد بهم كما توقد بكفرة الإنس.

١٦ ﴿وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ المعنى: وأوحى إليّ أن الشأن أن لو استقام الجن أو الإنس أو كلاهما على طريقة الإسلام ﴿لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً غَدَقًا﴾ أي ماء كثيراً ولآتيناهم خيراً كثيراً واسعاً.

الكواكب كما تقدم بيانه في تفسير قوله (وجعلناها رجوماً للشياطين) من سورة تبارك.

٩ ﴿وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِّلسَّمْعِ﴾ ليسمعوا من الملائكة أخبار السماء فيلقونها إلى الكهنة، فحرسها الله سبحانه عند بعثة رسوله ﷺ بالشهب المحرقة ﴿فَنَ يَسْمَعُ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شُهَابًا رَّصَدًا﴾ أي أرصد له ليرمى به، لمنعه من السماع.

١٠ ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدَ يَمَنَ فِي الْأَرْضِ﴾ بسبب هذه الحراسة للسماء ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ أي خيراً. قال

جواره حتى يصبح ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ أي زاد رجال الجن من تعوذ بهم من رجال الإنس رهقاً: أي سفهاً وظنياناً [أي من الجن أنفسهم على الإنس المستجيرين بهم، أو زادوهم بلاءً وضعفاً وخوفاً].

٧ ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ المعنى: وأن الإنس ظنوا كما ظننتم أيها الجن، أنه لا بعث ولا جزاء.

٨ ﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾ أي طلبنا خبرها كما جرت به عادتنا ﴿فَوَجَدْنَاهَا مُلْتِ حَرَسًا﴾ من الملائكة يحرسونها عن استراق السمع ﴿شَدِيدًا وَشُهَبًا﴾ هي نار

لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ ۖ يَسْلُكْهُ عَذَابًا
صَعْدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾
وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ
لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ ۚ أَحَدًا ﴿٢٠﴾
قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَنْ
يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾
إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ ۚ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا
مَآيُوعِدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾
قُلْ إِنْ أَدْرَىٰ أَقْرَبُ مَا تُوْعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي
أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾
إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ

١٧ ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ أي لنختبرهم فنعلم كيف شكرهم على تلك النعم ﴿ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا﴾ أي ومن يعرض عن القرآن، أو عن الموعظة، يدخله عذابا شاقا صعبا.

١٨ ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ أي وأوحى إلي أن المساجد مختصة بالله. قال سعيد: قالت الجن: كيف لنا أن نأتي المساجد ونشهد معك الصلاة ونحن ناءون عنك؟ فنزلت. وقيل المساجد كل البقاع، لأن الأرض كلها مسجد ﴿فلا تدعوا مع الله أحدا﴾ أي لا تطلبوا العون، فيما لا يقدر عليه إلا الله، من أحد من خلقه كائنا ما كان، فإن الدعاء عبادة.

١٩ ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾ وهو النبي ﷺ ﴿يدعوه﴾ أي يدعوا الله ويعبده، وذلك ببطن نخلة كما تقدم ﴿كادوا يكونون عليه لبدا﴾ أي كاد الجن يكونون على رسول الله لبدا متراكمين من ازدحامهم عليه لسماع القرآن منه، وقيل المراد: تلبدت الإيس والجن على هذا الأمر ليطفثوه فأبى الله إلا أن ينصره ويتم نوره.

٢٠ ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي﴾ وأعبدته ﴿ولا أشرك به أحدا﴾ من خلقه. سبب نزولها أن كفار قريش قالوا للنبي ﷺ: إنك جئت بأمر عظيم، وقد عادت الناس كلهم، فارجع عن هذا فنحن نجبرك.

٢١ ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ أي لا أقدر أن أدفع عنكم ضرا، ولا أسوق إليكم خيرا في الدنيا أو الدين.

٢٢ ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يَجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ﴾ أي لا يدفع عني أحد عذابه إن أنزله بي ﴿ولن أجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ أي ملجأ ومعدلا وحرزا؛

٢٣ ﴿إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ﴾ أي: إلا أن أبلغ عن الله وأعمل

برسالاته، فأخذ نفسي بما أمر به غيري، فإن فعلت ذلك نجوت، وإلا هلكت.

٢٤ ﴿فسيعلمون من أضعف ناصرا﴾ جندا ينتصر به ﴿وأقل عددا﴾ أهم أم المؤمنون.

٢٥ ﴿قُلْ إِنْ أَدْرَىٰ أَقْرَبُ مَا تُوْعَدُونَ﴾ أي لست أعلم قرب العذاب الذي يعدكم الله به ﴿أم يجعل له ربي أمدا﴾ أي غاية وملة، فلا يعرف متى يوم القيامة إلا الله وحده.

٢٦ ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا﴾ أي لا يُطلع على الغيب، وهو ما

غاب عن العباد، أحدا منهم؛

٢٧ ﴿إِلَّا مَنْ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾ استثنى من ارتضى من الرسل، فأودعهم ماشاء من غيبه بطريق الوحي إليهم، وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوتهم، وليس المنجم، ومن ضاهاه ممن يضرب بالحصى وينظر في الكف ويزجر بالطير، ممن ارتضاه، فهو كافر بالله مفر عليه بحمسه وتخمينه وكذبه.

﴿فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا﴾ يجعل سبحانه بين يدي الرسول ومن خلفه حرسا من الملائكة، يحرسونه

خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَكَ رَبَّهُمْ
وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾

(٧٣) سُورَةُ الْمِزْمَلِ مَكِينًا وَأَيَّانَهَا عِشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ ﴿١﴾ قُمْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِصْفَهُ رَـ
أَوْ أَنْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ
تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ
الَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ
سَبْعًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ
تَبَتُّلًا ﴿٨﴾ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

٣، ٤ «نصفه أو انقص منه قليلا. أو زد عليه» كأنه قال قم ثلثي الليل، أو نصفه أو ثلثه. أخرج أحمد ومسلم عن سعد ابن هشام قال «قلت لعائشة: أنبئيني عن قيام رسول الله ﷺ قالت: ألسنت تقرأ هذه السورة (يا أيها المزمل)؟ قلت: بلى. قالت: فإن الله افترض قيام الليل في أول هذه السورة، فقام رسول الله ﷺ وأصحابه حولا، حتى انتضخت أقدامهم، وأمسك الله خاتمها في السماء اثني عشر شهرا. ثم أنزل التخفيف في آخر هذه السورة، فصار قيام الليل تطوعا من بعد فرضه» «ورتل القرآن ترتيلا» أي: اقرأه على مهل مع تدبر حرفا حرفا، والترتيل هو أن يبين جميع الحروف، ويوفي حقها من الإشباع [دون تنطع وتقرر في النطق].

٥ «إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا» أي: سنوحى إليك القرآن، وهو قول ثقل فرائضه وحدوده، وحلاله وحرامه، لا يحمله إلا قلب مؤيد بالتوفيق ونفس مزينة بالتوحيد.

٦ «إن ناشئة الليل» يقال لقيام الليل ناشئة إذا كان بعد نوم، فإذا نمت من أول الليل ثم قت فتلك الناشئة والناشئة «هي أشد وطأ» أثقل على المصلي من صلاة النهار، لأن الليل للنوم «وأقوم قبيلا» أي: وأشد مقالا وأثبت قراءة، لحضور القلب فيها، وأشد استقامة لأن الأصوات فيها هادئة، والدنيا ساكنة.

٧ «إن لك في النهار سبعا طويلا» أي تصرفا في حوائجك، وإقبالا وإدبارا، وذهابا ومجيئا، فصل بالليل.

٨ «واذكر اسم ربك» ليلا ونهارا واستكثر من ذلك «وتبتل إليه تبتيلا» أي: انقطع إلى الله انقطاعا بالاشتغال بعبادته، والتماس ما عنده.

سورة المزمل

١ «يا أيها المزمل» وهذا الخطاب للنبي ﷺ كان يتزمل بشيابه أول ما جاءه جبريل بالوحي خوفاً منه، فإنه لما سمع صوت الملك ونظر إليه أخذته الرعدة، فأتى أهله وقال: زملوني. دثروني. ثم بعد ذلك خوطب بالنبوة والرسالة وأنس بجبريل.

٢ «قم الليل إلا قليلا» أي قم للصلاة في الليل، وصل الليل كله إلا يسيرا منه.

من تعرض الشياطين لما أظهره عليه من الغيب، ويحيطونه من أن تسترقه الشياطين، فتلقه إلى الكهنة.

٢٨ «ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم» أي ليعلم الله أن رسله قد أبلغوا رسالاته: ليعلم ذلك عن مشاهدة كما علمه غيبا «وأحاط بما لديهم» أي بما عند الرصد من الملائكة، أو بما عند الرسل المبلغين لرسالاته، وبما لديهم من الأحوال.

فَاتَّخَذَهُ وَكِيلًا ٩ وَأَصْبَرَ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَأَجْرُهُمْ هَجْرًا
جَمِيلًا ١٠ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِيَ النَّعْمَةِ وَمَهْلَهُمْ
قَلِيلًا ١١ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا ١٢ وَطَعَامًا ذَا
غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ١٣ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ
وَكَانَتْ الْجِبَالُ كَثِيرًا مَّهِيلًا ١٤ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ
رَسُولًا شَهِيدًا عَلَيْكَ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ١٥
فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ١٦
فَكَيْفَ تَتَّقُونَ ١٧ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ١٨
السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ ١٩ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ٢٠ إِنَّ هَذِهِ
تَذَكُّرَةٌ ٢١ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ٢٢ * إِنْ رَبَّكَ
يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ
وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ ٢٣ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ

٩ «فاتخذوه وكيلا» أي: إذا عرفت أنه المختص بالربوبية، فاتخذوه وكيلا، أي: قائما بأمورك، وعول عليه في جميعها.

١٠ «واصبر على ما يقولون» من الأذى والسب والاستهزاء، ولا تجزع من ذلك «واهجروهم هجرا جميلا» أي: لا تتعرض لهم ولا تشتغل بمكافاتهم، وقيل: الهجر الجميل الذي لا جزع فيه، وهذا كان قبل الأمر بالقتال.

١١ «وذرنى والمكذبين» أي: دعني وإياهم ولا تهتم بهم، فإني أكفيك أمرهم، وأنتقم لك منهم «أولي النعمة» أي: أرباب الغنى والسعة والترقة واللذة في الدنيا «ومهلهم قليلا» إلى انقضاء آجالهم، وقيل إلى نزول عقوبة الدنيا بهم.

١٢ «إن لدينا أنكالا» الأنكال الأغلال، وقيل: هي أنواع العذاب الشديد «وجحima» أي: نارا مؤجلة.

١٣ «وطعاما ذا غصة» أي: لا يسوغ في الحلق بل ينشب فيه، فلا ينزل ولا يخرج «وعذابا أليما» أي: ونوعا آخر من العذاب غير ما ذكر.

١٤ «يوم ترجف الأرض والجبال» تتحرك وتضطرب بمن عليها، والرجفة الزلزلة الشديدة «وكانت الجبال كثيلا وبيلا» أي: وتكون الجبال، والكثيب الرمل المجتمع، والمهيل الذي يمر تحت الأرجل، أي: رملا سائلا لشدة الرجفة.

١٥ «إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم» يشهد عليكم يوم القيامة بأعمالكم، أي: فمصيتموه «كما أرسلنا إلى فرعون رسولا» يعني موسى.

١٦ «فعصى فرعون الرسول» وكذبه ولم يؤمن بما جاء به «فأخذناه أخذا مهيلا» أي: شديدا ثقيلا غليظا، والمعنى: عاقبنا فرعون عقوبة شديدة غليظة بالفرق.

١٧ «فكيف تتقون» أي: كيف تقون أنفسكم «إن كفرتم» أي: إن بقيتم على كفركم «يوما» أي: عذاب يوم «يجعل» الولدان شيبا» لشدة هوله، أي: يصير الأطفال الصغار فيه بيض الشعور، وهذا كناية عن شدة الخوف.

١٨ «السما منفطر به» أي: متشقة به لشدة وعظم هوله. وانفطارها لنزول الملائكة «كان وعده مفعولا» أي: كأننا لا محالة.

١٩ «إن هذه» أي ما تقدم من الآيات «تذكرة» وهي الموعظة «فمن شاء اتخذ» إلى ربه سبيلا» أي: اتخذ بالطاعة التي أهتم أنواعها التوحيد طريقا توصله إلى رضوان الله في الجنة.

٢٠ «إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه» المعنى: أن الله يعلم أن رسوله ﷺ يقوم أقل من ثلثي الليل أحيانا، ويقوم نصفه، ويقوم ثلثه «وطائفة من الذين معك» أي: وتقوم ذلك القدر معك طائفة من أصحابك «والله يقدر الليل والنهار» أي: يعلم مقادير الليل والنهار على حقائقها، فيعلم القدر الذي تقومونه من الليل «علم أن



عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ۚ إِنَّ عَلِيمًا أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضًى ۚ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ۚ وَءَاخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٤﴾

(٧٤) سُورَةُ الْمِذْثَرِ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا سَبَّحَتْ وَخَسِبَتْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾

الليل. ذكر سبحانه هاهنا ثلاثة أسباب مقتضية للترخيص، فرفعه عن جميع الأمة لأجل هذه الأعذار التي تنوب بعضهم **﴿فاقرأوا ما تيسر منه وأقيموا الصلاة﴾** يعني المفروضة **﴿وآتوا الزكاة﴾** يعني الواجبة في الأموال، وقيل: كل أفعال الخير **﴿وأقرضوا الله قرضاً حسناً﴾** أي: أنفقوا في سبيل الخير من أموالكم إنفاقاً حسناً بالنفقة على الأهل وفي الجهاد والزكاة المفترضة **﴿وما تقدموا لأنفسكم من خير﴾** أي خير كان مما ذكر وما لم يذكر **﴿تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً﴾** مما تؤخرونه إلى عند الموت، أو توصون به ليخرج بعد موتكم [ويحتمل أن المراد: خير مما تنفقونه في حياتكم أو يبقى تركته بعد وفاتكم] **﴿واستغفروا الله﴾** لذنوبكم، فإنكم لا تخلون من ذنوب تقتشفونها **﴿إن الله غفور رحيم﴾** أي: كثير المغفرة لمن استغفره، كثير الرحمة لمن استرحمه.

سورة المذثر

قال المفسرون: لما بدى رسول الله ﷺ بالوحي أتاه جبريل، فرآه رسول الله ﷺ على سرير بين السماء والأرض كالنور المتلألئ، ففرغ ووقع مغشياً عليه، فلما أفاق دخل على خديجة ودعا بماء فصبه عليه، وقال دثروني دثروني، فدثروه بقطيفة.

١ **﴿يا أيها المدثر﴾** يا أيها الذي قد دثر بشيابه؛ أي: تغشى بها.

٢ **﴿قم فأندِر﴾** أي: انفض فخوف أهل مكة وحذرهم العذاب إن لم يسلموا.

٣ **﴿وربك فكبر﴾** أي: واختص سيدك ومالكك ومصلح أمورك بالتكبير، وهو وصفه سبحانه بالكبرياء والعظمة، وأنه أكبر من أن يكون له شريك.

بقول السائل لرسول الله ﷺ هل علي غيرها؟ يعني الصلوات الخمس، فقال: لا إلا أن تطوع، تدل على عدم وجوب غيرها، فارتفع بهذا وجوب قيام الليل وصلاته عن الأمة **﴿علم أن سيكون منكم مرضى﴾** فلا يطيقون قيام الليل **﴿وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله﴾** أي: يسافرون فيها للتجارة والأرباح، يطلبون من رزق الله ما يحتاجون إليه في معاشهم، فلا يطيقون قيام الليل **﴿وآخرون يقاتلون في سبيل الله﴾** يعني المجاهدين، لا يطيقون قيام

لن تحصوه﴾ أن لن تطيقوا علم مقادير الليل والنهار على الحقيقة. وقيل المعنى: علم الله أنكم لن تطيقوا قيام الليل **﴿فتاب عليكم﴾** أي: فعاد عليكم بالعفو، ورخص لكم في ترك القيام إذ عجزتم. فرجع بكم من التثقل إلى التخفيف، ومن العسر إلى اليسر **﴿فاقرأوا ما تيسر من القرآن﴾** أي: فاقرأوا في الصلاة بالليل [أو في غير الصلاة] ما خف عليكم وتيسر لكم منه من غير أن ترقبوا وقتاً. وهذه الآية نسخت قيام الليل، والأحاديث الصحيحة المصرحة

وَيْبَاكَ فَطَهَّرَ ④ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرَ ⑤ وَلَا تَمْنُنْ
تَسْتَكْثِرُ ⑥ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ⑦ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ⑧
فَذَلِكَ يَوْمٌ يَوْمٌ عَسِيرٌ ⑨ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ
يَسِيرٍ ⑩ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ⑪ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا
مَمْدُودًا ⑫ وَبَنِينَ شُهُودًا ⑬ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ⑭
ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ⑮ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ⑯
سَأَرْهَقُهُ صُعُودًا ⑰ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ⑱ فَقُتِلَ كَيْفَ
قَدَّرَ ⑲ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ⑳ ثُمَّ نَظَرَ ㉑ ثُمَّ عَبَسَ
وَبَسَرَ ㉒ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ㉓ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا
سِحْرٌ يُؤْثَرُ ㉔ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ㉕ سَأُصْلِيهِ
سَقَرًا ㉖ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ㉗ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ㉘
لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ ㉙ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ㉚ وَمَا جَعَلْنَا

④ «وَيْبَاكَ فَطَهَّرَ» أمره الله سبحانه بتطهير ثيابه وحفظها عن النجاسات . وقال قتادة : نفسك فطهرها من الذنب .

⑤ «وَالرُّجْزَ فَاهْجُرَ» أي : اترك الأصنام والأوثان ، فلا تعبدوها ، فإنها سبب العذاب .

⑥ «وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ» لا تمنن على ربك بما تتحمله من أعباء النبوة ، كالذي يستكثر ما يتحمله بسبب الغير . وقيل المعنى : إذا أعطيت أحدا عطية فأعطها لوجه الله . ولا تمنن بعطيتك على الناس .

⑦ «وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ» أي : حملت أمرا عظيما ستحاربك العرب عليه والعجم ، فاصبر عليه .

⑧ «فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ» المراد هنا النفخ في الصور ، كأنه قيل : اصبر على أذاهم ، فبين أيديهم يوم هائل يلقون فيه عاقبة أمرهم .

⑩ «ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا» دعني أنا والذي خلقته حال كونه وحيدا في بطن أمه ، لا مال له ولا ولد ، أودعني وحدي معه ، فأني أكفيك في الانتقام منه . قال المفسرون : وهو الوليد بن المغيرة .

⑫ «وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا» أي : كثيرا ، وقد كان الوليد بن المغيرة مشهورا بكثرة المال .

⑬ «وَبَنِينَ شُهُودًا» أي : وجعلت له بنين حضورا بمكة معه ، لا يسافرون ولا يحتاجون إلى التفرق في طلب الرزق لكثرة مال أبيهم . قيل : كانوا ثلاثة عشر ولدا كلهم رجال .

⑭ «وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا» أي : بسطت له في العيش وطول العمر والرياسة في قريش .

⑮ «كَلَّا» أي : لست أزيد «إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا» أي : معاندا لها ، كافرا بما أنزلناه منها على رسولنا .

⑰ «سَأَرْهَقُهُ صُعُودًا» أي : سأكلفه مشقة من العذاب ، والإرهاق : أن يحمل الإنسان الشيء الثقيل الذي لا يطيقه .

⑱ «فَكَرَّ وَفَدَّرَ» فكر في شأن النبي ﷺ وقدر في نفسه ، أي : هيا الكلام في نفسه ما يقول ، فذمه الله .

⑲ «فَقُتِلَ» أي : لُجِمَ وعذب «كَيْفَ قَدَّرَ» أي : على أي حال قدر ما قدر من الكلام .

㉑ «ثُمَّ نَظَرَ» أي : بأي شيء يدفع القرآن و يقدح فيه .

㉒ «ثُمَّ عَبَسَ» أي : قطب وجهه لما لم يجد

مطعنا يطمئن به القرآن «وَبَسَرَ» أي : كلح وجهه وتغير .

㉔ «فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ» أي :

قال : ليس هذا القرآن إلا سحراً ينقله محمد عن غيره ويرويه عنه .

㉕ «إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ» يعني : قال إنه كلام الإنس ، وليس بكلام الله . وسيأتي أن الوليد بن المغيرة إنما قال هذا القول إرضاء لقومه ، بعد اعترافه أن له حلاوة ، وأن عليه طلاوة .

㉖ «سَأُصْلِيهِ سَقَرًا» أي : سأدخله النار ، وسقر من أساء النار .

㉗ «لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ» تلوح للناس جهنم حتى يرونها عيانا ، وقيل : لواحاة للبشر ، أي : مغيرة لوجوههم حتى تسود .

أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً
لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ
الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ
مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ
وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ
إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾
وَالصُّبْحِ إِذَا أَصْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحدى الْكُتُبِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا
لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُم أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ
نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾
فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ
فِي سَقَرٍ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ

٣٠ ﴿عليها تسعة عشر﴾ على النار تسعة عشر من الملائكة هم خزنتها، وقيل: تسعة عشر صنفا من أصناف الملائكة.

٣١ لما نزل قوله سبحانه: (عليها تسعة عشر) قال أبو جهل: أما لمحمد من الأعوان إلا تسعة عشر؟ أفيعجز كل مائة رجل منكم أن يبسطوا بواحد منهم ثم يخرجون من النار؟ فنزلت ﴿وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة﴾ فن يطبق الملائكة، ومن يغلبهم، وهم أقوم خلق الله بحقه، والغضب له، وأشدهم بأسا، وأقواهم بطشا؟ ﴿وما جعلنا عدتهم إلا

فتنة للذين كفروا﴾ أي: جعلنا عددهم المذكور إضللا ومحنة للكافرين، حتى قالوا ما قالوا، ليتضاعف عذابهم ويكثر غضب الله عليهم ﴿ليستيقن الذين أوتوا الكتاب﴾ اليهود والنصارى لموافقة ما نزل من القرآن بأن عدة خزنة جهنم تسعة عشر لما عندهم في كتبهم ﴿ويزداد الذين آمنوا إيمانا﴾ لما رأوا من موافقة أهل الكتاب لهم ﴿ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون﴾ في الدين، أو في أن عدة خزنة جهنم تسعة عشر ﴿وليقول الذين في قلوبهم مرض﴾ هم

المنافقون، والمراد بالمرض مجرد حصول الشك والريب ﴿والكافرون﴾ من أهل مكة وغيرهم ﴿ماذا أراد الله بهذا مثلا﴾ أي: شيء أراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾ وخزنة النار وإن كانوا تسعة عشر فلهم من الأعوان والجنود من الملائكة ما لا يعلمه إلا الله سبحانه ﴿وما هي إلا ذكري للبشر﴾ أي: وما سقر وما ذكر من عدد خزنتها إلا تذكرة وموعظة للعالم ليعلموا كمال قدرة الله وأنه لا يحتاج إلى أعوان وأنصار.

٣٢ ﴿كلا والقمر﴾ أقسم على ذلك بالقمر وبما بعده.

٣٣ ﴿والليل إذا أدبر﴾ ول ذاهبا.

٣٤ ﴿والصبح إذا أسفر﴾ أي: أضواء وتبين.

٣٥ ﴿إنها لإحدى الكتب﴾ أي: إن سقر لإحدى الدواهي أو البلايا الكبرى، وقيل إنها، أي تكذيبهم لمحمد، لإحدى الكتب.

٣٦ ﴿نذيرا للبشر﴾ النذير النار. وقيل: القرآن نذير للبشر لما تضمنه من الوعد والوعيد.

٣٧ ﴿لمن شاء منكم أن يتقدم﴾ بالإيمان ﴿أو يتأخر﴾ بالكفر.

٣٨ ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾ أي: مأخوذة بعملها ومرتهنة به، إما خلصها وإما أوبقها.

٣٩ ﴿إلا أصحاب اليمين﴾ وهم المؤمنون، فإنهم لا يرتنون بذنوبهم، بل يفكون بما أحسنوا من أعمالهم.

٤٠ ﴿في جنات﴾ أي: هم في جنات ﴿يتساءلون﴾ يسأل بعضهم بعضا.

٤١ ﴿عن المجرمين﴾ أي: يسأل بعضهم بعضا عن أحوال المجرمين.

٤٢ ﴿ما سلككم في سقر﴾ يقولون لهم ما أدخلكم في جهنم؟

الْمَسْكِينِ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَاطِئِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نَكْذِبُ
 بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّى أَتَيْنَا الْبَقِينَ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ
 الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَانَتْهُمْ حُمْرٌ
 مُسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ
 مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنشَرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾
 كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرٌ ﴿٥٤﴾ فَن شَاءَ ذِكْرُهُ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ
 إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾

(٧٥) سُورَةُ الْفِيَا مِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّانَهَا أَرْبَعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ ﴿١﴾ وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾

٤٥ ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَاطِئِينَ﴾ أي:

نخالط أهل الباطل في باطلهم، كلما غوى غاوغوا غويينا معه، وقال ابن زيد: نخوض مع الخائضين في أمر محمد ﷺ وهو قولهم كاذب، مجنون، ساحر، شاعر.

٤٦ ﴿وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ أي: يوم الجزاء والحساب.

٤٧ ﴿حَتَّى أَتَيْنَا الْبَقِينَ﴾ وهو الموت.

٤٨ ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ أي: شفاعة الملائكة والنبين كما تنفع الصالحين.

٤٩ ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ أي: أي شيء حصل لهم حال كونهم معرضين عن القرآن الذي هو مشتمل على التذكرة الكبرى والموعظة العظمى.

٥٠ ﴿كَانَتْهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ﴾ أي: مثل الحمير الشديدة النفار.

٥١ ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ أي: من رماة يرمونها، وقيل: القسورة بلسان العرب الأسد.

٥٢ ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنشَرَةً﴾ قال المفسرون: إن كفار قريش قالوا لمحمد ﷺ ليصبح عند رأس كل رجل منا كتاب منشور من الله أنك رسول الله.

٥٣ ﴿كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾ لأنهم لو خافوا النار لما اقترحوا الآيات.

٥٤ ﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ﴾ يعني القرآن.

٥٥ ﴿فَن شَاءَ ذِكْرُهُ﴾ أي: فن شاء أن يتعظ به اتعظ.

٥٦ ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ إلا أن يشاء الله لهم الهدى ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى﴾ أي: هو الحقيق بأن يتقيه المتقون بترك معاصيه والعمل بطاعاته ﴿وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ أي: هو الحقيق بأن يغفر للمؤمنين ما فرط منهم من الذنوب، والحقيق بأن يقبل توبة التائبين من العصاة فيغفر ذنوبهم.

سُورَةُ الْفِيَا مِ

١ ﴿لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ لا زائدة، والتقدير أقسم بيوم القيامة. وإقسامه سبحانه بيوم القيامة لتعظيمه وتفخيمه، والله أن يقسم بما شاء من مخلوقاته.

٢ ﴿وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ أقسم بالنفس اللوامة التي تلوم صاحبها على تقصيره، وهي نفس المؤمن، تلوم على مافات وتندم، فتلوم نفسها على الشر لم تعمله، وعلى الخير لم تستكثر منه. وقال

مقاتل: هي نفس الكافر، يلوم نفسه ويتحسر في الآخرة على ما فرط في جنب الله [يقسم الله تعالى بالأمرين جميعاً أنه سيجمع العظام ثم يجيبي كل إنسان ليحاسبه ويجزيه].

٣ ﴿أَجْحَسِبَ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَهُ عَظَامَهُ﴾ بعد أن صارت رفاتاً، فتعيدها خلقاً جديداً، وذلك حسبان باطل، فإنما نجمعها.

٤ ﴿بَلْ قَادِرِينَ﴾ أي: بل سنجمعها قادرين ﴿عَلَى أَنْ نَسْوِيَّ بَنَانَهُ﴾ أي على أن نجمع أصابعه بعضها إلى بعض،



وعذابه .

١١ ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ أي : لا جبل ولا

حصن ولا ملجأ من الله يعصمكم يومئذ .

١٢ ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ أي :

المرجع والمنتهى والمصير .

١٤ ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾

[يعرف حقيقة ما هو عليه من إيمان أو

كفر، وطاعة أو معصية، واستقامة أو

اعوجاج] وقيل المعنى : بل جوارح

الإنسان عليه شاهدة .

١٥ ﴿وَلَوْ أَلْقَ مَعَاذِيرَهُ﴾ أي : ولو اعتذر

وجادل عن نفسه ، لم ينفعه ذلك ، فعليه

من يكذب عذره .

١٦ ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾

كان رسول الله ﷺ يحرك شفثيه ولسانه

بالقرآن إذا أنزل عليه ، قبل فراغ جبريل

من قراءة الوحي ، حرصا على أن يحفظه ،

ﷺ فنزلت هذه الآية ، أي : لا تحرك

بالقرآن لسانك عند إلقاء الوحي لتأخذه

على عجل مخافة أن يتفلت منك .

١٧ ﴿إِنْ عَلَيْنَا جُمُوعٌ﴾ في صدرك حتى

لا يذهب عليك منه شيء ﴿وَقُرْآنَهُ﴾ أي :

إثبات قراءته في لسانك على الوجه

القويم .

١٨ ﴿فَإِذَا قُرَأْنَاهُ﴾ أي : أتمنا قراءته

عليك بلسان جبريل ﴿فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾

فاستمع له وأنصت إلى قراءته .

١٩ ﴿ثُمَّ أَنْ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ أي : تفسير ما

فيه من الحلال والحرام وبيان ما أشكل

منه . فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا

أتاه جبريل أنصت ، فإذا ذهب عنه قرأ

كما وعده الله .

٢٠ ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ كلا

للدفع عن العجلة ، والترغيب في الأناة .

٢١ ﴿وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾ فلا تعملون لها .

٢٢ ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ أي : ناعمة

غضة حسنة .

أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ ﴿٤﴾ بَلَىٰ قَدَرِينَا

عَلَىٰ أَنْ تُسَوَّىٰ بَنَانُهُ ﴿٥﴾ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ

أَمَامَهُ ﴿٦﴾ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَمَةِ ﴿٧﴾ فَإِذَا بَرَقَ

الْبَصَرُ ﴿٨﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٩﴾ وَجُمِعَ الشَّمْسُ

وَالْقَمَرُ ﴿١٠﴾ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ﴿١١﴾

كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١٢﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٣﴾

يُنَبِّئُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٤﴾ بَلِ

الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴿١٦﴾

لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٧﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جُمُوعَهُ

وَقُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٩﴾ ثُمَّ إِنَّ

عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿٢٠﴾ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢١﴾

وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢٢﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا

فنجعلها قطعة واحدة كخف البعير . لكننا

أنعمنا عليه بهذه الأصابع وهي الصغيرة

اللطيفة المشتملة على المفاصل والأظافر

والعروق اللطاف والعظام الدقاق . [وقيل

هذا تنبيه من الله تعالى على أن بنان كل

إنسان تختلف عن بنان غيره من الناس

في تخطيط بصمتها ، ولو شاء تعالى لجعلها

متوافقة] .

٥ ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ أن

يقدم فجوره فيما يستقبله من الزمان ،

فيقدم الذنب ويؤخر التوبة ، يريد أن

يَفْجُرَ ما امتد عمره ولا يذكر الموت .

٦ ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَمَةِ﴾ يسأل :

متى يوم القيامة ؟ سؤال استبعاد

واستهزاء .

٧ ﴿فَإِذَا بَرَقَ الْبَصَرُ﴾ فزع وبهت وتحير

من شدة شخوصه للموت ، أو للبعث .

٨ ﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ﴾ ذهب ضوؤه كله

ولا يعود كما يعود إذا خسف في الدنيا .

٩ ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ أي ذهب

ضوءهما جميعا ، فتجمع الشمس والقمر ،

فلا يكون هناك تعاقب ليل ونهار .

١٠ ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾

أين المفر من الله سبحانه ومن حسابه

نَاطِرَةٌ ٢٣ وَوُجُوهُ يَوْمٍ بِأَسْرَةٍ ٢٤ تَنْظُنُّ أَنْ
 يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ٢٥ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ٢٦
 وَقِيلَ لَهَا رَاقٍ ٢٧ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ٢٨ وَالتَّفَتِ
 السَّاقُ بِالسَّاقِ ٢٩ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ٣٠
 فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ٣١ وَلَكِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّى ٣٢
 ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى ٣٣ أَوَلَيْكَ فَأُولَى ٣٤
 ثُمَّ أَوَلَى لَكَ فَأُولَى ٣٥ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ
 سُدىً ٣٦ أَلَمْ يَكُ نَظْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى ٣٧ ثُمَّ كَانَ
 عِلْقَةً خَلَقَ فَسَوَّى ٣٨ فَعَمَلَ مِنْهُ الْزَوْجَيْنِ
 الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ٣٩ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِرٍ عَلَى أَنْ
 يُحْيِيَ الْمَوْتَى ٤٠

٢٣ **«إلى ربها ناظرة»** أي إلى خالقها ومالك أمرها، ناظرة: أي تنظر إليه، هكذا تواترت الأحاديث الصحيحة من أن العباد ينظرون ربهم يوم القيامة كما ينظرون إلى القمر ليلة البدر.

٢٤ **«ووجوه يومئذ بأسرة»** أي كالحلة عابسة كثيبة.

٢٥ **«تنظن أن يفعل بها فاقرة»** الفاقرة الداهية العظيمة، كأنها كسرت فقار الظهر.

٢٦ **«كلا إذا بلغت التراقي»** أي: إذا بلغت النفس أو الروح التراقي، والترقوة عظم بين ثغرة النحر والعاتق، ويكنى ببلوغ النفس التراقي عن الإشفاء على الموت.

٢٧ **«وقيل من راق»** أي قال من حضر صاحبها: من يرقه ويشفي بريقته؟ التمسوا له الأطباء فلم يغنوا عنه من قضاء الله شيئا.

٢٨ **«وظن أنه الفراق»** أي وأيقن الذي بلغت روحه التراقي أنها ساعة الفراق من الدنيا ومن الأهل والمال والولد.

٢٩ **«والتفت الساق بالساق»** أي التفت ساقه بساقه عند نزول الموت به، فانت رجلاه ويست ساقاه ولم تحملاه، وقد كان جوالا عليهما، فالناس يجهزون جسده، والملائكة يجهزون روحه.

٣٠ **«إلى ربك يومئذ المساق»** أي إلى خالقك [تساق الأرواح بعد قبضها من الأجساد].

٣١ **«فلا صدق ولا صلى»** أي لم يصدق بالرسالة ولا بالقرآن، ولا صلى لربه، فلا آمن بقلبه ولا عمل ببدنه.

٣٢ **«ولكن كذب وتولى»** أي كذب بالرسول وبما جاء به، وتولى عن الطاعة والإيمان.

٣٣ **«ثم ذهب إلى أهله يتمطى»** أي يتبختر ويختال في مشيته افتخارا بذلك. أو

النطفة علقه، أي دما **«فخلق»** أي فقدر بأن جعلها مضغة علقه **«فسوى»** أي فعدله وكمل نشأته ونفخ فيه الروح.

٣٩ **«فجعل منه»** أي من المني بعد تخليقه **«الزوجين»** أي الصنفين من نوع الإنسان **«الذكر والأنثى»** أي الرجل والمرأة.

٤٠ **«أليس ذلك»** أي أليس ذلك الذي أنشأ هذا الخلق البديع وقدر عليه **«بقادر على أن يحيي الموتى»** أي يعيد الأجسام بالبعث كما كانت عليه في الدنيا؟ فإن الإعادة أهون من الابتداء.

يتشاغل ويتكاسل عن الداعي إلى الحق. ٣٤، ٣٥ **«أولى لك فأولى»** ثم أولى لك فأولى أي وليك الويل، وأصله: أولاك الله ما تكرهه، يتكرر عليك ذلك مرة بعد مرة.

٣٦ **«أيحسب الإنسان أن يترك سدى»** أي هملا لا يؤمر ولا ينهى، ولا يحاسب ولا يعاقب.

٣٧ **«ألم يك نطفة من مني يمني»** أي ألم يك ذلك الإنسان قطرة من مني يراق في الرحم.

٣٨ **«ثم كان علقه»** أي كان بعد

(٧٦) سُورَةُ الْإِنْسَانِ مَدَنِيَّةٌ وَأَيَّانَهَا أَحْذَى وَثَلَاثُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا
مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ
فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا
وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَاقًا
وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا
كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا
تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ
مُسْتَظِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «من قرأ منكم (لا أقسم بيوم القيامة) فأنتهى إلى قوله (أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى) فليقل: بلى.»

سُورَةُ الْإِنْسَانِ

١ «هل أتى على الإنسان» أي قد أتى على الناس في شخص أبيهم آدم «حين من الدهر» قيل أربعون سنة قبل أن ينفخ فيه الروح، خلق من طين ثم من حمأ مسنون ثم من صلصال. وقيل المراد

بالإنسان بنو آدم، والحين مدة الحمل «لم يكن شيئاً مذكوراً» قال الفراء وثعلب: المعنى أنه كان جسداً مصوراً، تراباً وطيناً لا يذكر ولا يعرف، ولا يدرى ما اسمه ولا ما يراد به، ثم نفخ فيه الروح فصار مذكوراً. وقيل المعنى: قد مضت أزمته وما كان آدم شيئاً ولا مخلوقاً ولا مذكوراً لأحد من الخليقة.

٢ «إنا خلقنا الإنسان من نطفة» المراد بالإنسان هنا ابن آدم، والنطفة المني «أمشاج» هي الأخلاط، والمراد نطفة الرجل ونطفة المرأة واختلاطهما، وقيل

الأمشاج الأخلاط، لأنها ممتزجة من أنواع يخلق الإنسان منها وطباع مختلفة «نبتليه» أي خلقناه مريدن ابتلاءه، بالخير والشر وبالتكاليف «فجعلناه سميعاً بصيراً» أي ركبنا فيه الحواس ليعظم إدراكه فيمكن ابتلاؤه.

٣ «إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً» أي بيناله وعرفناه طريق الهدى والضلال والخير والشر، وعرفناه منافعه ومضاره التي يهتدي إليها بطبعه وكمال عقله، سواء كان شاكراً أو كان كفوراً.

٤ «إنا أعتدنا للكافرين سلاسلًا وأغلالًا وسعيراً» أي أعددناه لهم لعذابهم بها، والغل ما تغل به الأيدي إلى الأعناق، والسعير: الوقود الشديد.

٥ «إن الأبرار يشربون من كأس» الأبرار: أهل الطاعة والإخلاص الذين يؤدون حق الله، والكأس: الإتياء الذي فيه الشراب «كان مزاجها كافوراً» أي يخالطها وتمزج به، ليكمل ريح الخمر وطعمها ويطيب.

٦ «عيناً يشرب بها عباد الله» أي يشربون منها الخمر، ويحتمل أن المعنى: يشربون خمرهم ممزوجة بماء تلك العين «يفجرونها تفجيراً» أي يجرونها إلى حيث يريدون وينتفعون بها كما يشاءون، فهم يشقونها شقاً كما يشق النهر ويفجر إلى هنا وهنا.

٧ «يوفون بالنذر» يوفون إذا نذروا الله سبحانه، والنذر في الشرع: ما أوجبه المكلف على نفسه لله تعالى من صلاة أو صوم أو ذبح أو غيرها مما لم يكن عليه واجباً بالشرع «ويخافون يوماً كان شره مستطيراً» المراد يخافون يوم القيامة، استطار شر ذلك اليوم حتى ملأ السماوات والأرض، فانشقت السماء، وتناثرت الكواكب، والأرض دُكَّت، ونسفت الجبال.

وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ
مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا
يَوْمًا عَبُوسًا قَطَطِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَّهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ
وَلَقَّهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَيْنَهُمْ بِمَا صَبَرُوا
جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُتَكِينِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرْآئِكِ لَا يَرَوْنَ
فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا
وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِدَانِيَةٍ
مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرًا مِنْ
فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ
مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾
* وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَوْا إِلَهُمُ حَسِبَتْهُمْ
لُؤْلُؤًا مَنُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا

٨ ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مَسْكِينًا
وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ أي يطعمون هؤلاء الثلاثة
الأصناف الطعام على قلته عندهم،
وحبهم إياه، وشهوتهم له، وقيل المعنى:
يطعمون الطعام على حب الله.

٩ ﴿إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ﴾ لا يتوقعون
المكافأة، ولا يريدون ثناء الناس عليهم
بذلك، علمه الله من قلوبهم فأنشئ عليهم
بذلك ﴿لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا
شُكُورًا﴾ أي لا نطلب منكم المجازاة على
هذا الإطعام، ولا نريد منكم الشكر لنا،
بل هو خالص لوجه الله.

١٠ ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا﴾
تعبس فيه الوجوه من هولاء وشدة
﴿قَطَطِيرًا﴾ صعبا شديدا.

١١ ﴿فَوَقَّاهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ﴾ أي
دفع عنهم شره بسبب خوفهم منه
وإطعامهم لوجهه ﴿وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً
وَسُرُورًا﴾ أعطاهم بدل العبوس في الكفار
نضرة في الوجوه وسرورا في القلوب.
والنضرة البياض والنقاء في وجوههم من
أثر النعمة.

١٣ ﴿مُتَكِينِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرْآئِكِ﴾
جزاهم جنة متكئين فيها على الأسرة التي
عليها الكلل ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا
زَمْهَرِيرًا﴾ لا يرون في الجنة حرَّ الشمس
ولا برد الزمهرير.

١٤ ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا﴾ المعنى أن
ظلال الأشجار قريبة منهم مظلة عليهم
زيادة في نعيمهم وإن كان لا شمس
هنالك ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ سخرت
ثمارها لتناولها تسخيرا يتناولها القائم
والقاعد والمضطجع، لا يرذ أيديهم عنها
بُعْدًا وَلَا شَوْكًا.

١٥ ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِدَانِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ
وَأَكْوَابٍ﴾ أي تدور عليهم الخدم إذا
أرادوا الشراب بدانية الفضة وكؤوس
الفضة.

١٦ ﴿قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ﴾ قوارير أهل
الجنة من فضة، فاجتمع لها بياض الفضة
وصفاء القوارير وهي الزجاج، فالقوارير
التي في الدنيا من الرمل، فأعلم الله
فضل تلك القوارير أن أصلها من فضة
يرى من خارجها ماني داخلها ﴿قَدَّرُوهَا
تَقْدِيرًا﴾ فجاءت كما يريدون في الشكل
لا تزيد ولا تنقص.

١٧ ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا
زَنْجَبِيلًا﴾ الكأس هو الإناء فيه الخمر،
أي ممزوجة بالزنجبيل.

١٨ ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا﴾

السلسبيل في اللغة اسم لماء في غاية
السلاسة، حديد الجرية، يسوغ في
حلقهم.

١٩ ﴿وَيُطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾
باقون على ما هم عليه من الشباب
والطراوة والنضارة، لا يهرمون ولا
يتغيرون، ولا يموتون ﴿إِذَا رَأَوْهُمْ حَسِبَتْهُمْ
لُؤْلُؤًا مَنُورًا﴾ لمزيد حسنهم وصفاء ألوانهم
ونضارة وجوههم، شبههم بالمنثور لأنهم
سراع في الخدمة، بخلاف الحور العين
فإنه شبهن باللؤلؤ المكنون لأنهن لا يمتحن
بالخدمة.



كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ
وَحُلُّوْاْ أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَمَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾
إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾
إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ أَنْ تَنْزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ
رَبِّكَ وَلَا تَطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَأَذْكُرْ اسْمَ
رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا
طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ
يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا
شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ
فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا
أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يَدْخُلُ مَنْ
يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾

وقضائه تأخير نصرك إلى أجل اقتضته
حكمته **﴿ولا تطع منهم آثما أو كفورا﴾**
أي لا تطع أحداً منهم، من مرتكب لإثم
أو غال في كفر، وقيل: المراد بقوله
«آثما»: عتبة بن ربيعة، وقوله «أو
كفورا»: الوليد بن المغيرة، لأنها قالا
للنبي ﷺ: ارجع عن هذا الأمر ونحن
نرضيك بالمال والتزويج.

٢٥ ﴿واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا﴾
صلّ لربك أول النهار وآخره، فأول
النهار: صلاة الصبح، وآخره: صلاة
العصر.

٢٧ ﴿إن هؤلاء يحبون العاجلة﴾ يعني
كفار مكة ومن هو موافق لهم، يحبون
الدار العاجلة، وهي دار الدنيا **﴿ويذرون
وراءهم يوماً ثقيلاً﴾** وهو يوم القيامة،
وسمى ثقيلاً لما فيه من الشدائد
والأهوال، فهم لا يستعدون له ولا
يعاؤون به.

٢٨ ﴿وشددنا أسرهم﴾ أي شددنا
أوصالهم بعضاً إلى بعض بالمعروق
والعصب **﴿وإذا شئنا بدلنا أمثالهم
تبديلاً﴾** أي لو شئنا لأهلكناهم وجئنا
بأطوع لله منهم.

٢٩ ﴿إن هذه تذكرة﴾ يعني هذه السورة
﴿فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً﴾ أي
بالإيمان والطاعة.

٣٠ ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله﴾
أي وما تشاءون أن تتخذوا إلى الله سبيلاً
إلا أن يشاء الله، فالأمر إليه سبحانه
ليس إليهم، والخير والشر بيده، فشيئة
العبد مجردة لا تأتي بخير ولا تدفع شراً،
إلا إن أذن الله بذلك.

٣١ ﴿يدخل من يشاء في رحمة﴾ أي
يدخل في رحمة من يشاء أن يدخله
فيها، أو يدخل في جنته من يشاء من
عباده.

بطونهم من ذلك ويفيض عرق من
أبدانهم مثل ريح المسك.

٢٢ ﴿إن هذا كان لكم جزاء﴾ أي
يقال لهم: إن هذا الذي ذكر من أنواع
النعم كان لكم جزاء بأعمالكم، أي
ثواباً لها **﴿وكان سعيكم مشكوراً﴾** شكر
الله سبحانه لعمل عبده هو قبوله لطاعته.

**٢٣ ﴿إنا نحن نزلنا عليك القرآن
تنزيلاً﴾** أي فرقناه في الإنزال ولم ننزله
جملة واحدة، ولم تأت به من عندك كما
يدعيه المشركون.

٢٤ ﴿فاصبر لحكم ربك﴾ ومن حكمه

٢٠ ﴿وإذا رأيت ثم﴾ أي وإذا رميت
ببصرك هناك في الجنة **﴿رأيت نعماً﴾** لا
يوصف **﴿وملكاً كبيراً﴾** لا يقادر قدره.

٢١ ﴿عليهم ثياب سندس﴾ السندس
هو الحرير الرقيق، والاستبرق ما غلظ من
الديباج **﴿وخللوا أساور من فضة﴾** وفي
سورة فاطر (يخللون فيها من أساور من
ذهب) يلبس كل أحد منه ما تميل إليه
نفسه من ذلك **﴿وسقاهم ربهم شراباً
طهوراً﴾** قال أبو قلابة وإبراهيم النخعي:
يؤتون بالطعام، فإذا كان آخره أتوا
بالشراب الطهور، فيشربون، فتضم

سُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ

(٧٧) سُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّانَهَا خَمْسُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ① فَالْعَصْفَاتِ عَصْفًا ②
وَالنَّشْرِاتِ نَشْرًا ③ فَالْفَرَقَاتِ فَرَقًا ④ فَالْمُلْقِيَاتِ
ذِكْرًا ⑤ عَذْرًا أَوْ نَذْرًا ⑥ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعَ ⑦
فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ⑧ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ⑨
وَإِذَا الْجِبَالُ سُفِفَتْ ⑩ وَإِذَا الرَّسُلُ أُقِنَتْ ⑪ لِأَيِّ
يَوْمٍ أُجِّلَتْ ⑫ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ⑬ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ
الْفَصْلِ ⑭ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ⑮ أَلَمْ يَنْهَكَ
الْأَوَّلِينَ ⑯ ثُمَّ نُنَبِّئُهُمُ الْآخِرِينَ ⑰ كَذَلِكَ نَفْعَلُ

١ «والمرسلات عرفاً» أقسم سبحانه
بالملائكة المرسلة بوحيه وأمره ونهيه.

٢ «فالعاصفات عصفاً» هي الملائكة
الموكلون بالرياح يعصفون بها، وقيل:
يعصفون بروح الكافر، وقيل: المرسلات
والعاصفات الريح ترسل عاصفة لما أمرت
به من نعمة ونقمة، وهي الناشرات تنشر
السحاب وتفرقه.

٣ «والناشرات نشراً» الملائكة الموكلون
بالسحاب ينشرونها أو ينشرون أجنتهم
في الجوّ عند النزول بالوحي.

٤ «فالفارقات فرقا» يعني الملائكة تأتي
بما يفرق بين الحق والباطل والحلال
والحرام.

٥ «فالملقيات ذكراً» هي الملائكة. أي
تلقي الوحي إلى الأنبياء، وقيل: الثلاثة
الأول للرياح، والرابع والخامس
للملائكة.

٦ «عذراً أو نذراً» المعنى أن الملائكة
تلقي الوحي إعداراً من الله إلى خلقه
وإنذاراً من عذابه، وقيل: عذراً للمحقين
ونذراً للمبطلين.

٧ «إنّ ما توعدون لواقع» أي إن
الذي توعدون من مجيء الساعة والبعث
كائن لا محالة، ثم بين سبحانه متى يقع
ذلك، فقال:

٨ «فإذا النجوم طُمست» أي عي
نورها وذهب ضوءها.

٩ «وإذا السماء فُرِجَتْ» أي فتحت
وشقت.

١٠ «وإذا الجبال سُفِفَتْ» أي قلعت
من مكانها وطارَتْ في الجوّ هباء فاستوى
مكانها بالأرض.

١١ «وإذا الرسل أُقِنَتْ» جعل لها
وقت للفصل والقضاء بينهم وبين الأمم.

١٢ «لأي يوم أُجِّلَتْ» أي ليوم عظيم
يعجب العباد منه لشدة ومزيد أهواله
ضُرب الأجل للرسَل لجمعهم، يحضرون
فيه للشهادة على أممهم.

١٣ «ليوم الفصل» يفصل فيه بين
الناس بأعمالهم فيفترقون إلى الجنة والنار.

١٤ «وما أدراك ما يوم الفصل» أي
وما أعلمك بيوم الفصل؟ يعني أنه أمر
هائل لا يقادر قدره.

١٥ «ويل يومئذ للمكذبين» أي ويل
لهم في ذلك اليوم الهائل، والويل تهديد
بالهلاك.

١٦ «ألم يهلك الأولين» الكفار من
الأمم الماضية من لدن آدم إلى محمد ﷺ
يعني بالعذاب في الدنيا حين كذبوا
رسَلهم.

١٧ «ثم ننبئهم الآخرين» يعني كفار
مكة، ومن وافقهم حين كذبوا محمدًا ﷺ.
١٨ «كذلك نفعل بالمجرمين» أي مثل
ذلك الإهلاك نفعل بكل مشرك إما في
الدنيا أو في الآخرة.

١٩ «ويل يومئذ للمكذبين» أي ويل
يوم ذلك الإهلاك للمكذبين بكتب الله
ورسله.

عليهم من نعمنا التي هذه من جلتها.

٢٩ ﴿انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون﴾

في الدنيا، تقول لهم ذلك خزنة جهنم، أي سيروا إلى ما كنتم تكذبون به من العذاب.

٣٠ ﴿انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث

شعب﴾ أي إلى ظل من دخان جهنم قد سطع، ثم افترق ثلاث فرق، تكونون فيه حتى يفرغ الحساب.

٣١ ﴿لا ظليل ولا يغني من اللهب﴾

أي ليس فيه برد ظلال الدنيا ولا يرد حر جهنم عنكم.

٣٢ ﴿إنها ترمي بشرر كالقصر﴾

كل شرارة من شررها التي ترمي بها كالقصر من القصور في عظمها. والشرر ما تطاير من النار متفرقا، والقصر البناء العظيم.

٣٣ ﴿كانه جباله صفر﴾

قال الفراء: الصفر سود الإبل، لا يرى أسود من الإبل إلا وهو مشرب صفرة، لذلك سمت العرب سود الإبل صفرا، قيل والشرر إذا تطاير وسقط وفيه بقية من لون النار أشبه شيء بالإبل السود.

٣٤ ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾

الله وآياته.

٣٥ ﴿هذا يوم لا ينطقون﴾

يتكلمون، لهول ما يرون مما وقع بالعباد في المحشر.

٣٦ ﴿ولا يؤذن لهم فيعتذرون﴾

يأذن الله لهم، فيكون لهم اعتذار.

٣٨ ﴿هذا يوم الفصل جمعناكم

والأولين﴾ أي ويقال لهم: هذا يوم

الفصل الذي يفصل فيه بين الخلائق،

ويتميز فيه الحق من الباطل، جمعناكم يا

معشر كفار قريش فيه مع الكفار

الأولين، وهم كفار الأمم الماضية.

بِالْمُجْرِمِينَ ۝ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ

مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ۝ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝ إِلَى قَدَرٍ

مَعْلُومٍ ۝ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ۝ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ

لِلْمُكَذِّبِينَ ۝ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ۝ أَحْيَاءَ

وَأَمْوَاتًا ۝ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَكُم

مَاءً فُرَاتًا ۝ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝ انطلقوا إلى

مَا كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ۝ انطلقوا إلى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ

شُعَبٍ ۝ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ۝ إِنَّهَا تَرْمِي

بِشَرِّرٍ كَالْقَصْرِ ۝ كَأَنَّهُ رَجُلٌ هَمَلْتُ صَفْرًا ۝ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ

لِلْمُكَذِّبِينَ ۝ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ۝ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ

فَيَعْتَذِرُونَ ۝ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝ هَذَا يَوْمٌ

الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأُولَىٰ ۝ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ

٢٠ ﴿ألم نخلقكم من ماء مهين﴾ أي ضعيف حقير، وهو النطفة.

٢١ ﴿فجعلناه في قرار مكين﴾ أي مكان حريز، وهو الرحم.

٢٢ ﴿إلى قدر معلوم﴾ وهو مدة الحمل.

٢٣ ﴿فقدرونا فنعم القادرون﴾ أي

قدرنا أعضائه وصفاته، وجعلنا كل حال

من أحواله على الصفة التي أردنا، فنعم

المقدر الله.

٢٤ ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ بقدرتنا

على ذلك.

٢٥ ﴿ألم نجعل الأرض كفاتا﴾ الكفت

الضم والجمع، والمعنى: ألم نجعل الأرض ضامة للأحياء على ظهرها في منازلهم،

والأموات في بطنها تضمهم وتجمعهم،

٢٦ ﴿أحياء وأمواتا﴾ وقال الخليل:

الكفت تقلب الشيء ظهرها لبطن أو بطنها

لظهر [فهم يكونون من تراب الأرض، ثم

يعيشون على ظهرها أحياء، ثم ينقلبون

فيها أمواتا].

٢٧ ﴿وجعلنا فيها رواسي شامخات

وأسقيناكم ماء فراتا﴾ أي عذبا، وهذا

كله أعجب من البعث.

٢٨ ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ بما أنعمنا

فَكِيدُونَ ﴿٣٩﴾ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ
فِي ظِلِّ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَكَهٍ مِمَّا يَسْتَهْونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا
وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي
الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا
قَلِيلًا إِنَّكُمْ تَجْرُمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾
وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَرْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ
لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾

(٧٨) سُورَةُ النَّبَاِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّانَهَا أَرْبَعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي

٣٩ ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ﴾ أي إن قدرتم على كيد الآن ﴿فَكِيدُون﴾ يقول: إن كان لكم حيلة فاحتالوا لأنفسكم [علي].

٤١ ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ﴾ أي في ظلال الأشجار وظلال القصور، لا كالظل الذي للكفار من الدخان، أو من النار كما تقدم.

٤٢ ﴿وَفَوَاكِهٍ مِمَّا يَسْتَهْونَ﴾ مما تطلبه أنفسهم وتستدعيه شهواتهم.

٤٣ ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي بسبب ما كنتم تعملونه في الدنيا من الأعمال الصالحة.

٤٤ ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ أي مثل ذلك الجزاء العظيم نجزي المحسنين في أعمالهم.

٤٥ ﴿وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ حيث صاروا في شقاء عظيم، وصار المؤمنون في نعيم مقيم.

٤٦ ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تَجْرُمُونَ﴾ أي: يقال لهم هذا في الدنيا، والمجرمون المشركون بالله.

٤٧ ﴿وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ كثره لزيادة التوبيخ والتقريع.

٤٨ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَرْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ أي وإذا أمروا بالصلاة لا يصلون. وقيل إنما يقال لهم ذلك في الآخرة حين يدعون إلى السجود فلا يستطيعون.

٤٩ ﴿وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ بأوامر الله سبحانه ونواهيه.

٥٠ ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ أي فبأي حديث غير القرآن يصدقون إذا لم يؤمنوا به؟

سُورَةُ النَّبَاِ

١ ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ لما بعث رسول الله ﷺ وأخبرهم بتوحيد الله والبعث بعد

الموت، وتلا عليهم القرآن، جعلوا يتساءلون بينهم، يقولون: ماذا حصل لحمد، وما الذي أتى به؟ فأنزل الله هذه الآية. والمعنى: عن أي شيء يسأل بعضهم بعضاً؟ ثم أجاب الله سبحانه عن هذا السؤال بقوله:

٢ ﴿عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ﴾ هو الخبر الهائل. وهو القرآن العظيم، لأنه ينبيء عن التوحيد، وتصديق الرسول، ووقوع البعث والنشور.

٣ ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ اختلفوا في القرآن، فجعله بعضهم سحراً، وبعضهم

شعراً، وبعضهم كهانة، وبعضهم قال هو أساطير الأولين.

٤ ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ ردع لهم وزجر، ثم كرر الردع والزجر، فقال:

٥ ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ للمبالغة في التأكيد والتشديد في الوعيد، أي لا ينبغي أن يختلفوا في شأن القرآن، فهو حق، ولذا سيعلم الذين يكفرون به عاقبة تكذيبهم.

٦ ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾ المهاد الوطاء والفرش، كالمهد للصبي، وهو ما يهد له فينوم عليه.



هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ③ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ④ ثُمَّ كَلَّا
 سَيَعْلَمُونَ ⑤ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ⑥ وَالْجِبَالَ
 أُوتَادًا ⑦ وَخَلَقْنَاهُ أَزْوَاجًا ⑧ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ
 سُبَاتًا ⑨ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ⑩ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ
 مَعَاشًا ⑪ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ⑫ وَجَعَلْنَا
 سِرَاجًا وَهَّاجًا ⑬ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَمَجًا ⑭
 لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ⑮ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ⑯ إِنَّ
 يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَتًا ⑰ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنَأْتُونَ
 أَفْوَاجًا ⑱ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ⑲ وَسُيِّرَتِ
 الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ⑳ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ㉑
 لِلطَّاغِينَ مَنَابًا ㉒ لَبِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ㉓ لَا يَذُوقُونَ
 فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ㉔ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ㉕ جَزَاءً

٧ ﴿والجبال أوتادا﴾ أي جعلناها

كالأوتاد للأرض لتسكن ولا تتحرك.

٨ ﴿وخلقناكم أزواجاً﴾ أي الذكور والإناث.

٩ ﴿وجعلنا نومكم سباتاً﴾ أي راحة لأبدانكم. والسبات: أن ينقطع عن الحركة والروح في بدنه.

١٠ ﴿وجعلنا الليل لباساً﴾ أي نلبسكم ظلمته ونغشيكم بها كما يغشيكم اللباس.

١١ ﴿وجعلنا النهار معاشاً﴾ مضيئاً ليسعوا فيما يقوم به معاشهم وما قسمه الله لهم من الرزق.

١٢ ﴿وبنينا فوقكم سبعا شداداً﴾ يريد

سبع سماوات قوية الخلق محكمة البناء.

١٣ ﴿وجعلنا سراجاً وهاجاً﴾ المراد به الشمس، جعل فيها نورا وحرارة، والوهج يجمع النور والحرارة.

١٤ ﴿وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجاً﴾ المعصرات هي السحاب التي تنعصر بالماء ولم تمطر بعد، والشجاج المنصب بكثرة.

١٥ ﴿لنخرج به حبا ونباتاً﴾ أي لنخرج بذلك الماء حبا يقات، كالحنطة والشعير ونحوهما. والنبات ما تأكله الدواب من

الحشيش وسائر النبات.

١٦ ﴿وجنات ألفافاً﴾ أي بساتين ملتفة

بعضها ببعض لتشعب أغصانها.

١٧ ﴿إن يوم الفصل كان ميقاتاً﴾ وقتاً

وجمعاً وميعاداً للأولين والآخرين، يصلون فيه إلى ما وعدوا به من الثواب والعقاب، وسمي يوم الفصل لأن الله يفصل فيه بين خلقه.

١٨ ﴿يوم ينفخ في الصور﴾ وهو القرن

الذي ينفخ فيه إسرافيل ﴿فتأتون﴾ إلى موضع العرض ﴿أفواجا﴾ أي زمرا زمرا، وجماعات جماعات.

١٩ ﴿وفتح السبأ﴾ لنزول الملائكة

﴿فكانت أبواباً﴾ صارت ذات أبواب كثيرة.

٢٠ ﴿وسيرت الجبال فكانت سراباً﴾

أي سيرت عن أماكنها في الهواء، وقلعت عن مقارها، فكانت هباء منبثا يظن الناظر أنها سراب.

٢١ ﴿إن جهنم كانت مرصاداً﴾ أي إن

جهنم كانت في حكم الله وقضائه موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار ليعذبوهم فيها، أو هي في نفسها متطلعة لمن يأتي إليها من الكفار كما يتطلع الرصد لمن يمر به ويأتي إليه.

٢٢ ﴿للطاغين مأباً﴾ أي مرجعا يرجعون

إليه، والمآب المرجع.

٢٣ ﴿لابثين فيها أحقاباً﴾ أي ماكثين

في النار ما دامت الدهور، والحقب: القطعة الطويلة من الزمان، إذا مضى حقب دخل آخر، ثم آخر ثم كذلك إلى الأبد.

٢٤ ﴿لا يذوقون فيها برداً ولا شرباً﴾

لا يذوقون في جهنم أو في الأحقاب برداً ينفعهم من حرها، ولا شرباً ينفعهم من عطشها.

٢٥ ﴿إلا حمياً﴾ وهو الماء الحار

﴿وغساقاً﴾ وهو صديد أهل النار.

وَفَاقًا ٢٦ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ٢٧ وَكَذَّبُوا
بِعَايِنَتِنَا كَذَابًا ٢٨ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ٢٩
فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ٣٠ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ
مَفَازًا ٣١ حَدَاقًا وَاعْتِبَاءً ٣٢ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ٣٣
وَكَأْسًا دِهَاقًا ٣٤ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا ٣٥
جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا ٣٦ رَبِّ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ٣٧
يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ
أُذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ٣٨ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ
فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَعَابًا ٣٩ إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا
قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ
يَلْبِثَنِي كُنْتُ تُرَابًا ٤٠

٢٦ ﴿جزاء وفاقاً﴾ وافق العذاب الذنب فلا ذنب أعظم من الشرك ولا عذاب أعظم من النار. وقد كانت أعمالهم سيئة، فأتاهم الله بما يسوؤهم.

٢٧ ﴿إنهم كانوا لا يرجون حساباً﴾ أي: قد كانوا لا يطمعون في ثواب ولا يخافون من حساب لأنهم كانوا لا يؤمنون بالبعث.

٢٨ ﴿وكذبوا بآياتنا كذاباً﴾ أي كذبوا بالآيات القرآنية تكذيباً شديداً.

٢٩ ﴿وكل شيء أحصيناه كتاباً﴾ كتبناه في اللوح المحفوظ لتعرفه الملائكة. وقيل: أراد ما كتبه الحفظة على العباد من أعمالهم.

٣٠ ﴿فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً﴾ يقال لهم هذا لكفرهم وتكذيبهم بالآيات وقبائح أفعالهم، أي فهم في مزيد من عذاب الله أبداً.

٣١ ﴿إن للمتقين مفازاً﴾ المفاز: الفوز والظفر المطلوب والنجاة من النار.

٣٣ ﴿وكواعب﴾ أي: لهم نساء كواعب، أي أنداؤهن قائمة على صدورهن لم تتكسر، فهن عذاري نواهد ﴿أتراباً﴾ أي متساويات في السن.

٣٤ ﴿وكأساً دهاقاً﴾ أي: مترعة مملوءة بالخمر.

٣٥ ﴿لا يسمعون فيها لغواً ولا كذاباً﴾ أي: لا يسمعون في الجنة لغواً، وهو الباطل من الكلام، ولا يكذب بعضهم بعضاً.

٣٦ ﴿جزاء من ربك﴾ أي: جازاهم بما تقدم ذكره، على إيمانهم وصالح أعمالهم ﴿عطاء﴾ أي: أعطاهم عطاء ﴿حساباً﴾ أي: بقدر ما وجب لهم في وعد الرب سبحانه، فإنه وعد للحسنة عشرًا، ووعد لقوم سبعمائه ضعف، وقد وعد لقوم جزاء لا نهاية له ولا مقدار.

٣٧ ﴿لا يملكون منه خطاباً﴾ أي لا يقدر أن يسألوا إلا فيما أذن لهم فيه، ولا يملكون الشفاعة إلا بإذنه. كان ذلك الشخص ممن ﴿قال﴾ في الدنيا ﴿صواباً﴾ أي: شهد بالتوحيد.

٣٨ ﴿يوم يقوم الروح والملائكة صفاً﴾ أي: مصطفين. والروح هنا ملك من الملائكة، وقيل هو جبريل، وقيل الروح جند من جنود الله ليسوا ملائكة، وقيل هم أرواح بني آدم تقوم صفاً، وتقوم الملائكة صفاً، وذلك بين النفختين قبل أن ترد إلى الأجسام ﴿إلا من أذن له الرحمن﴾ أي: من أذن له الرحمن بالشفاعة، أو لا يتكلمون إلا في حق من

٣٩ ﴿ذلك﴾ يوم قيامهم على تلك الصفة هو ﴿اليوم الحق﴾ أي: الكائن الواقع المتحقق ﴿فمن شاء اتخذ إلى ربه مآباً﴾ أي: مرجعاً يرجع إليه بالعمل الصالح. ٤٠ ﴿يوم ينظر المرء ما قدمت يداه﴾ يشاهد ما قدمه من خير أو شر ﴿ويقول الكافرياً ليتني كنت تراباً﴾ يتمنى أن يكون تراباً، لما يشاهده مما أعتده الله له من أنواع العذاب.

بالقطر والنبات، وأما عزرائيل فوكل بقبض الأنفس، وأما إسرافيل فهو ينزل بالأمر عليهم.

٦ **«يوم ترجف الراجفة»** وهي النفخة الأولى التي يموت بها جميع الخلائق.

٧ **«تنبعها الرادفة»** الرادفة النفخة الثانية التي يكون عندها البعث.

٨ **«قلوب يومئذ واجفة»** والواجفة المضطربة القلقة، لما عاينت من أهوال يوم القيامة، فهي قلقة مستوفزة.

٩ **«أبصارها خاشعة»** تظهر في أعينهم الذلة والخضوع عند معاينة أهوال يوم القيامة، يريد أبصار من مات على غير الإسلام.

١٠ **«يقولون أننا لمردودون في الحافرة»** هذا يقوله المنكرون للبعث إذا قيل لهم إنكم تبعثون، أي: أنرد إلى أول حالنا وابتداء أمرنا، فنصير أحياء بعد موتنا، وبعد كوننا في حفر القبور؟

١١ **«أنذا كنا عظاما غرة»** أي: أنذا كنا عظاما بالية نرد ونبعث مع كونها أبعد شيء من الحياة؟

١٢ **«قالوا تلك إذا كرة خاسرة»** أي: إن رددنا بعد الموت لنخسر بما يصيبنا مما يقوله محمد.

١٣ **«فإنما هي زجرة واحدة»** المعنى: لا تستبعدوا ذلك، فإنما هي زجرة واحدة، وهي النفخة الثانية التي يكون البعث بها.

١٤ **«فإذا هم بالساهرة»** قيل الساهرة أرض بيضاء يأتي بها الله سبحانه فيحاسب عليها الخلائق.

١٥ **«هل أتاك حديث موسى»** أي: قد جاءك وبلغك من قصص فرعون وموسى ما يعرف به حديثها.

١٦ **«إذ ناداه ربه بالواد المقدس»** المبارك المطهر **«طوى»** [هو الوادي في جبل سيناء الذي نادى الرب فيه موسى]

(٧٩) سُورَةُ النَّازِعَاتِ مَكِّيَّةٌ وَأَنبِأَتْهَا سِتُّ وَارْبَعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ۝ وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا ۝
وَالسَّابِقَاتِ سَبْعًا ۝ فَالسَّابِقَاتِ سَبْعًا ۝ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ۝
يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۝ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ۝
قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ۝ يَقُولُونَ
أَوْنَآ لِمَرَدُّودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ۝ أَوْذَا كُنَّا عِظْمًا
تَّخِرَةً ۝ قَالُوا تِلْكَ إِذَا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۝ فإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ
وَاحِدَةٌ ۝ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ۝ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ
مُوسَى ۝ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۝

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

الكافرين.

٣ **«والسابعات»** الملائكة ينزلون من السماء مسرعين لأمر الله.

٤ **«فالسابقات سبعا»** هي الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة.

٥ **«فالمدبرات أمرا»** تدبير الملائكة للأمر نزولها بالحلال والحرام وتفصيلها، وتدبير أهل الأرض في الرياح والأمطار وغير ذلك، قيل: وتدبير أمر الدنيا إلى أربعة من الملائكة: جبريل وميكائيل وعزرائيل وإسرافيل، فأما جبريل فوكل بالرياح والجنود، وأما ميكائيل فوكل

وتسمى سورة الساهرة.

١ **«والنازعات»** أقسم سبحانه بالملائكة التي تنزع أرواح العباد عن أجسادهم، كما ينزع النازع في القوس فيبلغ بها غاية المد **«غرقا»** أي: إغراقا في النزاع حيث تنزعها من أقاصي الأجساد.

٢ **«والناشطات نشطا»** تنشط النفوس، أي: تخرجها من الأجساد جذبا بقوة، والنشط الجذب بسرعة، وقيل: الناشطات لأرواح المؤمنين، والنازعات لأرواح

أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى
 أَنْ تَزْكَى ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى ﴿١٩﴾
 فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَى ﴿٢١﴾ ثُمَّ
 أَدْبَرَ يَسْعَى ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَى ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ
 الْأَعْلَى ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴿٢٥﴾
 إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى ﴿٢٦﴾ ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ
 السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيَهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ
 لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾
 أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾
 مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعِمَكُمْ ﴿٣٣﴾ فَلِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ
 الْكُبْرَى ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ﴿٣٥﴾
 وَبُرْزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٣٧﴾

١٧ ﴿أذهب إلى فرعون إنه طغى﴾ أي: جاوز الحد في العصيان والتكبر والكفر بالله.

١٨ ﴿فقل﴾ له ﴿هل لك إلى أن تزكى﴾ أي: قل له بعد وصولك إليه: هل لك رغبة إلى التزكي، وهو التطهر من الشرك؟ أمير موسى بملايئنته.

١٩ ﴿وأهديك إلى ربك فتخشى﴾ أي: أرشدك إلى عبادته وتوحيده، فتخشى عقابه. والخشية لا تكون إلا من مهتد راشد.

٢٠ ﴿فأراه الآية الكبرى﴾ فقيل: هي العصا، وقيل: يده.

٢١ ﴿فكذب﴾ بموسى وبما جاء به ﴿وعصى﴾ الله عز وجل فلم يطمعه.

٢٢ ﴿ثم أدبر﴾ أي: تولى وأعرض عن الإيمان ﴿يسعى﴾ أي: يعمل بالفساد في الأرض، ويجتهد في معارضة ما جاء به موسى.

٢٣ ﴿فحشر﴾ أي: فجمع جنوده للقتال والمحاربة، أو جمع السحرة للمعارضة، أو جمع الناس للحضور ليشاهدوا مايقع.

٢٤ ﴿فقال أنا ربكم الأعلى﴾ أراد اللعين أنه لا رب فوقه.

٢٥ ﴿فأخذه الله نكال الآخرة والأولى﴾ أي: أخذه الله فنكله نكال الآخرة وهو عذاب النار، ونكال الأولى، وهو عذاب الدنيا بالفرق، ليتعظ به من يسمع خبره.

٢٦ ﴿إن في ذلك لعبرة لمن يخشى﴾ أي: فيما ذكر من قصة فرعون وما فعل به عبرة عظيمة لمن شأنه أن يخشى الله ويتقيه.

٢٧ ﴿أنتم أشد خلقا أم الساء﴾ أي: أخلقكم بعد الموت وبعثكم أشد عندكم وفي تقديركم أم خلق الساء؟ لأن من قدر على خلق الساء التي لها هذا الجرم

العظيم، وفيها من عجائب الصنع وبدائع القدرة ما هو بين الناظرين، كيف يعجز عن إعادة الأجسام التي أماتها بعد أن خلقها أول مرة؟

٢٨ ﴿رفع سمكها﴾ أي: جعلها كالبناء المرتفع فوق الأرض ﴿فسواها﴾ فجعلها مستوية الخلق معذلة الشكل لا تفاوت فيها ولا اعوجاج، ولا فطور ولا شقوق.

٢٩ ﴿وأغطش ليلها﴾ أي: جعله مظلمًا ﴿وأخرج ضحاها﴾ أي: أبرز نهارها المضيء بإضاءة الشمس.

٣٠ ﴿والأرض بعد ذلك﴾ أي بعد النار.

خلق السماء ﴿دحاهها﴾ أي: بسطها. ٣١ ﴿أخرج منها ماءها ومرعاها﴾ أي: فجر من الأرض الأنهار والبحار والعيون، وأخرج منها مرعاها، أي: النبات الذي يرمى.

٣٢ ﴿والجبال أرساها﴾ وجعلها كالأوتاد للأرض لئلا تميد بأهلها.

٣٤ ﴿فإذا جاءت الطامة الكبرى﴾ أي: الداهية العظمى التي تظم على سائر الطامات، وهي النفخة الثانية التي تسلم أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار.

مرساها أي متى وصولها ووقوعها؟
كرسو السفينة.

٤٣ ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا﴾ أي في أي شيء أنت يا محمد من ذكر القيامة والسؤال عنها؟ والمعنى: لست في شيء من علمها وذكرها إنما يعلمها الله سبحانه.

٤٤ ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا﴾ أي منتهى علمها، فلا يوجد علمها عند غيره، فكيف يسألونك عنها ويطلبون منك بيان وقت قيامها؟

٤٥ ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مِّنْ بَٰخْشَاهَا﴾ أي مخوف لمن يخشى قيام الساعة.

٤٦ ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ أي لا قدر آخر نهار أو أوله، أو قدر الضحى الذي يلي تلك العشية، والمراد تقليل مدة الدنيا في نفوسهم إذا رأوا أهوال القيامة.

سُورَةُ عَبَسَ

١ ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ﴾ أي: كلع النبي ﷺ بوجهه وأعرض.

٢ ﴿أَن جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ أي: لأن جاءه الأعمى. سبب نزول السورة أن قوما من أشرف قريش كانوا عند النبي ﷺ وقد طمع في إسلامهم، فأقبل إليه رجل أعمى هو عبدالله بن أم مكتوم، فكره رسول الله ﷺ أن يقطع عليه ابن أم مكتوم كلامه، فأعرض عنه، فنزلت.

٣ ﴿وَمَا يَدْرِيكَ﴾ يا محمد **﴿لَعَلَّكَ يَبْزُكَ﴾** أي لعل الأعمى يتطهر من الذنوب بالعمل الصالح بسبب ما يتعلمه منك.

٤ ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ﴾ أي يتذكر فيتعظ بما تعلمه من المواعظ **﴿فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى﴾** أي: الموعظة.

وَأَثَرُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ٣٨ ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ ٣٩
وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ ٤٠ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ٤١
فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ٤٢ ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ٤٣
﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَهَا ٤٤﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا ٤٥
﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مِّنْ يَّخْشَاهَا ٤٦﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ٤٦

(٨٠) سُورَةُ عَبَسَ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّانَهَا ثِنْتَانِ وَارْبَعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ١ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَى ٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ٤ أَمَّا مَنْ

الآخرة ولم يستعملها ولا عمل عملها.
٣٩ ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [المكان الذي سيأوي إليه ليس له غيره.]

٤٠ ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ أي حذر موقفه بين يدي ربه يوم القيامة **﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾** أي زجرها عن الميل إلى المعاصي والمحارم التي تشتهيها.

٤١ ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ الذي ينزله، والمكان الذي يأوي إليه لا غيرها.

٤٢ ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ

٣٥ ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى﴾ يتذكر ما عمله من خير أو شر، لأنه يشاهده مدونا في صحائف عمله.

٣٦ ﴿وَبَرَزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى﴾ أي: أظهرت إظهارا لا يخفى على أحد. قال مقاتل «يكشف عنها الغطاء فينظر إليها الخلق»، فأما المؤمن فيعرف برؤيتها قدر نعمة الله عليه بالسلامة منها، وأما الكافر فيزداد غما إلى غمه، وحسرة إلى حسرته.

٣٧ ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى﴾ أي جاوز الحد في الكفر والمعاصي.

٣٨ ﴿وَأَثَرُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي قلعها على



أَسْتَغْنِي ٥) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا
يَزْكِي ٧) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ٨) وَهُوَ يَخْشَى ٩)
فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ١٠) كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ١١) فَمِنْ شَاءَ
ذَكَرَهُ ١٢) فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ ١٣) مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ١٤)
بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ ١٦) قِيلَ الْإِنْسَانُ
مَا أَكْفَرَهُ ١٧) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ١٨) مِنْ نُطْفَةٍ
خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ١٩) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ٢٠) ثُمَّ أَمَاتَهُ
فَأَقْبَرَهُ ٢١) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ٢٢) كَلَّا لَمَّا يَقْضِ
مَأْمَرُهُ ٢٣) فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ٢٤) أَنَا
صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ٢٦)
فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ٢٧) وَعَيْنًا وَقَضْبًا ٢٨) وَزَيْتُونًا
وَنَخْلًا ٢٩) وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ٣٠) وَفِكْهَةً وَأَبَا ٣١)

٥ «أما من استغنى» أي: كان ذا ثروة وغنى، أو استغنى عن الإيمان وعما عندك من العلم،

٦ «فأنت له تصدى» [أي تقبل عليه بوجهك وحديثك وهو يظهر الاستغناء عنك والإعراض عما جئت به].

٧ «وما عليك ألا يزكى» أي: أي شيء عليك في ألا يسلم ولا يهتدي، فإنه ليس عليك إلا البلاغ، فلا تهتم بأمر من كان هكذا من الكفار.

٨ «وأما من جاءك يسعى» أي: وصل إليك مسرعا في المجيء إليك طالبا منك أن ترشده إلى الخير وتعظه بمواعظ الله،

٩ «وهو يخشى» أي يخاف الله تعالى،

١٠ «فأنت عنه تلهي» أي: تشاغل عنه وتعرض وتتغافل.

١١ «كلا» لا تفعل بعد هذا الواقع منك مثله من الإعراض عن الفقير، والتصدي للغي والتشاغل به مع كونه ليس ممن يتركى، عن إرشاد من جاءك من أهل التزكي والقبول للموعظة «إنها تذكرة» أي: إن هذه الآيات، أو السورة، موعظة حقها أن تتعظ بها وتقبلها وتعمل بموجبها، ويعمل بها كل أمتك.

١٢ «فمن شاء ذكره» أي فمن رغب فيها اتعظ بها وحفظها وعمل بموجبها.

١٣ «في صحف» أي: إنها تذكرة كائنة في صحف «مكرمة» مكرمة عند الله لما فيها من العلم والحكمة، أو لأنها نازلة من اللوح المحفوظ.

١٤ «مرفوعة» رفيعة القدر عند الله «مطهرة» أي: منزهة لا يمسها إلا المطهرون، مصانة عن الشياطين والكفار لا ينالونها.

١٥ «بأيدي سفرة» السفرة هنا الملائكة الذين يسفرون بالوحي بين الله ورسوله، من السفارة، وهي السعي بين القوم.

١٦ «كرام» أي: كرام على ربهم، كرام عن المعاصي «بررة» أي أتقياء مطيعون لربهم، صادقون في إيمانهم.

١٧ «قتل الإنسان ما أكفره» أي: لعن الإنسان الكافر ما أشد كفره.

١٨ «من أي شيء خلقه» أي: من أي شيء خلق الله هذا الكافر؟

١٩ «من نطفة خلقه» أي من ماء مهين، فكيف يتكبر من خرج من مخرج البول مرتين؟ «فقدره» أي: فسواه وهياه لمصالح نفسه، وخلق له اليدين والرجلين والعينين وسائر الآلات والحواس.

٢٠ «ثم السبيل يسره» أي: يستر له الطريق إلى تحصيل الخير أو الشر.

٢١ «ثم أماته فأقبره» أي: جعله ذا قبر يوارى فيه إكراما له، ولم يجعله مما يلقى على وجه الأرض تأكله السباع والطيور.

٢٢ «ثم إذا شاء أنشره» أي: ثم إذا شاء الله إنشاره أحياء بعد موته، أي في الوقت الذي يريد الله تعالى.

٢٣ «كلا لما يقض ما أمره» بل أخل به بعضهم بالكفر، وبعضهم بالعصيان، وما قضى ما أمره الله إلا القليل.

٢٤ «فلينظر الإنسان إلى طعامه» أي:

٣٧ ﴿لِكُلِّ امْرِيٍّ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ

يُغْنِيهِ﴾ يشغله عن الأقرباء ويصرفه عنهم، ويفتر عنهم حذراً من مطالبتهم إياه بما بينهم، ولئلا يروا ما هو فيه من الشدة.

٣٨ ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ

مُضِيئَةٌ، وَهِيَ وَجُوهُ الْمُؤْمِنِينَ، لَأَنَّهُمْ قَدْ عَلِمُوا إِذْ ذَاكَ مَا لَهُمْ مِنَ النِّعَمِ وَالْكَرَامَةِ.

٤٠ ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ

أَي: غِبَارٌ وَكَدُورَةٌ، لَمَّا تَرَاهُ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهَا مِنَ الْعَذَابِ.

٤١ ﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ

أَي: يَفْشَاهَا سَوَادٌ وَكَسُوفٌ وَذَلَّةٌ وَشِدَّةٌ.

٤٢ ﴿أُولَئِكَ﴾ يعني أصحاب الوجوه

الْمُغْبَرَّةِ ﴿هُمْ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ الفجرة هم الفاسقون الكاذبون.

مَتَاعًا لَكُمْ وَلَا نَعْمَكُمْ ﴿٣٧﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَةُ ﴿٣٨﴾ يَوْمَ

يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٩﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٤٠﴾ وَصَحْبَتِهِ،

وَبَنِيهِ ﴿٤١﴾ لِكُلِّ امْرِيٍّ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٤٢﴾

وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاكِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾

وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾

أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾

(٨١) سُورَةُ التَّكْوِينِ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا ثَلَاثُ عَشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ﴿٢﴾

وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾

أخرج أحمد والترمذي عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ (إذا الشمس كورت، وإذا السماء انفطرت، وإذا السماء انشقت).

١ ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ كورت مثل

شكل الكرة، تلف فتجمع فيرمي بها.

٢ ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ أي:

تهافتت وانقضت وتناثرت، وقيل: انكدارها طمس نورها.

٣ ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ أي: قلعت

عن الأرض، وسيّرت في الهواء.

٤ ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ العشار النوق

الحوامل التي في بطونها أولادها، وخص

العشار لأنها أنفس مال عند العرب،

وأعزّه عندهم. ومعنى عطلت: تركت

هملاً بلا راع، وذلك لما شاهدوا من الهول

العظيم.

النخل الكرام الغلاظ الجذوع.

٣١ ﴿وَفَاكِهَةٌ وَأَبَّاءُ﴾ الأب كل ما

أنبتت الأرض مما لا يأكله الناس ولا

يزرعونه من الكلأ وسائر أنواع المرعى.

٣٣ ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَةُ﴾ يعني

صيحة يوم القيامة التي تصخ الآذان،

أي: تصمها فلا تسمع.

٣٤ - ٣٦ ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ.

وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ. وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ وهؤلاء

أخص القرابة، وأولاهم بالحنو والرافة،

فالفرار منهم لا يكون إلا لهول عظيم،

وخطب فظيع.

لينظر كيف خلق الله طعامه الذي جعله

سببا لحياته؟

٢٦ ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقَاقًا﴾ أي:

شققناها بالنبات الخارج منها بسبب

نزول المطر شقا بديعا لا ثقا بما يخرج منه

في الصغر والكبر والشكل والهيئة.

٢٧ ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾ يعني الحبوب

التي يتغذى بها، والمعنى: أن النبات لا

يزال ينمو ويتزايد إلى أن يصير حبا.

٢٨ ﴿وَعَنْبًا وَقُضْبًا﴾ القضب هو القث

الرطب الذي تعلق به الدواب.

٣٠ ﴿وَحَدائقَ غُلْبًا﴾ الغُلْبُ هي

وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ⑥ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ⑦
وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ⑧ وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُيِّتَتْ ⑨
بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ⑩ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ⑪
وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ⑫ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ⑬
وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ⑭ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أُحْضَرَتْ ⑮
فَلَا أَقْسَمُ بِالْخُنُوسِ ⑯ الْجَوَارِ الْكُنُوسِ ⑰
وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ⑱ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ⑲
إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ⑳ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ
مَكِينٍ ㉑ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ㉒ وَمَا صَاحِبُكُمْ
بِمَجْنُونٍ ㉓ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأَفْقِ الْأَمِينِ ㉔ وَمَا هُوَ عَلَى
الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ㉕ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ㉖
فَإِنْ تَذَهَبُونَ ㉗ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ㉘ لِمَنْ

٥ ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ الوحوش غير المستأنس من دواب البر، ومعنى حُشِرَتْ: بعثت حتى يقتصر لبعضها من بعض، وقيل: حشرها موتها.

٦ ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ أي: أوقدت فصارت نارا تضطرم.

٧ ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ أي: زُوِّجَتْ نفوس المؤمنين بالحدود العينية، وقرنت نفوس الكافرين بالشیاطين. وقال الحسن: ألحق كل امرئ بشيعته: اليهود بالنصارى، والنصارى بالنصارى، والمجوس بالمجوس، وكل من كان يعبد شيئا من دون الله يلحق بعضهم ببعض، والمنافقون بالمنافقين. ويلحق المؤمنون بالمؤمنين.

٨، ٩ ﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُيِّتَتْ﴾ أي: المدفونة حية، وقد كانت العرب إذا ولدت لأحدهم بنت دفنها حية مخافة العار أو الحاجة، يوبئ قاتلها، لأنها قتلت بغير ذنب فعلته.

١٠ ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ يعني صحائف الأعمال نشرت للحساب.

١١ ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ أي: تشققت وأزيلت.

١٢ ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ أوقدت لأعداء الله إيقادا شديداً، قال قتادة: سغرها غضب الله وخطايا بني آدم.

١٣ ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ قربت إلى المتقين وأدنيّت منهم. قيل: هذه الأمور الاثنا عشر: ست منها في الدنيا، وهي من أول السورة إلى قوله: (وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ) وست في الآخرة وهي (وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ) إلى هنا، وجواب الجميع قوله.

١٤ ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أُحْضَرَتْ﴾ المراد علمت كل نفس ما أحضرته عند نشر الصحف، يعني ما عملت من خير أو شر.

١٥ ﴿فَلَا أَقْسَمُ بِالْخُنُوسِ﴾ وهي

الكواكب: تخنس بالنهار فتختفي تحت ضوء الشمس ولا ترى، وهي زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد، كما ذكره أهل التفسير، وقال في الصحاح: الخنس الكواكب كلها لأنها تختفي نهاراً.

١٦ ﴿الْجَوَارِ﴾ تجري في أفلاكها ﴿الْكُنُوسِ﴾ تكنس في وقت غروبها خلف الأفق، والكنس مأخوذ من الكنّس الذي يختفي فيه الوحش.

١٧ ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ العرب تقول: عسّس الليل، إذا أقبل، وعسّس الليل، إذا أدبر.

١٨ ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ وتنفس الصبح إقباله، لأنه يقبل بروح ونسيم.

١٩ ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ يعني جبريل لكونه نزل بالقرآن من جهة الله سبحانه إلى رسوله ﷺ.

٢٠ ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ أي هو ذو رفعة عالية ومكانة مكيّة عند الله سبحانه.

٢١ ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ مطاع بين الملائكة يرجعون إليه ويطيعونه، مؤتمن على الوحي وغيره.

٢٢ ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ وما محمد

شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ
اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾

(٨٢) سُورَةُ الْانْفِطَارِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّانَهَا شَعْ عَشْرَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ
انْتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ
بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا
الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ
فَسَوَّكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾
كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالذِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنْ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ ﴿١٠﴾

٢٩ ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾ أي: وما تشاءون الاستقامة ولا تقدرون على ذلك إلا بمشيئة الله وتوفيقه.

سورة الانفطار

١ ﴿إذا السماء انفطرت﴾ انفطارها: انشقاقها لنزول الملائكة منها.

٢ ﴿وإذا الكواكب انتثرت﴾ أي تساقطت متفرقة.

٣ ﴿وإذا البحار فجرت﴾ أي فجر بعضها في بعض فصارت بحرا واحدا، واختلط العذب منها بالمالح. وهذه الأشياء بين يدي الساعة كما تقدم في السورة التي قبل هذه.

٤ ﴿وإذا القبور بعثرت﴾ أي قلب ترابها، وأخرج الموقى الذين هم فيها.

٥ ﴿علمت نفس ما قدمت وأخرت﴾ علمت عند نشر الصحف ما قدمت من عمل خير أو شر، وما أخرت من سنة حسنة أو سيئة.

٦ ﴿يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم﴾ أي ما الذي غرك وخدعك حتى كفرت بربك الكريم الذي تفضل عليك في الدنيا بإكمال خلقك وحواسك، وجعلك عاقلا فاهما، ورزقك وأنعم عليك بنعمه التي لا تقدر على جحد شيء منها. قيل غره غفوا الله إذ لم يعاجله بالعقوبة أول مرة.

٧ ﴿الذي خلقك﴾ من نقطة ولم تك شيئا ﴿فسواك﴾ رجلا تسمع وتبصر وتعقل ﴿فعدلك﴾ جعلك معتدلا قائما حسن الصورة، وجعل أعضائك متعادلة لا تفاوت فيها.

٨ ﴿في أي صورة ما شاء ركبك﴾ أي ركبك في أي صورة شاءها من الصور المختلفة، وأنت لم تختار صورة نفسك.

٢٥ ﴿وما هو بقول شيطان رجيم﴾ أي: وما القرآن بقول شيطان من الشياطين المسترقة للسمع المرجومة بالشهب، فالقرآن ليس بشعر ولا كهانة كما قالت قريش.

٢٦ ﴿فأين تذهبون﴾ أي طريق تسلكون أبين من هذه الطريقة التي قد بينت لكم.

٢٧ ﴿إن هو إلا ذكر للعالمين﴾ أي: ما القرآن إلا موعظة للخلق أجمعين وتذكير لهم.

٢٨ ﴿لمن شاء منكم أن يستقيم﴾ على الحق والإيمان والطاعة.

يا أهل مكة بمجنون. وذكره بوصف الصلبة للإشعار بأنهم عالمون بأمره وبأنه أعقل الناس وأكملهم.

٢٣ ﴿ولقد رآه بالأفق المبين﴾ أي قد رأى محمد جبريل بمطلع الشمس من قبل المشرق، في صورته، له ستمائة جناح. قال مجاهد: رآه نحو أجياد، وهو مشرق مكة.

٢٤ ﴿وما هو﴾ أي: محمد ﷺ ﴿على الغيب﴾ يعني خبر السماء ﴿بضنين﴾ لا يبخل بالوحي، ولا يقصر في التبليغ، بل يعلم الخلق كلام الله وأحكامه.



كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ
الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾
يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾
وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ
الدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ
يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١٩﴾

(٨٣) سُورَةُ الْمَطْفِفِينَ مَكِّيَّةٌ وَلَا يَأْتِيهَا سِنْتُ وَثَلَاوَنَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ
يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾

٩ ﴿كَلَامٌ﴾ للردع والزجر عن الاغترار
بكرم الله وجعله ذريعة إلى الكفر به ﴿بَلْ
تَكْذِبُونَ بِالدين﴾ وهو الجزاء، أو بدين
الإسلام.

١٠، ١١ ﴿وَإِنْ عَلَيْكُمْ لحَافِظِينَ﴾
كراما كاتبين ﴿هم الملائكة الحفظة﴾.

١٢ ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ يقول: إنكم
تكذبون بيوم الدين وملائكة الله موكلون
بكم، يكتبون أعمالكم حتى تحاسبوا بها
يوم القيامة.

١٥ ﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ أي يوم
الجزاء الذي كانوا يكذبون به، يلزمونها
مقاسين لوجهها وحرها يومئذ.

١٦ ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾ أي لا
يفارقونها أبدا ولا يغيبون عنها، بل هم
فيها أبد الآبدين.

١٨ ﴿ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ أي
يوم الجزاء والحساب، كرهه تعظيما لقدره
وتفخيا لشأنه، وتهويلا لأمره.

١٩ ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا
وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ لا يملك أحد كائنا من
كان لنفس أخرى شيئا من المنفعة،
فليس ثم أحد يقضي شيئا، أو يصنع
شيئا، إلا الله رب العالمين، والله لا
يملك أحدا في ذلك اليوم شيئا من الأمور
كما ملكهم في الدنيا.

سُورَةُ الْمَطْفِفِينَ

عن ابن عباس قال: لما قدم النبي صلى
الله عليه وآله وسلم المدينة كانوا من
أحبب الناس كيلا، فأنزل الله (ويل
للمطففين) فأحسنوا الكيل بعد ذلك.

١ ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ التطفيف: الأخذ
في الكيل أو الوزن شيئا طفيفا، أي نزرا
حقيرا. فالمطفف هو المقلل حق صاحبه
بنقصانه عن الحق في كيل أو وزن.

وربما كان لأحدهم صاعان يكيل للناس
بأحدهما ويكتال لنفسه بالآخر.

٢ ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ
يَسْتَوْفُونَ﴾ يعني: الذين إذا اشتروا
لأنفسهم استوفوا في الكيل والوزن.

٣ ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾
أي وإذا كالوا لغيرهم من الناس
ينقصون الكيل، وإذا وزنوا لغيرهم من
الناس ينقصون الوزن.

٤ ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾
المعنى أنهم لا يُحْطِرُونَ ببأهم أنهم
مبعوثون فسؤولون عما يفعلون، فهلا ظنوه
وَأَكَلِ حَقَّ الْغَيْرِ].

حتى يتدبروا فيه ويبحثوا عنه، ويتركوا
ما يخشون من عاقبته.

٥ ﴿لَيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ هو يوم القيامة، فهو
عظيم لما فيه من الأمور العظام، من
البعث والحساب والعقاب، ودخول أهل
الجنة الجنة، وأهل النار النار.

٦ ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾
يقومون واقفين منتظرين لأمر رب
العالمين، أو لجزائه، أو لحسابه، دلالة على
عظم ذنب التطفيف، ومزيد إثمه وفضاعة
عقابه [وذلك لما فيه من خيانة الأمانة،
وأكل حق الغير].



أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٥﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٦﴾
يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ
الْفُجَارِ لَفِي سَجِينٍ ﴿٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِينٌ ﴿٩﴾ كِتَابٌ
مَّرْقُومٌ ﴿١٠﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ الَّذِينَ
يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿١٢﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ
أَثِيمٍ ﴿١٣﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٤﴾
كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٥﴾
كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ
لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ
تُكَذِّبُونَ ﴿١٨﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٩﴾
وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿٢٠﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢١﴾ يَشْهَدُهُ
الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٣﴾ عَلَى الْأَرَآئِكِ

يكسبون كثر منهم المعاصي والذنوب فأحاطت بقلوبهم، فذلك الرين عليها. قال الحسن: هو الذنب على الذنب حتى يعمى القلب، ويسود من الذنوب، والطبع أن يطبع على القلب، وهو أشد من الرين. وأخرج أحمد والترمذي وصححه والنسائي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن العبد إذا أذنب ذنبا نكتت في قلبه نقطة سوداء، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه، وإن عاد زادت حتى تغلف قلبه، فذلك الران الذي ذكره الله سبحانه في القرآن».

١٥ ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ يعني الكفار، محجوبون عن ربهم يوم القيامة، لا ينظرون إليه كما ينظر المؤمنون، فكما حجبتهم في الدنيا عن توحيده حجبتهم في الآخرة عن رؤيته، وقال مجاهد: محجوبون عن كرامته.

١٦ ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾ أي داخلو النار وملأوها غير خارجين منها، وصلي الجحيم أشد من الإهانة وحرمان الكرامة.

١٧ ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ أي تقول لهم خزنة جهنم تبكيها وتوبيخها: هذا الذي كنتم به تكذبون في الدنيا، فانظروا وذوقوه.

١٨ ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ أي إنهم مكتوبون في أهل عِلِّيِّينَ وهي الجنة، أو أعالي الجنة، والأبرار هم المطيعون.

١٩ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾ أي وما أعلمك يا محمد أي شيء عِلِّيُّونَ، على جهة التفتيح والتعظيم لعِلِّيِّينَ.

٢٠ ﴿كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾ أي الكتاب الذي فيه أسماؤهم كتاب مسطور.

٢١ ﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ المعنى: أن الملائكة يحضرون ذلك الكتاب المرقوم ويرونه، وقيل: يشهدون بما فيه يوم القيامة.

ويل يوم القيامة لمن وقع منه التكذيب بالبعث وما جاء به الرسل.

١١ ﴿الَّذِينَ يَكْذِبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾

١٢ ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ أي فاجر جائر متجاوز في الإثم منهم في أسبابه.

١٣ ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا﴾ المنزلة على محمد ﷺ

﴿قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي أحاديثهم وأباطيلهم التي زخرفوها.

١٤ ﴿كَلَّا﴾ للردع والزجر للمعتدي الأثيم عن ذلك القول الباطل وتكذيب له

﴿بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا

٧ ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سَجِينٍ﴾ أي إن الفجار ومنهم المطففون مكتوبون في سجل أهل النار، أو: في حبس وضيق شديد.

٩ ﴿كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾ أي ذلك الكتاب الذي رصدت فيه أسماؤهم كتاب مسطور. وقيل: هو كتاب جامع لأعمال الشر الصادر من الشياطين والكفرة والفسقة. وقيل: سجين هي في الأصل سجيل، مشتق من السجل، وهو الكتاب.

١٠ ﴿وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ أي:

يَنْظُرُونَ ﴿٢٢﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٣﴾
يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ﴿٢٤﴾ خِتَمُهُ مِسْكٌَ وَفِي
ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٥﴾ وَمِزَاجُهُ مِنَ
تَسْنِيمٍ ﴿٢٦﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ
أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٨﴾ وَإِذَا
مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ
أَنْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ
لَضَالُّونَ ﴿٣١﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَفِظِينَ ﴿٣٢﴾
فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٣﴾ عَلَى
الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٤﴾ هَلْ تُوبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا
يَفْعَلُونَ ﴿٣٥﴾

٢٢ ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ أي إن أهل
الطاعة لفي تنعم عظيم لا يقادر قدره.

٢٣ ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ الأرائك: الأسرة
التي في الحجال، ولا تطلق الأريكة على
السرير إلا إذا كان في حجلة وهي الكلة
﴿يَنْظُرُونَ﴾ إلى ما أعد الله لهم من
الكرامات، وقيل: ينظرون إلى وجهه جل
جلاله.

٢٤ ﴿تعرف في وجوههم نضرة النعيم﴾
إذا رأيتهم عرفت أنهم من أهل النعمة،
لما تراه في وجوههم من النور والحسن
والبياض، والبهجة والرونق، وذلك أن
الله زاد في جلالهم وفي ألوانهم ما لا يصفه
واصف.

٢٥ ﴿يسقون من رحيق مختوم﴾
الرحيق: من الخمر ما لا غش فيه ولا
شيء يفسده، والمختوم الذي له ختام، فهو
ممنوع من أن تمسه يد إلى أن يفك ختمه
للأبرار.

٢٦ ﴿ختامه مسك﴾ أي آخر طعمه
ريح المسك: إذا رفع الشارب فاه من
آخر شرابه وجد ريحه كريح المسك،
وقيل: مختوم أوانيه من الأكواب
والأباريق بمسك ﴿وفي ذلك فليتنافس
المتنافسون﴾ أي فليرغب الراغبون،
والتنافس التشاجر على الشيء والتنازع
فيه، فيريده كل واحد لنفسه، وينفس
به على غيره: أي يضن به.

٢٧ ﴿ومزاجه من تسنيم﴾ أي ومزاج
ذلك الرحيق من تسنيم، وهو شراب
ينصب عليهم من علو، وهو أشرف شراب
الجنة.

٢٨ ﴿عينا يشرب بها المقربون﴾ أي
يسقون الرحيق أو التسنيم من عين يمزجون
بها كؤوسهم.

٢٩ ﴿إن الذين أجمعوا﴾ وهم كفار
قريش ومن وافقهم على الكفر ﴿كانوا

من الذين آمنوا يضحكون﴾ يستهزئون
بالمؤمنين، ويسخرون منهم.

٣٠ ﴿وإذا مروا بهم يتغامزون﴾ من
الغمز، وهو الإشارة بالجبون والحواجب،
يعيرونهم بالإسلام ويعيبونهم به.

٣١ ﴿وإذا انقلبوا﴾ أي رجع الكفار
﴿إلى أهلهم﴾ من مجالسهم ﴿انقلبوا
فكهين﴾ أي معجبين بما هم فيه متلذذين
به، يتفكهون بذكر المؤمنين، والظعن
فيهم، والاستهزاء بهم.

٣٢ ﴿وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء
لضالون﴾ في اتباعهم محمدا، وتمسكهم

بما جاء به، وتركهم التنعم الحاضر.
٣٣ ﴿وما أرسلوا عليهم حافظين﴾ لم
يرسلوا على المسلمين من جهة الله موكلين
بهم يحفظون عليهم أحوالهم وأعمالهم.
٣٤ ﴿فاليوم الذين آمنوا﴾ المراد باليوم:
اليوم الآخر ﴿من الكفار يضحكون﴾ أي
إن المؤمنين في ذلك اليوم يضحكون من
الكفار حين يرونهم أذلاء مغلوبين قد نزل
بهم ما نزل من العذاب، كما ضحك
الكفار منهم في الدنيا.

٣٥ ﴿على الأرائك ينظرون﴾ أي
ينظرون إلى أعداء الله، وهم يعذبون في

(٨٤) سُورَةُ الْاِنْشِقَاقِ مَكِّيَّةٌ
وَلَا يَتْلُوهَا خَمْسٌ وَعَشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ① وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ②
وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ③ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ④
وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ⑤ يَتَأَيَّهَا الْإِنْسَنُ إِنَّكَ كَادِحٌ
إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فُتْلِقِيهِ ⑥ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ
بِيمِينِهِ ⑦ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ⑧
وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ⑨ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ
وَرَاءَ ظَهْرِهِ ⑩ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ⑪ وَيَصْلَىٰ
سَعِيرًا ⑫ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ⑬ إِنَّهُ ظَنَّ أَن

لها أن تتخلّى وتستمتع لما يريد ربها أن
يأمرها به.

٦ ﴿يَتَأَيَّهَا الْإِنْسَانُ﴾ المراد جنس
الإنسان، فيشمل المؤمن والكافر ﴿إِنَّكَ
كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا﴾ المعنى: إنك
ساع إلى ربك في عملك، أو إلى لقاء
ربك ﴿فُتْلِقِيهِ﴾ أي فلا بد أنك سوف
تلاقي ربك بعملك.

٧ ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ وهم
المؤمنون، يعطون الصحف التي فيها بيان
ما لهم من الحسنات بأيمانهم.

٨ ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ هو
أن تعرض عليه سيئاته، ثم يغفرها الله
من غير أن يناقشه الحساب، فذلك هو
الحساب اليسير. في الصحيحين عن
عائشة، قالت: قال النبي ﷺ «من
نوقش الحساب عُذْبٌ» قالت: فقلت
أليس الله يقول (فسوف يحاسب حساباً
يسيراً) قال: «ليس ذلك بالحساب،
ولكن ذلك العرض، من نوقش الحساب
يوم القيامة عُذْبٌ.»

٩ ﴿وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾ أي وينصرف
بعد الحساب اليسير إلى أهله الذين هم في
الجنة من الزوجات والأولاد، أو إلى من
أعده الله له في الجنة من الحور العين
﴿مَسْرُورًا﴾ مبتهجا بما أُوتِيَ من الخير
والكرامة.

١٠ ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾
أي: لأن يمينه مغلولة إلى عنقه، وتكون
يده اليسرى خلفه.

١١ ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا﴾ أي إذا قرأ
كتابه قال: يا ويلاه! يا ثوراه! والثبور
الهلاك.

١٢ ﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ أي يدخلها
ويقاسي حرّ نارها وشدّتها.

١٣ ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ باتباع
هواه وركوب شهوته بطيراً أثيراً لعدم
خطور الآخرة بباله.

إليه ﴿وحقت﴾ أي وحق لها أن تطيع
وتنقاد وتسمع.

٣ ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ أي بسطت،
ودكت جبالها، حتى صارت قاعاً
صافصفاً.

٤ ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾ أي: أخرجت ما
فيها من الأموات والكنوز، وطرحتهم إلى
ظهرها ﴿وتخلّت﴾ من ذلك، أي: تبرأت
منهم ومن أعمالهم، وتخلّت عنهم إلى الله
لينفذ فيهم أمره.

٥ ﴿وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا﴾ أي استمعت لما
يأمرها به، وأطاعت ﴿وحقت﴾ أي وحق

النار، والمؤمنون متنعمون على الأرائك.
٣٦ ﴿هَلْ تُؤْتِبُ الْكُفَّارَ مَا كَانُوا
يَفْعَلُونَ﴾ أي قد وقع الجزاء للكفار بما
كان يقع منهم في الدنيا من الضحك من
المؤمنين والاستهزاء بهم.

سُورَةُ الْاِنْشِقَاقِ

١ ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ انشققها من
علامات القيامة.

٢ ﴿وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا﴾ أي: أطاعت ربها،
والأذن هو الاستماع للشيء والإصغاء



١٤ ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾ المعنى : أن سبب ذلك السرور ظنه بأنه لا يرجع إلى الله، ولا يبعث للحساب والعقاب.

١٥ ﴿بَلَى﴾ أي بلى ليحورن وليبعثن ﴿إِنْ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ أي كان الله به وبأعماله عالما لا يخفى عليه منها خافية.

١٦ ﴿فَلَا أَقْسَمُ بِالْشفقِ﴾ يقسم الله تعالى بالشفق. والشفق : الحمرة التي تكون بعد غروب الشمس إلى وقت صلاة العشاء الآخرة.

١٧ ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ أي : ما جمع وضئ وحوى ولف، فإنه جمع وضئ ما كان منتشرا بالنهار في تصرفه، وذلك أن الليل إذا أقبل آوى كل شيء إلى مأواه.

١٨ ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ أي اجتمع وتكامل. واتساقه : امتلاؤه واجتماعه واستواؤه، ويكون ذلك في منتصف الشهر القمري.

١٩ ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ لتركبن أيها الناس حالا بعد حال، من الغنى والفقر، والموت والحياة [والحشر والحساب، ودخول الجنة أو النار].

٢٠ ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بمحمد ﷺ وبما جاء به من القرآن مع وجود موجبات الإيمان بذلك.

٢١ ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ﴾ أي : أي مانع لهم من سجودهم وخضوعهم عند قراءة القرآن. وقيل المراد : نفس السجود المعروف بسجود التلاوة.

٢٢ ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ﴾ أي يكذبون بالكتاب المشتل على إثبات التوحيد والبعث والثواب والعقاب.

٢٣ ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوْعُونَ﴾ أي بما يضمرونه في أنفسهم من التكذيب، ويجمعون من الأعمال الصالحة والسيئة.

٢٤ ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ الكلام

لَنْ يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَا أَقْسَمُ
بِالشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴿١٨﴾
لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾
وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿٢١﴾ بَلِ الَّذِينَ
كَفَرُوا يَكْذِبُونَ ﴿٢٢﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوْعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُمْ
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾

(٨٥) سُورَةُ الْبُرُوجِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّانَهَا ثِنْتَانِ وَعَشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾

٣ ﴿وشاهد ومشهود﴾ المراد بالشاهد من يشهد في ذلك اليوم من الخلائق، والمراد بالمشهود [ما يشهد به الشاهدون على المجرمين، من الجرائم الفظيعة التي فعلوها بالشهود أنفسهم، وهم كل من قتل في سبيل الله، كما في قصة أصحاب الأخدود الآتي ذكرها، والله عليهم شهيد أيضا كما يأتي بعد ذلك] وقيل : الشاهد يوم الجمعة، يشهد على كل عامل بما عمل فيه، والمشهود يوم عرفة، يشهد الناس فيه موسم الحج، وتحضره الملائكة. ٤ ﴿قتل أصحاب الأخدود﴾ أي لعنوا.

خارج مخرج التهكم بهم. ٢٥ ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ لا يمن عليهم به.

سُورَةُ الْبُرُوجِ

١ ﴿والسماء ذات البروج﴾ البروج هي النجوم، وقيل هي المنازل للكواكب، وهي اثنا عشر برجاً لاثنى عشر كوكباً. ٢ ﴿واليوم الموعود﴾ أي الموعود به، وهو يوم القيامة.

وَشَٰهِدٍ مَّشْهُودٍ ۝ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ ۝
النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ ۝ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝ وَهُمْ
عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ
إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝ الَّذِي لَهُ مَلِكُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۝ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝
إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا
فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ۝ إِنَّ
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَىٰ مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۝ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ۝ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ
لَشَدِيدٌ ۝ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ ۝ وَهُوَ الْغَفُورُ
الْوَدُودُ ۝ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ۝ فَعَالٌ لِّمَا
يُرِيدُ ۝ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ۝ فِرْعَوْنُ

حقيق بأن يؤمن به ويوحّد **«الله على كل شيء شهيد»** من فعلهم بالمؤمنين لا يخفى عليه منه خافية، وفي هذا وعيد شديد لأصحاب الأخدود، ووعد خير لمن عذبه على دينه من أولئك المؤمنين.

١٠ **«إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ»** أي أحرقوهم بالنار، ولم يجعلوا لهم خياراً في ذلك إلا أن يكفروا بالله، فحنوهم في دينهم ليرجعوا عنه **«ثم لم يتوبوا»** من قبيح صنعهم ويرجعوا عن كفرهم وفتنتهم **«فلهم عذاب جهنم»** في الآخرة بسبب كفرهم **«ولهم عذاب الحريق»** أي ولهم عذاب آخر زائد على عذاب كفرهم، وهو عذاب الحريق بسبب الحرق الذي وقع منهم للمؤمنين.

١١ **«إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ»** [ومنهم الذين صبروا على نار الأخدود، وثبتوا على دينهم ولم يرتدوا] **«لهم جنات تجري من تحتها الأنهار»** بسبب الإيمان والعمل الصالح **«ذلك»** المذكور **«الفوز الكبير»** الذي لا يعدله فوز، ولا يقاربه، ولا يدانيه.

١٢ **«إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ»** لمن عصاه، أي أخذه للجبابرة والظلمة شديد، قد تضاعف وتفاقم.

١٣ **«إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ»** أي يخلق الخلق أولاً في الدنيا ويعيدهم أحياء بعد الموت.

١٤ **«وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ»** أي بالغ المغفرة لذنوب عباده المؤمنين لا يفضحهم بها، بالغ المحبة للمطيعين من أوليائه.

١٥ **«ذُو الْعَرْشِ»** أي هو تعالى رب العرش العظيم، والمجد هو النهاية في الكرم والفضل.

١٧ **«هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ»** أي هل أتاك يا محمد خبر الجموع الكافرة المكذبة لأنبيائهم التي تجمع لهم الأجناد لقتالهم عليها؟

الأخدود.

٧ **«وَهُمْ»** أي الذين خدّوا الأخدود، وهم الملك وأصحابه **«على ما يفعلون بالمؤمنين»** من عرضهم على النار ليرجعوا إلى دينهم، يشهدون بما فعلوا يوم القيامة، ثم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم.

٨ **«وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ»** أي: إلا أنهم صدّقوا بالله الغالب الحمود في كل حال، ما أنكروا عليهم ذنباً إلا بإيمانهم.

٩ **«الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ»** ومن كان هذا شأنه، فهو

وأصحاب الأخدود هم أحد ملوك الكفار وجنده، لما آمن بعض رعيته شقوا لهم الأخدود، وأضرموا فيه النار، ثم قالوا للمؤمنين: من رجع منكم عن دينه تركناه، ومن لم يرجع ألقيناه في النار، فصبروا فألقوهم في النار فاحترقوا والملك وأصحابه ينظرون. والقصة مطولة فانظرها في صحيح مسلم (ج ٤ ص ٢٢٩٩)

٥ **«النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ»** الوقود: الحطب الذي توقد به.

٦ **«إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ»** أي لعنوا حين أهدقوا بالنار قاعدين على الكراسي عند

وَكُمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ
مِنْ وَرَاءِهِمْ مُحِيطٌ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَجِيدٌ ﴿٢١﴾
فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾

(٨٦) سُورَةُ الطَّارِقِ مَكِّيَّةٌ وَلَا يَأْتِيهَا سِتْرٌ عَشْرَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾
النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾
فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾
يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ
لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ قَالَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا

١٨ ﴿فرعون ونمود﴾ المراد بمحدثهم ما وقع منهم من الكفر والعناد، وما وقع عليهم من العذاب.

١٩ ﴿بل الذين كفروا في تكذيب﴾ أي بل هؤلاء المشركون من العرب في تكذيب شديد لك، ولما جئت به، ولم يعتبروا بمن كان قبلهم من الكفار.

٢٠ ﴿والله من ورائهم محيط﴾ أي يقدر على أن ينزل بهم مثل ما أنزل بأولئك.

٢١ ﴿بل هو قرآن مجيد﴾ أي متناه في الشرف والكرم والبركة، وليس هو كما يقولون إنه شعر وكهانة وسحر.

٢٢ ﴿في لوح محفوظ﴾ أي مكتوب في لوح، وهو أم الكتاب، محفوظ عند الله من وصول الشياطين إليه.

سُورَةُ الطَّارِقِ

١ ﴿والسما والطارق﴾ يقسم الله بالسما والطارق، والطارق الكوكب، وسمي طارقاً لأنه يطرق بالليل ويخفى بالنهار، وما أتاك ليلاً فهو طارق.

٣ ﴿النجم الثاقب﴾ الثاقب المضيء [الشديد الإضاءة كأنه يحترق بشدة ظلمة الليل].

٤ ﴿إن كل نفس لما عليها حافظ﴾ هذا جواب القسم: أي ما كل نفس إلا عليها حافظ، وهم الحفظة من الملائكة الذين يحفظون عليها عملها وقولها وفعلها، ويحصون ما تكسب من خير وشر، والحافظ على الحقيقة هو الله عز وجل، وحفظ الملائكة من حفظه، لأنه بأمره.

٥ ﴿فلينظر الإنسان مم خلق﴾ على الإنسان أن يتفكر في مبتدأ خلقه ليعلم قدرة الله على ما هو دون ذلك من البعث.

٦ ﴿خلق من ماء دافق﴾ أي مصبوب في الرحم. وهو ماء الرجل وماء المرأة، لأن الإنسان مخلوق منها، لكن جعلها ماء واحداً لامتزاجها.

٧ ﴿يخرج من بين الصلب والترائب﴾ تبنى السرائر، أي تختبر وتعرف، والسرائر: ما يسر في القلوب من العقائد والنيات وغيرها، فعند ذلك يتميز الحسن منها من القبيح.

٨ ﴿إنه على رجهه لقادر﴾ المعنى إن الله سبحانه على رجوع الإنسان، أي إعادته بالبعث بعد الموت، لقادر. وقال مقاتل: أي: إن شئت رددته من الكبر إلى الشباب، ومن الشباب إلى الصبا، ومن الصبا إلى النطفة.

٩ ﴿يوم تبلى السرائر﴾ أي: يرجعه يوم تبنى السرائر، أي تختبر وتعرف، والسرائر: ما يسر في القلوب من العقائد والنيات وغيرها، فعند ذلك يتميز الحسن منها من القبيح.

١٠ ﴿قَالَ لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرَ﴾ أي: قال له من قوة ولا ناصر، أي: قال له من قوة ولا ناصر، أي: قال له من قوة ولا ناصر.

١١ ﴿والسما ذات الرجوع﴾ الرجوع المطر، لأنه يجيء ويرجع ويتكرر.

١٢ ﴿والأرض ذات الصدع﴾ هو ما تنصدع عنه الأرض من النبات والثمار

إلا وأنت خاشع له معظم، ولذكركه محترم.

٢ «الذي خلق فسوى» خلق الإنسان مستويا، فعدل قامته [وسوى فهمه] وهياه للتكليف.

٣ «والذي قدر فهدى» المعنى قدر أجناس الأشياء، وأنواعها، وصفاتها، وأفعالها، وأقوالها، وآجالها، فهدى كل واحد منها إلى ما يصدر عنه وينبغي له، ويسره لما خلقه له، وألهمه إلى أمور دينه ودنياه، وقدر أرزاق الخلق وأقواتهم، وهداهم لمعايشهم إن كانوا إنسا، ولمراعهم إن كانوا وحشا. وخلق المنافع في الأشياء، وهدى الإنسان لوجه استخراجها منها.

٤ «والذي أخرج المرعى» أي أنبت العشب وما ترعاه النعم من النبات الأخضر.

٥ «فجعله غشاء» أي فجعله - بعد أن كان أخضر - غشاء، أي هشيا جافا «أحوى» أي أسود بعد اخضراره، وذلك أن الكلا إذا بيس أسود.

٦ «سنقرئك» سنجعلك قارئا بأن نلهمك القراءة «فلا تنسى» ماتقرؤه. كان النبي ﷺ إذا نزل عليه جبريل بالوحي لم يفرغ جبريل من آخر الآية حتى يتكلم النبي ﷺ بأولها مخافة أن ينساها، فنزلت: (سنقرئك فلا تنسى) فألهمه الله وعصمه من نسيان القرآن.

٧ «إلا ما شاء الله» أن تنساه. وقيل هي بمعنى النسخ: أي إلا ما شاء الله أن ينسخه مما نسخ تلاوته «إنه يعلم الجهر وما يخفى» أي يعلم ما ظهر وما بطن، ومن الجهر كل ما يفعله الإنسان أو يقوله علانية، وما يخفى كل ما يسره بينه وبين نفسه مما لا يعلمه إلا الله تعالى.

نَاصِرٌ ١٠ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ١١ وَالْأَرْضِ ذَاتِ
الْصَّدْعِ ١٢ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ١٣ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ١٤
إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا ١٦ فَمَهْلُ
الْكَافِرِينَ أَهْمُ لَهُمْ رُويْدًا ١٧

(٨٧) سُورَةُ الْأَعْلَى مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّانَهَا ثِنْعَ عَشْرَةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ١ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ٢
وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ٣ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ٤
لَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ٥ سَنُقَرِّبُكَ فَلَا تَنْسَى ٦
إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ٧ وَنُيَسِّرُكَ

والشجر. ١٣ «إنه لقول فصل» أي إن القرآن لقول يفصل بين الحق والباطل. ١٤ «وما هو بالهزل» أي لم ينزل باللعب، فهو جد ليس بالهزل. ١٥ «إنهم يكيدون كيدا» أي يمحرون في إبطال ما جاء به رسول الله ﷺ من الدين الحق. ١٦ «وأكيد كيدا» أي أستدرجهم من حيث لا يعلمون، وأجازهم جزاء كيدهم. ١٧ «فهل الكافرين» أي آخرهم، ولا

سُورَةُ الْأَعْلَى

١ «سبح اسم ربك الأعلى» أي نزهه عن كل ما لا يليق به بقولك «سبحان ربي الأعلى» ولما نزلت قال النبي ﷺ «اجعلوها في سجودكم» وقيل المعنى: نزه تسمية ربك وذكرك إياه أن تذكره

١٣ «إنه لقول فصل» أي إن القرآن لقول يفصل بين الحق والباطل. ١٤ «وما هو بالهزل» أي لم ينزل باللعب، فهو جد ليس بالهزل. ١٥ «إنهم يكيدون كيدا» أي يمحرون في إبطال ما جاء به رسول الله ﷺ من الدين الحق. ١٦ «وأكيد كيدا» أي أستدرجهم من حيث لا يعلمون، وأجازهم جزاء كيدهم. ١٧ «فهل الكافرين» أي آخرهم، ولا



لِلْبُسرَى ٨ فَذَكَرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى ٩ سَيَذَكُرُ
مَنْ يَخْشَى ١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ١١ الَّذِي يَصْلَى
النَّارَ الْكُبْرَى ١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ١٣
قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ١٤ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ١٥
بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ١٦ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ١٧
إِنْ هَذَا لَنِي الصُّحُفِ الْأُولَى ١٨ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ
وَمُوسَى ١٩

(٨٨) سُورَةُ الْغَاشِيَةِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّانَهَا سِتُّ وَعَشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ١ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ٢

٨ «ونيسرك لليسرى» أي نهون عليك عمل الجنة، ونهون عليك الوحي حتى تحفظه وتعمل به، أو نوفقك للطريقة اليسرى في الدين والدنيا في كل أمر من أمورهما التي تتوجه إليك.

٩ «فذكر إن نفعت الذكرى» أي عظم يا محمد الناس بما أوحينا إليك، وأرشدتهم إلى سبل الخير، واهداهم إلى شرائع الدين. [وذلك حيث نفعت الذكرى، فأما من ذكر وبيّن له الحق بجلاء، فاتبع هواه وأصر على العصيان فلا حاجة إلى تذكيره] وهذا في تكرير الدعوة، فأما الدعاء الأول فعام.

١٠ «سيدكر من يخشى» أي سيعظم بوعظك من يخشى الله فيزداد بالتذكير خشية وصلاحاً.

١١ «ويتجنبها الأشقى» أي ويتجنب الذكرى ويبعد عنها الأشقى من الكفار، لإصراره على الكفر بالله وانهماكه في معاصيه.

١٢ «الذي يصل النار الكبرى» أي العظيمة الفظيعة، والنار الصغرى نار الدنيا.

١٣ «ثم لا يموت فيها» فيستريح مما هو فيه من العذاب «ولا يحيا» حياة ينتفع بها.

١٤ «قد أفلح من تزكى» أي من تطهر من الشرك، فأمن بالله ووحدته وعمل بشرائعه. وقيل المراد بالآية زكاة الأموال.

١٥ «وذكر اسم ربه» قيل المعنى: ذكر اسم ربه بلسانه «فصل» أي فأقام الصلوات الخمس، وقيل تذكر موقفه ومعاذته فعبدته، وقيل المراد بالتزكي في الآية الأولى زكاة الفطر، والمراد بالصلاة صلاة العيد.

١٦ «بل تؤثرون الحياة الدنيا» أي لا تفعلون ذلك، بل تؤثرون اللذات الفانية في الدنيا.

١٧ «والآخرة خير وأبقى» أفضل وأدوم

من الدنيا. قال مالك بن دينار: لو كانت الدنيا من ذهب يفتى، والآخرة من خزف يبق، لكان الواجب أن يؤثر خزف يبق على ذهب يفتى، فكيف والآخرة من ذهب يبق، والدنيا من خزف يفتى.

١٨ «إن هذا» وهو ما تقدم من فلاح من تزكى وما بعده «لني الصحف الأولى» أي ثابت فيها.

١٩ «صحف إبراهيم وموسى» تابعت كتب الله عز وجل أن الآخرة خير وأبقى من الدنيا.

سُورَةُ الْغَاشِيَةِ

١ «هل أتاك حديث الغاشية» أي: قد جاءك يا محمد حديث الغاشية، وهي القيامة، وإنما سميت الغاشية لأنها تغشى الخلائق بأهوالها.

٢ «وجوه يومئذ خاشعة» أي إن الناس يكونون يوم القيامة فريقين: الأول وجوههم ذليلة خاضعة لما هي فيه من العذاب، وقيل أراد وجوه اليهود والنصارى على الخصوص.

عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ﴿٤﴾ تَصَلِّي نَارًا حَامِيَةً ﴿٥﴾ تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ
ءَانِيَةٍ ﴿٦﴾ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ﴿٧﴾ لَا يُسْمِنُ
وَلَا يُغْنِيهِمْ مِنْ جُوعٍ ﴿٨﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ﴿٩﴾
لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿١٠﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١١﴾ لَا تَسْمَعُ فِيهَا
لَغِيَةً ﴿١٢﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٣﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ﴿١٤﴾
وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴿١٥﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٦﴾ وَزَرَارٍ
مَبْثُوثَةٌ ﴿١٧﴾ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْآيِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٨﴾
وَالِإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ
نُصِبَتْ ﴿٢٠﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢١﴾ فَذَكِّرْ
إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢٢﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿٢٣﴾ إِلَّا
مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴿٢٤﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٥﴾
إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٧﴾

وتتدفق بأنواع الأشربة المستلذة.

١٤ ﴿وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾ الأكواب
الأقداح التي فيها الخمر، موضوعة بين
أيديهم يشربون منها.

١٥ ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾ وسائد مصفوفة
بعضها إلى بعض.

١٦ ﴿وَزَرَارٍ مَبْثُوثَةٌ﴾ الزراري الطنافس
التي لها خل رقيق، مفرقة في المجالس
كثيرة.

١٧ ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْآيِلِ﴾ التي هي
غالب مواشيهم وأكبر ما يشاهدونه من
المخلوقات ﴿كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ على ما هي
عليه من الخلق البديع، من عظم جثتها
ومزيد قوتها، وبديع أوصافها. نبيهم على
عظيم من خلقه قد ذلله للصغير يقوده،
وينيحه وينهضه، ويحمل عليه الثقل من
الحمل وهو بارك، فينهض بثقل حمله.

١٨ ﴿وَالِإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ فوق
الأرض بلا عمد على وجه لا يناله الفهم
ولا يدركه العقل.

١٩ ﴿وَالِإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ أي
رفعت على الأرض، مرساة راسخة لا تميد
ولا تميل ولا تزول.

٢١ ﴿فَذَكِّرْ﴾ أي: فمعظهم يا محمد
وخوفهم ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ أي: ليس
عليك إلا ذلك.

٢٢ ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ حتى
تكرهم على الإيمان.

٢٣ ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾ أي: لكن
من تولى عن الوعد والتذكير،

٢٤ ﴿فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾ وهو
عذاب جهنم الدائم.

٢٥ ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ أي: رجوعهم
بعد الموت.

٢٦ ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ يعني
محاسبتهم ثم نجازهم بأعمالهم بعد
رجوعهم إلى الله بالبعث.

٣ ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ كانوا يتعبون أنفسهم

في العبادة وينصبونها، ولا أجر لهم
عليها، لما هم عليه من الكفر والضلال.

٥ ﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾ أي يشربون
من مائها، والماء الآني هو المتناهي في
الحر.

٦ ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ هو

نوع من الشوك يقال له الشريق في لسان
قريش إذا كان رطباً، فإذا يبس فهو
الضريع.

٧ ﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِيهِمْ مِنْ جُوعٍ﴾ أي:
لا يسمن الضريع آكله ولا يدفع عنه ما

٨ ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾ أي: ذات
نعمة وبهجة، وهي وجوه أصحاب الفريق
الثاني، لما شاهدوا من عاقبة أمرهم.

٩ ﴿لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ أي: لعملها الذي
عملته في الدنيا راضية، لأنها قد أعطيت
من الأجر ما أرضاها.

١١ ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً﴾ لا تسمع في
كلام أهل الجنة كلمة تُلغى لأنهم لا
يتكلمون إلا بالحكمة وحمد الله تعالى على
مارزقهم من النعم الدائم.

١٢ ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ تجري مياهها

(٨٩) سُورَةُ الْفَجْرِ مَكِينَةٌ وَأَيَّانَهَا ثَلَاثُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ ① وَلَيَالٍ عَشْرٍ ② وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ③
وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرُ ④ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حَجْرِ ⑤
أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ⑥ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ⑦
الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ⑧ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا
الصَّخْرَ بِالْوَادِ ⑨ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ⑩ الَّذِينَ
طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ⑪ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ⑫
فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ⑬ إِنَّ رَبَّكَ
لِبِالْمِرْصَادِ ⑭ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ

سُورَةُ الْفَجْرِ

١ ﴿وَالْفَجْرِ﴾ أقسم سبحانه بالفجر لأنه وقت انفجار الظلمة عن النهار. وقال مجاهد: يريد فجر يوم النحر.

٢ ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ أي: الليالي العشر من ذي الحجة.

٣ ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ فالشفع الزوج، والوتر الفرد، من كل الأشياء. وقيل المراد بالشفع: يوما التشريق الأول والثاني اللذان يجوز التعجل فيها، والوتر اليوم الثالث.

٤ ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرُ﴾ أي: إذا جاء وأقبل ثم أدبر.

٥ ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حَجْرِ﴾ الحججر: العقل، فن كان ذا عقل ولب علم أن ما أقسم الله به من هذه الأشياء حقيق بأن يقسم به.

٦ ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ وهم عاد الأولى، ويقال لمن بعدهم عاد الأخرى [نسبتهم هود كذبوه فأخذتهم الصيحة].

٧ ﴿إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ إرم اسم آخر لعاد الأولى. وقيل: هو جدهم. وقيل: اسم موضعهم، وهو مدينة دمشق أو مدينة أخرى بالأحقاف. ومعنى ذات العمد: قال مجاهد: إنهم كانوا أهل عمد وخيام في الربيع، فإذا هاج النبات رجعوا إلى منازلهم. وقيل: كانت مدينتهم محكمة البنيان ذات أعمدة طوال منحوتة.

٨ ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ أي: لم يخلق مثل تلك القبيلة في الطول والشدة والقوة، وهم الذين قالوا من أشد منا قوة [أو: لم يخلق مثل تلك المدينة في شدة بنيانها].

٩ ﴿وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ كانوا ينحتون الجبال وينقبونها، ويجعلون تلك الأنقاب بيوتا يسكنون فيها. وواديهم هو الحجر، أو وادي القرى، على طريق

الشام من المدينة المنورة.

١٠ ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ [وهي الأهرام التي بناها الفراعنة لتكون قبوراً لهم. وسخروا في بنائها شعوبهم] وقيل المعنى: ذي الجنود الذين لهم خيام كثيرة يشدون بها الأوتاد.

١١ ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ﴾ صفة لعاد وتمرود وفرعون، أي طغت كل طائفة منهم في بلادهم وتمردت وعتت.

١٢ ﴿فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾ بالكفر ومعاصي الله والجور على عباده.

١٣ ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ

عَذَابٍ﴾ أي: أفرغ عليهم وألقى على تلك الطوائف عذاباً، [كما يقال: صببت السوط على المجرم، أي جلدته به جلدأ شديداً].

١٤ ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمِرْصَادِ﴾ يرصد عمل كل إنسان حتى يجازيه عليه بالخير خيراً وبالشر شراً. وقال الحسن: عليه طريق العباد لا يفوته أحد.

١٥ ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ﴾ امتحنه واختبره بالنعم ﴿فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ﴾ أي: أكرمه بالمال ووسع عليه رزقه ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِي﴾ اعتقد أن ذلك هو

فَأَكْرَمَهُ، وَنَعَّمَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا
 مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴿١٦﴾
 كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحْضُونَ عَلَى
 طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا ﴿١٩﴾
 وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ
 دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾
 وَجِئَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى
 لَهُ الذِّكْرَى ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَلْبِثَنِي قَدَمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾
 فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وِثْقَهُ
 أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ أَرْجَعِيَ إِلَى
 رَبِّكَ رَاضِيَةً مَُرْضِيَةً ﴿٢٨﴾ فَأَدْخِلْنِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾
 وَأَدْخِلْنِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾

بعضكم بعضاً على ذلك، ولا يأمر به ولا
 يرشد إليه [فيبقى مغلوباً مقهوراً بينكم لا
 تمدُّ له يدٌ بعون].

١٩ ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ﴾ أموال اليتامى
 والنساء والضعفاء ﴿أَكْلًا لَمًّا﴾ أي:
 أكلاً شديداً.

٢١ ﴿كَلَّا﴾ أي: ما هكذا ينبغي أن
 يكون عملكم ﴿إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا
 دَكًّا﴾ الدك الكسر والدق، زلزلت
 وحركت تحريكاً بعد تحريك، أو دُكَّتْ
 جبالها حتى استوت.

٢٢ ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ سبحانه وتعالى
 لفصل القضاء بين عباده ﴿وَالْمَلَكُ صَفًّا
 صَفًّا﴾ أي: جاؤوا مصطفىين صفوفاً.

٢٣ ﴿وَجِئَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ مزمومة
 والملائكة يجرّونها ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ
 الْإِنْسَانُ﴾ يندم على ما قدمه في الدنيا
 من الكفر والمعاصي ﴿وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾
 أي: وإنما كانت تنفعه الذكرى لو تذكر
 الحق قبل حضور الموت.

٢٥ ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدٌ﴾
 أي: لا يعذب كعذاب الله أحد.

٢٦ ﴿وَلَا يُوثِقُ وِثْقَهُ أَحَدٌ﴾ أي ولا
 يوثق الكافر بالسلاسل والأغلال كوثاق
 الله أحد.

٢٧ ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ الموقنة
 بالآيمان وتوحيد الله، لا يخالطها شك ولا
 يعتريها ريب، قد رضيت بقضاء الله
 وعلمت أن ما أخطأها لم يكن ليصيبها،
 وأن ما أصابها لم يكن ليخطئها، فتجيء
 يوم القيامة مطمئنة، لأنها قد بشرت
 بالجنة عند الموت وعند البعث.

٢٨ ﴿أَرْجِعِي إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً﴾
 بالثواب الذي أعطاك ﴿مَرْضِيَةً﴾ عنده.

٢٩ ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ أي في زمرة
 عبادي الصالحين وكوفي من جملتهم.

٣٠ ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ معهم [أي فتلك
 هي الكرامة لا كرامة سواها].

بطاعته ويوفقه لعمل الآخرة، والإهانة
 عنده ألا يوفقه الله للطاعة وعمل أهل
 الجنة. وليست سعة الدنيا كرامة، وليس
 ضيقها إهانة، وإنما الغنى اختبار للغنى
 هل يشكر، والفقر اختبار له هل يصبر.

١٧ ﴿كَلَّا﴾ ردع للإنسان القائل في
 الحالتين ما قال وزجر له ﴿بَلْ لَا
 تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ [بما آتاكم الله من
 الغنى، ولو أكرمتموه لكان ذلك لكم
 كرامة عند الله].

١٨ ﴿وَلَا تَحْضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾
 أي: لا تحضون أنفسكم، أو لا يحض

الكرامة فرحاً بما نال، وسروراً بما أعطي،
 غير شاكر لله على ذلك، ولا خاطر بباله
 أن ذلك امتحان له من ربه.

١٦ ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ﴾ أي: اختبره
 وامتحنه ﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ أي: ضيقه
 ولم يوسع له، ولا بسط له فيه ﴿فَيَقُولُ
 رَبِّي أَهْنَنِ﴾ أي: أولاني هواناً. وهذه
 صفة الكافر الذي لا يؤمن بالبعث، لأنه
 لا كرامة عنده إلا الدنيا والتوسع في
 متاعها، ولا إهانة عنده إلا فوتها وعدم
 وصوله إلى ما يريد من زينتها، فأما
 المؤمن فالكرامة عنده أن يكرمه الله

سورة البلد

(٩٠) سُوْرَةُ الْبَلَدِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّانَهَا عَشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ① وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ②
وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ③ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ④
أَحْسِبُ أَنَّ لَن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ⑤ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا
لُبًّا ⑥ أَحْسِبُ أَنَّ لَم يَرَهُ أَحَدٌ ⑦ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ
عَيْنَيْنِ ⑧ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ⑨ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ⑩
فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ⑪ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ⑫
فَكُّ رَقَبَةٍ ⑬ أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ⑭
يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ⑮ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ⑯ ثُمَّ كَانَ مِنَ

١ ﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ المعنى أقسم بالبلد الحرام وهو مكة [وذلك لئيبه على كرامة أم القرى وشرفها عند الله تعالى لأن فيها بيته الحرام وهي بلد إسماعيل ومحمد عليهما الصلاة والسلام، وبها مناسك الحج].

٢ ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ أي استحل منك مشركو مكة أن يؤذوك في البلد الحرام يا محمد. وقيل المعنى: أقسم بهذا البلد الذي أنت مقيم به، تشريفا لك وتعظيما لقدرك، لأنه قد صار بإقامتك فيه عظميا شريفا.

٣ ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ يقسم تعالى بالوالد وأولاده، كآدم وما تناسل من ولده، وبكل والد ومولود من جميع الحيوانات [تنبيها على عظم آية التناسل والتوالد، ودلالاتها على قدرة الله وحكمته وعلمه].

٤ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ لا يزال في مكابدة الدنيا ومقاساة شدائدها حتى يموت، [فإذا مات كابد شدائد القبر والبرزخ وأهوالها ثم أمامه شدائد الآخرة].

٥ ﴿أَحْسِبُ أَنَّ لَن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ أي: أيعظن ابن آدم أن لن يقدر عليه ولا ينتقم منه أحد [مهما اقتترف من السيئات، حتى ولا ربه عز وجل؟]

٦ ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبًّا﴾ أي: كثيرا مجتمعا بعضه على بعض لا يخاف فناؤه من كثرته.

٧ ﴿أَحْسِبُ أَنَّ لَم يَرَهُ أَحَدٌ﴾ أيعظن أن الله سبحانه لم يره، ولا يسأله عن ماله من أين كسبه وأين أنفق؟

٨ ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾ يبصر بهما.

٩ ﴿وَلِسَانًا﴾ ينطق به ﴿وَشَفَتَيْنِ﴾ يستر بهما ثغره.

١٠ ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ المعنى ألم نعرفه طريق الخير وطريق الشر، مبيتين كبتين الطريقين العاليتين.

١١ ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ [أي فهلا المقتحم.

١٢ ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ أي: لا شيء له، كأنه لصق بالتراب لفقره. قال مجاهد: هو الذي لا يقيه من التراب لباس ولا غيره [فن أطعم من هذين الصنفين في أيام المجاعات التي تذهل الإنسان إلا عن نفسه وأهله، فإن ذلك يكون من حرصه على طاعة الله ونفع عباده، فهو حري أن يكون من أصحاب اليقين].

١٣ ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ أي: هي إعتاق رقبة وتخليصها من إيسار الرق.

١٤ ﴿أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ أي يوم المجاعة، عزيز فيه الطعام،

١٥ ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ أي: أي يطعم اليتيم، وهو الصغير الذي لا أب له ولا أم، ويكون اليتيم من أقارب هذا

١٦ ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ أي: لا شيء له، كأنه لصق بالتراب لفقره. قال مجاهد: هو الذي لا يقيه من التراب لباس ولا غيره [فن أطعم من هذين الصنفين في أيام المجاعات التي تذهل الإنسان إلا عن نفسه وأهله، فإن ذلك يكون من حرصه على طاعة الله ونفع عباده، فهو حري أن يكون من أصحاب اليقين].

١٧ ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الْيَتَامَى﴾ أي: ثم كان من اليتيم، وهو الصغير الذي لا أب له ولا أم، ويكون اليتيم من أقارب هذا



ارتفاع الشمس بعد طلوعها إذا تم ضياؤها.

٢ «والقمر إذا تلاها» أي: تبعها، وذلك في الليالي البيض [وهي ليلة أربع عشرة وخمس عشرة، وست عشرة، يطلع فيها القمر من المشرق ممتلئاً بعد غروب الشمس].

٣ «والنهار إذا جلاها» أي: جلى الشمس، وذلك أن الشمس عند انبساط النهار تنجلي تمام الانجلاء.

٤ «والليل إذا يغشاها» أي: يغشى الشمس فيذهب بضوئها، فتغيب وتظلم الآفاق.

٥ «والسواء وما بناها» أي: والسواء وبناء الله تعالى لها.

٦ «والأرض وما طحاها» أي: بسطها من كل جانب.

٧ «ونفس وما سواها» أنشأها وسوى أعضائها [وركب فيها الروح، وجعل فيها القوى النفسية الهائلة، والإدراكات العجيبة، وجعلها مستقيمة على الفطرة، كما في الحديث «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه»].

٨ «فألهمها فجورها وتقواها» أي: عرّفها وأفهمها حالها، وما فيها من الحسن والقبح.

٩ «قد أفلح من زكاها» أي: من زكى نفسه وأثماها وأعلاها بالتقوى فاز بكلّ مطلوب وظفر بكلّ محبوب [وعن عائشة: أنها فقدت النبي ﷺ من مضجعه، فلمسته بيدها فوقعت عليه وهو ساجد وهو يقول: ربّ أعط نفسي تقواها، وزكّها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها].

١٠ «وقد خاب من دساها» أي: خسر من أضلها وأغواها وأضلها، ولم يشهرها بالطاعة والعمل الصالح.

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ۝
أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۝ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَيَّاتِنَا
هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۝ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ ۝

(٩١) سُورَةُ الشَّمْسِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّانَهَا خَمْسُ عَشْرَةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۝ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا ۝ وَالنَّهَارِ
إِذَا جَلَّهَا ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ۝ وَالسَّمَاءِ
وَمَا بَنَاهَا ۝ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ۝ وَنَفْسٍ وَمَا
سَوَّاهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ
مَنْ زَكَّاهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ۝ كَذَّبَتْ ثَمُودُ

بها لوجه الله «وتواصوا بالصبر» على طاعة الله، والصبر عن معاصيه، والصبر على ما أصابهم من البلياء والمصائب «وتواصوا بالمرحمة» أي بالرحمة على عباد الله، فإنهم إذا فعلوا ذلك رحموه اليتيم والمسكين واستكثروا من فعل الخير بالصدقة.

١٩ «والذين كفروا بآياتنا» أي: بالآيات التنزيلية والآيات التكوينية «هم أصحاب المشأمة» أي: أصحاب الشمال، وهي النار المشؤومة. وتفصيل ما أعده الله لأصحاب الشمال مبين أيضاً في سورة الواقعة (الآيات ٤١ - ٥٦).

٢٠ «عليهم نار مؤصدة» أي: مطبقة مغلقة.

١٨ «أولئك أصحاب الميمنة» وهي الجنة. وقد ذكر الله تعالى أصحاب اليمين، وما أعد لهم من النعيم، وفصل ذلك على التمام والكمال في سورة الواقعة (الآيات ٢٦ - ٤٠) فارجع إلى تفسيرها

سُورَةُ الشَّمْسِ

١ «والشمس وضحاها» الضحى وقت

يَطْفَوْنَهَا ⑪ إِذْ أَنْبَعَثَ أَشْقَاهَا ⑫ فَقَالَ لَهُمْ
رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ⑬ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا
فَدَمَدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا ⑭ وَلَا يَخَافُ
عُقْبَاهَا ⑮

(٩٢) سُورَةُ اللَّيْلِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّانَهَا إِجْدَى وَعَشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ① وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ② وَمَا خَلَقَ
الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ③ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ④ فَأَمَّا مَنْ
أَعْطَى وَاتَّقَى ⑤ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ⑥ فَسَنِّيْسِرُهُ
لِلْيُسْرَى ⑦ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ⑧ وَكَذَّبَ

١١ ﴿كَذِبْتَ ثُمَّودَ بِطَفَاوَاهَا﴾ أي:

بسبب الطغيان، حملهم على التكذيب، والطغيان مجاوزة الحد في المعاصي.

١٢ ﴿إِذْ أَنْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾ أي: حين قام أشقى ثمود [أو أشقى البرية] وهو قدار بن سالف، فعقر الناقة، ومعنى انبعث: انتدب لذلك وقام به.

١٣ ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ يعني صالحاً ﴿نَاقَةَ اللَّهِ﴾ أي ذروا ناقة الله، حذروهم إياها ﴿وَسُقْيَاهَا﴾ شربها من الماء، فلا تتعرضوا له يوم شربها.

١٤ ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ بتحذيره إياهم ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ أي: عقرها الأثقى، والجميع رضوا بما فعله ﴿فَدَمَدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ أي: أهلكهم وأطبق عليهم العذاب ﴿فَسَوَّاهَا﴾ أي: فسوى الدمدمة عليهم، وعمهم بها، فاستوت على صغيرهم وكبيرهم، وقيل: فسوى الأرض عليهم فجعلهم تحت التراب.

١٥ ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ أي: فعل الله ذلك بهم غير خائف من عاقبة ولا تبعه.

سُورَةُ اللَّيْلِ

١ ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ يقسم الله تعالى بالليل عندما يغطي بظلمته ما كان مضيئاً،

٢ ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ وهذا منه تعالى قَسَمٌ بالنهار متى ظهر وانكشف ووضح، لزوال الظلمة التي كانت في الليل،

٣ ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ وهذا منه تعالى إقسام بخلقه الجنسي الذكر والأنثى من بني آدم وغيرهم،

٤ ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ أي إن عملكم مختلف: فنه عمل للجنة، ومنه عمل للنار؛ فساع في فكاك نفسه، وساع في عطيا:

٥ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ أي بذل

ماله في وجوه الخير، واتق محارم الله التي نهى عنها،

٦ ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ أي بالخلف من الله، أي صدق بموعود الله الذي وعده أن يشبه عوضاً عما أنفق،

٧ ﴿فَسَنِّيْسِرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ فسنيسر له الإنفاق في سبيل الخير والعمل بالطاعة لله. نزلت هذه الآيات في أبي بكر الصديق: اشترى ستة نفر من المؤمنين كانوا في أيدي أهل مكة، يعذبونهم في الله، فأعتقهم.

٨ ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ بِمَالِهِ فَلَمْ يَبْذُلْهُ فِي سَبِيلِ الْخَيْرِ وَاسْتَغْنَى﴾ أي زهد في الأجر والشواب، واستغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الآخرة.

٩ ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾ أي بالخلف من الله عز وجل.

١٠ ﴿فَسَنِّيْسِرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ أي فسنيسه للخصلة العسرى، ونسهلها له، حتى تتعسر عليه أسباب الخير والصلاح، ويضعف عن فعلها، فيؤديه ذلك إلى النار. أخرج البخاري ومسلم عن علي ابن أبي طالب قال: كنا مع النبي ﷺ في جنازة، فقال «مامنكم من أحد إلا

بِالْحُسْنَى ۝ فَسَنبِسِرُهُ لِلْعُسْرَى ۝ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ
مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ۝ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ۝ وَإِنَّ
لَنَا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَى ۝ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ۝
لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ۝ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ۝
وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ۝ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ۝
وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ۝ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ
رَبِّهِ الْأَعْلَى ۝ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ۝

(٩٣) سُورَةُ الضُّحَى مَكِينَةٌ
وَأَيَّانَهَا إِحْدَى عَشْرَةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَى ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ۝ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ

١٥ ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ وهو

الكافر، يجد صلاها، وهو حرها.

١٦ ﴿الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ أي كذب

بالحق الذي جاءت به الرسل، وأعرض
عن الطاعة والإيمان.

١٧ ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾ سيباعد عنها

المتقي للكفر اتقاء بالغاً. قال الواحدي:

الأتق أبو بكر الصديق في قول جميع
المفسرين [أي إنها نزلت فيه. وإلا

فحكمها عام. والله أعلم]

١٨ ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ﴾ أي يعطيه

وبصرفه في وجوه الخير ﴿يَتَزَكَّى﴾ يطلب

أن يكون عند الله زكياً، لا يطلب رياء
ولا سمعة.

١٩ ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾

أي ليس ممن يتصدق بماله ليجازي

بصدقته نعمة لأحد من الناس عنده

ويكافئه عليها، وإنما يبتغي بصدقته وجه

الله تعالى.

٢٠ ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ أي

لا يؤتي إلا لابتغاء وجه ربه لا لمكافأة

نعمه.

٢١ ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ أي وتالله لسوف

يرضى بما نعطيه من الكرامة والجزاء

العظيم.

سُورَةُ الضُّحَى

اشتكى النبي ﷺ فلم يقم — أي لصلاة

الليل — ليلتين أو ثلاثاً. فأتته امرأة،

فقالت يا محمد: ما أرى شيطانك إلا قد

تركك، لم يقرّبك ليلتين أو ثلاثاً، فأنزل

الله هذه السورة.

١ ﴿وَالضُّحَى﴾ الضحى اسم لوقت

ارتفاع الشمس.

٢ ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾ قال الأصمعي:

سجو الليل تغطيته النهار، مثل ما يُسجى

الرجل بالثوب.

مالم يتركه لذرية يحتاجونه أما ما قدمه

لنفسه فهو الذي ينفعه يوم القيامة. [

١٢ ﴿إِنْ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾ علينا أن نبين

طريق الهدى من طريق الضلال. وقال

الفراء: من سلك الهدى فعل الله سبيله،

يقول: من أراد الله فالفعل على الطريق،

من أراده اهتدى إليه. وهذا مثل.

١٣ ﴿وَإِنَّ لَنَا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ أي لنا

كل ما في الآخرة وكل ما في الدنيا،

نتصرف به كيف نشاء.

١٤ ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ تتوقد

وتتوهج.

وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من

النار. فقالوا: يا رسول الله، أفلا نتكل؟

قال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له: أما

من كان من أهل السعادة فييسر لعمل

أهل السعادة، وأما من كان من أهل

الشقاء فييسر لعمل أهل الشقاء» ثم قرأ

(فأما من أعطى واتقى. وصدق بالحسنى.

إلى قوله للعسرى).

١١ ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ﴾ أي لا يغني

عنه شيئاً ماله الذي بخل به ﴿إِذَا

تَرَدَّى﴾ أي هلك، وسقط في جهنم [فإن

المال الذي يتركه خلفه لا أجر له فيه

وَمَا قَلَىٰ ﴿٤﴾ وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٥﴾ وَلَسَوْفَ
يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٦﴾ أَلَمْ يَجِدَكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٧﴾
وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٨﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٩﴾
فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١١﴾
وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١٢﴾

(٩٤) سُورَةُ الشَّرْحِ مَكِّيَّةٌ وَلَا يَأْتِيهَا مَثَرَاتٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾
الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾
فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾

٣ ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ هذا جواب القسم. أي ما قطعك قطع المؤدع، ولم يقطع عنك الوحي ﴿وَمَا قَلَى﴾ أي وما أبغضك.

٤ ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾ أي الجنة خير لك من الدنيا، هذا مع ما قد أوتي في الدنيا من شرف النبوة ما يصغر عنده كل شرف، ويتضاءل بالنسبة إليه كل مكرمة في الدنيا.

٥ ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾ الفتح في الدين، والثواب والحوض والشفاعة لأمته في الآخرة ﴿فَتَرْضَى﴾.

٦ ﴿أَلَمْ يَجِدَكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ أي وجدك يتيمًا لا أب لك، فجعل لك ماوى تأوى إليه.

٧ ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ وجدك غافلاً [عن الإيمان لا تدري ماهو؟ غافلاً] عما يراد بك من أمر النبوة، ولم تكن تدري القرآن ولا الشرائع، فهداك لذلك.

٨ ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ أي وجدك فقيراً ذا عيال لا مال لك، فأغناك بما أعطاك من الرزق: أغناه بما فتح من الفتوح، وقيل بتجارته في مال خديجة بنت خويلد.

٩ ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ لا تتسلط عليه بالظلم لضعفه، بل ادفع إليه حقه واذكر يتمك. وكان رسول الله ﷺ يحسن إلى اليتيم ويبره ويوصي باليتامى.

١٠ ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ لا تنهره إذا سألك، فقد كنت فقيراً، فإما أن تطعمه، وإما أن تردّه ردّاً لينا.

١١ ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ أمره سبحانه بالتحدث بنعم الله عليه وإظهارها للناس وإشهارها بينهم. والتحدث بنعمة الله شكر. وقيل النعمة هنا القرآن، فأمره أن يقرأه ويحدث به.

سُورَةُ الشَّرْحِ

١ ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ المعنى: يا محمد، قد شرحنا لك صدرك لقبول النبوة. ومن هنا قام بما قام به من الدعوة، وقدر على حل أعباء النبوة وحفظ الوحي.

٢ ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ حططنا عنك الذي سلف منك في الجاهلية.

٣ ﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ معناه أنه لو كان حملاً يحمل لسُيع نقيض ظهره. وقيل: الوزر حل أعباء النبوة، سهل الله

ذلك عليه حتى تيسرت له.

٤ ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة، بأمور منها تكليفه للمؤمنين إذا قالوا أشهد أن لا إله إلا الله، أن يقولوا: أشهد أن محمداً رسول الله، ومنها ذكره في الأذان، ومنها أمرهم بالصلاة والسلام عليه، وأمر الله بطاعته.

٦ ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ أي إن مع ذلك العسر، المذكور سابقاً، يسراً آخر. عن ابن مسعود مرفوعاً «لو كان العسر في حجر لتبعه اليسر حتى يدخل فيه فيخرجه، ولن يغلب عسر يسرين، إن



فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۖ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴿٨﴾

(٩٥) سُورَةُ التِّينِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّانَهَا مَثَارِتُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا
الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ
تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾
فَإَيُّكَ الذِّكْرُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ
الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾

سماء أميناً لأنه آمن [كأنما يقسم الله تعالى بهذه المواضع الثلاثة لأنها مهبط وحى الله على أولي العزم من الرسل، ومنها أضاءت الهداية للبشر].

٤ **«لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم»** خلق الله كل ذي روح مكبناً على وجهه إلا الإنسان، فقد خلقه مديد القامة يتناول مأكوله بيده، وخلقه عالماً متكلماً مدبراً حكماً [فأمكنه بذلك أن يكون خليفته في الأرض كما أراد الله له].

٥ **«ثم رددناه أسفل سافلين»** أي رددناه إلى أرذل العمر، وهو الهرم والضعف، بعد الشباب والقوة، حتى يصير كالصبي، فيخرف وينقص عقله. والسافلون هم الضعفاء والزمنى والأطفال. والشيخ الكبير أضعف هؤلاء جميعاً. [وقيل المعنى: إن الإنسان الذي خلقه الله في أحسن حال وصورة يُردُّ شراً من كل دابة، وفي حال أسوأ من كل حال، لأنه يرد إلى أسفل الدرجات السافلة، في الدرك الأسفل من النار].

٦ **«إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات»** [فلا يردون أسفل سافلين، بل إلى جنة الله الواسعة في عليين] **«فلهم أجر غير ممنون»** ثواب على طاعتهم دائم غير منقطع.

٧ **«فأيك الذِّكْر بعد الإيمان»** أي إذا عرفت أيها الإنسان أن الله خلقك في أحسن تقويم، وأنه يردك أسفل سافلين، فما يحملك على أن تكذب بالبعث والجزاء؟ وقيل: الخطاب للنبي ﷺ، أي: أتى شيء يجعلك يا محمد مكذباً بعد ظهور هذه الدلائل الناطقة، فاستيقن مع ما جاءك من الله أنه أحكم الحاكمين.

٨ **«أليس الله بأحكم الحاكمين»** قضاء وعدلا [إذ أحسن خلق الإنسان، ثم كبَّ من كفر به في أسفل النار، ورفع من آمن به درجات].

«والزيتون» الذي يعصرون منه الزيت، [وهما كناية عن البلاد المقدسة التي اشتهرت بإنبات التين والزيتون] أقسم بالتين، لأنه فاكهة مخلصنة من شوائب التنغيص. وقال كثير من أهل الطب: إن التين أنفع الفواكه للبدن، وأكثرها غذاء، وأما الزيتون فإنه يعصر منه الزيت الذي هو إدام غالب لبعض أهل البلدان ودهنهم، ويدخل في كثير من الأدوية.

٢ **«وطور سينين»** هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى، وهو طور سيناء.

٣ **«وهذا البلد الأمين»** يعني مكة،

الله يقول (إن مع العسر يسراً. إن مع العسر يسراً).

٧ **«فإذا فرغت فانصب»** أي إذا فرغت من صلاتك، أو من التبليغ، أو من الغزو، فاجتهد في الدعاء واطلب من الله حاجتك، أو: فانصب في العبادة.

٨ **«وإلى ربك فارغب»** أي اجعل رغبتك إلى الله وحده: تضرع إليه راهباً من النار، راغباً في الجنة.

سُورَةُ التِّينِ

١ **«والتين»** هو التين الذي يأكله الناس

سُورَةُ الْعَلَقِ

(٩٦) سُورَةُ الْعَلَقِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا شِعْ عَشِيدَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ
مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ
بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّا إِنَّ
الْإِنْسَانَ لَبِطْفٌ ﴿٦﴾ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَى
رَبِّكَ الرَّجْعَى ﴿٨﴾ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ﴿٩﴾ عَبْدًا
إِذَا صَلَّى ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى ﴿١١﴾
أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٣﴾
أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا

وهي أول ما نزل من القرآن.
١ «أقرأ باسم ربك» أي اقرأ مبتدئا
باسم ربك، وقيل: مستعينا باسم ربك
«الذي خلق» وصف الله تعالى لنا
نفسه بهذا لتذكير النعمة، لأن نعمة الخلق
هي أول النعم، وهي من أعظم النعم.

٢ «خلق الإنسان من علق» يعني بني
آدم، والعلقة الدم الجامد، وإذا جرى
فهو المسفوح [والعلقة هي طور من أطوار
خلق الجنين، فإنه يبدأ نقطة، ثم يتحول
بقدره الله إلى علق، وهي كأنها قطعة
من الدم الجامد. ثم يكون مضغة، وهي
كأنها قطعة لحم، ثم يظهر فيها التخليق].
٣ «أقرأ وربك الأكرم» أي: افعل ما
أمرت به من القراءة؛ وربك الذي أمرك
بالقراءة، هو الأكرم، ومن كرمه أن
يمكنك من القراءة وأنت أمة.

٤ «الذي علم بالقلم» علم الإنسان
الكتابة بالقلم، والقلم نعمة من الله
عز وجل عظيمة، لولا ذلك لم يقيم دين،
ولم يصلح عيش، فأخرج الناس به من
ظلمة الجهل إلى نور العلم، وما دوت
العلوم ولا قُيِّدت الحكم ولا ضبطت
أخبار الأولين ومقالاتهم، ولا كتب الله
المنزلة إلا بالكتابة [ولو أنك تخيلت عالماً
ليس فيه قلم ولا كتابة ولا كتب، لما
أمكنك أن تتخيل إلا عالماً يضرب فيه
الجهل أطنابه، فلا تنتقل فيه علوم
الأولين وتجاربهم وآدابهم وأفكارهم إلى
الآخرين. ولا تنتقل كذلك من قطر إلى
قطر، إلا بقلّة، ومع نقص وتحريف، ثم
تنتهي وتنفى مع الزمن ولا يبقى لها وجود.
أما مع وجود الكتابة فإن العلوم والآداب
تبقى، ثم يبنى عليها، ثم تتزايد إلى ما شاء
الله. فتتسع الحضارات، وتسمو الأفكار،
وتحفظ الأديان، وتنشر الهداية. لا جرم

[ضلال مبین] .

٥ «علم الإنسان ما لم يعلم» أي: علمه
بالقلم من الأمور ما لم يعلم منها.٦ «كلا إن الإنسان ليطغى» يجاوز
الحد ويستكبر على ربه.٧ «أن رآه استغنى» أي: ليطغى إن
رأى نفسه مستغنياً بماله وقوته.٨ «إن إلى ربك الرجعى» أي:
الرجوع لا إلى غيره.٩، ١٠ «أرأيت الذي ينهى عبداً
إذا صلى» الذي ينهى هو أبو جهل،

والمراد بالعبد محمد ﷺ

بدأ الله تعالى دعوة الإسلام بالدعوة إلى
القراءة والكتابة، والحق عليها، وبيان
أنها من آيات الله في خلقه، ومن رحمته
بهم، وبيان أن محمداً ﷺ وهو العربي
الأمي الذي لا يعرف منها شيئاً، جاء
وكانت معجزته قرآناً يتلى، وكتاباً
يكتب، وأنه بذلك سينقل أمته من حال
الأمية الكاملة إلى حال العلم، بجميع
فضائله، كما قال الله تعالى ممتناً بذلك
(هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم
يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم
الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي

١٨ ﴿سَدْعُ الزَّبَانِيَةِ﴾ أي: الملائكة

الغلاظ الشداد، ليأخذوه ويلقوه في نار السعير.

١٩ ﴿كَلَّا لَا تَطْعَمُ﴾ فيما دعاك إليه من

ترك الصلاة ﴿وَاسْجُدْ﴾ أي: صلّ لله غير

مكترث به، ولا مبال بنبيه ﴿وَاقْتَرِبْ﴾

إليه سبحانه بالطاعة والعبادة.

سُورَةُ الْقَدْرِ

١ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ أي

القرآن، أنزل جملة واحدة في ليلة القدر إلى سماء الدنيا، من اللوح المحفوظ، وكان ينزل على النبي ﷺ نجوماً على حسب الحاجة، في ثلاث وعشرين سنة، وليلة القدر من ليالي شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن. واختلفت الأحاديث في تعيينها.

٢ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ سميت

ليلة القدر لأن الله سبحانه بقدر فيها ما شاء من أمره إلى السنة القابلة. وقيل سميت بذلك لعظيم قدرها وشرفها.

٣ ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾

أي: العمل فيها، وهي ليلة واحدة، خير من العمل في ألف شهر.

٤ ﴿تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ

رَبِّهِمْ﴾ تهبط من السماوات إلى الأرض. والروح هو جبريل ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ أي: بكل أمر.

٥ ﴿سَلَامٌ هِيَ﴾ أي: ماهي إلا سلامة

وخير كلها لا شرف فيها. وقال مجاهد: هي ليلة سالمة، لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءاً ولا أذى. وقال الشعبي: هو تسليم الملائكة على أهل المساجد من حين

تغيب الشمس إلى أن يطلع الفجر ﴿حَقِّ

مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ أي: حتى وقت طلوعه،

لا ينقطع تنزلهم فوجاً بعد فوج إلى طلوع الفجر.

بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ

نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَدْعُ الزَّبَانِيَةِ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطْعَمُهُ وَاسْجُدْ

وَاقْتَرِبْ ﴿١٩﴾

(٩٧) سُورَةُ الْقَدْرِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّانَهَا خَمْسُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ

الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنْزِيلُ

الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾

سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾

١١ ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى﴾ يعني

العبد المنهني إذا صلى، وهو محمد ﷺ

١٢ ﴿أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى﴾ أي: بالإخلاص

والتوحيد والعمل الصالح الذي تنق به النار.

١٣ ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّى﴾ يعني أبا

جهل، كذب بما جاء به رسول الله ﷺ وتولى عن الإيمان.

١٤ ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ أي يطلع

على أحواله فيجازيه بها، فكيف اجتراً على ما اجتراً عليه؟

١٥ ﴿كَلَّا لَنْ لَمْ يَنْتَه﴾ أي: والله لئن

لم ينته عما هو عليه ولم ينزجر ﴿لَنْسَفَعَا

بِالنَّاصِيَةِ﴾ أي لناخذن بناصيته، ولنجرته إلى النار. والناصية شعر مقدم الرأس.

١٦ ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ أي: صاحبها كاذب خاطيء مستهتر بفعل

الخطايا، وهي الذنوب.

١٧ ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ أي: أهل ناديه،

والنادي المجلس الذي يجلس فيه القوم،

وجتمع فيه الأهل والعشيرة، أي ليطلبهم

ليعينوه وينصروه، قيل: إن أبا جهل قال

لرسول الله ﷺ: أتهددني وأنا أكثر

أهل الوادي نادياً! فنزلت.

(٩٨) سُورَةُ الْبَيِّنَاتِ
وَأَيُّهَا مَثَلَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ
مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۝ رَسُولٌ مِنْ اللَّهِ
يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً ۝ فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ۝ وَمَا
تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ
الْبَيِّنَةُ ۝ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ
الَّذِينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ
وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا

سُورَةُ الْبَيِّنَاتِ

١ ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ اليهود والنصارى ﴿و﴾ المراد به ﴿المُشْرِكِينَ﴾ مشركو العرب، وهم عبدة الأوثان ﴿مُنْفَكِينَ﴾ مفارقين لكفرهم ولا منتهين عنه ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ البينة كل ما يبين الحق، والمراد هنا القرآن، أو محمد ﷺ ومعنى الآية إخبار الله تعالى عن الكفار أنهم لن ينتهوا عن كفرهم وشركهم بالله [واختلافهم في الدين، إلى أن يرسل الله إليهم ما يبين لهم الحق من الباطل في عقائدهم وأديانهم، ويبين لهم ما ضلوا فيه وابتعدوا عن الصواب لطول الزمان، وبعد العهد بالأنبياء، وتحريف ما بين أيديهم من الكتب السماوية] وتلك البينة هي محمد ﷺ وما جاء به من الكتاب، فقد بين لهم ضلالتهم وجهالتهم ودعاهم إلى الإيمان.

٢ ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ﴾ وهو محمد ﷺ ﴿يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾ يعني أن عمداً ﷺ جاءهم مرسلأ من عند الله سبحانه، يقرأ عليهم ما تتضمنه الصحف من المكتوب فيها وهو القرآن، كان يتلوها عن ظهر قلبه، لا عن كتاب. وهي مطهرة من الكذب والشبهات والكفر [بل فيها الحق الصريح الذي يبين لأهل الكتاب والمُشْرِكِينَ كل ما يشبه عليهم من أمور الدين، فليس في تلك الصحف تحريف ولا لبس، بل هي كلام الله حقاً].

٣ ﴿فِيهَا كُتِبَ قِيَمَةٌ﴾ المراد الآيات والأحكام المكتوبة فيها، والقيمة: المستقيمة المستوية المحكمة [ليس فيها زيغ عن الحق، بل كل ما فيها صلاح ورشاد وهدى وحكمة، كما قال تعالى (الحمد لله

الله، مصداقاً لما معهم.]

ه ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ أي إنما جاءهم القرآن من عند الله ليلتزموا بعبادة الله، وتكون عبادتهم خالصة لا يشركون به شيئاً، وليجعلوا أنفسهم خالصة له في الدين ﴿حُنَفَاءَ﴾ مائلين عن الأديان كلها إلى دين الإسلام ﴿وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾ أي: يفعلوا الصلوات على الوجه الذي يريده الله، في أوقاتها، ويعطوا الزكاة عند محلها [أي وهذا الذي أمروا به يقتضي التوحيد والاتفاق، لا الشقاق

الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً. قِيماً لينذر... ومن اتبعها كان على صراط الله المستقيم].

ه ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ﴾ أي إن تفرقهم واختلافهم لم يكن لاشتباه الأمر، بل كان بعد وضوح الحق، وظهور الصواب، ثم بعث الله محمداً، فلما بعث تفرقوا في أمره واختلفوا، فأمن به بعضهم وكفر آخرون [وكان عليهم أن يكونوا على طريقة واحدة، من اتباع دين الله، ومتابعة الرسول الذي جاءهم من عند

لنعيمهم **«رضي الله عنهم ورضوا عنه»** رضوانه عنهم لأنهم أطاعوا أمره، وقبلوا شرائعه، ورضاهم عنه حيث بلغوا من المطالب ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر **«ذلك لمن خشي ربه»** أي: ذلك الجزاء والرضوان لمن وقعت منه الخشية لله سبحانه في الدنيا، وانتهى عن معاصيه بسبب تلك الخشية.

سورة الزلزلة

١ **«إذا زلزلت الأرض زلزالها»** أي: إذا حركت حركة شديدة فإنها تضطرب حتى يتكسر كل شيء عليها.

٢ **«وأخرجت الأرض أنقلاها»** ما في جوفها من الأموات والدفائن [وما عُمل عليها] أخرج مسلم والترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة، فيجيء القتاتل فيقول: في هذا قتلْتُ، ويجيء القاطع فيقول: في هذا قطعت رجلي، ويجيء السارق فيقول: في هذا قُطعت يدي، ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئا». أما الأموات فإن الأرض تخرجهم في النفخة الثانية.

٣ **«وقال الإنسان ماها»** أي: قال كل فرد من أفراد الإنسان لما يدهمه من أمرها ويهره من خطبها: لأي شيء زلزلت وأخرجت أنقلاها؟

٤ **«يومئذ تحدث أخبارها»** تخبر بأخبارها، وتحدث بما عمل عليها من خير وشر، ينطقها الله سبحانه لتشهد على العباد.

٥ **«بأن ربك أوحى لها»** تحدث أخبارها بوحى الله وإذنه لها بأن تتحدث وتشهد.

حسدا وبغيا، ولذلك سيكونون شر الخليقة مصيرا].

٧ **«إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية»** أفضل الخلق حالا ومآلا.

٨ **«جزاءهم عند ربهم»** بمقابلة ما وقع منهم من الإيمان والعمل الصالح **«جنات عدن تجري من تحتها الأنهار»** أي من تحت أشجارها وغرفها **«خالدين فيها أبدا»** لا يخرجون منها، ولا يرحلون عنها، ولا يموتون، بل هم دائمون في نعيمها، مستمرّون في لذاتها أبد الآبدين، لا نهاية

والافتراق، فإن محمدا ﷺ جاء بمثل ما أمر به الرسل من ذلك **«وذلك دين القيمة»** أي: [إن ذلك الدين، وهو إخلاص العبادة لله، وترك كل ما يُعبد من دونه، وأداء الصلوات لله في أوقاتها، وبذل الزكاة للمحتاجين، من عباد الله، هذا هو] دين الملة المستقيمة.

٦ **«إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم»** يصيرون إليها **«خالدين فيها»** لا يخرجون منها ولا يموتون فيها **«أولئك هم شر البرية»** [أي شر الخليقة حالا، لأنهم تركوا الحق

أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾

(٩٩) سورة الزلزلة مدنية وآياتها مكيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَنْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا هَآءَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ

يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ
شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾

(١٠٠) سُورَةُ الْعَادِيَّاتِ مَكِينَةٌ وَأَيَّانَهَا اخَذَى عَشِيرَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَادِيَّاتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَالْمُورِيَّاتِ قَدْحًا ﴿٢﴾
فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ
بِهِ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُ
عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾
* أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ

٦ ﴿يومئذ يصدر الناس أشتاتا﴾ يصدر
الناس من قبورهم إلى موقف الحساب
مختلفي الأحوال: فبعضهم آمن، وبعضهم
خائف؛ وبعضهم بلون أهل الجنة، وهو
البياض؛ وبعضهم بلون أهل النار، وهو
السود؛ وبعضهم ينصرف إلى جهة
اليمن، وبعضهم إلى جهة الشمال، مع
تفرقهم في الأديان. واختلافهم في
الأعمال ﴿ليروا أعمالهم﴾ أي: ليرى
الله أعمالهم معروضة عليهم، وقيل: ليروا
جزاء أعمالهم.

٧ ﴿فمن يعمل﴾ في الدنيا ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ
خيرًا يره﴾ يوم القيامة في كتابه فيفرح به
[أو يراه بعينه معروضا عليه].

٨ ﴿و﴾ كذلك ﴿من يعمل﴾ في الدنيا
﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يره﴾ يوم القيامة
فيسوؤه [وقد يغفر الله] والذر ما يرى في
شعاع الشمس من الهباء. وأخرج ابن
جرير وابن أبي حاتم قال أبو بكر: يا
رسول الله إني لراي ما عملت من مثقال
ذرة من شر؟ فقال يا أبا بكر: «أرايت
ما ترى في الدنيا مما تكره؟ فبمِثاقيل ذر
الشر، ويدخر لك مِثاقيل ذر الخير حتى
توفاه يوم القيامة وأخرج البخاري ومسلم
عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:
«الخيول لثلاثة: لرجل أجر، ولرجل ستر،
وعلى رجل وزر» الحديث وفيه: قال:
وسئل عن الحمير، فقال ما أنزل علي فيها
إلا هذه الآية الجامعة الفاذة (فمن يعمل
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يره. ومن يعمل مِثْقَالَ
ذرة شرا يره).

سُورَةُ الْعَادِيَّاتِ

١ ﴿والعاديات﴾ المراد بها الخيل التي
تجنري وتعدو بفرسانها المجاهدين في سبيل
الله إلى العدو من الكفار المشاقين لله

ورسوله. وقيل: هي الإبل تعدو بالحجيج

من عرفة إلى المزدلفة فيجتمعون فيها جمعا.

والقول الأول أصح ﴿ضبحا﴾ الضبح:

نوع من السير، ونوع من القُدو، يقال:

ضَبَحَ الفرس إذا عدا بشدة. وقال

الفراء: الضبح صوت أنفاس الخيل إذا

عدت.

٢ ﴿فالموريات قدحا﴾ هي الخيل حين

توري النار فيخرج الشرر بخوافرها [إذا

ضربت بها الأرض الشديدة والحجارة]

كالقدح بالزناد.

٣ ﴿فالمغيرات صبحا﴾ أي: التي تغير

نفسه بالجد والكفران، لظهور أثره عليه.

على العدو وقت الصباح.

٤ ﴿فأثرن به نقعا﴾ النقع الغبار الذي

أثرنه في وجه العدو عند الغزو، أي:

فأظهروا به غبارا.

٥ ﴿فوسطن به جمعا﴾ صرن بقُدوهن

وسط الأعداء [قد اجتمعن بذلك المكان

جمعا].

٦ ﴿إن الإنسان لربه كنود﴾ الكنود

الكفور للنعمة، كثير الجحد لها.

٧ ﴿وإنه على ذلك لشهيد﴾ أي: وإن

الإنسان على كنوده لشهيد يشهد على

نفسه بالجد والكفران، لظهور أثره عليه.



مَا فِي الصُّدُورِ ۝ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ خَبِيرٌ ۝

(١٠) سُورَةُ الْقَارِعَةِ كَثِيرٌ
وَأَيَّانَهَا إِحْدَى عَشْرَةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَارِعَةُ ۝^١ مَا الْقَارِعَةُ ۝^٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ۝^٣
يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ۝^٤ وَتَكُونُ
الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ۝^٥ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ
مَوَازِينُهُ ۝^٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ۝^٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ
مَوَازِينُهُ ۝^٨ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ۝^٩ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ۝^{١٠}
نَارٌ حَامِيَةٌ ۝^{١١}

هو لها ومزيد فظاعتها، والمعنى: وأي شيء أعلمك ما شأن القارعة؟

٤ «يوم يكون الناس كالفراش

المبثوث» الفراش: هو الحشرة الطائرة المعروفة، وقيل يدخل فيه جميع الحشرات الطائرة، كالبعوض والجراد، والمراد بالمبثوث المتفرق المنتشر [وهذا تشبيه لحال الناس عند خروجهم من القبور يسرون على غير هدى في كل اتجاه لشدة الهول حتى يحشروا إلى الموقف].

٥ «وتكون الجبال كالعهن المنفوش»

أي كالصوف الملون بالألوان المختلفة الذي يُفَش بالندف. وهذا لأنها تتفتت وتطير، كما في قوله (وإذا الجبال سيرت) وقوله (وكانت الجبال كثيبا مهيلا).

٦ ثم ذكر سبحانه أحوال الناس وتفرقهم فريقين على جهة الإجمال، فقال **«فأما من ثقلت موازينه»** وهي أعماله الصالحة. والمراد أنها ثقلت حتى رجحت بسيئاته.

٧ **«فهو في عيشة راضية»** أي مرضية يرضاها صاحبها. والعيشة كلمة تجمع النعم التي في الجنة.

٨ «وأما من خفت موازينه» أي

رجحت سيئاته على حسناته، أو لم تكن له حسنات يعتد بها،

٩ **«فأمه هاوية»** أي فسكنه جهنم، وسماها أمه، لأنه يأوي إليها كما يأوي الطفل إلى أمه، وسميت هاوية، لأنه يهوي فيها مع بعد قعرها.

١٠ **«وما أدراك ما هي»** هذا الاستفهام للتوبيخ والتفطير ببيان أنها خارجة عن المجهود بحيث لا يدري كنهها.

١١ **«نار حامية»** أي قد انتهى حرها وبلغ في الشدة إلى الغاية.

٨ **«وانه لحب الخير لشديد»** المعنى أنه لحب المال قوي، مجد في طلبه وتحصيله، متهاك عليه.

٩ **«أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور»** أي: نثر ما في القبور من الموتى، ويبحث عنهم وأخرجوا.

١٠ **«وحصل ما في الصدور»** أي: مُبَيَّن ما فيها من الخير والشر.

١١ **«إن ربهم بهم يومئذ لخبير»** أي: إن رب المبعوثين بهم لخبير لا تخفى عليه منهم خافية في ذلك اليوم وفي غيره، ولكن يجازيهم في ذلك اليوم [أي فإذا علموا ذلك فلا ينبغي أن يشغلهم حب المال عن شكر ربهم، وعبادته، والعمل ليوم النشور.

سُورَةُ الْقَارِعَةِ

١ **«القارعة»** من أساء القيامة، لأنها تقرر القلوب بالفزع، أو تقرر أعداء الله بالعذاب.

٢ **«ما القارعة»** للتعظيم والتفخيم لشأنها، أي: أي شيء هي؟

٣ **«وما أدراك ما القارعة»** تأكيد لشدة

٨ **«وانه لحب الخير لشديد»** المعنى أنه لحب المال قوي، مجد في طلبه وتحصيله، متهاك عليه.

٩ **«أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور»** أي: نثر ما في القبور من الموتى، ويبحث عنهم وأخرجوا.

١٠ **«وحصل ما في الصدور»** أي: مُبَيَّن ما فيها من الخير والشر.

١١ **«إن ربهم بهم يومئذ لخبير»** أي: إن رب المبعوثين بهم لخبير لا تخفى عليه منهم خافية في ذلك اليوم وفي غيره، ولكن يجازيهم في ذلك اليوم [أي فإذا علموا ذلك فلا ينبغي أن يشغلهم حب المال عن شكر ربهم، وعبادته، والعمل ليوم النشور.

سورة التكاثر

أخرج مسلم والترمذي والنسائي عن عبدالله بن الشخير قال «انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يقرأ أهاكم التكاثر، وفي لفظ: وقد أنزلت عليه أهاكم التكاثر، وهو يقول: يقول ابن آدم: مالي مالي. وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفريت».

١ «أهاكم التكاثر» أي شغلكم التكاثر بالأموال والأولاد، والتفاخر بكثرتها، والتغالب فيها، والاستكثار من تحصيلها، عن طاعة الله والعمل للآخرة.

٢ «حتى زرتم المقابر» أي حتى أدرككم الموت وأنتم على تلك الحال.

٣ «كلا سوف تعلمون» زجر لهم عن التكاثر، وتنبيه على أنهم سيعلمون عاقبة ذلك يوم القيامة.

٤ «ثم كلا سوف تعلمون» هذا التكرار على وجه التخليط والتأكيد.

٥ «كلا لو تعلمون علم اليقين» أي لو تعلمون الأمر الذي أنتم صائرون إليه علما يقينا، كعلمكم ما هو متيقن عندكم في الدنيا، لشغلكم ذلك عن التكاثر والتفاخر، ولما أهاكم عن ذلك الأمر العظيم.

٦ «لترون الجحيم» في الآخرة.

٧ «ثم لترونها عين اليقين» أي ثم لترون الجحيم الرؤية التي هي نفس اليقين، وهي المشاهدة والرؤية بأعينكم. وقيل هو إخبار عن دوام بقائهم في النار، أي هي رؤية دائمة متصلة.

٨ «ثم لتسألن يومئذ عن النعم» أي عن نعم الدنيا الذي أهاكم عن العمل للآخرة: وقيل هو السؤال عن الأمن، والصحة، والفراغ، وملأ المأكول والمشروب، وعن بارد الشراب، وظلال المساكن، وغير ذلك من النعم. أخرج

(١٠٢) سورة التكاثر مكية
وآياتها ثلاث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْهَنَكُ التَّكَاثُرُ ١ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ٧ ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ٨

(١٠٣) سورة العصر مكية
وآياتها ثلاث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَصْرِ ١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُ خَسِرٍ ٢ إِلَّا الَّذِينَ

ابن أبي شيبه وأحمد عن محمود بن لبيد قال «لما نزلت (أهاكم التكاثر) فقرأها النبي ﷺ حتى بلغ (ثم لتسألن يومئذ عن النعم) قالوا يا رسول الله: أي نعم نسأل عنه؟ وإنما هما الأسودان: الماء والتمر، وسيوفنا على رقابنا، والعدو حاضر، فعن أي نعم نسأل؟ قال: أما إن ذلك سيكون» وأخرج مسلم وأهل السنن عن أبي هريرة، قال «خرج النبي ﷺ فإذا هو بأبي بكر وعمر، فقال ما أخرجكما من بيوتكما الساعة؟ قالا: الجوع يا رسول الله، قال: والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما، فقوما. فقاما معه، فأق رجا من الأنصار، فإذا هو ليس في بيته. فلما رآته المرأة قالت: مرحبا، فقال النبي ﷺ أين فلان؟ قالت: انطلق يستعذب لنا الماء، إذ جاء الأنصاري، فنظر إلى النبي ﷺ وصاحبيه، فقال: الحمد لله، ما أحد اليوم أكرم أضيافا مني، فانطلق فجاء بعذق فيه بسر وتمر. فقال: كلوا من هذا. وأخذ المدي، فقال له رسول الله ﷺ إياك والحلوب. فذبح لهم، فأكلوا من الشاة، ومن ذلك العذق، وشربوا، فلما شبعوا ورووا قال

ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا

بِالصَّبْرِ ﴿٢﴾

(١٠٤) سُورَةُ الْهُمَزَةِ مَكِينَةً
وَأَيَّانَهَا نَسَّعَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيَلِّ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ الَّذِي جَمَعَ مَا لَا وَعَدَدُهُ ﴿٢﴾

يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾

وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ ﴿٦﴾

الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ﴿٨﴾

فِي عَمْدٍ مُّدَدَةٍ ﴿٩﴾

ومؤمننة **«وتواصوا بالحق»** أي وصى بعضهم بعضا بالحق الذي يحق القيام به، وهو الإيمان بالله والتوحيد، والقيام بما شرعه الله، واجتناب ما نهى عنه **«وتواصوا بالصبر»** عن معاصي الله سبحانه، والصبر على فرائضه، [والصبر على أقداره المؤلمة]. والصبر من خصال الحق، نص عليه بعد النص على خصال التواصي بالحق، ولمزيد شرفه عليها، وارتفاع طبقته عنها [ولأن كثيرا ممن يقوم بالحق يعادى، فيحتاج إلى الصبر].

سُورَةُ الْهُمَزَةِ

١ **«وَيَلِّ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ»** أي خزي أو عذاب أو هلكة للهمزة، وهو الذي يفتاب الرجل في وجهه، واللمزة الذي يغتابه من خلفه. وقيل الهمزة الذي يؤدي جلساءه بسوء اللفظ، واللمزة الذي يكسر عينه على جلسيه، ويشير بيده أو برأسه أو بحاجبه.

٢ **«الَّذِي جَمَعَ مَا لَا وَعَدَدَهُ»** بيان لسبب همزه ولمزه، وهو إعجابه بما جمع من المال، وظنه أن له به الفضل، فلأجل ذلك يستقصر غيره.

٣ **«يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ»** أي يظن أن ماله يتركه حيا مخلدا لا يموت، لشدة إعجابه بما يجمعه من المال، فلا يعود يفكر بما بعد الموت. وقيل هو تعريض بالعمل الصالح، وأنه الذي يخلد صاحبه في الحياة الأبدية، لا المال.

٤ **«كَلَّا»** أي ليس الأمر على ما يحسبه بل **«لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ»** أي ليطرحن هو وماله في النار التي تهشم كل ما يلقى فيها وتحطمه.

٥ **«وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ»** أي أي شيء هي، كأنها ليست مما تدركه العقول.

٦ **«نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ»** أي هي نار الله

٢ **«إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خَسْرٍ»** الخسر والخسران النقصان وذهاب رأس المال، والمعنى أن كل إنسان في المتاجر والمساعي وصرف الأعمار في أعمال الدنيا لفي نقص وضلال عن الحق حتى يموت، ولا يستثنى من ذلك أحد إلا ما يذكر في قوله تعالى:

٣ **«إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ»** أي جمعوا بين الإيمان بالله والعمل الصالح، فإنهم في ربح، لافي خسر، لأنهم عملوا للآخرة، ولم تشغلهم أعمال الدنيا عنها، وهم كل مؤمن

رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة».

سُورَةُ الْعَصْرِ

١ **«وَالْعَصْرِ»** أقسم سبحانه بالعصر، وهو الدهر، لما فيه من العبر من جهة مرور الليل والنهار على التقدير، وتعاقب الظلام والضياء، وما في ذلك من استقامة الحياة ومصالح الأحياء، فإن في ذلك دلالة بينة على الصانع عز وجل وعلى توحيده. وقال مقاتل: المراد بالعصر صلاة العصر.

(١٠٥) سُورَةُ الْفِيلِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّانَهَا خَمْسُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝
أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ
فِي تَضْلِيلٍ ۝ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝
تَرْمِيهِمْ
بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ۝ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ۝

(١٠٦) سُورَةُ قُرَيْشٍ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّانَهَا ثَمَانُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا يَلْفُ قُرَيْشٍ ۝ إِذْ لَفِيهِمْ رِحْلَةَ الْشَتَاءِ

الموقدة بأمر الله سبحانه.

٧ «التي تطلع على الأفئدة» أي يخلص
حرّها إلى القلوب فيعلوها ويغشاها،
وخصّ الأفئدة مع كونها تغشى جميع
أبدانهم، لأنها محلّ [تلك المقاصد الزائغة،
والنيات الخبيثة، وسيء الأخلاق، من
الكبر، واحتقار أهل الفضل].

٨ «إنها عليهم مؤصدة» أي مطبقة
مغلقة عليهم أبوابها جميعاً، فلا يستطيعون
الخروج منها.

٩ «في عمد ممددة» أي كائنين في عمد
ممددة مؤثّقين. وقال مقاتل: أطبقت
الأبواب عليهم ثم شدّت بأوتاد من
حديد، فلا يفتح عليهم باب، ولا يدخل
عليهم رَوْح.

سُورَةُ الْفِيلِ

١ «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ

الْفِيلِ» هم الذين قصدوا تخريب
الكعبة، وهم من أهل الحبشة. أي قد
علمت يا محمد، والناس في عصرك ومن
بعدهم، بقصة أصحاب الفيل وما فعل
الله بهم، فآلقومك بالله لا يؤمنون؟
[وأصحاب الفيل قوم من النصارى من
الأحباش، ملكوا اليمن، ثم ساروا منه
يريدون تخريب الكعبة، فلما أقبلوا على
مكة أرسل الله عليهم الطير المذكورة في
هذه السورة فأهلكتهم. وكان ذلك آية،
وقد وقع ذلك قبل بعثة النبي ﷺ
بأربعين عاماً. وكان بعض الذين شهدوا
ذلك أحياء عند البعثة].

٢ «أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ» أي
ألم يجعل الله تعالى مكرهم وسعيهم في
تخريب الكعبة، واستباحة أهلها، في
تضليل عما قصدوا إليه، حتى لم يصلوا إلى
البيت، ولا إلى ما أرادوه بكيدهم، بل

أهلكهم الله تعالى، كما يذكره في هذه
السورة [أي فإذا علم قومك هذا الأمر فما
لهم لا يخافون أن ينزل الله بهم عقوبته،
وهم يكفرون برسوله وكتابه، ويصدون
الناس عن الإيمان؟]
٣ «وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ» جماعات
متفرقة. وهي طير سود جاءت من قبل
البحر فوجاً فوجاً، مع كل طائر ثلاثة
أحجار: حجران في رجله، وحجر في
منقاره، لا يصيب شيئاً إلا هشمه.

٤ «تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ» قالوا:
هي حجارة من طين طبخت بنار جهنم
١ «لَا يَلْفُ قُرَيْشٍ» قالوا:
هي حجارة من طين طبخت بنار جهنم

سُورَةُ قُرَيْشٍ

وتسمى سورة الإيلاف .

١ «لَا يَلْفُ قُرَيْشٍ» الإيلاف: أن

من خوف كانت العرب يغير بعضها على بعض ويسبي بعضها بعضا، فأيتت قريش من ذلك لمكان الحرم. وقد آمنهم من خوف الحبشة مع الفيل.

سُورَةُ الْمَاعُونِ

ويقال: سورة الدين.

١ **«أرايت الذي يكذب بالدين»** أي أبصرت المكذب بالحساب والجزاء؟

٢ **«فذلك الذي يدع اليتيم»** أي: فإن تأملت، أو طلبته، فهو ذلك الذي يدفع اليتيم عن حقه دفعا شديدا. وقد كان عرب الجاهلية لا يورثون النساء والصبيان.

٣ **«ولا يحض على طعام المسكين»** أي: لا يحض نفسه ولا أهله ولا غيرهم على ذلك، بخلا بالمال.

٤ **«فويل للصلين»** يومئذ **«للمصلين»**.

٥ **«الذين هم عن صلاتهم ساهون»** ساهون: أي غافلون عنها غير مباليين بها، لا يرجون بصلاتهم ثوبا إن صلوا، ولا يخافون عليها عقابا إن تركوا، فهم عنها غافلون حتى يذهب وقتها، وإذا كانوا مع المؤمنين صلوا رياء، وإذا لم يكونوا معهم لم يصلوا.

٦ **«الذين هم براءون»** أي: يراءون الناس بصلاتهم إن صلوا، أو يراءون الناس بكل ما عملوه من أعمال البر ليشوا عليهم.

٧ **«ويعنعون الماعون»** الماعون اسم لما يتعاوره الناس بينهم، من الدلو والفأس والقدر، وما لا يمنع، كالماء والملح. وقيل الماعون هو الزكاة: أي يمنعون زكاة أموالهم.

وَالصَّيْفِ ۝ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ۝

(١٠٧) سُورَةُ الْمَاعُونِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّانَهَا سَبَّحَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْدينِ ۝ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ۝ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۝ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ۝ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ۝

ولولا هاتان الرحلتان لم يمكن بها مقام، ولولا الأمن — بجوارهم للبيت — لم يقدروا على التصرف.

٣ **«فليعبدوا رب هذا البيت»** أي: إن لم يعبدوه لسائر نعمه، فليعبدوه لهذه النعمة الخاصة المذكورة، والبيت الكعبة، وعرفهم سبحانه بأنه رب هذا البيت لأنها كانت لهم أوثان يعبدونها، فيز نفسه عنها. وبالبيت تشرفوا على سائر العرب.

٤ **«الذي أطعمهم من جوع»** أي: أطعمهم بسبب هاتين الرحلتين فخلصهم من جوع شديد كانوا فيه قبلها **«وآمنهم»**

قريشا [وهم قبيلة النبي محمد ﷺ] كانت تخرج في تجارتها في الجاهلية، فلا يُفار عليها لأن العرب يقولون: قريش أهل بيت الله عز وجل، فأمرهم الله أن يعبدوه لأجل إيلافهم الرحلتين [فإن الله آلفهم الرحلتين أي جعلهم يآلفونها ويسرها لهم].

٢ **«إيلافهم رحلة الشتاء والصيف»** وكانت إحدى الرحلتين إلى اليمن في الشتاء، لأنها بلاد حارة، والرحلة الأخرى إلى الشام في الصيف، لأنها بلاد باردة، وكانت قريش تعيش بالتجارة،

سُورَةُ الْكَوْثَرِ

(١٠٨) سُورَةُ الْكَوْثَرِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّانَهَا ثَلَاثُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ ❶ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ❷
إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ❸(١٠٩) سُورَةُ الْكَافِرُونَ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّانَهَا سِتُّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ يَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ ❶ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ❷
وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ❸ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ❹
وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ❺ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ❻

١ «إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ» الكوثر نهر في الجنة جعله الله كرامة لرسول الله ﷺ ولأمته. أخرج أحد ومسلم من حديث أنس أن النبي ﷺ قال: «هل تدرون ما الكوثر؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: هو نهر أعطانيه ربي في الجنة، عليه خير كثير، ترد عليه أمتي يوم القيامة، آتيته كعدد الكواكب، يُخْتَلَجُ العبد منهم، فأقول: يا رب إنه من أمتي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدث بعدك» والكوثر في اللغة: الخير الكثير البالغ في الكثرة إلى الغاية. وقيل الكوثر القرآن، وقيل: هو كثرة الأصحاب والأمة.

٢ «فصل لربك» المأمور به إقامة الصلوات المفروضة «وأنحر» كان ناس يصلون لغير الله، وينحرون لغير الله، فأمر الله نبيه ﷺ أن تكون صلاته ونحره له. وقال قتادة وعطاء وعكرمة: المراد صلاة العيد ونحر الأضحية.

٣ «إن شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ» أي: إن مبغضك هو المنقطع عن خيري الدنيا والآخرة، أو الذي لا يبقى ذكره بعد موته، والأبتر من الرجال الذي لا ولد له. لما مات ابنُ رسول الله ﷺ قال أحد المشركين: إنه أبتر. فنزلت السورة.

سُورَةُ الْكَافِرُونَ

ثبت أن رسول الله ﷺ قرأ بهذه السورة، وبقل هو الله أحد، في ركعتي الطواف، وفي ركعتي الفجر، والركعتين بعد المغرب، وأوتر بسبح، وقل يا أيها الكافرون، وقل هو الله أحد.

١، ٢ «قل يا أيها الكافرون» سبب نزول هذه السورة أن الكفار سألوا رسول الله ﷺ أن يعبد آلهتهم سنة، ويعبدوا

إلهه سنة، فأمره الله سبحانه أن يقول لهم «لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ» أي: لا أفعل ما تطلبون مني من عبادة ما تعبدون من الأصنام، أي: لست الآن أعبد آلهتكم. ٣ «وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ» أي: ولستم أنتم ما دتم على شرككم وكفركم عابدين الله الذي أعبدته. ٤ «وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ» أي في مستقبل أيامي وما يأتي من عمري لن أعبد شيئاً من آلهتكم التي تعبدونها. ٥ «وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ» أي لن تعبدوا الله في مستقبل أيامكم ما دتم على كفركم وعبادتكم للأصنام. [فإن عبادة الكافر بالله والمشارك به مرفوضة لا يعتد بها]، وقيل في الآيات تكرار، والغرض التأكيد، لقطع أطماع الكفار عن أن يجيبهم رسول الله ﷺ إلى ما سألوه من عبادته آلهتهم. ٦ «لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ» أي: إن رضيتم بدينكم فقد رضيت بديني، وإن دينكم الذي هو الإشراك، لكم لا يتجاوزكم إليّ، وديني الذي هو التوحيد مقصور عليّ لا يتجاوزني إلى الحصول لكم.

تدخل بأسرها في الإسلام.

٣ ﴿فسبح بحمد ربك﴾ فيه الجمع بين تسبيح الله، المؤذن بالتعجب مما يشهده الله له مما لم يكن يخطر بباله ولا بال أحد من الناس، وبين الحمد له على جميل صنعه له وعظيم منته عليه بالنصر والفتح لأم القرى ﴿واستغفره﴾ أي: اطلب منه المغفرة لذنبك تواضعاً لله، واستقصاراً لعملك ﴿إنه كان تواباً﴾ أي: من شأنه التوبة على المستغفرين له، يتوب عليهم ويرحمهم بقبول توبتهم. أخرج البخاري وغيره عن ابن عباس قال «كان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يُدخلني مع أشياخ بدر، فكان بعضهم وَجَدَ في نفسه، فدعاهم ذات يوم، فأدخله معهم. قال ابن عباس: فما رأيت أنه دعاني فيهم يومئذ إلا ليرهم، فقال: ما تقولون في قول الله عز وجل (إذا جاء نصر الله والفتح)؟ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرتنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً، فقال لي: أكذلك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا. فقال: ما تقول؟ فقلت هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه الله له: قال (إذا جاء نصر الله والفتح) فذلك علامة أجلك (فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً) فقال عمر: لا أعلم منها إلا ما تقول..»

سورة المسد

١ ﴿تبت يدا أبي لهب﴾ أي: هلكت يده وخسرت وخابت ﴿وتب﴾ أي: وهلك هو، أي: قد وقع ما دعا به عليه. وأبو لهب عم النبي ﷺ واسمه عبدالمزى.

٢ ﴿ما أغنى عنه ماله وما كسب﴾ أي: لم يدفع عنه ما جمع من المال، ولا ما كسب من الأرباح والجاه، ما حلّ به من التباب، وما نزل به من عذاب الله.

(١١٠) سورة النصر قد نزلت وآياتها ثلاث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾

(١١١) سورة المسد مكية وآياتها خمس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا

[وفتح قلوبهم لقبول الحق]

٢ ﴿ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا﴾ أي: أبصرت الناس، من العرب وغيرهم، يدخلون في دين الله الذي بعثك به، جماعات فوجاً بعد فوج، فإنه لما فتح رسول الله ﷺ مكة قال العرب: أما إذ ظفر محمد بأهل الحرم، وقد أجارهم الله من أصحاب الفيل، فإنه على الحق، وليس لكم عليه قدرة، فكانوا يدخلون في الإسلام جماعات كثيرة، بعد أن كانوا يدخلون واحداً واحداً، واثنين اثنين، فصارت القبيلة

سورة النصر

وتسمى أيضاً سورة التوديع.

أخرج أحمد وابن جرير عن ابن عباس قال: لما نزلت (إذا جاء نصر الله والفتح) قال رسول الله ﷺ «نُعِيَتْ إِلَيَّ نَفْسِي».

١ ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ أي: إذا جاءك يا محمد نصر الله على من عاداك، وهم قريش، وفتح عليك مكة. والنصر هو التأييد الذي يكون به قهر الأعداء وغلبهم والاستعلاء عليهم، والفتح هو فتح مساكن الأعداء ودخول منازلهم

كَسَبَ ② سَيَّصَلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ③ وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ
الْحَطَبِ ④ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ⑤

(١١٢) سُورَةُ الْإِخْلَاصِ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا زَنْبِئُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ① اللَّهُ الصَّمَدُ ② لَمْ يَلِدْ وَلَمْ
يُولَدْ ③ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ④

(١١٣) سُورَةُ الْفَلَقِ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا خَمْسُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ① مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ② وَمِنْ شَرِّ

٣ «سَيَّصَلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ» أي: سوف يعذب في النار الملتهبة، تحرق جلده، وهي ذات اشتعال وتوقد، وهي نار جهنم.

٤ «وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ» أي: وتصلى امرأته نارا ذات لهب، وهي أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان، وكانت تحمل الغصن والشوك فتطرحه بالليل على طريق النبي ﷺ

٥ «فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ» والمسد الليف الذي تقتل منه الحبال: كانت لها قلادة فاخرة من جوهر، فقالت: واللوات والعزى لأنفقته في عداوة محمد، فيكون ذلك عذابا في جسدها يوم القيامة.

سُورَةُ الْإِخْلَاصِ

أخرج أحمد والبخاري وغيرهما من حديث أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه «أبجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟ فشق ذلك عليهم، وقالوا: أينما يطيق ذلك؟ فقال: قل هو الله أحد ثلث القرآن».

١ «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» قال المشركون: يا محمد انسب لنا ربك، أي اذكر لنا نسبه. فنزلت هذه السورة. فالمعنى: إن سألتهم تبين نسبته فهو الله أحد، أي: واحد لا شريك له.

٢ «اللَّهُ الصَّمَدُ» الصمد هو الذي يُصَمَّدُ إليه في الحاجات: أي يُصَمَّدُ لكونه قادرا على قضائها. عن ابن عباس قال: الصمد السيد الذي قد كمل في سؤده، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والغني الذي قد كمل في غناه، والجبار الذي قد كمل في جبروته، والعالم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكيمته، وهو الله سبحانه، هذه صفة لا

تنبغي إلا له (ليس له كفو) وقال ابن الله، فأكذبهم الله، فقال (لم يلد ولم

الزجاج: الصمد السيد الذي انتهى إليه السؤدد، فلا سيد فوقه.

٤ «وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ» لا يساويه أحد، ولا يماثله، ولا يشاركه في شيء.

سُورَةُ الْفَلَقِ

أخرج الترمذي وحسنه والبيهقي عن أبي سعيد الخدري، قال «كان رسول الله ﷺ يتعوذ من عين الجان ومن عين الإنس، فلما نزلت سورتا المعوذتين أخذ بها وترك ما سوى ذلك». وأخرج مالك في الموطأ عن عائشة «أن رسول الله ﷺ كان إذا

تنبغي إلا له (ليس له كفو) وقال ابن الله، فأكذبهم الله، فقال (لم يلد ولم الزجاج: الصمد السيد الذي انتهى إليه السؤدد، فلا سيد فوقه.

٣ «لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ» أي لم يصدر عنه ولد، ولم يصدر هو عن شيء، لأنه لا يجانسه شيء، ولا استحالة نسبة العدم إليه سابقا. ولاحقا [فإن المولود كان معدوما قبل أن يولد]، أي فليس لله تعالى أب حتى ينسب إليه، وليس له أولاد فينسبون إليه. قال قتادة: إن مشركي العرب قالوا: الملائكة بنات الله، وقالت اليهود: عزيز ابن الله. وقالت النصارى: المسيح

حين يسحرن بها.

٥ «ومن شر حاسد إذا حسد» الحسد
تمني زوال النعمة التي أنعم الله بها على
المحسود.

سورة الناس

١ «قل أعوذ برب الناس» رب الناس
هو الله خالقهم ومدبر أمرهم ومصلح
أحوالهم.

٢ «ملك الناس» له الملك الكامل،
والسلطان القاهر.

٣ «إله الناس» أي معبودهم، فإن
الملك قد يكون إلهًا، وقد لا يكون، فبين
أن اسم الإله خاص به لا يشاركه فيه
أحد.

٤ «من شر الوسواس» الوسواس هو
الشیطان، أي: ذي الوسوسة «الخناس»
كثير الخنس، وهو التأخر، إذا ذكر الله
خنس الشيطان وانقبض، وإذا لم يذكر
الله انبسط على القلب.

٥ «الذي يوسوس في صدور الناس»
وسوسته هي الدعاء إلى طاعته بكلام
خفي يصل إلى القلب من غير سماع
صوت. ثم بين سبحانه الذي يوسوس بأنه
ضربان: جني وإنسي، فقال:

٦ «من الجنة والناس» أما شيطان الجن
فيوسوس في صدور الناس كما تقدم، وأما
شيطان الإنس فوسوسته في صدور الناس
أنه يُري نفسه كالناصح المشفق، فيوقع
في الصدر من كلامه الذي أخرجه مخرج
النصيحة ما يوقع الشيطان الجني فيه
بوسوسته. وقيل: إن إبليس يوسوس في
صدور الجن كما يوسوس في صدور
الإنس، عن ابن عباس قال «ما من
مولود يولد إلا على قلبه الوسواس، فإذا
ذكر الله خنس، وإذا غفل وسوس»
نعوذ بالله تعالى من كيده ووسوسته.

غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ① وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ②
وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ③

(١١٤) سُوْرَةُ النَّاسِ مَكِّيَّةٌ
وَلَا يَأْتِيهَا شَيْءٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ① مَلِكِ النَّاسِ ②
إِلَهِ النَّاسِ ③ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ④
الَّذِي يُوسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ⑤ مِنْ الْجَنَّةِ
وَالنَّاسِ ⑥

اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذتين
وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ
عليه، وأمسح بيده عليه، وجاء بركتها».

١ «قل أعوذ برب الفلق» الفلق
الصبح، لأن الليل ينفلق عنه. وقيل هو
كل ما انفلق عن جميع ما خلق الله، من
الحيوان، والصبح، والحب، والنوى،
وكل شيء من نبات وغيره. قيل: والمراد
الإيماء إلى أن القادر على إزالة هذه
الظلمات الشديدة عن كل هذا العالم
يقدر أيضا أن يدفع عن العائد به كل
ما يخافه ويخشاه.

٢ «من شر ما خلق» أي أعوذ بالله من
شر كل ما خلقه الله سبحانه من جميع
مخلوقاته.

٣ «ومن شر غاسق إذا وقب» أي
وأعوذ به من شر الليل إذا أقبل، قالوا:
لأن في الليل تخرج السباع من آجامها،
والهوام من أماكنها، وينبث أهل الشر
على العيث والفساد، وقيل الغاسق هو
القمر إذا طلع.

٤ «ومن شر النفاثات في العقد» أي
وأعوذ به من شر النساء الساحرات،
وذلك لأنهن كن ينفنن في عقد الخيوط

الحمد لله رب العالمين . وصلاة الله وسلامه على محمد
رسوله الأمين .

تم هذا التفسير المختصر بعون الله وتسديده في صباح
يوم الأربعاء السادس من شهر رمضان المبارك من سنة
١٤٠٤ هـ .

وقمت مراجعته في مساء الخميس العاشر من جمادى
الأولى سنة ١٤٠٥ هـ .

والله المسئول أن يعمم به النفع ويجعله لوجهه
خالصا . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

تعريف بهذا المصحف الشريف

كُتِبَ هَذَا الْمُصْحَفُ وَضُبِّطَ عَلَى مَا يُوَافِقُ رِوَايَةَ حَنْصِ
 أَبْنِ سَلِيمَانَ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْأَسَدِيِّ الْكُوفِيِّ لِقِرَاءَةِ عَاصِمِ بْنِ
 أَبِي النَّجُودِ الْكُوفِيِّ التَّابِعِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
 حَبِيبِ السُّلَمِيِّ عَنْ عَثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ وَعَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَزَيْدِ
 أَبِي ثَابِتٍ وَأَبِي بَكْرٍ كَعْبٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَأُخِذَ هَجَاؤُهُ مِمَّا رَوَاهُ عَلَيْهِ الرَّسْمُ عَنِ الْمُصَاحِفِ الَّتِي
 بَعَثَ بِهَا عَثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ إِلَى الْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ وَالشَّامِ وَمَكَّةَ
 وَالْمُصْحَفِ الَّذِي جَعَلَهُ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَالْمُصْحَفِ الَّذِي
 اخْتَصَّ بِهِ نَفْسَهُ، وَعَنِ الْمُصَاحِفِ الْمُنْتَسَخَةِ مِنْهَا .

أَمَّا الْأَحْرُفُ الْبَسِيرَةُ الَّتِي اخْتَلَفَتْ فِيهَا أَهْجِيَةُ تِلْكَ

المصاحف فأتبع فيها الهجاء الغالب مع مراعاة قراءة القارئ
الذي يكتب المصحف لبيان قراءته، ومراعاة القواعد التي
استنبطها علماء الرسم من الأئمة المختلفة على حسب ما رواه
الشيخان : أبو عمرو الداني وأبو داود سليمان بن نجاح مع
ترجيح الثاني عند الاختلاف .

وعلى الجملة كل حرف من حروف هذا المصحف موافق
لنظيره في مصحف من المصاحف الستة السابق ذكرها .
والعمدة في بيان كل ذلك على ما حققه الأستاذ محمد
أبن محمد الأموي الشريشي المشهور بالحرّاز في منظومته
"مورد الظمان" وما قرّره شارحها المحقق الشيخ عبد الواحد
أبن عاشر الأنصاري الأندلسي .

وأخذت طريقة ضبطه مما قرّره علماء الضبط على حسب

ماورد في كتاب "الطراز على ضبط الحراز" للإمام التنسي
مع إبدال علامات الأندلسيين والمغاربة بعلامات الخليل
أبن أحمد وأتباعه من المشارقة .

وَأَتْبَعْتُ فِي عَدِّ آيَاتِهِ طَرِيقَةَ الْكُوفِيِّينَ عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ
عبد الله بن حبيب السلمى عن علي بن أبي طالب على حسب
ماورد في كتاب "ناظمة الزهر" للإمام الشاطبي وشرحها
لأبي عبيد رضوان المخللاتي . و"كتاب أبي القاسم عمر بن محمد
أبن عبد الكافي" وكتاب "تحقيق البيان" للأستاذ الشيخ
محمد المتولي شيخ القراء بالديار المصرية سابقا . وآي القراءان
على طريقتهما ٦٢٣٦

وَأَخَذَ بَيَانَ أَوَائِلِ أَجْزَائِهِ الثَّلَاثِينَ وَأَحْزَابِهِ السِّتِينَ وَأَرْبَاعَهَا
من كتاب "غيث النفع" للعلامة السفاقيسي و"ناظمة الزهر

وشرحها“ و”تحقيق البيان“ و”إرشاد القراء والكاتبين“
 لأبي عبدٍ رضوان المخللاتي .

وأخذ بيان مكيه ومدنيه من الكتب المذكورة،
 و”كتاب أبي القاسم عمر بن محمد بن عبد الكافي“،
 و”كتب القراءات والتفسير“ على خلاف في بعضها .

وأخذ بيان وقوفه وعلاماتها مما قرره الأستاذ (محمد بن علي
 ابن خلف الحسيني) شيخُ المقارئ المصرية الآن على حسب
 ما اقتضته المعاني التي تُرشد إليها أقوالُ أئمة التفسير .

وأخذ بيان السجّادات ومواضعها من كتب الفقّه
 في المذاهب الأربعة .

وأخذ بيان السكّات الواجبة عند حفص من ”الشاطبية
 وشرحها“ والتلّق من أفواه المشايخ .

اصطلاحات الضبط

وَضَعُ الصِّفْرِ الْمُسْتَدِيرِ فَوْقَ حَرْفٍ عِلَّةٌ يَدُلُّ عَلَى زِيَادَةِ

ذَلِكَ الْحَرْفِ فَلَا يُنْطَقُ بِهِ فِي الْوَصْلِ وَلَا فِي الْوَقْفِ ، نَحْوُ :

قَالُوا . يَتْلُوا صُحُفًا . لَا أَذْبَحَنَّهُ . وَثُمُودًا فَمَا أَبْقَى .

إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا . أُولَئِكَ . أُولُوا الْعِلْمِ .

مِنْ نَبَايَ الْمُرْسَلِينَ . بَنَيْنَهَا بِأَيْدٍ .

وَوَضَعُ الصِّفْرِ الْمُسْتَطِيلِ الْقَائِمِ فَوْقَ أَلِفٍ بَعْدَهَا مُتَحَرِّكٌ

يَدُلُّ عَلَى زِيَادَتِهَا وَصِلًا لَا وَقْفًا ، نَحْوُ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ .

لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي . وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا هُنَا لِكَ .

كَانَتْ قَوَارِيرًا قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ . وَأَهْمَلْتُ الْأَلِفَ

الَّتِي بَعْدَهَا سَاكِنٌ ، نَحْوُ : أَنَا النَّذِيرُ مِنْ وَضَعِ الصِّفْرِ

المستطيل فوقها وإن كان حكمها مثل التي بعدها متحرك
 في أنها تسقط وصلا وتثبت وقفا لعدم توهم ثبوتها وصلا .
ووضع رأس خاء صغيرة (بدون نقطة) فوق أي حرف
 يدل على سكون ذلك الحرف وعلى أنه مظهر بحيث يقرعه
 اللسان، نحو: مِنْ خَيْرٍ . وَيَنْعُونَ عَنْهُ . بِعَبْدِهِ . قَدْ سَمِعَ .
 فَقَدْ ضَلَّ . نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ . أَوْعَظْتَ . وَخُضِّمُ .
 وَإِذْ زَاغَتْ .

وتعريف الحرف من علامة السكون مع تشديد الحرف
 التالي يدل على إدغام الأول في الثاني إدغاما كاملا ، نحو :
 أَجِيبَتْ دَعْوَتُكُمْ . يَلْهَثُ ذَلِكَ . وَقَالَتْ طَائِفَةٌ :
 وَمَنْ يُكْرِهُنَّ . أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ .

وتعريفه مع عدم تشديد التالي يدل على إخفاء الأول

عند الثاني فلا هو مظهر حتى يقرعه اللسان ولا هو مدغم
حتى يُقلب من جنس تاليه، نحو: مِنْ تَحْتَهَا . مِنْ ثَمَرَةٍ .
إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ . أو إدغامه فيه إدغاما ناقصا ، نحو :
مَنْ يَقُولُ . مِنْ وَالٍ . فَرَطْتُمْ . بَسَطْتَ .

ووضع ميم صغيرة بدل الحركة الثانية من المنون أو فوق
النون الساكنة بدل السكون مع عدم تشديد الباء التالية يدلُّ
على قلب التنوين أو النون ميمًا، نحو: عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ .
جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا . كِرَامٍ بَرَرَةٍ . مِنْ بَعْدِ . مُنبِثًا .

وتركيب الحركتين : (ضمتين أو فتحتين أو كسرتين)
هكذا َ ِ ِْ يدلُّ على إظهار التنوين ، نحو : سَمِيعٌ
عَلِيمٌ . وَلَا شَرَابًا إِلَّا . لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ .

وتتابعهما هكذا َ ِْ ِْْ مع تشديد التالى يدلُّ على

إدغامه ، نحو : خُشِبَ مُسْنَدَةٌ . غُفُورًا رَحِيمًا . وَجُوهٌ
يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ .

وتتابعهما مع عدم التشديد يدل على الإخفاء ، نحو :
شِهَابٌ ثَاقِبٌ . سِرَاعًا ذَلِكَ . بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كَرَامٍ .
أو الإدغام الناقص ، نحو : وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ . رَحِيمٌ وَدُودٌ .
فتركيب الحركتين بمنزلة وضع السكون على الحرف .
وتتابعهما بمنزلة تعريته عنه .

والحروف الصغيرة تدل على أعيان الحروف المتروكة
في المصاحف العثمانية مع وجوب النطق بها ، نحو : ذَلِكَ
الْكِتَابُ . دَاوُدُ . يَلُودُنَ السِّنْتَهُمُ . يُحْيِي وَيُمِيتُ .
أَنْتَ وَلِيٌّ فِي الدُّنْيَا . إِنْ وَلِيَّيَ اللَّهُ . إِلَى الْخَوَارِجِ .
إِلَيْهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ . إِنْ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا . كِتَابُهُ

بِإِمِينِهِ . فَيَقُولُ . وَكَذَلِكَ نُجِي الْمُؤْمِنِينَ .

وكان علماء الضبط يلحقون هذه الأحرف حمراء بقدر حروف الكتابة الأصلية ولكن تعسر ذلك في المطابع فأكتفى بتصغيرها في الدلالة على المقصود .

وإذا كان الحرف المتروك له بدل في الكتابة الأصلية عول في النطق على الحرف الملحق لا على البدل ، نحو : الصَّلَاة . كِمَشْكُورَةٍ . الرَّبُّوْا . مَوْلَاهُ . التَّوْرَةِ . وَإِذْ أَسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ . لَقَدْ رَأَى ، ونحو : وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ . فِي أَنْخَلَقَ بَصْطَةً . فإن وضعت السين تحت الصاد دل على أن النطق بالصاد أشهر ، نحو : الْمُصِيطِرُونَ .

ووضع هذه العلامة (-) فوق الحرف يدل على لزوم مده مدا زائدا على المد الأصلي الطبيعي ، نحو : الَمْ . الطَّامَّة . قُرُوءٍ . سَيِّءٍ بِهِمْ . شُفَعَاؤُا . تَأْوِيلُهُ : إِلَّا اللَّهُ .

لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ . بِمَا أُنْزَلَ . على تفصيل يعلم من
فن التجويد . ولا تستعمل هذه العلامة للدلالة على ألف
محذوفة بعد ألف مكتوبة مثل آمنوا كما وضع غلطاً في كثير
من المصاحف بل تكتب ء آمنوا بهمزة وألف بعدها .

والدائرة المحلاة التي في جوفها رقم تدل بهيئتها على انتهاء الآية
وبرقمها على عدد تلك الآية في السورة، نحو : إِنَّا أَعْطَيْنَكَ
الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنْ شَأْنُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾
ولا يجوز وضعها قبل الآية البتة . فلذلك لا توجد في أوائل
السور، وتوجد دائماً في أواخرها .

وتدل هذه العلامة (*) على ابتداء رُبْع الحزب . وإذا
كان أول الربع أول سورة فلا توضع .

ووضعُ خَطِّ أفقٍ فوق كلمة يدل على موجب السجدة ،

ووضع هذه العلامة ﴿ بعد كلمة يدل على موضع السجدة،
 نحو : وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ
 وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُسْتَكْبَرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ
 وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾

ووضع النقطة الخالية الوسط المعينة الشكل تحت الراء
 في قوله تعالى : بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبُهَا يَدُلُّ عَلَى إِمَالَةِ الْفَتْحَةِ إِلَى
 الْكسرة، وإمالة الألف إلى الياء . وكان النُّقَاطُ يضعونها دائرة
 حمراء فلما تعسر ذلك في المطابع عُدل إلى الشكل المعين .

ووضع النقطة المذكورة فوق آخر الميم قبيل النون المشددة
 من قوله تعالى : مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ يَدُلُّ عَلَى
 الاشمام (وهو ضم الشفتين) كمن يريد النطق بضممة إشارة

إلى أن الحركة المحذوفة ضمة (من غير أن يظهر لذلك أثر في النطق) .

ووضع نقطة مدورة مسدودة الوسط فوق الهمزة الثانية من قوله تعالى : أَتَجْمَعُونَ عَرَبِيَّ يَدُلْ عَلَى تَسْهِيلِهَا بَيْنَ بَيْنَ أَى بَيْن الهمزة والألف .

علامات الوقف

١ . علامة الوقف اللازم، نحو : إِنْ مَّا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ .

٢ . علامة الوقف المنوع، نحو : الَّذِينَ تَتَوَفَّيْهُمْ أَلْمَلِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ .

٣ . علامة الوقف الجائز جوازا مستوي الطرفين، نحو : نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ .

٤ . علامة الوقف الجائز مع كون الوصل أولى، نحو : وَإِنْ

يَمْسَسُكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ - إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسُكَ
بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

قد علامة الوقف الجائز مع كون الوقف أولي، نحو: قُلْ
رَبِّيَ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُنَارِفِهِمْ .

.. علامة تعائق الوقف بحيث إذا وقف على أحد
الموضعين لا يصبح الوقف على الآخر، نحو: ذَلِكَ
الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ .

خاتمة

قام بتصحيح هذا المصحف الشريف ومراجعته على
أمّهات كتب الرسم والضبط والقراءات مراجعةً دقيقةً
الأستاذ الشيخ محمد بن علي بن خلف الحسيني شيخُ المقارئ
المصرية الآن (وهو الذي كتبه بخطّه) ، والأستاذ
حفي بك ناصف المفتش الأول للغة العربية بوزارة المعارف
العمومية ، والأستاذان الشيخ مصطفى عناني والشيخ أحمد
الإسكندري المدرّسان بمدرسة المعلمين الناصرية ، والأستاذ
الشيخ نصر العادلي رئيس المصححين بالمطبعة الأميرية .
تحت إشراف مشيخة الأزهر الجليّة .

محمد علي خلف الحسيني حفي ناصف نصر العادلي

مصطفى عناني أحمد الإسكندري صاحب الفضيلة
شيخ الجامع الأزهر

في ١٠ ربيع الثاني سنة ١٣٣٧

فهرس السور
على حسب ترتيبها في المصحف

٨٤٣

رقم الصفحة	اسم السورة	رقم الصفحة	اسم السورة
٢	سورة الفاتحة	٣٦٤	سورة الإسراء
٣	سورة البقرة	٣٨٠	سورة الكهف
٦٢	سورة آل عمران	٣٩٦	سورة مريم
٩٧	سورة النساء	٤٠٦	سورة طه
١٣٤	سورة المائدة	٤٢٠	سورة الأنبياء
١٦٢	سورة الأنعام	٤٣٢	سورة الحج
١٩٢	سورة الأعراف	٤٤٥	سورة المؤمنون
٢٢٦	سورة الأنفال	٤٥٦	سورة النور
٢٣٩	سورة التوبة	٤٧٠	سورة الفرقان
٢٦٥	سورة يونس	٤٧٩	سورة الشعراء
٢٨٣	سورة هود	٤٩٤	سورة النمل
٣٠٢	سورة يوسف	٥٠٦	سورة القصص
٣٢٠	سورة الرعد	٥٢٠	سورة العنكبوت
٣٢٩	سورة إبراهيم	٥٣٠	سورة الروم
٣٣٧	سورة الحجر	٥٣٩	سورة لقمان
٣٤٥	سورة النحل	٥٤٤	سورة السجدة

رقم الصفحة	اسم السورة	رقم الصفحة	اسم السورة
٥٤٨	سورة الأَحْزَابِ	٦٨٨	سورة قَـ
٥٦٢	سورة سَبَأٍ	٦٩٢	سورة الذَّارِيَاتِ
٥٧١	سورة فَاطِرِ	٦٩٦	سورة الطُّورِ
٥٧٩	سورة يَسِّ	٧٠٠	سورة النَّجْمِ
٥٨٧	سورة الصَّافَّاتِ	٧٠٤	سورة الْقَمَرِ
٥٩٧	سورة صَـ	٧٠٨	سورة الرَّحْمَنِ
٦٠٥	سورة الزُّمَرِ	٧١٣	سورة الْوَاقِعَةِ
٦١٧	سورة غَافِرِ	٧١٨	سورة الْحَدِيدِ
٦٢٩	سورة فُصِّلَتْ	٧٢٤	سورة الْمُجَادَلَةِ
٦٣٨	سورة الشُّورَى	٧٢٩	سورة الْحَشْرِ
٦٤٧	سورة الزُّحُرِفِ	٧٣٤	سورة الْمُتَحَنِّةِ
٦٥٦	سورة الدُّخَانِ	٧٣٨	سورة الصَّافِّ
٦٦٠	سورة الْجَاثِيَةِ	٧٤٠	سورة الْجُمُعَةِ
٦٦٥	سورة الْأَحْقَافِ	٧٤٢	سورة الْمُنَافِقُونَ
٦٧٢	سورة مُحَمَّدٍ	٧٤٥	سورة التَّغَابُنِ
٦٧٨	سورة الْفَتْحِ	٧٤٨	سورة الطَّلَاقِ
٦٨٤	سورة الْحَجُرَاتِ	٧٥١	سورة التَّحْرِيمِ

رقم الصفحة	اسم السورة	رقم الصفحة	اسم السورة
٧٥٤	سورة الملك	٧٩٩	سورة الأنشاق
٧٥٧	سورة القلم	٨٠٠	سورة البروج
٧٦١	سورة الحاقة	٨٠٢	سورة الطارق
٧٦٤	سورة المعارج	٨٠٣	سورة الأعلى
٧٦٧	سورة نوح	٨٠٤	سورة الغاشية
٧٧٠	سورة الجن	٨٠٦	سورة الفجر
٧٧٣	سورة المزمل	٨٠٨	سورة البلد
٧٧٥	سورة المدثر	٨٠٩	سورة الشمس
٧٧٨	سورة القيامة	٨١٠	سورة الليل
٧٨١	سورة الإنسان	٨١١	سورة الضحى
٧٨٤	سورة المرسلات	٨١٢	سورة الشرح
٧٨٦	سورة النبأ	٨١٣	سورة التين
٧٨٩	سورة النازعات	٨١٤	سورة العلق
٧٩١	سورة عبس	٨١٥	سورة القدر
٧٩٣	سورة التكويد	٨١٦	سورة البينة
٧٩٥	سورة الأنفطار	٨١٧	سورة الزلزلة
٧٩٦	سورة المطففين	٨١٨	سورة العاديات

رقم الصفحة	اسم السورة	رقم الصفحة	اسم السورة
٨١٩	سورة القارعة	٨٢٤	سورة الكوثر
٨٢٠	سورة التكاثر	٨٢٤	سورة الكافرون
٨٢٠	سورة العصر	٨٢٥	سورة النصر
٨٢١	سورة الحمزة	٨٢٥	سورة المسد
٨٢٢	سورة الفيل	٨٢٦	سورة الإخلاص
٨٢٢	سورة قريش	٨٢٦	سورة الفلق
٨٢٣	سورة الماعون	٨٢٧	سورة الناس